

عــدد
الهجرة الممتاز
ومعه تقويم
هجري
هدية للقاريء

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة ــ العدد ٤٩ ــ غره المحرم ١٣٨٩هـ ــ ١٩ مارس « اذار » ١٩٦٩ م

اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف



غار حراء ، أو جبل النور ، حيث هبط النور السماوى على محمد صلى الله عليه وسلم لأول مرة وهو معتكف يتعبد فى غار بأعلى هذا الجبل ، وحيث تلقى الرسول أول آيات القرآن (اقرأ باسم ربك الذى خلق ..)

تصوير عظمت شيخ

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIUL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة الخامسة

العدد التاسع والأربعون

غرة المحرم ١٣٨٩ هـ

١٩ مارس « اذار » ١٩٦٩ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		فرنك وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار

فى الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)

أما الأفراد فيشتركون رأسا)

مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت



باسم الله وعونه ، وتوفيقه وفضله ، نفتتح بهذا العـــدد من المجلة السنة الخامسة من عمرهـــا ، ليضم مع ما يليه من أعداد إلى مجموعاتها السابقة رصيدا من الفكرة المؤمنة والكلمة الهادية الخيرة ، ولقد كان من حسن التوفيق أن بدأت المجلة حياتها مع مطلع العام الهجرى عام ١٣٨٥ وهى لذلك تبدأ كل عام جديد مع ذكرى الهجرة الكريمـــة التى تعمق فى نفوسنا أقوى معانى الايمان والثبات ، والتضحية والإيثـــار ، وتعلمنا أن النصر مع الجهاد والصبر وتضع أمام أعيننا وقلوبنا ((أحسب النـــاس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون)) .

وان كل ما فى هذه المجلة يعيش مع القارىء فى واقعه الثقافى : الأصيل والوافد ، والنافع والضار ، ويصاحبه فى حياته الحافلة بالخير والشر ، والفضيلة والرذيلة ، ويتـــابع خطوه ليحرس الإيمان فى قلبه ، ويوقظ الوعى فى حسه ، ويصحح الفهم فى عقله ، ويضمن له السلامة فى سلوكه ، ويهديه الى طريق الخير والرشد ، ((صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض)) .

وهذه الرسالة التى تحملها المجلة ليست بالأمر الهين ، ولا القريب المنال ... فحراسة الإيمان وإيقاظ الوعى وتصحيح المفاهيم عمل ضخم وجهد شاق يتطلب تجميع القوى وحشد الطـــاقات ، وتجنيد قادة الفكر الاسلامى لحماية الجيل المسلم المعـــاصر من الغزو الثقافى والاجتماعى الذى وجد مجاله الرحب فى ديارنا ، وصداه البعيد فى نفوس ناشئتنا ، وصوره التنفيذية فى مجتمعاتنا .. وقد ساعد على امتداد هـــذا الغزو وسرعة انتصاراته عدة عوامل خادعة مضللة .

فهو يغرى بالانطلاق والفوضى والتحرر من القيم والمثل .
وهو يستجيب للغرائز السفلى ، ويشبع الشهوات المهتاجة .
وهو لا يجد المقاومة الفعالة ، ولا تعترضه القوى المضادة المتكافئة .
وفى غفلة الحق وقصور أهله ، ينتصر الباطل ، ويتوالى زحفه .



لسعادة
عبدالله المشاري الروضان
وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية

إن العالم الاسلامى يتعرض منذ فترة طويلة لتيارات جارفة من الالحاد والتحلل ، تحاول أن تجتاح ما فى نفوس المسلمين من تدين ، وأن تقطع صلتهم بالله ... وإنه ليتكشف للرؤية من خلال الدعوات الهدامة عدة حقائق مريرة أظنها لا تغيب عن بال المصلحين المؤمنين :

يوجد تخطيط منظم حاقد على الاسلام يسعى جهده إلى تسميم العقول والأفكار ، وإفساد القلوب والضمائر ، واشاعة الفوضى والاباحية .

وتزحف على مجتمعاتنا موجات مادية عارمة باسم الحرية والتقدمية تعمل لابعادنا عن مواريثنا الروحية ، وتقاليدنا الاسلامية ، وتقطع الصلة بين ديننا ودنيانا .

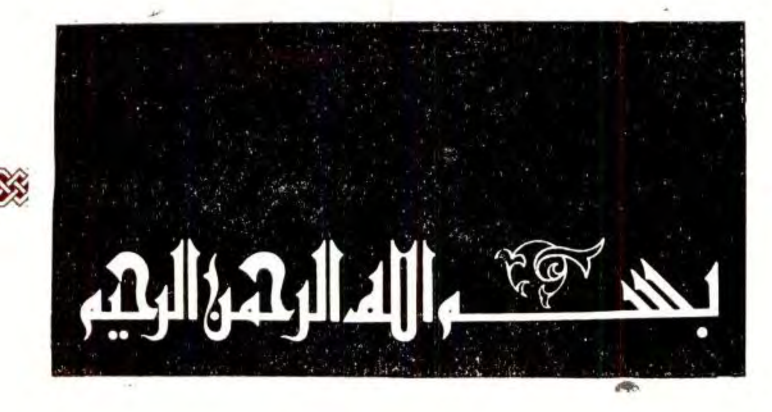
وتستغل أساليب التوجيه الحديثة وأجهزة الأعلام الموجهة استغلالا خبيثاً ماكراً لاغراقنا فى رذائل الحضارة الغربية ، ومباذل الحرية الزائفة .

وفى غمرة هذه الأخطار المحدقة بمقوماتنا السماوية يجب أن تتجه العقول المؤمنة ، وتتحرك الأقلام المخلصة للحفاظ على ديننا والابقاء على رسالتنا ، والنجاة من عدونا ... فى بيان ناصع وإقناع منطقى يجلى حقائق الاسلام ، ويقف فى وجه هذا الغزو الثقافى الخبيث ، ويدعو إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة .

وإن من أقوى الوسائل التى تحمى جيلنا من هذه التيارات الدخيلة الوافدة أن يتناول كتابنا المتخصصون المخلصون المشكلات التى جدت فى حياتنا والشكوك والأوهام التى طرأت على شبابنا فى مقالات ميسرة واضحة الأسلوب جذابة العرض تشد القارىء إلى دينه وترده الى خالقه .

وإنه لمن دواعى سرورنا وتفاؤلنا أن تأخذ مجلة الوعى الاسلامى على عاتقها منذ صدورها الاسهام الجاد فى هذا الميدان ، وتقوم بدورها البناء فى هذا المجال ، فيتلاقى فى ميدانها الرحب أصحاب القلوب المؤمنة : من الكتاب والقراء ، ويلتف حولها كل متطلع إلى أن تعود للاسلام كلمته ، وتخفق فى دياره رايته .

وتلك رعاية الله للعاملين المخلصين .





بحول من الله وقوته ، وايمان يعمر قلوبنا بعونه ورعايته ، نخطو بمجلتك الى العام الخامس من حياتها ، معتزين بثقتك بها ، فخورين بحرصك عليها ، ومؤازرتك لخطتها وخطواتها .. واثقين أنها لم تحظ منك بكل هذا الحرص وهذه المؤازرة الا لأنها تصدق في التعبير عن رأيك ، وتنبض مع نبضات قلبك ، وتسعى معك الأمل الذى سقاه الأولون من المهاجرين والأنصار بدمائهم حتى صار حقيقة تملأ الدنيا بروعتها وجلالها ، وتعطر الأنسام بسموها وعدلها ، ونرجو أن نعمل له ونعيش من أجله ، حتى نموت فى ظله وتسود كلمة الله فى الأرض ، وتعلو راية الاسلام وتتمكن مبادئه فى النفوس ، لنعيش أيامنا سعداء وعلى أرضنا أحرارا أعزاء .

وان حادث الهجرة بما سبقه من أحداث ، وما صاحبه من أخطار ، وما نتج عنه من آثار ، لجدير بالمسلم ــ كل مسلم ــ أن يتأمله طويلا ويستمد منه الدروس والعبر ، ويقتبس من هديه هديا ، ويلتمس من زاده زادا لا سيما ونحن الآن فى أشد الحاجة الى مثل هذه الدروس والعبر ...

فلقد كانت الهجرة ثورة على الضعف والكبت ، وانتفاضة على تحكم الباطل فى رقاب الحق وتضحية بكل ما فى يد الانسان من أجل حريته ، وانتصار فكرته وعقيدته .

وان عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين فكر فى اتخاذ حادثة هامة مبدأ لتاريخ الاسلام لم يجد حادثة أهم ولا أعظم من الهجرة ، يجعلها مبدأ لهذا التاريخ. ذلك لأن الهجرة ــ هجرة الرسول وصحابته من مكة الى المدينة كانت ــ ولا تزال ــ تبرز فيها أعظم معانى التضحية ، وأقوى مظاهر التصميم والعزم ، فى سبيل عقيدة الانسان ، وشعوره بكيانه وكرامته ...

كان فيها التضحية براحة الانسان ، المستقر فى بلده ، بين أهله وعشيرته، الى حيث يقيم فى مكان غريب عنه ، لا يعلم على وجه اليقين مصيره فيه ، وكان فيها التضحية بالمال والمتاع ، فى سبيل انتصار ارادة المسلم ، وأعتزازه بعقيدته وحريته .

وكان فيها الارادة القوية التى انتصرت على كل شهوات النفس وملذاتها ..
فوضعوا بذلك كله الحجر الاساسى لانتصار الدعوة الاسلامية .

فلم تكن الهجرة فى حقيقتها مجرد انتقال الانسان المسلم من مكان الى مكان، بل كانت تعبيرا عن انتصار العقيدة فى نفس الانسان ، على كل ما يملكه ويتمتع به من حطام .. وكانت صور كريمة مجسمة ، رسمتها الأهوال والمشقات للانسان المسلم الذى يضحى بكل شىء فى سبيل حريته ــ حرية العقيدة التى يؤمن بها ، حرية التعبير عن رأيه بالكيفية التى يريدها له دينه ، وتفرضها عليه عقيدته .. حريته فى الجهر بالحق ، الذى عرفه وآمن به ، وأحس السعادة تغمره بهذه المعرفة وهذا الايمان ..

فمن أجل التضحيات التى صاحبت الهجرة ..

ومن أجل قوة الارادة والعزم والتصميم ..

ومن أجل الهدف الكريم ..

ومن أجل الحرية التى يجعلها الاسلام مرادفة لمعنى الانسانية التى كرمها الله فى الانسان ..

ومن أجل ما حققه المسلمون بهجرتهم من انتصار ..

من أجل ذلك كله اختار عمر والصحابة معه رضوان الله عليهم حادث الهجرة، مبدأ للتاريخ الاسلامى . لتظل الهجرة على مر التاريخ مصــدر الهام لنا ــ نحن المسلمين ــ كلما تذكرناها ووعيناها ، انتفعنا بعظاتها وعبرها .. والله سبحانه وتعالى يقول : (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) .

كانت الهجرة قبل فتح مكة شرطا لا بد منه لقبول الاسلام من المسلم وضمه الى جماعة المسلمين ، وعربونا على صدقه فى اسلامه .. لما كان فيها من تضحيات لا يبذلها الا مؤمن صادق الايمان .

كانت تعبيرا عن اختيار المســلم للعزة بدلا من الذلة ، وفراره من مرارة الكبت الى الحرية .. أما بعد أن فتح الله مكة على المسلمين ، وأصبحت كالمدينة يرفرف عليها علم الاسلام ، ويعطر جوها نسيم الحرية ، وتدوى فى جنباتهــا كلمات التوحيد .. لم يعد للهجرة الحسية أعتبارها الأول .

ولماذا الهجرة ، وكلها قد أصبحت بلاد الاسلام ؟ لكن بقيت معانى الهجرة . كانت الهجرة من مكة الى المدينة تعنى التضحية بالشهوات والملذات ، تعنى جهادا للنفس وحربا عليها فيما تهواه وتركن اليه من راحة بدنية أو ثروة مادية أو الابقاء على صلة عائلية وتقديم شىء من ذلك على عقيدة المسلم .

فزال بعد الفتح صورة الهجرة المكانية ، وبقى روحها ومعناها ولبها .. كان الانتقال من مكة الى المدينة ضرورة لازمة ، فأصبح جهاد النفســ وانتصارهــا لعقيدتها ، وتضحياتها من أجل نصرتها ، هو الضرورة ، وهو الفرض الذى يجب على كل مسلم يشعر بكيانه القيام به .

جاء رجل يسمى مجاشع بن مسعود السلمى بأخيه معبد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد فتح مكة ، وقال له بايعه يا رسول الله على الهجرة . فقال عليه الصلاة والسلام : ((قد مضت الهجرة بأهلها)) أى انقضى زمن الهجرة وفاز بها من فاز ، ولم تصبح لها ضرورة الآن .. فقال له مجاشع : فبأى شىء

تبايعه يا رسول الله ؟ قال : على الاسلام والجهاد والخير . وجاء فى حديث آخر يبين معنى المهاجر بعد الفتح : ((المهاجر من هجر السيآت ، أو من هجر ما حرم الله)) .

فأصبح معنى الهجرة بعد الفتح : هجر الانسان لشهواته ولذائذ نفسه المحرمة ، وعزمه وتصميمه على فعل الخير ، والجهاد فى سبيل الحق ، وتحمل التضحيات بألوانها المتعددة من أجله .

لقد جعل المسلمون المهاجرون مالهم فى خدمة عقيدتهم .. جعل أبو بكر ماله فى خدمة عقيدته .. ولما وقف الكفار فى طريق مؤمن مهاجر قال لهم : عندكم مالى ومتاعى كله ، فخذوه ودعونى ألحق برسول الله فى المدينة ، كانت لهم دور فهجروها ، وكانت لهم مصالح فتركوها ، وكانت لهم أزواج وأبناء وأحباء ، فتركوا ذلك كله من أجل أن ينصروا عقيدتهم ، ضحوا بكل شىء فى سبيل دينهم لأن هذا اللون من التضحية كان ضروريا لخدمة عقيدتهم ..

وهذا هو المعنى الباقى من الهجرة الذى عبر عنه الرسول فى كلمات مختصرة (ولكن جهاد ونية) .

فلم يعد المطلوب منا أن نهجر بلدنا ، ونتخلى عن مسؤولياتنا ، اذا رأينا فيها فسادا ، بل المطلوب أن نصلح أنفسنا ، ونعمل للقضاء على هذا الفساد .

ان الهجرة المطلوبة من كل مسلم الآن هى الهجرة بالمعنى لا الهجرة بالجسم، لأن الهجرة بالجسم الآن قد تكون فرارا من تحمل المسئولية ، وضعفا أمام تيار الفساد ، وتخلية الطريق أمامه ليستشرى ، والاسلام لا يرضى بهذا الضعف أو الفرار ..

فالهجرة تتمثل الآن فى هجر العيش الهنىء ، ورفض كل متعة فى ظل العبودية والاستعمار ...

هجر التمتع والترف ، وحولنا اخوان لنا لا يجدون ما يأكلون ..

هجر الدسائس التى تفرق وحدتنا ، والشهوات التى تضعف قوتنا ، والأهواء التى تمكن عدونا من رقابنا ..

هجر الغنى حبه لماله حبا يستعبده ، ويجعله مملوكا لماله لا مالكا له .

هجر الموظف وكل من يتحمل أمانة عمل من الأعمال صغيرا أم كبيرا ما تميل اليه نفسه من راحة ، أو عبث ، أو تفريط فى الأمانة التى يتحملها ..

هجر الصانع والزارع والطالب تهاونه فى مهمته وتفريطه فى أداء رسالته .

هجر المسلمين جميعا روح الكسل والتواكل والخنوع ، وكل ما يعوق نهضتهم ، أو يحول بينهم وبين تحررهم ..

هذا هو معنى الهجرة الباقى الذى يجب علينا أن نحرص عليه ..

وان واقعنا الآن يفرض علينا أن نهاجر بهذا المعنى . لأنه واقع مر لا يمثل أبدا ما يريده الاسلام لأتباعه ولا ما نريده نحن من عزة وكرامة وحرية وقوة .. ولا بد من أن نجاهد أنفسنا ونحكمها وتقوى فينا روح التضحية حتى نغير هذا الواقع .

ان كل مسلم يشكو وينتقد ، وفى نفسه مرارة من واقعنا ، فهل نظل نشكو وننتقد دون عمل ؟ والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ؟ !!

أننا فى حاجة قبل كل شىء الى أن نراجع أنفسنا ، ونعقد عزمنا على اصلاح

أمورنا ، ونستمد من هذه المناسبة ، مناسبة ذكرى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم عبرها ودروسها . لعل الله يصلح شأننا ويتقبل أعمالنا .. فانه عليه الصلاة والسلام يقول : ((انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورســوله (أى مقبولة) ومن كانت هجرته الى دنيا يصـــيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه)) ويتخلى الله عنه ويتركه لشأنه ..

هذا جانب من الصورة الكريمة للهجرة رسمه المهاجرون بايمانهم وآلامهم ومتاعبهم ..

وهناك جانب آخر من الصورة لا يقل عنه روعة وتضحية ذلك هو الجانب الذى رسمه الأنصار فى المدينة بايمانهم وايثارهم وتضحيتهم بأموالهم ودورهم .. وبما يملكون من متع هذه الحياة ، حين استقبلوا اخوانهم القادمين عليهم الذين تركوا كل ما يملكون وراءهم ، وجاءوا اليهم بعقيدتهم ، فأحلوهم من أنفسهم مكان الاخوة ، وقاسموهم ما يملكون فى حب ورضا وايثار : ((يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهــم ولو كان بهــم خصاصة)) .

درس آخر من دروس الحياة ، نحن فى حاجة الى أن نتعلمه ، ولا سيما عند الأزمات والنكبات التى تحل باخـــوان لنا ، فيتركون ديـــارهم ، ويهيمون على وجوههم وقد خلفوا وراءهم دورا وقصورا ومالا ومتاعا ، لم يستطيعوا أن يحملوه فتركوه .. والتمسوا النجاة بانفسهم ..

هنا نحتاج الى هذا المثل الأنصارى الرائع .. (يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) والله العليم الحكيم هو الذى يصف نفوس الأنصار هذا الوصف الرائع العظيم .. وهو عليم بذات الصدور ..

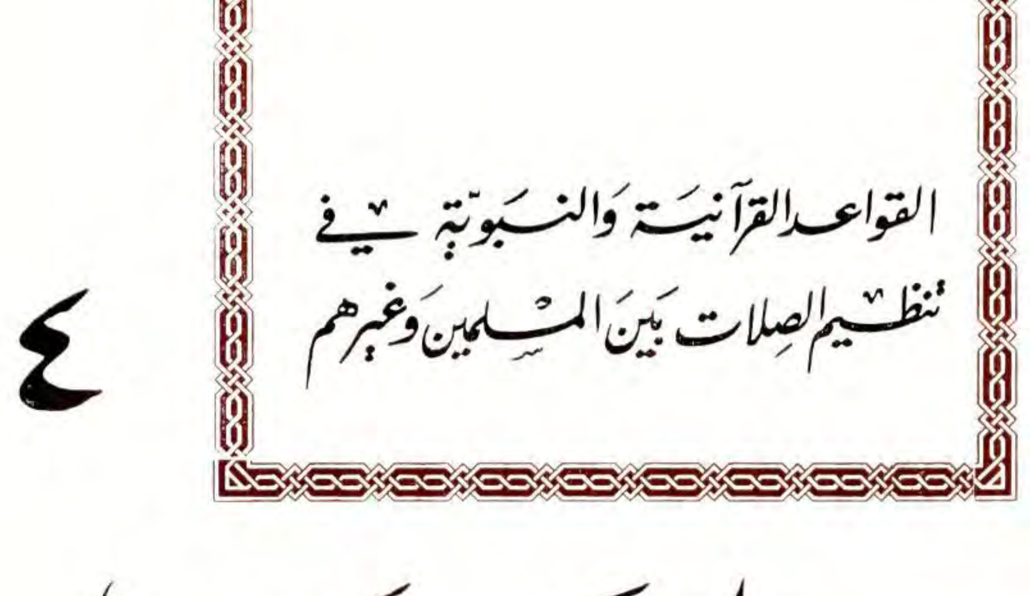
وهكذا يكون شأن المؤمنين : أنفة من الذلة ، واحتقار للمادة فى سبيل العقيدة ، وتعاون وايثار ، ينسى المجاهد متاعبه ، ويعوضه أهلا بأهل واخوانا باخوان ..

وجزى الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب واخوانه خيرا حين ربطوا تاريخنا بأهم حدث فيه ، حتى نظل كل يوم وكل شهر ، وكلما بدأنا سنة هجرية جديدة على اتصال بهذه المعانى التى احتواها حادث الهجرة ، نستمد منه هديا لأنفســـنا ، وعبرة فى أيامنا .. وان كنا ــ مع الأسف الشديد ــ قد باعدنا بين أنفسنا وبين هذه التذكرة ، حين أهملنا هذا التاريخ ، واستعرنا تاريخا لا يرتبط بأحداثنا ، مثل أى شىء آخر فى حياتنا .

وتلك هى الغفلة التى لا بد لها من يقظة ، حتى تعيش أمتنا فى نطاق تاريخها المجيد ، وتكون امتدادا حيا لماضيها العتيد ...

المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة والارشاد



المعاهدون

للأستاذ : محمد عزة دروزة
- دمشق -

شرحنا فيما سبق أوصاف الفئة الأولى وهم الأعداء وموقف المسلمين ازاءهم المستلهم من كتاب الله وسنة رسوله .

ونشرح الآن أوصاف الفئة الثانيـــة . وهم الذين يقوم بينهم وبين المسلمين عهد صلح بدءا أو بعد حرب ، والقواعد المستلهمة من كتاب الله وسنة رسوله فيهم فنقول :

— ١ —

ان هؤلاء يوفى لهم بعهدهم ويســـتقام معهم على شروطه ، ما وفوا وما استقاموا . فاذا بدا منهم نقض أو غدر أو خيانة أو مظاهرة للعدو أو طعن فى الدين أو صد عن سبيل الله ، أو عدوان على الاســـلام والمسلمين بأية صورة ، انقلب موقفهم الى موقف العدو الواجب قتاله فى نطاق الشرح الوارد فى المقال الأول على ما جاء فى آيات كثيرة منها ما ذكرناه فى ذلك المقال ومنها آيات سورة البقرة ١٠٠ والنســـاء ٩٠ و ٩١ والأنفال ٥٥ — ٥٨ والتوبة ١ — ١٥ ويعامل اسراهم وفق القواعد المشروحة فى مقالنا الثالث المستلهمة من كتاب الله وسنة رسوله كذلك .

وفى الآيات القرآنية المذكورة آنفا والمذكورة فى المقال الأول دلائل على أنه كان بين طوائف من المشركين وأهل الكتاب وبين النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين مواثيق صلح . وفى بعضها ما يفيد أن هذه المواثيق كانت موقتة بمدة ومنها ما لا يفيد ذلك ، حيث يجوز أن تكون بدون مدة .

وفى كتب السيرة والحديث روايات فيها أسماء بعض هذه الطوائف ، وصفة ما كان بينها وبين النبى صلى الله عليه وسلم من عهد موقوت وغير موقوت . من ذلك ما رواه المفسرون فى سياق تفسير آية سورة النساء (٩٠) التى فيها جملة (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) أنه الميثاق العهدى الذى انعقد بين النبى صلى الله عليه وسلم وهلال بن عويمر الذى واثق هذا فيه رسول الله عن قومه على أن لا يحيف على من أتاه منهم ، ولا يحيفون على من أتاهم منه . أو أنه الميثاق المنعقد بين النبى صلى الله عليه وسلم وسراقة بن مالك المدلجى الذى أخذ من النبى عهدا بأن لا يغزو قومه ، فأن أسلمت قريش أسلموا لأنهم فى عقد مع قريش . ومن ذلك ما رواه البغوى فى سياق تفسير الآية الرابعة من سورة التوبة التى تقول (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ..) حيث روى أنها عنت بنى ضمرة الذين كان بقى من مدتهم تسعة أشهر ، والذين ذكرت الروايات (أنظر طبقات أبن سعد ج ٣ ص ٤٦) أن النبى صلى الله عليه وسلم وادع زعيمهم مخشبان على أن لا يغزوه ولا يغزوهم ، ولا يكثروا عليه جمعا ، ولا يعينوا عدوا ، وكتب بينه وبينه كتابا .

ومن ذلك ما رواه الطبرى فى سياق الآية السابعة من سورة التوبة التى تقول (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) أنها عنت بنى خزيمة أو بنى الديل أو بنى مدلج .

ومن ذلك الصلح الذى انعقد بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين قريش لمدة عشر سنين ، والذى عرف بصلح الحديبية بعد حالة عداء وحرب شديدة أستمرت الى السنة السادسة من الهجرة .

ولقد روى المفسرون وكتاب السيرة القدماء فى سياق خبر هذا الصلح أن بنى خزاعة دخلوا فى صلح النبى ، وكانوا من أهل الحرم ، وأن أعداء لهم من بنى بكر دخلوا فى صلح قريش . وان بعض بطون أو اشخاص من بكر اعتدوا على بعض بطون أو اشخاص من بنى خزاعة ، بتحريض أو مساعدة أو تشجيع من بعض رجالات قريش ، فترتب على ذلك انتقاض الصلح بين النبى وقريش وقد جاء زعماء بنى خزاعة الى المدينة ، وأخبروه بما وقع وبأسماء المساعدين أو المشجعين من قريش ، وهم صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى ، ومكرز بن حفص بن الأحنف . فأعتبر النبى ذلك نقضا للصلح بينه وبين قريش ووعد الخزاعيين بالنصر .

وشعرت قريش بخطورة ما وقع فخرج أبو سفيان زعيمهم الى المدينة ليشد العقد بينه وبين النبى وكان النبى تنبأ بذلك فقال لأصحابه (كانكم بأبى سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد فى المدة . ويروى ابن هشام ما جرى مع أبى سفيان فى سياق طريق رائع . دخل أولا على ابنته ام حبيبه فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله طوته عنه فقال يابنية . ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى . فقالت بل هو فراش رسول الله وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله .فقال لها والله لقد أصابك يابنية بعدى شر . ثم خرج حتى أتى النبى فكلمه فلم يرد عليه . فذهب الى أبى بكر فكلمه وطلب منه أن يكلم

رسول الله ، فقال له ما أنا بفاعل . فأتى عمر فكلمه وطلب منه أن يكلم رسول الله فقال له : أءنا أشفع لكم . فوالله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به .

فدخل على على بن أبى طالب وعنده فاطمة فطلب منه الشفاعة الى رسول الله فقال له : ويحك . والله لقد عزم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه. فالتفت الى فاطمة فقال : يـــا ابنة محمد هل لك أن تأمرى بنيك هذا . — وهو الحسن — فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر . فقالت : والله ما بلغ بنى ذاك أن يجير بين الناس ، وما يجير أحد على رسول الله . قال يا أبا الحسن انى أرى الأمور قد اشتدت على فانصحنى . قال والله ما أعلم لك شيئا يغنى عنك . ولكنك سيد بنى كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك . قال أو ترى ذلك مغنيا ؟ قال : لا والله ما أظنه . ولكنى لا أجد لك غير ذلك .

فقام أبو سفيان فقال : يا أيها الناس انى قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق . فلم يغن ذلك عنه حيث رأى رسول الله أن الظروف تسمح بعدم تجديد أو توثيق الصلح الذى كان موقتا بمدة معينة . وأنها تسمح بالسير نحو مكة وفتحها وهدم الجدار الذى كان يحول بين العرب والاسلام . ولا سيما ان كفار قريش آذوا النبى والمسلمين أشد أذى فى مكة وفتنوا بعضهم عن دينه ، وأزهقوا أرواح بعضهم بالتعذيب . وحبسوا وقيدوا بعضهم . وألجأوهم الى الهجرة من وطنهم والتخلى عن أموالهم الى بلاد الحبشة أولا ثم الى يثرب . وتآمروا فى النهايـــة على النبى ليغتالوه ، ودبروا تدبيرهم لذلك فأحبطه الله ، ثم قاتلوهم بعد الهجرة أشد قتال . وألبوا عليهم العرب . وعزموا على استئصالهم بالزحف العظيم الذى عرف بزحف الأحزاب ، مما أشارت اليه آيات كثيرة منها آيات سورة البقرة ١٩١ و ٢١٧ وآل عمران ١٢٢ — ١٧٨ والنساء ٧٤ — ٧٦ والأنفال ٥ — ١٩ و ٢٦ — ٣٠ و ٣٦ — ٤٠ والتوبة ١ — ١٥ والنحل ٤١ — ٤٢ و ١٠٦ و ١١٠ والحج ٣٩ — ٤١ والأحزاب ٩ — ٢٥ والممتحنة ١ — ٣ والبروج ٨ .

— ٢ —

ولقد روى المفسرون عن أبن عباس وغيره من أصحاب رسول الله وتابعيهم أن الآيات التى تذكر ما قام من عهد بين النبى والمشركين ، وتوجب رعايته ، قد نسخ بآية سورة التوبة الخامسة . وأن المسلمين مأمورون بقتالهم الى أن يتوبوا ويسلموا ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة كما جاء فى الآيتين (٤ و٧) من السورة . وهذا ما لا يمكن التسليم به بالنسبة للذين يستقيمون على عهد غير موقوت بينهم وبين المسلمين بنص آية سورة النساء (٩٠) التى تقول : (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم الســـلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) . ثم بنص آيتى سورة التوبة (٤و٧) اللتين تستثنيان من القتل والقتال المعاهدين غير الناكثين من المشركين وتأمر أولاهما باتمام مدة من كان عهده موقوتا ، وتأمر ثانيتهما بالاستقامة على العهد مع المعاهدين من المشركين ما استقاموا عليه .

ولقد شرحنا مسألة اطلاق قتال المشركين فى المقال الأول ، وانتهينا الى اثبات كون ذلك لا يصح أن يرد الا بالنسبة للاعداء . وعدم وروده بالنســـبة للمعاهدين المستقيمين على عهدهم من باب أولى . ومن العجيب أن يقال ان آية سورة التوبة الخامسة نسخت كل عهد ، وشرعت قتال المشركين اطلاقا الى أن يسلموا او يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة والآيتان اللتان تستثنيان المعاهدين غير

الناكثين واردتان فى نفس السياق . حتى لنظن أن هـذا القول منحول لابن عباس وأمثاله الذين نجلهم عن التناقض .

ونكرر ما قلناه فى المقال الأول لأن السياق يقتضى ذلك وهو أن آيات سورة التوبة (٥ و ٨ و ٩ و ١٠) التى تأمر بقتال المشركين الى أن يسلموا هى فى حق المعاهدين الناكثين بنص آيات التوبة هذه التى هى من السياق (وأن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم ينتهون . ألا تقاتلوا قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسـول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه أن كنتم مؤمنين) (١٣ — ١٤) .

ونعتقد أن فى هذا دليلا حاسما بالنسبة للنقطة الأولى ، أى ان الآيات انما توجب قتال الناكثين فقط . وقد تكون الحكمة المنطوية فى ذلك أن المشركين بعد أن نقضوا عهدهم فقدوا حق العهد ثانية ، وصار من حق المسلمين أن يفرضوا الشرط الذى يضمن لهم الأمن والسلامة . وهو توبتهم عن الشرك ، ودخولهم فى الاسلام ، وقيامهم بواجباتهم التعبدية والمالية . ولا نرى أن هذا يعد من قبيل الاكراه فى الدين الذى نفاه القرآن فى آية سورة البقرة هذه : (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) .

وهذا بقطع النظر عن ان الشرك يمثل مظاهر انحطاط الانسانية ويسخرها لقوى وأفكار وعقائد سخيفة مغايرة للعقل والمنطق والحق ، كما يمثل نظامـا جاهليا فيه التقاليد الجائرة ، والعادات المنكرة ، والعصـبيات المقوتة ، وان الاسلام الذى يشترط على الناكثين لعهودهم الدخول فيه للكف عنهم ، يضمن لهم الخلاص من كل ذلك . والارتفاع الى الكمال الانسانى عقلا وخلقا وعبادة وعقيدة وعملا .

ومع ذلك فاننا لسنا نرى فى الآيات ما يمنع المسلمين من تجديد العهد مع الناكثين بعد استئناف قتالهم اذا كانت مصلحتهم تقتضى ذلك . وقد لا يكونون فى كل ظرف قادرين على متابعة الحرب ، أو على اخضاع عدوهم بالقوة . وقـد يكون فى آية سورة البقرة هذه (أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ..) وآيات سورة الأنفال هذه (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهـم فى كل مرة وهم لا يتقون . فاما تثقفتهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون . وامـا تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين) (٥٦ — ٥٨) دليل على ذلك . بل ان فى الآيات التى تأتى بعد هذه الآيات من سورة الأنفال ، والتى هى فى حق الذين هم موضوع الكلام ما يجعل هذا الدليل قويا وهى (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم . وان يـريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين) (٦١ — ٦٢)

والخطة الكاملة فى الآيات : أن الله أذن بقتالهم لأنهم ينكثون عهدهم والخيانة متوقعة منهم . ومع ذلك فاذا وقع القتال معهم ثانية ، وجنحوا الى السلم وطلبوا تجديد العهد ، فيجابون الى طلبهم ، حتى ولو كان من المحتمل أن يكون جنوحهم الى السلم من قبيل الخداع . وفى الخطة من الروعة ما هو ظاهر . وليس هناك من كتاب الله وسنة رسوله ما ينقض هذه الخطة . وامتناع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجديد العهد مع قريش أو تمديده حينما أعتبر العدوان على حلفائه بنى خزاعه بتحريض من بعضهم نقضا له ، وزحف على مكة وفتحها ، ليس فيه حكم تشريعى محكم فيما يتبادر لنا . فضلا عن أن خبر طلب أبى سـفيان لذلك

لم يرد فى حديث وثيق فيما اطلعنا عليه . ومع ذلك يمكن أن يقال على ضوء ذلك أن أمر تجديد العهد للناكثين بعد استئناف القتال معهم دون أن يسلموا موكول لما يراه المسلمون أنه فى مصلحتهم .

بقيت كلمة فى موضوع المعاهدين عهدا موقوتا حين تنتهى مدتهم ولم يظهر منهم أثناءه نقض ، والذين ذكرتهم الآية (٤) من سورة التوبة هذه (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين) والآية التى بعدها انما تأمر بقتال المشركين حينما ينسلخ الأشهر الحرم .

وقد لا تكون مدة عهدهم قد انقضت فلا تنطبق الآية عليهم فى ظرف نزولها . والذى يتبادر لنا أن مثل هؤلاء اما أن يكون عهدهم الموقوت قام بعد حالة عداء وحرب ، واما أن يكون قام بدون عداء وحرب سابقين . فبالنسبة للأولين تكون حالة العداء والحرب قد عادت بعد انتهاء المدة فيصبح من حق المسلمين قتالهم وفرض شروطهم عليهم بالاسلام ، مع جواز تجديد العهد لهم اذا طلبوا ذلك ، او كانت مصلحة المسلمين وظروفهم تقتضيه على ما شرحناه آنفا . وبالنسبة للآخرين فالمفروض أنهم كانوا مسالمين وقام بينهم وبين المسلمين عهد بتوكيد ذلك. وهو ما تفيده الروايات التى تذكر قيام العهود بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين هلال بن عويمر وسراقة بن مالك المدلجى وبنى ضمرة والتى أوردناها قبل . فاذا ظل أمثال هؤلاء بعد انتهاء مدتهم مسالمين كما كانوا ، ولم يبد منهم أى عدوان وعداء ضد الاسلام والمسلمين فليس للمسلمين عليهم سبيل بنص آية النساء (٩٠) التى أوردناها قبل ثم بمبدأ عدم قتال كل كافر وعدم قتال غير الأعداء . ثم بمبدأ عدم نهى الله المسلمين عن البر والاقساط وحسن التعايش والتعامل بالنسبة للذين لم يقاتلوهم على ما شرحناه فى المقال الأول . وتجديد العهد لهم اذا طلبوه جائز من باب أولى . والله تعالى أعلم .

— ٣ —

ونقول بالمناسبة : ان القرآن أولى عناية شديدة للعهود والمواثيق التى يعقدها المسلمون مع غيرهم بدءا أو بعد حرب . وأمر بالوقوف عندها بقطع النظر عن أى اعتبار ما داموا لم ينقضوها بعمل عدائى على ما ورد فى آيات سورة النساء (٩٠) وسورة التوبة (٤ و ٧) التى أوردناها ثم فى آية سورة المائدة هذه (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) التى هى على الأرجح فى صدد الأمر بالوفاء بعهد الصلح مع قريش قبل نقضه على ما تلهم الآية التى تليها وهى (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من الله ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب) .

والروايات تذكر أن فريقا من المسلمين بعد عقد النبى صلى الله عليه وسلم مع قريش الصلح فى الحديبية وعودته مع المسلمين الى المدينة دون زيارة الكعبة، ظلوا يحقدون على قريش لمنعهم اياهم من زيارة الكعبة ، وتآمروا على منع من يستطيع الذهاب الى مكة للزيارة أو الحج فاعتبرت حكمة الله ذلك منهم مخالفا للعهد الذى قام بينهم وبين قريش ، وتعاونا على الاثم والعدوان ، وأكدت عليهم وجوب الوفاء بالعقود التى يعقدونها مع غيرهم ، ونهتهم عن جعل الحقد والغضب بسبب منع قريش اياهم عن الزيارة يغلبانهم ، ونبهت عليهم أن الأولى بهم أن

يتعاونوا على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان . وفى هذا ما فيه من روعة وجلال .

وفى آية سورة الانفال هذه (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولا يتهم من شىء حتى يهاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير (٧٢) مثل ذلك حيث تحظر خرق الميثاق المعقود مع غير المسلمين ، ولو فى سبيل نصرة مسلمين خاضعين لهم يستصرخون اخوانهم . مع نعيها على الخاضعين الاستمرار بالخضوع ، وايجابها عليهم الهجرة من دار الظلم . ومع ايجابها النصر لمن يستصرخهم على من لا يكون بينهم وبينهم ميثاق على أن ما احتوته الآية لا يعنى تخليته المسلمين الذين بينهم وبين غير المسلمين الجائرين على من هم تحت سيطرتهم من المسلمين من واجب بذل الجهد فى سبيل ازالة ما يشكو منه المسلمون من أذى واعنات واضطهاد .

وفى آية سورة الأنفال هذه : (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين) (٥٨) تنبيه رائع للمسلمين حيث تضمنت أمرا للنبى صلى الله عليه وسلم بأنه اذا ما رأى امارات غدر وخيانة من قوم معاهدين أن يعلنهم بما رآه منهم ، وبعزمه على الوقوف منهم موقف النقض ، وأن لا يباغتهم بالنقض والحرب قبل هذا الاعلان ليكون الطرفان ازاء بعضهما فى ظروف متساوية وقد يكون فى الآية ، بالاضافة الى هذا معنى آخر وهو الاعداد والانذار الذى يحتمل أن يؤثرا فى موقف المعاهد المبيت للنقض والغدر والخيانة فيحملاه على التراجع والتحسب وتفادى نقض العهد والعودة الى حالة الحرب . وواضح أن هذا فى صدد الذين لم يباغتوا المسلمين بالنقض والعداء والحرب فعلا . فمثل هؤلاء لم يعد يرد فى حقهم أن يعلنوا بأن المسلمين سيقفون منهم مثل موقف النقض الذى يعتزمون وقفه .

وهناك آيات عديدة أخرى مكية ومدنية تندد بناكثى العهود ، وتحث على الوفاء بها مثل آيات سورة البقرة (٢٧) والأنعام (١٥٢) والرعد (٢٠ — ٢٥) والنحل (٩١ — ٩٢) والاسراء (٣٤) والمؤمنون (٨) والمعارج (٣٢) يصح أن تذكر فى صدد بيان ما أولاه القرآن من عناية شديد للعهود والمواثيق .

وهناك أحاديث عديدة تتساوق مع التلقين القرآنى . منها حديث رواه الترمذى وابو داود عن عمرو بن عبسه قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عهدا ولا يشدنه حتى يمضى أمده أو ينبذ اليهم على سواء) وحديث رواه الشيخان والترمذى عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به يقال هذه غدرة فلان) وحديث رواه الشيخان وابو داود والترمذى عن عبد الله بن عمر قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها : اذا حدث كذب . واذا عاهد غدر . واذا وعد أخلف . واذا خاصم فجر) وحديث رواه الشيخان والترمذى عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما) . ولقد ذهب أبو حنيفة على ما هو مشهور الى الأخذ بمبدأ القصاص بالنسبة للمعاهد والذمى وأفتى بقتل المسلم اذا قتل معاهدا أو ذميا .) .

(للبحث بقيـــة)



دع اليأس ..

للشيخ : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف

روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
((ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية))

١ ــ دبت الشيخوخة فى أوصاله ، ووخط الشيب فوديه ، وألجأه طول السير الى عصا عجراء ، يحاول أن يصل الى نهاية المطاف كى يستريح من وعثاء السفر ، وينفض عن كاهليه ما لاقى من متناقضات ، وقد ضعف بصره ، وذبلت أطرافه ، واحتاج سمعه الى ترجمان . يمشى وئيدا ينوء بحمله ، ويعيى من كرباته ، فكم شاهد من اضطرابات ولاقى من ثورات ، وعانى من فتن فى كل مكان ، ملحت اليه أسائله عن الحق المضاع ، والقطعان الضالة والذئاب الجائعة ، فلم يحر جوابا ، وراح فى سبات عميق ، وتفكير طويل ، ثم انتفض كمن أفاق من غيبوبة غشيته ، ونطق : دعنى أرحل ولا تسألنى فالتركة مثقلة ، ولا أدرى لما ألم بى من دواء سوى الهروب الأبدى ، واللحوق بعالم محجوب ، لعلى أحظى هناك بما فقدته هنا من هدوء النفس وراحة الجسد ، ولكن هيهات هيهات .. ففى الغرب فتن وقلاقل ، وفى الشرق عدوان ووحشية ، وقد يكون فى اختفاء العجوز المتهالك خير لبقعة ما من الأرض ، فها هو ذا يرحل معى الى غير عودة ليحتل مكانه مع نسمات خلفى الجديد ، خلف جديد ... وبدأ الصوت يبتعد ويتلاشى شيئا فشيئا مع ضجيج المدينة ثم يتبدد فى أعقاب ليلة فاصلة بين عامين ، وطلع مع شقشقة العصافير شاب أملح وسيم ، يحاول أن يبتسم ولا يستطيع ، فقد فتح عينيه على براكين ثائرة ، وأشلاء متناثرة ، وبشرية ممزقة وانسانية ضالة ، ووحوش كلبة ، تغريها رائحة الشواء المنبعثة من الضحايا ، ضحايا الغدر والجشع المادى ، والختل والخيانة ، وتلوح على شفتيه حينا ابتسامة باهتة تولد ميتة ، مبعثها الأمل المترائى على بعد بين ثنايا غيوم متلبدة ،

وحنايا ضلوع مهشمة ، وهو يلوح بيديه مودعا سلفه الوداع الأخير ، ثم يتابع سيره على نفس الطريق الذى عبره سابقون منذ ملايين السنين . . . .

وهنا تركت المكان ولجأت الى نفسى ، وبحثت فى دخيلتها فى ألم ممض ، وعناء لا يفارق ، عن بصيص من الأمل من النور ومن الرجاء ، وتوالت قوافل الأفكار مع سيول من ذكريات هى مزاج من حلو ومر من رجاء ويأس ، والمح فى واحد منها فتوة وقوة وحماسا وشدة مراس فيطغى على ما سواه ، ويبدو حقيقة قوية ثابتة ، ذلك هو العزم الفتى ، واللب المدرك ، وفى يمناه سلاح وأى سلاح !! انه ما لا يقله قرين ، ولا يدانيه فى مضائه ضريب ، ذلك : هو اللياذ بالايمان ، واطراح اليأس ، فى شدة وبأس ، ومواجهة الكوارث بأيد وقوة ، وجلد وصبر ، فى كل ميادين الحياة ، والصمود حتى النصر ، والنصر محقق للجادين المخلصين المصرين على الوصول الى حقوقهم مهما كلف الطريق من ثمن غال عزيز ، فما أعز من الوطن ، وما بعد ضياع الكرامة صبر حتى تسترد ، ويتجسد الفكر حقيقة واقعة حين تقرع بابى سيدة نصف يعتمد على ساعدها خيال انسان يتقمص حياة غاربة ، والمرأة تعول ، والخيال الانسانى يئن ، ثم يرتطم بأرض الغرفة العارية من غطاء ، ويستوى جالسا تبرق حندورتيه وتتحرك شفتاه ، وتترجم رفيقة مسيرته خلجات جحمتيه كلاما أليما : ضاع الكن وفقد المأوى ، واغتيل الولد ، وهلك الحرث ، ولا سميع ولا راحم ، ثم تنهش وجهها منشبة أظفارها فيما بقى له من عظام ناتئة فتدميه ، وتشق جيبها ليبين عن حنايا متهالكة ترسم خطوطا متوازية معترضة أبلاها البلاء ، عشرون عاما أو تزيد فى ضياع تطلب عونا ، وترجو رفدا ، صورة لا أنساها ، ولوحة استنسخت منها ما ثبته على جدران قلبى بريشة فنان حتى لا تند عن عينى أبدا ، وكيف . . . وهل يمكن أن يتطرق اليها اهمال أو يعتورها فناء . . . وكاد يستحوذ على اليأس لولا أن انبثق الظلام عن نور وضىء يتلو : « . . والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . . » ويردد . . ردد على سمع جليسيك « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية أ . . . وحرت متسائلا . . . ما الرابط بين ما نحن فيه وبين ما أسمع ، وسرعان ما تلقيت الجواب حديثا عذبا نقيا واضحا لا ابهام فيه ولا التواء فانصت معى الى ما كان . . .

٢ ـــ من هو الجدير بالبقاء ، بالخلود ، بالحياة الحرة الكريمة ؟! أهو ذلك المعول الباكى ، النادب النائح ، المولول الصارخ ؟! أم الجاد حين الجد ، الصابر لدى البأس ، الباحث عن مخرج فى الشدة ، الساعى ليتخلص من ربقة الهوان مالك الطريق ليصل الى بر السلامة ، محطم القيود ليتحرر من نير الهوان ؟! وواضح أن الثانى هو الأعز مكانا والأقوى جندا ! **اذن** : ليس من الاسلام فى شىء ، ولا من جماعة المسلمين ، ولا حقيقا بحياة ناعمة من دعا بدعوى الجاهلية الدالة على الضعف والخور ، الغفل البعيد عن نور الاسلام ، ذلك الذى يواجه الخطوب بلطم الخدود ويعالج نوازل الايام بشق الجيوب . كلا . فذلك هو الفناء والموت ، وهو ما يسر العدو وييسر له السبيل الى ابادة خصمه واعتلاء ظهره وسلبه قوته واستيلائه على دياره .

فالمسلم حقا والمؤمن صدقا والحقيق بالانتساب الى أمة « سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم » هو من اعتصم بالله أولا واستعان به ، ثم أخذ فى الأسباب التى يواجه بها عدوه ، ومضى ليقابله بمثل فعله وأشد ، ليسد عليه الطريق ، حتى لا يصبح سيده ، يملى عليه ارادته ويتحكم فى مصائره .

وفوق هذا يضرب الله لنا الأمثال بما خلق ، وبما يدركه سمعنا ويقع عليه بصرنا ، ويجرى من حولنا ، فما الرياح الهوج ولا الزوابع العاصفة ، ولا الأمواج المتلاطمة ولا قنن النيق المتعالية ، ولا حرارة الشمس المحرقة ، ولا ضـياء القمر المبدد للظلام الدامس ... الا .. ثورة على الأضداد .. وتلك سنة الله فيما أبدع .. فكل هدوء تعقبه عاصفة ونهاية كل ليل فجر ، والضعيف لا مقـام له تحت السماء ، ولا مستقر له فوق البسيطة ، ولا تزيد الشـدائد الرجال الا قوة واقتدارا ، وكلما استغلق الأمر كلما جد الباحث منقبا عن حيلة لمخلص « وكلما ضاق الأمر اتسع » :

أخلق بذى اللب أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

وهنا : أدركت — ولعل القارىء أدرك معى — أن هذا الحديث الشريف يحمل دعوة صريحة ، جادة ، قوية ، صارمة الى العمل المثمر نصرا وفلاحا وقوة وبطولة ورجولة ، وما مصدر لطم الخدود وشق الجيوب الا الجهل والجاهلية المزمنة والخواء العقلى من المعرفة والفراغ الذهنى من الرصانة والحصافة ، والبعد عن الفطنة والذكانة وما هو — ان شئت له وصفا — الا حيلة عاجز وعمل تافه حقير ، وما مصدره الا انحطاط فى الادراك وضعف فى الحيلة ، والا .. فقل لى بربك ماذا يجدى البكاء ، وهـل ردت النائحات مفقودا أو أعاد شـق الجيوب مطرودا أو بنت دعوى الجاهلية وطنا للاجىء منبوذ ... لا شىء من هذا ينتجه ذاك .. وما نتاجه فى الواقع الا تفاقم العلة واتساع الخرق على الراقع وتعقد البسائط واستدامة الكارثة ومع كل هذا .. ضياع الأبد ولعنة الأجيال القادمة .

٣ — نحن الآن نبدأ عاما هجريا جديدا ، فلنفكر فيما مضى بـه الزمان ، لنطوى الصفحة القاتمة بعد درس ما فيها ، وادراك أسباب وجودها ، حتى نبتعد عن ما عوق ، ونهجر ما لوث الماضى القريب ، ولنفتح صفحة جديدة على ضوء فهم ووعى وحكمة وادراك لحقيقة وجودنا ومقومات أمتنـا ، ونبنى على أسس ثابتة وطيدة سدا منيعا يحول بين عدونا وتحقيق ما يحاوله ..

ولما كان الفكر يسبق العمل ، ومن تغلب فكريا على أمة ما كان سلطانه عليها أقوى مما لو بادرها بالسلاح والجند ، وجب علينا أن نلمس بعض ما يثيره من حولنا مهاجمونا فى تراثنا ليحملونا على هجره ، ومتى تمكنوا من ذلك فقـد تمكنوا من رقابنا .... ولآت على مثال من أمثلة ، اتخذنا مجلسـا فى أقدس مكان علمى فى (مدينة النور)(١) وكان من بين الحاضرين شرقى فاقه مستنير ، مؤمن بربه ومعتقد برسالة رسله ، وهو مبعوث من مملكة عربية ليعود أستاذا فى جامعتها — وهو جدير أن يكون ، همس فى أذنه جاره « البولندى » .. ان الجهل يستحوذ على عقول الكثيرين منكم ولعلكم تتخلصون منه فمما يثير العجب مثلا أن يكتب فى صحيفة تصدر عندكم أن القول بكروية الأرض كفر فى وقت

---

(١) المقصود بالنور هنا الاشعاع العلمى وحرية البحث مهما كان نوعه ولقد تفردت بهذا النوع مدينة « باريس » فعلماؤها مطلقو الحرية ليناقشوا كل فكرة ورأى مهما خالف رأى صاحب السلطة ، ولا سلطة عند علمائها أقوى من سلطة العلم وهذا ما حمل علماءها على الانتاج فى مختلف عصور وجودها . وهذه حقيقة لايمارى فيها أحد مهما بلغ جهله بما يدور فى العالم .

صعد فيه الانسان الى القمر ، ولقد أعجب الحاضرين وأدهشهم رحابة صدر الشرقى وسعة أفقه ودقة ادراكه وحسن تأتيه للأمر فى دبلوماسية بارعة ووعى يبشر بالخير الكثير للجيل الصاعد فى هذا البلد الشرقى العربى ... قال الشرقى بصوت يسمع الجميع .. ليست هذه هى الاولى ولكن كان لها أخوات عالجها بحكمة المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، وما أنا كما ترونى الا من نتاج غرسه الكريم .

ثم أشار الشاب الذكى الى أحد الحضور (وهو ايطالى) وقال : لعلكم على ذكر مما حدث (لجاليليو) يوم اكتشف المنظار المكبر ، وما كان من أمر من قال بكروية الأرض عندكم فى عصور سلفت فقد كان جزاؤه الاعدام شنقا ، وهو أخف من حكمنا على مثله بالكفر أليس كذلك ؟!

ولقد كان مثقفو الصفوة فى بلادكم أنكى وأشد وأسوأ حالا ، والا فلماذا أعدم (مارتن لوثر) ولو ذهبت أحصى لعجزت ، فهل يمكن أن أقول : ان الدين المسيحى كان فى جانب المعاصرين أنذاك ؟

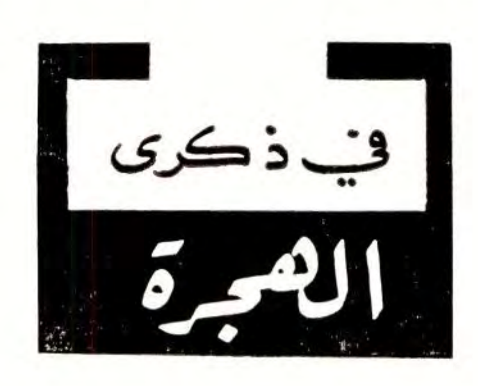
طبعا : لا — وانما هو التسلط الفكرى الجاهل وتحكم الطبقة التى هى الى الجماد أقرب منها الى الانسان المفكر والمتأمل لمثل هذه الوقائع التافهة يجدها كثيرا فى عصور التأخر الفكرى ، ولقد مرت بنا نحن العرب تلك الظروف ، فلا لوم على بدوى يعيش بعيدا عن المدينة أن ينكر ما يجرى فيها ، وطالعوا قصة الفلاح الريفى الذى قدم المدينة لأول مرة ودخل الى (السينما) وشاهد ما يعرض فيها ، وقد أورد هذا فى صورة نقد لاذع المرحوم مصطفى لطفى المنفلوطى المصرى فى كتابه النظرات .

ولنخلص من كل هذا

الى أن الاسلام لم يكن سببا فى الانزواء والانطواء ، ولا يدله فى التعويق والتأخر ، ولا فيما ترى من تفكك وتفرق ، وانما هو مجنى عليه دائما وليس جانيا ولو أن الاسلام احتل مكانه على المسرح العربى ولعب دوره فى الديار الاسلامية لتغير وجه التاريخ آخرا كما غير الاسلام وجهه أولا ولتصدر المسلمون الدنيا فى أحسن قيادة وأرفع مكان ، فقد ناءت مصادره بما حملت من دعوة الى العلم والعمل ، فلا يظنن جاهل أن الاسلام معوق أو أنه يفصل بين روح وجسد وان ما نسمعه هو جهل بالاسلام وليس اسلاما ، ولا يصح لعاقل أن يردده الآن فنحن فى حاجة الى قوة بانية وكفانا الله شر الهدامين ...

وعلا صوت الحق ودوى ، ولم يعجب هذا أحد الحاقدين ، فقال: وما رأيكم فى القضاء والقدر اللذين شلا الفكر الشرقى زمنا طويلا ، وقام فى الجانب الآخر من يجيب : ان كنت يا هذا من قراء التاريخ فلعلك تعرف رسول الاسلام

(البقية على ص ٧٦)



المهاجرون والأنصار في القرآن الكريم

للأستاذ : محمد الدسوقي

المحرر الأول بمجمع اللغة العربية

١ ــ بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط مستقيم ، فقد كانت البشرية قبيل بعثته فى حاجة ماسة الى من ينتشلها من وهدتها التى تردت فيها ، وهدة الشرك والانحلال والاثم والطغيان ، ويرسم لها سبيل الفلاح والنجاح فى الدنيا والآخرة .

وفى مكة صدع محمد بأمر ربه ودعا الى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام فلم يجد من المشركين أذنا صاغية ، أو قلوبا واعية ، وأخذوا يسخرون منه ويستهزئون به ، ولكن الرسول الكريم مضى يبلغ رسالة ربه غير عابىء بما يفعله قومه من جهالة وضلالة . وهدى الله من هدى الى الايمان ، فكانت قريش تسوم هؤلاء الصابئين فى نظرها صنوفا متباينة من العذاب، والاضطهاد ، وتمر الأيام والمسلمون يزدادون عددا ، وقادة الكفر يزدادون طيشا وغيا وحمقا .

ورأت الجاهلية أن الاسلام ينتشر على الرغم من محاولاتها الجمة لوقف ذيوعه ، واضطهاد أتباعه ، وأيقنت أن مواريثها البالية وأعرافها الفاسدة تتعرض لخطر داهم لا قبل لها به اذا لم تعمل عملا حاسما تقضى به على تلك الدعوة التى سفهت أحلامها وعابت آلهتها ، فانطلقت مسعورة تؤلب القبائل وتدبر أمرها بليل،

لقد أرادت أن تقتل الرسول بطريقة تجعل بنى هاشم غير قادرين على القصاص له ، ولكن الله العلى القدير حفظ نبيه من مكر الجاهلية « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » فقد أذن الله لنبيه وللمؤمنين بالهجرة الى يثرب ، تلك المدينة التى وصل اليها الاسلام قبل أن يدخلها رسول الاسلام .

٢ـ وترك المسلمون ديارهم وأموالهم وهاجروا من مكة الى يثرب فداء لعقيدتهم وايمانهم ، وما كانت تلك الهجرة فرارا وهربا بقدر ما كانت أسلوبا واقعيا فى نشر الاسلام ، وسبيلا عمليا لاعداد العدة والقوة حتى لا تستمر الجاهلية بجبروتها وطغيانها تضع الأشواك والعقبات فى طريق دعوة التوحيد والوحدة والأخوة والمساواة والحرية ..

وفى يثرب وجد المهاجرون الصابرون اخوة لهم آووهم ونصروهم وقدموا اليهم المال والمتاع فى ايثار لم يعرف التاريخ له مثيلا ، كان المسلم الأنصارى يقدم الى أخيه المسلم المهاجر نصف ماله أيا كان نوعه، وكان يطلق احدى زوجاته ليتزوجها المسلم المهاجر الذى لا زوج له ، وبهذه الروح السامية ، روح الايمان والحب والفداء والايثار تكون المجتمع الاسلامى فى المدينة ، وعلى أيدى هؤلاء المؤمنين المجاهدين انتشر الاسلام ، وبدأت البشرية مرحلة جديدة مشرقة لم تعرف لها نظيرا فى تاريخها الطويل ..

٣ـ وفى ذكرى الهجرة ، ذلك الحدث الرائع فى تاريخ الاسلام والمسلمين يجدر بنا أن نذكر هؤلاء الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وأن نستلهم من كفاحهم وجهادهم ما ينير لنا طريق النضال فى معركة النصر أو الشهادة .

والقرآن الكريم ـ كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ قد تحدث عن المهاجرين والأنصار ، وليس هناك كتاب يبلغ مبلغ القرآن فى الاشادة بهؤلاء الأبطال ، فقد سجل لهم قوة الايمان وثبات اليقين وروعة الفداء ، وصدق الجهاد ، وما أعد لهم بسبب كل ذلك من خير جزيل وثواب عظيم .

وحديث المهاجرين والأنصار فى كتاب الله حديث مستفيض لا تفى مقالة واحدة به ولهذا أقصر حديثى فى هذه الكلمة على تلك الآيات التى ورد فيها ذكر المهاجرين والأنصار بصريح اللفظ ، وأيضا الآيات التى تحدثت عنهم باسم الموصول وأعقبته بما يفسره من الهجرة أو النصرة .

على أنى لن أسلك فى هذا الحديث دراسة الآيات حسب ترتيبها فى المصحف ولكنى سأتناول النقاط التالية بالعرض فى ضوء الآيات القرآنية الكريمة :

أولا : أسباب الهجرة .

ثانيا : بين المهاجرين والأنصار .

ثالثا : منزلة المهاجرين والأنصار .

٤ـ من المعلوم أن المسلمين هاجروا من مكة الى المدينة لحماية عقيدتهم وأنفسهم من صلف الجاهلية وطغيانها فقد تعرضوا فى مكة لمختلف ألوان العذاب حتى أمست بالنسبة لهم بلد الهوان والحرمان ، فكان عليهم أن يدعوا ذلك البلد بعد أن ازور عنهم وترفع عليهم ، وصير حياتهم فيه شقاء متواصلا ، واضطهادا قاسيا .

لقد أجبر المسلمون على الهجرة ، أجبرهم الظلم والاثم والكفران والطغيان فهم يحبون مكة ، مسقط رؤوسهم ومهد طفولتهم ، ولكن الله ورسوله أحب اليهم مما عداهما ومن ثم جاهدوا وصبروا على ما أوذوا وهاجروا وقاتلوا ، أولئك هم المؤمنون حقا .

وطوعا لمنهج القرآن الكريم فى ايثار الاجمال والايجاز فى أغلب الشأن أشارت بعض الآيات الكريمة الى أسباب الهجرة اشارات تعتمد على اللفظة الموحية والكلمة الجامعة ، فقد جاء فى الآية ١٩٥ من سورة آل عمران « .. فالذين

هاجروا وأخرجوا من ديارهم . . . » وبناء الفعل للمجهول فى أخرجوا يدل على أن المسلمين أجبروا على الخروج من ديارهم بسبب ما أصابهم من أذى على أيدى المشركين .

وورد هذا الفعل بصيغة المبنى للمجهول فى الآيـــة ٨ فى ســـورة الحشر للدلالة على نفس المعنى « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم . . . »

وفى سورة النحل جاء فى الآية ٤١ « والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا . . . » فالمهاجرون ظلموا قبل هجرتهم ، ظلمهم المشركون ظلما متعدد الدرجـــات متنوع الأشكال ، غير أن الآية لم تفصل أنواع الظلم وكيف وقع على هؤلاء المهاجرين الصابرين ، وهى بهذا أشمل فى الدلالة وأبلغ فى المعنى ، وأوقع فى النفســـ ، وأعمق فى الحس .

وأما الآية ١١٠ فى سورة النحل أيضا « ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا . . » فتتحدث عن فتنة بعض المهاجرين قبل هجرتهـــم ، وللمفسرين فى تفسير معنى الفتنة الواردة فى الآية آراء مختلفة (١) ، بعضهـــا يذهب الى أنها العذاب بقصد الردة ، وبعضها الآخر يذهب الى أن المعنى أن بعض المســـلمين أعطى الكفار ما أرادوا بلسانه مكرها فكأنهم بذلك قد فتنوا أنفسهم . .

ومهما تباينت الآراء فى تفسير معنى الفتنة فهى تدور فى فلك الاضطهـــاد والأذى الذى صبه المشركون على المؤمنين .

٥ــ وهؤلاء المهاجرون المطاردون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ظلما وعدوانا ، استقبلهم الأنصار بالحفاوة والاكبار ولم يعرف تاريخ البشرية كله حادثا جماعيا كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين ، فقد تميز بالحب الرائـــع ، والبذل السخى ، ولكن المهاجرين مع هذا كانوا فى حاجة الى تشريع يحوطهم بمزيد من الرعاية والحماية والتكافل والتناصر ، وكان المجتمع الاسلامى عقب الهجرة يمر بفترة حرجة فى حياته ، وأعداؤه فى داخل المدينة وخارجها يتربصون به ويتحينون الفرصة للانقضاض عليه ، فكانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار على المواساة والتوارث بعد الموت ارثا مقدما على ذوى الأرحام « ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهـــم من شىء حتى يهـــاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير » (الأنفال /٧٢) .

ان المؤاخاة بين المهاجرين والانصار ، كانت صلة فريدة فى تاريخ التكـــافل بين أصحاب العقائد ، لقد قام هذا الاخاء مقام اخوة الدم فكان يشـــمل التوارث والالتزامات الأخرى الناشئة عن وشيجة النسب كالديات وغيرها .

وكان هذا النظام ضروريا لحفظ هذه الجماعة الوليدة وتماسكها فى مثل تلك الظروف التى قامت فيها .

وتذكر الآية أن ولاية المؤاخاة لا تشمل الذين آمنوا ولم يهاجروا وهم قادرون على الهجرة ، فهؤلاء لا تجب على المسلمين ولايتهم ، كما كان الشـــأن مع جماعة من الأعراب أسلموا ولم يهاجروا استمساكا بمصالح أو قرابات مع المشركين ،

---

(١) أنظر القرطبى جـ ١٠ ص ١٨٠ ، ١٩٢ ، والألوسى جـ ٤ ص ٤٤٨ ط . بولاق .

غير أن هؤلاء وامثالهم يجب على المسلمين نصرهم ان استنصروهم فى الدين على شرط ألا يخل المسلمون فى هذه النصرة بعهد مضروب بينهم وبين قوم آخرين . وهى قمة فى الاحتفاظ بالعهود تتطلع اليها البشرية ولا تنالها حتى الآن .

٦ — ولما كانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار قد قامت مقام اخوة الدم بسبب الظروف الاستثنائية التى عاش فى ظلها المجتمع الاسلامى بعد الهجرة مباشرة ، فان المسلمين بعد غزوة بدر الكبرى استقرت أحوالهم فى المدينة شيئا ما ، استتب الأمن للدولة ، ووجدت أسباب معقولة للارتزاق وتوفر قدر من الكفاية للجميع ، ولهذا أصبحت الظروف التى حتمت نظام المؤاخاة من ناحية الالتزامات الناشئة عن صلة الدم والنسب غير قائمة فأبطل القرآن الكريم نظام المؤاخاة من هذه الناحية — ولا سيما ناحية التوارث — فحسب مستبقيا اياه من ناحية العواطف والمشاعر والتعاون والتناصر « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطورا . (الأحزاب/٦) .

والآية فى مستهلها تقرر الولاية العامة للنبى صلى الله عليه وسلم ، وهى ولاية تتقدم على قرابة الدم ، بل قرابة النفس فهو أرحم بهم من أنفسهم فعليهم أن يحبوه ويطيعوه ، وتقرر الآية كذلك الأمومة الشعورية لأزواج النبى صلى الله عليه وسلم فيجب توقيرهن ويحرم التزوج بهن بعده .

وبعد أن الغت الآية نظام المؤاخاة من ناحية التوارث والتكافل فى الديات وردت هذا الى قرابة الدم والنسب تشير الى أن الغاء المؤاخاة من تلك الناحية لا يعنى بتر صلات المودة بين الأولياء من حيث التكافل المالى ، فباب الهبة أو الوصية مفتوح لمن أراد أن يقدم خيرا وبرا ومعروفا .

والآية فى ختامها تقرر أن التوارث بالأرحام هو الأصل المقرر فى الأزل « كان ذلك فى الكتاب مسطورا » وهنا تقر القلوب المؤمنة وتطمئن .

٧ — والمهاجرون الفقراء الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم أراد الرسول الكريم أن يقسم عليهم وحدهم دون الأنصار أموال بنى النضير التى غنمها الرسول بغير حرب ، وكان يريد من وراء ذلك أن يعوض المهاجرين عن بعض ما تركوه فى مكة وان يحدث نوعا من التقارب المالى بين المسلمين جميعا فى المدينة ، غير أنه عليه السلام لم يشأ أن يفعل ذلك الا بعد أن يجمع الأنصار ويعرض عليهم ما يراه .

دعا الرسول الأنصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين من البذل والايواء والنصرة ثم قال : ان احببتم قسمت ما أفاء الله على من بنى النضير بينكم وبينهم ، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى فى مساكنكم وأموالكم ، وان أحببتم اعطيتهم وخرجوا من دوركم » .

وهنا يقول سعد بن عبادة : بل تقسم بين المهاجرين ويكونون فى دورنا كما كانوا ونادت الأنصار : رضينا وسلمنا يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار .

موقف رائع نبيل ، وصورة حية مشرقة من صور الايمان والحب والايثار ، وصورة تؤكد أن رابطة العقيدة أقوى وأغلب من رابطة الدم والنسب والوطن والجنس . وقد سجل القرآن الكريم هذا الموقف فى سورة الحشر فى الآيتين

الثامنة والتاسعة بعد أن أورد قبلهما قصة بنى النضير وما يجب فيما يفيئه الله على المسلمين من أموال بغير قتال .

« للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

لقد أثنى الله على المهاجرين والأنصار فى هاتين الآيتين ، مدح المهاجرين بصدق الايمان والجهاد ، فقد خرجوا من ديارهم وأموالهم يرجون فضل الله ورضوانه ، وينصرون الله ورسوله ، ومدح الأنصار الذين تبوءوا الدار ، أى استوطنوا المدينة قبل المهاجرين ، باخلاص الايمان ، وحب الذين هاجروا اليهم كما مدحهم بالايثار فى أسمى صوره ، لأنه ايثار عن حاجة .

وتحذر الآية فى ختامها من الشح ، لأنه المعوق عن كل خير وبر ومن خلص نفسه من إسار الشح ، وبذل فى سخاء كريم من ماله وعواطفه وجهده ، فقد سلك طريق الفلاح وكان من الفائزين « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

٨ — وأما عن منزلة المهاجرين والانصار فقد اتضح من كل ما سبق أن المهاجرين بهجرتهم قد صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فهم لم يهاجروا رهبة من الكفر ولا رغبة فى الدنيا ولكنهم هاجروا يرجون رحمة الله ، ويبتغون فضلا منه ورضوانا وينصرون الله ورسوله . « ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم » (البقرة/٢١٨) .

وأما الانصار فقد آووا ونصروا وضربوا أروع الأمثلة فى السخاء والاعطاء والحب والايثار .

ان المهاجرين والأنصار هم حملة الاسلام الأول ، خاضوا من أجله معارك كثيرة ، وتعرضوا لأخطار جسيمة ، فما وهنوا وما استكانوا ، لقد اضطهدوا وقاتلوا وقتلوا ، وأنفقوا وبذلوا فى سبيل الله ، فحقق الله لهم عهده ووعده ، ونصرهم على أعدائهم ، ورضى عنهم ، وغفر لهم ، وأعد لهم جزاء عظيما ، ونعيما مقيما ، لأنهم المؤمنون حقا وصدقا « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم مغفرة ورزق كريم » (الأنفال ٧٤) .

« والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم » « التوبة ١٠٠ » .

٩ — ولهذه المنزلة الجليلة للمهاجرين والأنصار استحقوا فضل الله فى التجاوز عن هفواتهم وتوفيقهم الى اتباع طريق الرحمة والمغفرة ، ففى غزوة تبوك — وهى آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم — يقول القرآن الكريم عن بعض المهاجرين والأنصار « لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم » . « التوبة ١١٧ »

وسميت غزوة تبوك بالعسرة لأن الرسول ــ فيما يروى ــ ندب الناس الى الجهاد فى حر شديد وفى عام جدب(١) ، وكان الرسول اذا أراد الخروج لغزوة لم يبينها للناس ، الا فى تبوك ، لبعد المسافة ، ونفقة المال وقوة العدو . وفى هذه الغزوة أنفق بعض المسلمين لتجهيز الجيش ، وحاول المنافقون تثبيط الناس عن الغزو ، فباء بالفشل لأن الرسول أخذهم بلا هوادة ، ورد اليهم كيدهم فى نحورهم .

ويبدو من الآية أن بعض المهاجرين والأنصار هموا(٢) بالرجوع ، أو مالوا عن اللحاق فى الجهاد ولكن الله تدارك قلوب هؤلاء فلم تزغ ، انه بهم رءوف رحيم ، وتلك سنة الله مع أوليائه اذا أشرفوا على الهلاك والبوار أمطر عليهم سحائب جوده وفضله فلم يضلوا طريق الخير وسبيل الفلاح .

وفى قصة الافك التى ذكرها القرآن فى سورة النور وردت هذه الآية « ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم (النور : ٢٢) والآية تتحدث عن موقف لأبى بكر رضى الله عنه مع مهاجر فقير يمت اليه بصلة القرابة هو مسطح بن أثاثة وكان أبو بكر ينفق عليه ، فلما كانت حادثة الأفك اشترك مسطح فى اذاعة تلك الفرية المنكرة التى بلبلت أفكار المسلمين وشغلتهم نحو شهر ، وحين نزلت آيات الله تعلن طهارة السيدة عائشة وبراءتها مما نسبه المنافقون اليها أقسم أبو بكر ألا ينفق على مسطح فنزلت تلك الآية تدعو الى الصفح والعفو مع أن الجريمة شنيعة منكرة ، ولكن المهاجرين بما قدموا أهل للعفو والصفح .

وأعاد أبو بكر رضى الله عنه بعد نزول الآية النفقة الى مسطح ويروى أنه قال . والله لا أنزعها عنه أبدا ، والله انى أحب أن يغفر الله لى (٣) .

١٠ ــ وبعد فان مما يستنبه النظر فى حديث القرآن عن المهاجرين والأنصار أن المهاجرين أفردوا بالذكر فى بعض الآيات(٤) ، على حين ورد ذكر الأنصار مع المهاجرين دون أن يفردوا بالذكر فى آية واحدة .

ومع التسليم بأن المهاجرين أسبق ايمانا وجهادا فان المفاضلة المسرفة بين المهاجرين والأنصار لا مسوغ لها ويكفى أن الله وصفهم جميعا بأنهم المؤمنون حقا وقال عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

رضى الله عن صحابة رسول الله المهاجرين والأنصار ورزقنا التأسى بهم فى الايمان والجهاد والصبر والفداء حتى نكون أهلا لنصر الله الذى كتبه لعباده المؤمنين المخلصين وصدق الله العظيم « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

---

(١) الدر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر ص ٢٥٣ ت د. شوقى ضيف .

(٢) القرطبى جـ ٨ ص ٢٨٠ .

(٣) نهاية الأرب جـ ١٦ ص ٤١٤ .

(٤) وهذه الآيات عدا ما أثبته كاملا هى : الآية ١٩٥ آل عمران ، ٧٥ الأنفال ، ٢٠ التوبة ، ٤١ ، ١١٠ النحل ، ٥٨ الحج . وتثنى هذه الآيات فى مجموعها على المهاجرين وتذكر فضلهم وما أعد لهم من خير جزيل فى الدنيا والآخرة .



للأستاذ : البهي الخولي

جلس عتبة ابن فرقد أمير ماسبذان(١) يوما الى بعض خلصائه وقد أهمه أمر فوجه الحديث الى عبد الله بن ربيعة فقال :

« ألا تعينني يا عبد الله على ابن أخيك ؟ » .

قال عبد الله وما ذاك أيها الأمير ؟

قال ابني عمرو ، أريد أن تعينني عليه .

قال : وماذا في أمره ما ترجو المعونة عليه ؟

قال أريد أن يكون معي في عمل هذه الامارة يعينني عليه فقد تقسم الزهد وسهر الليل وركوب الخيل والخروج للغزو كل وقته وعقله وجسمه !!

قال معضد العجلي . أيها الأمير ان ابنك شغل بمعالي الأمور فدعه وما شغل نفسه به ، ولقد كنا خلقاء أن نعينك على ما ترجو من صلاحه لو أنه سدر مع الخلفاء والمستهترين بألوان اللهو والغفلة ، أما وهو مشمر الى الله فلا ، ولقد كان الأمير — أعزه الله — خليقا أن يعين ولده على ما هو بسبيله لا أن يستعدي عليه من يثنيه عنه .

قال عتبة والامارة يا معضد ، من يعينني عليها ؟

قال معضد : لكأنك أيها الأمير تدخر ولدك للامارة من بعدك ! وهيهات ، فابنك يحلق الى امارة أعز ، ومجد أشم ، ويعيش بنفســـه في حقيقة علوية لا يروج لديها شيء مما نعيش فيه وله ، وما ذلك بمانعه يوما أن يكون أهلا لما تريده من الامارة .

قال عتبة انه لا يمتعنا بنفسه ، فهو كثير التجوال والترحال والسفر الى الغزو ، واذا أقام بيننا أقام كأنه غريب لا يأكل مما نأكل ، ولا ينال كما ننام ، ولا يأخذ فيما نأخذ ، وبودي لو يرفق بنفسه ويصيب مما نحن فيه ، فما حرم الله عليه شـــيئا منه ، فان نفسي تكاد تذهب من الرقة كلما رأيته في نحوله

---

(١) ما سبذان كورة فارسية أرسل اليها سعد بن أبي وقاص جيشا بقيادة ضرار بن الخطاب الفهري ففتحها سنة ١٦ هجرية .

وذبوله ، وقد أعطيته بالأمس مالا ليصلح من حاله ، فما هش له حين أخذه ، وأحسب أنه لم يأخذه الا برا بى وشـــفقة على من أثر الرد ، ولا أدرى ما هو صانع به . .

وهنا دخل عمرو بن عتبة فأمسك أبوه عن الـــكلام ، فقال عبد الله بن ربيعة : لعلك سمعت شيئا مما كنا نتكلم فيه من أمرك يا عمرو .

قال عمرو بن عتبة : لم أسمع شيئا ، ولكن لعلى قد فهمت الآن ما كنتم تتحدثون به .

قال عبد الله « فأطع أباك يا عمرو » .

فسكت عمرو وأطرق حزينا يفكر فى حيرته بين وجد أبيه به ، وبين شوقه الى الله . . وصمت المجلس لاطراقه وسكوته ، فرق له معضد العجلى وقطع الصمت بقوله « لا تطعهم يا عمرو ، وأسجد واقترب ! » .

فأقبل عمرو على أبيه عتبة كأنما يضرع اليه وقال « يا أبت انما أنا عبد ، أعمل فى فكاك رقبتى ، فدعنى أعمل فى فكاكها » .

فبكى عتبة لضراعة ولده وقال « يا بنى ، انى لأحبك حبين : حبا لله ، وحب الوالد لولده » فامض لما تريد من أمر ربك .

قال عمرو « يا أبت ، انك كنت آتيتنى مالا قد بلغ سبعين ألفا فان كنت سائلى عنه فها هو ذا فخذه ، والا فدعنى فأمضيه »(١) .

قال عتبة « فامضه يا بنى » . . « فأمضاها عمرو ، فما بقى منها درهم » .

ذلك هو عمرو بن عتبة ربيب بيت من بيوت الامارة ، وشاب من شباب المسلمين الأولين ، نقدمه اليوم مثلا صالحا لشباب المسلمين والآخرين .

كان متغربا فى الله ، وقدم من سفرته مع رفقة ، منهم ابراهيم بن علقمة ، ومسروق ، ومعضد ، حتى بلغوا مشارف ماسبذان مقر امارة أبيه .

لو أن شابا من صغار النفوس فى مثل موقف عمرو ماذا كان يدور بنفسه من الزهو بين رفقته ، وهو يعلم أنه قادم بهم على سلطان أبيه حيث مظـــاهر الجاه وشارات الرياسة التى تهز نفوسهم وتملأ صدورهم اكبارا له وهيبة ؟

ماذا كان يصطنع من الحـــــديث ليشعر اخوانه من طرف خفى بما هم مقدمون عليه ؟ . . لندع ما يكون من صغار النفوس فى هذا الموقف ، ولننظر ما فعلت تلك النفس الكبيرة التى كانت تحلق فى آفاق غير التى يعيش فيهـــــا عامة الناس ، فلا تزدهيها الشارات ولا تفرح بما يفرح به صـــغار الأحلام ، قال عمرو بن عتبة « أنكم ان نزلتم عليه صنع لكم نزلا . ولعله قد ظلم لكم فيه أحدا ، ولكن ان شئتم نزلنا فى ظل هذه الشجرة فقضــــينا مقيلنا وأكلنا من كسرنا » ، ففعلوا(٢) .

لقد بلغ هذا الشاب من الرشد ما لم يبلغه أبوه ! . . والرشد رشـــدان رشد يميز به العقل المنطقى قيم الأشياء المادية فى الخارج ، ورشـــد يميز به العقل الروحى قيم الحقائق وأقدار المعانى .

والرشد الأول يبلغه الطفل بعد سن معينة فيصير رجلا ، والرشد الآخر قد يدركه الفتيان قبل الرجال وقد لا يدركه الرجال فيظلون أطفالا .

وتلك الحقيقة هى التى يجلوها لنا عمرو بن عتبة بسيرته الرشيدة وحسن ادراكه لأنواع القيم .

لقد أدرك رشده ، فهان فى نظره ما فى بيت أبيه من ألوان المطـــــاعم

---

(١) فأمضيه — أتصدق به . (٢) النزل — الطعام .

والمشارب ، واستشعر وعيه الباطنى ريح نعيم قدسى فى ملكوت الله ، فعاف أن يكون بطنه وعاء لما عند أبيه ، وسما الى نفحات الله يتعرف لها فى أصيله وسحره ، ومغداه ومراحه ، فملأت أهابه طربا وبهجة ، وقلبه نورا وحكمة .

لقد أغناه عن دنيا الناس رغيفان كل يوم يسد بهما فراغ بطنه ، وفى رغيفين غناء لمن كان همه أن يبسط جناحيه للتحليق فى ملكوت الله ذاهبا مع ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأرباب الهمم العالية « أديموا طرق أبواب الجنة بالجوع » ، قال عبد الحميد بن لاحق « كان لعمرو بن عتبة رغيفان كل يوم ، يتسحر بأحدهما ويفطر بالآخر » وأغناه عما للناس من فرش وأرائك ووسائد ، حصير عتيق يريح عليه جسمه ساعة من الليل أو بعض ساعة اذا أحس كلال التهجد والقيام .

ولقد كان يترنم فى نفسه بكلمة سمعها من صديقه معضد العجلى « لولا ظمأ الهواجر ، وطول ليل الشتاء ، ولذاذة التهجد بكتاب الله عز وجل ما باليت أن أكون يعسوبا » فيهتز عطفاه من الطرب ، اذ يذكر بها الرياض التى طالما صدحت فيها بلابله ، فلذاذة التهجد بكتاب الله عز وجل كانت قرة عينه وبهجة نفسه ، ومهاده الوثير الذى آثره على كل مهاد . ويا رب ليلة أخذه من شجوها ما ينفى عنه طيف الغفوة فيظل فى بكائه ونشيجه ، وحذره ورجائه ، ونواشىء الأسحار من حوله يبسمن كالعرائس الغر بما نسج لهن من غلائل ذكره ونور تسبيحه ، فلا ينصرفن عنه الى ملكوت الله الا حين يبسم له ضوء الصبح من خلال الأفق البعيد . قالت أخت له « أحسسته ذات ليلة وقد قام الى مصلاه فجعلت اليه سمعى وانتباهى فاستفتح سورة (حم) فلما أتى على تلك الآية من قول الله (وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) فما جاوزها ، وظل يرددها حتى خرج ليشهد مع الناس صلاة الصبح .. ولقد قال بعض صحابته « كنا اذا خرجنا للعدو لا نتحارس بالليل لكثرة صلاة عمرو وقيامه » .

تلك هى الموائد التى كان يطول عندها شدوه وتغريده ظمأ الهواجر ، وطول ليل الشتاء ، ولذاذة التهجد بكتاب الله عز وجل ، فلا نعم عيش عباد الدراهم والقطيفة ، لقد ظل عمرو يتحسس فى نفسه مواطن الرخاوة ومغامز الشيطان ، فيدبر لها علاجها من الله حتى صلب عوده واستحصدت مرته .. عالج مغمز المال فوجهه الى الله .. وعالج ترف المطعم والمشرب بظمأ الهواجر .. وعالج لين الفراش بلذاذة التهجد .. وبقى بعد ذلك مغمز الجاه والرياسة ، فما أسرع أن عالجه بأنجع دواء ، قال حريط بن رافع . كان عمرو بن عتبة اذا خرج فى أصحابه يشترط أن يكون خادمهم ، يرعى لهم ركائبهم أو يسوقها .. فقل لى بربك أى شىء بقى من هذا الغنى مما يطمع الشيطان فيه ؟. لقد حدث هو عن نفسه « سألت الله ثلاثا فأعطانى اثنتين ، وأنا أنتظر الثالثة ... سألته أن يزهدنى فى الدنيا ، فما أبالى الآن ما أقبل منها وما أدبر ، وسألته أن يقوينى على الصلاة ، فرزقنى منها .. وسألته الشهادة فأنا أرجوها » .

هذه هى النوازع التى كانت تعتمل فى صدر هذا الشاب ، وتلك هى أهدافه التى هامت بها نفسه ، نال معظمها من فضل الله ، وبقيت الشهادة هدفه الأخير ومحوره الذى تدور حوله كل همته وخواطره وأشواقه فى اليقظة والمنام . وليس كالصدق يرفع به الانسان الى الله دعاءه ورجاءه ، فما هو الا أن يستجيب له ، وهذا فتى من أبناء السروات تلهج خواطره بذكرى الشهادة ، وتهفو سريرته

شوقا اليها وولها بها فلا جرم أن ينيله الله اياها ... لقد اشترى لغزوه حصانا بأربعة آلاف ، ان أربعة آلاف ثمن جواد لكثير ، فيقول « والله لخطوة واحدة منه الى عدو الله أفضل من أربعة آلاف » .

ولقد طلع على بعض رفقته فى جبة جميلة حسنة ، فهل تدرى ما كانت تتناجى به بلابل نفسه وهو يتحلى بهذه الجبة . لقد ود لو تزين بوسام يغض من قدر كل وسام النبوة . لقد قال لأصحابه وهو يشير بأصابعه لمواضع فى الجبة » مـــا أحسن أن يتحدر دمى فى سبيل الله على هـــذه الجبة ويجرى عليها هنـــا وها هنا !؟ » .

ان جوانح الصديقين حين تهتف انما تهتف بصدى ما تحسه من قرب مقادير الله ، فسرائرهم النقية فى هذه الأرض هى المرآة التى يتراءى فيها ما يشاء الله من مقاديره الموشكة . فيهتفون بما يهتفون به من آمال صادقة ، وهم لا يدرون أن القدر على قيد خطوات منهم قد حضر بما يريدون .

لقد وقف فتى صحابى يقول لرسول الله صـــلى الله عليه وسلم يا رسول الله ، لقد أعطيتنى حظى من الغنيمة ، ولكنى لم أسلم ولم أقاتل من أجلها ، بل أسلمت وقـــاتلت ليصيبنى سهم فى نقرة نحرى ها هنا (وأشـــار باصبعه الى نحره) فأقتل شهيدا فيدخلنى الله الجنة . فقال له عليه السلام « ان تصدق الله يصدقك » فلما كانت موقعة من المواقع جىء لرسول الله صلى الله عليه وسلم بفتى قتيل وفى نحره سهم مغروز ، فلما رآه عليه السلام قال « أهو هو ؟ قالوا نعم هو هو يا رسول الله » !.. ورأى فيه الصحابة مبلغ استجابة الله لصدق الصادقين ..

وها هو ذا فتانا يمر بأصـــابعه على أماكن فى جبته الجميلة ويقول مـــا أحسن أن يتحدر دمى على هـــذه الجبة ويجرى عليه هنـــا وها هنـــا ؟.. نعم يـــا عمرو ، سيتحدر الدم عن قريب ، فما أنطقك بهذا الا القـــدر الذى حضر بما تريد .

خرج عمرو مع صحابته بجبته ، فاستقبلهم مرج ضاحك مبتهج . طلق الهواء . لين النسمات ، فما ان سار فيه حتى تحرك فى نفسه وجد ، وثارت بقلبه أشواق ، وكأنما لم ير فى المرج مرجا . بل روضة من القدس حضرت له مع القدر بريح الجنة ، فانبعثت من أعماقه نفحة من هيام « ما أحسن هذا المرج ، ما أحسن الآن لو أن مناديا نادى يا خيل الله اركبى !! » .

★ ★ ★

قـــال راوى الخبر « فوالله ما كان بأسرع من أن نادى مناد يـــا خيل الله اركبى ، فركبنا وركب عمرو ، وعلم أبوه بركوبه ، فقال على عمرا ، على عمرا ، فأرسل فى طلبه ، فما أدرك حتى أصيب » ... يـــا لقدر الله ! أصيب بحجر اصابة ليس لمثلها أن تكون قاتلة ! أصابه جرح صغير فجعل يخاطبه — وهو يرى الدم يجرى منه على المكان الذى أشـــار اليه بأصابعـــه فى جبته — ويقول : « والله انك لصغير وان يشاء الله تعالى يبارك فى الصغيرا » فلما كان المساء بارك الله الجرح الصغير ، وجـــاء بالشهادة المرموقة ، وصعد الروح الطاهر الى بارئه ، ودفن الجسم الطاهر فى الجبة البيضاء ، ذات الدم الزكى الطاهر ، فى نفس المرج الذى هتف فيه « ما أحسن الآن لو أن مناديا نادى يا خيل الله اركبى » ... يرحمه الله ،،،



١ إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث

للاستاذ : مالك بن نبي ـ الجزائر

(١) قامت الهند والمسلمون على الأخص بهذه الثورة ضد الانجليز الذين سيطروا على البلاد بواسطة شركة الهند الشرقية الانجليزية وانتزعوا الحكم فيها من المسلمين الذين كانوا يحكمونها فى ذلك الوقت ولكن الثورة فشلت فأعلنت انجلترا ضم الهند لمستعمرات التاج ونفوا آخر الحكام المسلمين الى (رانجون) وبقى فيها حتى مات .

(الوعى الاسلامى)

يجب أولا أن يحدد المصطلح : اننا نعنى بالمستشرقين الكتاب الذين يكتبون عن الفكر الاسلامى وعن الحضارة الاسلامية .
ثم علينا أن نصنف أسماءهم فى شبه ما يسمى « طبقات » على صنفين :

أ ـ من حيث الزمن طبقة القدماء مثل جربر دورياك « Gerbert d'Aurillac » والقديس طوماس الوكوينى وطبقة المحدثين مثل كاره دوفر Carrade Vaux ، وجلد زهر Goldizer .

ب ـ من حيث الاتجاه العام نحو الاسلام والمسلمين لكتابتهم : فهناك طبقة المادحين للحضارة الاسلامية وطبقة المنتقدين عليها المشوهين لسمعتها .

هكذا وعلى هذا الترتيب يجب أن تقوم كل دراسة شاملة لموضوع الاستشراق الا أننا ، من الوجهة الاجتماعية الخاصة التى تهمنا فى هذا البحث وفى النطاق الضيق المحدد لهذه السطور ، نختار عن قصد فصلا خاصا ، اختيارا تبرره مبررات الغائنا للفصول الأخرى .

انه لمن الواضح أن المستشرقين القدماء أثروا وربما لا يزالون يؤثرون على مجرى الأفكار فى العالم الغربى دون أيمـا تأثير على أفكارنـا ، نحن معشر المسلمين ، ان ما كتبوا كان قطعا المحور الذى تحركت حوله الأفكار التى نشأت عنها حركة النهضة فى أوروبا ، بينما لا نرى لهم أى أثر فيما نسميه النهضـة الاسلامية اليوم .

فلنترك اذا قضيتهم جانبا لمن تهمه دراسة التاريخ العام كما نترك أيضـا قضية المنتقدين على الحضارة الاسلامية المحدثين حتى ولو كان لهم بعض الأثر فى تحريك أقلامنا أو كان لهم بعض الصيت فى زمنهم وفى بلادهم مثـل الأب لامانس ، انهم لا يدخلون فى موضوع بحثنا لأن انتاجهم ، على فرض أنه مس ثقافتنا الى حد ما ، الا أنه لم يحرك ولم يوجه بصورة شاملة مجموعة أفكارنا ، لما كان فى نفوسنا من استعداد لمواجهة أثره تلقائيا ، مواجهة تدخلت فيها عوامل الدفاع الفطرية عن الكيان الثقافى ، كما وقع ذلك فى العهد الذى نشر فيه كتاب (فى الشعر الجاهلى) على غرار ما تقتضيه مسلمة قدمها المستشرق مرجليوث قبل سـنة ، فأثار كتاب طه حسـين تلك الزوبعة من السـخط التى تخللتهـا الصواعق الانتقامية المنطلقة من قلم مصطفى صادق الرافعى رحمه الله وأكرم مثـواه .

ولكننا على عكس ذلك نجد للمستشرقين المادحين الأثر الملموس الـذى يمكننا تصوره بقدر ما ندرك أنه لم يجد فى نفوسنا أى استعداد لرد الفعل حيث لم يكن هناك ، فى بادىء الأمر ، مبرر للدفاع الذى فقد جدواه وكأنما أصـبح جهازه معطلا لهذا السبب .

وموضوعنا هنا ، هو أن نبين ما كان لهذه الثغرة فى جهازنا للدفاع عن الكيان الثقافى ، من أثر فى تطور أفكار المجتمع الاسلامى منذ قرن ، وأثناء هذا القرن العشرين على وجه الخصوص .

لا شك أن المستشرقين المادحين مثل رينو (Renaud) الذى ترجم جغرافية أبى الفداء فى أواسـط القرن الماضى ، ومثـل دوزى (Dozy) الذى بعث قلمه قرون الأنوار العربية فى أسبانيا ومثل سيدييو (Sedillot) الذى جاهد جهاد الأبطال طول حياته من أجل أن يحقق للفلكى والمهندس العربى أبى الوفاء لقب المكتشف لما يسمى فى علم الهيأة (القاعدة الثانية لحركة القمر) ومثل آسين بلاثيوس الذى كشف عن المصادر العربية للكوميدية الالهية ، لا شك أن هؤلاء العلماء كتبوا لنصرة الحقيقة العلمية ، وللتاريخ وكل ذلك من أجـل مجتمعهم الغربى .

ولكننا نجد أن أفكارهم كان لها وقـع أكبر فى المجتمع الاسـلامى ، فى طبقاته المثقفة .

ان الجيل المسلم الذى انتسب أنا اليه يدين الى هؤلاء المستشرقين الغربيين بالوسيلة التى كانت بين يديـه لمواجهة مركب النقص الـذى اعترى الضمير الاسلامى أمام ظاهرة الحضارة الغربية .

ولكننا اذا تصفحنا هذه القضية فى ضوء خبرتنا الحديثة وفى ضوء تجاربنا القريبة لم نجد أن هذه الوسيلة لم يكن لها الا الأثر المحمود فى تطور أفكارنـا

وثقافتنا ، بل كان لها أثر مرض هو الذى نريد طرحه كموضوع البحث فى هذه السطور .

فلكى نتصور هذا الأثر على صورته الحقيقية فى مجتمعنا الاسلامى ، يجب أن نعيد هذا النوع من الاستشراق الى مصادره التاريخية .

ان أوروبا اكتشفت الفكر الاسلامى فى مرحلتين من تاريخها فكانت فى مرحلة القرون الوسطى قبل وبعد طوماس الاكوينى ، تريد اكتشاف هذا الفكر وترجمته من أجل اثراء ثقافتها بالطريقة التى أتاحت لها فعلا تلك الخطوات الموفقة التى هدتها الى حركة النهضة منذ أواخر القرن الخامس عشر .

وفى المرحلة العصرية والاستعمارية فانها تكتشف الفكر الاسلامى مرة أخرى لا من أجل تعديل ثقافى بل من أجل تعديل سياسى ، لوضع خططها الاستعمارية مطابقة لما تقتضيه الأوضاع فى البلاد الاسلامية من ناحية ، ولتسيير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه هذه السياسات فى البلاد الاسلامية لتسيطر على الشعوب الخاضعة فيها لسلطانها وربما انطبقت هذه المجهودات العلمية ، فى نفس أصحابها على مجرد الاعتراف بفضل تلك الشعوب وبمساهمتها فى تكوين الرصيد الحضارى الانسانى ، ولا شك أن المستشرق سدييو والعلامة جوستاف لوبون يتسمان فى انتاجهما بميزة العلم الخالص والاجتهاد المخلص للحقيقة العلمية .

ولكن تجب هنا الملاحظة بأن هذا اللقاء الجديد وقع فى ملابسات تاريخية لم يكن فيها العلم الاسلامى علما حيا ينقل من أفواه الأساتذة مباشرة ومن كتبهم المعاصرة بل أصبح أشبه شىء بعلم الآثار يكتشفه الباحثون الأوربيون بحكم الصدفة ويصدقون أولا يصدقون فى نقله ، ثم ينسبونه لأصحابه من العلماء المسلمين ، أو ينسبونه لأنفسهم أو لأحد الاوربيين ، فهكذا كانت اكتشافات كبرى تنسب لغير أصحابها ، مثل دورة الدم الصغرى للانجليزى فليام هرفى بينما كان صاحبها ، الطبيب المسلم ابن النفيس الذى عاش قبله بأربعة قرون .

كما تجب الملاحظة أيضا أن العالم الاسلامى أصبح فى هذه الملابسات يعانى الصدمة التى أصابته بها الثقافة الغربية ، ويعانى بسببها على وجه الخصوص أثرين : مواجهة مركب نقص محسوس من ناحية ، ومحاولة التغلب عليه من ناحية أخرى حتى بالوسائل التافهة .

لقد أحدثت هذه الصدمة ، عند قبيل من المثقفين المسلمين شبه شلل فى جهاز حصانتهم الثقافية ، حتى أدى بهم مركب النقص الى أن ولوا مدبرين أمام الزحف الثقافى الغربى ، وألقوا أسلحتهم فى الميدان ، وكأنهم فلول جيش منهزم فى اللحظة التى بدأ فيها الصراع الفكرى يحتدم بين المجتمع الاسلامى والغرب ، فأصبح هذا القبيل من المثقفين يبحث عن نجاته فى التزيى بالزى الغربى ، وينتحل فى أذواقه وسلوكه كل ما يتسم بالطابع الغربى حتى ولو كان هذا الطابع مظهرا لا شىء وراءه من القيم الحضارية الغربية الحقيقية .

وبدأت تظهر فى الأفق الثقافى الاسلامى الفكرة الجديدة التى حركت بعد ثورة(١) سنة (١٩٥٨) بالهند ، تأسيس جامعة (عليكرة) وحركت من جانب آخر ضد هذا المشروع ، باعث النهضة الاسلامية السيد جمال الدين الأفغانى .

وهكذا أصبح الفكر الاسلامى ، على أثر الصدمة الثقافية التى اجتاحته وما تسبب عنها من مركب نقص ، ينحاز الى معسكرين ، أحدهما يدعو لتقبل الفنون والعلوم والأشياء الغربية ـ حتى اللباس ـ والآخر يحاول التغلب على مركب النقص بتناول حقنة اعتزاز يعلل بها النفس .

فالتيار الأول كان من الناحية العقلية ، والسياسية والاجتماعية له أثره فى لونين : اللون الذى يتمثل فى تأسيس جامعة (عليكرة) ، واللون الذى يتمثل فى دعوة جمال الدين الأفغانى مع تباين الأهداف وتشابه الوسائل التى كانت تفرض على العالم الاسلامى فى كلتا الحالتين تطورا يؤدى به الى (الشيئية) و (التكديس) .

وأما التيار الثانى : وهو موضوع حديثنا لاتصاله بانتاج المستشرقين ـ فانه وجد مخدره الطبيعى فى أدب الفخر والتمجيد الذى أنشأه علماء مستشرقون أمثال ، دوزى ، عن الحضارة الاسلامية .

ولا يمكننا ، على أية حال أن نجعل بين التيارين فاصلا قاطعا ، لأن الثانى منهما لا يكون بصورة منهجية مدرسة مستقلة عن الأول ، بل نجده يخامر الفكر الاسلامى على العموم ويتخلل اتجاهه العام كفكر يبحث عن حقنة اعتزاز للتغلب على المهانة التى أصابته من الثقافة الغربية المنتصرة ، كما يبحث المدمن على حقنة المخدر التى يستطيع بها موقتا اشباع حاجته المرضية .

وهذا لا يجعلنا ننفى لهذا التيار ولنوع الأدب الذى نتج عنه كل أثر حسن فى مصير المجتمع الاسلامى ، لأنه كان له نصيب لا يزهد فيه فى الحفاظ على شخصيته ، والجيل الذى أنا منه يدين له بذلك النصيب على الأقل فى المحافظة على شخصيته الاسلامية .

اننى على سبيل المثال قد اكتشفت وأنا بين الخامسة عشر والعشرين من العمر ، أمجاد الحضارة الاسلامية فى ترجمة دوسلان لمقدمة ابن خلدون وفيما كتب دوزى وأحمد رضا بعد الحرب العالمية الأولى .

وانى لعلى ادراك تام لما أدين به لهذه المطالعات وقد ذكرت ذلك فى الجزء الأول من (مذكرات شاهد القرن) والآن وقد تجاوزت الستين من العمر ، أستطيع أكثر من ذى قبل تقدير هذا العلاج للفكر وللضمير لا فى النطاق الشخصى بل فى النطاق الشامل للمجتمع الاسلامى طيلة أربعين سنة بعد تجربتى ، فأرى أن أقرر هنا مع الاختصار اللازم فى هذا العرض أن مساوىء طريقة هذا العلاج تظهر لى بالتالى أكثر من حسناته وذلك لأسباب متعددة . .

فالسبب الاول لأنه بديهى ولأن ملاحظة الآثار النفسية لأسلوب التكوين ، أى البيداغوجية تبرز تلقائيا بالنحو الذى نشير اليه بمثل بسيط .

اننا عندما نتحدث الى فقير ، لا يجد ما يسد به الرمق اليوم ، عن الثروة الطائلة التى كانت لآبائه وأجداده ، انما نأتيه بنصيب من التسلية عن متاعبه بوسيلة مخدر يعزل الى حين فكره مؤقتا وضميره عن الشعور بها : اننا نسكن الآلام لا نشفيها .

فكذا لا نشفى أمراض مجتمع بذكر أمجاد ماضيه ، ولا شك أن أولئك

الماهرون فى فن القصص قد قصوا للأجيال المسلمة فى عهد ما بعد الموحدين قصة ألف ليلة وليلة وتركوا بذلك (أثر كل سمر) نشوة تخامر مستمعيهم حتى يناموا على صورة ساحرة لماض مترف .

ولكن سوف تستيقظ هذه الجماهير فى الغد ، فتنفتح أبصارهم من جديد على مشهد الواقع القاسى الذى يحيط بها فى وضعها الذى لا تغبط عليه اليوم .

فالأدب الذى ينشد (عصور الأنوار) للحضارة الاسلامية يؤدى أولا هذين الدورين ، أنه أتاح فى مرحلة معينة الجواب اللائق للتحدى الثقافى الغربى ، الذى حفظ مع عوامل أخرى عن الشخصية الاسلامية ، ولكنه من ناحية أخرى ، نراه قد صب فى هذه الشخصية الاعجاب بالشىء الغريب ولم يطبعها بما يطابق عصر الفعالية . .

ربما تبدو هذه الملاحظة عارضة فى هذا العرض ، الا أنها فى نظرنا جديرة ، على بساطتها ، بكل الاهتمام ، وذلك ليس لأنها تهمنا من جهة نظر الاجتماع فحسب ، بل لأنها تهمنا أكثر اذا اعتبرنا مدلولها بالنسبة الى مجال الصراع الفكرى الذى تورط فيه العالم الاسلامى اليوم ، فى مرحلته الراهنة .

واذا أردنا ، بما يمكن من الايجاز ، التعريف بما نسميه « الصراع الفكرى » فى العالم الاسلامى فانه يجب على الأقل أن نضع نصب أعيننا هذه القاعدة العامة : فكلما طرح المسلم أو المسلمون مشكلة ما تتصل بمصير هذا المجتمع ، يجب علينا القطع بأن الاستعمار قد طرحها أو سيطرحها على الفور ، وأنها لا تخفى على المختصين بالدراسات الاسلامية ، فهم تناولوها قطعا بالبحث أو سيتناولونها ، وأنهم سيبذلون كل جهدهم ، اذا ما وفق المسلمون الى حل من الحلول لهذه المشكلة ، فى تزييف هذا الحل ان كان صحيحا ، أو فى توسيع الرتق فيه ان كان مخطئا .

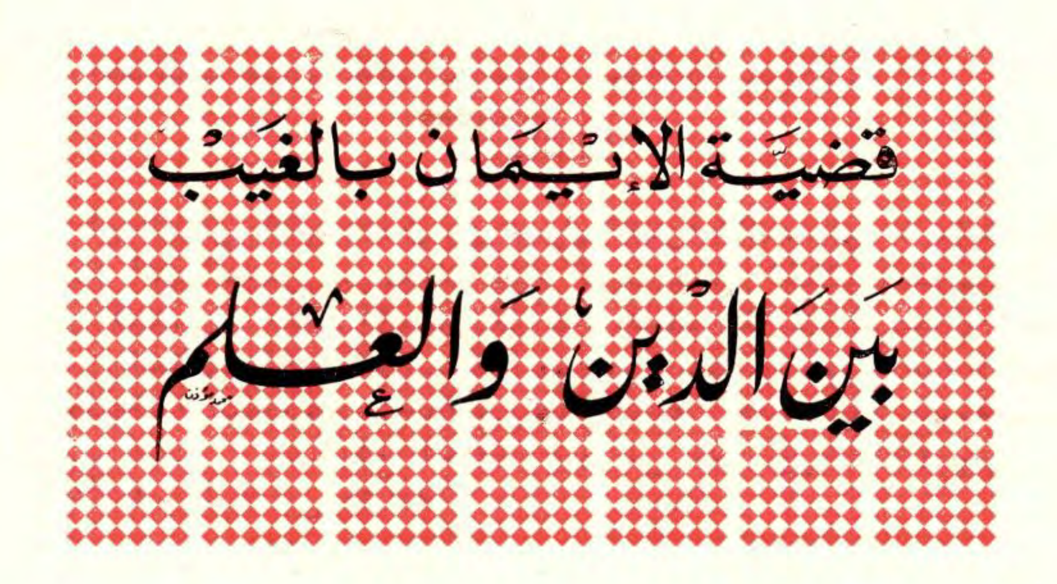
هذا أبسط تعريف للصراع الفكرى . .

وعليه ، فاذا بدرت فى العالم الاسلامى بادرة ، حتى ولو كانت خافية على أبصارنا نحن ، فسرعان ما تلتقطها مراصد أولئك الاخصائيين ، فيضعونها تحت مجاهر التحليل ، خصوصا اذا كانت تلك البادرة ذات صلة قريبة أو بعيدة بحركة الأفكار فى العالم الاسلامى ، وبنهضته ، أفنجرى عملية الفحص والتحليل الى أقصى حدها ، وتمر النتيجة بمائة عملية تقطير وتصفية ، حتى يبقى فى المبادرة عندما تبرز بعد هذه العمليات ، أقل ما يمكن من الصواب وأكثر ما يمكن من الخطأ ، يعنى من الناحية العملية : أقل ما يمكن من العوامل الميسرة للتطبيق وأكثر ما يمكن لجعله متعسرا أو مستحيلا .

ومن الواضح أن أول صورة تبرز فيها مبادرة هى صورة فكرية تشتمل على أفكار توجيهية من حيث مبررات العمل وكيفيته ، فاذا تسممت المبررات بالريب والتشكيك أو فقدت الكيفية ما يجب من الوضوح ، صعب العمل أو استحال .

اذا قضية الأفكار التوجيهية قضية رئيسية ، وقد يكون التوجيه من حيث المبررات ، إما الى الأمام وإما الى الخلف ، اذا كان ملتفتا بصورة مرضية الى الوراء . . .

« البحث بقية » . . .



قضية الإيمان بالغيب بين الدين والعلم

للأستاذ : محمد كامل حته

انها قضية الانسان فى هذا الوجود ، ومحور الصلة بينه وبين نواميس الكون والحياة . ولست أعرف قضية من قضايا الفكر والعقيدة لها من الأهمية فى حياة الانسان ومسار فكره وعمله ومجال نشاطه العلمى والروحى ما لقضية الايمان بالغيب . كما لا أعرف قضية جمعت بين التناقضات والمغالطات مثلما جمعت هذه القضية بين المنكرين والمؤمنين ...

ان الايمان بالغيب أصل من أصول الفطرة الانسانية منذ درجت فى مهد الوجود حتى بلغت ما بلغته من تجارب العلم والكشف عن بعض مجاهل الكون والحياة .

واذا كان الايمان بالغيب فى مدارج الانسانية الأولى نابعا من التركيب الفطرى لملكات الانسان وغرائزه ، تؤيده وتوجهه رسالات السماء على تعاقب العصور ، فانه فى العصور المتلاحقة التى قطع فيها العقل البشرى أشواطا بعيدة ، وكشفت التجارب العلمية عن آفاق كثيرة كانت من الغيب المحجوب قد اكتسب التأييد والتوجيه من مصادر أخرى غير مصادر الغرائز والملكات والوحى الالهى ، هى مصادر العلم التجريبى بما وصل اليه من كشوف فى مجال النفس البشرية ، وفى مجالات الكون والحياة ، ومعرفة الحدود التى تقوم عليها الصلة بين الانسان وما يحيط به من عوالم الحس ومناطق الغيب فى الزمان والمكان .

ومن عجب أن يكون انكار الغيب فى هذا العصر قائما على دعوى «العلم» بعد أن صار العلم دليلا يؤيد وجود عالم الغيب ، وقاعدة للانطلاق الى كشف حجبه وارتياد مجاهله ، فى تواضع يقف بالانسان وقدراته ووسائله المتاحة عند الحدود التى لا يستطيع أن ينكر ما وراءها من الغيب المحجوب لمجرد أنه لا يقع تحت حواسه أو قدراته أو وسائله العلمية المتاحة ، ذلك لأن عدم «وجدان» شىء لا ينفى وجوده اذا احتكمنا الى منطق العقل ومنطق العلم الذى يكشف كل يوم

جديدا فى عالم الغيب المحجوب ، وما زالت أمامه أشواط بعيدة ، وآفاق واسعة يحاول أن يجد لديها تفسيرا لكثير من أسرار الحياة والوجود . .

□□□

أما أن الايمان بالغيب أصل من أصول الفطرة الانســانية ، فيؤيده تاريخ الانسان منذ أقدم العصور فى مختلف بقاع الأرض وعلى اختلاف حظه من البداوة أو التطور الحضارى ، فان الانسان أنى كان وحيثما كان فى الزمان أو المكان أو المستوى الفكرى والاجتماعى ــ كان وما يزال يؤمن بأن وراء هذه المظاهر المادية «خلفية» لا تبلغها حواسه ولا تدركها وسائله . هذه حقيقة جامعة ينضوى تحتها جميع البشر . وانما يقع الاختلاف بينهم فى «تصــور» هذا الغيب ، وفى أسلوب كشفه والنفاذ الى حقيقته .

تجد ذلك عند الامم البدائية التى كانت والتى ما زالت تعيش فى الغابات والكهوف والمجاهل ، كما تجدها فى التاريخ القــديم للأمم العريقة . . فى مصر والهند وفارس . . وغيرها من الامم ، وتجدهــا الآن حتى فى البلاد التى بلغت شــوطا بعيدا من الحضــارة والعلم ، ومع ذلك تجد من يعلن أنه لا يؤمن بغير « الواقع » الذى تدركه الحواس وتبلغه الوسائل المتاحة ، ويكفر بما وراء ذلك من الغيب المحجوب ، وما يترتب على هذه العقيدة من انكار الحقــائق الكبرى فى الوجود ، وأولها وجود الله !

هل أضرب مثلا لذلك من الاتحاد السوفيتى نفسه ؟

ما الذى جعل أول انعكاس فى نفس «جاجارين» رائد الفضاء الروسى حين انطلق فى الفضاء . . هو البحث عن الله ؟ !

فقد كان ذلك أول ما صرح به بعد عودته الى الأرض . . .

وجاجارين هذا ولد ونشأ فى ظل «الشيوعية» التى فرضت نظمها وعقائدها أربعين عاما حين قام هذا الرائد الروسى بمحاولته «العلمية» الرائدة فى الفضاء.

وحين حاول «تيتوف» الرائد الروسى الثــالث أن يمحو أثر هذا التصريح «المزعج» من نفوس مواطنيه ، بدافع من نفسه أو بتوجيه من ذوى السلطة فى بلاده ، عاد من رحلته فى الفضاء ليقول : انه بحث عن الله فى السماء فلم يجده !

انكار يحمل فى طياته عناصر الاعتراف . . .

والا فمن الذى كلفه أن يبحث عن الله فى السماء ؟

هل هى تلبية لنداء الفطرة المنطلق من أعماق النفس البشرية ، مهما تراكمت عليه الضغوط وأطبقت عليه الظلمات ؟

ومن الذى قال ان الله فى السماء ؟

انه انحراف فى التصور ، يشفع له على أى حال أنه اتجاه «ما» فى طريق الوصول الى الله !

ونعود الى موضوع الحواس والوسائل العلمية المتاحة ، وهل يصح فى

منطق العقل ومنطق العلم ومنطق «الواقع» أن تكون هذه الحواس هى الحكم الاول والأخير فى قضية الايمان بالغيب . . .

ان الحواس الخمس المعروفة ، وهى اللمس والنظر والشم والسمع والذوق لم تعد وحدها هى الحواس التى تعكس للانسان حقيقة ما حوله من الأشياء فقد عرف العلم الحديث حواس أخرى منها ما يسمى بالحاسة السادسة . وقد أثبت العلم وجود ملكات نفسية منها : الشعور على بعد «تلباثى» Telepathy والتوجيه على البعد Telergy ، والتنويم المغناطيسى Magnetism ، وقراءة الأشياء أو معرفة أخبار انسان ما عن طريق لمس بعض الأشياء الخاصة به Object , reading or psychometry وتفسير الأحلام Dream Interpritation ، والاستيحاء الباطنى Automatism ، والوسواس Hallucination ، واستطلاع المستقبل Precognition ، واستطلاع الماضى Retrocognition ، والكشف Clairuoyance ، وتحضير الأرواح Spiritualism . وكل هذه الملكات النفسية تتجاوز آفاق الحواس المعروفة ، وتحطم الحواجز التى كانت تقف عندها هذه الحواس والتى كانت تبرر الزعم بأنه ليس وراء عالم الشهادة الا العدم المطلق والتصور الخرافى العقيم !

ومع ذلك فلنقف قليلا عند هذه الحواس الخمس ، لنناقشـــس فى ضــــوء ما كشفه العلم قيمة هذه الحواس فى التعرف الى حقيقة «الماديات» التى تقع تحت ادراكها . ونضرب مثلا لذلك بالأذن . . .

هل نستطيع أن نقول ان كل ما لا تسمعه الاذن ــ وهى الاداة الوحيــدة للسمع ــ يعتبر غير موجود ؟

الجواب عن ذلك بمنطق العلم الحديث : لا . . . ان هناك من الأصوات «الموجودة» ما لا تسمعه الأذن . وهنا يسقط منطق من لا يؤمن بالغيب المحجوب عن سمعه اعتمادا على أن أذنه لا تسمع هذا الغيب « المزعوم » !

ذلك لأن الأذن لها حساسية خاصة للأصوات التى تقع تردداتها فيما بين ألف وثلاثة آلاف ذبذبة فى الثانية . واذن فهى لا تسمع الموجات الصوتية التى يطلق عليها «تحت السمعيات» ولا الموجات الصـــوتية التى يطلق عليها «فوق السمعيات» . ويعتبر عدم حساسية الأذن البشرية للاهتزازات ذات الترددات المنخفضة من النعم العظيمة التى يتمتع بها الانسان ، فهى تحول دون سماعه لضربات قلبه ، ولولا ذلك لكان لضربات القلب ضجيج لا ينقطع (١)

فماذا تعنى هذه الحقيقة التى كشف عنها العلم الحديث ؟

تعنى أن فى الوجود تموجات صوتية لا تسمعها الأذن بتركيبها «العادى» وأن ذلك لا يمنع أن يسمع انسان «ما» أصواتا لا يسمعها غيره ، اذا اختلفت حساسية أذنه ، أو قدرتها ، على استقبال هذه الاصوات . .

وما لنا نذهب بعيدا ، وأمامنا الأمثلة «المادية» التى حققها العلم فى هذا المجال ، والتى تؤكد النظرية وتقرب الصورة للأذهان ؟

---

(١) كتــاب « أصوات لا تسمع » تأليف البرفسور ب. قدريافستف ، ترجمة الدكتور ســيد رمضان هدارة .

ان «الراديو» يردد الأصوات البعيدة المرسلة من أقصى الأرض عندما تحرك مؤشره نحو محطة من محطات الارسال هناك . وان «التليفزيون» لينقل اليك الصوت والصورة ، فهو يجمع بين عمل حاستين من الحواس : الأذن والعين ، على بعد مصدر الصوت والصورة آلاف الأميال !

فهل بعد هذا نستطيع أن ننكر ، وباسم العلم ، وجود الصوت والصورة فى عالم الغيب ، لمجرد أن الاذن لا تسمع هذا الصوت ، وأن العين لا ترى هذه الصورة فى عالم الشهادة ، عالم المادة المحسوسة بالآذان والعيون ؟

وقل مثل ذلك عن غيرهما من الحواس . . .

وهناك أمثلة كثيرة على حدوث «التلقى» من عالم الغيب ، كسماع الأصوات الصادرة عن بعد بعيد ، ورؤية الصور التى تحجبها المسافات الطويلة ، وغير ذلك من القدرات الخاصة فى الاتصال بعالم الغيب المحجوب عن الحواس . . .

أمثلة كثيرة كانت موضع الانكار من قبل ، وكان البعض يعتبرها من الظنون والأوهام ، ولكنها اليوم أصبحت موضع التصديق لأنها أصبحت فى حكم اليقين . .
ونقف وقفة متأنية أمام عبارة سابقة تقول :

ـــ ان عدم حساسية الأذن البشرية للاهتزازات ذات الترددات المنخفضة ، من النعم العظيمة التى يتمتع بها الانسان ، فهى تحول دون سماعه لضربات قلبه ، ولولا ذلك لكان لضربات القلب ضجيج لا ينقطع ! »

فماذا تعنى هذه العبارة مرة أخرى ؟

ما أيسر ، وما أخطر الجواب !

انها تقدم للانسان «حقيقة» مادية تجبه بها غروره وتطلعه الى ما لا يطيق من العلم ، العلم اللانهائى للكون والحياة ، علم الغيوب المحجوبة عن الاسماع والأبصار وغيرها من ملكات النفس وسائر الحواس . . .

فلو قد كشف له كل ما فى الكون من غيوب لصعق !

بل انه ليصعق حين يكشف له أدنى قدر من هذه الغيوب لا طاقة لحواسه وملكاته على استقباله . وهذا هو المثل الذى تتوارد معه آلاف الأمثلة ، تقدمه الحقيقة العلمية عن الأذن البشرية . . .

هى اذن نعمة كبرى يتمتع بها الانسان ، حين يلتزم حدوده التى أحاطته بها العناية الالهية ، وليست «نقيصة» فيه يحاول التمرد عليها بالكفر والانكار .

وانما اختص الله وحده بعلم الغيب ، لأنه الحقيقة الكبرى المحيطة بكل ما فى الوجود . «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . الا من ارتضى من رسول [1]. . . »

وحتى هؤلاء الرسل لهم طاقة محدودة للاستقبال ، ومحيط معين للمشاهد الغيبية ، ان بدا لأحدهم أن يتجاوزه صعق !

---

(١) سورة الجن ، الاية ٢٦ و٢٧ .

وهذا ما حدث لموسى عليه السلام ...

ــ « قال رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى ولكن أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين(١) » .

□□□

هذا عن الحواس المعروفة ومداها المحدود فى ادراك حقائق الوجود وعن الملكات النفسية فى امكان تجاوزها حدود الزمان والمكان .

فماذا عن « المادة » التى يتكون منها عالم الشهادة ، والتى لا يؤمن البعض الا بها ويكفرون بما وراءها من غيوب ؟

هذه المادة التى تتكون منها جميع المحسوسات .. الأرض وما عليها من جبال ومحيطات وأنهار ، وما فى باطنها من معادن ، وما يعمرها من انسان وحيوان ونبات ، وما أنتجته جهود البشر من عمارة وصناعات . ثم هذه الأجرام السماوية وما فيها من شموس وأقمار ومذنبات ونجوم ...

هذه المادة التى تبدو فى صورتها الصلبة أو السائلة ، الحية أو الجامدة ، المضيئة أو المظلمة .. ليست فى حقيقتها العلمية الا « طاقة » تتشكل وفقا لقوانين معينة فى التركيب والسرعة تعطى كل كائن شكله المادى !

ماذا بقى اذن مما يقال انه عالم « المادة » أو عالم الواقع المحسوس ؟

بقى ما وراء هذه المادة ، أو على الأصح ما وراء هذه الطاقة ..

بقى الغيب المحجوب الذى يقف العلم على شاطئه وهو حائر مشدوه . انه يستطيع أن يحلل ويعلل الظواهر ، ولكنه عاجز كل العجز عن ادراك ما وراء هذه الظواهر من حقائق تتحدى العقول !

وهذا « آينشتين » أعلم علماء الأرض فى الكون وظواهره ، يتحدث فى تواضع العلماء عن شعوره أمام هذه الغيوب فيقول :

ــ « ان أعظم جائشة من جائشات النفس وأجملها ، تلك التى تستشعرها النفس عند الوقوف فى روعة أمام هذا الخفاء الكونى .. ان الذى لا تجيش نفسه لهذا ولا تتحرك عاطفته ، حى كميت .. انه خفاء لا نستطيع أن نشق حجبه ، واظلام لا نستطيع أن نطلع فجره ، ومع هذا نحن ندرك أن وراءه شيئا هو الحكمة .. أحكم ما تكون ، ونحس أن وراءه شيئا هو الجمال .. أجمل ما يكون . وهى حكمة ، وهو جمال ، لا تستطيع أن تدركهما عقولنا القاصرة الا فى صور لهما بدائية أولية . وهذا الادراك للحكمة ، وهذا الاحساس بالجمال فى روعة ، هو جوهر التعبد عند الخلائق » .

ويقول آينشتين كذلك :

ــ « ان دينى هو اعجابى ، فى تواضع ، بتلك الروح السامية التى لا حد

---

(١) سورة الاعراف ، الآية ١٤٣ .

لها ، تلك التى تتراءى فى التفاصيل الصغيرة القليلة التى تستطيع ادراكها عقولنا الضعيفة العاجزة . وهو ايمانى العاطفى العميق بوجود قدرة عاقلة مهيمنة تتراءى حيثما نظرنا فى هذا الكون المعجز للأفهام . ان هذا الايمان يؤلف عندى معنى الله ! »(١) .

ويقول ا. كريسى موريسون ، الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيويورك :

ــ « ان المعارف الجديدة التى كشف عنها العلم ، لتدع مجالا للاعتقاد بوجود مدبر جبار وراء ظواهر الطبيعة . وهذا ضوء يلقى على الخفاء الوسيع الذى يحيط الآن بما هو غير معروف لنا ظاهريا ، وقد يقودنا هذا الضوء الى الاعتراف بوجود عقل عام أسمى ، أى الى وجود الخالق ! » .

ثم يعود فيقول :

ــ « ان وجود الخالق ، تدل عليه تنظيمات لا نهاية لها ، تكون الحياة بدونها مستحيلة . وان وجود الانسان على ظهر الارض ، والمظاهر الفاخرة لذكائه ، انما هى جزء من برنامج ينفذه بارىء الكون . وانى لأورد قول « أوسبورن » فى هذا المجال : بين جميع الأشياء التى لا يمكن ادراكها فى الكون ، يقف الانسان فى الطليعة . وبين الأشياء التى لا يمكن ادراكها فى الانسان ، تتركز الصعوبة الكبرى فيما له من مخ ، وذكاء ، وذاكرة ، وآمال ، وقوة كشف وبحث ، وقدرة على تذليل العقبات(٢) » .

وبعد ، فهل مؤدى ذلك أن يقف الانسان عاجزا معطلا أمام الغيب المحجوب فى الكون والحياة ؟

كلا . . بل ان الأمر على العكس !

ان الايمان بالغيب هو مصدر النشاط العلمى للكشف عن كل مجهول . والا عطل الانسان مواهبه وملكاته ، وتوقف العلم عن تجاربه ومحاولاته التى تكشف له كل يوم عن جديد فى الكون والحياة . .

يقول آينشتين :

ــ « ان الشعور الدينى الذى يستشعره الباحث فى الكون ، هو أقوى حافز على البحث العلمى ، وأنبل حافز !(٣) » .

وهذا مصداق قوله تعالى ــ فى الربط بين الدين والعلم :

ــ « انما يخشى الله من عباده العلماء(٤) .

ــ « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق

---

(١) كتاب « مع الله فى السماء » تأليف الدكتور أحمد زكى .

(٢) كتاب « العلم يدعو الى الايمان » ترجمة محمود صالح الفلكى .

(٣) كتاب « مع الله فى السماء » تأليف الدكتور أحمد زكى .

(٤) سورة فاطر ، الآية ٢٨ .

السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار(١) » .

— « وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون(٢) » .

— « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء(٣) »

— « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق(٤) »

.. وآيات أخرى كثيرة تحث على التفكر فى ملكوت السموات والأرض ، وتثير فى العقل البشرى أشواقه الى المعرفة وتدفع بالعلم لاستجلاء حقائق الوجود ، وتنعى على « الكفار » الذين عطلوا مواهبهم وملكاتهم وحواسهم ، تجردهم بذلك من مميزاتهم الانسانية وهبوطهم الى مستوى البهائم ، وفى ذلك يقول الله تعالى :

— « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون(٥) » .

وهذه الغفلة عن الحقائق الكبرى ، وأولها الايمان بالغيب ، وهو أساس الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .. وافتتان الانسان بظواهر الطبيعة وانكار البعض لما وراء هذه الظواهر فى نفسه وفى الكون ، هو الذى أوقع الانسان فى مهاوى الحيرة والتخبط ، وأبعده عن فطرته السليمة ، وأضله عن حقائق وجوده وصلته بالكون والحياة .

يقول الكسيس كاريل ، وهو عالم كبير من علماء الطب والحياة :

— « ان هناك مناطق غير محدودة فى دنيانا الباطنية ما زالت غير معروفة . ومن الواضح أن جميع ما حققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الانسان غير كاف ، وأن معرفتنا بأنفسنا ما زالت بدائية فى الغالب .. »

ثم يقول :

— « يجب أن يكون الانسان مقياسا لكل شىء ، ولكن الواقع هو عكس ذلك ، فهو غريب فى العالم الذى ابتدعه . انه لم يستطع أن ينظم دنياه بنفسه ، لأنه لا يملك معرفة عملية بطبيعته .. ومن ثم فان التقدم الهائل الذى أحرزته علوم الجماد على علوم الحياة ، هو احدى الكوارث التى عانت منها البشرية . اننا قوم تعساء ، لأننا ننحط أخلاقيا وعقليا .. ان الجماعات والأمم التى بلغت فيها الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم ، هى على وجه الدقة الجماعات والأمم الآخذة فى الضعف ، والتى ستكون عودتها الى البربرية والهمجية أسرع من عودة غيرها اليها !(٦) » .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٩١ .
(٢) سورة الذاريات ، الآية ٢١ .
(٣) سورة الاعراف ، الآية ١٨٥ .
(٤) سورة فصلت ، الآية ٥٣ .
(٥) سورة الاعراف ، الآية ١٧٩ .
(٦) كتاب « الانسان .. ذلك المجهول » ترجمة شفيق أسعد فريد .

وهكذا لا يكون أمام الانسانية لكى تبلغ غايتها فى ألفة عميقة مع الكون والحياة ، وفى توازن بين حقائق وجود الانسان فى عالم الشـــهادة وعالم الغيب ، الا بأن يكون الانسان صادقا مع قوانين فطرته ، هــذه الفطرة التى تؤمن بالغيب حقيقة دينية وعلمية ، ترتفع بالانسان عن « واقعه » المادى الذى يهدد انسانيته ويقعد به عن الانطلاق الى أهدافه البعيدة لتطوير هذا الواقع وترقيته الى المستوى الذى يليق بمكانة الانسان وكرامته فى الحياة ، وتحفز قدراته وأشواقه للكشف عن المجهول لاســتجلاء عالم الغيب .. وهل يتجه الانسان بعقله وعلمه الى هذه الاهداف البعيدة الا اذا كان مؤمنا بأن وراء هذه الظواهر الكونية حقائق خالدة ؟

يقول ا. كريسى موريسون :

ـــ « اننا نقترب فعلا من عالم المجهول الشاسع ، اذ ندرك أن المـــادة كلها قد أصبحت من الوجهة العامية مجرد مظهر لوحدة عالمية هى فى جوهرها كهربية . ولقد بلغنا من التقدم درجة تكفى لأن نوقن بأن الله قد منح الانسان قبسا من نوره . ولا يزال الانسان يشعر بوجود ما يسميه بالروح ، وهو يرقى فى بطء ليدرك هذه الهبة ، ويشعر بغريزته بأنها خالدة ![1] » .

واذا كانت قمة الايمان بالغيب ، هى الايمـــان بالله .. خالقا ومدبرا وحكيما .. الى آخر أسمائه وصفاته الحسنى ، فقد اعتبر القرآن الكريم هذه المرتبة أعلى مراتب الانسانية المؤمنة ، وجعل الجزاء عليها أعلى مراتب الجزاء .

قال تعالى :

ـــ « انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم[2] » .

ـــ « ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير[3] » .

ـــ « وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد (٣١) هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ (٣٢) من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب (٣٣) ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود (٣٤) لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد (٣٥)[4] » .

هذا جزاء الايمان بالغيب فى الحياة الآخرة . وقد بدأنا بالاشارة اليه على غير الترتيب الزمنى الذى يجعل الجزاء فى الحياة الدنيـــا أسبق منه ، لأن ذلك يدخل فى نطاق الايمان بالغيب عقيدة وجزاء ...

فما هى ثمرات الايمان بالغيب فى هذه الحياة الدنيا ، وما هو جزاؤه المقدور ؟

ان للايمـــان بالغيب فى الحياة الدنيا ثمرات عاجلة ، أولهـــا فيما يختص بالايمان بالله تلك الطمأنينة التى يحسها المؤمن وهو يواجه الحياة بما فيها من قوى الطبيعة الغلابة وسطوة ذوى القوة والجاه . فهو من ايمانه فى حصـــن حصين . وهو حين يهتف فى صلاته عشرات المرات كل يوم : الله اكبر ! تتضاءل

---

(١) كتاب « العلم يدعو الى الايمان » ترجمة محمود صالح الفلكى .

(٢) سورة يس ، الآية ١١ .

(٣) سورة الملك ، الآية ١٢ .

(٤) سورة : ق .

فى وجدانه كل صور القوة والجاه والسلطان التى يستعلى بها كل مخلوق ويستطيل ..

وهو حين يتعرض لنازلة تصيبه بنقص فى الأموال والأنفس والثمرات ، لا يصيبه الجزع ولا تتمزق نفسه غما وحسرة ، ولكنه يستقبل ذلك فى سكينة المؤمن بقضاء الله وقدره ، وما يزال ايمانه بالله يمده برصيد موفور من الصبر والمصابرة حتى يجتاز المحنة ويستعيض ما فقد أو خيرا منه ، وخير مما فقد أنه يصبح خلقا آخر بعد أن صهرته المحنة وزكت روحه بالابتلاء !

وتثمر عقيدة الايمان بالغيب ثمرات أخرى ...

انها تثمر فى نفس المؤمن «الوعى الكونى» الذى يوثق الصلة بينه وبين الكائنات ، ويشعره التعاطف والألفة مع الوجود ، فيحس أنه جزء من كل ، يجمعه قانون الجاذبية والتكامل والخلود ...

وتثمره هذه العقيدة ثمرتها المقدورة فى نفس المؤمن حين يضع أمام بصيرته ما فى الحياة الآخرة من جنة ونار ، وثواب وعقاب . فلا يغفو ضميره عن الحق فى علاقته بربه وعلاقته بالناس .

وتثمر هذه العقيدة حين تغلو فى نفسه قيمة هذه الحياة الدنيا ، وقيمته فى هذه الحياة ، لأنه يعلم أنه لم يخلق عبثا وأنه لن يترك سدى ، وأن هذه الدنيا مزرعة الآخرة ، فهو مطالب بأن يسعى ويعمل وينتج لخير نفسه وخير المجتمع .

وتثمر هذه العقيدة حين يؤمن بأنه فى هذه الحياة الدنيا عابر سبيل ، وأن أمامه حياة أخرى هى مرحلة من مراحل حياته التى بدأت وهو جنين فى بطن أمه، فلا يلهيه يومه عن غده ، ولا ينغمس فى اللذائذ والشهوات التى تفسد كيان الفرد وتصيب المجتمع بالانحلال ، ولكنه يستعلى على هذه اللذائد والشهوات ولا يأخذ منها الا بمقدار ، منطلقا الى ما هو اكرم وأجدر بكرامة الانسان ، تشده المعانى الكبيرة لوجوده ، فهو يجاهد فى سبيل القيم العالية بكل ما يضىء تاريخ الانسانية من معانى الايثار والبطولة والتضحية والفداء !

ثمرات كثيرة تؤتيها عقيدة الايمان بالغيب فى هذه الحياة الدنيا — قبل الحياة الآخرة — اذا ما استقرت هذه العقيدة فى نفس الانسان ، مستلهما اياها مما جاءت به رسالات السماء ، وما أيده العقل ، وكشف عنه العلم فى فتوحاته التى تقطع السبيل على كل انكار أو مماراة ...





تعدد الزوجات

صمام أمن لمشكلات كثيرة

للدكتور شفيق الجراح
وكيل كلية الحقوق ـ جامعة دمشق

لا يجب فى الحقيقة أن ننظر الى التعدد الى حد ما ، كوسيلة للكفاح ضد الزنا ولارجاع المشاعر الجنسية الى نطاق الطريقة الشريفة . طريقة الزواج المشروع . كما لا يجب أن ننظر اليه كوسيلة لاشـباع هستريا فيزيولوجية أو شهوات جنسية حيوانية جامحة . فقد نادى محمد صلى الله عليه وسلم بروح التعـدد فى الحديث الآتى : « تزوجوا ولا تطلقوا فان الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات » . فيشيع من هذا الحديث الهدف الانسانى الذى يمكن أن يرمى اليه التعدد ، وهو يترك مجالا لتوقع شىء آخر غير الرغبة الجنسية .

ورغم الهجمات المعاصرة التى كانت تكال كيلا للتعدد ، فانه من الانصاف أن نعترف له فى الحقيقة بدور حاسم وقاطع فى نظام حقوقى لا يعترف ، ولا يريد أن يعترف ، بالآثار التى تنجم عن العـلاقات خارج الزواج . ولذلك يبقى التعدد حلا صالحا ومقبولا تماما من أجل حالات وضعية عديدة .

فقد تعترض الحياة الزوجية عقبات وسدود فهل يجب أن يـكون الحل الوحيد لها هو الطلاق ، فالمرأة تكون بعض الاحيان عقيمة أو مسنة أو مريضة مرضا خطيرا فطلاقها من زوجها ـ خاصة اذا كانت ترتبط بحبه ارتباطا وثيقا ـ يسىء اليها أكثر من زواج رجلها من ثانية معها . وقد توجد المرأة أحيانا فى حالة لا يمـكن حلها الا بالتعدد ، كما يحدث ذلك غالبا لفتيات يعاشرن الرجال

فيصبحن — عن حسن نية — أمهات دون أن يتزوجن من هؤلاء الرجال ، فهل يجب أن يتحمل الاولاد الناجمون عن هذه العلاقات النتائج المعنوية والاخلاقية فلا يستطيعون سوى الحصـــــول على نتيجة مادية تافهة هى النفقة ، اذا ما قورنت بالنتيجة المعنوية والخلقية التى لا تقـــدر بثمن ، ألا وهى النسب الشرعى ؟ فعلى المشرع أن يتوقع ويتنبأ ، وعلى التشريع أن يكون مرنا لمواجهة الاحتمالات ولذلك فنحن بهذا المعنى نأخذ على القانون التونسى عدم تكامله وعدم واقعيته : فهو غير متكامل ولا متناسق لأنه رغم منعه التعدد ، لم يحرم قرين مبدأ وحدانية الزوجة الكائن فى البنوة الطبيعية ان لم نقل من زنا . وهو على العكس قد احتفظ بنظام النسب فى الاسلام .

وهو غير واقعى أيضا لأنه بفرضه مبدأ وحدانية الزوجة ، انما قد فرضه بشكل فج وسابق أوانه لمواجهة سياسة تتبنى ســــياسة التأمين الاجتماعى ولتطبق على مجتمع ترسخت فى عاداته وأخلاقه سياسة معينة لا تزال تؤمن بفـــائدة التعدد الحقوقية والعملية (تنظر أحكام محكمة القيروان التى لم تلغ الزواج الثانى ، وذكرت فى مجلة الاحوال الشـــخصية ١٩٥٨ النشرة الثالثه ص ٢٧ ، ١٣٧٧ هـ) فالتعدد وجها لوجه مع الخدانة : هو حل حقوقى ســـليم يحفظ مكان الرفعة والشرف للزواج .

ان من المؤكد بأنه لا يمكننا استخلاص النتائج من مجتمع لآخر اذا كانت الظروف الاقتصـــــادية والخلقية والدينية فيهما مختلفة . ولكن اذا كان يوجد شكل من الاشكال التى تشبه التعدد ، أو (غرة تعدد تنبعث) ، حسب تسمية الاستاذ العميد كاربونى Carbonnie واذا كانت الحلول التشريعية الجديدة فى العالم الحاضر ، هى فى صالح تعدد الزوجات بصورة مكشوفة (مفتوحة) ، أو خفية (محجبة) : كتسهيل الطلاق فى أوربا وترتيب نتائج حقوقية للخدانة ، والاقرار بنسب أولاد الزنا يجعلهم أولادا شرعيين .. الخ .

(أنظر : كاربوينى ص ٣٤١ نمرة ١٠٤ من كتابه الحقوق المدنيـــة ج ١ منشورات : تمييز عام ١٩٦٠ Themis) ، فلماذا هذا العناد والاصرار اذن ؟ أمن أجل أن نرفض للتعدد مغزاه الجدى ومدلوله الحقيقى ، وهو كونه صماما للأمان ؟

ان التعدد سوف يكون حلا سعيدا لجميع الحالات العملية التى يهتم بها ويشد اليها التشريع والفقه والاجتهاد فى العالم . فاذا فهم التعدد هكذا على حقيقته لأصبح عاملا حاسما بين النظام وعدمه ، وحمى المجتمع من الفوضى فى الانساب الطبيعية ومن الزنا . فالزواج فى الحقيقة هو الطريق الأمثل لاستمرار النسل الشرعى وللحفاظ على الجنس البشرى . وأما العلاقات خارج الزواج فيعوزها الرباط الحقيقى . فالمرأة فيها تمتنع عن الحمل لترغيب الرجال بهـــا وبذلك يقل النسل (محمد زيد الابيانى بك ص ٢) . ونضيف الى ذلك أن التعدد يسمح بقلب علاقات الخدانة الى زواج شرعى . وعلى كل حال . نحب ، قبل استعراض مختلف الظروف والأحوال التى تستدعى وجود التعدد ، أن نرفض بعض الافكار الحديثة وأن نستهجنها ونســـتغربها ، لأنها تتهم احتفاظ بعض

التشريعات الشرقية بالتعدد ، معتبرة ذلك ميلا الى الرجعية والتأخر (لينان دو بللفون Linant de Bellefonds مجلة ستوديا اسلاميكا . فى مقال له بصدد القانون العراقى ص ٨٧ الملزمة ١٣) .

ان هذا المزعم من هؤلاء ليس له ما يبرره ، لأنه يجعل سياسة التقدم والتأخر (أو الرجعية) مرتبطة بابقاء هذه المؤسسة فى التشريع أو بالغائها . وهذا رأى تكذبه الوقائع التى نقترح عليكم ايرادها لتبرير التعدد ، كما وان هذا الرأى لم يمنع صاحبه (لينان دو بللفون . .) من أن يقبل بأن (الزواج من ثانية فى بعض الحالات الخاصة وعندما يستطيع به الزوج تجنب طلاق زوجته الأولى المسنة أو المريضة على الأقل ، لا يخلو من فضائل انسانية) .

ولهذا تتملكنا الشجاعة والجرأة لتأييد التعدد ، ولو وجب أن نظهر فى أعين الغير كرجعيين . لأننا نفضـــل الشرعية على عدم الشرعية ، والنظـــام التشريعى على الفوضى وعدم النظام . فلا يمكننا ، مثلا أن نتهم بالميول الرجعية ، التشريعات الاجتماعية الحديثة فى فرنسا بصورة خاصة ، ونصـــمها بالتأخر لأنها تميل الى حل مشاكل الاسرة بشكل تلوم فيه التعدد . بالاسم ، بينما هى تتبنى جميع آثاره ونتائجه (كالقوانين التى صدرت فى فرنسا عامى ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ من أجل نفقة الاولاد من الزنا ، واعطاء هؤلاء الاولاد غير الشرعيين صفة الولد الشرعى . عند الايجاب Legitimation وهذه هى بالذات نتائج التعدد ، لأن الاعتراف بشرعية الابن من الزنا واعطاء نفقة له يفيد حتما بأنه فى زمن ما ، قد كانت للأب زوجتان معا فى وقت واحد فهذا هو التعدد بأم عينه ، ولكنه تعدد مقنع .

ان هذه الظروف الاجتماعية تساند وجهة نظرنا وتبرر جرأتنا وصراحتنا . ونحن لا نجد من جهة أخرى أية مصلحة يهددها التعدد فيما لو أحسن استعمالها بعقل وحذر . ولذلك سوف ندرس هاتين المسألتين : مســـألة الحالات التى تستدعى وجود التعدد ، ومسألة المصالح التى يحتمل أن تتأثر بالتعدد .

أ) الحالات المختلفة التى تستدعى وجود التعدد :

ان تعدد الزوجات يوجد المصاهرة . وتزيد هذه القرابة من أواصر المودة والمحبة بين أسرة المعدد وأسر زوجاته .

والتعدد وسيلة ناجعة لمحاربة الزنا . فالحب المتبادل بين شخصين يجد له حلا حقوقيا وخلقيا فى التعدد ويجنبهما النتائج المغيظة التى تنجم عن عدم التعدد (كأولاد الزنا ، وخيبة أمل الفتاة الأم ، وسرية العلاقات وخفاؤها . .) .

والتعدد حل للأزمات التى يكثر فيهـــا عدد النســـاء ويقل عدد الرجال « كالحرب ، والجهاد فى الاسلام . . الخ » فيفضل اعطاء النساء أزواجا بدلا من لجوئهن الى العلاقات غير المشروعة .

والتعدد يجنب الرجل السقوط فى مهاوى الزنا عندما يكون لدى زوجته

مانع من الموانع وهو حل أيضا فى حال عقم المرأة ، فلا ضرورة للتخيير بين الطلاق وبين التبنى . فالنسل هدف من أهداف الزواج وغايته حسبما ورد فى المادة الاولى من قانون الاحوال الشخصية السورى . وحب الولد غريزى عند الأبوين وهو غالبا ما يقوى الرباط الزوجى بينهما . فوحدانية الزوجة فى هذه الحالة تفرض التبنى ، الا اذا فرض الطلاق أو البقـــاء بدون ولد . والتبنى لم يقبله الاسلام لأنه يعتبر رباط الدم أقوى وأصلب من جميع الروابط : (وقضية « نوفاك » اشتهرت حديثا فى فرنسا عندما طلب الأبوان الطبيعيان ولدهما من والديه بالتبنى بعد انقضاء فترة طويلة على تبنيه وتربيته من هؤلاء) .. والطلاق يضر بالمرأة أحيانا أكثر من اضرار التعدد بها . فالمرأة العقيمة اذا قبلت التعدد فسوف لا تفاجأ بالعلاقات التى يحتمل وقوعها خارج الزواج مع نساء عديدات بدون تحديد ، كما لا تفاجأ بأولاد من الزنا أراد الزوج اخفاء الشرعية عليهم . ومثل العقيمة ، المريضة مرضا خطيرا يقعدها عن القيام بواجبات الزوجية ..

ب) المصالح التى يحتمل أن تتأثر بالتعدد بينما هو يوفر لها الحماية :

ان المصالح التى تتأثر بالتعدد هى فى الحقيقة مصونة ، دون تضـــحية بمصالح الزوجة الاولى فهنالك :

١ ــ **مصالح الزوجات :** فحقوق الزوجة الاولى تبقى كما هى من نفقات وحقوق زوجية أخرى مر ذكرها ، وان كانت الجديدة تشاركها فى القسم . غير أن هذه المشاركة قد جاءت نتيجة الانتقاص من محبة الزوج القلبية التى كانت قائمة قبل الزواج من ثانية ، اذ لولا ذلك لما أقدم الزوج على هذا التوزيع . فالزواج الثانى يثبت حالة واقع سابقة : حيث هو اما أن يحب زوجته الاولى حبا كليا ، وعندئذ لا يغير قراره الزواج من ثانية شيئا من هذه المحبة الكلية ، ويكون لجوءه للزواج من ثانية بدافع الضرورة . واما أن لا يحب امرأته محبة كلية فكان قلبه موزعا أصلا ، لذلك لا تكون الجديدة قد أخذت شيئا من الاولى ، واما أن لا يحب امرأته البتة فلا يغير التعدد من هذا الوضع شـــيئا . وعندئذ يكون التعدد لمصـــلحتها ، لاطلاعها صراحة على علاقات زوجها ، ولحقها فى مطالبته بالمساواة والعدالة اللتين أقرهما الفقه والشرع .

وأما الزوجة الجديدة فهى لم تقبل التعدد ولم تقدم عليه الا وهى عالمة به وعارفة بالزواج الأول ، بينما لو كانت للزوج خدينات لما أمكن كشفهن والاطلاع على علاقته معهن .

٢ ــ **مصالح الاولاد الشرعيين :** لقد أشرنا الى أنه نشأت فى البلاد التى تدين بمبدأ وحدانية الزوجة علاقات جنسية خارج الزواج تحت أشكال مختلفة : (كالاتحاد الحر Lunion Libre والأسرة الواقعية Menage do Fait أو زواج بالواقع ، والخدانة Concubinage « ينظر : زواج الواقع أمام القانون الفرنسى » للاستاذ رينيه روديير . من أعمال جمعية هنرى كابيتان عام ١٩٥٧ نشر عام ١٩٦٠ ج ٢ ص ٥٥ وما بعدها) . ولقد تولدت هذه العلاقات والاشكال المتنوعة نتيجة لأســـــباب مختلفة : كالحـــاجات الفيزيولوجية ، والهجران أو الانفصال الجسدى عملا بأحكام القانون ، أو بحكم الواقع والضعف فى المشاعر والمعتقدات الدينية ، وعدم اعتبار المحاكم للعلاقات الجســـــدية خارج الزواج

خطيئة توجب المسؤولية . فقد يأتى عن هذه العلاقات أولاد يعتبرون فى نظر القانون طبيعيين أو أولادا من زنا حسب حالة ووضع الأبوين من الزواج وعدمه عند ولادة الاولاد .

فهؤلاء الاولاد الذين تحاول القوانين الحديثة الوصول الى مساعدتهم (عندما يقبل منهم اثبات أبوتهم) قد يجدون أنفسهم بين يوم وآخر مطرودين مع أمهم دون أن يعترف بهم الخدين . فيجد هؤلاء الاولاد أنفسهم مشردين لا يشعرون بانتسابهم الى أسرة معينة كالأولاد الشرعيين الآخرين ، ولا يحسون بأن لهم وضعا اجتماعيا ومعنويا مثل الاولاد الشرعيين الآخرين . فالتعدد حل لادخال هؤلاء الاولاد فى اطار أسرة شرعية ، ومبدأ الزواج من واحدة يجب أن لا يكون عقبة كأداء فى سبيل شرعية نسبهم ، كما يجب أن لا يكون هذا المبدأ وسيلة للحماية تمكن الرجل من التملص بسهولة من نتائج أفعاله وتصرفاته الحرة الغير مراقبة . فقد يحدث أن تثق به بعض الخدينات ، غير عالمات بزواجه الا بعد صلاته معهن واستيلاده أولادا منهن فتبرز فى هذه الحالة فائدة التعدد كوسيلة ناجعة لحماية المصالح المعنوية والمادية والخلقية لهؤلاء الاولاد بصورة خاصة من جهة ، ولحماية النساء ذوات النوايا الحسنة من جهة أخرى .

فمبدأ التعدد يجد هنا اذن أفضل تطبيقاته كصمام للأمان سواء كان بالنسبة للأولاد أو بالنسبة لأمهاتهن . ولقد نقل لنا سيف الدين نور ما قاله ((شوبنهاور)) بهذا الشأن معتبرا التعدد فضيلة حقيقية لجميع النساء لأن أكثر من ألف امرأة بغى تجوب شوارع لندن ، ولقد ضحى بشرفهن لعدم وجود نظام يقر التعدد .

٣ ــ **مصالح المجتمع والأمة :** لقد قلنا ان التعدد وسيلة ناجعة تحفظ للزواج مكان الشرف ، أضف الى هذا أن العلاقات خارج الزواج قد تشيع أمراضا خطيرة . وأن المرأة والرجل فى فترة من حماس العواطف وثورة الغريزة قد يلجأ ــ بسبب عدم وجود وسيلة مشروعة ــ الى الحل العملى ، ألا وهو اقامة علاقات غير مشروعة خارج الزواج ، وقد يكون ذلك مع عدد غير محدود دون أن يكون هذا الفعل معاقبا عليه . وتنجم عن ذلك النتائج التى سبق ذكرها من مفسدة للأخلاق وانجاب لأولاد غير شرعيين وهؤلاء ، غالبا لا يعترف بهم الآباء حتى ولو كان الاعتراف بهم ممكنا فيتركون لأمهاتهم أو للدولة . وأمهم التى آلت اليها هذه النتيجة لا تستطيع تربية ابنها فى النطاق الخلقى والمعنوى الذى يعيش فيه المجتمع ، لأن فاقد الشىء لا يعطيه . ولذلك ، فالولد الذى لا يعرف غالبا أباه (وحتى ولو عرفه لا يستطيع حمله على الاعتراف به عندما يكون ابنا من الزنا) هو ولد معقد بسبب ولادته غير المشروعة أو المشتبه بها ، ويصبح طفيليا فى المجتمع وخطرا عليه . كما يمكن أن يحدث زواج بين المحارم فى مثل حالة هؤلاء الاولاد النازلين من رجل واحد وهذه أمور ومشاكل يحلها التعدد .

فالعلاقات الجنسية خارج الزواج كوارث تصيب المجتمع وتهدد الاخلاق العامة . ولقد فهم محمد صلى الله عليه وسلم ذلك فحاربها بجميع الوسائل بما فيها التعدد لادخال هذه العلاقات فى الشرعية .

فالنسب الطبيعي الذى تقبله القوانين الغربية يصحح بعض مساوىء مبدأ الزواج من واحدة ولكنه مصحح غير كاف من جهة ، ويدل الأخذ به على ضرورة الاقتراب من النتائج التى يؤول اليها التعدد والتى بفضلها يصبح الولد زيادة على ذلك ولدا شرعيا من جهة أخرى .

والتعدد سبب للاكثار من النسل فقوانين التعويض العائلى وقوانين اجتماعية حديثة أخرى تؤدى الى التشجيع والمساعدة على النسل ، ولو كان هذا النسل قد أتى بصورة غير نظامية (كما فى القانون الفرنسى الصادر عام ١٩٥٦ الذى يقبل بجعل الاولاد من الزنا أولادا شرعيين ، وتقرير نفقة لهم فى القانون عام ١٩٥٥) . أو لا يكون التعدد أكثر انسجاما مع النظام العام ؟ وبأى شىء يمكن أن يضر التعدد ؟ ان التعدد بالعكس ، يمكن أن يكون عنصر استقرار وحياة شرعية منتظمة . وهو ضرورى فى بلد لا مكان فيه الا للأولاد الشرعيين ، غير أنه لا تمتنع مراقبته والاشراف عليه من أجل عدم استعماله بشكل تعسفى . ولقد أمن المشرع السورى هذا الاشراف المتواضع عن طريق القاضى بوضعه عراقيل مالية واقتصادية ترك تقديرها للقاضى فى المادة (١٧) . فسلطة القاضى محدودة اذن ، خلافا لسلطة القاضى الواسعة فى العراق . ولكن هذا الاشراف يصبح وهميا من جهة أخرى ، عندما تحمل الزوجة الثانية قبل اذن القاضى بزواجها . وعندئذ يجبر القاضى على الاذن بالزواج الثانى . ولقد قضى المشرع السورى فى المادة (١٤) بصحة اشتراط الزوجة الاولى فى عقد زواجها ، حرمان الزوج من التعدد . ولكن الأثر الوحيد لهذا الاشتراط هو حقها فى طلب فسخ عقد الزواج عندما لا يلتزم الزوج بالشرط . وأما المادة (٦٨) فقد فرضت على الزوج المعدد اسكان كل زوجة فى مسكن مستقل عن مسكن الاخرى ومساو له ويعتبر هذا (التشدد) « عائقا » اقتصاديا فعالا ، لأن المادة (٦٧) لا تترك مجالا للزوج المعدد ، أن يفرض مسكنا واحدا على نسائه بدون رضائهن .

وعلى كل حال ان تعدد الزوجات لا يتطلب حلا سريعا ولكن لا يمتنع من الناحية التشريعية أن يكون الانسان (حاذقا) فيخضع التعدد الى تقدير القاضى ، من أجل حسن (تشغيل) صمام الأمان هذا ، ومن أجل الحفاظ على (فضائله الانسانية) .



رَفْعُ الحَرَج فِي الشَّرِيعَةِ الإِسْلامِيَّةِ ٢

الرخص ـ الأسرة ـ المعاملة .

للشيخ : مناع قطان
الأستاذ بكلية الشريعة بالرياض

الرخص :

إن تكاليف الاسلام سهلة ، ولكن الانسان قد يعرض له فى بعض الأحوال ما يجعل القيام بهذه التكاليف شاقاً عليه ، وهنا تأتى مشروعية الرخص وهى أمر مقطوع به ، ومما علم من دين الأمة ضرورة ، كرخص القصر والفطر والجمع وتناول المحرمات فى الاضطرار . وهذا يدل قطعا على رفع الحرج والمشقة (إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه) .

لقد فرض الله الصيام على الأمم السابقة استعلاء للنفس على ضرورات الجسد كلها ، وتربية للارادة المؤمنة الحازمة التى تنفذ بمضاء وعزيمة لأداء رسالتها ايثارا لما عند الله (والآخرة خير وأبقى) .

ولكن الصوم فى الاسلام أيام معدودات . وليس فريضة العمر ، ومع هذا فقد أعفى من أدائه المرضى حتى يصحوا ، والمسافرون حتى يقيموا ، تخفيفاً وتيسيراً (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) .

وقد علق الله تعالى هذه الرخصة بمطلق السفر ومطلق المرض ، وان كان الفقهاء ــ خشية أن يفرط الناس فى الأخذ بهذه الرخصة لأدنى سبب ــ قد اشترطوا لذلك شروطا وشددوا فيها ، الا أن الناس ينقادون الى تقوى الله كراهية ، والاسلام يربى الضمير الانسانى على الوعى الدينى فى العبادة حتى تكون خالصة لله ، لا أن يفلت من أدائها تحت ستار الرخصة .

قال ابن تيمية : « ويجوز الفطر للمسافر باتفاق الأمة ، سواء كان قادرا على الصيام ، أو عاجزا ، وسواء شق عليه الصوم ، أو لم يشق ، بحيث لو كان مسافرا فى الظل والماء ومعه من يخدمه جاز له الفطر والقصر ، ومن قال ان الفطر لا يجوز الا لمن عجز عن الصيام فانه يستتاب ، فان تاب والا قتل ، وكذلك

من أنكر على المفطر فانه يستتاب من ذلك ، ومن قال : ان المفطر عليه إثم فانه يستتاب من ذلك ، فان هـذه الأحوال خلاف كتـاب الله ، وخلاف سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وخلاف اجماع الأمة .

وهكذا السنة للمسافر أن يصلى الرباعية ركعتين ، والقصر أفضل له من التربيع عند الأئمة الأربعـة ، كمذهب مالك وأبى حنيفة وأحمد والشـافعى فى أصح قوليه .

ولم تتنازع الأمة فى جواز الفطر للمسافر ، بل تنازعوا فى جواز الصيام للمسافر . فذهب طائفة من السلف والخلف الى أن الصائم فى السفر كالمفطر فى الحضر ، وأنه اذا صام لم يجزه ، بل عليه أن يقضى ، ويروى هذا عن عبد الرحمن ابن عوف وأبى هريرة ، وغيرهما من السلف . وهو مذهب أهل الظاهر ، وفى الصحيحين عن النبى صـلى الله عليه وسلم انه قـال : « ليس من البر الصوم فى السفر » .

ثم قال فى مقدار السفر : وقال طائفة من السلف والخلف بل يقصر ويفطر فى أقل من يومين ، وهذا قول قوى ــ فانه ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى بعرفة ومزدلفة ومنى يقصر الصلاة ، وخلفه أهل مكة وغيرهم يصلون بصلاته ، ولم يأمر أحدا منهم باتمام الصلاة .

وسئل عمن يكون مسافرا فى رمضان ولم يصبه جوع ولا عطش ولا تعب ، فما الأفضل له ؟ الصـيام أم الافطار ؟ فأجاب ، أما المسـافر فيفطر باتفاق المسلمين ، وان لم يكن عليه مشقة ، والفطر له أفضل ، وان صام جاز عند أكثر العلماء ومنهم من يقول لا يجزئه .

ونحن نورد هنا حديث جابر رضى الله عنه قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح الى مكة فى رمضان ، فصام حتى بلغ (كراع الغميم) فصام الناس ، ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس ، ثم شرب ، فقيل له بعد ذلك : إن بعض الناس قد صام ، فقال : أولئك العصاة ، أولئك العصاة » .

وعن أنس رضى الله عنه قـال : كنا مع النبى صـلى الله عليه وسلم فى سفر ، فمنا الصائم ومنا المفطر ، فنزلنا منزلا فى يوم حار ، أكثرنا ظلا صـاحب الكسـاء ، ومنا من اتقى الشمس بيده ، فسقط الصوام ، وقـام المفطرون ، فضربوا الأبنية ، وسقوا الركاب ، فقـال النبى صلى الله عليه وسلم : « ذهب المفطرون اليوم بالأجر » .

(فى قصر الصلاة)

وتأتى هذه الرخصة فى قصر الصلاة بالسفر كما أشار ابن تيمية فى كلامه الذى نقلناه آنفا وقال تعـالى (واذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جنـاح أن تقصروا من الصلاة) ويذكر بعض العلماء أن هـذه الرخصة لا تقتصر على عدد الركعـات ، بل تشمل صفة الصلاة ذاتها ، فالصلاة ومـا فيها من قيام وركوع وسجود قد تعوق المقاتل أو الضارب فى الأرض ، وهو فى حاجة كذلك الى صلته الدائمة بالله ، فيراد بالقصر هنا كذلك القصر فى صفة الصلاة ذاتها ، كالقيام بلا حركة ولا ركوع ولا سجود ولا قعود للتشهد .

والقصر فى السفر هو سنة النبى صـلى الله عليه وسلم وسنة خلفـائه الراشدين ، ولم يصل رسول الله فى السفر أربعا قط . ولذا ذهب بعض العلماء الى أن القصر واجب .

والمحققون على أن مسافة القصر ليس لها قدر محدود ، وكان صلى الله عليه وسلم يصلى فى حجة الوداع بمنى وعرفة ركعتين ، وخلفه أهل مكة وغيرهم . ولم ينقل عنه أنه قال لهم هناك أتموا صلاتكم فانا قوم سفر . ولكن نقل أنه قال ذلك فى غزوة الفتح لما صلى بهم داخل مكة ، وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :

« فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، ثم زيد فى صلاة الحضر ، وأقرت صلاة السفر » ولم يحد النبى صلى الله عليه وسلم مسافة القصر بحد ، لا زمانى ولا مكانى ، ولذا قال ابن تيمية : « إن المسافر يقصر الصلاة فى كل سفر ، ومن قصر السفر الى طويل ، وقصير ، وخص بعض الأحكام بهذا وبعضها بهذا ، وجعلها متعلقة بالسفر الطويل فليس معه حجة يجب الرجوع اليها » .

(والجمع بين الصلاتين)

ويتبع رخصة القصر رخصة الجمع ، وهو تخفيف على الأمة سواء كان السفر لحرب أو لغير حرب .

ونفى الجناح فى قوله تعالى : (وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) لبيان الحكم وإزالة الشبهة . ونظيره قوله تعالى : (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) فان نفى الجناح لأجل الشبهة التى عرضت لهم من الطواف بينهما فى الجاهلية .

وذكر الخوف فى الآية لأن القصر يتناول قصر العدد وقصر الأركان على نحو ما ذكرنا من قبل ، فالخوف يبيح القصر الأركان والسفر يبيح قصر العدد ، فاذا اجتمعا أبيح القصر بالوجهين .

وقد راعى كثير من العلماء روح الاسلام فى رخصة الجمع ، وما روى من أن النبى صلى الله عليه وسلم جمع فى غير سفر ، فقالوا بجواز الجمع للمرض والحرج والشغل والمطر والوحل والريح الشديدة الباردة .

ومن باب اليسر فى هذا كذلك ما ثبت من أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى على راحلته فى السفر قبل أى وجه توجهت به ، ويوتر عليها ، غير أنه لا يصلى عليها المكتوبة .

(وفى التيمم)

ندع رخصة القصر والجمع فى السفر فنجد رخصة التيمم لفاقد الماء حقيقة أو حكماً .

إن الطهارة شرط من شروط صحة الصلاة ، والأصل فيها أن تكون بالماء . ولكن الانسان قد يفقد الماء ويتعذر حصوله عليه ، وقد يكون مريضا يتأذى باستعماله ، فيكفيه فى مثل هذا أن يقصد صعيدا طيبا ، فيضرب بكفيه ، ثم ينفضهما ، ثم يمسح بهما وجهه وكفيه .

وتدل آية التيمم على أن الله لا يريد أن يعنت الناس ويحملهم على الحرج والمشقة بالتكاليف ، إنما يريد أن يطهرهم ويتم عليهم نعمته (يأيها الذين آمنوا إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا

فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) .

فالطهارة الروحية هي المقصد الأسمى فى العبادة وان تبعتها الطهارة الحسية ،وجانب التطهر الروحى أقوى من جانب التطهر البدنى ، وان هدف الاسلام هو طهارة الظاهر والباطن . فحين يتعذر استخدام الماء يستعاض عنه بالتيمم الذى لا يحقق طهارة الجسد بنظافته ، وإنما يحقق الجانب الأقوى فى القصد الى تطهير الروح (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم) .

وبهذا المعنى تنكشف الغشاوة عن أعين أولئك الذين يرون فى الاهتمام بنظافة الجسد كفاية لهم . أو يرون مشروعية التيمم متنافية مع القصد الى النظافة . فان القصد الأول إنما هو لتطهير الروح لا لتطهير البدن .

والتيمم من خصائص هذه الأمة ، ففى الصحيحين : « وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل » .

والفقهاء يذكرون رخصة التيمم عند العجز عن استعمال الماء لعدمه ، أو لضرر فى استعماله ، من حرج أو برد شديد أو مرض يخشى زيادته ، أو تطاوله أو عطش يخافه على نفسه أو رفيقه أو بهيمته ، لأن للروح حرمة ، وسقيها واجب ، ولهذه الأحوال كلها أدلتها المبسوطة فى كتب الفقه » .

٣ ــ رفع الحرج فى نواة المجتمع بحياة الأسرة :

إن الأسرة هى نواة المجتمع ، وفى مهدها تتربى الطفولة التى هى ذخيرة المستقبل ، والرصيد الانسانى الممتد على طول الزمن ، وفى جو الأسرة الذى يعبق بصلات الود والمرحمة تنمو المواهب الفطرية الأولى فى حياة الطفولة .

والأسرة فى الاسلام تولد فى المجتمع لتبقى وتدوم حفاظا على النوع الانسانى ، واستمرارا لجهده الحضارى فى الحياة .

والعلاقات القائمة بين الزوجين فى الاسلام تتساوى فيها الحقوق والواجبات بما يقطع دابر المنازعة والخصومة وهى العدل الإلهى الذى لا اجحاف فيه لواحد من الزوجين . قال تعالى (لينفق ذو سعة من سعته) وقال عليه الصلاة والسلام « ولهن عليكم نفقتهن وكسوتهن بالمعروف » وقال لهند (خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف) .

وما دامت الأسرة وجدت لتبقى . حتى لو فسدت الحياة بين الزوجين وانفصمت عراها ، فإن نظام الأسرة فى الاسلام نظم تلك العلاقة التى بقيت بعد انفصام الزوجين بالطلاق ، وهى علاقة النسل الذى ساهم كلاهما فيه .

فعلى الوالدة ــ وإن كانت مطلقة ــ أن ترضع طفلها حولين كاملين . وهى الفترة الطبيعية لنمو الطفل نموا سليما من الوجهة الصحية والوجهة النفسية ، يتغذى من لبن أمه ، ويستدفىء بعاطفتها ، وعلى والد الطفل فى مقابل هذا أن يرزقها ويكسوها بالمعروف . فكل منهما يقوم بواجبه بقدر طاقته (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها) .

وليس انفصام الحياة الزوجية حدا فاصلا لعلاقاتها ، بل تظل هناك التزامات فى النفقة والسكنى أو السكنى وحدها على التفصيل الفقهى لدى العلماء ، وهذه الالتزامات فى حدود المقدرة لدى الزوج ومستوى حياته ، لا أقل ولا أكثر بلا مضارة أو تضييق ، وخص ذوات الحمل بالنفقة ، وان طالت المدة

الى أن يضعن حملهن ، ومن حقهن بعد ذلك اذا قمن بالرضاع أخذ الأجر لتستعين الأم به على حياتها ، وعلى أدرار اللبن لصغيرها . وما الطفل سوى الثمرة المشتركة بين الأب والأم ، وهو أمانة لديهما ، يتشاوران فى أمره بالمعروف ، حتى لا تجنى عليه نكبة فشلهما وهو الصغير البرىء .

وتقدر هذه النفقة باليسر والعدل ، لا يتعنت الرجل ، ولا تتعنت المرأة ، فمن وسع الله عليه رزقه فلينفق عن سعة ، ومن ضيق عليه فى الرزق فلا حرج عليه ، فالله هو المعطى ، ولن يكلف الله أحدا أن يعطى إلا فى حدود ما أعطاه ، وهو وحده القابض الباسط ، ومنه يكون الفرج بعد الضيق . واليسر بعد العسر (اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له أخرى . لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا) .

٤ ــ رفع الحرج بأسس الحياة الاجتماعية فى التعامل بين الناس :

الاسلام هو شريعة الله المتكاملة فى العقيدة والعبادة والمعاملة ، ومن عقيدته التى تقوم على توحيد الله وحده تنبثق شرائعه كلها ، فهى القاعدة التى يرتبط على أساسها الفرد بالله على بصيرة ، وترتبط بها الجماعة بالمعيار الثابت الذى ترجع اليه فى كافة الروابط ، فى رابطة الأسرة بأجيالها المتلاحقة ، وفى رابطة العلاقات الاجتماعية والتعامل على اختلاف أنواعه ، وتأتى هذه الشرائع فى تناسق محكم فى الوصايا المتتابعة بسورة الأنعام مبتدئة بالقاعدة الأولى فى وحدانية الله وعدم الاشراك به ، وتتلوها القيم الاسلامية الكبرى ، الى أن تأتى المعاوضات المالية بين الناس .

والمعاوضات المالية أساسها التجارة والبيع والشراء ، وضابط ذلك الكيل والميزان ، وقاعدة الاسلام فى هذا تحرى العدل والانصاف . وذلك يوهم النفس بمشقة القيام به ، فان التبادل التجارى هو محور النشاط اليومى فى حياة الفرد وحياة الأمة ، وقلما تمر ساعة دون أن يتم هذا التبادل بين طرفين ، ولكن الله تعالى يرفع الحرج فى ذلك ما توفر القصد الحسن فى أن تكون المعاوضات بالقسط (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها) .

وبهذا يكون الاسلام قد رفع الحرج عن شعب الحياة الانسانية كلها .

رفع الحرج عن حديث النفس وخواطر القلب .

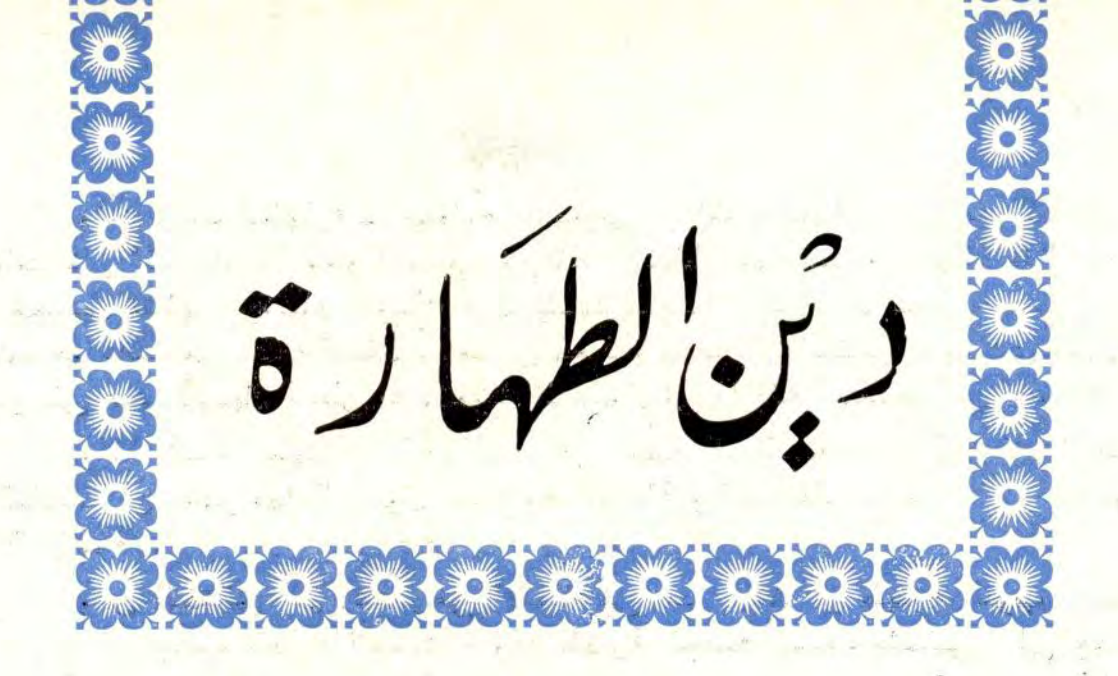
ورفع الحرج فى الدين عامة وفى العبادات خاصة .

ورفع الحرج فى نواة المجتمع بحياة الأسرة .

ورفع الحرج بأسس الحياة الاجتماعية فى التعامل بين الناس .

هذا وان النصوص الواردة فى رفع الحرج قد جاءت بصيغة العموم مع تأكيد مدلولها ، فالحرج جاء نكرة فى سياق النفى ، والنكرة فى سياق النفى تعم ، وأكد هذا بمن الزائدة التى تفيد التنصيص على العموم (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) وكذلك نفس المكلف جاءت نكرة فى سياق النفى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) (لا تكلف نفس إلا وسعها) .

وقد أراد الله بذلك حكمة نتكلم عنها فى عدد قادم إن شاء الله .



دين الطهارة

للأستاذ : جمال الدين عياد

كانت تاسع آية نزلت من القرآن الكريم دعوة الى الطهارة أو أمرا بها ، اذ يقول تعالى لرسوله : (وثيابك فطهر) ، والمعنى — كما ذهب ابن سيرين — هو أن يغسل — عليه السلام — ثيابه بالماء ، ويحفظها طاهرة(١) ، أو يداوم على هذا بعبارة أدق ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتصور منه غير حفظ ثيابه طاهرة .

ومن الملاحظ أن الله سبحانه وتعالى لم يبين لرسوله الكريم فى هذه الآية أنواع النجاسات التى تستلزم الطهارة . وأكبر الظن أن الذوق الشخصى كان هو الفيصل فى هذا الشأن فى أول الأمر ، بمعنى أن الله سبحانه انما أراد — فى البداية — أن تكون الطهارة مما تستقذره النفس بطبيعتها ، أو مما يعافه الطبع السليم ، كنحو البول والغائط . ثم لم تلبث أن تحددت أنواع النجاسات المنهى عنها فيما تتابع من آيات وأحاديث ، ولم يعد الأمر قاصرا على ما تستقذره النفس بطبيعتها . . فان مشروبا كالخمر عده الاسلام نجسا ، مع أنه ليس مما تستقذره النفس ، وانما عده كذلك توسلا لابعاده وتحريمه(٢) .

ولقد كان الرسول — عليه الصلاة والسلام — يحرص دائما على حفظ ثيابه طاهرة من القذر ، فكان يقصر ثيابه حماية لها من أقذار الطريق ، على غير عادة مشركى العرب ، الذين كانوا يطيلون ثيابهم ويجرون أذيالهم ، ولا يحفظونها من القذر(٣) ، وكان — عليه الصلاة والسلام — يقول : (ازرة * المؤمن الى أنصاف ساقيه ، لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين ، ما كان أسفل من ذلك ففى النار)(٤) .

---

(١) الطبرى ، جامع البيان ، ج ٢٩ ، ص ١٤٦ .

(٢) القرافى ، الفروق ، ج ٢ ، ص ٣٤ .

(٣) راجع : أبو حيان البحر المحيط ، ج ٨ ، ص ٣٧١ . (*) الازرة بالكسر ، الحالة وهيئة الائتزار .

(٤) راجع : القرطبى ، الجامع لاحكام القرآن ، ج ١٩ ، ص ٦٤ . (يراعى أن الوعيد خاص بمن يطيل ثوبه خيلاء كما تفيد أحاديث أخرى) .

ولقد كانت الطهارة ــ بمعناها الحقيقى ــ نقطة البداية لمن يريد الاسلام ، فلقد كان المشرك اذا وقع الاسلام فى قلبه تساءل عما يصنع ، فكان يقال له : (تغتسل فتطهر ، وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى ركعتين) ، كما هو ثابت فى قصة اسلام سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير ، سيدى قومهما من بنى عبد الأشهل ، على يد مبعوث الرسول فى المدينة : مصعب بن عمير[٥] .

واذا كانت الطهارة ــ هكذا ــ هى نقطة البداية فى الاسلام ، فمن المناسب أن يؤمر بها الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ فى بداية الدعوة الاسلامية .

ومن الحقائق التى تسترعى الانتباه فى هذا المقام أن طهارة الثوب ليست بشىء الى جانب طهارة الجسد ، وأن طهارة الجسد ليست بشىء الى جانب طهارة النفس . فلا خير فى أطهر ثوب اذا ضم جسدا نجسا ، ولا خير فى أطهر جسد اذا ضم نفسا آثمة ، اذ العبرة بالقلوب والأعمال ، لا بالثياب والأجساد . وهذه الحقيقة التى تعتبر من البديهيات توحى بحقيقة أخرى ، وهى أن دينا يبلغ اهتمامه بالطهارة الى درجة الأمر بطهارة الثياب لا بد أن يكون اهتمامه بطهارة الجسد وبطهارة النفس ــ وهى المخبر لا المظهر ــ أعظم ، كمثل الأمر بطاعة الأخ الأكبر مثلا : يوحى بأن طاعة الوالد أوجب ، ولا يعنى مطلقا أن طاعة الاخ هى المقصودة دون طاعة الوالد .

ولئن كان الأمر بتطهير الثوب يوحى بأن طهارة النفس والجسد أوجب ، فان الأمر بتطهير الجسد لا يوحى بوجوب تطهير الثوب ، وان كان يوحى بوجوب تطهير النفس ، بينما الأمر بتطهير النفس لا يوحى بوجوب تطهير الجسم والثوب وخاصة فى مثل بيئة الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ عند البعثة ، حيث جرت العادة على عدم الاحتراز من النجاسة ، ومن ثم كان الأمر بتطهير الثياب أوسع معنى من الأمر بتطهير النفس أو بتطهير الجسد .

ولقد قسم الفقهاء الطهارة الى طهارتين :

١ ــ طهارة من الحدث ، وهى ثلاثة أصناف : وضوء ، وغسل ، وبدل منهما وهو التيمم .

٢ ــ وطهارة من الخبث أو النجس[٦] ، وهى تتعلق بثلاثة محال :

أ ــ الأبدان .

ب ــ والثياب .

جـ ــ والمساجد أو مواضع الصلاة[٧] .

وهذه الطهارة الثانية أعنى الطهارة من الخبث أو النجس ــ هى التى تهمنا فى هذا المقام . فان الآية التى نعرض لها فى هذا المقال : « وثيابك فطهر » ، هى الأصل فى طهارة الثياب ، وفى طهارة الأبدان أيضا ، باعتبارها أولى ، كما قال البعض[٨] ، وكما أشرنا من قبل .

---

(٥) راجع : ابن هشام ، سيرة النبى ، جـ ٢ ص ٤٤ ، ٤٥ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٣ ، ص ١٥٣ .

(٦) ابن رشد ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، جـ ١ ، ص ، ٧٤ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٨٢ .

(٨) الكاسانى ، بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع ، جـ ١ ص ١١٤ .

وأما طهارة المساجد أو مواضع الصلاة ، فالأصل فيها من الكتاب قوله تعالى : (وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود)(٩) .
فأما الأصل من السنة فى الطهارة من الخبث أو النجس :

١ ــ فهو فى الثياب :

أ ــ أمره صلى الله عليه وسلم ــ بغسل دم الحيض من الثوب ، اذ أتته امرأة فقالت : احدانا يصيب ثوبها من دم الحيضة كيف تصنع به ؟ قال (تحته ثم تقرصه بالماء ، ثم تنضحه ، ثم تصلى فيه)(١٠) .

ب ــ صبه ــ عليه الصلاة والسلام ــ الماء على بول صبى بال عليه ، فلقد روت عائشة أن صبيا بال على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا ــ عليه الصلاة والسلام ــ بماء فأتبعه بوله ولم يغسله . وفى بعض الروايات : فدعا بماء فصبه عليه(١١) .

٢ ــ وفى الأبدان :

أ ــ قوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ فى صاحب القبر : (أما انهما ليعذبان ، وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستنزه من البول)(١٢) .

ب ــ أمره ــ عليه الصلاة والسلام ــ بالاستنجاء ، اذ يقول ــ عليه الصلاة والسلام ــ :
(اذا ذهب أحدكم الى الغائط فليستطب بثلاثة أحجار ، فانها تجزىء عنه)(١٣) .

٣ ــ وفى المساجد ، ومواضع الصلاة : أمره ــ عليه الصلاة والسلام ــ بصب ذنوب من ماء على بول أعرابى بال فى المسجد(١٤) .

وهذا الذى قدمناه من أصول الطهارة الثانية فى الكتاب والسنة محمول على الوجوب لا على الندب المعروف بالسنة ، لأنه يتضمن أوامر ، والأوامر تقتضى الوجوب ، ولا تصرف الى الندب الا بدليل(١٥) ، ولا دليل ، فضلا عن أن حديث الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ عن صاحبى القبر يقتضى الوجوب ، لأن العذاب لا يتعلق الا بالواجب ، كما قال ابن رشد(١٦) .
أضف الى هذا أن وجوب الطهارة من النجاسة وجوب على الفور ، لأنه

---

(٩) السورة ٢٢ الآية ١٦ ، راجع : الكاسانى ، بدائع الصنائع ، جـ ١ ص ١١٥ .
(١٠) صحيح مسلم بشرح النووى ، جـ ٣ ص ١٩٩ .
(١١) المصدر السابق ص ١٩٣ .
(١٢) المصدر السابق ص ٢٠٠ .
(١٣) الشوكانى ، فى نيل الأوطار ، جـ ١ ، ص ١٠٤ (ويراعى أن ذلك كان للسنة التى لا يكثر فيها الماء : ولذا قال فانها تجزىء عنه) . الوعى .
(١٤) صحيح مسلم بشرح النووى ، جـ ٣ ، ص ١٩٠ .
(١٥) راجع : ابن حزم ، الاحكام فى أصول الاحكام ، ص ٢٦١ .
(١٦) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، جـ ١ ص ٧٥ (*) راجع فى وجوب حمل الامر على الفور ما لم يقم دليل على الارجاء : ابن حزم ، الاحكام ، جـ ٣ ، ص ٢٥٩ .

لا دليل على التراخى * فلا تجوز ملابسة النجاسة فى الثوب أو فى البدن ، أو ارجاء تطهيرها ، الى أن يحين وقت الصلاة ، سيما وأن الصلاة لم تكن قد فرضت حين نزلت الآية التى نعرض لها ، والتى تعتبر أصلا فى طهارة الثياب ، وطهارة الأبدان من باب أولى ، كما قدمنا ، وعليه يبطل ما ذهب اليه البعض(١٧) من جواز لبس الثوب النجس فى غير وقت الصلاة .

أضف الى هذا أن الطهارة ليست مجرد واجب يأثم تاركه ، فلقد أصبحت — منذ فرضت الصلاة المكتوبة — شرطا فى صحتها كالوضوء ، بحيث لا تصح الصلاة ، ولا تقبل عند الله الا بها . ودليل هذا قول الرسول عليه الصلاة والسلام : (مفتاح الصلاة الطهور)(١٨) ، فهو كقوله : (مفتاح الجنة لا اله الا الله) يفيد الحصر(١٩) ، بمعنى أن مفتاح الصلاة الطهور لا سواه ، كما أن مفتاح الجنة لا اله الا الله لا سواها ، وعليه ، فان الصلاة لا يمكن الدخول فيها بغير الطهور ، ومن افتتحها بغير مفتاحها — وهو الطهور — عوقب عقوبة تاركها ولزمه القضاء .

وكلمة الطهور فى الحديث عامة ، ولا دليل على تخصيصها بالوضوء مثلا ، فهى تشمل الطهارة من النجس ، كما تشمل الطهارة من الحدث ، على حد سواء ، بحيث يصلح الحديث — فيما نرى — دليلا على شرطية الطهارة الحقيقية للصلاة ، كما يصلح دليلا على شرطية الطهارة الحكمية .

وقد شذ البعض فزعم أن ازالة النجاسة ليست شرطا لصحة الصلاة واحتج هؤلاء :

أ — بما ثبت من أن عقبة بن أبى معيط ، رمى على ظهر الرسول وهو ساجد يصلى سلا جزور * بالدم والفرث ، فلم يقطع — عليه الصلاة والسلام — صلاته ، وظل ساجدا ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة فجاءت فطرحته عنه(٢٠) . فظاهر هذا أنه لو كانت ازالة النجاسة شرطا للصلاة كالوضوء لقطع الصلاة(٢١) .

ب — وبما روى من أنه — عليه الصلاة والسلام — كان فى صلاة من الصلوات يصلى فى نعليه ، فطرح نعليه ، فطرح الناس لطرحه نعليه ، فلما سلم أنكر ذلك عليهم ، عليه الصلاة والسلام ، وقال : لم خلعتم نعالكم ؟ قالوا : رأيناك خلعت فخلعنا ، فقال : ان جبريل أتانى فأخبرنى أن فيهما قذرا ، ثم قال : اذا جاء أحدكم المسجد فليقلب نعليه ، ولينظر فيهما ، فان رأى خبثا فليمسحه

---

(١٧) ابن حزم ، الاحكام فى أصول الاحكام ص ٧٠٨ .

(١٨) الحافظ المنذرى ، مختصر سنن أبى داود جـ ١ ص ٤٥ ، صحيح الترمذى بشرح الامام ابن العربى ، جـ ١ ص ١٥ .

(١٩) راجع تهذيب الامام ابن قيم الجوزية على هامش مختصر سنن أبى داود للمنذرى ، جـ ١ ، ص ٤٥ . (*) السلا : هو الذى يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة .

(٢٠) راجع : المنتخب من السنة ، جـ ١ ، ص ٨٣ (رواه مسلم) .

(٢١) ابن رشد ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، جـ ١ ص ٧٥ .

بالأرض ثم ليصل فيهما(٢٢) ، فظاهر هذا الحديث ــ كما يقول ابن رشد ــ ان ازالة النجاسة لو كانت شرطا للصلاة ، لما بنى ــ عليه الصلاة والسلام ــ على ما مضى من الصلاة(٢٣) .

وربما جاز لنا أن نقول ان هاتين الحجتين من النوع الذى يتطرق اليه الاحتمال فيسقط به الاستدلال ، فانما رمت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلا البعير قبل أن تفرض الصلاة المكتوبة فى أكبر الظن ، فالراجح ــ كما رأى ابن كثير فى البداية والنهاية ــ أن هذه الحادثة وأمثالها انها كانت بعد وفاة أبى طالب(٢٤) ، اذ يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب)(٢٥) وقد كانت وفاة أبى طالب قبل الهجرة بسنوات ثلاث(٢٦) ، وكان الاسراء الذى فرضت فيه الصلاة على المسلمين قبل الهجرة بسنة أو بستة عشر شهرا(٢٧) ، وأكبر الظن أن حادثة الرمى بسلا البعير لم تتأخر كثيرا عن وفاة أبى طالب ، ان لم تأت بعدها مباشرة ، لأن قريشا كانت تنتهز الفرص للاساءة الى رسول الله ، وتجد فى أبى طالب عقبة دون هذا وأحسب أنها لما مات سارعت الى الاساءة التى طالما تمنتها ومنعت عنها ، فتمادت فى الايذاء حتى بلغت الغاية ، وعليه تكون الحادثة قبل الاسراء . أى قبل فرض الصلاة على المسلمين .

واذا جاز أن تكون الحادثة دليلا على حكم شرعى ، فانما يتعلق هذا الحكم بصلاة الرسول الأولى السابقة لفرض الصلاة على سائر المسلمين ليلة الاسراء ، وأحكام هذه الصلاة خاصة بها ، ولا تصلح أن تتعداها الى غيرها ، سيما وأن هذه الصلاة لم تكن كصلاتنا ، وانما كانت ركعتين ، فأما أحكام الصلاة المفروضة ليلة الاسراء ، فانما تستمد من أفعال الرسول وأقواله بعد أن أسرى به ، والدليل على شرطية الطهارة لصحة الصلاة ما قدمناه من قول الرسول عليه الصلاة والسلام (مفتاح الصلاة الطهور) .

وكذلك يتطرق الاحتمال الى الحجة الثانية ، فانما أخبر جبريل رسول الله أن بنعليه قذرا ، والقذر ــ كالخبث ــ يحتمل النجس وغير النجس ، وأكبر الظن أن الذى أصاب نعل رسول الله غير نجس ــ وهذا هو رأى الجمهور(٢٨) ... وأن المراد تنزيه بيوت الله عن القذر ولو كان طاهرا ، وانما جاء التنبيه من جبريل أثناء الصلاة لقوة اللفت .

---

(٢٢) الشوكانى ، نيل الأوطار ، ص ٥٥ .

(٢٣) ابن رشد بداية المجتهد ، جـ ١ ص ٧٥ .

(٢٤) جـ ٣ ، ص ١٣٥ .

(٢٥) تاريخ الطبرى ، جـ ٢ ، ص ٣٤٣ (طبعة دار المعارف) .

(٢٦) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٣٤ .

(٢٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ١٠٨ .

(٢٨) راجع : الشوكانى ، نيل الأوطار ، جـ ٢ ، ص ١٢٥ .

في غار ثور ...

« في غار حراء وجد محمد حقيقة الوجود . . . »
« وفي غـار ثور وجـد حقيقة الانسان . . . »

في غـار ثور .. وعلى صخوره
مختلفين في الشعور بالذى
كان أبو بكر حزينا .. خائفا ..
وكان مـا يحـذر يلقى عبئه
ولم يكن محمـد يحمل مـا
في قلبه سكينة .. في روحه
ترن أصداء الوجـود كله
وتلتقى الآزال والآباد في
وتشرق الشموس في ضلوعه

يضطجع الانسان والصديق
يخبـؤه الظلام والطريق
بكل شيء حوله .. يضيق
عليه .. وهو ناحل رقيق
يحمل هذا الصاحب الرفيق
محبة .. في عينه بريق
فيه .. ويعلو رجعها العميق
أغواره .. والزمن السحيق
فقلبه في ضوئها غريق ..

◆

كان الحديث هامسا .. يشبه أن
يكشف عن يقين قلب طامح
مستصغرا أحلام قوم جهلوا
مناضلا يعرف مـا يريده
حين رآهم جمعوا جموعهم
قال أبو بكر .. أراهم وصلوا
تسلقوا الصخر الينا .. وارتمى
لعلهم قد عرفوا مكاننا
لا خير في العيش اذا مـا اخذوا

يكون في ثغريهما خريرا
يحمل فيه فرحا كبيرا
من الحياة القصد والمصيرا
متخذا من عزمه نصيرا
ـ جهلا وبغيا ـ بدأ المسيرا ..
يـا للأسى ! وقد دنوا كثيرا
على الرمال .. ظلهم حقيرا
فدبروا الأمر له تدبيرا
محمدا في يدهم أسيرا ..

◆

قال أبو بكر .. عليك لا على
الشر فيهم غاضب .. والحقد في
انى ان أهلك .. هلكت واحدا
وانت .. من بعدك للأمة .. من

نفسى .. أخاف القوم .. يـا محمد
انفسهم مشتعل .. لا يخمد
ولا يضير الناس أنى أفقد
غيرك يرجى هديه .. ويحمد

للأستاذ
أحمد مخيمر

بعثت بالنور لأرض غرقت ... فى ليل جاهلية .. لا ينفد
وكنت نبع الحكمة العليا .. صفت ... مياهه .. وطاب فيه المورد
فما لهم لم يعرفوا .. وما لهم ... لم يبصروا .. وما لهم لم يهتدوا
وكيف يعصى من يقول .. أصلحوا ... وليس يعصى من يقول .. أفسدوا
بلا عقول حملوا طغيانهم ... وفى حمى غرورهم تمردوا ..

◆ ◆

قال له .. اصغ الى .. اننى ... أرى بعينى الزمن العجابا
من بدئه أراه .. لانتهائه ... كأنما أقرؤه كتابا
وأشهد الحق .. وألقى شمسه ... تنتظم الوجود والأحقابا
وتمنح السلام والحب لها ... والعيش نضرا .. والمنى عذابا
أن ينكروها .. فعيون لا ترى ... قد لبست من جهلهم حجابا
عاشوا وماتوا .. لا ترى من بينهم ... من لم تكن حياته سرابا
ويوم يبعثون من قبورهم ... ويبصرون الهول والعذابا
لن يجدوا أما .. ولا أبا ... ولا ... أخا .. ولا أهلا .. ولا صحابا
وسوف لا تسمع الا صوتهم ... يا ليتنا كنا بها ترابا ..

◆ ◆

يا صاحبى .. قد آن أن نسير أن نعبر للمستقبل المنشود
الليل ساكن الظلام .. نائم ... على الروابى .. وعلى الوهود
والباحثون فيه عنا .. رجعوا ... باليأس والظلمة والجحود
فاجعل من العزم دليلا .. وامض لا تنظر بعين الخائف المطرود
واصبر على ما يصفون ... انهم ... ضحية العناد والحقود
والصبر زاد المؤمنين ... والتقى ... خلاصهم من عنت القيود
أكاد أن أبصر نخل يثرب ... وأهلها .. فى ظله الممدود
ومنطقى الدفوف بالحنين فى ... قلوبهم .. وحاملى البنود
يا صاحبى .. هيا بنا .. غدا ترى ... حقيقة الانسان فى الوجود

جريمة الزنا

بين الشريعة والقانون

للأستاذ
توفيق علي وهبة

اتفقت جميع الشرائع السماوية على محاربة جريمة الزنا لمخالفتها للعقيدة والعقل . وللقرآن الكريم طريقة فريدة فى معالجة هذه الجريمة ، والقضاء عليها قضاء مبرما لما لها من أثر سيىء على تقويض بنيان المجتمع لشيوع الرذيلة فيه واختلاط الانساب بين أفراده . ولقد عالج القرآن الكريم الزنا فى سبع مواضع مبتدئا باستنكار الجريمة ، ثم التحذير والانذار ، وأخيرا بوضع عقاب محدد لها .

أولا ــ استنكار القرآن وتحذيره وانذاره لمرتكبى الزنا :

١ ــ كان أول ذكر للزنا فى الآية ٣٢ من سورة الاسراء « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا . »

٢ ــ ثم نزلت آيات « والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » (المؤمنون ٥/٧) .

٣ ــ ثم نزلت آيتا : « والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون . ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف لـه العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا » (الفرقان ٦٨/٦٩) .

وكل هذه الآيات نزلت بمكة المكرمة(١) ولم يشر القرآن الكريـــم الى أى عقاب للجريمة وانما بدأ بالتنفير منها واستنكارها والنهى عنها .

ثانيا : عقاب الزنا فى القرآن الكريم :

١ ـــ اتجه القرآن بعد ذلـــك الى وضع عقاب لهذه الجريمـــة فى الآيتين ١٦/١٥ من سورة النساء وقد نزلت بالمدينة المنورة حيث قرر حبس الزانية فى البيت حتى الموت أو يجعل الله لها سبيلا بالزواج ، أما بالنسبة للزانى فيضرب . يقول الله تعالى :

« واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا . واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيمـــا » .

٢ ـــ وبعد ذلك تقرر أن يكون حد الزانى والزانية مائة جلدة والمجمع عليه أن هذا الحد الوارد بالآيتين ٢ ، ٣ من سورة النور بالنسبة للزانية أو الزانى غير المحصن (غير المتزوج) مع تغريبه أى نفيه خارج البلدة لمدة سنة . كما ثبت بالسنة الشريفة القولية والفعلية أن حد الزانى المحصن والزانية المحصنة (أى المتزوج والمتزوجة) هو الرجم حتى الموت وقيل إن هذا الحد كان مقررا بنص القرآن وقـــد نسخت آية الرجم تـــلاوة وان بقى حكمها . « الزانيـــة والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتـــم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين . الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة . والزانية لا ينكحها الا زان أو مشـــرك وحـــرم ذلك على المؤمنين » (سورة النور ٣/٢) .

٣ ـــ ولقد خطا التشريع الاسلامى خطوة أخرى حيث وضع عقابا للأمة المحصنة اذا زنت وقدره بنصف عقاب الحره أى بخمسين جلده « ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن أهلهن ، وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخـــذان فاذا أحصن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشى العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم (النساء / ٢٥)

٤ ـــ وكانت آخر آيات نزلت فى جريمة الزنا هى آيات اللعان أى اتهام الزوج لزوجته بالزنا وليس لديه شهود على ذلك فيشهد بالله بالطريقة الواردة فى الآيات على صحة ادعائه ، وعليها أن ترد ادعاءه بأن تشهد بالله على كذبه فان شهدت لم يقم عليها الحد ، وان امتنعت أقيم عليها ، أما اذا لم يشهد الزوج فيحد حد القذف ، ولقد قرر الرسول عليه الصلاة والسلام عقوبة تبعية فى هذه الحالة وهى التفريق بين الزوجين « والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين ، والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين » . (النور ٩/٦) .

ولما كانت جريمة الزنا من أبشع الجرائم التى ترتكب ضد الشرف والخلق والكرامة وتؤدى الى تقويض بنيان المجتمع وتفتيت الأسر واختلاط الأنســـاب

وقطع العلاقة الزوجية وسوء تربية الأولاد فقد وضع لها الشارع عقوبة غليظة حتى يرتدع كل من تسول له نفسه ارتكاب هذه الجريمة عندما يقارن بين ما سيجنيه من لذة عارضة ، وبين ما سيقع عليه من العقوبات . فعقوبة الزنا قصد بها أولا الردع والتخويف أكثر منه التنفيذ .

ونظرا لما لهذه الجريمة من وضع خاص يمس العرض والشرف فقد احتاط المشرع الاسلامى فى اثباتها ووضع لذلك شروطا يكاد يكون من العسير توافرها .

كيفية ثبوت الجريمة

تثبت جريمة الزنا باحد أمرين : الاقرار أو شهادة الشهود

أولا : الاقرار : وهو أن يعترف الزانى بجريمته بشرط أن يكون عاقلا بالغا صحيحا وأن يكون الاقرار قولا لا كتابة ، وأن يكون صريحا بأرتكاب الزنا ، وعند المالكية والشافعية يحد الأخرس أن فهم من اشارته ارتكابه لجريمة الزنا . وان يكون الاقرار أربع مرات فقد روى أن ماعزا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فأقر بأرتكابه الزنا فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم وتكرر الاقرار أربع مرات والرسول يعرض عنه وفى الرابعة قال له عليه الصلاة والسلام !! أنك خبل ؟ أبك جنون ؟ قال : لا . فقال : فهل أحصنت قال نعم فأمر عليه السلام برجمه .

الرجوع عن الاقرار يسقط الحد :

واذا رجع المقر فى اقراره سقط عنه الحد ، فقد روى أن ماعزا حاول الفرار من الرجم فتبعه الناس حتى قتلوه ، وعندما ذكروا ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم لم يقرهم عليه وقال : « هلا تركتموه » كما لا يقبل اقرار المكره والسكران والمجنون والنائم .

الاقرار لا يتعدى صاحبه :

اذا أقر الزانى بزناه أقيم عليه الحد ، ولا يؤخذ اقراره صحة على من زنا بها ، فأن أنكرت لم يقم عليها الحد ، فقد روى الامام أحمد وأبو داود عن سهل ابن سعد أن رجلا جاء النبى صلى الله عليه وسلم فأقر بالزنا بامرأة سماها ، فأرسل صلى الله عليه وسلم فى طلبها فسألها فأنكرت فحده وتركها .

ثانيا : **شهادة الشهود**

تثبت الجريمة كذلك بشهادة الشهود ، ولكن نظرا لخطورة هذه الجريمة ، ولتدنيسها لعرض الأسرة ، والزوج والزوجة ، وتلويث شرفهما فقد تشدد الاسلام فى اثبات الجريمة ، فاشترط فى شهادة الزنا بالاضافة الى الشروط العامة فى الشهادة ، وهى : البلوغ والعقل والحفظ والرؤية والعدالة والاسلام وانتفاء مواقع الشهادة — ما يلى :

١ — أن يكون الشهود أربعة رجال بخلاف الشهادة على سائر الحقوق وذلك لقوله تعالى :

« واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم » وقوله

تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتو بأربعة شهداء » فان شهد ثلاثة وكانت شهادة الرابع لا تذكر الزنا صراحة كان يقول رأيتهم فى لحاف واحد ولم يزد على ذلك يحد الثلاثة عند الحنفية ، ولا حد على الرابع وحجتهم ماارووا أن ثلاثة شهود شهدوا على المغيرة بن شعبة بالزنا فقام الرابع وقال : « رأيت أقداما بادية ونفسا عاليا وأمرا منكرا ولا أعلم ما وراء ذلك » فقال عمر رضى الله عنه « الحمد الله الذى لم يفضح رجلا من أصحاب الرسول » وحد الثلاثة ، وكان ذلك بحضور الصحابة ولم ينكره أحد .

ويشترط فى الشهود أن يكونوا رجالا كلهم فلا تصح شهادة النساء .

٢ ـ أن تكون الشهادة صريحة بوصف الزنا وأن تكون بمعاينة فرجه فى فرجها كالميل فى المكحلة ، والرشاء فى البئر وقد أبيح النظر فى هذه الحالة الى الفرج للحاجة الى الشهادة .

٣ ـ أن تكون الشهادة صريحة على الفعل نفسه ، وأن يكون التصريح بالايلاج باللفظ الصريح لا بالكناية ولا بالكتابة .

٤ ـ أن تكون الشهادة من الأربعة فى مجلس واحد ، فلا تقبل شهادتهم فى مجالس متفرقة ، ولا فى أوقات متفرقة ، بل يجب أن تكون الشهادة فى مكان واحد وفى وقت واحد .

٥ ـ عدم التقادم لقول عمر رضى الله عنه « أيما قوم شهدوا على حد لم يشهدوا عند حضرته فانما شهدوا عن ضغن ولا شهادة لهم » .

فالشاهد اذا شاهد الجريمة فهو مخير فى اداء الشهادة حسبة ، أو التستر على أخيه المسلم لقول النبى صلى الله عليه وسلم « من ستر على أخيه المسلم ستر الله عليه فى الآخرة » فاذا عاد الشاهد بعد أن تقادم حادث الزنا ليؤدى الشهادة ، فلا تقبل شهادته ، لأن ذلك دليل على أن الضغينة هى التى حملته على الشهادة .

٦ ـ اقتناع القاضى بشهادة الشهود .

حمل المرأة بدون زواج :

اختلف الفقهاء فى المرأة الحامل بدون زواج .

١ ـ يرى الامام أحمد وأبو حنيفة والشافعى أنه لا حد عليها لأنها يجوز أن تكون حملت بوطء شبهة أو اكراه .

٢ ـ مذهب أهل المدينة وبه قال الامام مالك فى الموطأ ، وهو أنها تحد ، الا اذا جاءت بأمارة على استكراهها كأن تكون بكرا وجاءت وهى تدمى مثلا .

ولكن الراجح أنه يحتمل أن يكون وطء بشبهة أو اكراه . والحدود تدرأ بالشبهات وقد قيل إن المرأة تحمل بدون وطء بإدخال ماء الرجل فى فرجها بفعلها أو فعل غيرها ولهذا يتصور أن تحمل البكر . ولذا فلا يتحتم أن يكون حملها من زنا . وبذا يسقط الحد عنها .

شروط اقامة الحد :

يشترط لاقامة الحد على الزانى أن يكون عاقلا بالغا وأن يرتكب الجريمة بأختياره دون اكراه فلا حد على مجنون ، ولا صغير ولا مكره . وأن يكون عالما بتحريم الزنا ، وقد روى أن جارية سوداء رفعت الى أمير المؤمنين عمر رضى

الله عنه وقيل إنها زنت ، فخفقها بالدرة خفقات وقال : « أى لكاع : زنيت ؟ فقالت : من غوش بدرهمين فقال عمر ما ترون ؟ وعنده على وعثمان وعبد الرحمن بن عوف فقال على رضى الله عنه أرى أن ترجمها وقال عبد الرحمن بن عوف أرى مثل ما رأى أخوك . فقال عثمان أراها تستسهل بالذى صنعت لا ترى به بأسا ، وانما حد الله على من علم أمر الله عز وجل . فقال عمر : صدقت .

التنفير من اشاعة الفاحشة :

من المقرر أن الجريمة التى لا يصل خبرها الى الحاكم لا يقام من أجلها حد فاذا لم يقر عنده الزانى أو يشهد عليه شهود فلا عقوبه عليه . ولقد حبب الاسلام فى التستر على الاعراض لقوله صلى الله عليه وسلم ؟ « من ستر عورة مسلم ستر الله عورته يوم القيامه » . وعن سعيد بن المسيب قال « بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أسلم يقال له : هزال ، وقد جاء يشكو رجلا بالزنا — وذلك قبل أن ينزل قوله تعالى « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فأجلدوهم ثمانين جلدة » .

يا هزال لو سترته بردائك كان خيرا لك .. كناية عن عدم اذاعة هذه الفاحشة .

وعلى المسلم أن يستر نفسه ولا يفضحها لقوله صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس : قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله : من أصاب شيئا من هذه القاذوره ، فليستتر بستر الله ، فأنه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله » .

وذلك لأن المجاهرة بها تبجح فى عصيان الله ودليل على انهيار المجتمع وانحلاله .

ولقد نفر القرآن من أنتشار ما يسيىء الى سمعة المسلمين حيث يقول : « أن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

ان الاسلام يدعو الىاحترام المرأة والبعد بها عن مواطن الزلل والشبهات . وللاحتياط من وقوع جريمة الزنا نهى الاسلام عن الاختلاط والرقص والنظر المريب ، وكل ما يثير الغريزة ، أو يدعو الى الفحش . وطلب من المؤمنين ألا يدخلوا بيوت الآخرين الا فى وجودهم وبعد استئذانهم . يقول سبحانه وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم » .

تلك هى جريمة الزنا فى الشريعة الاسلامية كما صورها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

فما هو موقف القانون الوضعى من هذه الجريمة ؟

موقف القانون :

لقد انقسمت القوانين الوضعيه الى ثلاثة أقسام فى معالجتها لهذه الجريمة :

أ — قوانين لا تعاقب على جريمة الزنا اطلاقا كالقانون الانجليزى والروسى .

ب ــ قوانين تعاقب على الجريمة دون التفرقة بين جريمــة الزوج أو الزوجة كالقانون الالمانى .

جـ ــ قوانين تعاقب على الجريمة مع التفرقة بين جريمة الزوج وجريمة الزوجة كالقانون الفرنسى الذى نقل عنه القانون المصرى .

جريمة الزنا فى قانون العقوبات المصرى :

الواضح أن الشريعة الاسلامية تعتبر كل اتصال محرم بين رجل وامرأة زنا سواء كان محصنا أو غير محصن بينما القانون الوضعى لا يعتبر الجريمة زنا الا اذا كان بين رجل متزوج وامرأة متزوجة ، أو كان أحدهما متزوجا ووقعت الجريمة بالشروط والاوضاع التى حددها القانون .

فبالنسبة للرجل لا تتحقق الجريمة الا فى منزل الزوجية ، وتقع الجريمة بالنسبة للمرأة متى ارتكبت فى أى مكان .

ثم جرم قانون العقوبات عدة أفعــال ذات صلة بجريمة الزنا ولكنــه لم يعتبرها زنا فخصص بابا مستقلا لبعض الجرائم سماها جرائم العرض وهى :

١ ــ جريمة مواقعة أنثى دون رضاها (جريمة الاغتصاب) المادة ٢٦٧ عقوبات) .

٢ ــ جريمة هتك العرض (المادتان ٢٦٨ ، ٢٦٩ ع) .

٣ ــ الفعل الفاضح المخل بالحياء (المادتين ٢٧٨/٢٧٩ ع) .

٤ ــ التحريض على الفسق بالاشارة أو بالقول (المادة ٢٦٩ ع) .

٥ ــ جريمة الاخلال بحياء الأنثى (المادة ٣٦٠ م.ع) .

٦ ــ أما جريمة الزنا فقــد عالجها المشرع فى المواد من ٣٧٣/٣٧٧ ع (مقتبسة من المواد ٣٣٦/٣٣٩ ع فرنسى) !!!

والواضح أن كل هذه الجرائم تمس العرض والاخــلاق ولذلك جرمهــا القانون .

الفرق بين جريمتى زنا الزوج والزوجة فى القانون المصرى :

ان التفرقة بين زنا الزوج وزنا الزوجة أثر من آثار القانون الرومانى الذى يقرر أن جريمة الزنا لا ترتكب الا من الزوجة .

ولقد فرق القانون المصرى بين زنا الزوج وزنا الزوجة ويتضح ذلك فيما يلى :

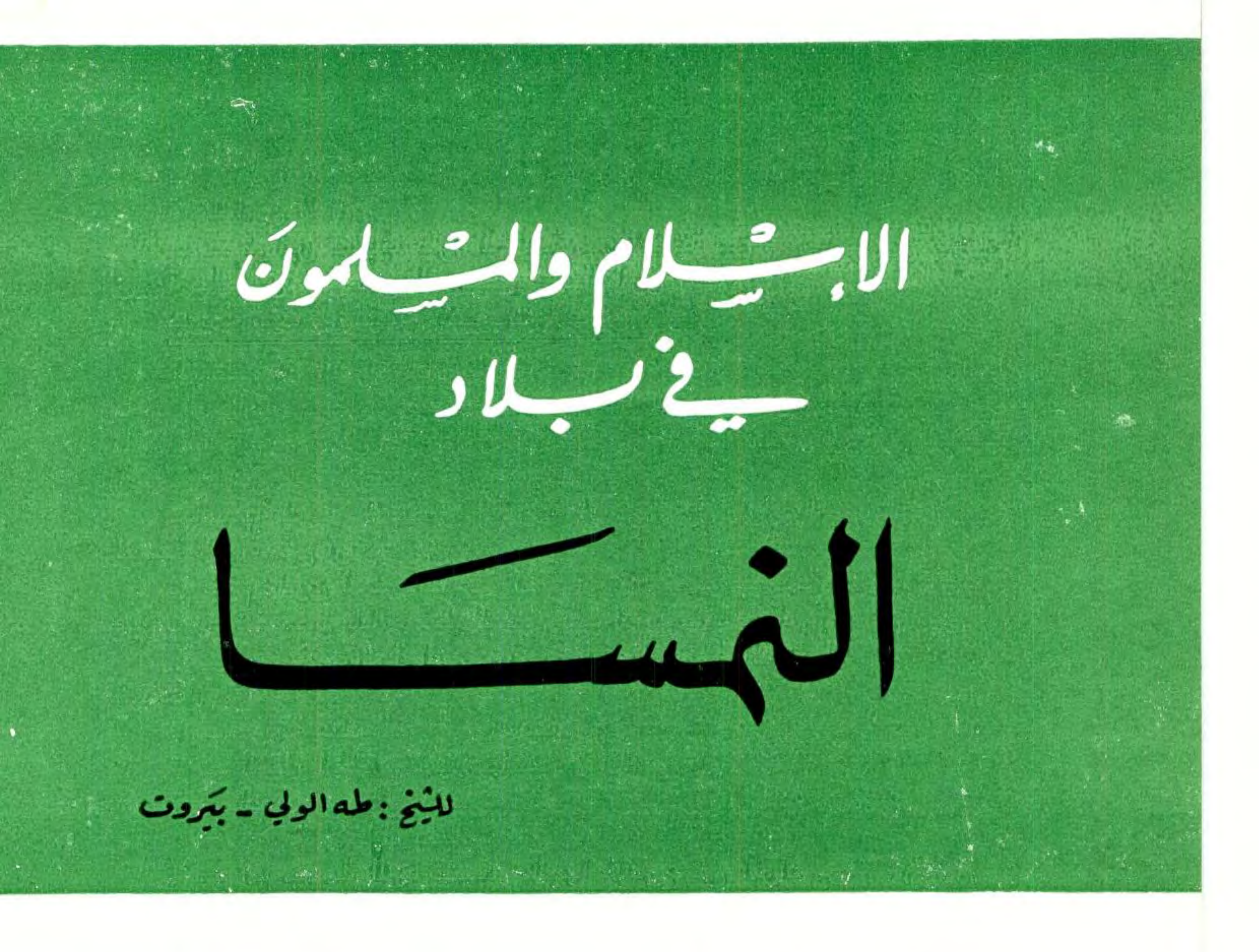
١ ــ زنا الزوجة يثبت فى أى مكان ترتكب فيه الجريمة بينما لا يثبت زنــا الزوج الا اذا ارتكبت الجريمة فى منزل الزوجية (المادتين ٢٧٤/٢٧٧) .

٢ ــ تعاقب الزوجة بالحبس مدة أقصاها سنتين بينما لا يعاقب الزوج الا لمدة أقصاها ستة شهور (المادة ٢٧٧) .

٣ ــ لا يحق للزوجة أن تعفو عن زوجها بعد الحكم النهائى عليه ، وان كانت تستطيع قبل ذلك بينما يستطيع الزوج العفو عنها فى أى وقت يشاء حتى بعد الحكم النهائى (المادة ٢٧٤) .

٤ ــ يخفف القانون عقوبة الزوج الذى يقتل زوجته ، اذا ضبطها متلبسة بجريمة الزنا بينما هى لا تستفيد من هذا التخفيف « من فاجأ زوجته حال تلبسها بالزنا وقتلها هى ومن يزنى بها يعاقب بالحبس بدلا من العقوبــات المقررة فى المادتين ٢٣٤ ، ٢٣٦ » . وقد جرى قضاء النقض على أن القتل فى هذه الحالة يعتبر جنحة ، فلا يعاقب على الشروع فيه لعدم النص .

(البقية ص ٧٧)



● الرحلة الى بلاد النمسا :

أتيح لى أن أزور النمسا بدعوة من مؤسسة هامربورشتال ، وهى مؤسسة ثقافية تهتم بالدراسات الشرقية ، وتؤمن للوافدين من الشرق الى النمسا لطلب العلم الوسائل التى تساعدهم على تحقيق ما قدموا من أجله .

ويشرف على هذه المؤسسات شخصيات نمسوية لها حظ من الثقافة الاسلامية ومن هذه الشخصيات الدكتور رودلف بانينى السكرتير العام للمؤسسة وهو رجل عالم فى منتصف العقد السادس من عمره . يمتاز باللطف والتهذيب وسعة الاطلاع على شؤون العالم العربى ، وقد سبق له أن زار الشرق الادنى واجتمع الى عدد كبير من الجاليات العرب والمسلمين وتوطدت بينه وبينهم أواصر الاحترام والصداقة .

الجالية الاسلامية ..

وفى خلال اقامتى فى فينا لأجل استكمال دراستى لعلم المكتبات ، تمكنت من الاتصال بعدد كبير من أفراد الجالية الاسلامية المقيمين فى بلاد النمسا والذين اكتسبوا نتيجة استقرارهم فى هذه البلاد الجنسية النمسوية وتمتعوا بسائر الامتيازات التى يتمتع بها أبناء البلاد الاصليين .

وهذه الجالية الاسلامية فى الواقع تتألف من الاشخاص الذين ينحدرون من أصل عثمانى أو من الذين هاجروا من بلادهم لاسباب اجتماعية أو سياسية أو أدبية كالالبانيين الارناؤوط واليوغوسلافيين البوشناق وغيرهم من سكان المناطق التى



انحسر عنها سلطان الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الاولى أو التى غمرتها الموجة الشيوعية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية .

وهناك ، فئات كبيرة من المسلمين الاتراك الذين يقصدون النمسا طلبا للرزق عن طريق العمل فى المصانع والمؤسسات وأعمال الطرق . وهؤلاء يتجاوز عددهم الالفين من الانفس موزعون فى مختلف المدن النمسوية وفق ما تقتضيه ظروف عملهم واختصاصهم ، على أن أغلبهم يمارسون الاعمال اليدوية فى شق الطرق ورصفها أو اصلاحها ويتقاضون أجورا لا تختلف عن أمثالهم من أبناء البلاد الاصليين .

المسلمون النمساويون !

بالاضافة الى هذه الجالية التى ما يزال أفرادها محتفظين بجنسياتهم القومية الاصيلة ، فان هناك عددا كبيرا من أبناء النمسا الاصليين الذين اختاروا الديانة الاسلامية عقيدة لهم بعد دراستها والاطلاع على مبادئها ، وهؤلاء يحافظون على التمرس بشعائر الاسلام واقامة أركانه بكل اخلاص وصدق وايمان . ويبلغ عددهم فى الوقت الحاضر ١٤ ألف نسمة ولكنهم يتزايدون مع الايام . ولقد أكرمنى الله بهداية اثنين من النمساويين خلال اقامتى فى فينا وقد ذكر لى أحدهما ويدعى بتر روت أن هناك طائفة كبيرة من أبناء البلاد سجلوا أنفسهم فى الدوائر الرسمية

على أنهم يؤمنون بالله دون التقيد بدين معين ، وهؤلاء يمكن ادخالهم فى حظيرة المسلمين اذا وجدوا من يرشدهم الى تعاليم الاسلام بأسلوب منطقى وطريقة واضحة .

والمسلمون فى النمسا يتمتعون بكافة الحقوق والامتيازات التى يتمتع بها غيرهم من أبناء الاديان الاخرى بموجب القوانين والشرائع الموضوعة . وأنهم اذا كانوا من أبناء البلاد ، يجدون أمامهم نفس الفرص التى يجدها سائر مواطنيهم فى مختلف مجالات العمل سواء فى الحقل الاهلى أو فى دوائر الدولة الرسمية . فليس فى النمسا تمييز بين أبناء الشعب الواحد بسبب العقيدة الدينية أو المذهب السياسى أو الاتجاه الفكرى . ولقد تعرفت الى عدد من المسلمين النمساويين الذين يشغلون مناصب حكومية محترمة ويؤدون واجبهم فى خدمة وطنهم كأى نمساوى آخر دون أن يكون اسلامه عائقا له عن بلوغ المرتبة الادارية أو الفنية التى تؤهله لها كفاءته وامكاناته .

بل ان المسئولين فى النمسا كثيرا ما أظهروا عاطفة خاصة نحو مواطنيهم من المسلمين وفى المدة الاخيرة اتخذت خطوة جديدة نحو انشاء مسجد ومركز ثقافى اسلامى فى فيينا لاستعمال المسلمين الذين يقطنون النمسا وعددهم ١٤ ألف نسمة فقد عقد أخيرا اجتماع بين الدكتور تيودور بيغل بيريسيفتش وزير التعليم والثقافة النمساوية وسفراء السعودية والمتحدة والعراق ولبنان وايران وباكستان واندونيسيا .

وعلم فيما بعد أن الدكتور بيغل بيريسيفتش أكد للسفراء تأييده الكامل للمشروع الذى قطع تنفيذه شوطا بعيدا . وحضر الاجتماع مندوبون عن وزارة الخارجية النمساوية .

وكانت الحكومة النمساوية هى التى قدمت الارض لتشييد المسجد وتبرعت احدى الدول العربية للمشروع بمبلغ مليون و ٥٠٠ ألف دولار وذكر أن بلدانا عربية واسلامية أخرى وعدت بالتأييد المالى . وقد دشن العمل فى بناء هذا المركز الاسلامى بالفعل فى شهر رمضان المبارك سنة ١٣٨٧ بوضع الحجر الاساسى نقشت عليه الكتابة التالية :

الله

المركز الاسلامى بفينا

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته المتقين .

الحمد لله الذى وفقنا لاقامة المركز الاسلامى بفينا فى شهر رمضان المبارك سنة ١٣٨٧ سبحانك اللهم بارك للمسلمين فيما شرفتنا به وهديتنا اليه . اللهم اجعل هذا صرحا منيرا بالعلم والهدى واجعله نبراسا يهدى فى هذا المكان من العالم . ووسيلة لهداية خلقك وجمع القلوب على محبتك وعبادتك .

السيد حسن محمد التهامى : سفير مصر ورئيس مجلس أمناء المركز الاسلامى بفينا .
السيد فخرى شيخ الارض : سفير المملكة العربية السعودية نائب أول رئيس مجلس الأمناء .
السيد حسن استنيلى : سفير تركيا ونائب ثان رئيس مجلس الأمناء .
السيدة ليلى أوتسار : سفيرة اندونيسيا بفينا .
السيد أنور مراد : سفير باكستان بفينا .
السيد عبد الرحمن الصلح : سفير لبنان بفينا .
السيد خالد المدفعى : سفير العراق بفينا .
السيد اصلان افشار : سفير ايران بفينا .
اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله .
ولكى نذكر لصاحب الفضل فضله فانه لا بد لنا من التنويه بالجهود الكريمة التى بذلها الرجل الفاضل الاستاذ ارثر برايشوفيتيه سفير دولة النمسا بلبنان بالتعاون مع نيافة الكرينال كوينغ رئيس الاساقفة بفينا من أجل اخراج هذا المشروع الاسلامى الى حيز الوجود فى قلب أوروبا .

النشاط الاسلامى فى النمسا !

علاقة النمسا بالاسلام والمسلمين ليست حديثة ، بل هى ترجع الى ذلك العهد الذى انطلقت فيه جحافل العثمانيين تحت راية « لا اله الا الله محمد رسول الله » باتجاه الغرب حتى نطحت بأسنة رماحها أسوار فيينا بالذات مرتين متواليتين فى القرنين السادس عشر والسابع عشر . ولولا أن أوروبا تنادت يومها



الدكتور حسن تهامى
سفير الجمهورية العربية فى النمسا يلقى كلمة فى حفلة تدشين المركز الاسلامى فى فيينا وتبدو أمامه على المنصة أعلام الدول الاسلامية التى اشتركت فى هذه الحفلة التاريخية .

الى وقف الزحف العثمانى بكافة قواها وامكاناتها العسكرية لكان الوضع الدينى فى هذه القارة على غير ما هو عليه الآن .
وعلى الرغم من الملابسات التاريخية التى رافقت طبيعة الاحتكاك

بين الشرق المسلم والغرب المسيحى ، على الرغم من هذه الملابسات فان الروح المهيمنة اليوم فى النمسا تمتاز بالاعتدال والتعقل فيما يتصل بصدد الوجود الاسلامى فى ربوعها . ولقد لمست بنفسى رغبة المسؤولين فى النمسا فى توفير كافة وسائل الطمأنينة والراحة للمسلمين من مواطنين أو مقيمين أو عابرى سبيل .

الجمعية الاسلامية النمساوية !

ومن دلائل التسامح الرسمى والأهلى فى النمسا مع المسلمين هو وجود « الجمعية الاسلامية النمساوية » .

وهذه الجمعية هى مؤسسة اجتماعية ثقافية غايتها جمع شمل مسلمى النمسا فى نطاقها ورعاية مصالحهم وتأمين أحسن الظروف لوجودهم فى هذه البلاد . وبالتالى فانها تحاول أن تكون فى خدمة أى مسلم يقصد النمسا ، وتضع تحت تصرفه الوسائل التى تمكنه من التعرف على اخوانه فى الدين والاجتماع بهم فى ناديها القائم فى وسط فيينا .

ورئيس هذه الجمعية هو الدكتور أحمد عبد الرحيم زاهى ، أفغانى الاصل ، نمسوى الجنسية ، يعاونه سكرتير الجمعية الدكتور اسماعيل باليش يوغسلافى الاصل نمسوى الجنسية وللجمعية مجلس ادارة يضم نخبة من الشخصيات الاسلامية المشهود لها بالفضل والاخلاص .

ولا بد من الاشارة الى أن الدكتور باليش سكرتير الجمعية ، يعتبر أحد أركان الدراسات الاسلامية فى النمسا ويشغل حاليا منصب مدير القسم الاسلامى فى المكتبة الوطنية الكبرى وله عدة مؤلفات عن الاسلام والنبى عليه الصلاة والسلام وتفسير سورة يس باللغة الالمانية . والدكتور باليش يتمتع فى الاوساط الاجتماعية والعلمية بالنمسا بمكانة مرموقة تساعده على خدمة اخوانه المسلمين وتأمين مصالحهم فى الدوائر الرسمية .

وهذه الجمعية الاسلامية تسد فراغا كبيرا فى ميادين العمل الاسلامى ويعتبر ناديها مركزا لتلاقى المسلمين فى أوقات معينة كما يعتبر هذا النادى مدرسة يتلقى فيه أبناء المسلمين دروسا فى الدين والسيرة وتلاوة القرآن الكريم على يد أستاذ مختص .

وفى نادى هذه الجمعية تعرفت الى العديد من اخوانى الطلبة العرب وأبناء الجالية الاسلامية فى فيينا بمناسبة حديث ألقيته بدعوة من الرئيس الدكتور أحمد عبد الرحيم زاهى . ولا بد من القول بأن الجمعية الاسلامية التى نحن بصددها تبذل جهودا كبيرة فى خدمة رسالة الاسلام ومبادئه القويمة وهى شبه عزلاء الا من ايمان أركانها وعزيمتهم وصبرهم .

وانى اذ أتحدث عن هذه الجمعية لا يسعنى الا التنويه بأعضائها لما أسبغوه من فضل حين وضعوا شخصى الضعيف فى ضيافتهم شطرا من اقامتى فى فيينا مع توفير كافة أسباب راحتى واستقرارى .

وانى أتمنى ، بهذه المناسبة ، على ممثلى الدول الاسلامية ، بالنمسا ، أن يتجاوبوا مع هذه الجمعية الراقية فى مشروعاتها الدينية والثقافية على



يبدو فى الرسم عدد من كبار الرسميين فى الحكومة النمساوية الذين اشتركوا فى حفلة تدشين المركز الاسلامى فى فيينا . ومن بينهم وزير خارجية النمسا الدكتور كورت ويلدايم ، ونيافة الكردينال كونيغ رئيس أساقفة النمسا ورئيس بلدية فيينا والعديد من سفراء الدول العربية والاسلامية وجمهور من الاعيان ..

المستوى الذى يرفع رأس المسلمين ويجعلهم محل احترام الآخرين فى تلك البلاد الاوروبية السحيقة .

الطلاب العرب فى النمسا !

فى النمسا مجموعة كبيرة من الطلاب المسلمين ، بعضهم فى العاصمة فيينا والبعض الآخر فى المدن الاخرى وأهمها « غراتس » . وأغلبهم يتخصصون فى علوم الطب والهندسة . وهؤلاء الطلاب ينتمون الى جنسيات مختلفة ففيهم العربى والايرانى والباكستانى وغير ذلك من أبناء البلدان الشرقية والافريقية .

ولقد سمحت لى الظروف بأن أجتمع الى أكبر عدد من اخوانى الطلبة العرب فى عدة مناسبات . لاسيما حين طلبوا الى اقامة الجمعة فيهم ، وانه من الانصاف أن أشير بهذه المناسبة الى الروح الوطنية التى تخفق بها قلوب هؤلاء الطلاب ، فانهم الى جانب عنايتهم بدراساتهم المختلفة لا يدعون فرصة تمر دون معالجة قضية الاسلام الاولى — فلسطين — بما يسعهم من جهد القول والكتابة والعمل وكثيرا ما يتبرعون بأموالهم لخدمة هذه القضية المقدسة .

وكثيرا ما قرأت لهم نشرات تتضمن الدفاع عن حق العرب فى فلسطين وبيان زيف العدوان اليهودى على هذه الارض المقدسة .

وهم يتبادلون فيما بينهم نشرات مطبوعة على الستنسل عنوانها « المسلم المغترب » ، ومصدرها ميونخ فى ألمانيا ، وفى هذه النشرات مقالات بأقلام الادباء من هؤلاء الطلاب فى بيان التعاليم الاسلامية والحض على التمسك بالمبادىء الدينية والاخلاقية . ولست أنسى تلك الوجوه الوطنية التى لبت نداء الجمعية فى قاعة استؤجرت لهذا الغرض والتى استمعت الى وأنا أخطب للجمعة فى موضوع فلسطين وقد اغرورقت عيونها بالدموع وتصعدت من صدورها الزفرات الحرى معبرة عما يضطرم فى جنباتها من غيرة دينية وحمية وطنية . أجل لست أنسى تلك الوجوه فلقد رأيت فى ملامحها الثائرة العزيمة الصادقة على العمل من أجل عزة العرب ومجد الاسلام .

مجلات وصحف عربية !

ان الطلبة العرب فى النمسا حريصون على تتبع أحوال بلادهم ، كما هم حريصون على تغذية نفوسهم بكتابات الصحف ذات المبادىء السليمة . ولقد كان من أسباب سرورى أنى كنت أرى مجلة الوعى الاسلامى فى بعض بيوت هؤلاء يقرأونها من الغلاف للغلاف ، ويتداولونها فيما بينهم ليفيد منها أكبر عدد منهم ، كما يهمنى بهذه المناسبة أن أتوجه بالنداء الى أصحاب الصحف الاسلامية والعربية بأن لا يبخلوا على اخواننا الطلبة بما يصدرونه من مطبوعاتهم التى يجد فيها هؤلاء غذاء روحيا لهم فى ديار غربتهم يساعدهم على مواكبة تطور الحياة فى بلادهم والمساهمة فى خدمة هذا التطور الى الافضل .

« مؤسسة الافرو اسياتيك »

هذه المؤسسة ظاهر أمرها أنها فى خدمة الطلاب الوافدين الى النمسا من بلدان آسيا وافريقيا للدراسة . وهى مجهزة بكافة الوسائل والادوات الصالحة لاستقبال الغرباء وفيها موظفون مختصون يضعون أنفسهم فى خدمة هؤلاء الغرباء . وفيها قاعة محاضرات تعطى بالمجان لمن يطلبها من المنظمات الطلابية للاغراض الفكرية والثقافية .

وعلى الرغم من أن هذه المؤسسة يشرف عليها ويديرها أشخاص تابعون للكنيسة الكاثوليكية ، فان هؤلاء حريصون على اعطائها الطابع العلمانى دون سواه . ولكن هذا لم يمنع بأن تكون ، من طريق غير مباشر ، احدى وسائل الدعاية الكاثوليكية التبشيرية ، ولكن بأسلوب مغلف بالخدمات العامة والنشاط الثقافى .

اجتماعى بالكردينال كونيغ رئيس أساقفة النمسا

الكثلكة هى المذهب المسيحى السائد فى النمسا ويرأس الكنيسة الكاثوليكية هناك الكاردينال كوينغ وهو رئيس أساقفة النمسا والشخص الثانى بعد البابا فى الفاتيكان . وتعتمد عليه الدوائر البابوية فى علاقاتها مع غير الكاثوليك فى العالم نظرا لثقافته الواسعة ، واطلاعه المكين على الاحوال العالمية بالاضافة الى أنه يتقن حوالى تسع لغات معروفة . وهو المسيحى الرسمى

الوحيد الذى تسمح له البلدان الشيوعية بدخول أراضيها لتفقد رعايا الكنيسة الكاثوليكية فيها .

ولقد دعانى الكاردينال كوينغ الى زيارته فى مقره الرسمى فى فيينا ، فلبيت دعوته وأنا بالثوب الدينى ، فكانت فرصة جميلة مكنتنى من التفاهم مع هذا المسؤول المسيحى الكبير على أفضل الوسائل للتعاون بين الاسلام والمسيحية لمقاومة موجة الالحاد فى العالم ، وكان موقفه مشجعا لاسيما وقد كانت زيارتى له فى أعقاب زيارته للقاهرة حيث ألقى بالازهر الشريف محاضرة فى موضوع التقارب بين الاسلام والمسيحية حازت اعجاب أصحاب الفضيلة العلماء المسلمين .

ولقد كانت هذه الزيارة مناسبة أتاحت لى التحدث مع هذه الشخصية ذات النفوذ الكبير فى بلادها فى موضوع الظروف المحيطة بمسلمى النمسا ، والعمل على مناقشة هذه الظروف بما يتلاءم والرغبة المشتركة فى تأكيد الثقة المتبادلة بين المؤمنين بوجود الله عز وجل ، وانتهزت الفرصة لشكر المسؤولين النمساويين على ما يبدونه من روح ايجابية فى هذا الصدد .

الدعوة الاسلامية فى أوروبا

وقبل أن أترك القارىء الكريم يهمنى أن ألفت نظر اخوانى المسلمين فى العالم الى أن فى أوروبا متسعا لخدمة المبادىء والافكار الاسلامية عن طريق الحجة والمنطق والرأى السديد . وانه لمن المستحسن أن توزع فى كل بلد أوروبى ، نشرة دورية تتضمن الموضوعات التى يمكنها أن تعطى فكرة واضحة عن مزايا الاسلام وصلاح تعاليمه فى حل مشكلات الانسان ومعضلات العصر الراهن .

استعداد الاوروبيين لتفهم الاسلام

وانى لعلى ثقة بأن كثيرين من أبناء أوروبا سيقبلون على قراءة هذه النشرة بروح ايجابية لاسيما وان الجو المخيم على العالم الغربى اليوم هو جو القلق الذى يبعث فى النفس الرغبة الملحة فى طلب الخروج منه الى راحة الطمأنينة والاستقرار ولا حرج فى اخراج هذه الفكرة من حدود الرأى الى نطاق التنفيذ لأن غشاوة العداء للاسلام بدأت تنحسر عن أفق المثقفين فى أوروبا اذ بدأ هؤلاء يميلون الى معالجة مفاهيم هذا الدين الحنيف من خلال الحقائق العلمية والوقائع التاريخية واذا نحن أحسنا انتهاز الفرصة فان الامل كبير فى أن يأتى يوم غير بعيد ورسالة القرآن فى جملة الحلول التى يمكن اعتمادها لاخراج الحضارة الاوروبية من المأزق الذى وضعتها فيه المبادىء التى تتخذ انكار الخالق قاعدة لانطلاقها بين الناس وترى فى الوجود ظاهرة مادية لا علاقة للروح فيها !



وصحبه ، وأظنك لا تشك فى ايمانهم بالقدر وبالقضاء الايمان الصحيح ، وأظنك لا تستطيع انكار ما وصلهم اليه ذلك الايمان مما لا يحتاج الى شرح ولا قول ان كنت مطلعا على تاريخ تلك الحقبة من الزمان ، وأخيرا اسمعوا : انها علـة وحيدة هى الجهل والجهل فقط فاذا زال الجهل وضح الحق ، وعرف أنه ليس بعد قيادة الاسلام قيادة للوصول الى أفضل النتائج وقد نفضنا غبار جهلنا وان كنا فى أول الطريق فنحن فى عزم سائرون ولن نتوقف مرة أخرى .

٤ ــ **وبعد :** فالعام الجديد عام يمن بعون الله ، فالعرب قد استيقظوا ولن يعودوا الى سبات ، وتجافوا عن مضاجعهم ليعيـدوا مجدهم ، وهم ليسـوا جاهلين مطلقا لمدى قيمة وفعالية التوحد والتكتل والتساند فى سبيل قضـية مشتركة وعمل تعود نتيجته على الجميع دون استثناء واحد منهم عظم أمره أو ضعف ، وليعلموا أن الكثرة أو التكاثر لا قيمة لها اذا تواكلت ونامت عن حقهـا فما أكثر عديدهم الآن ، فليجندوا أنفسهم لعمل حاسم مثمر ، وهم فاعلـون ان شاء الله تعـالى فالى نصر قريب : (انه لا ييـأس من روح الله الى القـوم الكافرون) . . . .

بقى أن أشير الى حدث جديد فى تاريخ دراسة الحديث الشريف ففى طليعة العام الميلادى (وهو مقارب هذه المرة فى ولادته للعام الهجرى) بدأ أستاذ كبير فى جامعة باريس يلقى محاضرات فى الحديث فى اعزاز واكبار لهذا التراث الانسانى العظيم، وبطريقة لم يسبق اليها فيما مر من عصـور ، وتعرض لمـا حاوله البعض من نيل من قيمة هذا المصدر الكبير للتشريع الاسلامى وما جرى فى أعوام مضت من كلام حول البخارى ومسلم ، وكان جوابه : ان القيمة التى خلدت عصور وصحبتها أصالة أكيدة لهذا المصدر الكبير لا يمكن أن يقلل من شأنها قول حاقد أو جهل جاهل فهى جديرة بالخلود وقد خلدت ، وطلاب تلك المحاضرات من جميع أنحاء الدنيا المعمورة ، وقد أورد البروفسور العلامة سؤالا لم أسمعه مطلقا من شيوخى فى الأزهر فى مدى ثلاثين عاما أو تزيد لبثتها فيه طالبا ومدرسا والفضل لله يهبه من يشاء وسأعرض للسؤال وجوابه فى مقال قادم بعون الله ، ويكفى أن نعرف أن صاحب هذه المحاضرات هو البروفسـور الدكتور J. BERQUE (د. ج . برك) الذى اذا تحدث عن العرب شعرت منه بفورة حماسية صادرة من قلبه المتفاعل مع القضايا العربية تفاعلا لم يحمله من قبله عالم غربى فيما أظن ، وقد زار دولة الكويت وحاضر فى جامعتها وخرج منها وهو واثق من احتلال هذه الدولة الصغيرة حجما ، مكان الصـدارة فى الثقافة الانسانية القديمة الاصيلة والمعاصرة الحديثة مع وعى قوى وادراك يعيد مجد الأوائل ، فشكرا له وعلى بركة الله نتقدم .. وليحقق الله رجاء المخلصين فى هذا البلد الأمين ، وفى أبنائه من الناشـئة التى أرجو لها أن تذكر قيـادة الاسلام دائما فى الاصالة الحقيقية لكل مجد عربى مضى أو سـيأتى ، ومن اعتصم بالله هداه .. وعليه سبحانه فليتوكل المتوكلون . . .

(بقية جريمة الزنا)

ولقد قيد القانون حق النيابة العامة فى رفع دعوى الزنا ضد الزوجة الزانية ، فلا يمكن اقامة الدعوى الا بناء على شكوى الزوج لما لهذه الجريمة من طبيعة خاصة يقتضى الامر فيها التستر على الأعراض ، ولا يحق لأى انسان تقديم هذه الشكوى عن الزوج ، حتى ولو كان يحمل توكيلا عاما عنه ، وانما يجوز للزوج أن يوكل غيره فى تقديم هذه الشكوى توكيلا خاصا .

وهناك حالات يمتنع على الزوج طلب محاكمة زوجته فى هذه الجريمة :

أ ــ اذا سبق الحكم على الزوج فى جريمة زنا .

ب ــ اذا تنازل عن حقه فى الشكوى .

جـ ــ اذا سبق له الرضا بزنا زوجته .

د ــ اذا طلق الزوج زوجته قبل محاكمتها .

من هذا العرض يتضح أن التفرقة التى وضعها القانون بين جريمتى زنا الزوج وزنا الزوجة لا مسوغ لها ويجب الغاءها ، كما وان قصر جريمة الزنا على المتزوجين لا مبرر له ، حيث أن زنا غير الأزواج كالمطلقات والأرامل وغيرهم ، لا عقاب عليه فى القانون وهذا شىء غير مقبول اطلاقا فى مجتمع يدين بالاسلام ، لأن فى ذلك تحريضا على انتشار الفاحشة بين المسلمين . فمواقعة أنثى برضائها لا عقاب عليه ، فاذا كانت متزوجة اعتبر الفعل جنحة زنا !! لتعدى اثر الفعل الى الزوج ، واذا حصل الفعل باكراه اعتبر جناية اغتصاب . وملامسة عورة انسان لا جريمة فيه ، اذا حصل برضاء صحيح ، فاذا حصل علنا كان فعلا فاضحا ، يخل بالآداب العامة ، واذا حصل بغير رضاء كون جريمة هتك عرض .

ولقد فات المشرع المصرى معالجة جريمة اللواط ، بينما سوى القانون العراقى بين الاغتصاب واللواط .

وعندما انعقد المؤتمر الدولى التاسع لقانون العقوبات فى لاهاى فى أواخر أغسطس سنة ١٩٦٤ أوصى بعدم تحريم جريمة الزنا حيث لا فائدة من معاقبة من لا تردعه مبادىء الاخلاق ، علاوة على اثارة الفضيحة ، مما قد يسبب ضررا بالعائلة أبلغ مما يترتب للمجتمع ، كما وانه اذا خول للزوج المجنى عليه وحده حق تحريك الدعوى ، فان العقاب يتوقف على مزاجه ، ودرجة تأثره . فالجزاء الطبيعى هو الحكم بالطلاق .

هذا ما ارتآه المؤتمر الدولى لقانون العقوبات وما قررته القوانين الوضعية فأين هذا من شريعة الاسلام الغراء ؟

اننا نطالب المشرع فى جميع البلاد العربية باعادة النظر فى جرائم العرض والاسترشاد بأحاكم الشريعة الاسلامية ، كما نطالب بتوسيع دائرة جريمة الزنا لتشمل كل الأفراد دون تفرقة بين المتزوجين وغير المتزوجين ، وكذا بالغاء الفرق بين زنا الزوج وزنا الزوجة . ويجب أن نتلمس خطى الشريعة الاسلامية فى محاربة هذه الجريمة ، فعقوبة الزنا فيها حق خالص لله سبحانه وتعالى ، لأن الشريعة تعتنى بحفظ الانساب ، وليس لأحد ان يتنازل عن الحد أو يتهاون فى اقامته . ولنضع أمامنا قول الله تعالى :

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » .

مِن ألحان الهجرة

قم رتل الذكر ، واختر خير قيثار ... فتلك ذكرى رسول الله فى الغار

من ذا الذى يقطع البيداء ممتثلا ... أمر السماء ؟ ترى من ذلك السارى ؟

مستعذب فى السرى آلام سفرته ... يطوى الفيافى شهما غير خوار

وفى معيته من غر عصبته ... ليث هصور ، وندب خير مغوار

فى إثره العرب ثارت وهو فى دعة ... بل فى خميس من الإيمان جرار

والعشب يضحك ، والكثبان راقصة ... والشوك من حوله أضحى كأزهار

يخب فى السير فى ليلاء حالكة ... وفى جوانحه هالات أقمار

الله أكبر هذا خير من وجدوا ... فى هذه الأرض ، لا تعجب لأنوار

الله أكبر فى أنوار شرعته ... وخلفه زمر الأشرار فى نار

نور أبى الله إلا أن يتممه ... فكيف تطفئه أفواه أغرار ؟

آواهما معقل من نسج واهنة ... عليه هادرة حيت بتهدار

عليه قد نشرت للسلم أجنحة ... حمامة السلم حلت خير أوكار

سائل صديق رسول الله منبهرا ... ماذا دعاه لإيثار وأخطار ؟

وكيف جاد بما أوتيه من نشب ... ودون وكف يديه وكف أمطار

النفس والمال للرحمن باعهما ... ليشترى جنة ملأى بأنهار

يبيع دنيا ، ويشرى خلد آخرة ... فكيف يترك هذا البائع الشارى ؟

للأستاذ : محمد الهادي اسماعيل
- الكويت -

واذكر « عليا » بأحضان الردى فرحا ... يستقبل المـــوت لم يحفـــل بفجـــار
فليغمـــدوا السيف ما شاءوا بمهجته ... مـــادام ذلـــك ينجى صـــاحب الدار
هـــذى نفـــوس على الأيـــام خالدة ... كم فـــدّت الدعـــوة الجـــلى بأعمار
هـــذى رياحين في التـــاريخ عاطرة ... كأنها الزهـــر فى أدواح « آذار »
هـــذى سواعد فى لأوائهـــا اتحدت ... فحطمت كـــل جبـــار وغـــدار
خميـــلة الدين أروتهـــا بوحدتهـــا ... فأشبعت هـــذه الدنيـــا بأثمـــار
وصـــدعت دولة الأصنام فـــارتفعت ... « الله أكبر » فى عـــز وإكبـــار

آه بنى يعرب فى الأرض قاطبـــة ... هـــلا حفـــلتم لأجدادى بآثـــار
مـــاذا أصـــابكمو حتى رأيتكمـــو ... على شفا جـــرف فى ربوة هـــار ؟
ألا نكـــون كمن قـــاموا بهجرتهـــم ... حتى نلاقى تيـــارا بتيـــار ؟
آلا تـــآخ كمـــا فى « يثرب » فعـــلوا ... فلا يقـــدم أولادى على جـــارى ؟
عزمـــا كعزم الألى ضحوا بأنفسهم ... فكان أن ملكـــوا آلاف أمصـــار
لا أرتجى منكمـــو صبرا كصبرهمو ... لن تأكلـــوا مثلهـــم أوراق أشجـــار
بل بعض ما احتملوا فى المحنة احتملوا ... مـــا أعذب الصبر إن تؤمن بقهـــار
هوج الأعاصير إن هبت فلا تهنـــوا ... لا تفرقوا بين أنســـام وإعصـــار



يكتبها : عبد المنعم النمر

أحببت أن تكون الخواطر هذه المرة شركة بينى وبين القراء الذين نتلقى منهم كثيرا من الرسائل من مختلف بلاد العـــالم ، وهى فى الواقع رسائل تعبر عن خواطر قرائنا ــ ولا سيما الشباب منهم ــ وعن التيـــارات التى يتعرضون لها داخل البلاد الاسلامية وخارجها .. بعضها عنيف فى صراحته إزاء ما يحسون نحو دينهم وأمتهم ، ومع عنفه نحس فيه الصدق والغيرة ، ونرد على ما نستطيع الرد عليه فى رسائل شخصية . وبعضها يتحـــدث عن التجربة التى يجتازها الشباب الغض فى بلادهم أو غير بلادهم ، فننشر منها ما يمكن نشره ، وبعضها يطلب كتبا اسلامية ويصر على إرسال المجـــلة إليه ولو بالاشتراك . وبعضهم يعيش فى مشكلة ويكتب إلينا بها ليشركنا معه فى مرارتها ..

وهذه الرسائل كلها تكون لدينـــا كمرآة يمكن أن ننظر فيها الى بعض من شبابنا بالاعجاب حينـــا ، والاشفاق حينـــا آخر ، كما ننظر فيها الى ثقة هؤلاء الشبان بنا حين طرحوا أمامنا آلامهم وآمالهم ، وأمامى الآن كثير منها ، رأيت أن أفسح مجالا لبعضها فى هذا العدد ، وأطلع القراء عليها ، ليعيشوا لحظـــات مع رجال المستقبل حرسهم الله :

من فرنسا :

رسالتان متتاليتان وصلتا من طالب أردنى يدرس فى فرنسا الأولى بتاريخ ١٥ رمضان والثانية فى الثانى من شوال يقول فى الأولى :

أرجو منكم أن تقدروا موقفى أنا الطالب الأردنى صفوان ، وأبلغ من العمر (١٨) سنة ، وقد كنت فى مدينتى من المداومين على قراءة مجلتكم القيمة « الوعى الاسلامى » وكنت أسير على هداها فى طريقى الى الاسلام الصحيح ، وبما أنى قد أتممت دراستى الثانوية فقد التحقت باحدى الجامعات فى فرنسا لأعود فأخدم أمتى ودينى عن عقل واع وعن إيمان عميق بالدين الحنيف ، وكما تعلمون

أننى هنا فى فرنسا لا أجد الجامع الذى أصلى به ولا أعرف مواعيد الصلاة التى لم أقطع فرضا واحدا منها منذ الصغر ولا أعرف مواعيد السحور والافطار فى رمضان ، ولكنى الآن أسير حسب راديو الجزائر فى مواعيد السحور والافطار ولكن من الصعب معرفة كل المواعيد كالظهر والعصر من الراديو لأن المحطة الجزائرية ضعيفة فهل يجوز لى أن أسير على مواعيد بلد آخر كاستانبول مثلا ؟ لأنى أحضرت منها (روزنامة) للعام الجديد وبها مواعيد الصلاة ، كما هل لى أن أعرف مدى ما سيكلفنى اذا ما اشتركت فى مجلتكم الوعى الاسلامى القيمة من هنا فى فرنسا ؟ انى مستعد أن أدفع أى مبلغ مهما كلفنى لقاء ثباتى وبقاء اتصالى بأمور دينى فى هذه البلاد التى يخاف المرء فيها على نفسه من الانحراف ، وان كنت قد توكلت ودائما أتوكل على الله عز وجل . أرجو أن لا تهملوا رسالتى لأن الأمر على جانب عظيم من الأهمية بالنسبة لى ولا أظن أنكم ترغبون لمسلم أن ينقطع عن متابعة أمور دينه من أجل شىء دنيوى كالحصول على الشهادة . حفظكم الله وسدد خطاكم .

ولم يصبر حتى يصله الرد شخصيا أو عن طريق المجلة فأرسل رسالته الثانية العنيفة الثائرة التى يقول فيها :

وبعد . فهذه رسالتى الثانية لكم من فرنسا أكتبها لكم وأنا فى حزن شديد إذ أرسلت لكم فى الماضى رسالة وكم كنت أود أن لو أستلم منكم رسالة تقوى عزيمتى وتنير لى الطريق وتبعث حرارة الاسلام والايمان فى عروقى فى بلد كثر فيها الفجور والانحلال . كنت أود أن أقرأ منك كلمة تذكرنى بساعات النور يوم كنت أقرأ فى بلدى مقالاتكم فى « الوعى الاسلامى » كنت أود أن أقرأ منك كلمة تشد على يدى وتحثنى على الاستمرار فى طريق الله طريق دينه الحنيف ، كنت أنتظر رجل البريد لعلى أجد رسالة منك فيها نصيحة فيها عظة فيها عبرة كنت أتوقع أن يلقى ذلك الشاب الذى يريد الايمان ولا يجد من يرشده الى طريقه الصحيح فى هذه البلاد كنت أتوقع أن يلقى من حضرتكم بعض الاهتمام ، لقد سألتكم الاشتراك بـ (الوعى الاسلامى) مع أنى أعلم أنكم تكتبون فى المجلة أن الاشتراك يتم فى بلد المشترك ولكن كما تعلمون أنى فى فرنسا ولا يوجد بها هنا وكيل ، إذن ماذا أفعل وهل أترك الصلاة ؟ هل أترك دينى ؟ انى أمام مغريات كثيرة ولكنى أخشى الله ، وأريد أن أبقى كما كنت فى بلدى وأظل على ارتباط مع الله . ان الله يرانى ولا أراه . يسمعنى ولا أسمعه ، أريد أن تكون أوامر الله ونواهيه هى التى تسيرنى ، كما كانت تسيرنى فى بلدى ، لا أريد أن أترك طريق الله ولكن لا أحد يريد أن يساعدنى ، حتى حضرتكم لم تعيروا رسالتى اهتماما . ألقيتموها فى سلة المهملات ، ترى لماذا ؟ ألا تريدون لمسلم الخير والصلاح ، ألا تحبون أن يثبت على دينه وإيمانه ؟ أم أنكم تظنون أنى هنا فى فرنسا سأنجرف مع تيارها المنحل ولن ينفع معى شىء ؟ إنى لا أعرف ماذا أقول ؟ إنى لا ألومك ولا أعاتبك وأرجو أن لا تؤاخذنى على لهجة رسالتى ولكن ثق أننى أبكى كلما أسمع أحاديث أصدقائى العرب ومباهاتهم بالانحراف والوقاحة ! أجلس وحيدا أبكى هل سأصبح مثلهم ؟ هل سأضيع مثلهم ؟ ثم أمسك المصحف الشريف وأجلس وحدى أقرأ به ، ولا أريد أن أبتعد عنه ، أريده أن يبقى فوق رأسى يسيرنى على خطاه السليمة ويوقفنى عن خطاى المنحرفة ، انى ما زلت فى الثامنة عشرة من عمرى وقد قضيت (١٨) سنة كطفل وولد وشاب مسلم حتى لم أكن أترك فرضا ولا سنة ، ولا جماعة ان سنحت لى الفرصة ولم أكن أجد دقيقة فراغ إلا وأمسكت كتابا فى تفسير القرآن الكريم أو الأحاديث أو المسائل الدينية الأخرى كنت ألقب بالشيخ فى المدرسة والبيت وكنت أطير فرحا كلما أنادى بالشيخ ، وأتباهى به أمام الرفاق ، كنت أبقى أحيانا حتى صلاة الفجر وأنا أصلى نافلة ولم أغفل دروسى أبدا ، وكنت دائما الأول فى صفى ودائما ، والكل يشهد والتوفيق من العلى القدير ، أريد أن أبقى هكذا . أن أبقى الشيخ الشاب والشيخ الرجل والشيخ العجوز . أريد أن أسمع أحدا يهتف بكلام الاسلام وأنا فى بلد لا أسمع فيها سوى عربدة السكارى ولا أشم فيها سوى رائحة الكحول . أريد أن أقرأ منك نصيحة وعظة ولو مرة واحدة وأكرر لك انى مستعد أن أدفع كل ما يرسل لى والدى من مصاريف

مقابل الاشتراك فى مجلة (الوعى الاسلامى) لأستطيع أن أسألكم كل ما أحتاجه من توضيح فى أمور الدين .

انك تستغرب مدى ألمى فى هذه الرسالة ولكن وضعى هنا يؤلمنى جدا فالصلوات الخمسة لا يمكننى أن أصليها كما كنت أصليها فى بلدى الاسلامى كل فى وقتها .

انى أريد أن أرجع الى بلدى والقرآن فى يمينى وشهادتى فى يسارى ، اننى أحلم منذ صغرى ببناء جامع كبير فى بلدى وأريد أن يتحقق هذا الحلم باذن الله .

لا تلومنى على لهجة رسالتى . فأنا أخشى على نفسى (وأقولها بصراحة فأنا لم أصل بعد الى درجة الايمــان الحقة) فأنا هنا وللأسف مجــال للسخرية من تصرفاتى الشاذة على حد زعم بعض الساكين وهى عدم الاختلاط بالبنات والتحدث بالأمور السخيفة .

كم يحز فى نفسى حين أسمع لاذاعات التبشير وهى تعلن عن استعدادها لارسال أناجيل لمن يرغب وأقول فى نفسى لو أنى أرسلت لهم رســالة كالتى أرسلتها لك لوصلنى عنها الرد بأسرع ما يمكن مصحوبا بانجيل وكتب تبشير مضللة أخرى .

لا يتطرق الشك الى قلبك من أنى متردد أو ضائع كبعض الشباب الآخرين فأنا والحمد لله مسلم مؤمن وسأبقى طول عمرى باذن الله هكذا ولكن كل مــا أريده أن أعيش هنــا بين صفحات « الوعى الاســــلامى وأسمع كلام الله تعــالى لأعيش جو الاســـــلام الذى يعطينى الثقة ويعطينى الراحة النفسية وراحــة الضمير ، ورضى الله تعــالى على وتوفيقه لى ويقوى عزيمتى ويجعلنى أتكل عليه عز وجل فى كل خطواتى .

وأرجو أن تنال رسالتى منكم أذنا صاغية .. الخ .

◆ ◆ ◆

وأنا أعذر الشاب فى تسرعه ولهفته وأرجو أن تكون رسالتى الشخصية قد وصلت الى يده وعرف كل ما استفسر عنه من أوقات الصلاة هناك وكيف ، وأين يصلى .

وإننا من هنا نشد على يديه ونبارك خطواته ، ونحيى فيه وفى أمثاله هذه الروح المؤمنة ونثق أن الله سيكون معه ويشد أزره ويسدد خطواته على الطريق المستقيم حتى يعود ليخدم وطنه ودينه ...

ولعل المجلة تكون قد وصلت إليه وتمتع بقراءتها وستصله باستمرار إن شاء الله هدية من الوزارة .. التى ترعى أمثاله وتفرح بهم .. ومع هذا كله كلمة صغيرة : هى ألا يتسرع فى الحكم على النــاس والأشياء ، ويقــدر الظروف . فبين رسالتيه خمسة عشر يوما ، وهى مدة غير كافية لورود الخطاب من فرنسا والاطلاع عليه ثم وصــول الرد إليه حتى فى رسالة شخصية . مع مراعــاة ظروف العمل فى المجلة .

◆ ◆ ◆

ورسالة أخرى من قارىء بالعربية المتحدة (محروس. س. م) يسأل فيها عن إجراء عقد الزواج بالمساجد .. ثم يقول :

ثانيا : أسأل لماذا تتأخر المجلة عن الوصول الى القاهرة ؟ فمثلا عدد رمضان هذا العــام لم يصل الا فى الاسبوع الأخير منه ، كما أسأل لماذا تصل الى القاهرة أعداد قليلة من المجلة مما

يضطرنا الى شرائها من السوق الســوداء بثمن مرتفع ولقد كان اختيــارنا لهذه المجلة الغراء لما تجمعه من عدة عوامل منها الأناقة وسلامة الموضوعات وامتلاؤها بقواعد الشريعة الغراء ومنها قلة ثمنها ولكننا بعد أن أصبحت المجلة شيئا من دمائنا فلقد أصبحنا نتطلع مع هلال كل شهر جديد الى المجلة ، واننا مستعدون أن نشتريها بثمن مرتفع لو كان هذا ثمنها الأصلى . أما اننا نشتريها من السوق السوداء فهذا حرام وربا فنعوذ بالله منه فنرجو أن تزيدوا من الأعداد القادمة الى القاهرة ولكم جزيل الشكر .

ثالثا : أريد أن أقدم أشتراكا سنويا بالمجلة الى المتعهدين بالقاهرة فأريد أن أستخبر عن ثمن الاشتراك السنوى .

رابعا : نرجو من المجلة أن توزع مع عدد ذى الحجة القادم إن شاء الله صورة مكبرة للكعبة الشريفة بمناسبة الحج كما نرجو أن ترافق المجلة رسالة فى كيفية الحج والعمرة .

خامسا : لماذا لا تقوم المجلة بعمل مسابقة تكون جائزتها مثلا الحج الى بيت الله الحرام فهل هذا حرام أم أن امكانيات المجلة لا تسمح . وأخيرا أرفع يدى قبل السماء وأقول : اللهم أنصر بفضلك ديننا الذى هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التى اليها معادنا .

وأقول للقارىء الكريم : انه لا مانع شرعا من عقد النكاح فى المســاجد ما دام ذلك يتم فى الحدود المناسبة لهيبة المساجد . وليس فى ذلك تقليد لغير المسلمين لأنها سنة عن الرسول صلى الله عليه وسلم كوسيلة من وسائل اعلان الزواج ، وتأخير وصول المجلة يرجع الى ظروف النقل وأسباب أخرى خــارجة عن إرادتنا ، ونرجو أن تصلك مبكرة فيما يأتى من أعداد .

وأما الكمية المرسلة للقــاهرة فقد زدناها حتى أشرفت عــلى الخمسة والعشرين ألفا بناء على طلب شركة التوزيع فيها ، ليتسنى لكل قارىء الحصول على المجلة بسعرهــا المقرر .. دون التحكم فى سعرها طلبــا للكسب الغير المشروع .. ولا تفكر الجهات المسئولة عن المجلة هنا فى زيادة سعرها الآن حتى مع ثوبها الجديد من الطباعة على الورق « الكوشيه » الفاخر الذى تراه .. لأن الهدف منها أولا هو نشر التوعية الدينية ، وتقريبها الى يد الجماهير المسلمة الراغبة فى القراءة . ويمكنك الاتصال بشركة التوزيع عندك لتزود البائع الذى اعتدت الشراء منه بنسخ أكثر من المجلة ، أو لتشترك فى المجــلة عن طريقها والاشتراك يكلفك ثمنها مع أجر البريد الداخلى .

وأما صورة الكعبة المشرفة فقد نشرناها فى غلاف العدد الماضى كما وزعنا رسالة الحج هدية مع عدد ذى القعدة (السابع والأربعين) .. ويوزع مع هذا العدد الممتــاز هدية هى الأولى من نوعها كما ترى . تحتفظ بها لتذكرك دائما بمهوى قلوبنا ..

أما المسابقة والجوائز التى تقترحها فليست من جهة المبدأ حرامــا .. وفكرتك على كل حال قيد الدرس .. والله يتقبل منك ومنا الدعاء ...

◆ ◇ ◆

ورسائل أخرى كثيرة جاءتنا تشكو من نزع الصفحات بواسطة الرقابة .. أو تشكو من عدم وصول بعض الأعداد إليهم ، أو من منع دخول المجلة عندهم

ونحن من جانبنا لا نملك البت فيما يشكو منه القراء . وإن كنا نحرص الحرص كله على أن تصل الى كل قطر والى كل يد دون أية عقبـــة .. ونتحرى الدقة والحذر حتى لا يكون فى المجلة ما يحول بينها وبين القراء ... لأن من خطتنـــا المسالمة ، والبعد عن التيـــارات السياسية والخلافـــات المذهبية .. ولكن قد تختلف وجهات النظر فما نظنه نحن بعيدا لا يثير أحدا قد يكون حساسا لدى غيرنا .

وعالمنا العربى يعج بالخلافات والتيارات التى تشبه تيارات الهواء المتقلبة كل يوم بل كل ساعة أحيانا ... ونحن نجتهد قدر إمكاننا ، ولكن معرفتنا بما يرضى كل يوم وما لا يرضى تماما هو شىء فوق الطاقة . ونحن نرى وجهة النظر للموضـــوع الواحد تتغير فى البلد الواحد يومـــا عن يوم . فماذا نستطيع أن نعمله والمجلة شهرية ، وبالطبع لا يمكننا هنا تتبع التيارات الهوائية التى تضل المراصد فى تتبعها والتنبؤ بها ...

وكم نحب أن يقدر الرقباء هذه الظروف ، ويعرفوا أن قص ورقة أو منع عدد أو منع المجلة والحيلولة بينها وبين القراء دائما يحدث من الأثر فى النفوس ما لا يحدثه ترك الكلمة محل اعتراضهم تمر .. ولاسيما والناس يتحدثون فى مجالسهم بأقسى وأشد من الكلمة المكتوبة ... والذى يحز فى النفوس حقا .. أن نرى الصدور تضيق أحيانا بكلمة الدين فى موضوع من الموضوعات ، مع أنها كلمة حق ، وخير للأمة ، بينما تترك الكلمات والمقـــالات والصور الهادمة لروح الأمة ومعنوياتها تمر وتقرأ !!!

◆ ◆ ◆

وأخيرا أطرح مشكلة وضعها أمامى شـــاب من شباب العرب انتهى من دراسته بالخارج وعاد .... أطرحها لأن فيها كثيرا من تصوير واقعنا المر ، وان كنت أتحفظ على بعض ما جاء فيها ، وكذلك الوضع الذى وضع الشاب فيه نفسه ، وكنت أود مع هذا أن يذكر لى اسمه وعنوانه ، فربما أجد من أهل الخير هنا أو فى البلد الذى تقيم فيه من يخفف عنه ما يعانيه هو وأسرته الصغيرة ، ولعله يطلع على هذا ويراسلنى .

وهذا هو الخطاب كما هو بعد اختصار قليل مما جاء فيه :

كنت أدرس فى جامعة بأوروبا . وقد كان لى أنا وبعض الزملاء نشاط دينى وقد دخل الاسلام قلوب بعض الطلاب والطالبات وعددهم ثلاثة . وبعد مضى عام من إسلام إحدى الزميلات تزوجت بها ، وعشنا فى منتهى السعادة ستة أعوام ، وأنجبت لى طفلين . والآن وصلنا للبلاد العربية ، ومن هنا بدأت المشكلة أو الكارثة ، فقد ضحت زوجتى بأهلها وبوطنها وبتعليمها لكى تأتى معى إلى البلد الاسلامى الكبير ، لأعمل هنـــا ، وتكون بمأمن على دينها . ولكن للآن لم أجد عملا ، وصرفنا كل ما كان لدى ، وأصبحنا فى عداد الضائعين التائهين ، فلم يعد لدينا حتى ما نسافر به . ورأت زوجتى من خلال ذلك واقع بلادنا الاسلامية المؤلم ، ولا يوجد من يطبق الاسلام الحنيف وتعاليم الرسول الكريم . وبدأت تســـأل أين أمثال عمر بن الخطاب والخلفـــاء الراشدين الذين كلمتنى عنهم ؟ أين العدالة أين الشهامة ... أين ... أين ... أين ؟ وذهبت لأحد المعارف أنا

وهى فى زيارة عائلية . واقترحت أن أرشح نفسى لعمل منشور فى الصحيفة . فقال هذا العمل لأبناء البلد ولم يكن لدى علم من قبل بذلك فقال لى هذا هو المطبق فى البلدان العربية الاسلامية وهنا قاطعته زوجتى قائلة : نعم هذا تطبيق للقول الكريم « لافرق بين عربى وعجمى الا بالتقوى » ؟! وعدنا للفندق البسيط الذى نسكن فيه وبدأت المشاجرة بسبب إحراجى عند زملائى . وقد بدأت زوجتى تترك الصلاة ولم تعد تصلى إلا بالتهديد بالطلاق . وحاولت إقناعها بأنه واجب علينا أن نتحمل الشدائد ، وأن المؤمن ممتحن و ... و . ولكن بدون جدوى ، وكانت تسأل هل من الاسلام أن يملك واحد الكثير من المال والقصور ووسائل الترف والرفاهية الزائدة عن الحد ، ونحن تعبنا وتعلمنا ولا نجد الآن عملا نقتات منه ؟ وفى الحقيقة إن منطقها وحجتها أقوى منى وإذا طلبت منها السكوت قالت : ألا تذكر بأنك قلت : بأن من مزايا الاســلام عن الأديان الاخرى حرية الرأى ؟ وقالت : فى أوروبا تضمن لك الحكومة العمل والكفالة الاجتماعية والصحية ويضعونك فى المكان المناسب لمؤهلاتك . ألا ترى معى أن أوروبا هذه تطبق ما يدعو إليه الاسلام بدون قصد طبعــا خيرا منكم .

ومما قالته : أرنى واحدا فقط يتبع تعاليم الاسلام كما حدثتمونى قبل إشهار إسلامى عن قصص الفداء والتضحية ؟؟ والتى جعلتنى أضحى بأهلى وبوطنى وبعملى فى سبيل دينى الجديد إقتداء بهؤلاء العظماء إن كان هذا صحيحا ؟ وهنا تألمت غاية الألم وقلت لها أجل هذا صحيح وأكاد أن أسكتها ، ولكنى أفكر أن من حقها أن تتكلم خشية من أن تكبت هذا فى صدرها وتكون العــاقبة الانفجار .

أنا فى حيرة لا أدرى هل ما تزال زوجتى أم أولادى والتى ضحت بالكثير من أجل إسلامها ومن أجلى هل ما تزال مسلمة ؟ لقد قضينا معا ستة أعوام فى منتهى السعادة الى أن حدث لها هذا التحول بعد أن صدمت بواقعنا الذى لم أكن أشعر من قبل به تماما ، ولم أكن أرى أننـــا بعيدون عن الاسلام بهذه الصورة التى لم يعد فيها من جمال وروعة الاسلام شىء ، اللهم إلا القرآن العظيم وكتب السنة والتاريخ المشرق ولولا ايمانى بالله وبقدره ، لولا ايمانى العميق لضعت فى نفس المتاهات التى تضيع فيها زوجتى .

أخيرا إليك ما قالت زوجتى وقد اصطنعت عدم الانتباه لها . قالت اذا ذهب يهودى الى اسرائيل فسيجد كل تعاون وسيجد العمل المناسب والسكن .. الخ .. الخ .. فماذا جنينا نحن المسلمين تقصد أنا وهى ، عندما وصلنا ، غير التشرد والضياع . تصور يا فضيلة الشيخ أننـــا نذهب لتناول وجبات الغذاء عند المعــارف الذين لا حول لهم ولا قوة . وأخيرا وفقنـــا الى غرفة حقيرة سننتقل اليها بعد حوالى أسبوع ، أى بعد انتهاء ما لدينا من مال . أرجوك أن تدعو لنا عسى الله أن يستجيب ، ولم أعرض مشكلتى الا عليك لأنى من قراء الوعى الاسلامى ، وأنا فى الخارج ، ومعجب بجرأتك فى حملتك على هذا الواقع . ولو أن هذا قليل ولكنى أعرف الظروف . لا أدرى فربما تصلك رسالتى هذه وقد انفجرت فقد نفذ صبرى ولا حول ولا قوة إلا بالله .

◆ ◆ ◆

ومن السنغال :

وهذه رسالة من السيد/يوسف هلال صاحب مكتبة هلال فى دكار عاصمة السنغال غرب أفريقيا يقول فيها :

بعد التحية العاطرة أرجو البارى تعالى أن يأخذ بيدكم فى ســبيل نشر الدعوة والارشاد وانارة الأذهان والقــلوب ، ليعود المجد المندثر ، والحيوية

الاســـــلامية الى القلوب ، ولقد رأيت عددا من مجلتكم الموقرة الزاهرة .. ((الوعى الاسلامى)) العدد ٤٥ عن شهر رمضان المنصرم ، فراقت لى الأبواب والتنسيق ، ولما كان السنغال المسلم المؤمن فى حاجة شديدة ماسة الى مثل هذه المجلة ، ولكن باللغة الفرنسية لأن الوطنيين يعتبرون اللغة الفرنســـية لغتهم الرسمية بجانب اللغة (الولفية) أى الوطنية ، لهذا جئت بكتابى هـــذا مقترحا على سيادتكم أننى أتعهد الارتباط معكم على أخذ (١٠٠٠) نسخة من كل عدد يصدر ويترجم الى اللغة الفرنسية بنفس الحجم والشـــكل والمقياس ، وهكذا نكون قد نشرنا الوعى الاسلامى فى السنغال ، وجواره من الســـكان الأفريقيين ، الذين يتكلمون بالفرنسية ، فهل توافقوننى على اقتراحى ، وما هى شروطكم لتحقيق هـــذه الأمنية ، أرجو الافادة مع رجوع البريد ولا يخفى عليـــكم أننى صاحب مكتبة (الهلال) فى دكار أبيع الكتب الدينية والجرائد والمجلات وخلافه وأحببت بهذه المناسبة أن أضيف على عملى المكتبى أو الكتبى هذه المأثرة الجديدة وهى نشر هذه المجلة الاســـلامية فى أوساط الســـنغال وجوارها شرط أن تكون المواد مترجمة للفرنسية بكاملها شهريا .

هذا وبانتظار جوابكم فى هذا الصدد تقبلوا احترامى ..

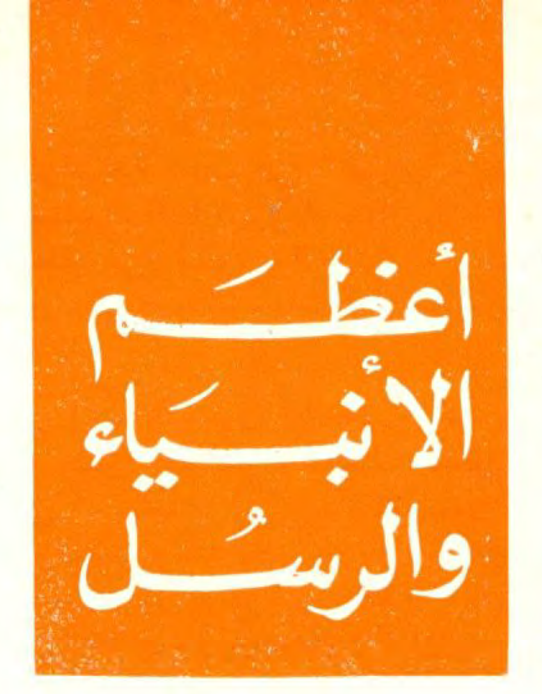
ونحن ــ مع شكرنا للسيد هلال على غيرته واقتراحه ــ نقوم بدراسة هذا الاقتراح منذ مدة ونعد العدة لاصـــدار ترجمات عن المجلة بالفرنســـية والانجليزية ونرجو أن يوفق الله لابراز هذا المشروع الى حيز الوجود لأننا ندرك تماما أهمية الدعوة للاسلام باللغة السائدة بين المسلمين حتى نصل الى الغاية المرجوة والله المستعان .

وأخيرا الى القراء ..

يكتب لى كثير من القراء يطلبون مجموعة أو أعدادا خاصة مما صدر من المجـــلة ، وأحب أن يتجه هؤلاء الاخوة بطلبهم سريعا الى متعهد التوزيع فى بلدهم ــ وفى باطن الغلاف الأخير بيان بأسماء المتعهدين وعناوينهم ــ وذلك ليحصلوا بسهولة على ما يريدون مما قد يكون لدى المتعهد من مرتجعات قبل أن نستردها ، ويصبح من الصعب عليهم الحصول على ما يريدون . ولدى المتعهدين نسخ قليلة من بدء العدد السابع عشر .

أصدق الشكر

للاخوة الذين أرسلوا بتهانيهم بعيد الأضحى ومطلع العام الهجرى وبدر العام الخامس للمجلة راجين من الله أن يحقق أمانينا جميعا فى غد مشرق تطيب له النفوس .







للأستاذ : محمد عطية الأبراشي

العظمة الحقيقية والانسانية الرحيمة فى حياة الرسول صلوات الله عليه كلاهما منبع فياض دافق دائم الجرى ، لا ينضب معينه ولا يمكن لبيان — مهما سمت قدرته فى التعبير والافصاح — أن يجلو هذه الناحية ، فهى اليوم — ما تزال مصدرا غنيا بأنبل الصفات ، وأكرم الشمائل ، وأسمى الفضائل ، فلقد كان محمد صلى الله عليه وسلم معلم الانسانية الاول ، ومربى الشعوب قاطبة ، أهاب بأمة العرب وهى ذات قوة وبأس وصرامة ، ودعاها لأن تخلع نفسها مما هى عليه ، فانقادت له ، وخضعت لسلطانه الروحى ، وقد تنبه الى هذا الجانب من حياة الرسول بعض الافاضل من كتاب الغرب ، فاعترفوا بانسانيته ، وسمو روحه ونبله ، وبطولته وعظمته ، يقول « سير وليام موير » فى كتابه : سيرة محمد صلى الله عليه وسلم : « امتاز محمد صلى الله عليه وسلم بوضوح كلامه ويسر دينه ، وأنه أتم من الاعمال ما يدهش الالباب ، فلم يشهد التاريخ مصلحا أيقظ النفوس ، وأحيا الاخلاق ، ورفع شأن الفضيلة فى زمن قصير ، كما فعل محمد صلى الله عليه وسلم . ولا عجب فمحمد صنع أمة ملأ ذكرها التاريخ ، وأحيا قوما كانوا جفـــاة بداة ، ليس لهم حظ من علم ، فملئوا الارض عرفانا ونورا ،

وأدهشوا الأمم العريقة فى الحضـــــارة الراسخة القدم فى العمران ، يقول كارليل فى كتابه الابطال : قوم يضربون فى الصحراء عدة قرون لا يؤبه لهم ، فلما جاءهم محمد النبى العربى أصبحوا قبلة الانظار فى العلوم والعرفان ، وكثروا بعد قلة ، وعزوا بعـــد ذلة ، ولم يمض قرن حتى استضــاءت أطراف الارض بعقولهم وعلومهم .

ان جوانب العظمة الحقيقية تتجلى فى قلب الرسول الاعظم ، فقد كان قوى العقل والفهم ، صحيح القياس الفكرى ، رقيق الحواس ، حليما ، صبورا ، ذا حياء ومروءة ، رحيما بالناس ، عبقريا فى السياسة ، ولا بدع فقد نقل أمة أمية من ظلام الجهالة العمياء الى نور العلم واليقين والهداية ، عرف الجاهليون فضله قبل الاسلام ، فكانوا يتحاكمون اليه فيما شجر بينهم من خلاف ، وشهد وليه وعدوه بعلمه وفضله وعدله ، ولا شك أن الفضل ما شهدت به الاعداء .

دخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على قريش ، وكانوا يجلســـون بالمسجد الحرام ، وأصحابه ينتظرون ما يأمرهم به من قتل أو تعذيب لهؤلاء الاعداء الذين أخرجوه من دياره ، وأمعنوا فى ايذائه ، وحاولوا قتله ، ولكن الرسول قال لقريش : ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم . فقال صلى الله عليه وسلم سأقول ما قول أخى يوســـف عليه السلام : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين . اذهبوا فأنتم الطلقاء . .

وقد حدث الرواة الثقات أنه ما نهر خادما فى حياته ، وما ضرب بيده شيئا الا فى الجهاد فى سبيل الله ، قال أنس رضى الله عنه : خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، فما قال لى أف قط ، ولا قال لشىء صنعته : لم صنعته، ولا لشىء تركته : لم تركته ، وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله اذا خلا فى بيته كان ألين الناس بساما ضحاكا .

وروى أنه كان فى سفر ، فأمر أصحابه باصلاح شاة ، فقال رجل يا رسول الله : على ذبحها ، وقال آخر على سلخها ، وقال آخر على طبخها فقال رسول الله : وعلى جمع الحطب ، فقالوا يا رسول الله نكفيك العمل ، فقال : علمت أنكم تكفوننى ، ولكن أكره أن أتميز عليكم ، وان الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه .

وقد حدث أن الرسول حينما كان يقسم بعض الغنائم يوم خيبر أن قال رجل يا رسول لله : أعدل فقال محمد : ويحك ! فمن يعدل اذا لم أعدل ؟ فقد خبت اذا والله وخسرت ان كنت لا أعدل .

فقام عمر ، فقال يا رسول الله ، الا أضرب عنقه فأنه منافق ؟

فقال صلوات الله عليه ، معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى ، وكان صلى الله عليه وسلم أسخى من السحاب المثقل بالمطر ، وأجرى بالخير من الريح المرسلة . ما سئل عن شىء فقال : لا ، ولا أعرض عن طالب .

حمل اليه مرة تســـعون ألف درهم ، فوضعها على حصير ، ثم قام اليها فقسمها ، فما رد سائلا حتى فرغ منها .

وحدث البخارى قال : أتى بمال للرسول من البحرين ، فقال : انثروه ، وكان أكثر مال أتى به اليه فخرج رسول الله الى المسجد ، ولم يلتفت الى المال ،

فلما قضى الصلاة ، جلس اليه ، فما كان يرى أحدا الا أعطـــاه ، وما قام عليه الصلاة والسلام وثم معه درهم ، ذلك رســـول الله الذى حين ودع هذه الدار الفانية ترك درعه مرهونة عند يهودى على مقدار من الشعير لطعام أهله . وهو الذى جاءته مرة امرأة من العرب ، ومعها بردة فقالت يا رسول الله أكسوك هذه فأخذها صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها ، فلبســـها فرآها عليه رجل ، فقال يا رسول الله : ما أحسن هذه البردة ! فاكسينيها ، فقال : نعم ، ولما قام الرسول لام أصحابه هذا السائل قائلين له : انك تعلم أن رسول الله محتاج اليها ، وأنه لا يسأل عن شىء فيمنعه ..

وحينما تزوج من صفية لم يكن يملك نفقات الوليمة لأ صحابه ، فطلب منهم احضار طعامهم معهم ، وكان طعام الوليمة التمر والشعير .

كانت حياة محمد على هذا النحو من الزهد والتقشـــف والبعد عن متاع الدنيا وزينتها فى الوقت الذى كان يوزع فيه مئات الألوف من الدراهم والدنانير على أصحابه ، فلم يفكر يوما فى أن يسد حاجته ، ويرفه عيشـــه من هذا المال الكثير . وان من يتأمل حياة العظماء فى العالم يجد أن كل عظيم يستمد عظمته من قومه ، فان كان هؤلاء القوم قد أخذوا بنصيب من حرية الفكر ظهر بينهم حكيم يضيىء لهم السبيل بثاقب فكره ، وسديد رأيه ، كما ظهر (كونفشيوس) فى الصين و (زرادشت) فى الفرس ، و (غوتاما) فى الهنــــد . وان كان هؤلاء القـــوم يميـــلون بفطرتهم الى الفتـــح وبسط الملك ظهـــر بينهم فاتـــح عظيم يقـــودهم الى الاقطــــار كمـــا ظهر (هانيبـــال) فى قرطـــاجة ، وجنكيز خان فى التتـــر ، ونابليون فى فرنســــا ، فـــكل عظيم هـــو روح عصره .. ولكن محمدا صلوات الله عليه لم يكن جاريا على هذه السنة ، فقد ظهر والعرب قد سقطوا فى هاوية الانحلال الاجتماعى والخلقى ، فلم يكن من المعقول أن بيئة منحلة كهذه فشا فيها الفساد وسادها الجهل المطبق ، تنتج عظيما كمحمد ، ذلك الذى رفع أمة من الحضيض ، وأنشأ دولة من العدم ، وأقام دينا بعد انتشـــار الفســـاد والظلم والطغيان وعبادة الأصنام . هذه أمور ثلاثة صنعها محمد ، لم تتهيأ لعظيم بعده ، وتلك هى العظمة الحقيقية التى أذلت أعناق الجبابرة ، وتلك الشخصية القوية التى أتت بالعجائب ، وألقت فى قلوب الناس فى كل عصر الاحترام والهيبة ، ولا عجب اذا عجز الفلاسفة عن أن ينشئوا جيلا مثل الذى أخرجه محمد ، فقد كون صلى الله عليه وسلم جيلا يعد مثلا عاليا فى علو النفس وصفاء الطبع ، ورقة الجانب ، ورجاحة العقل ، وطهارة الخلق واقامة العدل والخضوع للحق .

محمد صلى الله عليه وسلم الذى أحدث هذا التطور ينشأ فقيرا يتيما بين قومه الفقراء ، ولم يكن له مؤدب يعتنى بتأديبه ، أو مرب يتولى تهذيبه وتثقيفه الا طهارة العقيدة والاعتصام بالفضيلة ، وقد حدث عن نفسه فقال « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .

لم يكن فى طاقة مخلوق أن يصل الى هذه العظمة الا أن يكون مؤيدا من الله ، وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم أطهر الخلق عند الله ، منحه الله كل الفضائل ، وعصمه عن الاغراض ، وقرن طاعته بطاعته « من يطع الرسول فقد أطاع الله » ، وسماه الله فى القرآن نورا فى قوله تعالى « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » . وقد أعلى الله ذكره ، ورفع شأنه بذكره معه فى الشهادتين وأيده بمعجزة خالدة باقية هى القرآن الكريم ، ومنع العذاب عن أهل مكة اكراما له وتعظيما « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، وأثنى عليه الثناء العظيم ، فقال تعالى « وانك لعلى خلق عظيم » ، ذلك هو سيدنا رسول الله الذى نادى بالحرية والاخاء والمساواة .

يقول (اللورد هدلى) : رسالة محمد رسالة الهية صادقة لا ريب فيها هدى للمتقين ، أوحى الله بها اليه ، فجاءت مخففة لصرامة أحكام التوراة ، مكملة لكتاب المسيح ، كان محمد داعيا الى الرحمة والعدل ، والكرم والشجاعة والصبر على المكاره ، والصدق . يعتقد أن الدين هو أقرب الاشياء الى العقل ، والى الطبيعة وأن الانسان ما هو الا مظهر من مظاهر الله ، وكان غيورا متحمسا ، وكانت غيرته وتحمسه لغرض نبيل ومعنى سام .

كانت رسالة محمد مولد حضارة جديدة وضعت للناس أسسا قوية لحياة سعيدة ، وكانت مظهرا كريما لاعلاء الكرامة الانسانية ، والسمو بالانسان فى هذا الوجود .

كانت قبسا قويا من النور أضاء جوانب العالم المظلم فهزمت جيوش الظلم وقوضت عروش المستبدين .

والى دعوة رسول الله يلجأ العالم المضطرب يستلهم من أصول دعوته ما يرشده الى اقرار مبادىء الحق والسلام ، واحلال الالفة والوئام محل التنافر والخصام .

اللهم أنر بصائرنا وألهمنا السداد والتوفيق .





إلى من تنتمي الماسونية

كتاب يفضحها ويفضح كل ماسوني من العرب

فى المذكرة التى رفعتها لجنة انقاذ القدس الى مجلس جامعة الدول العربية المنعقد فى سبتمبر (أيلول) ١٩٦٨م جاء فى الصفحة الثامنة منها ما يلى :

وللتدليل على التصميم الصهيونى الأكيد فى الرغبة فى الاستيلاء على الحرم الشريف (بيت المقدس) فان الصهاينة أخذوا يحركون بعض الأوساط الضالعة معهم المتسترة بهذا الستار ، أو ذاك من الستائر الصهيونية المعادية للعرب ، ونرفق للاطلاع نسخة عن الكتاب الذى وجهه الماسونى الأمريكى المدعو جريدى س. تردى بتاريخ ١٩٦٨/٥/٣٠ الى ما أسماه (مجلس مسجد عمر الأمناء) والذى يزعم فيه بأن هيكل سليمان كان المحفل الماسونى الأصلى ، وأن الملك سليمان كان رئيس ذلك المحفل ، وأن مسجد عمر (المقصود المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة) يقوم فى موقع الهيكل ، وعلى أساس هذا الزعم يعرض (جريدى س تردى) المذكور مائة مليون دولار على أصحاب الفضيلة رجال الدين الاسلامى فى القدس لاعادة بناء الهيكل (كذا) ويستطرد قائلا : انه عندما يكتمل الهيكل سينذر لله وللملك سليمان وللنظام الماسونى .. الخ .

فما نص هذا الكتاب الذى لا بد أنك الآن فى حاجة لقراءته ؟

هذا هو النص كما جاء فى المذكرة التى أشرنا اليها ص ٣٤ — ٣٧ .

بحرية تكســاس
مقر الادميراليــة
أسطول المحيط الهادى
جريدى س تردى
أودى مورفي

٣٠ أيار ١٩٦٨

الى مجلس عمر الأمناء
مدينة القدس ــ اسرائيل

أيها السادة :

ولدت جدتى فى مدينة عمان بالأردن ، واننى مواطن أمريكى أنحدر من أجداد ايرلنديين وأردنيين : وأنــا فخور بأن أكون عربيــا ، كما أننى مسيحى الديــانة ، اننى سأصل الى تل أبيب فى الســابع من حزيران القادم ، وفى ذلك الوقت أى فى حوالى التاسع من حزيران سأصل الى مدينة القدس الشريف ، وكلى ثقة أن يكون لى الشرف فى مقابلة حضرتكم يا سادة الهيكل المقدس لمسجد عمر .

لقد كتبت منذ مدة رسالة معنونة الى مسجد عمر ، ولكن يبدو أن الرسالة لم تصل الى الأشخاص المعنيين . سأحاول الآن ايجاز زيارتى : أننى ورفيقى أودى مورفى عضوان فى المحفل الماسونى الذى يحمل شعار (الماسونيون القدماء ، الأحرار ، المرضيون) وأنتم تدركون أن **هيــكل سليمان كان المحفل الماسونى الأصــلى ، وأن الملك سليمان كان رئيس المحفل ،** وقد دمر ذلك الهيــكل سنة ٧٠م ، اننى أعلم أن مسجدكم هــو الماثل الحقيقى الشرعى لذلك الهيكل **وأن مسجدكم هــذا واقع على هذا الملك هو والصخرة التى قدم عليها** أبونا ابراهيم ولده اسحق قربانا لله ، واننى أعلم أنكم معشر العرب أبناء اسماعيل قد قمتم بحماية تلك الصخرة عبر القرون فلنتقدم بشكرنا لله على هذا .

إننى كمسيحى وعضو فى النظام الماسونى أترأس جماعة فى أميركا تطمح أن ترى هيكل سليمان وقد أعيد بنــاؤه ، وفيما يلى اقتراحنا ، اذا سمح مسجد عمر لمنظمتى بالقيام بذلك المشروع ، فاننــا سنقوم بجمع مائة (١٠٠) مليون دولار لذلك الغرض ، أو أى مبلغ من المال لاعادة بنــاء الهيكل ، ان مسجدكم لن يفقد أبدا الاشراف على الهيكل ، وعندما **يكتمل الهيكل سينذر لله وللملك** سليمان وللنظام الماسونى العالمى ، ويعطى لكم مجانا . وبالاضافة الى ذلك وبسماح من هيأتكم سيمنح كل أخ ماسونى يساهم فى اعــادة بناء **هيكل سليمان عضــوية فى محفل الملك سليمان الماسونى رقم (١)** فى مدينة القدس وكل ماسونيى العالم يحبون أن يكونوا أعضاء فى محفل الملك سليمان الماسونى ، وهناك احتمالات ألا يزور أحدهم

الهيكل طيلة حياتهم ــ غير أن عضويتهم ستنتقل الى أبنائهم الماسونيين ، وستجدد هذه العضوية سنويا ، وهــذا يعنى أن الهيكل سيستلم سنويا عدة مئات من الدولارات ، وهو مبلغ كاف للاشراف على الهيكل ، والعناية بأغراض مسجد عمر الخيريــة ، والذى يعنى مرة أخرى أن مسجدكم لن يكون أبدا بحاجة الى جمع المال من الأعضاء ، اننى لم أر حتى الآن أين توجد مؤسسة دينية تستطيع العيش دون طلبها الى أعضائها دفع نقود لتستطيع الاستمرار (فى أداء رســالتها) غير أنى أؤكد لحضرتكم أنكم **اذا تعاونتم معنا فى اعادة بناء الهيكل فان هيأتكم ستكون أغنى مؤسسة دينية على وجه البسيطة .**

فاذا كان لديكم الاهتمام بهذا الأمر ، الشىء الذى يوفر لكم الكسب ، ولا خسارة ألبتة من جرائه ، فسنزودكم بالنقود لانفاقها على بناء الهيكل ، مختارين أنتم مقاويلكم الخاصين بكم ، على أن يفهم من ذلك أن جزءا معينا من الهيكل سيستخدم للأغراض الماسونية ، أما باقى البنــاء فسيستخدم حسبما يراه مسجدكم ملائما ، لأن الهيكل عائد لكم وانه ملككم ، واننــا سنكون قد أعدنا بنــاء الهيكل لكم مجانا على أية حــال فاننى أقترح أن يستخدم جزء من الهيكل كمستشفى لأطفال القدس العرب واليهود على حد سواء يعالج فيه الفقراء مجانا .

وسيرد المزيد من المال عن طريق تجديد العضوية سنويا من قبــل الأخوة الماسونيين أكثر مما يمكن أن تحتاجوا اليه بعد أن يتم بناء الهيكل .

إن عليكم أن تفهموا أننى سأكون ضيفا على شعب اسرائيل ، واننى كأمريكى لا دخل لى فى سياستكم المحلية .

سأقوم وأنا فى الأرض المقدسة بالتقــاط شريط سينمائى (ثقافى) ومع هذا الفيلم الذى سيكون فى الامكان عرضه فى المحافل الماسونية ، شريط دينى لأبينا ابراهيم ولاسماعيل ويعقوب متدرجا حتى بنــاء الهيكل وقصة ميلاد المسيح حتى موته على الصليب .

واننى واثق أيها السادة أنكم ستتدارسون هذه المسألة مع أعضــاء مجالسكم قبل أن أصل الى مدينتكم المقــدسة ، وآمل أن يتفضل أعضاء مجلس جامع عمر بمنحى شرف مخاطبتهم شخصيا أثناء زيارتى القصيرة لمدينتكم .

وأسأل الله أن يبارككم جميعا يا أخوتى

المخلص

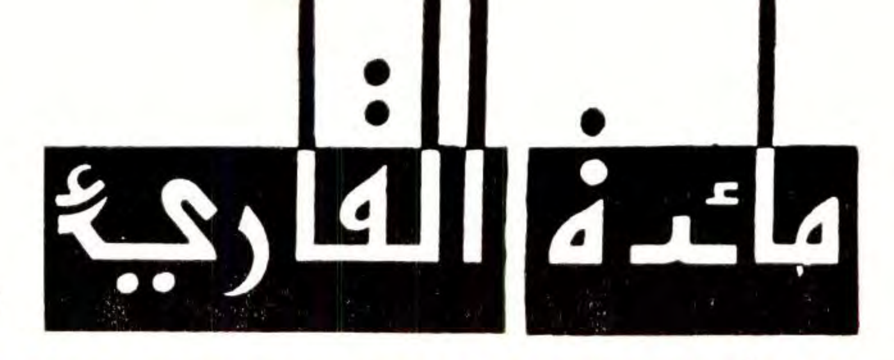
جريدى ترى

٥١٤ شارع الست هارفرد

بوربانك ، كاليفورنيا ، ز ب ٩١٥٠٤

لعلك ــ أخى موقن بعد هذا بالعلاقة الآثمة الوطيدة وبالنسب القائم بين الماسونية والصهيونيــة .. ولعل كل مسلم عربى وغير عربى يتيقظ لهذه العلاقة ولا يدفع نفسه للسير فى هذا التيار ضد دينه وضد أمته .

ع ٠ ن



أعدها : أبو نـــزار

« وكأى من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم »
« ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » .
(قرآن كريم)

أبو بكر

من فضائل الصديق ـ رضى الله عنه ـ التى لم يشاركه فيها غيره :

كان ثانى اثنين فى الغار .

وثانى اثنين فى المشورة .

وثانى اثنين فى العريش

وثانى اثنين فى القبر .

وصلى النبى صلى الله عليه وسلم خلفه ، وأشاد بفضله ، فقال : ان من أمن الناس على فى صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الاسلام .

ولد بعد عام الفيل بسنتين ، ومات بعد النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين وأربعة أشهر وهو ابن ثلاث وستين سنة .

. . . . . .

ما قل ودل

- الذى يقهر نفسه أعظم من ذاك الذى يفتح مدينة .
- صديق عدوك عدوك .
- من لم يقدمه حزمه أخره عجزه .
- والناس ان ظلموا البرهان واعتسفوا
فالحرب أجدى على الدنيا من السـلم

سلوك المسلم

مقتضى الايمان أن يعرف المرء لنفسه حدودا يقف عندها ، ومعالم ينتهى اليها .
أما العيش من غير ضوابط ، والتمشى وراء النزوات المهتاجة دون تحفظ ولا تصون فليس ذلك سلوك المسلم .

أنت مؤمن

دخل رجل الى الحسن بن على رضى الله عنهما ، فسأله الحسن : أنت مؤمن ؟ فقـال له : ان كنت تريد قول الله تعالى : آمنا بالله وما أنزل علينا فنعم ، به نتناكح ، وبه نتناسل وبه حقنا دماءنا .
وان كنت تريد قوله عز وجل « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم » فما أدرى أنا منهم أم لا !!

دعـــاء الكرب

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند الكرب : لا اله الا الله العظيم الحليم . لا اله الا الله رب العرش العظيم . لا اله الا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم .

. . . . . .

مؤهلات السيادة

قال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه : انما يستحق السـيادة من لا يصانع ، ولا يخادع ولا تغره المطامع .

وقال معاوية رضى الله عنه لعرابة الأوسى : بم سدت قومك ؟ فقال : لست بسيدهم ، ولكنى رجل أعطيت فى نائبتهم ، وحملت عن سفيههم ، وشددت على يد حليمهم ، وعطفت على ذى الخلة منهم ، فمن فعل فعلى فهو مثلى ، ومن قصر عنى فانا أفضل منه ، ومن تجاوزنى فهو أفضل منى .

. . . . . .

اجابة دبلوماسية

عاد شريح زيادا فى مرضه ، فلما خرج من عنده سئل عن حالـه : كيف تركت الأمير . قال : تركته يأمر وينهى ، وبعد لحظات نعاه الناعون ، فقيل لشريح : لماذا أخفيـت حال الأمير . قال : ما كتمتكم أمره . لقد قلت لكم : يأمر وينهى ، وكان يأمر بالوصية ، وينهى عن البكاء .

. . . . . .

نسيت نفسك

وقف أعرابى بباب أبى الأسود الدؤلى ، فقال : أتأذن فى الدخول ؟ قال : وراءك أوسع لك . قال : فهل عندك شىء ؟ قال : نعم . قال : أطعمنى . قال : عيالى أحق منك . قال : ما رأيت ألأم منك . قال نسيت نفسك .

. . . . . .

تهنئـــة

بنى أحد الأغنياء دارا ، فدخل عليه صديق يهنئه بها ، فقال له الغنى : كيف ترى دارى ؟ فأجابه : رأيت الناس يبنون دورهم فى الدنيا . أما أنت فقد جعلت الدنيا فى دارك !

. . . . . .

مع ابن سيرين

قال رجل لابن سيرين : رأيتنى كأنى أسبح فى غير ماء .

فقال له : انك تكثر الأمانى .

وقال له آخر : رأيتنى أصـطاد ثعلبا . فقال له : أنت تطلب حيلة .

وقالت له امرأة : رأيت سنبلة تنبت على أصبعى . فقال لها : ستأكلين من غزلها .

ورأى رجل النبى صلى الله عليـه وسلم فى منامه ، فشكا اليه علة كانت به ، فقال له : عليك بـلا ، ولا .. فاستيقظ الرجل ، وتحير ، فسأل ابن سيرين ، فقال له : كل الزيتون فان الله تعالى يقول : زيتونة لا شرقية ولا غربية .

يـوم عاشـوراء

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم عاشوراء ، فقال يكفر السنة الماضية .



للشيخ : محمود البرشومي

بغـداد

لا شـــك أن الديانة اليهوديـــة التى جاء بها موسى عليه السلام ، والتى لم تحرف أو تبدل فى عهده وبعده بزمن ما جاءت الا بكل ما هو كريم بالنســبة للانسـان . والله يقول « ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين»

لكن أصحاب الأهواء من (الحاخاميين) بدلوا وغيروا وجاءوا بديانة منحرفة واعتمدوا لليهود (التلمود) أساسا لتعاملهم وأساسا لدينهم . والتلمود تفسيرات (للحاخاميين) الذين اتبعوا أهواء العامة ، وتأثروا بالوثنية الاولى أيمـــا تأثر فغيروا التوراة وبدلوها وكتبوا بأهوائهم الشىء الذى لا يصلح أساسا لديـــانة وثنية ، فما بالكم بديانة سماوية جاء بها نبى من أنبياء الله ، ومن أولى العزم من الرسل . ولقد أشار القرآن الكريم كثيرا الى هذا التحريف فى أكثر من آية من القرآن الكريم ، يقول سبحانه فى سورة المائدة : « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا ممـــا ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم » ويقول سبحانه أيضا : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب » ، ويقول عز وجل أيضا : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى وان هم الا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » .

ان شريعة موسى عليه السلام مخالفة كل المخالفة لمـــا عليه اليهود الآن ــ فقد تأثر اليهود واقتبسوا عادات من الأمم الوثنية التى كانت تقدم ذبائح بشرية للأصنام . عرف اليهود هذا بعد عهد سليمان عليه السلام ، وسار عليها الكهان

متأثرين بالوثنية من عهد الملك يهورام ٨٩٨ ق . م وعهد ابنه (اخزيا) واستمروا على ذلك مدة قرنين من الزمان ، الى أن أبطلوها مضطرين بتأثير الرومان ، لكنهم بعد أن تفرقوا بعد سنة ٧٠ ميلادية الى أطراف الأرض ، أخذت كل جماعة من اليهود تمارس خطف الناس لتقتلهم وتصفى دماءهم ، وتخلط هذه الدماء بالدقيق، ويصنع من هذا العجين كعكة عيد الفصح .

وأكبر شهادة على ما نقول أن مؤرخهم الشهير (يوسيفيوس) اليهودى يؤكد هذا ، وهذا دليل عليهم ، وقد توفى هذا المؤرخ سنة ٩٥ م. يقول هذا المؤرخ : « ان الملك اليونانى انطوخيوس الذى ملك سنة ١٧٤ ق. م لما فتح أورشليم ودخلها وجد فى احدى محلات الهيكل (معبد سليمان) رجلا يونانيا كان اليهود قد ضبطوه ووضعوه بمكان ، وقدموا له أفخر المأكولات حتى يأتى يوم يخرجون به ليذبحوه ويشربوا من دمه ويأكلوا شيئا من لحمه ، ويقدموه محرقة وينثروا رماده عملا بشريعتهم السنوية وان هذا المسجون استرحم الملك أن ينقذه فأنقذه

وقد ألف حبيب افندى فارس كتابا بعنوان (صراخ البرىء) — وطبع فى مصر سنة ١٨٩١ م فى أجزاء ثلاثة عندما سرق يهود دمشق قريبا له اسمه (هنرى عبد النور) ، وجمع فى هذا الكتاب أكثر من مائة واقعة من ضحايا اليهود ما بين مذبوحين وهاربين مما تقشعر له الأبدان ، وقد فقدت نسخه جميعا فى أول سنة من ظهوره ، اشتراها اليهود وأحرقوها ، ولم تبق الا نسخة واحدة عند أحد علماء الموصل الفضلاء ، والكتاب قيم لكنه مكتوب بلغة ركيكة .

ولعل أشهر قضايا القتل تلك القضية التى حدثت سنة ١٨٤٠ م فى دمشق والتى أحدثت دويا هائلا وتدخلت فيها عوامل كثيرة للعفو عن الذين لم يعدموا . تدخلت استنبول وفرنسا وأثرا فى الوالى محمد على الكبير حاكم مصر والشام فى ذلك الوقت ، ولنبدأ القصة من أولها مع تغيير فى بعض العبارات الركيكة التى وردت فى كتاب (صراخ البرىء) :

والقصة لراهب فى دمشق اسمه توما وخادمه ابراهيم قمارة ، فقد طلب الراهب توما لتطعيم طفل مصاب بالجدرى ، فلبى الراهب الدعوة لهذا العمل الانسانى ، وكانت حالة الطفل خطيرة ، ولا يجدى معه التطعيم ، فرجع الى ديره ، وفى طريقه مر ببيت (داود هرارى) وهو يهودى من المشهود لهم بالسمعة الطيبة ، وكان نصارى الشام يبالغون فى اكرامه لدرجة أنهم كانوا يقولون عنه (يهودى نصرانى صالح) .

(وداود هرارى) كان صديقا حميما للراهب توما ، فلما مر أمام بيته دعاه لدخولها ، فوجد بالبيت أربعة من عظماء اليهود أحدهم شقيق داود والثانى عمه، فلما صار داخل غرفة الاستقبال أغلقوا الأبواب وكمموا فمه وأخذوه الى غرفة داخلية ، وانقضوا عليه كالذئاب الكاسرة وأوثقوه ، فلما أظلم الليل استعدوا استعدادا خاصا لهذه الذبيحة البشرية واستدعوا حلاقا اسمه (سليمان اليهودى) وجاء الحاخام وأمرهم أن يذبحوا الراهب توما بطريقتهم الخاصة ، فجاء داود صديق توما ، وأخذ السكين ونحره ، ولكن يده ارتجفت فأكمل الذبح هارون أحد أشقاء (داود هرارى) ، وكان سليمان الحلاق قابضا على لحية الأب توما ، وكان بعض الحاضرين يتناولون الدم فى اناء ثم يصبونه فى الزجاجات ، وأرسلت فيما بعد الى الحاخام باشى ، وبعد أن تمت تصفية دم الذبيح على هذه الحالة

نزعوا الأثواب عن جثته وأحرقوها ثم قطعوا الجسم قطعا وسحقوا عظامه ، وطرحوا الجميع فى النهر وظنوا أنهم بهذه الوسيلة قد دفنوا الحادثة فى قبر عميق كما كانوا قد دفنوا من قبل غيره .

فلما طال الوقت ولم يرجع الراهب توما بحث عنه خادمه ابراهيم طويلا فلم يجده ، فاتجه الى حارة اليهود يسأل عنه فدخل دار داود هرارى وسأل عنه فرحبوا به وأدخلوه الى نفس الحجرة ، وفعلوا به مثلما فعلوا بالراهب ، وكان الحاضرون لقتل الأب توما هم هارون وداود هرارى واسحق ويوسف هرارى والحاخام سالونيك وسليمان الحلاق ، ثم عند ذبح ابراهيم كان قد ازداد عددهم بأشخاص جدد : ماير ومراد فارحى ويعقوب أبو العافية ويوسف مناحم ومراد الفطحل .

وكشف أمر هؤلاء جميعا ، وحوكموا ، وفى أثناء المحاكمة توفى اثنان منهم وهما يوسف هرارى ويوسف لينوده ، وأربعة منهم نالوا العفو من المحكمة لأنهم أقروا بالحقيقة .

وكشفوا الستار عن المذبحة وهم : أبو العافية الذى اعتنق الاسلام وتسمى باسم محمد افندى وأطلان فارحى وسليمان الحلاق ومراد الفطحل . أما العشرة الباقون فقد حكم عليهم بالاعدام .

اعترفوا بكل شىء عن الذبيحتين وتقطيعهما الخ .. ولولا القنصل الفرنسى الكونت دى راتى مانتون ، والوالى شريف باشا لضاعت الجريمة وآثارها .

واستعمل اليهود نفوذهم فى استنبول وأثروا على محمد على باشا الكبير ، وقدم يهود أوروبا كثيرا من الاموال حتى لا تنتشر القضية وحتى يخفوا معالمها ، وقدم يهود دمشق لقنصل فرنسا مائة وخمسين ألف غرش وشالين من الكشمير الفاخر للتنازل .

أما يهود أوروبا فما قصروا بالنسبة لهذه القضية ـــ وكتبوا كثيرا حتى صدر فرمان من محمد على الكبير بالصفح عن المجرمين ، وحضر يهود من أوروبا وألحوا الحاحا شديدا على محمد على حتى يشطب كلمة الصفح ، وأصدر أمرا هذا نصه : انه من التقرير المرفوع لدينا من الخواجات (مويز مونتيفيورى) و (كراميو) اللذين جاءا لطرفنا مرسلين من قبل عموم الاوروبا وبين التابعين لشريعة موسى اتضح لنا بأنهم يرغبون الحرية والأمان للذين صار سجنهم بين اليهود وللذين أخذوا بالفرار هربا من فحص حادثة الأب توما الراهب الذى اختفى فى دمشق الشام فى شهر ذى الحجة ١٢٥٥ هـ مع خادمه ابراهيم ، وبما أنه بالنظر لعدد هذا الشعب الوفير لا يوافق رفض طلبهم فنحن نأمر بالافراج عن المسجونين ونطمن الهاربين بعدم القصاص عند رجوعهم وهذه هى رادتنا »(١) .

قرر المجرمون أثناء المحاكمة أنه لا بد لكل يهودى أن يتناول فى عيد الفصح دما مستنزفا من انسان بطريقة خاصة ، ولا بد أن يكون هذا الانسان من غير ملتهم ، ويا حبذا لو كان مسيحيا .

---

(١) من كتاب (المعركة الحاسمة) لعبد المجيد شوقى البكرى

وسـنشير الى قضية أخرى حتى يعلم الناس هذه العقيدة التى تتنافى مع الانسـانية والبشرية ، والتى ان دلت على شىء فانما تدل على أن الذين يقومون بهذه الأعمال قد فقدوا معنى الضمير الانسانى ، وأنهم لا يتبعون التوراة فى قليل ولا كثير ، ولا يؤمنون بشرعة موسى التى هى ضياء وذكرى للمتقين .

ولقد جاء رجل يهودى من القاهرة الى بور سعيد فاستأجر عشة فى الجهة الغربية من المدينة وأخذ يتردد على بقال رومى مقيم فى تلك الجهة .

وجاء اليهودى يوما ومعه فتاة صغيرة لا يتجاوز سنها الثامنة ، وطلب خمرا وشربه وأعطى البنت الصغيرة كأسا مما استرعى انتباه هذا الرومى ، فلما اختل توازن البنت أخذها وسار بها . وفى اليوم التالى جاءت امرأة ومعها مناد ينادى على بنت تائهة ، وأدلى المنادى بأوصافها فوجدها الرومى منطبقـة على البنت الصغيرة التى كانت مع اليهودى ، فذهب الجميع الى الشرطة وأعطوا أوصـاف اليهودى ، فبحثت الشرطة عنه وعن عشته حتى وجدوه واستجوبوه . فذهبوا الى عشته فوجدوا اناء به دماء وحصيرة بها آثار دماء ، وحصيرة أخرى ملفوفة فلما نشروها وجدوا بداخلها الفتاة مقتولة بطريقة وحشية استعملت فيها آلات حادة وبعض السكاكين ومقص ومناخس وابر .

أجرى هذا الكشف فى سنة ١٨٨١ م والذى أجرى الكشف اسماعيل حمدى (باشا) وأقر اليهودى بأنه استأجر من قبل يهودى من القاهرة جاء الى بور سعيد بقصد الحصول على دم ولد نصرانى ، ولما لم يتمكن من ذلك أخذ البنت المسلمة وقطع لها حنجرتهـا وفصـدها حتى صفى دمهـا فى (الاناء) ومن ثم نقـله الى ثلاث زجاجات استلمها الرجل اليهودى واستلم معها الحنجرة أو جزءا منها ، حتى يثبت أن الدم دم لآدمى ، وأن اليهودى عاد الى القاهرة عن طريق الاسماعيلية ولم يوقف للمستلم على أثر ، وحوكم القاتل وحكم عليه بـالاعدام شنقا . وهاج النصارى والمسلمون لهذه الحادثة ، والتزم محافظ المدينة حارة اليهود ووضع عليها حراسا .

حوادث كثيرة متشابهة فى كل مكان من العالم تشهد بـأنهم فقدوا معنى الانسانية وانتسبوا للوحوش .

ان اليهود فى كل مدينة أو قرية يعيشون فيها يذبحون طفلا أو امرأة أو رجلا قبل عيد الفصح ويشربون من دمه ثم يضعون الدم فى عجين خبز الفطير حتى لا يبقى يهودى الا ويكون قد ذاق دما ، وهم يربون أطفالهم على الحقد على البشرية بأسرها ولا تأنف نفوسهم من شرب دماء الضحية . واليهود يعتقدون أنه لابد فى كل عام مرة من أن يشربوا دما أو يأكلوه مختلطا بفطيرة عيد الفصح ، فاذا لم يأكل أو يشرب اليهودى عد خاطئا .

ويروج الحاخامون بين اليهود أن دم غير اليهودى ينفع فى أعمال السحر والرقى والتعاويذ وأنه يجلب لهم الكسب والرزق ورضا الرب ، ومع استحلال اليهودى للدماء لا تهمه البشرية فى قليل أو كثير . وهم يعتقدون أن أجدادهم صلبوا المسيح عليه السلام للتخلص منه ، فوجب عليهم أن يذبحوا كل من يخالف دينهم ، ولذلك عندما يقعون على ضحية من الضحايا يعذبونها بالدبابيس والسكاكين

ليكونوا مطبقين أعمال أجدادهم ، فاذا لم يتمكنوا من ذبح الناس جميعا فلا بد من ذبح واحد منهم كل سنة فى كل بلد أو قرية .

ويدخر الحاخامون عندهم دماء بشرية مجففة ومسحوقة وممزوجة بالملح والدقيق ، فاذا جاء عيدهم ولم يستطيعوا أن يحصلوا على الضحية المطلوبة وزع الحاخام عليهم المدخر عنده وبالثمن المرتفع ، ومن قوانينهم أنه لا تذبح الضحية البشرية الا بحضور الحاخام ورؤساء الشعب مما لا يقل عن ستة أشخاص ، وفى الحالات الاضطرارية يأخذون أجزاء من الضحية تؤكد أن الدماء بشرية ، وهم يسمون ضحيتهم بـ (ديك القربان) .

ويفرح اليهود كثيرا عندما تبكى الضحية ، أو تستغيث ، وهم لا يراعون سابق صداقة كما فعلوا بالأب توما ، أو براءة صغيرة كما فعلوا بالبنت البور سعيدية .

وقد يمر انسان وحده بشوارعهم وحاراتهم الخاصة من غير ملتهم ، فيصيحون بالعبرانية « ديك » أى ضحية وسرعان ما ينقضون عليه فى لمح البصر ويخفونه حتى يأتى الحاخام ويقوم بالمراسيم المعتادة لديهم ، ومن ألذ الأعمال لديهم أن يطعموا والد الضحية دمه مذابا فى القهوة أو الشاى أو بخبز الفطير بواسطة أحد اليهود أو معارفه تشفيا به وسخرية .

واذا حامت الشبهات حولهم افتعلوا الحوادث لصرف الأنظار عنهم فيروجون الاشاعات بمهارة فائقة ، وتقول اشاعتهم : لقد شوهد فلان فى طريق كذا أو فى بلدة كذا ، أو شوهدت الضحية الفلانية مع صديقها الفلانى حتى يأمنوا الشبهات التى قد تدور حولهم . يحدث هذا كثيرا فى كل بلد فيه يهود .

ولقد اختفى كثير من الأطفال فى بلدنا (الاسكندرية) ، وكانت أمهاتنا تمنعنا من الخروج بعد المغرب ، وخاصة فى أعياد اليهود ، ولا يعللون سببا للمنع الا بأن الأطفال يسرقون ، وما كنا ندرى لماذا ؟ فلما كبرنا وقرأنا واطلعنا على الكثير من المصادر عرفنا السبب فى المنع من الخروج فرادى والتشديد فى المنع من الخروج بعد الغروب .

هذه الوقائع التى ذكرناها لا يستطيع اليهود انكارها ، فتحت أيدينا أدلة بتواريخها وبمحاكماتها فى أماكن كثيرة من العالم .

وشهادة مؤرخهم تدينهم ، والحوادث التى حدثت فى دمشق ، وفى استنبول وبور سعيد بل وفى انجلترا وميونيخ وايطاليا ، وفى الألزاس واستريا والمجر وغيرها تذكر انهم يمارسون هذه العادةبفظاعة ويصرون عليها فى كل عيد فصح من أعيادهم .

فهل آن للعالم أن يفهم أى جنس هذا الذى فقد بشريته والتحق بالحيوانية، وانفصل عن الانسانية الرفيعة وانضوى تحت سلطان الهوس الشيطانى الذى ما جاء به موسى عليه السلام ، ولا رسل الله من بنى اسرائيل ، وانما جاءت به شريعة الغاب وطمع الذين ألفوا التلمود وهم الذين دلوهم على هذا المسخ الذى يشوه البشرية وينحط بها . .

ما أجدر العالم أن يفيق وأن يتنبه لهذا السرطان البشرى الذى لو نجح لا قدر الله لالتهم خيرات العالم وتركه للدمار والفناء .



للدكتور : محمد أبو شوك

رئيس الوحدة الباطنية بالمستشفى الاميرى بالكويت

كانت اشبيلية أيام حكم العرب للأندلس مدينة العلم والعلماء ، وكانت فى ذلك تتبارى مع بغداد فهذه يشع منها نور العلم ليبدد ظلام الجهل الذى كان سائدا فى الغرب ، ومن الشرق تسطع شمس بغداد ليعم نورها على الشرق والغرب ، وتغذى اشبيلية كذلك بطاقة من العلم لم يسبق لها مثيل ، فكانت الأرض الخصبة لإنجاب عدد ضخم من العلماء حتى ذاع صيتها وتوافد عليها من الغرب طلاب علم كثيرون لينهلوا من علمها الفياض وليبحثوا فى مكتبتها التى اشتهرت فى ذلك العصر بما حوت من آلاف الكتب فى كل علم وفن .

وفى اشبيلية ظهرت عائلة عريقة كريمة اشتهر أفرادها فى ميدان الطب الذى سلم لواءه السلف للخلف ، وكانوا أمناء على حمل هذا اللواء ، كانت هذه الأسرة أسرة ابن زهر التى اشتهرت لفترة غير قصيرة فى تاريخ الأندلس العربى فى عالم الطب ، وكان رب هذه الأسرة هو أبو مروان بن زهر ، وبعده ابنه أبو العلاء ثم أبو مروان ابن أبى العلاء ، ثم الحفيد أبو بكر محمد بن أبى مروان ، ويليه ابنه أبو محمد بن الحفيد أبى بكر . ويكفى هذه الأسرة العريقة فى الطب فخرا أن تنجب هؤلاء الأطباء الذين ساهموا بقسط وافر من الدراية والمعرفة بمهنة الطب وبحثوا فيها كل حسب امكانياته ونظرياته .

١ ـ أبو مروان بن زهر

رب الأسرة هو أبو مروان عبد الملك ابن الفقيه محمد بن مروان بن زهر الايادى الاشبيلى . قال عنه ابن أبى أصيبعة فى كتابه « عيون الأنباء فى طبقات

الأطباء » : إنه كان فاضلا فى صناعة الطب خبيرا بأعمالها مشهورا بالخدمة وكان والده فقيها ومن المتميزين فى علم الحديث ، وقد وصل أبو مروان بن زهر الى المشرق ودخل القيروان ، ومصر ، وتعلم فن الطب ، ثم رجع الى الأندلس . واتخذ دانية مقرا له فأكرم ملكها وفادته وذاع صيته فى أقطار الأندلس ثم انتقل الى مدينة اشبيلية ومكث بها الى أن توفى وترك من بعده غير الأموال الطائلة والشهرة العالية ابنه أبا العلاء بن زهر ليحمل اللواء من بعده .

٢ ـ أبو العلاء بن زهر

يقول عنه ابن أبى أصيبعة فى كتابه : إنه مشهور بالخدمة والمعرفة ، وله علاجات مختارة تدل على قوته فى صناعة الطب ، واطلاعه على دقائقها ، واشتغل بالطب وهو صغير ، وكذلك اشتغل بالأدب ، وهو حسن التصنيف ، جيد التأليف ، وقال عنه أبو يحيى بن اليسع بن عيسى بن حزم بن اليسع فى كتاب : (المغرب عن محاسن أهل المغرب) كان مع صغر سنه تصرخ النجابة بذكره ، وتخطب المعارف بشكره ، ولم يزل يطالع كتب الأوائل متفقها ، ويلقى الشيوخ مستعلما ، حتى برز فى الطب الى غاية عجز الطب عن مرامها . وكان فى دولة الملثمين وحظى فى أيامهم ونال المنزلة الرفيعة واشتغل بصناعة الطب وهو صغير أيام المعتضد بالله أبى عمرو عباد بن عباد .

ولأبى العلاء بن زهر عدة كتب منها : كتاب الخواص ، كتاب الأدوية المفردة ، كتاب الإيضاح بشواهد الانتصاح فى الرد على الطبيب ابن رضوان ، فيما أورده على حنين بن اسحاق فى كتاب المدخل الى الطب . وكتاب حل شكوك الرازى على كتب جالينوس ، ومقاله فى الرد على ابن سينا فى مواضع من كتابه : الأدوية المفردة ، وكتاب النكت الطبية ، وغير ذلك من مقالات جمعت بمراكش والأندلس ، وكان أبو العلاء بن زهر مع ذلك كله أديبا وشاعرا .

٣ ـ أبو مروان بن أبى العلاء بن زهر

أخذ الطب عن أبيه ويقول عنه ابن أبى أصيبعة فى كتابه (عيون الأنباء) أنه كان جيد الاستقصاء فى الأدوية المفردة والمركبة ، حسن المعالجة ، ذاع ذكره فى الأندلس وغيرها من البلاد ، واشتغل الأطباء بمصنفاته ، وله حكايات فى معرفة الأمراض ومداواتها ، وقد قربه إليه الأمير عبد المؤمن واتخذه طبيبه الخاص . بعد أن اتسعت مملكته فى الأندلس ولقب بأمير المؤمنين واستولى على خزائن المغرب وبذل الأموال ، وأظهر العدل وقرب أهل العلم وأكرمهم .

ومما يروى عن أبى مروان ـ أنه كان فى أثناء مروره الى دار أمير المؤمنين باشبيلية يجد فى طريقه بالقرب من دار ابن مؤمل مريضا وقد اصفر لونه وكان دائما يشكو اليه علته . . ونظر اليه فوجد عند رأسه إبريقا عتيقا يشرب منه الماء فقال اكسر هذا الابريق فانه سبب مرضك ، فأبى المريض فأمر أبو مروان بكسره فظهر فيه ضفدع وقد كبر مما له فيه من الزمان . فقال ابن زهر خلصت يا هذا من المرض . أنظر ما كنت تشرب ، وبرأ الرجل بعد ذلك .

ولأبى مروان مؤلفات عديدة أهمها كتاب : (التيسير فى المداواة والتدبير) وهو موسوعة طبية تظهر فيها قوة أبى مروان وتضلعه فى الطب . حتى قورن

أبو مروان بن زهر بالرازى فى حرية التفكير والنزعة العلمية ، وأهدى كتابه هذا إلى صديقه ابن رشد ، الذى قال عنه : إن أبا مروان أعظم طبيب بعد جالينوس . واشتهر كتابه التيسير ، وترجم الى اللغات الأوربية وكان له الأثر الجليل فى الطب الأوروبى . وألف كتاب الأغذية ، وكتاب الزينة فى أمر الدواء المسهل وكيفية أخذه ومقاله فى علل الكلى ورسالة كتب بها إلى بعض الأطباء باشبيلية فى علتى البرص والبهاق وكتاب : « تذكرة » ذكر فيها لابنه أبى بكر ما يتعلق بعلاج الأمراض .

ويدين علم الطب لهذا الطبيب والفيلسوف الأندلسى بأول وصف أو تشخيص سريرى للانسكاب فى داخل التامور (أى وجود سائل داخل الغشاء المبطن للقلب) ولقد فرقه بدقة عن أمراض الرئة ، وكذلك كان أول من اكتشف الحقنة الشرجية المغذية ، والغذاء الاصطناعى لمختلف حالات شلل عضلات المعدة التى تسبب توسعا وارتخاء بعضلاتها ، وكذلك كتب عن سرطان المعدة ووصفه . وتوفى عام نيف وخمسمائة هجرية ودفن باشبيلية خارج باب الفتح .

٤ ــ الحفيد أبو بكر بن زهر

ولد باشبيلية ونشأ بها وتميز بالعلوم وأخذ صناعة الطب عن أبيه وكان حافظا للقرآن ، وسمع الحديث ، واشتغل بعلم الأدب والعربية ، ولم يكن فى زمانه من هو أعلم منه بمعرفة اللغة وقرض الشعر ، وله موشحات مشهورة يتغنى بها وكان ملازما للأمور الشرعية ، متين الدين ، قوى النفس محبا للخير ، وكان مهيبا وله جرأة فى الكلام ، ذاع صيته فى صناعة الطب ، واشتهر فى أقطار الأندلس وغيرها من البلاد ، قال عنه أبو الياس بن محمد بن أحمد الاشبيلى : (كان الحفيد أبو بكر بن زهر قد أتى اليه اثنان ليشتغلا عليه بصناعة الطب ، فترددا اليه ولازماه مدة ، وقرآ عليه شيئا من كتب الطب ، ثم انهما أتياه يوما ومعهما أبو الحسن المصدوم ، وبيد أحدهما كتاب صغير فى المنطق ، فلما نظر ابن زهر الى ذلك الكتاب رمى به ناحية ، وأخذ يؤنبهم ، ثم اعتذرا له ، فقبل معذرتهم ، واستمرا فى قراءتهم عليه صناعة الطب ، ثم انه بعد ذلك أمرهم أن يجيدوا حفظ القرآن ، وأن يشتغلوا بقراءة التفسير والحديث والفقه ، وأن يواظبوا على مراعاة الأمور الشرعية والاقتداء بها ، وبعد أن أتقنوا ما أشار عليهم به إذا هو يخرج لهم ذات يوم الكتاب الذى رمى به ناحية ، وهو كتاب المنطق ، وقال لهم الآن صلحتم لأن تقرءوا هذا الكتاب وأمثاله . وان دل هذا على شىء فانما يدل على بعد نظر الحفيد وما أوتى من مقدرة فى تربية تلاميذه وتنشئتهم النشأة الدينية الصحيحة السليمة ثم بعد ذلك التفقه فى العلوم الأخرى . ويدل ذلك على مدى ما كان يتمتع به الأطباء فى هذا العصر من تفقههم فى العلوم الدينية . فلم ينسوا آخرتهم وهم منهكون فى عملهم الدنيوى ، فكانوا أطباء فقهاء أدباء فلاسفة علماء فى شتى العلوم المختلفة .

ووقفة أخرى فى حياة الحفيد أبى بكر لنرى منها العبرة وكيف كانت حرية الرأى والثقة بالنفس فى هذا العهد . فلقد حدث أنه بعد أن كتب والده أبو مروان ابن زهر نسخة دواء مسهل لعبد المؤمن الخليفة ان رأى ذلك أبو بكر وكان ما زال

فى شبابه ، فقال يجب أن يبدل هذا الدواء المفرد منه بدواء آخر ، فلم يتناول عبد المؤمن من ذلك الدواء ، ولما رآه أبوه . قال يا أمير المؤمنين إن الصواب فى قوله ، وبدل الدواء المفرد بغيره ، كما أشار بذلك أبو بكر ، فكان لذلك الأثر الطيب والنفع الجليل . ولم يسلم الحفيد أبو بكر من كيد أعدائه والحاقدين عليه ، لما وصل إليه من علم ومن جاه قربه من الخلفاء فى عهده ، فدس له أبو زيد عبد الرحمن بن يوجان وزير المنصور سما فى بيض فأكله ، فتوفى على أثره ، وكانت وفاته فى عام ست وتسعين وخمسمائة بمراكش ، بعد أن عمر نحو الستين سنة كانت حافلة بخير الأعمال تاركا وراءه من التراث الطبى والأدبى ما تفخر به إشبيلية .

٥ — أبو محمد بن الحفيد أبى بكر بن زهر

قال عنه ابن أبى أصيبعة إنه كان جيد الفطرة حسن الرأى جميل الصورة مفرط الذكاء محمود الطريقة محبا للبس الفاخر ، كثير الاعتناء بصناعة الطب ، والتحقيق فيها ومعاينتها ، واشتغل على والده ، فنشأ خير نشأة ، وفقه فى كثير من الأمور وقربه إليه الخليفة أبو عبد الله محمد الناصر بن المنصور أبى يعقوب ، ولقد مات مسموما كوالده عن عمر يناهز الخامسة والعشرين ، وترك ولديه أبا مروان عبد الملك وأبا العلاء محمد الذى اعتنى هو الآخر بصناعة الطب وكان له نظرة جيدة فى كتب جالينوس — وكانت وفاته عام ٦٠٢ هجرية .

وهكذا خدمت أسرة ابن زهر علم الطب ومهنته وسطرت صفحات مجيدة خالدة فى تاريخ الطب العربى أيام حكم العرب للأندلس ، ولمعت فى وقت كان الظلام فيه يخيم على أوروبا . .

ولنا فى هذه الأسرة القدوة الحسنة للمثابرة والجد فى العمل والفحص والبحث وتوارث الأعمال الجليلة ، الى أن تأتى أكلها فما ضرنا إلا أننا تركنا تراثا ولم ننتفع به ، ولم نثابر حتى نكمله ، ونصل به الى المستوى الرفيع ، كما فعل غيرنا .

ولنا أيضا فى هذه الأسرة العبرة فى أن لا ننسى ديننا مع عملنا ونتفقه فيه حتى يكون لنا منه خير هاد للعمل السليم ومن غيره لا يكون هناك رادع ولا وازع واحساس نفسى وحافز قوى على العمل والمثابرة والصبر واحتمال المشاق .
إن أهم شىء فى الطبيب هو الناحية الإنسانية فيه ، والطبيب بدون هذه الناحية خطر على هذه المهنة وعلى الناس أيضا ، ولا أعتقد أن هناك شيئا كالدين يربى هذه الناحية فى الطبيب ، وينمى فيه روح المراقبة لله ، والاخلاص له فى عمله .

واذا كان كل عمل يعمله الإنسان يحتاج فيه الى وازع دينى ، فان مهنة الطب أكثر حاجة الى هذا الوازع . . حيث تكون أرواح الناس وحياتهم رهنا بعمل الطبيب وما يقدمه من علاج ، وما يبذله من رعاية .

رابطة تاريخ الطب العربي

للدكتور محمد أبو شوك عنــاية خــاصة بتاريخ الطب العربى وأعلامه ولعــل القراء لمسوا ذلك مما قدمه على صفحات المجلة من بعض هؤلاء الأعلام الذين تفخر بهم الإنسانية لا المسلمون وحدهم .. وقد خطا بعنايته هذه خطوة جديدة عملية هو وبعض زملائه الأطباء فى الكويت الذين يشاركونه غيرته على تراث أسلافهم وأمجادهم .. فكونوا رابطة لإحياء التراث الطبى القديم .

وأذكر أنه جرى حديث بينى وبين الدكتور على مطاوع عميد طب الأزهر من سنوات للعناية بهذا الموضوع فى جامعة الأزهر ، كما أذكر أننى لاحظت وأنا فى الهند أن فيها عناية كبيرة بالطب العربى وأن جامعاتها تدرسه ويتخرج الأطباء فيه . والحكومة تعترف بهم ، ويبــاشرون علاجهم بنجاح . فلعل جامعاتنا تتلاقى مع الرابطة فى أهدافها حتى تخطو خطوة عملية نحو إحياء هــذا التراث العظيم . فان من العار علينا أن تعنى أوربا الآن بهذا التراث ورجاله . ونحن فى غفلة عنه أو تجن عليه . وقد علمت أنه جرى اتصال بين الرابطة وجامعة الكويت بشــأن العناية بهذه الناحية حين انشاء كلية الطب بها قريبا ، ووعد القائمون بأمر الجامعة ببذل الجهود لتحقيق هــذا الأمل ..

ويسرنا أن نقدم هنا الكلمة التى ألقاها الدكتور أبو شوك رئيس الرابطة فى أول اجتماع لها ، والأهداف التى تسعى اليها هذه الرابطة . راجين لها التوفيق فيما تسعى إليه .. :

(الوعى الاسلامى)



أحييكم أحسن تحية وأشكر لكم تفضلكم بتشريفكم اجتماعنا الأول بعد ميلاد رابطة تاريخ الطب .

أيها السادة ،

منذ أيام كنت أتصفح كتابا لمستشرقة ألمانية تدعى سيجريد هونكه
ووجدتها كتبت تحت عنوان « أحد أعظم أطباء الإنسانية إطلاقا » فقالت : « قبل ٦٠٠ عام كان لكلية الطب الباريسية أصغر مكتبة فى العالم لا تحتوى الا على مؤلف واحد وهذا المؤلف كان لعربى كبير وكان هذا الاثر العلمى الضخم يضم كل المعارف الطبية منذ أيام الاغريق حتى عام ٩٢٥ بعد الميلاد وظل المرجع الاساسى فى أوروبا لمدة تزيد على ٤٠٠ عام بعد ذلك التاريخ ، دون أن يزاحمه مزاحم أو تؤثر فيه أو فى مكانته مخطوطة من المخطوطات الهزيلة التى دأب فى صياغتها كهنة الأديرة قاطبة .

ولقد اعترف الباريسيون بقيمة هذا الكنز العظيم وبفضل صاحبه عليهم وعلى الطب اجمالا ، فأقاموا له نصبا فى باحة القاعة الكبيرة فى مدرسة الطب لديهم وعلقوا صورته وصورة عربى آخر فى قاعة أخرى كبيرة تقع فى شارع سان جرمان . فمن هو ؟ انه الرازى ... والعربى الآخر هو الرئيس ابن سينا صاحب كتاب القانون أعظم معلمى بلاد الغرب خلال ٧٠٠ سنة .

وتحت عنوان « كتب تصنع التاريخ » كتبت تقول : « هذه المعارف المبتكرة العظيمة الشأن وهذه التحقيقات العلمية الرائعة التى قدمتها العبقرية العربية هدية منها للانسانية عامة ولأوروبا خاصة كالأرقام العربية وعلم الجبر العربى وعلوم الطب وغيرها ... هل اعتبر مصدرها ؟ أو أرجع فضلها الى صانعيها ؟ لا بل كان الأمر على العكس تماما فان أغلب الاكتشافات العربيـــة حملت معها وما تزال تحمل حتى يومنا هذا أسماء انكليزية أو فرنسية أو ألمانية . ولكن كتبهم التى

كتبت بادىء ذى بدء للاطباء الجدد من بغداد وقرطبة قد صنعت التاريخ وعاشت على الزمن وأمدت أجيالا من الأطباء الأوروبيين بالمعارف المبتكرة الناضجة بشكل لم يحلم به أكبر مؤلفيها طموحا ، وأكثرهم الى العلا تطلعا .

فلا عجب أن شهد بفضلها العظيم ، مؤرخ الطب نيوبيرجر حين قال : « إن العرب هم الذين أدخلوا النور والترتيب على تراث القدماء الذى طالما اكتنفه الغموض ونقصه التسلسل . ومكان النقل الآلى للفقرات وتجميع المعلومات واضطراب المخطوطات الكثيرة لدى البيزنطيين ، مكان كل هذا صنف العرب كتبا مختصرة جامعة عظيمة التماسك صنفوا فيها كل المواد الدراسية الخاصة وعرفوا كيف يقدمون العلوم فى أشكال سهلة ، وصاغوا فى لغتهم الحية ، التى لم تمت فيها كلمة ، تعابير علمية مثالية .

هذا ما قالته المستشرقة الألمانية فى كتابها وما قاله نيوبيرجر عن الأطباء العرب ولكن غيرهما كثير ، أنكروا فضل الأطباء العرب ، وما أجدرنا نحن أن نخلد ذكراهم ونبحث عن تراثهم فهو كثير وعلى سبيل المثال لا الحصر :

- كتاب الحاوى للرازى .
- كتاب القانون لابن سينا .
- التصريف لمن عجز عن التأليف لجراح العرب الزهراوى .
- التيسير فى المداواة والتدبير لابن زهر .
- كتاب الكليات فى الطب لابن رشد .
- تقويم الأبدان لابن جزله .
- الكتاب الملكى لعلى بن العباس .
- تقويم الصحاح لابن بطلان .

وغيرها كثير . ومما يؤسف له أن هذه الكتب والمخطوطات مبعثرة هنا وهناك وفى أنحاء متعددة من العالم ، بل ومما يؤسف له حقا أن تكون مراجعنا عن مراجع أجنبية دخلها التحريف والتجنى على أطبائنا .

إذن كان لا بد لنا من أن نحيى هذا التراث العربى ، لا لنفخر ونقول نحن كنا فحسب ، ولكن لنبنى فوق الصرح الذى بنوه ، ونشيد البنيان الذى بدءوه كما أشاد الغرب على بنيانهم ، ولكنهم تنكروا لهم .

لذا كان من الواجب أن ننشىء رابطة تاريخ الطب ، لتكون رابطة من الرابطات التى ترعاها الجمعية الطبية الكويتية . وانى لأرجو أن يساهم كل طبيب فى أعمال هذه الرابطة كما نرجو كل من له رغبة فى أن ينضم الى هذه الرابطة من غير الاطباء ويجد فى نفسه القدرة على المساهمة فى هذا العمل الجليل أن يتقدم مشكورا ليكون عضوا منتسبا فيها .

وانى أستسمحكم أن أعرض عليكم أهداف هذه الرابطة لتكونوا على علم بهذه الأهداف والوسائل المختلفة التى سوف نتبناها وكلنا أمل فى نجاح هذه الرابطة بفضل جهودكم .

أهـــداف الرابطة :

أ — بعث التراث الطبى القديم وخاصة تراث الطب العربى .

ب — دراسة وتقييم الوسائل الطبية العربية والإقليمية القديمة والطبابة الشعبية مع بحث إمكانية الاستفادة من تطبيقها .

جـ — تعريف الجمهور العربى بما حققه الأقدمون عن طريق استخدام وسائل الإعلام المختلفة محليا واقليميا .

د — التعـــاون الوثيق بين الرابطة وبين المؤسسات العلميـــة الاقليمية والعالمية المهتمة بتاريخ الطب .

الوســـائل :

أ — العمل على انشـــاء مكتبة تاريخ الطب إما فى مكتبة جـــامعة الكويت وإما فى مكتبة الجمعية الطبية الكويتية ، والسعى نحو تجميع فهارس المخطوطات والكتب الطبية المتوفرة حاليا بدور الكتب العالمية والإقليمية أو المنشور منها فى المكتبات العامة . والاتصال بمكتبات وزارة التربية والجامعة ووزارة الخارجية ومنظمة هيئة الامم وتنسيق العمل بين الرابطة وبينها .

ب — السعى نحو إيجاد مصادر تمويل لمشروعات الرابطة سواء عن طريق المؤسسات العلمية أو التجارية أو الاتصال بالشخصيات العربية المهتمة باحياء الثقافة العربية القديمة .

جـ — إقامة ندوات ومحاضرات وكتابة أبحاث عن تاريخ الطب .

د — تشجيع الباحثين لتحقيق المخطوطات والكنوز المدفونة التى لم ينفض عنها الغبار منذ قرون والعمل على نشرها بالأسلوب الحديث .

هـ — الاشتراك فى المؤتمرات الدولية لتاريخ الطب (مؤتمر بوخارست — ١٩٧٠ —) ، مؤتمر لندن (١٩٧٢) .

و — الانضمام الى الجمعيات الدولية لتأريخ الطب .

ز — السعى لدى المسئولين بالجـــامعة الكويتية لمناقشة اقتراح يرمى الى انشـــاء كرسى أستاذية تاريخ الطب (طبقا لتوصيات المؤتمر العالمى المنعقد مؤخرا بباريس) .

س — طبع كتيبات باللغات الحية عن تاريخ الطب العربى . وتوزيعها فى انحاء العالم .

احرص على هديتك

(مع هذا العدد تقويم حائـــط هجرى وافرنجى مع صورة جميلـــة للمقصورة النبوية يوزع هدية . وقد ساعد فى اخراج هذا التقويم السيد أحمد عنبر من مشروعه (سجل الزمن) والسيد صالح الرفاعى والسيد صالح العجيرى) .



أو الحديث الموضوع

للشيخ : محمد عبد الطاهر خليفة

المفتش بالازهر الشريف

لا نرى أكبر جرما ممن يتطاول على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكذب والاختلاق عليه ، بعد الكذب والافتراء على الله عز وجل .

وكفى هذا المتطاول ذما ان يقال له : « دجال ، وكذاب ، وأفاك » وكفاه أيضا أن أعد الله له عذابا أليما فى نار جهنم ، كما أخبرنا الصادق الأمين بقوله :

« من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »

ولقد أساء الى الاسلام فى عصوره الغابرة ، وعهوده السابقة ، أقوام أفاكون كمحمد بن سعيد المصلوب بالشام ، وابراهيم بن أبى يحيى الاسلمى بالمدينة ، والواقدى ببغداد ، ومقاتل بن سليمان بخراسان ، والكلبى بالكوفة ، ومحمد بن زياد اليشكرى ، وغيرهم .

حيث اختلقوا من عند أنفسهم أحاديث نسبوها الى النبى صلى الله عليه وسلم اتباعا للهوى وحبا فى التقرب من الرؤساء وقد كذب بعض هؤلاء الوضاعين تشويها لصحيفة الاسلام النقية الطاهرة ، كما فعل الزنادقة الذين دسوا على دين الله القويم ، والذين أدخلوا على السنة المطهرة الآلاف المؤلفة من

الاحاديث المصنوعة المكذوبة فقد قيل أنهم وضعوا أربعة عشر الف حديث يريدون بها أفساد الدين وتشويه محاسن الاسلام لما وقر فى نفوسهم من الحقد على الاسلام وأهله .

ومما وضعوه : ما روى عن حميد عن أنس بن مالك مرفوعا . « أنا خاتم النبيين لا نبى بعدى — الا أن يشاء الله — » فقد وضع محمد بن سعيد بن حسان الأسدى المصلوب قوله فى الحديث — الا أن يشاء الله — لما كان يدعو اليه من الالحاد والزندقة ، فقدقتله أبو جعفر المنصور ثم صلبه بسبب الزندقة .

وكذب بعضهم لفرط العصبية والانتصار للمذاهب كما فعل الشيعة ، والخوارج ، والكرامية(١) ، والخطابية(٢) والسالمية(٣) .

كما كذب آخرون بقصد الاغراب ، وقصد الاشتهار ، أو غلبة الجهل كبعض المتعبدين الذين وضعوا أحاديث فى فضائل السور ليرغبوا الناس فى الاشتغال بالقرآن ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أو قصد التكسب والارتزاق ، والتقرب للعامة بغرائب الروايات .

روى ابن الجوزى أن أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين صليا فى مسجد الرصافة فقام قاض فى هذا المسجد فقال :

حدثنا أحمد بن حنبل ، ويحيى عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال لا اله الا الله خلق من كل كلمة طيرا ، منقاره من ذهب وريشه من مرجان ، وأخذ فى قصته نحوا من عشرين ورقة .

فلما فرغ من القصة ، وأخذ يجمع الهبات والعطيات عارضه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قائلين له : « لم نقل هذا ، ولم نسمع به قط فى حديث رسول الله فقال :

لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق ، ما تحققت هذا الا الساعة ، فوضع الامام أحمد كمه على وجهه وقال ليحيى : دعه يقوم ، فقام كالمستهزىء بهما .

وقديما أكثر القصاص من الاحاديث الموضوعية التى ليس لها أصل ، وكان ثقاة المحدثين يتعرضون لتكذيبها فيتعرضون لسخط العامة ، والايقاع بهم .

---

(١) الكرامية — (بتشديد الراء مع فتح الكاف) قوم ينسبون لمحمد بن عبد الله بن كرام .

(٢) الخطابية — (بفتح الخاء وتشديد الطاء) فرقة تنسب لابى الخطاب الاسدى كان يقول : بأن الله حل فى أناس من أهل البيت على التعاقب ، ثم ادعى الألوهية ثم قتل وجاء أتباعه من بعده وقالوا : أبو الخطاب نبى ، وفرضوا طاعته بل زادو على ذلك فقالوا : الائمة أنبياء ، والحسن والحسين ابنا الله ، وجعفر الصادق اله ، ولكن أبو الخطاب أفضل منه .

(٣) السالمية : فرقة تنسب للحسن بن محمد بن احمد بن سالم السالمى .

فابن الجوزى فى كتابه (القصاص والمذكرون) يذكر ان الشعبى فى أيام عبد الملك بن مروان نزل تدمر(٤) فسمع شيخا عظيم اللحية يقول :

« ان الله خلق صــورين فى كل صور نفختان نفخة الصعق ، ونفخــة القيامة » .

قال الشعبى : فرددت عليه وقلت « ان الله لم يخلق الا صورا واحدا ، وانما هى نفختان فقال لى : يا فاجر انما يحدثنى فلان عن فلان ، وترد على ، ثم رفع نعله وضربنى بها ، وتتابع القوم على ضربا فما أقلعوا حتى قلت لهم : ان الله خلق ثلاثين صورا .!!

قال ابن الجوزى فى كتابه « الموضوعات » معظم البلاء فى وضع الحديث من القصاص !

لأنهم يريدونأحاديث ترقق ، وتنفق ، والصحاح تقل فى هذا .
ولو توخينا الموضوعات وهى الأحاديث المكذوبة على رسول الله وخاتم الأنبياء لوجدنا فيها من الأباطيل والاكاذيب والترهات ، ما تقشعر منه الابدان ، وتتقزز من أجله النفوس ! اذ فيها ما يتنافى مع سماحة الدين ، ويتصادم مع نصوصه .

ولولا أن قيض الله للحديث من أعلام الرجال من يقوم بتطهيره من أدران هؤلاء الدجالين الآثمين لطغتأباطيلهم على جماله الرائع ، ومحاسنه الجميلة .

فجزاهم الله أحسن الجزاء تلقاء ما قاموا به من الجرح والتعديل ، ونقد الحديث ورواته وبيان الصحيح منه والمصنوع، والحسن منه والضعيف، والمقبول منه والمردود حتى ألفوا فى هذا الغرض الموسوعات الضخمة ، والاسفار الثقيلة التى تنوء بالعصبة أولى القوة فمن ذلك الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ، وكتب الذهبى وهى فريدة فى بابها، وكتاب الكامل لابن عدى فى الضعفاء ، وكتــب الميزان للحافظ العسقلانى ، وكتاب العلل للامام أحمد بن الخلال والعلل المتناهية لابن الجوزى ، واللآلىء المصــنوعة فى الأحاديث الموضوعــة لجلال الدين السيوطى وغيرها مما لا يمكن استقصاؤه ولا الاحاطة به .

علامات للوضع

ولقد وضع هؤلاء للحديث الموضوع علامات وقرائن يعرف بها ، كأن تظهر عليه مســحة الاختلاق ، وتشم منه رائحة الوضع ، وذلك بأن تأباه العقول السليمة ، وتنفر القلوب الصحيحة .
قال ابن الجوزى :
« ان الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم ، وينكسر منه قلبه فى الغالب » .

---

(٤) قال ياقوت فى معجم البلدان : تدمر مدينة قديمة مشهورة فى برية الشاب بينها وبين حلب خمسة أيام وهى قريبة من حمص ومبانيها من عجائب الابنية كانت موضوعة على العمد الرخام وهى الان قرية صغيرة ، لم يكن فيهــا الا أكواخ حقيرة ، وسط صحراء مجدبــة ، وقــد خربت الزلازل آثارها . « فسبحان من يرث الأرض ومن عليها » .

وقال الربيع بن خيثم :

« ان للحديث ضوءا كضوء النهار نعرفه ، وظلمة كظلمة الليل ننكره » .

وطبعى انه لا يعرف هذا الا من له ملكة قوية فى فن الحديث واطلاع واسع ،

ومن أمثلة هذا النوع : قدس العدس على لسان سبعين نبيا آخرهم عيسى بن مريم .

ــ لو أعتقد أحدكم فى حجر لنفعه ــ الأرض على صخرة والصخرة على قرن ثور فاذا حرك الثور قرنه تحركت الصخرة .

ومن القرائن ما يؤخذ من حال الراوى : كما وقع لغياث بن ابراهيم النخعى حيث دخل على الخليفة المهدى (والد هارون الرشيد) فوجده يلعب بالحمام فساق فى الحال اسنادا الى النبى صلى الله عليه وسلم انه قال :

« لا سبق الا فى نصل أو خف ، أو حافر ، أو جناح ، فزاد فى الحديث أو جناح . »

فعرف المهدى أنه كذب لأجله فقال له : أشهد أن قفاك قفا كذاب ، وأمر بذبح الحمام .

ومن علامات الوضع فى الحديث أيضا ، ما يؤخذ من حال المروى :

كأن يكون مناقضا لنص القرآن مثل : ولد الزنا لا يدخل الجنة الى سبعة أبناء » فان هذا الكلام مخالف لصريح قوله تعالى « ولا تزر وازرة وزر أخرى » .

أو مناقضا للسنة المتواترة ، أو الاجماع القطعى ، أو مخالفا للعقل كالحديث الذى وضعه أحد الملاحدة وتفوه فيه بكلام لا يصدر من النبوة ، ونطق سفها فقال مسند للرسول عليه السلام وهو منه براء .

« رأيت ربى بمنى يوم النفر على جمل أورق عليه جبة صوف أمام الناس »

ومثل : « ان سفينة نوح طافت بالبيت سبعا ، وصلت عند المقام ركعتين »

أو يكون الحديث مخالفا لحقائق التاريخ المعروفة عن عصر النبوة مثل :

« دخلت الحمام فرأيت رسول الله جالسا وعليه مئزر »

فالرسول عليه الصلاة والسلام لم يدخل حماما عاما قط ، ولم تكن الحمامات العامة معروفة فى الحجاز فى عصر النبوة ومثل :

« اتقوا البرد فأنه قتل أخاكم أبا الدرداء »

فالمعروف تاريخيا أن أبا الدرداء « عويمر بن زيد بن قيس الخزرجى الانصارى الصحابى الجليل والفقيه العابد الزاهد) مات بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خلافة سيدنا عثمان بن عفان سنة ٣٢ هـ .

ومن علامات الوضع فى الحديث أن يكون فيه وعيد شديد على ذنب صغير مثل :

« من ترك العشاء قال له ربه لست ربك فاطلب ربا سواى »

أو يكون فيه وعد عظيم على فعل شىء حقير مثل :

(البقية ص ١١٨)



للأستاذ : محمد لبيب البوهي



وقف الناس صفوفا صفوفا ، فى أقصى المدينـــة أمام قبر جديد ، وكانوا جميعا فى صمتهم الطويل الحزين يعبرون بلسان الحال عن مأساة نزيل القبر الجديد ، وكان الهمس يتردد بين صفوف الجموع .

لقد مات الرجل كمدا على ابنته .

ماتت الوحيدة ياسمين العزيزة بالأمس ، ولم يحتمـــل أبوها هول الصدمة فلحق بها فى أمسية اليوم التالى .. ووقف جميع المشيعين على قبره آسفين واجمين بينما كانت يد الحفار تسوى التراب على فوهة القبر المفتوح .

ومن العجيب أن نزيل القبر لم يكن فى عزلة عما يدور حوله ، فما أن وضعوا جثمانه على الأرض الرطبة ، وانصرفوا عنه مدبرين ، حتى تلفت يمينا وشمالا ، فلما اطمأن الى نفسه نقض عنه كفنه الأبيض ، وتكوم فى أحد أركان الحفرة الضيقة ، وأخذ يصيخ السمع الى ما يقولوه المشيـــعون الطيبون ، وعادت قصة المأساة ترتسم فى ذهنه من جديد بكل تفاصيلها .

. . . . . .

كانت ياسمين هى كل حياته ، لم يكن له فى دنياه سواها ، وكان يكـــد ويعمل ليهيىء لها كل أسباب السعادة ،سيارة أنيقة ، ودار وســـيعة ، وترف ليس بعده من ترف ، وكان فى الأسبوع الأخير فى سفر خـــارج البلاد ، فى رحلة ممتعة طابت له أمورها هناك ، حتى لقد تمنى أن يطيل

أمد الرحلة يومين أو ثلاثة ، لولا الشوق الملحاح الذى قاده بالرغم منه الى المطار ، الشوق الى العـــودة ، الى حيث تنتظره ياســـمين ، فليس فى الوجود أكثر سعادة من أن يضم الى صدره بعد ساعة أو زهاءها ابنته الحبيبة ، ويقبل منها الجبين ، وينظر طويلا فى عينيهـــا ، وهى تهم أن تشيح عنه معاتبة لغيابه عنها بضعة أيام فى غضب لذيذ ، وعند ذلـــك سيضحك بكل جماع قلبه ويقذف بالحقيبة قائلا :

هيا .. هيا يا صغيرة .. لك فى هـــذه الحقيبة ما تشـــائين من هدايا ..

هذه هى الأفكار الحلوة التى كانت تداعب خياله حين كان فى طريقه الى المطار .. وها هى ذى الطائرة تهبط أرض البلد الحبيب ، وها هو ذا فى سيارته ينهب الأرض نهبا فى طريقه الى الدار . وها هو ذا يسرع فى ممشى الحديقـــة ، ويتريث عند شـــجيرات الورد باحثـــا بعينيه : أين ياسمين ..؟

أخذ ينظر فى ريبة يمنة ويسرة ، أين الطفلة الحبيبة ؟ ولماذا تركت مكانها المختار عند شجيرات الورد .. !؟

وراح يصيح : ياسمين . ياسمين .. ولكن لا مجيب .. وطالعته فى مدخل الدار أحدى قريباته .. لم تكن السيدة أبدا كالعهد بها ، ان نظرات التشـــؤم كانت تطل من عينيها ، وعلى شفتيها كلام لا تجرؤ أن تحرك به اللسان ، وصرخ فى وجهها وهو يهزها .. ماذا ؟

ولكن المسكينة لم تجب ، كانت السيدة تبدو كتمثال قد من حجر ، فزاد ذلك من ريبته ، وراح يقفز درجات السلم قفزا ، ثم ضرب الباب بركلة من قدمه ، واندفع الى حجرتها .

وتوقف فى منتصف الحجرة ، كان كل شىء صـــامتا جامدا حتى هواء المكان أصبح ثقيلا يكاد يكتم الأنفاس ، أين صوتها ..؟ أين ضحكاتها ..؟ أين البسمات العذاب المشرقة ..؟ أين .. أين ؟

وصاح من أعماق قلبه : ياسمين

وارتد اليه الصـــدى

وأخذ يجد البصر صوب سريرها الصامت ــ ترى أهى نائمة ..؟ أهى مريضة ؟ وكانت السيدة قد لحقت به ، فلما كشف غطاء السرير ولم يجد شيئا قالت فى خفوت :

انها هناك .. نقلناها الى المستشفى .

واندفع كالصاروخ لا يلوى على شىء .. وبدت شجيرات الورد حزينة كأنها تتهامس فيما بينها بشىء يثير الاشفاق ..

وعند باب المستشفى قابله الناعى .

وأدرك كل شىء ، واستند الى الجدار يحاول أن يتماسك ، حتى لا ينقض أو ينهــار ، ومادت به الأرض ، ودارت به الدنيــا .. البيــوت والاشجار .. والسيارات والناس .. كل شىء يدور ، وهو يهوى فى دوامة ليس لها من قرار .. وغمره عرق غزير .

. . . . . .

لقد ذهبت اذن ياسمين ، وذهب بذهابها كل شىء .. وراح يضرب كفيه متسائلا وهو يهذى .. أهكذا ..!؟ سريعا سريعا بغير مقدمات ولا انذار ..!! ما هذا الشىء العجيب الذى يسمونه الدنيا ؟ ولماذا لا يرحم الردى هذه الوردة التى خطفها من بين الأكمام ..؟

وبصق على الأرض .
لقد كان فى أعماقه يتصور أنه يبصق على الدنيا .

. . . . . .

ومضت الساعات لا يعرف كيف مضت .. وأقسم ألا يكون له بعــد اليوم مع الحيـــاة شأن ، سيدع كل شىء وسيتفرغ للأسى والحزن ، وغمره شعور من العداء للدنيا .. حتى الخير نفسه لن يفعله . لن يمد بعد اليوم يدا الى انسان ، لن يمسح عن مكروب أسباب كربته ، انــه يعانى من الشقاء ما لم يكن له فى حسبان . يجب أن يخلع هذا الشـــقاء على كل شىء .. والا فلماذا يظل هو وحده يتجرع كل هذه المرارات .؟!

لقد رأى أن يتخذ لنفسه شعارا شيطانيا أسود .. كأنه ينتقم بهذا الاحساس الكئيب من الوجود .. وأقسم الا يخلع عنه لباس الحزن .
وأخذته فى الامسية الثانية سنة من نوم ، وها هو فى خلال هــذه السنة يرى نفسه فى هذا القبر .

ها هو ينفض عنه الكفن .. انه ليس خائفا من الموت ، بل انه به لجد سعيد ، فمن المؤكد أنه قد دخل عالم ياسمين . سيراها اذن وتراه .
لقد ترك الدنيا البغيضة ودخل من باب عالم النور والاحلام الجميلة والموسيقى والطيور والزهور .

ولكن أين هى ياسمين ..؟ لماذا لم يرها ؟ ولماذا لم تسرع اليه ، لقد ذهب المشيعون ، فأخذ ينظر الى جدران القبر ، وراحت الجدران تتباعد والقبر يتسع ويتسع ، حتى لا يكاد نظره يبلغ مداه ، وها هو شىء آخر عجيب ، ان مياه البحر تندفع الى القبر ، وهذه موجة عارمة تحمله الى السقف حتى يكاد رأسه ينشق نصفين نصفين ، ثم ها هو ذا يهوى بعد ذلك الى قاع اليم .. وها هو رجل على الشاطىء يصيح .

مسكين .. مسكين .. لقد مات كمدا من أجل ياسمين .. مات على نية شريرة .. لقد غمره شعور بكراهية الناس . كان يريد أن يذيقهم ألوانا من الحزن ليخلع عليهم شقاءه .

وذهب الرجل أما هو فقد قذفه البحر الى قبره من جديد .. وأخذت جدران القبر تقترب وتقترب .. وحجم القبر يضيق ويضيق حتى كادت الجدران تهشم ضلوعه وصرخ ، ورأى فرجة فى حائط القبر فنظر الى الخارج فاذا الليل والبرد والظلام ، وبومة تنوح على شجرة الصبار .

وعادت جدران القبر تضيق به حتى تلاصقت والتحمت وهشمت جسده دون أن تصغى الى صراخه .. ان صياحه لم يعد يصل الى أحد ، حتى البومة التى على شجرة الصبار لم تحفل به حين أرسل اليها نظرة استجداء .

ونهض عملاق هائل أمام حافة القبر يحمل شيئا كالعصا يشير بها الى الافق ثم يصيح : ألف عام .

وتساءل الميت ! ما هذا ..؟ ومن أنت ؟ وماذا تصنع ؟ قال العملاق : اننى حارس الزمن .. احصى السنين .. لقد مضى عليك فى القبر الف عام .

وعاد يضرب يديه فى حسرة .. ألف عام ولم أرها بعد ..؟

ولم يكد ينظر مرة أخرى الى العملاق حتى صاح هذا وهو يشير بالعصا ألف عام أخرى ..

ونظر الدفين المسكين فاذا هو فى غير قبر .. انه شىء يسبح فى فضاء لا يحده شىء ، لم يعد هناك قبر ولا جدران ، ولم تعد هناك بومة على شجرة الصبار ، لم يعد غير صوت العملاق حارس الزمن يلاحقه .. مليون .

فالتفت اليه مستفهما مليون ماذا ؟

قال حارس الزمن .. مليونان من الأعوام .. ثلاثة ملايين .. لقد مضى عليك فى قبرك بضعة ملايين من السنين .

وفاضت الدموع من عينيه .. وهو يخافت فى صوت تلونه الوجيعة ومع ذلك لم أر ياسمين ..؟

ثم توقف الروح الهائم فى الفضاء .. هناك شىء عجيب .. أعجب من كل ما شاهد ورأى .

لقد دكت الأرض والجبال ، وتناثرت الكواكب والنجوم وأصبح كل شىء كالعهن ، وفتحت القبور أبوابها وطار منها الفراش المبثوث .

وجاء الصوت من بعيد .. صوت حارس الزمن .. وهو يجود بآخر أنفاسه .. لقد انتهى الزمن .. وانتهى كل شىء .. وصاح المنادى أيها الناس .. انها الساعة .. وستلاقون يومكم الذى كنتم توعدون .

• • • • • • •

ومرت أزمان لا نحصيها عدا فى هذا الموقف العصيب ، وتهامس الفراش المبثوث يتساءل كل أفراده عن الميزان .

وجاءهم الجواب من حيث لا يشعرون .

قبل أن يقام الميزان هناك أقوام ستفتح لهم الأبواب بغير حساب وصـــاح المنادى من مكان قريب .

من كان له عند الله دين فليقم ليأخذ دينه . وتساءل أفراد الجراد المنتشر :

عجيب هذا الأمر .!! أيكون لبعض الناس عند الله تعالى ديون .!؟

وعاد المنادى من المكان القريب .

بلى .. من نزلت به فى دنياه نازلة .. من ابتلى بنقص فى الأموال أو الأنفس أو الثمرات أو بشىء من الخوف .. أو ابتلى بفقد عزيز فهؤلاء هم الذين لهم عند الله تعالى الديون ..

. . . . . .

كان الفضـــاء الذى لا يحد .. يموج بأفواج بعد أفواج بعد أفواج من الخلائق فنهض أكثرهم مهطعين الى الداعى ، فما من أحد فى الدنيا الا ونزلت به نازلة وقالوا جميعا فى صوت واحد كالرعد .

نحن اذن ممن ستفتح لهم الأبواب بغير حساب .

فعاد المنادى يهتف بصوت هادىء قوى رصين :

أيها الناس .. انكم حقا قد ابتليتم بشتى صنوف البلاء ، ما من أحد من البشر الا وقد أصابته مصيبة من ضياع مال .. أو فقد عزيز .. ولكنى لست أعنى كل هذه الجموع .

فصاحت ملايين الملايين من الخلائق التى ابتليت فى حياتها بكل هذه الألوان من البلاء

فماذا تريد اذن أيها المنادى القريب ..!؟
قال المنادى :

أعنى من ابتلى فلم يجزع .. من ابتلى فصبر .. من ابتلى فتماسك ورفع ناظريه الى الســـماء ، وقال صـــبرا يا نفس فانا لله وانا اليـــه راجعون .

ونظر الناس بعضهم الى بعض وهم يتراجعون والمنادى يستطرد :
ارجعوا الى صحائف أعمالكم .. فمن وجد فيها الصبر والرضـــا فهؤلاء هم الذين لهم عند الله دين .

وتراجعت ملايين الملايين صفوفا وراء صفوف ممن ابتلوا ولم يصبروا .. وظلت ثلة قليلة ثابتة فى مكانها فتقدم المنادى من هؤلاء وقال :

مرحبا أيها الصابرون .. طوبى لكم وحسن مآب .. هيا معى .

ونظر صاحبنا ـ صاحب هذه القصة ـ الى حيث أشار المنادى فاذا بشىء يشبه بساط الريح تواكبه هذه الأرواح فلم يطق صاحبنا صبرا وانطلق من خلفها ليرى اين سينتهى بها المصير .

لقد وقف بساط الريح حامل الجموع الصابرة عند باب الجنة وتقدم رضوان يتساءل !

ما هذا أيها المنادى القريب .

قال المنادى : افتح يا رضوان .. فهؤلاء هم الصابرون .

قال رضوان : كيف أفتح . ولم ينصب لهؤلاء ميزان ولم يقدموا عن أعمالهم حسابا .

فتبسم المنادى ضاحكا وقال :

اذكر يا رضوان قول الله تعالى (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) .

قال رضوان : صدقت .

ثم فتح الباب وهو يقول : أدخلوها بسلام ذلك يوم الخلود .. لكم ما تشاءون فيها ولدينا مزيد .

. . . .

كان صاحبنا نائما فى سريره وقد أخذته سنة من نوم رأى خلالها هذه الرؤيا واستيقظ على صوت طرق على الباب .
كان أحد أصحاب الحاجات الذين أغلق من دونهم بابه منذ ماتت ابنته .. ويئس من الطرق وهم أن ينصرف ولكن صاحبنا أسرع من خلفه ينادى : لبيك أخى لبيك .. هيا تقدم .. فماذا تريد ؟ .

لقد ذهبت عن عينه الغشاوة ، وانكشف عنها الغطاء ، وما زالت الرؤيا تتماثل فى خاطره ، وبساط الريح وملايين الخلائق .. وصورة المنادى .. وأبواب الجنة ، وصوت رضوان : انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب .

« من أطعم لقمة بنى الله له فى الجنة الف مدينة فى كل مدينة الف بيت ، فى كل بيت الف حورية وصيفه ، ولقمة فى بطن جائع أفضل من بناء الف جامع .

وانك لتجد كثيراً من هذا القبيل فيما سمى (المجموعة المباركة) التى عكف عليها بسطاء الناس ، وقدسوها كأنها كتاب سماوى أو وحى الهى ، ولا أدل على ما فيها من الافتراء والكذب من حديث استغفار عبد الله بن سلطان . ومثله فى كتاب تنبيه الغافلين ، وكالوصية التى وضعها دساسو المبشرين ونسبوها الى الشيخ أحمد ويزعمون أنه خادم الحجرة الشريفة .

وكبدائع الزهور الذى ملىء بأساطير الاولين وترهات الأقدمين .

ولا تخلو بعض كتب التفسير كالخازن والبيضاوى والكشاف مع جلالة قدر أصحابها من الأحاديث الواهية الموضوعة كحديث الغرانيق وأحاديث فضائل السور التى رويت عن أبى عصمة نوح بن مريم المروزى قاضى مرو فقيل له من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس فى فضائل القرآن سورة سورة ، وليس عند أصحاب عكرمة هذا ؟ فقال :

انى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن ، واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ومغازى محمد بن اسحاق فوضعت هذا حسبة (أى احتسابا وابتغاء وجه الله)

وكتب الشيخ عبد البر الاجهورى بهامش شرح الالفية ما نصه :

اعلم أن السور التى صحت الأحاديث فى فضلها « الفاتحة والزهروان — البقرة وآل عمران — والأنعام والسبع الطوال مجملا (البقرة الى آخر براءة بعدها الأنفال سورة واحدة) والكهف ، ويس ، والدخان ، والملك ، والزلزلة ، والكافرون ، والنصر ، والاخلاص ، والمعوذتان ، وما عداها لم يصح فيه شىء انتهى سيوطى .

رب قائل يقول : هل تحل رواية الحديث الموضوع (أى المكذوب) للعالم بحاله ؟

والجواب : لا تحل روايته مطلقا سواء أكان فى فضائل الأعمال أم فى الترغيب والترهيب أم فى المواعظ والقصص ، أم فى صفات الله تعالى الا اذا قرن ببيان الوضع لقوله صلى الله عليه وسلم « من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » رواه مسلم .

قيل لابن حجر الهيثمى :

ان خطيبا ينقل الأحاديث من غير أن يعزوها ، هل يجوز له ذلك ؟

فأجاب رحمه الله بما يأتى :

ما ذكره الخطيب فى خطبته من الأحاديث من غير أن يبين رواتها ، أو من ذكرها جائز بشرط أن يكون من أهل المعرفة فى الحديث ، أو ينقلها من كتاب مؤلفه كذلك .

وأما الاعتماد فى رواية الأحاديث على مجرد رؤيتها فى كتاب ليس مؤلفه كذلك فلا يجوز ، ومن فعله عزر .

نسأل الله تعالى أن يجنبنا الزلل ، ويعصمنا من الوقوع فى الخطأ والخطل ، وأن يهيىء لنا من أمرنا رشدا .





يسر المجلة ولجنــــة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها ..

السؤال :

(١) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وســلم قال : « اذا اختلفتــم فى الطريق فاجعلوه سبعة أذرع » .

رواه أحمد فى مسنده ومسلم وأبو داود . فما المراد من هذا الحديث وما معناه ؟

(٢) ما المقصود من هذا الحديث الذى رواه ابن ماجه عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا استطاب أحدكم فلا يستطب بيمينه ليستنج بشماله » : حديث حسن .

احمد على

الرميثية ــ الكويت

الجواب :

معنى الحديث الأول أنه اذا حصل خلاف بين اثنين على سعة الطريق بينهما فلا بد أن يكون عرضه على الأقل سبعة أذرع (والذراع ٥٢ ســـم) حتى يمكن للمارة أن يسيروا فيه دون مضايقة .. وهذا توجيه خاص بحال المدينة فى ذلك الوقت وما يشبهها ، أما الحالات التى تستدعى توسيع الطريق ليسهل السير فيه فتكون حسب الحاجة ... والحديث وضع المبدأ وهو تســـهيل المرور فى الطريق .. ولكل مكان وزمان ظروفه الخاصة التى يجب مراعاتها ..

وأما الحديث الثانى : فهو فى كيفية الاســـتنجاء بعد قضاء الحاجة وهو يوجهنا الى أن نفعل ذلك باليد اليسرى لا باليمنى لأن اليمنى يعتمد عليها الانسان فى تناول الطعام وفى المصافحة وغير ذلك ، وهذا توجيه نبوى كريم يتلاقى مع أحدث التوجيهات الصحية والذوقية كذلك ....

ستر العورة فى الصلاة

السؤال :

قال عليه الصلاة والسلام « اذا اتسع الثوب فتعطف به على منكبيك ثم صل وان ضاق عن ذلك فشد به حقوك ثم صل بغير رداء »

رواه أحمد فى مسنده ، والطحاوى عن جابر .

ما معنى هذا الحديث ، وما المقصود منه ؟

احمد رامى

الكويت

الجواب :

هذا الحديث بخصوص ستر العورة فى الصلاة ومعناه ان الثـــوب اذا

اتسع لستر الجسم كله اعلاه واسفله فى الصلاة فليستره . واذا لم يكن كافيا لذلك فليستر المنطقة الواجب سترها التى عبر عنها بقوله « فشد به حقوك » والحقو يراد به منطقة العورة .

وقد فسرها الأئمة الثلاثة بأنها ما بين السرة والركبة بحيث لا تصح الصلاة بدون سترها اما الامام مالك فيرى ان الصلاة تصح بستر منطقة العورة المغلظه من الامام والخلف ولو كان الفخذان عاريين لكن المصلى يرتكب حرمة فى هذه الحالة كما يقال فى الصلاة على مكان مغتصب حيث تكون الصلاة فيه صحيحة ، ولكن المصلى قد ارتكب محرما . .

فى الميراث

السؤال :

توفى رجل عن (اخت لام ، واخ لاب ، واولاد عم) فما نصيب كل وارث .

خليفة دخيل

الكويت

الجواب :

اذا لم يكن للمتوفى المذكور سوى الورثة المذكورين يكون توزيع تركته على النحو التالى :

للأخت لأم السدس فرضا ــ والباقى للأخ لأب تعصيبا ، ولا شىء لأولاد العم .

والله اعلم

فى الرضاع

السؤال :

رضعت من زوجة ابن عمى كما رضعت بنت من زوجة ابن عمى أيضا وأريد الزواج من احد بنات هذه البنت التى رضعت من زوجة ابن عمى فما حكم الشريعة .

سعود المطيرى

الوفرة ــ المنطقة المحايدة

الاجابة :

برضاع السائل من زوجة بنت عمه ورضاع بنت منها ايضا تصبح هذه البنت اختا له من الرضاع وبناتها بنات أخت له وهن محرمات عليه لقوله تعالى فى آية التحريم « وبنات الأخ وبنات الأخت » ولأنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب

تصحيـــح

فى قصيدة الاستاذ التهامى بالعدد ٤٧ حدث خطأ مطبعى فى البيت الثانى وصحته :

ماذا عن الحق قد طـال الزمان بنا حتى نسينـا فضـل الركب مسـعاه

فنعتذر ونرجو تصحيحه .



باشراف
الشيخ رضوان البيلي

تزوير التاريخ

قرأت فى كتاب البيان والتبيين للجاحظ جزء أول ص ٢٤٨ أن الذبيح المفدى هو اسحاق ولد ابراهيم ، وليس اسماعيل جد نبينا عليهم الصلاة والسلام .

هذا رأى الجاحظ وهو كما تعلمون رائد من رواد الفكر ، وعلم من أعلام الفلسفة والبيان . فما رأيكم ؟

طالب ثانوى ــ بالكويت

الرأى الذى حققه المؤرخون والعلماء أن الذبيح الذى أراد أبوه ابراهيم أن يذبحه امتثالا لأمر ربه فيما أوحى اليه به فى منامه هو اسماعيل وليس أخاه اسحاق ، والقرآن الكريم وان كان لم يعين اسم الذبيح الا أنه يكاد يصرح بأنه اسماعيل .

وقد استند المحققون فى اثبات هذا الرأى الى حجج قاطعة نجملها فيما يأتى :

١ ــ ان الله عز وجل ذكر قصة ابراهيم وابنه الذبيح فى سورة الصافات فقال سبحانه : « فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه أن يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم . وتركنا عليه فى الآخرين . سلام على ابراهيم . كذلك نجزى المحسنين . انه من عبادنا المؤمنين . » . ثم قال عز وجل : « وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين » فالتبشير باسحاق بعد قصة الذبيح دليل واضح على أن اسحاق غير الذبيح .

٢ ــ ان حوادث هذه القصة وقعت بمكة ، ومعلوم أن اسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون اسحاق وأمه .

٣ ــ انه جاء فى التوراة أن الله أمر ابراهيم أن يذبح ابنه بكره ، ولا يشك أحد فى أن اسماعيل هو الابن البكر لابراهيم ، وهو يكبر اسحاق بنحو أربع عشرة سنة كما جاء فى التوراة .

ويذهب الامام ابن تيمية مذهبا لطيفا منطقيا فى تأييد هذا الرأى فيقول :

ان « سارة » امرأة الخليل صلى الله عليه وسلم غارت من هاجر وابنها أشد الغيرة فانها أى هاجر كانت جارية عندما ولدت اسماعيل وأحبه أبوه واشتدت غيرة سارة ، فأمره الله سبحانه أن يبعد عنها هاجر وابنها ويسكنهما فى أرض مكة لتبرد عن « سارة » حرارة الغيرة ، وهذا من رحمة الله تعالى ورأفته ، فكيف يأمره سبحانه بعد هذا أن يذبح ابنها ويدع ابن الجارية ، بل حكمته البالغة اقتضت أن يأمر بذبح ولد السرية ، فحينئذ يرق قلب السيدة عليها وعلى ولدها ، وتتبدل قسوة الغيرة رحمة ، ويظهر لها بركة الجارية وولدها ، وليرى عباده جبره بعد الكسر ، ولطفه

بعد الشدة ، وأن عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم آلت الى ما آلت اليه من جعل آثارها ومواطىء أقدامها مناسك لعبادة المؤمنين ومتعبدات لهم الى يوم القيامة .

أما الجاحظ فقد وقع فيما ذهب اليه فى حبائل اليهود المزورين الذين حسدوا بنى اسماعيل على هـذا الشرف ، وأحبوا أن يستأثروا به لأنفسهم دون العرب ، وقد حرف اليهـود التوراة ودسوا هذه العبـارة عليها (ادع ابنك اسحاق) وهذا من تزييفهم الذى اشتهروا به من قديم الزمان « يحرفون الكلم عن مواضعه » .

وليس الجاحظ وحيدا فى هذا الرأى ، فقد تابعه جماعة من علماء المسلمين الذين تأثروا بالثقافات الأجنبية .

مشاهد متنوعة غير متناقضة

قرأت فى هذا الباب فى العدد السابع والأربعين تحت عنوان لا تناقض ردا على سؤال من مدرس بالكويت —

وقد حاول المجيب أن يرفع ما قد يبدو من تعارض بين قوله تعالى (هذا يوم لا ينطقون . ولا يؤذن لهم فيعتذرون) وبين (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) وكان اعتماد الاجابة على صرف المعنى الظاهرى للآية الأولى بحيث جعلها تنفى « النطق النافع المفيد » وهذا التأويل قد يورده بعض المفسرين ولكن أليس الأولى والأقرب هو ما ذكره ابن قتيبة فى كتابه تأويل مشكل القرآن فى أن هذه الآيات وأمثـالها هى تعبير عن مشاهد وأحوال متنوعة متعددة يعقب بعضها بعضـا فهم ينطقون فى موطن ولا ينطقون فى آخر . فيوم القيامة يوم طويل ذو مشاهد ومواطن متعددة ويمكننا تتبع مشاهده وأحواله فنراهـا حية شاخصة متناسقة اذا فهمنا الآيات على ضوء هـذه الحقيقة « حقيقة تنوع وتعدد المشاهد » ويوم القيامة نفسه ذو أسماء متعددة لأن تسميته اختلفت وتباينت لاختلاف وتباين مشاهده وأحواله فهو يوم القيامة ويوم الآزفة ويوم التناد ويوم الجمع ويوم التغابن ويوم الدين ويوم الفصل ويوم الخلود ..

فلننظر الى بعض الآيات على ضوء الحقيقة المذكورة :

قال تعالى : ونفخ فى الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون . قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) فهذا كلامهم عقب البعث والقيام من القبور . ثم يتلوه مشهد السعى الى الحشر « يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا » ثم أنظر الى الآيـات الآتية تمثلهم فى عرضات القيـامة فى بعض مواطن الحساب « اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون » « هذا يوم لا ينطقون . ولا يؤذن لهم فيعتذرون » قال ابن كثيـر أى لا يقدرون على الكـلام ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا بل قامت عليهم الحجة « ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون » .

ونحن اذا رأينا الناس يتكلمون يوم القيامة أو رأيناهم انقطعوا عن الكلام فان ذلك بحسب ما هم فيه من حال فانقطـاعهم عن الكلام فى موطن قد يجسم لنـا الهول والرعب والرهبة أو الاستسلام « ما لكم لا تناصرون ؟ بل هم اليوم مستسلمون » كما أن التمكن من الكلام فى موطن آخر يجعله الله وسيلة لاظهار مرارة الندامة وعذاب الحسرة التى تعترى الكافرين ونختم كلامنا بما ختم به الرد السابق فلا تعـارض ولا اختلاف بين الآيات وصدق الله العظيم « ولو كان من عنـد غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .

ما ذكره الاستاذ المعقب أحد تأويلات لهذه الآيات وما ذكرناه فى اجابتنا تأويل آخر وهناك غير هذا التأويل وذاك عدة تأويلات موجودة فى كتب التفسير ولكل من أصحاب التأويل وجهة نظر .

واختـلاف المفسرين فى الفهم أمر طبيعى ليس فيه غرابة والاقتصـار على ذكر أحد الوجوه لا ينفى وجود وجوه أخرى .



يعبرون فيه عن أفكارهم
دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

رسالة الاسلام

كتب الأستاذ عبد الستار الهوارى من القاهرة كلمة تحت هذا العنوان نقتطف منها ما يلى :

ان رسالة الاسلام اطار للانسان الحى والمجتمع القوى ، للانسان ذى الارادة والعزم ، وللمجتمع العطوف المتواد المتآخى ، ولكنه المجتمع الأبى الذى لا يقبل الضيم والذل .

للانسان المسلم رسالة فى الحياة هى أن يكون ذا ارادة ، وللمجتمع الاسلامى رسالة هى أن يحقق العدل والسلم ، ويدفع الأذى والعدوان ، ورسالة المسلم مقدمة لرسالة المجتمع الاسلامى، اذ لا يتحقق عدل ولا سلم فى مجتمع ، ولا يدفع أذى وعدوان من مجتمع الا اذا كان أفراده ذوى ارادة ، ذوى مراس على الكفاح ، ذوى قوة على المثالية .

ليست رسالة المجتمع الاسلامى أن يعيش للترفيه ، وانما رسالته أن يكافح فى سبيل القيم ، يكافح فى سبيل العدل ، ودفع الظلم والاعتداء يكافح فى سبيل الترابط والتآخى ، ورابطة الاسلام فوق رابطة القبيلة وأخوته فوق لحمة الدم . هى قبل كل شىء رابطة المبادىء وأخوة الأهداف والغايات المشتركة .

ان رسالة الاسلام ليست تخطيطا اجتماعيا من انسان ، وليست طريقا من طرق التربية وضعه فرد من البشر ، لو كان كذلك ما صلح هذا التخطيط الاجتماعى للناس كافة ، وما صلح هذا الطريق من طرق التربية لغير فئة من الناس ، هى تلك التى أقام فيها ذلك المربى ، فالانسان هو الانسان ، محدد ببيئته وبوراثته ، وبنشأته ، وبعوامل التأثير فى جو اقامته . ولذا كان تفكيره يعبر عن محدوديته — ومن هنا كانت صلاحيته — ان صلح — لمن عاش فى هذه البيئة وتأثر بعوامل الوراثة الخاصة والنشأة المعينة .

ان الاسلام وحى الله العليم بكل شىء « وهو بكل شىء عليم » هو تعاليم الله الخالق لكل موجود، وفوق كل انسان « وهو القاهر فوق عباده » انه ممن وسع كرسيه السموات والأرض . فصلاحيته اذن للناس جميعا .

وتوجيه الاسلام يقوم على تنمية ارادة الفرد ليأخذ زمام الأمر بيده ، فلا يندفع اندفاعا كما يندفع الحيوان والآلة ، ويقوم على تنمية الوعى بالمجتمع ، وعلى صيانة هذا المجتمع من الانحلال والتدهور والضعف ، حتى يكون مجتمعا قويا فاضلا .

الاسلام بعد ذلك ليس مسئولا عن ضعف المسلم وخضوعه لشهوته ، وليس مسئولا عن ضعف روابط المجتمع الاسلامى أو انحلاله وانما المسئول عن ذلك سوء فهم الاسلام ، والانحـــراف فى تطبيقه .. كتاب الله ليس مسئولا عما يستورد من الشرق والغرب من فكر فى التوجيه وأنما المسئول عن ذلك سوء فهم الاسلام والانحراف فى تطبيقه .

تدريس الدين

وكتب الأستاذ محمد عبد العزيز الدسوقى فى هذا الموضوع يقول :

لا جدال فى أن التربية الدينية الصالحة هى الأساس الثابت المتين الذى نرسى من فوقه تربية نشئنا وشبابنا فى المدارس ونقيم عليه بناء مجتمعنا . ومن هنا لزم أن يكون للتربية الدينية الصالحة بمدارسنا اهتمام يتجلى فى النواحى الآتية :

ــ القدوة الدينية الطيبة من جانب ادارة المدرسة ومدرسيها وموظفيها ايمانا وسلوكا وحرصا على شعائر الدين وتزكية له فى نفوس الطلاب .

ــ الالتزام بأن يحفظ الطلاب قدرا طيبا من القرآن الكريم والحديث الشريف ليكون لهم زادا روحيا طيبا يسندهم طوال حياتهم وتخصيص جوائز تشجيعية لخير الحفاظ منهم .

ــ الاهتمام بدروس التربية الدينية والحرص على أن يخرج الطلاب منهم بزاد روحى طيب .

ــ تأصيل الدين فى نفوس الطلاب ايمانا وفهما واتجاها وتبصيرهم بقدسيته وأصوله وأركانه ومشاعره ومثله العليا وما يتصل به من أخلاقيات وسلوك وتعامل وحوافز الى المعروف والخير والحق والانسانية الكريمة .

ــ تبصير الطلاب بما أحله الدين وما حرمه .

ــ ربط ما يحفظه الطلاب من قرآن كريم وحديث شريف بما يلزمهم من سلوك قويم وتعامل طيب مع الناس بحيث يجد الطالب ضابطا موجها له من الدين الحنيف فى كل مواقفه فى الحياة .

ــ تدبير مكان مناسب بالمدرسة لاقامة الصلاة والدعوة لصلاة الجماعة ومشاركة ادارة المدرسة ومدرسيها وموظفيها وطلابها وعمالها فيها .

ــ الدعوة بين الطلاب للصوم فى شـــهر رمضـــان المبارك واحيائه بما يرجى له من تدين وروحانية وحفزهم على الاسهام فى أعمال البر فيه .

ــ تشجيع الطلاب على أداء الصلاة بالمسجد وعلى أداء صلاة الجمعة بمرافقة أساتذتهم .

ــ استفتاح اليوم الدراسى باذاعة بعض آيات القرآن الكريم يتلوها تفسير مبسط لآية أو حديث.

ــ تزويد مكتبة المدرسة ومكتبات الفصول بكتب دينية مناسبة للطلاب وحفزهم على قراءتها ومتابعتهم فيها .

ــ افساح مجال طيب للموضوعات الدينية فى الصحافة المدرسية والنشاط المدرسى .

ـ عقد مسابقات فى القراءة الدينية بالقرآن الكريم والأحاديث والتمثيليات الدينية وأعمال البر.



سياسة الكويت تجاه القضية الفلسطينية

عقد معالى الشيخ صباح الأحمد الجابر وزير الخارجية ووزير الارشاد بالنيابة مؤتمرا صحفيا حضره عدد كبير من المسئولين وحشد كبير من الصحفيين والمراسلين ممن يمثلون الصحافة الكويتية والعربية والعالمية .

وقد نشرت صحيفة السياسة الكويتية وقائع هذا المؤتمر فقالت :

استهل المؤتمر بكلمة ترحيبية لمعالى الوزير خاطب فيها الحضور قائلا :

ان وجودكم معنا أيها الأصدقاء والاخوان مناسبة طيبة لتطلعوا على ما أنجزه هذا البلد فى المجالات المختلفة .

ودعا الوزير رجال الصحافة الى تركيز جهودهم على البحث عن المستوى الفكرى الذى وصل اليه المواطن الكويتى . وأثار معالى الشيخ صباح الأحمد فى بيانه الى الكلمة التى ألقاها سمو ولى العهد فى خطابه والتى حث رجال الاعلام فيها على اغتنام فرصة وجودهم فى هذا الجزء من العالم العربى ليشاهدوا بأنفسهم ما سببه العدوان التوسعى الاسرائيلى من شقاء وويلات للشعب العربى الفلسطينى ، وما خلفه هذا العدوان من مشاكل انسانية عمت المنطقة ، وتمثلت فى تشريد مئات الألوف من العرب وطردهم من ديارهم .

وأعلن معالى الشيخ صباح الأحمد أن الكويت ستضع جميع الترتيبات اللازمة لتمكين رجال الاعلام من زيارة مناطق اخواننا اللاجئين ليطلعوا بأنسهم على أبعاد هذه المأساة . وأعرب الوزير عن أمله بأن تسمح الظروف لهم بالقيام بهذه الزيارة التى ستتكفل حكومة الكويت بتدبير جميع ما يلزمها .

وأضاف معالى الوزير يقول : ان سمو ولى العهد ورئيس الحكومة عبر فى خطابه عن موقف الكويت من هذه المأساة الانسانية ، ومن الحلول السلمية المقترحة . وذكر الوزير بايجاز موقف الكويت من هذه الحلول وهو يتركز فى النقاط التالية :

أولا : ان الكويت ليست مع أى مسعى يستهدف اسباغ الصفة الشرعية

على ما حققه المخطط الصهيونى من توسعات اقليمية على حساب الشـعوب العربية .

ثانيا : ان الكويت تؤمن بحق شعب فلسطين فى الدفاع عن أرضه .

ثالثا : ان الكويت تؤيد وتسند هذا الحق بكل ما يتوافر لها من وسائل .

مركز للثقافة الاسلامية فى نيويورك

نشرت صحيفة (الرأى العام) الكويتية برقية واردة لها من نيويورك تقول:

أعلن هنا اليوم أن مسجدا ومركزا للثقافة الاسلامية يسـاعد على ايجاد تفاهم أفضل بين الجالية الاسلامية والاميركيين سيبنيان فى مدينة نيويورك .

وقد كشف الدكتور محمد عبد الرءوف مدير المركز الاسلامى فى نيويورك النقاب عن المشروع فى مأدبة غداء حضرها سفراء (٢٥) بلدا من افريقيا وآسيا والشرق الأوسط فى الأمم المتحدة كما حضرها رؤساء روحيون وشـخصيات لها مكانتها فى المجالين التربوى والثقافى .

وقال الدكتور عبد الرءوف : ان المركز سيضم مكتبة وعيادة طبية ودائـرة للشباب ومتحفا ومطعما متخصصا فى تقديم أطعمة حاذقة من مختلـف البلدان الاسلامية .

ومن المقرر البـدء بأعمـال البناء فى مطلـع سـنة ١٩٧٠ . ثـم قال : ان سفراء الدول الخمس والعشرين سيكونون أعضاء فى مجلس امانة المركز الذى سيقوم على أرض مساحتها (٦٥ر٠٠٠) متر مربع عند الطرف الشرقى من مانهاتن .

وأضاف الدكتور عبد الرءوف يقول : ان المسؤولين عن المشروع يسعون الى الحصول على تصاميم للمسجد والمركز من قادة الهندسة المعمارية فى البلدان الاسلامية . وقد شنت حملة عالمية لجمع الأموال اللازمة للمشروع .

وأعلن الدكتور وهبى البورى السـفير الليبى فى مأدبة الغداء ان المركز سيفى بالحاجات الدينية للجـالية الاسلامية ويخلق وعيا بين الأمريكيين لمدى اسهامه فى الحضارة .

ويتراوح عدد افراد الجالية الاسلامية فى نيويورك بين ٦٠و٠٠٠ شخص و ١٠٠ر٠٠٠ كما يقول الدكتور عبد الرءوف .

وأشار الدكتور الى أن المركز سيعرض تقاليد الاسلام وثقافته ويشرح سيرة الاسلام الذى يدين به حوالى سبعمائة مليون نسمة .



اعداد الاستاذ : عبد المعطي بيومي

● الكويت : احتفلت الكويت فى ٢٥ فبراير بعيدها الوطنى وألغيت مظاهر الاحتفال العادية مراعاة للحالة الحاضرة .

● استقبل سمو أمير البلاد المعظم معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية وأعلن عقب المقابلة ما أشار به سمو الأمير من التوسع فى انشاء عدد من المساجد فى بعض المناطق .

● أنكر سمو ولى العهد ورئيس الوزراء جدوى الحلول السلمية لقضية فلسطين ما دامت تهدف الى دعم التوسع الاسرائيلى ودعا ممثلى الصحافة فى العالم لزيارة اللاجئين على نفقة الكويت وتمت فعلا هذه الزيارة .

● صرح معالى وزير الأوقاف أن الوزارة مهتمة بالمشاركة فى جهود نشر الدعوة الاسلامية مع الدول والهيئات الاسلامية ومهتمة كذلك برفع مستوى الوعظ والارشاد وقد بدأت الوزارة موسمها الثقافى بدعوة الأساتذة الشيخ سيد سابق والشيخ نمر الخطيب والدكتور أمين المصرى .

● بعثت سفارة الكويت فى باريس مذكرة رسمية تفيد فيها أن بعض الجامعات فى جنوب فرنسا بدأت بتعليم اللغة العربية لطلابها وقد طلبت السفارة مجموعات من الكتب العربية التى تدرس فى المرحلة الابتدائية .

● أقامت وزارة التربية أسبوعا للتربية وقد شاركتها وزارة الارشاد وخطباء المساجد وقد حفل الاسبوع بالتوجيهات التربوية النابعة من الاسلام .

● وافقت الكويت على حضور مؤتمر الدول الاسلامية المزمع عقده فى كوالالمبور فى منتصف هذا العام .

● زار السيد صادق المهدى زعيم الطائفة المهدية بالسودان البلاد فى أواخر الشهر الماضى .

● استطاعت الكويت تغطية حاجاتها من مدرسى المرحلة الابتدائية ورياض الأطفال من المدرسين الكويتيين وأعلن أن الوزارة بحاجة هذا العام الى (٧٠٠) مدرس من مؤهلات مختلفة للمراحل الأخرى ..

● القاهرة : قام وفد عربى اسلامى بجولة استغرقت عدة أسابيع فى بعض الدول الاسلامية بهدف تجميع المسلمين لمعركة تحرير فلسطين والمقدسات الاسلامية التى تحتلها اسرائيل .

● قضى الرئيس عبد الناصر أيام العيد بين الجنود والضباط على جبهة قناة السويس .

● قام الدكتور محمود فوزى بزيارة لفرنسا وانجلترا للتباحث فى مشكلة الشرق الأوسط وقد جاءت عقب زيارة نيكسون لفرنسا وانجلترا .

● أنهى المؤتمر الثانى لنصرة الشعوب العربية الذى انعقد فى القاهرة أواخر الشهر الماضى جلساته وقد أصدر بيانا يدين الاحتلال الاسرائيلى ومثل المؤتمر (١٥) منظمة و (٥٧) دولة .

● السعودية : توفى الملك السابق سعود فى أثينا ونقل جثمانه للمملكة حيث صلى عليه فى الحرم المكى ، ودفن بالرياض .

● أصدر وزير المعارف قرارا بتشكيل لجنة للتوعية الدينية وقد بدأت اللجنة مزاولة نشاطها .

● تم التوقيع على اتفاقيتى انشاء مركز للمؤتمرات الاسلامية والاجتماعات الدولية بمكة المكرمة ومركز آخر بالرياض يخصصان لرابطة العالم الاسلامى .

● تم تأسيس ندوة علمية دائمة فى المسجد الجامع بالرياض بعد صلاة المغرب ليلة الجمعة من كل أسبوع يبحث فيها ما يقدم من أسئلة المسلمين واستفساراتهم بهدف توسيع التوجيه الدينى .

● بلغ عدد الحجاج هذا العام حوالى ٤٠٠ الف حاج من خارج المملكة .

● تبرع الملك فيصل بمبلغ (٩٠) ألف جنيه للمراكز الاسلامية فى السودان كما قدم جلالته منحة أخرى للدراسات الاسلامية فى أمريكا .

● الأردن : أجلت اسرائيل لمدة ٣ شهور قانونها بضم المؤسسات والممتلكات العربية فى مدينة القدس الى اسرائيل متجاهلة قرارات مجلس الأمن التى حظرت عليها هذا الضم .

● طالبت المنظمات الفدائية الفلسطينية استثناء الفدائيين العاملين فيها من قانون التجنيد الاجبارى الذى صدر بالأردن مؤخرا .

● صرح الهر ايرهارد ايلر وزير التعاون الاقتصادى فى ألمانيا الغربية الذى زار الأردن لمدة خمسة أيام فى الشهر الماضى أن حالة اللاجئين محزنة جدا .

● عمت المظاهرات والاضرابات مدن الضفة الغربية واشتركت النساء والطالبات فيها وقد نسف الفدائيون السوق الكبير فى الحى اليهودى بالقدس . كما هاجموا منزل ليفى أشكول رئيس وزراء اسرائيل بالصواريخ وقد مات على أثر ذلك .

● أسقطت قوات (فتح) طائرة اسرائيلية كانت تهاجم قواعدهم جنوب الأردن ...

● سوريا : أغارت الطائرات الاسرائيلية على الأراضى السورية فى ميسلون والهامة فدمرت عدة أماكن مدنية وسيارات وقد سقطت طائرتان سوريتان بينما أعلن سقوط ٤ طائرات اسرائيلية .. وجرح عدد من الأهالى وتوفى ٦ أشخاص ..

● العراق : أصدرت المحاكم التى تحاكم الجواسيس — من أديان مختلفة — أحكاما أخرى بالاعدام على بعضهم نفذت فى الحال .. وأصدرت الحكومة قرارا بتخفيف بعض الاجراءات عن بعض السياسيين الذين سبق حجزهم ..

● لبنان : قدم نائب رئيس مجلس النواب اللبنانى مذكرة رسمية الى رئيس الجمهورية يطالب فيها بوضع تدابير عملية لتأييد الرئيس ديجول ضد الحملات الصهيونية .

● المغرب : تأجل مؤتمر أدباء وكتاب المغرب العربى الى منتصف مارس القادم .

● السودان : افتتح الرئيس الأزهرى فى الخرطوم (الشهر الماضى) الدورة الأولى للجمعية العامة لاتحاد اذاعات الدول العربية .

● تسلمت لجنة الدستور (١٧) ألف مذكرة من المواطنين والهيئات الشعبية تطالب بدستور اسلامى .

● جمهورية اليمن : تم الاتفاق على عقد اجتماع قمة بين القاضى الايريانى رئيس المجلس الجمهورى اليمنى وبين الرئيس قحطان الشعبى رئيس جمهورية اليمن الجنوبية فى موعد يحدد فيما بعد لحل المشاكل بين البلدين بطريقة أخوية وقد قامت الجمهورية العربية المتحدة بوساطتها فى هذا السبيل ...

● اليمن الجنوبية : قررت حكومة اليمن الجنوبية جعل اللغة العربية لغة البلاد الرسمية وقد كانت الانجليزية هى المعمول بها فى الدواوين الحكومية منذ احتلال بريطانيا البلاد .

● الباكستان : بعد المظاهرات العنيفة التى شملت باكستان .. عدة أسابيع أعلن الرئيس أيوب خان أنه سيعتزل الحكم فى السنة القادمة . وقد دعا الرئيس زعماء المعارضة للاجتماع به لحل المشاكل المطروحة ولكن لا تزال الأمور معقدة ..

اعداد الاستاذ: عبد الستار فيض



مكتبة المجلة

دراسة فى قضـــية تعدد الزوجات

دراسة مفصلة تناولها الدكتور / عبد الناصر توفيق العطار حول قضية تعدد الزوجات مبينا صلة هذه القضية بقضـــايا تحرير المرأة وأســـباب التعدد ومشاكله وشرح أحكام التعدد فى الأديان السماوية ، ودراسة القوانين العربية والأجنبية حول هذا الموضوع والكتاب يقع فى ٢٠٠ صفحة ومن طبع ونشر دار الفكر العربى / بالقاهرة .

من روائع حضارتنا

للمرحوم الدكتور مصطفى السباعى ، والكتاب عبارة عن أحاديث اذاعية تعرضت لنماذج من الجوانب الرائعة فى حضارتنا ــ عرضهـــا المؤلف ليذكر الجيل الجديد بواجبه فى بناء حضارة انسانية كريمة كما بنى آباؤهم أمثالهـــا فى ١٩٢ صفحة ومن طبع ونشر دار الارشاد ص.ب ٦٣٤٧ بيروت

قصة السيرة

دراسات منهجية علمية لسيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام وما تنطوى عليه من عظات ومبادىء وأحكام ، وقد سار الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى الاستاذ بجامعة دمشق على المنهج المدرسى القائم على استنباط القواعد والأحكام أثناء سرد حوادث السيرة مبتعدا ما أمكن عن المنهج الأدبى التحليلى . وهو بذلك كتاب جمع بين السيرة وبين الأحكام ، ويدرس فى جامعة دمشق .... وقد طبعته دار الفكر العربى للطباعة والنشر فى بيروت طبعته الثانية التى تقع فى ٥٨٠ صفحة ..

دروس من غزوات الرسول

كتاب من تأليف الأستاذ محمد محمد أبو خوات وكيل معهـــد الاسكندرية الأزهرى وهو لون من الثقافة الاسلامية بروح العصر وأسلوبه ، وعن غزوة بدر وأحد والخندق ودور اليهود فيها ، ثم يعرض المؤلف لصلح الحديبية ، وفتح خيبر وما كان لهما من أثر فى تاريخ الدعوة ودخول الناس فى دين الله افواجا .
والكتاب يحتوى على ١٤٢ صفحة من طبع دار المعارف بالقاهرة .

بنو اسرائيل فى القرآن والســنة

كتاب يكشف فيه مؤلفه الدكتور محمد سيد طنطاوى أحوال بنى اسرائيل وتاريخهم وأخلاقهم وأكاذيبهم ، معتمدا فى بيان ذلك كله على ما جاء عنهم فى

القرآن الكريم والسنة المطهرة والتاريخ الصحيح ، وقد تضمن الكتاب ثمانية فصول وخاتمة ، تحدث فى الفصل الأول عن تاريخ اليود وأمر ... الى مصر ، وفى الفصل الثانى عن منهاج القرآن الكريم فى دعوته ... الى الاسلام ، وفى الفصول التالية أفرد الحديث عن اليهود مبينا ... مسالكهم ونعم الله عليهم والعقوبات التى عاقبهم الله بها وكانت الخاتمة عن فلسطين والغزو الصهيونى فى مراحله المختلفة .

وهذا الكتاب هو الرسالة التى نال بها الدكتور طنطاوى درجة الدكتوراه من الأزهر بامتياز ويقع فى جزأين كل جزء فى ٥١٢ صفحة ، ومن طباعة مطبعة قاصد خير بالفجالة بالقاهرة .

زاد الدعـــاة

كتاب يحتوى على مجموعة منتخبة من خطب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخطب أخرى لبعض الصحابة رضوان الله عليهم ، ولأصحاب الفضيلة خطباء المساجد بالكويت .

وهذه الخطب وان كان بعضها يختلف عن بعض فى الأسلوب ... ض الا أنها تعطى القارىء صورا مختلفة فى البحث والتفكير . وقد روعى ... ذا الكتاب أن يفى بحاجة الخطيب فى المناسبات المختلفة والموضوعات ... .

والجزء الأول منه يقع فى ٢٠٠ صفحة ومن طبع مطبعة مق... .

قامت بنشره وتوزيعه ادارة شئون المساجد بوزارة الأوقاف ... الأسلامية بالكويت .

الشـــــعاع

ديوان للشـــاعر وليـــد الأعظمى ، وهـــو حافل بالمعـــانى والأ... والصور الشعرية وتتجلى فيه خصائص هذا الشاعر الأصيلة فى شـــعر... التدفق والسلاسة والصدق وحرارة العاطفة ووضوح الفكرة وسهولة التعـ...

والديوان يقع فى ١٧٢ صفحة ومن نشر الدار الكويتية للطباعة ... والتوزيع .

المـــرأة
فى القرآن والسنة

كتاب من تأليف الأستاذ / محمد عزة دروزة ، وهو دراسة شـــاملة بين مركز المرأة فى الدولة والمجتمع ، وحياتها الزوجية المتنوعه وواجباتها وحقوقها وآدابها ، مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية ، وهو يحتوى على ٢٧٠ صفحة ومن منشورات المكتبة العصرية — بيروت — صيدا — لبنان .

كهف أهل الكهف

كتاب يؤكد فيه مؤلفه الأستاذ / رفيق وفا الدجانى حقيقة كهف أهل الكهف الذى اكتشف موقعه فى الأردن وهو الكهف الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم ، وقد أثبت المؤلف فى هذا الكتاب كل الأدلة والبراهين لتأكيد اكتشافه ومطابقة الآثار التى عثر عليها بما جاء فى القرآن الكريم ، وقد زود الكتـــاب بالصـــور الفوتغرافية والرسوم الايضاحية فى كل ما يتعلق بموضوعه .

والكتاب فى ١٤٤ صفحة ومن نشر مؤسسة المعارف ببيروت .

* * *

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبـول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ــ ٧ شارع الصحافـة

مكة المكرمـة : مكتبة الثقافة للصحافة . صب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء

الريـاض : مكتبة المدينة ــ صب ١٩ ــ السيد احمد باصريح

الـ : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ صب ٢٢

ة : الدار السعودية للنشر ــ ص. ب : ٢٠٤٣

مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب

مكتبة النجاح الثقافية ــ صب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان

المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

: مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

ن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد

كلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحـدودة

: ساحل عمان ــ صب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـة ــ السيد رجا العيسـى

دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات صب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : مكتبـه بحـــرى ص.ب ٥

مراكـش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى

ليبـيا : طرابلس الغرب صب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية صب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم صب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

شخصيات
في سطور

ابن تيمية

(٦٦١ — ٧٢٨ هـ — ١٢٦٢ — ١٣٢٨ م)

* هو المصلح الدينى الكبير والمفكر الاسـلامى العظيم الشيخ أحمد تقى الدين أبو العباس أصل أسرته من حرآن فى الجزيرة من اقصى بلاد الشام ، فرت سنة ٦٦٨ هـ من اغارات التتار على البلاد واستوطنت دمشق ، وكان ابن تيمية اذ ذاك فى السـابعة من عمره . لأنه ولد فى العاشر من ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ .

جاء ابن تيمية الى مصر سـنة ٧٠٥ هـ ليواجهه خصومه وكارهوه بمحاكمة عن عقيـدته وآرائه وانتهى به الأمر الى السجن ، ودخل معه السجن أخواه شرف الدين ومجد الدين ، وبقى فى السـجن عاما ونصف عام ، ثم خرج منه داعيا الى الله ، صافحا عمن أساء اليه ، ثم ترك مصر قاصدا الى الشام .

ولابن تيمية موقف بل مواقف وطنية وقومية رائعة أشهرها موقفه أمام قازان قائد التتار فى الهجوم على الشام حين جبهه وأفحمه ، ولم يخش فى دينه ولا فى قوميته لومة لائم .

وفى الشام تألب عليه الحساد والكائدون ، وحبسوه ، لفتوى قديمة كان قد أفتـاها عن زيارة القبر وزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، حرفوها وأولوها ، لتخرج عن غايتها وتنحرف عما أراده ابن تيمية منها .

وفى محبسه تركوا له أول الأمر حرية القراءة والكتابة ، ولكنهم ما لبثوا أن ضاقوا ذرعا بانتشار آرائه من وراء الجدران فاخلوا سجنه من المحابر والأقلام والأوراق .

ومات الفقيه العالم المجتهد ابن تيمية فى محبسه بقلعة دمشق فى العشرين من شوال سنة ٧٢٨ هـ بعد مرض قصير .

ولابن تيمية كثير من المؤلفات التى أثرت الفقه والفـكر الاسلامى ، وجددت شباب التفكير الاسلامى والعربى منها :

— منهاج السنة .
— مجموعة الرسائل والمسائل .
— موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول .
— الاقتضاء .

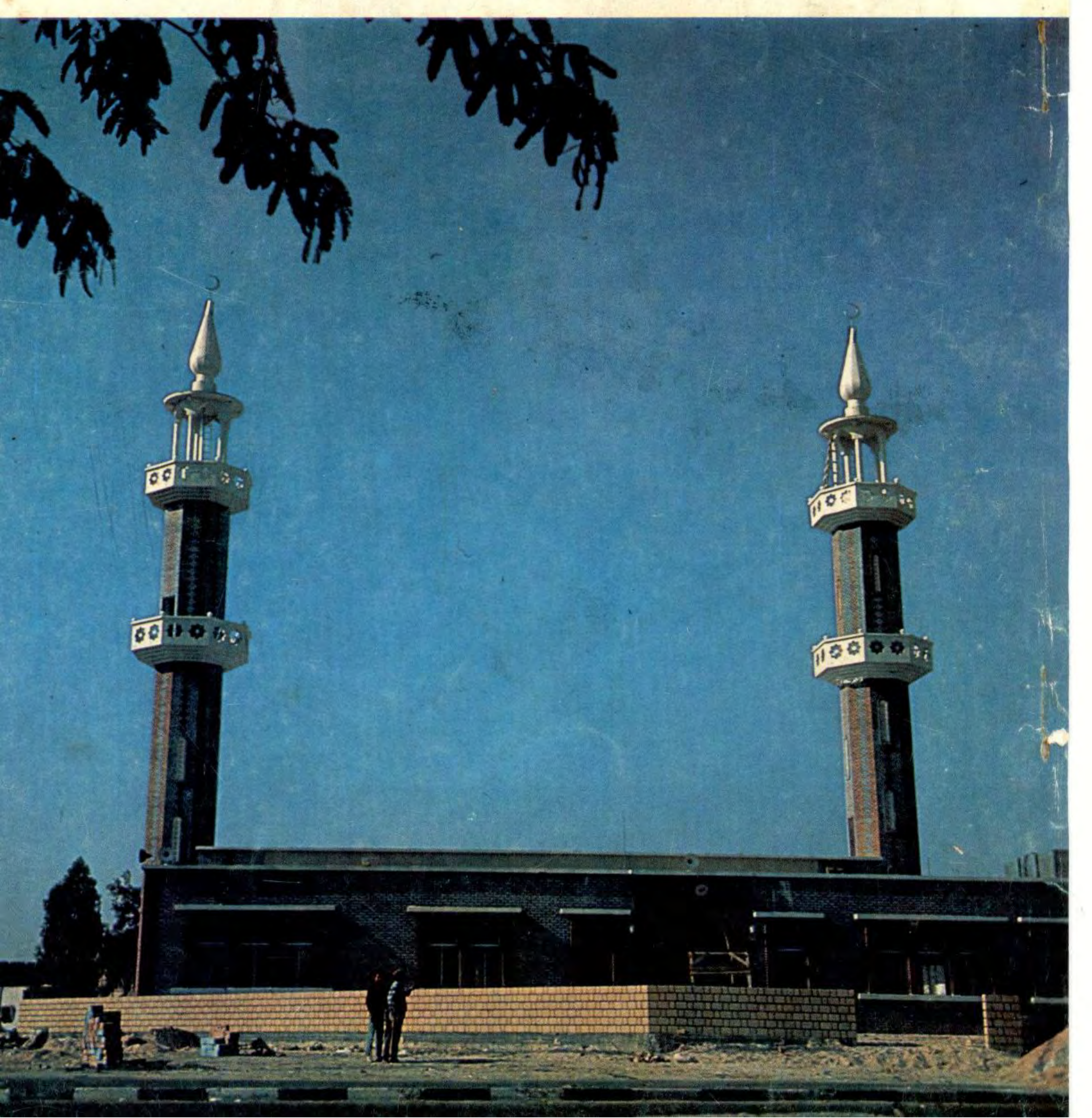
رحمه الله تعالى ورضى عنه .

العوضى الوكيل

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة – العدد ٥٠ – غرة صفر ١٣٨٩ هـ – ١٨ أبريل « نيسان » ١٩٦٩ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف



أحدث مسجد تم فى الكويت هذا العام بناه السيد/راشد سعد العليان وهو يقع فى منطقة « كيفان » على شارع الرياض ، وبجانب مدرسة كيفان الثانوية ويتميز باتساعه ومئذنتيه المرتفعتين .

« تصوير : صالح السيد الرفاعى »

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIUL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة الخامسة

العدد الخمسون

غرة صفر ١٣٨٩ هـ

١٨ ابريل « نيسان » ١٩٦٩ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار

فى الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)

(أما الافراد فيشتركون رأسا)

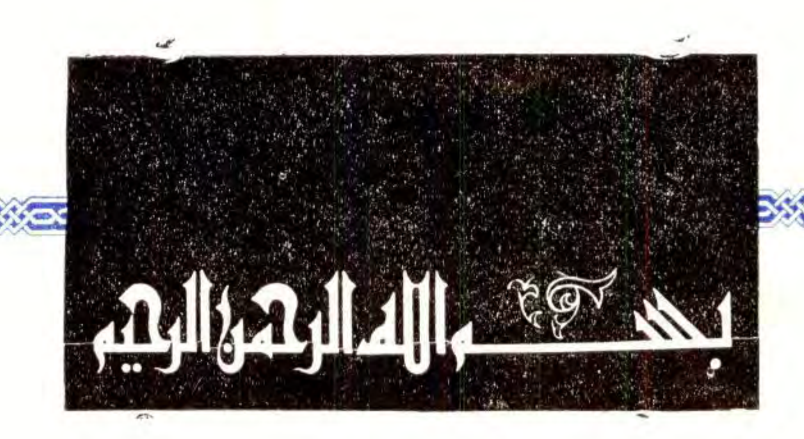
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير إدارة الدعوة والارشاد

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت





هل تظن أن هذه الأحداث التى تهزنا هزا عنيفا ، وتعصرنا عصرا قاسيا ستمر دون أن يكون لها أثرها البعيد ، وصداها الكبير فى هذا الجيل الذى قاسى مرارة هذه الاحداث وفى الاجيال المتعاقبة من بعده ؟ أو أننا لا زلنا فى حاجة الى المزيد من الاحداث والكوارث حتى تشعر الأمة بكيانها ومسئوليتها كجسم واحد ؟

اننى أعتقد أننا كنا أمة نائمة أو غافلة ، أو لاهية ، أو ذلك كله ، ولم تكف الأحداث التى مرت فى العشرين سنة الماضية ، ولا العدو الذى نهش قلبنا ، وأخذ ينهش بسهامه وأنيابه ، بقية الجسم ذات اليمين وذات الشمال ، لم يكن ذلك كله كافيا فى تلك المدة لكى ينبهنا من غفلتنا ، أو يوقظنا من رقدتنا ، أو يحد من لهونا وعبثنا . حتى جاءت أحداث يونيو سنة ١٩٦٧ م وظننا أن فينا قوة ، ولكنها كانت مع الاسف الشديد شبيهة بنوبة صحية كتلك التى يحسها مريض الملاريا يوما ، ثم يعود له المرض ، وينهد جسمه من رعشته ، أو نكسته ، وكانت النتيجة تتمشى مع المقدمات التى صنعناها بأيدينا « وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

ومع أن هـذه النتيجة ، كانت قاسية مرة على نفوسنا جميعـا مرارة لم يشهدها جيل سابق من أجيالنا كما أعتقد ، الا أنها نبهتنا الى عيوبنا .. وفتحت عيوننا على أمراضنا ، وأرجعتنا الى صوابنا ، وان كان من الضرورى أن أتحفظ فى هذا بعض الشىء وأقول : الى حد ما .

وقد أعجبنى ما قاله فضيلة شيخ الجامع الازهر الشيخ حسن مأمون فى الكلمة التى افتتح بها مؤتمر مجمع البحوث الاخير ، وقرأتها أخيرا فى احـدى المجلات المصرية « ان النكسة ليست سياسية بقدر ما هى دينية ، لأن الله لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا » وقال : « لو كنا انتصرنا على ما فى مجتمعاتنا من انحراف وتحلل لربما زدنا بغيـا وانحرافا » وقال : « ان الله لن يتغير من أجلنا ، ولكن يجب أن نتغير نحن من أجل الله » .

وهذه كلمات حق تعبر عن الواقع المر الذى كنا فيه ، والذى أسلمنا الى واقع أشد منه مرارة ..

وقد مرت سنتان الآن على هذه النكبة ، أو النكسة ، أو الهزيمة المرة ، وقيل فى أسبابها ما قيل ، وتحدث عنهـــا من لم يكن يتحـــدث ، وظهرت عيوب وأخطاء كانت مغطـــاة عن الامة بغطـــاء سميك ، وتكشفت للنـــاس تزويرات وتغريرات ، كانت تزيف عقولهم ، أو بلغة المخـــابرات تغسلها ، وتقودهم الى هلاكهم ، وشعر الحاكم والمحكوم بالكثير من ذلك كله .

ولكن الى أى مدى استفدنا من هذا الدرس خلال هاتين السنتين ؟

لا شك فى أننـــا استفدنا ووعينا ، ولكن مع الاسف ، لم يكن القدر الذى استفدناه ووعيناه ، معادلا للمرارة التى شعرنا بهـــا ، وللدرس العنيف الذى تلقيناه ، ولا للأمل الذى رجوناه .

لقد كان من أهم العيوب التى عشنا فيها أن الامة العربيـــة عاشت تحت ضغط وارهاب ، لا رأى لها فى أمرها ، بل تساق سوقا الى ما يراد لها !!

فالى أى مدى خف هذا القيد عن الامة ؟!

ان الانسان الذى يشعر بحريته هو الذى يعتز بحرية وطنه ، ويحرص عليها ، وحرية الفرد هى أشهى ثمرات الاستقلال ، واستقلال بدون حرية لا قيمة له ، فهل راعينا ذلك ، وقدمنا مصلحة الامة أو مصيرها ، على مصلحة أفراد ومصيرهم ؟

واقعنا الآن يتولى الاجابة ..

ولقد كان من أهم عيوبنا روح النفور التى سادت بين حكامنا وقادتنا ، وهم الذين يتولون تقرير مصيرنا ، ورسم مستقبلنا ..

فالى أى حد زال هذا النفور ، وحل محله الحب والائتلاف ، والتعاون الفعال من أجل غسل العار والاخذ بالثأر ؟!!

من الواقع تعرف الجواب .

وكان من أهم عيوبنـــا روح التواكل فى الامة ، وعدم اهتمـــام أفرادها بواجباتهم نحوها ، وبالتالى ، عدم تنظيم جهود العاملين فيها ، أو الذين لهم رغبة فى العمل تنظيمـــا يكفل ابراز جهودهم ، وتوجيهها توجيها فعـــالا فى الوقت المناسب ..

فهل تخلصنا من هذا العيب ؟

واذا كان الكثيرون يدفعون هذا العيب عنهم ، ويعتذرون بما يحسونه من القهر والضغط الواقع عليهم ، وبسيف الاتهام بالخيانة ، أو العمالة ، أو التآمر الذى ينتظر العاملين منهم ، فاننى مع تقديرى لهذه الظروف ، واعتبارى لها ، لا أخلى الامة من مسئولية التكاسل والتواكل ، ولا سيما فى الامور والمجالات التى يمكن أن تكون بعيدة عن الشبه ..

صحيح أن موازين الامور والحكم عليها صارت مختلة ، حتى أصبح من الممكن — مع الاسف — أن يوصف الابيض بالاسود ، والاسود بالابيض ، ولكن ذلك ليس مطردا ، فلا زال هناك أمل ، ولا زال فى الارض خصوبة تتيح للبذر الطيب أن ينبت وينمو ..

ومع أن المجال قد انفتح للعمل الطيب ، وتقدم اليه بعض الناس منا ، الا أن ذلك لا يزال أقل مما كنا نطلبه ونؤمله ..

وأمامى الآن ممـــا نشرته الصحف خبر هزنى هزا عنيفـــا ، ولفح آمالى بسمومه ، حتى كاد يذبلها .

واقرأ معى : ((والشيء الذى يؤسف له فى هذا الحادث أن جثمان الشهيد عبد المحسن حسن ظل وقتا طويلا فى (زيورخ) قبل نقله للاردن ، فى انتظار من يدفع مصاريف نقل جثمانه)) !! ((وحتى الآن (وقت كتابة هذا) ليس هناك محامون سويسريون عن الفدائيين ، لمتابعة التحقيق من البداية ، فى الوقت الذى استأجرت فيه اسرائيـــل اثنين من أكبر المحـــامين فى سويسرا ، للدفاع عن ((رشامين)) قبل أقل من ٢٤ ساعة من اعتقاله ، وقد علمت (والكلام للكاتب) أن بعض الشخصيات السويسرية ــ وطلبت عدم اذاعة اسمها ــ تبرعت بمبلغ من المال لدفع أتعاب المحامين عن الفدائيين العرب)) !!!!!

يا للعــــــار !!

جثمان بطل يبقى هناك طويلا ينتظر من يدفع أجر نقله الى تراب وطنه ؟! ومن يقبل أن يدفن فيه ؟!!!

وسويسريون هم الذين يتبرعون لدفع أتعاب المحامين عن الفدائيين العرب المعتقلين ؟! يا للعار !!

ولعلك عرفت أن الحديث عن الفدائى العربى الذى قتله رجل المخـــابرات الاسرائيلى فى مطار (زيورخ) بسويسرا عنـــدما هاجم الفدائيون الطـــائرة الاسرائيلية ، وعن الفدائيين الآخرين المعتقلين للمحاكمة هناك .

فبالله قل لى يا أخى : أيليق هذا من أمة يبلغ تعدادها مائة مليون ؟!

وفيها الملايين ممن يملكون الملايين والآلاف ؟!!

أستطيع أن أجزم بأن فيها من أصحاب القلوب الطيبة المؤمنة من هو مستعد للبذل .

ولكن عدم التنظيم ، أو عدم الاكتراث ، أو عدم الرغبة القوية الحافزة ، هو الذى أدى الى هذه الصورة الشنيعة التى لا تليق بأمة تحرص على كرامتها بين الامم ، وتحرص على أن تكون من وراء هؤلاء الابطال ، الذين يخففون عنـــا ولو بعض الشيء من وصمة هذا العار ، حتى يكون من عنايتها بأبطالها ، دافع قوى للكثيرين من الشباب ، ليخوضوا هذا الميدان مطمئنين الى أن وراءهم أمة تقدرهم ، وتحنو عليهم ، وتعنى بأمرهم ؟!

حين وقف قائد فرنسا (الجنرال ديغول) موقفه المعروف من اسرائيل ، وفى صف العرب ، قامت قيامة اسرائيل ، ولكنها لم تكن وحدها . لقد تكتل معها يهود العالم كلهم ، وأعلنوا حربا اقتصادية على فرنسا : لا يركبون طائراتها ، ولا يذهبون الى فرنسا للسياحة ، بل ألغوا رحلاتهم التى كانت معدة اليهـــا ، وقاطعوا منتجاتها ، وأخذوا يبيعون ما لديهم من فرنكات فرنسية لتهبط قيمة الفرنك الفرنسى ويوقعوها فى أزمة .

فعلوا ذلك كله سريعا وأعلنوه ، لانهم منظمون ومتكتلون ، ومستعدون لأى طارئ .

أما نحن ، فلا زلنا برغم الصفعة المهينة الدامية التى تلقيناها ، كأننا فى حاجة الى مزيد من الصفعات ، لكى نتيقظ ، ونشعر بواجبنا ، نحو أنفسنا ، ونحو شرفنا وكرامتنا !!

ألا تدرى علة العلل فى هذا كله ؟

ان علة العلل ــ يا أخي ــ فى ذلك كله شىء واحـــد ، هو تخلخل روح الايمان فى نفوسنا ، واشاعة روح التحلل والتمرد على الدين فى مجتمعاتنا ، والاستهتار بالقيم الدينية التى وضعت الاسس الراســخة لبنـــاء الامة القوية الناجحة المتماسكة .

اننا لا نزال نبخس أمر ديننا ، ونضيق ذرعا بتعاليمه وآدابه ، ونطارده ، ونطارد الناطقين بكلمة الحق فيه ، بينما نفتح أذرعنا وقلوبنا وجيوبنا للمتحللين ، والمائعين ، والمخنثين ، والهادمين !!

لا زلنا نستعمل الدين طلاء خارجيا ، وفى بعض الاحيان ، وللتمويه أو للاعلان ، ناسين أننا بذلك نتلاعب بحياتنا ومصيرنا ، لأن الدين ليس مظهرا ، ولا تشدقا ، وليس لافتة تعلق على الواجهات ، ولكنه روح تعمر القلوب ، وتقوم السلوك ، وتهذب الاخلاق ، وتغرس العزة ، وتثمر الرجولة الحقـــة ، وتدفع للتضحية والبذل والايثار ، وتقر موازين العدل والانصاف .

ومن أجل ذلك كان رحمة . وكان سعادة لنا فى دنيانا قبل أن يكون سعادة فى أخرانا . وقال الله ســبحانه يخاطب رسوله (وما أرسلناك الا رحمـــة للعالمين) .

ومن عجب أن يهدى الله لنا الرحمة ، ونحن نرفضها ، ونستبدل بها الشقاء والتعاسة !!

وبعد هذا نرجو أن يستقيم حالنا ، ويقوى أمرنا ، ويعلو شأننا ، فمن أين ذلك لنا ؟

((وان قوما غرتهم الامانى وقالوا نحن نحسن الظن بالله وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لأخلصوا العمل)) صدق رسول الله .

لقد تعبت الامة من هذا المخاض الطويل ، وآن لها أن تستريح على طريق .

فهل نفتح عيوننا ، ونرجع الى صوابنا ، ونسلك الطريق السوى الذى خطه الله لنا ، وجربه الذين من قبلنا ، فكانوا به سادة الدنيا ؟ أم نكون كأولئك الذين يقول الله فيهم ((صم بكم عمى فهم لا يعقلون)) ؟!!

أما آن للمرضى أن يتناولوا الدواء ، ويودعوا به عهد الضعف والشقاء ؟!

أما آن لروادنا وقوادنا على الطريق أن يسلكوا بالامة طريق الله المأمون ؟

ألا ان النذر كثيرة ، والقوارع أليمة وكبيرة ، وقد بلغ السيل الزبى ، ومع ذلك لا تزال الغفلة تلفنا فى متاهاتها ، والاثرة تجرفنا فى طريقها ، والتفرقة تفتت جهودنا بمطرقتها .

فالى متى يا قوم .. الى متى ؟!

أما لهذا الليل من آخر ؟!

((أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)) ؟

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة

القواعد القرآنية والنبوية
في تنظيم الصلات بين المسلمين وغيرهم

٥

الخاضعون أو الذميون

للأستاذ : محمد عزة دروزه

— ١ —

فى المقالات السابقة شرحنا حالة الأعداء وهم الفئة الاولى حكم أسراهم . وحالة المعاهدين . ونشرح فى هذا المقال حالة الفئة الثالثة وهم الخاضعون أو الذميون . وهم الذين رضوا بالخضوع للسلطان الاسلامى وأداء الجزية له بدون حرب أو بعد حرب مع احتفاظهم بدينهم ، ويكونون تحت حماية هذا السلطان ، وفى ذمة الله ورسوله والمؤمنين، لهم حريتهم الدينية وغير الدينية ، ما ظلوا موفين بما شرطوه على أنفسهم أو بما شرطه السلطان الاسلامى عليهم كافين لسانهم وأيديهم عن الاسلام والمسلمين مباشرة أو بالتعاون مع الغير .

ولقد جاء فى سورة التوبة هذه الآية : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ٣٠ .

وحرف (من) التبعيضية فى الآية يسوغ القول ان أمر قتال أهل الكتاب فيها ليس شاملا لجميعهم ، وانما هو بالنسبة لمن اتصف بالصفات المذكورة فيها . وهو يدل على أن هذه الصفات لم تكن شاملة لجميع أهل الكتاب . وليس من ريب فى أنه كان من أهل الكتاب من يؤمن بالله واليوم الآخر . ولقد أول بعض المؤولين جملة (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) بمعنى لا يحرمون ما حرم الله ورسلهم) وجملة (ولا يدينون دين الحق) بمعنى (لا يطيعون الله حق الطاعة أولا يطيعون طاعة أهل الحق) والتأويلان سديدان . وقد يصح أن يضاف اليهما على ضوء روح الجملة بل وعبارتها (ولا يحترمون حقوق غيرهم ودماءهم وأموالهم ودينهم أيضا) وكل هذا كان واقعا من نصارى مشارف الشام الذين نزلت الآية بين يدى الاستنفار لقتالهم ، وهو من موجبات القتال على ما شرحناه فى المقال الأول .

ولقد جاء بعد هذه الآية هذه الآيات (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) (٣٢ — ٣٤) . حيث ينطوى فيها موجبات قتال أيضا لمن هو متصف بالصفات المذكورة فيها . وجملة (ان كثيرا) تفيد انهم ليسوا جميع أحبار أهل الكتاب ورهبانهم كما هو المتبادر .

— ٢ —

والآية (٣٠) تأمر بقتال أهل الكتاب الموصوفين فيها وفى الآيات التالية لها حتى يعطوا الجزية . فى حين ان هناك روايات وثيقة تذكر أن طوائف من النصارى واليهود صالحوا النبى صلى الله عليه وسلم على الجزية بدون حرب وقتال مقابل عهد أخذوه منه بذمة الله ورسوله وأمانه وحمايته . وأن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية بدون حرب من غير أهل الكتاب . وأنه أمر بأخذها من المشركين أيضا . وأن خلفاءه الراشدين ساروا على سنته فى كل ذلك .

ومن الأمثلة على النوع الأول نصارى نجران اليمن الذين أوفدوا وفدا للنبى صلى الله عليه وسلم لأخذ عهده وذمته فأعطاهم (عهدا لأنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وبيعهم ولا يغير أسقف عن اسقفيته ، ولا راهب عن رهبانيته . ولا واقف عن وقفانيته ، وليس عليهم رهق ولا دم جاهلية ، ولا يخسرون ولا يعشرون ، غير ظالمين ولا مظلومين ، ولا يفتنون عن دينهم ، ومن أكل الربا منهم أو أحدث حدثا فذمة الله ورسوله بريئة منه . ولا يؤخذ رجل بظلم آخر) . وفرض عليهم مقابل ذلك : (الفى حلة وافية . الفا فى كل رجب والفا فى كل صفر . ومثواة رسله شهرا فدونه . وثلاثين درعا ، وثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا عارية اذا كان كيد (١) فى اليمن وما هلك من العارية يرد اليهم) (٢) .

ومن ذلك عهود أمان وذمة أعطاها رسول الله ليوحنه بن رؤبة ملك أيله وأهلها مقابل ثلاثمائة دينار جزية سنوية وهم نصارى . ولاهل مقنا مقابل ربع ثمارهم وربع غزولهم . ولأهل جربا وأذرح مقابل مائة دينار فى كل رجب وافية طيبة وليهود بنى عريض مقابل عشرة أوسق قمحا وعشرة أوسق شعيرا وخمسين وسقا تمرا فى كل حصاد (٣) .

ومن الأمثلة على النوع الثانى أمر النبى بأخذ جزية مقدارها دينار من كل حالم من معافر . وعرضه على اقيال اليمن الاسلام أو الجزية . وقبوله الجزية من مجوس هجر والبحرين ويهودهما . وقبول عمر بن الخطاب الجزية من الفرس . وقبول عثمان الجزية من البربر (٤) ومن ذلك ما جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه بريدة وأوردناه فى المقال الأول (وهو أن النبى كان يأمر أمراء الجيوش بأن يعرضوا على الأعداء المشركين الاسلام فان ابوا فالجزية وبالكف عنهم اذا أسلموا أو قبلوا بأداء الجزية) .

---

(١) كيد حرب .

(٢) النص مقتبس من كتاب الخراج للامام أبى يوسف المؤلف فى أواخر القرن الهجرى الثانى وهو من أقدم الكتب التى وصلت الينا ومن كتاب فتوح البلدان للبلاذرى ومن حديث رواه أبو داود عن أبى عباس ومن الجزء الثانى من طبقات ابن سعد .

(٣) أنظر طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٤ — ٥٦ .

(٤) ورد ذلك فى أحاديث رواها البخارى وأبو داود والترمذى عن عبد الرحمن بن عوف أنظر التاج الجامع لأصول أحاديث الرسول ج ٤ ص ٣٤٧ جاء فى أحدها (ان النبى صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هجر) وفى أحدها (أخذ النبى الجزية من مجوس البحرين وأخذها عمر من فارس وأخذها عثمان من الفرس أو البربر) .

— ٣ —

وهذه الأمثلة تسوغ القول : ان آية التوبة (٣٠) ليست على سبيل الأمر بقتال الموصوفين فيها من أهل الكتاب الى أن يعطوا الجزية حصرا . وانما فيها أمر بالموقف الذى يجب أن يقفه المسلمون من الموصوفين فيها . ويكون ما روته الروايات التى يؤيد بعضها أحاديث وثيقة والتى ليس هناك ما يمنع صحتها جميعا من أخذ النبى صلى الله عليه وسلم الجزية من أهل الكتاب يهود ونصارى بدون قتال مقابل اعطائهم ذمة الله ورسوله وتأمينهم وحمايتهم ، ومن أمره بأخذ الجزية من مجوس ومن عرب مشركين بدون قتال . وبأخذ الجزية من أعداء مشركين . ومن أخذ خلفائه الجزية من غير أهل الكتاب بعد قتال هو اتمام لتشريع الجزية التى احتوت الآية صورة من صوره .

ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يستعمل فى عهوده وأحاديثه تعابير ذمة الله ورسوله للمستسلم الخاضع الراضى بدفع الجزية مع احتفاظه بدينه . ومن هنا جاءت صفة (الذمى) له . فليست هى والحالة هذه صفة ذم وتحقير كما يتبادر الى بعض الأذهان بل صفة منبثقة من عهد النبى صلى الله عليه وسلم .

— ٤ —

والاستنفار المذكور آنفا كان لغزوة تبوك التى قادها النبى صلى الله عليه وسلم فى السنة الهجرية التاسعة بسبب ما كان يقع من نصارى مشارف الشام من عدوان متكرر كان من ورائه الروم والغساسنة النصارى . وكان من صوره قتل رسول لرسول الله أرسله الى ملك بصرى وقتل عامل من عمال الغساسنة اعتنق الاسلام ونهب قوافل المسلمين . والتحشد لغزو المدينة . مما جعل حالة الحرب قائمة بين المسلمين ونصارى مشارف الشام والروم والغساسنة معا قبل نزول هذه الآيات.

وكان تسيير الجيوش من قبل أبى بكر رضى الله عنه الى بلاد الشام التى حررت هذه البلاد من سلطان الروم ووطدت السلطان الاسلامى العربى فيها استمرارا لها (٥) .

— ٥ —

وليس فى الأمر القرآنى بقتال من يجب قتالهم حتى يعطوا الجزية اذا ما أرادوا الاحتفاظ بدينهم أى شطط كما هو المتبادر . بل هو فى الحقيقة علامة من علامات تسامح الاسلام ومبادئه التى تمنع الاكراه فى الدين ، واجبار الناس على الاسلام بالقوة ، واتساعه لبقاء اعداء الاسلام والمسلمين على دينهم ، بعد أن تخضد شوكتهم ، ويؤمن خطرهم ، فضلا عن اتساعه لذلك بالنسبة لغير الأعداء من المسالمين والموادين من غير المسلمين الكافين أيديهم وألسنتهم ، والراغبين فى العيش مع المسلمين بسلام . ولقد أوجبت السنة حمايتهم وضمان سلامتهم وأموالهم وحريتهم الدينية وغير الدينية والدفاع عنهم على ما سوف يأتى شرحه مقابل الجزية فيكون التسامح الاسلامى بذلك قد بلغ الذروة .

ونص آية التوبة (٣٠) يلهم بقوة أنه ليس للسلطان الاسلامى أو قائد الجيش الاسلامى أن يقاتل العدو اذا استسلم وخضع وكف عن القتال ، وأعلن رغبته واستعداده لأداء الجزية . وحديث بريده الذى أشرنا اليه قبل متساوق مع ذلك . وهذا متسق مع المبادىء القرآنية والنبوية العامة الى شرعت القتال لدفع العدوان ، والمقابلة من جهة وضمان حرية الدعوة والمسلمين ومصلحتهم وكرامتهم ، واحترام دينهم من جهة أخرى .

— ٦ —

ومع الأمثلة النبوية التى أوردناها فى الفقرة (٢) والشرح الذى شرحناه فى الفقرة (٣) فان الطبرى وغيره من المفسرين يروون أقوالا عن بعض أصحاب رسول الله وتابعيهم تفيد أنهم

(٥) أنظر الجزئين السادس والسابع من كتابنا الجيش العربى المعنونين (العرب فى الاسلام تحت راية النبى صلى الله عليه وسلم وتحت راية الخلفاء الراشدين وأنظر طبقات ابن سعد ج ٢ و ٣ وتاريخ الطبرى ج ٢ و ٣) .

كانوا لايجيزون أخذ الجزية من الكتابى العربى ، وأنهم لا يرون أخذها على كل حال من غير كتابى . وانه ليس لهؤلاء وأولئك الا القتال حتى يسلموا . ويأخذ بعض المجتهدين بهذا . مستندين الى نص اية التوبة (٣٠) التى لاتذكر الا أهل الكتاب . والى آيتى سورة التوبة (١١،٥) اللتين توجب قتال المشركين الى أن يثوبوا ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة . أى الى أن يسلموا . ونحن نتوقف فى ذلك . فآيتا التوبة (٥ ، ١١) فى حق المعاهدين الناكثين لعهدهم وايمانهم . وقد شرحنا مداها فى المقال الأول شرحنا يغنى عن التكرار ، وانتهينا الى القول : انهما مع ذلك لا يمنعان تجديد العهد والصلح معهم . ولم نر القائلين يسندون قولهم فى عدم جواز أخذ الجزية من العربى الكتابى الى سند قرآنى أو نبوى .

وقد أخذ النبى صلى الله عليه وسلم الجزية من نصارى نجران ، وهم عرب أقحاح ، وظل ما فعله قائما مستمرا من بعده . وفى حديث بريده الصحيح ما يفيد صراحة بأن النبى كان يأمر بالكف عن الأعداء المشركين اذا ما أعلنوا خضوعهم وقبلوا أداء الجزية . والروايات مستفيضة متواترة لا خلاف فيها ان قواد الفتح الاسلامى الأول فى عهد الخلفاء الراشدين ، وبأمرهم وموافقتهم ، كانوا يصالحون أهل البلاد المفتوحة على الجزية ، اذا ما استسلموا وخضعوا ، وكان منهم عرب كتابيون أقحاح فى الشام والعراق ، وكان منهم الوثنيون والمشركون وعبدة النار . وهناك حديث طريف مؤيد لذلك رواه الامام أبو عبيد فى كتاب الأموال جاء فيه : (ان عمر بن الخطاب قد هم أن يأخذ من نصارى بنى تغلب الجزية ، فتفرقوا فى البلاد ، فقال زرعة بن النعمان يا أمير المؤمنين ان بنى تغلب قوم عرب يأنفون من الجزية وليست لهم أموال . انما هم أصحاب حروث ومواشى . ولهم نكاية فى العدو . فلا تعن عدوك عليك بهم ، فصالحهم عمر على أن اضعف (ضاعف) عليهم الصدقة ، واشترط عليهم أن لا ينصروا أولادهم) .

ومع أنهم لم يوفوا بهذا الشرط على ما ذكره أبو عبيد ، فان أمرهم لم يتغير . ويورد أبو عبيد حديثا آخر بدون هذا الشرط عن زياد ابن حدير جابى العشر والصدقة : ان عمر أمره أن يأخذ من نصارى تغلب العشر ومن نصارى أهل الكتاب نصف العشر . تبعا لأمره بمضاعفة الصدقة عليهم مقابل اعفائهم من الجزية دون سائر أهل الكتاب ...

— ٧ —

والآية (٣٠) وان كانت تأمر بقتال من يجب قتالهم حتى يعطوا الجزية ويتسق معها حديث بريدة . فليس فيها ما يمنع من مصالحتهم على غير جزية أيضا اذا جنحوا للصلح على شرط عدم الجزية ، اذا كانت ظروف المسلمين ومصلحتهم تقتضى ذلك . وقد صالح النبى صلى الله عليه وسلم قريشا فى الحديبية بدون جزية . وقد يقال ان آية التوبة قد نزلت بعد ذلك وان الآخر ينسخ الأول . غير أن روح آيات سورة الأنفال (٦١ ، ٦٢) التى أوردناها وشرحنا مداها فى المقال السابق المعقود على وصف وحالة الفئة الثانية (المعاهدين) بل وفحواها وسياقها تلهم أنها تشريع مستمر التلقين لاتساقه مع ظروف الحياة وطبائع الأمور . فهناك احتمالات دائمة لقيام ظروف لا تسمح للمسلمين بالاستمرار فى قتال عدوهم الى أن يخضع ويعطى الجزية ، فمن الحق أن يستلهم ولى أمر

المؤمنين هذه الآيات والسنة النبوية فى مصالحة قريش بعد حرب وعداء شديدين فى مثل هذه الظروف ، فيقابل جنوح العدو الى السلم بالمثل ولو كان بدون جزية (٨) .

وظروف الدنيا الراهنة التى لم يعد فيها محل لفرض جزية سنوية على المغلوب ، قد تسوغ ذلك بصورة دائمة . وقد يكون فى هذا معجزة من اعجاز الهدى القرآنى النبوى اللذين يهيئان المجال والاساغة للحلول المختلفة حسب اختلاف الظروف . والله تعالى أعلم .

— ٨ —

وفى صدد مقدار الجزية والفئات التى تؤخذ من المصالحين عليها نقول انه يبدو مما فعله النبى صلى الله عليه وسلم وأوردناه قبل أنه كان يفرض الجزية حسب ما يراه ممكنا ومتساوقا مع الظروف . فأناس أمر بأخذ دينار من حالمهم . وأناس فرض عليهم جملة ألفى حلة مع ضيافة رسله ، واعارة بعض وسائل الحرب اذا كانت حرب . وأناس فرض عليهم ربع غزولهم وربع ثمر نخلهم . أو قدرا معينا من غلاتهم . ولقد روى الامام أبو عبيد أن عمر بن الخطاب ضرب على أهل الذهب — والمقصود من ذلك الناس الذين كان مقياس تعاملهم الذهب كما هو المتبادر — أربعة دنانير . وعلى أهل الورق (الفضة) أربعين درهما مع ارزاق المسلمين وضيافة ثلاثة أيام .

وروى أنه بعث عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وعثمان بن حنيف الى أهل الكوفة فوضعوا على كل رجل أربعة وعشرين درهما فأجاز ذلك . وفى رواية أنه بعث عثمان بن حنيف فوضع على كل رجل ثمانية وأربعين درهما وأربعة وعشرين درهما واثنى عشر درهما حيث يكون قد صنف الرجال ثلاثة صنوف : أغنياء ومتوسطون وكسبة .

وقد قال الامام أبو عبيد بعد هذا ان خلفاء المسلمين كانوا لا يرون الزيادة على هذه المقادير الثلاثة بل كانوا يرون النقصان اذا ما عجزت فئة منهم عن المرتب عليها . وأنهم كانوا يعفون النساء والصبيان اطلاقا والعميان ، والزمنى والمقعدين والرهبان اذا لم يكن لهم مال . وكانوا يأمرون بالرفق بأصحابها وعدم الاصرار على أخذها ذهبا أو فضة ، وبأخذ قيمتها من غلة الأرض والماشية وصنعة اليد . وكانوا يسقطونها عن العاجزين عن أدائها . وقد ورد كل هذا فى كتاب الخراج للامام أبى يوسف أيضا .

ولقد روى هذا الامام خبرا رائعا عن عمر ابن الخطاب جاء فيه أنه مر بباب قوم وعليه سائل يسأل وهو شيخ كبير ضرير . فضرب عضده من خلفه ، وقال له من أى أهل الكتاب أنت ؟ فقال يهودى . قال فما ألجأك الى ما أرى . قال اسأل الجزية والحاجة والسن . فأخذ بيده وذهب به الى منزله ، فرضخ له بشىء من المنزل ، ثم أرسل الى خازن بيت المال ، فقال : انظر هذا وأضرابه . فرتب لهم ما يقوم بأودهم ، وأسقط عنهم الجزية . فوالله ما أنصفناهم أن أكلنا شبيبتهم ثم نخذلهم عند الهرم .

وروى أبو عبيد أن عمر بن عبد العزيز كتب الى واليه بالبصرة أن لا يأخذ الجزية الا ممن أطاق . وأن يجرى على من كبرت سنه وضعفت قوته وولت مكاسبه من أهل الذمة من بيت المال ما يصلحه . لأنه بلغه أن أمير المؤمنين عمر قد فعل ذلك . ولقد قال الامام مالك فى الموطأ (مضت السنة على أن لا جزية على نساء أهل الكتاب ولا على صبيانهم ولا تؤخذ الا من الذين بلغوا الحلم .

---

(٦) تذكر القارىء باستدراكنا الذى أوردناه فى المقال الأول فى صدد الصلح مع اليهود الذين اغتصبوا فلسطين وأقاموا دولتهم فيها والذين يعرضون الصلح على العرب . فهؤلاء لا ينطبق عليهم هذا . وليس للعرب والمسلمين الا قتالهم والاستمرار فى ذلك وعدم مصالحتهم والاعتراف باغتصابهم الى أن يقوضوا دولتهم ويطهروا الارض من رجسهم مهما طال الزمن وعظمت التضحيات .

وليس على نخلهم وكرومهم ومواشيهم صدقة. لأن الصدقة وضعت على المسلمين تطهيرا لهم وردا على فقرائهم ، وليس على أهل الكتاب الا الجزية .. والجزية وان كانت فى أصلها علاقة خضوع غير المسلم للسلطان الاسلامى فانها فى نفس الوقت مقابل الحماية والدفاع وضمان الحرية وحسن المعاملة .

وليس فيما فعله عمر رضى الله عنه وتابعه فيه الخلفاء من بعده خروج عن السنة النبوية. بل هو من نطاق هديها الذى نبهنا عليه قبل ، وهو أخذ الجزيـــة بمقدار يخضـــع للظروف والامكانيات . وفيه صورة من صور فهم كبار أصحاب رسول الله للهدى النبوى يصح ترسمها والمتبادر أن هذا الهدى هو الذى يظل ضابطا للجزية أكثر من التعيين والتحديد . وليس ما يمنع والحالة هذه أن يأخذ المسلمون الجزية جملة سنوية من قوم هم يتوزعونها فيما بينهم حسب ما يرون نقدا أو سلعة مصنوعة أو غلة.

— ٩ —

ولقد تعددت التأويلات التى يرويها المفسرون عن أصحاب رسول الله وتابعيهم لجملة (عن يد وهم صاغرون) . من ذلك أنها تعنى دفع الجزية نقدا ووجاها مع اظهار الخشوع والذلل ومن ذلك أنها تعبير لفظى عن حالة الصغار التى يتلبس بها المعطى ، وأنكر كثيرون أن يكون فيها تسويغ لاهانة المعطى وتعذيبه وصفعه وتلبيبه حين الدفع كما يذهب اليه بعضهم . وهناك أحاديث تدعم هذا الانكار رواها الامام أبو عبيد فى كتاب الأموال منها : (أن عياضا ابن غنم من أصـــحاب رسول الله رأى نبطا يعذبون فى الجزية ، فقال للجابى انى سمعت رسول الله يقول : ان الله تبارك وتعالى يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس فى الدنيا) .

ومنها (ان عمر أتى بمال كثير من الجزية فقال انى لأظنكم قد أهلكتم الناس . قالوا لا والله ما أخذنا الا عفوا صفوا فقال بلا سوط ولا نوط قالوا : نعم فقال : الحمد لله الذى لم يجعل ذلك على يدى ولا فى سلطانى) .

ومنها : (أن عمر مر على قوم أقيموا فى الشمس . وهو راجع من الشام فقال : ما بال هؤلاء فقالوا عليهم الجزية لم يؤدوها . فهم يعذبون حتى يؤدوها . فقال عمر فماذا يقولون قالوا يقولون لا نجد . فقال دعوهم ولا تكلفوهم ولا يطيقون فانى ســـمعت رسول الله يقول لا تعذبوا الناس فان الذين يعذبون الناس فى الدنيا يعذبهم الله يوم القيامة وأمر بهم فخلى سبيلهم .

ولقد قال الامام أبو يوسف فى كتاب الخراج (انه لا يجوز ضربهم فى استيدائهم الجزية ولا يوقع عليهم فى أبدانهم شىء من المكاره) . والصفع والتلبيب والاهانة من التعذيب والمكاره. واذا كان عمر وعياض رضى الله عنهما وجدا تعذيب الذمى الذى تأخر عن دفع الجزيـــة منطبقا على نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تعذيب الناس وانكراه واذا كان الامام أبو يوسف يقول انه لا يجوز ضرب الذمى واحداث أى مكروه فى بدنه فى استيدائه الجزية ، فمن باب أولى أن يكون ضربه وتعذيبه واهانته وتلبيبه وهو مقبل على دفعها منكرا غير جائز بل موضعا لانكار أشد .

ولقد روى أبو يوسف حديثا عن رسول الله قال : (من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فانا حجيجه) وعن عمر حين حضرته الوفاة أنه قال : (اوصى الخليفة من بعدى بذمة رسول الله أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم .) وروى الامام أبو عبيد عن النبى صلى الله عليه وســـلم قال : (انكم لعلكم تقاتلون قومـــا فيتقونكـــم بأموالهم دون أنفسهم وأبنائهم ويصالحونكم على صلح . فلا تأخذوا منهم فوق ذلك فانه لا يحل لكم)

ولقد قال الامام أبو يوسف فى كتابه المذكور: (ان أهل الذمة لما رأوا وفاء المسلمين لهم وحسن سيرتهم فيهم صاروا أشداء على عدو المسلمين وعونا للمسلمين عليه . ولقد بعثوا رجالا من قبلهم يتجسسون أخبار الروم ، فرجعوا يخبرون أهل مدنهم بأن الروم جمعوا جمعا لم ير مثله . فأتى رؤساء المدن الأمير الذى خلفه أبو عبيده فيهم وكان ذلك فى بلاد الشام ، فأخبروه ، فكتب والى كل مدينة الى أبى عبيدة بذلك . وتتابعت الأخبار على أبى عبيده فكتب الى الولاة يأمرهم بأن يردوا على أهل مدنهم ما جبوه من جزية وخراج ، وأن يقولوا لهم انما رددنا أموالكم لأنه بلغنا ما جمع الروم من الجموع ، وانكم اشترطتم علينا أن نمنعكم ، ولا نقدر الآن على ذلك ، ونحن لكم على الشرط وما كتبناه ان نصرنا الله عليهم . فقال لهم أهل المدن ردكم الله علينا ونصركم عليهم . فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا وأخذوا كل شىء بقى لنا حتى لا يدعوا لنا شيئا) .

وفى هذا ما فيه من جلال وروعة . وينبغى أن لا يشك أحد فى صحة هذه الرواية . فانها لم تسق للدفاع عن سلوك المسلمين والدعاية لهم فى ذلك الوقت الذى لم يكن لمثل هذا الدفاع والدعاية محل . والامام أبو يوسف كتب كتابه قبل نهاية القرن الثانى للهجرة . وهو من أقدم الكتب التى وصلت الينا ان لم يكن أقدمها .

— ١٠ —

ولقد أورد ابن كثير فى سياق جملة (عن يد وهم صاغرون) نص كتاب عجيب يزعم راويه أن نصارى الشام كتبوه وأرسلوه الى عمر بن الخطاب فيه اقرار لأمور قالوا انه قررها عليهم حين صالحهم على الجزية . وهى (أن لا يجددوا ما خرب من كنائسهم وأن لا يحدثوا أديارا ولا كنائس ولا صوامع . وأن لا يمنعوا مسلما من النزول فى كنائسهم . وأن لا يعلموا أولادهم القرآن . وأن لا يدعوا أحدا الى دينهم . وأن يوقروا المسلمين ويقوموا لهم فى المجالس . وأن لايتشبهوا بهم فى الأزياء والملابس . وأن لا يكتنوا بكناهم . وأن لا يضعوا سرجا على دوابهم حين يركبونها. ولا يبيعوا الخمور ولا ينقشوا خواتمهم بالعربية . ولا يجزوا مقادم رءوسهم . وأن يلزموا زيهم . وأن يشدوا الزنار على أوساطهم وأن لا يظهروا النواقيس ولا يضربوها الا ضربا خفيفا . وأن لا يخرجوا شعانين ولا بعوثا . ولا يرفعوا أصواتهم . ولا يظهروا نيرانا . ولا يسكنوا فى طرق المسلمين وأسواقهم وأحيائهم وخططهم . ولا يدفنوا موتاهم قرب موتاهم) .

ويقول ابن كثير ان الأئمة الحفاظ قد رووا هذا الكتاب ولكنه لا يذكر أسماء . ولا يذكر اسم المدينة التى كتب أهلها الكتاب . وهو عجيب غريب فى بدايته ونهايته وأسلوبه وفحواه فيما نرى . وفيه ما يطعن فى صحته مثل ذكر أحياء المسلمين وخططهم وأسواقهم . وهو ما لم يكن قد حدث بعد . ومثل قولهم لعمرانك أخذت علينا هذه الشروط حينما قدمت علينا وسألناك الامان وعمر لم يشهد فتح الشام ولم يشهد غير فتح القدس .

والنص المتداول للعهد الذى أعطاه لنصارى القدس مناقض مناقضة صارخة لهذا الكتاب وفحواه حيث جاء فيه : (هذا ما أعطاه عبد الله بن عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الامان . أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها . انه لا تسكن كنائسهم . ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها . ولا من صلبهم ولا من شىء من أموالهم . ولا يضار أحد منهم . وأن لا يسكن أحد

من اليهود معهم . وعلى أهل ايليــــاء أن يعطوا الجزية كمـــا يعطى أهل المدائن . وعليهم أن يخرجوا منها الروم — فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم . ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليــه مثل ما على أهل ايلياء من الجــزية . ومن أحب من أهل ايلياء أن يســير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلى بيعهم وصــلبهم فانهم آمنون على أنفســـهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم . ومن شاء ســـار مع الروم . ومن شـــاء رجع الى أهله . وانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصـــادهم ، وعلى ما فى هذا الـــكتاب عهد الله وذمة رســـوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية)[٧] .

ومعلوم أنه ورد فى بعض الــكتب بعض الالزامات فى الملابس والازياء والســـلوك للنصـــارى واليهود الأميين الذين خضعوا للمسلمين على أساس الجزية فيها شيء مما ورد فى الكتاب ، بل ان فى كتاب الخــراج لأبى يوسف معظم ما جاء فى الـــكتاب مع القول أن عمر أمر عمـــاله بأخذ أهل الذمة به ، وأن عمر بن عبد العزيز أمر عمـــاله بأخذهم به بعد أن رآهم يخـــالفونه فيلبسون العمائم ولا يتزنرون بالزنار ولا يقصون مقادم شعور رؤوسهم ..

وورود هذا فى كتاب أبى يوسف لا يجعلنا نسلم بصحة عزو هــذه الالزامات الى عمر رضى الله عنه ، ولا بصحة الكتاب الذى فيه ما ينقضــه كما نبهنـــا على ذلك . والذى نرجحه أن بعض النصارى فى دور متقدم من أدوار الحكم الاســـلامى خامروا أو غامروا مخامرة أو مغامرة كان لها وقع شديد وعميق فى نفوس المسلمين وحكامهم ، فتشـــددوا معهم وألزموهم بما ورد فى الكتاب أو فى كتاب الخراج ولعل الكتاب افتعل بســـبيل ذلك .

ولقد روت مصـــادر التاريخ الاســـلامى والتاريخ المســيحى القديمة أن بعضا منهم ناصروا الروم حينما جاءت جيوش الفتح . ثم اســـتجابوا لتحريكاتهم ، وصاروا يقومون ببعض الحركات التمردية المؤذية ضد المسلمين فى أوائل الدولة الأموية وأواسطها ، ثم فى أوائل عهد الدولة العباســـية اغتناما لفرصة الأحداث والخـــلافات الداخلية[٨] . ولعل ذلك كان من أسباب ذلك التشـــدد والالزام .

وبهذا فقط يصبح الالزام بعدم ســـكنى الذميين فى أحياء المســـــلمين وخططهم وأسواقهم ، وعدم دفن موتاهم عند موتاهم مفهوما. بل ويصبح عزو ذلك الى عمر بن عبد العزيز أيضا مفهوما . واذا صح ترجيحنا وليس من سبيل معقول غيره فيـــكون هذا الالزام ناتجا عن سوء تصرف وســـلوك المغامرين والمخامرين من النصـــارى وليس أصلا اسلاميا لذاته بعد أن روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وخليفته عمر ما روى من التشـــديد فى التوصية فى الذميين ورعايتهم . ولا ينبغى أن يكون مســـتمر التطبيق والتنفيذ ولاسيما فى حالة انعـدام الاسباب التى دعت اليه . وقد صـــار الامر كذلك فى الحقب التالية الممتدة الى الآن .

(٧) تاريخ الطبرى جـ ٣ ص ١٠٥ .

(٨) أنظر كتاب تاريخ الموارنة المفصل للمطران الدبس ص ٣٤ وبعدها و ١٨٦ وبعـــدها وكتاب فتوح البلدان للبلاذرى ص ١٣٣ وبعدها . والطبرى ج ٣ ص ٣١٥ و ج ٤ ص ٢ وروض الشقيق للامير شكيب ارسلان .

من هدي السنة

أنواع الجهاد

للشيخ : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى بوزارة الاوقاف

عن زيد بن خالد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من جهز غازيا فى سـبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيا فى سبيل الله بخير فقد غزا) رواه البخارى .

١ ــ يعج العالم المعاصر بالفتن الدامية التى تراق فيها الدماء ، وتتهاوى الاجساد ، وتبتر الاعضاء ، وتتلاشى فيه كل جوانب الرحمة ، وتنسى كل عوامل الخير ، وتقطع أواصر القربى ، وتستبعد أوامر السماء التى فاقت العد حاثة على التراحم ، فالانسان الشرس الباغى الجاثم على الشر ، المنطوى على الحقد والغدر ، لا يلتفت الى دواعى البر والخير أبدا ، ولا يرده الا عدوان يفوق عدوانه ، وقوة تربو على قوته ، حتى يقضى على شره ، فلا سلام مع ذئاب ، ولا أمن مع حيوان مفترس ، ولا اطمئنان الى زاحفه سامة مهما لانت ملامسها ، والتوت على نفسها ، وأخفت رأسها ، أو انحازت الى جحرها ، والعالم الآن دام متألم ، فى كل قاراته المسكونة مذابح ، ومطامع تروج لها ، وشيطانية تؤجج ضرامها .

وانا لنقصر الحديث على وطننا على ترابنا ، على أرضنا ، فمن اشتعلت النار فى داره أولى له أن يسعى الى اخمادها قبل أن يعنى بدور الاخرين ، فهنا حياته ، ماله وولده ، وعشيرته الاقربون ، أعوانه وناصروه ، ومخففو آلامه ، هنا فى تراب العرب ، فى أرض الاسلام ، فى فلسطين ، بل فى كل بلد عربى قتلى ، وفى كل بيت ثكلى ، عيون مبتلة دائما بدموعها ، واكباد محترقة تتجاوب

من كل طرف فما جرح ذلك البلد العربى المقدس ، الا كلم ثرار فى كل بلد عربى ، وفى كل وطن فيه مسلمون ، والذى أنقذ الجزائر وحرر مصر وضحى فى الشام والعراق هو الدم الزكى ، هو الشباب ، هو المال ، هى القلوب التى لا تقيم على ضيم ، فأولى لهم الآن أن يتجهوا سراعا الى ميدان الفداء الجديد القديم معا ، ولتعلن حربا قومية دينية صارخة ، يتجاوب فيها كل معمور من الارض حيث يوجد مسلم أو عربى ، ولواء العروبة والاسلام قد نشروهما صنوان لا يفترقان ، فما قاتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهم عرب مسلمون ، وما شاركهم العجم الا وهم بالله وبرسوله مؤمنون ، فالكل تحت رايته عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام كل لا يفترق ، وجمع لا واحد له ، والاسلام يصيح أنقذوا الارض المقدسة وأنجزوا وعد الله بنصر المؤمنين الذين يجاهدون فى سبيله ولا يخشون فى الحق لومة لائم .

وها هو ذا صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم يهيب بالدنيا ، بأمة المسلمين ، بالعرب ، هيـا الى أبواب الخير ، فلقد هبت ريحهـا من فلسطين الصريعة ، هناك مسراى ، ومن هناك معراجى ، لقد فاح عبير الشهداء فى كل جو عربى ، ومن كل بلد اسلامى ، فهل من مسارع ؟ والجواب نعم وبلى فى كل صور الجواب وأنواعه ، فلقد أدرك رجال العرب وعقلاء المسلمين فى كل مكان أنهم مسئولون وأنهم مدعوون ليوم النصر ليشهدوه ، وها أنت ذا تسمع فى كل عاصمة عربية ودسكرة اسلامية نداء القادة والزعماء والرجال الاوفياء لرجولتهم لدينهم ، لعروبتهم ، لوجودهم كأناس جديرين بالوجود ، كقادة ، كحكام ، ها هو ذا صرير أقلام الكتاب يترجم مداده دما ، وتتحول شباته ظبى ، وتشتعل أوراقه صواعق ملتهبة ، وحمدا لله ، فقد بدأت تجدصداها فى أرجاء العالم الاسلامى وستتسع موجاتها وتكبر شيئا فشيئا حتى تطبق على العدو فى حزم وقوة بأس ، ومهما لاقينا من الاعداء المنبثين فى كل مكان ، الموجودين فى كل آن ، فقوة الله غالبة ، وهى داعية عمل وجهاد ، والنصر دائما مع الصبر والقوة مع الاتحاد .

٢ ــ ها هى ذى أعمال سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تتمثل فى صورة رائعة أمامى وأنا أحمل القلم لأسجل ، أرى سيد الخلق عليه أفضل الصلاة وازكى السلام طودا شامخا عالى الهامة ، مرفوع الراس عارى الصدر ، يضع مئزره فى موضعه ، ويكشف ما يصح أن يكشف من جسده الشريف ، ويعلق التراب بأنفه ، ويثور الغبار أمام عينيه الشريفتين ، وقد تكالب الاحزاب عليه يطوقون باب المدينة المنورة ، جاءوا من كل مكان وتنادوا من كل حدب ، وحملوا ما استطـاعوا أن يحملوا ، قدموا اليه ليحاربوه ، ليقتلوه ، ان استطـاعوا ، وها هو ذا صوته الشريف يدوى ولا يزال يتردد الآن فى كل مكان فيه مسـلم ، يروى البراء بن عـازب يقول « لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب ينقل التراب ، وقد وارى بياض بطنه وهو يصيح متمثلا بقول الشاعر :

لولا الله ما اهتـديـنا ولا تصـدقنا ولا صـلينا
فأنزلن السـكينة علينـا وثبت الاقـدام ان لاقينـا
ان الاولى هم قد بغوا علينا اذا أرادوا فتنـة أبينـا

وأى يوم للأحزاب أشد من يومنا هذا ، ففى كل دولة فى العالم المعاصر عدو لنا مقيم على عداوته ، فيهم الصامت الذى يعمل خفية ، والمجاهر الذى يسلح خصومنا علانية ، وماذا بعد فلسطين ، بعد الارض المقدسة ، مسرى حبيبنا ومعراج سيدنا ومولانا رسول الله ، بعدها كل البلاد العربية المجاورة ، ولعل قومنا على ذكر من المثل السائر « أكلت يوم أكل الثور الابيض » . . يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به ، يا قومنا تضاموا وتوحدوا ، ألا تعلمون من تاريخكم المشرف أن الذى أشار بحفر الخندق هو سلمان الفارسى ، وها هم أولاء الانصار من حول سيدى رسول الله يحملون التراب على متونهم وينشدون :

نحن الذين بايعوا محمدا   على الاسـلام ما بقينا أبدا

والحبيب المصطفى سيد البشر ، ورائد خيرى الدنيا والآخرة عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، يرد على هاتفهم مجيبا متمثلا بقول القائل :

اللهم لاعيش الا عيش الآخرة   فبارك فى الانصار والمهاجرة

٣ ــ ويعلم الله وتشهد الدنيا غابرة ومعاصرة أن للناس أقدارا متفاوتة فى كل ميدان وحقل ، فمنهم من يستطيع الجهاد بنفسه ، ومنهم من يعين بماله ، ومنهم من يسلك طرائق أخرى الى الجهاد ، والسبل كثيرة ، وأبواب العمل مفتحة أمام كل عامل ، وما غمط الاسلام حق أحد ، ولا احتقر عملا مهما كان ضئيلا لانسان ، وانما أعطى لكل أجرا لا ينقص من أجر الآخرين شيئا ، وانصتوا واقرءوا لزيد بن خالد يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله :

ا ــ من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا :

وتجهيز الغازى يكون باعداد العدة من آلات قتال ووسائل نقل وعمل سياسى ممهد ، ومناصرة حافزة ، فلم يترك الحديث الشريف مجالا لمتراخ ، ولا حجة لمحتج ، ولا تكأة لعاجز ، فالمجاهد الفتى الايد القوى ، فى بدنه ، فى عقله ، فى صحته ، يسانده صاحب المال بماله ان عجز عن مرافقته الى الميدان وصاحب العقل المدبر المقيم حيث هو ، هو فى مكان جهاد ، فالمرابطون فى الثغور أقوياء بالمواطنين اللابثين فى دورهم يحمون ظهورهم ويمدونهم بما يريدون ، مما يمكن لهم من عدوهم ، فمن استطاع الغزو بنفسه وماله فله درجة عالية ، لايقدرها قدرها الا رب العالمين ، ومن لم يستطع بنفسه فالوسائل كثيرة ولم يعف الاسلام أحدا من جهاد ، ولم يسو أبدا بين القاعدين والمرابطين فى الميدان ، قال عز من قائل : ــ لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر ، والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما . درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما) . الآيتان ٩٥ ، ٩٦ من سورة النساء .

ب ــ ومن خلف غازيا فى سبيل الله بخير فقد غزا :

غالبا ما يكون لكل غاز أسرة يتركها وراءه ، فيها الأب والأم ، وأحيانا

الزوجة ، وقد لا يكون لهم عائل سواه ولا راع يكلؤهم الا اياه ، ولا حام يحفظهم غيره ، ولكى يغزو آمنا عليهم ان استشهد ، أو فقد أو عاد سالما غانما ، فقد أعظم الله تبارك وتعالى أجر من يلى أمورهم من بعده ، ويقضى حاجتهم ويوصل اليهم كل ما يبتغون الى أن يؤوب غائبهم ، ان قدرت له أوبة ، ويتولى أمرهم دائما ان لم يعد اليهم . وهذه مهمة شاقة ، وجد عسيرة الا على من رزقه الله توفيقا وسدادا وحبا للخير وايمانا بمـــا ادخره قيوم السموات والارض له ولأمثاله من المؤمنين المخلصين ، وتلك مشاركة فى الجهاد وأى مشاركة ، وحينئذ يجزل الله له الاجر ويعطيه من الثواب ما يعطى الشهيد فى الميدان دون أن ينقص ذلك من أجر الشهيد شيئا ، لأنه ناب نيابة كاملة عن الغازى فكفى أهله مايهمهم من أمور معاشهم ، وبذلك هيأ لعميدهم فرصة الجهاد والغزو فى سبيل الله

وقد وردت فى هذا الصدد أحاديث كثيرة ، كلها حاثة عليه ، مظهرة عظم أجر العاملين المخلصين ، فمما رواه ابن ماجة عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرفوعا (من جهز غازيا حتى يستقل كان له مثل أجره حتى يموت أو يرجع) وفى رواية للطبرانى (من جهز غازيا فى سبيل الله فله مثل أجره ، ومن خلف غازيا فى أهله بخير وأنفق على أهله فله مثل أجره) وفى صحيح ابن حيان (من أظل غازيا أظله الله يوم القيامة) .

٤ ــ ولما كانت آلة القتال والانتقال السائدة فى عصر النبوة الشريفة هى الخيل، حيث كانت وسيلة هامة أو هى الوسيلة الوحيدة للجهاد ، فقد امتدح رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل المحبوسة فى سبيل الله ، وجعل الله لمن يرعاهـــا ويكرمها فى سبيله أجرا عظيما ، فمما رواه البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة) وروى أن خليـــلا لتميم الدارى رضى الله عنه زاره فى بيته فوجده ينقى الشعير لفرسه ، ثم يعلفه عليه وحوله أهله ، فقال الصاحب : أما كان من هؤلاء من يكفيك ؟ فأجابه تميم بلى ، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من مسلم ينقى لفرسه شعيرا ، ثم يعلفه عليه الا كتب الله له بكل حبة حسنة) . . . .

وأقول الآن : قد اختلفت عدة الجهاد وآلاته فتحولت الى طائرات فى المرتبة الأولى ، ودبابات وذريات ، فمن أنشأ معملا للأبحاث الذرية كى ينتج ما يدفـــع العدو ، ويرد كيده فى نحره ، ويهىء قوة دفاعية ممتازة فله أجر عظيم عند الله تعالى ، وكذلك من ساهم فى شراء طيارات ودبابات أو أى سلاح للقتال والجهاد، ففعله هذا فى سبيل الله تعالى ، وهو فى ميزانه يوم القيامة .

ومما يزيد الأمل ويقويه فى مستقبل باسم زاهر مكللا بالنصر والفوز للأمة العربية خاصة والاسلامية عامة ، هو انبثاق روح الفداء من جديد بين أبنائها ، والفداء لا يتوقف مطلقا على المساهمة والمشاركة الفعلية فى الميدان كما أسلفنا ، بل يشمل الاعداد للمجاهدين ، وتزويدهم بما ينجح مهمتهم على أكمل وجــه ، فجامع المال فدائى ولا شك ، والمشترك فى توفير عدة القتال كذلك ، وهذا تطبيق لأحاديث سيدنا وحبيبنا سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ، فلا تقف شريعته

الى زمن أو حد معين ، ولا تقتصر على آلة خاصة أو نوع خاص بعينه كالخيل أو سواها وانما هو توجيه عام للمسلمين وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون .

٥ — وأخيرا .. يطرق الباب — وأنا ممسك بقلمى أسطر مقالى هذا الى مجلة الوعى الاسلامى — حرسها الله — من التقيت به مرارا فى دروب المدينة — حيث أقيم الآن — وشعابها باديا فى مظهر المتحمس لقضايانا ، ولكن القلب كان دائما فى ريب من الذين يلبسون مسوح الرهبان ، وهم فتاكون قطاع آفاق ، ويدلف صاحبنا منسابا فى هدوء ويجلس ممسكا بأولى صفحات ما كتبت ، ويقرأ ثم يصيح كأنه نسى من هو وما هى مهمته أداعية حرب أنت ، أمثير قتال ، أمحرض على وحشية لا تقاوم ؟ وأجبت فى هدوء المضيف المسلم الذى وصاه رسول الاسلام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام باكرام الضيف مهما لاقى منه قلت : مهلا على رسلك ، ان عهدى بك هادئا لطيفا ، تحسن التأتى للأمور ، تختار عبارات حديثك مع الآخرين فى لطف وتأن وروية ، فما بالك تثور فى غير موضع ثورة ، ماذا دهاك ، أم تريد أن تظهر على حقيقتك عدوا فى ثياب صديق ، أو عدوا خالصا ، أية دعوة حرب وقتال تلك التى تتحدث عنها ، اصبر معى قليلا ، وان كنت أعلم أنك لن تستطيع معى صبرا ، أتسمعنى ، أليس قتل الأطفال عدوانا ، أليس اجلاء المواطنين عن دورهم حربا ، أليست الابادة الجماعية فتكا ، ماذا تسمى الغارات المصبحة الممسية على الديار الآمنة العزلاء ؟ اتسميها مداعبات بريئة ، ورحلات تنزه وتفكه ، وتمرينات حرة لا تخضع لقيود ؟

وحاول صاحبى العودة الى هدوئه وقال : اعذرنى فأنا لا أحتمل رؤية الدم ولا مكتوبا اسمه على ورق ، وانطلقت ضحكات عالية من عجوز كان قد سبقه الى بيتى وهو يصيح — أى دم يا هذا ، أيزعجك دم مسطور بحبر على ورق . ولا يؤذيك دم مراق تعاف الارض أن تقبله ؟! لقد بدا الصبح لذى عينين ، انك لعدو ملقاط لأسرار وأحاديث ، وما ظاهرك اللين الا نوع من الحيلة الماكرة ، ولم يستطع الرجل البقاء طويلا تحت وابل تقريعات العجوز ، فانطلق مسرعا الى الباب فى هرولة جنونية كأنه أحيط به ، وراح العجوز يحدثنى قائلا :

يا لله للمسلمين ، يا لله للعرب الاعزاء ، كم غرتهم مظاهر أمثال هذا ، فدخلوا بينهم دسما فى دسم ، وسلا فى عظام ، وسرطانا فى دم ، لأن المؤمن غر كريم ولكن مع من ؟ يجب أن يكون هذا مع مثيله قرينه مواطنه (أشداء على الكفار رحماء بينهم) ، ولكن قد بدا النور لذى عينين — أكررها — فقد استيقظ فيما أرى أبناء العروبة والاسلام ولم تعد تجوز عليهم تلك المخزيات ، وانه ليجب أن تتركز دعوتنا على أخذ الحذر من كل غريب عن ديارنا مع استثناء القليل الاقل الذى أثبتت الايام حسن صداقته وجميل وده بما لا يقبل ريبا أو شكا .

والقرآن الكريم يقول : (خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا وسأنتظر مقالا آخر لتشرح لى قوله تعالى خذوا حذركم ، قلت صدقت وأحسنت ، ولعل وعسى ...



لغة القرآن

للدكتور
علي محمد حسن

من القضايا البدهية أن القرآن الكريم عربى الألفاظ والأساليب والصياغة ، فألفاظه هى التى كان العرب يستعملونها فى شعرهم ونثرهم ، ومخاطباتهم ، وطريقته فى تأليف الجملة والجمل هى طريقتهم .

والقرآن الكريم — مع وضوح هذه القضية — نبه عليها فى أكثر من آية من آياته ، وأول ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم — وهو الذى بعثه الله فى العرب — كان عربيا من صميمهم ، وكان رجلا من أنفسهم ، ينطق بلسانهم ، ويفخر ببيانهم ، وهذا مصداق قول الله تعالى : (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم)(١) .

ولم يعرف عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يعرف لغة غير اللغة العربية ، ولم يذكر فى سيرته أنه رحل الى بلاد أخرى غير مرتين ما كان يمكن أن يتعلم فيهما لغة أخرى ، وقد ولد فى قريش ، واسترضع فى بنى سعد ، ثم عاد الى قريش ليقضى شبابه وكهولته بين شبانها وكهولها ، وقريش وبنو سعد من أفصح قبائل العرب .

نعم كان يعرف صلى الله عليه وسلم لهجات كثير من قبائل العرب ، وبذلك تسنى له أن يخاطب وأن يكتب الى كل قوم من العرب بلهجتهم .

وقد جاءت آيات قرآنية صريحة واضحة بأن القرآن أنزل بلسان عربى مبين ، قال تعالى : « وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين »(٢) .

---

(١) سورة ابراهيم الآية ٤

(٢) سورة الشعراء ١٩٢ — ١٩٥

وقد وقعت شبهة فى نفوس قوم من قوله تعالى : (على قلبك) فوهموا أن القرآن أنزل من السماء بمعناه وأن محمدا كساه ألفاظا من عنده ، ولكن العلماء أجابوا عن ذلك اجابات مقنعة ، ومن ذلك ما قاله الزمخشرى فى تفسيره الكشاف : (تنزيله بالعربية التى هى لسانك ، ولسان قومك تنزيل له على قلبك ، لأنك تفهمه ويفهمه قومك ، ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك ، لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها ، وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات ، فاذا كلم بلغته التى لقنها أولا ، ونشأ عليها ، وتطبع بها ، لم يكن قلبه الا الى معانى الكلام ، يتلقاها بقلبه ، ولا يكاد يفطن للألفاظ كيف جرت ، وان كلم بغير تلك اللغة ـــ وان كان ماهرا بمعرفتها ـــ كان نظره ـــ أولا ـــ فى ألفاظها ، ثم فى معانيها ، فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربى مبين)

على أن كلمة (بلسان) واضح الدلالة على أن المنزل هو الالفاظ مع المعانى ، لأن المعانى لا توصف بأنها أنزلت بلسان ، وكلمة الانزال نفسها ـــ وقد وردت فى هذه الآية وفى آيات أخرى ـــ تفيد أن المنزل كان بلفظه ومعناه ، ذلك أنه لا يقال للمعنى انه أنزل ـــ فيما يتذوقه الانسان من أساليب اللغة ـــ وانما يوصف بأنه ألقى فى القلب ، او أوحى به ، أو ما أشبه هذه الألفاظ ، وكذلك . لو كان انما أوحى بمعانى القرآن الى قلب الرسول لم تكن حاجة الى وساطة الروح الأمين ، فان الله أوحى الى نبيه معانى الأحاديث القدسية ـــ على ما هو المشهور من آراء العلماء ـــ ولم يكن النازل بها جبريل ، فكما لا يحتاج من يرى رؤيا فى المنام الى من يبلغه هذه الرؤيا غير صفاء روحه ، واتصاله بالملكوت الأعلى ، لا يحتاج من يوحى اليه معنى من معانى القرآن الى أكثر من هذا

وقال سبحانه : (انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) (٣) وقال عز وجل: (انا جعلناه قرآن عربيا لعلكم تعقلون) (٤) .

وعقل الاشياء هو ادراكها ادراكا حقيقيا ، شاملا لكل جزئياتها ، ولذلك جاء هذا المعنى مع انزال القرآن عربيا ، لأنه انما أنزل بلغتهم ليفهموه حق فهمه ، وليدركوه حق ادراكه ، أى ليعقلوه ، وهذا ما تؤديه كلمة (يعلمون) فى قوله سبحانه : « كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون » (٥) ، ذلك أن العلم هو ادراك الشيء بحقيقته ، وهو انما كان يستعمل فيما يعرف معرفة واضحة .

ومعنى تفصيل الآيات أنها جعلت فصولا متفرقة فى سوره ببيان حقائق العقائد والأحكام والحكم والمواعظ .

وقال عز وجل : « وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا » (٦) وقال عز من قائل : « ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون . قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم

---

(٣) سورة يوسف الآية : ٢

(٤) الزخرف : ٣

(٥) فصلت ٣

(٦) طه ١١٣

يتقون » (٧) ، وقال جل وعلا : « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى » (٨) .

وقد تعنت كفار قريش فقالوا للرسول : لولا أنزل هذا القرآن بلغة أعجمية، فرد عليهم القرآن بأنهم لن يتركوا تعنتهم على حال من الأحوال ، فلو أنزله الله بلغة العجم لقالوا : اكتاب أعجمى ورسول عربى ؟ ! متعجبين من الاختلاف بين الرسول وكتابه ، بل وبين الكتاب والأمة التى أنزل فيها الكتاب ، وهذه مبالغة فى التعنت ، فهم يعترضون حتى بعد أن اعترضوا على انزاله بلغة العرب ، وفضلوا أن ينزل بلغة العجم ، والمتعنت لا يقنعه شيء ، كما قال الله تعالى فيهم: « ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين » (٩) .

فالتبين ، والفهم الحق ، والادراك العميق لمعانى القرآن وأهدافه ومراميه، وتقوى الله تعالى ، هى المقاصد الواضحة التى تضمنتها الآيات الكريمة من انزال القرآن بلسان عربى مبين .

ومقصد آخر ذو بال ، لا يقل أهمية عن المقاصد السابقة ، ذلك أن هذا القرآن — كما هو معروف — أس هذا الدين ، وحجته ، والدليل الحاسم على صدق من جاء به ، ولا يتحقق ذلك حتى تثبت هذه الحجة على أكمل الوجوه وأتمها وسبيل ذلك أن يثبت عجز العرب عن معارضته ، وشأن الحجة أن تكون فى متناول قدر الذين يتحدون بها ، ولا يكون ذلك حتى ينزل القرآن بلغة العرب التى مرنت ألسنتهم فيها ، وربيت ملكاتهم عليها ، وبالبيان الذى كانوا أقدر الناس عليه ، وأحفلهم به ، وألطفهم فيه .

ومن هنا يصح التحدى ، اذ يكون تحدى القادر ، الواثق من عجز من يتحداهم .

ولو أنزل القرآن بغير لغة العرب لقد كان يكون لهم العذر حين يقولون للرسول انك تعلمت لسانا غير لساننا ، وانك تتحدانا بغير ما من شأننا أن نقدر عليه ، وليست هذه سبيل معجزات من سبقوك من الانبياء .

فكان من الحتم أن ينزل القرآن عربيا ليتحدى العرب فى البيان الذى يفخرون به ، ويتباهون بقدرتهم عليه ، وأن يكون مبينا واضحا ، سهل الالفاظ والتراكيب ، حتى يكون ذلك أمعن فى تحديهم ، وألزم فى ابطال دعواهم أن لو شاءوا لقالوا مثل هذا .

فما شأن المتشابه اذن ؟

ولكن اذا كان القرآن جاء هدى للناس وبيانا لقلوبهم وعقولهم ، ومرشدا الى ما تضمنه من مقاصد وأحكام ، وأخلاق وفضائل ، وهذا — ولا شك — يقتضى أن يكون كله على درجة من الوضوح والابانة بحيث يفهمه خاصة الناس وعامتهم.

(٧) الزمر ٢٨ ، ٢٩

(٨) فصلت ٤٤

(٩) الأنعام ٧

اذا كان الأمر كذلك فكيف جاء فيه (المتشابه) الذى لا يعلمه البشر ، أولا يعلمه كثير منهم ؟ . وهذا ما يدل عليه قوله تعالى : « هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب » (١٠) .

وقد أكثر العلماء من الحديث عن المحكم والمتشابه . والذى تستريح اليه النفس أن المحكم ما كان معناه واضحا ، ولفظه لا يحتمل الامعنى واحدا وأن المتشابه ما احتاج فهمه الى شيء من التأمل وامعان النظر ، لأن لفظه يحتمل معنيين أو معانى ، أو لأنه يدل على بعض ما استأثر الله بعلمه مثل وقت قيام الساعة ، أو على ما يحسن فيه تفويض علمه الى الله ، مثل الآيات التى تضمنت نسبة بعض الجوارح الى الله نحو : « يد الله فوق أيديهم » . « ويبقى وجه ربك» ، أو نسبة بعض الصفات التى من شأنها أن تنسب الى الخلق ، الى الله سبحانه ، مثل الرحمة والمكر والغضب .

وما كان من النوع الأول ، وهو ما احتاج فى فهم معناه الى امعان نظر ، يمكن للعلماء أن يفهموه ، وأن يرجعوا فى فهمه وتأويله الى المحكم من الآيات وما كان من الأنواع الأخرى يكون ظاهر المعنى ، ولكن تأويله ، او تفويض الأمر فيه الى علم الله هو موضع الخلاف ، أما فهم معناه من اللفظ فلا عائق دونه .

أما . لماذا لم يكن القرآن على درجة واحدة من الوضوح ؟ فجوابه أن الله سبحانه أراد لعباده أن يكلفوا أنفسهم مشقة البحث والدرس ، حتى يكون للعالم فضل على من رضى لنفسه الكسل ، واستنام الى الدعة .

قال ابن قتيبة : (ولو كان القرآن كله ظاهرا مكشوفا حتى يستوى فى معرفته العالم والجاهل لبطل التفاضل بين الناس ، وسقطت المحنة ، وماتت الخواطر . ومع الحاجة تقع الفكرة والحيلة ، ومع الكفاية يقع العجز والبلادة .

وقال اكثم بن صيفى : ما يسرنى أنى مكفى كل أمر الدنيا . قيل له : ولم ؟ قال : (كره عادة العجز) (١١)

وقد أشار بن قتيبة الى جواب آخر ، وهو أن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها ، وللعرب الايجاز ، والاشارة الى شيء ، واغماض بعض المعانى .

وعنده أنه ليس فى القرآن شيء غمض على المفسرين ، بل انهم فسروا كل ما جاء فى القرآن ، قال : (ولم ينزل الله شيئا من القرآن الا لينفع به عباده ، ويدل على معنى أراده) (١٢) .

هل فيه الفاظ غير عربيه ؟

وما دمنا فى الحديث عن لغة القرآن فلا مندوحة أن نعرض للاجابة عن هذا السؤال : هل فى القرآن ألفاظ من غير لغة العرب ؟ .

---

(١٠) سورة آل عمران ، الآية ٧

(١١) تأويل مشكل القرآن ، ص ٦٢ ، طبعة دار المعارف

(١٢) المصدر السابق ص ٧٢

وقد أجاب بعض العلماء بالاثبات ، وذكروا ألفاظ ، منها (الطور) وهو جبل باللغة السريانية و (القسط والقسطاس) ومعناهما العدل ، وهما من اللغة الرومية ، ومنها (هدنا) فى قوله تعالى : « واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة انا هدنا اليك »(١٣) ، ومعناها (تبنا) بالعبرية و (السندس) وهو الرقيق من الستر بالهندية ، و (الاستبرق) وهو الغليظ بالفارسية ... وهكذا ، وقد عدوا من ذلك نحو مائة لفظة .

قالوا : وهذا لا ينافى أن القرآن أنزل باللغة العربيــة لأن وجود بعض ألفاظ غير عربية فى كلام طويل عربى لا يخرجه عن عربيته .

وقال آخرون ، منهم الامام الشافعى ، وابن جرير الطبرى ، وابو بــكر الباقلانى صاحب كتاب (اعجاز القرآن) : لا يوجد فى القرآن لفظ غير عربى ، لأن القرآن أنزل بلغة العرب ، ولو اشتمل على غير لغة العرب لم تكن له فائدة، لأن الله جعله معجزة نبيه ، ودلالة قاطعة لصدقه ، وليتحدى العرب العرباء به ، وذلك أن القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شىء لتوهم متوهم أن العرب انما عجزت عن الاتيان بمثله ، لأنه أتى بلغات لا يعرفونها .

وأجيب عن الألفاظ التى ذكر أنها غير عربية أنها فى الأصل أعجمية ، ولكن العرب نقلوها الى لغتهم ، وتصرفوا فيها بالنقص من حروفهــا ، وخففوا من عجميتها ، واستعملوها فى أشعارهم ومنثورهم حتى جرت مجرى العربى الفصيح وعلى هذا الحد نزل بها القرآن .

ورأى بعضهم أنها من باب اتفاق اللغات ، فهى عربية ، ولا مانع أن تكون قد وجدت فى لغات سابقة للعربية .

ومن مقتضيات هذه القضية الواضحة أنه لا يجوز لأحد أن يتصدى لتفسير أية آية من كتاب الله حتى يكون عالما بالعربية علما واسعا . قال بعض العلماء : لا يحل التفسير لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر اذا لم يكن عالما بلغات العرب .

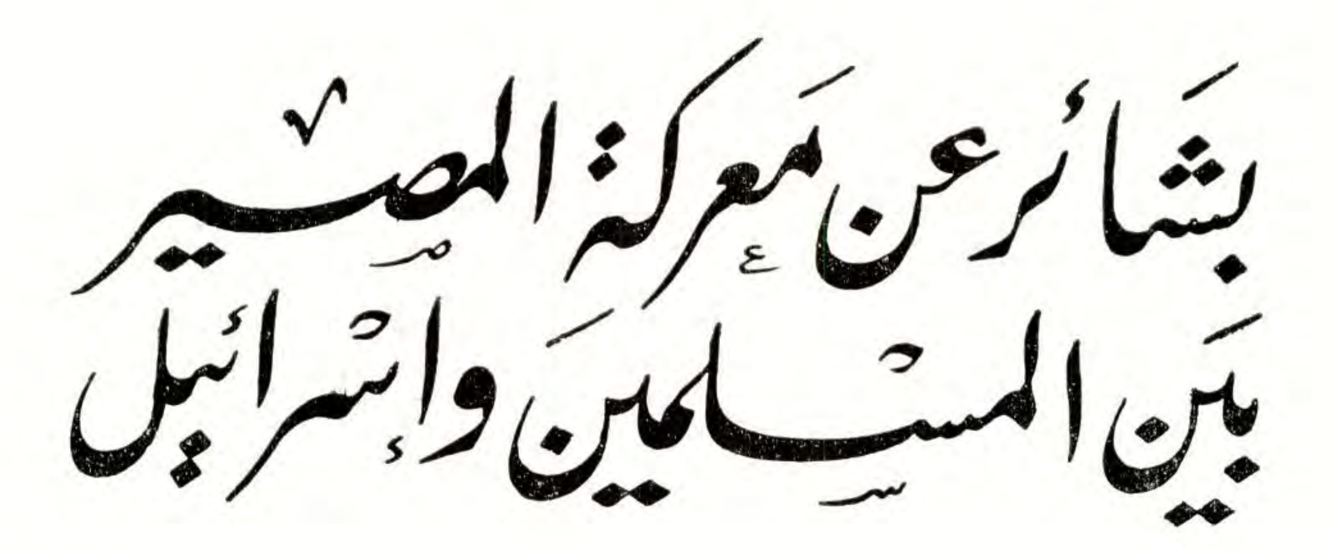
والمعروف أن القرآن الكريم لم ينزل بكل لهجات العرب ، وهى كثيرة ، ولكنه أنزل من بينها بلغة قريش خاصة ، وان وجدت فيه كلمات من أربعين لغة أخرى من لغات العرب ، وان كانت هذه الكلمات قليلة ، وقد نص العلماء على أشياء منها ، ولكننا الآن لا نستطيع أن نميز بين ما نزل بلغة قريش ، وما نزل بغيرها من لغات العرب ، لأن أصول هذه اللغة قد ذهبت ، ولم يبق لنــا منها الا صبابات نبه عليها علماء النحو ، وعلماء اللغــة فى كتبهم ، وهى لا تكــفى لدراسة واسعة لهذا الموضوع ، على أن كثيرا من هذه اللغات كان قد اندمج فى لغة قريش قبل الاسلام .

ولعل فرصة أخرى تواتينا فنتحدث حديثا مستفيضا عن هذا الموضوع .

وعلى الله قصد السبيل

---

(١٣) سورة الأعراف ، الآية ١٥٦ .



في ضوء القرآن والأحاديث النبوية

(ما وجدت لتبقى)

أما اسرائيل فلن يكتب لها البقاء ، لأنه لم يكتب لها البقاء .

يقول الذين خلقوها انها وجدت لتبقى . وأنا أقول : انهـــا وجدت لتزول . لا أقولها مغرورا ولا موتورا ولا مهولا ولا معللا بالآمـــال ، ولكن أقولها عـــارفا بنواميس الاجتماع ، التى بنى عليها وجود الأمم ، وبقاؤها أو زوالها ، بأمر الله ، وحتمية التاريخ .

دولة اسرائيل هذه لن تبقى فى فلسطين ولو اجتمع يهود العالم بملايينهم العشرة المبعثرة فى جوانب الأرض ، وجاءوا كلهم الى فلسطين ، وحمل كل واحد منهم مدفعا فى دبابة وصاروخا فى طيارة .

مـــا هى دولة شاوول وداود وسليمان عليهما الصـــلاة والسلام ، اللذين نقرأ عن أمجـــاد ملكهما فى تاريخ الدين والدنيا صفحـــات ذهبية ، يكاد بريقها يوهمنا أنها دولة عظيمة ؟

إنها دويلة بل أصغر من دويلة ، لا يتعدى كيـــانها حدود رقعة صغيرة من قطر فلسطين الصغير القاحل ، الضيق ، المحصور بين الامبراطوريات الفرعونية والكلدانية والآشورية والفارسية والمقدونية والرومانية ، المتطاحنات فى حروب لا نهاية لها للسيطرة على العالم القديم .

فهى من وجهة النظر الى ماهية كيانها الأرضى والبشرى ، (وبقطع النظر عن الرسالة السماوية التى كانت ملقاة على عاتقها) لا تكفى ، بأرضها وسكانها وهيكلها الذهبى ، أن تكون لقمة فى أشداق تلك الامبراطوريـــات التى تقوم على جوانبها من الشرق والغرب .

ألف معركة خاسرة تاعسة في ميادين الحروب أهون من معركة واحدة خاسرة يائسة في طوايا النفوس والقلوب



للشيخ: نديم الجسر
مفتى لبنان الشمالى

والنواميس الكونية والتاريخ

هذا من بديهيات الناموس الإلهى الاجتماعى الذى يسمى (ناموس تنازع البقاء وبقاء الأنسب) وهو الأقوى بكل معانى القوة .
ولكن دولة داود وسليمان قد وجدت بتدبير الله من أجل حكمة عظيمة استنفدت أغراضها منذ عشرين قرنا .

إنها وجدت ، بمعونة الله ، لحماية رسالة الحق والخير ، التى أراد الله حفظها ، فى تلك الفترة من التاريخ على يد الشعب الباقى ، (بعد ابراهيم عليه السلام ونسله) ، على عبادة الله الحق من طغيان الوثنية . فازدهرت الدولة فى عهد داود وسليمان ، حين كانت تقوم على مبادىء الحق والخير .

ثم فسد الشعب اليهودى ، وخرج عن مبادىء الحق والخير ، بفسوقه وعصيانه وترفه وظلمه وقتله الأنبياء ، فخسرت الدولة اليهودية سبب وجودها وسند بقائها الأوحد ، وخسرت الديانة اليهودية المحرفة مقومات صلاحها ، فأرسل الله السيد المسيح ، صلوات الله عليه ، بالإنجيل والدين الحق ، ليحل محل الديانة التى أفسدها أهلها .

وسلط الله على الدولة الفاسدة من زلزلها ،وعلى الشعب المفسد الفاسق الظالم من مزقه وشرده تشريدا لم يعرف التاريخ نظيره فى أى شعب من شعوب العالم : فكان الاجلاء الأول على يد بختنصر الكلدانى ، وكان بعد ذلك هدم الهيكل والتشتيت فى أطراف الأرض على يد تيطوس الرومانى ، الذى لا نزال نقرأ اسمه وذكرى نصره على اليهود منقوشين على توس النصر المنصوب له فى روما .
انتهت الدولة اليهودية الصغيرة لأنه لم يبق لوجودها أى سند إلهى وهو حماية الدين الحق .

وانتهى الشعب اليهودى ، كوحدة اجتماعية ، لأنه لم يبق له كيان اجتماعى مستقل بحكم تشتته وضعفه وقلته وفقدان أرضه ، وعانى اليهود ، من ضروب الاضطهاد والقتـــل والذبح والحرق والتعذيب والإذلال على أيدى النصـــارى ، ما أنبأ عنه القرآن بقوله : (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيـــات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) .

بعد هـــذا التمهيد التـــاريخى والاجتماعى أعـــود فأكرر قولى : ان دولة اسرائيل لن تبقى :

أولا — لأن كيان الدولة اليهودية فقد مبررات وجوده الدينية فأعطاها لغيره .

ثانيا — لأن دولة اسرائيـــل الجديدة الاصطناعيـــة غير الطبيعية لا تصلح للبقاء ، فى أرض فلسطين بالذات ، بحكم ناموس تنازع البقاء لأنها محرومة من العنصرين الأساسيين الضروريين للبقاء وهما الأرض الكافية والعدد الكافى .

ثالثا — لأن فلاسفة اليهود الذين فكروا بايجاد دولة يهودية خدعوا أنفسهم حين ركزوا أنظارهم على جاذبية الدعاية الدينية ، التى تسحر كل يهودى يقال له انك سوف تحيى دولة داود وسليمان فى هيكل سليمان . . .

فيالغباء الفلاسفة . . . لقد تذكروا جـــاذبية الدعاية الدينية عند اليهود ، وغفلوا عن رد الفعل العنيف للدعـــاية الدينية عند المســـلمين ، الذين يدخل فى صميم عقيدتهم حفظ المسجد الأقصى والأرض المقدسة ، التى بذلوا فى الحروب الصليبية دماء غزيرة حتى استردوها ، والتى مضى على استقرارهم التاريخى فيها مدة تكاد تكون أطول مدد الاستقرار لشعب على أرض فى التاريخ .

من هذا يظهر بوضوح : أن خلق هذه الدولة فى أرض فلســـطين الضيقة القـــاحلة ، التى لا تكفى بمساحتها وثروتها الطبيعية لتكوين دولة قـــادرة على البقاء ، ومن شعب لا يكفى بعدده ، ولو اجتمع كله ، للصمود ، وفى وسط بحر من الامتداد العربى والاسلامى الهائل ، ومع التجـــاهل الأبله لما يمكن أن يصير اليه العرب والمسلمون من العلم والقوة والتسلح ، كان خلقا مسيخا يحمل فى صدره عناصر زواله ، لأنـــه لا يعتمد على أى أســـاس من الأسس التـــاريخية والاجتماعية أو الأرضية أو العددية أو الاقتصادية التى يبنى عليها بقاء الأمم .

وإن قيل لكم يا شباب المسلمين ان هذا الكيان الاصطناعى تحميه الدول الغربية المسيحية الى الأبد فلا تصدقوا . لأنه لا يوجـــد مبرر طبيعى أو تاريخى لحماية هذا الكيان الى الأبد .

فالحماية إما أن تكون للعاطفة والمودة ، واما أن تكون للمصلحة :

أما العاطفة والمودة فلا عاطفة ولا مودة . وتاريخ المسيحيين مع اليهود ، هو سلسلة من القتل والخنق والحرب ، كما هو معروف ومشهور من ألفى سنة الى عهد الأفران النازية .

بل إن كانت هنالك مودة فانه ، لولا مصلحة السياسة الاستعمارية ورواسب التاريخ الحربى التوسعى الطويل ، لكانت المودة من المسيحيين للمسلمين أقرب . وبهذا بشر القرآن وأكد بعد أن أنذر بعداوة اليهود وشدد بقوله (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى . . .)

وتبقى المساعدة للمصلحة السياسية . وهذا هو الواقع . فالدول الاستعمارية التى ساعدت على خلق اسرائيل لتكون شوكة فى حلق العرب ، إنما خلقتها لمصلحة سياستها الاستعمارية والبترولية ، وسوف تظل تحميها ما دامت لها مصلحة فى حمايتها . . . فاذا قيل لكم انها سوف تحميها الى الأبد فلا تصدقوا . . . فما فى (سياسة المصلحة) شىء ثابت الى الأبد .

ـ (ناموس التدافع الإلهى) ـ

وإذا كان سلطان المصلحة هو المسيطر فاننا نتساءل :

هل التخلى عن تونس والمغرب والجزائر والهند الصينية ، أعظم وأوجع فى ميزان المصلحة الافرنسية من التخلى عن مساعدة اسرائيل ؟

وهل التخلى عن الهند الدرة فى التاج البريطانى ، وعن مصر والسودان والعراق وغيرها ، أعظم وأوجع فى ميزان المصلحة الانكليزية من التخلى عن مساعدة اسرائيل ؟

الجواب واضح وبديهى .

ومع ذلك فانه ، بحكم سياسة المصلحة العليا ، وبقوة حفظ التيارات الدولية المتعاكسة ، اضطرت فرنسا وانكلترا لترك هذه المستعمرات العزيزة الغالية .

هذه السياسة الدولية المتعاكسة (المتدافعة) ، التى تتفاعل على الأرض ، فترغم الجبابرة على أن يتخلوا عن جبروتهم وطغيانهم ، بحكم تدافعهم ، فضلا ورحمة من الله ، هى الناموس الإلهى الذى عبر عنه القرآن بقوله **(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) . . .** صدق الله العظيم .

وبقوة هذا الناموس يقوم التوازن الدولى فى جميع عصور التاريخ ، ويقوم اليوم بين المعسكرين الشرقى والغربى .

وبقوة هذا الناموس نفسه ، دفن الانكليز والافرنسيون أربعين ألف جندى ، من زهرة شبابهم ، أمام حصون (سيفاستابول) ليردوا روسيا المسيحية عن تركيا المسلمة فى حرب (القرم) .

ولعله يكون قريبا ذلك اليوم الذى تجد به نفسها أمريكا ، حامية اسرائيل الكبرى . (أمـــام الخطر الأصفر الهائل الآتى من الصين الشيوعية المســلحة بالقنبلة الذرية) مضطرة ، بحكم (ناموس التدافع) الى طلب المساندة من دول (الدار الاسلامى كما طلبتها من تركيا المسلمة حين استجدتها الدخول معها فى حلف الأطلسى) لتجعلها الحصن الأمـــامى الأول فى وجــه الخطر الشـــيوعى الأحمر . . . وما ذلك على الله بعزيز . . . (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير) .

ـــ (نعمة التحدى) ـــ

وعلى ذكر ناموس (التدافع) ، الذى عده الله فضلا منه على الناس ، وما كان من حماية هذا الناموس للدولة العثمانية المسلمة عند تكالب الدول الغربية عليها ، أذكر ناموسا آخر أشار اليه القرآن فى آيتين ، وعده من مزايا المؤمنين ، وسماه خيرا ، لأنه يخلق من الضعف قوة ، ومن البغى انتصــــارا ، ومن الشر خيرا ، وهو ناموس (رد التحدى) وأثره فى صراع الأمم عبر التاريخ .

الآية الأولى قوله تعالى فى سياق آيات يمدح بها المولى صفات المؤمنين **(والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون) .**

والآية الثانية قوله تعـــالى فى آيات يذكر بها سبحانه تحـــدى المشركين للمسلمين ، وبغيهم عليهم واخراجهم لهم من المسجد الحرام **(كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .**

منذ أكثر من عشر سنوات دعيت للكلام فى اجتماع عام عقد لتجديد الندب والنياحة على مصيبتنا فى فلسطين . وكان انى بدأت الكلام ، عن المصيبة بقولى (انها نعمة وليست بنقمة) ، وكان هذا المطلع غريبـــا عجيبا عند السامعين . وكنت أعنى (نعمة التحـــدى) ، التى أيقظت العرب والمســـلمين من سباتهـــم العميق ، اليوم ، وفى أيام متعددة من التاريخ .

ولم أكن يومئذ قرأت شيئا مما فصله المؤرخ الفيلسوف البريطانى (توميى) عن أثر (التحدى ورد التحدى) بين الأمم فى سير التاريخ ، ولكن كان منطلقى الى الكلام من كارثة مذلة عايشتها فى مطلع شبابى ، فأدمت قلبى ، وزعزعت ثقتى ، مثلما تفعل ، اليوم ، كارثة الخامس من حزيران فى شبابنا . . .

حكايـــة تلك الكارثة ربمـــا عرفها بعض شبابنـــا المثقف اجمالا ولكنهم قد لا يعرفونها بالتفصيل :

فى الحرب العـــالمية الأولى طلب الحلفـــاء وعلى رأسهم انكلترا من دولة اليونان أن تدخل الى جانبهم ليتمكنوا من مهاجمة تركيا من جهة الدردنيل . ومـــا كان لدولة اليونان أن ترد لانكلترا طلبا وهى صاحبة الفضل عليها فى التخلص من حكم الأتراك . ولكن رئيس وزراء اليونان اغتنم هذه الفرصة فانتزع من الحلفاء وعدا بتكبير حدود اليونان حتى تشمل منطقة (أيونيا) اليونانية القديمة ، وهى القسم الغربى من الأناضول الذى يضم فى حفائره آثار (طروادة) .

ولما انتصر الحلفـــاء جاءت اليونان تطالب بانجـــاز الوعد ولكن السياسة الدولية لم تجد مبررا لاقتطاع جزء من تركيا واعطـــائه لدولة صغيرة لم تستطع الدخول اليه فى الحرب ، فأشارت انكلترا على اليونان بخلق نزاع مع تركيا ، والهجوم على الأناضول ، ليكون هذا الاحتلال منطلقا لتدخل الحلفـــاء ، وارغام تركيـــا على القبول بالأمر الواقع ، واعطـــاء القسم الغربى من الأناضول الى اليونان ، باسم الحق التاريخى الكاذب ، الذى مضى على زواله ثلاثة آلاف سنة . وهى نفس التمثيلية المضحكة المبكيـــة التى تلعبها اسرائيل بمســـاعدة الحلفاء أنفسهم ، كانت الحالة قبل هجوم اليونان هكذا :

أساطيل الحلفـــاء ترسو فى القرن الذهبى ، وجيوشهم تسرح وتمرح فى استانبول عـــاصمة الخلافة ، والحفـــلات الراقصة تقـــام كل ليلة على ظهور البوارج ، والسلطان ينام فى قصره عند شاطىء البوسفور على أنغام موسيقى الأساطيل ... وظهرت يومئذ ، فى الأناضول ، مبادىء مقاومة للحلفاء المحتلين لعاصمة الخلافة ، من قبل مصطفى كمال وطائفة من شباب الأتراك ... ولكن ماذا يستطيع هـــؤلاء أن يفعـــلوا ، والجيش التركى المسرح ليس له وجـــود ، والشعب التركى فى مثل حالة الحيرة واليـــأس والقنوط التى نحن العرب عليها اليوم ، والفتاوى الدينية تصدر تترى من شيخ الاسلام فى استانبول ، بأمر مطاع من الحلفاء للسلطان ، معلنة (فى صفحات المجلة الدينية التى لا أزال أحتفظ بها فى مكتبى) أن مصطفى كمال وصحبه عصاة على الخليفة وكفرة فجرة يستحقون الاعدام ...؟

وشاء ربك أن تقع المعجزة ... سبحانه

فى صبيحـــة يوم من تلك الأيام السود احتـــل اليونانيون أزمير ، وسار جيشهم يشق بلاد الأناضول ...

ان من طبيعة التحدى أن تختلف ردة الفعل عليه سرعة وبطئا ، باختلاف مكانة الأمة المتحدية والأمة المتحداة ، ومجدهما وعزتهما فى التاريخ . وباختلاف الناحية التى يمسها التحدى :

فالأمة العزيزة قد تصبر ، بعض الوقت ، على التحدى اذا وقع لها من أمة عظيمة عزيزة مثلها أو أكثر منها . أو كان يستهدف ما فى القصعة ، ولا يمس المقدسات فى الصميم . ولكن اذا كان التحدى من أمة صغيرة ذليلة لأمة عزيزة ، أو كان مما يجرح الأمة فى مقدساتها ، فذلك الذى يهون عنده الموت ...

فلو كان الهجوم على الأناضول من فرنسا أو انكلترا أو أمريكا ، لما وجد الشعب التركى عارا فى الصبر عليه بعض الوقت . أما أن تأتى دويلة اليونان ، التى كانت الى الأمس القريب ، ولاية تابعة للدولة العثمانيـــة ، لتهاجم الشعب التركى ، الذى سبق له أن أرعب أوروبا ، فهذا هو التحدى الذى صنع معركة (صقارية) الضارية ، التى لم يغسل الأتراك سيوفهم من دماء اليونان فى نهايتها إلا بمياه البحر عند أزمير ...

وطلبت اليونان من حليفتها وحبيبتها انكلترا المســـاعدة عند هذه النكبة ، فكان جوابها (ان حكومة صـــاحب الجلالة لا ترغب فى التورط بحرب عـــالمية جديدة) ...

ذلك انه كان من قدر الله ، الذى يقلب القلوب ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء ، ان الخلاف بدأ ينشب بين كلمنصو رئيس وزراء فرنسا ولويد جورج رئيس وزراء انكلترا على اقتسام تركة الرجل المريض ، التى أخذت منها انكلترا حصة الأســد ، فما كان من كليمنصو إلا أن انحرف لمســاعدة الثورة التركية ، وأمر الجيش الفرنسى الموجود فى كيليكيا أن يخرج منها ، ويترك جميع مــا معه من العتاد الحربى ملكا لحكومة الثوار الأتراك ...

هذا مثل حى قريب العهد من أثر ناموس التحدى الذى سماه القرآن خيرا ومن أثر (ناموس التدافع) الذى سماه المولى فضلا .

فالتحدى فى الحروب الصليبية هو الذى خلق من الضعف قوة فى معركة (حطين) والتحدى المغولى الصليبى هو الذى خلق من الضعف قوة فى (عين جالوت) والتحدى فى معركة دمياط هو الذى خلق من الضعف والفوضى قوة فى معركة المنصورة ...

وهذا التحدى المعاصر فى خلق اسرائيل هو الذى خلق اليقظة الشعبية عند العرب والمسلمين . وسوف يخلق من الوهن قوة واتحادا ، فى يوم تخفيه قدرة العليم الحكيم وراء الظروف الملائمة ، التى يهيئها القدر لاحتدام (ناموس التدافع) الذى قلنا أنه ليس ببعيد .

ــ (بشارة من وراء الغيب) ــ

فى الصحيحين حــديث عن مقتلة تقع ، فى المستقبل البعيد ، بين اليهود والمسلمين ، وتكون النصرة فيها للمسلمين جاء فى صحيح مسلم (عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لتقاتلن « اليهود فلتقتلنهم » حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودى تعال فاقتله) . وفى رواية عن ابن عمر أيضا (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله) . وفى رواية عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الســاعة حتى يقاتل المسلمون اليهــود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودىوراء الحجــر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هــذا يهودى خلفى فتعال فاقتله) . وجاء فى صحيح البخارى (عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تقاتلون اليهود حتى يختبىء أحدهم وراء الحجر فيقول يا عبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله) وفى رواية عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قــال : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودى يا مســلم هذا يهودى ورائى فاقتله) . وفيه عن عبد الله بن عمر (يقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله) .

فى أسبوع النكبة جاءنى شاب مؤمن من أرقى المثقفين وسألنى عن هــذا الحديث . قلت : هو من أعظم المبشرات فعلى كل مسلم أن يعرفه ، ويجعله نصب عينيه ليستضىء بنوره فى هذه الأيام السود الحوالك .

قال : سألنا عنه أحد كبار العلماء فقال : انه حديث ورد فى الصحاح ولكنه آحادى وليست له قوة الحديث المتواتر .

قلت : كأنه يشك فيه ؟ قال لا ولكنه يرى أنه لاينبغى الاعتماد عليه . ولا يقصد بذلك الا وقاية الناس من الشك بكلام رسول الله .

قلت : ان صاحبك هذا ربما كان حسن النية ، وربما كان كبيرا فى علم مصطلح الحديث ، ولكنه لا يفهم شيئا من فقه الحديث . . .

قال : كيف ؟ قلت : ان هـذا الحـديث أصح من الصحيح ، وأقوى من المتواتر .

قال : وهل يكون بين الأحاديث الصحيحة ما هو أصح من الصحيح ، وبين الأحاديث الآحادية ما هو أقوى من المتواتر ؟ قلت : اما فى علم مصطلح الحديث فلا . واما فى فقه الحديث فنعم .

قال : لماذا ؟ قلت : لأن هذا الحديث (بقطع النظر عن صحة السند) يحمل براهين صحته بذاته ولفظه ومعنـاه ، وقد جـاءت الأيام تبرهن على صـدقه بواقع الحال .

ذلك أن نصوص الأخبـار عن المغيبات منها مـا لا يحمل براهين صحته بذاته ، ولكننا نقول بصحته ، اعتمادا على صحة السند ، ومنها ما يحمل ، فوق برهان السند الصحيح ، براهين صحته بألفاظه ومعـانيه والظروف التى روى فيها ، ومنها مـا تأتى أحداث المستقبل بتحقيق الأخبـار الغيبية التى أنبأ عنها النص . خذ لك مثلا آية الأخبـار المبشرة بغلبة الروم للفرس فى قوله تعـالى **(غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون)** .

إن هذه البشـارة القرآنية من أخبـار الغيب ، لا تحمل براهين صحتها بذاتها ، ولكن المسلمين آمنوا بها وصدقوا لأنها من القرآن . ثم جاءت الأيام ، بعد بضع سنين ، كما ذكر القرآن ، تؤيد وتحقق ، بالواقع ، غلبة الروم للفرس . فكان ذلك من جملة وجوه اعجاز القرآن .

أما هذا الحديث ، عن قتال اليهود ، فانه يحمل براهين صحته وصدقه من الوجوه الثلاثة : بسنده ، وبذاته ، وبواقع الحال . وهذا معنى قولى لك عنه أنه أصح من الصحيح وأقوى من المتواتر .

وسأشرح لك هذا المعنى ولكنى أريد قبل ذلك أن أقول كلمة عن المشككين ، الذين يقولون ، بحسن نية أو بسوء نية ، ان الحديث آحادى ولا يجوز الاعتماد عليه فى الصراع بيننا وبين اسرائيل ، التى تعتمد على أسباب المادة والقوة . ان هؤلاء ينسون أو يتناسون أمرين :

الأول : إن هذه المبشرات هى من أوليات أسباب القوة ، كما أوضحنا فى صدر هذه المحاضرة عن نفع تشديد القلوب ، وعن ضرر اليأس والاستخذاء ، وعن ضرورة الثقة بالله من أجل اعداد القوة ، بل من أجل القدرة على استعمال القوة .

ثانيا : ان أعداءنا اليهود ما استطاعوا جمع شتاتهم ، واعداد قوتهم الا باعتمادهم على ما اخترعوه من المبشرات الدينية باعـادة الدولة اليهودية فى أرض الميعاد . . . أفيكون للمبشرات اليهودية ، التى نعتقد ، نحن المسـلمين ،

أنها مخترعة وكاذبة أثرها ونفعها عند أعدائنا ، ثم نحاول ، نحن ، أن نهمل ، أو نضعف مبشراتنا الدينية ، التى نؤمن بأنها صادقة . . .؟ يا للعجب . .

ولنرجع الى شرح أدلة صدق الحديث :

أ ــ إن الحديث يصرح بأن المقتلة مع اليهود ستكون فى المستقبل . بل فى قوله ، على احدى الروايات ، **(لا تقوم الساعة حتى ...)** مـــا يفيد أن المقتلة ستكون فى المستقبل البعيد .

ب ــ إن المفهوم من ظاهر وصف المقتلة أنها ستكون عظيمة وضارية .

ج ــ إن المفهوم من قول الحديث ، فى احدى الروايات (تقاتلكم اليهود) انهم هم الذين يبدأون المسلمين بالقتـــال وهذا يقتضى أن تكون لهم دولة وشوكة تشجعهم على أن يبدؤا بالقتال .

د ــ لا يخفى أن يهود الحجاز والجزيرة العربية لم يكن لهم كيان دولى قائم بذاته قبل الاسلام . وأما بعده فلم يعد لهم شوكة ، بل لم يعد لهم وجود يظن معه أنهم يقاتلون المسلمين .

هـ ــ ولا يمكن أن يعنى الحديث قتالا يقع بين المســـلمين وشراذم اليهود الضعفاء من أهل الذمة ، لأن الاسلام يأمر بحماية أهل الذمة ورعايتهم ، ولأن قتل مثل هذه الشراذم الضعيفة ليس من الأمور الهامة التى تستحق أن يبشر بها النبى ، صلى الله عليه وسلم ، المسلمين بالنصر .

و ــ أما فى الخارج فاليهود ، بعد التشتيت الثانى ، الذى حصل لهم على يد تيطوس الرومانى ، لم يعد لهم كيان دولى ، أو تجمع ، أو تكتل مستقل ، فى أى قطر من أقطار الأرض .

وأخيرا : لا يخفى أن اختلاق الأحـــاديث لا بد أن تكون له دواع وأسباب ومقاصد وأغراض وغايات : منها ما يتعلق بالخلافات السياسية ، ومنها ما يتعلق بخدمة الشعوبية ، ومنها ما يراد به استرضاء الحكام أو تبرير أخطائهم ، ومنها ما يتعلق بأساطير الخلق والتكوين التى سماها علماء الحديث (الاسرائيليات) ، ومنها ما سببه اظهار البراعة بحفظ الأحـــاديث ، أو الاستعانة على الفلج فى الجدل والمناظرة .

وكل هذه الدواعى لا بد فيها أن تنبع مما يتصل بالناس ، ويحيط بهم ، أو يهمهم ، أو يجرى فى أحاديثهم من الأمور والمشـــاكل . وليس من المعقـــول أن يخترع أحد الناس حديثـــا لا يمت بصلة الى شىء من هـــذه الأسباب . ولو أن الحديث المذكور تعلق بقتال يقع مع الفرس أو الترك أو الروم أو الهنود ، مثلا ، لكان افتراض اختلاقه ممكنا ومعقولا ، بقصـــد التبشير بالنصرة على هذه الأمم التى لها احتكاك مع المسلمين . وأمـــا أن يوضع حديث عن مقتلة عظيمة تحمل بشائر النصرة على شعب ذليل مشتت لا شوكة له ولا دولة ولا كيان ولا تجمع ولا تكتل ، بل لا أذكر له عند المسلمين ، ولا يخطر بالبـــال التخوف منه ، فـــان اختلاق الحديث يكون بلا سبب ويكون بالتالى غير معقول .

واذا لم يكن فى العالم دولة يهودية ، أو تجمع أو تكتل يهودى مستقل ، يتصور معه حصـــول احتكاك أو قتال كبير مع المســـلمين ، فما هـــو ، إذاً ، معنى هذا الحديث ؟

قد برهنا على أن اختلاقه غير معقول لأنه لا يرتكز على سبب من أسباب اختلاق الأحاديث الموضوعة .

وإذا كان صحيحا وغير موضوع فكيف ، وحـــالة اليهود على ما ذكرنا ، سوف يتم تحقيق ما انطوى عليه من أخبار الغيب ؟

لقد ظل الجواب عن هذا السؤال مخبوءا وراء حجاب الغيب أربعة عشر قرنا حتى ظهرت دولة اسرائيل الحديثة ، التى لم يخطر بالبال ولا بالخيال ظهورها فى حياة الأمامين البخارى ومسلم رضى الله عنهما فى القرن التاسع الميلادى أى فى القرون الوسطى ...

وأين ظهرت ؟ أين ؟

فى قلب البلاد العربيـــة والاسلامية ، حيث أصبح حصـــول الاحتكاك مع اليهود معقولا ، بل فى صميم الأرض المقدسة عند المسلمين ، حيث أصبح وقوع القتال محتماً ، وعلى مقربة من الكعبة بيت الله ، ومقربة من (يثرب) مدينـــة الرسول ، التى لليهود فيها ذكريات كلها أحقـــاد . أى حيث أصبح القعود عن القتال كفراً وخروجاً عن الاسلام ...

وهكذا تحقق صدق الحديث النبوى المعجزة فى حصول القتال ، ولا بد أن يتحقق صدقه عن نتيجة القتال ان شاء الله . والأيام بيننا .

أيها المسلمون فى الأرض كل الأرض

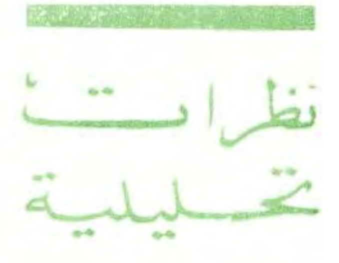
انى على يقين من أن هذه البشارة النبوية سوف تتحقق فى يوم من الأيام قريب أو بعيد ...

وعسى أن يكون قريبا بتعـــاون هذا الجيل الحـــاضر من حكام المســـلمين وتناصرهم حتى لا تتكرر لعنة الله والتاريخ التى سجلها الشاعر الأندلسى ، عند ضياع الأندلس ، على المتنابذين والمتخاذلين فى النصرة بقوله :

يـــا راتعين وراء البحر فى سعة ... لهـــم بأوطـــانهم عز وســـلطان

هل جاءكم نبـــأ من أرض أندلس ... فقد سرى بحـــديث القوم ركبـــان

كم يستغيث بنا المستضعفون وهم ... قتلى وأسرى فمـــا يهتز إنســـان





ايمان وطغيان

للأستاذ : محمد المجذوب
المدرس فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

تطالعنا هذه القصة المباركة ما بين الآية الحادية(١) والثلاثين والرابعة والاربعين من سورة الكهف .. ويمهد لها الله تبارك وتعالى باطراء الصالحين من عباده ، الذين صرفوا قلوبهم الى ربهم فهم يدعونه بالغداة والعشى ابتغاء مرضاته ، ويأمر نبيه صلوات الله عليه أن يلزم هؤلاء ، مؤثرا اياهم على العلية من قريش الذين أعمى الترف قلوبهم ، فاستكبروا على ضعفاء المؤمنين ، وصدوا عن سبيل رب العالمين « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى .. »

وقد ذكر فى شأن هذه الآى وما تلاها من قصة الجنتين أنها نزلت فى أشراف قريش ، حين طلبوا من النبى أن يجلس معهم وحده ، ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه ، كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود ! فكانت أبلغ رد وأهوله على استكبار أولئك المغرورين ، اذ أراهم مصيرهم فى جهنم وقد (أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه ..) ثم قابل ذلك

---

(١) واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهم بنخل وجعلنا بينهما زرعا ...) الآيات .

بتجسيم المصير الكريم الذى أعده لآولئك الذين تزدرى اعينهم من النعيم المقيم (أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق . .)

ومن ثم جاءت القصة بعد هذا تمثل الفريقين : المتكبرين والمسلمين برجلين بينهما من التفاوت ما بين هؤلاء وأولئك . فأما احدهما فيملك جنتين من أعناب يحفهما النخل ، ويتخللهما الزرع ، ويترقرق فيهما الماء المعين الذى ينشر الخصب فى جميع هذه النباتات ، فتعطى أكلها فوق ما يحلم صاحبها . .

وأما الآخر فيبدو أنه صفر اليدين من هذا الخير الذى ابتلى به ذلك المغرور، ولكنه رزق بديل ذلك ايمانا لا يقوم بمال ، وثقة بما فى يد الله لا يزعزعها الحرمان

وبعد عرض سريع لاخلاق ذلك المترف يواجهنا منظره وهو داخل جنته ، مزهوا بما يرى من ذلك النعيم ، ثم لا نلبث ان نسمع صوته البغيض ينطلق بمثل هذا الادعاء المشحون بالغباء والاستكبار على صاحبه «ما اظن أن تبيد هذه أبدا»

«انظر . . انه النعيم الذى لا يزول ، ولا يعتربه أفول . .واذا صح ما يزعم المؤمنون ان وراء الموت حياة ثانية ، فاننى لواثق ان حظى هناك سيفوق حظى هنا ! . . ولا غرو فى ذلك فأنا لم أعط هذا الخير كله الا لأننى أحق منك ، ومن امثالك به ، وسأظل مفضلا عليكم مهما تتبدل الاحوال ! . . .»

ولا جرم أن فى هذا التبجح عدوانا على كل ذى ضمير ، بل اهانة وقحة لكل عاقل يؤمن بكرامة الانسان والآن فلننظر الى الجانب المقبل من المشهد . . لنرى وجها آخر ، فى ملامحه الهادئة رصانة الحكمة ، واتزان — الفطرة التى تحررت من سلطان التفاهات . . ونرهف السمع الى رده ، نريد أن نعرف كيف ينتقم لانسانيتنا من ذلك المستهتر الأحمق ، فاذا هو طبيب يعالج مريضا ، لا غاضب يحاول ثأرا !. . انه يستفتح الرد بتأنيبه ، فيذكره بخلق الله له وتفضيله عليه ، اذ أخرجه من العدم الى الوجود ، ثم أمده بطاقة الحياة والنماء وزوده بالرزق الذى لا تتم الحياة الا به ، وبدلا من أن يعرف لربه هذا الفضل كله ، فيقف جوارحه على شكره والثناء عليه ، راح يعلن الكفر بنعمه على هذا الوجه الذى يسجل اقبح صور اللؤم . . ويكشف لنا اثناء ذلك عن ذات نفسه ، فاذا هو كبير الرضا عن ربه ، قوى الثقة برحمته ، شديد الايمان بقدرته التى لن يعجزها ان تؤتيه خيرا من ذلك كله ، وتسلب ذلك المتباهى كل ما فى جنتيه من مسببات الانتفاخ — والخيلاء . . « قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا . لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا » . . الآيات .

وهنا نفاجأ بالمشهد الثانى والاخير . . لقد استحالت الجنتان قاعا صفصفا ، قد جرفهما الدمار بقاصف من أمر الله ، اقتلع شجرهما وحطم مدرهما . .!! واذا نحن بالمختال المغرور ، وقد تضاءل حتى بدا أذل من العير المشدود الى الموت ، يضرب كفا بكف نادما مقرا بخطيئته . . وقد استبان له ، بعد فوت الاوان ، أن القوة لله جميعا ، وان قدر الله اذا جاء لم يقو على رده ولد ولا عشيرة . . فيقول (ياليتنى لم أشرك بربى أحدا . .)

□□□

ونقف فى أعقاب الخاتمة الرهيبة مبهورى الانفاس نتلمس آثار العبرة فى نفوسنا وفيما حولنا ، وسرعان ما نتذكر أننا تلقاء حدث كثيرا ما يتكرر فى حياتنا اليومية ، حتى فى جزئياته ومعانى عباراته . .

أن هنا أنموذجين من البشر أحدهما أفسده الغنى ، فبطر معيشته ولم يكتف بكفران حق المنعم حتى راح يفلسف كفره بحماقات يريد ان يوهم بها نفسه أنه شيء ممتاز عن جنس الناس .. ولقد تناسى حتى اقرب ـــ البديهيات ، التى من حقها ان تذكره دائما بعجزه ، وتفاهته ، وكونه مدينا بكل ما فى يديه من شيء الى خالق قهار لا يعجزه شيء .. ثم لا يستيقظ من سكرة الغرور الا على دوى الكارثة تنزل بماله أو بآله أو بجسده .

وطراز آخر هداه الله بأيمانه الى صميم الحق ، فلا تبطره منحة ، ولا تذله محنة ، لأنه مدرك أنه وما ملكت يداه لمولاه ، فان أراده بخير فلاراد لفضله ، وان أراده بضر فلا كاشف له إلا هو .. فهو صابر فى الضراء ، شاكر فى السراء ، سعيد فى الحرمان والنعماء على السواء ..

على أن قمة العبرة انما تتجلى فى المثالية التى يريد الله ان يربى عليها ضمائر المؤمنين ، اذ يعلمهم ان قيمة الانسان ليست فى مقاييس السعادة التى تستعبد السفهاء من ضعفاء الاحلام ، اولئك الذين تبهرهم زينة الدنيا ، فينحنون لأهلها ، ايا كان زادهم من الاخلاق ، ويركضون وراءها ، يريدون الحصول عليها من أى الطرق والانفاق ، حتى بالكذب والنفاق .. ولكن قيمة الانسان الحقة ، إنما هى فى استقامة مسلكه ، ونقاء سريرته ، ومقابلته الاحسان بالاحسان ، واستعماله طاقته الموهوبة فى طاعة الخالق الذى من بها عليه وأن يكون على يقين تام أن هذه هى السبيل الوحيد لاستبقاء النعمة وتجنب النقمة ، والحصول على سعادة الدارين .....

□□□

ذلك هو الوجه الاول لمعطيات القصة ، نتعلم منه الكثير من اداب السلوك مع الله ومع عباده ..

فنعرف كيف نستقبل نعمه بوصفها أمانة وابتلاء معا ، فلا تطغينا حتى نتخذ منها وسيلة لاذلال الذين حرموا من مثلها ، بل نشعرهم باننا مدركون لو ظيفتها الاجتماعية فى وجوب مواساتهم واضاءة حياتهم حتى يطمئنوا الى سلامة الروابط الاخوية بيننا وبينهم ...

فلنتأمل فى الوجه الآخر حيث نرقب الاسلوب الذى صبت فيه هذه الحكم الربانية ..

أول عبارة واجهتنا بنفسية ذلك المغرور هى قوله لأخيه : (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ..) ثم لم يلبث ان استسلم لهذا الهوى ، فاذا هو ينسى البديهات المشهودة من تقلبات الاحوال ، فيعلن فى استهتار ، ثقته باستمرار ذلك الخصب الى غير نهاية (ما أظن أن تبيد هذه أبدا ..) !! ويجره هذا الهوس الى انكار البعث (وما أظن الساعة قائمة) وهى نتيجة طبيعية لانكار السنن الالهية فى تحريك الحياة وتوجيه الاحداث ! .. وكأنه فوجىء هنا بصوت الفطرة ، فاســـتدرك بتوكيد لا يقل خرقا عن سابقه ، اذ يقسم أن البعث ـــ اذا صح وقوعه ـــ سيعود عليه من النعيم بأضعـــاف ما لديه ! . (ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا ..)

وتلك طبيعة السفه فى كل زمان ومكان .. لا يستند فى مزاعمه الى حجة من منطق أو فطرة ، وانما هو التزوير المفسد لكل منطق وتفكير .. ولكن الحكم على هذا الطراز من الاخلاق سيظل نظريا ما لم نقابله بالطراز المقبل ، وذلك

ما يواجهنا فى رد ذلك الربانى الحكيم « (أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا !!) ؟

هكذا بكل بساطة وقوة يلفت نظر ذلك المأفون لسوء تقديره ، اذ يذكره بالمسلمات التى لايستطيع لها أنكارا .. من أنت ..؟ من أين جئت ..؟ ومن الذى عنى بك فأحسن خلقك ، ولم يجعلك نبتة تأكلها الانعام ، أو حشرة تطؤها الاقدام ؟ .. لقد استخفتك النعمة فكفرت بواهبها ، وذهبت تتبجح على بها ، وفاتك أن معطيها اقدر على سلبها ! .. الا فاعلم أننى راض بما قدر لى ربى ، وسعيد بما وهب لى من حلاوة الايمان فلن يشغلنى عن مراقبته شاغل ، ولن يصرفنى عن محبته وطاعته عرض زائل (لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا ..)

ولم يشأ الرجل الحكيم أن يكتفى بالتأنيب والمقارنة ، بل وجدها فرصة صالحة للارشاد ، فراح يعلمه كيف يتصرف أمام رحمة ربه (ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله !) ويذكره بما نسى من سننه التى لا تزال تعطى وتمنع ، وتخفض وترفع ، وتعز وتذل ، وتهب وتسلب (أن ترن أنا أقل منك مالا وولدا . فعسى ربى أن يوتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا . أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا ..)

وما أحوجنا بعد هذا الحوار المثير الى معرفة الخاتمة .... وما أسرعها وأروعها خاتمة ! .. اذ تنقلنا فى خفقة الطرف الى المصير العادل الذى أحاط بذلك المغتر وجنتيه جميعا (وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ، ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحدا ..)

فها هنا شريط حى تتلاحق فيه الصور الرهيبة ، منها الصامتة ومنها الناطقة .. صور الثمر وقد اجتاحته ماحقة مجهولة جعلته أثرا بعد عين ، ثم صورة المتغطرس يحرقه الاسى على ما فات ، فلا يملك سوى تقليب كفيه .. ثم صورة الجنتين وقد تعرتا من كل حلى الماضى ، فكأن اغصانهما هيكل جرد من خصائص الحياة مجرد عظام تسكب الهلع ، وتبعث الجزع ! .. واخيرا ينتهى هذا كله بتلك الصورة الصوتية التى تخرجنا بعنف من جو الهدوء الكئيب ، لتسمعنا قوارع الندم يتحرك بها ذلك اللسان نفسه الذى كان الى لحظة قليلة يتحدى سلطان الخالق ! .. «ليتنى لم أشرك بربى أحدا »

□□□

لا أدرى أى سر يدفعنى الى تقليب النظر فى هذه الصور ، كلما أقبلت على قراءة هذه السورة العظيمة ! .. أهو فى توجيهاتها الحكيمة ؟ .. أم هو فى قوارعها الأليمة ؟ .. أم هو فى هذا الاسلوب العالى من النظم المعجز ؟ ! .

لا بد أن يكون لذلك كله انعكاساته ذات الاثر العميق .. ولكن الى جانب ذلك لا مندوحة من ملاحظة الطابع الواقعى الذى نحسه فى نسيج القصة . فالاحداث تكاد تكون كما أسلفنا من الوقائع اليومية التى نواجهها أنى اتجهنا .. حتى الاشخاص لا يفوتنا ان نشير الى اشباههم بين الناس الذين عرفنا .. وانى لأتأمل فى صور القصة فتقفز الى ذكرتى أطياف قصتين مماثلتين ، شهدت مبدأ احداهما قبل خمسين سنة ، أما الثانية فلم ينقض عليها سوى سنوات فقط .

حدثت الاولى اثناء الحرب العالمية الاولى ، وكنت طفلا مع بعض اهلى ، نزور أحد حقول البرتقال لنشترى منه حاجتنا ، وهناك رأيت امرأة من الذين حرمتهم الحرب المعين ، ولم يبق لهم سبيل للعيش إلا تتبع الأعشاب يسلقونها ، ويرشون عليها بعض الملح المستخرج من البحر ، ليدفعوا بها عن انفسهم

غائلة الجوع .. رأيتها منهمكة بانتزاع بعض النبات عن أطراف الحقل فما ان لمحها ولد المالك حتى اقبل نحوها يصب عليها دفقات من سوطه الجهنمى ، فى قسوة محمومة لا تبلغها الكلاب المسعورة ، وهى تصرخ ولا من مغيث ! .

وتنطوى الايام وتتوالى الاحداث ، فاذا بالحقل ينتقل من يد الى يد ، ويلحق به غيره من تراث الاسرة ، فلا يبقى منه لذلك الباغى اى شىء ، فهو اليوم يمر به كما كانت تلك المرأة تمر به ، لا ينال من الثمرة الا بثمنها .. اذا توفر له الثمن !

وحدثت الاخرى يوم وقف أحد الحكام فى بلد مسلم يفتتح مشروعا لرى فكان مما قاله على الملأ وفى خطبته الرسمية (بعد اليوم لن نحتاج الى السماء) !! ويشاء الله أن يأتى جواب السماء سريعا كسرعة الاحاطة بتينك الجنتين ، فاذا الغيث ينقطع عن تلك الارض سنوات متتابعات ، واذا البلد الذى كان يصدر الحبوب الى الناس يستجديهم ما يقتات به ..! ثم شاءت حكمة الله ألا يعود الغيث الى تلك الارض الا بعد تحرر البلد من ذلك المغرور ..!!

وعلى هذا النحو تتشابه الوقائع فنحس ونحن نقرأ قصة الجنتين ، اننا نعيش أحداثها ، ونتذوق عبرها ، ونخالط أهلها .. ومن شأن هذا أن يجعلنا صالحين للانتفاع بمغزاها على أفضل الوجوه ، اذ يملؤنا اليقين بأن القوة لله جميعا ، وأن العاقبة للمتقين .

□□□

ولتعميق الاثر التوجيهى فى نفوس المؤمنين ، تتوالى فى القصة ألوان المقابلات بين الاضداد فالاخرق اللئيم يقابله الرشيد الحكيم ، والاستكبار الوقح ينتهى الى خنوع ذليل ، وتأليه المال حتى يكون موضع الامل الوحيد ، تواجهه العبودية الخالصة لله العزيز الحميد ، ثم الخصب الباعث على الاغترار ، يصير الى أفجع حالات الدمار ..!! ثم تأتى الخاتمة بصورة المخلوق الذى كانت أولى كلماته وهو يواجه جنته (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ..) فاذا هو خالى اليدين من المال ، وقد انفض من حوله النفر الذين كان يستهويهم به لارهاب الضعفاء ، والتظاهر بالكبرياء (ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا ..)

وهكذا تعريه القدرة الالهية من آثار الحول الذى كان يتطاول به ، ومن كل أوهام العزة التى طالما احترشته حتى أنسته حاجته الى مصدر القوة والعزة جميعا ..!! وفى مثل هذا الموقف الخطير تتحرر نفس المذنب من حبائل الغرور ، فترى الحقيقة الكبرى على أتمها ، اذ تشعر بتلاشى كل قوة غير قوة الله وزيف كل اعتماد على سواه (هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا) !!

انها لمشاهد رهيبة تتلاقى فيها مبادىء الاحداث مع نتائجها على أكمل وجه من الانسجام ، فكل تحرك فى طريق الخير أو الشر له عواقبه التى لا مفر منها .. ومن وراء ذلك كله القوة التى لا يفوتها شىء دق أو جل ، ولا تخطىء عدالتها حدثا كبر أو قل ..

وهى هى الميزة التى يجب أن تتوفر فى القصة الكاملة ، اذ يطالع القارىء خلالها مسيرة الأحداث والأشخاص حتى النهايات الضرورية ، التى تعلمه وتقومه وتصحح نظره الى الحياة .. مما لا يتاح له الالمام به فى أى فنون الأدب الأخرى .

وهيهات أن يجد القارىء هذه المزية فى غير القصة القرآنية !!

□□□



للدكتور أحمد عبد العزيز النجار

رئيس قسم الاقتصاد جامعة ام درمان الاسلامية

بين الاقتصاديين القدامى والمحدثين خلافات فى بعض وجهات النظر ، ولعل أبرز هذه الخلافات استعلانا ووضوحا تلك التى تناولت التعرض للمشكلات الاقتصادية تعريفا وتسبيبا وتعليلا .

ومن فضل القول أن نذكر ما كان لنمو وسائل القياس الكمى من آثار على توجيه الفكر بوجه عام ، وعلى توجيه الفكر الاقتصادى بشكل خاص .

ومن هنا نرى مثلا أن الاقتصاديين القدامى على طول السلسلة الممتدة من آدم سميث الى مارشال يدركون الاهمية الاقتصادية لتنمية العنصر البشرى والموارد الانسانية ، حيث يرى هؤلاء ان الثروة الحقيقة للمجتمعات لا تقاس بعدد سكانها ، بقدر ما تقاس بما يتوافر لدى هذه المجتمعات من قوى عاملة قادرة على الانتاج ، وعقول قادرة على الاكتساب والتطوير والتحسين والابتكار ، بينما نرى فى نظرات المحدثين ان هذا العامل لم يحتل المكانة نفسها ، وهم يعالجون نظريات النمو الحديثة .

ويرجع ذلك أول ما يرجع الى تطور امكانية القياس الكمى لرأس المال المادى ، والتحديد الدقيق لمعامل رأس المال ، بينما يصعب ذلك ويستعصى اذا ما أردنا تطبيقه على رأس المال البشرى ، ولقد كان هذا الاغفال لثقل الدور الذى يحتله العنصر البشرى ونوعه فى تشكيل المجتمعات وحضارتها سببا فى ارتفاع

صوت أحد كبار الاقتصاديين المعاصرين «تيودرشولتس» منبها الى أن هذا الاهمال من جانب النظرية الاقتصادية الحديثة كان سببا فى الابقاء على الرأى الخاطىء للاقتصاديين القدماء فيما يتعلق بعنصر العمل ، وحصر النظر اليه كمصدر للمجهود الجسمانى الذى لايتطلب سوى القدر اليسير من المعرفة والعلم والمقدرة الشىء المتيسر توفيره للجميع . وان حصر النظر الى العمل من الزاوية الكمية لا يختلف كثيرا عن النظر الى استخدام الكمية المتاحة أو الرصيد الموجود من الآلات المختلفة كمصدر ايضا من مصادر الانتاج .

ويعتبر سيمون كوزنت الاقتصار على القياس والحساب الكمى لرأس المال العينى او المادى فى التحليل الاقتصادى الحديث غير سليم ، لأنه يهمل بند الانفاق على التعليم والتثقيف والبحوث العلمية والانفاق على الخدمات الصحية والترويحية والترفيهية وغير ذلك من الاستثمارات المعنوية التى تساهم مساهمة أساسية فى النمو الاقتصادى .

وقد أدت مثل هذه الجهود الحديثة فى الكشف عن اهمية الموارد البشرية الى محاولات جديدة لادراج الاستثمارات المعنوية كالتعليم فى صلب التحليل الاقتصادى والنظرية الاقتصادية (المؤتمر الخاص بالاستثمارات فى العنصر البشرى ديسمبر ١٩٦١) . باعتبار الفرد هو حجر الزاوية فى تحقيق التنمية الاقتصادية ، بل اهم عنصر فيها ، فهو منتج ومستهلك وهو العنصر الاول فى الكسب والانفاق والادخار ، وهو الشريك فى رسم السياسة العامة والسياسة الاجتماعية والاقتصادية ، سواء كان ناخبا أو منتخبا ، فعلى مقدار وعيه وفهمه لمشكلات الجماعة ، وعلى مقدار قدرته على العمل والانتاج ، وعلى مقدار تصرفه فى الاستهلاك والتصرف فى مدخراته يتوقف الشكل النهائى لتطور المجتمع ، وان الاعداد العلمى والفنى والثقافى والروحى للقوى البشرية هو المحرك الاول والدعامة الرئيسية لتدعيم البنيان الاقتصادى والاجتماعى ، وارسائه على قواعد متينة ، وزيادة امكانياته فى جلب اسباب الرفاهية والرخاء ، وتحسين دخل الفرد ومستويات معيشته ، ولا ننسى ان كل تقدم منذ بدء الخليقة انما كان نتيجة لجهودات البشر ، فالدول المتخلفة متخلفة لان الجزء الاكبر من مواطنيها متخلف، ولا يستفاد فيها من قدرات البشر الكامنة .

وفى ضوء هذا الاتجاه الذى نسلم بأصالته وعمق معالجته يمكن ان نقرر ان تحديد الاولوية والاهمية النسبية لاى نوع من الاستثمارات يتوقف لا على مقدار ما يمكن ان يسهم به فى زيادة السلع والخدمات فحسب بل كذلك على ما يمكن ان يسهم به فى تكوين المواطن الصالح . اى اثرها التربوى فى تهذيب وتدريب العنصر البشرى ، وتهيئته لتحقيق آمال المجتمع أو بمعنى آخر مدى ما يسهم به ذلك النوع من الاستثمار فى تدعيم وتقوية القيم والمبادىء والفضائل .

واذا كان ما تقدم يتأدى بنا الى التسليم بان القوى البشرية هى حجر الزاوية فى مشاكلنا الاقتصادية فى مجتمعاتنا الاسلامية فاننا نجد أن مشكلة هذه القوى البشرية والقوى العاملة فيها على الاخص — حيث أن الدين لا يوجه خطابه الا لذوى الالباب — تنحصر فى شقين : الاول : تكوين الاتجاهات السليمة فيها واكسابها المواصفات المطلوبة .

والشق الثانى : هو استغلالها أى خلق المجالات المثلى لاستخدامها وتفجير طاقاتها . وهكذا يتفتح أمامنا الباب واسعا على مصراعيه أمام تفهم الدور الهائل للتربية الاسلامية فى التصدى لمشاكلنا الاقتصادية .

والتربية كما هو معلوم اوسع حدودا وابعد شمولا من ان تندرج فى اطار التعليم بمستوياته العامة أو الفنية أو الجامعية ، فهى اشمل من ذلك وأوسع بل أنها هى التى تحدد لهذه المستويات قنواتها التى تسير فيها ، والاهداف التى تعمل على بلوغها .

دور التربية الاسلامية وأهميتها فى التوجيه الاقتصادى :

ان اية معالجة للمشاكل الاقتصادية لا تدخل فى اعتبارها العنصر الانسانى أنما تعد معالجة ميكانيكية محكوم على نتائجها بالفشل اذ ان الانتاج يوم ان يصبح بدون انسانية ، فانه يصبح بدون مسئولية ، كأنه دخيل على عالم الفعل والحركة. وللتربية مادة وحيدة تتجه اليها بالتأثير ، وتتناولها بالتشكيل ، وهذه المادة هى العنصر الانسانى . فهل يا ترى سنجد فى مصادر التربية الاسلامية ومناهجها مكانا للتربية الاقتصادية ؟

لقد قلنا إن الركيزة الاساسية لنشوء المشكلة الاقتصادية أو عدم نشوئها ينبع من العنصر الانسانى ويستند عليه : وقلنا ان الانتاج بدون انسانية يصبح بدون مسئولية ، فهل أتى الاسلام فيما أتى به بشىء يتعلق بتوجيه العنصر الانسانى وتربيته فى المجال الاقتصادى ؟

معلوم أن القرآن والسنة هما المكونان الرئيسيان لمحتوى الفكرولوجيا الاسلامية ، ومعلوم ان الله جل وعلا يقول « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ونريد الان أن نضع ايدينا على مواقع التربية فى الكتاب والسنة وكيف تحرص التوجيهات فى هذين المصدرين الى تكوين الصورة المثلى للانسان المسلم المسئول الذى يرعى الله فى الصغيرة والكبيرة والذى يعبد الله كأنه يراه فان لم يكن يراه فان الله هو الذى يراه .

ينظر الاسلام بادىء ذى بدء الى العمل على أنه عبادة ومن اولى متطلبات العمل ومقتضيات قبولها الاتقان والاخلاص فى ادائها ، حيث ان الناقد الذى ترفع اليه ، وتعرض عليه بصير عليم .

والبدء بتأكيد الاسلام على اهمية العمل ورفع درجته الى مستوى العبادة امر له اهميته البالغة فى مجال علاج المشكلات الاقتصادية ذلك ان مناط القبول فى العبادة كما قلنا هو الاتقان والاخلاص وهما امران لا يتأتيان بالضرورة وفى ظل توجيهات الاسلام الا فى ظل رقابة ذاتية تنبع من داخل الفرد تحول بينه وبين اداء سد الخانة او الاداء غير المسئول ، والتزام ذلك والاخذ به يتأدى بالضرورة الى كل ما يتعلق بالانتاج من أدوات وآلات ووقت واحسان صنع .

إننا لو تتبعنا مواقع التوجيه فى التربية الاسلامية فى مصادر الاسلام لوجدناها جميعا تنشد وتسعى الى تكوين أصل من أهم الاصول التى يتفرع عنها كل ما عداها . ذلك الاصل هو تكوين الرقابة الداخلية الذاتية ، والاعتماد عليها فيما تسفر عنه من نتائج ، وكل توجيه فى مجال التربية الاقتصادية فى

الاسلام يخدم هذه النقطة ، ويسفر عند تحليلنا له الى أنه يعمل على تكوين هذه الرقابة الذاتية الداخلية وتنميتها وانضاجها وخلق المناخ الصحى الملائم لتترعرع وتستوى على سوقها

ويطول بنا الحديث جدا — بالدرجة التى لا تتحملها حدود المقال — لو أننا تتبعنا التوجيهات التربوية فى القرآن للانسان المسلم حلا للمشكلة الاقتصادية .

فالاسلام فى تربيته الاقتصادية السليمة للفرد المسلم تناول كل شىء ولم يفرط فى شىء فهو يعرض للربا باعتباره تزيدا فى المال لا يقابله عمل ، ويقول رأيه فى البيع وفى تنظيم العلاقات المالية ، وفى أكل الاموال بالباطل وفى توجيه الناس الى مسالك الارزاق وفى الامانات وما تقتضيه من صيانة . . . الخ

ولكننا سنعرض على سبيل الحصر توجيهين فقط من التوجيهات التربوية العديدة التى يوردها الاسلام فى المجال الاقتصادى سنتناول اولهما بالعرض السريع ، وسنتناول ثانيهما ببعض التحليل لنتبين كيف يهدف الاسلام بتوجيه بسيط يسير الى ان يكون الشخصية المسلمة المسئولة التى تتجه دائما الى الصعود نحو المشارف ، لتكون فى مقامها من الانسانية التى يناجيها ربها ويتعهدها بالتربية ويضفى عليها الكرامة التى ليست لسواها فى الارض .

اما التوجيه الاول فهو فيما يقول ربنا « واوفوا الكيل والميزان بالقسط » (الانعام)

وقد يقول قائل ان التلاعب فى هذا الامر هين يمكن درؤه بسلطة قانون دون حاجة الى توجيه سماوى فيه يخلق فى الفرد رقابة ذاتية تحول بينه وبين ارتكابه ولكننا نعلم جميعا ان القوانين لا تخلق فى الناس ضمائر تراقبهم أو تنتزع من نفوسهم غرائز تتحكم فيهم . . ومن هذا اقتضى الامر توجيه من الله حتى لا تكون الاموال فى تيار جارف من شهوات الجامحين . . ولا ريب فى أن مدار التعامل بين الناس على الكيل والميزان فى اكثر ما يتبادلون وبقدر ما يهتز احدهما عن مستواه الوسط العدل يكون الجور فى التعامل ويهتز تبعا لذلك نظام المجتمع من ناحية خطيرة هى ناحية التعامل أو هى الجانب الاقتصادى وهو جانب من جوانب المجتمع الحساسة لا يقبل التسامح أو الهوادة .

وما دامت التربية الاسلامية فى توجيهاتنا تحض على العمل المنتج وتحث على الاخذ باسباب القوة من علم وابتكار وكسب واستثمار فانها توجه الفرد المسلم الى عدم التلاعب فى الكيل والميزان لأن فيه مساسا بمقاييس العدالة وتطويحا بالثقة التى يجب توافرها وصدا للناس عما ينشده الدين فى أهله من نشاط فى دنياهم وتطلعا الى الحلال وطرحا للحرام .

ولعلنا شهدنا بابصارنا فى واقع الحياة ما يؤكد اهمية هذا التوجيه وحرص القرآن على تربية المسلمين عليه . . . فكم متاجر اغلقت وكم مصانع تعطلت وكم ثروات ذهبت وذلك بسبب ما تسرب الى جميعها من بخس أو تطفيف فى الكيل أو الميزان .

اما التوجيه الثانى الذى سنتناوله ببعض التحليل لنتبين القيمة التربوية المتضمنة فيه وآثارها فى علاج مشاكلنا الاقتصادية فهو : نهى الله لنا عن الاسراف « ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » (الانعام) « ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » (الاعراف) « ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » (الاسراء) .

الله لا يحب المسرف ، والمبذر أخ للشيطان .

ان القيمة التربوية العظمى لهذا التوجيه يتبين لنا اذا عرفنا أن مدلول كلمتى الاسراف والتبذير يتسع ليشمل كل شىء فى حياة الانسان ، وان العامل يوم ان يتهاون فى اداء ما يوكل اليه من عمل فيزيد به على وقته المحدد فهو مسرف ويوم ان يستهلك من الخامات فوق ما يحتاجه العمل فهو مسرف ، ويوم ان يسوغ لنفسه الا يصل بادائه الى المستوى الامثل فهو مسرف ، ويوم ان يفرط فى العناية بالآلة التى يستخدمها فهو مسرف ، ويوم الا يحسن استخدام القلم الذى يعمل به فهو مسرف ، ويوم ان يسىء استخدام المكتب الذى يجلس عليه فهو مسرف ، ويوم ان يرخص لنفسه اساءة استخدام الكرسى الذى يجلس عليه فهو مسرف . . . ذلك لان كل ما يسره الله للانسان لكى يكون اداة من ادوات الانتاج انما هو مستخلف فيه ومسئول عنه .

وهكذا يكون تجنب الاسراف معناه الاستخدام الامثل ، معنى الاستخدام الامثل زيادة الانتاج ، وزيادة الانتاج يؤدى الى علاج المشكلات الاقتصادية .
ويكون الاسراف من الناحية المقابلة هو اساءة الاستخدام وما يترتب على ذلك من آثار ضارة على الانتاج . ومن هنا جاء حب الله للمحسنين وكراهيته للمسرفين ومن هنا أيضا كانت الصلة بين المبذر وبين الشيطان (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) .

ويصاحب تجنب الاسراف بالضرورة اكتساب سمة القصد ، وبالتالى توفير بعض الموارد لحين الحاجة اليها ، وبعبارة أخرى ممارسة الادخار . وبذلك يكون التوجيه القرآنى الكريم قد وصل الى غاية ما بعدها غاية مستخدما احدث ما وصلت اليه مناهج التربية الحديثة .
ولكى نوضح ذلك نقول ان الفرد عندما نصل به الى مرحلة اكتساب الممارسة الذاتية للادخار ، فاننا نكون قد وصلنا به الى قمة من قمم النضج ، والى مستوى من أعلى مستويات السواء فى الشخصية ، ذلك أن الفرد عندما يصل الى أن يأخذ نفسه بهذه الممارسة انما يكون قد مر عبر مرحلة طويلة متعددة الحلقات اكتسب من خلالها دون أن يحس أو يشعر مجموعة من السمات ، ما أحوج المجتمع الاسلامى الى توافرها فى كل فرد . . . فهو دون ان يحس على المستوى الشعورى قد مارس الضبط الذاتى ، بان قدم وأخر وأجل ، ومارس التخطيط بأن وازن وقدر وفكر ودبر ، ومارس استخدام النظرة الشاملة بأن احاط بابعاد الموقف ، وقدر العوامل المتداخلة المتشابكة فى مجال المشكلة وادركها واستبصر بها وانتهى فيها الى حل ، ومارس تقرير الذات والاستقلال الشخصى حيث قد انتهى بارادته الحرة الى أن يصدر قرارا يقوم هو بتنفيذه ، ومارس الايجابية حيث لم يضع نفسه موضع الريشة التى تتلقى ضربات الريح فى تأرجح واستسلام .
الا يكفينا بعد ذلك ان يتربى كل فرد على تجنب الاسراف وتعدد الادخار لتكون حصيلة المجتمع فى النهاية أفرادا أصحاء مبرئين من القلق والخوف الدائم

من الغد ، وهذه كلها مشكلة المشاكل فى مجتمعاتنا العربية بوجه عام ، خاصة وقد انتهى بنا صدر المقال الى ان العنصر البشرى هو حجر الزاوية فى نشـــوء المشكلات الاقتصادية او عدم نشوئها .

والسؤال الذى يفرض نفسه الان هو : كيف تستطيع التربية الاسلامية ان تسهم بدورها فى حل المشكلات الاقتصادية للعالم العربى ؟؟ وكيف تستطيع ان تتصدى لهذه المشكلات ؟

ولكى تسهل علينا الاجابة عن هذا السؤال ينبغى ان ندرك عددا من القضايا الاساسية من أهمها : ان توجيهات القرآن التربوية فى المجال الاقتصادى قد خاطبت الفرد ، لانه هو الوحدة الاولى التى يتكون منها المجتمع ... وانها ناشدت فى الفرد الجانب الروحى لانها ادركت ضرورة تربية الرقابة الذاتية فى داخله... وانها وضعت الوسائل المباشرة وغير المباشرة التى يمكن عن طريقها تكوين هذه الرقابة لدى الفرد وتنميتها فيه ..

فاذا ما علمنا ان مشكلة الشعوب الاسلامية ليست هى الحاجة الى رؤوس اموال كما يردد بعض الاقتصاديين وغيرهم ، وانما هى الفرد الصالح المسئول .

واذا ما علمنا ان الفرد الصالح المسئول انما هو فى نهاية الامر عبارة عن مجموعة من الصفات والمواصفات الصحيحة الصالحة ..

واذا علمنا ان طريق توافر سمات ومواصفات الفرد الصـــالح انما هو الاكتساب دون غيره .

واذا علمنا ان الطريق الاوحد للاكتساب هو التربية بمعناها الواسع العريض فاننا نستطيع بذلك ان نتبين دور التربية الاسلامية فى التصدى لمشاكلنا الاقتصادية

الا ان ذلك مرهون فى المقام الاول بان يقوم علماء المسلمين بتركيز جهودهم واجتهادهم وبحوثهم لابراز ما تتضمنه التوجيهات الاقتصادية فى القرآن من قيم تربوية وأن يتبنى أولو الامر البرامج التى تؤدى الى أن تأخذ التربية الاسلامية مكانها الطبيعى الصحيح .





عبيدة بن الحارث

للاستاذ: فاضل خلف

وكان رسول الله — صلى الله عليه وآله — اذا احمر البأس وأحجم الناس ، قدم أهل بيته ، فوقى بهم أصحابه حر السيوف والأسنة ، فقتل عبيدة ابن الحارث يوم بدر وقتل حمزة يوم أحد وقتل جعفر يوم مؤتة .

على بن أبى طالب

لقد أقبلت مبتهج الجنان — لتمجيد الشهيد على الزمان
لتمجيد الشهيد .. شهيد بدر — واهداء المصفى من بيانى
وهل غير القريض لدى كنز — يجود على بالغرر الحسان
فاحيى ذكر أبطال كرام — وذكرهم المعطر غير فان
فلولاهم لما اخضرت ربوع — ولولاهم لما عزت مبان
فهم رفعوا لواء النصر صدقا — وهم عمروا المرابع والمغانى
وهم بذلوا الدماء بغير من — ففازوا بالشهادة والجنان
فاضحى الدين مزدهرا منيعا — جناه العذب فى الصحراء دان

.. .. ..

وآل محمد كانوا دروعا — تقى الأصحاب من حر السنان
ففيهم كل مقدام شجاع — شديد البأس فى يوم الطعان
ومنهم كل معطاء شهيد — أبى ألا يقيم على الهوان
وكانت أريحيتهم منارا — على مر العصور لكل بان
فما عرفوا المثالث والمثانى — بل القرآن والسبع المثانى
وللصلوات فى أبيات طه — محل ما له فى الدهر ثان
وكانوا رغم أحقاد الأعادى — مصابيح التسامح والحنان

.. .. ..

ولابن الحرث(١) فى قلبى مكان — تسامى بالجلال وفى لسانى
فقد حفظ العهود بكل صدق — واخلاص وعزم غير وان
وقد شهدت له آفاق بدر — بآيات البطولة والتفانى
وقد صاحبت سيرته صغيرا — وهمت بقدسها قبل الأوان
معاذ الله أن أقلى حماه — وأرضى بالبعاد عن التدانى
فقربى من موارده سلام — وبرد . ان تنكر لى زمانى

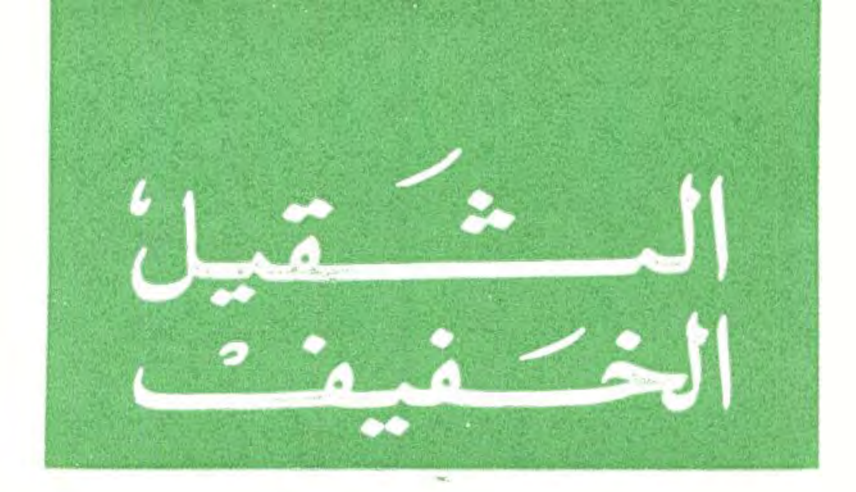
(١) هو عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف وكان يوم بدر أكبر الصحابة سنا .

للثأر في جنبيَّ نار سعِّرت

ورفعت رأسى للسماء ، فلم يزل   لى فى كتاب المجد سفر سطرا
أدعو ، وأهتف ، والنداء يشوبه أسف عميق فى الفؤاد تفجرا
ودوى صوت الحق ملء مسامع الدنيا يهز الموكب المتعثرا
نزل العدو بأرضنا ، لكنه   ما انفك يرقب حاصبا ، ومدمرا
وسعته أرض الأكرمين ، وليتهم   فطنوا لذاك الذئب يوم تسورا
لولا يمين البغى من نصرائه   لارتد مذعور الجنان معفرا
حلفاء صهيون رمونا ، ما رمى   صهيون الا باسمهم وتجبرا
كادوا لنا كيد الذئاب وحسبنا   أن أيقظوا للبعث ذاك المعشرا
لم أبك قط ، وما ذرفت ، وانما   دمع المآقى فى العيون تحجرا
ولئن بكيت ، لقد أرحت ، واننى   لأبيت مزور الفؤاد مكدرا
للثأر فى جنبى نار سعرت   وبها استبقت الى الصيال مشمرا
ذوبت فيه الحزن ، لم أر مثله   أسفا كظمت به الفؤاد الموغرا
لم يثن عزمى أن رميت ، فاننى   بالرغم مما قد دها ليث الشرى
سخرية الأيام تلك ، وعيتها   وأبيت أحفظ درسها مستظهرا

للأستاذ : محمد هارون الحلو

فلقد ترسب فى الدماء وبالهـــا ومشى الى لب العظـــام ، فدمرا
يا قوم ، يا أبنـــاء يعرب ، مالكم تنسون من أمس اللواء الأشهرا
يفديه فرسان الجـــلاد ، وكلهم غاد عليـــــه مهللا ، ومكبرا
والنصر معقود لكل غضـــــــنفر طلب الشهادة ، أو يعود مظفرا
قد أذن المولى تبـــارك وجهه فينا ، وصوت الحق دوى منذرا
فاسمع نشـــيد البعث ، أنا أمة مشت الحقيـــقة فى رباها أعصرا
طوت الظلام ، وأنشرت من فجرها صبحا وضيا بالمحامد أســــفرا
ما كان كسرى فى مواكبها سوى حدث من الاحداث أذهل قيصرا
فلعلنا نلوى سراعا للهـــــدى ونعيد للمجـــــــد الذؤابة والذرا
ان لم نلذ بحمى الكتاب ، فمالنا من عاصم ، يحمى اللواء الأكبرا
واليـــوم نحن كأمسنا ، لا نأتلى نصـــغى لصوت الحق ليلة أنذرا
سيردنا صوت النفير لرشـــدنا وندع دعا ذلك المســـــــتعمرا
ونرد للقـــــدس المبارك عيـــده فى مهرجان فجـــــره قد نورا



للأستاذ

علي الجندي

لبثت حينا من الدهر لا أتخذ بطاقة خاصة «الكارت» لأنى أعد ذلك ضربا من المخيلة والتعالى . ثم قضت على الضرورة باستعمالها ، فرأيت أن أطبع اسمى عليها مغفلا ذكر الوظيفة جنوحا الى التواضع ، فسمعت من يقول : وهل يظن فلان أنه بلغ من نباهة الشهرة ، ورفعة الذكر وبعد الصيت ، بحيث يستغنى عن ذكر وظيفته ، ككبار رجالات الحكم والسياسة والأدب ؟!!

فألغيت هذه البطاقة — دفعا لقالة السوء — واتخذت بطاقة أخرى تحمل اسمى ووظيفتى المتواضعة !! فانطلقت بعض الأصوات تقول : وهل يظن فلان أن الوظيفة تشرف مثله !! ومتى كان المنتسبون الى الأدب والشعر يعنون بمثل هذه الصغائر والترهات ؟!!

فلم أر بدا من اتخاذ بطاقة بيضاء مجردة من الاسم واللقب والوظيفة ، اتقاء للمذمة من جميع نواحيها ، ورحم الله امرءا دفع الغيبة عن نفسه — كما جاء فى الأثر الشريف .

وخطر ببالى أن افاكه شخصية جليلة القدر ، موسومة بأدب النفس وأدب الدرس ! فذهبت الى مقرها ، وقدمت للسكرتير بطاقة من هذه البطاقات البيضاء ، التى تشبه صحف الأبرار ، ليستأذن لى بها على « السيد السند الجليل الكميل » .

فضحك وقال : كيف اجرؤ ان أقدم له مثل هذه البطاقة التى لا تدل الا على العبث !!

قلت : هو يعرف السر فى ذلك .

فذهب بها متململا وأبطأ قليلا ، ثم رجع من عنده وقد كتب عليها : لست أنا بالحسن بن على ولست أنت بمعاوية بن أبى سفيان !!

فقال السكرتير : هذا لغز لا أفهمه فهل لك أن تحله لى ولك الأجر والثواب قلت : يشير الى الحادثة التاريخية المعروفة ، وهى أنه حينما أتفق الحسن ومعاوية على الصلح « عام الجماعة » بعث معاوية الى الحسن بصحيفة مختومة بيضاء مثل بطاقتى ، قال فيها ليشترط الحسن ما شاء !!

ثم أخرجت بطاقة أخرى كتبت « ملك » — بفتح اللام — .

فردها — وقد كتب عليها : ان الملائكة تتنزل على الأنبياء والمرسلين لا على مثلى من الموظفين !! هذا الى أنه قد ختمت النبوات ، وانقطع وحى السموات بموت سيد الكائنات !!

فكتبت على بطاقة أخرى « شيطان » !!

فردها وقد كتب عليها : « وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون » !!

فكتبت على بطاقة أخرى « انسان » .

فردها وقد كتب عليها : يظهر أنك لم تقرأ : أن الفيلسوف اليونانى

« ديوجين » كان يفتش عن انسان فى النهار الماتع بمصباحه الوهاج ، فلم يجده !! ويظهر أنك لم ترو قول أستاذك أبى تمام :

ما أنس لا أنس قولا قاله رجل
غضضت فى عقبه طرفى وأجفانى
نل الثريا أو الشعرى فليس فتى
لم يغن خمسين انسانا . بانسان

ونحن نقنع منك باغناء خمسة لاخمسين

فكتبت على بطاقة أخرى : مسلم !

فردها ، وقد كتب عليها : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

وأنا أعرف أنك طويل اليد واللسان (١) ، وان كنت كريم اليد ، فصيح اللسان .

فكتبت على بطاقة أخرى : مؤمن .

فردها وقد كتب عليها . « واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا » .

فكتبت على بطاقة أخرى : صوفى!

فردها ، وقد كتب عليها : الصوفى من عمل بقول الصوفى :

لا تدبر لك أمرا
فأولو التدبير هلكى
سلم الأمر وسالم
نحن أولى بك منكا

ومن انطبق عليه قول الصوفى :

لا فى النهار ولا فى الليل لى فرح
فما أبالى أطال الليل أم قصرا
لأننى طول ليلى هائم دنف
وبالنهار أقاسى الهم والفكرا

فكتبت على بطاقة أخرى : محب .

فردها ، وقد كتب عليها : قيل للمجنون : أتحب ليلى ؟ قال : لا ! فقيل له : ولم ذاك ؟ قال لأن المحبة ذريعة للوصلة ، وقد سقطت الذريعة .. فليلى أنا ، وأنا ليلى !

فكتبت على بطاقة أخرى : زاهد .

فردها ، وقد كتب عليها : علامة صدق الزاهد ألا يملك مع الله سبيلا ، وأن يفرح بكل شىء فاته من الدنيا ! وأن يغتم بكل شىء حصل له منها ، وأن يستوى عنده المدح والذم !

فكتبت له على بطاقة أخرى : مريد .

فردها ، وقد كتب عليها : المريد الصادق : الله مراده ، والصديقون : اخوانه ، والخلوة : بيته ، والوحدة : انسه ، والنهار : غمه ، والليل : فرحه ، ودليله : قلبه ، والقرآن : معينه ، والبكاء : زيه ، والجوع : أدامه ، والعبادة نزهته ، والمعرفة : قياده ، والحياة : سفره والأيام : مراحله ، والورع : طريقه ، والصبر : شعاره ، والسكون : دثاره ، والصدق : مطيته ، والعبادة : مركبه، وخوف الفوت : خشيته .

فكتبت على بطاقة أخرى : متواضع !

فردها ، وقد كتب عليها : لا يكون الرجل متواضعا ، حتى لا يرى لنفسه مقاما ولا حالا ، ولا يرى أن فى الخلق من هو شر منه ، ومن ظن أن نفسه خير من نفس فرعون ، فقد أظهر الكبر !

فكتبت على بطاقة أخرى : فاضل .

فردها ، وقد كتب عليها : لأهل الفضل فضل ما لم يروه ، فاذا رأوه فلا فضل لهم .

فكتبت على بطاقة أخرى : عاقل .

فردها ، وقد كتب عليها : العاقل : من يصيب بالظن ، ويعرف ما يكون بما قد كان ، ويحتال للأمر قبل وقوعه ..

فكتبت على بطاقة أخرى : قنوع !

فردها وقد كتب عليها : القنوع من استشعر اليأس : وأظهر الغنى للناس .. واستكثر قليل النعم ، ولم يسخط على القسم .

فكتبت على بطاقة أخرى : شريف .

فردها وقد كتب عليها : الشريف : من يظلم من فوقه ، ويظلمه من دونه !

---

(١) يقصد يضرب بيده .

فكتبت على بطاقة أخرى : «سيد» .
فردها وقد كتب عليها : السيد من اذا حضر هابوه ، واذا غاب اغتابوه !
فكتبت على بطاقة أخرى : « حكيم » .
فردها وقد كتب عليها : الحكيم : من صمت فادكر ، ونظر فاعتبر ، ووعظ فازدجر .
فكتبت على بطاقة أخرى : « حازم » .
فردها وقد كتب عليها : الحازم : من أخذ برقاب الأسود بين يديه ، وجعل النوائب نصب عينيه ، ونبذ التهيب دبر أذنيه !!
فكتبت على بطاقة أخرى : « جليل » .
فردها وقد كتب عليها : الجليل : من عفا اذا قدر ، وأجمل اذا انتصر ، ولم تطغه عزة الظفر !!
فكتبت على بطاقة أخرى : مرىء « أى ذو مروءة » .

فردها وقد كتب عليها: لا تتم مروءة الرجل الا بخمس خصال ، ان يكون عالما ، وصادقا ، وعاقلا ، ذا بيان ، مستغنيا عن الناس ، ثم ان المروءة قد ماتت بموت أهلها من زمن بعيد .
أما سمعت قول الشاعر :

مررت على المروءة وهى تبكى
فقلت : علام تنتحب الفتاة
فقالت : كيف لا أبكى وأهلى
جميعا دون خلق الله ماتوا ؟

وهنا قلت للسكرتير : أحسبه وأحسبك قد مللتما ، فلنمسك عن القول المباح !
فقال : لا ، والله !! أما هو فقد قال : لقد سقط العشاء به على سرحان !
ولئن كان ريحا لقد لاقى اعصارا !!
(والسرحان : الذئب — مثل يضرب لمن يسعى فى شىء يوقعه فى الهلكة) !
وأما أنا فأود أن أتردد بينكما فى هذه السفارة الأدبية الجميلة أبد الآبدين ، ودهر الداهرين !!
قلت : اذن لنستأنف المصاولة حتى يكتب الظفر لأصبر الفريقين !!
وأخرجت البطاقة الحادية والعشرين وكتبت عليها : « بليغ » .
فردها وقد كتب عليها : لن تكون بليغا — كما يقول خالد بن صفوان — حتى تكلم أمتك السوداء ، فى الليلة الظلماء ، فى الحاجة غير المهمة ، بما تتكلم به فى نادى قومك !!
فكتبت على البطاقة الثانية والعشرين : « عالم » .

فردها وقد كتب عليها : لا يزال المرء عالما ما ظن أنه جاهل ، فاذا أعتقد أنه علم فقد جهل !!
وفى معناه يقول الامام مالك : من ترك قول لا أدرى أصيبت مقاتله !!
فكتبت على البطاقة الثالثة والعشرين : « أديب » .
فردها وقد كتب عليها ألزمت نفسى كما ألزم نفسه الصاحب بن عباد من قبل : ألا يدخل الى أديب من الأدباء حتى يكون حافظا لعشرين ألف بيت من الشعر !!
وأزيد عليه أن يكون ذلك القدر من أشعار النساء !!
فكتبت على البطاقة الرابعة والعشرين : « شاعر » .
فردها وقد كتب عليها : الشاعر من يقول :

وما الدهر الا من رواة قصائدى
اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا
وغنى به من لا يغنى مغردا
أجزنى اذا أنشدت شعرا فانما
بشعرى أتاك المادحون مرددا

فكتبت على البطاقة الخامسة والعشرين : « ظريف » .
فردها وقد كتب عليها : قال الأوائل : لن يكون الانسان ظريفا حتى

يتفقه بالشافعي ويقرأ لأبي عمرو ، ويتختم بالعقيق ، ويحفظ « عينية ابن زريق » ، أو « نونية ابن زيدون » .

أريد بالعينية :

لا تعذليه فان العذل يولعه ..

وبالنونية :

أضحى التنائى بديلا من تدانينا ..

من تدانينا ...)

ثم يكون بعد ذلك كله وفقا لقول الشاعر :

ليس الظريف بكامل فى ظرفه
حتى يكون عن الحرام عفيفا
واذا تجافى عن معاصى ربه
فهناك يدعى فى الأنام ظريفا

فكتبت على البطاقة السادسة والعشرين : جليس ممتع » .

فردها وقد كتب عليها: الجليس الممتع من لم يكن بالشاطر المتفتك ، ولا الزاهد المتنسك ، ولا الماجن المتظرف ، ولا العابد المتقشف . ولكن كما قال الشاعر :

يا هند هل لك فى شيخ فتى أبدا
وقد يكون شباب غير فتيان !

أو كما قال المتنبى :

يروع ركانة ويذوب ظرفا
فما يدرى : أشيخ أم غلام

أ وكما قال :

وشيخ فى الشباب وليس يدعى
بشيخ كل من بلغ المشيبا

فكتبت على البطاقة السابعة والعشرين : « صديق صدوق » .

فردها وقد كتب عليها :

وصادق الود صادق الخبر
مغرى برعى العهود مصطبر
هذا الذى لا أزال أسمعه
وما له فى الزمان من أثر
لو أن كفى بمثله ظفرت
قاسمته فى المتاع والعمر

وقد شعرت بعد ذلك : بأنى تعبت وأتعبت ، فكتبت على البطاقة الثامنة والعشرين « ثقيل » !

فردها وقد كتب عليها : هذه كلمة معماة لا ندرى المقصود بها ، فهى من نوع التوجيه ، الذى يقول منه الشاعر — فى الحسن بن سهل حين تزوج ابنته المأمون « خديجة بوران » فى عرس جمع أفراح الزمان !! وأذهل الانس والجان » !!

بارك الله للحسن
ولبوران فى الختن
يابن هارون قد ظفر
ت ولكن ببنت من ؟

فلا يدرى ، أمدح أم هجاء ؟ وهناء أم عزاء ؟

وكقول المتنبى فى كافور الأخشيد :

وما طربى لما رأيتك بدعة
لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب

فلا يدرى أكان يمدحه أم يتهكم به ؟

وأنا لا أدرى أينا الذى تعنيه بالثقل فى بطاقتك ؟

فكتبت على البطاقة التاسعة والعشرين . « الثقيل » هو الواقف ببابك !

والمقر بهزيمته !!

فردها وقد كتب عليها : يقول الحكماء : ان الثقيل يكون أحيانا كالكامخ « السلطة » لا يستغنى عنه !

ثم إنهم يقولون : اذا شعر الثقيل بأنه ثقيل ، فقد أصبح خفيفا !! فمرحبا مرحبا بك أيها الثقيل الخفيف !!

فدلفت اليه فخرج من كرسيه ضاحكا ، وسلم على معانقا ، وهو يتمثل بقول المبرد فى البحترى :

فلا تنكر مبادرتى اليه
فان لمثله وجب القيام

وأنا أتمثل بقول المتنبى فى بعض ممدوحيه من الرؤساء :

فلم أر قبلى من مشى البحر نحوه
ولا رجلا قامت تعانقه الأسد

□□



يكتبها : عبد المنعم النمر

المر الحلو :

كان استشهاد البطل عبد المنعم رياض حدثا عصر قلوبنا ، واشتد هذا العصر عليها حينما كشف النقاب عن صفات البطل ، وعظمته النفسية والحربية ، وعن الظرف الذى أدى لاستشهاده ، مما لم نكن نعرف الكثير منه ، وقد ارتفعت الأصوات تتساءل : لم ذهب ودفع بنفسه فى هذه المواقع الخطرة ، ودانات المدافع تزمجر حوله وفوق رأسه ؟ وأحسسنا جميعا بالخسارة الفادحة فى ذهاب قائد عز وجود مثله فى هذه الآونة الحرجة .. ولكن من خلال الدموع والأسى كانت تضىء المعانى القوية ، كالشرارة أطلقها استشهاد البطل ..

اننا حقا خسرنا قائدا بطلا شجاعا نحن فى حاجة الى وجوده .. ولكننى فى الوقت نفسه أحسست أن استشهاد رياض بالصورة التى تم بها ، كان قضاء أراده الله لنا فى هذه الظروف لحكمة عليا .

لقد أورثتنا الهزيمة صورا هزيلة للقواد الذين تركوا الميدان لجنودهم ، يجابهون فيه الخطر وحدهم ، وكانت هذه الصور تمزق نفوسنا ، وتلقى بظلها الثقيل الكئيب على جنودنا وقوادنا ، وتجعل من الصعب على الانسان العربى أن يسترد ثقته بقواده ، حتى كان فى ومضات الأمل القوية فى النصر ، تطل عليه صور القادة الذين فروا ، ويعاوده الخوف من أن تتكرر الصورة مرة ثانية . حتى جاء استشهاد البطل عبد المنعم رياض فى الخطوط الأمامية ، والمعركة حامية مشتعلة ، وقرأنا جميعا : كيف خف الى ميدان المعركة وهى دائرة ، ولم يكتف بمراقبتها من الخلف ، بل تقدم للأمام ، ونزل الى موقع من مواقع المدفعية التى يتعمد العدو ضربها .. ليشارك الجند الصغار موقفهم ، ويشد أزرهم ، وأراد الله بهذا وبما تلاه من سقوط دانة المدفع قريبا منه ، أن يستشهد ، فيعيد بذلك للأمة

كلها روحها ، ويرد اليها ثقتها بقوادها ، ويعلمها أن خلقا جديدا يقود المعركة الآن ويشعلها ، وأن الجيش كله وحــدة متماسكة ، ويبث فى كــل نفس حب الاستشهاد وحب الخلود .

وفرق كبير جدا بين الجموع التى خرجت هادرة ساخطة حين ظنت أن الفارين لم يلقوا جزاءهم ، وبين الجموع التى خرجت تشيع جثمان الشهيد البطل .

وفرق كبير بين حديث العرب فى كل مكان — وغير العرب أيضا — عن الذين صنعوا الهزيمة بجبنهم وفرارهم وعدم مبالاتهم ، وبين حديثهم عن البطل الشهيد ...

ان « رياضا » كان قائدا ماهرا شجاعا فى حياته ، وكان — وسيظل — باستشهاده أعظم قائد يقود الأمة كلها الى النصر ..

كان قائد الجيش وهو حى ، ولكنه باستشهاده أصبح قائد أمة ، ومعلم جيل بل أجيال . لن تنساه الأمة ، ولن ينساه التاريخ .

سيظل حيا فى روح الجندى فى الميدان ، والصانع فى المصنع ، والزارع فى الحقل ، والموظف فى المكتب ، سيظل شعلة تضىء ، ونارا تلهب النفوس ..

سيظل مثلا حيا باقيا لانكار الذات ، وحب الواجب .

لقد أعاد الى نفوسنا الثقة التى لا تحد بالمحاربين فى الخطوط الأمامية .. حين ضرب أروع الأمثلة فى الشجاعة والاخلاص .

ولكن بقى قادة لنا آخرون خلف الخطوط الأمامية ، تنتظر الأمة منهـم أن يتعلموا هذا الدرس جيدا من عبد المنعم رياض ، ومن الملايين التى بكته ، لأنها أحبته وقدرته .

وكما أن الأمة لا ، ولن تغفر ، فانها كذلك لا ولن تنسى أبطالها ...

الأبطال .. فى أى ميدان ..

وكم نحن الآن فى حاجة الى أمثال عبد المنعم رياض فى كل ميدان ؟

ينكرون ذواتهم ، ولا ينكرون الأمة كلها من أجل ذواتهم . ينازلون عدوهم ، ولا ينازل بعضهم بعضا !!!

وذلك هو الدرس الذى كان لا بد لنا منه فى هذه الظروف .

الدرس المر الحلو لقنه استشهاد عبد المنعم رياض للأمــة كلهـا . ورب ضارة نافعة .

هذا الاسم يجب أن يزول :

اسم (اللاجئين) الذى ظل عنوانا على عشرات الآلاف أو مئاتهم من أبناء فلسطين مدة عشرين عاما ، يجب أن يختفى الآن من الوجود ، يجب أن يزول نهائيا ، لا نزيله نحن من أقلامنا ، ولكن يزيله هؤلاء الذين يأبون ونأبى أن يقـال عنهم

هذا ، يزيلونه بالنار والدم ، يحرقونه ، ليحلوا مكانه اسما آخر يليق بهم ، ويعبر عن النار التى تشتعل فى صدورهم ، وعن سواعدهم الفتية ، وروحهم القوية ، وعزمهم الحديد ، وبأسهم الشديد اسم : (الأبطال) .

نعم . أبطال ، لأنهم لم يعد مكانهم مخيمات اللاجئين ، لم يعد يليق بهم أن يحملوا بطاقة فى أيديهم ، أو سلسلة فى صدورهم ، تسمهم بالذلة والخنوع والحاجة ، بل يحملوا بدلا من ذلك مدفعا وقنبلة ونارا يصبونها على رأس الذين سلبوهم أرضهم وعزهم واستقرارهم ..

ان (الخيمة) – أيها الأبطال – ظلها نار ، وهواؤها عار ، وترابها عقارب ، وحبالها مشانق ، فلا تركنوا اليها .

ان (الخيمة) أيها الأبطال عنوان ذل واستكانة ، وخنوع ومهانة ، فلا تجعلوها تعلو رءوسكم ..

مزقوها ..

احرقوها ..

لا تعودوا اليها .. امحوها من حياتكم ..

ان دياركم هناك

ترابكم هناك

مجدكم هناك

حياتكم هناك

كرامتكم هناك

فلا تعيشوا هنا تحت ظلال (الخيمة) بلا حياة ولا كرامة .

تعريفات :

كنا جماعة . فسأل واحد منها : هل تستطيعون تعريف الأمة العربية ؟

فاستغربنا هذا السؤال ، وقال واحد : هى التى تتحدث اللغة العربية وتسكن المنطقة الواقعة بين المحيط والخليج – ممتدة جنوبا حتى السودان والصومال ..

قال : لا .. الشعب العربى هو الذى يحدد معالمه هذا البيت من الشعر :

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا   وما من ذاك شىء فى يديه

قلنا : هذا بيت قيل فى سلطان عثمانى ، كانوا يتلاعبون به وبمصيره ، ولا يستطيع الا أن يقول : موافقون .

قال : ولكنه صار تعريفا لكل من يشبه حاله حال ذلك السلطان العثمانى الضعيف !!

نشاط محمود :

ظاهرة النشاط المستمر لتدعيم العمل الفدائى فى الكويت تستحق التسجيل والتقدير . . وأرى من الواجب أن نذكرها ونشيد بها وبالقائمين عليها ، لعلها تكون قدوة حسنة للغيارى فى كل مكان . فالصحف والجمعيات والنوادى والهيآت والمدارس كلها تبذل كثيرا من نشاطها فى جمع التبرعات لدعم العمل الفدائى وباستمرار ، بل يتصاعد يوما بعد يوم .

وأخيرا وجدنا جمعيـــة المعلمين الكويتيـــة تحتضن مشروعا أطلق عليه (أسبوع العمل الفدائى) تحت رعـــاية الشيخ سعد العبد الله الصـــباح وزير الداخلية والدفاع .

تتركز فيه جميع الجهود على جمع التبرعات بمختلف الوسائل . . واشتركت اجهزة الاعلام من صحافة واذاعة وتلفزيون فى لفت الأنظار وحث الجمهور على مزيد من البذل والمساعدة للفدائيين . . .

وقد تجاوب الجمهور مع هذا المشروع تجاوبا محمودا يستحق التقدير . .

ومن قبل ذلك عرض مشروع على مجلس الأمة يهدف الى أن تستمر رواتب الموظفين الذين ينضمون للفدائيين سواء فى حياتهم أو بعد مماتهم . . ولكن رئى بعد استطلاع رأى الجهات المعنية بالأمر فى الكويت وخارجها أن يصرف النظر عن هذا المشروع حتى يبقى الفدائيون سواء من أية جهة جاءوا على أن تستمر الجهات الرسمية فى تقديم عونها المادى الملحوظ للجهات المســئولة عن العمل الفدائى . . .

ذلك عرض يسير لنشاط كبير يقوم به الشعب وتحتضنه الحكومة ، ومن حقه علينا أن نشير اليه ، وننوه به ، تقديرا منا لهذه الروح ، ودعوة للمسلمين فى كل مكان أن يسهموا فى تدعيم الفدائيين بكل ما يستطيعون ، ويتصدر لهذا العمل رجال موثوق بهم وبأمانتهم واخلاصهم حتى يطمئن الباذلون على أن كل ما يدفعون سيتحول الى رصاص وقنابل تدمر وتشتت أعداءنا أعداء الله ، وان أقل ما يقوم به أمثالنا الآمنون فى بيوتهم وبين أهليهم ، أن يبذلوا بطيب نفس وسخاء ، فالموقف خطير ، والجهاد بالنفس والمال فرض نسأل عنه ونحاسب عليه . . .

ومع الأسف :

أرانى مضطرا هنا بهذه المناسبة الى أن أمس مسا خفيفا الآن ، ما رددته الصحف هنا من أحاديث وأخبار منسوبة لرجال من الفدائيين موثوق بهم ، عن المصير المؤسف للتبرعات التى جمعت للفدائيين فى بعض البلاد العربية على يد المسئولين فيها !!

وعما فعلته احدى البلاد من مصادرة شحنة أسلحة للفدائيين بعد أن سمحت أخيرا بنزولها فى مينائها .

وعما فعلته احدى البلاد أيضا من القبض على قائد فدائى بحجة دخوله البـــلاد بصورة غير مشروعة ، والحكم عليه بالاشغال الشاقة ثلاث سنوات ولم تطلق سراحـــه أخيرا الا بعد ضغط شديد عليها !!!!

صور مؤسفة ومريرة كنا نظن أنها انتهت ، ولكن ظننا كان حسنا !!

ولا يحسبن الذين يفعلون ذلك أنهم سيفلتون من الحساب يوم تجىء ساعته ، وهى لا بد آتية .

ذكريات عن أحمد حسن الزيات

للاستاذ : محمود غنيم

انقطعت بموت الكاتب الكبير أحمد حسن الزيات فى ١٣ من يوليه سنة ١٩٦٨ آخر حلقة من سلسلة كتاب النثر الفنى : أمثال المويلحى والمنفلوطى ، والسيد توفيق البكرى ، ومصطفى صادق الرافعى ، وصادق عنبر ، وجبران خليل جبران وغيرهم ممن أقاموا للنثر دولة فى العصر الحديث ، وتركوا من آثارهم الفنية ما تتقطع الأيدى ، وتتقصف الأقلام ، دون بلوغ مداه . ولم يبق لنا بعد موت الزيات من النثر الا الاسلوب الصحفى الدارج ، اللهم الا اذا استثنينا كاتبا كالدكتور طه حسين — مد الله فى أجله — على تباين الأسلوبين ، وبعد مسافة الخلف بين الرجلين .

وكان الزيات من هؤلاء الكتاب الذين تمتاز أساليبهم بخصائص وسمات معينة تجعل القارىء العادى — بله القارىء الحاذق — يستطيع أن يعزو كلا منها الى صاحبه ، وان لم يذيله بامضائه . ومن الشطط أن ننسب الزيات الى مدرسة الجاحظ ، أو ابن العميد ، أو القاضى الفاضل ، أو غير هؤلاء ، وقد يكون قرأ كل هؤلاء ، وتأثر بهم ، ثم سلك طريقا خاصا به .

وهو — بلا شك — ملك الازدواج فى العصر الحديث ، يمتاز أسلوبه بقصر الفقرات الخالية من السجع ، الا ما سنح منه عفوا ، وقد يخيل للقارىء أن فيه تكرارا ، ولكنه بقليل من التأمل ، يتبين أنه ليس كذلك ، وتكاد ألفاظه تكون منتقاة لفظا لفظا ، وتتكون من ضم بعضها الى بعض جمل موسيقية الوقع ، ساحرة الاسلوب ، تأخذ بمجامع القلوب . وهى فى الوقت نفسه نص فى المعنى المقصود .

وعندى أن أسلوب الزيات وأضرابه أجدر بأن يطلق عليه اسم (الشعر الحر) . اذا كان لا بد من اطلاق هذا الاسم على ما لا وزن له ولا قافية ، بدلا من اطلاق هذا الاسم على تلك التفاهات التى يصر على اطلاقه عليها بعض المتحذلقين فى هذه الأيام .

قيل لبعض الرسامين : بم تمزج ألوانك ؟ قال : بدمى ، وهكذا كان الزيات يمزج أسلوبه بدمه الزكى ، ويفرغ عليه من عصارة قلبه الذكى ، دون أن تشعر أنه تكلف أو افتعل ، وان لم يخل من تكلف وافتعال ، وذلك كما تفعل الماهرة الصناع فى استعمال الأصباغ ، حتى لتحسب التكحل فى عينيها كحلا ، وأن جمالها — فى جملته مطبوع لا مصنوع .

كان أول ما لفت نظرى الى الراحل الكريم روايتاه اللتان عربهما عن الفرنسية (رفائيل ، وآلام فرتر) وكنت اذ ذاك حديث السن حديث العهد بدراسة الأدب ، وكان المنفلوطى اذ ذاك قد ملأ الدنيا وشغل الناس ، فعجبت غب فراغى من قراءة الروايتين ، كيف لم يطر اسم صاحبهما فى سماء الأدب طيران اسم المنفلوطى ، وهو لا يقل عنه فنا ولا ابداعا ، ولكننى أتهمت نفسى فى القدرة على نقد الأساليب ، وتمييز فاضلها من مفضولها ، ولم تمض فترة من الزمن حتى عرفت أننى لم أعد الصواب ، وذلك بعد أن لمع نجم الزيات ، واستوى على عرش الكتابة .

وعلى ذكر « روفائيل وآلام فرتر » يبدو أن الزيات كان بارعا فى الفرنسية ، مفتونا بها وقد حذقها فى سن مبكرة ، ويزيدنى اعتقادا بهذا تلك القصة الطريفة التالية : حدثنى صديق أديب(1) أنه كان هو والزيات وطه حسين وغيرهم يتلقون دروس الأدب العربى على الشيخ سيد المرصفى فى الأزهر الشريف ، وقد طلب اليهم ذات مرة الكتابة فى موضوع انشائى هذا نصه : « من تحب أن يكون أباك ؟ » فكتب الزيات — وهنا بيت القصيد — أحب أن يكون أبى « أناطول فرانس » وأخذ يؤيد رأيه بالحجة ، ويشيد بالكاتب الفرنسى الكبير ، وكتب غيره من التلاميذ عن نابليون وشكسبير وغيرهما ، ولكن هذا الأديب الذى قص على هذه القصة كتب فى معنى أننى لا أحب أن يكون أبى غير أبى الذى انحدرت من صلبه ، وكانت النتيجة أن أثنى الشيخ المرصفى على هذا الأديب ، وأوسع الباقين لوما وتقريعا .

مجلة الرسالة ..

ولا يسع كاتبا أن يكتب عن الزيات دون أن يعرض لمجلة الرسالة من قريب أو بعيد ، فكلاهما للآخر دائن مدين ، هو يدينها بما أحرزته من سيرورة وانتشار فى العالم العربى ، وهى تدينه بغير قليل من نباهة اسمه وشهرته الأدبية . والحديث عن الرسالة له شرح يطول ، وليس هذا مقام تفصيل القول فيه ، ولكننى اجتزىء فى بيان مكانتها بتلك الحادثة القصيرة : كنا نقيم مهرجانا للشعر فى دمشق الفيحاء ، وكان الزيات أحد المدعويين فى ذلك المهرجان ، وأذكر أنه قوبل هناك مقابلة الفاتحين ، وقد سمعت أحد الأدباء السوريين يقول : كنا اذا رأينا أديبا يصطنع العظمة فى جلسته نقول له ما هذا التعاظم ؟ كأنك أصبحت من كتاب الرسالة ؟. ولما انتهت الرحلة لمحت على محيا الزيات — ونحن فى طريق العودة — آثار الوجوم والجزع ، فسألته عما به ، فأجاب : لقد ضاعت حقيبتى فى الفندق ، قلت وماذا يعنى ضياع حقيبة فى فندق ؟ فأجاب لست آسى على متاع وملابس ، ولكن على كمية من أقلام وهدايا مختلفة قدمت الى من أدباء سوريا وأعيانها ، وهى — كما ترى — خسارة معنوية تبلغ أضعاف الخسارة المادية .

كانت الرسالة أفسح ميدان تجلت فيه بطولة الزيات ، كما كان «المؤيد» للشيخ على يوسف ، وكما كانت مجلة « الهداية » بالنسبة للشيخ

(1) هو المرحوم الشيخ كامل الابراشى ،وهو من رجال القضاء الشرعى ، وكان أديبا كبيرا ، غير أن عمله بالقضاء غطى عليه كأديب .

عبد العزيز جاويش . وكان الزيات يدير رحى الرسالة ، ويدبر أمرها بقليل لا يعد من المال والعمال ، وكثير لا يحد من العمل المضنى والجهد المتواصل . ولقد أصابت الرسالة نكستان تغلبت على الأولى ، وتغلبت عليها الثانية .

أما النكسة الأولى فعندما استحر الخلاف بين صاحبها وأعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر ، برياسة المرحوم أحمد أمين . وكان جل هؤلاء الأعضاء يسهمون بأقلامهم فى تحرير الرسالة ، وقد أدى هذا الخلاف الى اصدار مجلة الثقافة ، وكان المظنون اذ ذاك أن تدور الدائرة على الرسالة ، ولكن الدائرة لم تدر ، وبقيت الرسالة فى مكانها راسخة القدم ، شماء الأنف ، ويرجع ذلك — فيما أرى — الى سببين — الاول — أن افتتاحية الرسالة بقلم الزيات غير افتتاحية الثقافة بقلم أحمد أمين — الثانى — أن الرسالة يديرها فرد ، والثقافة تدبرها مجموعة ، وكثيرا ما يعوق التعدد الانتاج ، ويخل بدولاب العمل .

أما النكسة الثانية التى أطاحت بالرسالة فنكسة تتعلق بالناحية المالية ، ونظام الضرائب فى الدولة ، ولا مجال للخوض فى هذا الموضوع .

على أن الدولة بل الدول العربية بأسرها — شعرت بفقد الرسالة ، فكان لا بد أن يملأ مكانها الشاغر ، وقد بذلت محاولات لملء هذا المكان ، حتى ببعض مجلات كانت تحمل نفس الاسم ، بيد أن المكان ظل شاغرا ، حتى اضطرت الدولة الى بعث الرسالة من جديد ، واسناد تحريرها الى الزيات نفسه ، فعاشت فترة من الزمن ، ثم لم يكتب لها طول البقاء لسبب يسير ، هو — فيما أرى — أن الزيات فى عهد الرسالة الاول كان كل شىء ، أما فى عهدها الثانى فلم يكن كذلك .

كان الزيات خجولا الى درجة بعيدة المدى ، وقلما تكلم دون أن يتلعثم فى مجلس حاشد ، وقد فسر لى مرة هذه الظاهرة بقوله : ما حضرت مجلسا حاشدا الا تملكنى شعور بأننى أصغر الحاضرين شأنا فيه . والواقع أننى لأول مقابلة بينى وبينه كنت أنكر أن يكون صاحب هذه الأحاديث العابرة ، هو نفسه صاحب المقالات السائرة ، ولم أعجب كثيرا لهذه الظاهرة ، فقد لحظتها قبل ذلك على شوقى أمير الشعراء : كان قزما من الاقزام حين يتحدث اليك وعملاقا من العمالقة حين تقرأ له ، وعلى عكس الرجلين كان المرحوم العقاد ، فقد كانت أحاديثه العابرة فى مجالسه الخاصة مطبوعة بالطابع الفكرى العميق ، شأنها فى ذلك شأن ما ينتجه من شعر ونثر .

ويظهر أن هذا الخجل فى طبيعة الزيات هو سبب ما صادفه من اخفاق جزئى فى بعض مراحل حياته . أذكر أنه كتب مرة — على طريقة اعترافات جان جاك روسو — مقالا يصف فيه أول درس ألقاه فى الأدب العربى على طلبة الجامعة الامريكية ، فقد ذكر فى مقاله أنه أخطأ التقدير ، فلم يعد لدرسه مادة تستغرق الزمن كله ، وما أن انتهى من القاء المادة التى أعدها — وقد بقى من الزمن غير قليل — حتى استلمه التلاميذ بالتندر والنكات ، وظل هدفا لهذا التندر وتلك النكات ، حتى أنقذه من أيدى الطلبة دق الناقوس حين دق مؤذنا بانتهاء الدرس .

ولست أنسى للزيات — سامحه الله — أنه أوقعنى مرة فيما لا مزيد عليه من الحرج : وذلك اننى تدمت

اليه قصيدة بعنوان « شاعرة » ولم أكن رأيت هذه الشاعرة ، بل أوحت الى بالقصيدة صورة رائعة لها — وهى على مكتبها — منشورة باحدى المجلات ، وقد ألح على اذ ذاك فى معرفة من هى هذه الشاعرة ؟ فلم يسعنى الاحتجاج بسر المهنة ، وانما أفضيت باسمها اليه ، وكم كانت دهشتى حين زرته بعد ذلك بقليل ، فاذا بالشاعرة نفسها تزوره فى مكتبه ، وما كاد يلمحنى حتى أشار اليها قائلا : هذا هو صاحب القصيدة المنشورة فى العدد الماضى ، ولم يكن يعنى بها سواك وهنا كان ارتباك زائد وكانت حيرة شديدة ولم يكن هذا الارتباك ولا تلك الحيرة من جانب واحد ، بل كانا من جانبين .

ولست أنسى أيضا للزيات — رحمه الله — يدا أسداها الى : وذلك أننى كنت فى مكتبى بالوزارة فى بعض الايام ، فاذا بجرس التليفون يدق ، واذا بالمتحدث أحمد حسن الزيات ، واذا به يدعونى الى تناول الغذاء معه فى «فيلا الرسالة» ولم أكن قد تعودت هذا منه قبل ذلك ، على تقادم معرفتى به ، فلم يسعنى الا أن أبدى له استغرابى لهذه الدعوة ، فقال : زارنى أديب كويتى(٢) ، وأراد أن أجمع بينك وبينه ، فلم أر أمامى غير هذه الطريقة ، وأمرى لله ، فقلت له : كأنك تفعل ذلك آسفا ، فقال : وما عليك من أسفى ما دمت ستستمتع بأكلة شهية ؟ فقلت له : على أى حال فهذه دعوة سبقتها تلبيتها ، ولقد كانت أكلة شهية حقا ، وظل الاديب الكويتى يسرد علينا قبل المائدة ، وفى أثنائها وبعدها عن ظهر قلب ما يحفظه من شعرى ، ومن نثر الاستاذ الزيات ، حتى قلنا : ليته سكت .

على أن الزيات — رحمه الله — كان — على حلمه المفرط ، وحيائه الجم — ألد الخصام حين يستغضب ، ولعلل قراء الرسالة لم تبرح أذهانهم بعد تلك المقطوعات التى كان يذيلها بامضاء « ابن عبد الملك » والحق أن هذه المقطوعات كانت محكمة غاية الأحكام ، لاذعة أشد اللذع ، وكانت لقصرها ، وطرافة أسلوبها تخف على ألسنة الرواة ، وتتداولها الشفاه ، حتى لتكاد تنسى بجانبها أهاجى الحطيئة وجرير وابن الرومى ، وكان غير خفى على القراء أنه يعنى بها زوجين أديبين فاضلين ، أطلق عليهما اسمى مسيلمة وسجاح ، ولقد أنكرت أنا هذا الاقذاع أول ما وقعت عينى عليه ، فسألته تليفونيا عن سر هذه الثورة أو عن سر هذه الحملة فأجاب : لقد صبرت عليهما حتى لم يعد فى قوس الصبر منزع ، ولكنهما لم يرعويا ، فلم يكن أمامى الا أن ألتقط القفاز الذى ألقيا به فى وجهى ، وكان من جملة ما آذيانى به قولهم عن الرسالة : انها مجلة الالزاميين ، وهنا فقط أدركت سر هذه الثورة العارمة ، وتلك الحملة الشعواء ، فان الطعن على الرسالة طعن فى موطن العزة والكرامة عند الزيات . وعلى ذكر هذه المقطوعات أذكر أننا كنا بأسيوط فى أسبوع شباب الجامعات منذ بضع سنوات ، وقد ضمنا مجلس فيه نخبة من الأدباء ، فحين جرى ذكر هذه المقطوعات قال أحد الحاضرين(٣) فى تؤدة وأسف : ما كنا نحب للزيات هذه الخاتمة ، فكأنه يعلم بدنو أجله .

رحم الله الزيات رحمة واسعة ، وجزاه على ما أسلفه من خدمة العرب والادب أحسن ما يجزى به عباده المخلصين .

---

(٢) هو الاستاذ صالح شهاب وكيل مساعدوزارة الارشاد حاليا .

(٣) هو الاستاذ عبد الحميد يونس الاديبالمعروف .



أعدها : أبو نزار

((فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم . سيهديهم ويصلح بالهم . ويدخلهم الجنة عرفها لهم)) .

(قرآن كريم)

بيان حربى

أصدر خالد بن الوليد البيان الحربى التالى بعد انتصاره على الأعداء فى (أجنادين) ونصه :

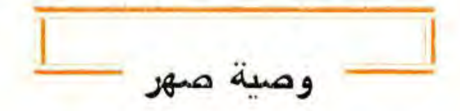
بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله ، وأزيده حمدا وشكرا على سلامة المسلمين ودمار الأعداء واخماد جمرتهم وانصداع بيضتهم ، وانا لقينا جموعهم وقد نشروا كتبهم ورفعوا أعلامهم ، وتقاسموا بدينهم فخرجنا اليهم ، وأبقنا بالله متوكلين على الله ، فعلم ربنا ما أضمرناه فى أفئدتنا ، فرزقنا الصبر والنصر ، وكبت أعداءنا فقتلنا منهم فى كل فج وشعب وواد ، وجملة من أحصينا من قتلى العدو عشرات الآلاف ، وقتل من المسلمين فى أول يوم وثانيه أربع مائة وخمسة وسبعون رجلا ختم الله لهم بالشهادة .



الصمصامة

يعث عمر بن الخطاب الى عمرو بن معدى كرب أن يبعث اليه بسيفه المعروف بالصمصامة ، فبعث به اليه ، فلما ضرب به وجده أقل مما كان يبلغه عنه ، فكتب اليه فى ذلك ، فرد عليه : انما بعثت الى أمير المؤمنين بالسيف ، ولم أبعث بالساعد الذى يضرب به .



وصية صهر

قال عثمان بن عنبسة بن أبى سفيان : أرسلنى أبى الى عمى لأخطب اليه ابنته ، فأقعدنى جنبه ، وقال : مرحبا بابن لم ألده . أقرب قريب . خطب الى أحب حبيب . لا أستطيع له ردا ، ولا أجد من تشفيعه بدا . قد زوجتكما وأنت أعز على منها ، وهى أنوط بقلبى ، فأكرمها يعذب على لسانى ذكرك ولا تهنها فيصغر عندى قدرك ، وقد قربتك من قربك ، فلا تباعد قلبى من قلبك .

دعاء غير مستجاب

لما ولى أبو جعفر المنصور الخلافة دخل عليه أزهر السمان الواعظ فرحب به وقربه ، وقال له : ما حاجتك يا أزهر ؟

قال : دارى منهدمة ، وعلى أربعة آلاف درهم ، فأعطاه اثنى عشر ألف درهم .

وقال : قد قضينا حاجتك ، فلا تأتنا طالبا ، فأخذها وارتحل .

فلما كان بعد سنة أتاه ، فلما رآه أبو جعفر قال : ما جاء بك يا أزهر ؟

قال : جئتك مسلما . قال : قد أمرنا لك باثنى عشر ألفا ، واذهب فلا تأتنا طالبا ولا مسلما ، فأخذها ومضى .

فلما كان بعد سنة أتاه ، فقال له : ما جاء بك يا أزهر . قال : أتيت عائدا قال : انه يقع فى خلدى أنك جئت طالبا : قال : ما جئت الا عائدا . قال : قد أمرنا لك باثنى عشر ألفا ، واذهب فلا تأتنا طالبا ولا مسلما ، ولا عائدا ، فأخذها وانصرف .

فلما مضت السنة أقبل ، فقال له : ما جاء بك يا أزهر . قال : دعاء كنت أسمعه منك يا أمير المؤمنين : جئت لأكتبه ، فضحك أبو جعفر ، وقال : انه دعاء غير مستجاب ، وذلك أنى دعوت ربى ألا أراك ، فلم يستجب لى ، ولم يعطه شيئا .

فلاح كسرى

قيل وقف كسرى على فلاح مسن يغرس نخلا ، فقال له : أترجو أن تأكل من ثمر هذا النخل وهو لا يثمر الا بعد سنين كثيرة ، وأنت قد فنى عمرك ؟

فقال : أيها الملك غرسوا فأكلنا ، وغرسنا فيأكلون ، فأعجب به كسرى وأعطاه ألف دينار ، فأخذها الفلاح وقال :

أيها الملك ما أعجل ما أثمر هذا النخل !! فزاده ألفا أخرى ، فقال الفلاح :

أيها الملك وأعجب من كل شىء أن النخل أثمر فى السنة مرتين !

فأثنى كسرى على نشاطه وذكائه ، ورتب له معاشا شهريا .

خطأ الطبيب

اشتغل رجل بالتصوير فترة من الزمان ، ثم تركه لأنه لم يكن ماهرا فيه ، واشتغل بالطب ، فلقيه أحد أصدقائه ، وقال له : لقد أحسنت لأنك لما رأيت خطأ التصوير ظاهرا للعين ، وخطأ الطب يواريه التراب تركت التصوير ودخلت فى الطب .

صوت الرحمة

كان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك أيام خلافته ، فسمع صوت رعد ، ففزع سليمان منه ، فقال له عمر : هذا صوت رحمته ، فكيف صوت عذابه .

الواعظ المجنون

أراد أحد الملوك مشاهدة المجانين ، فلما دخل عليهم وجد فيهم شابا حسن الهيئة فدنا منه ، وسأله عن أشياء كثيرة ، فأجابه عن جميعها بأحسن جواب ، ثم ان المجنون قال للملك : انى أسألك سؤالا واحدا ، قال وما هو ؟ قال : متى يجد النائم لذة النوم ، فقال : حال نومه ، فقال المجنون : ان النائم فى حالة النوم ليس له احساس ، فقال الملك : قبل النوم ، فرد عليه : كيف توجد لذته قبل وجوده ، فقال : بعد النوم ، فرد عليه : كيف توجد لذته وقد انقضى ، فزاد اعجاب الملك بالمجنون واختاره نديما له ، وفى مجلس الشراب تناول الملك الكأس ، وناول المجنون كأسا أخرى ، وقال له : اشرب ، فقال المجنون : أيها الملك أنت شربت هذا لتصير مثلى ، فأنا أشربه لأصير مثل من ، فاعتبر الملك ، ورمى بالكأس من فوره .



الحرية في الإسلام

للاستاذ
عبد المنعم محمد الشيخ

تنتظم الشريعة الاسلامية كنوزا نادرة ثمينة من التشريعات . ينابيعها النصوص القرآنية والسنن المحمدية ، والأنماط الفذة الفريدة من قدوة الرجال والأخلاق . ولا محل لاتهام هذه الشريعة الغراء على رغم ما نراه اليوم من ضعف وتخاذل بين المسلمين ، اذا وضعوا فى مجال القياس بغيرهم ، اذ الحق هو الحق ، ولا يمكن أن يصير باطلا ، لانصراف الناس عن اتباعه ، ولو التزم المسلمون جادة شريعتهم ، وعاشوا حدودها أمرا ونهيا ، لبلغوا اليوم ما بلغه أسلافهم من عز ومنعة ومجد .

وفى الحرية بمفهومها فى الاسلام ، دواء وشفاء من كل داء تشكو منه المجتمعات فى عصرنا الحديث ، فهى نمط فريد متميز عن المفهومات المتطرفة للحرية ، والتى تتأرجح بين وأد الحرية الفردية ، أو تقديسها الى حد الفوضى .

وتتلاقى جميع النصوص الواردة فى شريعتنا الغراء عن الحرية حول مفهوم مؤداه :

أن الناس جميعا ولدوا أحرارا ، ويجب أن تصان لهم حريتهم فى الحياة ، وأن تبقى هذه الحرية مطلقة فى كل شىء ، الى أن تصطدم هذه الحرية بخير الفرد نفسه أو خير المجتمع ، وحينئذ يجب أن تقيد هذه الحرية فى حدود منع الشر عن الناس .

واذا كان الاسلام يقرر اطلاق الحريات للأفراد ، فانه من ناحية أخرى يشترط

الا يكون فى ذلك طغيان على حريات الآخرين ، أو اضرار بصالح الدين والدولة ، كأن يستغل الفرد حريته ، فيطعن فى الاسلام أو يفشى أسرار وطنه الى الأعداء ، حينئذ يجب على الدولة أن تتدخل بتقييد حرية ذلك الفرد ، حرصا على مصلحته الذاتية ، ومصلحة الدين والوطن ، وقيد الحرية فى هذا المجال ، لا يعتبر فى الواقع قيدا ، وانما يعتبر تنظيما وصقلا واستكمالا لهذه الحرية .

ولننظر الآن فى موقف الاسلام من الحريات التى كفلها للانسان: قال الله تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم » وكان أبرز مظاهر هذا التكريم أن دعا الاسلام الى تحرير الفكر ، فحث الانسان على التدبر وانعام النظر فى كل ما يحيط به فى الارض أو فى السماء ، ليفتح مغاليق هذا الكون ويكشف اسراره ، قال تعالى : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، والى الأرض كيف سطحت » وأمثال هذه الآيات البينات كثيرة فى الكتاب الكريم . ومن المبادىء الاسلامية المقررة : « أن من اجتهد فأصاب فله أجران ، أجر اجتهاده ، وأجر اصابته ، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد ، أجر اجتهاده » وقد كانت حرية الرأى مكفولة فى عهد الخلفاء الراشدين ، وفى عهد الأمويين والعباسيين ، الا ما كان منها مهددا لسلامة الدولة .

وفى رحاب هذه الحرية الفكرية ، ظهر الخلاف فى فهم نصوص القرآن الكريم ، ونصوص الحديث الشريف ، واستنباط الأحكام ، فتعددت مدارس تفسير القرآن ، واختلفت مذاهب علماء الكلام ، وكثر الجدل بين الفرق . وبهذه الحرية خلف المسلمون تراثا فكريا ضخما فى ميادين التفسير والفقه والأصول والكلام والفلسفة والتصوف . وفى رحاب هذه الحرية الفكرية أيضا انطلق مفكرو الاسلام ينعمون النظر فى التراث الانسانى السابق عليهم فصقلوه وأضافوا اليه الكثير ومنهم أخذت أوربا .

وكما دعا الاسلام الى تحرير الفكر ، دعا كذلك الى تحرير الجسم ، وكان الاسلام هو الدين الأول الذى حارب الرق وحصره فى اضيق نطاق فى الوقت الذى عمل فيه للقضاء عليه ، ويتضح ذلك فى كفارة القتل الخطأ وكفارة الظهار وغيرهما . وفى مصارف الزكاة ، عد الاسلام من بينها تحرير الرقاب ، وجعل التحرير من الرق قربة لله وطريقا الى جنته ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من أعتق رقبة مؤمنة فهى فكاكه من النار » وقال « اتقوا الله فى الضعيفين المرأة والرقيق » وقال « لا يقل أحدكم عبدى وأمتى ، كلكم عبيد الله ، وكل نسائكم اماء الله ، ولكن ليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى » .

حرية العقيدة

والحرية الدينية أو حرية العقيدة ، من الحريات التى قررها الاسلام ودعا اليها. قال الله تعالى : « لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى » وقال : « افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » . وقال : « ان أنت الا نذير » (انما أنت منذر ولكل قوم هاد) (فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ، ان عليك الا البلاغ) وقال : « وان كان كبر عليك اعراضهم ، فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى » وأمثال هذه الآيات التى تدعو الى حرية العقيدة متعددة وكثيرة فى القرآن الكريم .

والشواهد التاريخية كثيرة على كفالة الاسلام لحرية عقائد أهل الكتاب ، ومن ذلك ان النبى عليه الصلاة والسلام ، وادع يهود المدينة ، وجعل لهم من الحقوق ما للمسلمين ، وأخذ على المسلمين عهدا بألا يتعرضوا لكنائس النصارى بالهدم أو التخريب ، وتواترت السنة المطهرة بالنهى عن ايذاء أهل الذمة ، وبتقرير حقوقهم قبل المسلمين : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » و (من آذى ذميا فليس منا) وقال صلى الله عليه وسلم « من ظلم معاهدا ، أو انتقصه حقه ، أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس ، فأنا حجيجه يوم القيامة » أى خصيمه .

وفى وصية رسول الله عليه السلام الى قائده معاذ بن جبل تحددت معالم العلاقة بين الاسلام والمسيحية ، قال الرسول : « انك تأتى قوما من أهل الكتاب، فادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله ، وأنى رسول الله ، فان هم أطاعوا لذلك ، فاعلمهم بأن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوا لذلك ، فاعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وتعطى لفقرائهم ، فان هم أطاعوا لذلك ، فاياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فانه ليس بينها وبين الله حجاب » . ولا أدل على تسامح الاسلام فى هذا المجال من قصة رهط النصارى الذين قدموا الى النبى عليه السلام ، ليتحدثوا معه فى شئون دينية ، فلما حان موعد صلاتهم ، استأذنوا النبى ليصلوا خارج المسجد النبوى ، فأبقاهم النبى وأذن لهم بالصلاة فى المسجد .

وفى عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق ، تعاهد خالد بن الوليد مع أهل الحيرة على ألا تهدم لهم بيعة ولا كنيسة ، وألا يمنعوا من دق نواقيسهم أو الخروج بصلبانهم فى يوم عيدهم .

وسار الخليفة الثانى عمر بن الخطاب على نفس الدرب فى احترام حرية العقيدة ويروى أنه لما حانت الصلاة وهو فى كنيسة بعد فتح بيت المقدس ، دعاه البطريرك الذى كان يرافقه الى أداء الصلاة بالكنيسة فرفض عمر لا لأن الصلاة لا تجوز فيها ، ولكن خوفا من أن يحولها المسلمون بعد ذلك الى مسجد . ولقد كتب عمر عهدا لأهل (ايليا) أمنهم فيه على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ، وأوصى وهو على فراش الموت بأهل الذمة خيرا ، قال « أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة خيرا ، وأن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ، ولا يكلفهم فوق طاقتهم » .

ولقد كانت سياسة التسامح تجاه الأديان الأخرى ، هى سياسة الاسلام التى التزمها ، ولم يحد عنها فى وقت من الأوقات ، وأقوال رجال الدين المسيحى، هى خير شاهد فى هذا المجال : قال البطريرك عيشويا يه المتولى من سنة ٦٤٧ الى سنة ٦٥٧ م ما نصه : « ان العرب الذين مكنهم الرب من الأرض والسيطرة على العالم ، يعاملوننا كما تعرفون ، انهم ليسوا بأعداء للنصرانية ، بل يمتدحون ملتنا ، ويوقرون قديسنا ، ويمدون يد المعونة الى كنائسنا وأديرتنا » ويقول الأسقف حنا ، أسقف نقيوس فى كتاب له عن تاريخ الكنيسة ، عن عمرو بن العاص : (لم يضع يده على شىء من ملك الكنائس ، بل انه حفظ الكنائس ، وحماها الى آخر مدة من حياته) وكان المسلمون هم الذين رأبوا الصدع بين المذهبين المسيحيين بمصر وهيأوا لكل فريق منهما حرية التعبد والعقيدة .

والتاريخ يعمر بالامثلة الكثيرة على عناية خلفاء المسلمين وولاتهم باصلاح أماكن العبادة لغير المسلمين ورعايتها ، ومجاملة المسيحيين فى المناسبات والأعياد ، وكان ذلك واضحا فى عهد الفاطميين كما كان صلاح الدين الأيوبى يزور رعاياه من نصارى العرب ، ويقدم لهم الهدايا ويستجيب لرغباتهم ، وكان يشمل بهذه العناية والرعاية أيضا ، من يمر ببيت المقدس من المسيحيين الغربيين . وفعل مثل ذلك ملوك المسلمين بالأندلس ، فكانوا يزورون رعاياهم من المسيحيين ، ويوجهون لهم التهانى فى المناسبات والأعياد .

مما سبق ، وهو قليل من كثير يضىء صفحة التاريخ الاسلامى ، يتضح لنا أن الحرية الدينية بدأت مع فجر الاسلام وظلت على الدوام ، جزءا أساسيا من منهجه ونظامه ، فالاسلام — اذن — لا يحمل الناس عليه بالسلاسل ، اذ لا فائدة من التظاهر باعتناق الاسلام والقلب مطوى على الحقد والنفاق . قال الله تعالى: « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن » وقال : « افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » فالايمان القوى الراسخ هو ما انبعث عن يقين واقتناع لا عن رهبة وخوف . لقد أراد أحد الأنصار أن يحمل بنيه على الاسلام فنهاه عن ذلك الرسول عليه الصلاة والسلام ، وبهذا المنهج القويم حطم الاســـــلام قواعد التقليد ، ونهى عن اهمال التدبر والتفكير الحر فى اعتناق العقيدة .
اهمال التدبر والتفكير الحر فى اعتناق العقيدة .

والاسلام دين السلام والرحمة ، لم يأمر بقتال أهل العقائد الاخرى ، الا أن يكونوا قد اعتدوا أو نقضوا العهود والمواثيق . قال الله تعـــالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » والرسول صلى الله عليه وسلم ، ظل يسالم المشركين ، فلما أبوا الا الاعتداء على المسلمين ، قاتلهـــم بقوة ذودا عن الاسلام ، ذلك الدين القيم . فالاسلام يكره العدوان ، ولكنه يدعو الى القوة فى لقاء المعتدين . قال تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » . وقال : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » وقال صلى الله عليه وسلم « أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فاذا لقيتم فصابروا »

ويعلمنا التاريخ أن عدد القتلى فى معارك النبى بالجزيرة كلها لم يزد على المائة ، فأين هذا مما فعله أعداء الاسلام من ابادة للمسلمين ابان حملاتهم على الشرق ، أو من حمامات الدم التى تريقها اسرائيل يوميا فى الأرض العربيـــة ؟ ! ويعلمنا التاريخ كذلك ، ان الاسلام قد رفرفت رايته فى أراض واسعة كاندونيسيا وغرب افريقية ، دون أن يرفع المسلمون فى هذه الجهات سيفا أو يقيموا دولة ، ولعلك تسمع وتقرأ اليوم عن كثير من الناس فى مختلف الدول ، يدخلون فى دين الله أفواجا بعد دراسة حرة متدبرة للاسلام .

الحرية السياسية :

والحرية السياسية ، واحدة من الحريات التى كفلها الاسلام وأكدها ، وتقوم الحرية السياسية فى الاسلام على الشورى ، التى تعتبر من أصول الحكم فى صريح تعاليمه ، وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالشورى بعد غزوة أحد ، وجاء فى سورة آل عمران قوله تعالى : « فبما رحمة من الله لنت

لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله » وفى الحديث : « ما تشاور قوم قط الا هدوا لأرشد أمورهم » وعن ابى هريرة : « لم يكن أحد أكثر استشارة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وقد أخذ الرسول عليه الصلاة والسلام بهذا المبدأ ، وكان كثيرا ما يستشير أصحابه فى المواقف التى لم ينزل وحى بشأنها ، وقد أخذ عليه الصلاة والسلام بمشورة سلمان الفارسى بحفر خندق كبير عميق حول المدينة ، ليقيها من هجمات الكفار ، وسميت هذه الغزوة لذلك بغزوة الخندق ، وكذلك كانت الشورى سنة متبعة عند خلفاء النبى ، فكان أبو بكر يستشير الصحابة فيما يعرض له من شئون الجماعة ، وكان عمر يمنع كبار الصحابة من الخروج من المدينة لحاجته الى استشارتهم . قال أبو بكر : « انى وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى ، وان أسأت فقومونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فان عصيته ، فلا طاعة لى عليكم » وقال عمر : « ان رأيتم فى اعوجاجا فقومونى » .

مما سبق نرى أن الديمقراطية التى تقوم أساسا على الشورى هى من أصل تعاليم الاسلام ، ولم تأخذ بها حكومات الغرب الا بعد ثورات طاحنة دامية ، ومع ذلك فان الديمقراطية عندهم لم توفق فى تحقيق المساواة الاقتصادية بين أفراد المجتمع الواحد ، هذا ولا وجود لمعايب الديمقراطية الغربية فى النظام الاسلامى

وفى ختام هذا البحث عن الحرية فى الاسلام ، نشير الى أن مفاهيم الاسلام فى الحرية والاخاء والمساواة تصون كلها كرامة الانسان فى أرفع مستوى وأعلى سمت . قال الله تعالى : « انما المؤمنون اخوة » وقال : « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » . وقال صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، لا يخذله ، ولا يحقره ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، ماله ودمه وعرضه، ان الله لا ينظر الى صوركم وأجسادكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم ، التقوى ههنا (ثلاثا ، ويشير الى صدره) الا لا يبع بعضكم على بعض وكونوا عباد الله اخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث » وقال : « الناس سواسية كأسنان المشط الواحد ، لا فضل لأحمر على أسود ، ولا لعربى على عجمى الا بالتقوى » . وقال : « أشد الناس عذابا يوم القيامة من أشركه الله فى سلطانه فجار فى حكمه » وقال : « كلكم راع ، وكل راع مسئول عن رعيته » وقال صلى الله عليه وسلم حينما أرادت قريش اعفاء بعض الشريفات من اقامة الحد عليهن: « انما أهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

فى نطاق هذه الأخلاقيات العالية رسم الاسلام صورة للمجتمع القوى المتماسك ، الذى يستطيع أن يصمد ويعلو فوق الأحداث ، وفى رحاب هذه الاخلاقيات صمد وعلا المجتمع الاسلامى الاول وكون حضارة موفورة الثمار .

بين الفرد والجماعة

تحدث الكاتب فى مقاله السابق عن حماية الاسلام للملكية الفردية ، وهنا يتابع حديثه عنها مع القيود التى يراها الاسلام ضرورية لمنع العبث بالملكية الفردية وسوء استغلالها .
((الوعى))



فى الشريعة الاسلامية

للأستاذ : الغزالي حرب

١ ــ ومن مراعاة الاسلام لمصلحة الفرد ، أنه قدر فأحسن التقدير لسائر ظروفه وأحواله ، من قبل ومن بعد ، عند العمل . وعند الجزاء على العمل ، وهنا يتميز الاسلام فى عدالته الاجتماعية ، بميزة المراعاة الواعية المستوعبة لكل صغيرة وكبيرة من شئون الفرد ..

فالشيوعية تقول مثلا : (من كل شخص بحسب قوته ، ولكل بحسب حاجته) والاشتراكية تقول : (من كل شخص بحسب قوته ولكل بحسب عمله) .

أما الاسلام ــ وله المثل الأعلى ــ فيراعى القوة والقدرة على العمل ، ويراعى فى الوقت نفسه الجزاء على قدر العمل والوفاء بحاجة المحتاج . قادرا كان أو عاجزا ، والتقدير لماضى العامل وتاريخه ، وفى مراعاة كل ذلك ، ونحو ذلك قال فاروق الاسلام عمر ابن الخطاب كلمته الرائدة الخالدة التى سجلها له التاريخ بحروف من نور : « والله الذى لا اله الا هو ، ما أحد الا وله فى هذا المال حق أعطيه أو منعه ، وما أحد أحق به من أحد ، وما أنا فيه الا كأحدكم ولكنا على منازلنا من كتاب الله عز وجل ، وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فالرجل وبلاؤه فى الاسلام ..
والرجل وقدمه فى الاسلام ..
والرجل وغناؤه فى الاسلام ..
والرجل وحاجته فى الاسلام ..
والله لئن بقيت ليأتين الراعى بجبل صنعاء ، حظه من هذا المال وهو فى مكانه يرعى ، قبل أن يحمر وجهه .. » .

تلك هى الكلمة العمرية الجامعة الرائعة ، التى ترونها مثلا فى (ابن سعد ١ : ٢١٣ وفتوح البلدان

للبــــلاذرى ٤٤٠ والخــراج لأبى يوسف ٥١) . وقد طبق عمر هذه السياسة الاسـلامية العادلة ، ما استطاع الى ذلك سـبيلا ، مراعيا ما أمكنته مراعاته من العـمل .. والأقدمية .. والجهاد .. والحاجة ، دون أن يألو فى ذلك جهدا أو يدخر وسعا ..

وكأنى به — رضى الله عنـــه وأرضاه — يسـأل خالد بن عرفطة العذرى عما وراءه عقب قدومه من سفر :

كيف تركت النــاس يا خالد ؟ فأجابه خالد — كما روى ابن سعد والبـــلاذرى وغيرهما : « يا أمير المؤمنين ، تركت الناس يسألون الله أن يزيد فى عمرك من أعمارهم ، ما وطىء أحد القادسية الا وعطاؤه ألفان أو خمس عشرة مائة ، وما من مولود يولـد الا ألحـق فى مائة وجريبين فى كل شهر ، ذكرا كان أم أنثى ، وما يبلغ لنا ذكر الا ألحق على خمسمائة أو ستمائة !! » .

قال عمر : « الله المستعان ، انما هو حقهم أعطوه ، وأنا أسعد بأدائه اليهم منهم بأخذه ، فلا تحمـــدونى عليه ، فانه لو كان من مال الخطاب ما أعطيتموه ، ولكنى قد علمت أن فيه فضلا ، ولا ينبغى أن أحبسـه عنهم .. وذلك ما طوقنى الله من امرهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات غاشا لرعيته لم يرح رائحة الجنة !! » .

وروى الامام أحمد بن حنبل فى مسنده أن عدى بن حاتم الطائى ، قدم الى عمر بن الخطاب فى أناس من قومه الطائيين ، فأعطاهم عمر ولم يعط عديا ، لأنهم كانوا أشـد حاجة منه ، ولما كلمه عدى فى ذلك قال له عمر فى صراحة الحق وحسم العدالة : انما فرضت لقوم أجحفت بهم الفاقة وهم سادة عشائرهم لما ينوبهم من الحقوق .. !! » .

ومن رعاية الاســلام للقوة والحــاجة معا ، أنه كان يعطى المجاهد الراجل (سلاح المشــاة) سهما واحدا ، وكان يعطى المجاهد الفارس (سلاح الفرسان) سهمين أو ثلاثة أســهم ، كما كان يعطى الأعزب أو العزب سهما ، والمتزوج سهمين من الغنائم والفىء ..

ومعلوم أن الغنائم هى التى كانت تصلهم عن طريق الحرب ، وأن الفىء هو الذى كان يصلهم بدون حرب .

ذلك حديث مراعاة الاســـلام لمصـلحة الفرد باعتباره انســانا وعضـوا نافعا للمجتمع لا باعتباره آلة أو ترسا أو مسمارا فى آلة .

فما حديث مراعاة الاســـلام لمصلحة الجماعة والشـعب ، وهنا بيت القصيد ، وتلك هى المسألة ؟!!

من نواحى وظواهر مراعـــاة الاسلام لمصلحة الجماعة والأمة ما يأتى :

١ — فى الوقت الذى قدس فيه الاســلام حق الملكية ، اعتبر هذه الملكية وظيفة اجتماعية ، يجب أن تكون مصادرها ووســائلها حلالا ١٠٠٪ لا تشوبها أية شــائبة أو شــبهة ، كما يجب أن تكون هذه الملكية منتجة عاملة فى خدمة الأمة ، لا ملكية معطلة أو معوقة عن العمل والانتـــاج ، ولا ملكية مبعثرة هنا وهناك دون ما حســيب أو رقيب فذلك هو الترف المنـذر بالدمار فى قوله تعالى — وليس بعد كلام الله كلام — « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها فحق

عليها القول فدمرناها تدميرا » ..
وفى قراءة (أمرنا مترفيها) بتشديد الميم وتلك قراءة لهـــا هدفهـــا الاجتماعى ، ومغزاها الواضح .

ورضى الله عن عمر بن الخطاب الذى رأى فريقا من (أبناء الذوات) على عصره ، يعيشـــون عالة على المجتمع بمــا كان لهم من حسب ونسب وثروة وجاه ، ويتنقلون فى أنحاء المـــالك الاسلامية منعمين مترفين ، لا عاملين ولا منتجـين ، فأشــــفق عمر القوى الأمين من بطالتهم على المجتمع ، وسارع الى الحد من حريتهم فى التنقل والتنعم ، واســـتئثارهم بثرواتهم دون الأمة وعلى حســـاب المصلحة العامة ، وقال فى مواجهتهم كلمته العمـرية الخالدة التى ما تزال وستبقى منارا هاديا لكل حاكم عمرى قوى أمين :
« ألا ان أقواما يريدون أن يستأثروا بمــال الله دون عبــاده أما وابن الخطاب حى فلا .. انى قائم آخذ بحلاقيم قريش وبحجزها أن يتهافتوا على النار .. !!؟ » .

وكما يحرم الاسلام ترك الأموال مكنوزة معطلة عن العمل والانتــاج — وان أخرجت زكاتها — يحرم ترك الأرض معطـــلة عن الزراعة أو التعمير أو نحو ذلك من وســائل الانتفـــاع بها — وان أخذ عنهـا الخراج .. واذا عجز صـاحبها أو تعاجز عن الانتفاع بها فضــلا عن العمل فيهـا ألزمته الدولة بتأجيرها للقـادرين على زراعتها أو تعميرها وتعميم الانتفـــاع بها .. فان أبى صاحبها ذلك أيضـــا فللدولة حقها الاسلامى المشروع فى الاســـتيلاء عليها ، والانتفاع بها ، وجعلها فى خدمة المصلحة العامة — كما حقق ذلك العـــلامة أبو يعلى الفراء فى كتابه العظيم (الاحكام الســـلطانية ١٥٣ — ١٥٦) وهكذا سبق الاسلام منذ أربعة عشر قرنا من الزمان الى القـــول بمشروعية تدخل الدولة فى الملكيات الشـــخصية ، مراعاة للمصلحة العامة ، وتحقيقا للعدالة الاجتمـــاعية ، قبل أن تتغنى أوروبا وغير أوروبا فى العصر الحـــديث بالنظريات الاجتماعية الاشـــتراكية التى تدعو الى هذا التدخل الحكومى الحاسم ، ولاسيما (نظرية الفائض الاجتماعى) التى نادى بها (أفتاليون) و (نظرية شبه العقد) التى نادى بها (ليون بورجوا) .

٢ — وفى الوقت الذى قدس فيه الاسلام حق الحركة الكاملة لـــكل انسان منذ مولده حتى وفاته .. حدد الاسلام هذه الحرية بحدود المصلحة العامة التى نذكر منها على ســبيل التمثيل لا الحصر ما يأتى :

أ) حظر على الفرد المـــالك أن يوصى بمـــاله لأحد ورثتـــه لأنه (لا وصية لوارث) — كما قال عليه الصلاة والسلام — كما حظر عليه أيضـــا أن يوصى لغير الوارث بأكثر من ثلث ما له — وكل ذلك تلافيـــا لاختلال قواعد الميراث الاسلامى ، أو التحايل عليها ، أو التلاعب بها .

ب) وحرم بعض فقهاء الاســـلام المستنيرين (الوقف الأهلى) محتجين بقول الرســـول صلى الله عليـــه وسـلم ، بعد نزول آيات المواريث (لا حبس عن فرائض الله) لأن فى هذا الحبس الأهلى تهديدا أو شبه تهـــديد لحدود الميراث ، وتجميد للثروة وحيلولة بينها وبين التـــداول فى ميدان الانتاج العام ، كما أن فى هـــذا (الوقف الأهلى) محـــاباة للموقوف عليـــه أو عليهـــم من

الأقارب ، على حســـــاب الورثة الآخرين .. وفى مقدمة القـــائلين ببطلانه :

١ ــ حبر الأمة والصـــحابى الجليل عبـــد الله بن عباس رضى الله عنهما ..

٢ ــ والتابعى الجليل شريح بن عبد الله القاضى المشهور الذى ولاه عمر بن الخطاب قضـــاء الكوفة ، وأحســـبه أول قاض فى التاريخ الاسلامى ــ ان لم نقل فى التاريخ الانسانى ــ مارس القضاء والحكم بين الناس ، اثنين وسبعين عاما ، أو ســتين عاما ، كان طوالها المثل الأعلى للقاضى العادل الجرىء ..

٣ ــ واسماعيل بن الكندى قاضى مصر أيام الخليفة المهدى العباسى .

٤ ــ والامام الأعظم أبو حنيفـــة النعمان ، الذى قرر أن الواقف اذا علق الوقف بموته كان ذلك من باب الوصية لا من باب الوقف ، واذا لم يعلقه بموته لا عبرة به ، ولا نظر الى قوله ، ويجب أن توزع تركتـــه على ورثته فى حدود ما أنزل اللـــه من آيات المواريث ..

جـ) وشرع الاسلام (الشفعة) التى فيها ما فيها من الحد والتنظيم لحرية الفرد ، وقد عرفها فقهـــاء الاســلام بأنها (تملك العقار المبيع جبرا عن المشترى بما قام عليه من ثمن وتكاليف) ومن دقائق الفقـــه الاسلامى فى (الشفعة) أنه لا يقبل من صاحب الحق فى الشفعة تنازله عن هـــذا الحق ، مقابل مبلغ من المال ، ولا يقر مصالحته عن هــذا الحق ، أو بيعه له « وذلك لأن حق الشـــفعة ليس بمال ، حتى يجوز الاعتياض عنه ، ولأنه بمحاولته تلك دل على عدم رغبته فى اســتعمال هذا الحق فتسقط شفعته[١] » .

د) وكما قيد الاسلام حرية الفرد فى الشـــــفعة ، قيد حريته فى الشروط التى يشترطها فى عقـــوده على اختـــلافها ، بضرورة مراعاته للمصلحة العامة فى هذه الشروط .. مصداقا للأحاديث المحمدية الشريفة التى يكفينا منها هنا حديث البخارى ومسلم : (ما كان من شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل ، وان كان مائة شرط ، قضـــاء الله أحق وشرطه أوثق) . وحديث الترمذى وغيره : (النـــاس على شروطهم ما وافقت الحق) . وهـــذا المعنى الجماعى العام (هو الذى يشـــهد له الكتاب والســـنة) على حد تعبير الامامين الجليلين : ابن تيمية[٢] والشاطبى[٣]

هـ) وقيد الاســـلام حرية الفرد أيضا بمراعاة العرف والعـــادة وفى ذلك يقول أحد الفقهاء القـــدامى نظما :

والعرف فى الشرع له اعتبـــار
لذا عليه الحـــــكم قد يدار

وللفقيه الاسلامى الحنفى الشيخ محمد أمين المشـــهور بابن عابدين رســـالة فى العرف والعادة فليرجع اليها من شاء[٤] .

٣ ــ ومن مراعاة الاسلام لمصلحة الجمـــاعة ، أنه شرع الزكاة وقرنها بالصلاة فى ثمانين موضعا أو أكثر من آيات القرآن الكريم ، واعتبرها حقا اجتمـــاعيا وعمـــلا حكوميا ، لا مجرد احسان فردى ، أو فضل

(١) أنظر الزيلعى ٥ : ٢٥٧ والهداية ٤ : ٢٩ .
(٢) فتاوى ابن تيمية ٣ : ٣٣٣ .
(٣) الموافقات للشاطبى ٢ : ٣.٥ وما بعدها ..
(٤) ارجع الى (رسائل ابن عابدين) ج ٢ من : ١١٤ ــ ١٤٧ .

شخصي ، ولأجلها أعلن الخليفة الراشد الأول أبو بكر الصديق ، الحرب شعواء على مانعى الزكاة التى تعتبر من أعظم العوامل الطبيعية لتوزيع الثروة وتفتيتها ، حتى لا تتركز الملكية الشخصية الى حد التضخم الخطير : (كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم) ، وهذه الزكاة ، لا تعفى[1] دافعيها من الوفاء بسائر الحقوق الاجتماعية الأخرى التى تقتضيها المصلحة العامة ، ومانع الزكاة آثم فى حق الله والمجتمع ، ولا تقسم تركة الميت الا بعد اخراج ما عليه من زكوات منها : (ولو أدى ذلك الى ابتلاع التركة كلها) — كما فى (الأحكام السلطانية) لأبى يعلى الفراء ص ١٣١ .

٤ — ومن مراعاة الاسلام لمصلحة الجماعة ، أنه كما أقر مبدأ (الملكية الفردية) أقر مبدأ (الملكية الجماعية) ..

وما المراد بالملكية الفردية ؟

وما المراد بالملكية الجماعية ؟

الملكية الفردية — كما فى معجمات اللغة العربية — جوهرها (استيلاء الفرد على شىء احتوته قدرته الخاصة على الاستبداد به ، والاستئثار بمنفعته دون سائر الناس) .

وقد عرفها فقهاء الاسلام وفقهاء القانون المدنى ، تعريفات لا تكاد تختلف فى جوهرها :

١ — فالعلامة المحقق الكمال بن الهمام فى أول كتاب (البيع) من كتابه (فتح القدير) قد عرفها بأنها : (القدرة على التصرف ابتداء الا لمانع) .

٢ — وشهاب الدين أبو العباس أحمد بن ادريس الصنهاجى القرافى عرفها فى كتابه الأصولى البارع (الفروق) بأنها (حكم شرعى) قدر وجوده فى عين أو فى منفعة ، يقتضى تمكين من أضيف اليه من الاشخاص من انتفاعه بالعين أو بالمنفعة أو الاعتياض عنها ما لم يوجد مانع من ذلك ..) .

٣ — والاستاذ الدكتور محمد صالح عرفها فى (أصول الاقتصاد) بأنها : (حق المالك فى الانتفاع بماله المملوك له على وجه التأبيد والتصرف فيه بطريقة مطلقة ، دون من عداه من الناس) .

وهذه (الملكية الفردية) التى اعترفت بها الشرائع السماوية ، والقوانين الوضعية ، قد مرت بأطوار شتى ، وأحوال مختلفة ، عبر الدهور والاجيال ، ولتفصيل ذلك مقام غير هذا المقام ..

وحسبنا الآن أن نقرر فى ايجاز شديد أن الاسلام أشرقت شمسه فى سماء الجزيرة العربية ، فوجد هذه (الملكية الفردية) معترفا بها لدى العرب فى البدو والحاضرة .. فأقرهم عليها ، ونسبها الى أصحابها فى كثير من الآيات والاحاديث والآثار مثل آية سورة البقرة (٢٧٩) (وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) . ومثل حديث أسامة ابن زيد الذى سأل الرسول صلى الله عليه وسلم حينما قدم مكة : أتنزل فى دارك يا رسول الله ؟ وحديث أن الرسول عقب هجرته الى المدينة أشرك المهاجرين مع الأنصار فى دورهم وأموالهم ، تقديرا منه لجهادهم وهم الذين كانت لهم ديارهم وأموالهم وممتلكاتهم قبل الهجرة مصداقا لقوله تعالى فى سورة الحشر : « للفقراء المهاجرين الذين

(١) أنظر المحلى لابن حزم ٦ : ١٥٦ .

أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا .. » .

وقد سبق أن نقلنا عن المسعودى وابن سعد وغيرهما ما تيسر من (احصائيات) للثروات الضخمة التى كان بعض الصحابة يملكونها ملكية خاصة ، كما سبق أن قلنا إن رسول الاسلام نفسه صلوات الله وسلامه عليه ، كان يملك وحده نصف قرية (فدك) القريبة من خيبر بالمدينة .. وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم حاولت ابنته فاطمة الزهراء ، أن ترثها فأبى عليها أبو بكر ذلك محتجا بما سمعه من رسول الله : (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة ..) وظل نصف هذه القرية بعد وفاة الرسول ملكا عاما للأمة طوال خلافة أبى بكر وصدرا من خلافة عمر .. الذى جعلها أخيرا كلها للأمة عامة ، بعد أن اشترى نصفها الآخر من ملاكه وأعطى كلا منهم عوضا عما كان يملكه ..

وفى الوقت الذى أقر الاسلام فيه مبدأ الملكية الشخصية لصاحبها دعا كل مالك الى الانتفاع بما يملكه ، حتى لا يقف دولاب العمل والانتاج ، كما أجاز الملكية الجماعية أو الملكية العامة للأمة التى يعبر عنها فى عصرنا الحديث باسم (التأميم) استجابة لمقتضيات المصلحة العامة التى استجاب لها الرسول وخلفاؤه الراشدون ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، ولكل عصر ظروفه وأحواله . ومقتضياته وملابساته ، كما استجاب لها كثير من أثرياء الصحابة طوعا لا كرها ، من طراز عثمان بن عفان الذى اشترى ما كان يعرف ببئر معونة وجعلها ملكا عاما للأمة .

وهذا الذى نسميه نحن اليوم (تأميما) سماه فقهاء الاسلام (حماية) ومن ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر ، قول الامام الشافعى رضى الله عنه فى الجزء الثالث من كتابه (الأم) ص ٢٧٠ ما يكفينا منه (ان حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيه صلاح لعامة المسلمين ..) .

وذلك ما عبر عنه بأساليب مترادفة تقريبا الماوردى فى (الاحكام السلطانية) ص ١٦٤ ، والقاضى أبو يعلى فى (الاحكام السلطانية) ص ٢٠٦ وأبو عبيد القاسم بن سلام فى كتابه (الاموال) ص ٢٢٩ .

وفى ظلال المصلحة العامة أجاز الاسلام الملكية الجماعية (والتأميم) للمرافق العامة ، التى تختلف باختلاف العصور والأحوال ، وكانت هذه المرافق أيام رسول الاسلام لا تكاد تتجاوز (الماء) و (الكلأ) و (النار) و (الملح) وأصبحت اليوم تشمل — فيما تشمل — (الكبريت) والنفط (البترول) و (الغاز) و (الكهرباء) و (الفحم) و (المعادن) و (المصائد) و (مواد النقل العامة) و (القوى المحركة) . و (القوى الذرية والنووية والصاروخية) .. وما الى ذلك من المرافق أو المنافع العامة التى جدت وتجد على ممر الأيام ، مصداقا لقول القرآن الكريم (ويخلق ما لا تعلمون) فتصبح ملكا للأمة تتولى حكومتها ادارتها .

ومن الاحاديث المحمدية الصحيحة التى يستدلون أو يستأنسون بها فى هذا المقام الحديث الذى رواه أحمد وأبو داود وغيرهما عن رسول الله ونصه (الناس شركاء فى ثلاث : الماء والكلأ والنار) وفى حديث آخر (والملح) .

ولكن ما نوع الشركة التى يعنيها الرسول بهذا الحديث ؟

أهى شركة اباحة للانتفاع ، أم هى شركة ملكية ؟

قال الأستاذ المرحوم الدكتور محمد يوسف موسى ص ٢٦٢ من كتابه الجليل (الفقه الاسلامى : مدخل لدراسة نظام المعاملات فيه) ما نصه بعد أن نسب هذا الحديث الى كتاب (الاموال) لابن سلام ص ٢٩٥ : (والكلأ هو الحشيش الذى ينبت من نفسه فهو مباح لكل الناس ، ولو كان فى أرض مملوكة لبعضهم ، ولكن ان أحرز انسان شيئا منه ، صار ملكا خاصا له ، ومن أوقد نارا ولو فى مكان مملوك له ، كان لكل أحد حق الاستضاءة والاصطلاء بها والقبس منها ، وان كان لصاحبها المنع من دخول المكان المملوك له الا باذنه ، ومن ذلك كله يتبين أن الشركة التى يتكلم عنها الرسول انما هى شركة اباحة للانتفاع لا شركة ملك فيه ..)(١) .

وقال القاسم بن سلام فى تفسير هذا الحديث الشريف ما نصه ص ٢٩٧ من كتابه (الاموال) : « .. وذلك أن ينزل القوم فى أسفارهم وبواديهم بالأرض فيها النبات ، الذى أخرجه الله للأنعام ، مما لم ينصب فيه أحد بحرث ولا غرس ولا سقى فهو لمن يسبق اليه ، ليس لأحد أن يحتظر منه شيئا دون غيره ، ولكن ترعاه أنعامهم ومواشيهم ودوابهم معا ، وترد الماء الذى فيه كذلك أيضا .. » .

وذهب علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاسانى فى الجزء السادس من كتابه (بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع) ص ١٦٣ الى أن الكلأ لا يجوز بيعه لأنه مباح ومرعى لماشية الجميع(١) .



---

(١) ألاحظ أن بعض الذين تكلموا عن هذا الحديث توسعوا فيه ولم يراعوا الحالة التى قيل فيها .. فالكلأ كان ينبت فى الصحراء وهى غير مملوكة لأحد وكان من الطبيعى أن يكون ما ينبت فيها ملكا للناس جميعا لا يمنع أحد أحدا الانتفاع به . وهذا بالطبع غير الحشيش الذى ينبت فى أرضى وأرضك فهو مملوك لى ولك تبعا للارض .. أما المياه العامة كالنيل مثلا فملك للناس جميعا أما ان كانت بئرا خاصة فهى ملك لصاحبها . وعثمان قد اشترىبئرا من صاحبها اليهودى ووقفها فليست كل بئر مملوكة ملكية عامة . وهكذا لا بد أن تراعى الظروف التى قيل فيها هذا الحديث ولا نتوسع فيه هذا التوسع لاسيما والانتفاع بما قاله الرسول غير الانتفاع الذى قيل عنه فى الاشياء التى ذكروها لان الانتفاع بها مقيد بدفع ثمنها .

« الوعى »

(٢) وهذا وسابقه يؤيدان ما قلناه فى الهامش السابق من الفرق بين ما أفاده الحديث وبين ما قاسوه عليه .

« الوعى »



محمد إقبال

والكشف عن: ايجابية الإسلام وتقدميته

للأستاذ: أنور الجندي

((ليست غاية الاسلام منحصرة فى الواردات الذاتية التى تجعل المرء بمعزل عما حوله من الاشياء وعمن حوله من الناس بل بناء للتربية التى تجعل الفرد صالحا لأن يكون منه ومن غيره مجتمع صالح له أنظمته القويمة)) .

((اقبــال))

اذا ذكر تاريخ التجديد فى الاسلام فشمل فى القديم . ابن تيمية والغزالى وابن حزم وابن خلدون ، فانه فى العصر الحديث يضم : جمال الدين ومحمد عبده والكواكبى واقبال وفريد وجدى . وقد أخذ (اقبال) مكانه فى هذه الطبقة الاولى من المجددين لأنه وصل الاسلام بالحياة ، وكشف عن جوانب الايجابية والتقدمية الواضحة فى تعاليم الاسلام ، وانه أحس فى ضوء الحضارة البشرية الضخمة أنه لا بد من تجديد لمفاهيم الاســـلام ، مستمدة من أصوله وقيمـــه ومفاهيمه الاساسية التى أصابها ركام من الجمود والتقليد والهوى خلال فترة الضعف التى مرت بالعالم الاسلامى ، ولقد كان اقبال منذ تطلع الى دعوة اليقظة ينظر الى الامة العربية على أنها مصدر النور ، وأمل المستقبل ، وأن فى نهوضها يقظـــة للعالم الاسلامى كله ، وتنبأ بأنها كما كانت فى الماضى ينبوع التوحيد فستكون فى المستقبل مصدر الوحدة والحرية .

أمة الصـــــحراء يا شـــعب الخلود **من ســـواكم حـــل أغـــلال الورى**
أى داع قبلـــــكم فى ذا الوجـــود **صـــاح لا كسرى هنـــا أو قيصرا**
من ســـــواكم فى حديث أو قـــديم **أطلع القـــرآن صـــبحا للرشـــاد**
هاتفا مع مســـمع الــكون العظيم **ليس غيـــر الله ربـــا للعبـــاد**

ومنذ البواكير الاولى لحياة (اقبال) كان طابع فكره وحياته جميعا يرسم الصورة التى عاشها من بعد ، فقد وجهه أبوه فى مطالع حياته فقال له : « اقرأ القرآن كأنه أنزل عليك » يقول « ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن وأقبل عليه فكان من أنواره ما اقتبست ومن بحره ما نظمت » . « من الخطأ الظن أن الثقافة الاسلامية نشأت تحت تأثير الثقافة اليونانيـــة ، فواقع الامر أن أخذ العرب والمسلمين بالفلسفة اليونانية ، قد أخر ظهور العلم العربى وانطلاق الثقـــافة الاسلامية خلال قرنين كاملين ، وحين ولدت الثقافة الاسلامية بعد أن تحررت من الروح اليونانية ، كان معنى ذلك ولادة الروح الاستقرائية وبالتالى (الطريقة التجريبية) التى ترجع اليها نشأة العلوم الوصفية ، والرياضـــية والفزيائية وغيرها ، وانتقلت من العرب الى الغرب ، وارساء قواعد الطريقة التجريبية الاستقرائية هذه فى العلوم التى أخذتها مدرسة أكسفورد وروجر بيكون من بعد كانت أكبر مساهمة للعرب فى نهضة الغرب ، بل وأكبر من أية نظرية علمية أبدعها الغرب . وقد تميزت روح الثقافة الاسلامية بأمرين : الايمان بوحدة الجنس البشرى الذى كان دعوة وعقيدة أكثر مما كان فى غيره من الاديان ، وانتشار الحس التاريخى وخاصة بعد ابن خلدون » .

ومن هذا الايمان بأن الفكر الاسلامى هو صاحب القاعدة العلمية التى قامت عليها الحضارة وعنده بناء على هذا أن المدنية المعاصرة استمرار لروح الاسلام ، وأن مولد الاسلام كان مولد العقل الذى يبحث بطريق الاستقراء ، وقد كان العقل القديم عقلا استنتاجيا وان الاسلام هو مصدر الفكر المعاصر ، والعالم المعاصر ، **غير أن اقبال يعقب على ذلك بأن هذه الحضارة قد انحرفت عن مقوماتها الاصيلة ، وان محنة الغرب هى فى حقل الاخلاق والسياسة العملية وأن أوربا فشلت فى علم الاجتماع ، وأنها لم تعط هذه الحضارة انسانيتها ، بل أقامتها على أساس الاستعمار والتفرقة العنصرية ، واستذلال الشعوب التى سقطت فى قبضتها ، وأن الفكر الغربى وضع حلولا لمختلف القضايا جردتها من الروح ، وقصرتها على المـــادة ، وبذلك انفصلت عن مقومات الروح الاسلامية ، التى تجمع بين الروح والمـــادة ، والعقل والقلب ، والدنيا والآخرة ، والتى تسوى بين البشر ولا تفاضل بينهم .**

ومن عجب أن هذا الرأى الذى يدين به (اقبال) لم يسبقه اليه أحد ، ولا يشاركه فيه الا العلامة « فريد وجدى » ولا أظن أن أحدا منهما قرأ للآخر ، وانما استمدا هذا الرأى من عمق النظر لا غير .

وعنده أن تربية الذات لها مراحل ثلاث : الطاعة ، وضبط النفس ، والنيابة الالهية ، ودعا الى التأليف بين الفرد القوى والذات الكاملة ، وبين الجماعة التى يعيش فيها ، فالامة تنشأ من اختلاط الافراد وكمال تربيتها ، وقال : ان الامة الاسلامية قامت على ركنين : التوحيد والرسالة . والتوحيد من شأنه أن يزيل

اليأس والخوف والحزن ، ومقصد الرسالة المحمدية : الحرية والمساواة والاخاء بين بنى آدم ، « فهى أمة لا يحدها زمان ودوامها موعود ، وقانونها القرآن » .

الامومـــــة

ومجد (اقبال) الامومة التى عليهابقاء النوع ، وحيا المرأة فى شعر رائع .
« خلقتك الطاهرة لنا رحمة ، وأنتقوة للدين وحصن للملة ، يا من تفطمين فينا الوليد ، على كلمـــة التوحيد ، انحبك لينجب أطوارنا ، ويصور أعمالنـــا وأفكارنا ، وبرقنا الذى رباه ســحابكالوضاء عشى الجبال وطوى الصحراء ، يا أمينــــة على الشرع المبين ، ان فىأنفاسك حياة الدين ، احذرى الزمان فى سيرك وضمى أولادك الى صدرك . . »

ويقول « ان شـــفقة الام كشفقةالنبى فى أنها تقرر المنهج لسيرة الاقوام ، انما تتقوى نشأتنا بالامومة ويبدو طالعنافى خطوط وجهها » .

الشعر أداته

ولقد اتخذ اقبال الشعر سلاحه فى اذاعة فلسفته ، والشعر يفعل فعل السحر ايقاظا للأمم ، وتحميسا للعزائم ، واعادة الثقة بالثقافة الاسلامية يقول : « على رماد الثقافة الغربيـــة المحترقة يمكن أن تولد ثقـــافة أفضل وأبقى متى استمسكنا بعرى القرآن ، لئن أصبح أحد العوالم بائدا ، أعطى القرآن عالمـــا آخرا » .

وهكذا كان اقبال داعيا الى بعث الاسلام فى ثوب جديد ، وبعث للحيـــاة والقوة فى قومه ، ودعوة الى النهوض ، والاسلام عنده (دين مفتوح) . رسالته الانسانية ليس لها حدود زمانية أو مكانية ، وبه قوة كافية تستطيع أن تحرر النفوس البشرية من قيود العصبيات والالوان والاجناس .

واقبال مؤمن بأن الحضارة الحديثة هى من صنع الفكر الاسلامى . يقول ان الحركة فى الجماعة الاسلامية تكون بالاجتهاد ، وأن أقوى أسباب ضـــعف المسلمين هو ترك الجهاد . وأعلن أن (الغاية القصوى للنشاط الانسانى هى حياة مجيدة فتية مبتهجة ، وكل فن انسانى يجب أن يخضع لتلك الغاية ، وقيمة كل شىء يجب أن تحدد بالقياس الى تلك القوة على ايجاد الحياة وازدهارها ، وأعلى فن هو ذلك الذى يوقظ الارادة النائمة فينا ويشجعنا على مواجهة الحياة فى رجولة ، وكل ما يجلب لنا النعاس ويجعلنا نغمض عيوننا عن الحقيقة الواقعة فيما حولنا هو انحلال وموت) .

من الداخل يكون التغيير

هكذا فهم (اقبال) الاسلام ، ودعا اليه ، وحمله شعره ، وجعله نشيده وصيحته ، الايجابية والبناء والقوة والحياة والعمل ، ولكن فلسفة القوة عنده ليست عنفا ولا ايذاء ولا أنكارا للضعفاء ، بل هى فلسفة الاسلام نفسه سموا

واخوة وتضامننا وعنده أن تحول الامم لا يكون الا بتحول أعماق نفوسها « على أمم الشرق أن تتبين أن الحياة لا تستطيع أن تبدل ما حولها حتى يكون تبدلها فى أعماقها ، وأن عالما جديدا لا يستطيع أن يتخذ وجوده الخارجى حتى يوجد فى ضمائر الناس قبلا ، هذا قانون القرآن « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » انه قانون يجمع جانبى الحياة كليهما الفردى والاجتماعى » .

والدين عنده « ليس أحكاما جامدة ، ولا كهنوتية ، ولا أذكارا ، ولا يتيسر الا بالدين تهيئة الانسان المعاصر لحمل العبء الثقيل الذى يحمله اياه تقدم العلوم فى عصرنا ، والدين وحده يرد اليه الايمان والثقة اللذين ييسران له اكتساب شخصيته فى هذه الدنيا والاحتفاظ بها فى الآخرة » .

وعنده أنه لا بد للانسان من الارتقاء ، وأنه لذلك لا بد من تصور جديد لماضيه ومستقبله ليستطيع التغلب على المجتمع المتنافر المتصادم ، ويقهر هذه المدنية التى فقدت وحدتها الروحية بالتصادم الباطنى بين الدين والمطامع السياسية .

وعنده أن سير (الدين والعلم) على اختلاف وسائلهما ينتهى الى غاية واحدة ، بل الدين أكثر من العلم اهتماما ببلوغ الحقيقة الكبرى .

ولقد أكمل اقبال دراسته الجامعية فى الكلية الشرقية بلاهور ، والتقى هنالك بأستاذه « توماس أرنولد » الباحث المنصف مؤلف كتاب (الدعوة الى الاسلام) ثم قصد الى أوربا فالتحق بجامعة كمبردج فى لندن وهيدلبرج فى ميونخ وأحرز أقصى ما يطمع فيه مثقف من درجات فى القانون والفلسفة ، وعاد الى وطنه عام ١٩٠٨ .

ومنذ ذلك التاريخ وحتى توفى فى ابريل ١٩٣٨ كانت دواوينه التسعة ترسم فلسفته الايجابية التقدمية المستمدة من الاسلام ، فى فهم عميق للحضارة والفكر الغربى ، واحساس كامل بحاجة أمته الى النهضة والانفلات من قيود الاحتلال .

كان ايمانه بأن «الاسلام» يستطيعأن يعطى أمته كما يعطى الانسانية ذلك الضياء الذى يصنع القوة والحياةوالحرية ، هو لب فلسفته ، ومن هنا أطلق على كتابه الذى ضمنه فكرته (اعادةبناء الفكر الدينى فى الاسلام) وليس (تجديد الفكر الدينى فى الاسلام) كماأطلق على الترجمة العربية له .

كان اقبال فى دعوته امتدادا لجمال الدينالأفغانى ومحمد عبده والكواكبى ، ولكن طريقه كان جديدا ، كان فهمهللفكر الغربى وايغاله فى دراسته قد أعطاه مفتاحا جديدا للتجديد الاسلامىلم يصل اليه من سبقوه فى الدعوة ، ولقد كان فى يقين اقبال وهو ينظمشعره ويكتب رأيه ما شاع بين المسلمين من ضعف وتخلف واتكالية جرتها اليهم المفاهيم الدخيلة فى مذاهب الحلول

ووحدة الوجود ، فكانت صيحته (ان من يصبح قريبا من الله هو شخص متقن) ولطالما ردد فى شعره كلمة (الرجل المتقن) مؤمنا بالعمل الجماعى الايجابى (ان النفس البشرية تستطيع فقط أن تنمو بالمشاركة مع النفوس الأخرى وليس بالعزلة) ولطالما أعلن اقبال أن باب الاجتهاد لم يغلق ، وأنه مبدأ الحركة والنمو فى الاسلام ، وكشف عن الفرق بين التعصب والتدين فقال .(ان التعصب يقف حائلا بين المرء والآخرين ،أما التدين الواعى المسئول فهو بمثابة جسر يوصل بين المرء وبين غيره يمكنه من أن يرعى مواطن الجمال فى الكون والآخرين) .

ولقد كشف عن آراء المسلمين فقال : لقد أكد الاسلام (الحرية) ولكن غلبة الاغراض السياسية أشاعت فى عامة المسلمين «جبرية» مشئومة ،

بين اقبال والمفكرين من الغرب

وقد جرت أحاديث عن ارتباط اقبال بالفكر الغربى فى نظريات كانت أو برجسون ، أورسل . وليس هناك ما يمنع من أن يكون اقبال قد استوعب كل هذه الفلسفات ، غير أن جذور كل الدعوات الانسانية الى الحرية والى العقل والى الدين انما تستمد من الفكر الاسلامى كأساس واضح .

وقد وافق اقبال ((كانت)) فى نقده للعقل الخالص وايمانه بعجز العقل وحده عن التوصل الى الحقيقة المطلقة ، وهذه هى نظرة الاسلام أساسا ، يقول اقبال: لا بد لادراك الحقيقة من الادراك الداخلى الذى يسميه ((القران)) القلب ، وليس القلب والعقل متناكرين ، وليس الفكر والالهام متنافرين ، فالدين لا يقنع بالتصور المجرد ، بل يطلب اتصالا بمقصوده ووسيلة ذلك ((العبادة)) والصلاة وسيلة استنارة روحية تعرف بها الذات الانسانية انها موصولة بحياة أوسع ، وكل طلب للمعرفة هو فى حقيقته صلاة ، فالباحث فى العلم الطبيعى هو كالصوفى فى صلاته ،وتزيد الصلاة قربا من مقصودها بالاجتماع ، والعبادة (فردية أو جماعية) هى أعراب عن تلهف الوجدان الانسانى الى استجابة فى صمت الكون الهائل .

ولم تكن رسالة اقبال مقصورة على قومه فى الهند أو العالم الاسلامى وحده ، بل لقد قدم ((الاسلام)) للفكر الانسانى كله وللغرب الحائر باعتباره القادر على حل مشاكله وأزماتهومعضلاته ، ومضى يقول : ان الانسان **العصرى قد أغشاه نشاطه العقلى ،وكف عن تغذية روحه ، ومن هنا واجه صراعا مع نفسه ، ومع مجتمعه)) .وقال : ان هدف الحضارة هو ارتقاء الانسانية والسمو بها وأن على الانسان أن يؤمن بنفسه وأن يفرض نفسه على الحياة ، لا أن يخضع لها)) .**

وقد انتزع اقبـال تقدير الباحثين ولقيت فلسفته الاسـلامية قبـولا من الدوائر المختلفة ووصف بأنه متميز لـه طابع بين دعاة الاسـلام ومصلحيه . يقول المستشرق هاملتون جب « انه حين تميزت كتابات المفكرين المسلمين الجدد بأنها أقرب الى أدب الدعاية والسياسة والدفاع والتبرير تغلب عليها العاطفـة أحيانا كثيرة ، فان كتاب اقبـال يتميز بالمعالجة العلمية الرصينة والفكر العميق والثقـافة الفلسفية العلمية الواسـعة الدقيقة » .

وبعد فان اقبال لم يكن شـاعرا وفيلسوفا فحسب ، ولكنه كان سياسيا وداعية الى تحرير الهند من الاستعمار البريطانى . وهو صاحب فكرة انشاء الباكستان التى حققهـا القائد الاعظم « جناح » وقد دعا اليها سنة ١٩٣٠ وقـامت الدولة ١٩٤٧ ، ولا شـك أن فلسفة اقبال فى الاسـلام هى الجزء الثانى من المقـاومة للاستعمار ، وهى مقاومة دعوات الفكر التى كانت تحاول أن تصور الهنود والمسلمين ، وأهـل الشرق كله بأنهم قوم متخلفون طبيعيا ، وأن الاجناس غير البيضاء الاوربية لا حق لها فى الحياة أو الحرية .

ولد (اقبـال) فى سـيالكوت بالبنجاب عام ١٨٧٣ من عائلة تعيش على الزراعـة نزح جـدها الاكبر من كشمير ، وتلقى تعليمه فى طفولته على أبيه ، ثم ادخل مكتبا لتعلم القرآن ثم مضى فى اكمال تعليمه حتى أحرز أرقى الدرجات العلمية ، وكانت أطروحتـه للدكتوراه فى الفلسفة برسالة فى «تطور الفكرة العقلية الفارسية » .

وقد عمل بالتدريس فى الجامعة غير أنه لم يقو على قبول نفوذ الاستعمار فاستقال . ولمـا سأله خادمه لمـاذا استقلت قال : « ان خدمة البريطانيين مهمة صعبة ، والاصعب من ذلك هو البقاء فى خدمة البريطانيين » وفى مجال السياسة عمل عضوا بالمجلس التشريعى بالبنجاب وزار القاهرة سنة ١٩٣٢ وهو فى طريقه للاشتراك فى مؤتمر المـائدة المستديرة فى لندن ، وكان رئيسا لجمعية حماية الاسلام التى كانت تشرف على عدد من المؤسسات ، وأتيح لاقبال أن يزور أكثر أجزاء العالم الاسلامى ، فقصد الحجاز وأفغانستان وايران ومصر كما زار الاندلس « الفردوس المفقود » .

واذا كان اقبال لم يجد فى حياته فهما واسعا لنظرته وفلسفته ، فانه كلما أمعن فى الابتعاد عن عالمنا كلما أخذت مفاهيمه تتضح وتبرز ، لقد آمن هـذا الرجل بايجـابية الاسـلام وتقدميته ، والاخذ بالحضارة الغربية على قـاعدة فكرنا ، وكان أمله فى العرب ووحدة العرب ايمانا أكيدا بأنه هو السبيل الى الحرية والوحدة .



للأستاذ محمد علي غريب

تفجرت فى رأس لويس التاسع ملك فرنسا الذى كانوا يلقبونه (القديس لويس) نزوة فاجأته فاعتقد انها من قبيل الرؤى التى لا تكذب ، ومؤداهـا أن يغزو الشرق وينتزع بيت المقدس من اهله ويصير ملكا عليه .

واستبدت به هذه النزوة حتى انه لم يعد يهدأ ليلا ولا نهارا ، وكان يستشير فى هذا الامر خلصاءه والمحيطين به ، ودعا بعض الامارات الاوربية الى مناصرته والزحف بجيوشها معه الى الشرق ، فاستجاب له امراء قليلون .

ولكنهم منذ اليوم الاول الذى اجتمعت فيه جيوشهم ، بدات الخلافات الشديدة تظهر بين القادة والزعماء ، وقد بذلت محاولات جبارة فى سبيل انهاء هذه الخلافات .

ورغم هذه المحاولات التى استطاعت ان تغطى ما بذره الشقاق فى النفوس ، فقد بقيت الخلافات تحت هذا الغطاء لتتحرك وتحطم وقتما تشاء .

وسارت هذه الجيوش نحو الشرق تقتل الآمنين وتخرب الديار وتسلب الاموال وتنتهك الاعراض ، فلما بلغت مصر استطاعت ان تغزو دمياط ثم زحفت الى فارسكور .

وفى ذلك يقول عبد الرحمن الجبرتى مؤرخ عصره الاوحد (وحضروا أيضا فى دولة الملك الصالح «يعنى الافرنج» نجم الدين ايوب الكردى من اولاد

العادل ، فملكوا دمياط ايضا وزحفوا الى فارسكور ، واستمر الملك الصالح يحاربهم أربعة عشر شهرا وهو مريض ، وانحصر جهة الشرق ، وانشأ المدينة المعروفة بالمنصورة ، وثقل مرضه ومات ، واخفت زوجته شجرة الدر موته ودبرت الامور حتى حضر ولده تورانشاه من حصن كيفا ، وكانت الكفار قد انهزمت قبل مجيئه شر هزيمة وأسر ملكهم وكانت الفرنج هم طائفة الفرنسيس) .

ومن هذا ندرك ان التى ادارت الحرب وحققت النصر هى امرأة من مصر .

هى البطلة العظيمة (شجرة الدر) التى قادت الجيوش المصرية ضد الغزاة حتى هزمتهم شر هزيمة . واعتقل (القديس لويس) فى (دار ابن لقمان) الذى يقول فيه الشاعر :

دار ابن لقمان على حالها والقيد باق والطواشى صبيح

لم يكن المسلمون هازلين فى أعتقال الملك لويس التاسع ، ولا كانوا يعولون كثيرا على الفدية التى طلبوها لفك أسر هذا الملك التعس ولكنهم كانوا يقصدون الى غاية اسمى من الحصول على الفدية ، هى أن يعرف ملوك اوربا وامرأؤها ان ابناء هذا الشرق قادرون على اذلالهم واخضاعهم لكل ما يريدون .

ولم يكن أهل مصر يتعجلون الفدية ، فان فى مكان ما من مدينة المنصورة يرقد عاهل من اكبر عواهل اوربا ، وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا .

كان لويس التاسع يبدو فى سجنه مسلوب العقل تائه النظرات ، لا يكاد يستقر على حال فى نومه او فى جلوسه ، او فى الخطوات القليلة التى سمح له بها ، فهو لا يدرى كيف نزلت به هذه النازلة ، ولا كيف تبددت الجيوش التى كانت تحت قيادته كأنها لم يكن لها وجود على الاطلاق .

وفى هذه الاثناء اكتشف ولاة الامر المصريون ، مؤامرة واسعة النطاق غايتها أخراج الملك لويس من سجنه والهرب به الى فرنسا ، قبل أن يتسلم المصريون الفدية ويطلقوا سراحه ليذهب اين يشاء .

وفى ليلة استبد فيها الظلام ، فحجب كل شىء حتى لا تكاد ترى كفك الا بصعوبة ، واختفت النجوم وهجع الليل والقى بستره الاسود على البقاع مما جعل الناس يرهبون الخروج من منازلهم خوفا من ان يتعرضوا لكوارث لا سبيل الى تفاديها .

فى هذه الليلة اقيمت خيمة خارج مدينة المنصورة اوى اليها ستة من (الغجر) ثلاثة رجال وثلاث نسوة ، ومن بين هؤلاء النسوة فتاة يعجز الوصف عن تصوير جمالها وفتنتها ، وكانت تلم باللغة العربية قليلا وترقص وتغنى ، وتحتال على سلب اموال السذج ، بادعائها قراءة الرمل ، والانباء بما يدبره الغيب فى مستقبل الايام .

واشتهرت هذه الغجرية فى احياء المنصورة ، فكان الناس يستوقفونها ، لا لقدرتها على قراءة الغيب ، بل لحسنها وملاحتها وروعة رقصاتها وخفة روحها، فكانت تستحوذ على قلوب الناس ومشاعرهم وعقولهم بكل هذه الفتنة الطاغية، والاجادة لفنها اجادة تفوق الوصف .

كان فى الحرس الذى يقوم على دار ابن لقمان شاب اسمه (محسن) امتاز بجرأته وشجاعته فى الحروب وقد ارتفع شأنه بين الرؤساء حتى أنهم كانوا يرمقونه بنظرات الاعجاب والتقدير ، ويثقون فى وطنيته واخلاقه ، واصبح هو صاحب الامر بين حراس (لويس التاسع) .

وقد جمعت المصادفة بينه وبين هذه الغجرية التى تسمى نفسها (ماجدة) فلم يأبه لها اذ كان جهده كله مبذولا لاداء واجبه فى الحراسة ، وتحقيق ما يرجوه منه رؤساؤه ، من وجوب اليقظة والسهر على هذا السجين الملكى .

بل انه حتى فى وقت راحته كان يبقى فى حراسته حذرا ، يتوقع فى كل لحظة ان يحدث ما ليس بالحسبان ، وهو دائما يدبر ما يستطيعه من مواجهة الاحداث التى يمكن ان تقع بين آونة واخرى .

غير ان (ماجدة) لم تقنع بهذه النظرة الخاطفة التى سخا بها عليها (محسن) فانها كانت تريده هو ، ان يتلفت اليها ، وأن يعنى بها ، وان يقع فى شراك غرامها ، فتصنع به ما تصنع المرأة اللعوب بالعاشق المدنف . لذلك كانت تمر به فى كل وقت ، وترسل اليه سهام لحظها ، وتبتسم له ، عسى أن يجيب ما ترجوه فيصبح أسيرا لها كما هو شأن الملك لويس التعس .

كان محسن شابا موفور الصحة والعافية ، ممشوق القوام ، وفى وجهه ما يشى بجماله ووسامته ، جمال الرجولة الكاملة ووسامة البطولة الحقة .

كان يضع ثقة رؤسائه به فوق اى اعتبار آخر ، وكان يخشى ان تذل به قدمه الى مهاوى العشق فينصرف عن واجبه المقدس فى الحراسة الى هذا العبث الذى لا يليق به من التعلق بفتاة لا يعرفها ولا تعرفه ، وفوق ذلك فان قلبه لم يكن خاليا من الحب .

فقد احب ابنة خاله (بسيمة) حبا عذريا طاهرا ، وكان يترقب فى صبر وجلد الفرصة السانحة لخطبتها والزواج منها ، وكان اهله جميعا يترقبون مثله هذه الفرصة .

على أن أصبع القدر حين تتدخل بين قلبين يصبح المستحيل أمرا واقعا ، فان تكرار رؤيته لماجدة جعلة يفكر فيها قليلا ، ثم اشتد عليه هذا التفكير ، حتى اصبح يتمنى من كل قلبه أن يراها ، وان يستمتع بحديثها ورقصاتها وغنائها . . واحست ماجدة منه ذلك ، فحرصت على ان تلهب قلبه بسياط الشوق الى رؤيتها وكانت تتصنع الدلال والخفر أمامه ، وهى التى تبذل من نفسها للناس جميعا ما يعجبون به ويرضون عنه . وهكذا وقع الاسد فى شبكة الغجرية الحسناء، ولم يعد يطيق البعد عنها ، حتى انه كثيرا ما سار على قدميه مسافة طويلة فى وقت راحته ، ليبحث عنها فى اى مكان يمكن ان يعثر عليها فيه .

وتناجيا كثيرا ، وتبادلا هذه الكلمات التى تمتاز بان لها ظاهرا وباطنا ، وهى كلمات الصبابة والهوى ، وكان كلاهما راضيا عن نفسه ، مغتبطا بما انتهى اليه الامر من توثيق علاقتهما الغرامية ، فهما يسبحان فى بحار الخيالات والاحلام .

لم تشأ ماجدة ان تتحدث الى محسن فى أول ألامر عن الملك الاسير ، فكأنها لم تكن تعرفه على الاطلاق ، وذلك لكى تبعد عن نفسها ما عسى ان يقوم فى ذهن محسن من ظنون وشبهات .

ولكنها رويدا رويدا عرفت كيف تسلك طريقها الى معرفة عمله الرسمى فى سؤال عابر يبدو كأنه غير مقصود فلما أخبرها عن عمله سكتت .

ومضت تستدرجه شيئا حتى باح لها بانه كل شيىء فى هذا المبنى .

ونعود الى الحديث عن عمن تركتهم هذه الغجرية فى الخيمة يتظاهرون بانهم من الغجر ، فلديهم كلاب وماعز وثلاثة حمير وعجل صغير ، وهم لا يغادرون المكان الا نادرا .

وتبين بعد كشف المؤامرة ان هؤلاء من النبلاء الفرنسيين .

اما ماجدة فان لها قصة اخرى ...

أنها أبنة احد النبلاء الفرنسيين ، وقد اختطفها الغجر وهى طفلة ، وربوها كواحدة منهم ، وعلموها كل ما يحذقونه من ضروب اللهو والخلاعة والعبث بعقول الرجال ، وكان جمالها الذى لا حدود له يجعل من المستحيل على من يراها متزمتا كان او فاجرا ان يدعها تمضى الى شأنها ، فكانوا يلاحقونها بالهدايا وبالاموال ، وبالوعود المعسولة ، وبالركوع تحت قدميها حتى يرق قلبها ويلين .

غير أنها بسبب مجهول اعتصمت بعفافها وشرفها على غير ما أعتاده الناس من لداتها من الغجريات حتى أذا يئسوا منها تركوها وهم يلعنون .

ولما بلغت سن الفتوة والشباب تنازع على الزواج منها غجريان حتى كان القتال ينشب بينهما كل يوم ، واخيرا انتصر احدهما فاضمر المهزوم فى قلبه شرا .

وكانت القبيلة حين ذاك تقيم على مقربة من قصر والد ماجدة فذهب المنهزم خفية الى القصر ولقى أخاها ، اذ أن والديها كانا قد توفيا حزنا على مصيرها الفاجع .

وكشف الغجرى الذى لم توافق القبيلة على زواجه من ماجدة ، عن السر فى اختفائها ، وقدم الى اخيها سلسلة ذهبية صغيرة كانت تضعها فى عنقها وفيها صورة لامها وأبيها .. ولا تسل عن الفرحة التى غمرت قلب الاخ الشقيق بل وقلوب سائر ابناء المقاطعة عندما عادت ماجدة ألى قصرها ، فاقيمت الافراح احتفالا ، بعودتها ، وانتشر النبأ فى جميع ارجاء فرنسا .

ان رجال الشرطة هم الذين قاموا بانتزاع ماجدة من ايدى الغجر بعد أن تقرر طرد هذه ألقبيلة وعدم عودتها الى فرنسا مرة أخرى ، وحوكم الذين ثبتت عليهم تهمة اختطافها وأودعوا السجن تمهيدا لتنفيذ الاعدام عليهم جميعا .

غير أن ماجدة — ويا للعجب — لم تفرح كثيرا بعودتها الى القصر ، فقد تعودت على حياة هؤلاء الغجر ، وأمضت فيها حوالى خمسة عشر عاما قضتها فى انطلاق وفى لهو وفى تشرد .

كانت تبدو دائما واجمة ساهمة ، تفكر فى الماضى ، ولا تعبأ بالحاضر ولا بالمستقبل .

كانت تجتر ذكرياتها وفيها شقاء كثير ، وفيها مرح وعبث ، ولكنها ما كانت تتألم لذكرى الشقاء ألذى عانته ، بل لعلها كانت فى صميم قلبها تحبه وتهفو اليه وترضى عنه . .

فلما أتفق بعض النبلاء على مؤامرة اخراج الملك لويس التاسع من سجنه لم يجدوا أمامهم طريقا أفضل لكتمان نياتهم سوى أن يتظاهروا بأنهم من الغجر ، وبذلوا غاية جهدهم فى اقناع ماجدة أن تسافر معهم لتمثل دور ألغجرية ، الذى لا يجيده أحد منهم سواها .

وبعد لأى رضيت ماجدة بأن تقوم بهـــذا الدور الخطير ، فارتدت ثيـــاب الغجر ، وكانت تجيـــد جميع الادوار التى يقومون بها فى رحلاتهم الـــكثيرة المتعددة .

لم تعد ماجدة تهتم بمهمتها التى جاءت من أجلهـــا ، وهى تخليص الملك السجين من سجنه ، قدر اهتمامها بالتحدث الى حبيبها محسن ومناجاة قلبـــه واستخلاصه هو لذاتها بحيث لا يشاركها فيه أحد .

ولم تكن تبالى تقاليد النبلاء الفرنسيين وعاداتهم وطباعهم ألموروثة ، فهى قد نشأت على تقاليد وعادات الغجر الذين يتجاوزون فى اندفاعهم كل حد ، والذين يشتطون فى جموح وأصرار ، فى كل ما يتصل بعواطفهم ونزواتهم الى درجة يفزع منها أكثرية الناس .

وكلما عادت الى الخيمة ، سألها من فيها من ألنبلاء عن نتائج جهودها التى تبذلها فى هذا السبيل فكانت تكذب وتكذب ، ويجمح بها الخيال الى الدرجة التى يطمئن معها هؤلاء النبلاء على أنها ستبلغ الغاية ألمرجوة .

لم تكن تتحـــدث كثيرا مع محسن عن الملك لويس ، حتى لا تثير ظنـــونه وشكوكه ، وكانت تسأل أسئلة عابرة أو على الاصح ــ كانت تحاول أن تظهر أسئلتها عابرة غير مقصودة لتضفى على سلوكها معه ثوبا من قلة المبالاة وعدم الاهتمام .

ولكنها كانت قد بلغت فى حبه غاية لا تقوى معها على أن تخدعه أو تغرر به ، فهى فيما بينها وبين نفسها حائرة مضطربة بين ما يسميه جماعتها واجبا ، وبين ما تحسه من حب وشغف .

ولا ريب أن كثرة اجتماعها بمحسن وتعاطيهما كؤوس الصبابة والغرام ، قد لفتت أنظار أولئك الذين لا يهدءون ولا يستقرون من رجال الدولة وعيونهـــا وأرصادها ، والذين تقتضيهم واجباتهم بذل ألجهود المضنية فى سبيل خدمة الدولة والحرص على حمايتها من شر الاعداء ، وخاصة أننا كنا فى وقت حرب ضروس لا تعفو ولا ترحم .

ترى ماذا يحدث بين محسن وبين هذه الغجرية ؟ أهناك ما يمكن أن يعدوه خطرا على الامن والنظام ؟ أم أنها مجرد نزوات ومغازلات لا بأس بها ، ولا ضرر يمكن أن يلحق الدولة من ورائها ؟

وراحوا يبحثون ، وتبدى لهم خيط رفيع من الحقيقة ، حين أيقنوا أن الذين فى الخيمة لا يمكن أن يكونوا من الغجر ، فهم لا يحذقون ما تواضع عليه العرف من تصرفات الغجر وسلوكهم .. انهم لا يغادرون الخيمة اطلاقا ، وأذا غادروها فى القليل النادر فذلك لقضاء حاجات عاجلة ، ثم لماذا لا يخالطون جماهير الناس ويعرضون عليهم ما عرف به الغجر من ألوان التسلية والمرح واللهو ؟

وجرى هؤلاء الرجال الصامتون وراء ذلك الخيط الرفيع من الحقيقة ، فتأكدوا من أن هؤلاء الناس لا يمكن أن يكونوا من الغجر .. وأذن فمن يكونون ؟؟ أهم جواسيس فرنسيون ؟ انهم يتحدثون باللغة الفرنسية فى طلاقة ، وكان رجال الشرطة السرية الذين تتبعوا هذا الخيط قد أرسلوا اليهم من يحاول أن يكشف عن حقيقة أمرهم ويمتحن مواهب الغجر فيهم ، فلم يجدوا منهم الا بلادة وجمودا

ونشط رجال الشرطة السرية فى هذا الميدان نشاطا ملحوظا ، حتى تأيدت لديهم ظنونهم وشكوكهم بالنسبة لهؤلاء الناس ، وأدركوا أن وراء قدومهم الى هذه المنطقة الخطرة غرضا خفيا .. فما هو ؟

وفى نفس الوقت كانت جماعة ماجدة قد ضاقت بالتسويف والمطاولة فى هذا الامر ، فشددوا عليها النكير ، وألزموها أن تنتهى من هذه المهمة فى وقت ضيق حدوده ، قبل أن تصل الفدية من فرنسا ، ويخرج الملك الاسير من سجنه دون أن توفق هذه الجماعة الى تخليصه من غير فدية .

وشاع القلق والخوف فى نفس ماجدة ، فان المجازفة خطرة ، وقد تعرض حبيبها الذى اصطفته لقلبها لأشد الاخطار .

وماذا يحدث بعد ذلك ؟ فليذهب الملك لويس التاسع الى الشيطان ، فان الذى تحرص عليه وتفتديه بدمها وروحها هو ألا تتسبب فى الحاق أى أذى بحبيبها محسن .

وتمثلت فى خاطرها ما عسى أن يقع لو أن الامر قد تم بينها وبين محسن على أن ييسر لها سبيل الهرب للسجين الملكى ، فلا شك أنهم سيقبضون على حبيبها ويعدمونه ، وبذلك تظل حياتها كلها شقية تعسة .

وكان أن اعتزمت أمرا خطيرا ..

ذهبت الى محسن وأبلغته سر المؤامرة بحذافيرها ، فبادر محسن وذهب الى رؤسائه وأفضى اليهم بما عرفه من ماجدة من أسرار المؤامرة .

واستدعيت ماجدة أمام الرؤساء فباحت بكل شىء ، وقالت لهم ان هؤلاء النبلاء يحملون معهم مليون فرنك ذهبا لتقديمه رشوة الى الحراس .

وفى هذه الاثناء كان رجال الشرطة السرية قد وقفوا على سر المؤامرة كلها وتقدموا بطلب القاء القبض على محسن واتهامه بالخيانة العظمى .

غير أن الرؤساء لم يعيروا هذا الامر التفاتا ، لأن محسن هو الذى أفصح لهم عن أسرار المؤامرة قبل أن يفصح عنها رجال الشرطة السرية ، وترفقوا كثيرا بماجدة ، وأثنوا على مبادرتها بكشف سر المؤامرة قبل سواها .

أما النبلاء فقد ألقى القبض عليهم ، وتم الاستيلاء على ما معهم من المال ، وحوكموا بما يقتضيه العدل والانصاف .

وكوفىء محسن على اخلاصه ووفائه لدينه ولوطنه .



يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها .

حق المرأة فى التصرف فى أموالها

رجل مسلم فى بلد عربى تزوج كتابية غير مسلمة بالغة عاقلة من بلد غربى. ولها فى بلدها أموال . وتريد أن تحضرها فى بلد زوجها . فهل لزوجها حق مشاركتها أو معارضتها فى التصرف فى أموالها .

(م. ن.)

الجواب :

الدين الاسلامى منح المرأة البالغة العاقلة الرشيدة الحرية الكاملة فى التصرف فى أموالها كيف شاءت بارادتها المنفردة دون معارضة من أحد سواء كان زوجها أو غيره .

فلها أن تتصرف فيما تملك بالبيع أو الهبة أو الاعارة ، ولها نقله من مكان الى آخر بلا معارضة ولا اذن من زوجها لأن المقرر فى الشريعة الاسلامية ، وبه العمل فى جميع البلاد الاسلامية أن كل شخص سواء كان ذكرا أو أنثى تثبت له الولاية على ماله ما دام بالغا عاقلا . ولا يجوز للزوج التصرف فى أموال زوجته سواء كانت مسلمة أو غير مسلمة بغير اذنها لأنه لا ولاية له على أموالها مطلقا ما دامت عاقلة بالغة .

فى الطلاق

حدث بينى وبين زوجتى خلاف فقلت لها على الطلاق . أطلقك . ولا أقصد طلاقها وأقصد اسكاتها — ولم تحدث أيمان منى بالطلاق أبدا . فما حكم الشريعة ؟

(م. أ. ع.)

الجواب :

قول السائل لزوجته (على الطلاق . أطلقك) ويقصد به اسكاتها . معناه

أنه سيطلقها مستقبلا اذا لم تسكت ويكون من باب الالتزام بالطلاق — والالتزام بالطلاق لا يقع به الطلاق عند بعض الفقهاء على أن عبارته تفيد تعليق طلاقه على أنه مستقبلا سيطلقها ، فلو طلقها بعد ذلك وقع الطلاق ، ويكون بارا بحلفه فى قوله (على الطلاق أطلقك) وبما أنه قرر أنه لا يقصد طلاقها ويقصد اسكاتها فلا يقع بيمينه شىء .

فى الرضـــاع

شخص رضع من جدته مع أحد أعمامه . ويريد الزواج من احدى بنات أعمامه أو احدى زوجات أعمامه . فهل يجوز ذلك شرعا ؟

(م. ى.)

الجواب :

برضاع شخص من امرأة سواء كانت جدته أو غيرها يصير جميع أولادها الصغير والكبير منهم أخوة له من الرضاع ، وأولاد أولادها ذكورا وأناثا أولاد أخوة له أيضا من الرضاع . وتصير زوجات أعمامه زوجات اخوته من الرضاع .

ولا يجوز شرعا أن يتزوج رجل بنت أخيه أو بنت أخته نسبا أو رضـــاعا لقوله تعالى « وبنات الاخ وبنات الاخت » الآية ٢٢ من سورة النساء . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » ، ولا مانع شرعا أن يتزوج رجل زوجة عمه أو أخيه نسبا أو رضاعا اذا طلقها عمه أو أخوه أو مات عنها وانقضت عدتها .

فى الرضـــاع

رجل له زوجتان أنجبت احداهما ولدا وماتت ، ثم تزوج هذا الولد فأرضعت زوجته ولدا كما أرضعت زوجة أبيه التى هى غير أمه بنتا ، وكان الارضاع لكل منهما فى سن الارضاع خمس رضعات أو أكثر مشبعات متفرقات . فهل يجوز شرعا للولد أن يتزوج من البنت ؟

(أ. م. ك.)
الوفرة

الجواب :

بارضاع زوجة رجل لطفل فى سن الارضاع خمس رضـــعات متفرقات مشبعات يصير هذا الرجل والدا له من الرضاع . وبارضاع زوجة والد هـــذا الرجل بنتا فى سن الارضاع خمس رضعات مشبعات متفرقات تصير هذه البنت أختا لأب له من الرضاع ، وتصير عمة من الرضاع للولد الذى يريد الزواج منها . فلا يجوز للولد المذكور أن يتزوج من البنت ســـالفة البيان لأنها عمـــة له من الرضاع .



باشراف
الشيخ رضوان البيلي

أسبوع دعم العمل الفدائى :

حضرة المربى الكبير

أزف اليك تحيات الابن الصادقة الى أبيه فى عيد الأسرة المبارك .

ليس عندى ما أقوله مع هذا المبلغ البسيط (عشرة دنانير) الا أنه مبلغ أتبرع به نيابة عن والدتى فى عيدها .

لقد عرضت عليها أن تختار هدية أشتريها لها بهذا المبلغ أقدمها لها فى صباح عيدها .

ولكنها قالت : انى لست فى حاجة الى الهدية ، وانى أطلب منك أن تقدم هذا المال هدية منى فى عيدى الى أبنائى الفدائيين . احساسا منها بقيمة هذا الكفاح ضد الصهيونية فى هذه الظروف المصيرية .

عاشت فلسطين حرة لأبنائها .

« طالب حق »

المربى الكبير الذى أرسل اليه هذا الخطاب هو الأستاذ جمعة ياسين ناظر مدرسة عبد الله السالم الثانوية للبنين ، « وطالب حق » صاحب التوقيع أحد طلبة الصف الثانى بالمدرسة ، وقد أطلعنى السيد الناظر على هذا الخطاب أثناء زيارتى له فى مكتبه ، وقال : ليس هذا هو الخطاب الوحيد من هذا النوع ، وأشار الى مجموعة أخرى من الخطابات على مكتبه لا يوجد بداخلها الا أوراق نقد تتراوح قيمتها بين الخمسة دنانير والعشرة دنانير . وكان تعليق الناظر على هذه الرسائل : (أمة هذه روحها لن تهزم ولو اجتمعت الدنيا على حربها) .

وكانت هذه التبرعات بمناسبة أسبوع دعم العمل الفدائى الذى نظمته جمعية المعلمين الكويتية

وكم كنت أتمنى أن يكون معنا القارىء ليشهد هذا الأسبوع فى الكويت . وليرى المواطن وهو يعطى ويعطى ولا يمل من العطاء يعطى فى المسجد ، ويضع فى الصندوق ، ويدفع مقابل ايصال التبرع ، ويشترى من الأسواق الخيرية التى أقيمت بهذه المناسبة ويزايد فى دفع الثمن ، ثم يتبرع مرة ثانية بما يشتريه ليباع مرة أخرى .

وكانت الكلمات الحماسية التى تذاع بين فقرات البرامج فى الاذاعة والتليفزيون تلهب شعور المواطنين ، وتزيد من تنافسهم فى البذل والعطاء « تبرع بمالك لمن يتبرع لك بدمه » « ادفع ليشترى الفدائى المدفع » « أمن على حياتك بالتبرع » .. وغير ذلك من الرسومات والمصورات المعبرة عن بطولة الفدائيين النادرة ، وأعتقد أن هذه البطولات تفوق القصص والأساطير ، وموعدنا لنشرها وتدوينها يوم النصر ألا ان نصر الله قريب .

وهناك شىء أكبر من التبرع بالمال وهو احساس كل مسلم بأن عليه أن يقوم بواجبه فى حماية دار الاسلام وقت الخطر .

وهذا الشعور الذى تترجمه الأعمال اليوم ليس بغريب على الاسلام ولا على المسلمين فالجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » « ومن جهز غازيا فقد غزا ومن خلف غازيا فى أهله بخير فقد غزا » « ومن تخلف عن الجهاد بنفسه أو ماله فهو منافق » « واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك

أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين . رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون » نزلت هــذه الآيات فى غزوة تبوك التى طلب فيها الرسول من جميــع المؤمنين والمؤمنات أن يجاهدوا فى سبيل الله كل حسب قدرته وطاقته . روى أنه عليه الصلاة والسلام جمع الناس فخطبهم وحضهم على الجهاد ، وأمر بالصدقة ورغب أهل الغنى فى البذل ، وحث الموسرين على تجهيز المعسرين ، فبادر المســلمون ينفقون من أموالهم ، ويتنــافسون فى تجهيز جيشهم وهذا جزء من قائمة التبرعات يومئذ :

١٠٠٠٠	عشرة آلاف دينار	
٣٠٠	ثلاثمائة بعير	عثمان بن عفان
٥٠	فرســا	
٤٠٠٠	أربعة آلاف درهم	أبو بكر الصديق وهى كل ماله
٢٠٠	أوقيــة فضــة	عبد الرحمن بن عوف
٩٠٠٠٠	تسعون ألف درهم	العباس بن عبد المطلب
٩٠	تسعون وسقا من التمر	عاصم بن عدى

أما عمر بن الخطاب فقد تبرع بنصف ما يملك .

وساهم النساء بكل ما قدرن عليه من حليهن ، فكن يلقين فى ثوب مبسوط بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بأصابعهن من الخواتم والأســاور ومــا بآذانهن من الأقراط وما بأعناقهن من العقود والقلائد وما بأرجلهن من الخلاخيل .

وكان الرجل يأتى بالبعير الواحد الى اثنين من المجاهدين ويقول هذا البعير بينكما تركبانه بالتناوب ، وعجز نفر من فقراء المسلمين عن تجهيز أنفسهم ، فجاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يحملهم ويجهزهم ، ولم يكن عنده سلاح ولا مركب ، فجعل يصرفهم ويقول لهم : « لا أجد ما أحملكم عليه » فانصرفوا وعيونهم تفيض من الدمع حزنا على ما فــاتهم من شرف الجهاد .

هذه هى روح أمتنا فى الماضى بها عزت وانتصرت وهذه هى روح أمتنا اليوم فلن تغلب ولو اجتمعت الدنيا على حربها .

ولا يفوتنى بمناسبة هذا الخطاب أن أذكر القارىء الكريم بمدى عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسر الشهداء وأبناء الشهداء .

حين بلغ النبى استشهاد جعفر بن أبى طالب فى معركة (مؤتة) بالاردن ذهب الى بيت جعفر وقال لزوجه : ائتنى بأولاده وكانوا أطفالا صغارا فأحضرتهم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يشمهم ويقبلهم وعيناه تذرف الدموع ورفع يديه الى السماء وقال : اللهم قدمه الى أحسن الثواب ، واخلفه فى ذريته بأحسن ما خلفت أحدا فى ذريته ، ثم أوصى أمهات المؤمنين بهم وقال : لا تغفلوا من آل جعفر .

هذا هو موقف الرسول من المجاهدين ومن أبناء المجاهدين .

تــأويل آيــة

ما معنى : رد الأيدى الى الأفواه فى قوله تعالى : « ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم » .

حسين الشرهان ــ البصرة

للمفسرين عدة تأويلات لقوله تعالى : « فردوا أيديهم فى أفواههم » ونختار منها أن الله عز وجل بين حال هؤلاء الأقوام عند سماعهم دعوة رسل الله لهم الى التوحيد ، وأخبر أنهم اشتد نفورهم من الرسل وتزايد غضبهم وحنقهم عليهم وتحول هذا الحنق والغيظ الى حركة عملية يقوم بها المحنق المغيظ وهى أنهم رفعوا أيديهم ووضعوها فى أفواههم وعضوا عليها اظهارا لغضبهم وتجسيدا لتهديدهم ووعيدهم ، وهذه الصورة العملية المشاهدة أبلغ دلالة على التكذيب .



يعبرون فيه عن أفكارهم
دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

محمد عبده
ومنهجه فى تفسير القرآن الكريم

يتحدث الاستاذ عبد المنعم البحقيرى فى هذا الموضوع فيقول :

يقول منهج الامام محمد عبده فى تفسير القرآن الكريم على تسعة أسس :

١ ــ اعتبار السورة القرآنية وحدة متناسقة : فقد كان يشعر أن فكرة السورة يجب أن تكون أساسا فى فهم آياتها والموضوع يجب أن يكون أساسا فى فهم الآيات التى نزلت فيه ، وكان هذا من أسباب رفضه كل تفسير لا يحقق وحدة الهدف والتناسق بين أجزاء السورة .

٢ ــ عموم القرآن وشموله : فمعانى القرآن عامة وشاملة ، وارشاده مستمر الى يوم القيامة فلا يحمل وعظه ووعده ووعيده على أشخاص بعينهم .

٣ ــ القرآن الكريم هو المصدر الاول للتشريع : يبين الامام أن القرآن الكريم هو أصل التشريع ، ويليه السنة المطهرة وعليهما المعول وان اختلفت الآراء أو تعددت المذاهب وان وقع خلاف فلنرده الى الأصلين الثابتين وهما كتاب الله وسنة رسوله وقد حمل الامام على التفاسير السابقة التى تقدم آراء المذاهب على كتاب الله ، وتريد أن تؤول القرآن بما يوافق آراء شيوخهم وأصحاب مذاهبهم .

٤ ــ محاربة التقليد : وقد كرر الدعوة الى الاجتهاد ومحاربة التقليد ، وحارب الفكرة التى شاعت بين الناس من أن باب الاجتهاد قد أغلق من قرون .

٥ ــ اعمال النظر واستخدام المنهج العلمى فى البحث والاستنباط .

٦ ــ تحكيم العقل والاعتماد عليه فى فهم القرآن .

٧ ــ اهتمامه بتنظيم الحياة الاجتماعية على أساس من هدى القرآن .

•••

الاعجاز الصوتى للقرآن الكريم

كتب الأستاذ عبد العزيز الحوفى المدرس بمدرسة الاسكندرية الثانوية للبنين كلمة عن وجوه اعجاز القرآن الكريم نقتطف منها ما يأتى :

اذا نظرنا الى القرآن الكريم من ناحية (الصوت) فقط سنجده معجزا أيما اعجاز فى معانيه وألفاظه ونظمه وصوته .

ولنأخذ آية من سورة التوبة هى قول الله عز وجل : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا » .

فلننظر فى اختيار القرآن الكريم للكلمات ، ثم لننظر الى أى حد عبرت هذه الكلمات عما وضعت له من معنى ، لننظر فى كلمة (يلهث) التى تكررت مرتين والتى هى وجه الشبه بين الكافر وبين الكلب ، واللهاث سرعة ضربات القلب ، وسرعة الشهيق والزفير بسبب الحر أو التعب والارهاق ، ونراها بوضوح عند مرض ضيق التنفس والربو ، والكلب عندما يلهث يخرج لسانه خارج فمه ، ولكن لم اختار الله جلت حكمته (الكلب) من بين المخلوقات كلها ، ونحن نرى حيوانات كثيرة تخرج لسانها عند اللهاث مثل الحمير والخيل والبغال والبقر والجاموس والغنم عندما تشتد بها وطأة الحر أو الارهاق ؟

يحدثنـــا علم الطب والتشريح أن (الكلب) هو الحيوان الوحيد من بين الحيوانات جميعا الذى ليس بجسمه (مسام) يخرج منها العرق الذى يتطاير فى الجو حاملا معه بعض حرارة الجسم ، وينتج عن ذلك تلطيف درجة حرارة الجسم بما تناقص منها ، أما الكلب فليس له هذه المسام فهو يخرج لســـانه خارج فمه فيتطاير لعابه فى الجو حاملا معه حرارة الجسم فتتناقص حرارة جسمه .

والآن لننظر الى كلمة (يلهث) من حيث الصوت ومخارج الحروف ، فالكلب لسانه فى حركة دائبة وهو يلهث يخرج لسانه يعرضه للجو ، فيجف ما عليه من لعاب حيث يتطاير حاملا بعض حرارة الجسم فاذا جف أدخله ثانية الى فمه ليبلله باللعاب .

فكما ترى : هذه كلمة تتكون ان نحن قمنا بعملية اللهاث حتى وان لم نقصد كلاما وليجرب كل منا ان يدخل لسانه فى فمه ثم يخرجه مع حركتى الشهيق والزفير وسيسمع بوضوح الحرفين (هث) بنفس الضبط الهاء مفتوحة والباء بالسكون وقبلهما (اللام) مضبوطة بالسكون عند اضطراب اللسان من التعب — داخل الفم بين طرف الأسنان واللثة العليا .

• • •



سقط حيث يسقط الرجال

كتبت الرأى العام الكويتية عن استشهاد الفريق عبد المنعم رياض تحت هذا العنوان ما يأتى :
فى موقع قتال سقط الفريق عبد المنعم رياض ، رئيس أركان القوات العربية المتحدة . على ضفة السويس الحرة كان مصرعه وحده بين كبار العسكريين العرب يصرعه رصاص القتال فى معركة الوطن . فى اذار ١٩٢٠ سقط يوسف العظمة فى ميسلون : وزير دفاع سورية على رأس المقاتلين دفاعا عن تراب سوريا ، وفى اذار ١٩٦٩ يسقط عبد المنعم رياض : رئيس أركان مصر على رأس المقاتلين دفاعا عن تراب مصر . حياة عبد المنعم رياض كانت درسا للعسكريين . درسا لهم فى أن امتهان الجندية يعنى التصوف لفن الحرب وانشغالا باتقان أساليب الموت لتشريف الحياة بين عشرات الالوف من العسكريين العرب الضباط وحده يسقط حيث يسقط الرجال .

للعسكريين ميدان ولهم مصير . وفى الميدان الحق وبأشرف رتب الجندية صرعته القنبلة . حياته لم تكن الدرس وحدها . فى الشهادة أعطاهم درسا آخر . انه العسكرى العربى الكبير الذى لا يموت خلف مكتبه يأسا من آلام سياسية . ولا يسقط فى شارع شهيد فكرة . ولا تجند له رصاصات الحكم أو خصومه عسكريا كان أكبر من أن يمرغ نجومه فى مستنقع الصراع للوصول الى السلطة . فى الشهادة درسه الثانى حملته الى رحاب المصرع رجولته ونخوته . اختار مصيره يوم اختار أن يحترف لعبة الموت من أجل مصر . ولم نسمع به من قبل كثيرا . للشهداء ظلهم ، يرافقهم حتى لحظة الشهادة . فى حزيران قاتل على ضفة الأردن المطعونة . وفى اذار قاتل على ضفة السويس ، فقتل.

ثم قالت :

وليكن موته مثالا لكل عسكرى عربى يقاتل فى بيته ، وفى مكتبه وعلى أرصفة المقاهى أو فى السفارات ملحقا تمرد أو فى الشوارع خطيبا .

لتكن حياة عبد المنعم رياض وليكن موته درس رجولة لرجل جسد الايمان بأن الحياة وقفة عزة .

ولنقل بصراحة : عن الفدائيين والحكومات

تحت هذا العنوان نشرت مجلة اليقظة الكويتية الصادرة فى ٢٩ ذى الحجة ١٣٨٨ هـ (١٩٦٩/٣/١٧) مقالا نقتطف منه ما يأتى :

جلست مع انسان كبير فى العمل الفدائى كبير فى عمله فقط لا يفقه فى تجارة السياسة قال لى

أشياء أحرقتنى . الاسى اليوم كما كان بالامس على الشعوب التى لا تدرى الواقع لان المكشوفات المقدمة كذب فى كذب . أتدرون ما قال ؟ لنستمع معا — لسيمفونية البهتان —

أولا : حكومة عربية جمعت من الشعب الصافى باسم الفداء مليون جنيه ، استولت عليها وحولتها لحزبها . وعندما جاء من يمثل الفداء يطالب الحكومة بما جمع باسم الفداء من الشعب المحب للفداء قدم له خمسة عشر الف جنيه فقط من اصل المليون المجموعة باسم من يمثله ، رفض الرجل المبلغ ورجع متألما وراح المبلغ الى الحزب ذلك المبلغ الذى تزاحمت الوف البشر من أجل تقديمه لأجل الفداء .

أليست تجارة بالذمة ؟ يا ترى كم ستجمع هذه الحكومة لو أنها طلبت من شعبها التبرع للحزب ؟
ثانيا : حكومة ثانية وسط ضجة صاخبة من التجاوب الشعبى للتبرعات من أجل الفداء جمعت ما يعادل ثمانمائة ألف جنيه ، باسم الفداء أيضا ، عندما جاء من يطالب بالمبلغ قالوا له اذهب فنحن بحاجة أكثر استغلوا اسم الفداء من أجل الوصول الى قلوب الناس للتبرع ويأخذون التبرع الى قنوات حزبية .
ثالثا : حكومة أخرى حاولت التسلل الى العمل الفدائى وجدت المحطة المريحة فى جبهة متواضعة اسمها جبهة تحرير فلسطين ج. ت. ف. قدمت لها خمسين ألف جنيه لتحتضنها ، وبعد أن انضمت أو تلاشت ج. ت. ف. عادت من جديد بفضل الخمسين ألف المدفونة . أين الكلام عن التوحيد اذن ؟

رابعا : حكومة رابعة ادعت فى بيانات صحفية انها حولت مليون جنيه الى العمل الفدائى صفقنا فى ذهول لهذه الحكومة فاذا الحقيقة تقول بان هذه الحكومة حتى الآن ترفض تحويل المبلغ الذى جمع — شعبيا — باسم العمل الفدائى الفلسطينى بحجة أن التحويل يتعارض مع قوانينها ، تطوع تجار هذا البلد للتحويل ولا زالت المشكلة قائمة .

خامسا : حكومة أخرى تدعى بتصريحات زعمائها وبيانات ساساتها وكتابات تجار السياسة فيها بأنها مع العمل الفدائى الذى تسميه « مقدسا » هذه الحكومة اصطدم جيشها فى المدة الاخيرة مع كتائب الفداء بالصواريخ ، واسر قائد الكتيبة وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات بتهمة الدخول غير المشروع للبلاد ، وبعد ضغط كبير اطلق سراح قائد الكتيبة لكن المشكلة لا زالت قائمة ولا زالت الحكومة تملأ الدنيا عويلا بمساعدتها للعمل الفدائى .

سادسا : حكومة أخرى ذهبت فى العويل للعمل الفدائى الى حد بكاء الندابات اتضح بانها لم تدفع فلسا واحدا من عندها وانما كل الأمر هو تبرعات شعبية تجمعها الحكومة وتقدمها باسمها .
سابعا : حكومة أخرى أيضا تشعوذ باسم العمل الفدائى جمعت خلال سنتين مبلغ ثلاثين ألف دينار من تبرعات الشعب وادعت لنفسها تقديم هذا المبلغ .

هذه بعض أمثلة لما يعانيه العمل الفدائى الفلسطينى وسط محيطات من كلام الحماس عن التأييد والتضحية لماذا ذلك كله ؟

لأن الحكومات التى اعتادت على التجارة باسم فلسطين ما قبل ١٩٦٧ استمدت من العمل الفدائى بعد ١٩٦٧ فرص التجارة والتضليل رغبة الحكومات فى المسايرة وركوب العربة من الامام نقصد عربة التحرير أو عربة الفداء مع اعتقادها بان الشعوب لا تدرى الحقيقة والعمل الفدائى الفلسطينى يدريها لكنه لا يستطيع أن يبوح لكى لا يصطدم بهذه الحكومات ويتضرر حاجة العمل الفدائى الآن للحكومات العربية اكثر بكثير من حاجة الحكومات الى هذا العمل ، لذلك فهو يصمت ويسكت ويحاول بهدوء أن يسوى المشاكل . الحكومات تدرك هذه النقطة وتتاجر عليها

تاجرت من قبل باسم تحرير فلسطين . ظروف صعبة يعمل فيها الفداء الفلسطينى ومع ذلك يبقى بارقة الأمل الوحيدة لسنوات طويلة .

اعداد الاستاذ: عبدالستار فيض



مَكتبة المجَلة

الوحدة الاسلامية

من تأليف الاستاذ زيد بن عبد العزيز بن فياض ، والكتاب يوضح حاجة المسلمين لتخطيط سياستهم بطريقة شرعية واضحة لا تذوب فى زيف المداهنات والمجاملات ويتحدث عن قضايا اسلامية عديدة هى الشغل الشاغل للمسلمين فى هذا العصر ومن خلال سطوره يصل بنا المؤلف الى حل هذه القضايا حلا يتفق وشريعة الاسلام .

والكتاب يقع فى ١١٢ صفحة ومن طبع مطابع القصيم بالرياض .

فاطمة الزهراء

الكتاب الفائز بالجائزة الأولى فى المسابقة الكتابية عن السيدة فاطمة رضى الله عنها ، وهو من تأليف الأستاذ فاضل الحسينى الميلانى ويتناول حياة السيدة فاطمة منذ ولادتها الى انتقالها الى الرفيق الأعلى بأسلوب أدبى بليغ .

والكتاب يحتوى على ١٧٤ صفحة وقامت بطبعه مطبعة الآداب ونشرته مكتبة الصادق بالنجف الأشرف فى العراق .

الجامع الصغير فى علم النحو

كتاب للأمام جمال الدين بن هشام الأنصارى قام بنشره وتحقيقه والتعليق عليه الأستاذ محمد شريف سعيد الزيبق ، وهو كتاب موجز لقواعد اللغة العربية يقع فى ١١٢ صفحة وقامت بنشره مكتبة الحلبونى بدمشق

التكييف الدستورى لنظرية الحكومة فى الاسلام

كتاب من وضع الأستاذ محمد عبد الساعدى وهو بحث فى النظم الدستورية والاسلامية ودراسة نقدية لمفاهيم الحياة السياسية فى الاسلام ومحاولة دعوة لاستنباط نظرية دستورية جديدة للمجتمع الاسلامى والكتاب يقع فى ١٧٦ صفحة وقامت بطبعه مطبعة الأزهر ببغداد

رجال ونساء أسلموا

كتاب من اعداد وترجمة الأستاذ عرفات كامل العيش وهو عبارة عن مجموعة من القصص الواقعية لرجال ونساء هدى الله قلوبهم للاسلام مع ترجمة شاملة لتاريخ حياة كل منهم وطريقة اسلامه والكتاب يحتوى على ١٧٢ صفحة ومن نشر الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع .



اعداد الاستاذ : عبد المعطي يومي

الكويت : يقوم سمو ولى العهد ورئيس الوزراء بزيارة الى فرنسا بعد زيارته الخاصة للنمسا وبرفقة سموه معالى وزير المالية والنفط ووفد كويتى لاجراء محادثات هامة مع الرئيس ديغول والمسئولين الفرنسيين .

☐ قامت جمعية المعلمين الكويتية بتنظيم « أسبوع العمل الفدائى » فى أواخر مارس الماضى اشتركت فيه كل أجهزة الدولة تحت رعاية معالى الشيخ سعد العبد الله الصباح وزير الداخلية والدفاع . ومما يجدر ذكره أن طائرات الهيلوكبتر قامت بالقاء منشورات فى أنحاء المناطق فى الدولة تحث على التبرع . وقد أقبل الجمهور على التبرع بحماس منقطع النظير .

☐ سافر الى ماليزيا وفد الكويت الى المؤتمر الاسلامى الذى ينعقد فى منتصف ابريل الحالى فى ماليزيا . برئاسة فضيلة الشيخ عبد الرحمن الفارس مدير المساجد .

☐ زار البلاد نائب رئيس الشئون الدينية فى تركيا ، وقد درس مع معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية أوضاع المسلمين فى تركيا ، وقد أثنى الضيف على جهود الكويت فى نشر الدعوة الاسلامية .

☐ زار البلاد بدعوة من وزارة التربية وفد من المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالمغرب ، وقد تباحث الوفد مع المسئولين حول تنشيط التعريب .

☐ عقد معالى وزير التربية عدة اجتماعات مع الوفد الثقافى الايرانى الذى زار البلاد فى أواخر مارس الماضى ، وقد تناول البحث مسودة الاتفاقية الثقافية المزمع عقدها بين الكويت وايران .

القاهرة : الدكتور عبد الحليم محمود الأمين الجديد لمجمع البحوث يبحث مشروع قيام المجمع بوضع تشريع اسلامى متكامل . نرجو التوفيق .

☐ المصحف المفسر سيطبع على ١٢٠ اسطوانة يطبعه المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

☐ فى الجامعة العربية افتتح السيد الرئيس عبد الناصر الندوة العالمية التى ضمت ٧٠ عالما ومفكرا من مختلف دول العالم لمناقشة الدور الذى قامت به القاهرة فى الحضارة الاسلامية والانسانية بمناسبة عيدها الألفى .

☐ افتتح الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف مسجد الشهيد الفريق أول عبد المنعم رياض فى مدينة (أبو كبير) وقد بحث الوزير موضوع انشاء معهد دينى ثانوى بالمدينة تلبية لرغبة أهلها ، وقد أطلق اسم الشهيد على كثير من المساجد والشوارع المهمة .

☐ قررت وزارة الأوقاف اتخاذ مسجد الفتح الذى تبنيه الوزارة فى ميدان محطة القاهرة مركز الدعوة الاسلامية ، وجعل جمعية المسجد جمعية عالمية لبحث علوم الدين الاسلامى واللغة العربية .

☐ أصدرت وزارة الخزانة ١٠ آلاف قطعة نقد ذهبية بمناسبة مرور ١٤ قرنا على نزول القرآن ونفذت فى الحال دون أن تفى بحاجة الطالبين .

السعودية : زار وفد اعلامى سعودى ايران فى أواخر الشهر الماضى ، وقد أجرى الوفد مباحثات هامة مع المسئولين الايرانيين تناولت توثيق الروابط الدينية والتاريخية بين البلدين .

□ اختتمت رابطة العالم الاسلامى موسمها الثقافى الذى بدأته فى ذى القعدة الماضى . بمح ـرات عن الاسلام والحيـاة ، والشعوب الاسلاميـة فى روسيا والفدائيين فى التـاريخ الاسلا ـى ، ورسالة التضامن الاسلامى .

□ إشترك فى المؤتمر الكشفى الاسلامى الأول الذى انعقد فى جدة خلال الحج ، (١١) دولة عربية واسـ ـية بدعوة من الكشافة السعودية وقد قرر المؤتمر تكرار عقده كل عام واصدار كتاب مناسك الحج بـ ـات مختلفة .

□ وافق ـ ـلس الجامعة الاسلامية بالمدينة على عدد من المشروعات ، وسيضع المجلس خلال صفر الحالى السياسة العليا للجامعة بما يحقق الأهداف الكبرى التى من أجلهـا أنشئت الجامعة .

الأردن : قام جلا ـ ـلك حسين بزيارة السعودية والمتحدة فى أواخر ذى الحجة الماضى ، وسيزور أميركا وباريس لعرض ـلقضية العربية وتطوراتها الجديدة .

□ شكل السيد عبد المنعم ـرفاعى وزارة جديدة ، وقد صرح بأن الخط السياسى الذى كان يسير ـليه سلفه ـلسيد بهجت التلهونى لن يتغير .

□ نشبت المظاهرات العنيفة فى جميع المدن والقرى العربية بالضفة الغربية وغزة ، وقد نادت بسقوط الاحتلال الاسرائيلى ، وتأييد الفدائيين الفلسطينيين ، وقد اعتقلت اسرائيل الكثير من الرجال والسيدات والطلبة .

□ أكدت لجنة حقوق الانسان التابعة ـلامم المتحدة حقوق اللاجئين العرب فى العودة الى ديارهم ، وقد شكلت لجنة للتحقيق فى تصرفات اسرائيل فى الارض المحتلة ، وقد عقب مندوب اسرائيل بأن بلاده لن تتعاون مع هذه اللجنة .

العـراق : دخلت قوات عراقية الى الاراضى السورية فى تنسيق جديد للجبهة الشرقيـة باتفاق الحكومة العراقية واللواء حافظ أسد وزير الدفاع السورى .

□ أكد الرئيس البكر أن العراق يعتبر مشكلة فلسطين مشكلة تخص المسلمين فى جميع انحاء العالم ، وأعرب عن أمله فى أن يشارك المسلمون العرب فى تحرير فلسطين والمقدسات الاسلامية .

سـوريا : شهدت سوريا نزاعا عنيفا داخل حزب البعث الحـاكم حول سياسة سـوريا الداخلية والخارجية .

السـودان : قرر مجلس مدينة أم درمان اطلاق اسم الشهيد الفريق أول عبد المنعم رياض على أحد الشوارع الهامة بالعاصمة السودانية تخليدا لذكراه .

ليبيـا : خصصت ليبيا مبلغ خمسمائة مليون جنيه ليبى للدفاع والدعم ـربى فى الخطة الخمسية الثانية للتنمية التى ستبدأ هذا العام حتى عام ١٩٧٤ م .

□ أقيم فى الفترة من ٦ — ٢٦ مارس الماضى معرض طرابلس الدولى ، وقد اشتركت فيه ٢٩ دولة عربية وأجنبية . وقد كان جناح فلسطين فيه موضع اعجاب .

تونس : يزور تونس جلالة شاه ايران لمدة ٦ أيام ، وقد بدأت الزيارة فى منتصـف ابريل الحالى ، وستستمر الى ٢١ منه ، وذلك بدعوة من الرئيس بورقيبة .

الجـزائر : يحاكم حوالى ٥٠ شخصا اتهموا بالتآمر أمام محكمة ثورة غير قابلة للاستئناف الا اذا رأى الرئيس بو مدين تخفيف الاحكام بنفسه .

المغـرب : اقترح جلالة الملك الحسن الثانى أن توقع دولة المغرب العربى الأربع (المغرب وتونس والجزائر وليبيا) معاهدة سلام وتضامن فى مؤتمر قمة تعقده فيما بينها .

الباكستان : أعلن الرئيس أيوب خان تخليه عن منصبه للجنرال يحيى خان قائد الجيش ، وطلب الى الشعب التعاون مع القوات المسلحة التى أعلنت الأحكام العرفية فى البلاد ، وذلك بعد فترة طويلة من المظاهرات والشغب الذى ساد البلاد . تمنياتنا لشقيقتنا العزيزة .

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـــا فى [illegible] الامر عليهم ، وتفاديا لضيـــاع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبـــول الاشتر[illegible] عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأســـا مع متعهد التوزيع [illegible] ، وهـــذا بيـــان بالمتعهديـــن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـــار ـ ٧ شارع الصحافـــة

مكة المكرمـــة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ٢٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء

الريـــاض : مكتبة المدينة ـ ص‌ب ١٩ ـ **السيد احمد باصريح**

الطائـــف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص‌ب ٢٢

جـــــــدة : الدار السعودية للنشر ـ ص ب : ٢٠٤٣

بغـــداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص‌ب ٧٦ ـ **السيد محمد سعيد بابيضان**

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطـــر : مكتبة العروبة ص.ب ٥٤

عـــدن : وكالة الاهرام التجارية ـ **السيد محمد قائد محمد**

المـــكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحـــدودة

دبـــى : ساحل عمان ـ ص‌ب ٢٦١ ـ **السيد عبد الله** حسن الرستمانى

مســـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـــة ـ السيد رجا العيســـى

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : مكتبـــه بحـــــرى ص.ب ٥

مراكـــش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى

ليبـــيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ـ **السيد محمد** بشير الفرجانى

بنغـــازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

شخصيات فى سطور :

ابن قيم الجوزية

٦٩١ — ٧٥١ هـ ١٢٩٢ — ١٣٥٠ م

* هو ابو عبد الله ، شمس الدين ، محمد بن ابى بكر المعروف بقيم الجوزية بن ايوب بن سعد الدمشقى .
* فى دمشق الشام كان مولده وكانت وفاته .
* كان رحمه الله آية الآيات فى علمه وفقهه وصدق نظره ، كما كان آية الآيات فى الوفاء لأساتذته ومشايخه .
* ويعد ابن قيم الجوزية من اركان الاصلاح الاسلامى فى زمنه ومن أكابر العلماء والمفكرين فى عصره وبعد عصره .
* من تلاميذ الشيخ ابن تيميـــة ، وكان اقربهـــم الى نفس الشيخ واحبهم إليه .
* هو الذى نشر علم ابن تيمية ويسر كتبه وقربها للناس .
* حين سجن ابن تيمية فى قلعة دمشق سجن ابن قيم الجوزية معه فى تلك القلعة وعذب كثيرا بسبب صلته باستاذه ، وطـــافوا به على جمل مضروبا بالعصى ، وحين مـــات ابن تيمية اطلقوا سراح تلميذه الذى كان محبوسا معه .
* كان مغرما بحب الكتب وجمعها ، وقد جمع منها عـــددا عظيما . وكان حسن الخط فكتب بخطه منها كثيرا .
* له عدد من المؤلفات القيمة المشهورة ومنها :
  * شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل .
  * اعـــلام الموقعين .
  * زاد المعـــــاد .
  * التبيان فى اقسام القرآن .
  * الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة .
  * تفسير المعوذتين .
  * الوابل الصيب من الكلم الطيب .

وكلهـــا تدل على غزير علمـــه وشفافية روحه وصدق ايمانه بالله ورسوله . رضى الله تعالى عنه .

العوضى الوكيل



السنة الخامسة — العدد ٥١ — غرة ربيع أول ١٣٨٩ هـ — ١٧ مايو (أيار) ١٩٦٩ م

اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف



من أفخم المساجد الحديثة فى بغداد ((مسجد الشهيد)) بساحة الجندى المجهول ـ شارع السعدون .

((تصوير : صالح سيد الرفاعى))

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIUL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة الخامسة

العدد الحادى والخمسون

غرة ربيع أول ١٣٨٩ هـ

١٧ مايو ((أيار)) ١٩٦٩ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار

فى الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)

(أما الافراد فيشتركون رأسا)

مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير إدارة الدعوة والارشاد

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

ص.ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ـ كويت







فى ذكرى ميلاد رسولنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، أتلفت حولى فى الأمم التى تنتمى اليه ، وأبحث عن مدى وفاء أو ولاء هذه الأمم لرسولها وهاديها .. وعما تذكره به فى يوم ميلاده . وتطوف بذهنى ذكريات عن احتفال بعض الأمم بقادتها وعيد ميلادهم ، حين يقف قادتها الأحياء التابعون لهم ، فيقدمون كشف حساب عما أنجزوه من أعمال ، وحققوه من آمال ، ونفذوه من مبادىء وتوجيهات ، كان السابقون يلحون عليها ، ويدعون اليها ، حتى لنرى الدولة تعرض فى تلك الذكرى كل مظاهر قوتها الحربية والصناعية والعلمية ، كشاهد حى على مدى ولاء الحاضرين للسابقين .. وسيرهم على مناهجهم .. وتمسكهم بمبادئهم ..

فماذا يقول قادة المسلمين ـ أتباع محمد ـ وماذا يستطيعون أن يفعلوه ويقدموه فى هذا اليوم والفرق شاسع بين المثالين ؟!

ستضاء المآذن ، وتلقى الخطب ، وتروج تجارة الحلوى ، وتقام حلقات الذكر ، وتلقى أناشيد المولد النبوى ، وربما مظاهر أخرى من هذا الشكل !!

ولكن أهذه كل ذكرانا لنبينا ، وهذا هو كل ما نستطيع أن نقدمه فى ذكرى ميلاده ؟

أين مبادئه فى مجتمعنا ؟ أين أخلاقه فى صفوفنا ، أين عزته فى نفوسنا ، أين شجاعته فى الميادين أمام أعدائنا ، أين المجتمع الذى دعا اليه ، والعزة التى عمل لها ، والقوة التى كان رائدها ؟

سيقف الخطباء يبحثون عن المجد ، فلا يجدونه الا فى الماضى الذى انقطع سيره ، وعن المجتمع الاسلامى الحقيقى فلا يجدون الا أنقاضه ! وعن العزة فلا يلمسونها الا فى كلمات جوفاء !! وعن القوة فلا يجدونها الا على الأقرباء !!

سيعيشون فى الماضى ، ثم يبكون على الحاضر !!
وربما بكت قلوبهم أكثر لأنهم يخشون أن يذرفوا الدموع علنا !!
سيعيشون مع الكتب والتراث لا مع الواقع الذى يكتب الآن !!
لأن الذى يكتب الآن شىء مختلف عما يقرءون فى التراث العزيز . .
سيجدون الأمة التى تنتسب اليك يا رسول الله ، قد تحولت الى ما يشبه عرائس المولد ، أو عرائس المسرح ، ترقص وتتحرك بخيوط تلعب بهـــا أياد بعيدة غريبة عنها !!
سيجدون ولاءها لغيرك ، وحبها لسواك ، وحرصها على مبادىء تحارب مبادئك !!
سيخطبون فى المساجد ، أو يخطون على الورق ، أو يتكلمون فى مذياع . . حبا لك ، أو أداء لواجب ، أو سترا لموقف . . وينتهى ذلك كله فى لحظات أو ســـاعات ، وتظل معاول الهدم تعمل عملها لتقطع البقية الباقية من صلتنا بدينك !!
سيتلفتون حولهم فيجدون أن لب دينك مهمل ، وكل داع الى مبادئك ينظر اليه بعين الارتياب ، ويرمى بالتأخر والجمود !!
بينما يحتفل بالخارجين عليك ، المعـــــادين لمبادئك ، الهـــدامين لمثلك ودعوتك !!
أناس من أمتك ، ومن المحسوبين فى عدادها ، يســـــمعون ويقرءون قولك : (تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا : كتاب الله وسنة رسوله) فيشيحون بقلوبهم عن هذا ، ولسان حالهم يقول : سمعنا وعصينا !! كان زمان !
يرون الطاعة لك رجعية لا تليق بعصر التقدم !!! وعصــــــبية لا تتفق والقرن العشرين !!
وذهبوا يتســـــوقون مبادىء ، أو يجمعون حطبا من حقول الغــــير كالمتسولين ، يظنون فى ذلك غناهم ، وهم فرحون بما يجمعون ، وقد تركت لهم ثروة تغنيهم عن هذا ، وحاربت يا رسول الله كل أنواع التسول فى المال ، وفى الأفكار ، ومع الأسف رأينا المتسولين المتســـــوقين يتجمعون ويتكتلون ، ليروجوا بضاعتهم ، ويزينوها للناس بالكلام تارة ، والارهاب تارة ، والاغراء تارة ، لينزعوا ما بقى فى النفوس من ولاء لك ، تساندهم قوى وشهوات !!
يسلطون الأقلام المســـعورة تنهش فى مبادئك ، وان لم يســـــلطوها شجعوها ، وفتحوا لها المجالات ، أو تغاضوا عنها ، لتصك أسماع المسلمين بما يؤذيهم فى نبيهم ودينهم !!

والا فبأى منطق يسمح فى أمة تنتمى للاسلام بمقالات أو كتب تدعو علنا للقضاء على الاسلام ، والتخلص منه نهائيا ، بحجة أن ذلك هو الطريق للقوة والتغلب على اسرائيل !!!

واذا كان هناك شبهة أو ظلها فيما يؤولون من بعض نظريات الاســـلام لتتفق مع وجهات نظرهم المجلوبة . فماذا يقولون فى مثل هذا الذى يكرس كتبا

ومحاضرات ، للدعوة الصريحة القوية للقضاء نهائيا على الوجود الاسلامى فى البلاد العربية ؟!!

ولعل القارىء تأخذه الدهشـــة ولا يصدق أننا قد وصلنا الى الحد الذى يسمح فيه بنشر هذا الكلام وتداوله .

واذن فليقرأ معى هذه العبارة التى جاءت فى الصفحات الاولى من كتاب لا أسميه :

« ان على العرب أن يفهموا أن عليهم أن يختاروا بين الغاء الوجود العربى التقليدى ، وبين بقاء الاحتلال الصهيونى ، فيدركوا أن الغاء الأول هو شرط أساسى لالغاء الثانى » .. هكذا !!

إى وربى ، على العرب أن يفهموا ويختاروا واحدة من اثنتين :

إما الغاء الوجود العربى التقليدى واما بقاء الاحتلال الصهيونى !!

ومن يختار بقاء الاحتلال الصهيونى ؟! لا أحد .

فلم يبق لهم — اذن — الا الغاء الوجود العربى التقليدى حتى يقضـــوا على الوجود الاسرائيلى فى البلاد العربية !!

وأى وجود عربى تقليدى يريد الغاءه هذا الدكتور الهدام ؟

كل ما فى الكتاب يدعو بحرارة الى التخلص من الاســلام لتحل محلــه مبادىء مستوردة مجلوبة يعتنقها الكاتب وزمرته ، ومن على شاكلتهم ! ..

ولولا هذا ، وما نعرفه من تحركات الكاتب ، وســوابقه ، ولواحقه فى كتبه ومحاضراته ومقالاته ، لقلنا : انه يدعو للقضاء على بعض ما غشى المبادىء الاسلامية من ركود أو تشويه ، بقصد تجلية هذه المبـــادىء ، للعمل بها فى مجتمعنا الاسلامى .. فيكون من الدعاة الاسلاميين !!

ولكن الكاتب سخر قلمه ولسانه ضد كل شىء اسمه الاســلام . ومن الذين يقولون ان الدين أفيون الشعوب .. فلا مناص اذن من فهم عبـــارة « الغـــاء الوجود العربى التقليدى » على وجه واحد ، هو الغــاء الوجود الاسلامى ، الذى عاشت ولا تزال تعيش به البلاد العربية !!

يريد التخلص نهائيا من الاسلام وما يتصل به ، ليخلو الجو لبضاعته التى « تسوقها » من الخارج !!

وبحجة أن ذلك هو الضمان الوحيد للقضاء على اسرائيل !!!

انه يقول فى مكان آخر من الكتاب :

« ان العالم سيجد نجاته ان كان ذلك ممكنا عن طريق المتمردين !. فبدونهم ستلقى حضارتنا وثقافتنا نهاية ، فهؤلاء المتمردون هم ملح الأرض ومسئولــون عن الله ، لأننى مقتنع بأن الله لم يوجد بعد ، وإن كان علينا أن نخلقه » !!!

ولست الآن فى مجال الرد على مثل هذا الكلام ، فكل مؤمن بدينه يعرف زيفه ، وما عرفت الأمة ضرورة اعتصامها بدينها كما عرفت بعد هزيمتها .

على أن الكاتب الاسلامى الأستاذ جلال كشك قد تكفل بمتابعة هـــذا الكتاب وتعريته تماما وذلك فى كتابه الأخير (النكسة والغزو الفكرى) .

والذى أريد أن أقوله هنا فى ذكرى ميلاد رسولنا ، وبمناسبة بعض الحفلات والكلمات التى تلقى فى هذه المناسبة : أيجوز لأمة أو دولة تنتسب للاسلام أن تسمح بمثل هذا الكلام ؟

أيجوز لدولة تعلن ولاءها للاسلام ورسوله أن تشجع مثل هذه الدعوة التى تهدم كل ولاء وتنقضه من الجذور ؟

لو أنه تناول ــ بدلا من عبارته تلك ــ بعض الرسميين وقال : على العرب أن يفهموا أن عليهم أن يختاروا بين وجود هؤلاء وبين بقاء الاحتلال الصهيونى فيدركوا أن الغاء الأول شرط أساسى لالغاء الثانى ..

لو أنه قال هذا الكلام فماذا يكون مصيره ومصير كتبه ؟

هل كانت هذه الكتب على الأقل ــ ودعنا منه ــ ترى النور ، وتطبع ، وتوزع ، وتشجع ، كما حدث وهو يدعو للقضاء على الوجود الاسلامى ؟!!

هذا أيضا أمر مفروغ منه، ومعروف الجواب عنه ..

وهو ما يدمى قلوبنا ، ويمزقها أسفا وحسرة على ما صار اليه ولاؤنا للاسلام !! لأن الراعى قد انقلب الى حماية نفسه ، ولم يرع الأمانة التى فى عنقه لدينه وأمته !!

وهذا هو الذى يجعلنا نهيب بالمسئولين عن هذه الأمة ليرعوا أمانتهم ، ونتجه للآباء فى البيوت ، والمربين المخلصين فى المدرسة ، ليحصنوا أولادهم من هذا الوباء الذى يسلطه بعض الناس على أمتهم .

ويجعلنا نتجه للشباب الواعى لنقول له :

ان هناك أصواتا تجد التشجيع من بعض المسلمين ــ مع الأسف ــ تدعوك الى أن تتخلى عن وجودك وماضيك وتراثك وأصلك الذى تعتز به ، لتعيش كالأيتام فى مآدب اللئام ، تدعوك لتغير قبلتك ، وتحنى جبهتك لغير ربك ، وتتخذ وليا لك غير نبيك ، وتنزع من نفسك كل اعتزاز بماضيك المجيد ، وأسلافك الأطهار الأبطال ..

فخذ حذرك منهم واعلم أنهم لصوص ونشالون محتالون لا يسرقون مالك ، ولكن يسرقون منك روحك وأصالتك لحساب (المعلمين الكبار) هناك .. فاحذرهم أن يفتنوك أو يخدعوك .

وحصن نفسك بالمعرفة الصحيحة لدينك ، والحرص على الاقتداء برسولك ..

واعلم أن الله قد وضح لك الطريق ، ووضع لك القاعدة ، وهو يقول : (ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) .

وأن رسولك لم يكذبك حين قال : (تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا : كتاب الله وسنة رسوله) .

واذا كان كثير من شباب العالم قد وزعهم ولاؤهم لهذا الزعيم أو ذاك ، وهم يضحون راضين مغتبطين من أجل هذا الولاء ، فانه ليشرفك ، ويعلى من قدرك ، ويثبت من قدمك ، أن يكون ولاؤك لرسول الله ومصطفاه فان (من أطاع الرسول فقد أطاع الله) .

فرسولك قد اختاره الله ورباه ، وكان المثل الأعلى فى كل ضرب من ضروب الحياة ، ليس فيه شىء من نقص الزعماء ، ولم تتلاعب به شهوة من شهوات الرؤساء ، بل عصمه الله من كل عيب ، وجمله بكل كمال ، ودعانا الى أن نتخذه فى حياتنا قدوة : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » .

وما كان الله ليدعوك الا الى القدوة بالطهر والكمال ، فى كل فعل ، وفى كل مجال ..

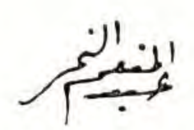
ولقد كان رسولك أشجع الناس ، وأطهرهم ، وأرحمهم ، وأعدلهم .. وما بلغ — ولن يبلغ — أحد مبلغه ولا قاربه . فكيف نتركه ، ونتلمس الهدى ممن أضلهم الله ؟ (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) .

ان هؤلاء الذين يدعونك الى التخلص من ولائك للاسلام عملاء لقوى تريد استعبادك .

يلبسون مسوح الرحمة ، وينشطون فى أوقات الأزمة ، يزينون لك طرق الخلاص منها بالوقوع فى حبائلهم : « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون . فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون . واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون . الا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » .

واجعل شعارك — أخى المسلم — وردك على هؤلاء المفسدين الخارجين على أمتهم ودينهم قول ربك الحكيم :

« ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار . تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار . لا جرم أن ما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار . فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد » .



مدير ادارة الدعوة والارشاد



متى نستحق النصر
ومن المسؤول عن مقاومة الفساد

للشيخ : عبد الجليل عيسى

عميد كليتى اللغة العربية وأصول الدين سابقا
جامعة الأزهر

لمناسبة ما تعرضت له بقعة طاهرة من أرضنا يعز على المسلمين والمسيحيين والعرب أجمعين أن يلوثها بعض شذاذ صهيون ، ممن طاردهم مقت العالم فى كل مكان وجدوا فيه ، نقول : لهذه المناسبة تعرضنا فى هذه المجلة المباركة لشرح أربع آيات من سورة الحج من أول آية ٣٨ الى آخر آية ٤١ ، لأن فيها ما ينبه الغافلين منا الى بعض أسباب هذه النكسة(١) ، وقلنا فى آخر المقال الثالث الذى كان موضوعه بيان الركن الثالث من صفات المؤمنين حقا الذين يستحقون بها نصر الله ، وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، بعدما بينا بعض شروطه ، قلنا فى آخره (أما مبحث كونه فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، واذا كان ، فهل هو فى كل حال ، أو فى بعض الأحوال دون بعض ، أو هو لا يطلب إلا من طائفة معينة ، أو منه ما هو عام ، ومنه ما هو خاص بالعلماء المتخصصين فى فهم أحكام الشريعة ، ومنه ما هو خاص بإمام المسلمين ومن بيده السلطة التنفيذية ، فموعدنا به العدد القادم ان شاء الله ، وشاء الله أن تطرأ ظروف عوقتنا عن الوفاء بعض الوقت ، وقد انقشعت ، والحمد لله ، فاليوم نقول :

---

(١) وكان ذلك فى : (٣٥) شهر ذى القعدة سنة ١٣٨٧ و (٤٠) شهر ربيع الثانى سنة ١٣٨٨ و (٤٢) شهر جمادى الثانية سنة ١٣٨٨ .

هل هو واجب عام أو خاص

قـــال بعض العلمـــاء إن الأمـــر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب على كل مســـلم ومسلمة بدليل ظـــاهر العموم فى قوله تعالى : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** . وعموم قوله تعالى : **(والعصر ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)** . والتواصى هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعموم قوله تعـــالى : **((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)** وقوله تعالى فى ذم بنى إسرائيل لما أهملوه : **(لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منـــكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعـــلون)** آيتى ٧٨ و ٧٩ من سورة المـــائدة . وكذلك ظاهر عموم قوله صـــلى الله عليه وسلم « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن أن يبعث الله عليكم عقابا من عنده ثم تدعونه فلا يستجيب لكم »(١) .

ولمّا ورد على هؤلاء المعممين قوله تعالى : **(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئكهم المفلحون)** آية ١٠٤ من سورة آل عمران . ولفظ (من) فى « منكم » للتبعيض ، أى لتكن طائفة منكم ، لا كلكم ، دفعوه بأن (من هنا للبيان بدليل الآية الثانية الصريحة فى العموم ، وشاهد ذلك فى كلام العرب قول أحدهم للآخر (ليكن لى منك صديق حميم) أى لتكن أنت صديقا حميما .

أما كونه مطلوبا فى كل حال ، أو فى بعض الأحوال دون بعض ، فقد قال بعض العلماء : إن هناك حالات تجيز السكوت ، وتلك اذا كان النهى يؤدى الى مفسدة أعظم ، كأن ينهى عن سرقة مثلا فيؤدى نهيه هذا الى قتل نفس .

يحتاج الى بصيرة

وبعض العلماء فصّل فى المفسدة الأشد بين أن تكون مظنونة الحصول للناهى ، أو لغيره ، فقال إذا كانت ستصيب غيره فالإجماع على أنـــه يجب عليه الكف عن النهى .

واختلفوا فيما إذا كانت ستصيب الناهى نفسه فقال قوم : إن الحكم فيه كالحكم فى المسألة الأولى ، نظرا لعظم المفسدة المترتبة على النهى .

ومنهم من قال لا يجوز للنـــاهى الســـكوت على المنـــكر ولو تحـــقق حصول الضرر على نفسه ، لأن بذل النفوس فى طاعة الله تعالى مشروع لقوله تعالى : **(وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ومـــا ضعفوا ومـــا استكانوا والله يحب الصـــابرين)** آية ١٤٦ من سورة آل عمران . فقد مدحهم الله سبحانه ، لأنهم صمدوا مع نبيهم فى الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وخاضوا معه الحروب لذلك .

---

(١) رواه الترمذى وقال انه حديث حسن .

وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر »

ومعلوم أن هذا يعرض نفسه للقتل بمجرد كلمة . وجعله صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد ، ولم يفرق صلى الله عليه وسلم بين أن تكون كلمة الحق هذه متعلقة بأصول الدين ، أو بفروعه ، ولا بين الصغائر والكبائر .

والحق أن هذا مقام وان أجازه الشارع فهو خاص بطائفة من المؤمنين بلغت ذروة الإيمان .

ونظير ذلك فى الشريعة أنه سبحانه مع عدّه من صفات عباد الرحمن الذين يجزيهم غرف الجنة عدّ منها التوسط فى الإنفاق وعدم الاسراف فقال : **(والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)** آية ٦٧ من سورة الفرقان ، ومع ذلك مدح الذين يبذلون مالهم وهم فى أشد الحاجة إليه لمحتاج آخر ، فقال فى مدحهم **(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)** آية ٩ من سورة الحشر ، والخصاصة هى شدة الحاجة الى ما أنفقوه ، فاذا كان سبحانه مدح هذا الفريق الممتاز من المؤمنين ، فقد أعفى من موقفهم هذا كثيرا غيرهم من المؤمنين أيضا .

وها هو ذا الحديث الصحيح الوارد عن بعض الصحابة ، والتاريخ المتواتر يحدثنا أن بعض الصحابة والتابعين وتابعيهم كانوا يتلافون بالسكوت على المنكر أضرارا كانت ستلحقهم من ولاة علموا عنهم القسوة والجبروت ، فلو لم نقل **ان رحمة الله وسعتهم** نكون قد طعنّا فى رجال معدودين من أفضل هذه الأمة .

لكن قد يقال ردا على من يرى أن الأمر بالمعروف مطلوب من كل فرد من أفراد الأمة أن هذا غير ممكن ، إذ كيف يتصور أن يقوم العامى وأمثاله بهذا الأمر ، وبعض المعروف والمنكر يخفى على كثير منهم ؟ وربما أوقعهم جهلهم هذا فى فساد خطير ؟!

والحق أن الأمر يحتاج الى تفصيل لا بد من الوقوف عليه .

أمور .. وأمور

وبيان ذلك أن بعض المعروف وبعض المنكر يجب أن يعلمه كل مسلم ، وهو داخل تحت طاقته ، وبعضه قد يخفى عليه ، أو ليس فى طاقة كل فرد .

أما القسم الأول فهو جميع أصول الخير وأصول الشر التى جاءت صريحة فى الكتاب والسنة ، وصارت معلومة من الدين بالضرورة .

فالمعروف منها كالمحافظة على الصلاة والصيام ، وإغاثة الملهوف ، والإصلاح بين الناس ، وأمثال ذلك .

والمنكر منها كالقتل ظلما ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وشهادة الزور ، والزنا ، والخيانة ، والغش فى الكيل والميزان ، والكذب الذى يؤذى الغير الى غير ذلك مما هو معلوم بالبداهة .

فهذه كلها أمور يستوى فيها العالم والجاهل ، ويعلمها حتى أطفال المسلمين ونساؤهم . فلو قام كل مسلم ومسلمة بواجب الأمر والنهى فى هذه الإمور لتغير حال المسلمين الى أحسن حال ، ولكانوا قدوة حسنة لمن عداهم ، تحملهم على الإسراع فى الدخول فى الإسلام بغير عناء .

وكيف لا تسمو أمة على من عداها ، وكل فرد منها يؤمن بأن ربّه جعله جنديا قائما على حراسة شريعتها ، وقوانينها ، وأخلاقها ، وجعل مكافأته على ذلك ليست موكولة إلى أحد من خلقه ، يكون عرضة للتفريط فيها ، بل ضمن هو سبحانه جزاءه الأوفى فى دنياه بعزة تريح ضميره ، وتطمئن قلبه ، وفى

أخراه بنعيم دائم ، وسعادة لا تخطر على قلب بشر .

وكيف لا يكون هذا جزاء الله لأمـــة كهـــذه مسحت من قاموسها كلمـــة (وأنا مالى) تلك الكلمة المسمومة التى تقتل كل مقومات الأمة اليقظة ؟!!

وكيف لا يكون هذا حال أفرادها ، ودينها لم يدع فضيلة إلا أمر بهـــا ، ورغّب فيها ، ولا رذيلة إلا حـــذّر منها ، ولذلك وصفه الباحثون بـــأنه دين الشمول .

ولا عجب ، فهو الدين الوحيد الذى جعل إماطة الأذى عن الطريق جزءا من أجزاء الإيمان ، فقال فى ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم « الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » .

هـــذا ما كان فى شـــأن الأمور المعـــلومة من الدين بالضـــرورة ، ويســـتوى فى العـــلم بها العـــالم والعامىّ ، ويكون الأمر بها والنهى عنها فى طوقه .

وهناك أمور لا يتولى هذا الواجب فيها إلا طائفتان مخصوصتان ، ضمانا لعدم الخطأ ، وتجنبا للفوضى المدمرة بين أبناء الأمة الواحدة ، وهى :

أولا : الأمور التى يدق فهم الحكم فيها على غير الفقهاء المختصين ، فهذه لا يجوز أن يتعرض للأمر والنهى فيها إلا طائفة الفقهاء .

وثانيا : الحدود والقصاص ، وهذه لا يتولى الفصل فيها إلا الحكام الذين نيط بهم تنفيذ الأحكام فى الحـــدود والقصاص ، فهم الذين لهم منع المنكر لأن وراءهم قوة الإمام الأكبر وسطوته تجعـــل لهم سلطانا عـــلى النفوس يخشى الناس من أجله مقاومتهم أو الخروج عليهم .

بالحكمة والموعظة الحسنة

وفى هذا كله يجب على القائمين بهذا الأمر الخطير أن يسلكوا طريق الحكمة والموعظة الحسنة التى أمر الله بها ، حتى لا ينفروا الناس ، أو يحملوهم على إلحاق الأذى بهم . وقد ضرب صـــلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة فى هذا السبيل .

من ذلك ما رواه ابن جرير من حديث أمامة أن غلاما شابا أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس بين أصحابه وقال : يا نبى الله ، أتأذن لى فى الزنا ؟ فصـــاح فيه الناس ، وأرادوا أن يتناولوه بالأذى ، فقال صلى الله عليه وسلم : قرّبوه منى ، وصار يقول له : أدن منى ، حتى جلس بين يديه ، فقال له صلى الله عليه وســـلم . هل تحب ذلك لأمـــك ؟ فقـــال : لا ، جعلنى الله فداك . قال صلى الله عليه وسلم : كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم .

ثم قال : أتحبه لابنتك إذا كانت لك ابنـــة ؟ قـــال لا ، جعلنى الله فداك . قال : كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم .

ثم قال : هل تحبه لأختك ؟ قال لا ، جعلنى الله فداك . قـــال : كذلـــك الناس لا يحبونه لأخواتهم .

ثم قال : أتحبه لعمتك ؟ قال لا ، جعلنى الله فداك . قـــال : كذلـــك الناس لا يحبونه لعماتهم .

ثم وضع صلى الله عليه وسلم يده على صدر الشاب وقال : اللّهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وأحصن فرجه . قال الغلام : فلم يكن شىء بعد ذلك أبغض إلىّ من الزنا (١) .

---

(١) هذا الحديث رواه أحمد باسناد جيـــدورجاله رجال الصحيح .



استقبال الوفود

للشيخ : علي عبد المنعم عبد الحميد

المستشار الثقافى بوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ان وفد عبد القيس لما أتوا النبى صلى الله عليه وسلم قال : من القوم ؟ أو من الوفد ؟ قالوا : من ربيعة . قال مرحبا بالقوم أو بالوفد ، غير خزايا ولا ندامى ، فقالوا يا رسول الله : انا لا نستطيع أن نأتيك الا فى الشهر الحرام ، وبيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة ، وسألوه عن الأشربة ، فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع : أمرهم بالايمان بالله وحده ، قال : أتدرون ما الايمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس ، ونهاهم عن أربع : الحنتم والدباء والنقير والمزفت وربما قال المقير . وقال : « احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم » . رواه البخارى ومسلم وغيرهما ..

١ — فى مثل هذا الشهر المبارك ، شهر ربيع الأول ، ولد سيد الخلق سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان من أمره الشريف فى طفولته وشرخ شبابه وكهولته ثم فى شيخوخته ما حفلت به ووعته كتب السيرة المطهرة ، وكتب التاريخ العام وما تناوله بالبحث والدرس علماء الدنيا منذ أن ظهر على مسرح الحياة نبيا ورسولا الى يومنا هذا ، وكان منهم المخلصون الباحثون عن الحقيقة رغبة فى الاقتناع ، وكان من بينهم المغرضون الذين انطووا على الحقد والضغينة لكل ما هو عربى اسلامى يحاولون — غباوة وجهلا — انكار شمس الضحى فى يوم صحو ، أو اخفاء بدر السماء فى ليلة صائفة .. وليس هذا مجال بحثى فى حديث هذا الشهر ، ولا أعدل عنه لأنه غير ذى بال ، وانما أتجه فى هذا الموضوع الى الواقعية البحتة ، والتفاعل بالظروف التى أعيشها الآن بعيدا عن الارض التى نشأ فيها سيدى رسول الله ، فقد كدت أصل الى حقيقة واقعة هى فشل غزو الشعوب حربيا

.. والعمل الجدى يبعد عن ميدان الحروب ليلتقى بعلويات فكرية سامية ويحمل الأجيال – ولاسيما جيل المسلمين المعاصر – أحمالا ثقالا لا يستطيع الفكاك منها ولا الفرار من تبعاتها حاكم أو محكوم .. وان كانت فى حاجه لعقول واعية فاقهة ذات المام كامل بالعقيدة الصافية الصادرة رأسا من منبعها الطاهر من توجيه سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم التوجيه المباشر الذى لم تلونه أقلام ولم تنحرف به أفكار ولم تسيطر عليه أنانية آنية مع حصافة وكياسة وتؤدة وصبر وقوة ارادة وعزم وحكمة حكيمة وجلد تام وتحمل لمتاعب الطريق ووعثائها .. تبعد عن الاسفاف والابتذال .. تقدر للكلمة قيمتها وتتبصر ما تأتى وما تذر .. لا تستعجل الجنى ، وانما تلقى البذور فى الارض الصالحة وتتعهدها بالرى والسقيا فى حذر ويقظة وتنتهج دائما الطريق الذى سار فيه سيدى رسول الله « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » .. تتابع وفود الغرب والشرق الى أوطاننا أوطان الاسلام ولا يمكن أن تنقطع لأن أوديتنا مغرية بالاستطلاع .. استطلاع القديم واجتلاء الحديث .. وما مضى طوته الأيام وأصبح ذكريات .. والمنشور هو الحاضر .. والمظهر الحضارى فى بلادنا لا يقل عنه فى أى بلد آخذ بأسباب التطور المعاصرة .. واللباب شيء آخر خواء أو قريبا منه .. فراغ يطلب اعمارا ويحتاج الى امتلاء .. ولن يأتى هذا طفرة فمن الممكن أن تشيد عمارة على نسق يروقك فى أى بقعة من المعمورة ما دمت تجد المال وتستطيع تمويل المشروع .. ولكن هيهات أن يستطيع المال وحده تحويل فكر أو انضاج عقلية .. وانما مع مرور الأيام ذلك يكون .. وتلك سنة الله ولن تجد لسنته تحويلا .. ومن سار على الدرب وصل ..

استمعت منذ أيام الى حديث عائد من بقعة من بقاعنا بعد أن التقى بالعديد هنا من الناشئة ومن هم فى دور المراهقة العلمية .. وجلس هذا الزائر الكريم يعقب على زيارته من وجهة نظر العالم الاجتماعى المؤرخ مبديا أنه التقى بقصور ودور ولم يفز من رحلته الا بلقاء فريد مع شخصية عاقلة معقولة ، أثنى على ذكائها ووعيها النادر فى تلك المنطقة وسعة اطلاعها على مجريات العالم المعاصر والمامها بوقائع الحياة العامة الماما بعيد الغور ، وهى شخصية قيادية فى وطنها ، حقيقة واقعة لا خيال ولا احلام ، يردد فيلسوف اختصاصه هذا فى كل مجالسه مع تلامذته وخاصة خلصائه .. وهو لا ينسى الآخرين فى ذلك البلد وانما يضعهم فى أول المسيرة الواعية يقول : انهم بدأوا يضعون أقدامهم على أول الدرج ولعلهم – ان ثابروا – واصلون يوما ما .. وانى أخالف الزائر المفضال فى الأرقام فقد لمست عن كثب ورأيت تلك الشخصية مكررة فى المجتمع بصورة تذهل هذا العالم لو أنه التقى بمن بهم التقيت .. وقد ذكرت له هذا فاندهش وقلت ، ان المسألة مسألة واقع بالنسبة لقولى وليست مجرد دعاية فالاسماء معروفة والمسميات على قيد الحياة ولكننا نطالب المزيد مع التركيز والاختصاص .. ثم أولا .. الاخلاص للحقيقة من حيث هى !!

٢ – زمن الغزو بالسلاح ، أعتقد أنه قد ولى الأدبار ، والمسألة قيد فكر وتدبر ، وقد فطنت لذلك دول انسابت الى أوطان ما كانت تحلم بالوصول اليها ، اقتحمتها عن رضا أصحابها بل فى غيبة عقول أربابها .. بل فى ساعة عاطفية ولحظة ثورة عصبية .. والمسلمون نائمون .. مع أن ما رسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ما ترسمه الصديق الألد .. فرسول الله عليه

أفضل الصلاة وأزكى السلام يلتقى بالوفود يعلمهم ويملأ فراغ عقولهم ، ويطلب اليهم وعى ما يقول وتبليغه الى من وراءهم فرب مبلغ أوعى من سامع .. وفى هذا الحديث الشريف يبدو الخلق العظيم ـ الذى شاد به القرآن الكريم ـ فى بدء اللقاء حين يبتدرهم الحبيب المصطفى .. من القوم ؟! مرحبا بالقوم ! غير خزايا ولا ندامى .. فتتفتح قلوبهم على هذا الأرج العطر ريح النبوة الطاهرة .. وينفضون الى الحبيب جملة حالهم راغبين فى الفوز بالتوجيه الكريم الذى يبديه لهم والذى يرتفع بهم عن مستوى السوائم الى مصاف الانسانية الحقة التى اختارها ربها لعمارة الكون فى عدل .. وتبصر .. ولنجلس الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحظات نسعد فيها بالتعرف على الوفد الذى سعد بلقائه ، ناهلين من نبع النبوة الشريفة كأسا صافية لا غول فيها ولا تأثيم تنير لنا حوالك أيامنا وتهدينا الى حاضر ومستقبل قيادى على ضوء هداها وسيرا فى اثرها ..

وفد عبد القيس ..

الوفد الجماعة قلت أو كثرت تختار من القبيلة لتقابل عظيما أو تطالب بحق مفصحة عن رأى من تمثلهم ناطقة بلسان حالهم(١) وعبد القيس هو أبو قبيلة ينتهى نسبها الى ربيعة بن نزار ـ ويذكر مقيدو حوادث التاريخ فى سبب وفودهم على سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تاجرا منهم كان يرتاد أسواق المدينة المنورة التقى بالمصطفى فأسلم وحمل رسالة مكتوبة منه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام(٢) فلما تلاها على قبيلته استجاب شيوخها وشرح الله صدورهم للاسلام وأجمعوا أمرهم على السير الى المدينة المنورة ، فلما دنوا منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصحابته : « أتاكم وفد عبد القيس خير أهل المشرق فيهم الأشج ، غير ناكثين ولا مبدلين ، ولا مرتابين » ولما وصلوا الى مجلس الرسول الكريم تقدم الأشج وكان قصيرا دميما ، فسلم على رسول الله ، وقال يا رسول الله : « انما يحتاج الرجل الى اصغريه قلبه ولسانه » !

وكأنه يعتذر عن قماءته ودمامته ، فأجابه سيد الخلق : « ان فيك خلتين يحبهما الله ورسوله : الحلم والأناة ! » فرد الأشج قائلا : « الحمد لله الذى جبلنى على خلتين يحبهما الله ورسوله ! » ..

(قالوا : من ربيعة) .. ولم يقولوا من عبد القيس لأن عبد القيس من أولاد ربيعة يعنون أنهم حى من ربيعة(٣) .. (مرحبا بالقوم) أى صادفتم رحبا(٤) أى سعة وهو لفظ تستعمله العرب تأنيسا للقادم الغريب أى لا تستوحش (غير خزايا ولا ندامى) قال شراح الحديث الشريف من العلماء السابقين رحمهم الله : « .. معناه .. انكم لم تتأخروا عن الدخول فى الاسلام ولم

---

(١) فى المصباح المنير : وفد على القوم من باب (تعب) فهو وافد والجمع وفد ووفاد ، مثل صحب وصحاب .

(٢) أملاها الرسول الكريم على من كتبها من صحابته رضى الله عنهم جميعا ، ولم يثبت تاريخيا اسم الكاتب .

(٣) الحى .. اسم لمنزل القبيلة (لغة) لأن بعضهم يحيا ببعض كناية عن التعاون المتبادل .

(٤) فى المختار « الرحب » بضم الراء المهملة السعة ومنه فلان رحب الصدر .. (وبفتح الراء) الواسع .. وقولهم مرحبا وأهلا : أى أتيت سعة وصادفت أهلا (ذوى قرابة) فلا تبتئس ..

تقعوا أسرى حرب ، فلم يصبكم ما تستحون منه أو تذلون بسببه أو تندمون على وقوعه » .. وكانوا لا يســـــتطيعون الوصول الى المدينة المنورة الا فى الأشهر الحرم تفاديا لقتال القبائل الواقعة على طريقهم ولاسيما كفار مضر ، ومعلوم أن العرب كانت توقف القتال فى تلك الأشـــــهر (رجب الفرد ، وذى القعدة وذى الحجة ومحرم) .. (فمرنا بأمر فصل) بســـكون الصاد المهملة أى قاطع واضح مبينا بيانا كاملا لا لبس فيه ولا غموض للأمور الواجبة علينا حيال الاسلام حتى لا نقع فى مخالفة تجرنا الى عقاب (نخـبر به من وراءنا وندخل به الجنة) .. فى هذا المقطع من الحديث الشريف شيئان مهمان :

أحدهما أن السفارة قديمة معروفة وأن مبعوث القـــــوم يجب أن يكون أمينا ممثلا صادقا باحثا بكل قوة عما يفيد قومه دون توان أو خجل أو تواكل مؤديا لنيابته عنهم مقدرا لها أمينا شريفا جديرا بالثقة التى وضعت فيه .. كما تعطى أن هؤلاء القوم من ربيعة كانوا حريصين على الاســـلام أشد الحرص مؤمنين به أقوى الايمان واثقين بما عند الله آملين فيه .

وثانيهما : ثمرة الايمان التى وضحت فى التصـــديق الكامل بما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد آمنوا بما غاب عنهم وبما لم يقع تحت حواسهم .. آمنوا بالجنة والنـــار والدار الآخرة .. وتلك علة العلل فى كفر الكافرين المعاصرين فى نهاية القرن العشرين الميلادى .. حمل الأولين على الايمان ثقتهم التى لا حدود لها بالمرسل الكريم .. وحمل الآخرين على الـــكفر شكهم فى كل شىء حتى فى أنفسهم وتصـــــديقهم دائما بما يقع تحت حواسهم ولا زيادة وتلك غيبة فكر وضياع عقل .. وأردد دائما للمنـــــكرين قول الله تبارك وتعالى : « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . الذى خلق الموت والحياة .. » أمران عجيبان بعيدان عن متناول المعمل والمصـــنع .. لا جواب .. عند الكافرين الا الهروب من ميدان المعركة العقلية بألفاظ جوفاء لا معنى ولا مدلول لها .. خرافة يسمونها فلســـفة ولله فى عقول عبــــاده شئون ..

كما يؤخذ من هذا المقطع من الحديث الشريف كما قال سادتنا السابقون من العلماء العاملين أجزل الله مثوبتهم فى الجنة : « فيه دليل على أن السائل يبدأ بالأهم ثم المهم .. وعلى أن الاعمال الصـــــالحة موصلة الى الجنة اذا قبلت ، وأن قبولها يقع برحمة الله تعالى ولطفه بعباده » .. (وســـألوه عن الأشربة) ظاهر القول يعطى ســــؤالهم عن حلها أو حرمتها شرعا .. وأجاب سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. آمرا اياهم بالايمان بالله وحده ثم فسره لهم بعد توقفهم عن الاجابة عن معناه مفوضين الأمر لله ولرســـوله . قال الحبيب المصطفى : الايمان بالله وحده شهادة أن لا اله الا الله .. وهذا يعنى التوجه الكامل الى الله وحده بالعبادة فى حدود ما شرع ، ثم الايمـــــان برسالة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وبدون هــــذا لا يتم ايمان .. وللصلاة قدر معروف وموضح فى كتاب رب العالمين وهدى ســـــيد المرسلين .. ثم تعرج الوصايا حاثة على ترابط المجتمع وبث روح التعاون فيه بالبذل من المال بذل حق الله تبارك وتعالى فى أموال الموسرين .. وأن ما يغنم فى الحرب يوزع حسب ما ورد فى التنزيل الكريم فى سورة الأنفال ولا رأى مع النص .. ثم الصيام صيام شــــــهر رمضان تهذيبا للنفوس وتمرينا لهـــا على

التجاوب مع الشرع رعاية لحق الله .. ولئن كان بذل المال فريضة حتمية فى كل زمان ، ولئن كان الصوم جهادا بدنيا واجتماعيا .. لهذا البذل وذلك الجهد الزم فى أيامنا هذه ، فقد فتحت أبواب الجنة للراغبين وما أبواب الجنـــــة الا الجهاد .. جهاد الفدائيين المناضلين عن الوطن السليب .. فعلى كل مسلم ومسلمة بذل العون لهم بالنفس والمـــال ، ولا عــــذر لمقصر وفى ذلك فليتنافس المتنافسون المؤمنون بالله ، وبحق الأوطان ، بالكرامة الانسانية بالعمل القوى المنتج نصرا وفوزا ..

(ونهاهم عليه الصلاة والسلام ..) أى نهى الوفد عن أشياء يضر فعلها ولا ينفع ، ويضع ولا يرفع ويؤخر ولا يقدم ، وفى الحلال ما يغنى عنها ويزيد .. نهاهم عن الأشربة التى تذهب العقل وتهدم القوى البدنية والروحية .. وتفشى الأسرار .. وتولج فى الجدال والنفار .. وتولد الضغائن .. الى آخر ما هنالك من شرور صحية واجتماعية يعرفها الســــــادة الأطباء والاجتماعيون وطالما نشروا حديثها وأفشوا أمرها .. والنهى الوارد فى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن : الحنتم والدباء والنقير والمزفت .. يقال له فى بلاغة العرب هو من اطلاق المحل وارادة الحال فيه فالمذكورات فى الحــــديث الشريف هن الأوانى وليست هى أنواع الشراب[1] وخص هذه الأنواع بالذكر مع وجود غيرها لأن ما ينبذ فيها يسرع اليه التغير والاسكار .

٣ ــ وأخيرا يجب على المسلمين أن يهيئوا من بينهم من يختـــارون من الشباب الفاقه لدينه وواقع بلاده لدراســــة لغات الغرب دراســــة كاملة ، وغشيان تلك المجتمعات وتفهم ما يجرى فيها عن كثب .. ثم يؤدون رسالة الله فى أناة وحلم .. ولقد عانى الناس كثيرا فى هذه الأوطان من المذاهب والآراء حتى عافوها وبدأوا يبحثون عن غيرها .. وما غيرها الا دعوة الحق سبحانه وثمة شىء آخر ذلك هو رعاية الوفود التى تصل الى ديارنا باحثة عن جديد فى أوطاننا .. يهمها أن تعرف أخلاق الشرق ودين الشرق ووحى الســـــماء فى صورة نقية واضحة .. حتى يعودوا الى أوطانهم بأجمل ما عرفوا من التعاليم الالهية السامية .. والناس لا يحترمون الــكلام الا اذا كان له واقع عملى ، ومطبق فى المجتمعات التى تتحدث به .. فالقدوة العملية هى كل شىء وعسى أن يعطى مواطنونا فى الديار الاسلامية الصــــورة الواضحة النقية لتعـــاليم الاسلام وأخلاقه وأهدافه .. والتعاون الحق لا يكون الا بالاتفاق فى الفــكرة والهدف .. ولا ينقصنا الموجهون وانما ينقصنا الذين يفعلون ما يقولون .. وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الامثال لكل مجال .. فها هو ذا يستدعى الوفود ويستقبلها فيرشـــدها ويوجهها ويحملها الدعوة الى أوطانها وأبناء عشيرتها ورب مبلغ (بفتح اللام المشددة) أوعى من سامع .. ولقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ..

---

(١) الحنتم : قال بعض صحابة الرسول عليه وآله الصلاة والسلام : هى جرار يؤتى بها من مضر .. أى الفخار الأخضر .

والدباء : هو القرع .. وذكر النووى فى شرح صحيح الامام مسلم : اليابس منه .. والمراد أوان تتخذ منه .

والنقير : فى المصباح المنير : خشبة تنقر وينبذ فيه .. وفى مختار الصحاح : أصل خشبة (أى جذع الشجرة) ينقر وينبذ فيه .

المزفت : المطلى بالزفت .

الضرورة الشرعية وضوابطها

للدكتور : وهبه الزحيلي

عميد كلية الشريعة ــ جامعة دمشق

كثر استعمال كلمة « الضرورات تبيح المحظورات » كسلم لاباحة كثير من المحظورات ، ووسط هذه الموجة يضيع كثير من معالم الحلال والحرام ، ويحتـاج الامر لتوضيح هذه الضرورة حتى يتبين الحق من الباطل وفى البحث الآتى وما يتبعه ما ينير لنا السبيل ..

« الوعى الاسلامى »

منذ نصف قرن تقريبا ، ولا سـيما فى العشرينات الاخيرة ، اهتم العاملون فى الحقل الاسلامى تدريسا وافتاء وقضاء ببحث تفصيلى لأهم المصـادر التبعية لاستنباط الاحـكام الشرعية ألا وهى **« الاستحسان والمصـالح المرسلة والعرف »** محاولين فى ضوئها عن طريق الاجتهاد والتجديد مسايرة أوضاع المدنية الحديثة ، وموضحين سبيل الاسلام فى مواجهة التيارات الغربية ، والأفكار الدخيلة ، والقوانين والأنظمة التى أعقبها الاستعمار فى بلادنا فى نطاق السياسة والادارة والحكم والتشريع والقضاء والتنفيذ والتطبيق ، وذلك بقصد وبسوء نية على حساب شريعة الاسلام ، التى لم تعرف أقطار المسـلمين بديلا عنها ، طيلة القرون ، وعبر الأجيال الماضية والحاضرة القريبة ، لاعتقاد كل مسلم صادق غيور على دينه بأصالة شريعته وخلودها وصلاحيتها فى الواقع لـكل زمان ومكان .

غير انه كان من الأجدر والأوفق والأدق علميا ، العناية الواضـحة قبل ذاك ببحث المرتكزات التى تعتمد عليها هذه المصادر ، ألا وهى « **الضرورة والمشقة والحاجة** » فهذه هى محور باعث المصلحة والاستحسان والعرف ، وهى التى كانت فى الواقع منطلقات فقهائنا فيما يصـدر عنهم من اجتهاد لتلبية مطالب الحياة الجـديدة ، وللتمازج مع الظروف والوقائع المتغيرة أو المتطورة ، متخطين بذلك عموم الاحكام الأصلية الكلية فى الشريعة ، ومبينين ما يثمر عنـه اجتهادهم من أحكام استثنائية ، متلائمة مع مقتضـيات البيئات والاعراف والحاجيات الشخصية والجماعية .

لذا عكفت طويلا علـى بحث الضرورة ، وحالاتها ، وضوابطها ، مع مقارنتها بأحكام القانون الوضعى ، لكنى أقتصر هنا على بيان

معالم الموضوع فى الشريعة حرصا منى على وضع الامور فى مكانها الطبيعى ، ودحضا لادعاءات بعض المغرضين أو المستهترين بأحكام الاسلام ، متذرعين بعامل الضرورة ، لاباحة المحظور ، وترك الواجب ، ومتسترين تحت ستار العموميات الشرعية المعروفة عن الاسلام بسماحته ويسره وعدالته ، وفى ظل مقاصده العامة وروحه الغالبة عليه .

فلكى يسوغ امرؤ صنيعه وتفريطه فى أداء واجب دينى فى حفل عام أو اجتماع خاص مثلا ، يحتج بالضرورة .

وقد يشرب المسلم المسكر فى حفل أو ضيافة بقصد المجاملة المزعومة .

وقد يستبيح انسان الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، لانه فى بيئة تستسيغ ذلك ، أو بسبب بعده عن زوجته اذا كان متزوجا زاعما بأنه مضطر الى الوقوع فى الحرام ، لانتشار الفتنة ، وكثرة الاغراء وقد تسافر امرأة وحدها سفرا بعيدا دون مصاحبة قريب ذى رحم محرم مما يعرضها للريبة والشك والوقوع فى الاخطاء .

وقد يقبل المرء على أماكن اللهو والفجور بحجة الترفيه عن النفس .

وقد يقترض بالفائدة أرباب المصالح التجارية والصناعية والزراعية لأمور يتخيلونها ضرورية . كل هؤلاء وأضرابهم يحتجبون وراء الضرورة المبيحة للمحظور ، علما بأنه ليس كل من ادعى الضرورة أو الحاجة يسلم له ادعاؤه . فللضرورة حد محدود ، وضوابط معينة ، وحالات محصورة ، فاذا لم تتوفر قيود الضرورة بالمعنى الذى أبانه الفقهاء ، ضاعت الحكمة المقصودة من مجىء الشرائع السماوية وأصبح الحرام والحلال قرين الهوى ، وموضع العبث ، وملاذ الفوضى والاضطراب ، قال الحق تبارك وتعالى « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن ، بل أتيناهم بذكرهم ، فهم عن ذكرهم معرضون » .

مفهوم الضرورة :

للضرورة تعاريف متقاربة المعنى عند فقهائنا القدامى الذين حاولوا ضبطها ، منها ما ذكره أبو بكر الجصاص فى أحكام القرآن قائلا : الضرورة هى خوف الضرر أو الهلاك على النفس أو بعض الاعضاء بترك الأكل .

ومنها ما بينه ابن جزى فى قوانينه الفقهية فقال : الضرورة هى الخوف على النفس من الهلاك علما أو ظنا ، أو هى خوف الموت ، ولا يشترط أن يصبر حتى يشرف على الموت .

وعرفها الزركشى فقال : هى بلوغه حدا ان لم يتناول الممنوع هلك ، أو قارب كالمضطر للأكل واللبس ، بحيث لو بقى جائعا أو عريانا لمات أو تلف منه عضو .

ولكن الذى يبدو من هذه التعاريف أنها محصورة فى حالة واحدة من حالات الضرورة ، وهى الغذاء . لذا فانى أقترح التعريف التالى المتصف بالشمول وهو أن الضرورة : **هى أن تطرأ على الانسان حالة من الخطر أو المشقة بحيث يخاف حدوث ضرر أو أذى بالنفس أو بالعضو أو بالعرض أو بالعقل أو بالمال وتوابعها ،** ويتعين أو يباح له عندئذ ارتكاب الحرام ، أو ترك الواجب ، أو تأخيره عن وقته دفعا للضرر فى غالب ظنه ضمن قيود الشرع .

وبذلك يشمل التعريف حالات ضرورة الغذاء والدواء والعطش والانتفاع بمال الغير ، والمحافظة على مبدأ التوازن العقدى ، والقيام بالفعل تحت تأثير الرهبة أو الاكراه والدفاع عن النفس أو المال ونحوهما ، وترك الواجبات الشرعية ، ونحو ذلك من حالات الاضطرار الملجىء من كل ما يدفع الانسان الى ارتكاب ما يضره تخلصا من ضرر أعظم منه عملا بقاعدة « الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف » « أو يختار أهون الشرين » أو « الضرر يدفع بقدر الامكان » .

الفرق بين الضرورة والمصلحة :

الضرورة هى التى تصل فيها درجة الاحتياج الى أشد المراتب وأشق الحـــالات ، وأما المصلحة فكما تشمل مرتبة الضروريات تشمل الحاجيات والتحسينات وهى كما قال الرازى فى المحصول « المنفعة التى قصدها الشارع الحكيم لعباده من حفظ دينهم ونفوســـهم وعقولهم ونسلهم وأموالهم طبق ترتيب معين فيما بينها » .

ضوابط الضرورة :

لا تتـوفر حالة الضرورة الا اذا تحققت أوصاف أو شروط محددة وهى ما يأتى :

١ — أن تكون الضرورة قائمة لا منتظرة ، أى أن يحصل فى الواقع خوف الهـلاك أو التلف على النفس أو المال بحسب ما يغلب على الظن فى ضوء التجارب السابقة ، أو يتحقق المرء بالاولى من وجود خطـر حقيقى على احدى الضروريات أو الـكليات الخمس المعـروفة التى صـــانتها جميع الديانات السـماوية : وهى النفس والمال والعقل والنسل والدين ، فاذا لم يخف الانسان على شىء من ذلك ، لم يبح له مخالفة الحـــكم الاصلى العام من تحريم أو ايجاب .

٢ — أن يتعين على المضـــطر مخالفة الاوامر ، أو النواهى الشرعية ، أو ألا يكون لدفع الضرر وسيلة أخرى الا المخالفة ، وذلك بأن يوجد الشخص مثلا فى مكان لا يجد فيه الا ما يحرم تناوله ، ولم يكن هناك شىء من المباحات يدفع به الضرر عن نفسه ، حتى ولو كان الشىء مملوكا للغير ، فلو وجد طعـاما لدى آخر حينئذ فله أن يأخذه بقيمته ، وعلى صاحب الطعام أن يبذله له .

٣ — أن يكون فى حالة وجود المحظور مع غيره من المبـــاحات عذر يبيح الاقدام على الفعل ، أى أن تـــكون الضرورة ملجئة ، بحيث يخشى تلف النفس أو الاعضاء ، كما لو أكره انسان على أكل الميتة بوعيد يخاف منه تلف نفسه ، أو تلف بعض أعضائه ، مع وجود الطيبات المباحات أمامه .

٤ — ألا يخالف المضطر مبادىء الشريعة الاساسية المقررة من حفظ حقوق الآخرين ، وتحقيق العـــدل وأداء الامانات ، ودفع الضرر ، والحفاظ على حقيقة مبدأ التدين أو التوحيد ونحوه من أصول العقيدة الاسلامية فلا يحل مثلا الكفر(١) والزنا والقتل والغصب بأى حال لأن هذه مفاسد فى ذاتها .

٥ — ينبغى فى رأى جمهور الفقهـــاء الاقتصار مما يباح تناوله للضرورة على الحد الأدنى أو القدر اللازم لدفع الضرر ، لأن اباحة الحرام ضرورة ، والضرورة تقـــدر بقدرها .

٦ — أن يصف المحـرم فى حال ضرورة الدواء طبيب عدل ثقة فى دينه وعلمه وألا يوجد من غير المحرم علاج آخر يقوم مقامه ، حتى يتوفر الظرف الاستثنائى الذى يتعين به ارتكاب المحظور .

٧ — أن يمر فى رأى بعضهم على المضطر للغداء يوم وليلة دون أن يجد ما يتناوله من المبـــاحات وليس أمامه الا الطعام الحرام للمفهوم من الحديث النبوى وهو « أن يأتى الصبوح والغبوق ولا يجد ما يأكله » أى أن يأتى الصباح والمساء ولا يجد الانسان فيهما الطعام المعتاد المعروف بالصبوح والغبوق .

وقال الامام أحمد : ان الضرورة المبيحة هى التى يخاف التلف بها ان ترك الأكل من الحـرام ، ذلك اذا كان المضطر يخشى على نفسه ، سواء أكان من جوع أو يخاف ان ترك الاكل من الميته ونحوها عجز عن المشى ،

---

(١) فى هذا نظر . يرجع الى قوله تعالى « من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » وما قيل فى سبب نزولها ، تراجع كتب التفسير فى هذا الموضوع من ســـورة النحل . « الوعى الاسلامى »

وانقطـــع عن الرفقة فهلك ، أو يعجز عن الركوب فيهـــلك ، ولا يتقيـــد ذلك بزمن محصور .

٨ ــ التحقق فى حال الضرورة الجماعية العـــامة من وجود ظلم فاحش ، أو ضرر واضح ، أو حرج شديد ، أو منفعة عامة .

٩ ــ أن يكون الهدف فى حال فسخ العقد للضرورة هو تحقيق العدالة أو عدم الاخلال بمبدأ التوازن العقدى بين المتعاقدين .

أدلة مشروعية مبدأ الضرورة :

لقد ورد فى القرآن الـــكريم آيات تدل بخصوصها على اقرار مبدأ الاخذ بالضرورة فى الاحوال الاستثنائية وهى خمس آيات وهى قوله تعـــالى : « انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد ، فلا اثم عليه .. » (البقرة ١٧٣) « فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفـــور رحيم » (المائدة ٣) « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم » (الانعـــام ١٤٥) « فمن اضطر غير باغ ولا عاد ، فان الله غفور رحيم » (النحل ١١٥) « وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه » (الانعام ١١٩) .

وجاء فى السنة النبوية أحاديث كثيرة ، بعضها خاص بالضرورة ، وبعضها عام شامل للضرورة وغيرها . فمن الاحاديث الخاصـــة بموضوع الضرورة ما رواه أحمد عن جابر ابن سمرة أن أهل بيت كانوا بالحرة ــ أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود ــ محتاجين قال : فماتت عندهم ناقة لهم ، أو لغيرهم ، فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أكلها قال : « فعصمتهم بقية شتائهم أو سنتهم » .

ومنها ما رواه أصحاب السنة عن سعيد ابن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » .

ومن الاحاديث العامة التى تشمل الضرورة والحاجة مما يدل على سماحة الاسلام ويسره ما أخرجه أحمد من حديث جابر وأبى امامة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « بعثت بالحنيفية السمحة » .

ومنها ما رواه أحمد والبيهقى عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وســـلم قال : ان الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » .

حكمة الشارع ..

واذا كان الحق تبارك وتعـــالى لا تنفعه طاعة الناس جميعا ، ولا تضره معصـــيتهم وانه لا يستهدف من أحكام الشرع الا تحقيق مصالح الناس ، ودفع الضرر والحرج والمشقة عنهم ، فلا يعقل أن يكون قصد الشـــارع ارهاق المـــكلفين بأحكامه ، أو تكليفهم ما لا تطيقه نفوسهم ، أو مصـــادمة طبائعهم ومصالحهم الذاتية ، أو الحرص على تطبيق الاوامر والنواهى الشرعية فى جميع حالات الانســـان العادية منها وغير العادية أو الاستثنائية .

فتجـــاوب الشرع مع حالات الضرورات والحـــاجيات دليـــل على التزام المنطق التشريعى ، وعون على احترام الشرائع ، وتنفيذ الاحكام ، اذ أن الانســـان خلق من عجل ، ومفطور على حب الذات ، ولا يمكنه فى الغالب الصـــبر على المكاره ، أو تحمل المضايقات ، أو تجشم المشاق ، فكان من العدل والرحمة والمصلحة تشريع طائفة من الاحكام تتناسب مع ظروف الانســـان غير العادية ، أو أحواله الاضطرارية .

لذا فانه اذا كان الاصل العام المقرر هو تحريم مال الغير الا بطيب نفس منه ، فان حال المجاعة العامة أو الخاصة أو الضرورة تقتضى تجاوز هذا الاصل ، فيباح مال الآخرين حينئذ بقدر دفع الضرورة . روى ابن ماجة

بسنده عن أبى بشر جعفر بن اياس قال : « سمعت عباد بن شرحبيل — رجلا من بنى غبر — قال : أصابنا عام مخمصة ، فأتيت المدينة ، فأتيت حائطا — بستانا — من حيطانها ، فأخذت سنبلا ففركته وأكلته ، وجعلته فى كسائى ، فجاء صاحب الحائط ، فضربنى ، وأخذ ثوبى ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال للرجل : ما أطعمته اذ كان جائعا أو ساغبا ، ولا علمته اذ كان جاهلا ؟ فأمره النبى صلى الله عليه وسلم ، فرد اليه ثوبه ، وأمر له بكيل من الطعام » .

وأخرج أصحاب السنن من حديث عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الثمر المعلق ؟ فقال : « من أصاب منه من ذى حاجة غير متخذ خبنة ، فلا شىء عليه » قال أبو عبيد : وانما يوجه هذا الحديث انه رخص فيه للجائع المضطر الذى لا شىء معه يشترى به على ألا يحمل الا ما كان فى بطنه قدر قوته .

لهذا قرر الفقهاء أنه يجوز لمن مر فى طريقه ببستان فيه أشجار مثمرة أن يأكل من فاكتها الرطبة عند الضرورة بشرط الضمان ، أى دفع القيمة ، فان لم يكن هناك ضرورة للاكل لا يجوز له أن يأخذ منه شيئا بغير اذن صاحبه ، كما لا يجوز له أن يحمل معه شيئا ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل مال امرىء مسلم بغير طيبة نفس منه » « ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم .. »

وفصل الامام أحمد فى هذا الامر تفصيلا مستمدا من العرف كما يظهر لنا فقال : اذا لم يكن للبستان حائط ، يأكل الانسان منه ، اذا كان جائعا ، واذا لم يكن جائعا فلا يأكل قال أحمد « وقد فعله غير واحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم » وقال صلى الله عليه وسلم : « ما أصاب منه من ذى حاجة غير متخذ خبنة — والخبنة ما تحمله فى حفنتك — فلا شىء عليه ، ومن أخرج منه شيئا فعليه غرامة مثلية والعقوبة » قال الترمذى هذا حديث حسن .

وقال عليه السلام أيضا « اذا أتيت على حائط أى بستان ، فناد صاحب البستان ثلاثا ، فان أجابك والا فكل من غير أن تفسد » فاذا كان البستان مسورا بجدار ونحوه لم يجز الاكل منه لأنه قد صار شبه الحريم . قال ابن عباس « اذا كان عليها حائط ، فهو حريم ، فلا تأكل وان لم يكن عليها حائط فلا بأس » ووجود الحائط دليل على حرص صاحب الثمار عليها ، وعدم المسامحة فيها .

وروى عن الامام أحمد رواية أخرى : أنه أجاز الاكل من ثمار البساتين غير المحوطة مطلقا سواء أكان المار جائعا أم لا ، وقد قوى هذا الرأى جماعة من الحنابلة . قال فى غاية المنتهى « ومن مر بثمرة بستان لا حائط عليه ولا ناظر فله الاكل ، ولو بلا حاجة مجانا لا صعود شجرة أو رمية بشىء ، ولا يحمل ولا يأكل من مجنى مجموع الا لضرورة وكذا زرع قائم ، وشرب لبن ماشيته ، وألحق جماعة بذلك باقلا وحمصا أخضر من المنفتح ، وهو قوى » .

وأيد الشوكانى فى نيل الاوطار (٨ ص ١٥٥) هذا الرأى ، فللمار أن يأكل كفايته من بستان الغير أو يشرب لبنا من ماشيته ، بعد استئذان الراعى ، أو منـاداته ثلاث مرات ، كما يدل عليه ظاهر بعض الاحاديث عن سمرة وأبى سعيد الخدرى . وأما الممنوع فهو الخروج بشىء من ذلك سواء أكان قليلا أو كثيرا .

والحق أنه يعتمد فى ذلك على العرف السائد بين الناس ، وتسامحهم عادة فى تناول الثمار الساقطة المتروكة تحت الشجر .

عموم ضرورة الغذاء :

اذا كان مقتضى تحريم الاشياء لما فيها من ضرر أو أذى أن يكون الحرام عاما لكل مكان وزمان وشخص وحالة ، فان الاخذ بالضرورة ينبغى أن يكون مبدأ عاما أيضا ، فتباح المحرمات عند الاضطرار اليها فى كل الحالات

حضرا أم سفرا ، لأن آيات الضرورة مطلقة غير مقيدة بحال معينة ، وقوله تعالى : « فمن اضطر » لفظ عام فى كل مضطر ، ولأن الاضطرار قد يكون فى الحالات العادية وقت الاقامة ، كأن توجد مجاعة مثلا ، ولأن سبب اباحة المحرمات أيضا وهو الحاجة الى حفظ النفس عن الهلاك ، قد يتحقق فى حالة الاقامة وحال السفر .

ويرى الامام أحمد أن الميتة وما فى حكمها من المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة المذكورة فى سورة المائدة رقم (٣) لا تحل لمن يقدر على دفع ضرورته بالسؤال .

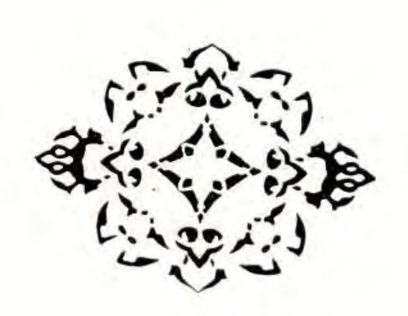
التداوى بالمسكرات :

اختلف الفقهاء فى جواز التداوى بالخمر ونحوها من المسكرات ، فقال أئمة المذاهب الاربعة : يحرم على الراجح الانتفاع بالخمر للمداواة وغيرها ، كاستخدامها فى الطعام والعلف ، لقوله صلى الله عليه وسلم « ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » لكن وجدت فى الهدية العلائية للعلامة الشيخ علاء الدين عابدين من الحنفية ما يأتى (يجوز التداوى بالمحرم ان علم يقينا أن فيه شفاء ، ولا يقوم غيره مقامه ، أما بالظن فلا يجوز ، وقول الطبيب لا يحصل به العلم[1] ، ولحم الخنزير لا يرخص التداوى به ، وان تعين ، ويرخص شرب الخمر للعطشان ، وأكل الميتة فى المجاعة ، اذا تحقق الهلاك ، ولا بأس بشرب ما يذهب بالعقل فتقطع الأكلة ونحوه) والأكلة — بكسر الكاف : داء فى العضو يأتكل منه .

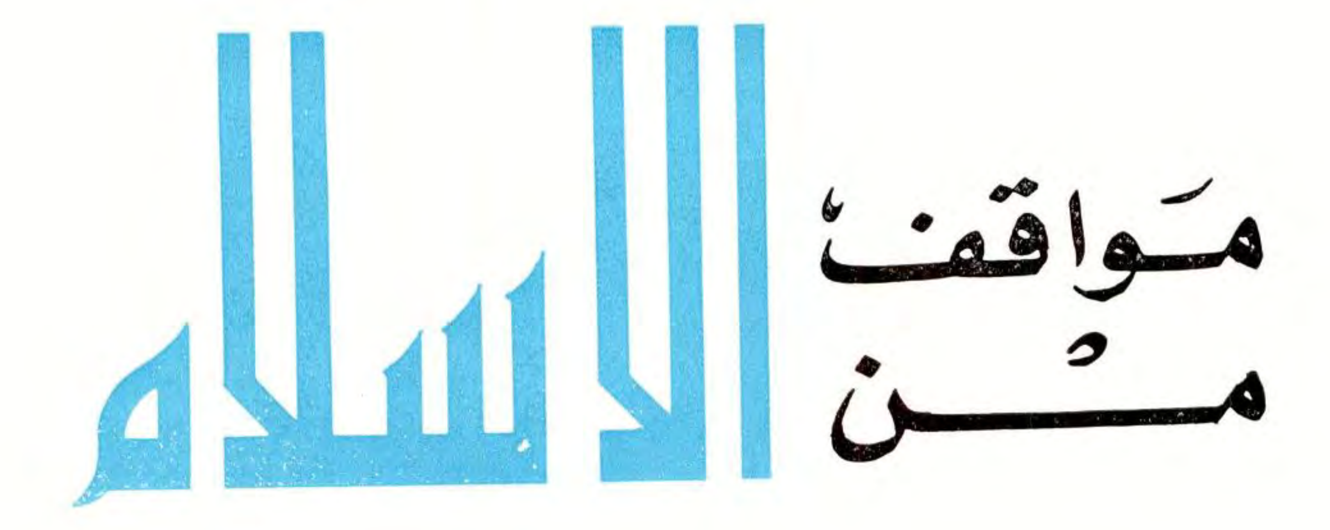
وقال بعض علماء الزيدية فى البحر الزخار ٤ ص ٣٥١ « الاقرب جواز التداوى بالخمر ، حيث خشى المريض التلف ، أو تلف عضو منه ، وقطع بحصول البرء بذلك ، اذ هو حينئذ كمن غص بلقمة ، وان لم يقطع بالشفاء لم يجز ، اذ الخبر يقتضى أن لا شفاء به فيبطل ظن حصول الشفاء .

وقال الشيعة الامامية (الروضة البهية ٢ ص ٢٩٠) يجوز استعمال الخمر للضرورة مطلقا حتى للدواء كالترياق والاكتحال لعموم الآية الدالة على جواز تناول المضطر اليه .

وقال القرطبى المالكى فى تفسيره بعد أن ذكر آراء العلماء فى التداوى بالخمر : ان الاحاديث التى تمنع التداوى بالخمر يحتمل أن تقيد بحالة الاضطرار ، فانه يجوز التداوى بالسم ولا يجوز شربه . وقال ابن العربى فى أحكام القرآن مثل ذلك .



(١) فمن اذن يرجع اليه الحكم فى هذا ؟ ان هذا الكلام محل نظر وفى حاجة الى تمحيص . « الوعى »



عند شعراء المشرق المسيحيين

للأستاذ: محمد عبد الغني حسن

فى عدد سابق من مجلة « الوعى الاسلامى » تحدثنا عن الاسلام ومواقف منه عند شعراء المهجر ، ووعدنا أن نصل البحث بالحديث عن الاسلام عند شعراء المشرق المسيحيين .

والحق أن هذه الظاهرة الشعرية السمحة لم تقف عند شعراء المهاجر الامريكية الذين دفعتهم ظروف الحياة هناك الى الاشادة بالاسلام وتمجيده ، واحياء ذكرى نبيه عليه السلام فى المناسبات المختلفة ، بل وجدنا لها عند اخواننا المسيحيين من شعراء المشرق اهتماما خاصا ، وعناية بالغة . فما تحل مناسبة اسلامية حتى نرى واحدا أو أكثر من هؤلاء الشعراء يتسابق الى التنويه بها ، والكشف عن محاسنها ، وتهنئة اخوانه المسلمين بها . ثم يبعد فى السماحة فيشيد بالاسلام وقوته ، وسمو مبادئه ، وضوء تعاليمه ، وهدى نبيه ، وعلو مثالياته الرفيعة فى صدق لهجة ، وسماح نفس ، وصحة اعتقاد . لا يجامل فى ذلك ولا يداهن ، ولا يحابى ، ولكنه يصور الحق تصويرا يدل على صدق المعرفة ، والتماس النصفة .

والحق أن عنصر المجاملة بعيد عن هذه المشاركات الطيبة . فان اخواننا شعراء المهاجر الامريكية من أتباع المسيح عليه السلام ليسوا بحاجة الى أن يجاملوا مسلما فى المهجر ، أو يترضوه ، أو يتملقوه ، بل كثيرا ما يكونون فى ولايات أو مدن أمريكية ليس فيها مسلم واحد ، ومع ذلك تراهم أحرص الناس على اشادة بالاسلام ، وتمجيد لنبيه عليه السلام .

وقد امتازت حفنة كريمة من اخواننا شعراء المشرق بالترصد لمناسباتنا الاسلامية والتنبه لها ، وعمل القصائد المختلفات فيها . ومن هذه الحفنة الكريمة الشعراء خليل مطران . وشبلى الملاط . ووديع البستانى مترجم رباعيات الخيام . والدكتور لويس صابونجى الرحالة الكاتب الشاعر العربى الكبير ، الذى ولد فى ديار بكر ، وطاف حول الارض فى أكثر من عامين

ونصف عام ، وأنشأ « مجلة النحلة » التى كانت تصـــدر فى بيروت أولا وفى لندن بعد ذلك ، وأغتيل فى مدينة لوس انجلوس بأمريكا الشمالية سنة ١٩٣١ . والشاعر سابا زريق ــ شاعر الفيحاء ــ الذى أصدر فى طرابلس الشـــام ديوانا ضخما تبلغ صفحاته خمسين وسبعمائة صفحة ، وهو بهذا يدانى فى ضخامة حجمه ديوان الشاعر القروى والشاعر محمد الأسمر من شـــعرائنا المحدثين والمعاصرين . والشاعر حليم دموس الذى ولد فى زحلة بلبنـــان ، وكانت له فى البرازيل جولات ، ثم عاد الى لبنان حيث لاقته منيته سنة ١٩٥٧ . والشاعر ابراهيم زيدان وهو شقيق المؤرخ العالم اللغوى جرجى زيدان ، وقد أنشأ مكتبة الهلال بالقـــاهرة ، وله ديوان من الشعر صدر قبل الثورة بعنوان « ذكريات » . والشـــــاعر عبد الله يوركى حلاق صاحب مجلة « الضاد » الحلبية ومحررها ، وقد صدر له فى أخريات سنة ١٩٦٦ ديوان « حصـــــاد الذكريات » ، فـــكان ثانى ديوان له بعد ديوانه الأول « خيوط الغمام » الذى صدر فى سنة ١٩٤٣ .

ويكاد عيد مولد النبى محمد عليه السلام يحتل من دواوين هؤلاء الشعراء مكانا كبيرا ، ومن أقدم القائلين فى هذه المناسبة من شعراء العصر الحديث ، الشاعر الدكتور لويس صابونجى ، فمنذ أكثر من سبعين عاما انطلق صـــوته فى ربيع الأول سنة ١٣٠٨ هـ الموافق أيلول ســـــنة ١٨٩٠ م بأبيات فى هذه المناسبة يقول فى مطلعها :

ألى العرب وافى بالرسالة أحمد وجاء بآيات الــــكتاب يوحد

ويفطن اخواننا الشعراء المسيحيون الى ما يقع بين أعياد المســـلمين والمسيحيين من لطائف الموافقات ، ويتخذونها دليلا على وحدة الهدف القومى بين أتباع محمد وأتباع عيسى عليهما السلام . ففى شهر ديسمبر سنة ١٩١٩ وقع عيد ميلاد النبى مع ميلاد المسيح ، فانتهزها الشاعر وديع البســـــتانى فرصة مواتية يقول فيها :

عيسى وأحمـــــد والورى فلك قمران نعم الشـــمس والبدر !
هـــذا قران الســـعد بينهما قد ضم ميـــلاديهما شـــهر ..

ولم يكتف وديع البستانى بهذا فى سنة ١٩١٩ ، ففى سنة ١٩٢٠ وجد العرب متفرقين ، مختلفى المسالك والدروب ، فانتهز فرصة عيد المولد النبوى بفلسطين ليقول :

أبـــكل عام حفلة للمـــــولد تقضى مراسمها وتنسى فى الغد ؟؟
وتجـــدد الذكرى لمجـــد تالد والمجـــد ثاو ليس بالمتجـــدد ؟
أيامنــــا تترى تمر ، ومن لنـــا منها بيوم مثل يوم « محمد » ؟

وتجىء سنة ١٩٢١ م ويحل معها فى ربيع الأول عيد مولد النبى فيجدد الشاعر وديع البستانى دعوته الى الوحدة ، ويشيد بهذه المناســبة التى ولد فيها موحد العرب قائلا :

نحن النصـــــارى الأقربون مودة لكم وقد صـــــدق النبى محـــمد
وعلى النبى الهاشمى ســـــلامنا ولــد النبى ، وكل عـــام يولـــد
أخلى قلوب المســـــلمين لودنا وصفا ، وطاب لوارديه المورد ..

وفى سنة ١٩٢٣ نجد لهذا الشاعر « نبوية » رابعة يقول فيها :

أجل! عيسوى،واسألوا الأمس والغدا ولــــكن عروبى يحب محمـــــدا
بلى يا ابن عبد الله : يا سيد الورى أنا عبـــد عيسى مكرم منك ســـيدا
وأنشـــد فى ذكراك شـــعرا يجيئنى وأمضى، ويبقى الشعر بعدى مخلدا .

ولا تنتهى النبويات أو المولديات عند وديع البستانى الا بالنبوية الخامسة التى نظمها فى سنة ١٩٢٤ م .

ولقد كانت أحداث الوطن العربى الكبير توحى بأمثال هذه القصائد النبوية التى تقتضيها حاجة البلاد الى الوحدة والحب والوئام ، وغيرها من المعانى التى جاء بها الاسلام . ففى سنة ١٩٢٤ أيضا — وفى لبنان لا فى القدس هذه المرة — اجتمع جمهور كبير من المسلمين والمسيحيين أمام الجامع العمرى الكبير ببيروت ، وتبادلوا عواطف الود والوئام ، وألقوا من الكلمات والقصائد ما نشير منه الى قصيدة دالية ألقاها الشاعر الكبير شبلى الملاط ، وقال فيها :

والله ما قال المسيح تباغضوا ... حتى نكون ، ولا كتاب محمد
لكنما أيدى الجهالة بددت ... أبناء هذا القطر شر مبدد
فدعوا التعصب انه الداء الذى ... يقضى عليكم بالهوان السرمدى
وابقوا على هذى العواطف ، وليكن ... كل من الأعياد عيد المولد !

ولقد استطاع الشاعر « سابا زريق » أن يجلو لنا ميلاد النبى الهاشمى فى لوحة شعرية زاهية تصور فرح الملائك ببشرى الميلاد ، وتصف الفرحة الكبرى فى بيت « عبد الله » حيث أطل الوليد وعلى سيمائه شعاع قدسى ، فاشرأبت جوانب الارض تتطلع الى مولد هذا اليتيم الأمى الذى رفعه الله الى سماء لم تطاولها سماء .. وتجزى أبيات عن هذه القصيدة العصماء حيث يقول :

فاض نور مذهب اللألاء ... رابيا كالعباب فى الأجواء
وعلت صيحة الملائك أسرا ... با تهادى مسلسلات الغناء
فى ثنايا سيمائه بسمة البشرى ... وفى سبحه خفوق الرجاء
وعدت فرحة الملائك سربا ... موغلا فى مسارح العلياء
فانبرى سائلا فقيل شعاع الحق ... يهدى ليثرب الزهراء
وقد ازدان بالهدى بيت عبد الله ... فيها وغاص فى اللألاء
فاذا الحق فى الوليد مطلا ... والشعاع القدسى فى السيماء
واذا الفجر عن سنا الهدى تفتر ... مجاليه ، عبقرى الرواء ..
وعلى المهد للنبوة عين ... ترشق المهد بالسنا والسناء
تتخطى الستور حانية القلب ... على طاهر الهوى والرداء ..

لا يدع الشاعر هذه الفرصة تمر دون أن ينتهزها لدعوة العرب — جميعا — الى التآلف والحب والولاء ، وهى المعانى التى دعا اليها عيسى من قبل ، فيقول :

زف هذى البشرى محمد بسا ... م الرضى لابن مريم العذراء
قل له : ألفت مرامى كتابينا ... أناسا تفردوا بالجفاء .. !!

أما الشاعر عبد الله يوركى حلاق فلا ينفك — فى كل فرصة اجتماعية أو قومية — يمجد النبى الهاشمى الذى جلا الظلام عن دنيا العرب ، وبعث الشريعة ، ورعى الحقوق ، ووحد العرب ، وحمى أم اللغات . ففى مهرجان الشعر الثالث الذى أقيم بدمشق سنة ١٩٦١ نسمعه يقول :

قبس من الصحراء شعشع نوره ... فجلا ظلام الجهل عن دنيانا
ومشى وفى أردانه عبق الهدى ... وأريج فضل عطر الأكوانا
بث الشريعة من غياهب رمسها ... فرعى الحقوق وفتح الأذهانا
مرحى لأمى يعلم سفره ... نبغاء يعرب حكمة وبيانا

ثم يمضى شاعرنا المسيحى يعلل لاجلاله محمدا ومباهاته به بقوله :

أنى مسيحى أجل محمدا وأراه فى سفر العلا عنوانا
وأطأطىء الرأس الرفيع لذكر من صاغ الحديث ، وعلم القرآنا
أنى أباهى بالرسول ، لأنه صقل النفوس ، وهذب الوجدانا
ولأنه داس الجهالة ، وانتضى سيف الجهاد ، فحطم الأوثانا ..
ولأنه حفظ العروبة ، وابتنى للعرب مجدا رافق الأزمانا ..

ولا يكتفى شاعرنا « حلاق » بهذا ، بل يجعل وجهه فى المحراب متجها الى عيسى ومحمد ، ومعلنا أن القرآن هو أسنى الكتب ، وأنه هو الذى صان لغة العرب وحفظها من الضياع ، فيقول :

أنا صب تيمتنى لغة صانها القرآن أسنى الكتب
وجهة المحراب عندى هيكل فيه عيسى ، والنبى العربى

ويقول من قصيدة أخرى :

ولى لغة أعلى الكتاب مقامها فسارت مسير النور شرقا ومغربا
بها نزل القرآن هديا ورحمة فرد غليظ الأصغرين مهذبا ..
وأن كلام الله آيات حكمة فمرحى لأمى وعاه ليكتبا !!

وقد اتجه الشاعر خليل مطران الى « عيد رأس السنة الهجرية » فجعل منه وحيا لبعض قصائده ، مثل قصيدته الدالية الطويلة التى تبلغ ثمانية وسبعين بيتا ، والتى يقول فى مطلعها :

هل الهلال فحيوا طالع العيد حيوا البشير بتحقيق المواعيد

وقد عرج فيها على رسالة محمد وايذاء أهله له ، واعتزامه الهجرة ، واختبائه بالغار ، وغزواته فى سبيل دين الله ، التى يقول فيها خليل مطران :

وكم غزاة وكم حرب تجشمها حتى يعود بتمكين وتأييد
كذا الحياة جهاد ، والجهاد على قدر الحياة . ومن فادى بها فودى

وكأنما ألهم عيد الهجرة شاعرنا خليل مطران بوحى دائم ، فرأيناه فى سنة ١٩١٢ م ينشد قصيدة ميمية طويلة أيضا يقول فى مطلعها :

ألا أيهذا الطالع المبتسم هدى وسرور نورك المتوسم !

وقد اتخذ من الحوادث الكبار التى أحاطت بالعرب والمسلمين فى ذلك العهد مجالا للعظة والعبرة ..

أما ليلة المعراج ومعها ليلة الاسراء فقد شارك شعراء المشرق المسيحيون بالنظم فيها والتبريك بحلولها ، وبيان فضائلها ، حيث عرج بالنبى الهاشمى الى السماء ، وأسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى . ومن شعر الدكتور لويس صابونجى فيها قوله :

فى الليلة الغراء عرج أحمد وصفوف جند العرش أجمع تنشد
يا جنة الخلد افتحى بابا له وافى محمد فى السماء يمجد

أما الشاعر وديع البستانى فله فيها قصيدة نونية نظمها سنة ١٩٣١ يقول فيها :

ليلة المعراج ما أدراك ما ليلة المعراج ! سل عنها الزمانا
ليلة فيها الى الأرض السما هبطت ترفع أعلى الخلق شانا ..

وللبستانى أيضا قصيدة نظمها بمناسبة دفن الزعيم الهندى مولانا محمد على فى المسجد الأقصى سنة ١٩٣١ م .

أما نواحى العظمة والانسانية عند أعلام المسلمين فقد جلى الشاعر ابراهيم زيدان ناحية منها فى قصة الخليفة العادل الرحيم عمر بن الخطاب مع العجوز التى كانت تعلل صغارها بالحصى تغليه على الموقد حتى يناموا ، فذهب وحمل لها الدقيق على كتفه وأنضجه على النار ، والدخان يتخلل لحيته .. !



ميلاد الرسول أضخم حدث في التاريخ

للاستاذ أحمد مسلم ابراهيم

كلما دار الفلك دورته وجرى الزمان جريانه ، أهل علينا شهر ربيع الأول من كل عام بذكرى عزيزة على النفوس ، حبيبة الى القلوب يحتفل المسلمون بها فى مشارق الأرض ومغاربها ، ذكرى ميلاد رسول الانسانية ومنقذ البشرية ، صاحب أعظم النبوات وآخر الرسالات ، وأكرم الصفات محمد بن عبد الله الذى بعثه الله ليخلص الانسانية من آلامها ، ويرفع عنها اصرها ويحطم الاغلال التى كانت عليها .

ولهذا فان ميلاده يعتبر — بحق — أعظم حدث فى تاريخ العرب والاسلام ذلك لأن اسمه كان ولم يزل منذ بعثته يطوف الأرض ويدوى برسالة الحق وينشر بين المشرق والمغرب كلمة الله ، ورسالة العـــدل والخير والســـلام ، ويمنح الانسانية نموذجا حيا للانسان الكامل ، والمثل الاعلى للبطولة والخلق الفاضل والتواضع والوفاء . ولا يكون المرء مغاليا اذا ما قال : ان حياته وتاريخه لم يزل أيضا موردا للباحثين فى كل مكان ، خصومه وأحباؤه على السواء ، عرضوا له وبحثوا فكره ، وحللوا مواقفه ، فبهرهم جميعا بطبيعته السمحة قبل رســـالة النبوة وبقوة شخصيته قبل دعوة الحق .

ولا غرو فى ذلك فالذين لم يتأثروا به نبيا عرفوه بطلا ، والذين تشككوا فى قرآنه هداهم بتصرفه الى الحق والى الطـــريق المستقيم . ومن ثم فإنه ينبغى علينا أن نعتز بذكرى مولده العطرة ونفخر بها بقدر ما يسعنا التعبير وان نعرف عن ذلكم الرسول العظيم — الذى هذه صفاته — الكثير والكثير ، ولكن لضيق المقام فى هذا المقال أرانى مضطرا لايجاز ما أفاء الله به على من معلومات فى هذه الذكرى الطيبة .

نشأة الرســول الكريم

ولد الرسول صلى الله عليه وسلم يتيما ونشأ فى مكة المكرمة ، فدرج فى دروبها وأوديتها وشعابها وتدرب على أساليب أهلها ومعاملة أبنائها ، ترعرع فى تلك المدينة وعناية الله ترعاه ، ورحمته تغمره فى كل طور وفى كل مرحلة . قال تعالى : (ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهــدى ، ووجدك عائـــلا فأغنى) . فتمرس على رعى الغنم تمهيدا لرعاية أمة بأسرها ، وسعى لبعض قومه ، واتجر بمـــال زوجه وقد عصـــمه الله من أرجاس الوثنيـــة ، وأوزار الجاهلية لأمر يريده ، فلم يشهد اللهو ، ولم يلعب الميســـر ، ولم يشرب الخمر ولم يأكل الربا ، بل أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وعلمه فأحسن تربيته وتعليمه حتى صار هذا اليتيم راعيا للعالم أجمع ، وسيدا للجزيرة العربية ، وفاتحا للأرض ، بل ومعلما للانسانية ، ومنقذا لها من وهدة الشرك والضلال .

الحالة قبل ميلاده

ولو رجعنا قليلا الى ما قبل ميلاد الرسول لوجدنا أن الحياة لم تكن رتيبة ندية ، يتمتع الناس فيها بالهدوء وينشدون فيها الأمن والاستقرار ، ويشعرون بكرامتهم وعزتهم ، بل كانت لا نظم فيها ولا قوانين ترعى حقوق الانسان وتحميه من غبن الطامعين ، وعبث العابثين ، أو تمنع عنه كيد الكائدين والمعتدين ، وكان كل ما فيها الاعتزاز بالقوة والتفاخر بالجاه والانساب والألقاب ، وتلك طبيعـــة النفس البشرية التى لا رادع لها ، فما دام المرء قويا لا زاجر يزجره عن غيه فانه لا يبالى بشىء من حقوق الغير وحرماته .

وفى هذا الجو الخانق المظلم المضطرب كان لا بد وان تخضـــع مقاييس الخير والشر ، ومفاهيم الفضائل والرذائل لرغبات الناس وشهواتهم ، ومعايير الصالح العام تسير وفق ما تتجه اليه ميولهم واهواؤهم ، وقد كان العالم مع هذا التخبط فى الضلال ، والتبسط فى المنكر يسوقه من الشرق الفــرس على ما هم فيه من انحلال وفساد ، ويقوده من الغرب الــروم على ما هم عليه من اباحية وفسوق .

كبهيمـــة عميـــاء قـــاد زمامهـــا   أعمى على عـــوج الطريق الاعوج

ولكن الله الرؤوف الرحيم بعباده أبى أن يدوم هـــذا الحال ، ويترك خلقه يضطربون فى أمواج الفوضى يسوم أقوياؤهم ضعفاءهم سوء العذاب ، بـــل اصطفى لهم الرحمة المهداة ليكون مولده ايذانا بانتهاء عهد الظلم والعبودية ، وبشيرا ببدء تاريخ العدل والقضاء على الوثنية ، وهتف من جانب الغيب ليلـــة ميلاده هاتف يقول : ليس بعد اليوم صنم ولا كاهن ولا سيد ، انما العبادة لله ، والقيادة للرسول ، والسيادة للدين .

بعثته ورسالته

ولم تكن رسالة الرسول الكريم ، والمعلم العظيم الذى اختاره الله لرسالته فى سن الأربعين قاصرة على تصحيح العقيدة ، وعبادة اله واحد دون اقتـــلاع أسباب الفوضى ، والقضاء على الفساد الذى استشرى فى كل مكان ، ودون اعلان حقوق الانسان وتكريم الانسانية والسمو بها ، ودون اقامة نظـــام شامل

للحياة يقوم على العدالة والمساواة والانصاف ، بل كانت رسالته للناس عامة ، بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق ويكون رحمة للعالمين .

تلك هى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم الشاملة الكاملة التى انفتح لها باب من السماء على غار حراء تنزلت منه الملائكة والروح باذن ربهم على أهل الأرض ، وانبعثت منه الشعاعة الاولى من وحى المولى جل وعلا على قلب محمد الصادق الأمين فنزل بالهدى والخير ، وحمل على الشرك بالتوحيد . ولله در الامام البوصيرى حيث يقول :

فهو الذى تم معناه وصورته	ثم اصطفاه حبيبا بارىء النسم
منزه عن شريك فى محاسنه	فجوهر الحسن فيه غير منقسم
دع ما ادعته النصارى فى نبيهم	واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب الى ذاته ما شئت من شرف	وانسب الى نوره ماشئت من عظم
فان فضل رسول الله ليس له	حد فيعرب عنه ناطق بفم
أعيا الورى فهم معناه فليس يرى	للقرب والبعد فيه غير منفحم
ومبلغ العلم فيه انه بشر	وانه خير خلق الله كلهم

ولا عجب فى ذلك ، فان شخصيته شخصية هيأتها يد القدر تهيئة تتلاقى مع الحكمة التى هيئت لأجلها ورسالته رسالة باقية خالدة ، تحمل الناس على ألا ينسوا محمدا أو يتناسوه ، بل وتحملهم على تكرار هذا التقدير والتكريم المتوارث جيلا عن جيل حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ما لاقاه من أذى الكفار

وقد احتمل الرسول الكريم فى سبيل الدعوة الى الله ما احتمل ، ولاقى من أذى أئمة الكفر من قريش وعنتهم واستهزائهم به وأصحابه ، وتفننهم فى الخلاص منه أذى بلغ حدا يعجز الوصف عن بيانه ، فلقد تحايلوا على صده عن دعوته بشتى الحيل ، ولم يتركوا بابا الا ولجوه ، فمنهم من لجأ الى التهديد والقتل ، كأبى جهل عمرو بن هشام الذى قال ذات يوم يا معشر قريش (إن محمدا قد أتى ما ترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه أحلامكم وسب آبائكم ، ولأجلسن له غدا بحجر لا أطيق حمله فاذا سجد فى صلاته رضخت به رأسه ، فأسلمونى عند ذلك أو امنعونى ، فليصنع بى بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم) .

ولما جاء الغد هم بتنفيذ ما عزم عليه وقريش فى انديتهم ينتظرون ما هو فاعل ، واحتمل المغرور الحجر ليلقى به على رسول الله وهو ساجد فى صلاته وأقبل نحوه ، حتى اذا دنا منه رجع منهزما ممتقعا لونه من الفزع ، ورمى الحجر من يده وفر منزعجا .

فأقبل عليه الرجال وقالوا له مالك يا أبا الحكم فقال : لما هممت أن أفعل ما قلت لكم عليه بالأمس عرض لى فحل من الابل — والله ما رأيت مثله قط — هم بى أن يأكلنى . .

فلما ذكر ذلك للرسول قال ذاك جبريل ولو دنا لأخذه . وكان كثيرا ما يهدد الرسول ويمنعه من الصلاة لكن الرسول لم يأبه لتهديده ووعيده ونزل فى ذلك

قول الله تعالى : « كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه ، سندع الزبانية ، كلا لا تطعه واسجد واقترب » .

ومنهم من كان يلقى روث الماشية عليه ، كعقبة بن أبى معيط الذى قال له أبو جهل (ألا رجل يقوم الى فرث جزور فلان فيلقيه على محمد وهو ساجد ، فقام وألقى ذلك عليه ، ولم يقدر أحد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد على إلقائه عنه ، لضعفهم عن مقاومة عدوهم !! وظل عليه الصلاة والسلام ساجدا حتى جاءت فاطمة بنته فأخذت القذر ورمته . ولما قام عليه الصلاة والسلام دعا على من صنع هذا الصنيع القبيح فقال « اللهم عليك بالملأ من قريش وسمى أقواما » قال ابن مسعود رضى الله عنه فرأيتهم قتلوا يوم بدر .

وكان عقبة جارا للرسول : صنع ذات مرة وليمة ، ودعا لها كبراء قريش ، وفيهم رسول الله فقال عليه السلام (والله لا آكل طعامك حتى تؤمن بالله ، فتشهد . فبلغ ذلك أبى بن خلف الجمحى وكان صديقا له فقال : ما شىء بلغنى عنك ، قال لا شىء . دخل منزلى رجل شريف ، فأبى أن يأكل طعامى حتى أشهد له ، فاستحييت أن يخرج من بيتى ولم يطعم فشهدت له . فقال له أبى على الفور : وجهى من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ عنقه وتبزق فى وجهه وتلطم عينه . فلما رأى عقبة رسول الله فعل به ذلك فأنزل الله فيه فى سورة الفرقان (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا ، لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا) .

ومنهم من رأى أن يغريه بالمال والجاه والسلطان كعقبة بن ربيعة الذى قال لقريش — وكان سيدا مطاعا فى قومه — ألا أقوم لمحمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا عله يقبل بعضها ، فنعطيه اياها ويكف عنا . فقالوا يا أبا الوليد قم فكلمه . فذهب اليه وهو يصلى فى المسجد ، وقال له يا ابن أخى : انك منا حيث قد علمت ، من خيارنا حسبا ونسبا ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت أحلامهم ، وعبت آلهتهم ودينهم ، وكفرت من مضى من آبائهم وانى جئت أعرض عليك أمورا علك تقبل بعضها، فقال له الرسول: قل ياأبا الوليد فانى منصت لك . فقال يا ابن أخى (ان كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا . وان كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك . وأن كنت تريد ملكا ملكناك علينا . وان كان هذا الذى يأتيك رئيا من الجن لا تستطيع أن ترده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى .

فقال عليه الصلاة والسلام : فقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال نعم : قال : فاسمع منى . فقرأ عليه الصلاة والسلام أول سورة فصلت (بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون .. الى قوله « فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون) . فأمسك عقبة بفيه وناشده أن يكف عن ذلك .

فلما رجع الى قومه قال لهم . والله لقد سمعت قولا ما سمعت مثله قط .

« والله ما هو بالشعر ، ولا بالكهانة ، ولا بالسحر . يا معشر قريش : أطيعونى فاجعلوها لى . خلوا بين الرجل وبين ما هو فيــه فاعتزلوه . فواللــه ليكونن لكلامه الذى سمعت نبأ .

فقالوا له لقد سحرك محمد .

فقال لهم : هذا رأيى . فقالوا : نعرض عليه أن يشــاركنا فى عبادتنــا ونشاركه فى عبادته ، فنزل قول الله تعالى (قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبــدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين) .

واستمر الرسول الكريم فى دعوته لا يأبه بتهديد ولا وعيد ، بــل ازداد اصرارا وتمسكا بعقيدته ، وأخذ يربى المسلمين على آداب الاسلام وتعاليمه ، ويفطم المشركين عن الشر بالحكمة والموعظة الحسنة والقوة ، فيجادل المنكرين بمنطق القرآن الكريم ، ويجاهد المكابرين بمنطق السيف ، وظل كذلك يعانى عنتا ما بعده من عنت ويلاقى قسوة لا مثيل لها من قسوة فى سبيل نشر الدعوة الى الله حتى جاء نصر الله والفتح ، ورأى النــاس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربه ، وأطمأن على مصير دعوته وشــعبه ، « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .

بالإقنــاع لا بالســيف

وعلى الرغم من أن الناس قد اعتادوا أن يكون السيف سلاحا لهم فيمــا يخوضون من معارك وما يقومون به من مناوشات الا أن الرسول الكريم تمكــن من نشر دعوة الاسلام ومبادئه السمحة وتعاليمه الحكيمة التى وجد الناس فيها بغيتهم فى العدالة التى افتقدوها ، وحقوقهم التى تمنوا أن ينالوها ، عن طريق الاقناع والاقتناع ، والحجة القوية والبرهان الواضح ، حتى استطاع أن ينشر دعوته بسرعة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الدنيا ، وان تســتجيب لدعوته أمم وطوائف ما كان العقل يتصور أن تقوم الالفة بينها أبدا . ورفرفت راية الاسلام فى أقل من قرن من الزمان على الأماكن التى رفرفت عليها ، وانهار ملك كسرى وتحطمت دولة الروم ، وتم للاسلام نصره وعزه .

وحتى ذلك اليوم الذى وصلت فيه بعض الدول الى معرفة الــذرة وغزو الفضاء ، فاننا نجد تعاليم الاسلام صالحة لكل زمان ومكان تدمغ وجوه اؤلئك الذين جحدوا بنعمة الاسلام ، وكفروا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم ، تدمغ وجوههم بالخزى والذلة والعار وتحقق للانسانية المجد والتقــدم والخير والعزة والسلام .

وما قص علينا التاريخ أن رسولا من الرسل قاتل بالسيف ليلجىء الناس الى الايمان بالله ، بل نعلم أن الله أطلق حرية العقيدة أمام خلقه ، فمن شــاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . ومن أراد أن يعتنق الاسلام دينا له عن رضا وطواعية فليفعل . ومن أبى فلا عليه على أن يعطى الجزية للدولة كما يدفع المســلمون الزكاة .

وان قتال الرسول الكريم فى حروبه وغزواته ما كان الا ردا لعدوان أو دفعا لطغيان ، ويؤكد لنا ذلك القرآن الكريم بقوله (وقاتلوا فى سبيل الله الذين

يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) وقوله : (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) .

أخلاق الرسول ومعاملاته

واذا كانت قلوبنا تمتلىء غبطة وابتهاجا فى هذه الأيام بذكرى ميلاد النبى الكريم فانها تفيض أيضا بالحب والاعجاب لما أظهره صلوات الله وسلامه عليه من آيات العظمة النفسية فى أول عهده وفى جميع أطوار حياته ، اذ أنه كان مؤمنا ، مدفوعا بأسمى فكرة يستطيع الانسان أن يبشر بها بالحق الذى أوحى اليه به ، شجاعا لا يعرف الخور ولا الخوف ، ولا الوجل ولا الخجل أمام أقوى صرح للخرافات والمعتقدات الباطلة . لم يستسلم أبدا للتهديد والوعيد ، والاستهزاء الذى لقيه من المعارضين لدعوته ، والاقربين له من أهله وعشيرته كما سبق أن رأينا . بل سخر من الشدائد واستهزأ بها وتحدى المشركين فى صميم عقائدهم ، ووقف كالطود الأشم رابط الجأش ، هادىء البال ، لا يبالى بما كانوا يفعلون ، وقال قولته المأثورة لعمه أبى طالب حينما فهم أنه سيتخلى عنه ان استمر فى دعوته (والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه) وظل على عزمه ويقينه وقوة عقيدته ، يوجه كل قوته لهدم الوثنية وعبادة الأصنام والشرك بالله الواحد الأحد حتى كتب الله له النصر المبين على الكافرين .

ومع شدته عليه الصلاة والسلام فى حرب الوثنية والوثنيين كان أوسع الناس حلما وأعظمهم عفوا ، والمثل الأعلى للانسانية فى أخلاقه ومعاملاته ، وان حقيقة دعوته تحمل طلاب الحق المنصفين على استجابته والانضواء تحت رئاسته مختارين لا بقوة ولا بشدة ، لأن الله امتدحه بقوله (وانك لعلى خلق عظيم) ولا غرو فى ذلك فقد روى أنه لما نزل قول الله تبارك وتعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) سأل النبى صلى الله عليه وسلم جبريل عن تأويلها فقال له حتى أسأل العالم ثم ذهب فأتاه فقال : يا محمد ان الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك) .

وروى أيضا أن عائشة رضى الله عنها قالت (ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله) . وقد جاءه رجل يتقاضاه دينا عليه فجذب ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له ثم قال : انكم يا بنى عبد المطلب قوم مطل : فانتهره عمر وشدد له فى القول والنبى صلى الله عليه وسلم يبتسم : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : أنا وهو كنا الى غير هذا منك أحوج يا عمر : تأمرنى بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضى .. ثم قال لقد بقى من أجله ثلاث ، وأمر عمر بأن يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه) فكان ذلك سبب اسلامه .

أثــر أخلاقه الفاضلــة

وليس هذا كل ما نستطيع أن نقوله فى أخلاق الرسول صلى الله عليه

وسلم ولو دققنا النظر فيما تخلق به الرسول صلى الله عليه وسلم من أخلاق فاضلة ، وما تحلى به من صفات جليلة لرأينا أنه رفع مئات من الناس الذين يتقلبون فى حمأة الرذيلة ، ويعتقدون فى الخرافات ويسفون الى أحط درجات الوثنية ، رفعهم الى الفضيلة ، وحطم قيود العادات التى كانت تكبلهم ، وأطلق أسارهم ورفعهم من عالمهم المنحط الى عالم رفيع ، ونفث فيهم حياة جديدة ، وعلمهم الحق والفضيلة واسداء المعروف ، ونفخ فيهم روح الكرامة الانسانية ، وتقدير المسئولية ، وجعلهم يستمسكون بهذه القواعد الفاضلة ، ولا يفرطون فيها ، مهما لاقوا فى سبيلها ، حتى صار اتباعه سادة العالم وقادته ، علموهم العلم والمدنية ، وأخذوا بيدهم الى جادة الحق والصواب الأمر الذى جعل المستشرق الفرنسى (رينيه جينو) يقول (ان الغربيين لم يدركوا قيمة ما اقتبسوه من الثقافة الاسلامية ، ذلك لأن الحقائق التى تلقى اليهم مشوهة ، حظها من الصحة قليل ، فالمؤرخون يبالغون كل المبالغة فى الحط من شأن الثقافة الاسلامية .

ومهما يكن من أمر أعداء الاسلام وخصومه والمنكرين لرسالة محمد بن عبد الله فاننا لا نكون مبالغين أبدا حينما نقول ان الانسانية كلها مدينة له برفع شأنها ، وتقدمها ورقيها ، لأنه فتح الآفاق أمامها ووجهها للعلم والكشف والاستزادة من الخير .

ولكن يبدو أن المسلمين اليوم استمرؤا الدنيا ، واطمأنوا لما فيها من مباهج ومفاتن ، وغرتهم الحياة وما يكتنفها من زينة وتفاخر ولعب ولهو ، فأهملوا لذلك مواريثهم ، وغيروا أسلوبهم ، ووضعوا لأنفسهم دستورا غير الدستور الذى هداهم اليه كتابهم ، ولمعاملاتهم قانونا غير القانون الذى شرعه لهم ربهم ، وسار عليه رسولهم ، حتى أصبح الحال فى صفوف المسلمين فى بقاع الأرض — كما نرى — تذهب معه النفس حسرات وليس له الا الله — سبحانه وتعالى — يدرك المسلمين بفضله ورحمته ، ويرعاهم بعنايته ورعايته .

واجب كل مسلم

ونحن نهيب بالمسلمين فى شتى بقاع الأرض أن يعرفوا أن على كل مسلم الآن أن ينتبه من غفلته ، ويستيقظ من سكرته ، ويقف فى صفوف اخوانه المجاهدين الموحدين يتلقى ما تلقاه أسلافه ويتذوق ما تذوقه آباؤه وأجداده ويتجرد من نزعات الاهواء ، وكوارث المفاسد ، ويتخذ لحياته دستورا ، ولسلوكه قانونا يعتصم به ، ليعصم ذلك المجد من التدهور ، ويصون دولة الاسلام من التفرق ، ويرفع راية الاسلام خفاقة فى العالمين .

وانا اذ نمر بذكرى ميلاد رسول الله . نوقن بأننا فى أشد الحاجة الى أن نترسم خطاه ، ونقتدى بسيرته ونهتدى بهديه ونذكر فى شهر مولده هذا كيف جاهد فى سبيل ربه ، حتى جاء الحق وزهق الباطل وظهر أمر الله وهم كارهون .

نسأل الله أن يأخذ بنواصينا الى سواء السبيل ، وأن يصد الشاردين عن متاهات الطريق ، وأن يعصم قلوب المناضلين فى سبيل الدعوة الاسلامية وعزة العرب والمسلمين بالثبات والايمان وأن يجمعهم على كلمة الهدى والتقوى .



تفسير المنار

بين الامام الشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا

للدكتور : أحمد الشرباصي

لا يعرف فى تاريخ الدنيا كلها كتاب وضعت عليه من التفاسير ما وضع على القرآن الكريم ، فالمكتبتان العربية والاسلامية تضمان مئات من التفاسير التى تتناول الحديث عن كتاب الله عز وجل من جهات مختلفة ، وبأساليب متعددة ، وطرق شتى .

ومجلة « المنار » هى أضخم آثار السيد رشيد رضا ، ويأتى بعد هذه المجلة « تفسير المنار » الذى صنعه رشيد وشهر به ، وكان موضع العناية والتقدير من كثير(1) ، ولقد ألقى المستشرق الفرنسى « هنرى لاووست » محاضرات استغرقت أربعة أشهر عن « تفسير المنار » فى « الكوليج دى فرانس » فى باريس ، خلال العام الدراسى ١٩٥٧ – ١٩٥٨(2) . كما عنى به « جولد تسيهر » فى كتابه « مذاهب التفسير الاسلامى » الذى ترجمه المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار ، وعنى به « تشارلز آدمز » فى كتابه « الاسلام والتجديد فى مصر » الذى ترجمه الاستاذ عباس محمود ، وغيرهم . كما كتب الاستاذ عبد الله محمود شحاتة رسالة « ماجستير » عن منهج الامام محمد عبده فى تفسير القرآن الكريم ، كما تعرضت لهذا التفسير فى مواطن من كتابى « قصة التفسير »(3) ، وقد ذكر الأمير شكيب أرسلان « تفسير المنار » أكثر من مرة فى كتابه الذى جمع فيه رسائل رشيد رضا اليه ، وكتب الدكتور ابراهيم أحمد العدوى صفحات عن هذا التفسير فى كتابه عن رشيد رضا .. الخ .

ولقد نشر رشيد « تفسير المنار » فصولا ومقالات فى مجلة « المنار » ، ثم عاد فطبع هذا التفسير فى اثنى عشر جزءا ، وصل فيها الى أواخر سورة يوسف ، ويقص علينا رشيد فى

---

(1) يقول الاستاذ يوسف أسعد داغر عن تفسير المنار : « وتفسيره هذا هو أعظم آثاره وأنفسها ، ولعله خير تفسير طبع على الاطلاق » . (مصادر الدراسة الأدبية ، ج ٢ ص ٣٩٦) .

(2) جمال الدين القاسمى وعصره ، ص ٤٤٣ .

(3) أنظر من كتاب « قصة التفسير » ص ١٥٦ و ١٥٧ .

فاتحة الجزء الأول المقدمات التى مهدت لاصدار التفســـير ، فيذكر لنا أنه كان فى طرابلس الشام ، وكان فى اثناء طلبه العلم ، مشتغلا بالعبادة ، ميالا الى التصوف ، وكان يعظ قومه بالقرآن الكريم ، ثم ظفر بالأعداد التى صدرت من جريدة ((العروة الوثقى)) فاثرت فيه ، وأعجب بمنهجها القائم على ثلاثة أمور هى : بيان سنن الله تعالى فى الخلق ، وأن الاسلام دين سيادة وسلطان ، وأن المسلمين لا يجوز أن يفرقهم نسب ولا لغة ولا حكومة .

وأعجب رشيد بصاحبى العروة : جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، وحاول الاتصـــال بأولهما ، ولكنه لم يلقه ، فحاول الاتصال بثانيهما ، فتم له ما أراد ، وفى رجب سنة ١٣١٥ هـ ١٨٩٧ م تهيأت له فرصة الهجرة الى مصر ، وارتبط بالشيخ محمد عبده ، واقترح عليه — قبل صدور مجلة المنار — أن يكتب تفسيرا ، أو يلقى درسا فى التفسير ، ولكن الشـــيخ تأنى ، ثم أصدر رشيد مجلة ((المنار)) للدعوة الى الاصلاح ، واقترح على الشيخ مرة ثانية أن يفسر القرآن الكريم ، فتأنى الشيخ مرة ثانية ، فاقترح عليه رشيد أن يقرأ درسا فى التفســـير فى الجامع الأزهر الشريف ، وكان هذا الاقتراح فى شعبان سنة ١٣١٥ هـ ١٨٩٧ م ، ثم كرر رشيد الاقتراح فى رمضان من السنة نفسها ، ولكن الشيخ عاد الى تأنيه .

ثم دارت بينهما مناقشة انتهت باقناع الشيخ بأن يبدأ فى الدرس ، فبدأه فى غرة المحرم سنة ١٣١٧ هـ ١٨٩٩ م ، بعد أن كان رشيد قد حمل هذه البشرى الى الناس قبل ذلك بأيام ، عن طريق جريدة ((المؤيد)) ، حيث كتب فيها مقالا عن ((القرآن)) ضمنه هذا النبأ .

واستمر الشيخ فى تفسيره حتى منتصف المحرم سنة ١٣٢٣ هـ ١٩٠٥ م ، حيث بلغ قول الله تعالى : ((ولله ما فى السموات وما فى الأرض وكان الله بكل شىء محيطا)) من الآية رقم ١٢٥ من سورة النساء[1] ، وعاود رشيد خلال ذلك اقتراحه على الاستاذ الامام أن يؤلف تفسيرا على الوجه الذى يلقيه ، فانه مبين لأمراض الأمم الروحية والاجتماعية ، ومرشد الى علاجها ، لأن القرآن فيه تبيان كل شىء ، وشارك رشـــيدا فى هذا الاقتراح كثيرون ممن يحضرون دروس التفسير ، ويقال ان الاستاذ الامام رد على رشيد بقوله : ان الكلمة المسموعة أقوى تأثيرا من الكلمة المكتوبة[2] .

وينبغى أن نشـــير هنا الى أنه حدث فى ســـنة ١٣١٠ هـ ١٨٩٢ م أن كانت تعقد جلسات تفسير فى قصر القبة ، وندب لالقائها الشيخ أحمد الرفاعى ، فظل أياما يتابع دروسه ، ويقول المؤرخ أحمد شفيق باشا انه كان كثير الاسهاب فى ايراد أقوال المفسرين ، وايراد بعض الآراء والروايات الغريبة ، وفى ذات يوم تحدث عن ((ارم ذات العماد)) ، فذكر أنها ((مدينة شيدت طوبة من الذهب وأخرى من الفضة ، وأنها معلقة بين السماء والأرض ، ثم توسع فى ذلك ، وعرض الى علم الفلك بأسلوب يثير الاشفاق والضحك)) .. وقد جاءوا بالشيخ الشربينى[3] .

ومن هنا سنعرف مدى الفرق الشاسع بين طريقة التفسير فى عصر الشـــيخ محمد عبده — وهو عصر رشيد رضا — والطريقة التى سار عليها تفسير المنار ، فقد كان تفسير المنار يهدف الى العناية بتجلية هداية القرآن للناس ، وما أنزل لأجله من الانذار والتبشير ، والتوجيه والاصلاح ، مع مراعاة مقتضى العصر من سهولة التعبير ، وكشف شبهات المشـــتغلين بالفلســـفة والعلوم الطبيعية وغيرها .

---

(١) أنظر تفسير المنار ، ج ٥ ص ٤٤١ الطبعة الثانية .

(٢) تفسير المنار ، ج ١ ص ١٠ — ١٦ . والمنار المجلد ٣ ص ٦٧ والمجلد ٨ ص ٨٩٧ وكتاب دروس من القرآن الكريم ، ص ٨ .

(٣) مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٢ ص ٢٨ لأحمد شفيق .

طريقة النقل عن الاستاذ الامام :

وقد أخذ رشيد يكتب تفسير الاستاذ الامام وينشره فى مجلته ابتداء من الجزء السادس من المجلد الثالث من المنار (٣٠ ابريل سنة ١٩٠٠) ١٣١٨ هـ ، ونشر أولا مقدمة للتفسير ، وهى ما ألقاه الشـــيخ وأملاه فى الدرس الأول فى ليـلة الخميس غرة المحرم الحـرام سـنة ١٣١٧[١] هـ ١٨٩٩ م .

يقول رشيد فى تصوير طريقته فى النقل عن الاستاذ الامام : « كنت فى البـداية لا أكاد أزيد على خلاصة ما يقرر فى الدرس الا قليـلا ، اذ لم يكن فى نيتى تجريد ما يكتب منه فى المنار ، وجعله كتابا مستقلا ، ثم رأيت من الواجب بسط القول وطبع التفسير على حدته ، عند سـنوح الفرصة ، ففعلت باجازته رحمه الله تعالى واستحسانه ، فكان المختصر نصف الجزء الأول من سورة البقرة ، عرضته عليه بعد ذلك فقرأه ، وزاد فيه ما رأى حاجة الى زيادته ، ومنه ايضاح الكلام فى الملائكة ، وأجاز باقى ما كتبناه كما هو ، فكأنه هو الذى كتبه[٢] » .

ولقد عاد رشيد الى اخبارنا بأنه كان يلخص ما فهمه من الاستاذ الامام ، ويضـيف اليه ما يلخصه من الكتب ، ثم يزيد ما يشاء ، فيقول مثلا : « ان ما أوردناه أولا فى تفسير الفاتحة : من تلخيص لما فهمنا من دروس شيخنا ، ومما قرأناه فى الكتب ، ثم زدنا عليه فى أصله ، وفى هذه الفوائد الزوائد ، فالغرض منه التفقه فى معانى القرآن والاهتداء به[٣] » .

ثم ذكر رشيد أنه عرض التفسير على الاستاذ الامام فكان يزيد بعض عباراته ، وقد وضعها رشيد بين قوسين معقوفين هكذا [ ] ونبه على ذلك[٤] .

وفى مواطن من تفسير المنار نفهم أن رشيدا ينقل عبارة الاستاذ الامام مع توسع فيها ، ولذلك يقول أحيانا بعد أن يورد كلام الاستاذ الامام : « أ هـ بتفصيل وايضاح[٥] » .

وكان رشيد أحيانا ينقل كلام الشيخ محمد عبده ، ويمزجه بكلام غيره من القدماء ، ومن أمثلة ذلك أنه عند تفسيره اسمى « الرحمن الرحيم » ذكر كلام ابن القيم ضمن كلام الشـيخ محمد عبده فى هذا التفسير ، وقال : « وبهذا التفسير ضممنا فى التفرقة بين الاسمين ما قاله المحقق ابن القيم الى ما قاله شيخنا رحمهما الله[٦] » .

وفى بعض الأحيان ينتقل رشيد من كلام الاستاذ الامام الى كلامه بقوله : « وأزيد هنا .. » أو قوله : « وأزيد فى ايضاح كلام الاستاذ .. »[٧] .

ومن هنا نرى أن رشيدا لم يتبع طريقة واحدة فى النقل عن الاسـتاذ الامام ، بل اضطرب بين جملة طرق ، فهو أحيانا يلخص ، وقد يفصل ويوضح ، وقد يعلق ويوثق ، وقد يزيد ويضيف ، وقد يستدرك ويعقب ، وقد ينقد ويعارض .

وهو قد تنقل بين الطرق كل هذا التنقل دون علامات مميزة واضحة بين كلامه وكلام الاسـتاذ

---

(١) المنار ، المجلد ٣ ص ١٣٠ .
(٢) المنار ، المجلد ٨ ص ٨٩٩ .
(٣) تفسير المنار ، ج ١ ص ١٠١ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٢٣ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٦٨ .
(٦) المرجع السابق ، ص ٧٥ .
(٧) المرجع السابق ، ص ٦٨ و ٦٩ .

الامام وكلام غيرهما ، ومن هنا ضاع بعض المعالم من تفسير الاستاذ الامام ، وأصبح من العسير تجريده . ولو أن رشيدا حافظ على تمييز كلام الاستاذ الامام ، لأمكننا أن نستخلص هذا الكلام ، ونجعله تفسيرا مستقلا ، يصور تصويرا كاملا جهد الشيخ محمد عبده وطريقته فى التفسير ، ومن وراء ذلك نستطيع أن نقارن بينه وبين من سبقوه من المفسرين ، وبينه وبين السيد رشيد رضا فى التفسير .

على أن ما لا يدرك كله لا يترك كله ، ومن فضل الله أن الاستاذ الامام كتب تفسير « جزء عم » بنفسه ، كتب بيده تفسير سورة العصر ، بعد أن ألقاه محاضرة أو درسا على علماء مدينة الجزائر ووجهائها سنة ١٣٢١ هـ — ١٩٠٣ م ، وهو فيما يقرب من ثلاثين صفحة ، وقد نشره رشيد فى كتاب عنوانه : « تفسير الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن(١) » .

وكتب الاستاذ الامام بنفسه تفسير قوله تعالى : فى سورة البقرة « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين .. » الآية ، وقد كتبها فى سبع وعشرين صفحة(٢) .

وكذلك كتب الاستاذ الامام بنفسه كلاما فى تفسير قوله تعالى : « وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك .. » الآية ، وقوله : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » الآية(٣) .

وكتب بنفسه تفسيرا للآيتين الثانية والخمسين والثالثة والخمسين من سورة الحج ، اللتين تبدآن بقوله تعالى : « وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته .. (٤) » .

ولقد تعرضت فى كتابى « قصة التفسير » لرأى الاستاذ الامام فى المرتبة العليا للتفسير ، وذكرت أنه يرى تمام هذه المرتبة بأمور . منها : فهم حقائق الألفاظ القرآنية والمراد منها ، وفهم الاسلوب والتفطن لنكته ومحاسنه ، وعلم أحوال البشر ، والعلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن ، والعلم بسيرة النبى صلى الله عليه وسلم(٥) .

ويمكن تركيز طريقة الاستاذ الامام فى التفسير فيما يلى :

١ — الاستئناس بما ورد فى الآية من أثر أو سبب نزول .

٢ — ما تؤديه الألفاظ من معانيها ، اذ الألفاظ مفاتيح المعانى .

٣ — التعمق فى فهم هذه المعانى واستنباط الأسرار منها ، واستخدام العقل فى هذا التعمق .

٤ — تفسير القرآن بالقرآن كلما أمكن ذلك .

٥ — السورة وحدة متماسكة ، والقرآن وحدة كبرى متماسكة .

* ... * ... *

انفراد رشيد بالتفسير :

وحينما أتم رشيد نشر ما نقله عن الاستاذ الامام من التفسير على الوجه السابق ، أحس — وقد لحق الاستاذ الامام بربه منذ حين — أن عليه وحده التبعة فى تأليف تفسير مستقل ،

---

(١) أنظر ٨٧ — ١١٤ .

(٢) المنار ، المجلد ٨ ص ٤١ عدد ٢٢ مارس ١٩٠٥ م .

(٣) المنار ، المجلد ٣ ص ١٧٥ . وتفسير سورة الفاتحة ، ص ١٥٨ — ١٦٤ .

(٤) المنار ، المجلد ٤ ص ٨١ — ٩٩ . وتفسير سورة الفاتحة ، ص ١٦٥ — ٢٠٢ .

(٥) قصة التفسير ، ص ١١٢ .

فمضى فى ذلك من حيث انتهى الاستاذ الامام ، مستعينا بمنهجه وطريقته ، ولم يقتصر على نشره فى المنار ، بل أخذ يطبعه مستقلا فى أجزاء .

ومن الطريف هنا أن « مولاى محمد انشاء الله » صاحب جريدة « وطن » الهندية أرسل الى رشيد سنة ١٣٢٧ هـ ١٩٠٩ يعرض عليه أن يترك جميع الاعمال ، ويعكف على اتمام تفسير المنار ، وهو يرتب لرشيد مساعدة مالية شهرية حتى يتم التفسير ، ولكن رشيدا كما يذكر لنا رفض ، لأنه لا يقبل على خدمة الدين مالا من أحد ، فأرسل صاحب جريدة « وطن » الى رشيد قيمة الاشتراك فى مئة نسخة من كل جزء من أجزاء التفسير ، على أن تجلد وتوزع على المساجد فى البلاد العربية ، وترسل اليه عدة نسخ لينشرها فى الهند ويبيعها(١) .

وكأن رشيدا لم يدرك قيمة هذه النصيحة من الرجل الهندى الا بعد أكثر من عشرين عاما ، حيث أخذ رشيد يفكر فى العكوف على التفسير وحده ، وكتب فيما كتب الى صديقه أمير البيان شكيب أرسلان يقول له بتاريخ ٢ من سبتمبر سنة ١٩٣١ م ١٣٥٠ هـ : « أكثر شغلى وأعظمه تفسير القرآن(٢) » . ونفع التفسير رشيدا من الناحية المادية ، حيث صار أروج كتبه باعتراف رشيد نفسه(٣) .

طريقة رشيد فى التفسير :

من الواضح أن الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده كان يعتمد كثيرا فى تفسيره القرآن الكريم على العقل والرأى ، مع حدود وقيود بطبيعة الحال ، وقد تبعه فى ذلك الاتجاه السيد محمد رشيد رضا ، بمقتضى أنه تلميذه ، والمتأثر به ، والناقل عنه ، والمتابع له ، وقد كان جهد الشيخ وخليفته ممثلا لحركة تجديدية واضحة المعالم فى التفسير(٤) .

ومهما قيل فى التفسير بالرأى فلا شك أن له فضلا فى أحياء الكثير من المفردات اللغوية ، والشواهد الشعرية ، والقواعد النحوية ، لأن المفسر بالرأى يعتمد أول ما يعتمد على مفهوم اللفظ فى اللغة ، وهذا يحتاج الى تتبع لاستعمال اللفظ فى مأثور الشعر والنثر ، ومن وراء هذا الاعتماد رأينا تفسيرا بأكمله يكاد يكون مقصورا على العناية بالناحيتين اللغوية والبلاغية ، وهو تفسير الكشاف للزمخشرى الذى يبدو جهده العقلى واضحا فى تفسيره من وراء عنايته بالبحث اللغوى والتحليل البلاغى(٥) .

كما أن التفسير بالرأى يحتاج الى اجتهاد واستقلال ، ورشيد ينعى على المقلدين من المفسرين بمثل قوله : « لا عذر لأحد فى التقليد المحض »(٦) . ولكن هذا لا يعنى أنه يتنكر لسلفيته ، بل يؤكد هذه السلفية بقوله : « وأقول — أنا مؤلف هذا التفسير — اننى والحمد لله على طريقة السلف وهديهم ، عليها أحيا ، وعليها أموت ان شاء الله تعالى(٧) » .

وكأنه قد أحس أن من الناس من سيقول له : وكيف تؤكد هذه السلفية وأنت فى تفسيرك تستشهد بتأويلات الخلف ، فيجيب رشيد على ذلك بعد أن يشير الى أنه يدعو الى عقيدة

---

(١) المنار ، المجلد ١٢ ص ٩٥٩ .

(٢) السيد رشيد رضا ، ص ٦٢٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٩٢ .

(٤) يمكن مراجعة فصل : « حركة التجديد فى التفسير » فى كتاب قصة التفسير ، ص ١٥٦ — ١٦٩ .

(٥) قصة التفسير ، ص ١٠٥ .

(٦) تفسير المنار ، ج ٢ ص ٨٥ . الطبعة الثالثة .

(٧) تفسير المنار ، ج ١ ص ٢٥٢ الطبعة الثالثة .

السلف : « وانما نورد فى باب التفسير وغيره من المنار بعض تأويلات الخلف للآيات والأخبار ، وما قد يخالف مذهبهم من الآراء العصرية ، وخاصة فى مقام الدفاع عن القرآن والسنة النبوية ، لأن الضرورة ألجأت اليها ، بتوقف اقامة الحجة أو دحض الشبهة عليها .

فان المنار ليس خاصا بالمذعنين للكتاب والسنة من المؤمنين ، بل يكتب لهم ولغيرهم من المبتدعين والمنافقين والكافرين ، ومنهم المنكر الجاحد ، والمجادل والمعاند ، ومنهم المشتبه المغرور بشبهته ، والمرتاب المتردد فى ريبته ، وحسبنا من الفلح أن نقنع بتأويل الخلف من تعذر اقناعه بتفويض السلف »(١) .

على أن اجتهاد رشيد فى التفسير ، وأخذه بالرأى وتأويل الخلف ، وتأثره بالآراء العصرية ، قد عرضه للكثير من النقد والتجريح ، ومن أمثلة ذلك أن رشيدا أنكر المهدى المنتظر فى الجزء التاسع من « تفسير المنار » ، وجزم بأن أحاديثه كلها من وضع دعاة الشيعة ، فهاجمه أحد الشيعة بنقد شديد(٢) .

ومن طريقة رشيد فى التفسير أنه يتحدث فى أول السورة عن سبب نزولها ، ويشير الى التناسب بين السورة وسابقتها ، بلا تكلف ، ثم يورد للسورة خلاصة يضمنها ما اشتملت عليه من العقائد والأحكام ، وقواعد الدين وأصول التشريع ، ثم يمضى فى تفسير الآية طائفة طائفة .

★ ... ★ ... ★

العناية بالجوانب اللغوية والبلاغية :

يذكر رشيد رضا أن فقه القرآن « يتوقف على تفسيره لمن لم يؤت من ملكة لغته ، وذوق أساليبها ، وروح بلاغتها ، ومن تاريخ الاسلام ، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهدى السلف الصالح ، ما يمكنه من فقهه لنفسه » .

فهو يجعل ملكة اللغة ، وذوق الأساليب ، وروح البلاغة ، فى طليعة ما يقدر به الانسان على فقه القرآن لنفسه ، وتفسيره لغيره ، ثم يعود بعد قليل فيذكر أول ما يذكر من وسائل فهم القرآن « فنون العربية التى لا بد منها » ، ثم يذكر أيضا « قواعد النحو والمعانى » ، وان كان فى الوقت نفسه يعيب على بعض التفاسير أنها تشغل الانسان عن القرآن « بمباحث الاعراب وقواعد النحو ، ونكت المعانى ومصطلحات البيان » .

ويرى أن من الضرورى الاستعانة فى التفسير بما صح عن علماء الصحابة مما يتعلق بالمعانى اللغوية(٣) .

وهو يعجب بجودة العبارة وجزالة الاسلوب فى التفسير ، ولذلك ينوه بتفسير ابن عطية ، ويصفه بقوله : « لسانه من صميم العرب ، وأسلوبه بديع »(٤) .

وينقل رشيد عن أستاذه محمد عبده أن المرتبة العليا للتفسير لا تتم الا بأمور أحدها فهم حقائق الالفاظ المفردة فى القرآن ، ويحقق المفسر ذلك من استعمالات أهل اللغة ، غير مكتف

---

(١) المنار ، المجلد ٢٠ ص ٤ .

(٢) تفسير المنار ، ج ٩ ص ٤٩٩ — ٥٠٤ . والسيد رشيد رضا ص ٥٤٧ . والمهاجم هو الاستاذ مصطفى جواد ، الباحث اللغوى العراقى .

(٣) تفسير المنار ، ج ١ ص ٧ .

(٤) جمال الدين القاسمى وعصره ، ص ٤٤٧ .

بقول فلان وفهم فلان ، لأن هناك ألفاظا كانت تستعمل فى زمن التنزيل لمعـــان ، ثم غلبت على غيرها بعد ذلك .

ومن أمثلة ذلك لفظ ((التأويل)) الذى اشتهر بمعنى التفسير ، ولكنه استعمل فى القرآن بمعنى العاقبة فى قوله تعالى : ((هل ينظرون الا تأويله ، يوم يأتى تأويله ..))

★ ... ★ ... ★

والشواهد على العناية بالجانب اللغوى فى تفسير رشيد رضا ، كثيرة شائعة فى تفسيره ، حتى تدعوه أحيانا الى الاستطراد اللغوى ، ومن أمثلة ذلك أنه يتحدث عن معانى الأســـــماء الالهية : ((الحى ــ القيوم ــ الرحمن ــ الرحيم)) ، فيســـــتغرق فى ذلك صفحات ، فى آخر تفسيره لسورة الفاتحة[1] .

ونلاحظ أن المراجع اللغوية التى يرجع اليها رشيد كثيرة ، فهو يرجع الى المخصص لابن سيده ، والى مفردات القرآن للأصفهانى ، وبدائع الفوائد لابن القيم ، ولســـــان العرب لابن منظور ، والقاموس للفيروزابادى ، وشرح القاموس للزبيدى[2] ، وغير ذلك .

★ ... ★ ... ★

واذا كان رشيد يعنى بالبيان الأدبى فى التفسير ، ويعيب التفريط فى توضيح هذا البيان بســـبب الانصراف الى القواعد النحوية ، حتى يقول عن بعض المفسرين مســـــتهجنا عملهم : ((صرفتهم قواعد النحو عن ملاحظة الاســـلوب العربى فى مثل هذا[3])) ، فليس معنى هـــذا أن رشيدا يضيع حق النحو أو يهمله .

ولذلك ينقل رشيد عن أستاذه الامام قوله : ((لا يتعظ الانســـــان بالقرآن فتطمئن نفسه بوعده ، وتخشع لوعيده ، الا اذا عرف معانيه ، وذاق حلاوة أساليبه ، ولا يأتى هذا الا بمزاولة الكلام العربى البليغ ، مع النظر فى النحو ، كنحو ابن هشام ، وبعض فنون البلاغة ، كبلاغة عبد القاهر ، وبعد ذلك يكون له ذوق فى فهم اللغة يؤهله لفهم القرآن[4])) .

فرشيد اذن لا يهمل النحو ، ولا يحكم بعدم فائدته ، ولكنه حريص على ألا تشغل القواعد النحوية والبحث فيها من يفسر القرآن ، لأن الأهم من ذلك هو فهم النص القرآنى ، وتفســـــير هدفه ومغزاه .



---

(١) تفسير المنار ، ج ١ ص ٧٢ ــ ٧٨ .
(٢) أنظر تفسير المنار ، ج ١ ص ٤٠ و ٤١ و ٧٣ . و ج ٣ ص ٢٩ .
(٣) تفسير المنار ج ٢ ص ٨٥ .
(٤) تفسير المنار ج ١ ص ١٨٢ .

الوَحـدة العَسكريَـة في التَاريخ العَربي الإسلامي

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

(١)

القاعدة الثابتة التى لا يمكن أن تتغير ، ليس بالنسبة الى العرب وحدهم ، بل بالنسبة الى شعوب العالم كلها ، هى أن الشعب ــ كل شعب ــ لا يكون قويا ما لم يكن موحد الصفوف والأهداف .

ولم نسمع بأمة من الأمم استطاعت أن تكون قوية لها مكانة مرموقة بين الأمم ، وهى متفرقة الصفوف والأهداف .

الوحدة تجعل من الأمة قوة ضاربة لا تغلب من قلة أبدا ، والفرقة تجعل من الأمة غثاء كغثاء السيل لا قيمة لها فى حرب ولا فى سلام . ولو أردنا أن نضرب الأمثال من الأمم غير العربية ، لضاق بنا المقام ولاحتجنا الى مجلدات وحسبنا أن نذكر أن ألمانيا وايطاليا مثلا ، كانتا مستعمرتين للنمسا قبل الوحدة تارة ولفرنسا تارة أخرى ، ولكنهما أصبحتا بعد الوحدة دولتين من الدول العظمى ، وقد استطاعتا أن تفرضا على الدول احترامهما بعد الوحدة وهددتا العالم كله بسيطرتهما القاهرة خلال النصف الأول من الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ــ ١٩٤٢) . والولايات المتحدة الاميركية نفسها كانت مستعمرة كبيرة من مستعمرات بريطانيا ولكنها بالوحدة استطاعت أن تنال استقلالها أولا ، وأن تتضخم قوتها بعد ذلك حتى أصبحت أقوى قوة وأعظم مكانة من بريطانيا سيدتها أمس .

(٢)

وقد كان للعرب دول محلية قبل الاسلام فى اليمن السعيد وفى العراق وسورية ، عاشت فترة من الزمن ولكنها لم تترك لها أثرا ذا قيمة عالمية ، كما فعل العرب بعد الاسلام . وكان الموقف العربى قبل الاسلام يتلخص بما يلى :

اليمن السعيد فيه نفوذ الأحباش والفرس وفيه قبائل مستقلة — خاصة فى الجبال — عن هذين النفوذين .

وفى العراق دولة المناذرة ، خاضعة للفرس . وفى الشام دولة الغساسنة خاضعة للروم . وفى الجزيرة[1] عرب خاضعون للروم . وفى نجد والحجاز قبائل عربية ، كل قبيلة مستقلة عن الأخرى . كان العرب حينذاك فى جاهلية فكرية ، وفى جاهلية استعمارية وفى جاهلية عصبية ، وفى جاهلية دينية ، وفى جاهلية التمزق والتفرق والتناحر والاختلاف .

وجاء الاسلام ، فوحد صفوف العرب وجمع كلمتهم وحدد أهدافهم ، فأصبحوا فى شبه الجزيرة العربية صفا واحدا يعملون بقيادة واحدة هى قيادة الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ، فلم يلتحق النبى صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى الا وكان عرب شبه الجزيرة العربية التى تتصل بتخوم أرض الشام ومشارف العراق من الشمال وبالبحر الأحمر من الغرب وبالمحيط الهندى من الجنوب وبالخليج العربى من الشرق — وحدة تحت لواء الاسلام . وارتد قسم من العرب بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فقاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، حتى استطاع أن يعيد الوحدة الى عرب شبه الجزيرة العربية ، وبذلك أصبحوا قوة هائلة وجدت لها متنفسا فى الفتح الاسلامى العظيم . وفى أواخر أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه توجهت طلائع الفتح الاسلامى الى العراق وأرض الشام ، فاستطاع المثنى بن حارثة الشيبانى وخالد بن الوليد رضى الله عنهما أن يربحا معارك كثيرة فى العراق ، كما استطاع جيش المسلمين فى (اليرموك) أن يربح معركة حاسمة فى أرض الشام . وارتفع مد الفتح الاسلامى ارتفاعا مذهلا فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فاستطاع قادة الفتح الاسلامى فى أيامه فتح العراق والجزيرة وأرض الشام ومصر وشطرا من بلاد فارس . وبقى مد الفتح الاسلامى طاغيا عاتيا فى النصف الأول من حكم عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فلما نشب الشغب فى النصف الثانى من حكمه بين المسلمين توقف الفتح ، واستطاع الفرس استعادة قسم من بلادهم فى خراسان من المسلمين . وبقى الفتح الاسلامى مجمدا فى أيام الفتنة الكبرى بل أصبحت البلاد الاسلامية مهددة بالغزو من الروم ، فزحف قيصر الروم فى جموع كثيرة وخلق عظيم على بلاد الشام . وخاف معاوية بن أبى سفيان أن يشغله ذلك عما يحتاج الى تدبيره وإحكامه ، فوجه الى الروم وصالحهم على مائة ألف دينار ، وهكذا أصبح الطالب مطلوبا بفضل التفرق والانقسام . وحين استتب الأمر لمعاوية أغزى أمراء الشام على الصوائف ، فسبوا فى بلاد الروم سنة بعد سنة . عند ذاك طلب قيصر الروم الصلح على أن يضعف ما يقدمه للمسلمين من مال ، فلم يجبه معاوية الى طلبه . واستأنف الفتح الاسلامى سيره المتدفق فى الشرق والغرب بعد أن وضعت الفتنة الكبرى أوزارها ، فاستعاد العرب المسلمون فتح (سجستان) وفتحوا (كابل) كما اجتازت رايات المسلمين نهر (جيحون) ففتحوا بخارى وسمرقند و (ترمذ) كما فتح عقبة بن نافع (تونس) واختط القيروان وسكن المسلمون (افريقية) وأسلم البربر واتصل الاسلام ببلاد السودان وبالمحيط الأطلسى .

---

(١) جزيرة ابن عمر .

وفى الشمال حاصر المسلمون القسطنطينية ، وهناك توفى أبو أيوب الأنصارى صاحب رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يزال قبره محفوظا مشهورا الى اليوم[١] .

وكان هذا الفتح كله بفضل الوحدة أيضا .

(٣)

وبعد معاوية بن أبى سفيان بدأت الفتن الداخلية فى استشهاد الحسين ابن على رضى الله عنه وحركات المختار بن أبى عبيد الثقفى وبعده مصعب بن الزبير وثورة الخوارج وثورة عبد الله بن الزبير .. الخ . فاضطربت أمور العرب المسلمين وتفرقت كلمتهم ، فكان من نتيجة ذلك أن الروم استعادوا افريقية من المسلمين كما استطاع قيصر القسطنطينية أن يهدد بلاد الشام فاضطر عبد الملك بن مروان الى عقد هدنة مع الروم . وفى المشرق توقف الفتح تماما واستعاد الفرس من المسلمين خراسان وسجستان . وبعد حروب دامية استطاع عبد الملك بن مروان أن يعيد الوحدة عام ثلاثة وسبعين الهجرية فأرسل عشان بن النعمان الغسانى لاستعادة افريقية ، ففتح (قرطاجنة) وأتم تحرير المغرب العربى من الروم .

وفى سنة ثلاث وسبعين الهجرية وهو عام الوحدة — عين عبد الملك أخاه محمد بن مروان واليا على الجزيرة وأرمينية ، وقطع النقود التى كان يرسلها للروم لقاء سكوتهم عن حرب المسلمين ، واستطاع المسلمون سنة أربعة وسبعين الهجرية الانتصار على الروم وتوغلوا فى بلادهم وفى سنة ثمان وسبعين الهجرية استعاد المسلمون خراسان وسجستان وفتحوا مدنا أخرى[٢] واستطاع موسى بن نصير فتح المغرب الأقصى وفتح طنجة وغزا صقلية وفتح الأندلس[٣] وكان ذلك كله بفضل الوحدة .

(٤)

وبعد الوليد بن عبد الملك توقف الفتح الاسلامى حتى سنة انهيار الدولة الأموية ، وهى سنة اثنتين وثلاثين ومائة الهجرية حيث بدأت صفحة الدولة العباسية فى التاريخ . وبعد سنة من مولد الدولة العباسية أى سنة ثلاثة وثلاثين ومائة الهجرية استطاع الروم الانتصار على المسلمين فى (ملطية) واستعادوها منهم فهدموا المدينة والجامع وأجلوا المسلمين الذين بقوا على قيد الحياة من هذه المدينة[٤] . وتوالت الفتن والمشاكل منها طائفية ومنها سياسية لعل أعظمها كان انفصال الأندلس سنة تسع وثلاثين ومائة عن الدولة العباسية[٥] فأصبحت الدولة الاسلامية الواحدة دولتين ، دولة فى المشرق ودولة فى المغرب . وكانت الدولتان قويتين فى ابتداء أمرهما ، ولكن استقلال الأمصار عنهما بالتدريج أدى فى النهاية الى سقوط الدولة العباسية بيد التتار وخروج العرب من الأندلس واستيلاء الصليبيين على قسم كبير من

---

(١) أنظر التفاصيل فى — قادة فتح الشام ومصر (١٨١ — ١٨٢) .

(٢) أنظر التفاصيل فى — قادة فتح المغرب العربى (٢/٩٩ — ١٠١) .

(٣) أنظر التفاصيل فى — قادة فتح المغرب العربى (١/٢٣٢ — ٢٧٣) .

(٤) العبر (١/١٧٩) .

(٥) (الطبرى/٢/١٤٤) .

سورية ولبنان وفلسطين وشمال افريقية . ومر على العرب فترة كان لهم فى كل بلد دولة ، وهذا التفرق هو الذى أدى بهم الى الضعف والهوان فطمع ببلادهم الصليبيون وغير الصليبيين ، ولولا نور الدين الشهيد ومن بعده صلاح الدين اللذان جاهدا من أجل الوحدة ووحدا من أجل الجهاد لما استطاع العرب استعادة القسم الأكبر مما اغتصبه الصليبيون من بلادهم .

(٥)

وبقى العرب ضعفاء لتفرقهم مستعبدين لغيرهم من الأمم حتى انتهاء الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٨ ، فاحتل المستعمرون بلادهم وأقاموا الحدود والسدود بين الأقطار العربية ، وشجعوا الروح الاقليمية والطائفية على مبدأ (فرق تسد) وأشاعوا التحلل الخلقى ، ونشروا المبادىء الوافدة ، وجعلوا العرب يشيحون بوجوههم عن تراثهم العريق وعمقوا فى عقولهم آثار الاستعمار الفكرى البغيض .

ثم خلقوا اسرائيل فى بقعة من بقاعنا المقدسة ، لتكون قاعدة ضخمة لهم يعتمدون عليها فى أيام السلام والحرب . لقد قدر الاستعمار أن العرب لن يبقوا فى سبات عميق الى قيام الساعة ، ولمس بحق عزم العرب على أخذ حقوقهم كاملة من المستعمرين فخلقوا اسرائيل لتكون عونا لهم على اضعاف العرب ، واستنزاف طاقاتهم المادية والمعنوية كلما أرادوا تطوير بلادهم والتحرر والانطلاق من ربقة الاستعماريْن القديم والجديد ، اسرائيل قاعدة للاستعمار فى الشرق الأوسط فى أيام السلام لأن العرب مضطرون على تقوية جيوشهم عددا وسلاحا ، وهذا يحتاج الى المال الوفير والجهد المضنى ما كان أحوج العرب اليهما فى تطوير بلادهم لولا وجود اسرائيل .

واسرائيل قاعدة للاستعمار فى الشرق الأوسط فى أيام الحرب لأن الاستعمار يزودها بالسلاح وبالخبرات الفنية لتكون قوية دائما قادرة على ضرب الدول العربية التى تخرج على مصالح الاستعمار وتعمل من أجل بلادها ومصالحها العليا . وهى قاعدة للاستعمار أيضا فى حالة نشوب حرب عالمية ثالثة بين الشرق والغرب لذلك فمن مصلحة الاستعمار أن تكون اسرائيل قوية وأن تتوسع على حساب البلاد العربية . ان الاستعمار الذى خرج من باب الدول العربية دخل الى الشرق الأوسط من نافذة اسرائيل . لهذا دأب المستعمرون على الادعاء بأن اسرائيل خلقت لتبقى . ذلك لأن بقاءها من مصلحة الاستعمار . والاستعمار كما هو معلوم مسيطر سيطرة كاملة على الهيئات الدولية ، ، وعلى مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة بالذات . فلا مجال للعرب أن يأخذوا حقوقهم بالوسائل السياسية فى أروقة الأمم المتحدة ومجلس الأمن أو فى المجالات السياسية الاخرى . وعلى ذلك لم يبق أمام العرب غير طريق واحد هو أن يأخذوا حقوقهم بالقوة .. وبالقوة وحدها .

وسبيل القوة هى الوحدة ، والوحدة العسكرية على الأخص بين العرب :

ومرة ثانية ..

اذا لم يضع العرب الوحدة العسكرية العربية فى حيز التنفيذ فورا ، فانهم بعد سنوات سيكونون اما عبيدا فى بلادهم أو لاجئين خارج بلادهم .

وقد أعذر من أنذر ..

من وحي ميلاد الرسول

لاح فجر الحيـــــاة والأحيــــاء وأضـــــــاء الوجود فيض ذكاء

فعلى الأرض رحمة وســــــلام وضـــياء وفرحة فى الســــماء

وسرى موكب البشــــــائر يزهو برســـول مطهر الأنحـــــاء

جاء والـــكون فى ظـــلام وظلم وهـــوان وذلة وعنـــــــاء

فمضى والرشـــــــاد بين يديه يســـكب النور فى دجى الظلماء

اليتيم الفقــــــير أنقذ كونا من شرور وفتنـــة رعنـــــاء

اليتيـم الفقير شـــيد صرحـــا ثابتـــا شامخـــا رفيـع البنـــاء

اليتيم الفقــــــير أولى البرايا آى حق من الســـنا والســـناء

* •• •• •• *

ولد الهــــــدى يوم مولد طه قاهر البغى ناصر الضـــــعفاء

هل درت يــوم ودعت بنت وهب أن من خلفت أبو الأنبيـــــاء

أنه منقــــــذ البـــرية طرا ورسول الســـماء للأحيـــاء

أنجبته من فرع نســـل شريف من قريش أصـــوله فى ازدهاء

كيف جلى حقيـــقة ، كيف زكى دوحة الخير فى ربى الصـــحراء

كيف أمضى الرأى القويم ســـديدا فى ربوع من جهلها فى عمـــاء

لم تضره عـــداوة أضرمتهـــا عصبة الشر فى لظى البغضـــاء

للأستاذ
حسن فتح الباب

وعد المتقـــين جنـــة عدن | والذين افتروا الى الرمضـــاء
جنة عرضها كعرض الســـموا | ت أعدت بشـــيرا الى الأتقياء
ان يكن قومه الحيـــارى أضلوا | قبله فى العقـــائد الشـــوهاء
فلقد أصـــبحوا به خـــير قوم | ولقد عز شـــأنهم فى العـــلاء
بعـــد خلف وفرقة وصراع | واحتراب وفتنـــة وافتراء
صـــار فيهم وحى اليقين اماما | وســـبيلا فى صبحهم والمســـاء
لا تســـلهم عما بنوه وســـائل | ما استجدوا من المعـــانى الوضاء
مجـــدوا الحق فاســـتردوا حقوقا | ضـــيعتها غوائل الشـــحناء
هم بناة الهدى وحصن المعـــالى | وهداة الورى وكنز النقـــاء
لن يضـــيعوا وهذه صـــفحات | خلدوها فى مســـمع الجوزاء

* .. .. .. *

أيهـــا الشرق آن منك نهوض | نرتجى منه نهضة الســـعداء
أيهـــا الشرق آن رد حقـــوق | نرتجيهـــا على مدى الآناء
كل عيـــد يحين نذكـــر مجـــدا | صـــنته فى فؤادك اللألاء
ذاك عيد الثرى وعيد الســـماء | مولد المصطفى رســـول الاخاء



بمولد (أحمد) شرف الوجود ... فيا نعم الطوالع والجدود
طوالع حكمة ، هلت فكانت ... سنى جد تطالعه السعود
وبان الغيب يكشف عن سلام ... يرادفه من النعمى جديد
وجد على عهود الناس عهد ... تهيم بحسن جدته العهود
وطاف على الوجود منار أمن ... مجيد الطيف وضاء حميد
كأجنحة الملائكة استقلت ... لساق العرش ركنا لا يميد
يساجل سمته فى العز بيت ... عليه الروح طواف عتيد
فأطوار الملائك فى ذراه ... قيام حول كعبته سجود
تضيق بوصفه سعة المعانى ... وليس لحصرها أبدا حدود
به من (مولد المختار) شمس ... يشع بنورها الدين الوحيد

• • •

ويوم فى الحوادث جملته ... من الرحمات آيات شهود
شهدنا قدس مطلعه شهابا ... تلألأ فوق لبته العقود
مشى بمواكب التاريخ صفا ... تظلله من التقوى بنود
ففيه لعابد الأهواء زجر ... وفيه لجاحد النعمى وعيد
وفيه لمسلك الدنيا نظام ... أساس بناء حكمته وطيد
برغم معاند تطغى عليه ... حقود شب جذوتها حقود

• • •

فما لهم وعرش مستقر ... وملك فى الفضائل لا يبيد
بناه (محمد) وحمى بنيه ... بجهد لا تنازعه الجهود
فكان بأصلح الأديان عونا ... على دنيا تنازع من يريد

الأستاذ : مرسي شاكر الطنطاوي

يشد العزم بين يد وعين ... ونفس لا تمل ولا تحيد
وقلب لا يساوره افتتان ... وطرف لا يلم به هجود
تكرمه النبوة مطمئنا ... بنفس جد نهضتها سعيد
لقد حسدوه من حنق عليها ... فماذا يبلغ الرجل الحسود
وظنوها مطالب هينات ... فجد الجد (عتبة والوليد)
وهام بها (ابن مسعود) فكانت ... أماني كاذبات لا تفيد
ومد (عميرة الثقفي) فيها ... طماعة من يجد ولا يجيد
ولكن النبوة خير عبء ... ينوء بحمله الجيش العديد
فلا تعطى بميراث فتفضي ... الى من خالها أملا يسود
فكيف بهم لدى أحكام داع ... أعز جموعهم . وهو الطريد
شديد في التحرز لا يبالي ... شدائد تضمحل بها الجنود
له من صحبة الأخيار جند ... كرام مواقع الهمات صيد
شداد كم تحدتهم خطوب ... يضاعف هولها الخصم اللدود
تلقوها وقائع مضنيات ... وألقوها عوادي لا تعود
فكانوا في يقينهم جبالا ... تنوء بها العواصف والرعود

• • •

بأية قوة هموا ، فطالوا ... بأية حكمة منحوا فزيدوا
بإيمان تأصل في قلوب ... ترى أن الشهيد هو السعيد
فما مالوا عن الحسنات قيدا ... ولا دلاهم بالعجز قيد
فهل نلقى مثالهم بعين ... تفيض الدمع والآمال سود
ونلمح في (فلسطين) اتقادا ... تحس لهيب جذوته اللحود
وفينا قوة . ولنا شباب ... يناديه الى العليا صعود
وما العلياء الا بذل نفس ... الى الهيجاء يعقبه الخلود
الى هيجاء تدعو كل حر ... هلم . هلم . فالمرمى بعيد



يكتبها : عبد المنعم النمر

علتنا الأولى في الشرق

نستعير أسلوب الأرصاد الجوية اذا قلنا فى رصد أحوال مجتمعنا : انه يقع فى منطقة انخفاض حضارى عرضها لهبوب الرياح العاتية عليها من مناطق الارتفاع الحضـارى فى العالم .. وقـد استعرت هذا الاسلوب لأشير به الى سنة فى الحياة ثابتة لا تتغير ، وهى أن مناطق الانخفاض أو الهبوط فى أى شىء ماديا كان أم فكريا وثقافيا تكون عرضة لغزو يتحـدر اليها من خارجهـا حتى ليحدث منه أحيانا ما نسميه بالدوامة التى تبتلع من أو مايدخل فى نطاقها ، أو الزوابع والعواصف التى تهدم وتقصف وتغرق ..

فالماء ينحدر دائما من المكان العالى الى المكان المنخفض ، والهـواء يجرى دائما لأماكـن التخلخل ، وكذلك الافكار والمظاهر .. وهبوط مستوى القوة فى أمة يغرى الأقوياء بغزوها ، وهبوط الجدران وانخفاضها يغرى حتى الكلاب والقطط بتسلقها والقفز عليها ...

تلك سنة الحياة وفيها ما نستطيع تغييره والتحكم فيه ، وفيها ما لا نستطيع ... ومن واجبنا أن نبذل جهدنا فيما نستطيعه حتى نصد التيارات المتجهة الينا ، أو نحـول بين البيت وبين الكـلاب والقطط .. أو نحمى أنفسنا من تحكم الأقوياء فينا ... ومن الفرض الواجب علينا فكريا أن نستفيد من مظاهر الطبيعة أمامنا فنعرف أن الانخفاض دائما يعرض منطقته لأخطار الغزو الخارجى من أى نوع كان ذلك الغزو ...

هذا كلام قد يكون مكررا فى موضوعه ، لكن لا بد من الكلام فيه مرة ومرات لأن دواعيه موجودة وأخطارها ماثلة تلح علينا وتغمزنا فى جنوبنا كلما تحركنا ، وتكاد تكون علتنا الأولى فيما نشكو منه . فما من شىء نشكو منه الا وسببه اننا نهدر شخصيتنا ونستقبل كل وارد من غيرنا ، من الغرب أو الشرق ، بمظاهر الحفاوة والتقدير ، ولا داعى أن أقول التقديس وان كان ظاهرنا يدل عليه .. لأننا تركنا فعلا الكلام المقدس كلام الله وتعليماته وتمسكنا بهذه المستوردات حتى أصبح من المتعذر أن نفرط فيها ، وأصبح هذا مظهرنا أو سيرنا فى الحياة فى كل جوانبها ...

وأمامي الآن حديث طويل مع كبير المهندسين المصريين عن فن العمارة أضع أمامك منه هـذه العبارة « تجدنا اليوم نقتبس المباني من الطرازات الأجنبية المنقولة عن أعمال المهندسين الغربيين في أمريكا وسويسرا وانجلترا وفرنسا على الخصوص ، وأكثر من ذلك تجدنا نقلـد أعمال بعض المهندسين الغربيين وذلك لمجرد أن أسماءهم أصبحت معروفة في بلادهم ، فأخذ المهندسون يتمسحون بهذه الأسماء ليضعوا على أنفسهم صفة المعاصرة . ان نقل أفكار هؤلاء المهندسين الى بلادنـا يعتبر تخلفا من الناحية الفنية والهندسية والعلمية ... الخ »

هذا كلام يعطينا صورة عن غرامنا بالتقليد في كل شيء ... حتى أصبحنا أمام تيار جـارف يشكل حياتنا على نمط غربي ، لا على النمط الذي ينبغي أن يكون ، وتجدنا أمام هذه الظاهرة يحاول بعضنا أن يتفلت منها ، ولكنه يجد أن العقلية المسيطرة علينا ، أو يجد أن نظام حياتنا ، مرتبط بهذا التيار ، حتى أصبح كأنه القاعدة ، وغيره مما يتصل بديننا أو تقاليدنا الكريمة شاذ غير منسجم مع حياتنا . ودعني أسرد لك بعض الأمثلة الواقعية غير ما تقدم من ملابس النساء ومن الرقص ومجالس الشرب والعمار ومن تقاليع الخنافس الخ ..

وأخيراً مسألة الاختلاط

هذه المسألة التي كتب الكثيرون فيها الى .. ويعيبون أننا في المجلة لم نقل رأينا أو لم ندل بدلونا ... ويطلبون حكم الدين فيه ، وذلك لاثارة هذا الموضوع بمناسبة جامعة الكويت الجديدة . ومع أنني أعرف أن اللف حول رأي الدين انما هو شيء نظري لا غير ، لأنني أعـرف كذلك أن أي مجتمع اسلامي لم يستشر الدين حتى الآن في سلوكه أو قوانينه بقدر ما سلم نفسه للغرب وقوانينه يصنعانه ويكيفانه ، والا فهل استشاروا الدين ونزلوا على حكمه في ملابس المرأة عندنا مثلا ؟! ورأي الدين معروف لا يمكن لأحد أن يناقش أو يؤول فيه ... ومن قبل ثارت مناقشات مشابهة ، ومـع معرفة رأي الدين اندفع الجميع في التيـار المخالف له حتى أصبحنا نرى ما نراه الآن ، مما لم يكن دعاة تحرر المرأة ، يتصورون أو يتخيلون أنها سـتصل في تحررها الى حد كشف أفخاذها والاغراء بمفاتنها ، الى الحد الذي نراه الآن . مع الأسف . والسـبب هو التقليد والرغبة في أن يقـال عنا متمدنون أو متمدنات . وهذا أهم في نظرنا من أن يقال متدينون محـافظون .. لأن طاعة الله لم تصـبح ذات بال في نفوسنا . ولذلك أقول سلفا .. ان مسـألة الاختلاط التي تدور حولها المناقشة سيطويها الزمن كما طوى غيرها وننـدفع في التيار الذي شئنا أن نسـير فيه ، اللهم الا اذا شعرنا بأنفسنا وشخصيتنا . وعالجنا الأمور كلها من جذورها ...

الملابس أولا :

لذا أحب قبل أن نشغل أنفسنا بموضوع الاختلاط الذي فرغت منه بعض بلادنا العربية مـع الأسف ورمت بنفسها في أحضان التقاليد الغربية .. أن يكون الأولى الرأي والامر موقف حاسم في موضوع الملابس على وضعها الحالي .. ولا خلاف مطلقا على مخالفتها لديننا وتقاليدنا ... فهـل ينزلون عند رأي الدين ؟ أو أن مظاهر التمدن عنـدنا أولى من رأي الدين وطاعة الله ؟ هذا هو الموضوع الذي يجب أن يقف الجميع عنده أولا ويبتوا فيه ...

أما أن نتناقش في موضوع الاختلاط مع ترك الملابس على وضعها الحالي .. فعبث أو أكثر من العبث ولا أريد أن أزيد عن هذا ... واذا كنت أسمع أو أقرأ لمحبذي الاختلاط في المجتمع الكويتي الآن بمناسبة جامعتها الجديدة بعض استشهاداتهم بالمحاربات المسلمات مع الرسول أو الصحابـة وغير ذلك من ظواهر سابقة ... فاني أقول لهم ما دمتم تريدون الاستشهاد بالدين فالتزموا به في كل

أمر يتصل بهذا الموضوع على الأقل .. التزموا به فى الملابس .. فى الآداب العامة . نحن لا ننكر الشواهد التى يستشهدون بها .. ولكن فاتهم شيء وهو ـ كيف كانت حالة المرأة المسلمة التى يستشهدون بحوادثها ؟ كونوا مثلها أو قاربوها ... وحينئذ يصح لكم الاستشهاد وتكون لكم الحجة .. والا فهل كان الرسول صلى الله عليه وسلم أو صحابته الكرام يسمحون لها بهذه المشاركة أو حضور الصلاة أو الحج مثلا لو كانت على وضع المرأة أو الفتاة عندنا الآن وبملابسها المغرية الفاتنة ؟!!! وقد حكى أن رجلا طلب من أحد الصلحاء أن يقرأ له الفاتحة حتى يشفيه الله من المرض كما فعل عمر رضى الله عنه .. فقال له : يا بنى .. حقيقة هذه هى الفاتحة .. ولكن أين عمر ؟

صوت من الغرب

وأحب قبل أن أنهى هذا الموضوع أن أضع أمام القارىء صوت امرأة غربية طافت ببلاد الشرق وهى تراسل ٢٥٠ صحيفة أمريكية ولها مقال يومى يقرؤه الملايين فى تلك الصحف وهى تعالج مشكلات الشباب دون سن العشرين ، وزارت جميع بلاد العالم ومنها البلاد العربية ... وذلك لنعرف هنا رأى الذين جربوا ما نقلده ونفضله على آدابنا . تقول الصحفية الامريكية « هيلين » :

« ان المجتمع العربى مجتمع كامل وسليم ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التى يقيد بها الفتاة والشاب فى حدود المعقول ـ وان هذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبى والأمريكى فعندكم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة ، وتحتم احترام الأبوين ، بل وتحتم كذلك عدم الاباحية الغربية التى تهدد اليوم المجتمع والأسرة فى أوربا وأمريكا ، لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم وامنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة ، بل ارجعوا الى عصر الحجاب ، فهذا خير لكم من الاباحية والانطلاق والمجون فى أوربا وأمريكا . لقد أصبح المجتمع الامريكى مجتمعا معقدا مليئا بكل صور الاباحية والخلاعة .. ان الاختلاط والاباحية والحرية فى المجتمع الاوروبى والامريكى هدد الأسر وزلزل القيم والاخلاق .. الخ .. » فيا دعاة التقليد . ما رأيكم فى هذا الكلام الجدى ؟.. هل تقلدونه ؟ .. أو أننا نقلد فقط فيما يضرنا ويتجه اتجاها معاكسا لديننا ؟!! مع الأسف !!

رسائل :

وأحب أن أفسح المجال بعد ذلك لبعض رسائل من القراء .

الرسالة الأولى من الأخت المسلمة (ن.أ.أ) من الاسكندرية تقول فيها :

« أننى أرسل هذه الرسالة لغرضين أحدهما عتاب والآخر سؤال فلنبدأ بالعتاب :

ان عنوان المجلة مدون عليه أنها تصدر أول كل شهر هجرى ولكنها تصل الينا فى ج. ع. م على الأقل يوم ١٥ من الشهر الهجرى ، فلماذا كل هذا التأخير ؟ والعدد الجديد لم يصل الا يوم ٢٠ محرم هذا مع العلم بأنه كان كمية صغيرة جدا لدرجة أنه وصل الينا فى الاسكندرية الساعة التاسعة مساء . وفى اليوم التالى توجهت لشرائه الساعة السابعة صباحا فلم أجده وهكذا الوضع بالنسبة لثلاثة أرباع القراء على الأقل فى ج. ع. م . ان هذا العدد الذى اعتبرتموه سيادتكم هدية للقراء لم يكن بالنسبة لهم سوى خيبة أمل فالذى يظل ينتظر المجلة بشوق شديد طوال الشهر ، ثم يفاجأ فى نهاية الشهر بوصولها ونفاذها فى ساعات لا بد أن يصاب بخيبة أمل . وانني أرسل هذه الرسالة نيابة عن زميلاتى فى المدرسة فهن جميعا لم تحصل واحدة منهن على عدد واحد من المجلة هذا

الشهر . واذا كان الأمر كذلك فهناك حلان : الأول : اما طرح أعداد وفيـرة من المجلة اذا كانت هناك فيما بعد هدايا أخرى ، أو الامتناع عن الهدايا وانى أقترح هذين الحلين لكى لا تحرم بعد هذا من أعداد أخرى من المجلة بسبب ((الهدية)) هذا عن العتاب) .

وبجوار هذا جاءنى خطاب من القارىء (ع.أ.ن) بالاسكندرية يقول فيه :

أخبرنى زملائى فى البنك ان المجلة قد وصلت . ولكن الذى حدث أن المجلة قد نفذت فى خلال ثلاث ساعات . ومررت على بائعى الصحف فأجمعوا على أن المطروح منها للتوزيع كان قليلا جـدا بالنسبة للتهافت الكبير على شرائها رغم أنها بيعت بضعف ثمنها الاصلى وصباح اليوم جاءتنى احدى زميلاتى متجهمة حتى ظننت أن أمرا محزنا ألم بها ، ولشد ما كانت دهشتى واعجابى أيضا حين قالت أنها متضايقة لأنها لم تعثر على نسختها من الوعى الاسلامى ... وهكذا كانت المجلة حدث المدينة .... الخ ..))

وانني اذ أحمد الله على هذه الظاهرة الطيبة ، أود أن أقول : انه وصلتنى مع هذه الرسائل برقية من شركة توزيع الاخبار تهنئنا بنفاد عدد المحرم . وكنا قد أرسلنا منه ٢٥ ألفا .. ولهذا نعد بزيادة الكمية فى الاعداد القادمة ان شــاء الله . واننى اذ أشكر الأخت والأخ على عنايتهما بمجلتهما أعتذر عن وصول المجلة متأخرة ، وذلك لظروف شحنها من الكويت ، وأرجو أن نتغلب على هذه الظروف فى المستقبل .

أما سؤال الأخت الخاص بالظاهرة التى تشكو منها .. فيمكن أن تعرض نفسها على طبيبـة مختصة وهى متوفرة والا فعلى طبيب ... وما دام الذى تشتكين منه يحدث يوميا وبصورة شـبه مستمرة .. فأن حكمه حكم البول يعنى ينقض الوضوء ويستدعى غسل ما يصل اليه من الجسـم أو الملابس بالماء فقط .. وأسأل الله لك التوفيق . وأنا منتظر عنوانك الخاص لأرسل اليك العدد الممتاز هدية من المجلة .

وبجوار هاتين الرسالتين اكتفى برسالة أخرى جاءتنى من السيد / اسـماعيل زيدان صاحب حانوت بسنجار ــ الموصل . بالعراق يشكو فيها من عدم توزيع الباعة للهدية مع العدد ، ويقول انها سرقت ويأسف للروح السيئة التى حملتهـم على الطمـع فى هذه الهدية وعدم توزيعها عـلى القراء ... الخ ..

وأنا أنشر شكوى القارىء لأنبه المسئولين عن التوزيع بالعراق الى هذه الظاهرة ، حتى لا تتكرر مرة ثانية ، ((حتى ولو كانت قيمة الهدية ألف دينار)) كما يقول صاحب الرسالة ونقول معه ، لأن المسألة متعلقة بخلق الامانة الـذى يجب أن نتحلى به جميعا ((وسنرسـل لك الهدية يا سـيد اسماعيل تحية منا اليك .. والله مع العاملين المخلصين .

مصحف مزور ..

فى عدد فبراير ١٩٦٩ من مجلة ((بريد الشرق)) التى تصـدر بالعربية من ألمانيا اعلان عن أفخم مصحف طبع منه مائة ألف نسخة طبعة شعبية أولى أنيقة بماء الذهب ومجلدة بالبلاسـتيك والمزركش بالحلل السندسية المذهبة .. الخ . وبأرخص الأسعار ..

وهذا اعلان يغرى كل مسلم باقتناء هذا المصحف . وهو يتساءل لماذا كل هذه التضحية ؟

وقد أتانا الجواب سريعا ممن اطلعوا على هذا المصحف .. ورأوا أن الصهيونية من وراء هذا المشروع .. وأن المصحف قد حذفت منه الآيات التى تدين بنى اسرائيل لذلك رأينا من الضرورى أن ننبه الى هذا حتى لا يقع المسلمون فى هذه الحبائل الصهيونية .

من أحداث الشام والدولة العثمانية

الوقائع التي سبقت أحداث ١٦ أيار (مايو) ١٩١٦

للشيخ : طه الولي ـ بيروت

فى بيروت ساحة تسمى « ساحة البرج » أو « ساحة الشهداء » فما سبب هذه التسمية ؟ ومن هم هؤلاء الذين قيل عنهم انهم شهداء ؟ ولماذا أعدموا ؟ ومتى ؟

معلومات وافية مدعمة بالوثـائق يقدمها لابناء هذا الجيل العـالم المدقق الشيخ طه الولى حتى يكونوا على علم بتاريخهم القريب .

قام القائد التركى أحمد جمال باشا باعدام نفر من أهل الشام فى ساحة البرج فى بيروت ابان الحرب العالمية الأولى ، ونرى من المناسب تاريخيا — أن نكشف عن الظروف والملابسات التى أدت الى هذا . خدمة للتاريخ . .

ولذلك نورد فيما يلى طرفا من المعلومات التى تلقى ضوءا على الظروف التى أدت الى اعتقال القافلة الأولى من الذين أعدمتهم السلطات العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨ م .

فى اليوم العاشر من شهر أيار (مايو) سنة ١٩١٥ تلقت ادارة المخابرات التابعة للجيش الرابع الهمايونى تقريرا هذا نصه باللغة العربية :

« اننى شاب مسلم من أبناء أهالى بيروت أحب دولتى وبلادى باخلاص تام ، واربأ بها ان تكون ألعوبة بيد بعض أبنائها الذين لا ضمير لهم ، يدفعونها الى يد الأجانب . »

« سمعت منذ أيام بمؤامرة يدبرها بعض من لا أخلاق لهم ضد مولانا الخليفة

الأعظم وصاحب الدولة قائدنا المحبوب أحمد جمال باشا أمد الله فى عمره وأبقاه ذخرا للدولة والدين . وعلمت بأن هذه المؤامرة مدبرة بيد أحد كبار رجال الادارة فى بيروت وهو عبد الوهاب الانكليزى (كان يومئذ مفتشا ملكيا) حيث عرفت بأن عدة اجتماعات عقدت فى منزله ، كان من أبطالها عبد الكريم بك الخليل وغيره من رجالات هذا البلد البائس بهم ، ولهذا جئت اطلع دولتكم على هذه الحقيقة ، حتى اذا وجدت اقبالا منكم ، بادرت الى التحقيق بها مولاى » .
الامضاء : أحمد سعيد العاملى

حول جمال باشا قائد الجيش الرابع الهمايونى ، هذه الرسالة الى والى بيروت دون أن يعيرها التفاتا ، فكتب عليها الوالى : أنه لم يجد فى بيروت رجلا باسم أحمد سعيد العاملى ويعتقد بأن الاسم مستعار ، ولهذا يعرض الكيفية . .
فى اليوم التالى ، تلقى احمد جمال باشا من صاحب التقرير نفسه كتابا آخر بواسطة والى الولاية يقول فيه :

« بلغنى أنكم أحلتم التقرير الذى قدمته لصاحب الدولة والفخامة أحمد جمال باشا وزير البحرية الفخيمة وقائد الجيش الرابع الهمايونى الأعظم الى والى بيروت بكر سامى بك . ولما كان الوالى نفسه غير مخلص لصاحب الفخامة ولحزب الاتحاد والترقى الموقر ، وكان يرغب فى طمس الحقائق المعروفة منه جئت لافتا نظركم لايضاح الكيفية لصاحب الفخامة أحمد جمال باشا وأنا على استعداد للقدوم الى القدس لايضاح المعلومات التى لدى ، مولاى » .
الامضاء : أحمد سعيد العاملى

لاقى هذا التقرير التأكيدى هوى فى نفس أحمد جمال باشا لانه يوافقه فى الشك ببكر سامى بك لذلك انتدب مدير شرطة بيروت محى الدين بك للتحقيق سرا عن مرسل التقرير واطلاعه على النتيجة ، وكتب الى ضيا بك قائمقام صيدا بمثل ذلك . ولكن النتيجة كانت عدم معرفة كلا الموظفين الكبيرين لشخص يحمل اسم صاحب التقرير سواء فى صيدا أو فى بيروت .

وفى ٢٩ ايار سنة ١٩١٥ تلقى أحمد جمال باشا من نفس الشخص صاحب التقريرين السابقين تقريرا جديدا يقول فيه :

« جاء الى بيروت منذ يومين عبد الكريم بك الخليل موضع ثقة أحمد جمال باشا والعامل سرا على مقاومة نفوذه . وقد قابل أول الامر ، مفتش الملكية عبد الوهاب بك الانكليزى وتباحثا معا فى تنظيم الحركة الثورية فى البلاد . ومن ثم توجه عبد الكريم الخليل الى قرية « برج البراجنة » فى ضواحى بيروت وفيها اجتمع مع بعض رجاله السريين وتباحثوا فى الموقف والتدابير الواجب اتخاذها لاحداث الثورة المنتظرة » .

« والذى علمته ان عبد الكريم مسافر الى صيدا للاجتماع مع بعض اركان الحزب المؤيد له ، وفى مقدمتهم نائب صيدا السابق رضا بك الصلح (والد المرحوم رياض بك الصلح) وبعض الزعماء المعروفين . »

« ان هؤلاء يشتغلون ضد الدولة ويريدون احداث ثورة فى هذه البلاد بجانب الدول الاجنبية عدوة أمتنا الاسلامية ، والدولة العلية » .
الامضاء : أحمد سعيد العاملى

وقد نقل بكر سامى بك والى بيروت هذه الاخبار الى المسـؤولين دون الاشارة الى ما جاء فى برقية قائمقام صيدا ضيا بك بشأن تحركات عبد الكريم الخليل بين العناصر المعادية للسلطة العثمانية امثال رضا بك الصلح .

ومما جاء فى برقية القائمقام ضيا بك المذكور الى جمال باشا قوله :

« ان الشيخ اسعد الشقيرى (والد أحمد الشقيرى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الأسبق) يشير باستدعاء كامل بك الاسعد « عم المرحوم أحمد بك الاسعد رئيس المجلس النيابى سـابقا فى لبنان » الذى يملك معلومات عن المؤامرات التى يديرها الخليل وجماعته » .

وبالفعل ، استدعى جمال باشا كامل بك الاسعد فى ١٣ حزيران سنة ١٩١٥ الى القدس ، وفى مقر الباشا فى جبل الطور تقدم كامل بك من جمال باشا قائلا :

« تدور منذ مدة دعايات واسعة لاحداث ثورة فى المنطقة السورية تبدا من جهتين : زحله وصيدا . فجماعة الجمعية اللبنانية يشتغلون فى منطقة زحـله وجماعة الحزب اللامركزى فى صيدا . »

جمال باشا ــ وهل الحزبان اللبنانى والسورى يعملان يدا واحدة فى هذا السبيل مع اختلاف نزعاتهما السياسية ؟

الاسعد ــ نعم انهما يشتغلان معا ، فالجميـع يعتقدون ان من الواجب تحقيق هدفهما الاول ، وهو مقاومة الدولة العثمانية واحلال فرنسا مكانها .

جمال باشا ــ اذن هما لا يعملان فى سبيل استقلال هذه البلاد بعد فصلها عن السلطة العثمانية

الاسعد ــ كلا .

جمال باشا ــ وما هى مساعيهما الجديدة ؟

الاسعد ــ ان عبد الكريم يعرف حق المعرفة حقيقة موقف القوات العثمانية فى هذه البلاد ، وهو يرى ان الموقف الحاضر خير مساعد للحركة الثوروية التى يعمل فى سبيلها .

ان الحلفاء يعتقدون ان ليس فى مقدورهم مهاجمة هذه السواحل مهما بذلوا من جهود لسببين :

١ ــ لخوفهم من القوات الموجودة ، وعدم رغبتهم فى فتح جبهات جديدة .
٢ ــ لعدم ثقتهم بالاهالى .

وعبد الكريم الذى ادخلتموه المعسكر وعرف حقيقة قواتكم أدرك ان الموقف الحاضر ــ خصوصا بعد ارسال نجدات الى المضايق ، موافق لهذه الحركة ، ولهذا قام يطوف على أنصاره فى بيروت وصيدا ويدعوهم للثورة .

جمال باشا ــ وهل لديكم ما يؤيد هذه الامور ؟ . .

هنا افاد كامل بك الاسعد بان فى مقدور الباشا التأكد من هذه الامور من قائمقام صيدا ضيا بك لأنه سبق وعرض عليه هذه القضية .

وبعد الاعراب عن ولاء الاسعد وجماعته للدولة ودعه جمال باشا شاكرا اياه على شعوره الوطنى ووعده بالمساعدة .

وفى المساء نفسه ، عقد اجتماع فى غرفة أحمد جمال باشا حضره عزيز

بك رئيس المخابرات وعلى فؤاد بك رئيس اركان حرب جمال باشا وفؤاد بك سليم رئيس شعبة الشؤون المصرية وفيه تقرير توقيف جميع الاشـــخاص الذين جاء ذكرهم فى افادة كامل بك الاسعد وفى تقرير ضيا بك قائمقام صيدا وتحرى دورهم والمكاتب المشتبه بها واحالة الجميع الى الديوان العرفى فى عاليه .

وفى ١٥ آب سنة ١٩١٥ اصدر هذا الديوان قرارا يتضمن الحكم بالاعدام حضوريا على الاشخاص الآتية أسماؤهم ، وهم القافلة الاولى التى اعدمت فعلا فى ساحة البرج ببيروت فى ٢١ آب (اغسطس) سنة ١٩١٥ والاسماء مذكورة بحسب تسلسل تنفيذ الاحكام واحدا بعد آخر :

عبد الكريم قاسم الخليل « بيروت » ، محمود المحمصـــانى « بيروت » ، محمد المحمصانى « بيروت » ، عبد القادر الخرسا « دمشق » ، نور الدين القاضى « بيروت » ، سليم الاحمد عبد الهادى « جنين بفلسطين » ، محمود نجا العجم « بيروت » ، محمد مسلم عابدين « دمشق » ، نايف قلو « دمشق » ، صـــالح حيدر « بعلبك » ، على الارمنازى « حماه » .

وقد تم دفن جميع هؤلاء الاشخاص فى حفرة واحدة فى تربة الدروز ببيروت، بعد ان نقل كل منهم فى عربة « طنبر » يخفرها شرطيان .

وبعد شهر حاولت عائلة صالح حيدر نقل جثته ، فلم تتبينها ، ثم عرفتها بعد ذلك من ثيابها ولكن آل حيدر تركوها فى مكانها بسبب انحلالها وفسادها .

ملاحظة : « ذكر لى أحد أبناء صـــيدا ان الصيداويين كانوا يتناقلون فى مجالسهم سنة ١٩١٥ ان الذى اخبر السلطات العثمانية عن نشاط عبد الكريم الخليل ورضا بك الصلح ليس كامل الاسعد بل هو محى الدين كالو احد اصحاب الاملاك بالمدينة المذكورة

دور محمد الشنطى اليافى :

لعب هذا الرجل دورا خبيثا فى نقل نشاط أعضاء الجمعية اللامركزية فى القاهرة الى المسؤولين فى اسطمبول . ذلك بأنه كان احد اعضاء هذه الجمعية فسولت له نفسه الاثراء على حساب زملائه اللامركزيين فتقرب من حقى بك العظم حتى اطمأن اليه ووثق به وعهد اليه بوثائق الجمعية السرية ليسلمها الى اصحابها من المنتسبين اليها فى البلاد العربية .

ولكن الشنطى ، بدلا من ان يسلم هذه الوثائق الى اصحابها العرب ، عرج على اسطمبول وقابل وزير الداخلية طلعت باشا واطلعه على ما يحمل من اسماء ودور كل منها فى بلده . فما كان من طلعت باشا الا أن أرسله مع ما يحمل من اوراق خطيرة الى قائد الجيش الهمايونى الرابع أحمد جمال باشا وهذا تلقفه باهتمام وسهل له الاقامة باحسن فنادق دمشق على حساب الدولة .

بيد ان جمال باشا ما لبث ان قلب للشنطى ظهر المجن بعد ان علم بثرائه الفاحش عن طريق امتهان التجسس على ابناء قومه ، وامر بسوقه ، الى ديوان عاليه حيث حكم عليه بالاعدام مع بقية المتهمين فى ساحة البرج ببيروت وذلك يوم ٦ أيار « مايو » سنة ١٩١٦ ودفن مع الذين تسبب فى نكبتهم فى حفرة واحدة بتربة الدروز ببيروت .

دور القنصلية الفرنسية

وبين الرواة اختلاف في كيفية وصول أوراق هذه القنصلية الى السلطات العثمانية .

هناك من يقول : ان رجال الحكومة في بيروت ذهبوا الى دار القنصل الامريكي وطلبوا منه أن يسمح لهم بتفتيش دار القنصلية الفرنسية وكذلك الانكليزية لأنهما كانتا تحت اشرافه بعد سفر القنصلين الفرنسي والانكليزي في ابتداء الحرب . فرفض قنصل أمريكا هذا الطلب لأن القنصليتين المذكورتين كانتا قد ختمتا بالشمع الاحمر .

فقال الموظفون العثمانيون ، انهم لا يريدون دخول الغرف المختومة ، بل هم يكتفون بتفتيش ما لم يختم ، فاستمهلهم القنصل الامريكي ريثما يراجع السفير بالاستانة ، وقد راجعه فعلا فأجاز السفير طلب التفتيش . وفي التفتيش عثر في دار القنصلية الفرنسية على الوثائق الخطيرة فأخذوها بينما لم يعثروا على شيء في دار القنصل الانكليزي لأنه لم يترك شيئا بعكس القنصل الفرنسي .

وهناك رواية أخرى تقول ان الموظفين العثمانيين في بيروت ، دخلوا دار القنصلية الفرنسية وفضوا الاختام من على أبواب غرفها ، فأبلغ القنصل الامريكي الذي احتج ، سفير دولته باسطنبول وهذا رفع الامر للحكومة الامريكية بواشنطن التي احتجت هي بدورها في شهر تموز سنة ١٩١٥ احتجاجا رسميا على خرق القواعد الدولية . الا أن الثابت حول هذا الموضوع هو كما يلي :

دور فيليب زلزل :

هذا الشخص من وجهاء النصارى في قرية بحر صاف بلبنان وقد احتضنه القنصل الفرنسي في بيروت وجعله كبير تراجمة القنصلية .

وعندما أعلنت حالة الحرب بين الدولة العثمانية وفرنسا نفي فيليب المذكور مع موظفي القنصلية المحليين الى مدينة دمشق لابعادهم عن منطقة الساحل .
ولما رأى أن ما كان وعد به مسيو بيكو ، القنصل الفرنسي ، من العودة الى سورية بعد أسبوعين لم ينفذ خشي أن تنقله السلطات العثمانية الى الاناضول أسوة بغيره من أمثاله ، فالتجأ الى قنصل ألمانيا بدمشق عارضا عليه التوسط لدى أحمد جمال باشا باعلان ندمه على خدمة فرنسا ورغبته في التكفير عن سوابقه لصالح الاجانب وذلك بمأثرة يفيد منها رجال السياسة العثمانية ولا يستطيع غيره أن يقوم بها .

فاستحضره أحمد جمال باشا وسأله عن هذه المأثرة مع وعد له باعادته الى بلده بحرصاف والعفو عنه ، ان كان صادقا فيما يقول .

فقال زلزل : انه وحده يعرف مخبأ الاوراق السياسية التي احتفظ بها القنصل في جدار من جدران احدى غرف القنصلية الفرنسية ، ودل على هذا المخبأ بالفعل ، فاذا هو مستودع أعد في الجدار بصورة خفية ، وطلي بابه بشكل يحول دون معرفته واكتشاف ما وراءه .

« على أن المؤرخ المحقق الاستاذ محمد جميل بك بيهم أخبرني بأن المكان الذى اكتشفت فيه الوثائق كان فى أرض احدى الغرف لا فى الجدار كما حدثه عن ذلك فيليب زلزل شخصيا » .

وقد تحقق لدى الكشف من قبل السلطات العسكرية ما أخبر به زلزل .. فظهرت الوثائق التى تدين الكثيرين ومنها مضبطة موقعة من الوجهاء : ميشال توينى ، يوسف الهانى ، بترو طراد ، أيوب ثابت ، رزق الله أرقش ، خليل زينية .

وجاء فى آخر هذه المضبطة :

« .. فأقصى ما يبتغيه مسيحيو سورية هو أن تحتل فرنسا القطر السورى ..

ولهذه الاسباب يعرض الموقعون أسماءهم من أعضاء اللجنة التنفيذية بالنيابة عن مسيحيى بيروت بحسب مراتبهم ، الاقتراحات التالية ، التى يعتقدون أنها الوحيدة الكفيلة باصلاح الحالة السياسية الحاضرة بسورية .

١ ــ احتلال فرنسا لسورية .
٢ ــ استقلال ولاية بيروت استقلالا تاما تحت وصاية فرنسا وحمايتها .
٣ ــ ادماج ولاية بيروت بلبنان الذى يكون تحت سيادة فرنسا الفعلية »

ويلى ذلك التوقيعات المذكورة من قبل ، وكان اكتشاف هذه الوثيقة الخطيرة بمثابة رأس الخيط الذى سحبت به السلطات العثمانية كافة المتصلين بالمراجع الفرنسية ، فاعتقلت من كان تحت طائلتها وحولته الى ديوان عاليه لينتهى الى الاعدام فى ساحة البرج . وأما الذين كانوا بعيدين عن متناول يد هذه السلطات فانهم اكتفوا بتحمل العقوبات الغيابية حتى اذا وضعت الحرب أوزارها عادوا الى بلدهم ليتبوأوا فى ظل الانتداب الفرنسى أعلى المراكز الحكومية وأسماها جزاء ما قدمت أيديهم من خدمات سالفة للحلفاء وأغراضهم السياسية والعسكرية .

والجدير بالذكر أن الوحيد الذى وقع بفخ الاعتقال وحكم بديوان عاليه كان الوجيه يوسف الهانى الذى ورد اسمه بين الموقعين على مضبطة القنصلية الفرنسية بينما كان بقية رفاقه الأخرين قد أفلتوا من قبضة أحمد جمال باشا فى الوقت المناسب قبل أن يفشى فيليب زلزل سره الدفين .. القاتل !!

الفتوى الشرعية :

ذكرنا فيما تقدم كيف توصل أحمد جمال باشا الى معرفة خصوم الدولة العثمانية عن طريق الاخبار السرية التى كانت تتوالى على مخابراته من أشخاص آثروا اخفاء حقيقتهم ومن آخرين وجدوا فى اطلاعه على المؤامرات والمؤتمرين قربى لله فى طاعة السلطان أمير المؤمنين .

والآن نثبت الفتوى الشرعية التى تذرع بها واعتمدها قائد الجيش الرابع الهمايونى فى تنفيذ أحكام الاعدام بالمحكومين ، وهذه الفتوى أصدرها محدث

(البقية على ص ٧٢)

بطل السويس

للأستاذ : المدني الحمراوي ـ الرباط

رياض ! بورك عرق ... بمثل نفسك جادا
دعاك للموت حق ... فكنت شهما جوادا
عزيمة الحر صدق ... تكاد تحيى الجمادا
رياض شرفت جيلا ... شفيت فيه غليلا
وصرت فيه دليلا ... هدى وشق السبيلا

.. .. ..

رياض أحييت شعبا ... بفضل مثلك يحيا
غداة قابلت حربا ... دهت بلادك بغيا
تروم محقا وغصبا ... فخاب (صهيون) سعيا
وقفت ليثا هصورا ... فكنت للنيل سورا
وكنت فى النار نورا ... أضاء منا الصدورا

.. .. ..

فهب جيشك يجرى ... الى العدو غضوبا
ومثل فعلك يغرى ... بنيل نصر قلوبا
شجاعة ولعمرى ... غدت تفل الخطوبا
جعلت روحك مهرا ... به تزوجت نصرا
سكنت فى الخلد قصرا ... وان توسدت قبرا

.. .. ..

ما بين صبح وليل ... كسبت أثمن كنز
بروح صدق ونبل ... أدركت أشرف فوز
فلم تبال بقتل ... فصرت أعظم رمز
تركت للعرب مجدا ... يفوت فى الفخر حدا
وصرت فى الشرق فردا ... يريه بالفعل قصدا

« كان استشهاد القائد عبد المنعم رياض حادثا ألهب شـــعور الأمة وفجر ينابيع الشعر فى شعرائها ونختار مما وردنا هذه القصيدة التى جاءتنا من الرباط بالمغرب كتحية من الشعراء للبطولة فى شخص الشهيد رياض » .

(الوعى)

اذا تلـــبد بأس ... رآك خـــير مثـــال
فلا يصـــدك يأس ... عن اعتســـاف النزال
ففى المعـــارك أنس ... لمن يروم المعـــالى
شـــعب العـــروبة أمسى ... أشـــد عزما وبأســـا
اذن ســـيرجع قدســـا ... ويطمس البغى طمســـا

.. .. ..

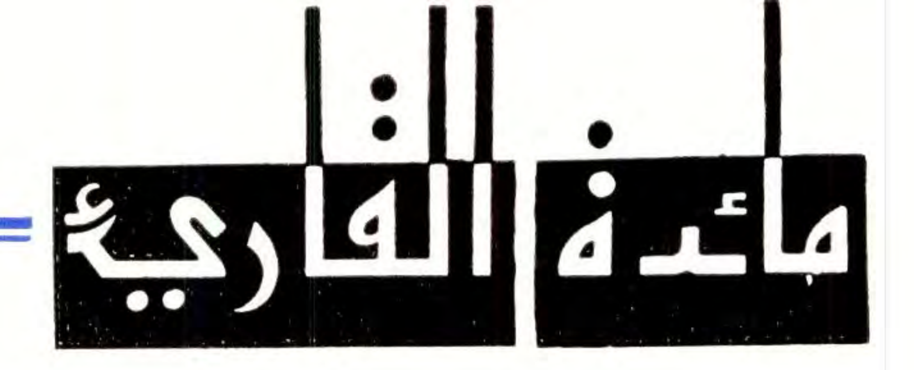
له (فلســـطين) أرض ... حبيبـــة عربيـــه
فداؤهـــا هـــو فرض ... على نفـــوس أبيـــه
فالعـــزم حـــق ومحض ... والحـــرب صارت عتيـــه
تلك الـــكتائب تفـــدى ... حمى أضـــيع بكيد
تشـــن فى كل نجـــد ... على العـــدى حرب جد

.. .. ..

بنى العـــروبة هيـــا ... صفا الى الحرب يســـعى
فكيف فى الدار يحيـــا ... شـــخص يجـــاور أفعى ؟
وكيف تؤمن دنيـــا ... والشر بالبـــاب أقعى ؟
ان اليهـــود وباء ... على الحيـــاة وداء
صـــهيون فيها شـــقاء ... والداء منـــه عيـــاء

.. .. ..

رياض فى الخـــلد أضحى ... شـــهيد حـــق كريم
مضى وخلف قرحـــا ... فى كل قلب رحيـــم
يقول ليـــلا وصـــبحا ... خذوا بثـــأر عظـــيم
رياض شـــعبك ثارا ... على العـــدى وأغارا
وأدرك اليـــوم ثارا ... محـــا عن العـــرب عارا



أعدها أبو نزار

إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما .

— قرآن كريم —

الاسماء الزكية

الأسماء الطيبة الزكية اجتمعت كلها للنبى . فى شخصه ، وفى أبويه ، وفى مرضعه .

فاسمه محمد ، ولم يكن هـذا الاسم من الأسماء الشائعة المعروفة يوم مولده ، والذين تسموا بهذا الاسم كانوا أفراد قلائل .. قيل انهم خمسة ، وقيل سبعة ، وكلهم كانوا فى عصر النبوة وبين يديها ، وقد أدرك معظمهم الاسلام .

واسم أبيه عبد الله ، وقليل جدا فى العرب قبل الاسلام اسم عبد الله ، فما عرف العرب العبودية الخالصة لله ، بل كان ولاؤهم للاصنام التى عبدوها ، فقالوا : عبد العزى ، وعبد اللات .

واسم أمه آمنة ، ولم يكن هـذا الاسم شائعا ولا معروفا فى العرب قبل الاسلام .

واسم مرضعه حليمة السعدية ، وفى هذا الاسم من المحامد والبشارات ما يلفت الأنظار وينبه الأفكار .

فأسماء الابن والأب والأم والمرضع سلمت كلها من ضلالات أسماء الجاهلية وشفاعاتها ، وبرئت من عيوبها ومقابحها ، وتزينت بأحسن ما يمكن أن تتزين أسماء من دلالات ومناقب .. وكان فضل الله عليك عظيما .

دلالات الأسماء

يقـول ابن القيم : وتأمل أسماء الستة المتبـارزين يوم بدر .. كيف اقتضى القدر مطابقة أسمائهم لأحوالهم يومئذ ..!

فكان الكفار شيبة وعتبة والوليد .. ثلاثة أسماء من الضعف ، فالوليد له بدايـة الضعف ، وشيبة له نهـاية الضعف كما قال تعالى (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعـل من بعد ضعف قـوة ثم جعل من بعـد قوة ضعفا وشيبة) وعتبـة من العتب — أى اللوم — فدلت أسماؤهم على عتب يحل بهم وضعف ينالهم .

وكان أقرانهم (عليا) و (عبيدة) و (الحارث) رضى الله عنهم ثلاثة أسماء تناسب أوصافهم وهى العـلو والعبودية والسعى الذى هو الحرث فعلوا عليهم بعبـوديتهم وسعيهم فى حرز الآخرة .

تلك هى دلالات الأسماء التى أدلت بنصيبها فى هذه المعركة ، فكان النصر فى جـانب الأسـماء ذات الدلالة الموصية بالقـوة والعـزم ، وكان الانحدار للأسماء ذات الدلالة الدالة على الضعف والخور .

النبي والقمر ونحن واليهود

غرق أعرابى فى لجج الليل الضاربة فى الصحراء ، وضلت فى ناظريه معالم الطريق .. وفجأة طلع القمر ، فملأ الصحراء بوجهه المشرق .

وتطلع الأعـــرابى الى القمر ، وقد ملأت الفرحة كيانه ، وجمدت الكلمات على لسانه ، فما يدرى ماذا يقول ..!

انه يود لو أن القمر منه قريب .. اذن لضمه الى صدره ، ولكن القمر أبعد من أن ينال .. اذن فلا بد من أن ينفس عن مشاعره بما يقدر عليه من صور الكلام .

فعاد يتـــأمل القمر ، وتنفرج شفتاه عن كلمات أشبه بتفريدة طائرة أو قصيدة شاعر !

ماذا أقول فيك ؟

أأقول زادك الله جمالا ؟ فأى جمال بعـــد هذا الجمال .

أأقول زادك الله علوا ؟ وأين ؟ وهل وراء السماء سماء ؟

ثم سكن الأعرابى فى صمت بليغ !

وموقف هـــذا الأعرابى من القمر لا يكون شيئا الى حال من يقف من رسول الله موقف المطالع لسيرته الدارس لدعوته . صلى الله وسلم عليك يا رسول الله .

احذروا يهودا

فى سنة ٥٨٢م خرج أبو طالب من مكة على رأس قـــافلة للتجـــارة متوجها الى سوريـــا واصطحب معه محمدا ابن أخيه ، ولما أناخت القافلة أسفل جبل حوران . استضافهم بحيرى الراهب راعى الدير الذى يعلو الجبل وجرت بينه وبين أبى طالب هذه المحاورة :

الـــراهب : ما هذا الغلام منك ؟

أبو طالب : انه ابنى .

الـــراهب : ما هو ابنك .

أبو طالب : صدقت انه ابن أخى .

الـــراهب : فما فعل أبوه ؟

أبو طالب : مات وأمه حامل .

الـــراهب : صدقت ، فاصغ لما أقول : ارجع بابن أخيك الى بلده ، واحذر عليـــه يهودا فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغونه شرا ، فانـــه كائن لابن أخيك شـــأن عظيم .

هذه هى رحلة الرسول صلى الله عليه وسلم الأولى الى سوريا ، أما رحلته الثانية اليها فقد كانت فى ٥٩٤م على رأس تجارة لخديجة .

أحمد ويحيى

حفظ الله سبحانه اسم يحيى من أن يسمى به أحد حتى جعله سبحانه اسما لنبيه الكريم يحيى عليه السلام (يا زكريا انا نبشرك بغـــلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) .

كذلك حمى سبحانه اسم أحمد أن يسمى به أحـــد حتى كان النبى الكريم محمد هو الذى يخلع عليه هذا الاسم الكريم مع أن اسم أحمد أعلن على لسان عيسى عليه السلام قبل مولد الرسول بنحو ستة قرون ، ثم ظل فى أفواه الحواريين وفى صحف الانجيل دون أن يخطر ببال أحد أن يسمى به ابنا من أبنائه على عادة الناس فى تســـمية أبنائهم بأسماء النبيين والقديسين : (واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيـــل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) .

رسالة من افريقيا

المسلمون في ساحل العاج

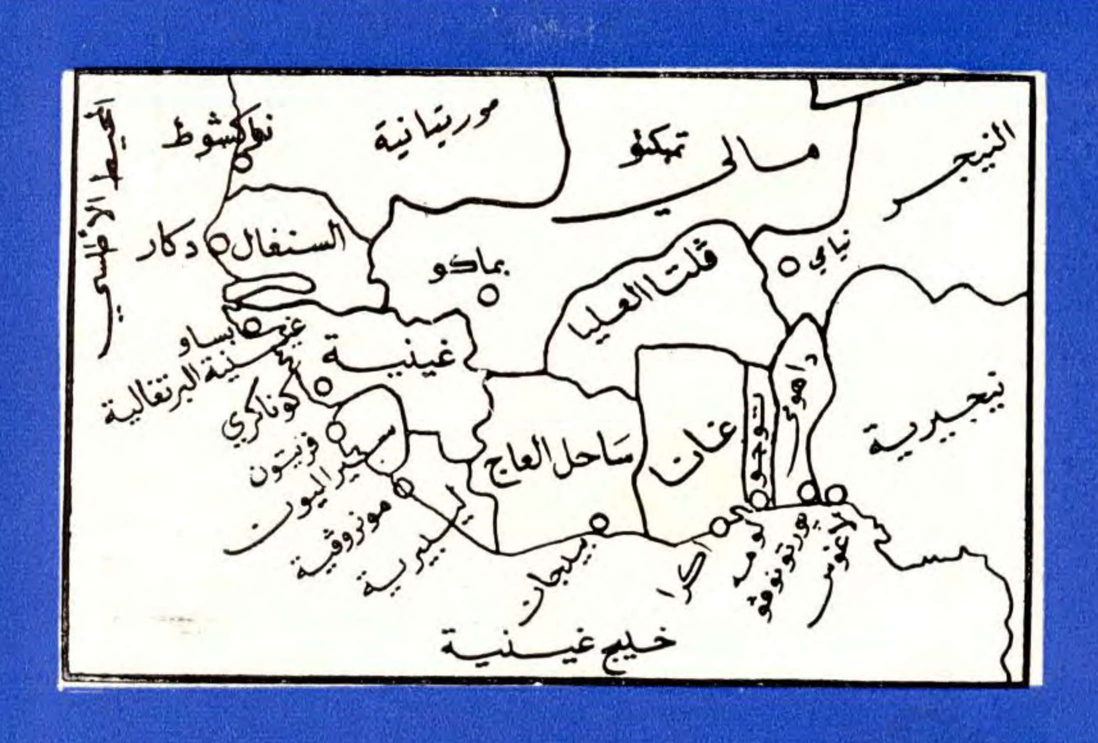
للأستاذ : طلعت غنام

على الشاطىء الغربى لأفريقيا المطل على المحيط الأطلنطى توجد جمهورية ساحل العاج والتى يدعونها فى أفريقيا بالفرنسية (كوت دفوار) أى ساحل أو شاطىء العاج كما نعرفها فى العالم العربى ، ويجدر بنا قبل الدخول فى تفاصيل الموضوع أن نأخذ فكرة سريعة عن موقع هذه البلاد حتى يمكن للقارىء تصور مكانها وبالتالى يسهل عليه تصور حياة الشعب فيها عموما والمسلمين خصوصا .

ونحن هنا على الشاطىء الغربى لأفريقيا المطل على المحيط الأطلنطى نجول مع القارىء للمرة الثالثة فى هذه المنطقة لنتعرف على أحوال المسلمين هنا الذين يقاسون فى هذه البلاد ، ويكافحون مع الزمن والطبيعة ، وليس لهم من الحول والقوة إلا التمسك بايمانهم وعقيدتهم الاسلامية ، بالرغم من الغزاة المستعمرين والتبشير بامكانياته الضخمة ، الذى يملأ بمدارسه وكنائسه كل مكان .

موقعها :

ولنرجع مع القارىء لحظة الى معرفة موقع هذه الدولة . حيث يحدها شمالا جمهوريتا فلتا العليا ومالى ومن الجنوب المحيط الأطلنطى ، ومن الشرق منها تقع جمهورية غانا ، ومن الغرب تقع جمهوريتا غينيا وليبيريا ، ولقد كان لهذا الموقع أكبر الأثر فى تحديد نوعية الحياة والمعيشة فيها ، بل نوعية طقسها نفسه ــ حيث أن موقعها على المحيط وتسببه فى هطول الأمطار الغزيرة فى مواسم معينة ، أعطى أرضها خصوبة وجودة ، وبالتالى هيأ لها فرصة كبيرة لانتاج عدة محاصيل وغلات هامة تصدر للخارج ، وتدر على البلاد دخلا قوميا



من العمـــلات الصعبة لا بأس به .

زراعتهـــا :

ويمكن القول بأن أهم هذه المحاصيل الكـــاكاو والبن ويتـــوفران بكثرة ، وكذلك جوز الهند والفول السودانى والموز والأرز والذرة الشامى ، ومن النباتات الشهيرة هنا (النيام) وهو عبارة عن جذر نباتى مستطيل ويشبه طعمه طعم البطاطس الى حد كبير . وكـــذلك (المنيوك) وشكله مستطيل ويعتبر جذرا أيضا كالنيام ، إلا أنه أصغر حجما ، ويشبه البطاطا تقريبا . ويستعملونه كطعـــام شعبى يدقونه مع التوابل ، ويجعلونه قطعا صغيرة مستديرة ، وهـــذان هما الغذاءان الرئيسيان الشعبيان فى غرب أفريقيا كله . ولا يطيب طعام ليس فيه بشكل رئيسى أحد هذين الغذائين .

صناعتهـــا :

كما نجـــد من الصناعات الهامة الحديثة : صناعة الصابون والسردين والتغليف والحفظ للأناناس الموجود بكثرة والبن للتصدير للخارج . كمـــا تقدمت صناعة المنسوجـــات القطنية التى كانت من قبل تعتمد على طرق بدائية قبل استيراد الآلات الحديثـــة لها ، وتعتبر مدينة (واكس) المقر والمركز الرئيسى لهذه الصناعة ، كما يتم عصر وانتاج الزيوت على مختلف الأنواع وتغليفها وتصديرها للخارج .

ولا يفوتنا التأكيد بما لعامل الطقس وسقوط الأمطـــار من أثر إذ أعطى فرصة لمساحات شاسعة أن تمتلىء بالغابات والأحراش جعلتها مرتعـــا خصبا لآلاف الفيلة التى تدر أيضا دخلا لا بـــأس به ، بعـــد أن يصطـــادها المتخصصون فى هـــذه الحرفـــة ، ويأخذوا جلودها وأنيابها التى تعتبر من أغلى أنواع العاج ، وترتكز عليه كثير من الصناعات المختلفة للتجميل

رسالة من افريقيا

والزينة والتحف النادرة . وقد لا يخلو مكان دون أن ترى فيه أثرا لهذه الأشياء . ولعلنا نستطيع أن ندرك الآن سبب اطلاق العاج على هذا الساحل حيث يوجد بشكل منقطع النظير .

الوضع السياسى لهذه البلاد

تحكم هذه البلاد حكما ديمقراطيا جمهوريا برئاسة الرئيس (فيلكس أفويه بوانيه) منذ أن حصلت على استقلالها فى سنة ١٩٦٠ من فرنسا بعد أن ظلت مستعمرة تابعة لفرنسا مدة طويلة . ويبلغ سكان ساحل العاج حوالى أربعة ملايين نسمة . ويبلغ عدد المسلمين منهم (٨٨٠٫٠٠٠) نسمة أى حوالى مليون الا بضع مئات تقريبا .

ومساحة الدولة تبلغ (٣٢٢٫٠٠٠) ثلثمائة واثنين وعشرين ألفا من الأميال المربعة .

ومن أشهر المدن بها العاصمة (أبيدجان) ويبلغ عدد سكانها حوالى أربعمائة ألف نسمة . ثم مدينة بواكيه و (ما) و دابوا . وكوروجو . وابنجورا .

أما أبرز الشخصيات الاسلامية التى تحظى باحترام الجماهير وتأييدها فكثيرون ومنهم من يشغلون مناصب سياسية هامة أمثال السيد/لانسيه كونى وزير العمل وهو من قبيلة الديناكا . والسيد/محمد كلى بالى وهو من قبيلة ماوكا ويشغل منصب وزير الاقتصاد والصناعة ، وكذلك السيد/محمد جياوارا وزير التخطيط والتصميم ، ويرجع نسبه الى بعض القبائل الغينية — ومنهم أيضا السيد/ سليمان سوسكى وهو من قبيلة ماوكا أيضا ويعمل وزيرا للبريد والمواصلات . وكذا وزير الزراعة السيد/عبد الله سواد وجو .

كما لا يفوتنا التنويه بما يدور فى هذه الآونة من بعض الاضطرابات السياسية فى هذه البلاد بين مؤيدى رئيس الجمهورية ومعارضيه ، ونستطيع أن نقول ان هذا يعد فى الحقيقة انعكاسا لما يجرى الآن فى نيجيريا الاتحادية من اضطرابات وحروب أهلية ، حيث انشقت قبائل الايبو بزعامة (أوجوكو) كبير المتمردين الذى يريد تكوين دولة مسيحية مستقلة عن نيجيريا ومنفصلا عنها ، علما أن نيجيريا حافظت على وحدتها منذ استقلالها حتى الآن . ويوجد فى الطرف الآخر قبائل الهوسا واليوربا المسلمتين بزعامة جوان يعقوب رئيس الحكومة العسكرية لاتحاد نيجيريا . وقد حدثت الاضطرابات عندما اعترفت ساحل العاج بدولة بيافرا المنشقة بزعامة أوجوكو ، حيث يوجد فى ساحل العاج كثير من قبيلة اليوربا يعملون بالتجارة ، وأدى الأمر الى قيام اشتباكات عنيفة بين أبناء اليوربا المسلمين وبعض المتعصبين لأوجوكو ، كما يقال أيضا أن معارضى رئيس الجمهورية انتهزوا فرصة اعتراف الدولة ببيافرا المنشقة ، فأخذوا يشنون الاضطرابات والاشتباكات على أبناء اليوربا للقضاء عليهم ، وطردهم نهائيا بعد نهب أموالهم وافساد ممتلكاتهم ، وبذلك يقضون على أكبر فئة يعتمد عليها رئيس الجمهورية فى انتخابات الرياسة فى كل مرة . ومنذ ذلك الوقت بدأت أفواج من اليوربا يفرون من هذه



أحد المساجد الكبرى فى ساحل العاج فى العاصمة ..

البــلاد الى البلدان المجاورة نجــاة بأموالهم وأنفسهم .

اللغـــة

كالعادة فى البلاد الافريقية نجد فى كل دولة عددا من اللغات المختلفة ، وقد يبلغ الأمر أحيــانا أن تجد لغة خاصة لكل قبيلة ، وهكذا . فقد بلغ عدد اللغات فى ساحل العاج أربعا وستين لغــة ، هذا بجانب اللغــة الفرنسية لغة البلاد الرسمية نظرا لأنها كانت من المستعمرات الفرنسية . ولكن يوجد هناك ثلاث لغــات أكثر شهرة هى : لغة ماندى ولغة كرولى ثم لغة مانكى وهى الأكثر استعمالا فى هذه البلاد .

كيف دخل الاسلام ؟

يقول كثير من الرواة ان الاسلام دخل فى ساحــل العــاج عن طريق المجــاهد الاسلامى الكبير السـيد/ ساموری توری الذی عرف بفضلـه وعلمه فى خدمة الدعوة الاسلامية ــ والسيد ســاموری توری هو جــد الزعيم المسلم الكبير أحمد سيكوتورى رئيس جمهورية غينيا المجاورة لساحل العاج . هذا ويتعبد المسلمون وفق الشريعة الاسلامية على مذهب الامام مالك كما هو الغالب على غرب أفريقيا كلها . ولقد كان لموقع ساحل العــاج بجوار دولتين اسلاميتين كبيرتين هما غينيا ومالى كان له أثر كبير فى تدعيم قوة المسلمين فكريا وثقافيــا الى حد مــا . كما كان لهجــرة أفراد بعض القبائل المسلمة من هــاتين الدولتين الى ساحل العــاج ، والاقامة بها ، وتكوين فروع لها لا تلبث طويلا حتى تنشر دينها وثقافتها فى كل مكان تحل به أثر فى انتشار الاسلام .

وإن من دواعى التفــاؤل بسير الدعوة الاسلامية والاطمئنان عليهــا فى هذه البلاد محــافظة المسلمين الشــديدة فى التمسك بها ، وكــذا المســاجد الضخمة التى تشــيد بين الحين والآخر خاصــة فى مدن كنج ودبكلا حيث تعتبر مســاجد هــاتين

رسالة من افريقيا

المدينتين مفخرة للمسلمين فى هـــذه البلاد .

ومن أشهر القبـــائل المهاجرة الى ساحل العاج من غينيا قبيلة ونجرا ولها قوة وسطوة وعـــادات حسنة تدعو الى الاعجاب . ذلك أنها عندما تسمع أن هناك مدرسة تبشيرية من المدارس الكثيرة المنتشرة هناك تحاول التشكيك أو النيل من الاسلام فانهـــا تدعو الى اجتماع عـــاجل تقرر فيه ما ترى من المحـــافظة على الاسلام كسحب أولادهـــم أو مقاطعـــة هذه المدرسة واخطـــار بقيـــة المســـلمين بذلك .

نزول الاستعمار والبعثات التبشيرية

أول من نزل من البيض الأوروبيين فى هذه الأرض رجل اسمه «هولندى» على أحد شواطىء بلدة آرسينى وكان قد حضر على سفينة ومعه أتبـــاعه المسلحون بأسلحة حديثة تفوق تلك الأسلحة البدائية بدرجة كبيرة حيث لا يوجد فى تلك البلاد آنذاك سوى السهام والعصى الخشبية . ولقـــد سجل التـــاريخ بسطور من نور تلك المقاومة الرائعة التى أبداها الوطنيون الأفريقيون لمنع هولندى وأتبـــاعه من النزول فى هذه البـــلاد ، واشتبكوا معه فى قتال عنيف ومرير كان النصر فيه للأسلحة الحديثة التى لا يعرفها الوطنيون ، ودخل هولندى البلدة على جثث وأشلاء القتلى التى امتلأت بها الطرقات والميادين حتى كاد أن يفنى جميع الوطنيين الذين يقاومونه فى كل مكان يلقونه ، بالرغم من أنهم عزل من السلاح . وبعد هذه المرحلة من النزول بدأ فى المرحلة الثانية ، وهى اكتساب الصفة القانونية والشرعية لاحتلال هذه الأراضى ، واستغل فى ذلك بعض الفقراء والجهلاء مهددا مرة ومعذبـــا مرة أخرى ، ثم يلوح لهـــم أحيـــانا بالوعـــود والأمـــانى ، حتى أجبرهم على التوقيع على عقود لبيع أراضيهـــم له ، والى رفـــاقه حتى استولى على جميع الأراضى ، وأصبح المواطنون الأصليون خدما وعبيدا له يستغلهم فى العمـــل والأرض كمـــا يشاء .

نزول الفرنسيين :

ولكن هـــذا الأمر لم يدم طويلا ، فبعد انقضاء عدة سنوات وصل الى بعض الشـــواطىء جمـــاعة مـــن الفرنسيين ، كان يتزعمهم رجل اسمه بنجيير ومعه تريش ولبلين ، وأخذوا يتجولون فى هـــذه البلاد بحثـــا عن الحيـــاة ، حتى عثروا على هولندى وأتباعه فى بلدة آرسينى . ويبدو أن الفرنسيين كانوا أكثر عددا وعدة ، ذلك أن هولندى وأتباعه غادروا البلاد فـــورا ، بمجـــرد أن طلب منهـــم الفرنسيون ذلك ، وهكذا دانت هذه الأراضـــى للفـــرنسيين وحـــدهم ، واحتلوهـــا وانتشروا فيها ، وأخذوا يقومون ببعض الخطوات العمرانية ، فأسسوا أول مدينة لهم وسموهـــا « بنجيير فيل » على اسم زعيمهم ثم مدينة تريشفيل ، ثم « جراند باسم » فدابوا ، فمدينة آرسينى أول مدينـــة نزل بها الرجل الأبيض .

ثم قاموا بانشاء كثير من المبـــانى الحديثة ، وأشرفوا على تعمير البلاد بهمة ونشاط ، وكان الظـــاهر أنهم يريدون جعلها مركزا تجاريا لهم يكون سوقا رائجة لاستهلاك المنتجـــات الفرنسية وامتصـــاص صـــادراتها ، وموردا هـــاما للخامات الأولية الى فرنسا .



صورة لأحد المساجد فى ساحل العاج الذى أقامته احدى القبائل النازحة من السنغال .. واستوطنت فى ساحل العاج .

ومن المسجل أيضا أن نزول البعثات التبشيرية كان مقارنا للجماعات الاستعمارية أو مستجلبا بعده بفترة وجيزة ، حتى يتمكن هؤلاء المستعمرون من تخدير المواطنين وتهدئتهم تحت ستار أنهم انما جاءوا لهم بدين جديد ، ويريدون لهم العلم والمعرفة ، وكان القصد من هذا تكوين قواعد شعبية وثابتة لهم ترتبط مع المستعمرين برباط وثيق الا وهو الدين .

وابتدعوا لهم من الطقوس والتراتيل ما يتناسب مع عاداتهم وطباعهم ، حتى أنهم ابتدعوا لهم ألوانا جديدة من الرقصات ، التى تجذبهم الى الكنيسة ، وجعلوها ضمن الطقوس الدينية . ذلك أن طبيعة الطقس الحار تجعل من هذه المجتمعات ميالة بطبعها الى المرح والحركة حتى فى أحلك الأوقات تحت ارادة التخلص من الجمود الذى تمليه الحرارة ، ومن السأم والفراغ اللذين يعيش فيهما المرء هناك .

ولقد استغل المستعمرون تلك الظواهر النفسية استغلالا سيئا ، وبنوا جميع تصرفاتهم وفق هذه الظواهر . حتى غيروا آباء الكنيسة البيض برهبان وآباء أفريقيين ، ذلك أنهم لاحظوا الاشمئزاز والخوف والعقد النفسية من الرجل الأبيض الذى يسومهم سوء العذاب ، فلجأوا الى تدريب عدد من الوطنيين أنفسهم فترة كافية فى الخارج والداخل واعطائهم جميع الأفكار والآراء التى يريدون أن يلقنها للناس هناك ، وحتى يكون التبشير ذاتيا بين المواطنين الأصليين أنفسهم ، وذلك هو المعروف بالاستعمار الفكرى .

هذا ولقد توسعت البعثات التبشيرية توسعا ملحوظا فى هذه

رسالة من افريقيا

البلاد من الطوائف المختلفة كالبعثات الكاثوليكية والبروتستانت والأرثوذكس والجمعيات المتنوعة مثل جمعية الكتاب المقدس ، وشهداء الرب ، وقلب يسوع ، وما الى ذلك من الجمعيات الأخرى . وان القاء نظرة على عدد المدارس التى تشرف عليها هذه الجمعيات والبعثات ليعطينا فكرة واضحة الى أى حد تتوغل هذه البعثات — فلقد بلغ عدد المدارس المسجلة رسميا ألفا وثلثمائة مدرسة ، هذا عدا المدارس الصغيرة الأخرى غير المسجلة .

التسلل الاسرائيلى ؟!!

ومن المؤسف حقا أن كثيرا من الدول الأفريقية — وليس ساحل العاج وحدها — قد استطاعت اسرائيل أن تخدعها وتتسلل اليها بعلاقات ديبلوماسية واقتصادية وفنية ، وهذا ما يجب علينا أن نزيد من التنبه اليه . ذلك أنها توهم تلك الدول بأنها ستقدم اليها المساعدات والخبرات الفنية صناعيا واقتصاديا وزراعيا ، وهى فى الواقع تستغل تلك البلاد وتبتز أموالها بمساعدة الاستعمار وحمايته . فلها من الطرق الملتوية والخبيثة ما يهيىء لها ذلك ، وان نظرة عابرة على مشروع اليانصيب مثلا الذى تحمله فى كل بلد دخلت فيه يعطينا الوضوح التام لتلك الألاعيب ، فبالدعاية والاعلان وكل الوسائل المبتكرة تغرى الجماهير لشراء مزيد من هذا المشروع .

وبالطبع تحصل هى على نصيب الأسد من هذه الأموال ، التى هى فى الحقيقة أموال الشعب والدولة ، وأحيانا تصل نسبة ما تحصل عليه حوالى ٧٠٪ تحت اسم مرتبات موظفيها ودعاياتها ومصاريف وهمية . ثم تترك ما تبقى من فضلات للدولة التى تعمل بها ، زاعمة أن هذه مساعدات مادية منها ، وتحيطها بكل ألوان الدعاية وما هى فى الحقيقة إلا سارقة لأموال الدولة وتصدرها عملة صعبة الى تل أبيب ، لتشترى بها ما تشاء من أسلحة الموت والدمار للعرب الأبرياء . هذا ما تفعله فى كثير من الدول الافريقية — أما بالنسبة لساحل العاج فلقد استجلبت كثيرا من المتطوعين الذين هم فى الواقع عبارة عن جواسيس وعملاء من الجيش الاسرائيلى ، كما قامت بتكليف من الحكومة ببناء بعض المساكن الشعبية والفيلات الصغيرة للموظفين وهى طبعا تستغل فى هذا العمل كل ما تستطيع أسوأ استغلال ، كما أقامت فندقا يديره موظفون منها — ولهم مشاريع سرية وخاصة لا يطلع عليها أقرب المقربين .

الثقافة العربية

تعتبر الثقافة العربية محدودة جدا أو شبه معدومة حيث لا يوجد إلا بعض المدارس الصغيرة التى تدار بالطرق البدائية القديمة وعددها لا يتجاوز أصابع اليد . والدولة لا تعترف بها وينفق عليها بعض الخيرين من المسلمين وكذلك آباء التلاميذ مما يدفعونه كل شهر — ولقد استطاع بعض تلاميذ هذه المدارس أن يسافر للقاهرة ويلتحق بالأزهر الشريف بجانب إخوانه المسلمين هناك .

والجدير بالذكر أن هناك الآن عطفا وتفهما كاملا للموقف العربى بعد

العدوان الاسرائيلى الغادر وتبلغ الحماسة بكثير منهم فيبدى الرغبة للسفر للجهاد فى سبيل الله ضد أعداء الانسانية والدين . وهم يتطلعون بأمل وشوق الى الاتصال بالعالم العربى وثقافته الاسلامية والعربية ، اذ أن اللغة العربية وثقافتها هى فى الواقع المفتاح الحقيقى لفهم الدين الاسلامى فهما صحيحا ، بدون تحريف فى الترجمات أو التفاسير للمعانى الدقيقة . وحتى يكونوا على فهم مستمر ووعى كامل لكل مجريات الحوادث التى تدور فى هذه المنطقة الشقيقة فى العالم .

كما أن للمسلمين هنا آمالا كبارا فى أن يقوم اخوانهم العرب بجانب المساعدات الثقافية فيمدوهم بالمساعدات الفنية والمادية ، ذلك أنهم ينظرون باعجاب وتقدير للمساعدات التى قدمتها حكومات الجمهورية العربية المتحدة والكويت والسعودية والتى تم بها بناء أكبر ثلاث معاهد للثقافة الاسلامية العربية يديرها خمسة علماء متخصصين من الجمهورية العربية المتحدة من الأزهر الشريف على نفقة وزارة الأوقاف بالقاهرة — ويتمنون ذلك اليوم الذى يشرق عليهم بمثل هذه الأمنية فتتحقق وتعم المعرفة الاسلامية الصحيحة فى كل مكان .

نظرة عابرة

لا يفوتنا قبل إنهاء هذا الكلام أن ننوه هنا بما يثير انتباه كل زائر لساحل العاج ذلك هو وجود حواة مهرة لهم فى سرعة الحركة وخفة اليد ما يجعلك تصدق كل ما تراه كأنه حقيقة واقعة ليس فيها ومض من الخيال . فهناك من يلقى صبيا فى الهواء ثم يستقبله بيديه الممسكة بخناجر حادة مشرعة الى بطنه . ولا يساورك شك فى أن تلك الخناجر



صورة للنول القديم . المهنة التى كان يمارسها أفراد الشعب فى كل مكان . والتى قاربت الاختفاء بعد وصول الآلات الحديثة للمنسوجات .

سوف تشق بطن الصبى وما أن يقترب الصبى من يديه حتى يغير اتجاه الخناجر فجأة الى تحت بحركة سريعة قد لا يلاحظها أحد ثم يستقبل الصبى على ظهر يديه بهدوء طبيعى كأنه لم يكن هناك شىء ما .

وقد يدهشك أيضا وأنت تسير فى الطريق عندما ترى رجلا طويلا غريبا ، قد يزيد على عشرة أمتار والناس حوله كأنهم أقزام . واذا بك بعد سؤال وبحث وتمحيص تكشف أنه رجل عادى غير أن له أرجلا خشبية صناعية طويلة مستورة بما عليها من سراويل ، ويريد عرض ألعابه الساحرة على عامة الناس ويستطيع أن يمشى مسافات طويلة بهذا الحال .

هذه صورة عامة عن ساحل العاج وحال المسلمين فيها بصفة خاصة نرجو أن تكون قد وضحت فى ذهن السادة القراء عن أولئك الأخوة الذين يحتاجون الى كل عون وتشجيع لنصرة الدعوة الاسلامية التى يتآمر عليها الأعداء من كل جانب .

الشام الاكبر الشيخ بدر الدين الحسنى ، والد الشيخ تاج الدين الحسنى رئيس الجمهورية السابق فى عهد الانتداب الفرنسى ، وهذا هو النص :

« لقد جعل الله عز وجل لمن يعمل على ايجاد الشقاق والفوضى فى صفوف المؤمنين ، والسعى بالفساد فى الارض ، ثلاث عقوبات :

— القتل أو الصلب .
— وتقطيع الايدى والارجل من خلاف .
— والنفى من الارض .

فقال جل ثناؤه فى كتابه العزيز : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ، أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض » .

مبررات أحمد جمال باشا :

ويقول أحمد جمال باشا فى مذكراته مبررا ما أقدم عليه من تنفيذ أحكام الاعدام بالذين حاكمهم الديوان العرفى بعاليه والمحكمة العسكرية بدمشق .

« لقد جعل الله لمن يعمل لايجاد الشقاق والفوضى فى صفوف المؤمنين والسعى بالفساد فى الارض ثلاث عقوبات :

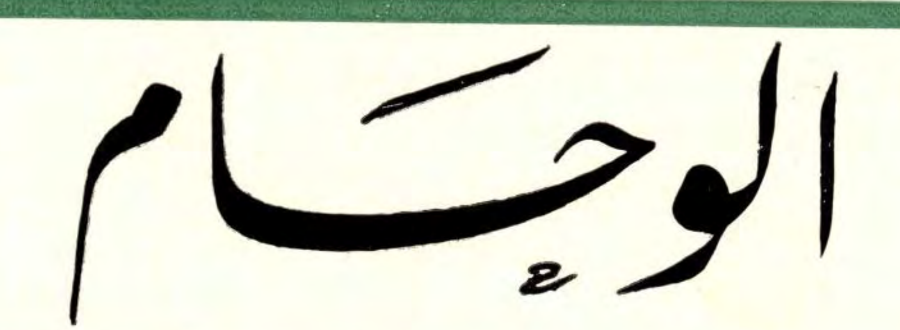
القتل أو الصلب تقطيع الايدى والارجل من خلاف والنفى من الارض » ثم ذكر الآية الشريفة السابقة المبينة بفتوى الشيخ بدر الدين الحسنى .

وأردف قائلا « تكون العقوبة مناسبة لحال الجريمة ، وما يترتب عليها من الضرر بالمسلمين ومن فى حكمهم .

« والفســاد والاضطراب اللذان يلحقــان بالامة والدولة — ونحن الآن نخوض مع العالم الاسلامى غمار حرب تطحن الناس طحنا — وما القوم الذين يكيدون للاسلام والمسلمين ، ويدسون الدسائس لتمزيق الجماعة وتفريق الكلمة وشق عصا الاتحاد ، واخضاع الامة وكسر الشــوكة ويعصون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بايجاد الفتنة بين المسلمين حتى يقتل بعضهم بعضا ، الا وباء خطرا يجب درؤه .

« .. وان تنفيذ الاعدام فى نظرى كان الوسيلة الوحيدة للضرب على أيدى هؤلاء الخونة . فان أراد قائد مثلى ليس له من الموارد الا القليل ، أن يحافظ على سلطة الحكومة وسطوتها ونفوذها ، فى بلاد سممتها الدعوة الانكليزية والفرنسية عدة ســنين ، كان من أهم الامور ، أن يكون بحيث يؤمن الاهالى الملكيون بمقدرته على الاخذ بناصية أى شخص كائنا من كان ومعاقبته أشــد المعاقبة .

« .. ويقيننا بأن الفضل فى عدم حدوث ثورة ما فى سورية خلال العامين والنصف عام اللذين أعقبا اعلان الشريف حسين لاستقلال بلاده ، انما يرجع الى أحكام الاعدام التى وقعت فى شهر أذار سنة ١٩١٦ » ..



الوحام بين الحقيقة والخيال

للدكتور
أحمد شوكت الشطي
جامعة دمشق

الوحام(١) فى اللغة شهوة الحبلى خاصة ، وهو أمر معروف بين الناس ومألوف عند الحبالى ، تعزى إليه بعض الظواهر فى الطفل . فما هى حقيقته العلمية ؟

لقد وافق البحث عن قضية الوحام الإنسان منذ عرف الانسان ، ويعزو بعض المؤلفين قصة يعقوب مع خاله لابان ، وظفره بأكبر عدد ممكن من الحملان ، الى أمر الوحام والقصة مشهورة ، اشترط فيها يعقوب عليه السلام على خاله أن يأخذ من صغار أنعامه نظير ما يكابده من التعب ، كل مخطط أو أرقط وأبلق يولد منها ، فأخذ قضبانا خضرا وقشر فيها خطوطا بيضا ، كاشطا عن البياض الذى على القضبان وأوقف القضبان التى قشرها .. فى مساقى الماء حيث كانت الغنم

---

(١) مفردات الوحام بفتح الواو وكسرها (من الصحاح) هو شهوة الحبلى وقد وحمت توحم وحما وهى امرأة وحمى ونسوة وحامى وفى المثل وحمى ولا حبل وقد وحمها توحيما أطعمها ما تشتهيه : و (الوحم) شدة شهوة الحبلى لشىء تأكله ويقال نسوة وحام ووحامى .

وفى ((اللسان)) اسم الشىء المشتهى ، وشهوة الحبلى لا تريد غيره ولا ترضى منه ببدل واصل الوحم للحبلى ، ووحم لها ذبح لها ما تشهت ، وقيل الوحم الشهوة فى كل شىء .

ترد لتشرب ، فتوحمت الغنم عند رؤية القضبان وولدت حملانا مخططات ورقطا وبلقا . والواقع أن هذه الحادثة التى رأى بعضهم أنها ذات صلة بقضية الوحام لا علاقة لها به ، ومفسرو التوراة مختلفون ، ويعتقد جمهورهم أنها أعجوبة الهية !! ونحن بالطبع نستبعد أن يلجأ نبى لهذه الحيلة .. ولكن الحادثة تثير مسألة الوحام من قديم .

يصادف الوحام عند النسوة الحوامل ويبدو بشهوة غريبة لبعض الأطعمة ، ولكن العامة ورجال العلم توسعوا فى مدلول هذه الكلمة ، وأخذوا يقصدون بها سلسلة من الاضطرابات الهضمية والنفسية وغيرها التى تظهر عند الحامل ، وقد عمموها أيضا الى أكثر من ذلك ، فحشروا فى نطاقها بعض التظاهرات الجلدية ، والعيوب الولادية التى ترى فى الجنين .

تظهر دائما فى مبدأ الحمل اضطرابات هضمية تبدأ بالقىء ، خاصة فى الصباح ، عندما تهم الحامل بترك فراشها ، أو تستعد لتناول غذائها ، ومن صفات هذا القىء أنه لا يزعج الحامل كثيرا ، وأنها تستطيع تناول أغذيتها بعده مباشرة . وقد يأخذ هذا القىء عند بعض النساء شكلا منظما ، وأوصافا متشابهة فى كل حمل ، حتى أن المرأة تقتنع بحملها بمجرد ظهوره عندها ، وكثيرا ما يرافق الوحام ظواهر عصبية ونفسية تختلف باختلاف النساء ، فبعضهن يتعرضن لميل شديد الى النعاس ، أو قرف من بعض الأطعمة ، وميل الى بعضها ، ويبدى بعضهن اشمئزازا من بعض الروائح الحيوانية أو النباتية أو المصطنعة ، وهكذا لا يندر أن تنفر المرأة من رائحة اللحم أو من رائحة زوجها أو ولدها ، وقد تكره بعض روائح الزهور أو المياه المعطرة كبعض أنواع ماء الكولونيا وما شاكل ذلك وقد يتطلبن أمورا غريبة ، ويعتقدن بأن عدم الحصول عليها يؤذى بحملهن .. ويضر جنينهن فيسقط أو تظهر فيه بعض الآثار .

ويروى فى صدد ذلك قصص غريبة ، وسير عجيبة ، ومن النوادر التى ذكرت فى هذا الشأن ما رواه أوستاكيوس(١) الاستاذ فى « يانا » عن امرأة ولدت ابنا شبيها بالشيطان ، أو كأنه مارد من الجان ، وذلك لأن زوجها تزيا فى أحد الأيام بلباس إبليس ، واقترب من زوجته هامسا فى أذنها أنه يريد ولدا على هيئة الشيطان ، فذعرت منه ، ووضعت بعد حين ولدا كأنه إبليس اللعين .

وهكذا ما حكاه فان سويتن(٢) عن ابنة استشارته فى مرض أصابها ، فرأى على عنقها دودة ، فأراد أن ينفضها عنها ، فوجدها لاصقة بعنقها خلقة ، ولما سألها عن ذلك أجابته أن والدتها ، أثناء حملها بها ، خافت دودة سقطت على رقبتها وهى نائمة فأرعبتها ، فكانت من ذلك الدودة اللاصقة فى عنق الفتاة .

ومثله ما قاله كارليب عن امرأة سمعت ضجيجا تحت نافذتها فأطلت منها فرأت رجلا قطعت يده اليمنى بضربة سيف ، فهالها ذلك كثيرا ، وولدت ابنا ابتر اليمنى .

---

(١) مشرح شهير باسم المجرى الممتد بين الاذن والبلعوم .

(٢) عالم شهير بالأدوية .

ومن هذه القصص ما ذكره بعض المؤلفين أن امرأة أسوجية كانت تضع وردة حمراء فى صدرها وهى حامل ، فلما قدم الشتاء وخلا الورد تكدرت فوضعت ابنا ، له فى صدره شىء شبيه بوردة طبيعية ، تزداد رونقا وجمالا فى الربيع .

ومنها ما روى عن زوجة كميريوس العالم النباتى المشهور فقد وحمت امرأته على تكسير البيض فوق رأسه .. ونفذت رغبتها فى ذلك العالم السليم النية .

التحليل العلمى

وإذا أردنا تحليل قضية الوحام تحليلا علميا استطعنا أن ندرك بعض أسبابه ودواعيه ، ذلك أن عوارض الوحام على رأى بعضهم نوع من الانسمام بعناصر آحينية ونووية هيولية غريبة عن الجسم ، مصدرها صبغيات خلية الرجل المولدة . والواقع أن امتزاج صبغيات(١) خلية الرجل بصبغيات المرأة واتحاد الخليتين المولدتين اتحادا حيويا صميما يصدم الأنثى صدمة هائلة ، حتى أنه لا يترك عضوا من أعضائها إلا ويجعله معرضا لظهور آثار فيها فلا غرابة بعدئذ أن تشكو الأنثى من اضطرابات فى نفسها وفى جسمها ، تختلف شدتها وتتنوع طرق السيطرة عليها ، على أن للتلقين والإيحاء أثرا كبيرا فيها كما يبدو من حديث حامل استشارتنا بينما كنا نهم بتحضير هذا الموضوع فاستنتجنا من طرز استشارتها وتأثير القول فيها ما جعلنا نؤمن أن للقناعة صلة كبيرة بالوحام فى بعض الأحيان.

رجتنا الأنثى المتشككة فى حملها أن ننبئها عما إذا كانت حاملا أم لا ، وأردفت سؤالها الذى وجه الينا والى طبيب آخر ، راجية أن نقص عليها الخبر كما هو ، وأن لا نتركها مترددة ، فهى تريد منا أن نثبت لها الحمل أو ننفيه حتى اذا أثبتناه وحمت واذا نفيناه امتنعت ، ولما كان وحام السيدة المذكورة معروفا بشدته اشتركنا مع الزميل فى نفيه ، فكانت النتيجة سكون الأعراض التى أخذت السيدة المذكورة تشكو منها باعتبارها حبلى .

يدلنا هذا المثال البسيط الذى نقدمه على أن للحالة النفسية عند المرأة أثرا كبيرا فى أمر الوحام ، وأن التأثير على النسوة الوحامى بالاقناع وتهدئة البال أمر ذو جدوى .

هذا وكأنى ببعض الحبالى لا يخفى عليهن احترام الرجال لهن ، وخوفهم عليهن وعلى ما يحملن ، واستعدادهم لمسايرتهن فيما هو معقول ، فيستثمرون الرجل خاصة اذا كان سليم الطوية ، صافى النية استثمارا لا مثيل له ، وهكذا لا يندر أن يرى المراقب نسوة حبالى ، لا يهدأ وحامهن إلا بخاتم من الماس ، أو غير ذلك من الحلى والمجوهرات ، والأحجار الكريمة ، وكذا الثياب الأنيقة وغير ذلك من رغبات نفس الحبلى الكامنة ، التى لم تستطع الحصول عليها فى أيامها العادية ، فتجد الواسطة المناسبة للحصول عليها فى أيام حملها .. وهكذا شاهدنا نساء شفى وحامهن فى الانتقال من مصيف الى مصيف ، أو بهدايا ثمينة من الثياب الفاخرة ، والحلى النادرة وأغلى الروائح العاطرة !!

---

(١) هى عناصر صبوغة فى خلية الانسان محمولة بعوامل تسمى الجنيات يعزى اليها انتقال الصفات من السلف الى الخلف كما ينسب اليها تفاعلات حيوية عظيمة الشأن .

هذا ولنعد الآن الى أشد ما يخشاه الناس وهو أثر الوحام فى الجنين ، يزعم الناس أن استحسان الحبلى لشىء أو استقباحها له يؤذى الجنين ، إذ يظهر أثره فيه ، وهكذا إذا رأوا بقعة سوداء ذات شعر فى ناحية من نواحى الجلد قالوا بأنها توحمت على كلب ، واذا رأوا طفلا يحاكى بشكله القرود قالوا : انها توحمت على قرد مستقبحة ذلك الحيوان ، وكثيرا ما تعزى بعض الثآليل الصغيرة التى قد تشاهد على جلد الطفل الى استحسان نجوم الثريا فى كبد السماء ، ويرون فى تعادل عدد الثآليل أحيانا بنجوم الثريا دليلا قاطعا على أثر الوحام فى ذلك ، على أنه لا يندر أن تبدو فى الطفل بقع وناميات بيض أو حمر أو بنفسجية تشابه من بعيد بعض أنواع الفواكه والخضر كالكرز والتوت والكمثرى والتفاح والمشمش والتين واللوبيا والخوخ وغير ذلك من الفواكه ، أو من أنواع الحشرات كالدود والعنكبوت والذباب ، أو ما يشبه بمنقار الطير ، أو وبر الهر ، وذنب الثور ، وغير ذلك فينسبونه الى الوحام ، والواقع ان هذه الأحوال كلها أحوال مرضية أسبابها عيوب فى الجنين أو أمور عارضة طرأت على سير الحمل .

والحقيقة أن هذه القضايا كلها وأعنى بها قضايا تشوه بعض أجزاء الطفل بسبب الوحام أو تبدل شكل الطفل أو ظهور العيوب الولادية فيه ليست صحيحة ، وهى من وحى الأوهام والخرافات ، ولا تمت الى العلم بأية صلة ، ولو كان حديث الوحام فى التشويه صحيحا لكان الجنس البشرى على غير هيئته الحالية ، لأنه فى خلال أشهر الحمل لا بد من أن تنفر الحامل من بعض الاشياء وتستلطف بعض الاشياء فلو كان ذلك مما يظهر أثرا فى الجنين لما وجد خال من التشويه الوحمى .

هذا وصفوة القول : ان الحمل يؤدى الى اندخال بيضة الأنثى بمواد هيولية غريبة عنها والى تغيرات فى مفرزات الغدد الصم ، تؤثر فى جسمها ونفسها فتشوشهما تشويشا يطلق على بعضه اسم الوحام . ظن الناس منذ قديم الزمان أن للوحام صلة وثيقة بما يظهر من التشوهات عند الطفل مع أن العلم ينفى ذلك نفيا باتا . وأما قضية الوحم بذاتها أى شهوة الحبلى لطعام أو شراب لا تريد غيره ولا ترضى منه ببدل ، وقرفها من بعض الأطعمة أو الأشربة ، ونفرتها من بعض الأشخاص فأمر مسلم به ، سببه اضطراب نفسانى مختلف الشدة ، على أنه كثيرا ما يبالغ فيه ، وكثيرا ما تؤثر فيه المداواة النفسية تأثيرا حسنا كما سبق فى الواقعة التى ذكرتها .



ما يقال عن الإسلام

للأستاذ : عباس محمود العقاد

عرض وتلخيص الاستاذ : حمدي متولي مصطفى صالح

« مشاركة من (الوعى الاسلامى) فى احياء ذكرى المفكر الكبير عباس محمود العقاد عليه رحمة الله ننشر عرضا لاهم ما جاء فى هذا الكتاب القيم الذى جمع فيه دفاعه عن الاسلام . جزاه الله الخير كل الخير عن الاسلام والمسلمين » .

صدر الكتاب عن دار الهلال فى ديسمبر ١٩٦٦ فى ٢٢٥ صفحة من القطع الصغير . وفى الكتاب حوالى ثلاثون مقالا .. قدم لها العقاد بقوله :

« كثرت بعد الحرب العالمية الثانية كتابات الغربيين فى موضوع الأمم والعقائد التى كان لها شأن فى مضطرب الأفكار والنزعات بين المعسكرين المتقاتلين .. واستتبع ذلك كثرة الكتابة عن الاسلام .. »

ويعرض العقاد أشتاتا من الكتب الغربية الحديثة الصادرة عن الاسلام والأمم الاسلامية .. ويؤكد ما فى بعضها من صدق ويرد على ما فى بعضها الآخر من ادعاءات .

ويقول العقاد : « ان النتيجة التى نستخرج منها ميزانا لما ينشره الغربيون عن الاسلام والمسلمين فى عصرنا هى تمييز المخلصين وغير المخلصين — وحصر البواعث التى تدفع غير المخلصين الى الجهل بالحقيقة واخفائها اذا عرفوها » .

فالمخلصون منهم : طلاب العلم . وطلاب العقيدة ..

وغير المخلصين منهم :

١ — المتعصبون للوطنية المغربية .

٢ — والمتعصبون للدعوة المادية .

٣ — والمتعصبون للدين عن ايمان أو عن غش واحتراف .

٤ — وطلاب الضرائب ودعاة الصهيونية والاستعمار .

ومن أهم القضايا الاسلامية والعربية التى عرضتها هذه الكتب وغيرها وتناولها العقاد بالدراسة والتمحيص :

١ — علاقة الاسلام بالمسيحية واليهودية :

وهناك فيما يتعلق بهذه العلاقة خطآن شائعان :

الخطأ الاول : كما فى كتاب : (الشرق الاوسط فى العصر الاسلامى) هو القول بأن اليهودية وفرعيها المنبثقين عنها .. المسيحية والاسلام .. مشتركات فى كثير من الامور .

والحقيقة أن مراجعة التوراة أيسر مراجعة ترينا أن اليهود تلقوا أهم العقائد الكونية والتعاليم الشرعية من تقدم أنبيائهم فى الزمن بل من الشعوب التى عاشوا بينها وكان فيها أناس من أتباع الرسل الأقدمين .

فسفر التكوين لا ينسب الى أحد من أنبياء بنى اسرائيل .. وعقائده سابقة للنبوءات الاسرائيلية — والأسفار التالية تثبت أن الكليم كان يتعلم التبليغ من نبى عربى تسميه التوراة (يثرون) .

ويذكر كتاب (تأثير الاسلام فى العبادة اليهودية) ومؤلفه يهودى كتبه بالعبرية أن أنبياء اليهود تلقوا علم الدين وشعائر العبادة من ملكى صادق .. وبلعام .. وأيوب .. وفى تاريخ العرب من أخبار الانبياء ما ليس فى تاريخ اليهود ومنهم هود وذو الكفل عليهما السلام . وكلمة النبى نفسها لم تكن معروفة عند اليهود قبل دخولهم أرض كنعان وانما كانوا يسمون النبى بالرائى ورجل الرب على رواية العهد القديم .

ويورد الكتاب ذاته دراسة صادقة عن تأثر اللغة والأدب والحكمة اليهودية بنظائرها فى الاسلام يمكن ايجازها فى الآتى :

أ) اللغة العبرية لم تكن لها قواعد أو بلاغة قبل القرن العاشر الميلادى الذى تعلم فيه الربانى سعديا جاءون ثقافة العرب بمصر ووضع أول كتاب للقواعد العبرية وقواعد الفصاحة فيها ، تلاه الربانى آودنيم بن تميم البابلى ، فألف كتابه بالعبرية مقرونة بالعربية مفسرة بشواهدها وأمثالها ، ولم يكن فى العبرية فن للعروض فتعلم اليهود هذا الفن من العرب بالأندلس ومصر ، ونظموا فى لغتهم وفى لغتنا على الأوزان العربية .

ب) الفيلسوف اليهودى (موسى بن ميمون) تلميذ الفلاسفة المسلمين فى المغرب أول من كتب عن اليهود فى كلمة التوحيد واستثنى موسى بن ميمون المسلمين من الامم التى تنهى التوراة عن التعود بعاداتهم لأنهم مؤمنون موحدون .

جـ) اقتداء اليهود بالمسلمين عاد بهم الى احياء السنن التى هجروها من عبادتهم الاولى وعلمتهم سننا أخرى لم يعلموها ومنها شعائر فى صميم العبادة كشعائر الوضوء والغسل والصلاة الجامعة وغيرها من الصلوات .

د) كان قضاة الشرع المسلمين مرجعا للشعب اليهودى — ورجال الدين اليهودى على السواء فى حل كل الشئون غير الملية .

هـ) النسك الشرقى نتاج مدرسة ابراهيم الميمونى بن موسى بن ميمون وزميله الحبر ابراهيم الحسيد ، وجذوره مستمدة من البيئة الاسلامية ومتأثرة بالمتصوفة المسلمين .

وقد استعمل ابراهيم الميمونى كثيرا من العبارات الاسلامية مثل : الاخوة فى سبيل الله ، تسمية الله برب العالمين — تسمية المسالك الصوفية بالاحالات والمقامات — الاقتداء بالامام الغزالى فى تعريف المتصوفة فى كتابه (المنقذ من الضلال) بأنهم هم الذين يسيرون فى طريق الله — اشارته الى ابراهيم الحسيد بأنه سيدنا وخيرنا كرم الله وجهه . وابراهيم الميمونى يفرق بين المتصوف الحق والدعى فيقول :

« ان التصوف لا يكون بلبس الصوف ولا بملازمة الصوامع ولا باتخاذ أزياء الفقراء ولكنه طهارة وزهد واخبات الى الله » .

وأخيرا يتضح التأثير الصوفى فى تنويه الميمونى بالبكاء التعهدى فنحن لا ننسى أن الزهاد الاول فى الاسلام كانوا يسمون بالبكائين — فالبكاء هو غاية التهيؤ للصلاة كما قال الميمونى .

فليست اليهودية اذن أصلا لفرع هو الاسلام — بل انها فرع من أصـــل قديم بل من عدة أصول .

وما أبعد الفرق بين اليهودية والاسلام فى أصول الايمان :

فالله فى اليهودية اله قبيلة واحدة مختارة — وفى الاســلام اله الخلق أجمعين الذين لا يتفاضلون بغير التقوى .

والنبوة فى اليهودية صناعة خوارق وكشف خفايا ومفقودات .. وفى الاسلام رســالة هداية وتبليغ الى العقل والضمير .

وفى اليهودية يلحق الجزاء بالخلف البعيد انتقاما من جنايات الأجداد والاسلاف .. وفى الاسلام لا تزر وازرة وزر أخرى .

وأخيرا فان الهيكل اليهودى هو الذى يتقبل القربان الذى لا يقبل بغير وســاطة الكهان والاحبار .. بينما فى الاسلام لا معبد ولا كهانة .. وأينما تكونوا فثم وجه الله .

ويكفى أن نسمع الحكيم الانجليزى صمويل جونسون فى قوله :

« ان المسيحية والاسلام فى عالم العقيدة هما الديانتان الجـــديرتان بالعناية وكل ما عداهما فهو بربرية » .

٢ — عوامل نشأة الاســلام وأثر الظروف الاقتصادية فى ذلك :

ليست الحوادث الكبرى عند مونتجومرى وات — معزولة عن العوامل الاقتصادية — ولكنها تختلط بها وتؤثر فيها دون اهمال العــوامل الروحيــة وعوامل العقــائد والموروثات الفكرية .

وأهم وجهات النظر فى كتابه (الاسلام والجمــاعة المتحدة) أن المعركة بين محمد صلى الله عليه وســلم وبين كفار قريش لم تكن معركة دعوة تجديد ودعوة محافظة على القديم بل كانت معركة بين حركتى تجـــديد متعارضتين .

لقد كان كفار قريش يتحولون من معيشة البداوة الى معيشة الحاضرة التجـــارية ، ويستزيدون من كل لون من (المتعة الحسية) ، وتتحول بهم ثرواتهم من أخلاق فرسان البادية الى أخلاق السادة المنغمسين فى الحاضرة .

وهكذا لم يكونوا هم ولا عبيدهم محافظين على القديم كما زعموا ، لاقناع أنفســـهم بمحـــاربة الدعوة المحمـــدية وفاء لآبائهم ومعبوداتهم .

أما التغيير الذى جاءت به الدعوة المحمدية فقد أفلح واســـتقر ، لأنه أعطى النفس الانسانية كما أعطى الجماعة كلها — حياة — أفضل من حياتها ، وغاية أحق بالسعى اليها من غاياتها .

فليس متاع الحيـــاة الدنيا غاية حياة الانسان ، لأن متاع الحياة الدنيا غرور وضلال بغير الباقيات الصالحات .

وليس المجتمع الانســـانى سوقا للسادة والعبيد — ولكنه أمة تهتدى بامام واحد ، أو امامة واحدة ، وقبلتهـــا الخير والتقوى . والتقوى يتساوى فيها العاملون الصـــالحون ولا يستأثر بها صاحب الثروة والسطوة .

ويقول (مونتجومرى) ان فكرة الامة فى الاســـلام فكرة غير مسبوقة — وهى تجمع المســـلمين جميعا فى وحدة تذوب فيها كل الحواجز — وكانت العقيدة الدينية ضرورية لخلق فكرة الامة بهذا المعنى .

ويرى العقـــاد مع مونتجومرى أن معنى (الأمة) فريدة وليس له مرادف بمعناه فى لغة من اللغات قبل ولا بعد الاسلام .

فكلمة أمة Nation مأخوذة فى أصلها من معنى الولادة ، ومفادها أن الولادة فى مكان واحد هى الرابطة التى تكسب أبنـــاء الوطن حقوق هذه الوحدة الاجتماعية .

وكلمة Peoble تقابل كلمة شعب بالعربية ويرجع أصلها الى السكن والاقامة .

وكلا المعنيين : الولادة والسكن — قاصر عن الدلالة على القومية بمفهومها الحديث ،

وأصبح منها أن تكون رابطة الأمة هى رابطة الاشتراك فى وجهة نظر عامة ، كما سبقت بها دلالتها فى القرآن .

واستقبال الجهة أصيل فى كثير من الكلمات التى تفيد معنى الوحدة الاجتماعية باللغة العربية ، مثل القبيلة — الفئة ، القوم .. ولكن كلمة الأمة هى الوحيدة التى جاءت فى القرآن الكريم فى معارض كثيرة لتفيد معنى الجماعة الكبرى التى تحيط بشعوب كثيرة .

٣ — الاقتصاد فى الاسلام :

مما يؤخذ على الاسلام فى الكتابات الغربية أنه دين تشريع ومعاملات ، ولكنه لم يأت للناس ، بنظام مفصل للشئون الاقتصادية :

وإذا كانت أحوال المعيشة الاقتصادية تتقلب من زمن الى زمن ، ومن أمة الى أمة ، فخيرا فعل الاسلام اذ أقام قواعد الاقتصاد التى يقام عليها كل نظام صالح ، ولا يتصور أنها تناقض نظاما منها كان بالأمس أو يكون بعد زمان طويل أو قصير .

فقد قرر الاسلام أن يمنع الاحتكار وكنز الاموال .. وأن يمنع الاستغلال بغير عمل — وأن يتداول المجتمع الثروة — ولا تكون دولة بين الأغنياء .. وقرر أن تكون للضعفاء والمحرومين حصة سنوية لا تقل ٤٠/١ من ثروة الأمة كلها .. وقد يزاد عليها بأمر الامام واحسان المحسنين ..

واذا تقرر هذا فى مجتمع انسانى فلا حرج عليه أن يتخذ له نظاما اقتصاديا كيفما كان وتحت أى اسم من الأسماء .

وممن يحمد لهم توضيح هذه القضية .. ليوبولد فايس النمساوى الذى أسلم وتسمى باسم محمد أسعد .

وهاملتون جيب يؤكد (اننى لا أرى أية علاقة فى الشرق الاوسط على احتمال قريب لقيام دولة شيوعية .. أو قيام دولة ديموقراطية من طراز أية دولة غربية ، ولا بد لكل هيئة من هيئات الحكم فى العالم العربى يراد لها الاستقرار المعقول أن تجمع بين ارضاء الشعور العربى والشعور الاسلامى فى وقت واحد .

٤ — نظرية الحكومة والدولة فى الاسلام :

يزعم هـ. ن. شرابى فى كتابه (الحكومات والسياسة بالشرق الاوسط فى القرن العشرين) أن ليس فى الاسلام نظرية مستقلة للحكومة — اذ كل ما يرتبط بالحكومة والدولة يدخل فى نطاق الديانة ، فلا فاصل بين الدينيات والدنيويات . ومن الوجهة السياسية تتسم الجماعة الاسلامية بسمات أربع :

أ) أن الله رأسها .. والقرآن كما نزل على النبى دستورها الوحيد .

ب) ان كلمات الله هى الشرع الوحيد ، وليس للجماعة أن تجرى لها شرعا غيره .

جـ) ان وظيفة دستور الحكومة وشكلها وأحكامها أبدية ، ولا يمكن تغييرها كيفما اختلف الزمان والمكان .

د) ان الغاية من الحكومة هى اقامة الدين وتنفيذ كلمات الله .

ويضيف المؤلف : « ويتضح من هذا أن الشريعة وهى جملة الأوامر الالهية — ليست قانونا بالمعنى المفهوم من القانون فى العصر الحديث — ولكنها قضايا معصومة ترسم للمسلم أحكام سلوكه فى حياته كلها دينيا وسياسيا واجتماعيا وفى الاسرة والبيت » .

ونستطيع أن نوجز الرد على هذا الافتراء فيما يلى :

أ) هل للدستور أو القانون على الاساس الصحيح فى كل صورة من صوره قاعدة تخالف فى جملتها ما أورده « هـ. ن. شرابى » عن الاسلام وما يعيبه عليه ؟ الرد لا .

ب) هل يصل المؤلف ببحثه يوما الى دستور وضعى قديم بدأ العمل به فى أمة بجميع تفصيلاته وتعديلاته دفعة واحدة ؟

الرد لا .

جـ) هل فى دستور العالم دستور لم يقم على قواعد ثابتة لا تتغير بعد وضعها نصوص المواد والقوانين المتفرعة عليها ؟ الرد لا .

د) ألا يوجد من الدول الحديثة دولة تعتمد على دستور لا تقبل قواعده التغيير ، وان تغيرت المواد المتنوعة والتى لم تكتب بتفصيلاتها حتى اليوم ؟

الرد بالايجاب .. فهناك بريطانيا أقدم الأمم الديموقراطية عملا بالحكم النيابى .. وهناك ايطاليا ودستورها أيضا مبادىء عامة .

هـ) اننا لا نغير حرفا من نظام الحكومة الاسلامية اذا قلنا على هذا المنوال :

١ ـ ان قواعد الحكم كلها منصوص عليها فى آيات القرآن الحكيم .

٢ ـ ان الامام يتولى الحكم بالبيعة .

٣ ـ ان الاسلام يوجب على المسلمين أن تكون فيهم أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ومنها (أهل الذكر) الذين يسألون عن أحكام الذكر الحكيم .

٤ ـ ان الحياة التشريعية موزعة بين الامام وأهل الذكر واجماع الأمة أو ما هو فى حكم الاجماع .

٥ ـ ان أحكام الشريعة الاسلامية تنفذ فى كل زمان وفى كل مكان ولا يعلق تنفيذها أو يؤجل الا وفاقا لسيادة التشريع .

٦ ـ ان الفرد حر مسئول .

٧ ـ ان مصلحة الأمة أساس فى تطبيق الشريعة وفى وضع الاحكام التى لم تذكر بتفصيلاتها وعوارضها فى آيات الكتاب .

٨ ـ ان المجتمع الاسلامى ينكر احتكار الثروة ، ويحرم الربح بغير عمل ، ويقرر من ثروة الأمة كلها حصة للعجزة والمحرومين .

ان الحدود الجنائية لا تعطل أبدا الا لعلة واضحة من علل الضرورات والشبهات .

٩ ـ ان هذه الضرورات والشبهات مرجعها كله الى حق السيادة المطلق ، وهو حق الامام الراعى وأهل الذكر والرأى المتفق عليه بين جمهرة الرعية .

هذه هى حقيقة الدستور الاسلامى ، وهو ليس بدعة فى الدساتير التى تصلح للتطبيق ، تنتظم عليها أمر الجماعات الانسانية .

٥ ـ الجهاد فى الاسلام :

يعتبر العقاد أن أسرع وسيلة لاختبار مدى حسن النية والفهم لدى الكتاب الغربيين عن الاسلام هى مجمل آرائهم عن الجهاد فى الاسلام ، فانه الامر الذى شاع على السماع بين غير المسلمين ، ففهموا منه أن شريعة السيف وشريعة الاسلام شىء واحد .

غير أن بعض الكتاب المنصفين لا يقعون فى هذا الخطأ .

١ ـ فالدكتورة أليس ليختنستادتر تقول ان النظرية الاسلامية فى القرون الوسطى تقسم العالم الى قسمين .. دار الاسلام ودار الحرب .. فالأولى تشمل البلاد التى انبسط عليها سلطان الاسلام عقيدة وحكما .. والثانية تشمل البلاد التى يصح نظريا فتحها للاسلام ولو بالسيف اذا اقتضى الحال .

وتضيف فى كتابها (الاسلام والعصر الحديث) ان كلمة (الجهاد) مشتقة من الجهد أو المشقة ولذلك سمى الفقيه أو القاضى حتى الآن مجتهدا ـ وقد أمر القرآن بجهاد الكفار ولم يعين الجهود التى تبذل لذلك ـ ودار الحرب وان كانت نظريا خاضعة لحكم الفتح ، الا أن الخلفاء والسلاطين عقدوا المحالفات وعهود السلم منذ عهد هارون الرشيد وشرلمان .

وأكدت أن انتشار الفتوح فى القرن الأول كان بالتسليم والصلح أكثر من القتال ، وان الاسلام منح أهل الكتاب المغلوبين حق الاحتفاظ بعقائدهم وشعائرهم بشروط غير مرهقة ـ وتدلل على ذلك بأن الوثنيين كانوا أكثر الداخلين فى الاسلام فى القرون التالية رغم

أنهم لم يعرضوا على السيف على قول الفقهاء المسلمين .

٢ ــ ارنولد توينبي .. وهو أسلم المفكرين الغربيين نية عند الكلام عن الاسلام ولكنه أقدر على الاحاطة بالحوادث والمواقف الاجتماعية العامة منه على الاحاطة بأسرار العظمة في الشخصيات النادرة فيقصر غاية القصور في فهمها (وسيرد توضيح ذلك عند الكلام عن الذات المحمدية) .

يقول توينبي أن التخيير ببلاد الروم والفرس لم يكن بين الاسلام والسيف ، بل بين الاسلام والجزية وهي الخطة التي استحقت الثناء لاستنارتها حين اتبعت بعد ذلك في البلاد الانجليزية على عهد الملكة الياصبات .

٣ ــ توماس كارليل : الذي يعتبر أن الزعم بأن الاسلام قد انتشر بالسيف سخف وباطل ، كبطلان القول بأن رجلا واحدا حمل سيفه وخرج الى جميع مخالفيه ، ليبعث فيهم الخوف من سيفه وحده ، ويسوقهم كرها الى اعتقاد ما ينكرون ، فيعتقدونه ويثبتون عليه ، ثم يحملون السيف معه لتخويف الآخرين .

٤ ــ رشبروك ليامز في كتابه (دولة الباكستان) حيث يعلل حركات المسلمين في الهند مع بريطانيا بأنها وليدة البحث (عن وطن يستطيع فيه المسلم أن ينطلق من قيود المستغلين وحسب ، بل هي وليدة السعي الى اقامة بلاد تسود فيها آداب الاسلام وتمنع فيها ظلم الاغنياء للفقراء ، ويتبع فيها الولاة وصايا العدل الاجتماعي التي يتعلمونها من سماحة الشريعة) ويؤكد في كتابه أنه في الدولة الاسلامية (الحاكم لا يملك أن يستأثر بالسلطة على أي وجه من الوجوه مستندا الى نصوص القرآن) .

٦ ــ الرق في الاسلام :

لا يتفق الماديون والمبشرون المحترفون الا في الرغبة في تشويه سمعة الاسلام والمسلمين خاصة في أفريقيا ــ باعادة القول بأن العرب المسلمين قد احتكروا النخاسة قديما وحديثا . والخطأ في ذلك واضح : ــ

١ ــ فالماديون والمبشرون أول من يعلم أن النخاسة كانت صناعة شركات أوربية وأمريكية ذات سماسرة من غير العرب والمسلمين .

٢ ــ الأديان جميعا قبل الاسلام أباحت الرق .. أما الاسلام فقد شرع العتق وندب المسلمين الى فك الاسار عن الأسرى وجعله فريضة من فرائض التكفير عن ذنوب كثيرة .

فقد أوجب الاسلام قبول الفداء مع استحسان فك الاسار بغير فداء ، وفرض تحرير الرقاب على من يقتل خطأ ، ومن يحنث في يمينه ، ومن يظاهر من زوجه ، كما جعله من مصارف الزكاة « وفي الرقاب » .

٣ ــ لم يبق الاسلام من قيود الرق الا ما هو باق الى اليوم ، باتفاق الدول ــ فالقوانين الدولية اليوم تبيح تسخير الأسرى واعتقالهم الى أن يتم الفداء ، بتبادل الأسرى ، أو ببذل التعويض الذي تفرضه الدول الغالبة .. وقد سبق الاسلام دول الحضارة في ذلك بأكثر من عشرة قرون .

٤ ــ ان خطوات الحضارة الحديثة الى تحرير الأرقاء قد جاءت على النحو التالي :

أ ــ مطالبة أصحاب الصناعات الذين يستعملون عمالا أحرارا بأجور عالية بضرورة تحرير الأرقاء الذين يستعملهم منافسوهم ولا ينفقون عليهم أجورا .

ب ــ احتياج الدول الى تجنيد الأرقاء والى أصواتهم في الانتخابات حملها على تحريرهم .

جـ ــ الخوف من أن يستمال السود الأفريقيون الى المعسكر الشرقي فيما لو بقي نظام العبيد على ما هو عليه .

أما الاسلام فقد أنصف الأرقاء اختياريا بغير اضطرار .. ولم تكن قضية الرق عنده كما هي عند الحضارة الاوروبية ــ قضية مساومة واضطرار ، وحيلة من حيل السياسة والادارة ، وخطة من خطط التأجير والاستغلال .

قصّة



للأستاذ : أحمد محمد الصديق

جامعة أم درمان الاسلامية

كانت الشمس مشرقة ، والسماء صافية ، بينما كان الصوت الربانى المضىء يرتفع من حول الكعبة ، مرددا تلك الكلمات الرائعة والعبارات الخالدة :

لا اله الا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعزّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

ويتجاوب هذا النشيد العذب فى أجواء مكة ، أشبه بتسبيح الملائكة ، تتداح أصداؤه على السفوح والجبال المجاورة ، فلا تدع بيتا من بيوت مكة الا دخلته .. وقريش بكبريائها الجريحة .. تتجرع مرارة الهزيمة ، وتلوك غيظها المكتوم .. هالعة مشـــــدوهة مما ترى وتسمع ، ولا تكاد تصدق ما يجرى من أمر هؤلاء المسلمين الذين يدخلون مكة فاتحين .. تحت قيادة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .

* ... * ... *

ويمر رجل .. عربى أسمر الجبهة ، نحيف البنية ، ضامر الوجه ، حاد النظرات .. كأن فى نفسه شيئا مبيتا ، أو مكيدة مدبرة ، يحرص على اخفاء أمرها وكتمان سرها .

ويسأله رجل من قريش :

ــ الى أين يا فضالة بن عمير ؟

ويلتفت فضالة الى مصدر الصوت بشىء من الريب ، وقد أحرجه السؤال ، ثم لا يلبث

أن يطمئن الى الرجل ، وقد علم أنه لا يزال على دينه الوثنى ، وأنه من الحاقدين على محمد وصحبه ، ويتمنى لو يقوم من قريش رجل فيه نخوة وحمية ، فيثأر لقريش ولآلهتها المحطمة ، التى طالما عكفوا عليها وطافوا بها وقدموا لها القرابين ! ..

ويهز فضالة رأسه مقتنعا بضرورة المضى لشأنه ، ثم ينظر الى الرجل نظرة المصر على عمل ما ، ويقسم قائلا : واللات والعزّى ، لأجعلن من يومى هـــذا تاريخا يروى وتتناقله الأجيال ..

ـ وماذا أنت فاعل يا ابن عمير ؟!

ـ سأفعل ما عجزت عن فعله العرب حتى اليوم ..

ويبتسم الرجل وقد أدرك مقصد فضالة ، أو خيل اليه أنه أدرك ، ويقول :

ـ لا شك أن ما عجزت عنه العرب حتى اليوم هو القضاء على دين محمد وعلى محمد نفسه ، الذى سفه أحلامنا وسب آلهتنا ، ولم يزل حتى امتدت اليها يداه ، فهشـــمها وألقاها على الارض جذاذا .. ثم يزعم بعد ذلك أنه نبى يتلقى الوحى من السماء ..

ويضرب فضالة بيده على كتف الرجل قائلا :

ـ سأمضى فى سبيلى لا ألوى على شىء .. وسيعلم أصحاب هذا الدين الجديد أن لآلهة قريش من ينتقم لها ، ولا يستكين على ضيم ..

* ... * ... *

ويحك يا فضالة بن عمير ! ..

ما بالك ؟! .. وما يثير حفيظتك ؟! ..

لم لا تدخل فى حظيرة الايمان ، وتصبح واحدا من أولئك المسلمين ، الذين يرجون من الله تجارة لن تبور ..

ولكن قاتل الله الهوى والشيطان .. وحمية الجاهلية الرعناء ..

* ... * ... *

ويتحسس فضالة الخنجر الذى أخفاه تحت ثيابه .. ويمضى نحو الكعبة حيث يحتشد المسلمون حول قائدهم العظيم ونبيهم الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وحيث ينوى فضالة أن ينفذ جريمته النكراء ..

ويتوقف فضالة فى منتصف الطريق ، وقد هاله ذلك الحشد من المسلمين ، وجوههم مشرقة ، وأعينهم تفيض من الدمع ، وألسنتهم تلهج بالحمد لله والثناء عليه أن صدق نبيه الرؤيا بالحق ، فدخلوا المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوســـــهم ومقصرين لا يخافون .. وها هم الذين كانوا يتحرقون شوقا الى مبيت ليلة فى مكة بين شامة وطفيل .. وحولهم اذخر وجليل .. ها هم أولاء اليوم يبلون شوقهم فرحين بما آتاهم الله من فضله ، وقد طوّفوا بالبيت العتيق ، واستقوا من ماء زمزم ، وكانوا حزب الله الغالبين ..

توقف فضالة قليلا ، تتناوبه الانفعالات ، وتتجاذبه شتى الدوافع والأفكار ، فيتصور الأمر هينا تارة ، وخطيرا تارة أخرى ، وانه ليطمع أن يعلو نجمه ، ويصبح حديث الناس فى كل منتدى ، نظرا لعمله البطولى الذى سيأتيه ، الا أن هذه البطولة المكتسبة قد تكلفه حياته اذا هو أخفق فى مهمته ، بل وحتى لو أفلح فيها ، فانه لن يفلح فى الفرار ، ولن

يفلت من أيدى المسلمين .. وتتملكه مشاعر ووساوس غريبة ، ويفزعه شبح الموت حين يتخيل نفسه وقد جندل صريعا تحت ضربات السيوف ..

ويضيق الفضاء فى عينيه ، وتغيم الرؤى فى مخيلته .. ويستولى عليه هم شديد ، ثم سرعان ما يجد قدميه تســوقانه من حيث لا يدرى الى وجهة أخرى ، الى مكان مألوف لديه ، الى بيت امرأة من النساء اللائى يحترفن الهوى ويتاجرن به .. لقاء ما يتقاضين من أجر لا يساوى شيئا مما يفقدنه من قيمة انســـــانية ، وما يبعن من متاع الشرف والعفاف .

اعتاد فضالة بن عمير أن يحادث واحدة من أولئك النسوة ، ويســامرها ، ويقضى معها الاوقات الطوال لا يحس بها كيف تتصرم .. فقد شغفته حبا ، وأنس بحديثها ، وربما نال منها وطره .. ولا حرج عليه ..فشرعة الجــاهلية تبيح له ذلك بل وتعتبره أحيانا من تقاليدها .

ويقول فضالة فى نفسه : لا بد أن أذهب الى تلك المرأة أستشيرها فاننى فى حيرة وارتياب .. أأمضى فى سبيلى ، فأتابع خطتى الى النهاية ؟! .. أم أدع الأمور تجرى فى مجاريها ، وأنتظر من أمر الناس مع هذا الدين الجديد ما يكون .. خاصة وانه قد ظهر وانتشر ، وبات من العسير ان لم يكن من المستحيل القضاء عليه ؟ ..

ويمشى قليلا .. لعله يجد عند تلك المرأة ما يسرّى عنه الهم ، أو لعلها تشير عليه بالحل الشــافى والجواب المقنع .. ولكنه يتردد .. ثم يعن له أن يجلس فى ظل جدار قريب ، يفكر فى أمره ، ويقلب الرأى على وجوهه ..

* ... * ... *

كانت الشـــمس قد حمى أوارها ، وارتفعت فى كبد السماء كقرص فضى لامع .. فانعكست أشعتها المتوهجة على الصخور الملساء فى جبال مكة القاحلة الماحلة .. المحدقة بها من كل جانب ، تحبس عنها الهواء فتزداد نفس فضالة ضيقا وبؤسا ، ويشعر بالحاجة الملحة الى من يخفف عنه العبء ، وينفس الكرب .. ويرفع يده ليجفف بطرف كمه العرق المتفصد من جبينه ، وقد بدا له أن بيت المرأة الذى يقصده قد أخذ يبتعد شيئا فشــيئا عن متناوله ، رغم قربه منه ، نظرا لهذه الأزمة النفسية التى يعانيها ، وذلك الهم المسيطر عليه ، حتى ليكاد ينسى ما هو مقدم عليه ، ويغفل عن اليمين التى أقســـمها فى أن يثأر لكرامة قريش ، وينتقم لآلهتها التى كبكبت فى فناء الكعبة مهينة مستحقرة ..

وأخذ فضالة يفكر : ان أهل مكة قد بدأ يشيع بينهم الاطمئنان .. ويهدأ روعهم لمــا رأوا أن محمدا ــ عليه الصلاة والسلام ــ لن يمسهم بسوء ، وأن هؤلاء الذين يســمون أنفسهم مسلمين ان هم الا طراز جديد من الناس لم يعهده أهل الجاهلية من قبل .. ولو كان الأمر غير ذلك .. وكانت قريش هى الفـــاتحة المنتصرة ، لأريقت الدماء ، وأزهقت الأنفس وفسدت البلاد ..

واذا كان الأمر كذلك ، فما بال ابن عمير ؟! لم لا تطمئن نفسه كما اطمأن ســـائر الناس ويعترف بالأمر الذى علت كلمته على الحق كما اعترفوا ؟! ..

طالما تحدثت قريش عن هذا الخطر الذى يتفاقم يوما بعـــد يوم من ناحية يثرب ، متمثلا فى هذا الدين الجديد ، حتى وقر فى نفس فضالة ، وفى نفوس الكثيرين : أن هذا الدين لا سبيل الى مقاومته الا بالقضاء على صاحبه الذى بشر به أول مرة ، ودعا الناس اليه ..

وتمر فى مخيلة فضالة صور كثيرة من صور الحرب العنيفة التى شنتها قريش على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قبل الهجرة وبعدها .. حتى كان صلح الحديبية الذى عقدت بموجبه هدنة بين الفريقين ، وانقسمت القبائل الى معســـكرين ، منها من حالف قريشا كبنى بكر .. ومنها من حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل خزاعة .

ويعصر فضالة جبينه ليتذكر نص المعاهدة التى عقدت بين الفريقين والتى كان لا يشك لحظة هو وكل من سمع بها يومئذ فى أنها كانت نصرا لقريش على محمد ! .. كيف لا يكون ذلك وانه ليتذكر منها هذه العبارة (انه من أتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم .. ومن جاء قريشـــا ممن مع محمد لم يردوه عليه) وقال بنو بكر يومئذ لمحمد — عليه الصلاة والسلام — (ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينـــا مكة ، وانه اذا كان عام قابل خرجنا عنها فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثا ، معك سلاح الراكب ، السيوف فى القرب لا تدخلها بغيرها) ؟

ولكن الذى لا يدرى فضالة له جوابا هو : كيف انقلب ذلك النصر الى هزيمة نكراء .. ربما لن تقوم بعدها لقريش قائمة ؟

ولو تساءل فضالة عن سر ذلك واهتدى الى الجواب الصـحيح لعلم أن الحق هو الذى ينتصر دائما ، وأهله هم الفائزون .. وسنة الله تعالى أن يجعل لكل شىء سببا ، فما السبب الذى دفع محمدا وأصحابه الى فتح مكه ؟؟ ..

سؤال لم يحتج فضالة الى كبير عنـاء كى يجيب عليه .. فهو لا يزال يذكر يوم أن غدرت بنو بكر — حلفاء قريش — بقبيلة خزاعة — حلفاء محمد — فحازوهم الى الحرم ، وأعملوا فيهم السيوف ، ونقضوا العهد والميثاق .. فانطلق عمرو بن سالم الأنصارى حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى الناس ، فأنشده قائلا :

يا رب انى ناشــــد محـــمدا ... حلف أبينـــا وأبيـــه الأتلدا
ان قريشـــا أخلفـــوك الموعدا ... ونقضـــوا ميثـــاقك المؤكدا
هم بيوتنـــا بالوتير هجـــدا ... وقتلونا ركعـــا وســـجدا
فانصر هداك الله نصرا أعتـــدا ... فى فيلق كالبحر يجـــرى مزبدا ..

فأجابه منقذ الانسانية : نصرت يا عمرو بن سالم ..

ثم عرض لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه عنان من السماء فقال : ان هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب ..

لم يكن فضالة بن عمير يذكر كل ذلك ، فانه لا يحيط علما الا ببعضه ، ومعظمه انما كان يجرى فى معسكر المسلمين .. والذى يذكره جيدا هو أن مكة الآن فى حوزة المسلمين ، وأن الأمر بالنسبة لقريش وحلفائها جد خطير .. رغم ما يبدو من امارات السلام والأمان ..

ويضع فضالة رأسه بين يديه ، وقد اشتد أسفه ، وتقطبت أساريره ، ويســـتمر شريط الأحداث يمر فى مخيلته فلا يزيده الا نكدا .. ويرن فى أعماق نفســه صوت أبى سفيان حين دخل مكة صارخا بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، فتصيح فى وجهه امرأة : قبحت من طليعة قوم ! .. ويقول آخرون : قاتلك الله .. وما تغنى عنا دارك ؟! ولكن أبا سفيان لا يعيرهم بالا ويستمر منذرا : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن .. ومن دخل المســـجد فهو

آمن . ويتفرق الناس الى دورهم والى المســـجد ، ويجد فضالة نفسه مندفعا نحو أهله وذويه يغلق عليهم باب منزله ، وهو يتميز غضبا ..

وهنا ينتفض فضالة بن عمير من مقعده ، وقد مسه حر الهاجرة .. ويسمع وقع أقدام على مقربة منه ، فيرفع طرفه ليرى كتيبة من جنود المسلمين تطوف فى أنحاء مكة آمنين ، فترتسم على محياه ابتسامة صفراء .. ويعقد النية على الانتقام .. فلا بد من تنفيذ الخطة التى رسمها فى ذهنه من قبل ، وما عليه الا أن يتحين الفرصة ، فان أتيحت له ، فليستل خنجره ، وليغمده فى مقتل من ذلك الرجل الذى سبب له ولقريش كل هذه الأزمات .. أما ما يعقب ذلك فلن يكون ذا بال .. فانه حينما يهرع المسلمون للقبض عليه ، يكون قد فرّ بنفسه واحتمى برجال من قريش ، وينتهى الأمر اما باثارة الحرب والقتال أو بالمفاوضة والصلح ، وبعد ذلك يهون أمر الاسلام ، وتتألب القبائل عليه كما تألبت من قبل فى موقعة الأحزاب ، ويسهل الاجهاز عليه .

وينهض فضالة من مكانه ملتفتا عن يمينه ويســـاره مخافة أن يكون أحد يرقبه أو يســمع صوت تفكيره .. ويتوجه تلقـــاء الكعبة .. ولا يخطو خطوات حتى يلمح الناس مجتمعين حول الكعبة ، ينبعث من بينهم صوت يقول :

يا معشر قريش .. ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء .. الناس من آدم وآدم من تراب « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شـــعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

يسمع فضالة هذا فينجذب اليه ، ثم لا يلبث أن يقول فى نفسه : هذا ما سحر به محمد عقول الناس .. ويتابع الصوت قائلا : يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل بكم ؟ فيقولون : خيرا .. أخ كريم وابن أخ كريم . فيقول : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ويضيق صدر فضالة حرجا رغم ما يحسه فى نفسه من دواعى السكينة .. ويتساءل فى نفسه : هل بلغ الأمر بقريش من المهانة حتى يعفو عنها رجل واحد ؟ .. ثم من هو هذا الرجل ؟ .. أليس هو الذى آذته وعذبته وأخرجته وأصـــحابه .. ؟ آه .. لم يعد لقريش بعد اليوم سبيل الى هؤلاء المسلمين .

ويكاد الدم ينفجر من أنف فضالة حين يشاهد بلالا يعتلى جدار الكعبة يرفع عقيرته بالأذان مرددا كلمات لم تألف قريش سماعها من قبل .. وكأنها المطارق تنزل على رؤوسهم رغم عذوبة الصوت الذى يرددها ، وجمال وقعه ونبراته .. حتى يقول عتاب بن أسيد أحد سادات قريش : لقد أكرم الله أسيدا ألا يكون سمع هذا ، فيسمع منه ما يغيظه .. ويقول الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته .. ويلتفت أبو سفيان حوله ثم يقول هامسا : لا أقول شيئا .. لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصى !

وينظر الثلاثة فجأة الى حيث يخرج عليهم النبى صلى الله عليه وسلم قائلا : لقد علمت الذى قلتم . ويخبرهم بما قالوا . فيقول الحارث وعتاب وقد انفرجت أساريرهما وزال عنهما أثر المباغتة : نشهد انك رسول الله . ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك .

يعلم فضالة بن عمير ما كان من أمر هؤلاء الثلاثة ، فيعجب ويراجع نفسه فيما هو مقدم عليه ، ويتردد قليلا ، ثم يندفع بكليته الى مكان ما ، حيث يجد الفرصـــة متاحة له لتنفيذ ما بيته .. فها هو ذا محمد بن عبد الله يبدو منفردا ، وقد انفرج عنـــه الناس

قافلين ، والمسلمون بين طائف وذاكر وساجد ، والأمر لا يكلف الا الاقدام .. وطعنة أو طعنات .. وينتهى كل شيء .. وان فضالة ليتقدم بخطوات مضطربة .. وقد أخذت أوصاله ترتجف وعيناه تلمعان كالشرر ، والجريمة ماثلة فى مخيلته وتوشك أن تقترفها يداه .. واذا بالرحمة المهداه وقد أشرق وجهه وافترت شفتاه ، يلتفت اليه قائلا :

— أفضالة ؟!

فلا يجد فضالة مفرا من أن يجيب :

— نعم ، فضالة يا رسول الله .

— ماذا كنت تحدث به نفسك ؟

ويرتبك فضالة ، ويشيع الاضطراب فى نبراته ثم يقول :

— لا شيء .. كنت أذكر الله !

فيضحك النبى صلى الله عليه وسلم ، والرفق باد فى محياه ويقول :

— استغفر الله ..

ثم يضع يده على صدر فضـــــالة ، فيسكن قلبه ، وتطمئن نفسه ، ويذهب عنـــه الاضطراب ، كأن دفقة من برد وسلام سرت الى قلبه وتخللت أعصابه ، فزالت وساوسه ، وتبخر غيظه ، وانقلب كله رضا وسكينة .. واذا به تجيش نفسه فينطلق لسانه قائلا : أشهد أن لا اله الا الله ، وأنك رسول الله .. وتبلل عيناه الدموع .. ثم يذهب يحدث الناس . ويقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شيء أحب الىّ منه . وانه ليعجب كل العجب من أمره ، كيف تحول فى لحظة من عدو الى نصير ، ومن مبغض الى محب ، ومن كافر بالله ورسوله الى مؤمن ايمانا لا يساوره الشك .. لقد صـــدق العباس حين قال لأبى سفيان يوم الفتح : انها النبوة ..

ويسرى فى نفس فضالة شـــــعور بالندم على ما فات من عمره ، وهو بين القيان والدنان ، لا يعرف من الدنيا الا اللهو والعبث وعبادة الأوثان . على أنه لا تزال فى العمر بقية ، لو صلحت صلح العمر كله ، ويفكر فضالة فى تلك المرأة التى كان يتحدث اليها قبل اسلامه ، فيرثى لها ويرجو لها الهداية ، ويحمد الله أن جعل له من أمره رشدا وانقذه من هلاك محقق .. ثم يقصد أن يمر عليها .. ليضع حدا فاصلا فى علاقته بها ، ولعله يكون لها فى حاله عبرة ، فتقلع هى الاخرى عن حياة الجاهلية وتبذلها الرخيص .

وما أن يقع نظرها عليه حتى تناديه قائلة : هلم الى الحديث .. فيقول فضالة : يأبى عليك الله والاسلام . فتقول : ويحك يا فضالة .. ماذا دهاك ؟! أرغبت عنا ؟ فلا يزيد فضالة على قولته : يأبى عليك الله والاسلام . ثم يدعها وينبعث قائلا :

قالت هلم الى الحـــــديث فقلت لا	يأبى عليـــك الله والاســــــــلام
لو ما رأيت محـــــمدا وقبيـــــــله	بالفتـــح يوم تكسر الأصـــــنام
لرأيت دين الله أضـــــحى بينـــــا	والشرك يغشى وجهــــــه الاظلام



يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها ..

الصلاة خلف المذياع

جاءتنا الأسئلة الآتية من سائل بالكويت :

السؤال الأول : هل يجوز لشخص أن يصلى جماعة خلف إمام يسمعه من المذياع ؟

والجواب : لا يجوز للمسلم أن يأتم بامام يسمعه من المذياع لأن هذه الجماعة فقدت شرط صحتها وهو ألا يحول بين الامام والمأموم حائل معتبر . والحائل هنا موجود كما نعرف .

صلاة العيد منفردا

والسؤال الثانى : هل يجوز لشخص أن يصلى صلاة العيد بمفرده اذا لم يستطع حضورها فى المسجد ؟

والجواب : نعم . يجوز للمسلم أن يصلى صلاة العيد منفردا وفى جماعة ، ولا بأس عليه فى ذلك ، إلا انه يحرم أجر الجماعة وثوابها .

كيفية صلاة الجنازة

والسؤال الثالث : وهو السؤال عن كيفية صلاة الجنازة ؟

والجواب : صلاة الجنازة يشترط فيها ما يشترط لغيرها من الطهارة واستقبال القبلة الخ ويؤديها الانسان واقفا ، وهى تكبيرات أربع . فينوى صلاة الجنازة على من حضر أو من حضرت من أموات المسلمين ، ويكبر التكبيرة الأولى ، ثم يقرأ الفاتحة وسورة صغيرة أو آية إن تيسر ، ثم يكبر التكبيرة الثانية ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وآله ، ثم يكبر التكبيرة الثالثة ، ويدعو للميت بما يحضره من الدعاء المأثور وإلا فبأى دعاء . ثم يكبر التكبيرة الرابعة . ثم يقول : اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده . ثم يسلم .

واذا كان مأموما فلا يكبر الا بعد أن يكبر أمامه فى كل التكبيرات .

ويسأل أيضا عن **كيفية صلاة العيد**

والجواب : ان مصلى صلاة العيد ينوى الصلاة ركعتين سنة عيد الفطر أو الأضحى ويكبر تكبيرة الاحرام ، ثم يكبر سبع تكبيرات ، بين التكبيرة والأخرى يسكت بمقدار تسبيحة أو يسبح ان شاء ، وبعد الانتهاء من التكبيرات يقرأ الفاتحة وسورة صغيرة ، ويتم أركان الركعة الأولى من الركوع والقيام منه والسجود ، ثم يقوم للركعة الثانية مكبرا خمس تكبيرات غير تكبيرة القيام ، يسكت بمقدار تسبيحة بين التكبيرة والتكبيرة أو يسبح إن شاء ، ثم يقرأ الفاتحة وسورة ويتم الركعة الثانية بركوعها وسجودها ثم يجلس للتحيات ويسلم ، فاذا كان فى جماعة فيكون تابعا للامام فى كل شىء ، ومن فاته تكبير مع الامام فى الركعة الأولى أو الركعة الثانية فليس عليه أن يكبر ، بل يتابع امامه واذا فاتته الركعة الأولى كلها كمل صلاته بعد سلام الامام فيأتى بالركعة الثانية ويكبر فيها خمس تكبيرات غير تكبيرة القيام .

مع العلم بأن هذه التكبيرات ليست بواجبة ولا بسنة مؤكدة . وانما يسميها الفقهاء هيئة وتركها لا يضر ، ولذلك من فاته شيء منها مع إمامه لا يعيد الفائت ، أى اذا نويت الصلاة ووجدت الامام قد انتهى منها كلها أو بعضها فلا تأتى بها بل تتابعه والصلاة صحيحة .

التقليد والاجتهـــــاد

السؤال : أنا مسلم وأقوم بأداء الفرائض شريعتى هى كتاب الله ومنهاجى هو سنة رسوله وأنه رغم تقديرى لأئمة المذاهب الأربعة وعرفانى بفضل علمهم واستنباطاتهم واجتهادهم لصالح الناس والدين ، إلا أننى تراودنى فكرة فى أن أعبد الله سبحانه وتعالى وأقيم مناســك الدين على غير مذهب من المذاهب الأربعة وأن يكون نبراسى الكتاب ثم من بعده حديث الرسول مع أننى أؤمن وأعلم تماما أن الأئمة الأربعة مــا خرج واحد منهم فى اجتهاده عن الكتــاب والسنة . وأنه مهما تفقه الانسان منا وخصوصا أمثالى فى هذا الزمان فانه — وأنا الأول — لن يصل الى أقل تلميــذ من تلامذتهم .

محمد سليمان — الصالحية . مصر

الجواب : المسلم غير ملزم أصلا بتقليد هؤلاء الأئمة الكرام ، وهو اذا استطاع أن يجتهد لاستنباط الأحكام من الكتاب والسنة فانه يحرم عليه التقــليد . ولكن ما دام لا يستطيع فعليه أن يأخذ الأحكام عن طريق العلماء الخبراء بها الذين وصلت الينا أقوالهم صحيحة كهؤلاء الأئمة . والشأن فى ذلك كشأنه فى كل علم أو فن لا يعرفه الانسان فيرجع فيه للعلماء به الخبيرين بشأنه ..

فى الرضاع

السؤال : أنا شاب بلغت من العمر ما يزيد عن عشرين عاما ولى ابنة عم تصغرنى ثمــانى سنوات وقد رضعت من والدتى على أخى الأصغر الذى فى عمرها أكثر من عشر مرات مشبعات .

— فهل يجوز لى أن أتزوج منها ما دامت لم ترضع على أنا ؟ أم هى حــرام . واذا كانت حراما على فهل يجوز لأحد اخوتى الصغار التزوج منها . وهل يجوز لى أن أتزوج أحد اخواتها ؟ رجائى الافادة — وشكرا لفضيلتكم .

الجواب : ابنة عمك هذه يحرم عليك وعلى إخوتك جميعا التزوج بها ، لأنها اجتمعت معكم على الرضاع من ثدى واحد فصارت أختكم فى الرضاع ، على انه يجوز لك أو لأحد إخوتك التزوج باحدى أخواتها التى لم ترضع من والدتك .

فى الطلاق

السؤال : طلبت من زوجتى أن تذهب معى لزيارة أحد معارفنا ورفضت وتطور الأمر بينى وبينها الى حد أن جعلنى أخرج عن طورى فأقسمت يمينا بالطلاق هذا نصه : (على الطلاق منك بالثلاثة على أربع مذاهب الاسلام أن لا آخذك الى زيارة أحد بعد الآن) . وأنا لا أقصــد وقتئذ الطلاق وانما أريد التهديد . وزوجتى لا تزال موجودة فى منزلى . وخرجت معى مرتين الى السوق وليس للزيارة . أرجو من فضيلتكم التكرم بافادتى عن حكم الشرع فى هذا اليمين ولكم الشكر .

ع . ل

الجواب : من حلف على فعل شيء أو تركه لا يقع به الطلاق . واليمين المذكورة من قبيــل الطلاق المعلق ويقع عند حدوث المعلق عليه اذا قصده ، واذا لم يقصــد الطلاق بل يقصد حمل نفسه على عدم أخذهــا للزيارة فلا يقع طلاقه .. وعلى مثل هذا السؤال أجاب أيضا المرحــوم الشيخ شلتوت فى فتاويه وعليه الفتوى فى المحاكم بمصر . فقال : (عــلى الطلاق) أو (يلزمنى الطلاق) لغو من الكلام لا يقع به شيء وأن الطلاق المعلق على فعل شيء أو تركه ، والرجل لا يريد الطلاق ولا يقصده وانما يريد التهديد والتخويف كذلك لا يقع به شيء . والله أعلم .

كذبة نيسان

كتب إلينا السيد مجيد حميد الشامر عن (كذبة ابريل) كلمة نقتطف منها ما يأتي :

عادة لا ندرى متى بدأت ؟! وكيف نشأت ؟! ولماذا اقترنت بشهر نيسان « ابريل » ؟! فما أن يحل هذا الشهر حتى ينتشر الأطفال والصبيان فى الشوارع ، يكذبون على الناس ، بالقاء بعض الأشياء على قارعة الطريق ، كالمنديل مثلا ، وما أن يمر أحد فى الشارع ويلتقط ذلك المنديل ، أو يمد يده لالتقاطه حتى يتجمع حوله هؤلاء الأطفال والصبية يضحكون ويقهقهون بأصوات صاخبة .

ويكذب الأصدقاء على أصدقائهم فيوقعونهم فى مشكلات ومشكلات ، أو يتصل البعض هاتفيا بأصدقائه ويكذب عليهم فيحرج مواقفهم بحجة ايجاد مفاجآت مضحكة .

والملاحظ أن هذه العادة محورها الكذب ، كأنما الكذب مباح فى نيسان ومحرم فى غيره من الأشهر ، وهذه العادة ان دلت على شىء فانما تدل على التحلل من لوازم الدين وضوابط الشريعة المقدسة .

ولو بحثنا عن منشأ هذه العادة ومنبعها ، لوجدنا أن السبب فى انتشار أمثال هذه العادات هو الغزو الفكرى الاستعمارى الذى اجتاح العالم الاسلامى ، فاستعمر القلوب ، وأحدث خبثا فى النفوس ، وانحرافا فى السلوك ، وانحطاطا فى الأخلاق ، وانقلابا فى المقاييس . الى أن يقول :

قال سبحانه وتعالى : (انما يفترى الكذب على الذين لا يؤمنون) .

وجاء فى الحديث الشريف عنه صلى الله عليه وسلم : (ويل للذى يحدث ويكذب ليضحك به القوم ، ويل له ، ويل له) .

الاسلام يوقظ المشاعر الخيرة

وتحت هذا العنوان كتب إلينا السيد عبد الخالق عبد الرحمن من بغداد كلمة نقتطف منها : —

ان كثيرا من المشاعر والعادات تحتاج الى ايقاظ وتنمية فى ضمير الأفراد والجماعات . ولقد بدأ الاسلام فى بناء المجتمع فى ضمائر الناس ووجداناتهم ، فقد غرس المحبة فى أعماق

الروح وذكر الناس بنشـــأتهم الأولى من نفس واحدة ، فأيقظ فى نفوسهم صـــلة المودة والقربى وذكرهم باخوانهم فى الله ، وذكرهم بنشوئهم ومصيرهم ، حتى اذا ما رقت جوانحهم بتلك المشاعر الجميلة المحببة كانوا أقرب الى التعاون والتآزر والاخاء .

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا) .

وتحت ظلال الحب والرحمة دعا الناس الى الايثار والى التضحية وبذل النفس فى سبيل اسعاد الآخرين فالمجتمع الانســـانى خليط من الموسرين والمحرومين فـــاذا لم يؤثر الموسرون على أنفسهم ، واذا لم يضحوا بما يملكون انعدم التكافل وانمحى التعاون .

لقد رسم القرآن الكريم صورة جميلة للايثار فى الرقة والانعطاف لآل بيت محمد عليه السلام .

(يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ، ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) .

لقد أوجد الاسلام تضامنا بين الفرد والجماعة لغرض تحقيق الخير العام للجميع فأعطى الفرد حرياته الفطرية وجعل له حق التمتـــع بها بشرط ألا يخل بحريات الآخرين أو يعتدى على حق من حقوقهم ، وضمن له كل ما من شأنه حفظ كرامة الانسانية ، وكلف كل فرد بالحفاظ على حيـــاته وحياة غيره من الأفراد والجماعات وجعله مسؤولا أمام أحكم الحاكمين الله سبحانه وتعالى ، والأمة التى تسير على هذا الهدى الاسلامى هى أمة مكلفة بحفظ حياة الفرد وعرضه وماله وحرياته ، وتمكينه من العمل الشريف ومساعدته على تنمية مواهبه وقابلياته ، وهكذا نرى أن الاسلام قـــد حرر الفرد من قيود الاستعباد والاستغلال وصان حريته والزمه بالصالح العام ، كما حرر الجماعة من تسلط الفرد واستبداده وبذلك يلتقى الفرد بالجماعة وتمتزج المصالح المشتركة ويقوى النشاط لخير المجتمع بأسره ويكون التواصى بالحق والصبر كما تلتقى مسؤولية الفرد بمسؤولية الجماعة فى نطاق التكليف الالهى بما فرضه الله سبحانه وتعالى من شعائر وواجبات وهكذا نرى انسجام الفردية مع الجماعية ويكون النشاط متجها للوصول الى غاية واحدة وهدف مشترك .

إلى هاويات الملابس القصيرة

والأستاذ محمود فايد المدرس بطرابلس ليبيـــا يوجه هـــذا النداء إليهن فيقول :

أفـــوق الركبتين تشمرينـــــــا ؟ — بربـــك أى نهـــر تعبرينـــــــا ؟
وما الخلخال حين الساق صارت — تطوقها عيـــــــون الناظرينـــا ؟
جعلت ملابسي صوفـــا ، طـــوالا — أخـــاف البرد يجعلنى طعينـــــا
وأنت هنيئـــة فى شـــبه عـــرى — بجـــو بـــارد لا تشعرينـــــــا
عيـــون المعجبين لديـــك جمـــر — ستشعل ان أردت هوى دفينـــا
فتـــاة الجيل : مثلك لا يجـــــارى — سفيهـــات يبعن تقى ودينـــــا
فبـــالتقصير طـــالتنا الأعـــــادى — وباللذات ضيعنـــــا العرينـــــا
أبنت (خديجة) كونى حيــــــاء — كأمـــك تنجبى جيــــلا رزينـــــا
خـــذيها قـــدوة ننهض جميعـــا — وتبق ديارنـــا حصـــنا حصينـــــا
ولا يشغلك قشر عن لبــــــــاب — ولا تضللك « صوفياهم ولينـــا »
ملاك حضارة الدنيـــــا تفـــــاق — واخـــلاص يزكى العـــاملينـــا
ودين يكسب الانســـــان نبـــلا — فيأبى أن يضـــــل وان يهونـــــا
وعـــلم نـــافع يبنى شعوبـــــا — يجنبهـــا ســـموم الماكرينـــــا



باشراف
الشيخ رضوان البيلي

الذبيح الثانى

قرأت فى هذا الباب من العدد التاسع والأربعين تحت عنوان تزوير التاريخ اجابة عن الرسالة التى بعث بها طالب من الكويت يستفسر فيها عن الذبيح المفدى من ولدى ابراهيم الخليل عليهم السلام ، وقد كان الرد مقنعا شافيا ، وأحب أن أضيف الى ما ذكرتم من الأدلة على أن الذبيح هو اسماعيل دليلين آخرين من الكتاب والسنة .

الأول الآية الكريمة (فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب) ، فكيف يبشر الله سارة زوج ابراهيم بأنها ستلد منه اسحاق وأن اسحاق سيكبر حتى ينجب يعقوب ، ثم يأمر الله سبحانه ابراهيم بأن يذبح اسحاق وهو غلام بلغ مبلغ السعى لم يتزوج بعد .

الثانى : قول الرسول صلى الله عليه وسلم (أنا ابن الذبيحين) ومعلوم أن الأب الأعلى له هو اسماعيل فهو الذبيح الأول ، والأب المباشر هو عبد الله بن عبد المطلب وهو الذبيح الثانى .

سيد عبد الرحمن الباقر ــ الخرطوم

شكرا للأخ على رسالته . الا أن الحديث الذى استدل به ضعيف لم يوثقه رواة الحديث ، والواقعة التى أشار اليها فى رسالته من أن عبد الله قدم قربانا فى نذر نذره أبوه عبد المطلب ، وان القدر الالهى الأعلى شاء خلاصه من الذبح كما جرى مع أبيه اسماعيل .. هذه الواقعة موضع الشك عند المحققين . وقد نقلها المؤرخون عن شيخهم ابن اسحاق وعنه أخذها ابن هشام فى كتابه السيرة ، وابن سعد فى الطبقات الكبرى ، وابن اسحاق المنقول عنه يصدر روايته بقوله (فيما يزعمون) والزعم مطية الكذب .

على أن تسجيل هذه القصة يبين أن اختيار عبد الله للذبح لم يكن بوحى ولا رؤيا صادقة ، وأن خلاصه من الذبح لم يكن بفداء من السماء ، بل كان الاختيار والفداء نتيجة لعملية أشبه بالقمار على يد كاهن من الكهان .

والذى نطمئن اليه أن هذه القصة من وضع القصاص ومن الاضافات التى أضيفت للسيرة النبوية .

وقد ذكر الشيخ عبد الجليل عيسى فى تفسيره « تيسير التفسير » الحجة التى ذكرها الأخ فى رسالته .

الحمس

ويسأل الأخ أبو ياسر من صيدا بلبنان عن طائفة الحمس ومعتقداتهم وموطنهم ..

جاء فى صحيح البخارى فى باب الوقوف بعرفة هاتان الروايتان :

عن عمرو : سمع محمد بن جبير عن أبيه جبير بن مطعم قال : أضللت بعيرا فذهبت أطلبه يوم عرفة ، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم واقفا بعرفة ، فقلت : هذا والله من الحمس ، فما شأنه ههنا .

وعن هشام بن عروة : قال عروة : كان الناس يطوفون فى الجاهلية عراة الا الحمس ، والحمس قريش وما ولدت ، وكانت الحمس يحتسبون على الناس ، يعطى الرجل الرجل الثياب

يطوف فيها ، وتعطى المرأة الثياب تطوف فيها فمن لم يعطه الحمس طاف بالبيت عريانا ، وكان يفيض جماعة الناس من عرفات ، وتفيض الحمس من جمع ، قال : فأخبرنى عن عائشة رضى الله عنها أن هذه الآية نزلت فى الحمس (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) قال : كانوا يفيضون من جمع فدفعوا الى عرفات .

والحمس جمع مفرده أحمس وهو المتشدد المتصلب فى دينه ، وأطلق هذا الاسم على قريش ومن كان يتقيد بمنهجها الدينى من القبائل العربية ، ويذكر المؤرخون أن موجة من الأفكار الدينية ذات الطابع الحماسى ظهرت فى قريش قبيل ولادة النبى صلى الله عليه وسلم ففرضت على نفسها قيودا وتكاليف شاقة فى العبادة منها :

أنهم لا يأكلون الا الأقط ــ وهو ما يتخذ من مخيض الغنم ــ ولا يطبخون بالسمن ولا يأكلون لحما ولا يضربون بيتا من الشعر أو الجلد اذا أهلوا بحج أو عمرة ، ولا يعظمون شيئا من الحل كما يعظمون الحرم ، فلا يقفون بعرفات .

ومنها أنهم حرموا على الوافدين من أهل الحل على البيت الحرام أن يأكلوا ما حملوه معهم من الطعام عند البيت ، ومنعوهم من أن يطوفوا بالثياب التى قدموا بها فان لم يجد الوافد غيرها طاف بالبيت عريانا فان تحرج منهم أحد فطاف بثيابه ألقاها اذا فرغ من طوافه ولم ينتفع بهـــا ، وكانت العرب تسمى هذه الثياب لقى .

يقول ابن هشام فى كتابه السيرة النبوية : (فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم) فأنزل عليه حين أحكم له دينه ، وشرع له سنن حجه (ثم أفيضـــــوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) يعنى قريشا والناس : العرب ، فرفعهم فى سنة الحج الى عرفات والوقوف عليها والافاضة منها .

وأنزل الله عليه فيما حرموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت حين طافوا عراة أو حرموا ما جاء به من الحل من الطعام : (يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعبـــــاده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) فوضع الله تعالى أمر الحمس ، وما كانت قريش ابتدعت منه على الناس بالاسلام حين بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم .

أعداء الرسل

الحياة فى الجزيرة العربية لم تزدهر الا من فترة قصـــــيرة ، أما قبل ذلك فقد كانت قفرا والمعيشة فيها قاسية لا يتحملها الا العرب سكانها الأصليون . فما الذى حمل اليهود فى الجاهلية وهم غرباء عنها ــ على أن يتطلعوا اليها ، ويحطوا رحالهم فى المدينة ويتجمعوا حولها ؟

فوزان الأشهل ــ الطائف

✶ ... ✶ ... ✶

بشرت التوراة بمبعث نبى عربى ، وكشفت عن صفاته وزمانه ، وعرف ذلك أحبـــار اليهود وشاع بين عامتهم ، ولما أفسدوا فى الأرض وسلط الله عليهم عبادا أولى بأس شديد مزقوهم كل ممزق . تطلعت نفوس اليهود الى السبق لاستقبال هذا النبى والاستظلال بعدله ، ففروا الى الجزيرة ، وتجمعوا فى يثرب وحولها انتظارا لهذا النبى ، وحين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا الناس الى عبادة الله ، أصم بنو اسرائيل آذانهم وأعرضـــــوا عنه وكفروا به بغيا وحسدا .

فاليهود أبدا طلاب منفعة وأصحاب مغنم ، ومن طبيعتهم أنهم يحبون دائما أن يستأثروا بكل صيد وربح ، فهجرتهم الى الجزيرة كانت سعيا وراء هذا القصد ، فلما ظهر النبى المنتظر ، ولم يحقق لهم هذه المنفعة التى حرصوا عليها نفروا منه وكذبوه ، ووقفوا هذا الموقف العنيد ، فأمر الله رسوله والمؤمنين أن يجلوهم عن ديارهم ويطهروا دار الاسلام منهم .



متى نختلف

تحت هذا العنوان كتبت (أخبار اليوم) تقول :

اليوم ، ليس هناك يسار عربى ..

ولا يمين عربى ..

فقط ، هناك عرب .. وهناك اسرائيليون ..

واليوم ، ليس هناك شكل لدولة فلسطين جديدة ... ولا شكل لدولة قائمة ...

فقط ، هناك أرض عربية .. وأرض اسرائيلية ..

واليوم ، ليس هناك حل عسكرى .. ولا حل سياسى ..

فقط ، هناك نصر .. وهزيمة ..

أقول هذا الكلام لأن بعض الصحف والدوائر العربية لا تزال تنساق وراء مناقشات حول اليسار العربى واليمين العربى ، ولا تزال تفتح أبواب التصور لأشكال دولة فلسطينية جديدة ، ولا تزال تفرق بين من تسميهم متطرفين ، ومن تسميهم معتدلين .. و .. و .. وكل هذه مجالات للنقاش تنتهى بخلاف فى الآراء وقد ينتهى الخلاف فى الرأى الى خلاف فى المواقف والتصرفات وقد ترتفع هذه الخلافات الى أن تصل الى قوى شعبية تتولى مسئوليات كبيرة فى مواجهة العدو .

وهذا خطر .. خطر كبير تحملنا نتائجه من قبل أن تقوم اسرائيل ومن بعد أن قامت اسرائيل .. وهو خطر أكبر اذا تعرضنا له فى المرحلة التى نمر بها .. مرحلة رد الهزيمة .. والمرحلة التى نمر بها تحدد واقعا تحمل مسئوليته كل الاتجاهات المذهبية والفكرية والاجتماعية ، هذا الواقع هو :

● أرض عربية محتلة .. وشعب عربى بعيد عن أرضه .. والهدف الوحيد الذى يحدده هذا الواقع هو :

● تحرير الأرض المحتلة .. اعادة الشعب العربى الى أرضه ..

فاذا كان هذا هو الهدف الوحيد فلا يمكن أن يكون هناك تعارض حوله بين رأى ورأى ولا حتى تعارض بين وسائل تحقيق هذا الهدف .. ولا تعارض بين اليسار واليمين ، ولا تعارض بين الذين يعملون فى ميدان الحرب ، والذين يعملون فى ميدان السياسة ، ولا تعارض بين الذين يحاولون اقناع الولايات المتحدة ، والذين يؤمنون بصداقة الاتحاد السوفيتى .. والمعارك العنيفة التى تقع كل يوم وندمر خلالها قوات العدو ، لا تتعارض مع الجهد الكبير الذى يبذل فى الاتصالات الدبلوماسية خلال اجتماعات الدول الأربع الكبرى .. الهدف واحد محدد ..

والمشكلة ليست مشكلة رأى أو اتجاه ، أو نظام حكم ، أو طبقة .. انها مشكلة أرض .. الأرض هى الهدف ..

ومن لا يتحرك معنا فى نفس الهدف ليس منا .. وبعدها .. بعد استعادة الأرض .. نتكلم ونتناقش ، ونختلف .. وننقسم ..

من أسلحة الصهيونية :
مدرسة الخادمات الفاتنات !

وجاء فى جريدة (أخبار الكويت) تحت هذا العنوان :

انشئت فى تل أبيب مدرسة جديدة اطلقوا عليها اسم (مدرسة الرعاية المنزلية) .. وهذه المدرسة مقصورة على الفتيات اللواتى يردن أن يعملن خادمات فى المنازل .

وتشترط هذه المدرسة فى التلميذة أن تكون جميلة وجذابة وممشوقة القوام .

وقد زار هذه المدرسة بعض مندوبى الصحف الامريكية وتحدثوا الى تلميذاتها وبعض المدرسين والمدرسات .. وعجز أحد هؤلاء الصحفيين عن كبت غريزة حب الاستطلاع التى تسيطر على كل من يعمل فى مهنة البحث عن المتاعب .. فاذا به يكتشف أن التلميذات بعد تخرجهن لن يعملن فى اسرائيل .. بل ستصدرهن اسرائيل الى الخارج ليعملن فى بيوت السياسيين ورجال الاقتصاد وغيرهم ممن يهم اسرائيل أن تتجسس عليهم .. اذ المعروف أن أقرب النـــاس معرفة الى أسرار البيوت هم الخدم ...

الشقيقة المسلمة
والجارة العزيزة

وتحت هذا العنوان كتبت مجلة (الهدف) الكويتية تقول :
ماذا تعمل الشقيقة المسلمة .. والجارة العزيزة اليوم ؟!
نقول ماذا تعمل ؟
وما أهدافها من وراء كل ذلك ؟!
استعراض للعضلات العسكرية فى مياه شط العرب !
والمدافع على الحدود تنتظر الاشارة .
والمستشفيات أخليت وأصبحت تترقب الأفواج القادمة !
ما هذا كله .. وماذا وراءه ؟
أيمكن أن يحدث هذا من شقيقة مسلمة ضد شقيقة مسلمة أخرى ؟
أيمكن أن يجرى ذلك والمسجد الأقصى يئن تحت وطأة الاسرائيليين ؟
لقد كنا ننتظر من الشقيقة المسلمة أن توقف تدفق نفطها الى اسرائيل ..
لقد كان الأمل أن تمنع الجارة العزيزة طيران العـــدو من الهبوط بأراضيها والاســـتمتاع بأجوائها .
لقد كانت الثقة كبيرة بألا يرتفع علم اسرائيل وسط دولة تربطها بالعـــرب أقوى الروابط وأمتنها .

هكذا كانت ثقتنا وآمالنا .. ولم نكن أبدا .. ننتظر من الشقيقة المسلمة أن ترفع السلاح فى وجه شقيقة لها فى وقت تقف فيه جيوشها على خط النار ترقب العدو وتنتظر الاشارة لسحقه .
لم نكن ننتظر أن يحدث ذلك ضد العراق بحجة اتفاقية منذ اثنين وثلاثين عاما ؟
أين كانت الشقيقة المسلمة منذ عام .. بل منذ عشرين عام ؟
واذا كان صمتها استمر طويلا — ان كانت هناك ثمة مخالفات — فما الذى جعل هذا الصمت يتفجر عن أشياء وأشياء فى أحلك أيام الأمة العربية ؟
مجرد تساؤلات لا أكثر نوجهها للشقيقة المسلمة والجارة العزيزة .. ولن نقول أكثر من ذلك ..
و .. ما أصعب الصمت حينما يجب أن يكون الصراخ ..



إعداد الاستاذ : عبد المعطي بيومي

الكويت : تبرع سمو أمير البلاد المعظم بمبلغ مائة ألف دينار من ماله الخاص لصالح أسر الفدائيين الذين استشهدوا .

● افتتح سمو ولى العهد ورئيس الوزراء البنك العربى الفرنسى أثناء زيارته لفرنسا فى الشهر الماضى كتقدير عملى لموقف الرئيس ديجول من القضية العربية ورد على الحملات الصهيونية ضد الرئيس الفرنسى .

● قام الشيخ سعد العبد الله الصباح وزير الداخلية والدفاع بزيارة للعراق والقاهرة بدعوة منهما .

● قام رئيس وزراء جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ووزير خارجيتها بزيارة البلاد ، كما قام رئيس وزراء جمهورية اليمن بزيارة للكويت .

● تلقت الجهات المختصة دعوة للاشتراك فى مؤتمر السلام العالمى المزمع عقده فى بانكوك — عاصمة تايلاند فى أول سبتمبر القادم .

● عاد وفد الكويت للمؤتمر الاسلامى فى ماليزيا برياسة الشيخ عبد الرحمن الفارس وقد ألقى فى المؤتمر بحثا عن الزكاة وجواز صرفها للفدائيين أخذ به المؤتمر فى وصاياه .

● وافق مجلس الامة على تقديم مبلغ ٥٥٠٠٠ دينار [illegible] كمعونة الى ثمانى هيئات اسلامية بالخارج .

القاهرة : بعث الرئيس عبد الناصر برسالة الى المؤتمر الاسلامى الذى انعقد فى ماليزيا ضمنها تمنياته الطيبة للمؤتمر وأهاب ببحث [illegible] الفعالة لطرد اسرائيل من القدس . وقد رأس الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف وفد الجمهورية العربية الى المؤتمر ، وكان الوفد مؤلفا من مفتى الجمهورية وثلاثة من الشخصيات العلمية الاسلامية . وقد زار الوزير الفلبين بعد انتهاء المؤتمر .

● أبلغ يوثانت مجلس الأمن أن قرار وقف اطلاق النار الذى اتخذه المجلس بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ قد انهار وان حالة من الحرب الفعلية تسود المنطقة بعد المعارك اليومية المستمرة التى دمرت فيها القوات المصرية تحصينات العدو .

● دعا أسقف برلين الغربية مدير جامعة الأزهر لزيارة المانيا والقاء عدد من المحاضرات عن الاسلام وعلاقته بالأديان الأخرى .

● أعلنت الجمهورية أن كل اقتراح لحل قضية فلسطين وازالة آثار العدوان والمرور فى القناة مرتبط بتسوية مشكلة اللاجئين وتخييرهم بين العودة والتعويض . وأن قرار وقف اطلاق النار قرار مرتبط بقرار مجلس الأمن القاضى بالانسحاب .

السعودية : قام الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران بزيارة الجمهورية العربية المتحدة بدعوة من الفريق محمد فوزى وزير الدفاع وقد زار الأمير سلطان الخط الأمامى للجبهة المصرية وكثيرا من المنشآت العسكرية وصرح بأن العرب مصممون على استعادة الأراضى التى احتلتها اسرائيل فى يونيو ١٩٦٧ .

● يعقد وزير المعارف السعودى ندوات تربوية مسلسلة مع رجال التعليم والتربية فى مختلف المناطق وقد أكد معاليه فى منطقة الطائف أهمية القراءة والاطلاع لتنمية الثقافة العامة .

● وقعت الحكومة السعودية مع الكويت اتفاقا يقضى بتقوية الاتصال بين البلدين عن طريق الاتصالات اللاسلكية بين البلدين .

البحرين : شاركت الدول العربية البحرين فى احتفالها بمرور نصف قرن على انشاء أول مدرسة فيها.

العراق وايران : حشدت ايران جيشها على الشاطىء الشرقى لشط العرب بعد أن ألغت الاتفاقية المعقودة بينها وبين العراق سنة ٣٧ الخاصة بتنظيم الملاحة فيه ، وقد رفضت العراق الاعتراف بالغاء الاتفاقية وتمسكت بضبط النفس . وأعلن الفريق مهدى عماش أن العراق لن تقف أمام ايران ولو احتلت البصرة حتى لا تسحب جيشها المرابط على حدود اسرائيل .

(والوعى الاسلامى) ترجو أن تزول هذه الأزمة سريعا تقديرا للروح الاسلامية ولموقف الجيوش العربية ضد اسرائيل . وتتمنى أن يتجه هذا الحشد الايرانى لانقاذ القدس .

● عقد فى بغداد مؤتمر الأدباء العرب وافتتحه رئيس الجمهورية واشترك فيه أدباء الدول العربية وبعض المستشرقين .

الأردن : عاد الملك حسين الى عمان بعد جولة فى العواصم الشرقية والغربية .

● وجهت اسرائيل أعنف هجوم جوى بـ (٤٠) طائرة على الأردن ومواقع الرادار المصرية وأماكن الفدائيين وقد أسقطت ثلاث طائرات للعدو .

● نشرت وزارة الانشاء والتعمير تقريرا تفصيليا عن النازحين وأسباب نزوحهم تبين منه أن اسرائيل قامت بتشريد ثلاثة أرباع مليون عربى بسبب هدم القرى والبيوت واقتحامها ليلا وفرض الضرائب الباهظة . وقد أعلنت « فتح » ان اسرائيل هدمت للآن ٤٥٤٧ منزلا ..

● اجتمع رئيس الوزراء بالسيد / ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية . ولم يذع شىء عما دار بينهما .

سوريا : صدر قانون جديد لاقامة الأجانب فى سوريا وقد منح القانون امتيازات خاصة لمواطنى الدول العربية كما أعفى الفلسطينيين من تأشيرات الدخول والخروج وقد صدر القانون الجديد تنشيطا للسياحة . وقد انتهت الجفوة التى كانت بين سوريا والسعودية .

لبنان : أمسك الجيش بزمام الأمر فى لبنان بعد أن قامت مظاهرات عنيفة فى بيروت ومدن الجنوب سقط فيها نحو (١٥) قتيلا وكثيرا من الجرحى من قوات الأمن والشعب . وكانت المظاهرات تؤيد العمل الفدائى وقد فرض حظر التجول فى كثير من المدن واستقالت وزارة السيد رشيد كرامى ..

تونس : قطع شاه ايران زيارته لتونس وعاد لبلاده نظرا لالغائها الاتفاقية المعقودة بينها وبين العراق منذ سنة ٣٧ .

ليبيا : شكلت فى ليبيا كتائب عربية فدائية وقد أعلن السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية أن المنظمة مستعدة لقبول المتطوعين من البلاد العربية .

● تتابع اللجنة الاسلامية الليبية نشاطها فى جمع التبرعات لمساعدة الطلاب الفلسطينيين الذين يتلقون العلم فى الخارج .

المغرب : سيقوم جلالة الملك الحسن الثانى بزيارة الجزائر فى أغسطس القادم وقد عقد فى الشهر الماضى اتفاق للتعاون التجارى والثقافى بين الجزائر والمغرب .

الجزائر : أعلنت كل من الجزائر وتركيا أن البلدين سيجريان مفاوضات لعقد اتفاق للتعاون البعيد المدى فى كل الحقول التجارية والعلمية والفنية .

باكستان : أعلن الرئيس يحيى خان أنه سيتبع سياسة خارجية حسب الأسس التى وضعت خلال حكم الرئيس أيوب خان كما صرح بأن باكستان ترغب فى البعد عن خلافات الدول الكبرى .

ماليزيا : عقد فى الشهر الماضى المؤتمر الاسلامى الذى حضره ممثلون عن ٢٣ دولة اسلامية وقد بحث المؤتمر وضع مدينة القدس ووسائل استرجاعها كما بحث بعض مشاكل العالم الاسلامى الاخرى.

نيجيريا : احتلت قوات نيجيريا الاتحادية مدينة أوماهيا آخر مدن الاقليم المنشق بيافرا وقد ذكر الرئيس النيجيرى أن الحرب الاهلية بعد سقوط أوماهيا باتت على وشك الانتهاء .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص ب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء
الرياض : مكتبة المدينة ـ ص ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح
الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص ب ٢٢
جدة : الدار السعودية للنشر ـ ص . ب ٢٠٤٣
بغداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد
المكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحدودة
دبى : ساحل عمان ـ ص ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى
دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص ب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : مكتبة بحرى ص.ب ٥

مراكش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى
ليبيا : طرابلس الغرب ص ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



شخصيات فى سطور :

ابنُ الفارضْ

(٥٧٦ — ٦٣٢ هـ) (١١٨١ — ١٢٣٤ م)

* هو أبو حفص — وأبو القاسم — عمر بن أبى الحسن على بن المرشد ابن على المعروف بابن الفارض ، ينعت أحيانا بشرف الدين ، وسلطان العاشقين لقوله :

ومثك معالى العشق ملكى وجندى الـ
معانى ، وكل العاشقين رعيتى

ولد بالقاهرة فى الرابع من ذى القعدة سنة ٥٧٦ الموافق ٢٢ مارس سنة ١١٨١ م .

* ذكر المؤرخون فى سبب تلقيبه بابن الفارض ، أن أباه كانت صناعته — أو من بين صناعته — إثبات الفروض للنساء على الرجال بين يدى الحكام ، وأصل آبائه من حماة بالشام . وينتسبون إلى قبيلة بنى سعد التى منها حليمة السعدية التى أرضعت الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم .

* كان صوفيا ورعا زاهدا وشاعرا من زعماء شعراء المتصوفة .

* له ديوان شعر مطبوع ومشهور ومتداول ، ترجمت بعض قصائده إلى كثير من اللغات الأجنبية ، ومنه التائية الكبرى التى أولها :

سقتنى حميا الحب راحة مقلتى
وكأسى محيا من عن الحسن جلّت

وتسمى هذه القصيدة « نظم السلوك » وهى تقارب ثمانمائة بيت على وزن واحد وقافية واحدة ، وهى قدرة لغوية وأدبية فائقة . ومنه أيضا مطولته اليائية المشهورة التى أولها :

سائق الأظعان يطوى البيد طى
منعما عرج على كثبان طى

ومنها :

لم يرق لى منزل بعد النقا
لا ولا مستحسن من بعد مى

ومن أشهر خمرياته الصوفية قوله :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة
سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

* وتوفى ابن الفارض فى الثانى من جمادى الأولى سنة ٦٣٢ هـ الموافق ٢٣ من يناير سنة ١٢٣٤ م بالقاهرة ، ودفن بسفح المقطم . رحمه الله تعالى ..

العوضى الوكيل



السنة الخامسة ـ العدد ٥٢ ـ غرة ربيع الثاني ١٣٨٩ هـ ـ ١٥ يونيو « حزيران » ١٩٦٩ م

اقرأ فى هذا العدد

مسجد أبى أيوب الأنصارى

استضاف أبو أيوب الرسول فى بيته عند الهجرة واستضافت جثمانه أرض استامبول حيث استشهد وهو فى جيش يزيد بن معـــــاوية يحاصر القسطنطينية .

بنى هذا المســجد سنة ١٤٥٨ م بعد فتح القسطنطينية واكتشاف رفاة الصحابى الشـــــهيد ، وهو آية فى الفخـــامة والجمـــال ، كان يتوجه الســـلاطين اليه بعد توليتهم ليقلدوا السيف ، وتقام الصلاة .

صورة الغلاف



الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIUL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة الخامسة

العدد الثانى والخمسون

غرة ربيـــع الثـــانى ١٣٨٩ م

١٥ يونيو « حزيران » ١٩٦٩ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاســـلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســـياسية

الثمن

الـــــــكويت	٥٠ فلسـا
الســـــعودية	١ ريــال
العـــــــراق	٧٥ فلسـا
الاردن	٥٠ فلسـا
ليـــــــــيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجــــــزائر	فرنك وربـع
المغـــــرب	درهم وربـع
الخليج العـــربى	١ روبيـة
اليمن وعـــــدن	٧٥ فلسـا
لبنــان وسوريا	٥٠ قرشـا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الــكويت ١ دينـــار

فى الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)

(أما الافراد فيشتركون رأسا)

مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراســلات

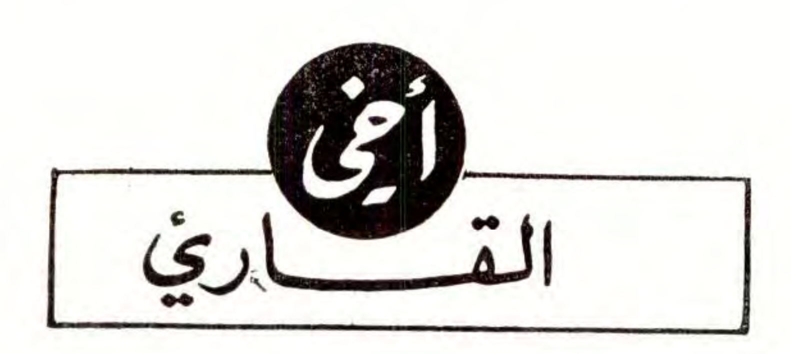
مدير إدارة الدعوة والارشاد

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت

بسم الله الرحمن الرحيم





ان الأمم دائما فى حاجة الى استقرار نفسى داخلى حتى تواصل سيرها ، وتبنى نهضتها ، وتواجه أعداءها المتربصين بها .. وتكون فى حاجة أشد الى هذا الاستقرار ، والى تعبئة كل القوى فيها حين تمر بأخطر أدوارها الفاصلة فى حياتها ..

هذه حقيقة واضحة لا يختلف عليها اثنان ..

ومن الحقائق الواضحة أيضا أننا نحن العرب نمر الآن بأخطر مرحلة فى تاريخنا .. فلا زالت جراحاتنا تنزف مما أصابنا ، ولا زال عدونا الذى أصابنا بهذه الجراح رابضا فوق صدورنا ، يضيف الى جراحاتنا السابقة جراحا جديدة فى كل يوم .. هذا فى الوقت الذى نعرف فيه أن هناك دولا أخرى كبيرة ، تتربص بنا وبديننا ، وتسعى سعيها الدائب لتفتيت قوانا ، واصابتنا بالترنح ، حتى تضمن ولاءنا لها ، وسيرنا فى ركابها ، وتحقيق مصالحها ...

ولقد كان المنطق الطبيعى المبنى على هذه الحقائق ، يقتضينا أن نتصرف تصرف الحكماء ، الذين عرفوا الداء ووضح أمامهم السبيل الى الدواء .. فنعمل بكل قوانا ، وبكافة الوسائل المتاحة لنا ، لتعبئة كل امكانياتنا ، وتوحيد كل جهودنا ، لنجابه العدو الرابض على صدورنا ، والأعداء الآخرين المتربصين بنا .. فنعمل أول ما نعمل على توفير الحقيقة الأولى ، وهى الاستقرار النفسى ، والاطمئنان الداخلى للأمة ، وذلك بتأمينها على عقيدتها ، ونفسها وشرفها ، ووسائل معيشتها ، حتى لا تشغل عن عدوها الخارجى بالخوف على أمر من هذه الامور ، فتنطلق كالقذيفة الى تحقيق أهدافها .

وهذا أمر مسلم به ، وهو الذى كثر التعبير عنه الآن بسلامة الجبهة الداخلية .. ولا أعنى سلامة هذه الجبهة فى دولة من دولنا العربية دون الاخرى ، ولكنى أعنى سلامة الجبهة الداخلية فى الامة العربية كلها ، حيث وضعها القدر وجا لوجه أمام عدو غادر ، يستعمل كل الاساليب فى قهرها ودحرها .

أعنى بذلك أن كل الزعماء والكتاب ، والمتحدثين ، والموجهين ، بل وكل فرد فينا ، يجب أن ينظر الى سلامة الجبهة الداخلية ، نظرته الى سمو الهدف أمام الأمة العربية كلها . . ويكون اخلاصنا وحرصنا على تحقيق هذا الهدف ، مقيسـا بمقياس العمل الذى نقدمه من أجل سلامة هذه الجبهة ، وصيانتها ، وتحصينها ضد عوامل التفكك .

. . واذا كانت سلامة الجبهة الداخلية تقتضى توفير عدة عوامل ، فان من المعلوم بداهة ان أقوى هذه العوامل وأولاها فى نفس الأمة ، هو اطمئنانها على دينها وعقيدتها ، بل وتقوية هذه العقيدة فيها ، باعتبارها الركيزة الأولى لغيرها من العوامل ، اذ ليس من الطبيعى ، ولا من المعقول ، أن تستجيب الأمة لداع يدعوها الى البذل والتضحية ، فى الوقت الذى ترى فيه أصواتا ترتفـع ، أو اجراءات تتخذ للنيل من دينها وعقيدتها . .

ومن هنا أستطيع أن أقول : ان الذين يشرعون ألسنتهم وأقلامهـم ، أو يستغلون الفرص ، ولا سيما فى الوقت الحاضر ، لايذاء الأمة فى شعورها الدينى والنيل من عقيدتها ، انما يشغلونها عن عدوها ، ويمهدون بقولهم أو عملهم لبقائها طويلا فى قيود الذل ، وتمكين أعدائها منها . . وهم من حيث يدرون أو لا يدرون — أنصار حقيقيون لأعداء هذه الأمة ، وان بدوا فى ثياب المواطنين المسـلمين الشرفاء ، ولا أريد أن أقول : انهم خارجون على دينهم ، لأن الناس لم يعودوا — مع الأسف — يعيرون مثل هذا الحكم التفاتا ، ولأننى أريد مخاطبة الناس الآن باسم مصلحتهم الدنيوية التى دأبوا على الحرص عليها ، وتفضيلها على غيرها .

ان هؤلاء الذين ينتسبون للأمة العربية وللاسلام ، وينتهزون فرصة الكرب الذى تعانيه أمتهم ، والذى خلف فى نفوسها هزة ، وبلبلة فكرية ، فيرسـمون لها طرقا للخروج من هذه الورطة ، بالخروج على دينها ، أو ينتهزون الفرص المتـاحة لهم ، فيسـلطون معاول الشك أو الهدم على عقيدتهـا وتعاليمهـا ظانين أن الثمـرة قد نضجت أمامهم ليأكلوها ، أو أن الأمـة صارت عجينـة فى يدهم ، ويستطيعون — كما يشاءون — أن يصوروها . أو أنها أصبحت شجرة بلا جذور ، وفى امكانهم أن يخلعوها !!

هؤلاء يعيشون فى أوهام خيلتها لهم آمالهم ، أو حملهم عليها غرورهم ، أو زينها لهم سلطانهم !!

وهم بهذا يخلقون المعارك النفسية بينهم وبين أممهم ، ويباعدون بينها وبين الثقة بهم وبتوجيهاتهم ، ويحملونها حملا على التخـاذل عن محاربة أعدائها الخارجين لأنها ترى أن أعز شىء عليها — وهو دينها — معرض للخطر على يد

رجال من أبنائها . بصورة لم يعهدوها الا من أعدائهم وأعداء دينهم !! فكيف تتجاوب معهم . وتسارع الى تلبية ندائهم والثقة فى توجيهاتهم ؟!

ولهذا قلت مقررا لحقيقة لا نزاع فيها : ان الذين يشغلون الأمة الآن باثارة الأخطار على دينها ، انما هم أنصار حقيقيون لأعدائنا ، أو هم على الأقل موضع شك فى اخلاصهم لقضية هذه الأمة . . .

ولو أنهم كانوا مخلصين لها فعلا ، مخلصين لأهدافها وتحررها ، وخروجها من ورطتها ، لأمسكوا — ولو مؤقتا — عن كل ما يثير خوفها على دينها ، بل لعمدوا الى أمضى الاسلحة فى بعثها واحيائها وهو دينها . . فأحيوا روحه فى نفوسها ، واستغلوه فى تقوية ارادتها ، واحراز النصر على أعدائها . .

ولو أنهم كانوا حكماء عقلاء يتعظون بأحداث التاريخ ، لوفروا على انفسهم وعلى الأمة كل هذا الجهد وهذه المحاولات ، ولكان لهم عبرة وعظة فيما فعله مصطفى كمال أتاتورك بالشعب التركى المسلم ، حين صمم على أن يقضى على كل مظاهر الاسلام فى بلده ، واستعمل كل سلطاته لا مجرد توجيهاته ، ليمحو كل أثر للاسلام فى الدولة ، وظل يحكم هو وخليفته عشرات السنين ، حكما عنيفا قاسيا ضد الاسلام ، ومع ذلك لم يستطع القضاء على الروح الاسلامية فى الشعب التركى ، بل انتفض بعد هذه السنين الطويلة انتفاضته الاسلامية ، وربت الجذور الأصيلة فى الشعب المسلم العريق ، ورمى بالمارقين الخارجين بعيدا عن الحكم ، وأخذ يستعيد ما فاته ، ويسترد ما فقده ، ويعمر المساجد ، وينشىء الكليات والمدارس الدينية ، ويعين الوعاظ والمفتين فى جميع أنحاء البلاد — كما ترى فى ميان آخر من هذا العدد . .

ولعل من المناسب أن أضع أمامك هذا الخبر الذى نقلته وكالات الأنباء ، ونشرته صحف الكويت فى الخامس من مايو السابق تحت عنوان : « جنرال تركى ينقذ حياة زعيم المعارضة :

« أنقرة : تمكن جنرال — شهر مسدسه مهددا — من أنقاذ حياة السيد (عصمت اينونو) زعيم المعارضة التركى من يمينيين متعصبين دينيا (!!) عندما نشب قتال فى أحد المآتم داخل مسجد هنا (انقرة) وكان السيد عصمت اينونو يحضر مأتم السيد عمران أوكتم رئيس محكمة الاستئناف العليا ، وكان طلاب كلية الشرع فى جامعة أنقرة قد احتلوا المسجد ، وهددوا امام المسجد بالموت ، ان هو قام بالصلاة عن روح رئيس المحكمة ، ووقعت اشتباكات فى وقت لاحق حين وصل النعش الى ساحة المسجد ، وراح طلاب يرثون السيد أوكتم ويصفونه بالمصلح الكبير ، فهاجمهم طلاب يمينيون متطرفون . . » أ. هـ .

والمغزى الذى يحمله هذا الخبر ، هو اشتداد قوة الرأى العام الدينى ، الى حد وقوف الطلاب المتدينين من الشباب ضد الصلاة على رجل من أتباع مصطفى

كمال أتاتورك ، وشركائه فى الاعتداء على الاسلام ، باعتبار هذا الرجل خارجا على دينه لا تجوز الصلاة عليه ، بل وأكثر من هذا ، محاولة الشباب المسلم القضاء على « عصمت أينونو » خليفة مصطفى كمال ، لولا هذا الجنرال الذى شهر مسدسه فى وجه الشباب ..

الى هذا الحد بلغت قوة الرأى العام الاسلامى ، وفى وسط الشباب الذين كان يظن فيهم انهم من صنع مصطفى كمال وتربية عهده ..

وتقول : كيف هذا ؟

وأقول لك : هى الأصالة . أصالة الروح الاسلامية فى هذا الشعب المسلم العريق ، لم يستطع الحكم التعسفى طوال عشرات السنين أن ينزع هذه الروح .. وذهب مصطفى كمال وحكمه ، وذهبت جهوده التى شغل بها الشعب طول هذه المدة سدى .. وعاد الشعب العريق الى دينه ..

وليست هذه الروح وقفا على طلاب الكليات والمدارس الدينية هناك ، بل انها تعم الجيل الجديد كله ممن كان يظن أن تربية مصطفى كمال أثرت فيهم ، حتى أن الطلاب فى جامعة أنقرة عملوا على اقامة مسجد للصلاة فى كلية الهندسة ، كما حدثنى الكثيرون الذين زاروا أنقره واتصلوا بأساتذة جامعتها وطلابها ولمسوا هذه الروح فى الطلاب الذين قابلوهم ، وأكده لى نائب الشئون الدينية التركى حين زيارته للكويت من شهور .

تجربة قريبة منا زمنا ومكانا ، ان لم يكن بعضنا يعرفونها ، ويعرفون أمثالها من حوادث التاريخ ، ودراسة أحوال الامم فانى أسوقها اليهم ، كظاهرة يجب أن ينتفعوا بها ، ويريحوا أنفسهم ، ويريحوا الأمة من محاولاتهم ، ويحفظوا عليها قوتها وجهدها ، لتتفرغ لمنازلة عدوها ، ان كانوا حقا مخلصين لها !!

شىء آخر أحب أن أنبه اليه ، وهو شىء خطير ، عمل من قبل الهزيمة على تفكيك أوصال هذه الأمة ، وشغلها بنزاع داخلى فيها .. وكنا نحب أن يختفى هذا الشىء تماما بعد النكسة ، وبعد أن أصبح مصير الأمة العربية كلها أمام امتحان عسير : تكون أو لا تكون ..

ان بعض الكتاب الذين أعرف ويعرف غيرى اتجاهاتهم الخاصة لا يزالون يصرون على الضرب على نغمة اليسار واليمين ، والتقدمية والرجعية ، فى الأمة العربية ، ويقسمونها بذلك الى فئات متناحرة ، وينالون من هذه ، ويشيدون بتلك ، ويعلقون انتصار الأمة على فئة دون فئة !!

وما كان يجوز لهؤلاء الكتاب أن يهدروا كل اعتبار أمام أهوائهم ومذاهبهم

الخاصة التى يخدمونها باشاعة التفكك والتناحر بين طبقات الأمة ، غير مقدرين الظروف التى تمر بها ، ولا مبالين بالهدف العام لها ، ولا بعدوها الـــذى لا يميز فى عسفه وجوره بين يمين ويسار . .

هذه النغمة يجب أن تختفى تماما ، ويجب أن يحال بين هؤلاء الكتاب وبين الأمة ، حتى لا يظلوا معول هدم فى كيانها .

وكما يجب أن تختفى هذه النغمة من الصحف ، يجب أن تختفى كذلك من أجهزة الاعلام على اختلاف صورها ، فاننا فى وقت تعبئة عامة ، وكل من يشغلنا عن هذه التعبئة بأمور داخلية كهذه فرقتنا من قبل زمنا طويلا ، لا يمكن أن يصدق أحد انهم مخلصون لقضية أمتهم ، فضلا عن أن هذه النغمات قد أصبحت باليـــة مثيرة للاشمئزاز ! . ولن تجدى أصحابها نفعا . بل انها تشير باصبع الاتهام اليهم بأنهم يعملون حسب مخطط مرسوم ، للاجهاز على هذه الأمة ، ليصطادوا هم بعد ذلك فى الماء العكر !!

والا فكيف نجند طاقات الأمة العربية كما ينادى الرؤساء ، ويحتمه وضعنا الحاضر ، وبعض الكتاب لا هم لهم الا تفرقة صفوفها ، وتصنيفها يمينا ويسارا ، وتقدما ورجعية ؟ !

لقد فعلت فينا هذه النغمات فعلها ، حتى جعلت فئات من الأمة تتربص بفئات أخرى منها ، بل انها ولدت الشماتة عند البعض فى وقت لم يكن فيـــه للشماتة موضع . . لولا آثار هذه النغمة فى النفوس !!

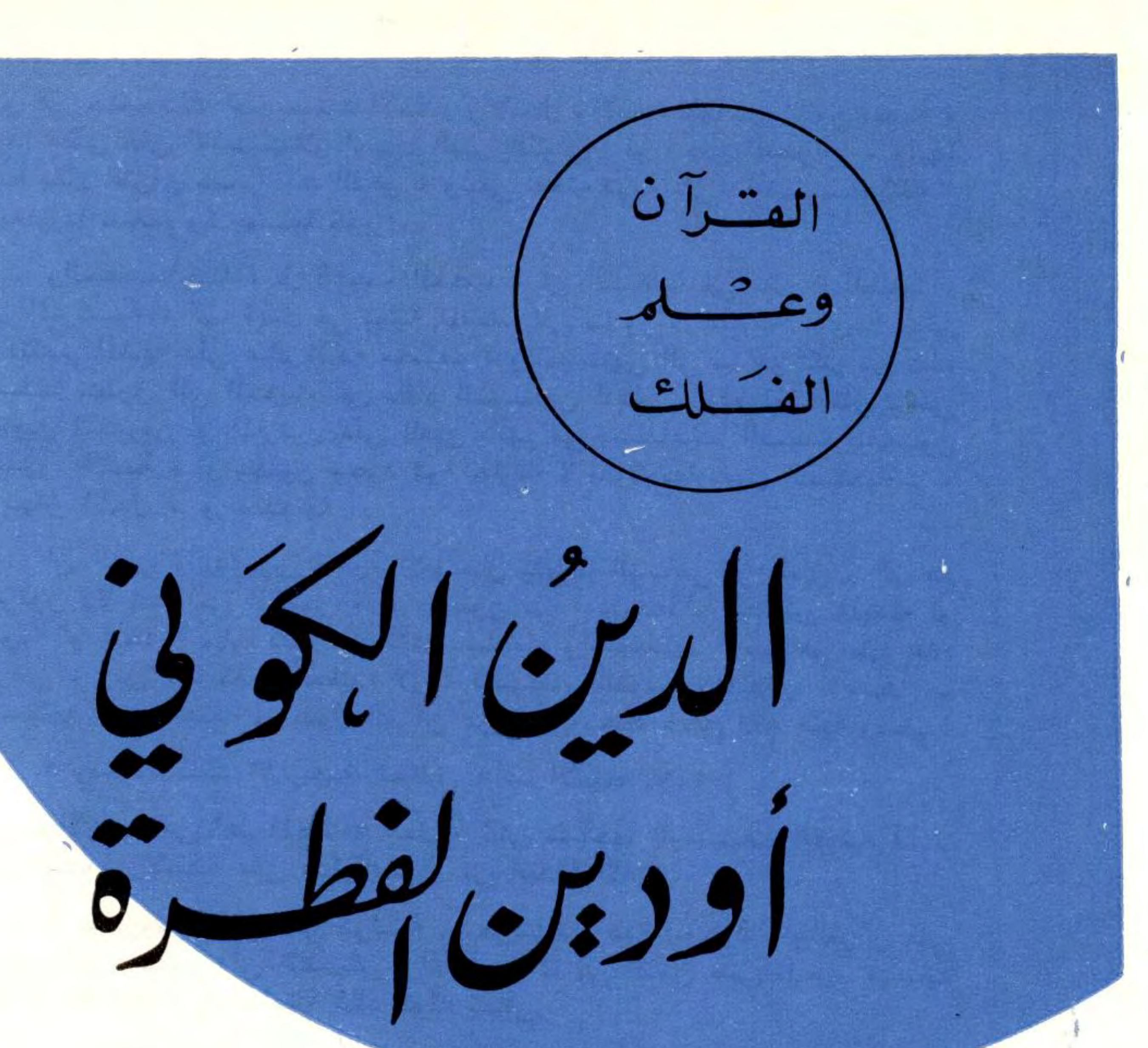
فكيف يسمح لها بالظهور فى أوساطنا الآن على يد الكتاب أو غيرهم ؟!

اننى أخاطب أولا ضمائر المسئولين عن مصير هذه الأمة فى هذه الفترة الحرجة التى تمر بهـــا . أخاطبهم باسم كل فرد من أفراد هـــذه الامة العربية المسلمة ، وأناشدهم أن يطمئنوها على دينها وألا يسمحوا بأى قول أو اجـــراء يشتم منه الانتقاص من أمر الدين أو عدم المبالاة به ، حتى تطمئن اليهم ، وتمضى الى النصر بقيادتهم تحت راية « الله أكبر » . . وهم الذين سيكسبون أخيرا مجد هذا النصر . . .

ان هناك أشياء كثيرة يتحدث بها الشعب المسلم فى كل مكان ، ومن الخطر تركها تفعل فى النفوس فعلها واذا كان من غير الممكن أن نتحدث عنها هنا فى صراحة ، فان فى الاشارة اليها مايغنى عن تفصيلها ، ولسنا نريد التشهير بأحد ، فان هذا ليس وقت التشهير ، ولكنا نريد فقط التنبيه الى بعض العوامل المخربة التى تفكك أوصال الامة ، راجين من ولاة أمورنا أن يتـــلافوها ، لتمضى الامة وراءهم صفا واحدا الى غايتها . . والله المستعان .

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة والارشاد



الدينُ الكوني أو دين الفطرة

للدكتور : محمد جمال الدين الفندي
رئيس قسم الفلك والارصاد الجوية بجامعة القاهرة

الذى يدرس المجتمع الاسـلامى الأول ، أو يدرس ما جاء به القرآن الكريم من آيات بينات فى شتى المجالات ، يجد أن الاسلام انما يخلق مجتمعا (كونيا) يساير النظام الكونى أو يتمشى مع الناموس الطبيعى ، سـواء من حيث ما فطر عليه الناس ، أو ما جبلت عليه الطبيعة .

والعجيب أن كل النظم أو المبـادىء التى ظهرت فى عصر العلم جعلت القاعدة الاقتصادية أساسا للمجتمع ، رغم أن هذه القـاعدة هى فى الواقع مجرد فرع من المبدأ العام الخاص بالعقيدة ، تلك التى تبدأ بالتحدث عن أصل الوجود ، وتتطور الى عرض تحليلى تاريخى للمجتمعـات ، ثم تنتهى بسرد الأحكام والمبادىء اللازمة لصلاح المجتمع .

وأروع الكتب التى توضح العقيدة على هذا النمط هو القرآن الكريم ،

وهو الى جانب ذلك انما يستمد الأحكام والأمثال والآيات كلها من الكون نفسه ، ولهذا نطلق على الاسـلام اسم (الدين الكونى) أو (دين الفطرة) ، ولهذا أيضا يظل القرآن معجزا أبد الدهر ، وتبقى حجته قوية الى ما شـاء الله ، لا يعتريها ضعف ولا يمسها خور ..

والعجيب أيضا ، بل أعجب العجب ، أن المـادية فى نظر أساطينها ، مثل الماركسية ، انما تصل فى نهاية المطاف الى ما وراء الطبيعة. أى لا يمكن أن تقتصر المادية على عالم المادة فحسب ، وانما تنتهى الى ما هو أكبر من ذلك عنـدما تتطرق الى الحديث عن نظام الـكون العام . ولطالما حدثنى بعض الماديين المكابرين أو المارقين على الدين بأنهم فى سـاعات الضعف يلتمسون العناية الالهية ، أو يتمنون وجود قوة خارقة لا يدركونها تعمل المستحيلات ، أو تحقق الآمال ، أو يناجونها .

ان الذين لا يذوقون حلاوة الايمـان يقتلهم اليـأس أو القلق ، أو هم يسرفون ولا شك فى الخمور ، أو يتفننون فى اسـتخدام العقاقير المهدئة أو المنومة أو المخدرة مهما بلغ استمتاعهم بالحياة واستغلالهم لوجودهم على هذه الأرض . ومن هنا كانت العقيدة لازمة لشـفاء النفوس والأبدان . ولهذا — ولأسباب أخرى عديدة — يقول القرآن عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم :

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » — الأنبياء (١٠٧) .

والآن ما هى أهم المجالات العلمية التى تعالجها الرسـالة الكونية ؟ .. يمكن تلخيص الاجابة على هذا السؤال فى النقاط الآتية :

١ — لزوم الحض على دراسة ما حولنا فى هذا الوجود : والقرآن غنى بالآيات التى تحض على التفـكير والدراسة لما فى الكون حتى نلمس عنـاية الخالق وقدرته ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى :

أ) «أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض» — سبأ (٩)

ب) « وفى الأرض آيـات للموقنين ، وفى أنفسـكم أفلا تبصرون » — الذاريات (٢٠) .

جـ) « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » — فصلت (٥٣) .

د) « ويتفكرون فى خلق السـماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك .. » — آل عمران (١٩١) .

٢ — مخاطبة العقل الناضج ، وتوجيه الحديث الى ذوى العلم والمعرفة : والقرآن الكريم انما يخاطب العقول السليمة ويوجه الحديث الى أهل العـلم والبصيرة ، ومن أمثلة ذلك قوله :

أ) « .. وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » — البقرة (١٦٤) .

ب) « قل سـيروا فى الأرض فانظـروا كيف بدأ الخـلق » — العنكبوت (٢٠) .

جـ) « ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون » — يونس (٥) .

٣ — الاعلاء من شأن العلم والعلماء : ولقد أشاد القرآن الكريم بالعلم والعلماء فى العديد من الآيات ، مثل قوله تعالى :

أ) «بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم» — العنكبوت (٤٩) .
ب) « انما يخشى الله من عباده العلماء » — فاطر (٢٨) .
جـ) « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » — الزمر (٩) .

٤ — تقسيم العلم الى فروعه الطبيعية : والقرآن يشير اشارة واضحة الى فروع العلم المختلفة فى كثير من الآيات ، مثل قوله تعالى :

أ) ان فى خلق السماوات والأرض لآيات للمؤمنين ، وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون ، واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون » — الجاثية (٣ — ٥) .

٥ — تمييز الانسان بالعلم الذى بواسطته صار سيد هذه الأرض . وفى هذا المعنى يقول القرآن الكريم :

« وعلم آدم الأسماء كلها .. » — البقرة (٣١) .

وتكون الاسماء للموجودات وصفاتها وخصائصها ، وهى بعض العلم الذى اختص به الخالق وأسبغ علينا قليلا منه .

ولقد قدرت الملائكة هذه الصفة التى ميز بها الخالق آدم ونسله من بعده . وبسلطان العلم ساد الانسان الارض ، ثم راح يغزو الفضاء على النحو الذى نراه اليوم ..

وبطبيعة الحال لا حدود لما حوى الكون من أسرار ، ونحن لا نقف منها الا مبلغ ما يقف الانسان الناظر من الشاطىء الى البحر الزاخر . ولهذا يأمل العالم دائما فى المزيد من العلم . وفى مثل هذه المعانى الرائعة يقول الكتاب :

أ) « .. وفوق كل ذى علم عليم » — يوسف (٧٦) .
ب) « .. وما أوتيتم من العلم الا قليلا » — الاسراء (٨٥) .
جـ) « وقل رب زدنى علما » — طه (١١٤) .

٦ — ضرورة الأخذ بالأسباب ، فلكل شىء سبب أو علة . ويعلمنا القرآن هذا المبدأ العلمى الهام ، وينبذ التواكل والتقاعد اذ يقول مثلا :

« إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سببا ، فأتبع سببا » — الكهف (٨٤ ، ٨٥) .

٧ — تقرير الحقائق العلمية . ويعطينا القرآن العديد من الحقائق العلمية كقضايا عامة ، وهو ككتاب الفكر المعاصر يحدثنا ويلفت أنظارنا الى ظواهر الطبيعة التى هى ملك الجميع ، ممثلة فى اجرام السماء ، والفضاء والهواء والماء والسحاب ، وظواهر الكون المألوفة . ومن أمثلة ذلك قوله تعالى :

أ) ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء »
ــ الانعام (١٢٥) .

ب) « وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » ــ الحجر (٢٢) .

جـ) « فلا أقسم بمواقع النجـــوم . وانه لقســم لو تعلمون عظيم » ــ الواقعة (٧٥) .

د) « الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا . . » ــ الروم (٤٨) .
هـ) ألم تر أن الله يزجى ســحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار » ــ النور (٤٣) .
و) « وجعلنا فى الارض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا ســبلا لعلهم يهتدون » ــ الأنبياء (٣١) .
ز) « وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء » ــ البقرة (٧٤) .

ولسنا بصدد شرح هذه الآيات الكريمة ، فقد سبق أن علقنا علميا على بعضها فى مجلة (الوعى الاسلامى) تحت عنوان القرآن وعلم الفلك ، ونحن نشكر الله تعالى ونحمده اذ يتيح لنا فرصة اظهار هذه الحقائق للعالم ، ونرجو أن تنقل الى اللغات الأجنبية حتى ينتفع بها الذين لا يفهمون العربية ولا يفهمون الاسلام الا كمجرد طقوس .

٨ ــ التفرقة بين الظن واليقين ، أو الجهل والعلم . وهذا المبدأ وحده هو الأساس الذى بنى عليه صرح العلم التجريبى والعلم النظرى فى هـــذا العصر ، وبه بلغت حضارة البشر ما بلغت من رقى وتقدم بسرعة لم يعهدها البشر من قبل .

ويأخذ القرآن الكريم بنفس المبدأ اذ يقول :

أ) « وما يتبع أكثرهم الا ظنا أن الظن لا يغنى من الحق شـــيئا » ــ يونس (٣٦) .
ب) « قل هل عنـــدكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن . . » ــ الانعام (١٤٨) .
جـ) « وما لهم به من علم أن يتبعون الا الظن » ــ النجم (٢٨) .

٩ ــ السخرية ممن يتوقعون الخوارق أو الخروج على قوانين الطبيعة ونواميسها . وفى هذا المجال جاء القرآن الكريم داعيا الى التمعن فى الكون لاستنباط قوانينه الثابتة التى لا تتغير . وان فى ثبوت الناموس خير دليل علمى قاطع على وجود الخالق جل شأنه ، ولهذا نجده يقول :

أ) « ولن تجد لسنة الله تبديلا » ــ الأحزاب (٦٢) .

ب) «وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السـماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى

فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » ــ الاسراء (٩٠ ــ ٩٣) .

وفى الآيات الأخيرة يسخر القرآن الكريم ممن يتطلبون الخروج على الناموس وخرق قوانين الطبيعة ، وهو عين ما نتوقعه من الرسالة الكونية .

والقرآن الى جانب هذا كله يجعل السعادة حتى فى الدار الآخرة رهينة العقل السليم والفكر الناضج المتفتح ، فيقول مثلا بلسان أهل النار :

« وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير » ــ الملك (١٠) .

وأول ما أقسم الخالق فى القرآن كان بالقلم الذى هو أداة العلم والتعليم ، فنجده يقول :

« ن والقلم وما يسطرون .. » ــ القلم (١) .

وأول ما نزل من الذكر الحكيم على الاطلاق كان طلبا للعلم والتعليم :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » ــ العلق (١ ــ ٥) .

والقرآن كذلك يستحث الناس على التفكير بالطريقة العلمية السليمة ، عندما يقول مثلا :

أ) « كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون » ــ البقرة (٢٤٢) .
ب) « كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون » ــ الروم (٢٨) .
جـ) « ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » ــ الرعد (٤١) .
ثم يقول : « ان هو الا ذكر للعالمين ، ولتعلمن نبأه بعد حين » ــ ص (٨٧ ــ ٨٨) .

بمعنى أن لا بد أن يعرف الناس صدق ما جاء به الكتاب بعد حين من الزمن . فهل يا ترى هذا الحين من الزمن اشارة فقط الى يوم القيامة كما يقول المفسرون ، أم أيضا الى ما سوف تؤكده مثلا العوالم الاخرى عندما يتم الاتصال بها ، فما من شك أن اتصال أهل الأرض بأى كوكب آخر مسكون سوف يعرض عقائد البشر لاختبار شديد يصهرها ويصفيها ، والبقاء للعقيدة السمحاء ، أو لدين الفطرة .

ومن أبسط الأمثلة التى نقدمها للقارىء كمادة علمية هذه المرة ، بعد الذى كتبناه عن (الغلاف الهوائى) فى المرة السابقة ، الرياح كما ورد ذكرها فى كتاب الله . فلقد قسم العلماء فى هذا العصر الرياح بدقة بعد دراسة مستفيضة الى أقسام مختلفة لفائدة الطيران والملاحة البحرية عموما ، ثم لفائدة الناس ، وجعلوا لتلك الأقسام أسماء اتفق عليها دوليا . ونحن نسوق هنا هذه الأسماء كما نقلت أو ترجمت الى العربية ، وكذلك وصف القرآن لتلك الرياح لترى وتلمس انه دين الفطرة كما يتبين من الجدول الآتى .

أما الآيات الكريمة فقد أوردنا جانبا منها فقط ، تاركين التعليق العلمى

عليها الى فرصة أخرى باذن الله تعالى . ولربما أفاد هذا الجدول فى فهم تلك الرياح كما يستعملها رجال الرصد الجوى وترجمتها الى ما تحدث من آثار .

بعض الآيات الكريمة

« ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره » ــ الشورى (٣٢) .

« حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف » ــ يونس (٢٢) .

« ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره » ــ الأنبياء (٨١) .

« أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا » ــ الاسراء (٦٨) .

« أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم . . » ــ الاسراء (٦٩) .

« وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية » ــ الحاقة (٦) .

« فأرسل عليهم ريحا صرصرا » ــ فصلت (١٦) .

« فأصابها اعصار فيه نار » ــ البقرة (٢٦٦) .

ومعنى صرصر شديد الصوت ، من الصرير وهو الصوت . وعاتية يعنى متجاوزة الحد . وقوله حاصبا يعنى ترمى بالحصباء وهى الحصا . والقصف الكسر كما نعلم . والاعصار (كما فى الشكل) رياح عاتية تنعكس من الارض الى السماء على هيئة مخروط عظيم .

ومن أنواع الأعاصير وألوانها الصغيرة « نافورة الماء » ، وقديما سماها العرب (التنين الطائر) ، وهى تشاهد أحيانا فى شرق البحر المتوسط خلال موسم الشتاء عندما تعم العواصف الممطرة الباردة ، وتثار السحب الركامية العاصفة . ولقد ذكر بعضهم أن السماء قد تمطر سمكا ، وهو ليس بالخيال لأن نافورة الماء قد تسحب ماء البحر وما فيه من سمك صغير وترفعه الى قواعد السحب ، وعندما تهدأ العاصفة يتساقط السمك مع المطر . وعموما تبدو نافورة الماء على هيئة قمع قطره نحو ٥٠ مترا وارتفاعه نحو ٣٠٠ متر يتدلى من السحب الركامية الى سطح البحر ، متنقلا هنا وهناك حتى يضمحل .

وجدير بالذكر أن الاعصار ، وهو حقيقة كونية ، ورد ذكره فى القرآن كما رأينا ، أما التنين الطائر وهو خرافة آمن بها الأقدمون ، فقد نبذها القرآن ولم يذكرها لأنها ليست من حقائق الوجود . فهل كان محمد صلى الله عليه وسلم يعرف هذه الأسرار كلها ؟ الحقيقة أنه كلام الله ، أو الرسالة الكونية التى يقول عنها صاحبها :

« لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله » ــ الحشر (٢١) .

والله أعلم . .

جدول بالرياح وأسمائها وآثارها

المقياس	الاسم الحديث	الاسم أو الصفة فى القرآن	التأثير على الاجسام	متوسط السرعة ميل فى الساعة
صفر	ساكنة	ساكنة	يتصاعد الدخان رأسيا	أقل من ١
١	نسيم خفيف	طيبة	يتعين اتجـــاه الريح بحركة الدخان	١ — ٣
٢	ريـــاح خفيفة	طيبة	يشعر المرء بحركة الرياح على وجهه	٤ — ٧
٣	ريـــاح لطيفة	طيبة	تنشر الرياح الاعلام الصغيرة	٨ — ١٢
٤	ريـــاح معتدلة	طيبة	ترفرف الاعلام	١٣ — ١٨
٥	ريـــاح نشطه	طيبة	تهتز الشجيرات	١٩ — ٢٤
٦	شديدة	شديدة	يسمع صفير أسلاك البرق	٢٥ — ٣١
٧	عاصـــفة غير مكتملة	عاصف	يصعب السير ضد الرياح	٣٢ — ٣٨
٨	عاصفة	حاصبا	تثير الرمال والحصى وتعوق الحركة	٣٩ — ٤٦
٩	عاصـــفة شـــديدة	صرصر	شديدة العصف تكسر المداخن	٤٧ — ٥٤
١٠	زوبعة	قاصف	تقصف أو تكسر ما يعترضها	٥٥ — ٦٣
١١	زوبعة هوجاء	عاتية	تتلف مساحات برمتها	٦٤ — ٧٢
١٢	اعصار	اعصار	كاسحة يندر وجودها على غير البحار	أكثر من ٧٢

من هدي السنة

البدعة في الدين

للشيخ : علي عبد المنعم عبد الحميد
المســتشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية

عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : [من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد] رواه البخارى . وفى روايـــة الامام مسلم : [من عمل عمـــلا ليس عليه أمرنا فهو رد] .

١ ــ مفردات هذا الحـــديث الشريف تفقه لغويا هكذا : أحدث] أتى بشىء لم يكن موجودا ، والمراد هنا : جاء بمـــا لا ينتمى الى قول أو فعل أو اقرار صادر عن رسول الله صلى الله عليه وســـلم [فى أمرنا] الأمر هو الشأن والحال غالبا والمراد منـــه فى الحديث : الـــدين والشرع والتوجيـــه الذى تتضـــمنه تعاليـــم الاسلام [ما ليس منه] أى منافيا له غير مســـتند الى دليـــل شرعى ، ومناقضا لما اســـتقر عليه العمـــل باليقين فى عهد سيدنا رسول اللـــه تناقضا لا يمكنه من الانضواء تحت أية مجموعة من ارشاداته عليه الصلاة والســـلام ولو مجازا أو كنـــاية من قريب أو بعيد [فهو رد] أى مردود غير مقبول ، وباطل غيـــر معتد به حيث لا وجه لاقراره من كتـــاب أو سنة أو اجماع أو قياس . .

وقد تعرض السلف الصالح لهذا الكلـــم الطيب وأوســـعوه شرحـــا وتفصيلا ، لأن لهذا الحديث الشريف أثره الفعال فى حياة المسلمين وعلى فهمه فهما كاملا وادراك مرماه ادراكا عميقا ــ مع عـــدم الخـــروج عن مقاييس الاسلام الصحيحة ــ يتوقف كثير من تطور المسلمين فى حياتهـــم العامة والخاصة ، وكان مما ورد فيه عن السلف : أن كل ما يجد فى أمور الاسلام بعيدا عن أعمال الرســـول وأقوالـــــه وتقريراتـــه فهـــو بدعة قد تـــــكون حســـنة وقد تـــــكون سيئة ، وتطرف البعض تطرفا عجيبا فى فهم الحديث فرأوا أنه لا بد من أن نلبس كما كان يلبس رسول الله ، ونأكل ما كان يطعم ، ونمتطى الدابة التى امتطى أمثالها ونبنى بيوتنا على غرار ما كان يسكن . . الخ ما هنالك من مقومات ومثبطات ، وكان هذا نوعا من الفهوم التى ظلم بها حديث رسول الله ظلما لا يقره عقـــل ولا يستند الى دليل ، ويتعلـــق بالمظهر أكثر مما هو والج فى الجوهر . . وترتب على هذا انطواء مجموعة من المسلمين على أنفسهم وتخليهم عن

المراكز القيادية التى ندبهم اليها الاسلام فى كثير من آى الذكر الحكيم .... ومع هذا لم يخل عصر من عصور المسلمين من فاقه واع وحافظ مستنير ، وكان من هؤلاء الأجلاء الفقيه الحبر العز بن عبد السلام الذى قسم المحدثات بعد عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خمسة أقسام : ١ ــ بدعة حسنة يجب على المسلمين أن ينفذوها فيما بينهم وذلك كدراسة العلوم الجديدة ومعنى الجدة هنا حدوثها بعد عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب لذلك مثلا بما عرف فى عهده كتعلم النحو وغريب القرآن والحديث لأنه يتوقف عليهما فهم الشريعة فهما كاملا .
٢ ــ بدعة سيئة يحرم أن يخوض فيها المسلمون ومثل لذلك بتعلم مذهب الجبرية والقدرية وغيرهما مما يبعد عن العقيدة الصافية وكانت تلك المذاهب شائعة فى عصره .
٣ ــ بدعة مندوبة يحسن الأخذ بها ولا يصح تركها كبناء القناطر والجسور والمدارس مما لم يعهد فى القرن الأول ولم يوجد ما يدعو اليه بالصورة التى عاشت فى عصر العز بن عبد السلام ٤ ــ بدعة مكروهة كاحداث الصور وكتابة الآيات الشريفة على جدران المساجد من الداخل ، ورسم الصور على المصلى لأنها ملهية عن ذكر الله ومخرجة للمسجد عما جعل له وهى العبادة الخالصة لله وحده

٥ ــ بدعة مباحة ومثله لها : التوسع فى المآكل والمشارب والملبس بشرط أن لا يخرج عن الحلال ولا يتجاوز نطاق المباح شرعا ... ومهما حاول متأخر أن يشقق القول فى هذا الحديث الشريف ويفصل ويدل على طرق الخير فيه فلن يغير القاعدة ولن يبدل الأصالة البادية المستقرة فى ايضاح هذا العالم العامل طيب الله ثراه ، وكل ما هنالك ايضاحات يستلزمها مرور الزمن وتطور الثقافات وتنقل الحضارات فى مدارجها المتلاحقة ... وقبل تعميق البحث فى تفاصيل هذا الحبر التقى رحمه الله ... أورد السبب الذى جعل موضوع الكلام فى هذا الشهر هذا الحديث الشريف .. ذلكم أن الصاحب : هذا الصديق العالم الغربى بدا له بعد محاورة علمية دامت ثلاث ساعات أن يرفه عن النفس بزيارة « سوق » باريس أو معرضها سمه كما شئت وهو مكان فسيح يسمونه

[Expositions Port ds Versailles]

تعرض فيه كل دول العالم المتحضرة أحسن انتاجها وأحدث ما توصل اليه علماؤها فى مختلف فروع العلوم ، وصاحبى عالم تمكن منه الأسلوب الهزلى الظاهر الجدى الباطن والواقع ، فبهزليته يستطيع أن يجذب اليه انتباه محدثيه وبجديته يحاول أن يغرس فى نفس السامع ما يريد ، وهو يحمل اتجاها معتدلا نحو الاسلام ، ويحار فى تعليل واقع المسلمين فى أرضهم وبين مجموعة الدول المعاصرة ، شأنه فى ذلك شأن كثير من الباحثين الغربيين أصدقاء كانوا لنا أو أعداء أو معتدلين ..

مررنا بانتاج دول الغرب فألفينا الجنى الباهر لجهود عقلية وعضلية ... صناعات مختلفة ترى من خلالها عرقا سال وجهدا بذل وعقلا فكر وصبرا عجيبا على تركيب تلك المعقدات والموائمة بينها وتسخيرها فى خدمة الانسانية وأحيانا ــ ان غضبت ــ فى دمارها ... شىء يذهل العقل ويحار فيه اللبيب . ثم خلصنا من هذا الطوفان العجيب المتنوع من حصاد العقول المستنيرة

الى دول ... سمها اسـلامية فى مجموعها فليسـت كلها مـن أرض العرب وحدهم ... فماذا رأينا ؟!.. شاهدنا قديما ضاربـا فى القـدم الزمانى وجميلا عريقا فى الجمال : سجاجيد فاخرة .. طنافس باهـرة ... وأخرى تعرض المنح الطبيعية السهلة المنـال ... زراعة ثمـار الزراعة .... والعجيب أن انتـاج الأرض ان جاد فيرجع ذلك الى فعل وتأثير عقلية غربيـة أنتجت الآلات الحديثة للزراعة .. وأين الصناعات .. أين المخترعات .. أين .. لا أين ولا ما يحل فى الأيـن ....!! وهنا جرى الحديث باحثا عن علة فقـدان الاعتدال وانعدام التكافؤ فى الانتاج ... ومال القـول الى طبيعـة الشـعوب والجـواء التى تعيش فيهـا ... وقـدرة كل عـلى التماسك العقلى وحصر الانتباه ... وتقدير المسئولية ، مسئولية الوجود الآنى أمـام الاجيال الصـاعدة .. وتساءل صاحبى .. لماذا يجود انتاج أرض المسلمين جودة لا تقـل ان لم تفـق أى أرض فى الدنيـا شرقية وغربيـة ... وعلل ذلـك بالحاح حاجة الحياة اليومية ... فجـودة الزراعة لا الزراعة فقط يتوقف عليها حياة المزارع ورفاهة أسرته فهـو مضطر الى الغدو مبكرا الى ترابـه باحثا ومنقبا ، منكبا على ذلك التراب يقبله ويخلطه بعرقه ودمه أحيانا حين تداعبه صلابة الأرض فتدمى يديه ، وقدميه محاولة اختبار مدى حبه لها وانجذابه اليها ... وهو لا يكل ولا ينى ... يفضل وعثاءها واستنشاق كديدها على أحدث مستحضرات دور الروائح العالمية ... فالعواطف بين المزارع وأرضه متبادلة تبادل الجهد والعطاء بينهمـا ... ثم تصـاعد صاحبى الى المصانع ملاحظا أن ثمار الجهد فيها تخدم فالح الأرض وتعطيه مزيدا من الثمار بقليل من الجهد ... والدراسات العلمية الحديثة لتربـة الأرض — ومحاولة الوصـول الى أعلى درجات سلم العطاء الزراعى متواصلة الآن وقد آتت ثمـارها فى بعض التجارب الحقليـة هنا وهناك .. هذا الى جانب الدراسات الذرية وغيرها .. ولكن من يقـوم بها ؟! وأين ..؟! هذا سؤال يحتاج الى بيان لماذا هذا ... الـ ... مـن ؟! وهذا ... الـ أين ..؟ وبيان ذلك يمس القوة المسيطرة على العقليـة الآنية فى هذا المكان أو ذاك وتنفتح النافذة على الجو العقلى فى البلاد الاسلامية ... والعقليـة فى أرض الاسـلام من حيث هى لا تقـل فى جوهرها قوة عن نظائرها فى بـلاد العالم الأخرى ولكنها خدرة ساهية فلماذا ؟ ويريد صاحبى أن يتحدث عن أثر الاسلام فى هذا الخدر ، وهـل يعاف الاسـلام البحث فى الكـون وظواهره ؟! هل يحب تجنب المصانع والمعامل خوفا على نفسه من الانهيار تحت ضجيج آلاتها ؟ أم أن فى أصول الاسلام ما يثبط عن غشـيان تلـك الميادين تحت تأثير أمثال : كل بدعة (أى جديد) ضلالة ؟! .. وهنا لم أستطع مع صاحبى صبرا ولكن لـم أفارقه لأنى واثق من قوة حجتى ، وسلامة أدلة الاسـلام وتمكنه من البعث الحضارى فى جميع مظاهره ولا سيما مجال البحوث الكونية فتلك هى البحوث الموصلـة الى معرفـة أسرار الكون وقدرة بارئهـا سبحانه ... رغب صـاحبى فى شرح هذا الحديث الشريف (حديث الباب) لينقل الترجمة الى عدة لغات يجيدها حتى يطلع العالـم على حقيقة الاسـلام وحقيقة موقفه مـن الجديـد ... فقلت : هذا ما يسعدنى كمسلم يعرف

ما هو الاسلام وما هى دعوته فالق الى سمعك وأنت شهيد ولنأخذ مجلسنا تحت ظل تلك الشجرة الوارفة ... لعلك وعيت ما مضى به القول من كلام العز بن عبد السلام فما هى البدعة المحرمة شرعا ؟ أجزم أنها هى التى تحل حراما أو تحرم حلالا أو تحاول هدم أصل من أصول الاسلام التى بينها كتاب الله وشرحتها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلك أمور بينة فالحلال بين والحرام بين .. وهذا مما لا يناقش فيه من له أدنى مسكة من عقل ... فما أحل الاسلام الا نافعا مفيدا للانسانية .. وما حرم عليها الا بشعا مضرا مفسدا لبنيانها وعقولها .. وما وراء ذلك من بحوث ودراسات علمية وعلوم ومعارف لا تجد كتابا حرض بها وحث عليها ودعا اليها خيرا من كتاب الله العزيز الحكيم .

٢) **بعد هذا** مضينا الى لقاء العز بن عبد السلام فقد أعجب صاحبى بطلاوة حديثه وحسن تفسيره وطلب المزيد من الايضاح وبدأت الشرح .. وشرع ينقل ذلك الى لغات ثلاث حية معاصرة عالمية(١) ليعلم الناطقون بها أن الاسلام خير وسلام ، ونور وفقه للحياة الحاضرة .. وأن من لا دنيا له مستقيمة لا آخرة له مسعدة :. يقول عالمنا الحبر العز بن عبد السلام ... تنقسم البدعة الى :

١) **بدعة حسنة** : يجب على المسلمين أن يتعلموها .. وهذا باب خير فكل ماجد بعد رسول الله جديد واجب التعلم اذا كان فيه ما يقوى الايمان ويفتح طريقا الى معرفة الله جلت قدرته ... والعلوم الباحثة فى الكون علوية وسفلية لا بد وأن تنتهى حتما بصاحبها الى معرفة الله [انما يخشى الله من عباده العلماء] وقد وردت هذه الآية الكريمة بعد آية تحدثت عن الظواهر الحياتية من انزال الماء من السماء واخراج الثمرات المختلفة الالوان .. والجبال .. والناس .. قال تعالى [ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور] ٢٧ ، ٢٨ من سورة فاطر . فهذا غيض من فيض من مظاهر قدرة العلى الكبير سبحانه ، ومن البحث فى الكون وظواهر يتوصل الى معرفة بعض أسراره ولا نهاية لتلك الأسرار أبدا ... واقرأ يا صاحبى كتاب : العلم يدعو الى الايمان لمؤلفه الأمريكى كريسبى مدير أكاديمية العلوم هناك سابقا ..

٢) **بدعة محرمة** : ولا بد لى من مناقشة يسيرة مع العالم الكبير العز بن عبد السلام فى هذه الجزئية من قوله .. قال : يحرم على المسلمين تعلم المذاهب الهدامة المعادية للاسلام المخالفة لقواعده وأقول لسيدى العالم التقى الورع طيب الله ثراه .. لو أن المسلمين هجروا — اطلاقا — تلك العلوم وعافوا دراسة تلك المبادىء التى بدا قرنها فى عصرك .. واستشرت فى عصرنا فى غلو وجحود وصل بأصحاب المبادىء الجديدة الى انكار موجد الكون ومدبره جل وعلا [كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا] .. لو أن أبناء الاسلام الآن

[١] الفرنسية ، الانجليزية ، الالمانية .

(القرن الرابع عشر الهجرى) صدقوا عن دراسة تلك المذاهب ، ليعرفوا شرها ويفندوا أقوالها على رؤوس الاشهاد ليحق الله الحق ويبطل الباطل ... اذا لا استشرى شرها ولأخذها العامة على أنها قضايا مسلمة وانتقالة عقلية مرحلية لا بد منها ... فاذا خلا لها الجو باضت وأصفرت . أما اذا تعمقها عقلاء أبناء الاسلام وعرفوا مصادرها ومواردها ووجهوا اليها أضواء الحق واشعاع الاسلام وأجروا عليها طهارته اذا لانماعت وتلاشت ولاذت بأجحارها فرارا من النور والضياء ... ولهذا رأى الامام الغزالى — صاحب احياء علوم الدين — أن الواجب على العاقل المتبصر من المسلمين أن يتعلم كل ما يدور حوله ليستطيع أن يدافع عن عقيدته بسلاح قوى لا يفل .. ولهذا أنقل الى قومك فى لغاتهم أن الاسلام لا يحظر — لأنه لا يخاف — مطالقا البحث فى المذاهب المعاصرة مهما كان نوعها .. ولكنه ألزم المسلم مريد البحث فى هذه المذاهب أن يلم الماما كاملا بأصول عقيدته أولا حتى يدخل الميدان مسلحا غير هياب ولا وجل ... لأنه ان دخل بغير سراج فربما ضل وأضل ...

٣) **بدعة مندوبة :** وأرى أنها صارت الآن واجبة على الحكومات الاسلامية وجوبا عينيا وعلى القادرين من أغنياء المسلمين وجوبا كفائيا ، تلك هى تشييد المدارس على مختلف درجاتها وتعلم اللغات المعاصرة بكافة لهجاتها ومعرفة أسرار الصناعات على تفرق أسمائها ونقل كل ذلك الى الوطن الاسلامى فى أرض تظلها راية الاسلام ليتخرج فيها (علماء ذرة وهيدوجين وأتوميك) يحملون الى معاملهم وأماكن بحوثهم (سجادة الصلاة) ويجاهدون فى هذا الميدان فيضمون الى الجهد البشرى الظاهر المبذول من الآخرين ، الروحية السامية والصلة برب كل شىء فتنفتح لهم أبواب وأبواب ويقودهم نور الله الى مجالات أرحب وآفاق علمية أوسع ... وبهذا يمكن الله لهم فى الأرض ليعمروها ويبدل خوفهم أمنا ، ويفىء اليهم تجار السلام لا تجار الحروب يطلبون ودهم لا ليسيطروا عليهم .

٤) وأما زخرفة المساجد فليست بدعة مكروهة وحسب وانما هى فى رأيى مستهجنة ، فالقائد الى المسجد هو الايمان بالله ولا شىء غير الايمان وليس المسجد مسرحا أو صالة عرض والمتجه الى المسجد انما يخلص من شوائب الدنيا ولهوها بصدق قلب فالمسجد ليس بحاجة الى زخرفة مهما مر الزمان وتعاقب الليل والنهار ، وكل ما يحتاجه هو النظافة والجمال الطبيعى بعيدا عن نظرية الحضارة الملهية ، عن رب العالمين ، فالعبادة هى عمارة المساجد الحقيقية ... وأقول هذا وأؤكد عليه دينا لأنى شاهدت فى بلاد أخرى من جرهم حب تجميل أماكن العبادة الى الخروج مطلقا عن روح العبادة وقادهم الى اتخاذها صالات موسيقى ورقص وأضواء ملونة ... وعقيدة الاسلام تنفر كل النفور وتبعد كل البعد بالمساجد عن هذا التطور الكريه السىء النتائج .

٥ — وأما التوسع فى المآكل والمشارب والملابس ووسائل الانتقال فتلك أمور مباحة بشرط أن لا يكون فيها افراط ولا تفريط [وكلوا واشربوا ولا تسرفوا] ... فقد أحل الله الطيبات من الرزق ولم يحرم الا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال تعالى [قل من حرم زينة الله

التى أخرج لعبــاده والطيبات مـــن الرزق ، قـــل هى للذين آمنـــوا فى الحياة الدنيا خالصــــة يوم القيامــــة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون] ٣٢ سورة الأنعام وما نص على تحريمه معروف معلوم وقـــد أجملتـــه الآية الكريمة [قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به ســـلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون] وفصلت الســـنة ووضح العلماء المشتغلون بالاسلام عقيدة وعملا كل ذلك أكمل توضيح ..

وينتهى الأمر بصاحبنا الى ادراك النقاط الآيـــة ووعيها وعيـــا كاملا وترجمتها على أنها الاسلام الصحيح وما عارضها فليس من الاسلام فى شىء تلك هى :

١ ــ الحث بكل قوة على التمكن من معرفة الصـــناعات وتشجيـــع الباحثين وتوفيـــر وســـائل الدرس والتنقيب للقـــادرين وايجاد الجـــو الصالح لينتجوا بعيدا عن كل معوق أو مخدر ، حتى نبنى قوة ضاربة من الصناعات المختلفـــة ونصـــل الى كشوفات علمية كونية تفوق ما وصل اليه غير المسلمين ولا عيب مطلقا من التتلمـــذ على علمـــاء الغرب اذ هم الســـابقون الآن ولا ضرر بـــل من الواجب أن نتخذ بحوثهم كقاعدة نبنى عليها لنصل الى أبعد مما وصلوا .

٢ ــ أن تأخر الدول الاسلامية عن الركب الحضارى المعاصر لا مدخل للاسلام فيه ولم يكن الاسلام شاهده وانما هو افتـــراء العاجزين وادعاء المغـــرضين الهـــــدامين ، ولو أن المسلمين كانوا على اســـلام حقيقى صاف كما تلقاه السلف عن رســـول الله صلى الله عليه وسلم لكان لهم السبق فى كل ميدان .

٣ ــ أن العداء الذى خلفته ظروف ضعف المسلمين واســـتعمار الغرب لبلادهم لا تزال أصـــداءه تتردد فى صدور الشعوب الغربية ولن يزيـــل هذا العداء الا التكافؤ فى القوى .. ولن يجىء هذا التكافؤ طفرة وانمـــا يحتاج الى جهـــود والى توحيد تلك الجهود ... ووضع أسس التقـــدم فى أرض الاســـلام عـــلى موازيـــن ومقاييس من أصالة الاسلام وقـــوة اتحاد أبنائه وسيرهم مجتمعين تخفق عليه أعلام الهدى .

إلى الســـادة القراء

يكتب الينا كثيرون يطلبون الاشتراك فى المجلة وبعضهم يرسل لنا القيمة مقدما . ونحن مع تقديرنا لعاطفتهم الكريمة نوجه أنظـــارهم الى المنشور فى باطن الغلاف الأخير من أن الاشتراك يكون مع الموزع عندهم .





هل أنصفت المرأة الحديثة نفسها

للأستاذ : البهي الخولي

— ١ —

ونقصد بالمرأة الحديثة الغربية .. ويدعونا للحديث عنها أنها — رضينا أو لم نرض — هى المثل الذى تتطلع اليه المرأة المسلمة اليوم ، وتود لو حققت عليه تطورها ووجودها الحديث .. ويعينها على ذلك ويغريها به طائفة من الكتاب ، لا نعرض لما ينطوون عليه من بواعث ، ولكنهم بدون ريب يضيقون بتراثنا وخصائص قوميتنا ، فلا يريدون أن يشهدوا لها أثرا فى وجدان أو سلوك أى فتى أو فتاة مستترين باسم التقدمية ودعوى التطور .

ولا نعرض — فى الحديث عن المرأة العربية — لعوامل تطورها ، وأثر كل عامل فى تاريخها ، وما تنقلت فيه من مراحل ، بل نقتصر على ما بلغته اليوم فعلا ، لنرى هل اتخذت به الوضع الذى قررته الفطرة لانسان ورسمته الطبيعة لأنثى ؟ .. وهل مارست لكل وصف ما يقتضيه من حق وواجب ، أو هى انطلقت بلا زمام غير مكترثة لواجب أو حق ؟ ..

ولا نناقش ما ذهبت اليه من ثقافة ، ولا ما صار لها من وضع فى ميدان العمل والأجور والمهن ، فان ذلك يشعب بنا الحديث علاوة على أنا قدمنا فى ذلك ما يغنى .. ونكتفى من أمرها بعرض ظاهرتين ليس فى احداها اى خفاء ..

الظاهرة الأولى :

ظاهرة الحرية الواسعة التى تمارسها .. وهى ظاهرة بدت طلائع أسبابها فى القرن الثامن عشر ، وأخذت تظهر بطيئة هينة مع ما تلا تلك الطلائع من الانقلابات والثورات الصناعية ، والاقتصادية والسياسية ، والمذاهب الفلسفية ، وبلغ التطور ذروته فى القرن العشرين عقب حربين عالميتين تغيرت بها الأوضاع الاجتماعية المختلفة ، وبلغت المناداة بحقوق الانسان أقصى مداها ، وتغيرت المقاييس والأذواق فيما يتعلق بتقدير العرض والفضيلة وشرف السلوك

الشخصى ، بل تغيرت فيما يتعلق بالدين ومعتقداته ، وما رسم للحياة من أهداف وغايات .

وقد شمل هذا التغيير الرجل والمرأة على السواء وظهر أثره فيما يمارس كل منهما من حريات لا يتقيد فيها بدين ، ولا بمأثور مما يتعلق بالحياء والعفة ، فللمرأة أن تغشى ما تشاء من الملاهى العابثة ، وأن تزاول ما تريد من قمار ، وخمر ورقص .. ولها أن تمارس علاقتها الجنسية بالرجل الذى تريد ما دامت لا تعتدى على حق غيرها ..

يقول جورج رائيلى اسكان فى كتابه « تاريخ الفحشاء » « فليست متعة الحياة ، عندها الا أن يعب المرء كأس اللذات الى صبابتها ، فهى تسعى وراء تلك اللذات ، وتبحث عنها فى المراقص ، والأندية الليلية ، والفنادق والمقاهى .. وبذلك تلقى بنفسها راضية مختــارة الى بيئة وأوضاع تشعل النزعــات الجنسية اشعالا ، ثم هى لا تخاف النتـــائج الطبيعية لذلك ، بل ترحب بها وتستقبلها بطيبة نفس » .

على أن تلك الظاهرة لا يمارى فيها أحد بانكار ، فانها من « الحقوق » المقررة لكل من الرجل والمرأة فى أوضاع الحضارة الغربية ، اذ الحياة الخاصــة لأى انسان ــ فى مفهومهم ــ ملك خاص له ، له أن يأتى فيها ما يشاء بلا قيد ولا شرط ، وليس للمجتمع عليه من سلطان الا فيما يتعلق بحياته العامة .

والظاهرة الثانية :

ظاهرة انطلاق المرأة الى تحقيق المساواة المطلقــة بالرجل ... فما كان بيدها ان تحققه لتلك المساواة حققته ، دون انتظار أو استئذان ، وما ليس بيدها أن تحققه ــ كالغاء قانون أو سن تشريع ــ نادت به وسعت فى تحقيقه ، وأسمته حقا من حقوقها .

وفهمها لمعنى الحق وتقديرها لقيمته ، لا يرجع الى مفهوم من مفاهيمــه المتعرف بها ، بل يرجع الى مجرد الرغبة الطاغية فى تحقيق مساواتها بالرجل.. فتعلمت تعلم الرجل ، لا تعلم الأنثى ، وارتدت فى الحياة مهنة الرجل ابتغاء تحقيق تلك المساواة فكانت محامية ومهندسة وصيدلية ، وخبيرة بالزراعة ، والطب البيطرى ، ونحوه ... ونسخت بذلك كثيرا من فوارق الشارات التى كانت بينها وبينه .. وطالبت بوظائف الحكومة ازالة لما تظنه ميزة له ، أو فارقا بينها وبينه .

واتجاه المرأة على هــذا النحو يخلو من الاهتمام بأشرف وظائفها ، فلم نسمع أنها احتجت أو طالبت باقامة معاهد للأمومة والزوجية ورعاية شئون الأسرة ــ مثلا ــ الى جانب ما ترى حولها من معاهد للرقص وإدارة الفنــادق ونحوها .

ولسنا نعنى اقامة معاهد للخياطة والطهو ، فان لكل من « الزوجيــة » « والأمومة » فلسفة نفسية واجتماعية دقيقة لها أثرها الخطير فى بناء الفرد وكيان

الأسرة والمجتمع لا تستقل بها خياطة أو طهو ، ولا ينهض بعبئها إلا كبار الأساتذة والفلاسفة .. ولم نسمع أن ذلك على خطورة أثره ، وشرف منزلته كان موضع اهتمامها ، أو أنه شغل جانبا من مطالبها ، بل اننا نراها على العكس من ذلك ترحب وتتحمس كلما ذكرت دور الحضانة التى تتخلص بها من طفلها ولو الى حين.

وخلو اتجاهها من الاهتمام بوظائفها الطبيعية ، مع الاغراق فى استكمال كل شارات الرجل ، يدل على عدم اكتراثها بنفسها باعتبارها أنثى ، أو يدل على نزوع نفسى خطير يمثل الضيق « بالأنوثة » مع تصور الرفعة فى مكانة « الرجل » فهى تتمنى أن تكون رجلا لا أنثى ، فاذا أبت الطبيعة عليها ذلك ، فلا أقل من أن تكون « رجلا يقيم مضطرا فى جسم أنثى » وعليها أن ترضى هذا النزوع فى نفسها بكل وسيلة وأن تحقق لهذا « الكائن » المتمرد فى صدرها كل ما يرضيه من شارات الرجل الطبيعى ولو لم تحس ضرورة ملحة اليها .

فقد طالبت ــ مثلا ــ بما أسمته « الحقوق السياسية » فهل كان ذلك عن ضرورة حافزة جادة ، كتلك التى أثارت همم الرجال فأطاحوا العروش ، وأقاموا الدول ، أو كان ذلك مسارعة لتدليل ذلك النزوع المسترجل ؟ .. يجيبنا عن هذا أن نسبة عدد اللائى يتقدمن للترشيح لعضوية المجالس النيابية فى البلاد التى نالت المرأة فيها هذا المطلب من أمد بعيد ــ كانجلتره ، وفرنسا وأمريكا ، نسبة هؤلاء الى مجموع المتقدمين للترشيح تبلغ فى المتوسط ٥ر٢٪ اثنين ونصفا فى المائة .. والمعروف أن عدد النساء فى كل أمة مساو لعدد الرجال ان لم يزد عليه، وكان من الطبيعى أن يكون عدد المتقدمات لاستعمال هذا « الحق السياسى » مساويا عدد المتقدمين من الرجال .. فماذا يفهم من هذا الاعراض ؟ ... وماذا يفهم من حرصها على مزاحمة الرجال فى مقاعدهم بقطارات سكك الحديد ، وسيارات الأوتوبيس ونحوها ، حين كان لها فى تلك القطارات والسيارات أماكن خاصة ومقاعد معلومة ، مع ما قد يكون فى تلك الأماكن المخصصة من راحة وامتياز ؟ ! .. وماذا يفهم من حرصها على لبس « البنطلونات » و « الجاكتات » وهى من ملابس الرجال ؟ .. وما تفسير الباعث الذى حدا ببعض نسائنا المشتغلات بالحركة النسوية الى المطالبة يوما ما بالغاء « نون النسوة » فى اللغة العربية ليشتركن مع الرجال فى ضمائرهم المعروفة ؟ ..

ان اتجاه المرأة الى المساواة بالرجل يقوم على احساس منها بأن الأنوثة أقل قدرا من الرجولة ، فهى تدأب لتلك المساواة علاجا لهذا الاحساس ؟ .

— ٢ —

هاتان ظاهرتان ملحوظتان بوضوح فى تطور المرأة الحديثة :
ظاهرة الحرية الواسعة ..
وظاهرة الاندفاع نحو المساواة بالرجل ..

فماذا فيهما مما يحقق وجودها باعتبارها انسانا ، واعتبارها أنثى على النحو الذى قررته لها الفطرة ورسمته الطبيعة ؟ ان الحرية الواسعة على النحو الذى اسلفنا أمر يضيق بالقيود التى تعوق الاسترسال فى طلب الترفيه ، واللهو واللذة .. ومن تلك القيود قيود الزوجية والأمومة .. أو حقوق الزوج وحقوق الطفل .

وقد ترددت المرأة حينا بين البقاء على واجبها باعتبارها أنثى ، يثبتها عليه ما كان يقرره عقلاء الغربيين فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر، وبين أن تطرح عنها هذا الواجب ، وتندفع مع المغريات الحديثة ، يناديها الى ذلك ويغريها به أقوال طائفة من المحدثين يردون بها على تحذير الحكماء .. وظلت على هذا التردد يستجيب بعضهن لداعى الاغراء الحديث ، ويتشبث بعض آخر بعرى الواجب الطبيعى حتى كانت الحربان العالميتان الأخيرتان فحسمتا الموقف وقضتا على التردد

والمعروف الآن فى حواضر الغرب من آثار ذلك ، أن الزواج المشروع لا تدوم آصرته ، لرغبة أحد الزوجين أو كليهما فى نشــدان لذة جديدة مع حب جديد .. بل ان كثيرا من الرجال والنساء يؤثرون الاتصال غير المشروع على الصلة المشروعة تخلصا من انجاب الأطفال وسائر التبعات ، وانطلاقا الى كل ما يتاح من لذة ممكنة .. نقل السيد أبو الأعلى المودودى — فى كتابه الحجاب — جانبا من مقال نشر بأحدى الجرائد الأمريكية ، جــاء فيه ما يأتى « ان ما نشأ بيننا اليوم من قلة الزواج وكثرة الطــلاق وتفاحش العلاقــات غير المشروعة بين الرجال والنساء يدل كله على أننا راجعون القهقرى ، فالرغبــة الطبيعية فى النسل الى التلاشى » ونقل السيد أبو الأعلى — أيضا — بعض ما كتبه أحــد القضاة الأمريكيين على لسان احدى الفتيات بعنوان « مالى أتزوج ؟ »

« ان لكل فتاة فى هذا العصر حقا طبيعيــا فى حرية العمل .. وحرية الحب اذ تعرف فى هذه الأيام كثيرا من التدابير لمنع الحمل فتســـــتطيع بها أن تتقى خطر المولود الثقيل وما عسى أن يتبع ولادته من أزمات » .

ان باب الحرية مفتوح لكل ذلك ونحوه لا قانون يمنعه ، ولا عرف يزجر عنه .. ولا شك أن فى ذلك محنة قاسية لوظيفتى الزوجية والأمومة .. ومحنة للمرأة نفسها من حيث لا تشعر

وأما شأنها — أى شأن الغربية — فى المساواة بالرجل ، فلكى ندرك ما فيه من شطط أو اعتدال ، نورد ما قرر الاسلام من قاعدة تماثل المعاملة بين الزوجين فى قول الله تعالى « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » ... أى للزوجة من الحقوق على الزوج مثل الذى عليها له من الواجبات .. وهى قاعدة طبقها السلف الصالح أروع تطبيق حتى جاوزوا المفهوم الحرفى الى المفهوم من روح النص ، فيقول عبد الله بن عباس « انى لأتزين لامرأتى كما أحب أن تتزين لى ، لأن الله يقول ، ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » .

هذا الى أن الاسلام لم يجعل أى ولاية للزوج على مال زوجته .. أو دينها أو رأيها أو نحوه مما يتعلق بأهليتها ومقومات شخصيتها بل انه لم يندب الزوجة — فضلا عن نهيه — ان تتسمى بلقب أسرة زوجها تحقيقا لشارة الانتساب اليه — وهو العرف المتبع فى الغرب — ولو فعل الاسلام ذلك وكان منفردا به لسمعنا الويل والثبور يعلنهما التقدميون على دين الرجعية الذى يهدر ارادة المرأة ويلاشى شخصيتها ويقسو على مشاعرها فيسلخها من أعز لقب يمثل أعز عاطفة وأغلى مواريث فى نفسها الى غير ذلك من فنون التباكى على المرأة وما ينالها من جور الرجعية .

فالاسلام فى تقريره مكان المرأة الحق لم يجعل للزوج أى ولاية على زوجته فى

مالها أو رأيها أو دينها أو لقبها الى سـائر مقومات أهليتهـا .. وقرر الى ذلك قاعدة التماثل فى المعاملة بينهما على ما قدمنا .. فاذا سلبت المرأة شيئا من ذلك ونادت بأن تنسلخ ولاية الرجل عنه ... أو طالبت بوجوب التماثل بينها وبينه فى الحقوق والواجبات فى الحياة الزوجية فذلك كله مطلب عدل لا شطط فيه ، بل انه الواجب الذى تعتدل به الأوضاع ، وتقوم الحياة على سمتها .. وبه تنصف المرأة نفسها أيما انصاف ...

ولكن هل انصفت نفسها اذ أهملت أشرف خصائصها ، ولم تذكر من وجودها الا الجانب الفكرى الذى يجمعها مع الرجل على قدر من التماثل فركزت فيه همتها وجعلته رسالتها وحكمة وجودها ، وتحرت سمت الرجل فأدارت عليه جهودهـا تحقيقا لوهم تزعم أنه مساواة ؟

هل انصفت الواقع والحقيقة بذلك ؟ أو كانت مأخوذة بعقدة الماضى ، فلم تجد شفاء منه الا اصطناع شارات الرجل ، وملافاة كل فارق بينها وبينه ؟ .... ولو كان انصاف نفسها هو الهدف ، بل لو أنها حدثت نفسها بهذا الانصاف مجرد حديث لجاش لها من ينابيع فطرتها غمر قدسى يدعوها لواجبها الذى ألمعنا اليه ـــ فى كلمة سابقة ـــ فى رسالة اصلاح المجتمع ورعاية قيمـه ، ولوجدت فى هذا الغمر غنى الحياة وشارات المجد التى تعاف بها كل شارة مصطنعة ... وهل من انصاف الحقيقة الغلو فى المطالب باسم الحقوق ، واهدار كل واجب يربطها بأى مهمة أو قيمة أصيلة فى الحياة ؟ .. وهل تستوى الحيـاة اذا كان شأن الانسان فيها المطالبة بالحقوق والاغضاء عن الواجب ؟ ..

— ٣ —

ويثور التقدميون فى وجه هذا الكلام ولا يجدون فى جعبتهم لدفعه الا التنديد بالجمود وأعداء التطور .. فاذا أفصحوا بعض الشىء تغنوا بالتقدم الذى أحرزه الانسان فى المجتمع الصناعى وتقاليده التى تطور بهـا من مجتمع الزراعة .. ولا يجاوزون فى الصراحة ، ذلك القدر فى مجتمعنا هذا « الزراعى » ولا يجرؤون على مجاوزته والا حطموا تحطيما ، وحسبهم أن يلقوا تلك البذرة المسمومة يقيس بها القارىء فارق مابين المجتمع الزراعى والصناعى متوهما أن ثمة أعداء لحضارة العلم والمخترعات التى يمثلها هذا الفارق والحق أنهم يريدون ماوراء العلم والتقدم الصناعى ، فان الثورة الصناعية العارمة التى نبذت النول الخشبى ، والمنشار اليدوى قد جاءت بالمنشآت والمصانع التى تتحرك بطاقة البخار والكهرباء ، وتنتج بأسرع وأعلى ما يمكن فى الطاقة والآلة من قوة .. ثم ماذا ؟.. ثم خرجت المرأة الأوربية التى كانت تكتفى بالعمل فى البيت الى المصنع لتعمل فيه مع الرجل جنبا الى جنب والمرأة العاملة اذ تشتغل لكسب عيشها لا ترى معنى لأن تتقيد بالتزامات أو قيود أدبية لرجل بذاته ـــ فأنقضاء الرغبة الجنسية خارج قيود الزوجية هو أدنى الى منطق الحياة الديمقراطية(١) ـــ ولتلك التى استقلت بعيشها أن تخطط النهج الذى تشاء لحياتها ، وأن تنجب أولادا ، أو لا تنجب .. تلك هى تقاليد « المجتمع

---

(١) هكذا يقولون علينا فى مجتمعهم

الصناعى » التى يخلعون عليها صفة التطور ، ولا يجرءون على الافصاح بها ..
ولا شك أن من له مسكة من العقل لا يرى رابطة ما تجعل خروج المرأة الغربية منطقا حتما استتبعه ولا بد الانقلاب الصناعى . فان من المسلم به أن التقدم العلمى سنة ، وهو من فطرة الله فى الانســـان ، وقد فرض نفسه على عقل الانسان فرضا فى جميع عصوره ، فكان تطور واقعه أمرا لا حول عنه .. ومن هذا التطور الحتمى تطوره فى أدوات الانتاج ، فانه لا يستطيع مقاومة رغبته فى التحسين والانتفاع بخبرة اليوم فى غده .. اما اعتبـــار خروج المرأة الى المصنع تطورا حتميا يمليه ولا بد التطور الصناعى فدعوى من يجهل التطور ، أو من يموه حقيقته ، فقد كان من الممكن أو من الجائز جدا ألا تخرج المرأة فلا يتعطل مصنع واحد ساعة واحدة .. وفى الدنيا الآن مصـــانع كثيرة ليس فى أحدهـــا امرأة وهى لا تشكو توقفا أو قلة انتـــاج ، بل قد تحمد الظروف التى أعفتها من خدمة عنصر لا تخلو خدمته من عوارض الضعف وتوالى الأزمات .

فبكاء التقدمية انما هو « عملية » تمويه تستر أخبث الأغراض لتدمير مقوماتنا وانسلاخ المرأة من أقدس تراثها ، وليس ذلك اجتهادا منا ، بل هو ما يجهر به الغرب ، وينادى به ويراه حقا لأن مانسميه مقومات أو تراثا ليس سوى تقاليد « المجتمع الزراعى » التى تمثل مرحلة قضى عليها التقدم الحضارى الصناعى ، ولكن صنائعه هنا لا يجرءون على الجهر بذلك ، فيكتفون بالتمتمة والغمغمـــة منددين بمعاداة الرجعية لسنن التطور .

ونحن فى تصدينا لهؤلاء لا نقصد مناقشة وجهتهم ، بل نقصد التنبيه الى ما يسترون بدعوى التقدمية والتطور من أغراض خبيثة .. ونسأل بعيدا عن مفهوم العرض ، والعفة والحياء ، أى انصاف حققته المرأة الغربية — وأقصد انصاف انسانيتها بمجاذبة الرجل واصطناع كل شاراته فى الحياة ؟ .. وهل أنصفت نفسها اذ أهدرت جمال الأمومة وشرفها ؟ .. واذا كانت فى سكرة النشوة لا تستطيع أن تجيب ، أو لا تريد أن تجيب ، فلنسأل : هل أدت الأمانة وحققت حكمة وجودها اذ ائتمنتها الطبيعة على ابداع أقدس الروابط وأشرف القيم ؟ ... واذا خلت الحياة من شرف الأمومة وقيم المودة والرحمة فماذا يكون لها من شأن ؟ .. واذا اضربت المرأة عن أن تنجب للحياة فلذات أكبادها وقوام عمارتها وأن تبدع لها أقدس قيمها ليكون قصاراها أن تكسب لقمتها وتقضى حاجتها الجنسية مع من تشاء ، فماذا تكون جدواها على الحياة ، وأى قيمة انسانية يمكن أن تدعيهـــا لنفسها بعد ذلك ؟

فهل يكفينا ذلك لمعرفة ما حققت لنفسها من انصاف أو اجحاف ؟..





للأستاذ : مالك بن نبي - الجزائر

... ومن دون أن نستمر الى أبعد فى تحليل هذه الاحكامات الدقيقة للصراع الفكرى ، اننا نرى — اذا ما ألقينا هذه الاعتبارات على موضوعنا بالذات أى أثر هذا النوع من أدب المدح والتمجيد والاطراء على سير الأفكار فى مجتمعنا الاسلامى — على الفور : كيف يستطيع أولئك الاخصائيون الماهرون أن يصنعوا منه وسيلة عمل جهنمى يحركون بها رحا الصراع الفكرى المحتدم فى بلادنا .

فاننا لنرى اليوم ، مرأى العين ، هذا العمل يسير فى بلادنا ، ونرى أثره فى كل تفاصيل حياتنا الفكرية ، والسياسية ، والاجتماعية ، لا تخلو صحافتنا اليومية من مثل هذه التفاصيل فى كل عدد من أعدادها ، بل لا تخلو منها صحافة علمية محترمة يقدم فى صفحاتها مستشرق معاصر كمحدث كبير لأنه وفق ، أو لم يوفق ، فى طرح سؤال يخص الأحاديث النبوية .

ولو أننى قمت بجمع هذه التفاصيل ، منذ بدأت تجربتى كمواطن ، أو ككاتب لألفت منها كتابا ضخما(١) .

ولكننى أذكر منها ، على سبيل المثال ومن أجل التوضيح هذا المثال .

فقد انعقد منذ أقل من سنتين وبمدينة باريس مؤتمر العمال الجزائريين بأوروبا ، وتقرر من لدن المشرفين عليه توزيع كتيب بهذه المناسبة يتناول مشكلة

---

(١) نشرت منذ عشر سنوات بالقاهرة بعنوان (الصراع الفكرى فى البلاد المستعمرة) كتابا خصصته لنظرة عامة فى هذا الصراع لا لتفاصيله اليومية .

يوالى الأستاذ مالك بحثه عن أثر كتابات المستشرقين فينا .. ويدور بحثه عن أثر المستشرقين المادحين لتراثنا . وهذا جانب دقيق .. فالمستشرقون الذين يهاجمون الاسلام يرون رد الفعل فى نفوسنا رفضا سريعا لما يقولون . أما المادحون فاننا نقبل كلامهم ونستشهد به .. ومع ما لهذا من أثر طيب فى النفوس الا أن له جانبا آخر خطيرا هو الذى يتولى الكاتب الفاضل الكشف عنه تحت هذا العنوان . بما له من دراسة واسعة وتجارب كثيرة فى هذا الميدان ، وقد قدم لهذا البحث فى مقاله الماضى المنشور فى عدد المحرم وأشار الى أن هناك تخطيطا عاما يقصد به الهاء المسلمين عن مجابهة مشكلاتهم الواقعية بالحلول المناسبة ، أو على الأقل توسيع دائرة هذه المشكلات حتى يصعب حلها .. فلنتابع سويا هذه الدراسة ..

« الوعى »

من أهم مشكلاتنا السياسية الاجتماعية اليوم خصوصا فى الجزائر البلد الذى اتخذ من كلمة (الديمقراطية) شعاره الدستورى .

ولكن أصحاب الاختصاص فى الصراع الفكرى لم يهملوا هذه المناسبة من اهتمامهم ، وما تقرر توزيعه فيها ، وهنا نرى — دون أن نطرح كل التساؤلات التى يجب من الناحية الفنية طرحها فى مثل هذا الظرف — كيف يسارع أولئك الاخصائيون لسد الذريعة ، أعنى لسد الطريق عن أفكار معينة ، وبما يحققون أو يحاولون تحقيق ذلك الغرض .

واذا بنا نرى الدعوة توجه الى تلك السيدة الألمانية التى وضعت أو وضع اسمها على ذلك الكتاب ذى العنوان الجذاب : « شمس الله تشرق على الغرب » وفيه ما فيه من مدح وتمجيد الحضارة الاسلامية .

وتقدمت السيدة ، وقدمت كتابها للمؤتمر ، فانتقل على الفور بروحه من مجال المشكلات الحادة التى تكون واقعنا اليوم ، الى مجال الخيال الملىء بأمجاد الماضى الخلاب !!

ولم يكن الصديق الذى كان يذكر لى هذه القصة يخطر على باله أى شىء من صلتها بـ (الصراع الفكرى) وهو يقول : وفى الأخير قامت القاعة كلها تحيى السيدة .

واننى أتجنب هنا السؤال عن مصدر الدعوة الموجهة لها وعن طريقة تبليغها لأن الجانب الفنى ليس موضوعنا ، وانما ألاحظ فى القصة جانبين : جانب

حساسية الجماهير المسلمة لأمجاد ماضيها ، والجانب الذى يكشف عن امكان استغلال هذه الحساسية لأغراض الصراع الفكرى .

فهذا الجانب هو الذى يهمنا هنا لأنه يلتقى فى الزمن مع أوج الموجة العارمة من أمواج الصراع الفكرى التى تكتسح العالم اليوم ، وانها فعلا لموجة فى أوجها بالخصوص فى البلاد الاسلامية ، حتى ولو كنا لا نشعر بها غالبا ، اننا نرى كيف يتصرف اختصاص الصراع الفكرى ، فى ظرف معين ، عندما تعرض فكرة عمل وتأمل ، وكيف يستطيعون لفت الأنظار عنها بعرض أفكار أخرى فى المناسبة ذاتها ، أفكار تسلى وتطرب وتدعو للأحلام السعيدة فى جو ألف ليلة وليلة .

هذه هى القاعدة العامة التى يجب علينا أن نجعلها دوما نصب أعيننا :

اننا كلما طرحنا مشكلة وعرضنا لها حلا فان قادة الصراع الفكرى يأتون على الفور بما يلفت عنها الأبصار وبما يزيف حلها أو يقلل من شأنه .

ان كثيرا من الحلول التى تعرض علينا فى المجال السياسى — مثل البربرية والنزعة الافريقية ، والبعثية والشيوعية المصنوعة فى تلك المكيفات للنبات التى تحتضن الأفكار التى يريد الاستعمار ترويجها — ليست الا عمليات الفات عن أم مشكلاتنا ، مشكلة الحضارة ، وتقليل من شأن الحلول التى تقدم لها ، عن علم أو غير علم : عمليات تربط اهتمام المسلمين بمشكلات شكلية وبحلول وهمية ، يتجلى عبثها غداة هزيمة نكراء وفضيحة شنعاء وافلاس مدقع مثل غداة ٥ يونيو ١٩٦٧ .

والواقع أن هذه العمليات ، للالفات والتسلية ، كانت تجرى قبل الحرب العالمية الأولى ، غير أنها تصادف اليوم أكثر نجاحا فى العالم الاسلامى ، وهو يمر فى هذه الآونة بالذات ، بأخطر أزمة فى تاريخه ، بحيث نستطيع القول — اذا ما طرحنا بعض المظاهر الخداعة — انه كان قبل أربعين سنة أقرب من الحل الرشيد لمشكلته ، لأن وحدته الروحية — الايديولوجية كما نقول اليوم — كانت أمتن منها اليوم .

واذا ما صدر من بعضنا الحكم بالعكس ، فى هذا الصدد ، فلأننا تعودنا تقدير الأشياء بالنسبة الى زمن جامد كأننا تحركنا نحن فيه وحققنا بعض الأشياء خصوصا فى الميدان السياسى ، بينما الزمان هو الذى سار وحقق بنا تلك الأشياء .

ان العالم الاسلامى ، كمجتمع يخضع لوحدة المصير ، يمر اليوم بمفترق طرق هل يكون أو لا يكون ، بينما تلمح ريشة الساعة الى الاحتمال الثانى .

وأحداث يونيو ١٩٦٧ انما تؤكد هذا الاحتمال ، معبرة بلغتها القاصية على عبث تلك التشييدات السياسية والعسكرية التى قامت على أساس (الشيئية) نعنى تكديس تلك الأشياء التى جمعت زهاء عشرين سنة من أجل الدفاع عن النفس ، والتى ذابت فى أول ساعة عند هجوم اسرائيل .

وليس بمجد لمواجهة دويلة اسرائيل ، ان نكدس من جديد ذخيرة وزادا وعتادا ، ليس بمجد تجديد الأشياء ان لم تجدد الأفكار ذاتها ، تجديدا جذريا ،

بحيث تعوض تلك التى تؤدى الى الهزيمة الهائلة والفضيحة الشاملة ، لأنهـا تفقد الروح (وفاقد الشىء لا يعطيه) التى تمنح الانسـان الطاقة التى ترفعه لمستوى مهماته .

فالأفكار ، والافكار وحدها ــ خصوصا منها ما يضع فى النفوس المبررات الجوهرية ــ هى التى تستطيع منح الانسان تلك الدفعة الجبارة التى ترفعه الى قمة واجباته أمام الأحداث الكبرى ، عندما لا ينفع مال ولا زاد ولا عتاد .

يجب أن نقف عند هذه الحقيقة : ان ما يصيب أى مجتمع ، فى منعطفات التاريخ الخطيرة ، لا يصيبه من قلة أشيائه ، ولكن من فقر أفكاره .

وليست فاجعة سيناء ، فى ٥ يونيو ١٩٦٧ ، الا المحك الخاص ، بالنسبة للأمة العربية ، المحك الذى يبرز فى ظرف مؤلم من تاريخهـا ، تلك الحقيقـة الشاملة لمصير الانسانية .

وربما يجدر بنا الوقوف فى نفس الظرف لنستخلص منه عبرة أخرى : ان النصر الخاطف الذى أحرزته اسرائيل على كوم جامد من الأشياء التى كانت بيـد العرب ، أصبح معرضا للشكوك وللتلف ، لأن اسرائيل اليوم تواجه على نفس الأرض صعوبات لم تكن تتوقعها ، لأنها تواجه اليوم رجالا ليس بأيديهم أشياء جديدة ، وانما تحركهم أفكار جديدة .

وما قصف مدمرة (ايـلات) بعد بضع أسابيع من الهزيمة ، والموقـف البطولى للفدائيين الفلسطينيين ، الا تعبير واحد على التحول الذى حدث ، اثر النكبة لا فى عالم الأشياء ، بل فى عالم الأفكار بالنسبة للعرب .

وليست قضية الأفكار مطروحة هنا ، نتركها الى غيرنا أو لفرصة أخرى ، وانما نذكر ان الصدمة التى حصلت للضمير الاسلامى فى القرن التاسع عشر تجاه الحضارة الغربية والتى لا زالت وطأتها تشتد فى هذا القرن ، قد حصلت فى عالم الأفكار ، وفى مجال الأفكار العلمية بالذات ، بحيث كانت محسوسـة حتى فى ميدان تفسير القرآن الكريم ، ولا شك أن عمـلا جبارا مثـل تفسير طنطاوى جوهرى الذى لا نجد فيه كثيرا من الجدوى ، ويغرى قطعا الى هـذا التأثير الذى أدخل علمانية ساذجة فى تفكيرنا ، مع الملاحظة أنه يعبر فى نفس الوقت على ظاهرة التكديس ، تكديس المعلومات طبعا ، بحيث أصبح هذا العمل الشاق أقرب الى دائرة معارف منه الى تفسير القرآن ، بالاضافة الى أنه من الجانب النفسى لا يعبر بالنسبة للفكر الاسـلامى الا على عمليـة تعويض فى الميدان الذى شعر فيه بتحدى الحضارة الغربية أكثر من أى ميدان آخر .

والآن نستطيع القول أن هذا الميدان بالذات كان التربة الخصـبة الذى وجدها الانتاج الاستشراقى ، من النوع الذى يتسم بطابع المدح والتمجيد ليزرع فيها كل تلك المخدرات التى يتقبلها مجتمعنا بكل شغف لأنها تسـكن ضميـره وتسليه .

ولكن هذا الضمير لا زال فى صراع داخلى تسكنه أحيانا مؤلفات مشارقه مثل طنطاوى جوهرى والسيد رشيد رضا وفريد وجدى ، أو مستشرقين مثـل دوزى وجوستاف لوبون وتثيره مؤلفات أخرى لمشارقة ومستشرقين آخرين ،

فى صورة استفزازات وتحديات جديدة ، عندما تستصغر هاته الطائفة أو تلك ما ساهم به العرب فى تنمية العلوم ، ابان حضارتهم ، قاصرين دورهم على مجرد تبليغ التراث اليونانى والرومانى .

وجدير بالذكر أن بعض هؤلاء المشارقة ، المتلمذين للمستشرقين ، يخفون عملهم التخريبى ضد الاسلام ، بايعاز واضح من بعض أساتذتهم ، تحت ستار تقدمية جوفاء تنكر على الاسلام قيمة تحضيرية ، بل ينسبون اليه حالة التخلف الراهنة فى العالم الاسلامى .

ولا شك أن كتاب (الايديولوجيات العربية أمام الغرب) الذى ظهر لمتعيلم شرقى بتقديم من أستاذه مكسيم رودنسون ، لا شك أن هذا الكتاب المبنى على منطق سوفسطائى ، ذو صلة متينة بهذا التيار ، وان صاحبه المراكشى من هذه الشجرة التى يجوز لنا ، أن نعزو اليها بعض الأبرياء الذين يضعون أقدامهم ، لا فى ثقافة الغرب فحسب بل فى سياسته ، عن غير شعور فيتقدمون بأنصاف الحلول لأنصاف المشكلات ، مهملين المشكلات الكلية ، غير أنهم يختلفون بحسن نواياهم عن السابقين الذين يعتبرون آلات مسخرة بين أيدى اختصاصى الصراع الفكرى ، العاملين لتحقيق أغراض أساتذتهم لا يختلفون معهم الا بسماجة الأسلوب ووقاحة التعبير ، ويتفقون معهم فى الانتقاص من سوابق الفكر الاسلامى ، ثم يمتازون عليهم فى احاطة مستقبل العالم الاسلامى كمجتمع ، بالايهام والريبة والتشاؤم مثل صاحب كتاب (الايديولوجيات العربية أمام الغرب) المشار اليه .

وهكذا يبقى الضمير الاسلامى فى دوامة صراعه الباطن ، يسكنه أحيانا ما يكتبه المادحون ، ويثيره أحيانا أخرى ما ينتجه المفندون ، وقد استمر هذا الصراع منذ قرن فى حلقة مغلقة ، مستهلكا أجدى الطاقات الفكرية فى العالم الاسلامى من دون جدوى ، من دون أى تأثير حقيقى على تطور العقلية والأوضاع فى المجتمع الاسلامى ، لم ينتج العقل الاسلامى أثناء هذه الحقبة الا بعض الصواريخ الأدبية الخلابة مثل التى أطلقها مصطفى صادق الرافعى أو السيد أمير على قبله فى الهند .





قضية الإيمان بالغيب بين الدين والعلم

وفي أنفسكم أفلا تبصرون

للأستاذ : محمد كامل حته

من الحقائق الواضحة فى مجال النشاط العلمى الحديث ، أنه قطع أشواطا واسعة فى علوم الطبيعة ، وحقق انتصارات كبيرة فى عوالم الذرة والفضاء ، واستطاع أن يجرى تجارب ناجحة فى زراعة أعضـــاء الجسم وأهمها زراعة القلب . . .

ولكن هذا النشاط العلمى الرائع فى مجال الطبيعة الكونية والتشريحية يقابله قصور واضح فى ميدان آخر لا يقل أهمية ان لم يزد عن غيره من الميادين . ذلك هو ميدان الانسان نفسه ، لا من حيث تركيبه البيولوجى أو الفسيولوجى ، ولكن ما وراء ذلك من أعماق « غيبية » تكمن فيها أسرار لاحد لها ، وبدون الوصول الى هذه الأعماق يبقى كثير من الظواهر البيولوجية والفسيولوجية نفسها ألغازا غامضة تثير عديدا من الأسئلة التى لا تظفر بجواب . . .

يقول الكسس كاريل الحائز على جائزة نوبل فى الطب والجراحة ، والعالم المتخصص فى بحوث الخلية ونقل الدم والاعضاء (١) :

« من الواضح أن جميع ما حققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراســـة

---

(١) كتاب : الانسان ــ ذلك المجهول . ترجمة : شفيق أسعد فريد .

الانسان غير كاف ، وأن معرفتنا بأنفسنا ما زالت فى الغالب معرفة بدائية . والواقع أن جهلنا مطبق فأغلب الاسئلة التى يلقيهــا على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشرى تظل بلا جواب ، لأن هناك مناطق غير محدودة فى دنيانا الباطنة غير معروفة . »

ولنأخذ مثلا نبدأ به مناقشة هذا الموضوع ...

هذه « النطفة » التى تحتوى على جرثومة الحياة . نقطة « البروتوبلازم » التى لا تكاد ترى ، والتى تتكون منها خلية الأجسام الحيوانية والنباتية ...

ان هذه النطفة الحية يتضاعف تكوينها الداخلى ، ولها القدرة على الانقسام والتعدد أضعافا مضاعفة الى ملايين الملايين ، ومنها تتكون خلايا الكائن الحى من الانسان والحيوان والنبات . فكيف يتم هذا « التنويع » مع وحدة التكوين ، فتصير هذه الخلايا انسانا وتصير تلك الخلايا غزالا ، أو تصير مجموعة أخرى من الخلايا شجرة برتقال . ؟

وهذه الخلايا التى يتكون منها جسم الانسان ، كيف يتحول بعضها الى أذنين ، والبعض الاخر الى قلب أو رئة أو لسان . ؟

أسئلة لا يجد لها العلم حتى الآن أى جواب ...

ولكنها تؤكد فى الوقت نفسه « حقيقة » لا تقبل الانكار ، هى أن وراء هذه الحركة البيولوجية تدبيرا محكما أعطى هذه « النطفة » خصائص التكاثر والتشكل فى دقة معجزة وقصد عجيب !

ولقد وصل العلم الى أبعد من هذه الأعماق فى تكوين الانسان وغيره من الكائنات الحية .

فهذه «الخلية» تحتوى على عناصر عجيبة ، هى الكروموزومات ، والجينات والسبتوبلازم . والجينات هى وحدات الوراثة التى تحمل الخصائص الفردية وأحوالها النفسية وألوانها وأجناسها لجميع المخلوقات البشرية على ظهر الارض جيلا بعد جيل . ولجميع الكائنات الحية من نبات وحيوان ...

فمن الذى أودع الخلية هذه « الجينات » التى تحفظ لكل كائن حى خصائصه الوراثية على تعاقب القرون والأجيال .. ؟

سؤال آخر لا يملك له العلم جوابا حتى الآن ..

ولكنه يؤكد كذلك « حقيقة » لا تقبل الانكـــار ، هى أن وراء هذا التكوين العجيب للخلية الحية تدبيرا محكما أعطى هذه « الجينات » القدرة على حمـــل الخصائص الوراثية لكل كائن فى هذه الحياة ...

جواب واحد على هذا السؤال وغيره من الاسئلة يبدد الحيرة ، ويلتقى عنده العلماء والذين يؤمنون بالغيب :

ـــ « قال : ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » (١) .

---

(١) الاية ٥٠ سورة طه .

وهذه الآفاق الواسعة ذات الأعماق البعيدة للنفس البشرية ، فى قدرتها على الاحساس والالهام والكشف والاتصال والأحلام التى تتحقق مثل فلق الصبح ...

وهذه الموجات المغنطيسية التى يستقبلها المخ حين يكون مركزا على نحو ما ، فيتم عن طريقها انتقال الصورة أو الكلمة بين شخص وآخر ...

انها ظواهر من عوالم النفس الانسانية ، تضاف الى غيرها من عجائب تكوين الانسان . وكلها تردد أصداء قوله تعالى : (وفى أنفسكم أفلا تبصرون ..[1] ؟) .

ولكن ما الذى انحرف بالعلم عن البحث فى الجانب النفسى والباطنى للانسان ، بالقدر الذى اتجهت اليه الجهود للبحث عن الجوانب المادية فى الحياة .؟

ان هذا الاتجاه الذى أخل بالتوازن العلمى فى تقييم الحياة الانسانية ، جاء نتيجة للنظريات التى اعتبرت الانسان آلة جسدية قوامها المطالب المادية فحسب، ومن ثم فليست حياة الانسان بما فيها من مدركات معنوية الا انعكاس لهذه الحياة المادية .

ولا جدال فى أن للانسان جانبه المادى ، ولكنه ليس الجانب الوحيد فى حياة الانسان ، لأن وراءه « الطاقة » ذات الخصائص الروحية التى يعتبر هذا الهيكل المادى مظهرا لها كما أثبت العلم فى كشوفه التحليلية للمادة ، والتى وقف العلم عاجزا مبهورا أمام ما وراءها من أعماق وغيوب ...

على أن هذه النظريات المادية التى تعاقبت على أيدى دارون وماركس ونيتشه وفرويد وغيرهم ، لم تستطع أن تثبت طويلا بعد أن كشفت التجربة عن تصادمها فى كثير من جوانبها مع نواميس الحياة ، وبعد أن انكشفت الدوافع السياسية الخبيثة التى روجت لهذه النظريات كما اعترفت بذلك بروتوكولات حكماء صهيون .

ان نظرية دارون يصفها جوليان هكسلى ، وهو من علماء الدارونية الحديثة، بقوله : « بعد نظرية دارون لم يعد الانسان يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيوانا . [2]

أما ماركس فتتلخص فلسفته فى أصول منها قوله :

---

(١) الآية ٢١ سورة الذاريات .

(٢) كتاب (الانسان فى العالم الحديث) ترجمة : حسن خطاب ، ومراجعة : عبد الحليم منتصر .

ـــ « ليس شعور الناس هو الذى يعين وجودهم ، ولكن وجودهم هو الذى يعين مشاعرهم »

ـــ « لا توجد حقيقة ثابتة للقيم الخلقية ، انما هى تتطور بتطور الانتاج » .

ـــ « يجب أن نحطم الدين فهو قيد يعوق التطور . وقد ورثناه من أسلافنا فى عماية وجهالة وجمود وتأخر . وقد كان هذا كله يناسب المجتمـــع الزراعى المتأخر ونحن اليوم فى المجتمع الصناعى المتطور الذى لا يطيق هذه الخزعبلات . »

وأما نيتشه فهو الذى نادى بفكرة الانسان الأعلى وموت الاله .. وكان يعتقد أن الصلاة شىء مخجل ، لا يلجأ اليه الا الضعفاء والجبناء والمتسولون !

وأما فرويد فقد بنى مذهبه « النفسى » على اسس مادية جنسية ، وهو يرى أن الدين والأخلاق والحضارة تنشأ من الكبت الجنسى . والكبت الجنسى خطر على الكيان النفسى والعصبى لأنه يصيب النفس بالعقد والاضطرابات ...

ولهذا وجدت الصهيونية فى هذه النظريات وسائل لتحقيق أهدافها المدمرة لكيان الانسان وللقيم الانسانية فى حياة الشعوب ، فراحت تروج لها بمختلف ما تملك من وسائل ماكرة تحت شعار العلم والتقدم .. وقد جاء فى بروتوكولات حكماء صهيون ما يكشف هذه الحقائق الدامغة ..

■ لقد رتبنا نجاح داروِن وماركس ونيتشه بالترويج لآرائهم . وان الأثر الهدام الذى تنشئه علومهم فى الفكر غير اليهودى واضح لنا بكل تأكيد .

■ ان داروِن ليس يهوديا ، ولكنا عرفنا كيف ننشر آراءه على نطاق واسع ونستغلها فى تحطيم الدين .

■ يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق فى كل مكان فتسهل سيطرتنا . ان فرويد منا ، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية فى ضوء الشمس لكى لا يبقى فى نظر الشباب شىء مقدس ، ويصبح همه الأكبر هو ارواء غرائزه الجنسية ، وعندئذ تنهار أخلاقه » .

هذه النظريات التى قامت على أسس مادية بحتة ، كان لها أثرها فى تحويل اتجاه العلم الحديث عن الجانب الروحى فى حياة الانسان ، والاسراف فى الجهود التى تتناول الجوانب المادية على حساب البحث فى أعماق النفس الانسانية وما وراء الكيان المادى للانسان من أسرار أدرك العلم بعض ظواهرها فضلا عما أثبته التاريخ من آيات وشواهد لم تعد موضع انكار بعد ما حققه العلم الحديث من انتصارات فى كشف كثير من أسرار الكون والحياة .

على أن العلم لم ينصرف كلية عن محاولاته وتجـــاربه فى مجـــال الروح

الانسانى ، والكشف عن أعماق النفس البشرية ، حتى فى الفترات التى طغت فيها الفلسفة المادية على العقول وكادت تكون السمة الغالبة للعلم والعلماء .

ولكن مع تقدم العلم الحديث وما أحرزه من انتصارات بعد الوصول الى أعماق الذرة ، وجد العلماء أنفسهم وجها لوجه أمام الحقائق « الروحية » التى قد لا يؤمن بها البعض ولكنهم فى الوقت نفسه لا يستطيعون انكارها ، وتحطم صنم « المادة » الذى كان الى عهد غير بعيد معبود العلم والعلماء .

وبدأت صفحة جديدة فى تاريخ العلم سجل فيها العلماء كثيرا من الحقائق « الغيبية » التى أدت اليها الكشوف العلمية أو النتائج العقلية المبنية على التفكير العلمى . وأهم هذه الحقائق ما يتصل بالجانب الروحى فى الانسان وصلته بالكون والحياة .

قال آينشتين : « ان الانسان الذى لم يختبر وقفة من وقفات الصوفية حيال ذلك العالم ، ولم يشعر نحوه بالروعة ، هو حى حكمه حكم الميت . ولب الديانة عندى أن الذى لا ننفذ اليه بمداركنا هو موجود حقا متجل حقا ، يطالعنا بالحكمة العليا والجمال الرائع ، ولا تحيط عقولنا الكليلة منه الا بأشكال بدائية كالظلال » .

وقال راسل والاس : « ان الكون المادى ليس الا مظهرا للكون الروحانى ، وان فى الكون الروحانى أنماطا من العوامل الفعالة من القوى العليا الى الارواح الكامنة فى الخلايا الحية .

وقال أه كريسى موريسون : (١) « ان التطور الروحى للانسان هو الآن فى البداية ، والقبس الالهى قد بدأ يسيطر فى بطء على عقله المادى . ونحن اذا فكرنا فى الفضاء الذى لا يفتأ يمتد أمامنا ، وفى الزمن الذى لا بداية له ولا نهاية ، وفى الطاقة المقيدة المحبوسة فى الذرة ، وفى الجاذبية وسيطرة القوانين الطبيعية على العالم ، اذا فكرنا فى ذلك كله أدركنا أننا لا نعرف فى الحق الا القليل » .

« واذا كانت الروح الخالدة تستطيع رؤية الأشياء كما هى ، فانها تقدر أن تكتسب جميع الحواس المختلفة الرقيقة التى لكل الكائنات الحية وبذا تستطيع أن تدخل فى ميادين جديدة للمعرفة والتجربة والشعور ، وسترى أيضا — اذا شاءت — الذرات وهى تكون نفسها جزئيات ، والجزئيات وهى تقهر الجراثيم المغيرة ، وربما تستطيع بموسيقى جديدة تتولد عن اهتزازات الأثير غير المحدودة وعن آلاف أجوبة النغم . وهناك ألوان أزهى من أن تتحملها عيون البشرية تنتظر تطور قدرتنا على الاحاطة بها . وهناك مسرات لا نهاية لها ، ترتقب روح الانسان بعد تحررها من الجسد .

---

(١) كتاب « العلم يدعو للايمان » ترجمة محمود صالح الفلكى .

الوصية والتبديل فيها

للأستاذ محمد بن كمال الخطيب
مدير مجلة التمدن الاسلامى بدمشق

شريعة وحكم :

الوصية هى مما شرعه الله بالكتاب والسنة المطهرة كخيط أخير بين الانسان وهذه الحياة الدنيا ، يجعلها (بما يتصرف به من أمواله) قربة لله وذكرى طيبة ، و « المال والبنون زينة الحياة » ، وآمال الانسان تمتد بأبنائه ، فتقوى بهم رابطته بهذه الحياة الفانية ، وعلى مثل ذلك يشتد ويمتد أثر النشاط الاقتصادى بفضل تصرف الانسان بما ملكه من أمواله حتى بعد الوفاة وبمقدار الوصية المشروعة .

أحكام الوصية :

لما كانت آمال الناس وأعمالهم متفاوتة لذلك فان الوصية ، تكتسب حكمها من هذه الأعمال ومقاصدها فتكون الوصية :

١) **واجبة** حين يعهد فيها باداء واجب ، كاداء دين فى ذمته أو رد وديعة الى صاحبها .

٢) **ومندوبة** حين تكون فى وجوه الخير (بل يرى مثل هذا النوع واجبا داوود الظاهرى والامام الزهرى وبعض التابعين ، التزاما بظاهر الآية الكريمة « كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ـ ان ترك خيرا ـ الوصية . الآية » . حتى أوجبوا على ورثة من مات بغير وصية أن يتصدقوا عنه بما تيسر لأن ذلك من حق الله عليه ، ودين فى ذمته يقوم الورثة بقضائه ، وكذلك الحال اذا كان له أقرباء لا يرثون منه لمانع من موانع الارث ، كانت الوصية بحقه واجبة لهم بما تطيب به نفسه وان لم يفعل ذلك كان على ورثته أن يتصدقوا عنه .

٣) **ومباحة كالوصية لغنى**

٤) **مكروهة** كالوصية ببدعة كضرب الخيم على قبره .. وكذلك حين يوصى رغم قلة ماله لأن الوصية معلقة بشرطها « ان ترك خيرا » أى مالا وفيرا لقوله عليه الصلاة والسلام : (انك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس) .

٥) **وبحرية** : اذا أوصى بأمر حرمه الله ، ومن ذلك اذا قصد الاضرار بالورثة وما فرضه الله لهم من النصيب فى تركته لقوله تعالى : « من بعد وصية يوصى بها أودين ، غير مضار » فانه كما قال عليه الصلاة والسلام : (الحيف فى الوصية من أكبر الكبائر) .

انفاذ الوصية بغير تبديل

وقد جعل الله للوصية حرمة لتحقق المقاصد التى شرعها الله لها ، وأدار الحكمة عليها ، فأوجب تعالى على ذوى العلاقة ، بل وكل من سمع بها ، أن يصونها من التبديل حتى يتم تنفيذها ، كما أوصى بها من صار الى ربه ، وانقطعت بالحياة أسبابه ، وهذا لون من ألوان التضامن الاجتماعى بين الاحياء والاموات يزيد المجتمع تماسكا فى ماضيه وآتيه ، سلفا وخلفا برعاية أحكامه ونظامه العام ، يحفظ للميت حقه بما يتصرف به من مال الوصية ، كما يحفظ للحى حقه فى أمواله ويجعل من سمع بالوصية خلفا عن صاحبها لوفاته ...

« فمن بدله بعد ما سمعه » ولو بوقفة سلبية أعانت على هذا التبديل فقد شارك بالاثم « فانما اثمه على الذين يبدلونه » هذا اذا كانت الوصية واجبة أو مندوبة أو مباحة .

ميل الوصى عن الحق

وأما اذا كان الموصى قد مال عن الحق لخطأ فى تقديره أو تعمد ذلك « اثما » (فان لمن خاف مغبة ذلك ان يتوسط بين ذوى العلاقة ويعدل فى الوصية بما فيه اصلاح الأمر ما أمكن) فمن خاف من موص جنفا (خطأ) أو اثما (تعمدا) فأصلح بينهم فلا اثم عليه « يصلح بين الموصى والورثة مثلا اذا علم بالأمر وكان الموصى لا يزال حيا ، ويصلح بالتبديل من بعد وفاته بما يجعلهم راضين عنه ، وهذا ما صرح به السيوطى فى كتابه » الاكليل فى استنباط التنزيل ص ٢٣ ــ ٢٤ نقلا عن الكيا الهراسى وغيره فقال : « أفادت الآية ان على الوصى والحاكم والوارث وكل من وقف على جور فى الوصية (من جهة العمد أو الخطأ) ردها الى المعدل » وصرح بأن العمل فى ذلك باجتهاده قائلا فى آية : « فمن خاف من موص » انما يكون هذا الخوف فى « غالب الظن » وقال الامام البيضاوى فى تفسيره : « ولا اثم فى هذا التبديل ، لأنه تبديل باطل الى حق » وقال الامام ابن كثير فى تفسيره بأن هذا التبديل يشمل أنواع الخطأ كلها ولو تذرع لهالموصى بطريقة غير مباشرة » ، « كما اذا أوصى ببيع الشىء الفلانى محاباة

أو أوصى لابن ابنته ليزيدهما ، ولو كان خفية نتيجة شفقة مثــلا أو عدم تبصر بعاقبة ما أوصى به » .

وجعل ابن كثير الميزان فى هذا التعديل بقوله : للوصى (والحالة هذه) أن يصلح القضية ويعدل فى الوصية على الوجه الشرعى ، فيعـــدل من الذى أوصى به الميت الى ما هو أقرب الأشياء اليه ، وأشـــبه الأمور به ، جمعا بين مقصود الموصى والطريق الشرعى ، قال ابن كثير : « وهذا الاصلاح والتوفيق ليس من التعديل فى شىء » التعديل الذى نهى الله عنه وجعل الاثم على فاعله ، وروى فى ذلك عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يرد من صدقة الجانف فى حياته ما يرد من وصية المجنف عند موته) وقال‌الشيخ نعمة الله بن محمود النخجوانى فى تفسيره :

الفواتح الالهية والمفاتح الغيبية « ص ٦٤ » لا اثم على الوصى فى هذا التبديل والتغيير بل يرجى من الله باصلاحه الثواب له ولمن أوصى اليه أيضا .

وقال الامام الرازى ص ١١٦ من تفسيره : « اعلم أنه تعالى لما توعد من يبدل فى الوصية بين أن المراد بذلك التبديل ، أن يبدله عن‌الحق الى الباطل .

أما اذا غيره عن باطل الى حق ، على طريق الاصلاح ، فقد أحسن ، لأن الاصلاح يقتضى ضربا من التبديل والتغيير » .

وقال ص ١١٧ فى المصلح لهذه الوصية ، هذا الوصى ، وقد يدخل تحته الشاهد وقد يكون منه من يتولى ذلك بدعوته من وال أو ولى أو وصى أو من يأمر بالمعروف ، فكل هؤلاء يدخل تحت قوله تعالى : « فمن خاف من موص .. اذا ظهرت لهم **امارات** الجنف والاثم **أو علموا ذلك »** ، وقال بأن هذا الاصلاح يكون بين أهل الوصايا ، وبينهم وبين الورثة .

وقال الشيخ أحمد مصطفى المراغى فى تفسيره ص ٦٦ ج ٢

« اذا خرج الموصى فى وصيته عن نهج الشرع والعـــدل (خطأ أو عمدا) فتنازع الموصى لهم فى المال ، أو تنازعوا مع الورثة ، فتوسط بينهم من يعلم بذلك ، وأصلح بتبديل هذا الجنف والحيف فلا اثم عليه فى هذا التبديل ، لأنه تبديل باطل لحق ، وازالة مفسدة بمصلحة ، وقلما يكون اصلاح لا يترك بعض الخصوم شيئا مما يرونه حقا لهم » .

ان الوصية من القربات الى اللـــه ولا يتقرب الى الله بمفســـدة ، واذا تعذرت معرفة قصد الموصى فانه ينظر الى عمله إن كان فيه ضرر وجنف بحـــق ورثته أولا ، فان قام على ذلك دليـــل ظاهر على أن فيه ضررا ، عدل بقـــدر ما يصلح الأمر ، وبصرف النظر عن نية الموصى وقصده ، ما دام الجنف لا يحمل معنى العمد اذ قد يكون من عدم التبصر أو بدافع قوة الشفقة لمن حاباه وهلم جرا ...

الوصية والميراث : ان آية الوصية نزلت قبل آية المواريث ، « للوالدين والأقربين » ، ممن جعل اللـــه نصيبهم « فريضـــة من الله » ، وقـــال الامام البيضاوى فى ذلك ان الحكم فى الوصية للوارث قد نسخ بآية المواريث وبقوله

عليه الصلاة والسلام : (ان الله أعطى كل ذى حق حقه ، ألا لا وصية لوارث) وبعدما عرض هذا الحكم الذى أخذت به جمهرة الأمة وفقهاؤها علق عليه قائلا : « فيه نظر ، لأن آية المواريث لا تعارض حكم الوصـــية بل تؤكده من حيث أنها تدل على تقديم الوصية مطلقا ، من بعد وصية توصون بها أو دين .

وقال: والحديث من الآحاد ، وتلقى الأمة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر » ، وتوسع بهذا البحث الشيخ أحمد ابراهيم بك (الأستاذ فى كلية الحقوق بجامعة فؤاد سابقا فى كتابه ، « الوصية » ورأى أنه قد يكون من الورثة صغير مثـــلا يطلب العـــلم أو مريض ونصيبه الارثى لا يكفيه ، ويكون من الحـــاجة أن يعان بنصيب اضافى بطريق الوصية ويكون معنى أن (لا وصية لوارث) على الوجوب بعد أن حدد الله لهم الفريضـــة ، وكانت من قبل واجبة ، فنســـخ هذا الحكم بالوجوب ، وبذلك نعمل بالتوفيق بين آيتى المواريث والوصية » .

وقال فى ختام بحثه ص ١٣ « الذى ترتاح اليه النفس ويؤخـــذ من روح الشريعة ومقاصدها النبيلة السامية ، انه لا يجوز ادخال الوحشة على الأولاد وسائر الأقارب ، بايثار بعضهم على بعض ، لا فى الحياة ولا بعد الممات ، الا **اذا وجد سبب وجيه يقره الشرع والعقل لايثار بعضهم على بعض . »**

واذا جار الانسان فى وصية أو فى هبة وتنكب طريق العـــدل والحق ، فللحاكم أن يرده الى الصواب (كما قال المهلب) وان لا يمكن من الاســـاءة فى استعمال حقه .

هذا ما أراه فى موضوع **الهبة والوصية** (وفى ضوء الكتاب والسنة) — وكذا الكلام فى الوقف ينبغى أن يكون .

الوصية الواجبة

واضافة الى ما سلف فان التشريع السورى أخذ من « الوصية الواجبة » بمنح أولاد الابن المتوفى فى حياة أبيه نصيبا باسم : « الوصية الواجبة » لهؤلاء الأحفاد تكون بمقدار حصتهم مما كان يرثه أبوهم عن أصله المتوفى على فرض موت أبيهم اثر وفاة أصله المـــذكور ، وعلى أن لا يتجاوز ذلـــك ثلث التركة من جهة ، وبشرط أن لا يكونوا وارثين لأصل أبيهم (جدا كان أو جدة) وأن لا يكون قد أوصى بمقدار ذلك فان أوصى لهم بأقل من ذلك وجبت تكملته ، وان أوصى بأكثر كان الزائد وصية اختيارية ، وان أوصى لبعضهم فقط وجبت الوصية للآخر بقدر نصيبه على الافتراض المذكور ويكون ذلك لابن الابن وان نزل وعـــلى أن للذكر مثل حظ الانثيين(١) .

---

(١) وبهذا أيضا أخذ المشرع المصرى فى قوانين الاحوال الشخصية .

وحدة الدين ومميزات الاسلام

الشيخ : محمد محمد أبو حوات
وكيل معهد الاسكندرية الازهرى

بحث فى معنى العقيدة فى الاديان ومجىء الاسلام فيها بطريقة لم تعرف قبله ، وبذلك كانت البشرية محتاجة الى الاسلام للمميزات التى تحققت فيه دون غيره .

الاسلام عقيدة وعمل ، والعقيدة فى كل دين تعتمد الايمان بأن هذا الوجود كله مخلوق وقائم بتدبير مدبر حكيم واحد عالم قادر لا يحد سلطانه فى أى شىء شىء ، وهذا أصل الاصول فى العقيدة ، الذى يتفرع عليه الايمان بالغيب والنبوات وما ينبنى عليهما .

وهذا المعنى ظل ينتقل من رسول الى رسول ، ويطلب الايمان به من أمة بعد أمة ، حتى انتهى الى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، والى الامة التى هى خير أمة أخرجت للناس .. قال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » . وقد يكون ذلك لأن العقيدة التى يدعى الخلق الى اعتناقها ينبغى أن تتلاقى مع فطرتهم وطبائعهم الأساسية التى لا يلحقها الاختلاف الى حد التناقض على مدى العصور والأجيال ، فالبشر هم البشر على كل حال ، وهذا بعض ما يؤخذ من قوله تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » وما يشير اليه قوله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة » ..

من هذه الحقيقة — فى ظاهرها — قد ينشأ هذا التساؤل : هل يختلف تكوين العقيدة فى الاسلام عنه فى الأديان السابقة عليه ؟ وهل هناك صفات ومبادىء يقوم عليها بناء الاسلام تجعله يمتاز على ما سبقه من الرسالات ؟

ولقد قصدت أن أتناول بحث هذا الموضوع بما أعتقد أنه يضيف شيئا ..

العقيدة — فى الاسلام — لا تتكون وتصير حقيقة تتزلزل الجبال ولا تتزلزل ، الا اذا

كانت نتاج معــارك ذهنية وفكرية تنتهى الى اليقين والتسليم والاطمئنان النفسى والتصديق القلبى ، ومتى انتهت المعارك الى هذا فقد تكونت العقيدة التى بها يوصف الشخص بأنه مؤمن ومعتقد اعتقادا صحيحا .. فما يحدث فى نفس الشـــخص من شبهة أو شك أو اتجاه ، وما يحدث عقيب ذلك من أخذ ورد واستدلال ورفض أو قبول فى تأن ومحاولة .. كل أولئك هو المعمل الذى تتولد فيه العقيدة التى تملأ العقل والقلب والوجدان جميعا .

وبهذا نســتطيع أن نقول : انه لا عقيدة صحيحة ان لم تســبق ببحث وشك وتأمل ، ولقد كان عامة المسلمين يرون ذلك ، فالامام الرازى مثلا يقول : اليقين عبارة عن العــلم المستفاد بالتأمل اذا كان مسبوقا بالشك . ويقول : اليقين عبارة عن علم يحصـــل بعد زوال الشبهة بسبب التأمل .. ومن هنا أوشك علماء الاســلام أن يكونوا متفقين على أنه لا اعتبار لايمان المقلد ، وهو الذى يعتقد دون حجة أو برهان .

ولعلنا نلحظ هذا واضحا فى مسلك علماء الكلام فى الاسلام عند الاستدلال على أية صفة من صفات الله حيث نجد هذا المسلك قائما على افتراض ضد ما يراد اقامة الدليل عليه ، ثم رفضه بالدليل ليثبت المعتقد ، وفى مقابل هذه الطريقة الاســـلامية التى تعتمد البحث والنظر ، نسمع دعاة آخر دين قبل الاسلام ينادون : « أطفىء مصــــباح عقلك واعتقد المحال .. اعتقد وأنت أعمى » .. وشتان ما بين هذا وبين الاسلام ..

والاســـــلام ــ وان كان قد نادى بوحدة العقيدة ، على أساس أنها دعوة الحق فى كل زمان ومكان ــ تقوم دعوته على مبادىء يمتاز بها ، وتجــــد البشرية فيه من أجلها غذاءها الطيب سواء من جهة المادة أم من جهة الروح ، من هذه المبادىء التى يمتاز بها الاسلام :

١ ــ أن دعوته عامة شاملة خالدة باقية : فأما عموم الدعوة بمعنى أنها موجهة للناس عامة ، فلم تكن قضـية دين من الاديان قبل الاســـــلام .. وهذا واضح فى اليهودية والمسيحية على سواء .. فأما اليهودية ، فقد أرسل بها موسى وهرون عليهما السلام أساسا لانقاذ بنى اسرائيل من عذاب فرعون بناء على أنهما رســـولان من عند الله ، وكان نقاش فرعون معهما نقاشا جانبيا بسبب نســـبة ارسالهما الى اله غيره وأدى هذا النقاش الى ادخاله وحاشيته فى الدعوة حتى لكأن الرسالة اليه كما يبـدو من بعض الآيات ، وهذا لا يعارض كونها أساسا لبنى اسرائيل . قال تعالى : « فأتيــاه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنــا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قــد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى » ..

حتى اذا خرجوا من مصر وصاروا وحدهم ، ذهب موسى لميقـــــات ربه ، وجاء لهم ــ لا لفرعون أو غيره ــ بالتوراة ، وباشر موسى وهرون أعباء الرسالة فى بنى اسرائيل دون سواهم ، ثم ان اليهود ــ بعدهما ــ بناء على دعاوى عنصرية كاذبة تصل الى حد الادعاء بأنهم شعب الله المختار ، لا يرون لغيرهم الحق فى دينهم فضــــلا عن الدعوة الى اعتناقه ، وان كان قد حدث مؤخرا ما يخالف هذا المسلك فليس من الدين وانما من زيف السياسيين .

وأما المسيحية فكانت كذلك دعوة خاصــة لبنى اسرائيل .

يقول الله تعالى فى سورة آل عمران فى شأن عيسى عليه السلام : « ويعلمه الكتاب والحكمة والتــوراة والانجيل ورســولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم » .. ويقول من سورة الصف : « واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » .. وهذا معناه

أن الدعوة على لسان عيسى لم تكن دعوة عامة ، وانما كانت خاصة ببنى اسرائيل .. ولكن ما ان تلقفتها ألسن الدعاة بعده وكانت أفضل ما يوجد فى المجتمع الذى يضج من دعاوى النصـــوص الجوفاء دون تطبيق من جانب اليهود ، ويجأر من ظلم الحـكم دون نصـوص يحتكم اليها من جانب الرومان .. أقول : ما ان تلقفتها ألسن الدعاة فى هذا المجتمع حتى مالت اليها الجماهير شأن كل شىء جديد فى مجتمع لا يرضى عن حاكميه . وبعد فترة قصيرة تحولت الى مذاهب متناحرة تقوم على ألوان من العقائد متنافرة تزعم كل واحدة منها أنها الدين الحق ، وحين صارت تصاوير وتماثيل وأبنية وطقوسا ، هفت اليها قلوب الغربيين لتغلغل تلك الصـــفات فى نفوسهم ، واتخذوها وسيلة من وسائل بسط نفوذهم وفرض سلطانهم على العالم ، وصار التبشير عملا سياسيا محضا يتقدم جحافل الجنود ومعدات القتال ، وبخاصة فى البلاد التى يخشـــــون أن يضىء فى جنباتها نور الاسلام ، فانفساح الارض أمام المسيحية أمر طارىء عليها حولها عن هدفها الاصيل ..

هكذا كان الدينان قبل الاسلام ، فلما تأذن الله العزيز الرحيم بخلقه أن يرسل الرسول الخاتم جعل رسالته عامة شاملة ، لا تخص بهدايتها وآدابها وحضارتها ووسائلها لمعرفة الحق جنسا دون جنس ولا أمة دون أمة ، قضاء لحق الناس كلهم فى معرفة دين الله : ((لئلا يـــكون للناس على الله حجة بعـد الرسل)) وفى هذا المعنى يقول الله تعالى : ((قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا)) .. ويقول : ((وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا)) .. ويقول : ((وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)) ..

والاســـلام فى هـــذا المعنى منطقى مع نفســـه ، فلقـد نادى بأنه خاتم الديانات السماوية ، وبه انتهى وحى الســـماء الى الارض : ((ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين)) .

ولما كان خلق الله للجن والانس من أجل عبـــــادته : ((وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)) . وكان طلب العبادة من الخلق مع انقطاع حبل الرسالة والبلاغ — بعد موت الرسول — تكليفا بما لا يطاق .. اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل الرسالة الخاتمة ، قائمة على معجزة خالدة باقيـــة ، بحيث لا يتأتى أن تموت بموت الرسول ولا أن تزول بزوال شـــخصه من الدنيا ، فجعل القرآن الكريم لسان الدعوة ومعجزتها ، وأودع فيه ما يصلح ان يكون اعجازا لكل عصر ، وتكفل بخلوده وحفظه على الدهر : ((انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)) ..

وبخلود القرآن الكريم ، وبحفظ الصحيح من سنة الرســـول ، وببحث العلماء فيهما وتوليد الاحكام واستنباط القضايا تســـتطيع البشرية أن تجد فى الاسلام غناءها فى يسرها وعسرها وسلمها وحربها ، وما يسد حاجتها ويقطع حجتهــــا ، وذلك كله لم يتحـقق الا بالاسلام ..

٢ — أن الاسلام جاء ليصحح انحرافا ظالما وقع فيه السابقون .. وفى هذا المقام يبدو لى أن العقلية اليهودية المســـتمدة من المزاج الاسرائيلى لا تؤمن بالمبـــادىء المعنوية والمثل غير المحسوسة ، مما جعل الاسرائيليين قبل المسيح وفى صدر رسالته ينحرفون بالعقيدة فى الاله عن وجهها الصحيح انحرافا يقوم على الشبه الكبير بين الله وبين الانسان . ولنستعرض معا بعض الاحداث :

أ) ما كاد بنو اسرائيل ينتقلون مع موسى من مصر الى الجزء الشرقى منها (سيناء) حتى قالوا لموسى ((اجعل لنا الها كما لهم آلهة)) كآلهة قوم مروا عليهـــم فوجدوهم يعكفون على عبادة الاصــــنام ، وفى كلمة (الجعل) دليل على ما تحمله عقليتهم من معنى الاله ، فهو فى نظرهم مجعول لا جاعل ، ثم ما كاد موسى يذهب الى الميقـــات لتلقى التوراة حتى صنعوا عجلا جسدا له خوار وعبدوه حتى عاد موسى بالالواح ..

ب) بعد مدة قصيرة فى حساب التاريخ بدا لهم أن ينسبوا الولد الى الله فقالوا : عزيز ابن الله . وذلك فوق دعاواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأنهم لن يعـذبوا الا أياما معدودات ، وأنهم شعب الله المختار ، مع إبائهم أن يدخلوا القرية وأن يقولوا حطة ، ورفضهم الصبر على المن والسلوى وجبنهم عن القتال مع موسى للقوم الجبارين وقولهم له : اذهب أنت وربك فقـــاتلا انا ههنا قاعدون .

جـ) ثم بعد هزيمتهم أمام أعدائهم وزوال ملك اسرائيل ، وارســـال الله لهم طالوت ملكا عليهم جعلوا يعارضون حتى أقنعوا ثم عصـــوا وشربوا من النهر الى غير ذلك من الاعتداء فى السبت وأكلهم الربا ، فأرسل الله فيهم عيسى ابن مريم ، بعد أن جعل ولادته معجزة ، فكفروا به واتهموا أمه وناصـبوه العداء حتى هموا بقتله كما قتلوا الانبيـــاء قبله ، ولما نجاه الله منهم وأخبروا بأنهم لم يقتلوه لجوا فى دعواهم قائلين : ((انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم)) ، وظلت جماهيرهم الغفيرة على اليهودية غير مؤمنين برســـالة المسيح عليه الســـلام رغم معجزاته المؤيدة لرسالته ، والذين دخلوا فى المسيحية بعد ذلك لم يهضموا أن يـــكون عيسى بغير أب فنادوا جميعا ــ الا قليلا ــ بأن عيسى ابن الله ، ومريم صاحبته ..

ازاء ذلك كله لم يكن بد من تصحيح الوضع واقامة كل شىء فى نصابه ، كان لا بد من وضع اليهودية واليهود فى الموضع الصحيح ، ونفى وهدم كل القضـــايا والدعاوى الكاذبة لهم ، وكان لا بد من وضع المســـيح وأمه والمسيحية كلها فى الوضع الصـــحيح ، والا زهق الحق وقام البـــاطل واختلط على الناس أمر الدين فى الاعتقاد والعبـــادة على سواء .

ولم يكن ذلك ممكنا الا اذا تكفلت به رسالة جديدة يتحقق لها من وسائل الصدق وأسباب البقاء والخلود كل الضمانات ، فكان الاسلام ضرورة منطقية ، وكان القرآن لســـان صدق ينادى الى يوم القيـــامة ناعيا على اليهود جرائمهم ، ومخلدا لعنهم على لسان الرسل ، وضاربا عليهم الذلة مهما بدا أنهم غالبون ، ومؤذنا ومؤكدا أن الله سيبعث عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، كما كان القرآن مصححا للمسيحية ما طرأ عليها من انحراف وغلو : ((يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ، ولا تقولوا على الله الا الحق ، انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمتــه ألقـــاها الى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم ، انما الله اله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد ، له ما فى السموات وما فى الارض ، وكفى بالله وكيلا)) ..

وفى القرآن الكريم وفى سنة الرســـول كثير من النصوص التى تبين الحقائق واضحة فى كل ما يتعـــلق بدعاوى أهل الدينين السابقين ، مما لا يمكن للبشرية أن تكون فى غنى عن معرفته احقاقا للحق ودفعا للزيف والباطل من طريق الحياة .. ونســتطيع أن نأخذ هذه المعانى وغيرها من قوله تعالى : ((ان هذا القرآن يهـدى للتى هى أقوم)) يعنى : ان هذا القرآن كتاب الاسلام ومعجزة محمد يهدى ويرشد كافة الخلق الى الملة التى هى أقوم الملل وأسدها وأقدرها على البقـــاء محقة للحق ومبطلة للباطل أبد الدهر .

ولعلنا بعد هذا ندرك مدى ما كانت البشرية تتردى فيه من ضلال وفساد ، لو لم يبعث الله محمدا مؤيدا بهذا الكتاب الكريم حتى يتحقق ــ الى الابد ــ ما من أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب ، كما يقول سبحانه : ((لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)) .

٣ ــ أن الاسلام جاء بأســـلوب يختلف اختلافا بينا عن أسلوب الاديان السابقة ، ومعلوم أن البشرية تشبه الطفل فى أطوار

نشأته ، فكما أن لكل طور نوعا من الرعاية والغذاء لا يتناسب مع الطور الذى يليه فكذلك البشرية فى بدء خلقها ، ثم فى تدرجها نحو الرشد ، وما يشبه الكمال العقلى تحتاج فى كل طور الى طريقة خاصة وأسلوب فى الدعوة يختلف عما كان قبله من أساليب ، ومن هنا نجد الوسائل والغايات تتوالى على ألوان مختلفة فيما حدثنا القرآن الكريم عنه من رسالات الانبياء السابقين ، حتى اذا بلغت البشرية رشدها وأصبح للجملة الرائعة والكلمة الأخاذة قدرها وأثرها ، وهيأ الله من خلقه نوعا من الناس قادرا على حمل الكلمة والتأثر بها والتأثير بخطرها ، جاء الاسلام ونزل القرآن يخاطب العقل ويحترمه ، ويستنهضه ويقدمه ، حتى يبعث فى الانسان رغبات البحث وميول الاستهداء ، وعرض عليه فى أكثر من آية ما يضع أزمة الامور كلها فى يده .

من هذه الحقيقة تميز الاسلام بأسلوبه فى الدعوة ، فجعل يعرض على الانسان ألوانا من البراهين والحجج التى تجعله بطبيعته يفكر ويناقش ويفترض ثم ينتهى الى قرار هو العقيدة . سأله فى معرض هدايته الى مستحق العبادة : « أفمن يخلق كمن لا يخلق » ثم فصل هذه المقارنة القصيرة فى آيات سورة النمل مثلا : « آلله خير أما يشركون » .. « أم من خلق السموات والارض .. » « أم من جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا .. » « أم من يجيب المضطر اذا دعاه .. » الى آخر الآيات ..

وعرض عليه أمر الخلق فى أساليب كثيرة : « وفى الارض آيات للموقنين .. وفى أنفسكم أفلا تبصرون » « قل انظروا ماذا فى السموات والارض » « خلق السموات بغير عمد ترونها ، وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم ، وبث فيها من كل دابة ، وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم . هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه » ..

ولما كانت قضية البعث ذات شأن عجيب ، وكان انكار الناس لها أمرا محتملا فى كل زمان ، تفنن القرآن بأفانين القول ، وأتى ببالغ الحجج ، ليصل بالعقل الى يقين الايمان ، فمرة يعرضها فى سؤال وجواب : « قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة » وأخرى يختصرها فى جملة : « كما بدأكم تعودون » ومرات يفصل فى قياس الاعادة على البدء فى الانسان ذاته ، وأخرى يذكر قدرته فى خلق النبات فى موات الارض ثم يشبه به بعث الناس ونشورهم ، وحسبك أن تقرأ فى هذا آية البعث فى أوائل سورة الحج ، أو آيات الخلق فى أوائل سورة « المؤمنون » ثم التعقيب عليها بقوله تعالى : « ثم انكم بعد ذلك لميتون . ثم انكم يوم القيامة تبعثون » ..

وهذا النوع من الأدلة فى القرآن كثير ، هذا . ومن المبالغة فى احترام الانسان وفى تقرير حريته حتى فى الايمان بالله أو رفض هذا الايمان ، أن تسمع فى القرآن وتقرأ « وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » فقد أطلقت هذه الآية حرية الفرد اطلاقا لم يعرف له نظير ، ولكن بعد أن بينت وأوضحت جوهر القضية .. تقول : ان الحق هو الذى جاء من عند الله ، فمن شاء فليؤمن به ومن شاء فليكفر .. وليس هناك كلام يمنح الحرية حصانات من الزلل أبلغ من هذا الكلام ..

على أن ذلك كله وغيره مما يزخر به القرآن كتاب الله انما جاء على ما يوافق طبائع البشر وفطرهم ، وانك لتقارن بين قوله تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله » . وبين النص المسيحى : « من لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر ، ومن أخذ رداءك فأعطه ازارك » فتعرف أى العبارتين تتمشى مع طبيعة الانسان ، حتى ان المسيحيين أنفسهم لم يطيقوا تطبيق هذا النص ، بل كانما عاندوه فصاروا فى عصور الاستعمار

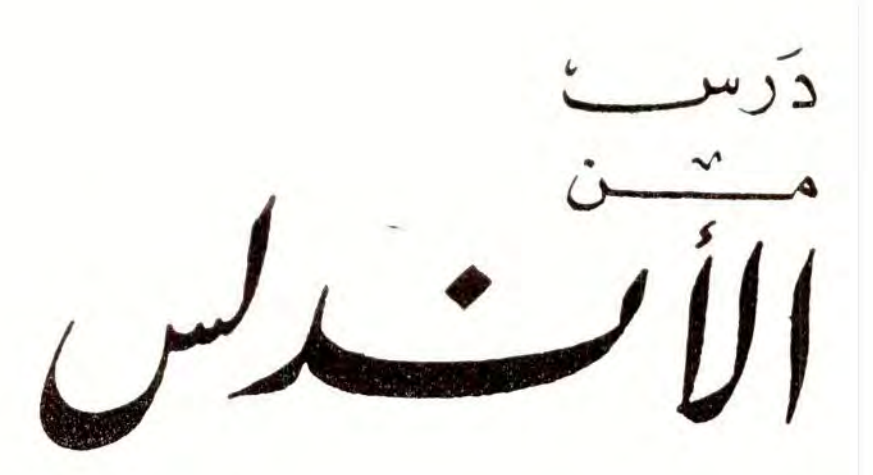
الغربى الذى حدث أحيانا باسم المســـيح وبشعار الصـــليب ، ينهبون أردية الناس وأزرهم جميعا ..

أيها القارىء الكريم ، ان ما قدمته لك من صفات وسمات تميز الاســـلام عن غيره من الديانات السابقة قليل من كثير ، تســتطيع الشعور به ومعرفته كلما قرأت فى كتاب الله أو دارست سنة رسول الله ، مما يتبين معه أن الاسلام فى شطره الاعتقادى ـ رغم ندائه بوحدة الدين ـ جاء ليســـد حاجة البشرية لدين يتواءم أسلوبه ، وتتناسب طريقة عرضه مع ما وصلت اليه البشرية من رشد وحسن ادراك لما حولها من الاشياء ، فى الارض وفى البحر وفى السماء ، ولقد تكفل الاسلام بذلك كله ، وأثبت أنه قادر على مواكبـــة البشرية ، يمدها بما عنده من توجيه وارشاد وتأييد ، ويبارك جهود الانسان فى الانتفاع بكل ما حوله ، ويحثه للوصول الى معرفة أسراره ، حتى يستطيع فى نهاية الامر أن يدرك حكمة الخالق فيما خلق ، وحتى يتبين له عن تجـــربة واختبار ، مدى علم وقدرة الفاعل المختار ، وصدق الله العظيم « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ..

أما شطر الاسلام الثانى وهو العمل ، وأسلوب الاسلام فى أساس التكليف وملاءمته لقدرات الانسان ، وتيسير الدين فى هـــذا الجانب ، فذلك موضـــوع يحتاج الى حديث آخر ان شاء الله .

ليس للمجلة وكيل فى الأردن

جاءتنا رسائل كثيرة تفيد أن شخصا نمســـك عن ذكر اسمه الآن ينتحل صفة وكيل للمجلة فى الأردن ، وليس لنا وكيل فيها ولا فى غيرها يتحدث أو يقـــابل المسئولين باسم المجلة ، فنلفت الأنظار الى هـــذا ، ونرجو أن يكف هذا الشخص وغيره عما يقومون به وإلا اضطررنا لنشر أسمائهم وكشفهم أمام الناس .



للأستاذ : سعيد الافغاني

رئيس قسم اللغة العربية ـ جامعة دمشق

« مثلت جامعة دمشق فى المهرجان الدولى الذى أقامته الدولة الاسبانية من ١٢ ـ ١٨ مارس سنة ١٩٦٣ فى الذكرى المئوية التاسعة لوفاة الامام العظيم ابن حزم (٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ ، ٩٩٤ ـ ١٠٦٤) فى قرطبة وهى الزيارة الثانية التى قمت بها للاندلس ، ووجدت فى مذكرتى خلاصة ما يلى » :

تكاد الرحلات العلمية تكون أمتع ما يغتبط به الانسان المثقف ، فاذا سبق له أن درس تاريخ بلد وجغرافيته كانت الرحلة اليه أمتع ، فاذا أضاف الى ذلك أواصر روحية وجدانية تشده الى هذا البلد فحدث عن غبطته ولا حرج .

ذلك ما يخامر العربى المتعلم حين يواتيه حظ فيزور الأندلس ، ولقد اقترن اسم الأندلس عنده بتاريخ طويل فاجع حتى ليرادف المأساة بأوسع معانيها . والمعن فى تراثنا الأدبى يستطيع أن يجمع دواوين ضخمة مما قيل فى هذه المأساة من شعر ونثر يستدران الدمع ويدميان القلب بما زخرا به من عواطف حادة جياشة . ولست الى هذا أدير القول اليوم ، وانما أصرفه الى أحد أسباب النكبة ، وما زال التاريخ يمدنا بما لو انتفعنا به لتجنبنا النكبات وسددنا الخطوات .

فتح العرب الأندلس فى مدة قصيرة ، والأندلس لا تزيد رقعتها على أرض الشام(١) ان لم تقل عنها ،

(١) الشام فى اصطلاح العرب من كليكية شمالا الى صحراء سيناء ، ومن البادية الى البحر الابيض المتوسط ، أى ما يعبر عنه فى أوضاع الاحتلالين السابقين الفرنسى والبريطانى بحكومات سوريا ولبنان وجبل العلويين وجبل الدروز وشرقى الاردن وفلسطين .

ثم اكتفوا بهـــــذا الظفر وتركوا لعدوهم الارض الوعرة فى الشـــمال فلم يوغلوا فيها ولم يتتبعوه ، وتلك غفلة منهم آخذهم بها كل مؤرخ ، فتمكن عدوهم فى تلك الاوعار فى الشمال ، وجعل يتقوى ويتربص بهم الدوائر وكان هذا أول الأخطـــاء . ورزق الله العـــرب رعيلهم الأول ، ثلة من الرجال العظام بناة الدول ، فأقاموا على الأرض الاســـــبانية حضارة وارفة الظلال ما تزال آثارها الى اليوم . تدر على اسبانية الخير العميم بحيث كان موردها من الموسم السياحى عام ١٩٦٢ أربعمائة مليون دولار ، وليس فى اسبانية ما يجذب اليها الســـياح غير آثارنا فيها : المســـجد الجامع فى قرطبة وقصر الحمراء فى غرناطة وقصر اشبيلية ومنارتها ، ثم أحياء عربية الطراز تجمعت حول هذه الآثار ، يغمر ذلك كله مناخ شامى مشرق الشمس .

لم تمض تلك الثلة من بناة الدول الى ربها ، وتتبعها أخرى مشت على آثارها ، حتى غرق القوم فى النعيم يلهـــون ويتمتعون ، وانصرفوا عن الجهـــاد والفتح والرباط لاهين عن جد الأمور وعزائمهـــا ، وأولعوا بالفخفخة الفارغة ، وانصــــاعوا لأهوائهم .. فنفخ الشـــيطان فى معاطســـهم ، وصار كل ذى نزوة يحدث نفسه بالســـلطان وقهر المنافســـين وهو يرى مكان العدو المتربص به وبمنافسيه ، فانصرفوا عن اعداد العدة للعدو ، وبدلا من أن يتفق الامير العربى هو ومنافسه على عدوه صار يستعين بالعدو على ابن عمه وأخيه ، فيلبى العدو الدعوة ويتعاونان على ابادة ابن العم والأخ ويقتطعان معا من الارض العربيـــة ما يقوى به الاســـبانى على حصة حليفه بعد أيام .

تشاغل أمراء الطوائف عن الجد ، وعنوا بأبهـــة المظهر وترف الزينة ، وبناء القصور والجنان ، والجلوس للنـــدماء والشـــعراء والمغنين والمطربين ، وتغـــالوا فى ذلك ، وتلقبوا بألقاب الخلفاء ، حتى قامت فى كل بلدة دولة ، وحتى عددنا فى هذه الرقعة الصغيرة فى الربع الأول من المئة الخامسة للهجرة ثمـــانى دول : الدولة الزيرية فى «غرناطة» ، والدولة الحمودية فى « مالقة » ، والدولة الهودية فى « سرقسطة » ، ودولة بنى الأفطس فى «بطليوس» ، والدولة الجهورية فى « قرطبة » ، ودولة ذى النـــون فى طليطلة ، والدولة العامرية فى « بلنسية » ، والدولة العبادية فى « أشبيلية » ، ثمـــانى دول على عدد الدول العربية يوم ضياع فلســـطين ! وكل هذه الدول تحترب فيما بينها ، وترى وجود أشـــقائها أشد ضررا عليها من وجود أعدائهـــا ، وهى لا تغفل الألقاب الفخمة كألقـــاب بنى العبـــاس الذين كانوا يحكمون رقعة تزيد على مئة ضـــعف من رقعة الأندلس ، بل لا يقبلون من شعرائهم الا أن يرفعوهم الى مصـــاف عظام الملوك والأباطرة وان لم تزد مملكتهم على عدة قرى .

هذا ادريس بن يحيى أحد هؤلاء الملوك الصغار لا يظهر لرعيته ، وانما ينشد المدائح ويسمع الغناء من وراء حجاب ، اقتفاء لطريقة بعض خلفاء بنى العباس ، يدخل عليه الشـــاعر ابن مقانا الاشبيلى بقصيدته الرائعة التى يقول فيها :

وكأن الشــــمس لمـــا أشرقت
فانثنت عنهـــا عيون الناظرين

وجه ادريس بن يحـــــيى بن علـ
ـى بن حمـــــود أمير المؤمنـــين

خلقـــوا من ماء عـــدل وتقى
وجميع الناس من ماء وطين ..

فحين يختمها بقوله :

انظـــــرونا نقتبس من نوركم
انه من نور رب العـــــالمين

يتفضل الملقب نفســـه بالخليفة ، فيأمر حاجبه برفع الحجاب ، ويتكرم على الشاعر برؤية وجهه المنير فى أسلوب مسرحى صبيانى .

لم تعدم الأندلس عقـــلاء تنبؤوا بالعـــاقبة الوخيمة لهذه المظـــاهر الفارغة ، فيقول شاعرهم أبو بكر ابن عمار :

ممـــا يزهدنى فىأرض أندلس
ألقـــاب معتمد فيها ومعتضـــد
ألقاب مملكة فى غير موضـــعها
كالهر يحكى انتفاخا صولة الأسد

وتعـــم الفتن أرض الأندلس ، وتصبغ بالدماء ، انصـــياعا لأهواء الحكام الصبيان الذين اختطفوا الحكم غصبا وسرقة ، وجعلوه لهوا وعبثا وفســادا فضاعت البلاد والعباد . ويصور هذا الهول العظيم الامام ابن حزم الأندلسى الذى رجعنا من تكريم ذكراه فى مهرجانه بقرطبة ، بكلمته المشهورة :

« أخلوقة لم يقـــــع فى الدهر مثلها ، فانه ظهر رجل يقـــال له (المؤيد الحصرى) بعد اثنين وعشرين عاما من موت هشام بن الحـــكم الأموى ، فادعى أنه هشام ، وشهد له أنه هو : قوم خصـــاس ، من خصيان ونساء ، فبويع ، وخطب له على أكثر منابر الأندلس ، وسفكت الدماء به ، وتصادمت الجيوش فى أمره . وكان محـــمد بن القاسـم الحسنى خليفة فى بلدة الجزيرة ، ومحمد بن ادريس خليفة بمالقة ، وادريس بن يحيى خليـــفة فى سبتة .. » ، « واجتمع عنـدنا فى صقع الأندلس أربعـــة خلفـاء فى مســافة ثلاثة أيام فى مثلها ، كلهم يدعى بأمير المؤمنين ، وذلك فضيحة لم ير مثلها دلت على الادبار المؤبد » ولقد صدق ابن حزم ووقع الادبار ، وتلك سنة الله أدركها الناس حتى قبل نزول الوحى ، وصاغها شاعرنا القديم بأوجز لفظ وأبلغه حين قال :

لما اعتقدتم أناســـا لا حلوم لهم
ضعتم وضـــيعتم من كان يعتقد

وصـــغارنا اليـوم فى المدارس يرددون ما كان يردد أطفال العرب وشيوخهم منذ أربعة عشر قرنا :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم ســـادوا

الحق أنه كان يقع فى أحوال نادرة أن يرجع الملـك الأندلسى من ملوك الطوائف الى السداد ، لـــكن هذا لا يدوم الا ريثما ينتكس :

لما اشتد ضغط الاســبان على المعتمد بن عباد ملك اشـــبيلية اســتغاث بأمير مغربى لم يفسده الترف ولم يفسد جنده كما فسد أهل الأندلس وأمراؤهم ، هو أميـــر

المسلمين يوسف بن تاشـــفين ، فحذرت المعتمد بطـانته أن هـــذا السلطان اذا رأى اشـــبيلية وريفها وخيراتها طمع فيها فملكها ونفاه الى الصحراء ، فقال المعتمد قولة الراعى الصالح الواعى :

« رعى الجمال أحب الى من رعى الخنازير » .

يعنى أن الأسر عند ابن تاشفين أحب اليه من الأسر عند الاسبان ، لكن هذا القول الحكيم لم يطل به الى حيز التنفيذ فسرعان ما نكص على عقبيه واستعان بالاسبان لما عرف أن ابن تاشـــفين يريد أن يرجع الى الأندلس ثانية وربما احتل اشبيلية ، وكذلك كان ، فأسر السلطان المعتمد ابن عباد حليف الاسبان ونفاه الى « أغمات » على بعد ثلاثين كيلو مترا من مراكش ، وبهـا دفن فى متربة معروفة لا أثر لقبر فيها ، وانما هو بضعة أحجار متناثرة ، زرتها بعد أن كنت زرت قصره العظيم فى اشبيلية ، فرثيت له أولا ، ثم أقررت بعـدالة هذا المصير الذى صار اليه .

ان الذى يســتعين بعدوه على قومه ليس أهلا لرثاء ولا مرحمة ، فلقد أضــاع بنزواته وأهوائه دماء عشرات الالوف من المسلمين فحق على الله أن يضيعه فى الدنيا ، وهو بعد فى الآخرة أشد ضياعا .

هل ترى أيها القارىء العزيز ظلما فيما حل بالأندلس من نكبات فاجعات عاقبـــة لتفـرق كلمتهم ونزوات حكامهم ؟!! ان من أضـــاع وحدته وقوته بيده مزقته الأيام أباديد .

لا أعلق على ما سردت لــك من تاريخ ، فالعبرة ظاهرة ســافرة ، والعاقل من اتعظ واعتبر ، وان الله لا يظلم الناس شيئا ولـــكن الناس أنفسهم يظلمون .



فدائي يتحدث !!

انى أحــدثكم وفى عزمى شـــــباب:
وحروف قولى من لهيب يا صــــحاب
فأنا غريق ، قد أحاط به العبـــــاب
وأنا غريب عشت عمــرى فى اكتئـــاب
لكننى بالأمس قد جزت الصـــــعاب
بطـــلا فدائيا ، له العجب العجـــاب
وغــدا بعزمى ســـوف أفتح كل باب !

* •• * •• *

عشرين عـــاما عشت أشــكو الاغتراب:
أهفـــو الى بلـــدى الحبيب ولا اياب
وأذوب شـــوقا للسهول ، وللهضـــاب
وأحن صـــــبا للمآذن ، والقبـــاب
لكننى حتما ســـــأحتضن التراب !
وأبث آهاتى من القــــلب المذاب !
وتعـــود أمى دارها بعد الغيــاب !!!

* •• * •• *

انى أحـــــدثكم ، وقلبى يخــــفق:
عـــن ذكريات بالأسى تتــــــدفق
وأقص قصـــــة لاجىء يتمــــزق
فأبى رأيت دماه ظلمـــــا تهــرق
وشقيقتى ســـيقت لغصب وانتهـــاب:
وأنا الصـــغير ، فؤادى الريان ذاب
وأنا ــ ودون العشر ــ منى الشعر شاب!!

* •• * •• *





هذه قصيدة على لســـان شاب فدائى يتحــدث عن ذكرياته وعن آلامه ، وعن آماله ، وعن تصـــميمه على النصر فى النهاية ، مهما يكن الثمن ! ..

للأستاذ : محمود سلطان
الكويت

ما زلت أذكر يوم أن جاءوا لنــــــا
والجــــو من حمم توهج حولنــا !
هم أحرقوا دارى ، وكل حقـــولنا !
وقضــــوا على ما كان من آمالنا !
وأخى الصــغير رأيتــه غض الاهــاب
وضعته شرذمة الطغاة على الحـــراب
ما زال فى ســمعى له صوت انتحاب !!

* .. * .. *

ومضت بنــا أمى ، وقــد سد الطــريق
وبقلبهــــا جرح الأسى الدامى العميق
عشـــواء تخبط لا أنيس ولا رفيق
ترجو انتهــاء الليل .. تنتظر الشروق
وتقول فى صـــوت يهدجه اضطراب :
لا تنس حيرتنــا هنا بين الشـــعاب
فبعزم جيلك سوف ينقشع الضـــباب !!

* .. * .. *

ما زلت أذكر ألف مأســـاة غريبــة
من بينها مأســـاة والدة عجيبـــة
ســـمعت مدافع ذات جلجلة رهيبـــة
فجرت تجنب طفلهــا هول المصـــيبة
يا ويحها !! خطفته طائرة الصـــواب !
قد أخطـــأت لم تدر الا فى الركاب
الطفل كان وســـادة !! يا للعــذاب !

* .. * .. *

هى ذكريات لـــم تزل فى خاطـــــــرى
ســـــتظل نارا فى دمى ومشـــــــاعرى
ســـــتظل تلهب فى عزم الثـــــــائر
وتضىء فى درب الـــــكفاح دياجـــــرى
ســـــتظل فى الأعمــاق تنهش كالذئاب:
وبها أصفى ــ قسرة ــ كل الحســـــاب
بينى وبين عصـــــابة الغدر الـــكلاب !

* •• * •• *

انى زحفت ، ولن أبــالى بالخطـــــــر:
كالنـــــار ، كالســــيل العنيف المنهمر
فلقد مللت العيش فى هذى الحـــــفر
فإلام ــ والطفل الرضـــيع هنا كبر ؟
نبقى بلا مأوى بلا حتى ثيـــــــاب ؟
والى متى نرضى ونقنـــــــع بالسراب
واذا ظمئنـــــا فالدموع هى الشراب !!

* •• * •• *

انى انطلقت أعيـــــد ســــــابق عزتى
ومضـــــيت نحـــــو القدس أول قبلتى !
فالذكريات هنـــــــاك تلهب مهجـــتى
والأنبيـــــاء تجمعوا فى الســــــاحة !
وفداء أرضى سوف نقتنص الشــــــهاب:
ونخوض أنهـــــار اللهيب ولا نهـــاب
وعن العرين نذود كالأسد الغضـــــاب !

* •• * •• *

يا اخوتى ، ماذا نجيب « محـــــمدا » ؟
يوم الحساب ، وكيف نلقى « خالدا » ؟
بالله كيف ؟ وقد أضعنا المســـجدا ؟!
وتراث ما جمع الجـــــدود تبددا !!؟!
ماذا نقول ؟ وكيف يا قومى الجــواب: ؟!
أنطأطىء الهـــامات منـــا والرقاب ؟
وبأرضنا الآلاف : آلاف الشـــــباب ؟!!

* •• * •• *

أبدا ، محـــــــال أن أطأطىء هامتى
وأنا ســــليل العـــــرب أعظم أمة
ســــــأحيل اسرائيل قطعــــة جمرة !
وأزيح ما زعمـــــوه من أســـــطورة

ويروننى أنقض فيهم كالعقاب:
فى الدور ، فى الطرقات ، من فوق الرواب
وأحيل ما قد شيدوه الى خراب !

* •• * •• *

انى انتفضت ، ولم أعد فى القمقم
لأذيق اسرائيل كأس العلقم
وأفجر الأنهار : أنهار الدم
فليستعد حماتها للمأتم !!
فلقد كشفنا عن وجوههم النقاب:
ولقد فضحنا زعمهم هذا الكذاب
وغدا نذيق جموعهم أقسى عقاب !!

* •• * •• *

انى زحفت ، وسوف تهتز البطاح:
بكتائب ما عاد يعوزها السلاح
سأعيد « حطينا » ، وملحمة الكفاح
ويعود لى وطنى الحبيب المستباح !
ويعود شعب عاش فى قفر يباب
ونراك يا بلدى العزيز بلا اغتصاب
ولواؤنا سيعود فوق ذرا السحاب !!

* •• * •• *

سأعود يا « يافا » اليك وأرتمى
وأرى الشواطىء تستعد لمقدمى
وأرى ابتسامك بعد طول تجهم
والبرتقال يضىء مثل الأنجم !!
وأجوس دربا فيه أحلام عذاب:
وبكل منعطف سلام أو عتاب !!
وأعيش فى أهلى هنالك والصحاب !!

* •• * •• *

سأعود يا وطنى ، عزمت بأن أعود:
سأعود عملاقا ، وأعصف بالقيود
وحدائقى الغناء تورق بالورود
وحقولى الفيحاء تهزج بالنشيد
حتما أعود ، وأرتمى فوق التراب
وأبث آهاتى من القلب المذاب
وتعود أمى دارها بعد الغياب !!



تحية للمدينــة الباسـلة ، وللفر الميامين من أهلها الابطال ، الهازئين بالحديد والنــار ، وبتهـديد القـائد الاسرائيلى بهدمهـا وتحويلهـا الى أنقاض ، نسوق هذا التاريخ القـديم لمدينتهم ، فى الوقت الذى يصـنعون فيه بثباتهم ، أنصع صفحات تاريخهم .

(الوعى)

قبل الميلاد :

مدينة كنعانية ، وردت فى التوراة باسم (شكيم) ، وذكرتها رسائل تل العمارنة حوالى عام ١٤٠٠ ق. م باسم (شاكمى) . نزلهـا سيدنا ابراهيم الخليل ، بعد أن هاجر من بلاده الى فلسطين ، وشيد بجوارها مذبحا ، ثم دخلها يوشع . ثار أهلها ضد (رحبعام) ابن سليمان الملك فى عام ٩٣٠ ق. م وبايعت شقيقة (يربعام) ملكا عليها . فحصنها وجعلها عاصمة مملكة اسرائيل الشمالية مدة ، ثم انتقل الى (فنوئيل) فى شرق الاردن . ثم فقدت أهميتها حينما شيد (عمرى) السامرة ـ سبسطية . وكانت شكيم من أجمل مدن فلسطين لموقعها فى الوادى ، ولخصوبة الارض التى تحيط بها ولتوسطها بين أورشليم والخليل فى الجنوب ، ودمشق فى الشمال ، والسواحل البحرية فى الغرب .

عرفت شكيم باسم (مابورثا) أو (مامورثا) أيضـا . وفى شكيم بشر المسيح عليه السلام المرأة السامرية عند بئر يعقوب أو بئر السامرية كما يذكر الانجيل .

بعد الميلاد :

وفى أثناء الحرب الرومانية اليهودية ، تمرد السـامريون ، وأخذوا فى مقاومة الرومان ، فأرسل اليهم : فاسبسيان القائد سيرياليس بحملة حاصرت



مدينة نابلس او جبل النار كما يسمونها لمواقفها الخالدة فى وجه الغزاة

للدكتور : عبدالرحمن زكي

المتمردين فى جبل جرزيم ، فقتلت منهم عددا غفيرا ، وهدمت المدينة وكان ذلك فى عام ٦٧ م . وبعد عام ٧٠ أمر فاسبسيان بنقل حجارتها ، وتجديد بنائها فى غرب المدينة القديمة ، فى موقعها الحالى ، وسماها (فلافيا نيابوليس) اسم أسرته ، ونيابوليس معناها المدينة الجديدة ، ومنها حرفت كلمة نابلس . ولما انتشرت المسيحية فى البلاد ، دخلت نابلس ، واشتهر فيها القديس (يوستينوس) (١٠٣ م — ١٨٥) ، وفى القرن الرابع أصبحت مركز الاسقفية .

فى العهد الاسلامى :

بعد أن فتح المسلمون غزة توغلت الجيوش العربية فى فلسطين ، ففتحت سبسطية ونابلس بعد أن أمن القائد عمرو بن العاص أهليها على أنفسهم وأموالهم ، على أن يدفعوا الجزية والخراج . وعرفت فى ذلك الحين (بدمشق الصغرى) .

وقعت فى أثناء الحروب الصليبية فى قبضة تانكرد سنة ١١٠٠ م ، ثم أقام الملك بلدوين الاول قلعة لحمايتها على قمة جبل جرزيم . وقد نزلها أثناء الاحتلال الصليبى ، الرحالة المشهور (السمعانى) (ت ٥٦٢ هـ — ١١٦٦ م) وذكرها فى مؤلفه (الانساب) قائلا : ان نابلس بلدة من بلاد فلسطين ، بت فيها ليلتين فى توجهى وعودتى من بيت المقدس . استولى عليها الفرنج والسلطنة لهم ، غير أن بها جماعة كثيرة من المسلمين ، وبها الجامع ومسجد آخر للمسلمين ، وهى من أمهات بلاد فلسطين .

استولى على نابلس ابن أخت صلاح الدين (حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين) عقب معركة حطين (١١٨٧) بعد حصار طويل . ومن القواد الذين أقطعهم صلاح الدين نابلس ، الامير سيف الدين المشطوب مقدم الجيوش ، وعلى ابن أحمد بن صاحب القلاع الهكارية . ولما عقدت الهدنة بين المسلمين والصليبيين نزل صلاح الدين الايوبى نابلس فى طريقه الى دمشق ضحوة يوم الجمعة ٧ شوال ٥٨٨ هـ ــ ١١٩٢ ، ثم غادرها عصر يوم السبت فى ٨ شوال متجها الى الشمال ، بعد أن نظر فى شكاوى أهلها ضد سيف الدين المشطوب .

وفى عام ٥٩٧ هـ ــ ١٢٠٠ حدثت زلزلة شديدة هدمت نابلس ، فلم تبق فيها جدارا قائما الا حارة السامرة وبات تحت الهدم ثلاثون ألفا(١) ثم سقطت فى أيدى التتار .

وفى عام ٧٢٥ ــ ١٣٢٥ زار نابلس الرحالة ابن بطوطة وقال عنها :

... « ثم خرجت من الرملة الى مدينة نابلس .. وهى مدينة عظيمة كثيرة الاشجار ، مطردة الانهار من أكثر بلاد الشام زيتونا ، ومنها يحمل الزيت الى مصر ودمشق . وبها تصنع حلواء الخروب ، وتجلب الى دمشق وغيرها (وكيفية عملها أن يطبخ الخروب ثم يعصر ويؤخذ ما يخرج منه فتصنع منه الحلواء .. وبها البطيخ المنسوب اليها ، وهو طيب عجيب . والمسجد الجامع فى نهاية من الاتقان والحسن وفى وسطه بركة ماء عذب » .

وفى عام ١٦٧١ زار (أوليا جلبى) الرحالة التركى مدينة نابلس وقال عنها :

« نابلس مدينة جميلة تقع فى بطحاء بين جبلين ، ممتدة من الشرق الى الغرب ، وتتألف من ثمانية عشر حيا ، وبعض دورها الشبيهة بالقلاع جيدة البناء ومجصصة » ..

ثم وصف الرحالة بعض مساجد المدينة وبخاصة جامعها الكبير ، وعدد مدارسها وذكر فيها سبع زوايا ، وحمامين للعامة ، وذكر سوقها (سوق السلطان) . وخانها الضخم الذى احتوى على ١٥٠ غرفة متجاورة (يعرف اليوم بالوكالة) .

وفى عام ١١٠١ هـ ــ ١٦٩٠ زار نابلس الشيخ المتصوف عبد الغنى النابلسى ، ودون أخبار رحلته فى كتابه (الحضرة الانسية فى الرحلة القدسية) . وقد أشاد الرحالة فى رحلته بجمال مناظر نابلس الطبيعية ، وبكرم أهلها . وحلو ايناسهم ، ولطيف معشرهم نظما ونثرا ، وهاك بعض ما قاله :

نابلس طابت لنا منزلا	**وقدرها ما بيننا سامى**
وحين رأس العين جئنا بها	**كأننا فى النيرب الشامى**
كنا بها بين أناس لهم	**كثير أفضال وأنعام**
يسلو غريب الدار عن أهله	**ما بينهم من فرط اكرام**
واد خصيب ماؤه دافق	**يلذ للريان والظامى**
وكلما غنى نسيم الصبا	**ترقص أغصانه بأكمام**
والجبلان اكتنفا دوارها	**بسور اتقان واحكام(٢)**

---

(١) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٧٤ .

(٢) مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين : جـ ١ ، ص ١٤٩ ، يافا ١٩٤٧ .

مســاجد نابلس

فى نابلس ثروة طيبة من المبانى الاسلامية ، أهمها طائفة من الجوامع ، وسنذكر أهمها :

الجامع الكبير :

يعرف أيضا بالجامع الصلاحى ويقع فى القسم الشرقى من نابلس ، وهو أكبر مساجدها وأشهرها . أصله كنيســة بناها الامبراطور بوستينانوس فى القرن السادس ، وأعاد الصليبيون بناءها فى سنة ١١٦٧ ، ثم حولها المسلمون جامعا . وقد وصف هذا المسجد فى سنة ١٦٧١ الرحالة التركى أوليا جلبى بقوله : « وقد كان هذا الجامع فى غابر الايام كنيسة فحولها صلاح الدين الى جامع . والمحراب الحالى كان مدخل الكنيسة من الناحية الشرقية ، وعلى جانبى المدخل لهذا الجامع يوجد ثمانية عمد ممشوقة من الرخام ، يرتكز عليها قوس الجامع الذى يعتبر آية فى العمارة. طول الجامع ثلاثمائة خطوة من طرف الى آخر وعرضه مائة خطوة . وعدد عمده الارجوانية خمســة وخمسون عمودا ، مع بعض العمد المربعة هنا وهناك لتسند البناء القديم للجامع . ومحرابه واسع جدا بحيث يتسع لعشرين شــخصا ، والمنبر قديم ، وحول الجامع أســواق مسقوفة . وفى صحن الجامع منارة تشبه البرج وهى متناسقة البناء .

جامع الانبياء :

يقع فى محلة (الحبلة) قرب سكة الحديد . وقد اشتهر هذا الجامع بأن أولاد سيدنا يعقوب دفنوا فيه . وفيه بئر يعرف باسم بئر الانبياء نسبة اليهم .

جامع الحنبلى :

من مساجد نابلس القديمة ، وقد ذكره مجير الدين الحنبلى ، صــاحب تاريخ الانس الجليل ، باسم الجامع الغربى ، لأن موقعه كان فى ذلك الوقت فى غربى المدينة ، وقد دعى باسمه الحالى منذ القرن السابع الهجرى ، نسبة الى الحنابلة الذين تولوا الامامة فيه . وعلى منبره اليوم نقشت الــكتابة الآتية : « تجدد بناء هذا المسجد وتشرف بالشعرات المحمــدية بأمر الخليفة السلطان محمد رشاد خان الخامس نصره الله سنة ١٣٣٠ هـ » .

جامع النصر :

يقع فى قلب المدينة القديمة وأصله كنيسة بيزنطية أعيد بناؤها فى القرن الثانى . وهو على نمط الجامع الكبير الموجود فى الرملة . وقد زاره الرحالة

التركى أوليا جلبى كما ذكره الرحالة الشيخ عبد الغنى النابلسى فى رحلته لنابلس سنة ١١٠١ هـ .

وقد تغير شكل المسجد القديم بسبب الزلزلة التى وقعت عام ١٩٢٧ فجدد بناءه المجلس الاسلامى الاعلى عام ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ وهو اليوم أجمل مساجد البلدة القديمة .

جامع الخضرا :

يقع فى حى الياسمينة بالقرب من عين العسل . وكان فى الاصل كنيسة صليبية ثم تحولت الى جامع بعد أن استرد المسلمون نابلس من الافرنج . وعلى مدخل الجامع الكتابة الآتية : « عمر هذا المسجد أيام السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى أعزه الله ببقاء ولده السلطان الصـــالح علاء الدين » .

ولما زار أوليا جلبى نابلس سنة ١٦٧١ م وصف هذا الجامع بأنه عبارة عن بناء مربع الشكل طول ضلعه سبع وثمانون خطوة (وفى الجامع بركة فى صحنه الخارجى . ومساحة القسم المعد للصلاة نحو ثلاثمائة متر مربع ، وله محراب جميل ومئذنة الجامع شبيهة بمئذنة الرملة وتبعد عن الجامع الى الناحية الشمالية منه بستين مترا) .

وبالاضافة الى هذه الجوامع ، ففى نابلس مساجد كثيرة أخرى ، منها :

— مسجد المساكين بالقرب من جامع الانبياء .

— مسجد الخضر ويقع فى غرب نابلس .

— مسجد الحاج نمر النابلسى يقع فى شارع فيصل الاول .

— مسجد البيك ويعرف باسم مسجد العين ويقع فى وسط نابلس .

— مسجد الساطون ويقع فى حى الياسمينة .

— مسجد التينة ويقع فى محلة القريون .

— وفى نابلس مزارات كثيرة يتبرك بها الناس ومنها :

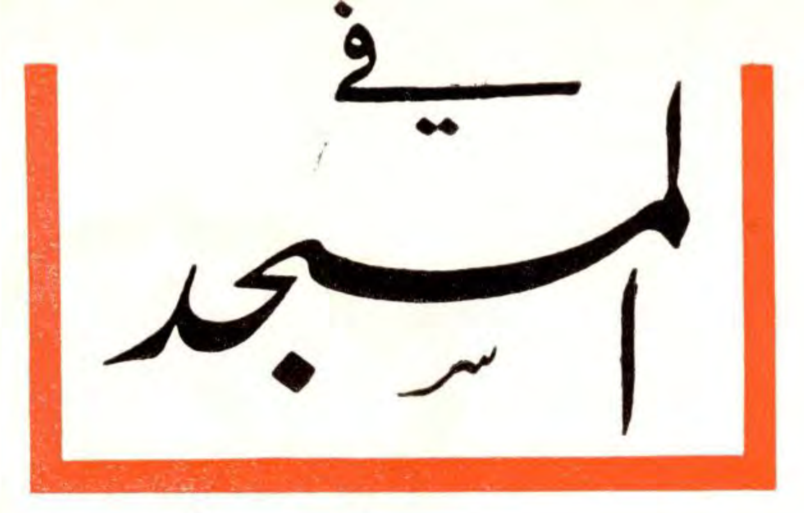
بشر الحافى ، والدروشية ، والسرى ، والشيخ بدران ، والست سليمية ، ومجير الدين .

ونابلس من أجمل مدن فلسطين العربية ، يقدر عدد سكانها بأكثر من (٢٠٠٠٠) نسمة(١) وبها كثير من المدارس والمصانع العربية .

---

(١) فى سنة ١٩٦١ كان بها ٤٥٫٩٨٠ شخصا بينهم ٦٢٧ مسيحيا ، ٢١٠ من السامرين والباقى مسلمون كما جاء فى كتاب بلادنا فلسطين للدباغ ص ٢١٧ ج ١ .

« الوعى الاسلامى »



للأستاذ : محمد التهامي

يا مهبط النفحات والأضواء … يا ملتقى الكرماء والسعداء

يا ظل جنات السماء بعالم … يشقيه أن يحيا بغير سماء

ياذا المقام حملت عن أرواحنا … ما همها من شدة وعناء

يا راحة الأرواح من أجسادها … من هول ما تلقى من الأعباء

من غيها وضلالها وجموحها … وجنوحها للشهوة الرعناء

يا طالما لج الضلال بخاطرى … ومشى الى كحية رقطاء

حتى اذا خفت الضلالة والهوى … وخشيت من أنيابها الزرقاء

أقبلت فى هذا الرحاب مصليا … مستنجدا بالله فى ظلمائى

فاذا الهداية والرشاد يردنى … للحق فى ملأ من الأضواء

يا رب فى هذا الجناب تبتلى … وشكايتى وضراعتى ودعائى

هذا المكان تطهرت جنباته … من كثرة العباد والخلصاء

يا طالما تلى « الكتاب » بساحه … فاهتز للترتيل والاصغاء

يا طالما هزته دمعة تائب … سالت به فى خشية وخفاء

ملأته هاتيك الدموع قداسة … وحبته كل طهارة ونقاء

وسعى اليه المهتدون يهزهم … شوق وينبض قلبهم برجاء

يدعون والله الموفق سامع … يحنو عليهم كلهم برضاء

مزج الخشوع صلاته ببكاءيا طالما صلى به متبتل

من كل متهم وكل مرائىيا رب فى هذا المكان قداسة



يكتبها : عبد المنعم النمر

في جو الشرف والكرامة

قام الفدائيون بدورهم البطولى فى وقت اشتدت فيه على نفوسنا قسوة العـــار الذى خلفه انهزام الجيوش المحاربة ، واحجام جيوش أخرى كان من الضرورى أن تأخذ دورها الذى أعدت له ، فكان هؤلاء الابطال شعلة أضاءت فى وقت شديد الظلام ، ولا يزالون الامل الذى يشدنا الى المذياع حين يجىء موعد نشرات الاخبار ، لنسمع جديدا من بطولاتهم وتضحياتهم .. وأعرف ويعرف الكثيرون هنا فى الكويت رجالا من هؤلاء كانت لهم مراكزهم المرموقة ، ومرتباتهم الضخمة ، وبيوتهم المؤثثة ، فتركوا ذلك كله وخلفوا أولادهم وراءهم ، وذهبوا الى هناك : أرضهم وحقولهم ووطنهم ليقضـــوا ليلهم ونهارهم بين الكهوف والمغارات ، وفى تسلق الجبال ، والاختباء وراء الاشجار يحملون مدافعهم ويجابهون الموت فى كل لحظة تمر بهم .. ومرت الشهور وتصاعد العمل الفدائى وأصبح له وقعه ، لا بيننا نحن هنا فحسب ، ولكن فى العالم أجمع .. وأصبحنا نراه كل يوم يكسب جديدا ، وتتطور أعماله ، ويشتد على العدو وقعه .

فكان فى هذا العام أقوى من عام مضى ، وسيكون بعـــد عام أقوى وأشد فعالية من هـــذا العام . وهذا الذى نفرح به ونتوقع مزيدا منه ، هو الذى يقض مضاجع العدو ، وكل دولة تقف معه أو على الاصح تحمى وجوده فى أرضه التى كان عليها قبل الخامس من يونيو ١٩٦٧ م.

ان الدول الغربية والشرقية حتى التى تنادى بازالة آثار العدوان أو انسحاب اسرائيل من الارض التى احتلتها تقف مع اسرائيل فى ضرورة وجودها على أرضها كدولة ، دون اعتبار للاغتصاب الذى قامت عليه هذه الدولة ، ولا للارض المسلوبة من أهلها ، وهذا الموقف يتنافى مع الهدف الذى قام من أجله العمل الفدائى .

ومن هنا رأينا هذه الدول كلهـــا ــ حتى التى تقف مع العرب الآن ــ لا تنظر الى الفدائيين نظرة ارتياح ، حتى الدول التى تنادى بأنها نصيرة تحرير الشعوب . وتمدها بعونها المادى والادبى ،

نجدها قد وقفت من العمل الفدائى موقفا سلبيا .. ان لم يكن عكسيا .. وبهذا اجتمعت الدول غربيها وشرقيها فى نظرتها للعمل الفدائى . فهى تخشاه ، وتخشى أن يتضاعف كما تضاعفت ثورة الجزائر وفيتنام ، ويصطدم أخيرا مع رغباتها فى بقاء دولة الاغتصاب .

ومن هنا ــ وأحب أن نعى جميعا هذا ــ أتوقع ــ ان لم يكن حصل بالفعل ــ أن تنشط الجهود المعاكسة للعمل الفدائى ، وستسلك هذه الجهود شتى السبل التى تصل بها الى هدفها : التشكيك فى الفدائيين .. نشر الاشاعات السيئة .. كتابة التحقيقات المزيفة .. الايقاع بينهم وبين الحكومات العربية .. افتعال الازمات معهم .. اغلاق الابواب فى وجوههم .. مطاردتهم ، الى غير ذلك من الوسائل المتنوعة التى تجتمع كلها عند نقطة واحدة هى النيل من العمل الفدائى واجهاضه ، حتى يخلو الجو لمن يريدون أن يفرضوا رأيهم من الخارج والداخل لحل معين لقضية فلسطين ..

فتنبه يا أخى .. وثق بأن هؤلاء الرجال الذين يخوضون النار ويجابهون الاهوال انما يؤدون عنا ضريبة الدم ، ضريبة الشرف والكرامة .. فاذا نحن لم نستطع أن نؤدى مثلهم هذه الضريبة المباشرة ، فلا أقل من أن نعيش معهم فى جو الشرف والكرامة ..

ومع ذلك لابد من كلمة أخرى

هذه الكلمة أوجهها للأبطال الفدائيين الذين ننزلهم من نفوسنا تلك المنزلة ، وهى أن يكونوا فى تصرفاتهم على مستوى الثقة والاعزاز لهم ، والهدف الذى أمامهم ، وأن يعلموا تماما أن الرصيد الذى كونوه بتضحياتهم ومواقفهم فى قلوب الامة العربية وغيرها يمكن أن يضيع فى لحظات اذا هم لم يحسنوا التصرف وأكتفى بكلمة « لم يحسنوا التصرف » تعبيرا عن أشياء كثيرة نخشاها عليهم .. وان كان لا بد من أن أقول هنا شيئا واحدا فقط أحذرهم منه : وهو أن يبتعدوا فى تحركاتهم عن التبعية لأية حركة سياسية فى العالم العربى ، فاننا قد مللنا هذه المزايدات السياسية ، ولو علم أصحابها ما فى نفوس الامة العربية منها لكفوا عن ترديدها أو على الاقل ــ قللوا منها ، وأكثروا من العمل الجدى الذى يتولى وحده ــ اقناع الشعوب .. ولذلك لا نريد من الفدائيين أن يكونوا تابعين لهذه أو لتلك ، فان هذه التبعية ستدخلهم فى تيار الاحقاد والخصومات ، ويتحملون تبعا لذلك مخلفات هذه وتلك وأوزارها ، وأعتقد أن من الخير لهم وللأمة العربية وهدفها ، ألا تحمل كواهلهم شيئا غير المدفع وتبعة العمل الشريف الذى يخوضونه متحدين لا متفرقين .

انكم فى قلوب الامة وعيونها ما دمتهم مخلصين لهدفها الذى تجمع عليه ، أما اذا اخترتم التبعية لشعارات وتيارات أخرى فأنتم وما اخترتم لأنفسكم ولكن لا تطلبوا من الامة كلها حينئذ أن تكون من ورائكم وثقوا تماما أن الامة هى قاعدتكم الحصينة الدائمة ، فلا تفرطوا فى هذه القاعدة جريا وراء شعار ليس له دوام حرسكم الله من الغرور .. والشطط .

صرخة نداء واستغاثة

ليست أولى الصرخات ولا آخرها ولكنها مع ذلك تأخذ وضعا خاصا ولها مغزاها العميق بعد سنتين من الهزيمة ، وبعد أن عاد الشيخ سعد العبد الله الصباح وزير الداخلية والدفاع بالكويت من جولته فى القاهرة وعمان وبغداد الشهر الماضى ومحادثاته مع أعلى المستويات فيها واطلاعه على الحقائق ، عاد ليطلق هذه الصرخة بكل مرارة حين وصوله مباشرة فيقول :

« أود أن أقول بعد وصولي الى الكويت انى أطلقها صرخة نداء واستغاثة لجميع المسئولين العرب من أجل الاجتماع والتشاور فيما بينهم لاتخاذ قرار حاسم من أجل المعركة المقبلة مع عدونا المشترك اسرائيل » .

لقد وقف الرجل قطعا على حقائق تخفى على الشعوب ، وهى — قطعا — حقائق مرة ومخيفة حملته على أن يقول حين وصوله « انى أطلقها صرخة نداء واستغاثة » .

ان الشعوب العربية تنادى وتصرخ وتستغيث ليجتمع زعماؤها ويعملوا بجد لمجابهة العدو المشترك ، ومر على ذلك سنتان ، والشعوب فى واد وزعماؤها فى واد آخر .. ولكن صرخة الوزير المسئول ، واستعماله لهذه الكلمات بالذات « صرخة نداء واستغاثة » تضيف للخطورة التى يحسها الشعب من زمن أبعادا أخرى ، وتضيف لمخاوفه مخاوف .. وتضاعف مسئوليات الزعماء الذين لا يزالون متباعدين فى وقت لم يمر على الامة أخطر منه .. فأين يذهبون من حكم الله والتاريخ ؟

انهم بتباعدهم واستسلامهم لأشياء فى نفوسهم ، يكتبون الفصل الاخير فى مأساة هذه الامة ويلبسونها لباس المسوق للاعدام . ولو كان للشعوب العربية رأى حاسم فى أمرها لتحملت المسئولية أو شاركتهم اياها ولكنها كما نعرف : رأيها ومصيرها بيد زعمائها وقادتها ، فتحمل هؤلاء المسئولية كلها .. ماذا لو هجمت اسرائيل الآن على الدول العربية ؟ وقد تهجم قبل أن تقرأ هذا الكلام !! ماذا أعد الزعماء من قوة بعد سنتين من النكسة لصد هذا الهجوم والتغلب على العدو ؟ نعم ماذا أعدوا ؟؟

ماذا أعدوا لموقفهم أمام الله « وان الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع ؟ »

وماذا يريدون أن يكتب التاريخ عنهم للأجيال الآتية ، ونحن نقرأ الآن بعد مئات السنين وسيظل من بعدنا كذلك يقرأ تلك الكلمة التى أسدل بها الستار الاخير على مجد المسلمين فى الاندلس . تلك الكلمة التى قالتها أم حزينة غيور لابنها الملك الذى كان يبكى زوال ملكه ، وملك المسلمين :

« ابك مثل النساء ، على ملك لم تحافظ عليه مثل الرجال » .

ونعوذ بالله ونعيذ زعماءنا وأمتنا . أن تصدق فينا هذه القولة مرة ثانية ..

ان كل واحد فى الامة العربية يعرف الجراح التى خلفها الماضى القريب فى نفوس الزعماء العرب ، والتى ما كان يجوز أبدا أن تكون بين اخوة يجابهون عدوا مشتركا وغادرا ، كلنا يعرف ذلك ، ولكنا مع هذا نقول : ليس هذا وقت الحساب ولا الاقتصاص .. فان عدونا سيأكلنا جميعا ان أسلمنا نفوسنا لآثار الماضى ومخلفاته ، ولم نرتفع فوق جراحاتنا . ونعوذ بالله مرة ثانية أن يكون زعماؤنا دون مسئولياتهم فى هذا الظرف العصيب .

الخروب والردنجوت :

عرج الاستاذ محمود غنيم على الكويت بعد الانتهاء من مؤتمر الادباء الذى عقد فى بغداد والبصرة ، وكان لنا منه حظ موفور فى الايام التى قضاها فى الكويت . سألته حين زارنا :

ما عندك من الشعر الحديث ؟

قال : رأيت (خواجة) يشرب كوبا من الخروب لا من الخمر ونحن بالفندق الليلة فقلت :

قل للكويت اذا نزلت بأرضها	طوبى لواديك المقدس طوبى
لله درك يا كويت مدينة	ليس النبيذ بأرضها مشروبا
لم ألق فى غير الكويت (خواجة)	يدع الخمور ويشرب الخروبا
قل للخواجة ذاك دين نبينا	أتراك من دين النبى غضوبا ؟
فاذا غضبت ففى الخليج ومائه	سعة فقم واشربه كوبا كوبا

فقلت له مداعبا : لعلك لا تعرف الخروب من الخمور ..

فقال : ذكرتنى بحادثة أخرى شبيهة بهذه . فقد دعا المرحوم ابراهيم دسوقى أباظة الشعراء

والادباء لمقابلة الملك السابق بعد حادثة القصاصين وأشار علينا بلبس (الردنجوت) ولم يكن عندى ، ورأيت المرحوم الشاعر ابراهيم ناجى وكان قصيرا يلبس (ردنجوت) مستعارا أو مؤجرا . ونحن فى القطار قال لى الوزير أباظة : أين الردنجوت ؟ فقلت له :

الردنجــــوت يا جنـــــاب الوزيـــــر ليس يقــوى عليــه جيب الفقيـــــر
رمت أن أســـــــتعيره مثــــل ناجى ثم أحجمت خوفـــــا من المعيـــــر
كم رأيت القصـــــــير فوق طـــويل ورأيت الطـــويل فـوق القصـــــير
لست أرضى بثـــوب غيرى وان هم نســجوه من ســـندس وحـــرير

فقال ناجى : أتعيرنى وتهاجمنى . ورد بقصيدة بلغت ٧٠ بيتا أذكر منها :

تعيـــــر نـــاجى بالردنجـــوت نالـــه معــارا فغــامر واستعر أنت معطفا
وأقســـم لو أن الردنجـــوت نلتـــه وجاد به من جاد كرهــا وســـــلفا
لقلبتـــــه ظهـــــرا لبطـــن تحيـــــرا به تحسبن الوجه من « عبط » قفـــا

حساسية وعتاب :

كتب الى كثيرون من الاصدقاء يعتبون لمـــا نشر فى عدد (المحرم) عن وضع الاحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما قيل عن الشيعة من الاشتراك فى هذا الوضع .. والواقع أن المقال كله تقريبا كان يتناول الوضاعين من أهل السنة وكان الانصاف العلمى يقتضى تقرير حقيقة أن الوضع لم يكن بين أهل السنة وحدهم بل حصل أيضا بين المذاهب الاخرى التى ذكرها الكاتب ، ونحن نعرف أن علماء كل مذهب عملوا على تنقية الاحاديث عندهم من الوضع ..

ولذلك أرى أن هذه المسألة العلمية تدخلت فيها حساسية خاصة لم أكن أتوقعها ، وأنا حريص الحرص كله على عدم اثارة شىء يكدر النفوس من هذه الناحية فالمجلة للجميع ، ونحن فى أشـــد الحاجة الى تجميع الصفوف ، ولا سيما فى هذه الظروف .. فليطمئن الاصدقاء العاتبون . ويد الله مع الجماعة .

الدكتور زاكر حسين :

كنا أول المستبشرين بتولى الدكتور زاكر حسين منصب رياسة الجمهورية فى الهند .. وقدمنا هنا فى المجلة نبذة عن حياته الحافلة بالجهاد من أجل تحرير الهند ، وفى المجالات العلمية والاسلامية .. ولهذا عزعلينا كثيرا أن يطوى الموت صفحة هذا الرجل العظيم فجأة وأن تخسر الهند والمسلمون فيها رجلا من خيرة الرجال .. عوض الله الهند والمسلمين فيه خيرا ، وجزاه خير ما يجزى به العاملين المخلصين .

نشر خطأ فى العدد الماضى أن مصور صورة الغلاف هو السيد صالح الرفاعى . وهى من تصوير السيد محمد باقر حبيب .

المؤتمر الاسلامي الدولي

في ماليزيا

٢١ - ٢٧ ابريل ١٩٦٩ م

تحقيق أعده : الأستاذ عبد المعطى بيومى

- قضية القدس تستحوذ على اهتمام المؤتمر .
- مناقشة بعض المشكلات الاسلامية والاجتماعية .
- الدعوة لعقد مؤتمر قمة اسلامى .
- رأى المؤتمر فى عمليات نقل القلب وبنك العيون .

رغم الزحف الحضارى الهائل الذى يغمر المعمورة بخيره وشره ، فان الامة الاسلامية بفطرتها الصادقة « تؤمن بأنه لا يصلح آخرها الا بما صلح به أولها وأن بناء أية نهضة لا بد أن يتم على الاساس الذى قامت عليه النهضة الاولى للمسلمين » .

ومن أجل ذلك رأينا اهتمام العالم الاسلامى فى السنوات الاخيرة بالمؤتمرات الاسلامية على مستوى العلماء أو الحكام تعقد فى أنحاء متفرقة منه لبحث مشكلاته .

وذلك طبيعى « فان معاملات قد جدت ومبادىء فى تكييف الحياة قد ظهرت ولم تكن موجودة حين وضع الفقهاء والاصوليون كتبهم وقواعدهم وهى تتطلب الحل السريع والعاجل من أهل الحل والعقد من المسلمين » وذلك بجوار ضرورة تدعيم الاخوة بين المسلمين على امتداد العـــالم وتقريب وجهات النظر فى شرح القرآن والسنة واستخراج الاحكام العملية للحياة منها .

وكان آخر هذه المؤتمرات المؤتمر الاسلامى العالمى الذى عقــد بماليزيا من ٢١ — ٢٧ أبريل الماضى وقد شاركت فيه الكويت كدولة لها نشاطها البارز فى خدمة الاسلام بوفد مكون من الشيخ عبد الرحمن عبد الوهاب الفارس رئيسا والاستاذين عثمان عليوه وصالح الرفاعى عضوين .

وقد رأينا أن نقدم للقارىء العربى بعض المعلومات عن هذا المؤتمر الذى عقد فى الشرق الاقصى ولم تتابع أحداثه الصحف العربية ..



قاعة تنكو عبد الرحمن التى عقد بها المؤتمر وأمامها وفود الدول الاسلامية

فوضعنا أمام الشيخ عبد الرحمن الفارس مدير المساجد ورئيس وفد الكويت بعض الاسئلة التى تفضل بالاجابة عنها فيما يأتى :

◎ ما هى الدول الاسلامية التى اشتركت فى المؤتمر ؟

ـ اشتركت فى المؤتمر (٢٣) دولة اسلامية هى : الكويت ، العربية المتحدة ، السعودية ، الاردن ، لبنان ، ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب ، السودان ، اليمن الجنوبية ، الصومال ، تركيا ، باكستان ، ايران ، أفغانستان ، اندونيسيا ، ماليزيا ، الهند ، وقد اشتركت سنغافورة ، الفيليبين ، تايلاند ، سيلان ، بمراقبين .

وبعض الدول المشتركة كان على رأس وفدها وزراء . فقد بعثت ايران نائب رئيس الوزراء كما بعثت المتحدة وزير الاوقاف ، وكذلك الاردن ، ودول أخرى .

◎ هل يمكن أن تحدثنا عن أهم القضايا التى عالجها المؤتمر ؟

يمكن تقسيم هذه القضايا الى فئتين :

الفئة الأولى : قضية القدس : والغريب أن هذه القضية لم تكن مدرجة فى جدول أعمال المؤتمر الذى كان المقصود منه أن يناقش المسائل الدينية وحدها على المستوى العلمى ، وأن يبتعد عن السياسة قدر الامكان الا أن الوفود العربية اقترحت ادراجها باعتبارها مسألة دينية تدخل فى صميم حياة المسلمين اليوم فتجاوب المؤتمر مع هذا الاقتراح واستحوذت القضية بعد ذلك على اهتمامه .

ومع ان المؤتمر قرر ادانة اسرائيل لاغتصابها الأرض العربية وخاصة بيت المقدس ودعا الدول والشعوب الاسلامية الى مساعدة شعب فلسطين واهاب بجميع الأمم أن تتبنى قرار الأمم المتحدة الذى أدان عملية ضم الأراضى بالقوة ومع أن رئيس الوزراء الماليزى قد ذكر للمؤتمر أنه اذا لم

تنسحب اسرائيل من الارض العربية فانه يخشى أن يتحول النزاع الى حرب دينية مقدسة مع كل ذلك قرر المؤتمر دعوة جميع الدول الاسلامية الى مؤتمر سياسى على مستوى عال فى أسرع وقت ممكن

وقد اقترح وفد الأردن ان يعقد هذا المؤتمر فى عمان ليطلع المجتمعون على احوال اللاجئين الذين طردتهم اسرائيل من ارضهم وليكونوا قريبين من المشكلة .

والفئة الثانية : قضايا دينية اجتماعية فقد بحث المؤتمر فريضة الزكاة ونظر فى مصارفها على ضوء الظروف الحاضرة ، وقد أخذ المؤتمر برأى وفد الكويت فى هذا الموضوع فقرر تخصيص جزء من زكاة المسلمين لاستعادة المسجد الأقصى ، واعانة الذين أوذوا من الاعتداء الاسرائيلى .

كما قرر المؤتمر اباحة نقل القلب والعين والأعضاء الأخرى اذا تحققت المصلحة من هذا الاجراء بشرط التحقق من وفاة المنقول منه على أن يتم هذا النقل بوصية من المنقول منه أو من وليه .

وفيما يتعلق بالمعاملات المالية قرر المؤتمر اباحة التأمين الذى يقوم على أسس تعاونية وحظر التأمين الربوى الاستغلالى ، كما تناول المؤتمر بعض القضايا التى تتعلق بالأحوال الشخصية فقرر :

ــ أن الطلاق مباح فى الحدود التى قررتها الشريعة ورأى أنه لا يتوقف وقوعه على اذن القاضى ـ وترك المؤتمر موضوع تنظيم النسل للأفراد وللظروف فى كل قطر .

ــ أن تعدد الزوجات مباح ولكل بلد اسلامى أن ينظم استعمال هذا الحق بما يحقق مصلحة الأسرة والمجتمع فى نطاق حكم الدين .

ــ أن التبنى غير مشروع ونادى المسلمين بالبر والاحسان والعمل على كفالة المحتاجين للتبنى وكفاية عيشهم والايصاء لهم .

ــ دعا المؤتمر المسلمين الى التحلى باخلاق الاسلام وآدابه وأن يلتزموا بالحشمة فى لباسهم ومعاشراتهم وتصرفاتهم .

وبجانب ذلك قرر المؤتمر الاهتمام بالدعوة الاسلامية والعمل على نشر الاسلام والاهتمام خاصة بمناهج التربية والتعليم وضرورة مواءمتها للتربية الاسلامية .

◎ قرأنا فى بعض الصحف أن المؤتمر قرر أن الضرائب التى تفرضها الدولة تغنى عن الزكاة فهل هذا صحيح ؟ ..

ــ هذا غير صحيح بل على العكس من ذلك تماما قرر المؤتمر أن ما يفرض من الضرائب لمصلحة الدولة لا يغنى القيام به عن الزكاة المفروضة .

◎ هل يمكن تقديم صورة للقارىء عن نشاط وفد الكويت فى المؤتمر ؟

ــ كان وفد الكويت بدون مبالغة من أنشط الوفود التى عملت فى المؤتمر فعلى المستوى العلمى اقترح وفد الكويت العناية بالقرآن الكريم ، وتوحيد المصحف ، واتخاذ الخطوات الايجابية ضد محاولات تحريفه ، وتجريد تفسيره من الاسرائيليات ، كما اقترح العناية بالسنة أيضا ، وجمعها فى موسوعة ، مع التأكد من الأحاديث التى تطبع وتنشر ، كما اقترح انشاء صندوق دولى تموله الحكومات الاسلامية وأغنياء المسلمين ، للانفاق على الدعوة الاسلامية ، وانشاء المراكز الاسلامية ، وارسال الدعاة الى الأقطار المختلفة ، والعناية بالأقليات الاسلامية ، واقترح ــ كما قلت من قبل ــ تخصيص جزء من الزكاة للحركات الفدائية وأسر الفدائيين الذين يستشهدون ، كما وزع الوفد كتيبات بلغات مختلفة عن النهضة فى الكويت ، وقضية فلسطين ووزع أعدادا من مجلة (الوعى الاسلامى)، وقد نالت اعجاب المؤتمرين ، وخاصة التقويم الذى وزعته المجلة فى مطلع العام الهجرى ، فقد نال استحسان الذين حضروا المؤتمر جميعا .

◎ أليست هناك أشياء خاصة استحوذت على اهتمامك فى المؤتمر ؟ ..

ــ نعم .. لقد استحوذ على اهتمامى فكرة انشاء البنك اللاربوى الاسلامى التى قدمها وفد الجمهورية العربية المتحدة .

◎ هل يمكن أن تقدم للقارىء فكرة سريعة عن هذا المشروع ؟



وفد الكويت مع وفد الاردن وأفغانستان

ـ تقوم الفكرة على أساس أن تنشأ فى كل قطر اسلامى بنوك محلية تخدم الحى أو المنطقة الموجودة فيها البنك ويساهم افراد الحى فى تكوين رأس مال هذا البنك الذى يعمل بالمضاربة ويوزع الربح أو الخسارة على المساهمين فيه . كما يساعد المحتاجين بقروض يسدونها بدون فوائد كذلك .

وفى حالة نجاح هذه البنوك المحلية ينشأ بنك مركزى للدولة يتولى الاشراف على البنوك المحلية، كما يتولى اصدار العملـــة ومن هذه البنوك المركزية ينشأ بنك اسلامى دولى يشرف على البنوك المركزية كلها فى العالم الاسلامى .

◎ انها فكرة جميلة وجادة حقا فماذا كان رأى المؤتمر ازاءها ؟

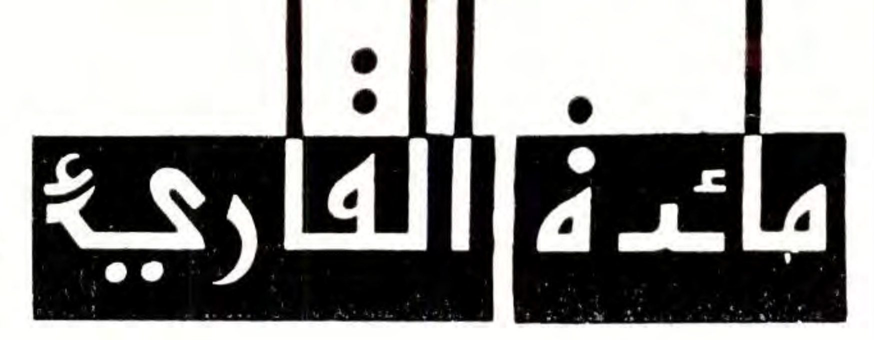
ـ للأسف الشديد لم يتسع لها وقت المؤتمر فأجلها حيث تحتاج الى دراسات وأبحاث لم يتسع لها وقت المؤتمر .

◎ ما هى أهم ملاحظتكم فى ماليزيا عامة والمؤتمر خاص ؟

ـ عن المؤتمر كانت الوفود كلها محل حفاوة بالغة من الشعب الماليزى وجلالة ملك ماليزيـــا وفخامة رئيس الوزراء الأمير تنكو عبد الرحمن واليه يرجع الفضل الكثير فى نجاح المؤتمر .

كما لاحظت على الشعب الماليزى كرمه وتعطشه الى العلم وأعجبنى حقا احتشام المرأة الماليزية وتمسكها بالزى الوقور الذى رسمه الاسلام كما لاحظت بشكل عام أن وفد الكويت كان محل أعجاب وتقدير ومحل شكر بالغ على جهود الكويت فى مساعدة الهيآت الاسلامية فى الخارج وخاصة من وفود السودان ، واليمن الجنوبية ، والصومال والملايو .

و ((المجلة)) اذ تضع هذه الصورة أمام القراء ـ وهى صورة شبيهة نوعا ما بالمؤتمرات الاسلامية التى عقدت من قبل فى عواصم الدول الاسلامية ـ ترجو باسم المسلمين جميعـــا أن تتبنى الحكومات الاسلامية قرارات هذه المؤتمرات وتلتزم بها ولو على المدى الطويل ، حتى لا تكون هذه الاجتماعات مجرد مظاهر تنتهى بانفضاضها ، وحتى لا تكون قراراتها مجرد حبر على ورق .. والله الموفق والمعين



أعدها : أبو نـــزار

قرأت :

● أن من سنن المكارم التى سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنــه اذا كان موعد جذاذ النخل ، واقتطاف ثمره ـ جاد كل جاذ بقنو (عنقود) يعلق فى المسجد ليأكل منه الفقراء والمساكين ومن ليس له نخل ، وقد مر يوما بقنو حشف (تمر ردىء) فأنكر على من علقه ، وعلم الناس أن الصدقة لاتكون الا بالطيب .

● وأن الخطب يلقيها فى ضرورة العمل أستاذ واقف فى الصف ، أنيق الثياب ، ناعــم الكف ـ لا تصنع شيئا .

● وأن محمدا صلى الله عليه وسلم عمل بيده مع صحبه فى بناء المسجد وحفر الخندق .

● وأن عمر لما جاء بيت المقدس ، ورأى موضع الحرم مغطى بالأوساخ لم يلق محاضرة ، بل قام يعمل بنفسه وتبعه الناس .

● وأن كثيرا من أمرائنا وعلمائنا كانوا تجارا وعمالا : فأبــو حنيفة كان بزازا ، وابــن المبارك كان تاجرا ، وأحمد بن حنبل كان يعيش من بيوت له يؤجرها بنفسه ويصلحها بيده ان تخرب منها شىء ، وعمر بن عبد العزيز اشتغل بيده فى صبغ داره وهو أمير المؤمنين .

أستاذ الغزالى :

قال الامام الغزالى : قطعت علينا الطريق ، وأخذ العيارون (اللصوص) جميع ما معى ومضوا ، فتعقبتهم ، فالتفت الى مقدمهم (رئيسهم) وقال : ارجع ويحك والا هلكت .

فقلت له : أسألك بالذى ترجو السلامة منه أن ترد على تعليقتى فقط ،فما هى بشىء تنتفعون به ، فقال لى : وما تعليقتك ؟ فقلت : كتب فى تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفــة علومها ، فضحك وقال : كيف عرفت علمها ، وقد أخذناها منه ، فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم ، ثم أمر بعض أصحابه ، فسلم الى المخلاة ، فقلت فى نفسى : هذا أنطقه الله ليرشدنى فى أمرى ، ومنذ هذه الحادثة وأنا أحفظ كل ما يقع تحت يدى حتى لا أكون بحاجة اليه عند فقده

مصيف للفقراء

رأى السلطان نور الدين أن الأغنياء من أهل دمشق ينتقلون الى الربوة فى الصيف ، ولهم فيها البيوت العامرة والمغانى فأقام للفقراء قصرا على سفح قاسيون تحته (تورا) وفوقه (يزيد) ووضع فيه كل شىء وفتح بابه للفقراء .

وبستان للفقراء :

وكان فى دمشق جرن من الحجر على باب كل بستان يملأ بالنار كل صباح ليأكل منه المارة والفقراء ، وآخر ما كان من ذلك بستانان يعرف كل واحد منهما بـ (بستان الجرن) . أحدهما فى منحدر كيوان من المهاجرين والآخر فى القصاع تحت جسر تورا .

كلمات

● اذا أردت أن تسعد انسانا فلا تعمل على زيادة ثروته ، ولكن حاول أن تقلل من رغباته .

● الأمة الحية تصبر على الجوع ولا تصبر على الذل .

● لكى تبيع شـــيئا للمرأة قــل (أوكازيون) .

ولكى تبيـــع شـــيئا للرجل قــل : بالتقسيط .

● انس أيام الشدة ، ولكن لا تنس ماذا علمتك .

● ليس حسن الخلق مع المرأة كف الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها ، والحلم عند طيشها وغضبها .

لماذا هى مؤنث ؟

جلس الأب مع ولده الصغير يتحدثان فتساءل الولد :

ـ قل لى يا أبى .. الباخرة مذكر أم مؤنث ..

ـ مؤنث .

ـ ولماذا تؤنثونها ؟

ـ لأنهاأنثى .

ـ كيف ؟

ـ لأنها حينما تسير تثير حول نفسها ضجة كبرى ، ولأنها تقذف بأشياء كثيرة فى البحر . ولأنها تتكلف مبالغ طائلة فى الطلاء والأصباغ للاحتفاظ بمظهرها .. ولأن نفقات صيانتها أكثر من نفقات انشائها ولأنها كثيرا ما تجمح ..

أطعمى أمـــى

نحر أعرابى جزورا ، فقال لامرأته : أطعمى أمى منه .

فقالت : أيها أطعمها ؟

فقال : قطعى لها الورك .

قالت : ظهـــرت بشحمه وبطنـــت بلحمه . لا لعمر الله !

قال : فاقطعى لها الكتف .

قالت : الحاملة الشحم من كل مكان لا لعمر الله !

قال : فما تقطعين لها ؟

قالت : اللحى . ظهـــرت بجلـــده وبطنت بعظم .

قال : فتزوديها الى أهلك .

ســـيدة فرنسا الأولى

(ايفون) زوجة الرئيس السابـــق ديجول ، أول سيدة بيت فى فرنسا ، كما أنها السيدة الاولى فى الجمهورية الفرنسية ، لم تسمح قط بأن ترسم لها لوحة ، ولم تعط حديثا صحفيا لأحد ، ولم تسمح للصحافة بتصويرها ، ولا تحب الظهور وتعيش فى ظل زوجها الجنرال ، وهناك من العاملين فى قصر الاليزيه من لم يشاهدها على الاطلاق .

موازين الرجال

لو قلت للفرنسى : فلان عظيم قال لك : ما هى شهاداته ؟

والانجليزى يقول : ماهى معلوماته ؟

والألمانى يقول : ما هى أعماله ؟

والأمريكى يقول : ما هى آثاره ؟

والشرقى يقول : من أبـــوه ؟

النشاط الاسلامي في تركيا

للاستاذ : ياشار طوناكور

في سنة ١٩٢٣ م تم اعلان الجمهورية والغاء الخلافة .

وفي سنة ١٩٢٦ م صدر قانون الغاء الحروف العربية في كتابة اللغة التركية واحلال الحروف الافرنجية محلها ، كما صدر القانون المسمى قانون توحيد التدريس

وبمقتضى هذا القانون منعت كل الدروس الدينية في المدارس كما أغلقت كل المدارس الدينية الى سنة ١٩٥٠ م

بعد هذا العام تأسست رياسة الشئون الدينية بقانون خاص . وبحسب هذا القانون كان في كل لواء وقضاء مفتي وواعظ خاصة ، وفي بعض الألوية الكبيرة أكثر من واعظ . مثلا في اسطنبول ٣٠ واعظا . كلهم يأخذون مرتباتهم الشهرية من رياسة الشئون الدينية ويوجد اليوم ٦٣٫٠٠٠ ثلاث وستون ألف مسجد ، في تركيا في كل مسجد امام وخطيب كلهم يأخذون مرتباتهم شهريا من الرياسة وآخر احصاء يعطينا الأرقام التالية :

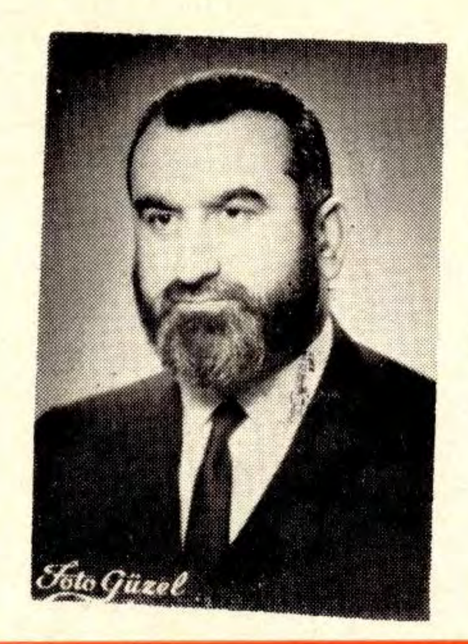
٦٣٨ مفتيا

٦٧ مساعد مفتي

٧١٥ واعظا

وكلهم تابعون لرياسة الشئون الدينية وهم غير الأئمة والخطباء الذين سبق ذكر عددهم .

وقد بلغت ميزانية رياسة الشئون الدينية في عام ١٩٦٩ : ١٩٣٫٧٧٧٫٧٦١



زارنـا الأستاذ « ياشار طوناكور » نائب رئيس الشئون الدينية فى تركيا أثناء عودته من الحج ، وكانت فرصـة للتعرف على النشاط الاسـلامى فى تركيا ، وحدثنا بلغته العربية التى تعلمها ببغداد عن الشىء الكثير ، ولكنا آثرنا أن يكتب لنا فى اختصار عن أوجه النشـاط فكتب هذه الكلمة المدعمة بالأرقام .

(الوعى)

مليون ليرا تركية وهى غير ميزانية الأوقاف التى بلغت ٧٣ر٢٠٥٤٦٥ مليون ليرا تركية . وكلتا الميزانيتين تصرف فى أوجه النشاط الاسلامى .

ورياسة الشئون الدينية ومديرية الأوقاف العامة تابعتان لرئيس الوزراء رأسا .

التعليم الدينى فى تركيا

بعد سنة ١٩٥٠ فتحت مدرسة للأئمة والخطباء والمعهد الاسلامى العالى . (ومنذ ذلك الحين فتح بحمد الله تعالى فى تركيا ٦٩ مدرسة للأئمة والخطباء على مستوى الثانوية العامة وأربعة معاهد اسلامية عليا . وفى استانبول وقيصرى وقونيا وأزمير . وعدد الطلاب فى المعاهد ١٢٩٩ طالبا ، وتخرج من المعاهد حتى الآن ٧٩١ كلهم يعملون فى وظائف الافتاء والوعظ والتدريس الدينى فى المدارس الدينية أو العامة .

كلية أصول الدين فى أنقرة ،

عدد الطلاب فيها الآن ٤٨٣ ، وتخرج منها ٦٠٢ من الطـلاب ، ويوجد فى مدارس الأئمة والخطباء البالغ عددها ٦٩ مدرسة ٤٢٠٠٠ طالب ، وتخرج منها ٤٠٥٧ كلهم يعينون فى وظائف الأئمة والخطباء .

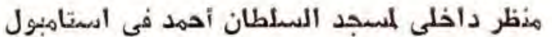
وكذا يوجد فى تركيا اليوم ٤٠٠٠ أربعـة الآف مدرسـة تحفيظ القرآن ، وخريجو المدرسة الابتدائية يدخلون هذه المدارس ويحفظون القرآن فى مدة حسب طاقتهم ، وبعد ذلك يدخلون مدارس الأئمة والخطباء .

وأكثر الطلاب فى هذه المدارس يتعلمون قراءة القرآن بالتجويد والأئمة ملزمون قانونا بتعليم القرآن للراغبين فى أوقات ما بين الصلوات الخمس .



جامع السلطان أحمد فى استامبول من الخارج





منظر داخلى لمسجد السلطان أحمد فى استامبول

النشر

يوجد مديرية خاصة للنشر تابعة للرياسة ، والى يومنا هذا أصدرت أكثر من ٢٠٠ كتاب منها :

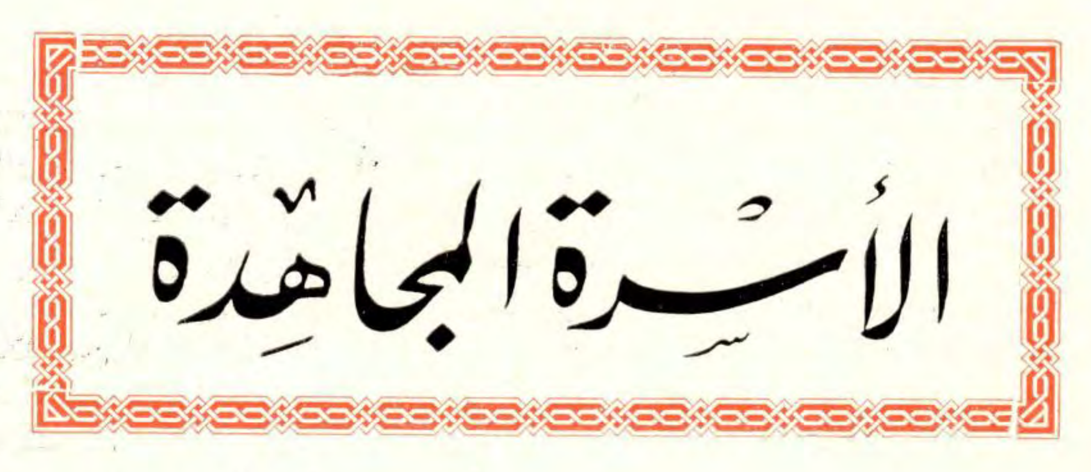
١ ــ تفسير القرآن الكريم ٩ مجلدات .

٢ ــ ترجمة التجريد الصريح للبخارى .

٣ ــ ترجمة رياض الصالحين .

٤ ــ الحقوق الاسلامية .

وكثير من الكتب الاسلامية الحديثة لمشاهير الكتاب المسلمين . وفى تركيا اليوم الجمعيات الخيرية التى تعمل لمساعدة الطلاب المسلمين فى المدارس الدينية وانشاء المساجد والجوامع وعدد هذه الجمعيات بالضبط ١.٨٣٠ عشرة الآف وثمانمائة وثلاثين جمعية .



الأسرة المجاهدة

للدكتور : عماد الدين خليل

كان الاسلام وسيبقى أبدا معينا دفاقا يفيض بالخير على الحياة ، وبلسما باردا يشفى القلوب التى قرحهـــا القلق والتمزق والضـــياع ، وطريقـــا هاديا لجماعات هائلة من البشرية ، ينقلها باعجاز عجيب من البداوة الى الحضارة ، ومن التفكك الى الوحدة ، ومن التطاحن والبغضاء الى التآلف والمحبة ، ومدرسة كبيرة لتخريج الرجال فى كل مجالات الحياة : قادة ودعـــاة ومجاهدين وعلمـــاء وأدباء وفنانين .. فى كل ساحة وفى كل مجال نجد الاسلام يبعث الى الحياة رجالا يصنعون التاريخ ، ويقفون بامكاناتهم العظيمة حراسا مخلصين على كل ثغر من ثغور العقيدة التى جاء بها الرسول العظيم عليه الصلاة والســـلام ، والأرض التى عرفت هدى الاسلام ، والحضارة التى صاغها أعظم لقاء فى التاريخ بين الأرض والسماء .. ما أن يسقط رجل حتى يقوم رجل ، وما أن يخلو ثغر من المدافعين عنه بفكرهم وصدورهم ، حتى يسرع للوقوف فى أبراجه عشرات آخرون .. لقد كان هؤلاء الرجال الذين تخرجوا من مدرسة الاسلام الكبرى يقفون بالمرصاد لكل المحاولات التى استهدفت سحق عقيدة الاسلام ، أو الاستيلاء على أرضه ، أو ايقاف حضارته عن التدفق والامتداد .. منذ أن تحمل (بلال بن رباح) العذاب الذى صب عليه فى قلب الصحراء ، مدافعا عن عقيدته وهو يصرخ : أحد .. أحد ، ومنذ أن وقف (أبو دجـــانة) يترس بظهره دفاعا عن الرسول العظيم حتى لم يبق فى ظهره مكان لنبل ، ومنذ أن قطعت يدا (مصعب ابن عمير) فاحتضن الراية الكبرى بما تبقى من ساعديه .. وفيما بعد .. عبر التاريخ الطويل كان الاسلام يجد دائما من يبذل روحه ووجوده دفاعا عنـــه ، ورغبة عميقة فى الاستشهاد دونه .

ويوم أن اكفهر الأفق الغربى للعالم الاسلامى ، وطفت عليه غيوم الصليبية القادمة من أوربا ، وبدت طلائع أبشع وأقسى حملة عرفها التاريخ ، جاءت تحمل معها الحقد والتعصب ، والرغبة فى سحق عقيدة الاسلام والاســـتيلاء على أرضه ، وافناء حضارته ، يومذاك تصدى لجيوش الظلام هذه مجاهدون كبار من كل مكان .. تداعوا من هنا وهناك ليوقفوا المد الصليبى ، وليعيدوا للاسلام

أرضه السليبة .. مجاهدون من العرب والأكراد والأتراك تجمعهم كلمة الاسلام ، وتسوقهم الى مصيرهم العظيم راية مكتوب عليها (لا اله الا الله) ..

وغير صحيح أبدا ما قيل من أن المسلمين لم يصحوا الا بعد وقت طويل من استيلاء الصليبيين على الشام وشمالى العراق وبعض سواحل مصر ، وان القيادات الاسلامية ضد الصليبيين لم تبدأ الا فى عهد عماد الدين زنكى ونور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبى .. صحيح أن هؤلاء القادة الثلاث حققوا انتصارات حاسمة ضد الصليبيين ، وتمكنوا أن يقصوا جناحى الوجود الصليبى فى الشرق وأن يغيروا خارطته السياسية .

الا أن هؤلاء القادة الكبار لم يظهروا فجأة .. فلقد سبقهم ومهد لهم الطريق ثلاثة من القادة الآخرين ، قادوا المسلمين مرارا ضد الصليبيين ، وخاضوا معهم معارك شتى ، وحققوا انتصارات رائعة هزت الوجود الصليبى وزعزعت كيانه .. ولولا هؤلاء لكان من الممكن أن ينطلق الصليبيون كالسيل الجارف صوب القاهرة وبغداد التى كانت هدفهم الرئيسى ، ولكان من الممكن قطع الطريق لمدة طويلة على ظهور قيادات اسلامية تستطيع أن تحقق شيئا ضد الصليبيين .

وليس من طبيعة الاسلام الدفاقة أن يبقى هناك ثغر من الثغور خاليا من الرجال فترة طويلة من الزمن ، دون أن يتصدى للدفاع عنه تلاميذ بررة تخرجوا من المدرسة العظيمة .. وها نحن اليوم نلتقى مع ثلاثة من هؤلاء لنرى كيف أن جهادهم الطويل المتواصل ، منذ فجر الغزو الصليبى ، قدم للأمة الاسلامية خدمة كبيرة ، وأوقف المد الصليبى عند حده وفتح الطريق لظهور الوجبة التالية من المجاهدين .. **هؤلاء الثلاثة هم : سقمان بن أرتق وأخوه ايلغازى وابن أخيهما بلك بن بهرام .**

ينتمى هؤلاء القادة الثلاث الى العائلة الأرتقية التى أخذت دورها على مسرح الأحداث فى مطلع العهد السلجوقى بفضل الجهود العظيمة التى بذلها جد العائلة (أرتق بن أكسك) الملقب بظهير الدين ، فى خدمة الدولة السلجوقية وينتمى أرتق هذا الى احدى القبائل التركمانية الكبيرة المتفرعة عن قبائل (الغز) المنتشرة فى أواسط آسيا . وقد اشترك « أرتق » على رأس قبيلته فى بناء كيان الدولة السلجوقية حيث قدم للسلطان السلجوقى الثالث ملكشاه بن الب ارسلان ٤٦٥ — ٤٨٥ هـ (١٠٧٢ — ١٠٩٢م) خدمات عسكرية جليلة ، اذ حارب فى آسيا الصغرى ضد البيزنطيين ، وسحق قرامطة البحرين والمناطق المجاورة ، وضم أراضيها للدولة السلجوقية ، واستولى على بعض المناطق الجبلية شمالى العراق ، واشترك مع القادة السلاجقة فى الاستيلاء على الموصل ومناطق واسعة من الجزيرة الفراتية ، كما كان الساعد الأيمن للسلطان ملكشاه فى القضاء على تمرد أخيه (تكش) فى بلاد فارس ولذا نجد السلطان السلجوقى ينعم على أرتق بتوليته على حلوان (مناطق واسعة من شرقى العراق) .

ولكن « أرتق » لم يبق فى ولايته هذه فترة طويلة بسبب بعض الخلافات التى حدثت بينه وبين سلاجقة العراق اضطرته الى التوجه الى الشام حيث انضم الى سلطانها السلجوقى (تاج الدولة تتش) ، وما لبث هذا أن أقطعه القدس عام ٤٧٩ هـ (١٠٨٦م) تمهيدا للاستفادة من مقدرته العسكرية ، ومن

العدد الكبير من التركمان الذين كانوا يكنون له الاخلاص العميق والطاعة المطلقة .

وفى عام ٤٨٤ هـ (١٠٩١م) توفى أرتق فى القدس مخلفا اياها لولديه سقمان وايلغازى اللذين اتبعا سياسة أبيهما فى تأييد السلطان تاج الدولة تتش ولذا أضاف هذا اليهما ، اقطاعات جديدة كحصن (سروج) الواقع فى الجزيرة الفراتية . ولكن ما أن قتل تتش عام ٤٨٨ هـ (١٠٩٥م) فى احدى المعارك فى بلاد فارس ، حتى اقتسم ولداه رضوان ودقاق بلاد الشام ، ودخلا حلبة صراع قاس مزق وحدة الشام وبعثر طاقاته العسكرية ، وقد اشترك كل من سقمان وايلغازى فى هذا الصراع الذى كان له أثر كبير فى تمكين الصليبيين من تثبيت أقدامهم فى شمالى العراق والشام ، والاستيلاء على الرها وأنطاكية وتأسيس أولى أماراتهم هناك .

لم تبق القدس بيد بنى أرتق ــ بعد ذلك ــ سوى أشهر معدودات ، اذ كان الفاطميون فى مصر يطمحون لاعادة الاستيلاء عليها باعتبارها قاعدة فلسطين ، ونقطة ارتكاز لمحاولة استرداد ما أفقدهم السلاجقة اياه . وقد استغل الفاطميون فرصة ضعف الأتراك ، وتخاذل أمرائهم اثر اندحارهم أمام الصليبيين عند أسوار أنطاكية ، ومقتل عدد كبير منهم ، فسار الأفضل بن بدر الجمالى أمير الجيوش المصرية فى شعبان من عام ٤٩١ هـ (١٠٩٧م) على رأس قواته الى القدس حيث حاصرها ما يزيد على الأربعين يوما ، وضرب أسوارها بالمنجنيق فاضطر الأراتقة الى الاستسلام ، ومن ثم دخل الأفضل القدس وأحسن الى سقمان وايلغازى ومن معهما ، وأجزل لهم العطاء وأطلق سراحهم . فتوجه ايلغازى الى بغداد حيث التحق بخدمة سلاجقتها ، وسرعان ما عينه هؤلاء فى منصب (التحنكية) وهى أشبه بوزارة الداخلية فى العصر الحاضر حيث كان شاغلها يتمتع بسلطات الأمن والادارة وظل ايلغازى يشغل هذا المنصب حتى عام ٤٩٨هـ ١١٠٤م حيث طرد منه ، فتوجه اثر ذلك الى ديار بكر فى أقصى شمال الجزيرة بعد سماع نبأ وفاة أخيه سقمان فى نفس العام .

أما سقمان فقد قرر الاقامة بصحبة أبناء أعمامه فى سروج والمناطق المحيطة بها فى جهات ديار بكر حيث يشكل التركمان القوة التى انبثقت عنها العائلة الأرتقية . وقد بدأ سقمان ــ فى هذه المنطقة ــ نشاطا عسكريا وسياسيا واسع النطاق تمكن بواسطته من السيطرة على أهم مواقع وحصون ديار بكر ، وتشكيل امارة تركمانية هناك فى فترة لا تزيد على السنتين (٤٩٥ ــ ٤٩٦ ــ هـ ــ ١١٠١ ــ ١١٠٢م) معتمدا فى ذلك على العدد الضخم من أتباعه التركمان ، وقد ضمت هذه الامارة حصن كيفا ودارا وماردين ورأس عين وغيرها من المواقع المجاورة الأخرى التى تتميز بأهمية موقعها من الناحيتين الاستراتيجية والاقتصادية .

وأما بلك بن بهرام فقد كان خلال هذه الفترة ، يعمل جاهدا للحصول على مزيد من الاقطاعات ، والاستيلاء على ما يتيسر الاستيلاء عليه من المواقع والحصون . وكان بلك هو الآخر صاحب رأى مطاع وكلمة نافذة فى عدد كبير من مقاتلى التركمان العاملين تحت امرته . وقد تمكن فى مطلع القرن السادس الهجرى من تشكيل امارة فى أقصى شمالى ديار بكر ضمت خرتبرت (حصن زياد) وسميساط وعددا من المواقع الأخرى على حدود الأناضول ، كما استطاع القيام بهجوم ناجح على موقعى عانه والحديثة فى الفرات الأوسط والاستيلاء عليهما . وحصل ــ فضلا عن ذلك ــ على بعض الاقطاعات التى أنعم السلاجقة

بها عليه بفضل ما قدمه لهم من خدمات عسكرية ممتازة . وهكذا أصبح بلك من كبار الأمراء فى شمالى العراق .. وقد أهله هذا لتسلم زمام القيادة ضد الصليبيين فيما بعد .

ولنبدأ الآن باستعراض دور كل واحد من هؤلاء القادة الثلاث ضد الصليبيين :

سقمان بن أرتق

كان سقمان بن أرتق أول من استجاب لنجدة (ياغى سيان) صاحب انطاكية فى الأيام الأولى من حصار الصليبيين لها ، اذ توجه بصحبة قوات حلب صوب أنطاكية ، فلقيتهم قوة من الصليبيين وهزمتهم فى أواخر صفر عام ٤٩١هـ على الرغم من استبسال سقمان والقوات الحلبية وبراعتهم التى شهد بها أعداؤهم ، ومن ثم تراجع سقمان وقواته الى حلب وتمكن الصليبيون من تطويق انطاكية . وكان ذلك ايذانا للأمراء المحليين بحقيقة الخطر الذى تتعرض له المنطقة ، فشكلوا حلفا بقيادة (كربوقا) والى الموصل السلجوقى . وقد ضم هذا الحلف سقمان بن أرتق وعددا من الأمراء المحليين بضمنهم صاحب أنطاكيه . وعندما وصلت القوات المتحالفة الى انطاكية كان الصليبيون قد تمكنوا من الاستيلاء عليها ، فحاصرتهم القوات الاسلامية ، وكاد هذا الحصار أن يؤتى ثماره اذ قلت الأقوات والأموال لدى الصليبيين ، فأرسلوا الى كربوقا يطلبون منه الأمان ليخرجوا من البلد ، فلم يجبهم الى طلبهم وقال : (لا تخرجون الا بالسيف) . ولكن سوء سيرة كربوقا تجاه حلفائه وتكبره عليهم ، وتباغض الأمراء المحليين بسبب المنافسات المستمرة بينهم ، أدت الى تمزق هذا التحالف وفشله فى تحقيق انتصار حاسم ضد الصليبيين الذين تمكنوا خلال ذلك من التسلل الى خارج أسوار انطاكية حيث تجمعوا هناك ، والتقوا بالقوات الاسلامية وهزموها . وظل كربوقا وسقمان يقاتلان حتى لم يبق ثمة مجال للمقاومة فآثرا الانسحاب . وبهذا أظهر سقمان مدى حرصه على مجابهة الخطر الصليبى قبل استفحاله ، كما شهدت الأيام التى سبقت المعركة رغبة عميقة منه فى الابقاء على تماسك التحالف الاسلامى باعتباره الوسيلة الوحيدة التى يستطيع المسلمون بها التصدى للخطر الجديد .

فى السنوات التالية ــ وبعد أن تمكن الصليبيون من الاستيلاء على القدس ، وتثبيت أقدامهم فى مناطق واسعة من الشام وفلسطين وشمالى العراق كان الأراتقة على رأس القوى الاسلامية التى اشتبكت مع الصليبيين شمالى الشام والجزيرة اذ قام سقمان عام ٤٩٤هـ ــ ١١٠٠م بمحاولة لاسترجاع سروج التى كان الصليبيون قد استولوا عليها قبل عدة سنوات ، فحشد قواته المنتشرة فى ديار بكر ، وبدأ الهجوم فى ربيع الأول ، فتصدى لقتاله كل من (بلدوين) أمير الرها و (فوشيه دى شارتر) أمير سروج بقواتهما المؤلفة من الأرمن والصليبيين ، فهزمهما سقمان ولقى فوشيه مصرعه ، وانسحب بلدوين الى الرها ، واتجه من هناك الى انطاكية ، ليطلب المساعدة من أميرها (تانكرد) وخلال ذلك فرض الأراتقة حصارهم على سروج التى احتمى بها مسيحيو المنطقة ، وتولى رئيس أساقفة اللاتين الدفاع عنها ، فصمدت للحصار فترة طويلة ، استطاع بلدوين خلالها أن يعود بنجدة من انطاكية وأن يلحق الهزيمة

بالأراتقة بعد أن أوشك هؤلاء على هزيمة الصليبيين ، لولا هروب جماعة من التركمان . ومن ثم قام بلدوين بالقضاء على تمرد الأهالى العرب فى المدينة فقتل كثيرا من أهلها وسبى حريمهم ونهب أموالهم ولم يسلم الا من تمكن من الفرار .

وبعد ذلك بعامين (٤٩٦هـ — ١١٠٢م) أغار بلدوين على امارة الأراتقة وأسر أحد أمرائها وسبى وغنم عددا من ماشيتها . وأغلب الظن أن هدف بلدوين من هذا الهجوم هو ارهاب الأراتقة والحد من نشاطهم ، واجبارهم على اتخاذ موقف دفاعى بدلا من الهجوم ، فضلا عن العمل على تعزيز صلته بالمواقع الصليبية فى آسيا الصغرى .

ولكن سقمان ما لبث ، فى العام التالى (٤٩٧هـ — ١١٠٣م) ، أن اشترك مع (شمس الدولة جكرمش) حاكم الموصل ، بتشكيل حلف قوى لمجابهة الصليبيين ، وهو التحالف الثانى للأراتقة منذ دخول الصليبيين الشام . وكان للانتصارات السريعة التى أحرزها الصليبيون ، وتقدمهم للاستيلاء على حران الواقعة على مفترق الطرق بين العراق والجزيرة والشام ، مستغلين فرصة الصراع بين أمراء المسلمين ، فضلا عما يعنيه الاستيلاء على حران من قطع الصلة بين المسلمين فى بلاد فارس والعراق والشام ، واعطاء الصليبيين فرصة لمهاجمة الموصل وتأمين الرها والسيطرة على اقليم الجزيرة . كان لهذه العوامل جميعا الأثر الحاسم فى تناسى كل من سقمان وجكرمش خلافاتهما القديمة والعمل سوية لايقاف تقدم الصليبيين . فأرسل كل منهما الى صاحبه يدعوه الى الاجتماع لتلافى أمر حران (ويعلمه أنه قد بذل نفسه لله تعالى وثوابه) فأجاب كل منهما صاحبه واجتمعا على الخابور عند رأس العين وانطلقا من هناك للقاء الصليبيين . وكان مع سقمان سبعة آلاف فارس من التركمان ومع جكرمش ثلاثة آلاف فارس من الترك والعرب والأكراد .

كان الصليبيون قد دعموا وحدتهم وتقدموا صوب حران بقيادة عدد من أمرائهم على رأسهم بوهيمند أمير أنطاكية وابن أخته تانكرد وجوسلين حاكم تل باشر ، وبينهم بطريرك انطاكية وعدد كبير من الأرمن ورجال الدين . وكاد الصليبيون أن يستولوا على حران بعد وقت قصير من حصارها ، الا أن الخلاف الذى نشب بين بلدوين الذى انضم الى القوات الصليبية وبوهيمند ، واصرار كل منهما على رفع رايته على المدينة بعد الاستيلاء عليها ، أدى الى انقاذ حران من خطر محقق .

ومن ثم تم اللقاء بين المسلمين والصليبيين على نهر البليخ فى التاسع من شعبان ، فأظهر المسلمون الهزيمة فتبعهم الصليبيون نحو فرسخين ، فأعاد المسلمون الكرة عليهم ، وهزموهم وأبادوا معظم قوات الرها ، وقتلوا من الصليبيين عددا كبيرا ، وامتلأت أيدى المسلمين بالغنائم والأموال . وكان بوهيمند أمير أنطاكية وابن أخته تانكرد قد كمنا خلف أحد الجبال ليأتيا المسلمين من وراء ظهورهم اذا اشتد القتال ، فلما خرجا شاهدا هزيمة رفاقهم ونهب معسكراتهم فاختبآ الى الليل ومن ثم هربا . وأحس المسلمون بهما فتبعوهما وقتلوا وأسروا من أصحابهما عددا كبيرا ، وتمكن بوهيمند وتانكرد من الفرار الى الرها . أما بلدوين وجوسلين فأسرا . وكان بلدوين قد انهزم مع جماعة من قواده وخاضوا نهر البليخ فأعاقتهم الأوحال ، فلحقهم قائد تركمانى من قواد سقمان وأسرهم وحمل بلدوين الى سقمان .

عندما رأى أصحاب جكرمش أن أصحاب سقمان قد استولوا على حصة الأسد من غنائم الصليبيين ، وانهم سيعودون بغير طائل قالوا لجكرمش : (أى منزلة تكون لنا عند الناس وعند التركمان اذا انصرفوا بالغنائم دوننا ؟) وحسنوا له اختطاف بلدوين من معسكر سقمان . فأرسل جكرمش بعض أصحابه حيث تمكنوا من اختطاف بلدوين . فلما علم سقمان بما حدث ــ وكان غائبا عن معسكره خلال ذلك ــ شق عليه الأمر وتهيأ أصحابه للقتال ، ولكنه ردهم وقال لهم : (لا أوثر شفاء غيظى بشماتة الأعداء بالمسلمين) . وقد عبر سقمان بهذه الكلمات عن حرصه العميق على اظهار وحدة المسلمين النفسية وعدم اتاحة المجال لحدوث أى خلاف قد يؤدى الى شماتة الأعداء بهم ، كما أظهر مدى استعداده للتخلى عن المصالح والأهداف الفردية القريبة فى سبيل المصلحة العامة والأهداف البعيدة للمسلمين .

وحرصا من سقمان على عدم حدوث أى احتكاك بين المعسكرين الحليفين قد يؤدى الى عواقب وخيمة ، ورغبة منه فى استغلال الفرصة لتوجيه مزيد من الضربات ضد المواقع الصليبية المجاورة ، فقد أمر قواته بالرحيل ، وقام بخدعة طريفة اذ ألبس أصحابه ملابس الصليبيين وأركبهم خيلهم ، وجعل فى أيديهم أسلحتهم وراياتهم ، ومن ثم توجه الى مواقع الصليبيين فى ديار بكر ، فكان هؤلاء يخرجون من حصونهم لاستقبال القوات الصليبية المنتصرة !! وما أن يبتعدوا مسافة عن تلك الحصون حتى تفاجئهم قوات سقمان بهجوم سريع خاطف ، وتستولى على مواقعهم واحدا بعد واحد . وقد تمكن سقمان بذلك من الاستيلاء على عدد من الحصون . أما جكرمش فقد توجه الى حران وأناب فيها أحد أصحابه ، ومن ثم توجه الى الرها وحاصرها خمسة عشر يوما ، عاد بعدها الى الموصل ومعه بلدوين . وبعد فترة من الزمن فاداه جكرمش بمبلغ من المال ومائة وستين أسيرا من المسلمين .

تمخضت معركة (البليخ) عن نتائج على مستوى كبير من الأهمية ، فقد أوقفت زحف الصليبيين صوب الشرق ، وقضت على آمالهم فى التقدم نحو العراق ، واتمام سيطرتهم على حلب ، وتحويل أمارة انطاكية الى دولة كبيرة ، كما شجعت ــ هذه النتيجة ــ رضوان حاكم حلب ، الذى كان على رأس جيشه قرب الفرات يتابع سير المعركة ، على القيام بسلسلة من الهجومات على مراكز الصليبيين المحيطة بحلب استطاع خلالها أن يجلوهم عنها بمساعدة أهاليها من المسلمين الذين انقضوا على حكامهم الصليبيين ، فأمنت أعمال حلب ، ورجع أهاليها إليها بعد تشرد ، وقوى جأش حاكمها رضوان ، ووصلت غارات فدائيى حلب الى قلب انطاكية .

ولم تقف نتائج هذه المعركة الحاسمة عند هذه الحدود بل تعدتها الى داخل التشكيلات السياسية والعسكرية للأمارات الصليبية ، فبعد أسر بلدوين غدا تانكرد وصيا على الرها ، كما أصبح بوهيمند أقوى الأمراء الصليبيين فى الشمال ، ولذا أهمل كلاهما مسألة افتداء بلدوين حرصا على مصالحهما الشخصية بالرغم من اثارة المسلمين لهذه المسألة ، وهكذا بقى بلدوين فى الأسر طيلة أربع سنوات .

كما أن الامبراطور البيزنطى (الكسيوس) استغل فرصة ضعف مركز بوهيمند اثر تعرضه للانتقاد بسبب عدم افتدائه لبلدوين ، فضلا عن أنه لم يلتزم

بالمعاهدات التى عقدهـا مع الامبراطور البيزنطى الكسيوس ، ولذا فـان هذا الامبراطـور ما لبث أن استغل الانتفاضـات التى قام بهـا سكان قلقية ضد (النورمان) الدخلاء والتى حظيت بتشجيع البيزنطيين والأرمن ، ومن ثم قامت القوات البيزنطية بالاستيلاء على عدد من المدن التى كان تانكرد قد استولى عليها من قبل ، كما أسهم الأسطول البيزنطى فى السيطرة على بعض المدن الساحلية بين اللاذقية وانطرطوس . يضاف الى ذلك أن البيزنطيين تمكنوا من استغلال قواعدهم البحرية فى قبرص لتقديم المساعدات لريموند الصنجيلى ــ عدو بوهيمند اللدود ــ الذى كان يسعى لتأسيس أمارة حول طرابلس تحـادد انطاكيـة من الجنوب . فى الوقت الذى لم يتقدم فيه أحد من القدس لنصرة بوهيمند ومساعدته فى هذه المحنة .

وكنتيجة للضربات التى تلقاها بوهيمند من المسلمين والبيزنطيين ، ضعف مركزه ، فضـلا عن أن معركة البليخ أدت الى فقدانه لعـدد كبير من قواته ، فضعفت الروح المعنـوية لجنده ، ولم يكن باستطاعته اعـادة تنظيم قواته من جديد ، بالسرعة التى يتمكن بها من ملاحقة الأحداث ، فوجب عليه أن يختار أحد طريقين : فهو اما أن يبقى وسط الأخطار المحدقة به من كل جـانب ، ويعرض أمارته للتمزق والسقوط على يد أعدائه وخاصة البيزنطيين ، واما أن يعود الى أوربا للقيام بالدعوة الى حرب صليبية جديدة قد تعود عليه بالنصر . وقد اختار اتباع الطريق الثانى ، ومن ثم أناب عنه تانكرد فى حكم انطاكية واتجه الى روما . وهناك استطاع أن يقنع البابا (باسكال) بأن العدو الرئيسى لصليبيى الشرق انما هو الامبراطور البيزنطى . فأصدر البابا أمره بالدعوة الى حرب صليبية ضد بيزنطة ، وأعلن أن القضاء عليها هو الضمان الوحيـد لاستقرار الصليبيين فى الشام . مما يعتبر نقطة تحول فى تاريخ الحركة الصليبية ، اذ ضحى بأهداف ومصالح العالم المسيحى بأجمعه فى سبيل المصالح الخاصة لمغامرى الفرنج . وتأكد البيزنطيون من أن مخـاوفهم أصبحت حقيقة واقعة وذلك بتحول الحرب الصليبية الى وسيلة لتحقيق أطماع الغربيين الاستعمارية ، وهكذا يمكن اعتبار هذه المحاولة أساسا للحملة الصليبية الرابعة التى أسقطت القسطنطينية فيما بعد (٦٠١هـ ــ ١٢٠٤م) .

وكان لمعركة البليخ نتـائج خطيرة بالنسبة لأمارة الرهـا كذلك ، اذ أنها أوضحت احتمال سقوطها على أيدى المسلمين ، نظرا للضعف الذى أصابها اثر تلك المعركة ، ولتعرضها لكثير من المتاعب الداخلية ، وبخاصة من جانب الأرمن الذين سرعـان ما أبدوا تذمرهم من الحكم الصليبى . ويعلل المؤرخ الصـليبى (متى الرهاوى) موقف الأرمن هـذا بتعسف الصليبيين الغربيين مع الكنيسة الأرمنية واهمالها ، بل اضطهاد رجـالها فى كثير من الأحيان ، مما دفع الارمن الى الاتصال سرا بالمسلمين .

وأخيرا فقد أدت معركة البليخ الى القضـاء على حلم الصـليبيين بقطع الاتصال بين القوى الاسلامية فى الشـام والجزيرة وآسيا الصغرى عن طريق الاستيلاء على حلب . فضلا عن أن الظروف التى مهدت لها هذه المعركة أدت الى زيادة التقارب بين القوى الاسلامية والبيزنطيين ضد عدوهم المشترك الذى وضع بين شقى الرحى . وقد أوضـح ابن القلانسى المؤرخ الدمشـقى ــ خطورة النتائج التى تمخضت عنها معركة البليخ قائلا : (وكان نصرا حسنا للمسلمين لم

يتهيأ مثله ، وبه ضعفت نفوس الأفرنج وقلت عدتهم وفلت شوكتهم وقويت نفوس المسلمين وأرهفت عزائمهم فى نصرة الدين ومجاهدة الملحدين ، وتباشر الناس بالنصر عليهم وأيقنوا بالنكاية فيهم والادالة منهم) !!

وهكذا قدر لسقمان ، بتحالفه مع جكرمش حاكم الموصل ، أن يلعب دورا خطيرا فى تاريخ الحروب الصليبية ، وأن يقدم وحليفه ، للعالم الاسلامى أول نصر حاسم على الصليبيين ، فتح به الطـــريق لظهور قيادات وأحلاف اسلامية وجهت الضربات المتتالية للقوى الصليبية ، تلك القيادات التى بدأت (بمودود) حاكم الموصـــل السلجوقى ، وانتهت بصـــلاح الدين ، عبر ايلغـــازى ، وبلك الأرتقيين ، وعماد الدين ونور الدين الزنكيين .

وقد استطاع سقمان ، فى نفس العام (٤٩٧هـ ــ ١١٠٣م) ، أن يسحق قوة صليبية خرجت من الرها ، واستهدفت الرقة . اذ ما أن سمع بتحرك هذه القوة نحو هدفها حتى اتجـــه الى رأس العين ، قرب ماردين ، حيث اجتمـــع بسالم بن بدر العقيلى وقواته من بنى عقيل ، واتجهوا جميعا ، بقيادة سقمان ، للقاء الصليبيين ، حيث جرى قتال شديد بين الطرفين أسر خلاله سالم بن بدر ، ثم انقلبت دائرة السوء على الصليبيين فانهزموا وقتل منهم عدد كبير .

استمر سقمان على سياسة الأحـــلاف الاسلاميـــة التى حقق بواسطتها انتصارات حاسمة ضد الصليبيين ، لذا نجده يخف لمعونة (فخر الملك بن عمار) صاحب طرابلس لدى تلقيه منه دعوة لنجدته ضد الصليبيين الذين قاموا بهجوم على طرابلس . وبينمـــا هو يتجهز للمسير أتاه كتـــاب من (طغتكين) ، أمير دمشق ، يخبره فيه أنه مريض ، وقد أشفى على الموت ، وأنه يخـــاف ان مات وليس فى دمشق من يحميها ، أن يستولى عليها الصليبيون ، ويستدعيه ليوصى اليه ، وبما يعتمده فى أمر الدفاع عن المدينة ، فلما أطلع سقمان على الكتـــاب أسرع فى زحفه عازما على دخول دمشق وتسلمها ، ومن ثم التوجه الى طرابلس لاجلاء الصليبيين عنها . ولكن وفاته فى الطريق حالت دون تنفيذ هذه المشاريع التى كان من المرجح أن تحدث تأثير بالغة الأهمية فى العلاقـــات بين المسلمين والصليبيين ، وتعطى لسقمان مركزا قياديا أكثر أهمية .

وعندما رأى أصحاب سقمان شدة مرض أميرهم أشاروا عليه بالعودة الى ديار بكر ، فامتنع وقال : **(بل أسير ... فان عوفيت تممت مـــا عزمت عليه ، ولا يرانى الله تثاقلت عن قتال الكفار خوفا من الموت ، وان أدركنى أجلى كنت شهيدا سائرا فى جهاد)** . ومن ثم تقدم فى سيره وتوفى بعد يومين ، فى صفر من عام ٤٩٨هـ ــ ١١٠٤م ، فحمله ابنه ابراهيم عائدا ، بصحبة القوات الأرتقية الى ديار بكر حيث دفن هناك .

وما أروعها من كلمات ، يختم بها هذا القائد كفاحه المرير .. ويعبر فيها عن رغبته فى (الشهادة) وعشقه لها .. ذلـــك العشق الذى صنع التـــاريخ الاسلامى وسيظل يصنعه الى أن يشاء الله ...



للمفكر التركى نور الدين طوبجو
أستاذ الفلسفة فى جامعة استانبول سابقا
ترجمة الاستاذ : أورخان محمد على

أنتم تعلمون يا أصدقائى بأننى عندما مت كنتم مجتمعين حول فراشى .. كانت نظراتكم مسمرة على كما لو كنتم تشاهدون انسانا لأول مرة .. ولكن الحقيقة هى أنكم كنتم تحبوننى لأول مرة .. أما أنا فقد كنت سعيدا : اذ أرى حولى أول اجتماع لأصدقائى مفعم بالحب الخالص ... لقد أتيتم الى — لأول مرة — دون توجس بقلوبكم .. جئتم كما خلقكم الله . لأول مرة كنتم تجتمعون حولى محبة فى ، لا لأجل ثروتى أو قوتى أو لشبحى الموجود بينكم ، حتى ولا من أجل أفكارى التى أعجب بها فريق منكم . تلك اللحظة لا يعيش فيها الانسان سوى مرة واحدة فى حياته ، هذه اللحظة التى لا يحصل عليها الانسان الا عندما يموت . لكم أردت أن أحياها فى حياتى .. ولكنى — ككل أصحاب هذا الأمل الكبير — رجعت بالخيبة من تجوالى بينكم .. من أجل هذا بكيت ، عندما رأيت عدم الوفاء فى الصداقة والجحود فى بنى الانسان ، ولقد كنتم حول فراش الموت كأنكم تتألمون لهذا الجحود ولعدم الوفاء وتحاولون أن تتوبوا منهما .

لقد كان وجه كل واحد منكم كمرآة تعكس حياة أخرى وجمالا آخر ، كنت أرى فيها قلب الانسان ، وكنت أستطيع أن أدعو الله أن يجعل من هذه الأيام الثلاث التى أريتمونى فيها عوالم من الروح والحب حولى على فراش الموت ... أن يجعلها ثلاثة أعوام ، ولكن حال تسليمى الروح كان بدرجة من السكون والحب ، بحيث كان من غير المناسب طلب أو رغبة أى شىء آخر . كنت عطشا الى حياة مثالية عندما فارقتكم ، ولكننى مع ذلك كنت قد مللت دنياكم المملوءة بالألم والشقاء .. كنت تعبا الى درجة أننى كنت أحس بحاجة الى أن أنسلخ من الوجود ، وأن أستريح فى اللانهاية ألوف السنين .

وفى المساء بعد ثلاثة أيام عندما حسبت الأنوار الخافتة حولى نجوما فى السماء .. وبعد أن ودعتكم كلكم واحدا واحدا ابتسمت للملاك الذى

حضر ليأخذنى . كنت أحس ابتسامة الطفولة البريئة المرتسمة على وجهى ، أما جبينى ــ الذى كان يحمل من قبل خطوط خمسين عاما ــ فقد كان يتلألأ كجبين صبى برىء . وامتدت أحب الأيادى وأغلقت عينى ، وفارقت بدنى كطائر .. وللحظة قصيرة حلقت فوق رأسى ملقيا نظرة أخيرة متحسرة على جسدى المسجى الذى فارقته ، ثم سلمت أمرى الى الرسول الذى حضر بجانبى ... وذهبت ..

ومع أننى فارقت بدنى الا أننى حملت معى بعض أحواله ، لم أعد مع بدنى ولكن لازمنى بعض أحواله ، أما أنتم فقد فعلتم بجسدى ما لم يفعل به عندما كنت حيا : انحنيتم عليه وبكيتم ثم حملتموه على أكتافكم .. لم تكونوا تروننى ، ولكننى كنت أراكم ، وعندما دفنتموه فى التراب الذى جاء منه ، أحسست بأنه يلقى حياة جديدة لامثيل لها ، كنت أحس بأن جسدى الذى اختلط بالتراب لا يزال يحمل منى أشياء وأشياء ، كان يحس من هذا اللقاء لذة لم يتذوقها أبدا فى الحياة . ما أجمل ما كان يستمع الى نفسه ويعود الى نفسه !. أما أنتم فقد كنتم تبكون على لأنكم لم تكونوا تعلمون الى أين ذهبت . أما أنا فقد عشت فى الحياة الدنيا لمثل هذا الموت ، وقد وصلت الى أملى ، عندما كنت بينكم كنت مثلكم أخشى الموت ، لأننى كنت أحبكم ، وكنت أكره أن أفارقكم جميعا . وعندما انحنى على رسول الموت لم تلاحظوا الابتسامة التى ارتسمت على وجهى ، وبدورى لم أستطع أن أقول لكم شيئا عن حالى . لم يستغرق انتقالى من دنياكم الا لحظة قصيرة . وبعد أن ــ دفن جسدى قلت للرسول : (الى أين نحن ذاهبون ؟) لم يقل لى : (الى حيث تريد) وانما أجابنى قائلا : (الى حيث كنت قد أردت) . ثم أضاف : (ان الحياة التى عشتها لم تكن الا تهيئة لحياتك الحقيقية هنا ، ولن تلقى هنا الا الاشياء التى طلبتها فى تلك الحياة) .

سألته : (وهل أجد كل ما كنت أطلبه ؟) ، فقال : (ستلقى كل ما تطلبه بايمان وبحب وبعشق .. كل ما كنت تطلبه بحق) . فرغبت أن أكون مع والدى ومع روحين عزيزتين توفيتا قبلى .. كيف أبلغت وأفهمت هذه الرغبة ؟ لست أدرى ، غير أنه أجابنى فى التو : (ولكنك معهم الآن) .. ملكتنى الحيرة .. لم أكن أصدق عينى .. لقد كنت معهم ... نعم كانوا هم أنفسهم ، ان الوسائل التى تأكدت بها ، وعرفتهم بواسطتها كانت أقوى من الوسائل الدنيوية ألف مرة ... كانوا فى أجمل وأحب أحوالهم .. فى الصورة التى لا يمكن رؤيتها الا فى الاحلام ، ولكن : أكنت أرى بالعين ، وأسمع بالأذن وألمس باليد ؟ .. كلا .. ان وسائل معرفتى أصبحت ملكة عندى . بهذه الملكة كنت أرى أقوى من رؤية العين ، أسمع أقوى من سماع الأذن ، ألمس أقوى من لمس اليد .. لقد أبعدت عنى هذه الملكة شعور الشك الذى كنت أحسه فى الدنيا ، لم يعد هنا مجال للشك ، بل ايمان لا يفارقه الوجد والحب . الوجد الذى أصبح دليلى هنا للمعرفة . أما الزمان الدنيوى الذى كان يجرى ويسيل ، والذى كان كل لحظة منه تقتل اللحظة التى سبقتها ، فلم يعد له وجود هنا ،

فاللحظة والابدية هنا نفس الشيء لا يفترقان عن بعضهما البعض الحياة هنا تيار أبدى فى اللحظة التى لا تعرف فيها عذاب الشك .

سألت الرسول : (من هم الذين يعيشون هذه الحياة الابدية ؟) قال : (الذين كانوا فى الدنيا أصحاب الرحمة والايمان غير المحدود . هنا ستتحقق رغبات هؤلاء فقط) . قلت له : (أما أنا فقد كانت رغبتى الدائمة هى السفر .. سفر لا يضجر ولا ينتهى ولا يفرقنى عن أحبائى) أجابنى دون تردد : (لقد بدأت سفرك هذا) .. يا للحيرة !. .. يا للحيرة !.. دون أن أفارق أحبائى ، ودون أن أهتز بأية حركة ، ودون أن أحس أنى أقوم بأى عمل كنت أقطع المسافات . فى أول الأمر كنت أرى على جانبى الطريق موجودات وركاما وحشودا بلا حياة لم أتبينها جيدا . قلت : (ما هذه الأشياء ؟) قال : **(هؤلاء البؤساء ، هم الذين لم يفهموا طاب الحق ، هؤلاء أصحاب الغرور المتهالكون على المصالح المادية وعلى الشهوات .. لقد كانوا أمواتا فى الدنيا ، وهم أموات هنا كذلك .. لم يعيشوا لأنهم لم يطلبوا .. لقد عاشوا فى الدنيا من أجل أجسادهم فقط .. أهملوا أرواحهم ونموا أجسادهم ، لا يمكن لهؤلاء أن يلقوا الحياة الأبدية) .**

قلت : (ولكن كيف ؟ كيف يكون أصحاب هذه الرغبات أمواتا ؟ لقد كانوا فى الدنيا أملأ الناس حياة ! ألم تقل بأن كل واحد سيجد هنا ما كان قد طلبه .. لقد كان هؤلاء أكثرنا طلبا) . أجابنى قائلا : (أنت مخطىء .. لم تفهم بعد معنى الطلب ، ان الحرص ليس طلبا ، ان الحريص والمتهالك على المنافع ينسلخ عن كل شىء ، ويكون ضد كل شىء ، ويطلب لنفسه فقط .. بدايته الكبرياء والغرور ، واستمراره بالكبرياء والغرور .. هذا الحرص أسوأ من المسكنة . أما الطلب الحقيقى فهو الاندماج مع الكل والطلب لأجل هذا الكل) . ومع أننى لم أفهم كلامه جيدا الا أننى حزنت لمصير هؤلاء البائسين .

سألت رفيقى : (ومتى سنقف أمام المحكمة الكبرى التى ستحاسبنا جميعا ؟) قال : (نحن الآن هناك .. أنظر حواليك !) .

كنا فى ميدان كبير ليست له نهاية وكانت القوافل البشرية بمختلف هوياتهم وأحوالهم تملأ جوانبه ، وفى الوسط كان يوجد موضع كبير حيث كان جميع القوافل البشرية وجميع الافراد يحاسبون هناك فردا فردا . كان ينادى على كل فرد عندما يحين دوره للمثول أمام المحكمة ، حيث كان يعترف بلسانه وبوجهه وبلحمه وجلده ما اقترفه فى الحياة الدنيا . لم تكن هناك حاجة الى شهود ، اذ أن كل شىء ، كل ذرة كانت تنطق عندما يحين وقت الكلام ، بل ان الحادثة نفسها والفعل نفسه كانا ينطقان .

وعندما جاء دورى دعيت الى مكان الحساب الذى كنت أرقبه برهبة واشفاق . تكلمت ذنوبى بنفسها . أما أنا فقد خجلت ، وأحاطنى جميع الذين كنت قد أسأت اليهم ، وكان أكثر خجلى من الذين ظلمتهم .. آه ! كم كنت ظالما دون أن أدرى ، لقد كنت أحسب نفسى رحيما ، كم كنت مقترفا للظلم بلسانى ان لم يكن بيدى وبقلبى ان لم يكن بلسانى ، ومن

حسرتى وقسوة شعور الخجل الذى أحسسته فى حضور الذين ظلمتهم تمنيت لو أننى ظلمت فى الدنيا ولم أظلم ، أو أننى قطعت إربا إربا ولم أظلم .

أما صاحب الحكمة الكبيرة فقد كان يرى ويشاهد حالى .. وضع ذنوبى فى كفة الميزان ، ووضع وجدى ورحمتى فى الكفة الأخرى ، فرجحت الأخيرة ونالتنى المغفرة الكبيرة . أما الذين ظلمتهم فى الدنيا فقد انبهروا لهذه المغفرة ، فسامحونى ورجعوا عن حقوقهم ، وهكذا فارقت المحكمة الكبرى ، لم أجد هناك عبدا استحق الحياة الأبدية دون أن تشمله المغفرة والعفو ، حتى الشفعاء كانوا بحاجة الى هذه المغفرة الكبرى المهداة . وبعد أن وصلت الى سر خلاص الروح بدأت فى العيش الذى لا يعرف الزمن والسياحة التى لا تعرف المكان .

قال لى دليلى : (ان السياحة التى ستبدأ فيما وراء هذا هى للذين خلصوا أرواحهم أما الآثمون فلا يحق لهم ذلك) . فسألته (ما هو الاثم) ؟ قال وقد اهتز من الحيرة : (ألم تلاحظ نفسك عندما كنت ترتكب إثما ؟ ألم يكن الإثم يسحقك ؟ لو رجعت الى نفسك ، وفكرت لعرفت بأن الإثم هو صغار الروح .. انسحاق الروح .. وفقدان الروح ، أينما صغرت الروح فهناك إثم مرتكب . ان الذنوب التى لا تسحق الروح ، والتى هى نتيجة أخطاء هى التى تنال العفو ، أما الذنوب التى تسحق الروح ، فليس لها أن تنال العفو ، وحيثما عاشت الروح فى سلام وطمأنينة فليس هناك إثم . ان الإثم يبدأ عندما تصاب الروح بهزة ، وعندما تفقد الروح صدقها أمام نفسها . ان الإثم يظهر نفسه — وهو فى الدنيا — شكل عذاب ، ويجر معه كذلك سلسلة أخرى من العذاب ، مع ملاحظة شىء واحد : هو أن جميع الأشياء فى الدنيا انما هو رمز وظل للموجودات فى هذا العالم ، الذى يتوصل اليه بعد الموت ، لذلك فان العذاب الذى تشعر به فى الدنيا انما هو ظل وصورة للعذاب الحقيقى . وأنتم كم كنتم مغرمين بالجنة لاحتوائها على فواكه كفواكهكم وعلى شراب كشرابكم وعلى مفاتن الشباب ، مع أن الجنة — ومثلها الجحيم — صورت لكم حسب مفاهيمكم وعقولكم . والحقيقة أن هذه اللذات لا تعد شيئا بجانب لذات الجنة الحقيقية ، التى لا يمكن وصفها والتى تجمع فى اطار واحد الحياة الابدية مع التفكير الخالى من الشك والشبهة ، والحركة المطلقة مع التأمل المثالى) .

وعندما بدأت فى رحلة الحياة الأبدية لم يعد دليلى معى ، كنت وحيدا ولكنى لم أكن أعرف ما هى الوحدة ... لم يعد هناك فرق بين شىء وبين كل شىء .. كنت أرى هنا الجميع يعيشون فى أجمل وفى أحب الاحوال الى قلبى ... كان الانسان يتكلم مع جميع الأشياء ... وجميع الأشياء تتكلم مع الانسان .. هناك انسان متمدد وهو يعانق جبلا . وآخر يسيل مع الماء ويتأمله فى نفس الوقت .. بعضهم يطيرون ، وهم ملتحقون بالشفق الوردى . وقافلة أخرى فتحت أجنحتها نحو السحاب ، جالسة على عين واسعة ، نابعة من حضن غابة عبقة الأرجاء . يشاهدون جميع الوجوه الجميلة . ويستنشقون عبير الزهور ، جميعها أمام المياه الباردة النابعة من الأعماق وكأنها أنوار تغلى .. أمامهم جميع

الوجوه التى حلموا برؤيتها ، فحققوا آمالهم بالصحبة الكريمة التى تمنوها طيلة حياتهم ، ووصلوا جميعا الى اللذة الأبـدية لجميـع الاشياء التى أحبوها وتمنوها والتى ذاقوا منهـا — ولو قليـلا — ورغبـوا فيها فى الحياة الدنيا .

لقد استطاعوا فى الدنيا أن يجدوا طريقا لنقل أجسادهم فى دنيا الروح وأن ينظروا الى عالم الحقائق ، وان كان عن بعد ومن كوة ضيقة .. كان هؤلاء أرواح الذين لم تكن عباداتهم عن خوف ولا عن عادة ، وانما كانت عن تأمل وعن حب وعشق .. قد هيأوا أنفسهم لهذا اليوم عن علم .. فجميع أفعالهم وحركاتهم فى الدنيا كانت عبادة .. والحقيقة أن الحياة الأبدية نتيجة ضرورية للتهيؤ المستمر الدائم فى الحيـاة الدنيا ، وليست منظرا ينكشف فى لحظـة واحدة من وراء الأستار . والانسان يستمر هنا على نفس الوتيرة التى انتقل بها من هناك . ان الآثار التى أنجزناها حتى موتنا ، ما هى الا جذور للشجرة التى ستستمر بعد الموت ، أما أغصان وثمار هذه الشجرة فتابعة لنوع هذه الشجرة التى زرعناها فى الحياة ، وتسـتمر الروح فى النضـوج من النقطـة التى كانت قد وصلت اليها قبيل الموت ، والعبرة هى فى الوصول الصحيح الى الموت ، أو بتعبير أحد الحكماء (معرفة كيفية الموت) .

أما الأشياء والامور التى رأيتها فى عالم الأرواح التى وصلت الى شاطىء السلامة ، فهى تجل عن الوصف ، رأيت الرجال والجبال يتسامرون .. رأيت الجداول وهى تتكلم مع الناس ، وتهب اليهم مذاق جميع الأشربة ، دون أن تكون هناك حاجة الى الشرب .. رأيت الارواح التى بلغت أمنياتها تسبح فى أودية واسعة برذاذ المياه ، التى كانت كتل الثـلوج النـاصعة ترشها عليهم .. رأيت الغابات التى لم تطأها من الأزل أقدام الآثمين ، تتماوج فى أرجائها وتمتزج ببعضها أنوار الشموس الخضراء والوردية مستغرقة فى تأمل آلاف العوالم .. رأيت الشموس التى تذكر كل واحدة منها روحا صالحة تعيش فى عوالم ثملة من الوجد والعشق .. فى عوالم لها وضـوح العـلم وحرارة الحب ووسعة الأمل .

أحيـانا كانت رؤية جمال وجـه تغرق هذا العالم بأجمعه فى الجمال .. وأحيـانا كان ميلاد ذكرى كبيرة يغمر جميع الأرجاء بضياء الشموس .. اذ أن أية عبادة فى الدنيا تجعل كل شىء أبديا ، وعالم الجنة هـذه مكان للذين كانوا يجدون الطمأنينـة وراحة البال فى أقل الأشياء ، وليس للذين تكثر مطالبهم ولا تنتهى .

رأيت أن الصابرين يتبوؤن أعـالى الدرجات هنا ، وكنت قـد تذوقت نماذج من هذا الجمال — ولو على مقياس أقل — فى الحياة الدنيا .. والحقيقة أن أسعد لحظات حياتى كانت لحظات التأمل الذى كان مظهرا خارجيا للطمأنينة الروحية عندى .. رأيت هنا الرحمة المنهمرة من الأعالى التى لا نهـاية لها الى الارض التى لا نهاية لها .. حضرت مجـالس الصحبة بين الأنبيـاء والاولياء ... شاهـدت حكمة قوانين الكون التى كانت المعجزة الوحيدة التى تعرفونها فى دنياكم ، وشاهدت توزع العدالة الإلهية هنـا فى ميدان القدر ... ومع أنكم كنتم غافلين عنها فان هذه

العدالة كانت مقسمة بأكمل وجه فى الدنيا .

تأملت بكل شـوق ولذة وجـه (الخير) الذى هو وراء كل عمل حق .. علمت أن الدنيـا ـ التى كنتم تحسبونها دارا للشقاء والألم ـ ما هى الا ممر للمهارة والحكمـة ... استرحت على الجسر الموصـل من الـروح الى الله .. تخلصت مـن الوحدة القاتلة ، تخلصت من هـذه الوحدة التى كانت أكبر عذاب لى فى الحياة الدنيا ، والتى كانت تمزقنى بين كل شىء وبين كل موجود والتى كانت تفصلنى عن نفسى .. لم يكن لى هناك من بينكم صديق حقيقى .. عشت وحيـدا بينكم أسيرا لهـذا العذاب .. كنت وحيـدا فى الليل والنهار ، فى طفولتى وعلى فراش الموت ، فى غرفتى وبين النـاس ، عندما خدعت وعندما مدحت ، فى الغربة وبين أحبائى ، بين الذين بكوا وبين الذين فرحوا .. كنت وحيدا فى كل مكان ، وقد كانت الوحـدة هى الداء الذى لم أجد له دواء فى الدنيا .. لكأننى عشت لها وتمنيت الموت دائما للخلاص منها .. هذا هو الداء الذى تخلصت هنا منه .

وأخيرا اشتقت الى (الرب) الذى مكننى من المثول أمامه بعض المرات فى الدنيا دون عـذاب ولا انتظار . سألت رفيقى الملاك الذى ظهر بجانبى فى تلك اللحظة : (أين هو ؟) قال : (ولكن ألا تراه ؟!) قلت : (ان هذه الموجودات التى أراها هى نفسـها التى كنت أراها فى الدنيا ولكنها الآن فى وضع الكمال وفى شكلها الأبدى المطلق .. ولكن أين صاحبها ؟.. ان لكل ملك صاحب .. وأنا الآن أبحث عن صاحب هذا الملك) ولكن دليلى أسـكتنى ـ وكأنـه قلب تعـرضى لتحقير ـ بلسان تمتزج فيه الرحمة مع الحيرة والتهديد قـائلا : (أأنت مجنون !.. أيمكن أن يكون هنـاك شىء (غيره) وأمام هـذا التنبيه رجعت الى نفسى : نعم .. كل شىء هو ... هو .. هو .. لم أكن متنبها من قبل ، ففى كل موجود كانت تطل أعين قدرته ، لقد كنت فى الحضرة العظمى .. اهتززت بعنف قـائلا : (يا رب !) كأن جميع الكون ، وبكلمة واحدة كأن الوجود جميعه خوطب بهذا الخطاب ، وكأن الوجود فى كل مكان وفى كل شىء قـال : (تكلم) ... ليس كانسان ، بل كشـعور لا نهائى ، وكقدرة لا نهائية .. لا زمان عنده ولا مكان لسواه .. لا جديد ولا قـديم ... لا غير ولا شـبيه .. لا بادىء ولا منتهى .. لا سبب ولا نتيجة .. لا مولود ولا ميت .. لا لا ولا شك .. كنت فى سعادة ، وفى فرحة كفرحة من يولد ولادة أبدية ، فرحة لا يوجد مثلها أبدا فى الدنيا ، بلا صوت وبلا اهتزاز وبلا سبب .. كأن جميع المخلوقات كانت تخلق فى تلك اللحظة ، وكأن كل فرحة هـذا الخلق تملأ وتفيض من نفسى ... بكل هـذه الفرحـة ومع جميـع الموجـودات ارتفعت ، ولكن لم تكن هناك مسافة ، فى لحظة انقلب جميع الأشياء الى منظر كبيـر أذابنى فى داخله .. فكرت ولكن الذى فكر : هو .. وجدت ولكن الموجود كان : هو .. فى أى حال كنت ؟.. أين كنت ؟.. أكنت موجودا ؟ نسيت كل هذا ، لأن جميع هذه الاشياء كانت قد انمحت .. كنت قد غبت عن نفسى ـ كمثل موسى فى الطور ، ومحمد فى المعراج ـ فى هذا العالم الذى انمحى فيه الزمان والمكان .

.. كان هناك شىء واحد .. شىء واحد فقط : **هو**

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها



فى الوضوء

السؤال :

هل ينقض الوضوء خروج الدم من غير السبيلين سواء كان من رعاف أو جرح أو حجامه وسواء كان كثيرا أو قليلا ؟

أ . حسن ــ جامعة الكويت

الاجابة :

خروج الدم من السبيلين ينقض الوضوء باتفاق كسائر ما يخرج من السبيلين سواء كان مادة مرئية أو ملموسة أو ريحا . وسواء كان معتادا كالبول والغائط أو غير معتاد كالحجر أو نحوه . أما خروجه من سائر الجسد غير السبيلين ففيه خلاف بين الفقهاء ، فالحنابلة قالوا : اذا كثر نقض الوضوء ، والكثرة والقلة تعتبر فى حق كل انسان بحسبه قوة وضعفا . والأحناف قالوا : اذا سال أى تجاوز محله نقض ولا ينتقض الوضوء بالنقطة والنقطتين .

أما المالكية والشافعية فقالوا : اذا خرج الدم من الجوف نقض الوضوء ولا ينتقض وضوء بخروجه من غير الجوف .

فى الطلاق

السؤال :

حصل بينى وبين زوجتى خلاف أدى الى أنى طلقتها ثلاثا بلفظ واحد وفى مجلس واحد ، فهل يحق لى أن أراجعها ، وهل هذا يعتبر طلقة واحدة أو ثلاثا أرجو الافادة يرحمكم الله ؟

س . س . الصورى

الاجابة :

المقرر شرعا أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد أو بالتكرار أو باشارة مقترنة بالطلاق فى مجلس واحد يقع طلقة واحدة وهو رأى أكثر الصحابة عليهم الرضوان .

روى عن ابن العباس رضى الله عنهما قال : طلق ركانة رضى الله عنه امرأته ثلاثا فى مجلس واحد ، فحزن عليها حزنا شديدا ، فسأله الرسول كيف طلقتها ؟ قال : طلقتها ثلاثا فى مجلس واحد ، قال له عليه الصلاة والسلام فانما تلك واحدة فأرجعها ان شئت فراجعها .

وبما أنك قد طلقت زوجتك ثلاثا وبلفظ واحد وفى مجلس واحد ، فانه يقع طلقة واحدة .

ولك مراجعتها أثناء العدة ما لم يكن قد سبق لك طلاق مرتين .

فى الميراث

السؤال :

توفيت أمرأة وتركت أخا وأبناء أخوة ، فمن يرث من هؤلاء ومن لا يرث ؟

ألاجابة :

اذا لم يكن للمتوفاة وارث غير هؤلاء كان الوارث الوحيد هو الأخ وحده سواء أكان شقيقا أو أخا لأب بالتعصيب . ولا شىء لأبناء الأخوة لأن الأخ أقرب منهم .

فى الصـــلاة

السؤال :

دخل رجل على آخر وهو جالس للتشهد فى الصلاة ، فقال الداخل السلام عليكم فرد المصلى وعليكم السلام ورحمة الله . فما حكم صلاة هذا الرجل ؟

وهيب عبد العزيز ــ الكويت

الاجابة :

اذا ألقى رجل السلام على المصلى أثناء صـــلاته وجب على المصلى عدم الرد عليه لأنه مشغول بما هو أهم ، فاذا رد عليه بطلت صلاته .

فى الرضاع

السؤال :

رجل رضع من زوجته ، فهل تحرم عليه الزوجة بهذا الرضاع ؟

عيسى رشدان / البصرة

الأجابة :

الرضاع المحرم هو الذى يكون فى مدة الرضاع شرعا وهى ســـنتان فكل رضاع حصل فى مدة السنتين محرم .

أما الرضاع بعد هذه المدة كما ورد فى السؤال فانه لا يحرم الزوجـــة على زوجها .

والحكمة فى ذلك هى أن الرضاع الذى يحرم هو الذى يترتب عليـــه نمو الجسم عظما ولحما وهذا انما يكون دون السنتين .



يعبرون فيــه عن أفكارهم دون أن تلتزم المجلة بآرائهم .

بين جيلين

من مقال للأستاذ / محمد نور ـــ ديوان المحاسبة الكويت

ان والدى كان يقودنى الى الجامع والشيخ ....

وان الشيخ كان يدعونى الى الله والى المثل العليا ، والأخلاق الفاضلة ، والآداب ، وحسن معاملة الناس والرفق بهم ، ومساعدة الفقراء والعطف عليهم ، وبر الوالدين ، وخفض جناح الذل لهما من الرحمة ، وان أنس لا أنس مدى حرصه رحمه الله ، على تعليم الناس ، الرفق بالنســاء واكرامهن ومعاشرتهن بالمعروف .

ذلك هو الزاد .. الذى يستطيع الانسان أن يقطع سفره به ، دون جوع أو عطش ودون تردد أو قلق أو اضطراب انه سكينة للنفس واطمئنان ، وثقة بالخالق وتقرب منه وفــزع اليه من أهوال الحياة وملماتها . ومتى ابتدأ الانسان طريقه فى الحياة من هذه الأسس سار عليها الواثق المطمئن ، يدفعه من الخلف قوة وايمان ويضىء له الطريق نور من الله وعطف وعون فيســير معتمدا على الله موجد هذا الكون وخالق كل شىء فيه .

واليوم .. وقد بدأت معالم جيل جديد ، وحياة جديدة وفلسفات متعددة ، تبدأ مسيرتها من نقطة واحدة مشتركة هى نبذ كل ما هو قديم من أفكار وعقائد وعادات وسلوك وهدم كــل المعــايير القديمة للحياة والتحلل من جميع الضوابط الدينية والأخلاقية وتسفيه آراء الأجداد والآباء ، فمثل هذا الجيل لا يمكن أن ينهض بجسيم الأعباء ، بعد اعتلال المفاهيم والمعايير التى ينظر منها الى الحياة .

نريد جيلا جديدا يكون على مستوى الأحداث يكافىء جيل العدو وينهض للتصدى له ، جيلا يتلمس أسباب النصر من الشرف والأخلاق والضمير والاخلاص والتضحية ، ويبنى حياته على أنه خلق للبطولات ، وللذود عن الأوطان والأعراض ناهجــا فى كل ذلك نهج الدين ، ومســـــتمسكا بعراه ، ومتكلا على الله .

من مظاهر الغزو الفكرى

للأستاذ / عبد الرحمن أحمد شادى ـــ القاهرة

المسلم الحريص على دينه يتعجب من مظاهر الغزو الفكرى للمسلمين فى عقر دارهم ، ومن هذه المظاهر الحرص على الزخارف وخصوصا حين ترتبط بدين آخر غير دين الاسلام ولها أنواع كثيرة وأشكال شتى يتمخض عنها عقل الفنان أو ذهن الصانع .

ويتألم المسلم حين يرى زخرفة عمادها شكل الصليب على بعض البسط التى تفرش فى المنازل وربما صلى عليها أو تطوع بها لفرش مسجد أو جزء منه تقربا الى الله تعالى ، وهذا من الخير المشوب بما يكدره اذ يوضع البساط المزخرف بالصلبان ليكون وجه المصلى عليه فى الســجود حين يأتى أوانه فى الصلاة والوجه أشرف جزء فى جسم الانسان .

ألا نتصف بالحضارة والعصرية الا اذا قلدنا الغربيين تقليدا أعمى واستعملنا فى أخص شئون العقيدة ما يرفضه الدين وما لا يسيغه الذوق السليم ، والسجود على الحصير الساذج أولى لهذا

المعنى ، ولا يحتاج الرائى الا الى تأمل يسير ولفت نظر ساذج ليرى زخرفة فى بعض المحاريب يمكن أن تظهر فيها الصلبان بوضوح ، وتأبى بعض الشركات التى تصنع الساعات وتصدرها الينا الا أن تجعل الصليب علامة مميزة فى غطاء الساعة الخلفى ، والأبواب التى تصنع من الحديد يجد الناظر اليها الصلبان أحيانا هى عماد الزخرفة فى النصف الأعلى من الباب ، وكثيرا ما يكون الصانع والتاجر والمشترى من المسلمين ومما يتصل بهذا أن بعض الصاغة يصنع صلبانا من الذهب لأنها تطلب وتشترى منه دون أن يتحرى لرزقه حتى يأتى من طريق غير هذا ، وضعفنا الروحى أمام الغزو الفكرى هو المسئول عن هذا التساهل وقلة المبالاة ، ويقول القائل فى ذلك ربنا رب قلوب لا مظاهر وهذه كلمة حق أريد بها باطل ..

يلاحظ الفنان والصانع هناك عقيدته حين ينتج الصفة أو الفن ولا نلاحظ نحن فى الشرق ديننا عند الاستيراد والاستعمال ، ولماذا لا يعتبرون مثل هذه الأشياء تفاهات لا يلقون اليها بالا كما نفعل نحن كان من الأولى ألا تنتشر هذه السلع ، وألا يروج هذا الفن بين المسلمين ، ويطالب المستوردون بغيرها مما يقوم مقامها ويسد مسدها مما ليس فيه هذه العلامة . ومن ذلك اعتبار الراحة يوم الأحد واغلاق المحلات فيه مع أن العطلة الرسمية يوم الجمعة ، ولكن لا يزال فينا من يقلدهم بالراحة يوم الاحد مع أن المسلم يذهب يوم الجمعة الى المسجد لصلاة الجمعة ، ولا يذهب الى الكنيسة يوم الاحد.

طنطاوى جوهرى

للأستاذ عبد المنعم البحقيرى

ولد الشيخ طنطاوى جوهرى سنة ١٨٦٢ بقرية بمحافظة الشرقية من الجمهورية العربية المتحدة ، من أسرة فقيرة وتعلم فى الأزهر ودار العلوم ، ولقد عاش الرجل حياته يغرس فى نفوس طلابه مبادىء الحق والحرية ، ويشرح لهم دور الاستعمار فى محاربة الدين والأخلاق . آمن الرجل بالسلام فكان داعيا له ويظهر هذا من مؤلفاته التى قدمها وأهمها (أين الانسان) و (أحلام فى السياسة وكيف يتحقق السلام العام ؟)

كما أمد المكتبة العربية والاسلامية بالعديد من المؤلفات القيمة ، ومنها المدخل فى الفلسفة وجمهرة الشعر والتعريب ، والموسيقى العربية ونهضة الأمة وحياتها وسوانح الجوهرى وأصل العالم وجواهر التقوى فى الأخلاق ونظام العالم والأمم وتفسير القيم المسمى (الجواهر فى تفسير القرآن الكريم) ولقد عرف الرجل فى بلاد كثيرة كالهند واليابان وبلاد فارس والصين وأندونيسيا ، ولقد تحدث عنه الكثيرون ومنهم الدكتور (هارتمان) يقول عن كتابه نظام العالم والأمم (ان هذا الكتاب تتضح فيه سمات الشيخ العبقرية وحبه الأصيل للطبيعة) .

ولقد استطاع الرجل أن يقدم صورة لتعاليم الاسلام السمحة حيث أنه خاطب المجموع الانسانى فى دعوته الى السلام والمحبة ، وكيف أن الاسلام لم يؤيد العدوان مطلقا بل أقره دفاعا عن المقدسات والشرف والكرامة الانسانية ، وقدم هذه المبادىء العظيمة فى كتابيه أين الانسان ، أحلام فى السياسة وكيف يتحقق السلام العام) قال عن مؤلفاته المستشرقون والمفكرون الشىء الكثير فالبارون كراديفو يقول عن كتابه أين الانسان (ان الكتاب شرف لمصر والاسلام وهو يستحق الاحترام) ويقول العلامة سنتلانه الايطالى (انه من الصحف العظيمة الدالة فى الوقت الحاضر على مقدار ارتقاء شعور الطبقة الراقية الاسلامية) ويقول عنه كريستيان جوب (ان كتاب أين الانسان يبحث فى أعقد المشكلات المالية بحثا عجزت أوروبا الى اليوم عن الاتيان بمثله ، وقد رسم فيه هذا الفيلسوف للعالم بأسلوب فلسفى عميق طريقه المستقيم الى السلام الدائم)

هذا ولقد رشح طنطاوى جوهرى لنيل جائزة نوبل .. ورشحته عدة هيئات ومؤسسات ثقافية فى مصر والخارج ، وتثنى الثناء الكبير على مؤلفاته التى قدمها من أجل الانسان وسعادته ورضائه .

ولقد توفى فى فجر اليوم الثانى عشر من شهر يناير ١٩٤٠ بعد أن بلغ من العمر الثامنة والسبعين بعد حياة حافلة بأروع الصفحات فى خدمة الاسلام .



شريعة الجهاد

تحدث القرآن الكريم عن كثير من أنبياء الله ورسله السابقين ، ووصف ما لاقوه من أقوامهم من مؤامرات وعداوات بلغت محاولة احراق بعض المرسلين وقتل بعضهم ومع هذا فلم يذكر الكتاب الكريم ، بل لم يسم معركة حربية واحدة خاضها هؤلاء المرسلون مع المجرمين . هذا فى الوقت الذى أفاض فيه القرآن فى وصف المعارك التى دارت بين سيدنا محمد ومن آمن به وبين أعداء الرسالة من العرب وغيرهم .. فهل معنى هذا أن الجهاد لم يكتب على المرسلين السابقين .

سعد زايد ـ أبو ظبى ●

عاشت الرسالات الالهية السابقة فترة من الزمان فى حماية القدر الأعلى وكفالته ، ولم يكن للبشر أى مجهود عسكرى فى ازالة العقبات من طريقها وردع المعوقين لمسيرتها ، فكانت الرسل تبلغ أقوامهم رسالات الله ويبذلون طاقاتهم فى الدعوة والاقناع ، ويتحملون ألوان العذاب والاضطهاد ، ويصبرون ويصابرون حتى اذا نفذ صبرهم ، ويئسوا من ايمان قومهم فلم تعد تنفع فيهم نصيحة ، أو يؤثر فيهم دليل ، واستشرى بغيهم وعدوانهم تدخل القدر الأعلى فنجى الله رسله والمؤمنين ، وأهلك الكافرين والمجرمين ، وصب الله عليهم العذاب صبا (ولله جنود السماوات والأرض) . والمتأمل فى القرآن الكريم يجد هذه الحقيقة ماثلة فيما فعل بأقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام . فقد أباد الله قوم نوح بالغرق ، وأهلك عادا بالريح ، وثمود بالصاعقة وقوم لوط جعل الله عالى ديارهم سافلها . وفى ذلك يقول القرآن الكريم : « وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية » . وفى عذاب عاد وثمود يقول الحق تبارك وتعالى : « وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم . ما تذر من شىء أتت عليه الا جعلته كالرميم . وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين . فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون» وفى قوم لوط يقول الله : «فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود . مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد » وهكذا نجد الرسالات السماوية التى حملت النور والخير للناس حملت ألوان التأديب والنكال لمن وقف فى طريقها : « فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا . ... وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

بعد هذا يحدثنا القرآن الكريم أن الدعوة الى الجهاد فى سبيل الله بحد السلاح بدأت على يد موسى عليه السلام ، ومع ذلك فان بنى اسرائيل فى عهده لم ينالوا شرف الاستجابة لهذه الدعوة ، فقد جبنوا واستحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ، وكانوا أحرص الناس على حياة أى حياة . آثروا حياة الذل والعبودية على الحياة العزيزة الكريمة ، ومالهم وللعزة والكرامة اذا كانت التضحيات والمغارم ثمنا لها .

طلب موسى من قومه أن يدخلوا الأرض المقدسة ، ويلقوا عدوهم هناك ويخرجوهم منها فقالوا له : « انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون » .

وبعد موسى تحركت فى نفوس قلة من بنى اسرائيل الرغبة فى الجهاد ، فقالوا لبعض أنبيائهم (ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله) فتشكك النبى فى عزيمتهم لما علم من سابقة جبنهم مع موسى فقال لهم : (هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا) فأصروا على طلبهم وأيدوه بالمبررات التى تحمل على تصديقهم وقالوا : « ومالنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا » ولكن ما لبث أن عادتهم طبيعة الجبن والخوف : « فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليـم بالظالمين » .

ولما بعث خاتم الأنبياء والمرسلين بالرسالة الخاتمة حمله الله مع المؤمنين مسئولية حماية الدعوة والدفاع عنها ، فاستجابوا لله وعبئوا أنفسهم للجهاد فى سبيله وحراسة دينه ، وكان من فضل الله على العرب المؤمنين أن يكونوا طلائع كتائب الفداء والجهـاد . وسجل لهم القرآن أروع صـفحات البطولة والتضحية وأثنى عليهم بما هم أهله :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

طلب العمل

ما المراد من هذا الحديث الشريف (اتقوا الله فان أخونكم عندنا من طلب العمل) .

رامى عبد الله ــ الكويت .

هذا الحديث يؤكد قاعدة هامة تتصل بولاية الأعمال العامة ، وهى وضع الانسان المناسب فى المكان المناسب له ، فلا يعهد بعمل من الأعمال الا لمن توفرت فيه المقدرة والكفاءة للنهوض به دون ملاحظة أى اعتبار آخر من شفاعة أو قرابة أو محسوبية ، وهذا خير ضمان لانتظام الأعمال ورقى المجتمع والمسئول عن تطبيق هذه القاعدة هو ولى أمر الأمة ، وصاحب الحل والعقد فيها ، فلا يوسد أمرا من الأمور الا لأهله ، وأفراد الأمة يتحملون أيضا جانبا من هذه المسئولية ، فلا يطلب أحد منهم عملا لا يتقنه ولا يحسنه . والرسول صلى الله عليه وسلم يخاطب بهذا الحديث ضمير كل فرد من أفراد الرعية ، ويطالبه بألا يتقدم الى ولى الأمر بطلب عمل لا يستطيع النهوض به ، ولا أداءه على الوجه الذى يحقق مصالح الجماعة ، ومن خالف هذا فقد خان الله ورسوله والأمة .

وقد منع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه من مباشرة أعمال بناء على طلبهم لأنه لم يأنس فيهم القدرة على تحمل مسئولياتها وأدائها بما يتفق مع الصالح العام .

روى مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ألا تستعملنى ، قال : فضرب بيده على منكبى ، ثم قال : يا أبا ذر انك ضعيف ، وانها أمانة ، وانها يوم القيامة خزى وندامة الا من أخذ بحقها وأدى الذى عليه فيها .

أما من يأنس فى نفسه القدرة على القيام بعمل من الأعمال فلا جناح عليه فى أن يتقدم بطلب هذا العمل .



شيء يجب أن نفعله

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ انيس منصور فى مجلة البلاغ الكويتية الجديدة فى عددها الأول يقول :

لا بد ان نتساند بعضنا على بعض يد على ساق ورأس على عنق وعقل على ارادة وارادة على وعى من اجل ان ننهض جميعا ونقف جميعا . ونتعلم . ونتدرب ونستأنف ما فات فما يزال هناك وقت ، وقت امام الفرد وامام الشعوب واذا مضى عام أو عامان أو ثلاثة فليست هذه بالسنوات الطويلة فى حياة الامم فحياة الامم لا تقاس بالسنة ولا بالعشر سنوات ، وانما حياة الامم بالقرون ، وليس معنى ذلك اننا لن ننتصر الا بعد قرن أو قرنين ولكن معناه ان المعركة بين القومية العربية والصهيونية أو القومية اليهودية الاستعمارية طويلة طويلة .

حتى ولو ازيلت آثار العدوان فيبقى أمامنا العدوان نفسه ستبقى اسرائيل فى الارض العربية واسرائيل هى كيان خطير علميا وماليا واستعماريا . والمعارك لا تكسبها الشعوب بحرارة الكلام ولا قوة الصراخ ولا قصائد الشعر وتشنج المفكرين . ولكن المعارك يكسبها الناس فى كل موقع من مواقع العلم والعمل فى موقع التلميذ فى المدرسة والعامل فى المصنع والموظف فى المكتب والفلاح فى الحقل .

وهنا فقط من الضرورى أن نستخدم كلمة « يجب » بل عشرات الالوف من كلمة يجب .. يجب أن نعلم ويجب أن نعمل .. كل الناس جنود هذه المعركة ، وأول خطة فى هذه المعركة هى أن نزيل الاوهام والخرافات من عقولنا ومن بين هذه الخرافات أن العرب قوة قاهرة لا يمكن أن نكون قوة بلا نظام ولا يمكن أن نكون القوة القاهرة بلا خطة ولا يمكن أن تكون هناك خطة بلا علم ولا قيمة للعلم اذا لم يكن هناك تطبيق ولا تطبيق اذا لم يكن هناك علم أيضا .

فالعلم ضرورى لكل العرب وليس للدول المجاورة لاسرائيل لان المعركة ليست معركة مصر والاردن وسوريا وانما المعركة تخوضها سواعد مصر والاردن وسوريا وقلب الكويت والسعودية وليبيا وغيرها من الدول العربية .. وكل عربى — فى أى مكان — يتعلم ويحسن عمله .. انه ولا شك جندى يريد أن يرتفع ببلاده الى مستوى الشعوب المتحضرة الى مستوى الوضع التاريخى الذى وجدنا أنفسنا فيه .. ومن بين عناصر الوضع التاريخى أن الدول العربية غنية ولانها غنية فهى قوية ولكن اذا كان الاغنياء جهلاء تطلعت اليهم الذئاب واللصوص والاستعمار وقد استطاعت اسرائيل أن تتخذ لنفسها وجهين : وجه الدين ، ووجه المال .. فهى باسم الدين جمعت حولها كل يهود العالم .

وربطتهم رباطا سريا وشدتهم الى القدس .. وهى باسم المال شدت رجال المال الى أرض البترول حيث يعيش ملايين العرب الذين يتواكلون على الله وعلى معجزات الله دون أن يفعلوا شيئا والعرب فى ذلك سواء .. أبناء الانهار وأبناء الابار وعندنا دين — والحمد لله — وديننا قادر على أن يربط بيننا ويمسك بقلوبنا ويشدنا ويصلنا ويقينا ويسد بنا الطريق على عدونا .

ولكن العرب بعيدون عن دينهم ولذلك كانت وحدتهم زائفة . وكانت قلوبهم متفرقة واستعاضوا عن الدين بأديان سياسية مصطنعة كاذبة وبكتب غير مقدسة . وبأناس لهم عبارات الانبياء وليسوا أنبياء ..

والعرب عندهم مال .. ومن المؤكد أن العرب أغنى من اليهود ولكن ما الذى فعله العرب بمالهم ؟

سيف مسلول :

وتحت عنوان « العالم العربى سيف مسلول طرفه فى الشرق ومقبضه فى الغرب » نشرت مجلة النهضة الكويتية مقالا للاستاذ الشاذلى زوكار قال فيه :

الامة العربية من المحيط الى الخليج هى أمة واحدة ، مهما فرق بينها المستعمرون ، الذين يحاولون طمس الحقائق ويعملون على ابعاد بعضنا عن بعض ، ولكن الزمن يحكم دائما بأن هذه الامة تتأصل فى نفوس أفرادها — مهما تفاوت شأنها — روح الاخوة والجنوح الى التعاون والتفاهم بالتى هى قوم ولا ادل على ذلك من ان اية كارثة تحل بأى جزء من البسيط العربى الا وكان لها رد فعل فى المغرب العربى ، الا وأحس كل فرد منا ، ولست فى حاجة الى سرد الاحداث والمصائب التى مرت بالامة العربية للتدليل على ذلك ولكنى أذكر مثالا حيويا هو فلسطين هذا الجزء السليب من أرضنا .. فلسطين التى هب لنجدتها شبابنا فى المغرب العربى سنة ١٩٤٧ ايمانا منهم بالجهاد فى سبيل الله بالرغم من أن أجزاء المغرب العربى آنذاك ترزح تحت نير الاستعمار بمختلف ألوانه وكان يلقى ما يلقاه الان الشعب الفلسطينى من احتلال وتعذيب واضطهاد ويكافح بنفس الوسائل التى يواجه بها الفلسطينى مغتصبى أرضه ظلما وغطرسة وعدوانا .

نحن نؤمن بعمق بأن العالم العربى يشبه الطائر الذى يمتد أحد جناحيه فى المغرب ويمتد جناحه الاخر فى المشرق . ولا يمكن لهذا الطائر أن يحلق فى الافاق الواسعة الا بجناحين سليمين من كل داء وأذى .. فالعالم العربى سيف مسلول طرفه فى المشرق ومقبضه فى المغرب .

ان طاقة عواطفنا المترابطة غنية بما ينميها ويعمقها ولكنها كالمادة الخام فهى بحاجة الى صقل حكيم يمكننا من اخراجها فى قوالب منسقة تضفى عليها قيمة وهيبة وتقديرا .

عقل العاطفة :

هذه العاطفة لا بد لها من عقل حصيف يقودها فى درب سليم يبلغ بها قمة الانتصار والفوز ونحن مثلما تربطنا مصائب الدهر المتوالية وهى كفيلة بأن تعلمنا كيف نشد أزرنا فتدفعنا لخوض غمار التجربة وتكسبنا حنكة وتفتح عيوننا على عيوبنا ومواطن الضعف فينا وتسلط أضواء الصواب على الطريق مهما كان شائكا ومحفوفا بالظلام والخطر .



اعداد الاستاذ : عبد المعطي يومي

الكويت : تبرع سمو أمير البلاد المعظم بتكاليف بناء عشرة مساجد توزع على مناطق الكويت المختلفة .

● حذر سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء شركات النفط العاملة فى الكويت بأنه سيعاد النظر فى عقود امتيازاتها ان هى زادت انتاجها فى أقطار أخرى على حساب الكويت .

● احتفلت البلاد بذكرى مولد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم وقد أقامت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية حفلا بهذه المناسبة تحدث فيها معالى الوزير وبعض أصحاب الفضيلة العلماء .

● زار البلاد فى ١٢ مايو الماضى وفد تونسى للاطلاع على انجازات الكويت الاجتماعية فى مختلف الميادين ودراسة الطرق المتبعة هنا لنشر التربية الاجتماعية .

● ستشترك الكويت فى اجتماعات اللجنة الخاصة ببحث موضوع المرأة والعمل فى الدول العربية التى ستعقد فى القاهرة فى المدة بين ١٦ — ١٨ يونيو ١٩٦٩ .

● طلبت وزارة التربية الهندية من الكويت بيانا ونسخا ببرنامج الدراسة فى الشهادة الثانوية تمهيدا للسماح لحامليها بدخول كليات الطب والهندسة .

● اقترحت سفارة الكويت فى المغرب اقامة أسبوع ثقافى كويتى فى المغرب يشترك فيه الأدباء الكويتيون وتعرض فيه سلسلة التراث العربى والمجلات والمطبوعات الكويتية .

القاهرة : خرجت مسيرة دينية من القاهرة الى السويس فى ذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم تضم ٥٠ أستاذا بجامعة الأزهر وواعظا من الأوقاف لاحياء الذكرى بين الجنود الذين وزعت عليهم الهدايا وآيات من القرآن الكريم .

● بعثت جامعة السوربون بفرنسا الى الجهات المختصة انها اطلعت على موسوعة جمال عبد الناصر الفقهية واقرت منهجها العلمى كما قررت ضمها الى مكتبتها .

● بعد وفاة المرحوم الشيخ عبد اللطيف السبكى رئيس لجنة الفتوى بالأزهر أعيد تشكيل اللجنة برياسة الشيخ محمد سامون وستشترك اللجنة فى تنفيذ مشروع تقنين الشريعة الاسلامية .

● أرسى وزير الاوقاف والازهر الحجر الاساسى للمدينة الاسلامية الجديدة بالفيوم وستقام على ٣٤ فدانا وتضم معهدا دينيا وفرعا لكلية الهندسة بجامعة الأزهر .

● بعث المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بمكتبة اسلامية تضم الموسوعة الفقهية والكتب الاسلامية التى طبعها الى مكتبة الأوقاف العامة بالكويت .

السعودية : قام وزير الدفاع والطيران السعودى بزيارة العراق فى الشهر الماضى فى نطاق بحث وسائل تدعيم الجبهة الشرقية مع العدو الاسرائيلى المكونة من جيش الاردن والعراق وسوريا .

● قام سمو الامير مشعل بن عبد العزيز فى الشهر الماضى بجولة فى جنوب المملكة على رأس بعثة تمثل جميع أجهزة الدولة لدراسة احتياجات هذه المناطق من شتى مرافق الخدمات .

● زار البلاد أواخر الشهر الماضى ولى عهد البحرين ورئيس الحرس الوطنى بدعوة من الامير عبد الله بن عبد العزيز رئيس الحرس الوطنى السعودى .

الاردن : زار الملك حسين طهران فى جولة للوساطة بين العراق وايران .

● صدت القوات الأردنية محاولة عبور اسرائيلية لخط وقف اطلاق النار فى وادى عربة كما احتل الفدائيون قرية « الحمة » فى هضبة الجولان السورية لمدة ثلاث ساعات ورفعوا العلم الفلسطينى عليها كما قتلوا مدير المخابرات العسكرية فى جنين .

● بدأت اسرائيل باعداد برنامج لترحيل ١٠ الاف عائلة عربية من الضفة الغربية وقطاع غزة وتوطينهم فى العريش وصحراء سيناء لأخلاء مناطق واسعة من الضفة والقطاع لمهاجرين يهود .

العراق : قام السيد عبد المنعم الرفاعى رئيس الوزراء الأردنى بزيارة بغداد فى الشهر الماضى وقد اجرى مع المسئولين العراقيين مباحثات حول الجبهة الشرقية وزيادة فعاليتها .

● أغرقت الفيضانات مساحات واسعة وقد بعثت الكويت بقافلة ومواد غذائية للمتضررين .

سوريا : قام وفد عسكرى يرأسه رئيس الاركان بزيارة للصين الشعبية حيث اجرى مع المسئولين الصينيين محادثات لم يكشف النقاب عن تفاصيلها .

لبنان : هدأت الاضطرابات التى راح ضحيتها بعض أفراد فى صدام بين الشعب والجيش للخلاف حول العمل الفدائى من الأراضى اللبنانية وقد استقالت الحكومة وأعاد السيد رشيد كرامى تشكيلها .

الجمهورية العربية اليمنية : افتتح فى صنعاء مبنى دار المعلمين وقد أشاد الفريق حسن العمرى بدور الكويت التى تبرعت بتكاليف انشاء المبنى كما أشاد بالدول العربية التى تساعد الجمهورية اليمنية .

السودان : حدث انقلاب عسكرى فى السودان اطاح بالحكومة ومجلس السيادة والجمعية التأسيسية فى ٢٥ مايو الماضى وقد شكل الحكومة الجديدة أبو بكر عوض الله وذكرت البيانات أن الانقلاب يسعى ليكون السودان دولة تقدمية وأنه يعمل لقضية فلسطين .

المغرب : أصدر علماء المغرب بيانا نادوا فيه الضمير العالمى والعالم الاسلامى بالوقوف بحزم ازاء اغتصاب القدس ونادوا بالجهاد لتحرير فلسطين .

تركيا : ألغت تركيا اتفاقيتها التجارية مع اسرائيل فى خطة التقارب مع العرب .

أفغانستان : أكد جلالة الملك ظاهر شاه ان السلام لن يستقر حتى تنسحب اسرائيل من الأراضى العربية المحتلة وقال جلالته ان من حق الشعب الفلسطينى أن يسترد وطنه وأن يعيش حرا وحده .

ماليزيا : افتتحت منظمة فتح مكتبا لهـا فى كوالالامبور واتخذت مقره فى مبنى سـفارة السعودية .

● هدأت الاضطرابات العنصرية فى ماليزيا وقد راح ضحيتها مئات من الجرحى والقتلى .

أخبار متفرقة

لندن : أختير ١٦٩ مهندسا من ٣٠٠ من جميع أنحاء العالم لوضع تصميم المسجد الاسـلامى الكبير المزمع بناؤه فى لندن .

● شهدت لندن اضخم مظاهرة فى ٥/١١ الماضى لدعم قضية فلسطين اشترك فيها عشرون منظمة بريطانية الى جانب المنظمات العربية وقد سارت المظاهرة من حديقة هايد بارك الى الطرف الأغر .

المانيا : بنى اتحاد الطلبة المسلمين من ٢٦ دولة بمدينة آخن بالمانيا مسجدا بلغت نفقاته ٩٠٠ ألف مارك ألمانى (٩٠ ألف جنيه) .

البرازيل : تبرعت الجاليات العربية بمدينة كورتيبا بالبرازيل بمبلغ ٦٢ ألف دولار لانشاء مسجد ومدرسة لتعليم اللغة العربية والدين الاسلامى .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص.ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء

الرياض : مكتبة مكة شارع الملك عبد العزيز ـ السيد أحمد باصريح

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص.ب ٢٢

جدة : الدار السعودية للنشر ـ ص. ب : ٢٠٤٣

بغداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص.ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عدن : وكالة الاهرام التجارية ـ **السيد محمد قائد محمد**

المكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحدودة

دبى : ساحل عمان ـ ص.ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : مكتبة بحرى ص.ب ٥

مراكش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى

ليبيا : طرابلس الغرب ص.ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص.ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص.ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



شخصيات فى سطور :

ابن رُشد

(٥٢٠ — ٥٩٥ هـ) (١١٢٦ — ١١٩٨ م)

● هو الفيلسوف الفقيه الطبيب القاضى ابو الوليد محمد بن احمد ابن محمد بن أحمد بن رشد ، كان أبوه قاضيا ، وكان جده قاضى قضـــاة الأندلس ، ولد بقرطبة سنة ٥٢٠ هـ ـــ ١١٢٦ م ..

● وهو أشهر فلاسفة الاســـلام فى نظر الغربيين ويعرفونه باسم أفيروس ..

● وتظهر اهمية الفلسفة الدينية عند ابن رشـــد فى انه حاول أن يوفق بين الدين والفلسفة بتقرير وحدة المقصد لكل منهما وقد ألف فى ذلك كتابا يعد من أهم كتبه وهو ((فصل المقال)) ..

● يقول مؤرخوه أنه كان رث البزة .. قوى النفس ذكى الفؤاد ..

● كان يخاطب الملوك والســـلاطين بغير كلفة ولا تفخيم فيقول : تسمع يا أخى ولذلك كان يقع منه فى قلوبهم ما ينقمون به عليه ، ولعل بعض ذلك كان سببا فى نكبته التى صاحبت نفيه وتحديد اقامته بعيدا عن قرطبة ..

● من مأثور كلامه انه كان يقول :

* من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايمانا بالله .

* من منع النظر مستأهله كان بمنزلة من جعل الاغذية كلها سموما لجميع الناس .

● ألف ابن رشد كثيرا من الكتب التى اثرت الفكر الاســـــلامى ، واشهرها :

* تهافت التهافت ، وهو دفاع عن الفلسفة يرد به ابن رشد على كتاب ((تهافت الفلاسفة)) الذى الفه الامام الغزالى ..

* المقدمات ، فى الفقه .

* بداية المجتهد ونهاية المقتصد .

* الضرورى فى المنطق .

* منهاج الأدلة فى الأصول .

* فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال ..

* كتاب الحيوان .

* كثير من الكتب التى لخص بها أو شرح كتب أرسطو وجالينوس .

وتوفى ابن رشد فى التاسع من صفر سنة ٥٩٥ هـ الموافق العاشر من ديســـمبر سنة ١١٩٨ م بمدينة مراكش ودفن بهـــا ثم نقل رفاته الى قرطبة عملا بوصيته .. رحمه الله ..

العوضى الوكيل

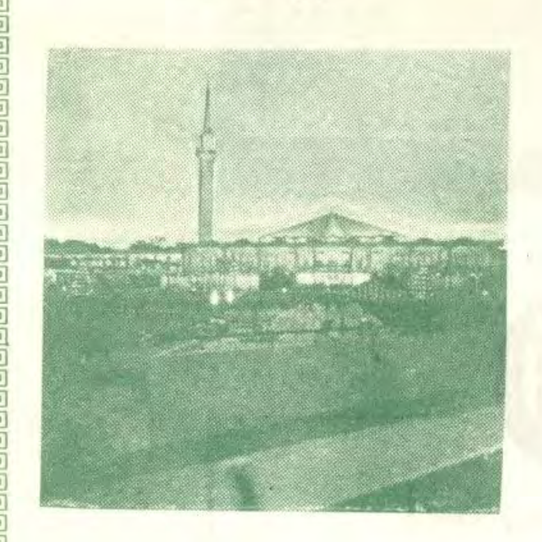
مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت



السنة الخامسة ـ العدد ٥٣ جمادى الأولى ١٣٨٩ هـ ـ ١٥ يوليو « تموز » ١٩٦٩ م

اقرأ فى هذا العدد

صورة الغلاف



المسـجد الوطنى فى كوالالمبور عاصمة ماليزيا أول ما يلفت النظر القادم الى العاصمة بمبانيه الضخمة ومئذنته المرتفعة . يعتبر آية فى الفن المعمارى الاسلامى . افتتح فى ربيع الأول ١٣٨٥ هـ — ١٤ أغسطس سنة ١٩٦٥ م .

((اقرأ حديثا عنه فى هذا العدد))

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIUL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة الخامسة

العدد الثالث والخمسون

جمادى الاولى ١٣٨٩ هـ

١٥ يوليو (تموز) ١٩٦٩ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		فرنك وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار

فى الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)

(أما الأفراد فيشتركون رأسا)

مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

ص . ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت







هل يمكن لمسلم غيور على دينه ، أن يسمع أو يقرأ دعوة سافرة جريئة ، لنسف جذور الدين من نفوس المسلمين ، ثم يمر عليه هذا كأن الامر لا يعنيه ؟!

أعتقد .. لا .. وأعتقد كذلك ، أنه لا بد أن يسلك السبل المستطاعة للدفاع عن دينه ، والتصدى لكل من يحاول النيل منه ، لا سيما اذا لبست هذه الدعوة الهدامة لباس الاصلاح والانقاذ للأمة فى هذه الظروف ، للتمويه والتضليل !!

ذلك هو ما فعلته ، حين تناولت فى العدد الاسبق فقرات سافرة من كتاب هدام ، تدعو الى الغاء الوجود الاسلامى فى الامة العربية ، كشرط لا بد منه كى تنتصر على عدوها ، وتصرح بأن الله لم يخلق بعد ، ولكن الكاتب وزمرته هم الذين سيخلقونه !!! تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

واليوم تشدنى هـذه الدعوة الهدامة شدا الى أن أعود اليها فأمسك بتلابيبها ، وأكشفها أمام القراء حتى يعرفوا هوية كل انسان يدعو اليها ، أو يتحدث حديثها . ولا يهم القارىء — كما أعتقد أن أكشف الآن اسم هذا الكاتب أو اسم كتابه فليس هذا الانسان وحده فى ميدان الهدم ، ولـكنهم عصبة من العرب ، تنكروا لابوتهم وأصالتهم ، والتمسوا لهم أبوة وأصلا فى غير بيئتهم !!

لذلك لا يهم كثيرا معرفة الاسماء ، ولـكن المهم هو التيقظ لهذه الدعوة والترصد لها ، من أية جهة صدرت ، ومعرفة دوافعها ودخائلهـا ، للحد من أخطارها .. ان لم يكن للقضاء عليها ..

ومع ذلك لا أرى بأسا من الاشارة الى واقعة علمت بها أخيرا وتتصل بهذا الانسـان . وقد حدثت منذ أكثر من سنة فى عاصـمة عربيـة شرقية حين وجهت جمـاعة معروفـة الميـول فيهـا دعـوة الى هـذا الـكاتب الهـدام ، لالقـاء محـاضرة يروج فيهـا لرأيه الذى عرف من كتبـه الهـدامة التى أصـدرها ، فتحـرك ذوو الغيـرة الدينيـة ، واتصـلوا بالمسئولين لمنعه ، وتلقوا وعدا أراح نفوسهم ، ثم وزعت رقاع الدعوة — فجأة — للمحاضرة ، فلم يجدوا بدا من الاعتماد على أنفسهم فى منعها أثناء وجودهم فى القاعة ، وفعلوا ، وحالوا دون القائها ، بمعركة فى القاعة نفسها !!

وبعد ذلك خرجت صحيفة شبه رسمية تحمل على هؤلاء الغيارى ، وتنشر المحاضرة معلنة أنها تنشرها رغم أنف الرجعيين !! هذا الموقف نفسه يحـــرك الشجون ، ويدعو للرثاء ، ويهيب بكل مسلم غيور أن يستيقظ لحماية دينه .. ولقد كان هذا بالاضافة الى ما وجدته فى كتاب له ـــ من العوامل التى أثارتنى لكتابة ما كتبته ، وكنت سأكتفى بهذا وأنصرف الى موضوع آخر ، لولا ما اطلعت عليه أخيرا فى العدد الثانى من مجلة ((مواقف)) التى تصدر فى لبنان وتولى هذه الدعوة الهدامة عناية خاصة .

المقال للكاتب نفسه تحت عنوان (علمنة الانقلاب) يدعو فيه الى انقلاب فى الامة العربية يقوم أساسا على نسف الوجود الدينى فيها من الجذور حتى تتحقق هذه (العلمنة) ، وهو لا يصرح كثيرا باسم الدين ، ولكنه يتخذ له أحيانا كثيرة اسم (الوجود الغيبى التقليدى) أو اسم (الايديولوجية الغيبية التقليدية) والايديولوجية : كلمة دخيلة جديدة يراد بها المعتقدات والنظريات والمبادىء التى تقوم عليها أو تنبعث منها أفكار الانسان وتصرفاته .. فهو يقول فى بحثه هذا :

((ان العلمنة التى أدعو اليها ، ليست ـــ اذن ـــ اقتباس العلوم الطبيعية والاجتماعية . الآلة والتكنولوجيا والتصنيع ، أو فصل الدولة عن الدين ، بل هى الى ذلك تحرير الذات العربية من اطاراتها الغيبية ، وتحديد أبعادها العقليـــة والنفسية فى تصور (أيديولوجى) انقـــلابى ينسف (الايديولوجية الغيبية التقليدية) ، ويرجع الى التـــاريخ كحقيقة نهائية قائمة بذاتها)) !!

فهو لا يكتفى ـــ اذن ـــ بالتقدم العلمى الصناعى التكنولوجى عندنا ، أو فصل الدين عن الدولة كما فى الدول الغربية ، بل يريد شيئا مهما عنده وعنـــد زمرته ، هو : القضاء على الوجود الدينى ، ونسفه من الجذور ـــ كما صرح فى مكان آخر ـــ وتحرير الذات العربية من رائحة الايمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر مما سماها ((غيبيات)) وبالتالى تحريرها من أى خضوع لتعاليم الله ، لتكون تحت تصرف موجهين ودعاة من شاكلته ، وتخضع لتعاليم زعماء آخرين من الذين يقدسهم ويقدس تعاليمهم !!

هذا هو الهدف الاكبر له .. وكأنه يخشى أن نسد عليه المنافذ حين نقول له : ان الاسلام يحرر الذات المسلمة من الخرافات والاوهام ، ويوجب عليها أن تعتمد على العقل فى تصرفاتها وأحكامها ، كما يوجب على المسلمين أن يكونوا أسبق الامم الى التقدم العلمى والصناعى والتكنولوجى ، والا كانوا مقصرين وآثمين .

خشى أن نقول له ولأمثاله هذه الحقيقة التى جهلوها ، أو تجاهلوها ، فقفز الى غايته ، وهى نسف الدين من الاساس .

ولو كان هذا الهدام ينشد حقيقة مصلحة هذه الامة ، لعمل أو لدعا الى تحقيقها دون أن يحتم عليها سلوك هـــذا الطريق الخطر ، الذى يعلم أن دون تحقيقه أهوال وأهوال جسام ..

ونحن ندعو ، وكل انسان كذلك يدعو الى مصـــلحة هذه الأمة ، ولو لم يكن أمامنا الا هذا الطريق الخطر لسلكناه ، ولو مرغمين ، ولكن ما دام أمامنا طريق آخر ، ومن الممكن أن نسلكه ، دون أن يكلفنا هذه الأهوال الجســـام ، فمن الحـــكمة ألا نركب هـــذا الخطر ، ولا نكلف أنفســـــنا وأمتنا مثل هذا الشـــــطط ، والمعروف من دراســـة التاريخ وعلم الاجتماع أن قيـــادة الأمم الى الاصلاح عن طريق معتقداتها الاصيلة الصافية ، تكون أسهل ، وأوفر جهدا ، وأسرع فى جنى الثمرة المنشودة ، وهى الاصلاح أو النهضة .

ولكنه فى سبيل غرضه يتجافى الحكمة والبدهيات من نفسيات الشعوب . والغرض مرض ــ كما يقولون !!

واذا كان هناك بعض أدمغة فى المسلمين يتحكم فيها التزمت أو يلابسها شيء من الخرافة ، فان أى مجتمع متقدم لا يخلو من أمثال هؤلاء ، على أن الامم تقاد دائما بالمتنورين الواعين فيهـــا ، يستوى فى ذلك ميدان الدين وميـــادين السياسة ، والصناعة والحرب والاقتصاد .. الخ . والغالبية العظمى من علماء الدين ــ ان لم يكونوا كلهم ــ ينادون ويلحـــون فى نداءاتهم ، لتحقيق دعوة الاسلام للتقدم ، فى كل مجال من مجالات الحياة ، حتى يكونوا أسبق الى هذا التقدم من أمريكا وروسيا فى غزو الفضاء . وقد قال المرحوم الشيخ محمـــود شلتوت شيخ الازهر السابق ، حين سئل عن غزو الفضاء : لو أستطيع ذلك لكنت أول من يذهب الى القمر ..

فكيف نحمل الدين ــ اذن ــ سر تأخر المسلمين ، والذنب ليس ذنبه ، ولا ذنب المتحدثين باسمه . ولكنه ذنب الآخرين ، ثم ينادى المنادون ويتحمسون للقضاء عليه ، ويتخذون اسم النهضة والتصنيع والقضاء على اسرائيل ، غطاء لدعوتهم ؟!

مع أننا نعلم أن هذا الكاتب ، ومن وراءه ، أو أمامه ، لا يؤمنون بفكرة القضـــاء على الوجود الاسرائيلى ، ولا بارجاع الوطن الســـــليب الى أهله الفلسطينيين . فهو يتلاعب بالألفاظ أو بالعقول ، ويلبس من أجل ذلك مسوح الاصـــلاح ، فى الوقت الذى لا يريد فيه اصـــــلاحا الا على طريقته الخاصة . ودعامتها القضاء على الوجود الدينى ونسفه من جذوره . ودون ذلك أهوال ، وأهوال جسام .

ان حســـــابنا مع هذا الكاتب ودعوته لم يقف عند هذا الحد ، فقد بقى له حساب خطير نكشفه أمام القراء فى العدد المقبل ان شـــاء الله ، ليعرفوا الاخطار التى تهدد البلاد من هؤلاء الدعاة .. ونحن لهم بالمرصاد .

والله من ورائهم محيط .

عبدالمنعم النمر

مدير الدعوة والارشاد

من هدي السنة

مراقبة الله

للشيخ : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أخذ رسـول الله صلى الله عليه وسـلم بمنكبى فقـال : ((كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)) .. وكان ابن عمر يقول : اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، واذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صـحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك ..

رواه الامام البخارى

١ ــ (منكبى) المنكب (بفتح الميم وسكون النون) مجمع العضد والكتف ، وهذا التعبير يفيد مواجهة ابن عمر رضى الله عنهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقربه منه ، وفعل الرسول معه ذلك ليجذب انتباهه لـما سيلقى عليه من القول الشريف حتى يعيه ليعمل ويبلغ ، لأن كلام الرسول ليس خاصا ــ هنا ــ وانما هو عام يجب على من سمعه أن يبلغه حتى يرث الله الارض ومن عليها .

(كن فى الدنيا كأنك غريب) الغريب هو الموجود فى بلد ليست هى مسقط رأسه وليس بها ذوو قرابته القريبة من أصول أو فروع ، فهو دائما نزاع فى قرارة نفسه الى الارض التى رأته باغما ورآها صبيا وشـارخا ، لا يستطيع الاستقرار بعيدا عنها ، ومستكن فى جوانحه دائما الحنين الى حيث شب ونشأ .

ودار الاسلام ليست دار غربة للمسلم ، لأن صلة الروح أقوى من صـلة الدم ما دام السلطان لشرع الله وما بقيت الراية مرفوعة باسمه تبارك وتعالى ، أما الغربة الحقيقية فهى غربة الدين فى موطن انقطعت فيه كل العلائق الروحية ويعبر عنها فى الاسلام (بداء الكفر) والمؤمن الصادق الايمان لا يقيم فى بلد تتحدى كتاب الله ولا تطبق أحكامه لأنها تتنكر لبارىء الكون ، وبالتالى تهوى فى حمأة الذل وتتردى فى هاوية السخائم ، وما أحسن ما قيل :

اذا أنكرتنى بلدة أو نكرتهـا خرجت مع البـازى على سواد

(أو عابر سبيل) : عابر السبيل هو الذى يجوز من بلد الى آخر ساعيا للوصول الى مستقره ودار اقامته ، فهمه الوصول الى مبتغاه ، غير عابىء بما حوله ، ولا ملق بالا الى ما يلاقى من وعثاء الطريق أو محسناتها ، وانما كل حواسه متجهة الى موطنه وهدفه والعابر العاقل لا يسىء فى طريق العبور ، ولا يهتم بمعوقات المرور ، فكل ما يصادفه فى ميزان اللغو (واذا مروا باللغو مروا كراما) .

(وكان ابن عمر يقول ..) تفيد رواية الامام البخارى أن ما بعد هذا من مقول ابن عمر رضى الله عنهما وعنا بهمـــا ، وقد وردت روايات أخرى ليس البخارى مصدر أكثرها تشير الى أن هذا القول من كلام سيد الرسل صلى الله عليه وسلم ، وعلى أى فالصحابة رضوان الله عليهم جميعا هم الصحيفة التى استقرت فيها وصايا رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، فوعتها وردد أصداءها الزمان فهم لا يصدرون ولا يوردون الا عن ما يعلمونه من رسول الله قولا وعملا وتقريرا الى آخر ما هنالك ، لانطباعهم الشديد ، واتجاههم الكلى الى مصدر النور ومورد المعرفة ، وجلاء الحقيقة ، وهادى الطريق ، ورائد الخير وداعى الحق سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح) فى الليل هجوع وركود ، وربما ســبات عميق ، استعدادا لغد جديد ، فيه سعى لكسب قوت ، وعمل لمجد مؤثل ، وكدح متواصل لبلوغ مآرب ونيل مقاصد ، فالامساء والاصباح متعاقبان ، ولكل منهما مجال فرد ، ونهج خاص ، فاذا أمسى المؤمن بقيوم السموات والارض ، صرف فكره ، ووجه قوته الى امسائه ، فأخلد للراحة قليلا ، ثم قام للعبادة ليلا طويلا ، ولكن بقدر لا افراط فيه ولا تفريط ، يتجافى جنبه عن المضجع ليدعو ربه فى هدأة الليل وسكونه ، مقبلا على موجده وبارئه بقلب سليم ، فيصرفه ذلك عن التفكير فى عداوة فلان ، ونسج خيوط الشر لعلان ، والسعى للنيل من ثالث ، الى آخر ما هنالك مما ورد فى قاموس أعداء الله من عدوان واعتداء ، وكثيرا ما بيت شر بليل ، وحيكت شراكه فى سواده ، وهذه غفلة عن الاسمى وعود الى حيوانية شرسة ، نبت أصلها فى الغاب ، والمؤمن لا يبيت على غل ، فهو متدرج تحت لواء الاية الكريمة : (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان **ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا** ربنا انك رءوف رحيم) الآية العاشرة من سورة الحشر .

(واذا أصبحت فلا تنتظر المساء) يومك هو يومك ، وما بعد المغيب علمه عند علام الغيوب ، واللحظة التالية هى غدك المعبر عنه فى القرآن الكريم (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) والوارد فيه شعرا :

وأعلم علم اليوم والامس قبله ولكنى عن علم ما فى غد عمى

فاهتم بيومك واشغل كل لحظة فيه بعبادة خاصة ، واعلم : أن صـــلاتك عبادة ، وسيرك الى عملك عبادة ، ولقاءك اخوانك بالبشر عبادة ، والسعى فى مصالح الدولة عبادة ، وعلى هذا فحياة المؤمن كلها عبادة مأجورة أيما أجر من القوى القادر العليم الخبير .

(وخذ من صحتك لمرضك) الصحة المفرطة مبطرة أحيانا ، والمرض دواء للكبرياء ، فمن عرف وعقل اتخذ الصحة مدرجا الى الكمال النفسى والغنم الحلال والربح المعترف به شرعا الذى لا تتعدى فيه حدود الله ، فاذا وافى المرض يوما فأقعد عن السير فى طريق الحياة على مختلف صنوفها وجد المؤمن الرصـــيد الثابت الذى يدر عليه ما يقوى بدنه ويرد عافيته ويؤمن له صفاء روحه ونقـــاء قلبه ، وتكون أيام المرض أيام أنس بالعلى الكبير تبسط فيها أكف الضراعة الى البارى المبدع ليدفع الالم ويكشف الضر ، فهو سبحانه القـــادر على أن يجيب المضطر اذا دعاه (واذا مرضت فهو يشفين) الآية ٨٠ من سورة الشعراء .

(ومن حياتك لموتك) تلك عقدة العقد ، وأم المشكلات ، وداهية الدواهى ، عند من لم يعرف الله ومن لم يعبده كأنه يراه ، فقد حار المفكرون منذ فجر وجود

الانسان على البسيطة .. فماذا بعد الموت ؟! لقد خلص السابقون واللاحقون من المؤمنين الى الايمان الجازم بما بعد الموت من حياة سرمدية أبدية لا نهاية لها ولا حدود ، كما نصت الكتب السماوية الموحاة من رب كل شيء الى من اصطفاهم من عباده ليبلغوا رسالاته الى خلقه .. وهنا !! يقول صاحبى ان الآخرة تبدو لكثير من المعاصرين أنها متاهة وهمية ، وانعكاس خيال شارد ، وأمل ضعف بشرى .. وأجاب ابن أخت خالتــه : .. الله جلت قدرته يعلم — والعـــالمون يعقلون — أن مصدر هذا القول عقل متعب لم يعتــد عمق البحث وانما ألف السطحيات حتى اعتادها فلم يستطع الابتعاد عن الحسيات المادية ، واتجه الى الآنية البحتة ليلقى عليها أضواء باهتة تجذب طلاب الشهوات الجسدية وفلسفوا تلك الفعال وترجموها على أنها صورة لتقدم حضارى يجب أن يسود ، وتصبح تلك الافكار طرائق ومذاهب تعتنق ومثالية تحتذى .. وعاد صاحبى الى متابعة حديثه قال : .. منذ أيام سرت فى شارع .. فى مدينة أوربية وتوقفت أمـــام بناية شامخة جذبتنى اليها لوحة نحاسية بارزة مرقوم عليها اسم فيلسوف معاصر مرموق شرقا وغربا ودون اعمال فكر وجدتنى وجها لوجه أمام شاب فى بداية العقد الثالث يقودنى الى ندوة جمعت أصفياء شيخ الفكر المعاصر فسلمت وحيا وعرفت صاحبهم وقد وخط الشيب فوديه ، وغلب على شعر رأسه بياض ناصع ، وهو مستغرق فى نشوة الحديث يوجه الشباب فى قوة الشـــباب وان جاوز السبعين وجرى حديثه متناولا القديم والحديث وتطرق الى ما وراء العالم وما بعد الموت وراعنى منه الانكار البادى فى عباراته المتتابعة لكل حياة بعد الموت .. ويدلى ببراهين لا صحة لها الا فى مخيلة الشيخ والمفتونين به .

ويقول صاحبى : جرت على لسانى فى قوة قرآنية الآية الكريمة « صم بكم عمى فهم لا يرجعــون » الآية ١٨ من البقرة لأن الله ذهب بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون .. وكانت مقارعة منطقية أتيت فيها — كما يقول صاحبى — على أدلة الشيخ وفندتها واحدا اثر الآخر .. ولاح النور لذوى البصيرة من الأصفياء الذين لم يعهدوا لشيخهم معارضا .. وخرج صاحبى من المعركة بخمسة كاملة العدد من أولئك الحواريين فارقوا الشيخ وطلبوا ايضاح طريق الاسلام .. وقال أحدهم : هل اطراح العقل عقل ! وهل ترك التفكير تفكير ..!! من اليسير أن يقال يا شباب العصر التقوا بالشباب فى كل مكان ، واجعلوا لقاءكم كمـــا تشاءون .. فالرقيب قد توارى عن المسرح .. والقانون معكم والمجتمع لم يبق فيه الا من يئن أنين من هو فى النزع الاخير .. والغد ..؟؟!! وأليس من الفكر الفلسفى الناضج أن ننطلق الى ما وراء المحس لنحاول ادراك وسائل النجاة هناك ، فنعمر ما هنا كما يجب أن يعمر بالبناء المتين بالقواعد الثابتة على ضوء الاسلام ونور هداه ؟! ويدركهم بالطريق مبعوث الشيخ صائحا : فسروا لى سر التخاذل البادى هناك وأميطوا اللثام ان كنتم تعلمون عن أسباب الخلاف والشقاق فى غير موضع خلاف ولا شقاق ، وعلا صوته فى نغمة موسيقية غنائية .. كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل يعنى كن شحاذا مسكينا لا تتطلع الى الحياة الحرة الكريمة واذا غشاك الليل عد نفسك فى الاموات ولا تتطلع الى غد .. واذا داعبت ذكاء جبينك أغمض عينيك وتمتع بصحتك ومالك والمخترعات .. فالموت قادم اليك .. ثم زمجر .. أى هدم للحيـــاة هذا .. وأى قضـــاء على الانسانية تحمله تلك الكلمات .. وأى دعوة الى التكاسل والتخاذل يقوم بهـــا

دعاة الاسلام !!(١) وقال صاحبى : ناديته على رسلك ! أيها الصديق .. أهذا هو مقدار فهمكم للاسلام ؟ أأصحاب هذا التفكير الصبيانى هم قادة الغد ؟ .. ان لغة الاحاديث لا يفهمها الا من عرف أسرارها أسرار البيان العربى ومراميه .. فمن لم يتعمق اللغة العربية لا يمكن أن يصل الى فهم توجيهات القرآن ولا الحديث .. وبعد عن الصواب من يقول : ان الترجمة تؤدى الحقيقة اللغوية للغة الضاد .. والا .. ففى هذا الحديث الشريف تكمن كل القوى الداعية الى البناء الصحيح الواعى ، فيا جمال معناه الشريف : يعطى الحث الحثيث على اغتنام كل لحظة من الحياة للعمل المجدى ، وفيه جذب شديد للانتباه الى الحياة وملئها بما يعود بالخير على ما بعدها ، فالعاقل لا يسير الى غير وطنه الا لهدف ولا يسعى فى الطريق الا لغاية ، ولا يستعمل صحة بدنه وقوة عقله الا فيما يجده مجديا مفيدا للمجموع ، والاسلام يدعو دائما الى عمارة الارض وقيادة الناس الى ما يسمو بهم ويحقق انسانيتهم . ولو كانت رسالة الاسلام رسالة خمول وتواكل لما انتشر وعمر وخلق على الارض حضارات هى التى كانت أساس كل ما نرى فى الدنيا المعاصرة من تقدم ونمو وازدهار .. وانى لأرى فى أرض الاسلام وميض نار توشك أن يكون لها ضرام والامل فى الجيل الصاعد أن يكون جيلا واعيا متحملا لمسئولياته كاملة عاملا على تحقيق وجوده بين دول العالم فى كل مجال .

٢ — هكذا يفهم الاسلام فهما عكسيا لدى المفكرين المعاصرين الا قليلا .. وأرباب المبادىء والدعوات المعاصرة يحسنون التأتى لمقاصدهم ، ويجيدون الدفاع عن مبادئهم ، ولكل حججه وبراهينه ، ثم ما طبع عليه الانسان من الجدل (وكان الانسان أكثر شىء جدلا) ، ووراء تلك المبادىء والدعوات جاه عريض يساندها ، ونفع مادى يجذب اليها ، والهدف الواضح من خططهم — ان تباينت فى وسائلها فهى متحدة فى غايتها — هو العمل المتواصل للكيد للاسلام والنيل منه .. وهذا يحملنا على القطع بأن موقف اللدد والخصومة السافرة يدفع على العناد ويحمل على التمادى فى الضلال ، كما أن الموقف السلبى يزيد الفساد شيوعا وانتشارا ، فلنبحث عن الجندى الحصيف وليزود بالعدة والعتاد ثم يقذف به فى الميدان والله ينصره ويؤيده (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى) وينفع فى هذا المجال الشاب المؤمن المتسلح بالعلم الواسع والاطلاع الدقيق على كتب القوم ومبادئهم العالم بأحوالها عن خبرة ، السائر على نهج سيد الخلق فى الدعوة بالتى هى أحسن مع سعة الافق والحلم الاحنفى والمرونة المعاوية والشجاعة العلوية والحنكة العمرية (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) وقد تأكد لدى صاحبى من تجربته الشخصية أن الجهل بالاسلام وقواعده ، والبعد عن موارده الصافية مضافا الى ذلك استغلال الاذكياء الخبثاء لهذه الحال عند الشعوب ، هو الحافز الاول والداعى الاوحد لرواج الباطل ، لأن الشباب المعاصر لا يعرف أن ما يدعى اليه هو الباطل .. والذى تجب معرفته تماما هو اللغة الاصلية لغة تلك البلاد ، وما ذلك بعسير على الشباب ذى الهمم العالية ، فالمبشرون يجيدون كل لغة لكل بلد يدخلونها بجميع لهجاتها ، والنادر منهم من يجيد فقط اللغة التعليمية السائدة بين تلك الشعوب كما يعرفون معرفة تامة عادات البلاد قبل دخولها ، فلا أقل من أن يتذر داعى الاسلام بهذا السلاح الذى لا بد منه لنجاح مهمته .. واذا أنس اليه الناس استطاعوا فهمه وألقوا اليه السمع باهتمام وعاقبة ذلك النجاح بعون الله تعالى ، ولمثل هذا فليعمل العاملون .

---

(١) يعبر فى ترجمة فرنسية عجيبة كأنه يلقى نشيدا شعريا .



للدكتور : وهبة الزحيلي

عميد كلية الشريعة ــ جامعة دمشق

« أصبحت « الضرورة » سلما لدى الكثيرين للتخلص من واجباتهم ، وفى البحث الماضى المنشور فى العدد ٥١ ، تحدث الكاتب الفاضل عن ضوابط الضرورة المعتبرة ومفهومها السليم ، والفرق بين الضرورة والمصلحة ، وأدلة مشروعية الضرورة ، ويتم اليوم بحثه عن الضرورة مشكورا » .

« الوعى »

حدد القرطبى حالات الضرورة فقال : الاضطرار لا يخلو أن يكون باكراه من ظالم ، أو بجوع فى مخمصة .

وقال الفخر الرازى : الضرورة لها سببان . أحدهما : الجوع الشديد ونحوه مع وجدان الحلال ، والثانى : أن يكرهه على التناول مكره . وقال ابن العربى : الاضطرار إما بإكراه من ظالم أو بجوع فى مخمصة ، أو بفقر لا يجد فيه غيره .

فالضرورة على رأى هؤلاء نوعان أو ثلاثة : إكراه ، وجوع ، وفقر . والواقع أن للضرورة بمعناها الأعم

الشامل لكل ما يستوجب التخفيف على الناس حالات كثيرة أهمها أربع عشرة وهى :

ضرورة الغذاء والدواء ، الإكراه ، النسيان ، الجهل ، العسر وعموم البلوى ، السفر ، المرض ، النقص الطبيعى ، الدفاع الشرعى ، استحسان الضرورة ، المصلحة المرسلة لضرورة ، العرف ، سد الذرائع ، الظفر بالحق .

فاذا توافرت حالة من حالات الضرورة هذه أبيح المحظور أو جاز ترك الواجب . وقد نص القرآن الكريم صراحة كما بينا على ضرورة الغذاء من (الجوع أو العطش) فأجاز للمضطر أكل الميتة والخنزير ، وشرب الدم والخمر وطعام الغير ، والأطعمة النجسة ، والمياه النجسة ، وذلك من أجل الحفاظ على النفس قال تعالى : (ولا تقتلوا أنفسكم) ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) ولا يتحقق الضرر غالبا فى تناول هذه المحظورات حال الضرورة ، لأن أعضاء الجهاز الهضمى تقوى حينئذ ، ويحصل الهضم بسرعة ولأن المرء يتناول من الحرام بقدر دفع الضرر . واذا حصل شىء من المرض أحيانا فيمكن معالجته ويرى الشفاء منه بالمداواة .

ويباح بالإكراه الملجىء أو ارتكاب الأشياء المحرمة ما عدا الكفر(١) والزنا والاعتداء على حق الغير من قتل وجرح ونحوهما واتلاف مال ، لأن هذه الحرمات أساسية وما عداها يمكن التسامح به فى حدود ضيقة من إكراه ونحوه ، قال صلى الله عليه وسلم : (ان الله رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) .

ويعتبر النسيان ومثله الخطأ عذرا شرعيا يرفع الإثم والمؤاخذة على ترك حقوق الله تعالى أى عند اهمال بعض الواجبات الدينية أو الشرائط الشرعية ، تيسيرا على الناس ، ودفعا للحرج والمشقة عنهم . ويقبل أحيانا الاعتذار بالجهل بالأحكام الشرعية ، كما هو الشأن فيمن اعتنق الاسلام حديثا دون أن يعلم تفاصيل الأمور الشرعية ، وكجهل الوكيل بعزل الموكل له بالبيع والشراء ونحو ذلك .

واذا عسر تجنب الشىء ، أو عم البلاء بأمر يصعب على الانسان التخلص والابتعاد عنه فانه يعفى عنه كما فى حالة اصابة الثوب بقليل النجاسة ، أو التلوث بطين الشارع ، أو الاحتراز عن مستقذرات الطيور أو النظر الى العورات للتطبيب والتعليم والاشهاد والمعاملة والخطبة .

ويشرع فى السفر الطويل طائفة من الرخص الشرعية كقصر الصلاة الرباعية والجمع بين الصلاتين ، والفطر فى رمضان ، والخيار فى أداء صلاة الجمعة والجماعة والعيدين وذبح الأضحية ونحو ذلك .

وكذلك رخص للمريض مثل المسافر برخص تتناسب مع حالته الصحية ، مثل التيمم بالصعيد الطاهر وجواز الفطر فى رمضان والفدية للشيخ الفانى بدلا من الصوم .

وخفف عن المرأة والولد بسبب

---

(١) سبق أن قلنا أن التلفظ بالكفر ورد فيه نص من القرآن يخالف رأى الكاتب « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » والتلفظ هو الذى يمكن تصور الاكراه عليه .

نقصهما الطبيعى ، فجاز للمرأة أثناء الحيض والنفاس ترك الصوم وتسقط عنها الصلاة حينئذ ، ولم يطالب القاصر بالتكاليف الشرعية الا فيما يتعلق بحق الغير ، فيطالب بالتعويض عن الأضرار التى يلحقها بمال الآخرين ، ويجب فى ماله المئونات التى يفرضها واجب التكافل الاجتماعى فى الاسلام ، كالزكاة والنفقة على القريب المعسر ، اذا كان هو موسرا .

ويجوز الدفاع عن النفس أو المال أو العرض باستخدام الأخف فالأخف ، الى أن يصل الأمر الى حد إباحة قتل المعتدى اذا لم يمكن دفع شره بغير ذلك قال تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » وقال صلى الله عليه وسلم (من قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد) . (ومن أطلع فى بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم أن يفقؤوا عينه) . (انما جعل الاستئذان من أجل البصر) .

واعتمد الفقهاء الحنفية على وجه التخصيص على استحسان الضرورة فى كثير من أحكام المسائل الفقهية كما فى حال تطهير الآبار والأحواض من النجاسة المغلظة التى تقع فيها ، بنزح مقادير من الماء معينة فى كتبهم ، وكالحكم بطهارة آبار الفلوات رغم ما يقع فيها من أرواث الحيوان ، وبطهارة سؤر الطيور الجارحة فى البرارى ونحوها ، بالرغم من أنها لا تخلو مناقيرها من النجاسة عادة .

وكذلك اعتمد المالكية والحنابلة بل وجمهور الفقهاء على المصالح المرسلة للضرورة أو للحاجة فى وقائع مستجدة لاستنباط حكم شرعى محقق لمصلحة لم يتعرض لها الشرع بالاعتبار ولا بالالغاء ، فأجازوا مثلا للحاكم العادل فرض ضرائب جديدة على أغنياء الرعية ، إذا خلا بيت المال من الأموال اللازمة ، واحتاج جيش الأمة للنفقات فى سبيل الدفاع عن البلاد ، واعتبرت قاعدة (العادة محكمة) من الأصول التى قامت عليها مذاهب الفقهاء مما جعل المجتهدين يحيلون على عرف الناس كثيرا من أحكام القضايا الشرعية ، مراعاة للحاجة ، وتيسيرا على الأفراد فى نطاق المعاملات التى يمارسونها فى حياتهم العملية المتكررة يوميا ، مثل تجويزهم بيع الاستصناع والمعاطاة ، والبيع بثمن مقسط ، قال ابن مسعود رضى الله عنه : (ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيء) .

وكذلك اعتبر مبدأ سد الذرائع وفتحها من أصول الفقه عند المالكية والحنابلة بل وعند بقية المذاهب الاسلامية ، ما عدا ابن حزم الظاهرى وذلك فى ثلاثة أمور :

الأول — مواطن الاشتباه .

الثانى — الابتعاد عن كل ما يؤدى الى الحرام كبيع السلاح فى الفتنة ، وهذان الأمران داخلان تحت مفهوم سد الذرائع .

الثالث — فتح الذرائع التى تؤدى حتما الى المقصود ، كالسعى للصلاة والسعى للرزق للانفاق على الأهل .

وبناء عليه أجاز الفقهاء للحاكم المسلم اعطاء مال لدولة محاربة لدفع أذاها وخطرها ، إذا لم يكن بجماعة المسلمين قوة يستطيعون بها حماية

البلاد . وأجازوا أيضا بذل المال لظالم على سبيل الرشوة يأكله حراما ليتقى به المعطى ظلمه ، أو ليصل الى حق ثابت له بشرط العجز عن منع الظالم الا بذلك .

واتفق الفقهاء على أن من وجد عين حقه عند آخر مالا أو عروضا تجارية وكان مماطلا له فى رده ، فانه يباح له ديانة أن يأخذه منه للضرورة ، وتيسيرا على الناس فى استيفاء حقوقهم . قال عليه الصلاة والسلام : (من وجد عين ماله عند رجل فهو أحق به ويتبع البيع (أى البائع) من باعه) والكلام عن حالات الضرورة التى أشرنا اليها يحتاج الى مزيد من الابانة والاستقصاء ليس هنا مجال لذكره .

قواعد الضرورة :

القاعدة لغة هى الأساس ، وفى الاصطلاح تطلق على الأصل والقانون والضابط .

وتعرف بأنها أمر كلى ينطبق على جميع جزيئاته ، مثل قول النحاة : الفاعل مرفوع ، وقول الأصوليين الأمر للوجوب والنهى للتحريم .

والقاعدة فى اصطلاح الفقهاء كما قال السبكى هى الأمر الكلى الذى ينطبق عليه جزئيات كثيرة لتفهم أحكامها منه .

وقال ابن نجيم : هى حكم كلى ينطبق على معظم جزيئاته لتعرف أحكامها منه وتسمى القاعدة عند القانونيين مبدأ .

والقاعدة تحيط بالفروع والمسائل العديدة من أبواب الفقه المختلفة كالبيع والهبة والاجارة والمضاربة **أما الضابطة** فهى التى تحيط بالفروع والمسائل من باب واحد كمسائل البيوع مثلا . ومما تجدر الاشارة اليه أن القواعد الفقهية ليست بمثابة نظرية عامة يكون لها حاكمية مطلقة على نظام موضوعى من أنظمة الفقه ، وانما هى مبادىء ينطوى تحتها زمرة من الأحكام الشرعية ، أى أن هذه القواعد تتسم بصفة الأغلبية فى التطبيق ، ولا شمول لها .

قال ابن نجيم المصرى فى الاشباه والنظائر (ان القاعدة عند الفقهاء غيرها عند النحاة والأصوليين إذ هى عند الفقهاء حكم أكثرى لا كلى ، ينطبق على أكثر جزئياته لتعرف أحكامها منه) .

وقال صاحب تهذيب الفروق للقرافى (ومعلوم أن أكثر قواعد الفقه أغلبية) وعلى هذا فان القواعد الشرعية ليست قانونا مطردا ينطبق على جميع الوقائع والحالات ، لأن من خصائص أو أركان القاعدة القانونية أن تكون قاعدة عامة محررة مطردة ، تنطبق على كل الاشخاص والوقائع التى تتوافر فيها الشروط والاوصاف الواجب توفرها لتطبيق القاعدة القانونية .

وأهم قواعد الضرورة ثمانية هى ما يأتى :

١ ــ **المشقة تجلب التيسير** ، يعنى ان الصعوبة تصير سببا للتسهيل ، ويلزم التسامح فى وقت المضايقة . والمراد بالمشقة هى غير المعتادة أو غير المألوفة ، وهى المشقة الزائدة التى لا يتحملها الانسان عادة ،

وتفسد على النفوس تصرفـاتها ، وتخل بنظام حياتها ، وتعطل عن القيام بالأعمال النافعة غالبا .

أما المشقة المعتادة (وهى المشقة الطبيعيـة التى يستطيع الانسـان تحملها دون الحاق الضرر به) فلم يرفعها الشارع عنه ، فلا تعتبر من أسباب التخفيف للاحكام الشرعيـة العامة ، لأنها محتملة تتلاءم مع طاقة الانسان العادية .

والكلام عن هذه القاعدة وتطبيقاتها طويل لا مجـال لذكره الآن . ومن أوضح أمثلتها الرخص الشرعية التى تبيح الفعل المحرم عند الضرورة أو الحاجة ، أو تجيز ترك الواجب عند المشقة التى تلحق الانسـان المكلف بالتكاليف الشرعية .

٢ ـ اذا ضـاق الأمر اتسـع . ومعناها اذا طرأت مشقة ، وتضايق الناس أو الشخص من حكم شرعى فى الاحوال العادية جاز لهم الترخص فى الاحكام ، وعدم التزام القواعـد العامة المطردة ، وخفف عليهم بأخذ الأيسر والأسهل ما دام هناك حرج وضيق ، لقوله تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) فالمدين المعسر تؤجـل مطـالبته الى وقت اليسار ، أو يقسط عليه الدين لقوله سبحانه : (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) .

وعكس هذه القاعدة صحيح وهو **(اذا اتسع الأمر ضـاق)** وجمـع الغزالى بينهما بقوله : **(كل ما يتجاوز حده انعكس الى ضده)** أى كلمـا وجدت صعوبة عاد الأمر الى السهولة وبالعكس .

٣ ـ الضرورات تبيح المحظورات ، ومعناها ان حـالات الاضطرار أو الحـاجة الشـديدة تجيز ارتكـاب المحظور أى المنهى عنه شرعا ، فكل ممنوع فى الاسلام (ما عدا حـالات الكفر والقتل والزنا) يستباح فعله عند الضرورة اليه ، بشرط ألا ينزل منزلة المباحات والتبسطات ، فيتناول المرء من الحرام بمقدار دفع السوء والأذى كما تفيده القاعدة الآتية .

٤ ـ الضرورة تقدر بقدرها ، يعنى أن كل ما أبيح للضرورة من فعل أو ترك فانما يباح بالقدر الذى يدفع الضرر والأذى ، دون ما عدا ذلك ، لقوله تعالى (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه) أى غير طـالب للحرام ولا راغب فيه لذاته ولا متجاوز قدر الضرورة .

٥ ـ ما جاز لعذر يبطل بزواله ، أى أن ما جاز فعله بسبب عذر من الأعذار ، أو عارض طـارىء من العوارض فانه تزول مشروعيته بزوال حالة العذر . فمن جاز له التيمم مثلا لعذر كمرض أو سفر أو فقد ماء ، ثم زال العـذر وجب عليه التوضؤ بالماء .

٦ ـ الميسور لا يسقط بالمعسور ، ومعناها أن المأمور به اذا لم يتيسر فعله على الوجه الأكمل الذى أمر به الشرع لعدم القدرة عليه ، وانمـا يمكن فعل بعضه ، فيجب فعل البعض المقدور عليه ، أو ما لا يدرك كله ، لا يترك كله الذى يشق فعله ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (اذا أمرتم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) .

٧ ـ الاضطرار لا يبطـل حـق الغير ، أى أن الاضـطرار وإن كان

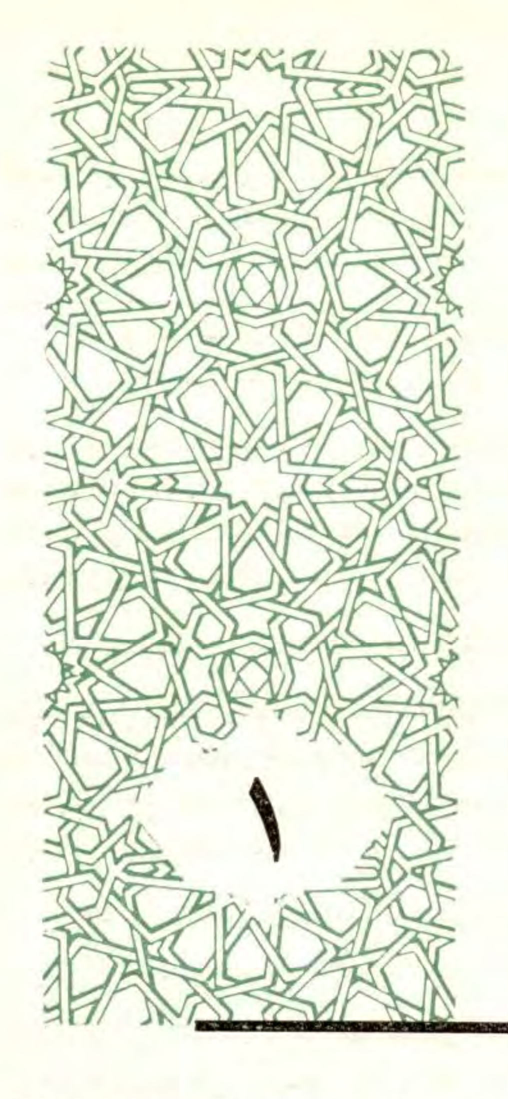
البقية ص ٢١



نشأ التأمين أصلا باعتباره وسيلة تمكن التاجر من مواجهة الضرر الذى قد يصيبه من مخاطر غرق بضاعته ومن ثم فقد كان التأمين البحرى من أقدم صور التأمين حيث نشأ فى أواخر القرون الوسطى (القرن الرابع عشر الميلادى) ولكن تعددت بعد ذلك المخاطر التى يمكن التأمين ضدها فتناولت الحريق والسرقة والضياع والتلف وأخيرا ظهر التأمين على الحياة . ويتم التأمين باتفاق كتابى بين الشخص وشركة التأمين وبمقتضاه يلتزم الشخص بدفع أقساط دورية لمدة معينة مقابل التزام الشركة بدفع تعويض عند وقوع الخطر المؤمن ضده . وتقوم فكرة التأمين على أساس عمومية المخاطر ، وامكان تحديد احتمال حدوثها وفقا لقوانين الاحصاء ، فالحريق مثلا يتعرض له عدد كبير من الافراد فاذا دفع كل واحد منهم مبلغا بسيطا بطريقة دورية فان الرصيد الذى يتراكم لدى شركة التأمين يمكنهـا من تعويض من يصيبه الضرر ، وبذلك يتوزع الضرر على عدد كبير من الرؤوس فلا يشعر به أحد ، بدلا من وقوعه على رأس واحد فلا يقوى على احتماله . أما التأمين على الحياة فهو على صور متعددة وأكثرها انتشارا التزام شركة التأمين بدفع مبلغ معين عند وفاة الشخص لورثته أو لمن يحددهم فى العقد . وقد يكون التأمين لمدة معينة ، اذا مات الشخص قبل انقضائها تلتزم الشركة بدفع التعويض المتفق عليه ، واذا لم تحدث الوفاة التزمت برد المبلغ المدفوع . وهو فى هذه الصورة أقرب ما يكون الى الادخار . وكما أن الافراد يؤمنون ضد المخاطر فان شركات التأمين بدورها تؤمن ضد وقوعها لدى شركات تأمين أخرى وتسمى هذه العملية اعادة التأمين(1) .

فالتأمين وسيلة للتخفيف من أثر الاخطار التى يتعرض لها الافراد ولا يمكنهم احتمالها بمفردهم فيتعاونون فيما بينهم بما يدفعونه من أقساط لتعويض من يلحقه أضرار بتحقق الاخطار المؤمن ضدها . والتأمين كذلك عامل مشجع على الادخار وزيادة الانتاج حيث تقوم شركات التأمين باستثمار أموالها

(1) الموسوعة العربية الميسرة مادة « تأمين » ص ٤٨٥ .



موضوع التأمين . وهل هو حلال أو حرام ؟ موضوع يشغل بال الجميع وقد رأينا أن نفتح باب الكتابة والمناقشة فيه لعرض الاراء حوله وننشر اليوم هـذا البحث منتظرين أن نتلقى من البحوث الجادة المدعمة بالحجج ما يمكننا من استمرار النشر حول هذا الموضوع حتى يمكن الاحاطة بالآراء وحججها . ونقدم الآن رأى القانون ثم نتبعه برأى الشريعة فى عدد قادم .

(الوعى)

فى المشروعات الصناعية الكبرى التى تساهم فى حماية الاقتصاد الوطنى وفتح مجالات كبيرة للعمالة والانتاج .

وهناك نوع من التأمين يسمى التأمين الاجتماعى تلزم الدولة بمقتضاه أصحاب الاعمال بالتأمين على عمالهم حتى تضمن لهم حدا أدنى للمعيشة بتقديم المساعدة لهم فى حالة العجز عن الكسب أو المرض أو الاصابة أو الشيخوخة أو البطالة .. الخ ويعتبر هذا التأمين مظهرا للتكافل الاجتماعى الذى حضت عليه جميع الاديان السماوية .

تعريف التأمين :

اختلف الشراح اختلافا كبيرا فى تعريفهم للتأمين حتى استقر الامر أخيرا على التعريف الذى وضعه الاستاذ هيمار حيث يعرف التأمين بأنه : « عملية بها يحصل شخص يسمى المستأمن على تعهد لصالحه أو لصالح غيره بأن يدفع له آخر ، هو المؤمن ، عوضا ماليا فى حالة تحقق خطر معين وذلك نظير مقابل مالى هو القسط وتبنى هذه العملية على تحمل المؤمن تبعـة مجموعة من المخاطر باجراء المقاصة بينها وفقا لقوانين الاحصاء » .

وعرفته المادة ٧٤٧ من القانون المدنى المصرى بما يلى :

« التأمين عقد يلزم المؤمن بمقتضاه أن يؤدى الى المؤمن له أو الى المستفيد الذى اشترط التأمين لصالحه مبلغا من المال أو ايرادا مرتبا أو أى عوض مالى آخر ، فى حالة وقوع الحادث أو تحقق الخطر المبين بالعقد وذلك فى نظير قسط أو أية دفعـة مالية أخرى يؤديها المؤمن له للمؤمن » .

وهذا التعريف الذى جاء به القانون المدنى ينصب على الناحية القانونية فقط وأغفل الناحية الفنية فى التأمين فلم يبين الغاية التى توخاها المشرع من هذا النظام وهى قيام شركات التأمين

بتجميع أكبر عدد ممكن من المخاطر المتشابهة وتحمل تبعتها باجراء المقاصة بينها وفقا لقوانين الاحصاء كما جاء بتعريف الاستاذ هيمار السابق .

أقسام التأمين :

ينقسم التأمين من حيث الشكل الى قسمين :

١ ـ التأمين بأقساط محددة : وهو النوع السائد وبمقتضاه يقوم شخص يسمى المستأمن أو المؤمن له بدفع أقساط معينة ولمدة محددة الى شركة التأمين وذلك طبقا للشروط والاوصـــاف التى يحددها عقد التأمين ، وتقوم الشركة فى مقابل ذلك بدفع عوض مالى فى حالة تحقق الخطر المؤمن ضده ، أو دفع المبلغ المتفق عليه فى نهاية مدة العقد كما فى حالة التأمين على الحياة اذا لم تتحقق وفاة المؤمن عليه خلال فترة سريان العقد .

٢ ـ التأمين بالاكتتاب : وهذا النظام تقوم به جماعة معينة من الناس بأن يدفع كل منهم مبلغا معينا على دفعات أو دفعة واحدة لمواجهة أى أخطار يتعرض لها أحدهم ولا تبغى أى ربح من وراء هذه العملية ، ويكون لافراد هذه الجماعة صفة المؤمن والمؤمن له فى نفس الوقت حيث يقومون هم أنفسهم بجمع هذه الاموال ودفع العوض ويعتبر التأمين بالاكتتاب نوعا من أنواع التعاون الذى يحبذه الدين ويحض عليه .

وينقسم التأمين من حيث الموضوع الى ثلاثة أنواع :

أ) التأمين البحرى والتأمين البرى : التأمين البحرى هو أقدم أنواع التأمين ظهورا نظـــرا للمخاطر التى كانت تتعرض لها السفن أثناء نقل البضائع من أخطار البحر أو سطو القراصنة ، ويشمل التأمين على السفينة وما عليها من بضائع ، ولا يمتد هذا التأمين الى الاشخاص الموجودين على ظهر السفينة اذ أنهم يخضعون لنظم تأمين أخرى .

أما التأمين البرى وكذا التأمين الجوى والنهرى فيكون ضد أخطار النقل أو السفر بالسكك الحديدية والبواخر والسيارات والطائرات وغيرها من وسائل النقل ويشمل ذلك التـــأمين على البضائع والاشخاص .

ب) التأمين الاجتماعى والتأمين الخاص : ويكون التأمين الاجتماعى على فئات معينة هى طبقة العمال حيث تلزم الدولة أصحاب الاعمال بالتأمين عليهم ضد اصابات العمل وضد البطالة كما سبق أن قلنا .

أما التأمين الخاص : فتقوم به الشركات والجمعيات التبادلية والتعاونية فتؤمن على الافراد أنفسهم كل حسب ظروفه الخاصة وما يحتمل أن يواجهه من أخطار .

جـ) التأمين على الاشخاص والتأمين من الاضرار : يشمل التأمين على الاشخاص كل ما يتصل بشخص المؤمن له من حوادث أو وفاة أما التأمين من الاضرار فيشمل كل الاضرار المادية التى تلحق المستأمن أيا كان نوعها أو سببها . ويمتد التأمين من الاضرار ليشمل التأمين من المسئولية كما هو الحال فى التأمين من المسئولية المدنية الناشئة عن حوادث السيارات ، ولا يشمل هذا النوع من التأمين بطبيعة الحال التأمين من المسئولية الجنائية .

أركان التأمين :

من تعريف التأمين يمكننا استخلاص أركانه فى أربعة هى :

١ ـ الخطر .

٢ — القسـط .
٣ — العوض المـالى .
٤ — المصلحة فى التأمين .

١ — فالخطر عبارة عن حادث مستقبل محتمل الوقوع ولا يتوقف تحققه على محض ارادة المؤمن له أى يقع دون ارادته .

٢ — أما القسط فهو المبلغ الذى يدفعه المؤمن له شهريا أو سنويا حسب الاتفاق لتقـوم الشركة بمقتضاه بتحمل تبعة المخاطر المؤمن ضدها فالقسط فى التأمين بمثابة الثمن فى البيع أو الاجرة فى الايجار ، ويشمل القسط ما يوازى قيمة الخطر بالاضافة الى المصاريف التى تتكلفها الشركة وكذا الارباح ويسمى القسط فى مجموعه بالقسط التجارى .

٣ — العوض المالى وهو اما أن يكون تعويضا يقدر بحسب قيمة الخسارة الناتجة عن تحقق الخطر المؤمن ضده واما أن يكون مبلغا محددا نص عليه فى عقد التأمين ، فالعوض يدفع حسبما اتفق عليه بين المؤمن والمؤمن له .

٤ — المصلحة فى التأمين : نصت المـادة ٧٤٩ من القانون المدنى المصرى على أن : « يكون محلا للتأمين كل مصلحة اقتصادية مشروعة تعود على الشخص من عدم وقوع خطر التأمين » فمن المحتم أن يكون هناك مصلحة واضحة للمستأمن اذ أن انعدام مصلحة الشخص فى التأمين من شأنه أن يزيد فى نسبة المخاطر المفتعلة التى يمهد لها المستأمن سبل وقوعها غير آبه بانعدام الشىء محل التأمين لانعدام مصلحته فى المحافظة عليه . ويكون الامر أشد خطورة اذا كان المؤمن عليه شخصا غير المستأمن فانعدام المصلحة يعرض حياة المؤمن عليه للخطر .

ويقوم التأمين على فكرتين أساسيتين :
١ — تعاون المستأمنين .
٢ — المقاصة بين المخاطر .

فقيام المستأمنين بدفع الاقساط لتتمكن الشركة من تغطية الاخطار التى يتعرض لها بعضهم يعتبر نوعا من التعاون فيما بينهم ، وما الشركة الا وسيط لتنظيم عملية جمع الاقساط واستثمارها ودفع التعويض اللازم للمستحقين ، ثم تحصل الشركة بعد ذلك على بعض الارباح مقابل قيامهـا بهذا العمل .

أما المقاصة بين المخاطر فهو من عمل الشركة اذ تقوم بجمع المخاطر المتشابهة وعمل المقاصة بينها وفقا لقوانين الاحصاء حيث تقدر قيمة المخاطر المحتمل حدوثها وعلى أساسها تقدر الاقساط المطلوبة من المستأمنين ، يضاف اليها كما سبق الارباح والمصاريف الادارية الاخرى .

مزايا التأمين :

للتأمين مزايا اجتماعية اقتصادية عديدة منها على سبيل المثال(١) :

١ — مزايا خلقية فالتأمين يكفل الامان والاحتياط للمستقبل ومواجهة المخاطر المحتمل حدوثها وبذلك يضمن الفرد وجود ما يعينه على تحمل كوارث الدهر بدلا من طلب المساعدة ومد يده للآخرين وعقد التأمين بعيد كل البعد عن القمار أو شبهة القمار اذ المقامرة تؤدى الى خسارة محققة لأحد الطرفين ، بينما ذلك لا يحدث مطلقا فى التأمين اذ أن المبالغ التى يدفعها الفرد اما أن تعود اليه بعد انتهاء مدة العقد ، أو تدفع له كتعويض أثناء فترة سريانه فى حالة تحقق الخطر المؤمن ضده .. وفى حالة دفع التعويض قبل تمام دفع الاقساط ، فان الشركة لا تخسر شيئا اذ أن ما تدفعه من

---

(١) شرح القانون المدنى الجديد (التأمين) د. محمد على عرفه .

عوض ، سبق أن حصلت عليه من أفراد آخرين ، ومحسوب طبقا لأحدث ما وصلت اليه نظم وقوانين الاحصاء ، وأن الشخص الذى يعمل لضمان مستقبله واحتياطه له لا يمكن أن يكون مقامرا بحال من الاحوال .

٢ ــ وللتأمين وظائف اقتصادية عديدة حيث تقوم شركات التأمين بالمساهمة فى المشروعات الصناعية الكبرى وغيرها من المصالح الاقتصادية والانتاجية التى تنمى اقتصاديات الدولة وتقلل من عدد العاطلين ، بالاضافة الى أنها تمنح المؤمن عليه مزيدا من الثقة فيمكنه بعد دفع ثلاثة أقساط سنوية أن يقترض مبلغا يتناسب مع ما سبق أن دفعه . والتأمين يعتبر نوعا من الادخار شبه الاجبارى اذ يلتزم الفرد بدفع الاقساط باستمرار ودون توقف أما فى الادخار فيمكنه أن يدفع أو لا يدفع . وكذا من السهل سحب المبالغ المدخرة فى أى وقت بخلاف ما يدفع فى التأمين اذ لا يمكن سحبه الا اذا صفيت الوثيقة .

وللتأمين ميزة أخرى وهى أنه اذا تحقق الخطر المؤمن ضده تدفع قيمة التعويض المقررة فورا أما فى الادخار فلا يمكن سحب أكثر من المبلغ المودع وقد لا يكفى لتغطية الخسارة التى لحقت بالشخص .

٣ ــ التأمين يحقق للشخص ما يعجز عن تحقيقه لولا وجود مبلغ التأمين الذى يساعده على مواجهة تكاليف الحياة أو اتمام الغرض الذى من أجله عمل التأمين كدفع مهر أو مواصلة تعليم .. الخ .

خصائص عقد التأمين :

عقد التأمين من العقود الملزمة للطرفين ومن عقود المعاوضة كما أنه عقد احتمالى (غرر) ويعد كذلك من العقود الزمنية ومن عقود الاذعان .

١ ــ عقد التأمين ملزم لطرفيه فالمستأمن ملزم بدفع قسط شهرى أو سنوى للمؤمن . والمؤمن ملزم بدفع مبلغ التأمين للمؤمن له اذا تحقق الخطر المؤمن منه .

٢ ــ أما أنه عقد من عقود المعاوضة فلأن كل عاقد يحصل على مقابل لما أعطاه ، فالمستأمن يدفع الاقساط الدورية ويحصل فى مقابلها على الامان المتمثل فى تغطية الخطر المؤمن ضده . والمؤمن يدفع تعويض لمن لحقه الضرر مقابل ما حصل عليه من أقساط . وحيث أن التأمين ليس مصدرا للربح بالنسبة للمستأمن فان التعويض الذى يدفع له يجب ألا يزيد عن الخسارة التى لحقت به .

٣ ــ والتأمين عقد احتمالى أو عقد من عقود الغرر لأن المستأمن والمؤمن عند ابرامهما هذا العقد لا يعرف كل منهما مقدار ما يعطى أو يأخذ اذ أن أمر ذلك غير معروف وقت حصوله ، أما اذا نظرنا الى المؤمن ومجموعة المستأمنين بصفة عامة نجد أن فكرة الغرر بعيدة الاحتمال لأن المؤمن يحصل على أقساط ضخمة من المستأمنين ويقوم باستثمارها ثم يغطى ما يحدث من أخطار للمستأمنين وما يبقى بعد ذلك يحفظ كاحتياطى للشركة نظير المصروفات وأجر العمل . وما دام التأمين قائما على الحساب الدقيق وفق قوانين الاحصاء فان احتمال الخسارة بعيد عنه كل البعد وان احتمال المكسب مؤكد بالنسبة له .

٤ ــ أما أن التأمين من العقود الزمنية المستمرة فلأنه يعقد لفترة زمنية تحدد فى العقد يظل المؤمن فيها متحملا تبعة الخطر ، كما يلتزم المستأمن بدفع الاقساط فى مواعيدها الدورية المحددة فى العقد طول فترة سريانه .

٥ ــ التأمين عقد اذعان : وعقد الاذعان هو الذى يكون أحد عاقديه مضطرا للاذعان للشروط التى يفرضها الطرف الاخر ، فعقد التأمين يشمل الشروط التى تضعها الشركات وهى الجانب القوى فى العقد ويضطر المستأمن لقبولها ولا يمكنه تعديل أى شرط فيها ، ولذلك تدخل المشرع فى معظم الدول لتنظيم عقود التأمين منعا من تعسف الشركات واستغلالها للمستأمنين .

سببا من أسباب اباحة الفعل مثل اباحة الميتة ونحوها ، أو سببا من أسباب امتناع المسئولية الجنائية مع بقاء الفعل محرما ، كالتلفظ بالكفر عند الاكراه ، فانه لا يسقط حق انسان آخر من الناحية المادية وان كان يسقط حق الله ويرفع الاثم والمؤاخذة عن المضطر أو المستكره ، إذ لا ضرورة لابطال حقوق الناس . والضرر لا يزال بالضرر ، وانما تتجلى الضرورة فى الحفاظ على حياة المضطر فيرخص له بأخذ مال غيره والضرورة كما علمنا تقدر بقدرها .

٨ ــ **الحاجة العامة أو الخاصة تنزل منزلة الضرورة** ، أى أن الحاجة الماسة سواء أكانت عامة أو خاصة تؤثر فى تغيير الأحكام ، مثل الضرورة فتبيح المحظور ، وتجيز ترك الواجب ، إلا أن الحاجة أعم فى مفهومها من الضرورة ، إذ أن الحاجة هى التى يترتب على عدم الاستجابة لها ضيق وحرج أو عسر وصعوبة .

وأما الضرورة فهى أشد باعثا على المخالفة من الحاجة ، إذ هى ما يترتب على مخالفتها ضرر . وخطر يلحق بالنفس ونحوها . وتطبيقات هذه القواعد كثيرة تتجاوز المائة ، وبما أنها قواعد أغلبية كما أوضحنا فيطرأ على كل منها استثناءات فرعية من الأحكام الشرعية .

ويمكننا الاعتماد على هذه القواعد بعد معرفة ضوابطها فى استنباط أحكام الشرع للوقائع والحوادث المتجددة فى ضوء الاهتداء بما أبانه فقهاؤنا العظام من مسائل مفرعة على هذه القواعد .

واذا حددنا ضوابط الضرورة والحاجة والمشقة بالذات أمكن بكل سهولة اتخاذ المصالح المرسلة والاستحسان والعرف مستندات ومصادر استنباط للقضايا المتجددة .

وليس من السهل وضع معايير محددة للحاجة ونحوها لأن الحاجات متجددة ومتطورة ، فما قد يكون حاجة بالأمس ، قد يصبح ضرورة فى الحاضر والغد ، وما لم يكن حاجة ملحة فى العصر الحديث .

لذلك ينبغى الاسترشاد بمقاصد الشريعة عامة ، وفى ضوء الروح العامة للتشريع ، والتزام الاوصاف التى حددها الشرع عللا للأحكام .

فلا يجوز مثلا القياس على السفر والمرض لاباحة الرخص الشرعية لما يتوفر أحيانا من مشقة قد تربو على المشقة المصاحبة للسفر ، لأن السفر وصف قاصر كما يقول علماء الأصول . والعلة يجب أن تكون وصفا ظاهرا منضبطا لا يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص ، والأحكام الشرعية تدور مع عللها لا مع حكمتها وجودا وعدما كما هو معروف ، والا ساغ لكل انسان أن يزعم أنه مضطر أو محتاج أو فى مشقة لمجرد جهد بسيط يعانيه وفى ذلك ضياع الشريعة ، وفتح الباب للتحلل من أحكامها الخالدة الثابتة فيما يمس المصالح العامة .

تعليق وتصويب

عن مسجد محمد علي بالقاهرة

للأستاذ : عبد المجيد وافي

أثار توضيحنا المختصر لصورة غلاف عدد شوال الماضى — والمأخوذ من بعض الكتب — فى نفس صديقنا الأستاذ الفنان عبد المجيد وافى هذا التعـــليق والتصويب الذى أرسله إلينـــا ونحن بدورنا ننشره شـــاكرين ومقدرين .

« الوعى الاسلامى »

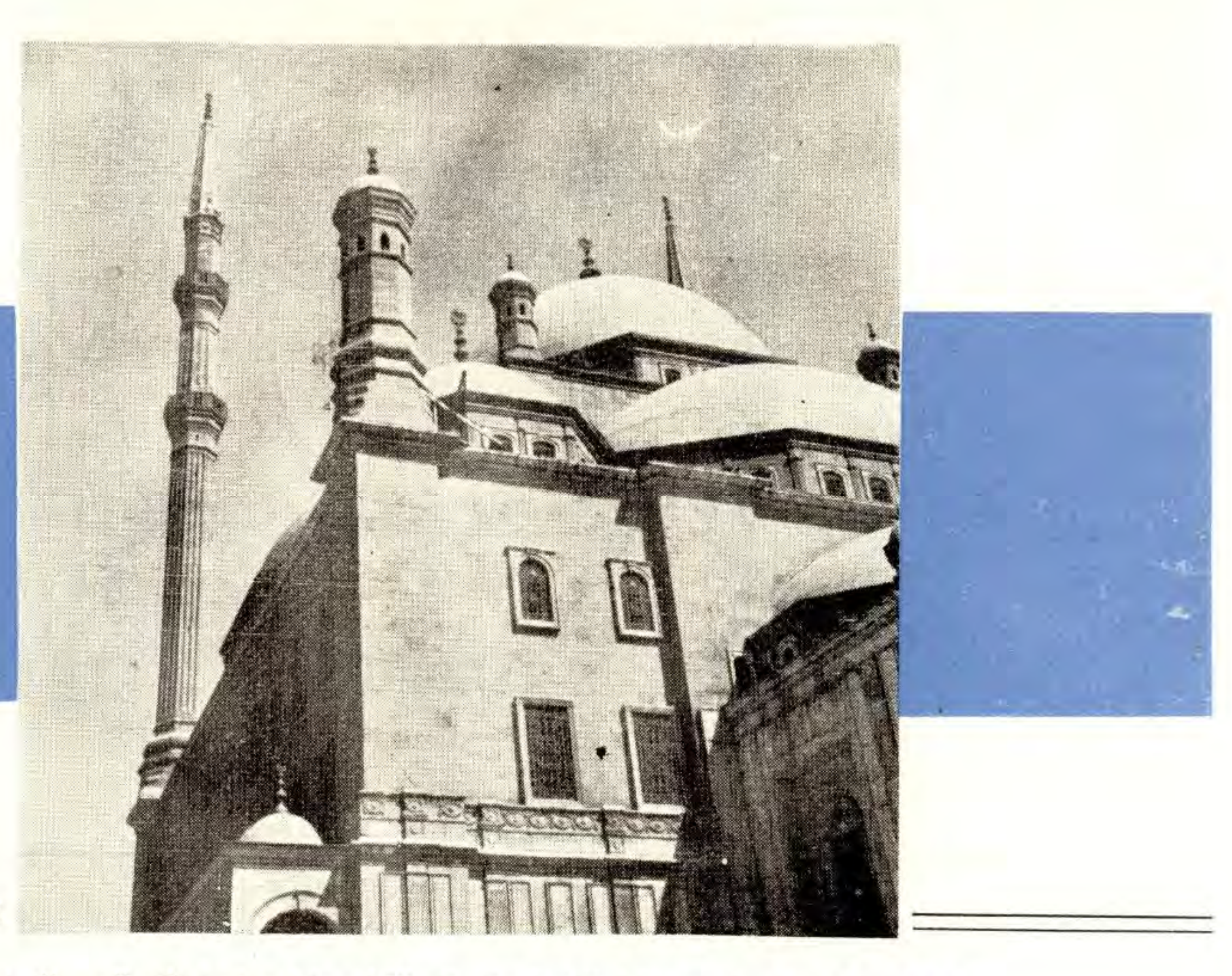
نشر فى العدد السادس والأربعين من السنة الرابعة (غرة شوال سنة ١٣٨٨) صورة جميلة لمسجد « محمد على » بالقاهرة من تصوير الفنان العظيم (عظمت شيخ) .

ثم ألحق بالرسم الفوتوغرافى فى أول المجلة الغراء تعليق هـــذا نصه :

« من أشهر مساجد القاهرة ، بناه محمد على سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) خارج القلعة التى بناها صلاح الدين الأيوبى لتشرف على القاهرة كلها ومساحة المسجد ٣١٣٥ مترا ، وجدرانه مطعمة « ؟ » بالمرمر النقى » .

وله قبة كبرى بها تسعة « ؟ » نوافذ على كل واحدة منها نقشت آية من سورة الفتح محفورة فى الرخام ومحلاة بالذهب .

ويبلغ ارتفاع منارتيه ٨٤ مترا ..



احدى منارتى المسجد مع القبة الكبيرة وانصاف القباب وقبة صغيرة خلف البرج الصغير .

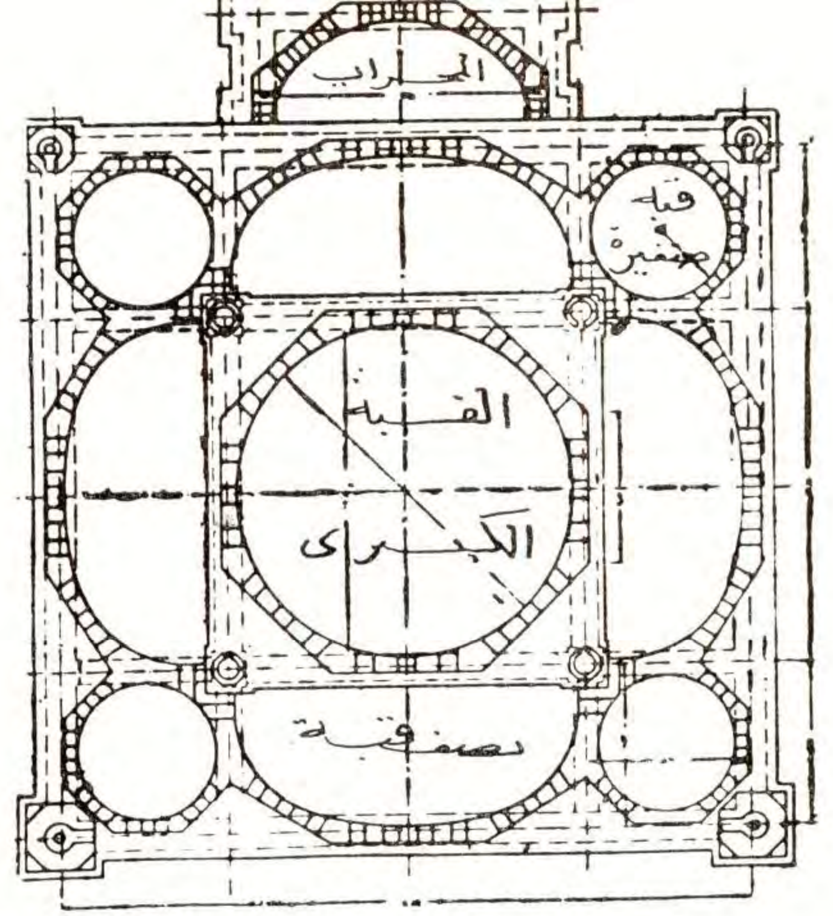
وهذا الوصف وان صحت بعض أجزائه الا أن فيه تجاوزا كبيرا . .

ذلك أن المسجد لم يبن خارج القلعة ، وانما بنى فى الجزء الجنوبى منها والذى كان وما يزال يفصله عن القسم الشمالى باب ، وكان القسم الجنوبى مشغولا قبل عمارة مسجد محمد على بقصور المماليك الذين أعقبوا الدولة الأيوبية فى حكم مصر .

وكان وما يزال يطيف بهذين القسمين سور واحد للقلعة ، ولما هم محمد على ببناء مسجده وقصور حريمه وقصر الجوهرة والعدلية هدم بقايا وأنقاض عمارات المماليك غير الحربية فى الجزء الجنوبى .

ثم أقيم المسجد على شرف مطل كان يرى من جميع انحاء القاهرة قبل أن ترتفع فيها العمائر المدنية والبيوت ، بل كان القادم الى اتجاه القلعة يرى ارتفاع مآذن السلطان حسن وأمامها الرفاعى ومن حولها مآذن كثير من مساجد الأحياء الأخرى ، وفى قمة الرؤية مسجد محمد على بقبابه ومنارتيه السامقتين فى رشاقة الى عنان السماء .

ومساحة المسجد مستطيلة « ش ١ » وتنقسم الى قسمين كل منهما مربع تقريبا ، الأول الصحن المكشوف ومساحته من الداخل ٥٣ × ٥٤ مترا تحت أرضيته صهريج (لتخزين المياه) كبير ، وفى وسطه قبة للوضوء على ثمانية أعمدة من رخام تحمل عقودا كونت منشورا ذا أضلاع ثمانية ، يحف بها رفرف مزخرف بزخارف طبيعية ونقوش بارزة مذهبة .



ش ٢ مسقط أفقي للقسم الشرقي وفيه قطاعات النوافذ

ويدور حول هذا الصحن أروقة أربع حملت عقودهـــا على أعمدة رخامية وفوق هذه الأروقة قباب صغيرة غطيت من الخارج بألواح الرصـــاص . تتوجها أهلة النحاس وقد نقش داخلها بالزخارف التركية المختلفة .

وهذه الأروقة مبطنة (ليست مطعمة) باتساع الجدران وارتفاعها بالمرمر والألبستر المصرى المجلوب من محاجر بنى سويف .

وبهذه الأروقة ــ ٤٦ ــ شباكا تشرف على الجهات الشمالية والغربيـــة والجنوبية .

أما الجانب الشرقى فهو الجدار الذى يفصل بين الصحن السابق ذكره ، والقسم الثانى ، وهو بيت الصلاة .

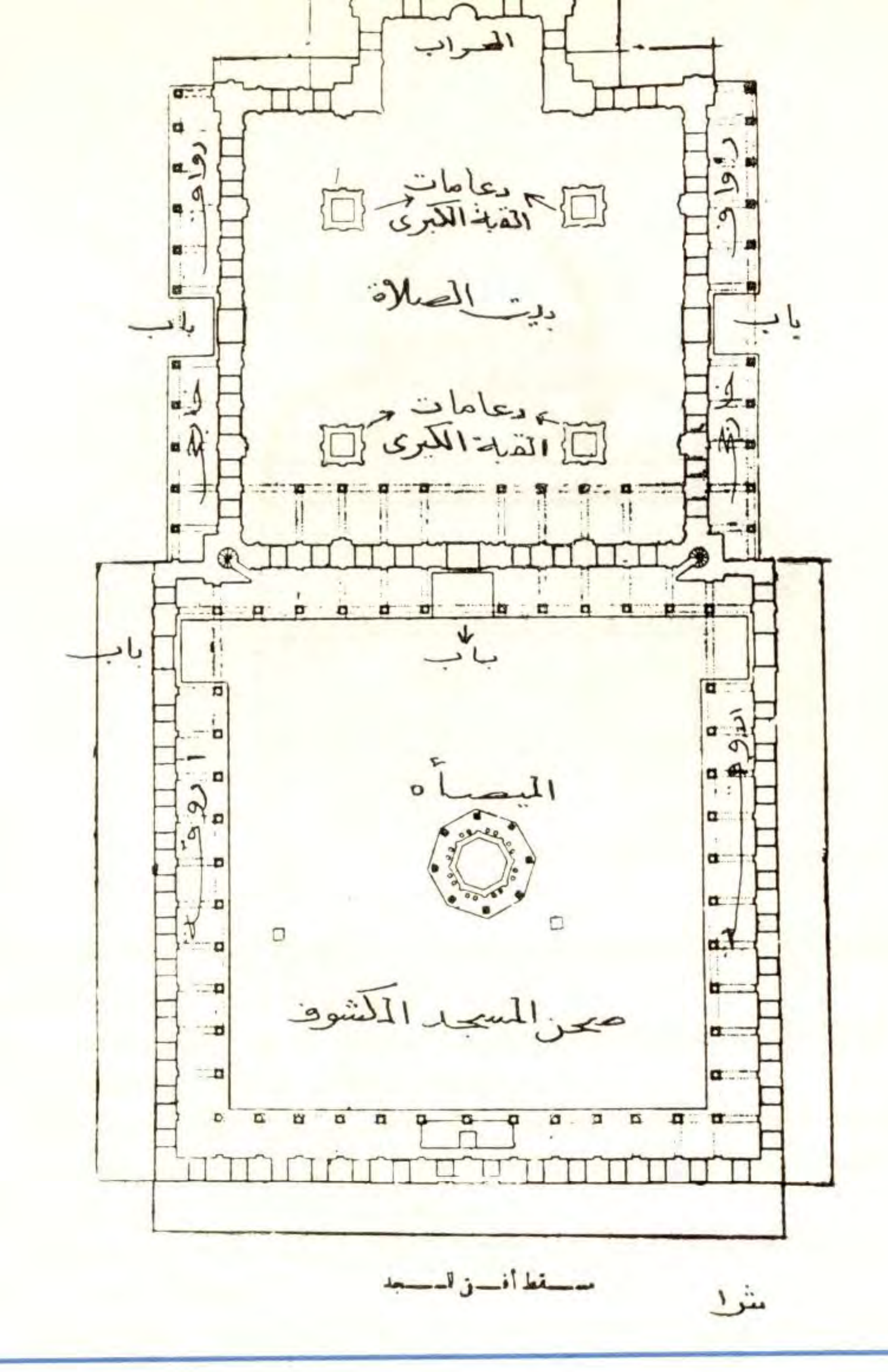
وبهذا الجدار ثمانية شبابيك تحف بالباب الداخل الى بيت الصلاة عن يمين وشمال ، وهى الشبابيك التى كتب عليها سورة الفتح الشريفة ، بالخط الفارسى الجميـــل من كتـــابة الخطاط التركى المشهور ــ يومئـــذ ــ (سنكلاخ) سنة ١٢٦٢ هـ (١) .

ويقوم فى أعلى وسط الرواق الغربى للصحن ساعة جميلة دقاقة ، أهديت الى صاحب المسجد من لويس فيليب ملك فرنسا ١٨٤٥م .

أما القسم الثانى ، وهو بيت الصـــلاة ، فمربع الشكل ، من غير حسبان بروز المحراب بنصف القبـــة الذى يعلوه ، وطول ضلع ذلك المربع من الداخل ٤١ مترا وفى كل ضلع ثمانية شبابيك فيما عدا جدار المحراب الذى يضم أربعة شبابيك فقط .

---

(١) حسن عبد الوهاب ــ المساجد الاثرية ص ٣٨٥ .



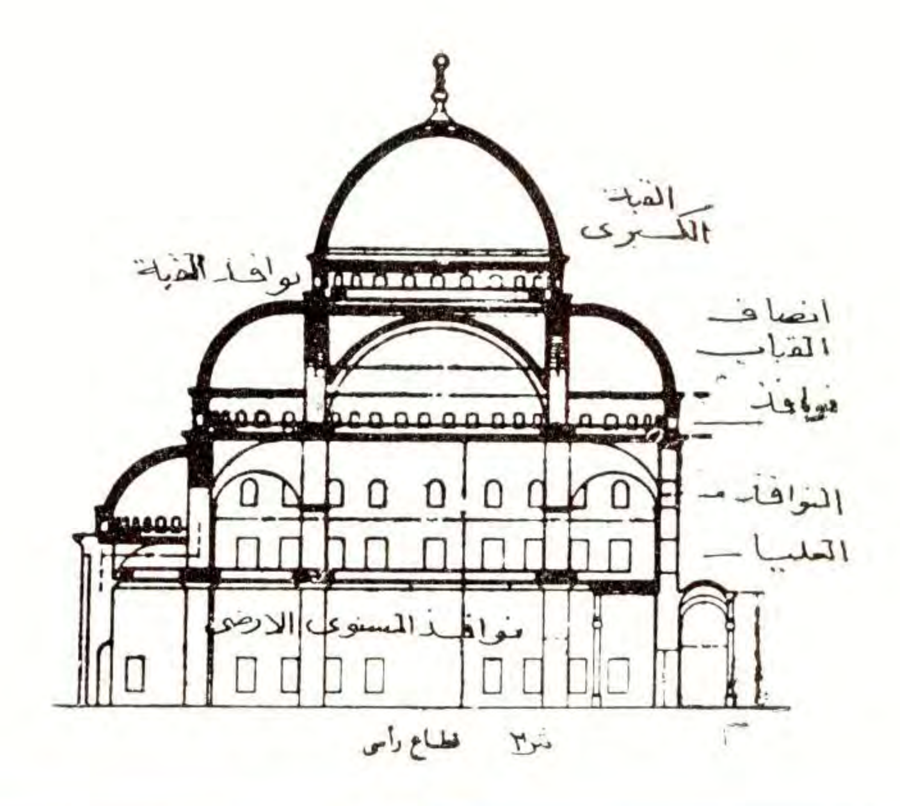
ش ١

وفى كل جدار من الجدران — فيما عدا جدران المحراب — باب يتوسطه غشيت شراعاتها بالزجاج الملون البديع ، والشبابيك المذكورة على ارتفاع الأبواب من أرضية المسجد ، عميقة عمق الجدار وهو ٢٫٢٠ متر .

ويتناقص السمك كلما ارتفع الجدار حتى يصل الى ١٫٩٠ متر انظر ش ٣ وفى هذا العلو صفان من الشبابيك فى كل جدار « ما عدا المحراب » يعلو احداهما الآخر عدد كل صف ٩ شبابيك فى كل جدار .

وهكذا نرى الشبابيك العلوية تعد أربعة وخمسين ، أما السفلية التى على مستوى الأبواب فهى ثمانية وعشرون شباكا غشيت بالزجاج الملون الأزرق والأحمر والأصفر مما يضفى على داخل المسجد اضاءة خاشعة جميلة .

ويعلو بيت الصلاة قبة كبيرة قطرها ٢١ مترا وارتفاعها من أرض المسجد



ش٣ قطاع رأسى

٥٢ مترا حملت على عقود أربعة كبيرة يعاونها فى حمل تلك القبة الضخمة أربعة أكتاف مربعة « دعامات » أنظر ش ١ ، ش ٣ .

ومن هذه العقود مع الدعامات الحاملة تكونت أنصاف قباب أربعة كمرحلة انتقال بين الجدران الأربعة والقبة المستديرة .

وهكذا نرى القبة الكبرى تحف بها أنصاف القباب الأربعة مكونة سقف هذا المسجد المربع الكبير ، وفى زوايا هذا المربع أربعة قباب صغيرة لتكمل تغطية السقف وراء الدعامات — أنظر ش ٢ .

وهناك نصف قبة خامس يغطى بروز المحراب ، على ارتفاع أقل من ارتفاع الأنصاف الأخرى .

وقاعدة القبة الكبيرة من الخارج مثمنة الأضلاع فى كل ضلع ثلاثة نوافذ فتكون نوافذ القبة الكبرى أربعة وعشرين .

وفى القباب الصغيرة فى الزوايا أربعون نافذة بكل قبة عشر نوافذ .

وانصاف القباب فى كل نصف عشر نوافذ أيضا فهذه أربعون أخرى .

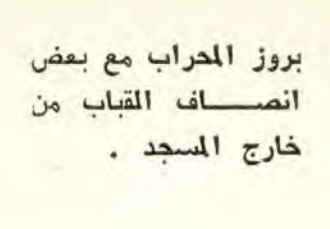
وفى نصف قبة المحراب ست عشرة نافذة .

فكم تكون نوافذ القباب وأنصافها ؟؟

أما الزخارف والكتابات ، فقد كتبت قصيدة البردة النبوية على أعتاب الشبابيك التى تحف بالأبواب من أسفل الجدران ، كتبها « سنكلاخ » بخط فارسى مذهبة على أرضية زرقاء .

كما نقشت جدران بيت الصلاة بزخارف ومناظر طبيعية بالألوان والتذهيب ، أما زخارف القبة الكبيرة وأنصاف القباب فبارزة تمثل شموسا مشعة تحيط بأشعتها الذهبية التوريقات وعناقيد الكرم .

كما كتب فى أضلاع القبة بالتناوب « باسم الله ما شاء الله تبارك الله »





بروز المحراب مع بعض انصـــاف القباب من خارج المسجد .



نافذة من نوافذ المسجد السفلية على مســتوى أرضية المسجد .

وفى أركان القبة حيث لقاؤها مع العقود الأربعة الكبيرة كتب بالخط « الثلث » الجميــل « لا إله إلا الله » « محمد رسول الله » فى دوائر مذهبــة تحيط بها الزخارف فى الحنايا الثلاثية الناشئة من لقاء الأروقة بالقبة ، ثم كتبت أسماء الخلفاء الأربعة فى دوائر مماثلة ، وهى بخط الفنان « أمين أزميرى » .

ويقول حسن عبد الوهاب « رحمه الله تعالى » :

« إن مهندس المسجد اقتبس التصميم العام وشكل المنارتين من مسجد السلطان أحمد فى الآستانة ، ولكنه لم يقتبس الزخارف والنقوش » .

وفى الركن الغربى الجنوبى من بيت الصلاة قبر صاحب المسجد وبانيه ، حيث دفن فيه سنة ١٢٦٥ هـ ــ ١٨٤٨ م .

هذا باختصار شديد وصف المسجد الكبير ، ويلاحظ من ثناياــاه قصور الوصف السابق نشره بالمجلة الغراء .

وقد أرفقت بالوصف عدة رسوم تخطيطية تبين ما ذكرناه من تفــاصيل رجعنا فى هــذه الرسوم الى أصول العلامة الأثرى « حسن عبد الوهــاب » تغمده الله برحمته وأجزله عنا أحسن الثواب ..

قضـــية للمناقشة

حول التربية الدينية للشباب

حصيلة دراســـة اشترك فيهاكثير من المسئولين عن الشباب على اختلاف مســـــتوياتهم وتخصصاتهم ..

السؤال الذى يطرحه هذا المقال ليس بجديد ، ولـــكن الظاهرة التى يشير اليها ما زالت قائمة تحتاج الى أكثر من مقال ، فمن وقت الى آخر تبرز مناقشات هى مزيج من التحذير والخوف واللوم لتقول : « شـــبابنا فى خطر .. يعطى للايمان ظهره .. ويهبط فى كل يوم رصـــيده من القيم والمدخرات الروحية » .

وتمضى المناقشات لتصـــــنع فى النهاية صورة حزينة شاحبة لشباب هذا الجيل ، صـــورة المتمردين على تعاليم الأديان .. وما أبشعها من صورة !!

وليس هذا المقال أصلا فى الدفاع عن شباب هذا الجيل ، وليس أيضا محاولة لقلب كل ما هو أســـود فى الصورة الى أبيض شديد البياض ، وانما هو نظرة تحليلية تستهدف رؤية ظاهرة انصراف الشباب عن الدين من خلال كل الظـــروف التى تحيط بها ، وتعطى أهمية خاصة للجانب التربوى ودوره فى عـــلاج هـــذه المشكلة .

١ ـــ الأزمة والأعراض

ولا شك أن هنـــــاك أزمة دينية يعيش فيها شباب اليوم ، أزمة تطل برأسها من خلال القلق الشـــــديد والتوتر العصـــبى الذى يعيش فيه الشباب خاصة فيما يتصل بعلاقتهم بالمطلقات والغيبيات والقـــدريات . وتكشف عن وجودها من خلال جهل الشـــباب بالحقائق الأولية لدينهم ، وتفصح عن نفسها من خلال اسراف الشـــــباب فى ارتكاب كل ما هو محرم ، وفى الجرى وراء المظـــاهر

• شبابنا في خطر .. يهبط في كل يوم رصيده من القيم والمدخرات الروحية

• الانصراف عن الدين أصبح هذه الايام مسألة ايديولوجية لها منطق خاص وخطير

للاستاذ : عبد الحميد فرحات . القاهرة

المكشوفة المغرية ، ثم تصل هذه الأزمة الدينية الى أعنف وأقصى مستوياتها حين تبطن أعماق شباب هذا الجيل بالضياع .. وماذا بعد الضياع .. ؟؟

٢ — أسباب مباشرة

لنسأل فى البداية : لماذا ينصرف الشباب عن الدين ، وما هى الدوافع المختلفة التى تبعد بهم عن دائرة الايمان ؟

هناك — أولا — : تأثير الأسرة وهى كما يقول خبراء التربية المسئول الأول عن التنشئة الاجتماعية للأبناء .

فالشاب الذى ينشأ فى بيت لا يتمسك بالدين ولا تمارس فيه شعائره ، تفتقد حياته حقيقة الى الزاد الروحى الذى يعطيه له الايمان والتدين .

وهناك — ثانيا — : تأثير المدرسة وسائر أجهزة التعليم ، ويرى رجال التربية أن تدريس الدين فى المدارس العربية والاسلامية ما زال فى مستوى التعليم ، ولم يرتفع بعد الى مستوى التربية ، وهم يقصدون بهذا أن الدين قد تحول فى مدارسنا ومعاهدنا الى جملة من الأقوال تستهدف أداء الامتحانات ، ولا شىء أكثر من هذا !!

وهناك — ثالثا — : التأثير الخطير لأجهزة الاعلام ، ذلك أن أجهزة الاعلام بأنواعها المتعددة من كتب وصحف وسينما وتليفزيون

.. الخ . تملك — كما وكيفا — من عناصر التشويق والترغيب والتوجيه أكثر الكثير . وحتى هذه اللحظة — وللأسف — فما زال الاعلام العربى غير مدرك — برغم كل النـــوايا الحســـنة — لخطورة دوره . فما زالت الكتب والمطبوعات بأنواعها ، والأفلام خاصة الأجنبى منها تضغط على الشـــباب وتحدث فيهم آثارا سيئة بعيدة المدى . وأكثر من هذا وفى نفس الوقت ما زالت المجلات والبرامج والأفلام الدينية تقف عاجزة — شكلا ونوعا — عن صد التأثير المدمر الذى تحـــدثه بعض المواد الاعلامية الحالية على التكوين الدينى للشباب .

٣ — أسباب غير مباشرة

وبجـــانب هذا النوع الأول من المؤثرات — البيت والمدرســـة ووسائل الاعلام — يبرز نوع ثان من المؤثرات قد لا يكون واضـــحا أو مباشرا ولكنه عميق الأثر فى انصراف الشباب عن الدين . وهـــذا النوع الثانى من المؤثرات يتصل — كمـــا يقول خبراء الحضارة والاجتمـــاع والتربيـــة وعلم النفس — بطبيعة هذا العصر ، وطبيعة التغيرات التى تحدث داخله ، وطبيعة العـــلاقات الفـــردية والاجتماعيـــة التى تنمو خلاله .

فلقد قدر للضـــمير الدينى عند شباب هذا العصر أن تجرحه سهام الحضارة والمدنية : هناك **« ســـهام العـــلم »** الذى يحقق فى كل يوم انتصـــارات لا حدود لها ، وهى انتصـــارات قد تزيد — مؤقتا — من ايمان الشباب بالعلم والتـــكنولوجيا أكثر من ايمـــانه بكل ما تتضـــمنه الأديان من أحكام وقيم ، ويزيد من خطورة هذا التقدم العلمى قصـــور الشباب عن ادراك العلاقة العميقة بين ما يحققه العـــلم من مكاسب وانتصارات ، وبين ما ســـبق أن بشر به الاسلام فى هذا المجال .

وهناك **« ســـهام النظريات الســـياسية والفكرية »** التى تحكم عالم اليـــوم ، وهى نظريات تقف بايمان الشـــباب عند حدود المكاسب المادية والتفوق الاجتماعى والبطولة السياسية ، وهذا يتم — وللأسف — على حســـاب القيم الروحية والمثل العليا وكل ما هو انسانى .

وهناك **« ســـهام الغزو الدينى »** آخر وأخطر فلسفات الاســـتعمار التى تســـتهدف تدمير الدين لدى الشعوب المستعمرة والدول النامية تسهيلا لمهمتها الاســـتعمارية ، وكم تبدو هذه الســـهام خطيرة ، فنصف عالم اليوم على الأقل ما زال يدور فى فلك الاســـتعمار ، أو ما زال يحبو فوق طريق النمو .

والحقيقة فان لهـــذا النوع الثانى من المؤثرات جاذبية خاصـــة عند الشباب ، فهو يجعل انحرافهم عن الدين مســـألة أيديولوجية لها منطق خاص ويعلل به الشـــباب مؤقتا موقفهم الخطير . ولا يمـــكن فى تقديرى أن نصنع شيئا بدون ادراك حقيقى وعميق لمنطق الشـــباب فى هذا الموقف الغريب .

٤ — العلاج بين النظرية والواقع

ونتخطى مرحلة تشخيص الأزمة وتحديد أسبابها لندخل مباشرة الى مرحلة الحلول الممكنة لها . وأهم ما قد تحتاجه حلول هذه المشكلة سواء فى مســـتوى « الوقاية » أو فى مستوى « العلاج » هو تنسيق كامل لجهود عديدة فى كافة المجالات التى يحتك بها الشباب ويتأثر بها ويؤثر فيها .

ولكن : ما هى الفلســـفة التى

تستند اليها كافة الحلول المختلفة التى توضع لهذه الظاهرة الخطيرة ، ظاهرة انصراف الشباب عن الدين ؟

باختصار شديد نقول : يجب أن يتجه أى حل يوضع الى **((حصر))** هذه الظاهرة فى أضيق نطاق ، حتى لا تنتشر وتكسب مواقع جديدة وأنصارا جددا . ثم يتم جنبا الى جنب مع هذا « الحصر » دراسة كافة الوسائل التى يمكن بها غرس الدين فى نفوس الشباب ، وفى اطار الظروف التى يعيشون فى ظلها الآن بالفعل .

ففى الخطوة الأولى : « خطوة حصر الظاهرة فى أضيق نطاق » يتم تحصين الشباب ضد مختلف عوامل الانحراف ، وتفرض على كل معاقل ومراكز الافساد والاغراء رقابة واعية تكفى لشل حركتها والغاء فاعليتها .

وفى الخطوة الثانية : « خطوة التوصل الى وسائل غرس الدين فى نفوس الشباب » ، يتم وضع خطة شاملة تنسق فيها مختلف الجهود والخبرات لوضع حد لاندفاع الشباب بعيدا عن دائرة الدين ، ونحاول عن طريق العلم والحكمة والتفاهم أن نعيد الشاردين من الشباب الى حديقة الايمان .

وانصافا للحقيقة فقد حدثت بعض ترجمات عملية لمثل هذه الحلول فى بعض البلاد الاسلامية ، وطرقت هذه المسألة فى زاوية من زواياها فى بعض مؤتمرات مجمع البحوث الاسلامية . ومن ثم يمكننا أن نقول إن الاتجاه نحو وضع حلول لظاهرة انصراف شبابنا عن الدين موجود بالفعل لدى المهتمين بالتربية الدينية ، وكل ما هو مطلوب هنا هو السير فى نفس الاتجاه حتى النهاية ومضاعفة الجهود التى تعطى له .

٥ ــ الدين بين العلم والحياة

ومن أبرز ما حدث فى هذا المجال هو الانتباه الى أهمية الدور الذى تلعبه المدرسة وسائر أجهزة التعليم فى تربية الشباب دينيا ، هذا الدور الذى يكتسب قيمته من طبيعة عملية التعلم والوسط الذى تحدث فيه والوسائل التى تستخدم خلالها . ولقد أدركت الجمهورية العربية المتحدة على سبيل المثال هذه الحقيقة فأعادت ــ أخيرا ــ تخطيط برامج التربية الدينية فى مختلف مراحل التعليم كى ترتفع بها من مستوى التعليم ، الى مستوى التربية . وربما انعكست تجربة القاهرة هذه فيما بعد على النظم التعليمية فى بقية البلاد العربية والاسلامية . ومن ثم يعاد النظر فى برامج تدريس الدين بحيث تقوم ــ أصلا ــ على ربط موضوعات الدين بمشاكل الحياة اليومية ، فلا يصبح الدين مجموعة من القواعد النظرية لا صلة لها بالحياة ، وبحيث يشاع الجو الدينى داخل المدرسة ومعاهد العلم ، وبحيث يكون أسلوب التدريس مناسبا وموافقا لعقلية الشباب ومشاعرهم ، ومناسبا وموافقا لطبيعة مرحلة الشباب نفسها .

٦ ــ الأسرة ودور المحاكاة

وكى تتمكن المدرسة من التأثير الطيب على شبابها فلا بد أن يسبقها ويواكبها تأثير البيت والأسرة على الأبناء . ولذا فالبيت المسلم ــ المثالى ــ مطلب لازم حتى يتجنب الابناء التخبط فى سنوات العمر الأولى . وداخل هذا **((البيت المسلم))** يكون الأب والأم قدوة

صالحة للأبناء ومنبعا حبيبا وموثوقا به لكل القيم والمثل العليا . وداخل هذا « البيت المسلم » وعن طريق محاكاة الأبناء للآباء يتعلم الشباب احترام حقوق الغير ، وأداء الواجب ، وبذل الجهد فى العمل ، وأداء الصلوات المفروضة ، ومعاملة الناس بالحسنى . والحقيقة فان جزءا كبيرا من هذه المهمة يقع على عاتق الأم ، ويكفى أن نتذكر هنا قول الرسول الكريم : « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » .

٧ ــ دور الاعلام الاسلامى

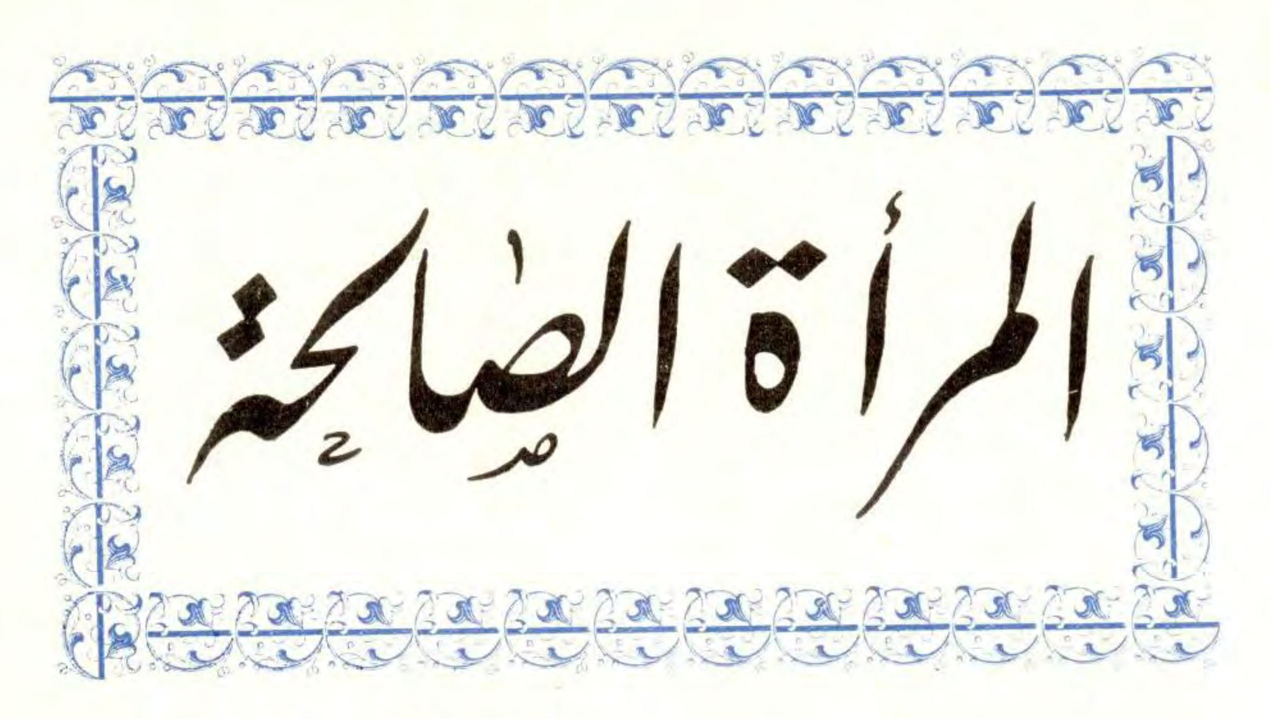
واذا كان جزءا كبيرا من برنامج تربية الشباب دينيا يحدث من خلال الأسرة ومن خلال المدرسة فان الدور الذى يمكن أن تقوم به أجهزة الاعلام فى هذا المجال يبدو بالغ الأهمية . وخلاصة ما يمكن قوله هنا هو ضرورة الاكثار من المواد الاعلامية الدينية (كما) والارتفاع بمستواها (كيفا) . ومعنى هذا أنه يجب الاكثار من المطبوعات الدينية بمختلف أنواعها من الكتب والمجلات والصحف ، وأن تصدر فى شكلها ومضمونها بما يتفق مع عقلية ونفسية الشباب ، ومثل هذا يمكن أن يقال بالنسبة للبرامج الدينية الاذاعية والتليفزيونية ، وبالنسبة للأفلام الدينية التى تتناول سير الأنبياء والصحابة وتاريخ الأماكن والاحداث الجليلة ، والتعريف بمختلف بلاد العالم الاسلامى . ولكى تحقق هذه المواد الاعلامية الدينية الغرض منها أقترح تكوين **« لجنة اعلام اسلامى »** تضم خبراء الصحافة والاذاعة والتليفزيون والسينما والتربية وعلم النفس ورجال الدين . وتكون وظيفة هذه اللجنة وضع الأساس العلمى الذى يجب أن يقوم عليه كل برنامج اعلامى دينى ، وكذلك متابعة تأثير هذه البرامج على الشباب . وتعديل ما قد يحتاج منها الى تعديل .

٨ ــ الايمان طريق الخلاص

وحتى تبدو حاجة شبابنا الى التربية الدينية يجب أن نتذكر أن معظم خبراء التربية وعلم النفس المهتمين بدراسة مشكلات وأمراض الشباب وعلاجها يؤكدون أهمية الايمان فى علاج هذه المشكلات والامراض . والأساس العلمى التربوى الذى تقوم عليه هذه الحقيقة : أن الدين هو الحصن الذى يلجأ اليه الشباب هربا من آلامهم وعذابهم ومن الصراعات والتوترات العصبية التى يسقطون فيها نتيجة لتعاملهم مع عالم مثير ملىء بالمتناقضات . **ومن هنا يؤكد كل خبراء التربية والطب النفسى أن الايمان القوى هو « طريق الخلاص الوحيد » الذى يشفى الشباب من الأزمة الروحية العنيفة التى يعيشون فيها .**

٩ ــ مجرد خطوة على الطريق

ولا أظن كلمات مقالى تحيط بكل أطراف هذه القضية الخطيرة ، وما أردت بها هذا والا كان حالى هو حال الصياد الذى ألقى شباكه ذات يوم كان البحر فيه قليل العطاء . بل هى مجرد خطوة على الطريق الطويل . طريق دراسة هذه الظاهرة الهامة كى يأتى اليوم الذى تختفى فيه من حياتنا تلك العبارات الحزينة ــ العبارات التى تقول : « شبابنا فى خطر .. يعطى للايمان ظهره .. ويهبط فى كل يوم رصيده من المدخرات والقيم الروحية » !



للدكتور : عبد الناصر توفيق العطار
المدرس بكلية الشريعة والقانون
بجامعة الأزهر

المرأة الصالحة هى المرأة المؤمنة بربها ، المخلصة لدينها ، الراعية لوطنها وأسرتها الساعية الى أداء رسالتها شاكرة لله تعالى صابرة .. هى المرأة التى تجد طاعة الله تهديها ، وثوب التقى والحياء يسترها ، وطهارة القلب ونقاء السريرة يزينها ، والاخلاص لزوجها وسائر أسرتها ووطنها والعمل من أجلهم يشغل وقتها ... هى المرأة التى تعرف حقوقها ، وتعرف مع حقوقها واجباتها .

اذا التمسنا مثالا للمرأة الصالحة وجدنا كتاب الله يحدثنا عن نماذج كثيرة للنساء الصالحات فها هى ذى سارة زوجة ابراهيم عليه الصلاة والسلام يبتليها الله عز وجل بعدم الانجاب حتى أصبحت عجوزا فتصبر بل نجدها تهب زوجها جاريتها « هاجر » ليتزوجها عسى أن ينجب منها ، تقديرا منها لزوجها ، ورعاية له ومودة وفضلا ، فيبارك الله صنيعها ، ويرزق ابراهيم ابنه اسماعيل من هاجر ثم يرسل الله الملائكة الى بيت سارة تبشر ابراهيم بأنه سينجب منها ، ويأخذ سارة الطمأنينة مع زوجها الذى طغى فقال أنا ربكم الأعلى ... وتتجه الى ربها فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب . قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا الشىء عجيب . قالوا أتعجبين من أمر الله ، رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد » ... وها هى ذى آسيا امرأة فرعون ، كان زوجها ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحته فلا ترى فى ذلك سعادتها ولا تحس الطمأنينة مع زوجها الذى طغى فقال أنا ربكم الأعلى ... وتتجه الى ربها خاشعة ضارعة تدعوه خوفا وطمعا وتطلب منه ما هو خير من فرعون وملك فرعون « رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله »

وها هى ذى مريم ابنة عمـــران فى محرابها راكعة ساجدة خاشعة لله عز وجل . . . « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندهـــا رزقا قال يا مريم أنى لك هـــذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشـــاء بغير حساب » . . . واختارها الله صديقة طاهرة وانبتها نباتا حسنا ، وقضى عليها دون غيرها من نساء العالمين أن تلد عيسى عليه السلام بغير أب ، آية من ربك للعالمين « واذ قالـــت الملائكة يا مريم ان اللـــه اصطفاك وطهرك واصـــطفاك على نســـاء العالميـــن . يا مريم اقنتى لربـــك واسجدى واركعى مع الراكعين » .

ما أحوجنا الى المرأة الصالحة . . ها هن أخواتكـــن – يا نســـاء هذا العصر – أسرعن الى رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم يبايعنه على كل ما يكسبهن صفة الصلاح ، فسجل الله عز وجل لهن هذا الصـــنيع فى قرآنه المجيد حيث قال : « يا أيهـــا النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتيـــن ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معـــروف فبايعهـــن واستغفر لهن الله ان الله غفـــور رحيم » نعم أيها النبى – صلوات الله عليك وسلامه – اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ألا يشركن بالله شيـــئا وعلى أن الله سبحانه هو الواحـــد القهار النافع الضار الرزاق القـــوى المتين ، فبايعهن واستغفر لهن اللـــه « ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شىء عليم » . . . وبايعهن أيضا على ألا يسرقن شيئا من أزواجهن أو غير أزواجهن ، ولينتفعن بما كتب اللـــه لهن من رزق . . . وبايعهن كذلك على ألا يقتلن أولادهن فلا يسقطن الأجنة من بطونهن قبل الولادة ولا يســـعين لواد البنات بعد الولادة ، « ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن » فلا تلهج ألسنتهن بنميمة ، ولا يزنين ولا يأخذن لقيطا يلحقنه بأزواجهن ، ولا تخلو امرأة بغير ذى محرم لها ، ولا ينحن أو يمزقن ثيابهن عند موت عزيز . . . الى آخر ما قد تعتـــاده النسوة من الآثام والمعاصى . . . ولقد بايعهن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم على ذلك ، بايعهن على ايمان صحيح وعقيدة سليمة ، بايعهن على نظافة يد وطهارة عرض ، بايعهن على سمو روح وعلو همـــة وشرف نفس وحفاظ على مكارم الأخلاق فأبشر بها من بيعة .

من المسلمات الأوليات صالحـــات حملن راية الايمان وقدن موكب النور وضربن أروع الأمثال فى رعاية حقوق الله والأسرة والوطن . . . **وها هى ذى خديجة** زوج الرسول عليه الصلاة والسلام تهـــرع اليه عنـــدما جاءها يرتجف صوته مما رآه من الـــوحى لأول مرة فى غار حراء فتضمه الى صدرها فى ثقة وحنان دافق وتقول : « الله يرعانا يا أبا القاسم ، أبشر يا ابن عم واثبت ، فوالذى نفس خديجة بيده ، انى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة ، والله لا يخزيك أبدا ، انـــك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الـــكل وتقـــرى الضـــيف وتعين على نوائب الحق ، واطمأنت نفس المصطفى صلى الله عليه وســـلم ، وآمنت خديجة بالحـــق الذى جـــاءه ووقفت طوال حياتها الى جانبه دائما تؤيده وتشد أزره وتفى بحقه ، وظل الرسول عليه الصلاة والسلام يذكر وفاءها طيلة حياته « آمنت بى حـــين كفر النـــاس ، وصدقتنى اذ كذبنى الناس وواستنى بمالهـــا اذ حرمنى الناس . . . .

وها هى ذى أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما وقد بلغت مائة عام يدخل عليها ابنها عبد الله بن الزبير يقول : « يا أماه خذلنى الناس حتى أهلى ، ولم يبق معى الا اليسير ومن لا دفع له أكثر من صبر ساعة من النهار ، وقد أعطانى القوم ما أردت ، فماذا ترين ؟ » فتأبى نفسها العظيمة أن يتراجع ولدها عن الجهاد فى سبيل الله حتى النصر أو الشهادة فتقول : « الله ... الله يا بنى ان كنت تعلم أنك على حق تدعو اليه فامض عليه ، وان كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك ومن معك . وان قلت انى كنت على حق فلما وهن أصحابى ضعفت بنيتى فليس هذا فعل الأحرار ولا من فيه خير ... كم خلودك فى الدنيا ؟ القتل أحسن ... والله لضربة السيف فى عز أحب الى من ضربة السوط فى ذل »

فقال : يا أماه أخاف ان قتلنى أهل الشام أن يمثلوا بى ويصلبونى ، فقالت لتقطع عليه خط الرجعة : (يا بنى ان الشاة لا يضرها السلخ بعد الذبح ، فامض على بصيرتك واستعن بالله » فأسرع عبد الله يقبل رأسها ويقول : هذا والله رأيى ، ولكننى أحببت أن أطلع على رأيك فيزيدنى قوة ... وخرج فقاتل حتى قتل فاحتسبته عند الله وكانت من الصابرين ...

وها هى ذى زينب بنت محمد صلى الله عليه وسلم تؤمن بالله عز وجل ولما يزل زوجها « أبو العاص بن الربيع » كافرا فتدعوه الى الاسلام ، ولكنه يرد عليها قائلا : « والله ما أبوك عندى بمتهم ، وليس أحب الى من أن أسلك معك يا حبيبة فى شعب واحد ، لكنى أكره لك أن يقال : ان زوجك خذل قومه وكفر بآبائه ارضاء لامرأته ، فهلا قدرت وعذرت ! وتندى عيناها بالدموع ولكنها تصبر ..... ثم لا تلبث أمها خديجة رضى الله عنها أن تموت ، ويرحل أبوها النبى الكريم الى يثرب ، كما ترحل اليها أخواتها رقية وأم كلثوم وفاطمة الزهراء ، وتصبح ذات يوم لتسمع عن حرب عند بدر بين قريش والمسلمين وفى الأولين زوجها ووالد طفليها ، وفى الآخرين أبوها صلى الله عليه وسلم فتبيت ليلتها صابرة وهى تخشى ألا تطلع الشمس فى اليوم التالى الا وهى أرملة أو يتيمة ، وينتصر محمد ، ويأسر المسلمون زوجها ، فتفديه بأعز ما لديها قلادة سبق أن أهدتها لها الأم الحبيبة خديجة يوم زفافها ...

ثم ينزل حكم الله فى الاسلام بمفارقة الزوجة المسلمة لزوجها الكافر ، فتظل زينب على ايمانها ، وتفارق زوجها مهاجرة الى يثرب وما أن تنقضى فترة حتى تجد فجأة أبا العاص بن الربيع على باب دارها فى يثرب ، وهو لا يزال كافرا ويخبرها أنه هارب من مطاردة بعض المسلمين له ، فتصيح أيها الناس انى أجرت أبا العاص بن الربيع ، ويقرها الرسول والمسلمون على ذلك ، فالمسلمون يسعى بذمتهم ويجير عليهم أدناهم ، وهى تقول لأبيها : يا رسول الله ان أبا العاص ان قرب فابن عم ، وان بعد فأبو ولد ، وانى قد أجرته ، فيدنو منها أبوها صلى الله عليه وسلم فى عطف وتأثر يذكرها بتعاليم الاسلام ويقول : « أى بنية أكرمى مثواه ، ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له ... »

وتظل زينب ترعى ولديها من أبى العاص وهى مؤمنة بالله عز وجل رعاية لشريعته متبعة لهداه صابرة لقضائه ، حتى أضاء الله بنوره قلب زوجها ، وشهد أنلا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وعاد اليها والى ولديه منها أكثر حبا وفهما واخلاصا .

نعم ما أحوج هـذا العصر الى نساء صالحات مسلمات مؤمنـات قانتات تائبات عابدات سائحات ... نعم مسـلمات لأن الاسلام طريـق الايمان طريق الصلاح طريق العلـم طريق الاستقامة « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام » . . نعم مؤمنات بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله ، لا يفرقن بين أحد من رسله وقلن سمعنا وأطعنا غفرانـك ربنـا واليك المصير .. « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ... قانتات أى طائعات ، والطاعة تاج المـرأة فى أعين والديها وزوجها ، وسبب رفعة شأنها عند ربها وقومها .. تائبات أى راجعات الى أوامـر اللـه عز وجل وأوامر رسوله عليه الصلاة والسلام، مستغفرات لما فرط منهن من ذنوب ، عابدات لله تعالى ذاكـرات لـه خاشعات ساجدات صائمات .... « فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » .

وهناك صفات ذكرها الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم للنسـاء الصالحات . « وقـل للمؤمنـات يغضضـن من أبصارهـن ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منهـا وليضربن بخمرهـن على جيـوبهن ولا يبـدين زينتهـن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهـن أو نسـائهن أو ما ملكـت أيمانهـن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهـروا عـلى عورات النساء ولا يضربن بأرجلهـن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنـون لعلكـم تفلحون » ...

وذلك أن اتباع هذا السلوك يحفظ للمرأة حياءها ، والحياء نصف الايمان ولا شك أن غض البصر عن جميـع المحرمات يحول دون الوقوع فى الفتنة لأن البصر هو الباب الأكبر الى القلب ورائده ، وأعمر طرق الحواس اليه ، « ولا تتبع النظرة النظرة فانما لـك الأولى وليست لك الثانية » كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لأن النظرة الأولى لا تملك ، لا سيطرة لك عليها ، فلا تدخل تحت خطاب تكليف ، اذ وقوعها لا يتأتى أن يكون مقصودا بخلاف النظرة الثانية ... ولا يحل لامرأة تؤمن بالله واليـوم الآخر أن تبدى زينتها الا لزوجها ، أو لمن هى محرمة عليه على التأبيد ، عـدا ما ظهر من هذه الزينة ، وقد تكرر النهى عن ابداء الزينة فى الآية أكثر من مرة لأن المرأة شـغوفة باسـتعراض جمالها ، والتباهى بزينتها ، ومـن النساء من يحلو لها أن تضرب برجلها أو تأتى حركة يعلم بهـا الآخرون ما تخفيه من زينتها ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر اذا عركت (أى حاضت) أن تظهر الا وجهها ويديها الى هاهنا » والخمار هو ما يستر رأس المـرأة ويجب أن يلتف لستر الصدر وهو ما عبر عنه القرآن بالجيوب . قال تعالى « يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتـك ونساء المـؤمنين يـدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فـلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » .

تلك صفات المرأة الصالحة وهذه مكانتها فى الاسلام ...

فالى شبابنا الذى يبحث عن الحب والسعادة والدفء والحنان نقـدم نموذج المرأة الصالحة ... لقد حض الرسول صلى الله عليه وسلم على

الزواج من المرأة الصالحة وفضلها على غيرها من النساء اذ قال « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الـــدين تربت يداك » وبالتالى « لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهـــن لأمــــوالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة سوداء ذات دين أفضل » وصدق الله العظيـــم حيث قال : « ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم » .. وصدق رسول الله صلى الله عليه وســـلم اذ قال « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خير له من زوجة صالحة ، ان أمرها أطاعته وان نظر اليها سرته ، وأن أقســـم عليها أبرته ، وان غاب عنها نصحته فى نفسها ومالها » .

ولا غرو فطاعة المرأة لزوجها فيمـــا هو مباح دليل حبها له ، وتعاطفهـــا معه ، ورغبتها فى معاونتـــه ، وهى بعد استدامة للمودة والرحمة بينهما ، وتأكيد لحسن الصلة بينهمـــا ، مما يزداد معه الزوج حبا لها ، ورغبـــة فيها ، ووثوقا بها ، واطمئنانا اليها ، وعرفانا بفضلها .

وتزينها له مما يبهج نفسه ، ويدخل السرور الى قلبه ، ويكفيه شر الوقوع فى الاثم ، فيستغنى بها عن النظر الى غيرها ، والمرأة لا تسر الرجل بأناقتها أو حسن هندامها فحسب ، بل تسره أيضا بلباقتها وحسن بيانها ، ودقة تقديرها لظروفه وأحواله ، فان غاب عنها حفظته فى نفسها وماله : تصون عرضه وتحمى شرفه ، ولا تمكن أحدا من أن يجرح شعوره ، أو ينال من عاداته وتقاليده التى لا تخالف الدين ، حتى لو كانت كلها ثقة فى نفسها ، فلا تخرج بغير اذنه ، ولا تســـتقبل آخرين بغير مشورته ورأيه ، ثم هى حافظة لماله لا تنفقه فى غير الوجوه التى يجب أن ينفق فيها ، ولا تنفق منه بأكثر من حاجتها ... وعليها ان رأته مفرطا فى صيانتها ، يستحضر لها من الغرباء من يستحضر ، ويطلب منها أن تستقبلهم ، أو يطلب منها أن تذهب معه الى أمكنة تؤذيها ، عليهـــا أن تنصحه فى نفسها وتبصره بما يؤذيها وترشده الى ما يصـــون ســـمعتها وشرفها ، وكذلك الأمر ان وجدتـــه متلافا لماله أو مسرفا أو مقتـــرا فى انفاقه ، فعليها أن تنصحه بما يحفظ ماله ويجعله بنعمـــة ربـــه يحدث ، وبفضل الله يجود فى غير تبـــذير أو تقتير .

ما أحوج هذا العصر الى المـــرأة الصالحة ... نبيلة الخلـــق وافـــرة الفضل مبسوطة اليد عظيمة القلـــب صافية القريحة نافذة اللب مســـلمة قانتة صادقة صابرة خاشعة متصدقة ... « ان المســـلمين والمسلمـــات والمؤمنين والمؤمنـــــات والقانتيـــن والقانتات والصادقين والصـــادقات والصابرين والصابرات والخاشـــعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصـــائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكريـــن الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » .

• • •

لا تحلموا بالنصر حول موائد

من قال ان الليث ولى مدبرا ؟ ... الأسد ان وثبت تعود القهقرى
ان الشجاع يفر فى ساح الوغى ... ليكر من بعد الفرار مظفرا
لا يفرحن المفترون بجولة ... كسبوا بدايتها وخاب من افترى
قل للألى بدؤا بداية هتلر ... ستجرعون غدا نهاية هتلر
انا تركنا الخصم يضحك أولا ... ليزيد نوحا حين نضحك آخرا
ولرب ضرغام أصيب بلدغة ... من عقرب دبت على وجه الثرى
يا شعب اسرائيل غرك مارد ... فى الحرب لاقى غير كفء فازدرى
انا جنود بنى النضير وخيبر ... ولتلحقن بنى النضير وخيبرا

* * * *

كذب اليهود فما أقاموا دولة ... فى أرضنا لكن أقاموا منسرا
الغدر ديدن شعبهم فلو انه ... يوما وفى لعجبت ألا يغدرا
قالوا عبدنا رب موسى وحده ... قلنا عبدتم ذا الرنين الأصفرا
ليست لابراهيم نسبتكم ولا ... لبنيه لكن تنسبون لآزرا
لو تسألون أبا البرايا آدما ... هل من سلالتك اليهود لأنكرا

* * * *

يأيها العربى لا ذقت القرى ... أبدا ولا نعمت جفونك بالكرى
لا يرقد العربى ملء جفونه ... ويذوق طعم الزاد حتى يثأرا
شرف العروبة بات وهو ملوث ... بالعار لا تلبسه حتى يطهرا

للأستاذ
محمود غنيم

عــار علينــا لبســــه حتى يــرى متطهــرا بــدم العـــدا متعطــرا
ليث العــروبة مــا عرا أظفــاره ؟ ويــلاه من هر عــلى الليث اجترا
نمر العــروبة مــا دها أنيــابه ؟ أو مــا رأى ذئب الفــلاة تنمــرا ؟
نسر العــروبة ما أصــاب جناحه ؟ قــولوا له ان البغـــات استنسرا

* * * *

لا تحــلموا بالنصر حــــول موائــد أضفى عليهــا الزيف لونــا أخضرا
بل عنه فى سود الوقائع فتشـــوا أو فاسألوا عنه النجيــع الأحمــرا
قــالوا الحقوق فقلت لفظ لم أجــد عنــه كألســـنة اللهيب معبـــرا
النصر ليس ينــــاله بســــؤاله شعب ضعيف الحول محــلول العرا
للنصر جيــش فى الحــــروب مزود من عزمــه الماضى بجيش آخـــرا
يــا رب فرد فى الكريهــــة واحــد بالصــدق والايمــان يعدل عســكرا
من عــاش فى جو القصــور مكيفا فعــلى الحــروب وهولها لن يصبرا
من بــات بين وســائد ونضــــائد فعــلى المبيت بخنـــدق لن يقــدرا
للحــرب جنــد يصبرون على الطوى يــوم اللقــاء ويلبســـون العثيرا
ويرون جوف الرمل أجمـــل فنــدق وروائــح البــارود تنفــح عنبــرا
ويرون قصف المدفعيـــــة أرغنــا يشــجى وقعقعــة الخنــاجر مزهرا
ويرون أن الجــرح يحــكى مقــلة حــوراء والــدم كالشراب معصفرا
ويرون أن من استبيــح لــه حمــى يلقى المنـــايا أو يعيش محـــررا

* * * *

منى على (فتنــام) ألف تحيـــــة — حيــوا معى الشعب الذى بهر الورى
يأيهــا الشعب الذى مــا هـــاله — عــدو العـــدو فكان منـــه أكثرا
علمت أهــل البــغى أن البــغى لا — يغنــى وأن جنــــوده لن تنصــرا
وأريتـــه أن الضعيف بحقــــه — بطــل يــذل العــــاتى المتجبرا
وكتبت فى التــاريخ أروع قصـــة — عن غضبة الآســاد ان ديس الثرى
قولوا لواشنطون تســحب جيشــها — فمــواطن الأحــرار لن تستعمــرا
أيسيطرون عــلى شــعوب حـــرة — وعليهمــو شعب اليهــود تسيطرا ؟

* * * *

شعب العــروبة مــا فعلت بخــالد — وتراثـــه ؟ أترى التــراث تبعثرا ؟
انى لألمح روحــــه من فوقنـــا — قــد رفرفت مثل الخيــال اذا سرى
ترنو الى اليرموك وهى مشيحـــة — وتقــول انى لا أصــــدق مــا أرى
أين الفتوحــــات التى استخلصتها — من دولتى كسرى العظيــم وقيصرا ؟
بم كان ينصر خـــالد ؟ الأنـــه ؟ — من جنــدل لا من تراب صـــورا ؟
قــد كان ذا رأس يطــــير بضربــة — ودم اذا جرحت جوارحــــه جــرى
لكنـــه يغشى الوغــى متقــلدا — بالصـــبر درعــا والعقيــدة مغفرا
الله أكـــبر ســـيفه وقنـــاته — مــا خاب عنــد الحرب شعب كبرا

* * * *

يــا قــوم هبــوا هبــة مضريــة — ان الفتى العــربى ان دعــى انبرى
ضموا الصــفوف ووحــدوا أشتاتكم — فى الوحـــدة النصر المبين مــؤزرا
قــالوا الوباء فقلت ان القــدس قد — نزل اليهـــود بهــا فكانوا أخطــرا
لم يتركــوا للمســـجد الأقصى ولا — للعــرب فيــه منســكا أو مشــعرا
ان يظهــــروا يــا قوم لم يبقوا لنا — أو لــلأذان أو الحنيفــة مظهــــرا
انى لأشـــــهدكم عــلى مــا قلتــه — وعليـــه قــد أشهدت هــذا المنبرا
مــاذا أقول ؟ أقول فيــل صــــاده — جرذ وسرحـــان أذل غضنفــرا ؟

أنا ان عذرت فان جيلا بعدكم — يا قوم من أبنائكم لن يعذرا
أنا ان غفرت فليس للتاريخ ان — يكتب لعصر مقبل أن يغفرا
لا يرحم التاريخ فى الأحكام ان — قاضى مسيئا أو أدان مقصرا

◆ ◆ ◆ ◆

أعلى الفدائيين نلقى عبئنا — ونطل من خلف الستار لننظرا ؟
أين الذى يلقى الأعادى جهرة — ممن يغير عليهمو متسترا
يا معشر (الفتح) المبين وجنده — حييتمو جندا وطبتم معشرا
أنقذتمو شرف العروبة بعد ما — أمسى على وجه التراب معفرا
وبذلتمو أرواحكم لبلادكم — ثمنا وجل المشترى والمشترى
يا ليتنى قد كنت فى يد بعضكم — لغما يصيب به العدو مدمرا
أو حربة مسنونة أو مدفعا — متفجرا أو صارما أو خنجرا
ما ضر شعبا أنتمو من أهله — أن يستطيل على الشعوب ويفخرا
انا لنرجو أن يكون صمودكم — لنكوصنا يوم الحساب مكفرا
النصر حسبكمو اذا فزتم به — فخرا وحسب شهيدكم ان يؤجرا
لو يعلم الشهداء أجر جهادهم — ودوا لو ان الموت فيه تكررا
قولوا لمن رزق الشهادة منكمو — يصف الجنان وحورها والكوثرا
والله ما خدم البلاد كمفتد — قد ذاد عن حرماتها متنكرا
لا المجد أمل من وراء جهاده — كلا ولا اتخذ الاغارة متجرا
من يذكر الأوطان ينسى غيرها — أجدر بها هى وحدها أن تذكرا
شنوا عليهم كل يوم غارة — فى كل واد فى المدائن فى القرى
وقفوا لهم فى كل درب واكمنوا — تحت السفوح وحلقوا فوق الذرى
لا تتركوهم ينعمون بروضة — فى القدس أو يجنون كرما مثمرا
ان يطعموا وجدوا الطعام مسمما — أو يشربوا وجدوا الشراب مكدرا
أو يدرجوا فوق الثرى لا تلبث الأ — قدام بالألغام أن تتعثرا
أو يرقدوا حلموا بفرد منكمو — قد هب من تحت السرير مشمرا
وثقوا بأنا لاحقون بكم غدا — ولسوف نعلنه جهادا أكبرا

نَشيدُ الفَداء

كفكفى الدمع واهتفى   يا ابنة القدس للأسود
أوشك الليل يختفى   وسنا فجرنا يعود

محنة اليوم أيقظت   هاجعات العزائم
والجراحات أرهفت   عزمنا للعظائم

فاسمعى أسد يعرب   يملأ الأرض زأرها
قد وهى من ترقب   لغد الثأر صبرها

زحفت كاللهيب لا   يعترى بأسها الكلال
تتخطى الى العلا   لجج الموت والنكال

ضاق باللغو صدرها   يتلهى به ((الكبار))
وتراءى مصيرها   كالحا ملؤه الشنار

فمضت تزرع الردى   فى الروابى وفى البطاح
مقلة ترصد العدى   ويد تحضن السلاح

كفكفى الدمع واهتفى

للأستاذ : محمد المجذوب
الجامعة الاسلامية
المدينة المنورة

قد عرفنا طريقنا   بعد سيل من البلاء
فانطلقنا جميعنا   فى سباق الى الفداء

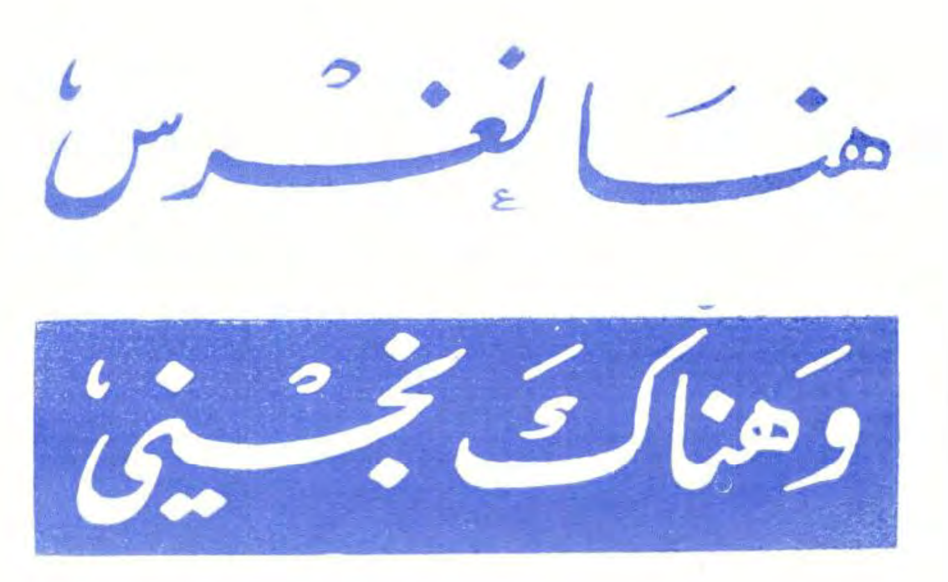
فيلقا فجر الأمل   فى الطلول الهوامد
كل حربه مثل   للمثنى وخالد

لا يبالى اذا مضى   غير مرضاة ربه
هو سهم من القضا   من له طاقة به

عاهد الله مقسما   لا عرا جفنه الهجود
قبل أن تجرف الدما   ما بنى الغدر من حدود

فرويدا .. لقد دنا   حينكم يا بنى القرود
وغدا تهتف الدنا   كان يوما هنا يهود

نحن للبأس والهدى   قد خلقنا وللخلود
كم رمتنا يد الردى   ثم عدنا الى الوجود



الكسب النظيف . مصادره . مصارفه . صور مشرقة

للشيخ : مصطفى الطير
الأستاذ بكلية أصول الدين
ـ جامعة الأزهر ـ

نقرأ القرآن العظيم فنجد فيه آيات كريمة تذم الدنيا وتحذر من العمل لها ومن الحبو وفى تحصيل أسباب المتاع فيها ، ومنها قوله تعالى « اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد » الآية .

ونقرأ سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فنرى فيها أحاديث عجيبة تدعو الى نبذ أسباب الرفاهية فيها والابتعاد عن الاستكثار من ألوانها ومنها قوله صلى الله عليه وسلم «ألهاكم التكاثر . يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت» وقوله : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » .

فاذا قرأنا ذلك قال قائلنا ، لقد وضعتنا رسالة الاسلام الناسخة لما سواها من الأديان فى موضع المواجهة لكل أصحاب الملل والنحل ، ولا يمكننا الانتصار عليهم الا اذا أعددنا لهم ما نستطيع من قوة ، وللقوة دعامتان احداهما روحية والأخرى مادية . وتتمثل القوة المادية الى جانب الجنود الشجعان المؤمنين فى الحصون والقلاع ومختلف أنواع الأجهزة الدفاعية والهجومية على المستوى العالمى الرفيع فهل

نستطيع تحقيق هذه الدعامة المادية بدون مال ، فاذا قلت كلا : قال : وهل يأتى المال الا عن طريق يسار الأمة ووفرة مواردها منه حتى يستطاع جمع المال منها عن طريق الزكاة أو الضرائب المختلفة ليجتمع للدولة منه ما تحقق به أسباب المنعة من أعدائها والعزة والهيبة بين العالمين، فان قلت كلا أجابك متسائلا هل هذا الذى حصلت به العزة والمنعة جاء الا عن طريق العمل للدنيا ؟

ثم قال ألم يخلقنا الله لنعيش الى نهاية آجالنا ونربى أولادنا ، وننفق فيما أوجبه علينا من الزكاة والحج والجهاد ؟ فان قلت : بلى ، قال . فلماذا حذرنا القرآن والسنة من العمل للدنيا مع ان العمل لها من ضرورات الدفاع عن الدين والوطن ، كما أنه من ضرورات الحياة وتحقيق ما فرضه الله من الفرائض المالية .

والجواب أن تحذير الكتاب والسنة قائم على الاهتمام بالجانب الدنيوى واهمال الجانب الأخروى فاذا عملت لدنياك من أجل دينك ووطنك ونفسك وأسرتك ، ولم يؤثر ذلك على أخلاقك وعقيدتك وعملك للدار الآخرة فان عملك للدنيا يصبح واجبا شرعيا ، فان من القواعد الأصولية أن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب .

ومن أجل ذلك جاء الحض على الاشتغال بها قال تعالى « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » وقال « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » وقال « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » الى غير ذلك من الآيات وقال صلى الله عليه وسلم « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيركم من أخذ هذه وهذه » وقال « نعم المطية الدنيا فارتحلوها تبلغكم الآخرة » وقال كما جاء فى سنن البيهقى « اعمل عمل امرىء يظن أن لن يموت أبدا واحذر حذر امرىء يخشى أن يموت غدا » .

وذم رجل الدنيا عند على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال الامام على (الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها) ولم يمنع سلفنا الصالح ورعهم وتقواهم عن الاشتغال بها وأداء حق الله فيما يكسبونه حتى أثرى بعضهم ثراء عريضا كما سنذكره فيما بعد تحت عنوان صور مشرقة لبعض الأغنياء فاذا جاء المال من سبيل مشروع كالتجارة والزراعة والصناعة وأنفق فى طاعة الله ، وما أحل الله من متع الحياة فانه يرضى الله تعالى فليس على أهل الثراء بأس فى أن يظهروا نعمة الله عليهم ويستمتعوا بها فى قصورهم المشيدة وبساتينهم النضرة المثمرة وزينتهم المباحة ، على ألا يتكبروا بهذه النعمة على عباده ، ولا يطغوا فى الأرض ، بل يزدادوا به تواضعا واقبالا على الخير « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

الكسب النظيف :

على كاسب العيش أن يطلب حلال الرزق فانه هو المشروع على لسان النبيين والمرسلين ، قال تعالى « يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم » فالطيبات هى ما أحله الله من الأرزاق وقد أمر الله بأكلها جميع المرسلين واتباعهم الى جانب أمرهم بالعمل

الصالح ، ووعد المتثلين وتوعد المخالفين بقوله « انى بما تعملون عليم » .

ومما جاء فى تحريم الكسب الآثم قوله صلى الله عليه وسلم « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » وقوله « من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار » .

وبلغ من عقم الحرام وسوء عاقبته أن صاحبه يعاقب عليه ولو أنفقه فى وجوه الخير ، قال صلى الله عليه وسلم « من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحما أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله جمع الله ذلك كله ثم قذفه فى النار » .

ولهذا كان السلف الصالح يتورعون عنه وعما فيه شبهة ، فان علموا بعد الأكل أن ما أكلوه من اثم تخلصوا منه روى البخارى عن عائشة قالت (كان لأبى غلام يخرج له الخراج (أى يتكسب له) وكن أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يوما بشىء فأكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام أتدرى ما هذا . قال وما هو : قال تكهنت لانسان فأعطانى ، فأدخل أصبعه فى فيه وجعل يقىء حتى ظننت أن نفسه ستخرج ، وقال اللهم انى أعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء « والتكهن التحدث بالغيب وهو حرام وأجره حرام ، وما كان على أبى بكر اثم فى أكله دون علم ، ولكنه فعل ما فعل ورعا وكراهة منه لما حرم الله .

مصادر الكسب المشروعة وغيرها :

مصادر الكسب المشروعة معروفة كالتجارة والزراعة والصناعة والاستخدام والميراث والهبة والهدية (فالحلال بين والحرام بين) .

ومن الناس من يستحل الرشوة وهى ما يعطى بقصد الحصول على منفعة دنيوية ممن يأخذها وأولئك المستحلون لها يزعمون أنها هدية ، وبالغ بعض آكليها فجعلوها شرطا لقضاء مصالح الناس ، فليعلم آكلوها أنهم ما يأكلون فى بطونهم الا النار ، سواء أخذوها بشرط أو بدونه فانها سحت والسحت حرام ، قال صلى الله عليه وسلم (يأتى على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية) . وروى أبو حميد الساعدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (بعث واليا على صدقات الأزد ، فلما جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك بعض ما معه وقال هذا لكم وهذا لى هدية ، فقال عليه الصلاة والسلام ألا جلست فى بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقا ثم قال : مالى أستعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذا لى هدية ، ألا جلس فى بيت أمه ليهدى له ، والذى نفسى بيده لا يأخذ منكم أحد شيئا بغير حقه الا أتى الله يحمله ، فلا يأتين أحدكم ببعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تبعر ثم رفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه ثم قال اللهم هل بلغت) .

وسئل ابن مسعود عن السحت فقال . يقضى الرجل الحاجة فتهدى له الهدية ، وشفع مسروق شفاعة فأهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها ، وقال لو علمت ما فى قلبك لما تكلمت فى حاجتك ، ولا أتكلم فيما بقى منها .

وأهدت امرأة أبى عبيدة بن الجراح الى خاتون ملكة الروم خلوقا (طيبا) فكافأتها بجوهر فأخذه عمر وباعه وأعطاها ثمن خلوقها ورد باقيه الى بيت المال .

فليعتبر بذلك من يعوقون مصالح الناس حتى يحصلوا على الرشوة ، وليعلموا أنهم على شفا جرف هار .

فضل الكسب والحث عليه :

قد علمت مما سلف أن الدنيا مزرعة الآخرة ، واعلم أن الناس ثلاثة أصناف :

صنف شغله معاشه عن معاده فهو هالك .

وصنف شغله معاده عن معاشه فهو فائز ، لكنه مقصر لتركه فضيلة السعى فى طلب الرزق بالكسب الشريف .

وصنف معتدل وهو من شغله معاده ومعاشه فعمل لكليهما وهو الذى ينبغى للمؤمن . فقد قال تعالى مادحا له : (وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله) وقال صلى الله عليه وسلم يحض على طلب الرزق (من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم فى طلب المعيشة) وقال يحض على التجارة والصدق فيها (التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء) ، وقال يحض على الصناعة والنصح فيها (أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع اذا نصح) .

وقال يحض على التجارة : (عليكم بالتجارة فان فيها تسعة أعشار الرزق) ، وقال (الأسواق موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها) .

وقال يبغض فى السؤال (لأن يأخذ أحدكم حبلة فيحتطب على ظهره خير من أن يأتى رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه) وقال : (اليد العليا خير من اليد السفلى) .

وقال لقمان لابنه : يا بنى استعن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر أحد قط الا أصابته رقة فى دينه وضعف فى عقله ، وذهاب مروءته ، واستخفاف الناس به .

وقال عمر : « لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » . وكان زيد بن أسلم يغرس فى أرضه ، فقال له عمر : أصبت ، استغن عن الناس يكن أصون لدينك وأكرم لك عليهم .

وسئل ابراهيم بن أدهم عن التاجر الصدوق أهو أحب اليك أم المتفرغ للعبادة ؟

فقال : التاجر الصدوق أحب الى لأنه فى جهاد يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ، ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده .

وبالجملة أقول ، على كل مسلم أن يتخذ له مهنة شريفة يتعيش منها فانها تحفظ الكرامة ، وتعين على الطاعة ، وتبعث على الطمأنينة ، والرضا ، وتساعد على رفع مستوى الأمة ، قال صلى الله عليه وسلم : « ان الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغنى بها عن الناس) ويعجبنى ما قاله أبو سليمان الدارانى (ليست العبادة أن تصف قدميك ، وغيرك يقوت لك ، ولكن ابدأ برغيفيك فأحرزهما ثم تعبد) .

مصارف المال المشروعة :

المصارف المشروعة للمال ثلاثة :

١ — الأول أن ينفقه على نفسه فى عبادة كالحج والجهاد ، أو فيما يقويه عليها كالمطعم والملبس والمسكن

والزواج ونحوها على قدر الكفاية ، وهو يثاب على ما ينفعه فى ذلك فى حدود ما يعينه على دينه ، أما ما زاد على ذلك فهو من حظوظ الدنيا فـلا يثاب عليه لكنه مباح ما لم يصرفه عن الله تعالى أو ـ يطغيه على عباده .

٢ ـ الثانى أن يصرفه فى جهات خيرية عامة كالمساجد والقناطر والمستشفيات والمدارس والمساعدة فى تسليح الجيش والاوقاف المرصدة للخيرات ، والصرف فى ذلك دائـم النفع لصاحبه ما دام يـؤدى الغرض الذى أنفق من أجله لما فيه من نفـع العباد المستمر .

٣ ـ الثالث أن يصرفه بين الناس صدقة أو مروءة أو وقاية للعرض أو أجرة لعامل ، والكل يؤجر عليه ، أما الصدقة فعلى الفقراء والمساكين وهى تطفىء غضب الرب وتجعل صاحبها يوم القيامة فى ظلها حتى يقضى الله بين عباده كما جاء فى الحديث .

وأما المروءة فتكون على المياسير والأشراف فى ضيافة وهدية واعانـة ومما يجرى مجراها ، وهذه لا تسمى صدقة لأنها لغيـر فقيـر ومسكين ، ويثاب المنفق عليها لأن بها يكتسـب العبد اصطناع المعروف وصفة الكرم واحراز الاخوان والأصدقاء ، وهذا مما يعظم الثواب فيه ، وقـد وردت أحاديث كثيرة فى الهدية والضيافـة واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر فى مصارفها ، على أن يقصد بها وجه الله تعالى .

وأما وقاية العرض ففى صرفـه لقطع ألسنة المغتابين والسفهاء ودفع شرهم ، ومنع هجو الشعراء وهـذا غرض دينى يثاب عليه لقوله صلى الله عليه وسلم (ما وقى المؤمن به عرضه فهو له صدقة) كيف لا ، وكف المغتاب عن الغيبة ومنع العداوة المترتبة على الغيبة صدقة !!

وأما دفعه للعامل ففى نظير عمله فى متجرك أو مصنعك أو مزرعتك أو منزلك أو غير ذلك ، ولا شك أنـك تثاب على هذا ، لأنك هيأت للعامل عملا شريفا يكسب منه عيشه ، كما أنك أرحت به نفسك أو أهلك مـن بعض المتاعب ووفرت بعض الوقـت للعبادة أو للقراءة أو راحة الجسـد والأعصاب ، فان الاجهاد ضار بهما ، وكل ذلك من الأغراض الدينية التى يثاب عليها .

صور مشرقة لمياسير المسلمين :

كان السلف الصالح يقدرون حق الله فى أموالهم فكانوا ينفقون بسخاء فى الأغراض العامة أو على المحتاجين فهذا أبو بكر رضى الله عنه . أسلم وعنده خمسون ألف درهم أنفقها كلها فى سبيل الله تعالى ، فكان يشترى منها الأرقاء المسلمين ، الذين يعذبهم سادتهم لاسلامهم ، ويعتقهـم ، وفى غزوة تبوك جاد بماله كله فى تجهيز الجيش ، فقال صلى الله عليه وسلم ماذا أبقيت لأهلك يا أبا بكر ، قـال أبقيت لهم الله ورسوله .

وجهز عثمان بن عفان ثلثمائة بعير وخمسين فارسا فى غزوة تبـوك ، وأنفق على مجاهديهـا عشرة آلاف دينار فقال صلى اللـه عليه وسـلم (اللهم ارض عن عثمان فانى عنـه راض) وجاد عمر بن الخطاب بنصف ماله .

وفى عام المجاعة فى عهد عمر ، جاءت قافلة لعثمان بن عفان من الشام تبلغ ألف بعير محملة بالسمن والقمح وما يحتاج اليه الناس ، فهرع التجار اليه لشرائها ، فجرى بينه وبينهـم الحوار الآتى :

بكم تشترون منى هذه القافلــة ، قالوا نعطيك ربحا خمسا فى المائـــة من ثمنها ، فقال وجدت من يعطينى أكثر فزادوه الى عشر فى المائة ، فقال عندى من يعطينى أكثر ، فقالوا نحن تجار المدينة ، وقد وصلت القافلــة الآن ، فمن الذين يعطونك أكثر ؟ قال : انى وجدت الله يعطينى على الواحد عشرة ، الى سبعمائة ضعف ، الى ما شاء الله ، أشهدكم أننى بعتها للــه وجعلتها صدقة على المسلمين وتبرع بها للشعب .

وكانت عائشة رضى الله عنهــا كثيرة الصدقات بعث اليها مـــرة بعطائها وقدره : مائة وثمانون ألــف درهم . فتصدقت به ، وليس عندها الا ثوب قديم ، وكانت صائمة ، فقالت لها خادمتها . هلا اشتريت لحمــا بدرهم ، لتفطرى عليه ، فقالت لــو ذكرتنى لفعلت .

فانظروا كيف تذكر المســاكين ، وتنسى نفسها وصيامها ؟

وكان الامام الليث بن سعد واسع الثراء ، اذ كان دخله سنويا يزيد على سبعين ألف دينار وكان يتصدق بـــه كله ، وكان لا يتكلم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا .

ومن عجائب كرمه أنه اشـــترى دارا فى المزاد ، فلمــا أرســل من يتسلمها وجد بالدار أيتاما وأطفــالا صغارا ، فسألوه أن يترك لهم الدار ، فلما أعلم الليث بذلك ، وهبها لهم ، ومعها ما يصلح شأنهم من المال .

وخرج عبد الله بن المبارك المحدث مع أصحابه الى الحج ، فاجتاز بعض البلاد ، فمات طائر معهم فأمر بالقائه على المزبلة ، فخرجت جارية من دار قريبة فأخذت الطائر الميت ، ولفته ، وأسرعت به الى الدار ، فلما سألها : لم أخذت الميتة ؟ قالت : انها وأخاها فقيران لا يجدان شيئا ، ولا يعلم بهما أحد ، فأمر ابن المبارك برد الأحمال ، وقال لوكيله : كم معك من النفقة ؟ قال : ألف دينار . قـــال ابق منهـــا عشرين دينارا ، وأعط باقى الألف الى الجارية ، وعد بنا الى مرو . فهـــذا أفضل من حجنا فى هذا العام ورجع ولم يحج .

وقد تفنن هؤلاء المياسير فى أبواب البر ، فمنهم من كان يقف على تزويج البنات . والشبان ، فيتقدم الفتى أو الفتاة الى قيم الوقف ، فيعطيه من المال ما يفى بحاجة زواجه ، ومنهم من وقف على تعويض الأطباق التى تكسر من الخدم والأطفـــال ، فيذهب الخادم أو الطفل الذى كسر طبقه الى قيم الوقف ، فيعرض عليه جزءا من الاناء المكسور ، فيعطيه مثله عوضا عنه ويعود به الى ذويه ، ويتقى شر العقاب .

وقد وقف صلاح الدين الأيوبى وقفا لامداد الأمهـــات بالحليــب الـــلازم لأطفالهن ، وجعل فى أحد أبواب قلعة دمشق ميزابـــا يســيل منـــه اللبن والحليب ، وآخر يســـيل منه المـــاء المحلى بالسكر ، فتأتى الأمهات ليأخذن ما هن بحاجة اليه منهما ، وغير ذلك كثير ، ولمثل هذا فليعمل العاملون .



بحث بين التفسير واللغة

للشيخ جلال الحنفي ـ بكين

فى القرآن الكريم « قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس .. »

ان وصف الدم بكونه مسفوحا لا يعنى انسكابه عند ذبح الدابة المذبوحة فلو كان كذلك لما قرن بخبيثين أحدهما الميتة والآخر لحم الخنزير ..

فلا بد أن نلاحظ طبيعة اللفظة القرآنية لنتبين المعنى الذى يفيده النص الكريم ولنرى ما هو الدم الذى نزلت الآية الكريمة بتحريمه ..

ان لفظة السفح جاءت فى القرآن وصفا للزنا وهو من أشد المستقبحات المحرمة فى كل عرف ودين ، فقد قرأنا قوله تعالى « محصنات غير مسافحات » و « محصنين غير مسافحين » انما أطلقت هذه الصفة على ذلك لما فى الزنا من هدر أكرم أنواع الدماء التى يجب حمايتها وحقنها ..

وآيات تحريم الدم وان كانت قد جاء بعضها فى القرآن غير موصوف بالسفح فانها تعنى الدم نفسه لا ضربا آخر منه ..

أما لماذا وصف الله الدم بتلك الصفة فان الذى يبدو لنا أن الله عنى به أسلوبا فى معاملة الانعام كان حريا أن يوصف بالسفح لما فيه من عدوان ظاهر وايلام وقسوة وأذى للحيوانات التى يقع عليها ذلك الأسلوب .

فلقد كانت الناس فى أيام الجاهلية يفصدون الابل فيأكلون ما ينزف من دمها ويطعمون منه ضيفانهم ، حين كانت نفوسهم لا تسخو بذبح ناقة أو جمل .. وكثر هذا عندهم . ففى القاموس أن رجلين باتا عند اعرابى فالتقيا صباحا فسأل أحدهما صاحبه عن القرى فقال له : ما قريت وانما فصد لى . فقال له : لم يحرم من فصد له ..

وجاء فى الشعر الجاهلى :

وقد يترك الغدر الفتى وطعامه اذا هو أمسى ــ جلة من دم الفصد

يكنى به الشاعر عن أخس أنواع المآكل المعروفة لديهم ..

وكان من العرب من يأنف أن يصنع هذا ففى كتاب الابدال لأبى الطيب اللغوى/قال : الأصمعى كان حاتم الطائى أسيرا فجاءته النساء بناقة ومفصد وقلن له افصد هذه الناقة فأخذ المفصد فلتم سبلتها أى نحرها وقال هكذا « فزدى أنه » أى فصدى أنا ثم قال :

لا أفصد الناقة من أنفها لكننى أوجرها العالية

وفصد الناس من أنفها يؤدى الى أن ترعف فينزف أنفها دما ...

والعرب تسمى بعض ضروب هذا اللون من المآكل المتحصلة من الدماء المفصودة « العلهز » وهو على ما جاء فى القاموس طعام من الدم والوبر كان يتخذ فى المجاعة .. ويسمون بعضا منه بالفصيدة وهى على ما جاء فى القاموس تمر يعجن ويشاب بدم ..

وورد فى أمثلتهم « لم يحرم من فصد له أى لا يبيت الضيف محروما اذا وجد لى من يطرقهم دما مفصودا يأكله ..

قال أبو الفتاح عثمان بن جنى فى كتابه « سر الصناعة » وقالوا فى مثل لهم « لم يحرم من فزد له » وتأويل هذا ان الرجل كان يضيف الرجل فى شدة الزمان فلا يكون عنده ما يقريه ويشح أن ينحر راحلته له ، فيفصدها فاذا خرج الدم سخنه للضيف الى أن يجمد ويقوى فيطعمه إياه فجرى هذا المثل فى هذا فقيل « لم يحرم من فزد له » أى لم يحرم من القرى من فصدت له الراحلة فحظى بدمها .. »

وقال ان سيدة « فيه وسبب هذا المثل أن الرجل فى شدة الزمان اذا أضاف رجلا ولم يجد ما يقريه فصد للضيف ناقته وسخن الدم الى أن يجمد فيطعمه إياه .. »

وسماه الزمخشرى فى الاساس « الفصيد » وقال فيه « وفى المثل

لم يحرم من فصد له أى لم يخب من نال بعض حاجته من الفصيد الـــذى كان يعمله أهل الجاهلية فى الأزمة . .

وفى كتب لحن العوام « للزبيدى المتوفى سنة ٣٧٩هـ » وتقول العرب فى مثل لها ــ لم يحرم من فزد له ــ يعنون من فصد له ذراع البعير وكانوا يفعلون ذلك عند المجاعات ويطبخون الدم ويأكلونه . . » .

وفى القاموس « الفصيد دم كان يوضع فى معى ويشـــوى « وفى تفسير الطبرسى » وكانوا يجعلونه ــ أى الدم فى المباعــر ويشــوونه ويأكلونه . . »

ونرى أن الدم الذى حرمه القرآن هو هــذا ، وليس غيره وانمــا حرمه وسماه دما مسفوحا أشعارا بما يكون فيه من ظلم الحيوان الأعجم والتجنى عليه وأساءة معاملته . .

وقد عرف استعمال الدم لدى العرب قبل الاسلام ففى كتاب « القيان والغناء فى العصر الجاهلى للدكتور ناصر الدين الأسد ــ ص ١٥٢ طبعة بيروت سنة ١٩٦٠ ــ ما نصه (وأقرب ما عثرت عليه من النصوص الى فترة الجاهلية الأخيرة هو النص الذى ذكره نيــلوس NILUS فى

أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس للمسيح ــ يصف لنا فيه مناســك العرب من أهل البادية فى شمال الجزيرة العربية وشعائرهم حين تقديمهم القرابين فيذكر أنهم كانوا يعدون مذبحا بسيطا من الحجارة والصــخور المتراكمة ثم ينيخون الناقة التى يختارونها للقربان ويطوفون بها ثلاثا طوافا هادئا وقورا يقودهم رئيسهم وهم (يغنون ويرتلون . ثم يطعن رئيســهم الناقة فى أوداجها الطعنــة الأولى بينما يرتــل المجتمعون آخر كلمــات الأغنية ــ التسبيحة ــ ثم يعبون مسرعين من الدم المنبثــق ثم تنهــال الجماعة كلها على القربان بسيوفهم ويقطعون قطعا من لحمه » .

وعرف مثل ذلك لدى شعوب أخرى ــ بعد الاسلام ــ فقد جاء فى رحلة « ماركوبولو » .

المطبوعة فى بغداد سنة ١٩٥٩ قوله بالنص المعرب (وفى حالة قيام أحد رؤساء قبائل المغول بحملة حربية كان يترأى مائة الف فارس لــكل منهم ثمانية عشر رأسا من الخيل . وكانوا فى بعض الاحيان عندما لا يكون لديهم متسع من الوقت لاعداد طعامهم يفتحون أوردة الخيل ويشربــون دمهــا .

وليس لدى اليوم من المراجع ما يمكننى من متابعة هذا الموضـــوع على وجه التفصيل ولكنى أجد أن تحريم الدم فى التنزيل العزيز انصب على هذه النواحى . .



يكتبها : عبد المنعم النمر

الكلام وحده لا يكفي :

يلاحظ القارىء أننى أخذت فى ثلاثة اعداد متتالية — وسأستمر— أطارد كل فكر دخيل ، يحاول بكل أساليب المكر والخداع والاستغلال ، أن يصرف المسلمين عن دينهم ، ليخلو له الجو ، ويسيطر على كيان المسلمين ، ويمحو كل أثر للاسلام فى نفوسهم وفى منطقتهم .

ولكن الحق الذى لا بد لنا من قوله مع هذا ان الكلام وحده لا يكفى لصد تيار هؤلاء الغزاة ، فالجماهير لا تأكل كلاما ، ولا تكتسى بورق ، ولا تعالج بالتمائم ، ولا ترفع الدعوات عنها ظلم الظالمين ، ولا استغلال المستغلين . انها تريد عملا وحلا لمشكلاتها ...

والحقيقة الواقعة أن هؤلاء الغزاة الفكريين يستغلون تخلف المجتمع ، وما يموج به من فساد وتحكم وظلم ، ويرفعون بين الناس شعارات الاصلاح والعدل والتكافؤ .. والمساواة و و .... عن طريق مذاهبهم ، ليزحفوا ويكسبوا نفوسا وأرضا جديدة ..

والمسلمون الذين يرون النار حولهم والشرر يتطاير اليهم ليحرق دينهم وتراثهم ، ويحرقهم ، ثم يتصرفون بلا مبالاة ولا وقاية تاركين عوامل السخط تتفشى .. يعطون هؤلاء الغزاة قوة فى زحفهم .. ويقدمون لهم من حيث لا يشعرون السلاح الذى يكتسحوننا به ..

وأن الانسان العاقل الغيور ليعيش الآن كل لحظات حياته فى عجب يكاد يدفعه الى مصحة الامراض العقلية ..

أمة كبيرة تتغلب عليها شرذمة قليلة ، وتغرقها فى بحر من العار .. وتعرف سر نكبتها ، والطريق الى انتصارها ، ومحو العار عن جبينها .. ثم .. ثم .. نراها مع ذلك غارقة حتى الآن فيما كانت فيه قبل الهزيمة من خلاف وتفتت ، وكيد لبعضها البعض واتهامات لأبنائها تسمم الجو وتثير الشك فى كل العاملين !!!

ونراهـــا منصرفة عن العمل الجـــدى لكسب الحـــرب ، الى أشياء أخـــرى لا صلة لها مطلقـــا بظروف الامة التى تنازل عدوا كاسرا ماكرا .... كأننا أمة تعيش فى رخاء وأمان !!

والذى يتتبع الأمور الآن يبكى دما .. ومع ذلك نجد الاصـــوات تعلو لا بد من كسب الحرب ، لماذا لا نحارب ؟ لماذا لا نثأر ؟

والثأر أمر ضرورى ، ولكن هل أعددتم للحرب عدتها ؟ .. هل حفظتم الالف والباء من واجباتها ؟؟ هل كونتم من أنفسكم صفا واحدا على قلب رجل واحد ؟!! لا شىء !!

أشياء متناقضة : آمال عريضة ، وأعمال وتصرفات غريبة !!

وهل يغير الله سنته فى عباده من أجل آمال تجول فى الخواطر ؟!

والغريب أننا جميعا نقول هذا الكلام .. ثم لا نرى عملا جادا حاسما !!

هذه واحدة ...

والثانية أننا جميعا ندرك الخطر الذى يتهدد ديننا وتراثنا ، ويتهددنا من دعوات غريبة علينا ، ونعرف الاسباب التى تساعد على مضاعفة هذا الخطر . ثم نتمادى فى خلق هذه الاسباب وتغذيتها !

مجتمعات تحتاج الى اصلاح لا تمتد اليها اليد الحازمة للاصلاح .. يســـتغل الغزاة نواحى الفساد فلا نعالجها ، وما يشكو منه الناس من ظـــلم فلا نرفعه ، وما يئنون منه من الانصراف الى الانانية فلا نفكر فى ترك انانيتنا .. وطبول الخطر تدق قريبا منا ، وربما على أبوابنـــا . والكثير لا يسمعون ، وهم فى غفلة ساهون أو فى طغيانهم يعمهون ..

هل يمكن للكلام والدفاع المسطور على الورق او المسموع فى الهواء أن يصد هذا الخطر ، والحال كما نرى ؟

لا أظن .. فان ذلك ليس من سنة الله فى الامم ..

سنة الله فى الأمم تقول « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

سنة الله فى الأمم تقول : « واذا أردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »

سنة الله فى الامم تقول : وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »

وليس الفسق أو الكفر فى الآيتين يراد بهما شىء خاص ، مما قد يتبادر الى الذهن ، بل هما كل صور الخروج عن سنن الله وتعاليمه ، أو سنن الحياة فى بناء الامم ورقيها .. السنن العملية من اشاعة العدل والمساواة واعطاء الحقوق أصحابها وعدم الاستغلال ، أو عدم الأثرة ثم ورعـــاية أحوال الناس وتعهدها بالاصلاح ، وقيام كل فرد بواجبه فى موقعه الذى يعمل به .

هذه هى سنن الله لبناء الأمم أو السنن العملية التى عرفناها من التاريخ والواقع . كل من سلكها وصل الى غايته ولو كان جاحدا ، وكل من تركها هلك ولو كان مسلما .

ومع كل هذا الذى نعرفه ترانا أو نرى الكثير منا منصرفا عن هذه السنن ، أو لاهيا عنها فى سكرته أو غفوته ، وهو يظن أن تغيير الحال من المحال ، وأن الامور ستظل كما يريد !!!

ابدا يا قوم .. فلا بد من اليقظة ولا بد من دراسة الواقع ، ومعالجته بالطرق الســـليمة المنتجة معالجة عملية ، يأخذ فيها كل ذى حق حقه .. لا بد أن نتنازل عن كثير من رغباتنا الجامحة ونولى اصلاح المجتمع كثيرا من العناية ، حتى يمكن انتزاع عوامل السخط فيه ، ونزرع بدلها حبا وتعاونا يحولان بين شعوبنا وبين الارتماء فى أحضان المذاهب الخطرة ...

رحلة وذكرى :

أكتب لك هذا وأنا على ابواب السفر الى لندن للعلاج نزولا على مشورة الأطباء هنا .. وسفر

كهذا لا بد أن يثير فى نفسى كثيرا من الخواطر الشخصية والعامة .. ولكن لا أرى أمامى الآن ما أحب أن أشركك معى فيه الا خاطر واحد ألح على ، وأثار فى نفسى الكثير من التفكير والألم ...

اننا الان نهرع الى بلاد الغرب ، نلتمس الطب ، ونلتمس الكثير من العلوم والصناعات ، فأتذكر أياما مضت كان الغرب فيها يهرع الينا فى الاندلس وغيرها يلتمس طبا وعلما وحضارة .. وأسائل نفسى : لماذا لم تستمر هذه النهضة وتتقدم ، حتى تظل قائدة النهضات العلمية والصناعية فى العالم ؟ !

وارجع الى تاريخ المسلمين فى تلك القرون التى تخلفنا فيها فأجد أن ضعف زعمائهم وقادتهم، واختلافهم فيما بينهم ، فتت قوتهم ، وأوقف سيرهم ، وصرفهم عن العناية بما كان فى أيديهم من وسائل النهضة ، فانتكست ، وغطت الامة الاسلامية فى نوم عميق ، وتسلم الراية غيرهم وساروا بها ، وتصدروا مكان الزعامة العلمية والصناعية فى العالم وأصبحنا نلتمس عندهم ما فقدناه ، وما كانوا يلتمسونه عندنا من قبل .

فمتى نقف على قدمينا ونحتل المكانة التى هيأنا لها ديننا وتاريخنا ؟

واننى وأنا على أبواب السفر أتساءل كثيرا : ماذا سأرى هناك بعد أن قرأت الكثير ؟ وماذا سيثيره ذلك فى نفسى من خواطر وملاحظات يمكن أن أشركك معى فيها ؟

ذلك متروك لتدبير الله وعونه .

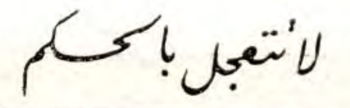
مع القراء في رسائلهم

ولا بد أن نقضى سويا بعض الوقت مع اخوانى القراء فى خواطرهم ورسائلهم ..

فالسيد (محمد على القدومى) بالقوات المسلحة بالاردن يسألنى عن « رجل له والداه وهما غير محتاجين اليه ، ويحب الولد الانقطاع للعبادة فى مكان بعيد عن والده الذى يكره مفارقته وذلك ليسلم من المآثم » .

لا رهبانيـــة :

وأقول للأخ الفاضل ان هذا الاتجاه السلبى لا يجوز فى الاسلام ، ولا سيما فى مثل هـــذه الاوقات . وكل مسلم عليه أن يعمل ما يستطيع للسلامة من المآثم ولا يؤاخذ بما لا يستطيع .. ولو أجاز الاسلام مثل هذه الرهبانية لتحول الكثير منا اليها وتركوا الحياة لغيرهم ، يزيدونها فجورا على فجور ، وفقرا على فقر ، والفرار من الحياة كالفرار من المعركة . فليعمل ما يستطيع لتطهير نفسه وتطهير من حوله .. ولا يكلف الله نفسا الا وسعها .. على أن باب الجنـــة يا أخى مفتوح على مصراعيه الآن على أرض فلسطين الشهيدة . فبدلا من الانقطاع فى قرية ، عليه أن يتقدم للمعركة ويحمل مدفعه مخلصا لله .. وليدخر لنفسه ولأمته عند الله ما يحوز به على رضاه ، ان كان حقا ممن يطلبون رضاه ..



وكتب الاخ عبده مصطفى من الاسكندرية يعترض على ما ورد فى مقال الاستاذ عطية الابراشى فى عدد المحرم الماضى . من أن الرسول توفى ودرعه مرهونة عند يهـــودى .. ويقول أن هـــذا من الاسرائيليات ، وان هذا الحديث سمعه من الشيخ سيد سابق فى برنامج « نور على نور » وانه كتب للاستاذ أحمد فراج بذلك الخ ..

ونحن مع شكرنا للسيد الاخ على غيرته ومتابعته لمـــا يسمع أو يقرأ نقول له : ان الفيصل فى مثل هذا الامر ، هو كتب الاحاديث الصحيحة ، وان من الواجب عليه قبل أن يعترض أن يرجع اليها ويعرف مدى قوة هذا الحديث ومن رواه ..

ولو أننا فتحنا البـــاب لآرائنا نقول عن كل حديث لا يتفق مع وجهـــة نظرنا وتفكيرنا انه من الاسرائيليات ولو كان فى أكثر كتب الاحاديث وأعلاها دقة وصدقا لفتحنا الباب واسعا لهدم كل ما جاء فى كتب الاحاديث .. ولفقدنا بذلك المصدر الثانى فىتشريعنا بعد كتاب الله .. ثم ان الادلة التى استند اليها من أن الاسلام يأمر بالقوة ، وأن الرسول طرد اليهود ، وغير ذلك لا تنهض حجة أبدا للطعن فى هذا الحديث . اذ لا منافاة بين ما أورده وبين رهن الدرع عند يهودى كان لا يزال فى داره بالمدينة مسالما ولم يكن ممن تحزبوا على الرسول وطردهم .. واذا كانت لدى الرسول بعض الدنانير عند وفاته فهذا على فرض صحته لا يمنع حادثة الرهن اذ من الجائز أن يكون أجل سداد الدين لمـــا يحل ، وأن هذه الدنانير لم تكن كافية لسداد الدين .. ذلك كله جائز فليس فيما ذكرت دليل قطعى على رد الحديث .. هذا من ناحية البحث العقلى المجرد .

ولنرجع بعد ذلك الى كتب السنة لنعرف مدى صحة هذا الحديث ، وهى الفيصل فى هـــذا الامر ، كما قلنا فقد روته كل كتب السنة تقريبا ، ونصه كما جاء فى البخارى — كتاب الجهاد باب ٨٩ ما قيل فى درع النبى صلى الله عليه وسلم مرفوعا عن عائشة رضى الله عنها « توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعا من شعير » .

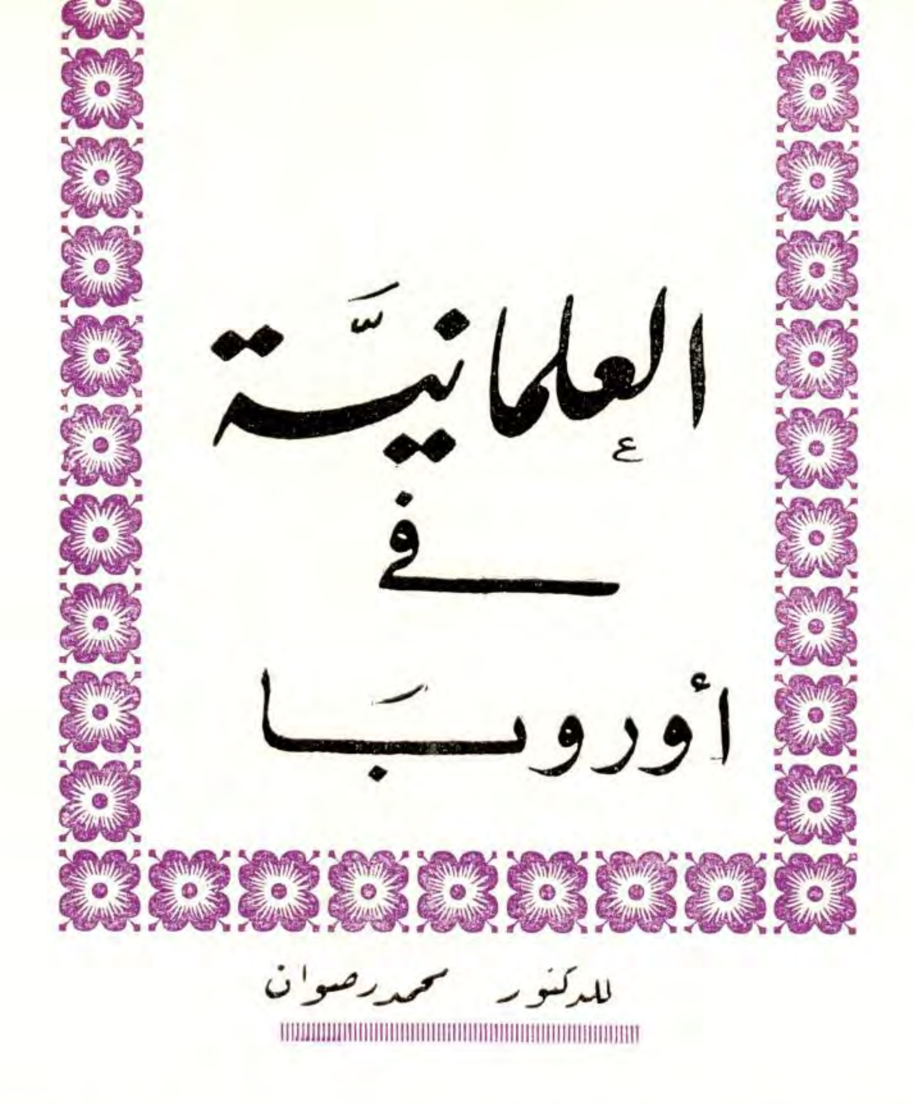
فلا تتعجل بالحكم ، وارجع الى كتب الحديث قبل أن تحكم .

شىء من الدقة

وكتب لى السيد روحى عمر بكلية الحسين بالاردن يراجعنى فيما قلته فى العدد ٤٩ عن جواز الحج اذا كان نتيجة مسابقة جائزتها الحج الى بيت الله (ويلفت انتباهنا الى ضرورة مراجعة هذا الافتاء) وأنا أشكره على متابعته لمـــا يقرأ وكتابته لنا بما يراه ، وأقول له : ان قولك فى رسالتك « وكلنا يعرف أن الحج لا يجوز الا اذا كان العازم قادرا على النفقة .. الخ » يحتاج الى شىء من الدقة فتضع بدل كلمة لا يجوز « لا يجب » فالحج لا يجب الا على القادر المستطيع .. ولكن اذا تبرع غنى بنفقات الحج لفقير أو أخرجت حكومة أو شركة أو هيئة بعض موظفيها الفقراء للحج على نفقتها أو رصدت هيئة أو شركة جائزة الحج للموظفين الاكفاء .. بدلا من ذهابهم الى أوروبا مثلا .. فهل نقول فى هذه الحالة لا يجوز لهؤلاء أن يحجوا بمعنى لا يصح حجهم ولا تسقط الفريضة عنهم ؟ كيف وقد أصبح هؤلاء بما هيأته الدولة أو الشركة من الحج قادرين ومستطيعين ؟ والثواب يا أخى على قدر الاخلاص ولا يمكن أن يقاس أبدا بمقدار ما ينفقه المرء من ماله فحسب . فكثير ممن يذهبون على نفقتهم يعودون مأزورين غير مأجورين .. وانما الاعمال بالنيات والاخلاص .

هـــدية

مع هذا العدد هدية أرجو ان يحرص كل قارىء عليها ، حتى لا يتركوا للباعة حرية التصرف فيها .. وهى جديرة بـــأن تقرأ على نطاق واسع لما فيها من الحقائق الغريبة التى تخفى على الكثيرين .



للدكتور محمد رضوان

ليست العلمانية بالفكرة الجديدة بمفهومها ، لكنها تأخذ اليوم فى عالم الواقع الذى نشأت وتوسعت فيه مفهوما يختلف عن مفهومها النظرى . فهى فى حد ذاتها فصل الدين عن الدولة ، وهذا يعنى بالمفهوم الأوروبى جعل السلطة مستقلة تمام الاستقلال عن رجال الدين وعدم اعتبار الدين قاعدة انطلاق لتنظيم الدولة والمجتمع .

هذه الفكرة لم تنشأ فى أوروبا الا كرد فعل على الاخطاء التى ارتكبت من رجال الدين باسم الدين كاضطهاد الأقليات الطائفية مثلا . فالتاريخ يحدثنا عن الحروب بين الطوائف الدينية اذ كانت الأكثرية الساحقة تحاول فرض معتقدها على الأقليات . فمن هنا كان اضطهاد الكاثوليك للبروتستانت ، وكذلك كان اضطهاد اليهود من قبل الدول المسيحية عامة ، بروتستانتية كانت أم كاثوليكية .

لكن هذه الاضطهادات لم تكن لتحدث لو أن التسامح الدينى وحرية المعتقد كانا قاعدتين من قواعد الدولة الحاكمة فى ذلك الوقت ، فالنفوس كانت مغلقة على نفسها ، وكانت تعتقد أن كل ما يناقض أو يعارض مبادئها ليس سوى هرطقة تجب ازالته بحد السيف وهذا الاعتقاد قد كلف أوروبا دما كثيرا ، وهو ما زال يكلف الانسانية ثمنا باهظا فى الأرواح

غير أن الأمر الذى ساعد أكثر فأكثر على نجاح فكرة العلمانية فى أوربا هو عجز السلطات الدينية عن مسايرة حضارة العصر ، بشكل جعل بعض المفكرين لم يترددوا بنعت الدين عندهم نعتا محقرا ، « فأوغيست كونت » « وليفى برول » اعتبراه لا يصلح الا لتنظيم الشعوب البدائية وأكدا أنه ليس

سوى خطوة من خطوات الانسانية نحو المبدأ العلمى البحت الذى سيلغى كل ما كان قبله ، وكذلك فان فكرة « كارل ماركس » بأن « الدين أفيون الشعوب » لم تكن لتتكون لو أن رجال الدين كانوا على المقدرة الكافية لمواجهة الحضارة الحديثة بمشكلاتها العديدة المختلفة . فالدين برجاله فى أوروبا وقف وقفة المتفرج خلال الفترة الأولى من نشوء وانتشار الأفكار والتيارات الفلسفية المعاصرة ، الأمر الذى جعل المسافة بينه وبين هذه الأفكار والتيارات كبيرة وكبيرة ، والامر الذى جعله أيضا غير صالح بالنسبة للحضارة الحديثة ، وهذا وان كان قد حصل فى أوروبا الا أنه يمكن أن يتكرر كذلك مع كل معتقد يتوقف أصحابه عن التعمق فيه ، وينغلقون على أنفسهم دون أن يجددوا فى أفكاره وتنظيماته ليغطوا ما جد من أحداث مكتفين بما ورثوه عن أجدادهم من أقوال لم تكن سوى وجهات نظر فى فهم الشريعة مناسبة للزمن الذى وجدت فيه .

فالذى ساعد على نشوء العلمانية فى أوروبا لم يكن اذن بصورة اجمالية الا الأخطاء التى ارتكبت باسم الدين فأثارت بعض المفكرين عليه وسمحت لهم باغتنام الفرصة لمحاربته والسعى لهدمه ، والمهمن هذا هو أنه لم تلبث فكرة العلمانية أن انتصرت وأقيمت الدولة العلمانية ، لكنه فى الواقع لم تقم الدولة العلمانية والمجتمع العلمانى الا بشكل صورى ، أعنى أن هذه الدول لم تتخل عن دينها وان الدين لا يزال له نفوذه وهذا واضح حاليا فى عدة ميادين سنكتفى بذكر الخصائص الأساسية لها .

الميدان السياسى

لنأخذ أولا الميدان السياسى ، حيث نجد أنه لا يوجد فى أوروبا اليوم بلدا يعمل فيه رجال الدين باسم الدولة على تنظيم الدولة سياسيا باسم الدين . لكن هذا الأمر لا يتنافى والتدخل الغير المباشر الذى هو عمل من وراء الستار ، فالعالم يعلم موقف السلطات الروحية الاوروبية من الحروب التى تحدث فى الفيتنام . وكذلك من حوادث تشيكوسلوفاكيا وبيافرا ومن مشكلة الشرق الاوسط العربى فى فلسطين المحتلة . انه لا شك أن التدخل العلنى الذى يحدث يقتصر على التصريحات فقط ، مما يجعله يظهر للبعض بأنه ثانوى ولا يمكن أن يكون له أى مفعول فى توجيه الحركة السياسية . لكن الحقيقة الواقعة لا تؤيد مثل هذا الظن ، لأنه من الواضح أن رأى رجال السلطة الروحية له أكبر الأثر على توجيه وجدان المؤمن ، سواء أكان المؤمن من العامة أم من الخاصة ورجال السياسة الذين يهمهم الأمر ، ويدركون الحقائق التى هى أساس تحريك الشعوب وتوجيهها لم يترددوا فى سيرهم نحو هذه السلطات الروحية التى فرضت نفسها بفضل كفاءتها ، متوسلين اليها وطالبين المعونة منها ، الأمر الذى جعل السلطة الروحية تعلو واقعيا على السلطة السياسية والعسكرية ، وهذا واضح لأن السلطة الروحية هى سلطة الايمان الذى ينبع من أعماق النفس ، وهى سلطة الثقة بالمبدأ والعقيدة وبمن يمثلهما . وليس هناك غير هذه الناحية بالذات وراء حاجة رجال السياسة لرجال الدين فى أوروبة المعاصرة .

والشيء نفسه يوجد على صعيد الحياة الاجتماعية . اذ أن الدين هو المحرك ــ لكن من وراء ستار أحيانا ــ للمجتمع فى حياته الخاصة والعامة ، غير أن هذه الحقيقة لا تبدو واضحة فى بادىء الأمر . وذلك لأن تعاليم الدين الأخلاقية منها والدينية قد غيرت كثيرا من شكلها الخارجي واتخذت شكلا يقوم على الانفتاح والتسامح المبنيين على القواعد العقلية وعلى الثقة بالذات ، وهذه الناحية يمكن تبينها بالنظر فى تنظيم المجتمع فى حياته العادية ، فعلى هذا الصعيد نجد أن المسيطر هى التقاليد التى هى فى الأصل تقاليد دينية ، وهذه التقاليد تطبع اليوم الفرد بطابع خاص فى سلوكه الفردى والاجتماعى والسياسى .

والظاهرات الاجتماعية التى تؤيد هذه الناحية كثيرة يكفى أن لا نذكر منها مثلا سوى العطل الرسمية . هذه العطل منها ما هو دينى ومنها ما هو غير دينى، لكن أكثرها عطل دينية . وهنا تخضع الدولة فى نظامها العلمانى لتنظيم اجتماعى دينى . وهناك أمر آخر وهو أن الفرد لا يستقبل عيده اللادينى بنفس الأهمية التى يستقبل بها عيده الدينى ، فليس هنالك عيد ثورة أو عيد استقلال يأخذ الأهمية التى يأخذها على الصعيد الفردى والاجتماعى عيد الميلاد مثلا أو عيد الفصح والذى يحدث هو أن الفرد حتى ولو كان غير متدين فانه لا يشعر بالعيد الوطنى الا فى اليوم الذى يكون فيه العيد ، وذلك لأن الأعمال تعطل فيه رسميا، فى الوقت الذى يبدأ فيه بالتهيؤ لاستقبال عيده الدينى قبل أن يأتى العيد الدينى بأيام وأيام .. هذه الظاهرة الاجتماعية تعبر عن نفسية الفرد والمجتمع وتفيد بأن الفرد فى المجتمع الأوروبى لم يتشرب العلمانية ولم تستطع هذه الأخيرة أن تصبح شيئا ينبع من أعماق نفسه باعطائه تقاليد حياة جديدة تحل محل التقاليد القديمة ، وهنا يصح الجزم بأن الذى يساعد على تثبيت قدم التقاليد الدينية التى تتخذ قالبا علمانيا انما هو رجال الدين المعاصرين الذين أدركوا قبل أن يسبقهم الزمن وتغلبهم التيارات الدهرية أن عليهم أن يلبسوا الدين وتقاليده ثوبا عصريا جديدا يفوق بأناقته وجاذبيته ثوب التيارات الدهرية ، والمجتمع الكنسى الأخير لم يكن له غير هذه الغاية بالذات .

وهناك يقظة

وهنالك حقيقة أخرى لا تقل أهمية ، وهى أنه يوجد فى أوروبا المعاصرة يقظة دينية جعلت العلمانية تقف موقف العاجز عن متابعة السير ، هذه اليقظة ليست سوى يقظة الشعور الدينى على الصعيد الفردى والاجتماعى والسياسى، والظاهرات التى يؤيد هذه الناحية كثيرة .

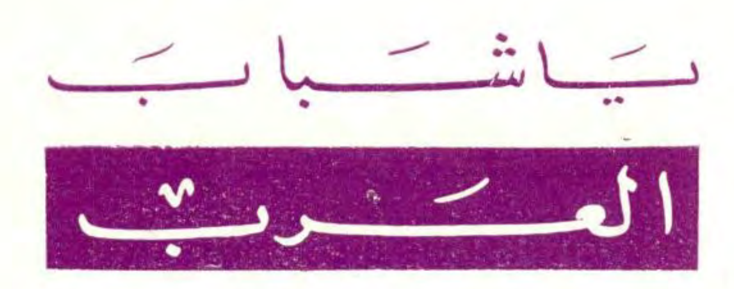
ففى أيرلندا حدث أخيرا اصطدام بين الكاثوليك والبروتستانت ، وطالب هؤلاء الأخيرون بالمساواة بالكاثوليك ، الأمر الذى يوضح بجلاء أن هنالك تفرقة قائمة على أساس الدين وأن العلمانية لم تنجح فى جعل الايرلندى يعامل مواطنه الايرلندى ليس على أساس الدين الذى يعتنقه بل على أساس الوطنية ، وكذلك

فان اقامة دولة لليهود فى فلسطين لم تحدث الا حبا بالتخلص من اليهود فى البلاد الأوروبية ، وايمانا من قبل اليهود بأنهم غرباء فى المجتمع الأوروبى ، وان الذى هو كائن الآن فى أوروبا هو أن الأوروبى بصفة عامة لا يعتبر اليهودى الأوروبى كأوروبى ، وهو ان كان لا يصرح بذلك علنا ، فهو يعبر عنه فى سـلوكه العام ومعاملته لليهودى ، وهذا يعنى أن العلمانية لم تستطع أن تحصر الدين فى الفرد فقط ولم تستطع أن تجعل أبناء الطوائف المختلفة الذين يعيشون فى بلد واحد يشعرون أنهم أخوة فى الوطن بصرف النظر عن كونهم غير أخوة فى الدين .

لا يمكن اذن الجزم بأن العلمانية قد نجحت فى تحقيق غايتها التى هى اقامة دولة ومجتمع ينحصر فيها الدين على الصعيد الفردى فقط ، وذلك لأن الصعيدين الاجتماعى والسياسى ليسا سوى نتيجة حتمية للصعيد الفردى . وهذه الناحية تقود الى الاستنتاج بأن العلمانية يشق عليها أن تنجح فى بلد يكون فيه الشعور الدينى يقظا ، والواضح اليوم هو أن القضاء على الشعور الدينى لم ينجح حتى فى البلاد التى تدين بالالحاد رسميا . لذلك نرى أن العلمانية تظهر فى كل يوم شيئا جديدا من أوجه عجزها وتقف مكتوفة الأيدى ازاء المشكلات التى يعانيها المجتمع الذى ولدت فيه لكن هل هذا يعنى أنها فى طريق الافلاس النهائى ؟ ان تطور الزمن سيجيب لا شك عن هذا السؤال بما سيحمله من مفاجآت .

الوعى الاسلامى :

نجد بيننا الآن أصواتا تتحمس لهذه العلمانية يريدون أن يجلبوها الى البلاد الاسلامية ، تقليدا للغرب ، وجهلا بحقائق الاسلام وتاريخه الفكرى الناصع وقدرته على استيعاب كل تقدم علمى وصناعى وفكرى ، بل وحثه أتباعه على احراز هذا التقدم ، ونحن لا ننكر أن الجمود العقلى تجاه التشريع والحياة المتجددة يعطى هذه الاصوات سلاحا لتحارب الدين به ، ولهذا فنحن بجوار حملتنا على هذه الاصوات العلمانية ووقوفنا فى وجهها لا نعفى رجال الشريعة عندنا من لوم لتكاسلهم وعدم مبالاتهم ، أو لتزمتهم ، وقصورهم الذهنى ، أو تملقهم عـامة المسلمين رغبة فى أخذ موقف شعبى على حساب الشريعة وادعاء بالمحـافظة عليها ، غير ناظرين الى العجلة التى تدور ، وربما تطحن الدين كله فى دورانها . لا أدعو بهذا الى التحلل من الشريعة مجاراة للعصر . فهناك قواعد أصيلة يجب الحفاظ عليها ، وهناك بعد ذلك تفريعات عليهـا يمكن أن تتغير بتغير الزمان والمكان. الامر الذى أعطى الاسلام قوة الصمود وجعله صالحا لكل زمان ومكان ، وهذه الاخيرة هى مجال التحرك والعمل للعلمـاء وللمجامع العلمية التى علق المسلمون عليهم فيها الآمال لتكييف مشكلاتهم ، وللآن لم يظفروا منهم بطـائل ، وكلما أبطأ هؤلاء فى عملهم أعطوا أعداء الدين من العلمانيين والالحاديين فرصة العمل وكسب مزيد من الانصار على حساب الدين . .





للأستاذ : أحمد محمد جمال

أستاذ الثقافة الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز

نبحث أولا فى معنى الثقافة لغة ومعناها فى المصطلح الحديث ومفهومها الحضارى الواسع كنظرية فى السلوك الانسانى أكثر منها نظرية فى العلم المجرد.

ثم نبحث — ثانيا — فى موضوع (الثقافة الاسلامية) كضرورة اجتماعية لكل فرد مسلم ينتمى الى مجتمع الاسلام وتلزمه (الثقافة) علما وعملا .

اذا رجعنا الى القواميس المختلفة ؛ القديمة والحديثة ، بما فيها دوائر المعارف . نجد أن مادة (الثقافة) على تعدد أشتقاقاتها تعنى :

(الحذق — والفطنة — والذكاء — وسرعة التعلم) والثقيف/ هو الفطين الحاذق. وتثقف ثقافة صار حاذقا خفيفا . وثقف الكلام فهمه بسرعة . وثقف الصبى : هذبه وعلمه ، والثقاف : المرأة الفطنة ..

فالثقافة — اذن — معناها : الحذق والفطنة اذا كان الفعل لازما ، وهى بمعنى التهذيب والتقويم اذا كان الفعل متعديا .

أما (الثقافة) فى المصطلح الحديث ومفهومها الحضارى فى عصرنا الحاضر — فهى أوسع معنى وأعم مدلولا . وان كان هذا المعنى أو هذا المدلول نابعا من المعين القديم .

فالثقافة — بمفهومها الحديث — هى حالة تفاعل بين عوامل كثيرة أهمها : القانون ، والسياسة ، والصناعة والتجارة والعلوم ، والتكنولوجيا ، وشتى فنون التعبير والاتصال والأخلاق (كما يقول جون ديوى من رجال التربية الغربيين المعاصرين) .

والثقافة أيضا ــ عند المفكرين العصريين .. هى الحصيلة الطبيعية للقراءة الواعية والدراسة المستمرة .. لأفكار الآخرين ومشاعرهم ونظرياتهم وتجاربهم أى أنها أعمق من مجرد التعليم والتقويم .. أنها تعنى منح الأنسان حيوات متعددة، بدلا من حياة واحدة ، وأعمارا مع العمر . وهذا ما يعنيه الاستاذ العقاد حين يقول : (ان القراءة دون غيرها هى التى تعطينى أكثر من حياة واحدة ، فى مدى عمر الأنسان الواحد . لأنها تزيد هذه الحياة من ناحية العمق وان كانت لا تطيلها من ناحية الحساب) .

□□□

أما الثقافة بمفهومها الحضارى ، وتأثيرها الاجتماعى : فانها هى التى تمنح الأمة طابعها المميز فى فهمها لطبيعة الحياة والتزامات الأنسان ، وتجديد مركزه فى مجتمعه ومعرفة علاقته بمواطنيه ، وبالناس خارج وطنه ، وكيفية تفاعله مع القوى والعناصر الانسانية والكونية .. كما يقول الاستاذ (حسن برغش) .

والثقافة بهذا المفهوم وهذا التأثير ــ هى مجموعة القيم الخلقية والتقاليد الاجتماعية التى يتلقاها الفرد فى مجتمعه منذ ميلاده الى وفاته .. أى أنها المحيط الذى يعكس حضارة معينة تضم ثمرات الفكر من علم وفن وقانون وأخلاق .

وهنا نستطيع ــ بعد هذا الايضاح لمفهوم الثقافة وتأثيرها الاجتماعى أن ندرك الفرق بين معنى (الثقافة) والعلم .

فالمفهوم الصحيح لمعنى الثقافة أنها نظرية سلوك أكثر منها نظرية معرفة . اذ أنها تهيىء الانسان للحياة الحضارية المتمناة ، وتعينه على التطور الاجتماعى المطلوب .

وفى ضوء هذا الايضاح الموجز لمعنى الثقافة لغة واصطلاحا وتأثيرا حضاريا فى الجماعة المثقفة والفرد المثقف على السواء ،

وعلى أساس مفهوم الثقافة على أنها نظرية سلوك أكثر منها نظرية علم مجرد .. نتطرق الى الحديث بايجاز أيضا ــ عن الثقافة الاسلامية كضرورة اجتماعية للمسلمين عامة وللجيل الناشىء الصاعد بصفة خاصة .

فنحن هنا نتحدث الى الشباب العربى عن الثقافة الاسلامية على أساس أنها المعرفة والفهم والاقتناع والسلوك .لأن معنى الثقافة ــ ما أسلفنا ــ لغة واصطلاحا وتأثيرا اجتماعيا : هو الفطنة والحذق والاستجابة الذكية للتهذيب والتقويم والتعليم .

ان الشباب العربى ــ فى كل أقطارهم ــ لا ينقصهم العلم والفهم .. فمجالاته التعليمية والأعلامية والمكتبية متوافرة بين أيديهم . وهم يتلقون (المعرفة) على مختلف فنونها واختصاصاتها صباح مساء فى المدرسة والجامعة ، والاذاعة والتلفاز ، وفى المكتبة والنادى . وقد يحفظون عن ظهر قلب الوف الصحائف من المقررات العلمية والأدبية والتاريخية . ولكنهم لا يتفاعلون معها ، ولا يستجيبون لتجاربها وأفكارها ، ولا يتذوقون حلاوة المعرفة بها . وانما يتعلمون ما يتعلمون ويحفظون ما يحفظون للنجاح فى الأمتحان ، والألتحاق بمرحلة أعلى فى الدراسة، حتى يظفروا بالشهادة ثم بالوظيفة .. ولا علم بعد ذلك ولا عمل أى لاثقافة .. بالمعنى الحضارى المطلوب .

والشباب العربى ــ من ناحية أخرى ــ يفتقدون الثقافة العربية الأصيلة ، ولا يجدون التخطيط السليم لمنهج ثقافى عربى اسلامى مستقل ، بعيد عن الخليط

المضطرب من الثقافات الغربية المختلفة .. التى تسربت الى أوطانهم ، وتأثرت بها مجتمعاتهم .

ولقد دعا كثير من المفكرين العرب الى النظر فى ثقافتنا القديمة والثقافة العصرية بمنظار حاجاتنا الحاضرة ، فلا نقتبس من الغير الا ما يلائم منازعنا الخاصة : الدينية والقومية .

ودعا آخرون الى احياء تراثنا الثقافى المدفون فى المخطوطات القديمة لاستمداد أقوى عناصره ، وأفضل مبادئه ، وأكرم مثله .

ونادى فريق آخر بأن ندرس واقعنا النفسى والاجتماعى دراسة عميقة .. للاطلاع على منازعنا وحاجاتنا . لأن جهلنا بأنفسنا يجعل تخطيطنا الثقافى مفعما بالتخبط والاحتلال .

وقال بعض رجال التربية العرب : أن علينا أن نفضل مناهجنا التربوية على أبعاد (أطفالنا) وحاجات (مجتمعنا) فلكل مجتمع أوضاعه الخاصة ومطالبه الملحة .

□□□

ونحن عند ما نقول : ثقافة عربية أصيلة .. فانما نعنى ثقافة الاسلام ، اذ لا مفخرة للعرب الا بالأمجاد الحضارية والعلمية والقانونية التى اقترنت برسالة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ،

لذلك ينبغى للشباب العربى المسلم أن ينشد ثقافة اسلامية اصيلة ، بعيدة عن سيطرة الافكار الأجنبية التى تخالف عقيدته الصافية من الأخلاط والشبهات أو تناقض خلقه الكريم الذى يمتاز بالطيبة والطهر والعفاف والشهامة والاباء .

كما ينبغى للشباب العربى المسلم أن يلاحظ بعين الاعتبار أمرا مهما .. هو زاده فى الطريق الطويل وسلاحه فى المعركة الدائمة .. طريق العلم الصحيح ومعركة العمل الصالح .

ان هذا الامر المهم الذى أود أن أوجه انتباهكم اليه ليس بعيدا عن موضوع بحثنا ،ولا هو مقطوع الصلة به . بل هو منه فى الصميم ، وهو مفتاحه الثاقب ومصباحه المنير .

فنحن نتحدث عن (الثقافة الاسلامية) كنظرية سلوك وعمل ، وكواجب اجتماعى ، نحمله طلبا وجهدا ، ونؤديه لأنفسنا ولمجتمعنا حرية وعدلا وسلاما .

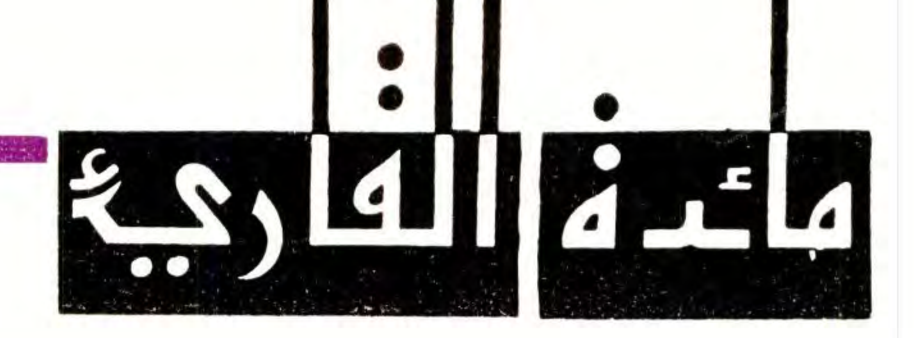
فلا بد لكم — اذن — من زاد للطريق الطويل ، ولا بد لكم كذلك من سلاح فى المعركة الدائمة .

□ وهذا الزاد هو الايمان ....

□ وهذا السلاح هو التقوى ....

وصدق الله العظيم اذ يقول : « واتقوا الله ويعلمكم الله » واذ يقول « وتزودوا فان خير الزاد التقوى » .

ولقد أثبتت تجارب الحضارة الانسانية خلال عصورها الغابرة والحاضرة وبخاصة فى العصر الذى نعيشه .. حيث التقدم العلمى والتفوق التكنولوجى — أن (العلم) وحده لا يكفى لاسعاد الانسان وترشيد سلوكه وطمأنينة روحه وسكينة نفسه ، بل لا بد مع (العلم) من تقوى .. من خلق .. من ايمان أى لا بد مع العلم من دين ينظم سلوك الانسان ويجعله من المثقفين المهذبين



ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور رحيم ،

(قرآن كريم)

جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله عن أفضل الاعمال قال : الصلاة . قال : ثم مه . قال : الجهاد . قال : فان لى والدين ، فقال آمرك بوالديك خيرا . فقال : والذى بعثك بالحق نبيا لأجاهدن ولأتركنهما قال : فأنت أعلم .

ـ حديث شريف ـ

وفاء الزوجة

قام النساء حين رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد يسألن عن أهلهن ، فلم يخبرن حتى اتين رسول الله ، فلا تسأله واحدة الا أخبرها ، فجاءته حمنة بنت جحش فقال : يا حمنة احتسبى أخاك عبد الله بن جحش . قالت : انا لله وانا اليه راجعون ، رحمه الله وغفر له ، ثم قال : يا حمنة احتسبى خالك حمزة بن عبد المطلب قالت .. انا لله وانا اليه راجعون ، رحمه الله وغفر له ، ثم قال : يا حمنة احتسبى زوجك مصعب بن عمير . فقالت يا حرباه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ان للمرأة لشعبة من الرجل ما هى له فى شىء .

أم أنس

أم سليم سهل بنت ملحان الأنصارية ، احدى السابقات الى الاسلام والغازيات فى سبيله ، أسلمت ورسول الله بمكة ، وبايعته حين مقدمه الى المدينة ، وكان اسلامها على غير رغبة زوجها مالك بن النضر وكان ولدها أنس بن مالك يومئذ طفلا رضيعا ، فكانت تقول له : قل لا اله الا الله قل أشهد أن محمدا رسول الله ، فكان ينطق بذلك أول ما ينطق ، وكان هذا يثير زوجها فيقول لها : لا تفسدى على ولدى ولما يئس منها خرج الى الشام ، وهنالك كان مقتله فلما بلغها ذلك قالت لا جرم لا أفطم أنسا حتى يدع الثدى ، ولا أتزوج حتى يجلس فى المجالس ويأمرنى ، فكان أنس يعرف لها تلك المنة ويقول : جزى الله أمى عنى خيرا . لقد أحسنت ولايتى ، ثم تقدم لخطبتها أبو طلحة زيد وكان مشركا فأبت فلما أسلم قالت : له فانى أتزوجك ولا أريد منك صداقا غير الاسلام .

ونال ابنها أنس شرف خدمة رسول الله عشر سنوات حتى لحق بالرفيق الأعلى .

أسود ابن أبيض

يروى ان اعرابيا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : ان امرأتى ولدت غلاما أسود فقال — هل لك من ابل ؟ قال . نعم قال . ما الوانها ؟ قال . حمر . قال . افيها أورق — بعير جمع بين السواد والبياض — قال الاعرابى . نعم . فانى كان ذلك ؟ قال . اراه عرق نزعه — اى أن اصلا من أصول البعير كان أسود فجذبه اليه . قال . فلعل ابنك هذا نزعه عرق .

وقدم بعد ذلك من قبيلته شاهد بانه كان للأم جدة سوداء .

الغزالى

يضبط اسم الامام الغزالى على وجهين .

اما بتشديد الزاى نسبة الى غزال، وهو الذى يغزل الصوف ونحوه ، وكان أبوه رحمه الله غزالا ، واما بدون تشديد نسبة الى غزالة وهى علم لبلدة قرب « طوس » من أعمال خراسان ، وفيها كان مولده .

قال أحمد أخوه . لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضا أخى أبو حامد وصلى وقال . على بالكفن ، فأخذه وقبله ووضعه على عينيه وقال . سمعا وطاعة للدخول على الملك ثم مد رجليه واستقبل القبلة ومات رحمه الله .

ابن ألف ملك

فى كتاب « الهند والسند » رسالة بعث بها ملك الى أمير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز هذا نصها :

من ملك أملاك الذى هو ابن ألف ملك ، والذى تحته ألف ملك ، والذى ربطه ألف فيل ، والذى له نهران ينبتان العود والجوز والكافور ، والذى يوجد ريحه على مسيرة اثنى عشر ميلا .

الى ملك العرب الذى لا يشرك بالله شيئا .

أما بعد . فقد بعثت اليك بهدية ، وما هى بهدية ، ولكنها تحية ، وقد أحببت أن تبعث الى رجلا يعلمنى ويفهمنى الاسلام .

وافدة النساء

أتت أسماء بنت يزيد الانصارية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت. بأبى أنت وأمى يا رسول الله . أنا وافدة النساء اليك . ان الله عز وجل بعثك الى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبالهك ، انا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم وحاملات أولادكم وانكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله عز وجل ، وان أحدكم اذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا أموالكم ، وغزلنا أثوابكم وربينا أولادكم أفنشاركم فى هذا الأجر والخير ؟

فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم الى أصحابه بوجهه كله ، ثم قال هل سمعتم مسئلة امرأة قط أحسن من مسئلتها فى أمر دينها من هذه ؟

فقالوا . يا رسول الله ما ظننا ان امرأة تهتدى الى مثل هذا ؟

فالتفت النبى اليها فقال — افهمى ايتها المرأة وأعلمى من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله .

مكتبة التراجم العربية

بحث تاريخي ودراسة وصفية ونقدية

للأستاذ
عبد الرحمن أحمد شادي

التراجم احدى الفروع الهامة للتاريخ العام وقد بذل المؤرخون العرب همة فائقة وجهدا مشكورا فى التاريخ للأشخاص النابهين الذين سارت بذكرهم الركبان ، وامتلأت بمفاخرهم الكتب ، وأبقوا آثارا خالدة فى تراث الأمة العربية سواء كانت هذه الآثار علما نافعا ، أو سيرا مثالية ، ومواقف محمودة أو صدقات جارية .

ويرى الباحث المنصف أن هذا من مفاخر العرب فقد سبقوا الأوروبيين فى ميدان التراجم ، وعرض مؤرخوهم لحياة الأمة ممثلة فى أفرادها النابهين ، وهذا خير دليل على أن التاريخ لم يلتفت للخلفاء والامراء والولاة فقط ، وانما حظى بعناية كثير ممن سودهم العلم ، ورفعتهم المعرفة ، والمكتبة العربية حافلة وغنية بكتب التراجم الا انها فى حاجة الى من يجمع شتاتها ، ويرتب موضوعاتها ويؤلف بين ما تنافر من فرائدها ودررها ، لتسهل مهمة الباحث المنقب فى مفاخر الأمة العربية لتتأسى الأجيال الناشئة الطامحة بمن نبغ من أسلافها وأجدادها فى مختلف المجالات وشتى الميادين .

وليس هناك عاقل منصف يعرض عن تجارب من سبقوه ، ويرفض حكمة الاسلاف الذين عاشوا قبله على ظهر الأرض ، ومثلوا دور الحياة على مسرح الوجود ، وليس هناك من يستطيع أن يعيش بعقله فقط دون أن يستفيد وينتفع بثمرات المعرفة الناضجة والحكمة الخالدة ، وقد عانيت كثيرا من المشقة حين أردت البحث فى تاريخ بعض الأشخاص النابهين ، لأن من بعض عيوب التراجم

اضطراب التسلسل المنطقى فى أفكارها ، وبحث موضوعاتها ، والاختصار الشديد بحيث لا يجد الباحث الا بضعة سطور لا تسمن ولا تغنى من جوع ولا تبل من ظمأ . . .

ولذلك أحببت أن أيسر الأمر لغيرى ، وأن أعرض تجربتى فى هذا الموضوع ، لتكون دليلا مفيدا لمن شاء أن يتزود من المعرفة ، وأن ينقب فى تاريخ الأشخاص ، وخصوصا اذا كانت الاضواء التى القيت على حياتهم خافته ، ولم ينالوا حظا كبيرا من الشهرة جعلت تاريخهم سهلا مزودا بكثير من المراجع والمصادر . . . أو تعددت فيه النظرات والنواحى والزوايا . . . فمن اللازم على الباحث أن يعرف اسم الشخص ، ثم يحاول أن يجد شيئا عنه فى القواميس التاريخية العامة التى كان عماد العرض للمادة التاريخية فيها الاهتمام بالاسم ، وترتيب حروفه ترتيبا أبجديا ، ثم يشفع ذلك باسم الجد . وان كان ذا شهرة خاصة كمن اشتهر بالفقه أو بالقضاء أو باللغة أو بالبلاغة أو بالنحو بحث عنه فى الفصل التالى ، وهو لكتب اهتمت بتاريخ طائفة جمعت بينهم مهنة واحدة ، ورتبت أسماءهم على ترتيب المعاجم مثل القضاة أو الاطباء والفقهاء ، وعليه أن يعرف الفترة الزمنية التى عاش فيها الشخص المؤرخ ، ويبحث عنه فى كتب الطبقات أو تراجم القرون وان لم يسعفه ذلك بشىء أو وجد ما لا يغنيه ويكفيه ذهب الى كتب التاريخ العام ، فقد جرت عادة بعض المؤرخين بذكر تراجم لمن ماتوا فى السنة التى يذكر المؤلف حوادثها ، ان كان يسير على طريقة الحوليات مثل المقريزى شيخ المؤرخين فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) والجبرتى فى كتابه المشهور عجائب الآثار فى التراجم والأخبار والأمثلة كثيرة . . .

وقد اختلفت زاوية العناية ومناط الاهتمام عند طائفة من المؤرخين ، فقد اهتموا بالبلاد ، ووصفوها وصفا جغرافيا ، ثم أتبعوا هذا الوصف بذكر من نبغ من أبنائها ، واختلفت طرائقهم بعد ذلك فمنهم من رتب المترجمين بترتيب الحروف فى أسمائهم ، وخير مثل على هذا النسق كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، والاحاطة فى تاريخ غرناطة ، ومنهم من رتب أسماء البلاد على ترتيب المعاجم ثم يذكر من نبغ من أبنائها ، ومن الأمثلة على ذلك معجم البلدان لياقوت والخطط التوفيقية لعلى مبارك .

القواميس التاريخية العامة

آثرت هذه التسمية لأن الرباط الذى يجمع بين النابغين هو ترتيب الحروف الأبجدية فى أسمائهم وهو من أسهل الطرق فى تيسير مهمة الباحث . والفكرة منقولة عن علماء اللغة لتسهيل الكشف وتيسير البحث ونفى التكرار ، ومع هذه الميزات أو المزايا فإن هذه الطريقة لا تسلم من العيوب .

وأولها : أن يكون بين المتجاورين فى صفحة واحدة ما بين المشرق والمغرب أو ما بين العصر الجاهلى والعصر الحديث .

وثانيها : مزاحمة الشهرة للاسم ، فربما كان مشهورا باسم العائلة أو

الجد أو الوالد أو بصفة غلبت عليه لأية مناسبة حدثت فى حياته أو لعيب خلقى ، أصابه مثل الأعشى .. الأعمش .. المقريزى . الاحول ـ الخطيب القزوينى ـ الخطيب الشربينى ـ القرطبى ـ البخارى ، أو ينتسب الى البلد التى ولد فيها أو نشأ بها أو عمل فيها ، وقضى زمنا كبيرا من عمره فى ربوعها وقد تقدمت الأمثلة على ذلك.

وعلى أى حال فقد حاول بعض من عملوا فى هذا الميدان الاستدراك لأمثال هذه العيوب والمآخذ ، وارشاد القارىء بالفهرس مثلا ، وسيأتى ذلك قريبا بإذن الله .

وأول من استعمل هذه الطريقة الحافظ الكبير عبد الله بن عدى الجرجانى المتوفى ٣٦٥ هـ وله كتاب الكامل فى معرفة ضعفاء المحدثين ، ولم يطبع هذا الكتاب . والخطيب البغدادى صاحب كتاب تاريخ بغداد المتوفى ٤٦٣ هـ . كما ذكر الأستاذ أحمد محمد شاكر فى مقدمة مفتاح كنوز السنة تأليف الدكتور فنسنك وترجمة الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى المنشور بمصر . وذلك فى المقدمة . وقد حاول المقريزى أن يكون أكبر صاحب موسوعة للتراجم فى كتابه : المقفى الكبير الذى كان مقدرا له أن يكون فى ثمانين مجلدا ولم يتم منه الا ستة عشر مجلدا فقط وهو عام لكل الشخصيات فى تاريخ مصر ... وله كتاب آخر فى التراجم لمعاصريه فقط درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة .

ومن هذه القواميس التاريخية العامة المطول مثل وفيات الأعيان للقاضى أحمد بن خلكان المتوفى ٦٨١ هـ بلغت التراجم فى كتابه ٨٢٦ ترجمة ، وظهر من عنوانه أن المؤلف يصب اهتمامه الأكبر على سنة الوفاة ، وترتيب الأسماء على ما ذكرنا ، وطريقة الكشف فيه كطريقة الكشف فى القواميس اللغوية .

وقد ترجم لمن احتاجوا الى الذكر فى تاريخه . أما من بلغوا القمة فى الشهرة والغاية فى خلود الذكر وذيوع الصيت ، فقد تركهم مكتفيا بما نالهم من حظ عند غيره من المؤلفين والكتاب والمؤرخين ، وترجم للمشهورين على اختلاف وظائفهم ومهنهم فطبيب بجانب قاض ، وشاعر بجوار فيلسوف ، وطبع عدة مرات احداها سنة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ بتعليق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد ، ونشرته مكتبة النهضة المصرية ، ورقمه بدار الكتب المصرية ١١٦٧٨ح وراعى المعلق بعض المآخذ ، واستدرك ما فات المؤلف ، وحاول أن يكون قريبا من الكمال وان كان الكمال لله وحده ، وقد نوع المعلق الفهارس ، وجعل واحدا منها على ترتيب القرون : الأول والثانى والثالث الخ . وهذا ما يلقى ضوءاً كاشفاً على العصر الذى عاش فيه المترجم . وجعل فهرسا آخر للشهرة والمهن مثل القضاة ـ الوزراء ـ الكتاب الشعراء ـ المحدثين ـ وفهرسا للاسماء التى ضبطها مؤلف الكتاب ... وحديثى هنا مقصور على الطبقات التى أطلعت عليها من أى كتاب .

ثم ألف ابن شاكر الكتبى المتوفى ٧٥٤ هـ كتابه المشهور الذى سار فيه على نهج سلفه وسماه «فوات الوفيات» وطبع بمصر عام ١٢٨٣هـ وعام ١٩٥١م بتحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد ، وعدد التراجم فيه ٥٥٠ ترجمة ، وطريقة الكشف والبحث فيه مثل الطريقة السالفة الذكر .

ومن أكبر كتب التراجم الوافى بالوفيات للصفدى المتوفى ٧٦٤هـ وفى هذا الكتاب استثناء يسير فى ترتيب الاسماء اذ بدأ مؤلفه بمن كان اسمه محمدا تيمنا باسم الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ، وطبع منه ثلاثة أجزاء فى

استانبول ١٩٣١م بمعرفة جمعية المستشرقين الألمانية ، وهذه الأجزاء خاصة بمن اسمه محمد وفى حالة تشابه الاسم الأول يعود الترتيب الى اسم الأب .
ورقمه بدار الكتب المصرية ٤٣٠٥ ، ٢٤٠٦ ، ٤٨٥٠ تاريخ .

ولا بد من الاشارة هنا الى مجهود المستشرقين وعنايتهم البالغة بتراثنا المفقود ، وكتبنا النادرة وهو مجهود يحمدون عليه ، ويكفيهم انهم فتحوا عيوننا الى الاهتمام بكنوزنا المدفونة ، وكدت أستعمل التعبير القرآنى المشهور (الموؤدة) وأعتقد أن الله سيسألنا عن وأد كنوزنا ، وعن نومنا الى أن يأتى المستشرقون : ليفتحوا عيون الأجيال المتأخرة منا الى كتبهم وحضارتهم وتاريخهم المجيد . ولا بد أن يكون المسلم منصفا عملا بقول الله عز وجل « ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » وليس معنى ذكر حسنة من الحسنات التسليم بكل ما يقولون ويفعلون ، واغفال مآخذهم وعثراتهم وهفواتهم كما يتبادر الى أذهان البسطاء .

ومن كتب التراجم أيضا المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى لابن تغرى بردى نشر دار الكتب ١٣٧٥ هـ ١٩٥٦ ورقمه ١٤٩٣٧ح وهى تراجم تنتهى بعهده فى سنة ٨٧٤ هـ ١٤٦٩م .

ومنها الاعلام وموسوعة فى التراجم للمحبى المتوفى ١١١١هـ ١٦٩٩م وتشمل المشاهير فى مختلف القرون والعصور ، مرتبة على الحروف ، وله كتاب آخر سيأتى ذكره ان شاء الله فى كتب الطبقات وتراجم القرون وهو خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر ..

وكتاب الاعلام تأليف خير الدين الزركلى طبع فى عشرة أجزاء . ومن مميزاته ذكر التاريخ الميلادى الذى غلب استعماله فى العصر الحديث مع الهجرى الذى كان سائدا فى العصور الماضية فى الولادة والوفاة ان أمكن ذلك ... ومن مميزاته أيضا التغلب على العقبة التى تصادف الباحثين والتى أشرنا اليها من قبل وهى غلبة الشهرة على الاسم الحقيقى بحيث لا يعرف الا بها وبدلا من أن يتحير الباحث ، ويقف أمام هذه العقبة ، ويقضى وقتا طويلا ، حتى يعرف اسمه ، ساعد مؤلف الكتاب محب المعرفة وطالب العلم بأن يذكر الشهرة فى مكانها من ترتيب الحروف ثم يرشد القارىء الى اسم المترجم .

وللتمثيل على ذلك نجد أن الشاعر المعروف أبا العتاهية اسمه اسماعيل ، وان العجاج الراجز المشهور اسمه عبد الله بن رؤبة ويشير بالحرف ن الى كلمة انظر والجزء العاشر استدراك على ما فات المؤلف فى الاجزاء التسعة السابقة ورقمه بدار الكتب ٧١٩٢٠ح والكتاب مزود بالصور والخطوط وله ترجمة ذاتية مختصرة فى آخر الكتاب ...

وهناك عقبة أخرى تصادف الباحث وهى النطق الصحيح وضبط الاعلام التى ترد كثيرا فى كتب التاريخ والأدب ، وتنسب هذه الاعلام أحيانا الى لغات

أخرى غير لغة العرب ، ومن النادر أن تجد من يعرف نطقها الصحيح وضبطها المثالى ، فرأى مؤلف اعجام الاعلام أن يقوم بهذه المهمة وخصوصا بعد أن تطاول الزمن واكتسح التساهل الصحة والضبط ... واعجام الاعلام تأليف محمود مصطفى طبع فى مصر عام ١٣٥٤هـ ١٩٣٥م .

وقد تفنن كتاب التراجم فنجد بعض كتبهم تتخصص فى التاريخ لمن كانوا على اسم واحد ، ومن الامثلة على ذلك كتاب العقد المثمن فيمن اسم عبد المؤمن تأليف عبد المؤمن الدمياطى المولود عام ٦١٢هـ — ١٢١٧م والمتوفى ٧٠٥هـ — ١٣٠٦م ومثل كتاب الروض النافر فيمن اسم عبد القادر ، من أهل القرنين التاسع والعاشر تأليف عبد القادر العيدروس المولود ٩٧٨هـ — ١٥٧٠م والمتوفى ١٠٣٨هـ — ١٦٢٨م .

وهذا ملاحظ فى أن المؤلف يهتم بمن كان على اسمه ويبحث فى تاريخهم على مدار الأزمنة والعصور ولا حرج على الهوايات المفيدة .

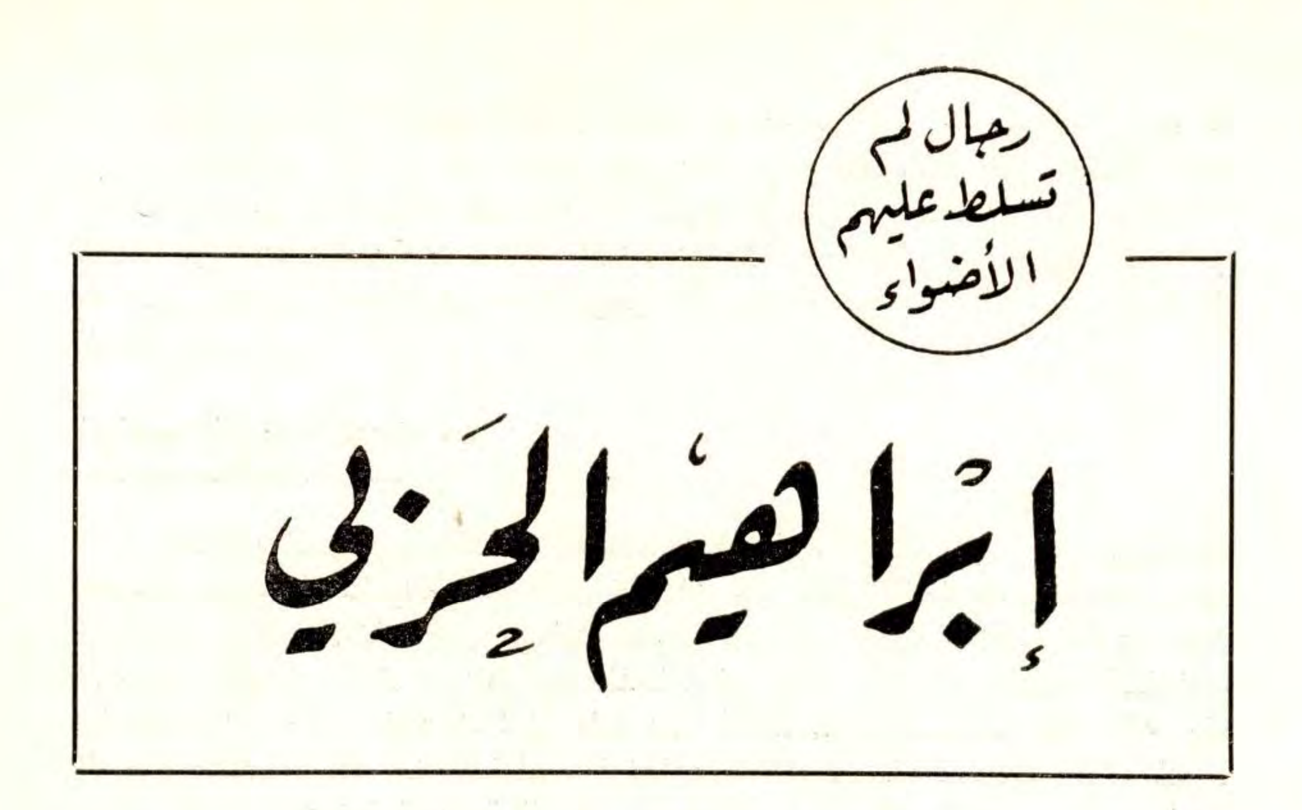
ومنها أخبار المحمدين من الشعراء للقفطى ورقمه ٢٢١٧ تاريخ مكتبة تيمور دار الكتب بمصر ومصور عنه نسخة بخزانة باريس وبها نقص .

واهتم بعض المؤرخين بالألقاب والكنى مثل كتاب الكنى والألقاب تأليف عباس القمى طبع فى مطبعة النجف الأشرف عام ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م ، وهو خاص بمن اشتهر بكنية أو لقب ، وهذا مما يساعد الباحثين على التغلب على عقبة الشهرة ، وظهورها على الاسم . ورقمه بدار الكتب المصرية ٢٦٢٩٠ح أما الترتيب فيأتى فى حروف الاسم الذى يلى الكنية أبو — ابن ...

ولدينا كتب اهتمت بالزمن وخضعت لفكرة المعاصرة النسبية ، واهتمت أيضا بترتيب الاسماء على حسب ترتيب المعاجم ، وهذا السبب الأخير يدعو الى ذكرها هنا فى القواميس التاريخية العامة ، والسبب الأول يدعو الى ذكرها فى تراجم القرون أو كتب الطبقات ولا بد من تنبيه القارىء الى ذلك والى أنها ستوصف فيما بعد ، وان طريقة الكشف فيها هى الطريقة السالفة .

ومن الأمثلة على ذلك خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر للمحبى والضوء اللامع لأهل القرن التاسع وهناك الموسوعات الضخمة التى تسمى دوائر المعارف ، وهى تقدم للقارىء علما مبسطا ، وفكرة ميسرة عن كل شىء يخطر على باله فى مختلف الموضوعات والعلوم والفنون وطريقة البحث فيها هى الطريقة السالفة أيضا فهى تخضع للترتيب الأبجدى المعروف ، وتتعرض للتاريخ ضمنا ، وتتحدث عن أعلامه .

ومن دوائر المعارف التى صدرت باللغة العربية دائرة معارف البستانى المتوفى ١٣٠٠ هـ ١٨٨٣م وهى أول موسوعة عربية ودائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدى ، ودائرة معارف الشعب . وقد صدر منها ستة مجلدات ولم تتم ، والقاموس الاسلامى تأليف أحمد عطية الله طبع فى مصر ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ ، ومن الممكن أيضا أن تدخل الانساب مكتبة التراجم ، فإن البحث فى تاريخ شخص يقتضى وصله بمن سلف من آبائه وأجداده ، وخصوصا اذا تجاوز المؤلف سلاسل النسب الصماء ببعض الحوادث ولو كانت يسيرة فى حياة بعض المترجمين ... والى اللقاء فى بحوث قادمة ان شاء الله .



للشيخ : أبو الوفا المراغي

وهذه حلقة أخرى من سلسلة رجال التاريخ الاسلامى ممن لم تسلط عليهم الأضواء ، وما أطول تلك السلسلة فى تاريخنا الاسلامى . والحق أننى كلما نشطت فى قراءة ذلك التاريخ ينتابنى شعوران مختلفان ، شعور بالزهو والفخر بأسلافنا من علماء وقادة وزعماء ، وشعور بالخجل حين نضع أنفسنا فى الميزان مع هؤلاء الرجال ، فلقد كان الواحد منهم يكاد يكون بحرا زاخرا بالمعارف والعلوم فلا يرم أنفه ولا ينتفخ سحره عجبا وكبرا وتيها وزهوا ، بل يحاول الاستخفاء تطامنا وتواضعا حتى لا يدعوه ما علم الى أن ينصرف عن تعلم ما لا يعلم ، فهو فى حياته تلميذ يتعلم وناقص يحاول أن يتكمل ويتجمل . أما نحن فى هذا العصر فاذا شدا أحدنا شيئا من معرفة أو ألم بطرف من علم ظن أنه وحيد دهره وفريد عصره ، وأنه بلغ الغاية ووصل الى النهاية وقعد عن الطلب وقنع بما اكتسب ، فليس وراء ما تعلم علم ولا فوق ما عرف معرفة ، ولو جعلنا من أسلافنا قدوة لمضينا فى طريقهم ، وبلغنا ما بلغوا من علم وثقافة واستطاع كثير منا أن يلموا بعلوم كثيرة بل يبلغوا مرتبة التخصص فيها كما بلغوا ، وفى التاريخ الاسلامى كثرة من هؤلاء ، فنجد كثيرا فى تراجمهم : « فلان المحدث الفقيه اللغوى » ، وقل أن تجد فى تراجم هؤلاء الأعلام من عرف بفن واحد — وان بلغ فيه درجة التخصص — دون أن يكون له مشاركة فى الفنون التى يحتاج اليها ذلك التخصص ، ومن دقيق عبارات المؤرخين القدامى فى وصف بعض العلماء قولهم بعد ذكر بعض المتخصصين : وكان له مشاركة فى علوم أخرى .

ومن علمائنا السابقين الذين تعددت نواحيهم العلمية وبلغوا فى بعضها مرتبة التخصص : « ابراهيم بن اسحق الحربى » فقد جمع الى الحديث الفقه واللغة والأدب والتصوف علما وعملا ومنهجا وسلوكا ، فكان عالما معلما له طريقة فى التعليم ينشدها خبراء التعليم فلا يظفرون بها ، وسنتناول بشىء من التفصيل جوانب المعرفة فى هذا الرجل على ما اعتدنا فى الكشف عن هؤلاء الرجال .

ابراهيم الحربى المحدث ..

لقد كان الحربى محدثا بكل ما تسعه هذه الكلمة من معان ، فلم يكن حافظا للحديث يجمع كل ما وقع اليه ، بل كان ذا بصر بعلل الأحاديث ووجوه ضعفها أو ردها ، وكان أمينا ثقة فى روايته يجرى فيها على المناهج المقررة لدى علماء الرواية والتحمل ، فلا يستبدل مصطلحا بآخر يوهم معنى لم يقصده العلماء ، قال له بعض علماء الحديث : لو قلت فيما لم تسمع سمعت لم يقبل الله بهذه الوجوه عليك . وقال عنه الخطيب البغدادى : كان حافظا للحديث عالما بعلله . وبهذه الملكة الحديثية الواعية الناقدة استدرك على أعلام المحدثين وبين ما فى مصنفاتهم من أغلاط ، وقد استدرك على أبى عبيد القاسم بن سلام فى كتابه غريب الحديث وقال : ان فى كتابه غريب الحديث ثلاثة وخمسين حديثا ليس لها أصل وقد أعلمت عليها فى كتاب الشروى (x) ثم أخذ يسرد منه وقد اقتطف مترجموه بعضا منها فى ترجمته . وكان لا يضن فى سبيل تعلم الحديث وتعليمه بشىء ، فقد أنفق كل ماله فى ذلك السبيل .

قال عنه تلميذه ابن حبيش : قال الحربى :

قطائعنا فى المراوزة — مكان بالعراق — كان لى فيها اثنان وعشرون دارا وبستانا بعتها وأنفقتها على الحديث ، وكان يصفها نخلة نخلة ودارا دارا .

وقد أخذ الحديث عن كثير من شيوخ الحديث فى عصره ، كما أخذ عنه كثيرون أيضا ، وكان يتحرز فى أخذ الحديث عمن لا يثق بحفظه وضبطه . روى عنه أحد تلاميذه قال : عندى عن على بن المدينى قمطر لا أحدث منه بشىء لأنى رأيته مع المغرب وبيده نعله مبادرا . فقلت : الى أين ؟ قال : ألحق الصلاة مع أبى عبد الله . قلت : من أبو عبد الله ؟ قال : ابن أبى دؤاد . فقلت : والله لا حدثت عنك بشىء .

أبراهيم الحربى الأديب اللغوى :

كان ابراهيم الحربى عالما باللغة مولعا بحفظها وجمعها والتصنيف فيها ، فحرص على الأخذ من ثعلب وحضور مجالسه . حدث تلميذه أبو عمر الزاهد قال : سمعت ثعلبا يقول : ما فقدت ابراهيم الحربى من مجلس لغة أو نحو خمسين سنة . وحدث ابن درستويه قال : اجتمع ابراهيم الحربى وأحمد بن

(x) كذا فى معجم الأدباء .

يحيى ثعلب ، فقال ثعلب للحربى : متى يستغنى الرجل عن ملاقاة العلماء ؟ فقال له ابراهيم : اذا علم ما قالوا وعلى أى شىء ذهبوا فيما قالوا .

أما علمه بالأدب فيتمثل فيما رواه المبرد عنه ، استنشد المبرد عبد الله الكاتب أبياتا من شعراء مختلفين فى فراق المحبين ، وكلما أنشده شيئا استحسنه المبرد واستزاده منه ، ثم أتى الكاتب ابراهيم الحربى فأخبره بما جرى بينه وبين المبرد وذكر له ما أنشده المبرد ، فقال الحربى : هلا أنشدته :

يا حيائى ممن أحب اذا ما　　قال بعد الفراق انى حييت
لو صدقت الهوى حبيبا على الصحة لما نأى كنت تموت

فرجع الكاتب الى المبرد فقال : استغفر الله الا هذين البيتين .

وأنشده رجل قول الشاعر :

أنكرت ذلى فأى شىء　　أحسن من ذلة المحب
أليس شوقى وفيض دمعى　　وضعف جسمى شهود حبى ؟

فقال الحربى : هؤلاء ثقات . وقرأ عنده رجل ضرير لم يكن حسن الصوت فقال ابراهيم :

اثنان اذا عدا　　فخير لهما الموت
فقير ماله زهد　　وأعمى ماله صوت

ومرض فدخل عليه قوم يعودونه فقالوا : كيف تجدك يا ابراهيم ؟ قال : أجدنى كما قال الشاعر :

دب فى البلاد علوا وسفلا　　وأرانى أذوب عضوا فعضوا
بليت جدتى بطاعة نفسى　　وتذكرت طاعة الله نضوا

ابراهيم الحربى المعلم :

يشكو كثير من خبراء التعليم انعدام الصلة بين التلميذ والمعلم أو انعدام الروح الجامعية كما يقولون لأن وظيفة المعلم ليست التعليم فحسب ، ولكنها التعليم والتربية ، وذلك لا يكون الا بدوام الاشراف والمراقبة داخل حجرة الدراسة وخارجها ، وقد كانت هذه الصلة متوافرة لدى علمائنا القدماء ، وكانت من مناهج تعليمهم ، فكانوا يتفقدون تلاميذهم اذا غابوا ويتعاطفون معهم اذا حضروا وبهذا أثمر تعليمهم ، وكان للأساتذة فى نفوس التلاميذ محبة وهيبة واجلال وتقدير ، وفيما نرويه عن ابراهيم الحربى مثل لذلك ، حدث أحد تلاميذه قال : كان يحضر مجلس ابراهيم الحربى جماعة من الشبان للقراءة عليه ، فتفقد أحدهم فسأل عنه من حضر فقالوا : هو مشغول فسكت ، ثم سألهم مرة أخرى فى يوم آخر فأجابوه بمثل ذلك ، وكان الشاب قد ابتلى بشىء شغله عن حضور مجلسه ، فلما تكرر السؤال وهم لا يزيدونه على ما قالوه : قال لهم يا قوم ان كان مريضا فقوموا بنا الى عيادته أو مدينا اجتهدنا

فى مساعدته أو محبوسا سعينا فى خلاصه فخبرونى عن جلية حاله ، وما زال يستكشف الأمر حتى اتضح له ما شغل تلميذه عن حضور مجلسه فذهب اليه وواساه ورسم له طريق الخلاص مما نزل به .

وما أخذ على تعليمه أجرا الا مرة واحدة كما قال . قال : ما أخذت على علم قط أجرا الا مرة واحدة ، فانى وقفت على بقال فوزنت له قيراطا الا فلسا ، فسألنى عن مسألة فأجبته فقال للغلام أعطه بقيراط ولا تنقصه شيئا جزاء لى .

وكما كان الحربى مشغوفا بالعلم حريصا عليه تعلما وتعليما كان حريصا عليه نسخا وتأليفا ، فقد ألف كثيرا من الكتب واستنسخ كثيرا منها ، وقد اجتمع له من التأليف والنسخ مكتبة بها اثنا عشر ألف جزء من اللغة والغريب كتبها كلها بخطه وكان حريصا عليها ضنينا بها ، قال له رجل : كيف قويت على جمع هذه الكتب ؟ قال : بلحمى ودمى . وجاع أولاده يوما فاستأذنته زوجه فى بيع كتاب لتطعمهم بثمنه فأبى عليها ذلك وقال : اقترضى لنا شيئا وأنظرينى بقية اليوم والليلة . وشكت ابنته الفقر والخوف من المستقبل . فقال لها : أخفت الفقر ؟ قالت نعم . فقال : أنظرى الى تلك الزاوية ، فنظرت فاذا كتب . فقال : هناك اثنا عشر ألف جزء لغة وغريبا كتبتها بخطى ، اذا مت فوجهى فى كل يوم بجزء تبيعينه بدرهم فمن كان عنده اثنا عشر ألف درهم فليس بفقير . وعده المؤرخون للمكتبات من أصحاب المكتبات الخاصة المشهورة فى التاريخ كالجاحظ وابن شاكر .

ومن مصنفاته : كتاب سجود القرآن ، مناسك الحج ، الهدايا والسنة فيها ، الحمام وآدابه وتفسير لغريب نحو ثمانية وعشرين من مسانيد الصحابة .

وحسب الحربى شهادة الدارقطنى له حيث قال :

ابراهيم الحربى ثقة وكان اماما يقاس بأحمد بن حنبل فى زهده وورعه وعلمه وهو امام مصنف عالم بكل شىء بارع فى كل علم صدوق .

ابراهيم الحربى المتصوف الزاهد ..

لقد كان الحربى متصوفا صادقا يصدق فيه العمل القول وتسلك جوارحه مسالك الخير التى يشير بها قلبه الطاهر ، وكانت تصرفاته تطبيقا واضحا لتصوفه وزهادته ، وحفلت سيرته بكثير من تلك التصرفات ، وحسبنا منها نماذج للدلالة على ما كان عليه من صلاح وتقوى وقدرة على احتمال الشدائد فى نفسه وعيشه مستقلا بها حتى لا يؤذى أحدا بما يهمه ويزعجه ولو كان من أخص الناس به وآثرهم عنده .

حدث عن نفسه فقال :

ما شكوت الى أمى ولا أختى ولا امرأتى ولا الى بناتى قط حمى وجدتها .

الرجل هو الذى يدخل غمه على نفسه ولا يغم أحدا ، وقال : كان بى شقيقة ــ صداع فى الرأس ــ خمسا وأربعين سنة ما أخبرت بها أحدا قط .

وأما زهده فى الطعام فيتمثل فيما يرويه عن نفسه حيث يقول : أفنيت من عمرى ثلاثين سنة برغيف فى اليوم والليلة ان جاءتنى امرأتى أو احدى بناتى به أكلته والا بقيت جائعا عطشان الى الليلة الاخرى والآن آكل نصف رغيف وأربع عشرة تمرة .

وأما زهده فى اللباس فيتمثل أيضا فيما يرويه عن نفسه حيث يقول : كان قميصى أنظف قميص وازارى أوسخ ازار ما حدثت نفسى أنهما يستويان قط ، وفرد نعلى مقطوع وفردها الآخر صحيح ، أمشى بهما وأدور بغداد كلها لا أحدث نفسى بأنى أصلحها .

ولم يكن زهده هذا عن خصاصة أو عوز ولكن عن تقدير لتفاهة الدنيا وما فيها من مال ومتاع وضيق فسحة الأجل مهما طال ، ولقد هيئت له فرص الغنى فلم تغره ولم تخدعه وصدف عنها ورفضها بشمم الكريم واباء العزيز ، وبتقواه واعتماده على الله ، حدث عنه الرازى قال : جاء رجل من أصحاب المعتضد الى ابراهيم الحربى بعشرة آلاف درهم من عند المعتضد يسأله من أمير المؤمنين أن يفرق ذلك فرده فانصرف الرسول ثم عاد فقال : ان أمير المؤمنين يسألك أن تفرق ذلك فى جيرانك ، فقال له : عافاك الله .. هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه فلا نشغل بتفريقه ، قل لأمير المؤمنين : ان تركتنا والا تحولنا عنك .

ولعل الذى أعان الحربى على زهده فى المال والدنيا بجملتهما عقيدته القوية فى قدر الله ، وأن ما قدر حصوله لا بد كائن وما قدر فواته فلن يجلبه سعى . ومن أقواله فى القدر : أجمع علماء الأمة على أنه من لم يجر مع القدر لم يهنأ بعيشه .

وابراهيم الحربى هو : ابراهيم بن اسحق بن بشير بن عبد الله بن ديسم أبو اسحاق الحربى . وسبب تسميته الحربى ما ذكره هو اذ قال : صحبت قوما من الحربية فسمونى الحربى ، والحربية حى من أحياء بغداد ، وقد ولد سنة ١٩٨ هـ وتوفى سنة ٢٨٥ هـ ودفن فى بيته بباب الأنبار رحمه الله .



صورة سريعة

عن المسجد الوطني في (كوالالمبور)

بلغت تكاليف بنائه عشرة ملايين من الدولارات .

يتسع لثمانية آلاف من المصلين ويرى على بعد أميال من موقعه .

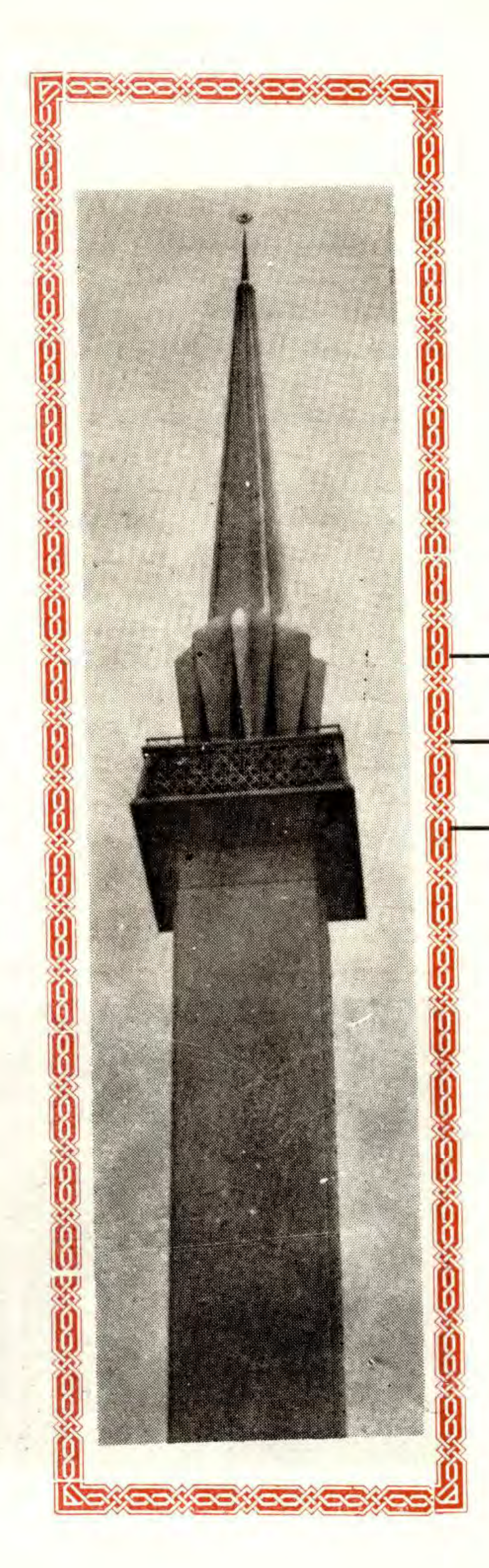
من عادتي أن أنتهز كل فرصة في كل بلد اسلامي أزوره لمشاهدة مساجده القديمة منها والحديثة ، ففي الوهلة الأولى يتبين لي تاريخ البلد وحاضره من خلال مشاهدتي لآثاره الاسلامية ..

ففي اسطنبول مثلا راعني بل وشد انتباهي لساعات طوال ما بلغته تلك المدينة في الماضي القريب من حضارة اسلامية رائعة ، تتجسد في مساجدها التي جذبت اليها وما زالت تجذب كل من يود أن يتطلع الى الماضي الحافل والمستقبل المشرق ، ففي مسجد السلطان احمد شاهدت آية من آيات فن البناء والهندسة ، التي يتيه الفكر في روعتها وتسمو الروح لندرتها . ولسنا هنا في مجال هذه الآثار فهي بالنسبة لنا ليست بعيدة عن الأمنية ، فاسطنبول مدينة سياحية يؤمها الكثيرون ، وقد شاهدوا مآثرها ولفت أنظارهم شموخ مآذنها ، . اما هذه المدينة التي أريد الحديث عنها فهي وان كانت بعيدة لكنها قريبة من قلوبنا .. انها مدينة (كوالالمبور) عاصمة اتحاد ماليزيا، التي كان لي الشرف بزيارتها والتعرف على مواطنيها ، والصلاة بجامعها الذي يعتبر بحق آية في الفن المعماري الاسلامي وحسن اختيار الموقع ، فقد كنت ضمن الوفد الاسلامي الذي مثل دولة الكويت في المؤتمر الاسلامي الدولي الذي عقد أخيرا في (كوالالمبور) .

للأستاذ

صالح عبد اللطيف الرفاعي

رئيس العلاقات العامة بوزارة الأوقاف



وقد كان من ضمن برنامج الزيارات التى أعدت للوفود زيارة للجامع الكبير أو المسجد الوطنى ، كما يطلق عليه ، فهذا المسجد يشاهد على بعد أميال من موقعه لضخامة مبناه وارتفاع مئذنته التى بنيت على شكل صاروخ بارتفاع يبلغ ٢٣٥ قدما .

وأول ما يسترعى الانتباه فى هذا المسجد مساحته الكبيرة وأرضيته الرخامية ونافوراته المتعددة ، وهو يختلف اختلافا كبيرا عما عهدناه فى بيوت الله فقبته بنيت على شكل أمواج متساوية أو محارة كبيرة من الخرسانة المسلحة ويغطى الوجه الداخلى منه فسيفساء من الزجاج الملون ويقع المسجد على مساحة تبلغ (١٥) فدانا وتشغل مبانيه مساحة تقدر بخمسة أفدنة .

٨ آلاف مصلى :

وفى خلوته التى يتيه الفكر فى جمالها وارتفاع سقفها أخذ مرافقنا

يشرح ما خفى علينا من معلومات عنه ومما قاله ان موقعه قد أخذ فى اعتبار أن يكون أول ما يشاهده داخل المدينة عن طريق السكة الحديد اذ أن المحطة لا تبعد كثيرا منه ، وهذا المسجد يعتبر من أجمل وأحدث المساجد فى جنوب شرقى آسيا فكل زائر للعاصمة الماليزية لا بد وأن يلفت نظره مبناه المرتفع وبالتالى يحرص على زيارته ضمن ما يزوره فى تلك المدينة التى تنطق بالجمال الطبيعى فى كل شبر من أراضيها .

أما تكاليفه فقد بلغت عشرة ملايين من الدولارات الماليزية واستغرق بناؤه مدة خمس سنوات . وتم افتتاح المسجد رسميا بتاريخ ١٦ ربيع الأول ١٣٨٥ الموافق ١٤ أغسطس ١٩٦٥ من قبل بعض المسئولين الماليزيين وألقيت بهذه المناسبة كلمات عدة من قبل رئيس الوزراء تنكو عبد الرحمن ونائبه تون عبد الرزاق الحاج، وتسع خلوته قرابة ثمانية آلاف من المصلين وفى أيام الجمع يكتظ المسجد بالمصلين اذ يؤمه الماليزيون من مختلف أنحاء العاصمة .

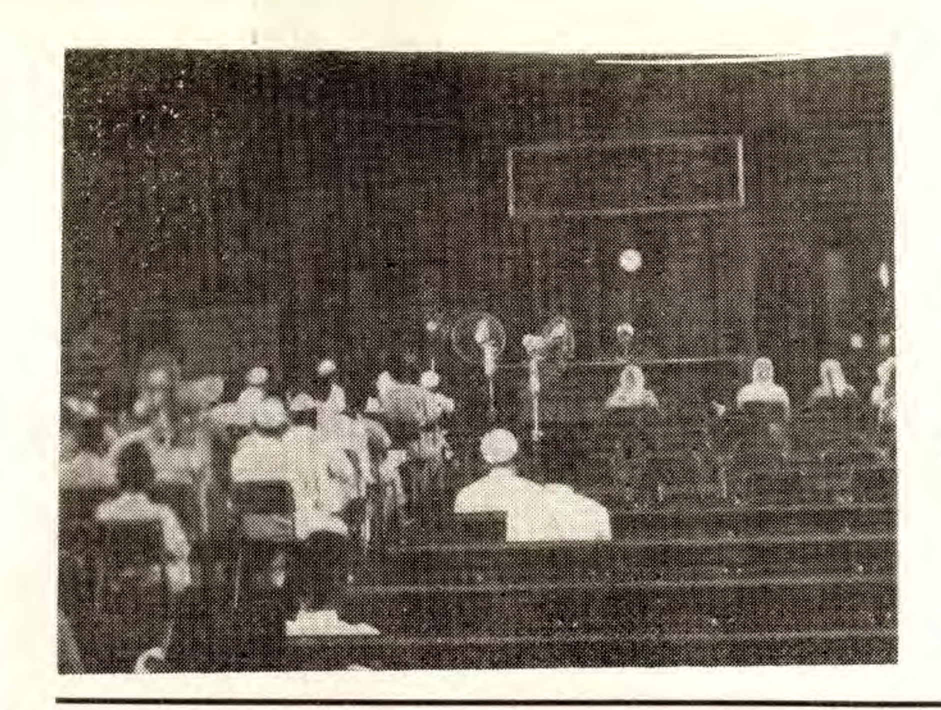
الوعظ والارشاد :

ومما استرعى انتباهى وشد ناظرى ، وسجلته بالكاميرا التى حرصت على أن ترافقنى فى جولتى هذه قاعة الوعظ والمحاضرات الملحقة بالمسجد ، فالمستمعون يجلسون على كراسى مريحة ، وقد خصص الجانب الأيمن للرجال ، والجانب المقابل له للنساء ، وعندما دخلنا عليهم درسهم كان الواعظ يلقى موعظته ، والكل خاشع منصت ، لدرجة أنه لم يسترع انتباههم وجودنا ، ولم يبد أنهم التفتوا الى وأنا أختار الزاوية المناسبة لالتقاط الصور التذكارية .. ولعمرى انها لساعة روحانية تلك التى جمعتنا بهم وبالواعظ الذى لم نفهم كلمة مما يقوله باللغة الملايوية ، فقد أرهفنا أسماعنا لها خشوعا لجلال الموقف ، ولترديد بعض الآيات القرآنية الكريمة من قبل الواعظ ، التى ينطقها بلغة عربية سليمة ، وعندما استفسرنا من مرافقنا ، أفادنا بأن هذا الدرس ، يومى ، ويتسابق على حضوره من يجدون فى يومهم متسعا من الوقت لسماع الوعظ والارشاد .

الدولار الماليزى يساوى ثلاثة دولارات أمريكية تقريبا



أحد مداخل المسجد



قاعة الوعظ
الملحقة بالمسجد

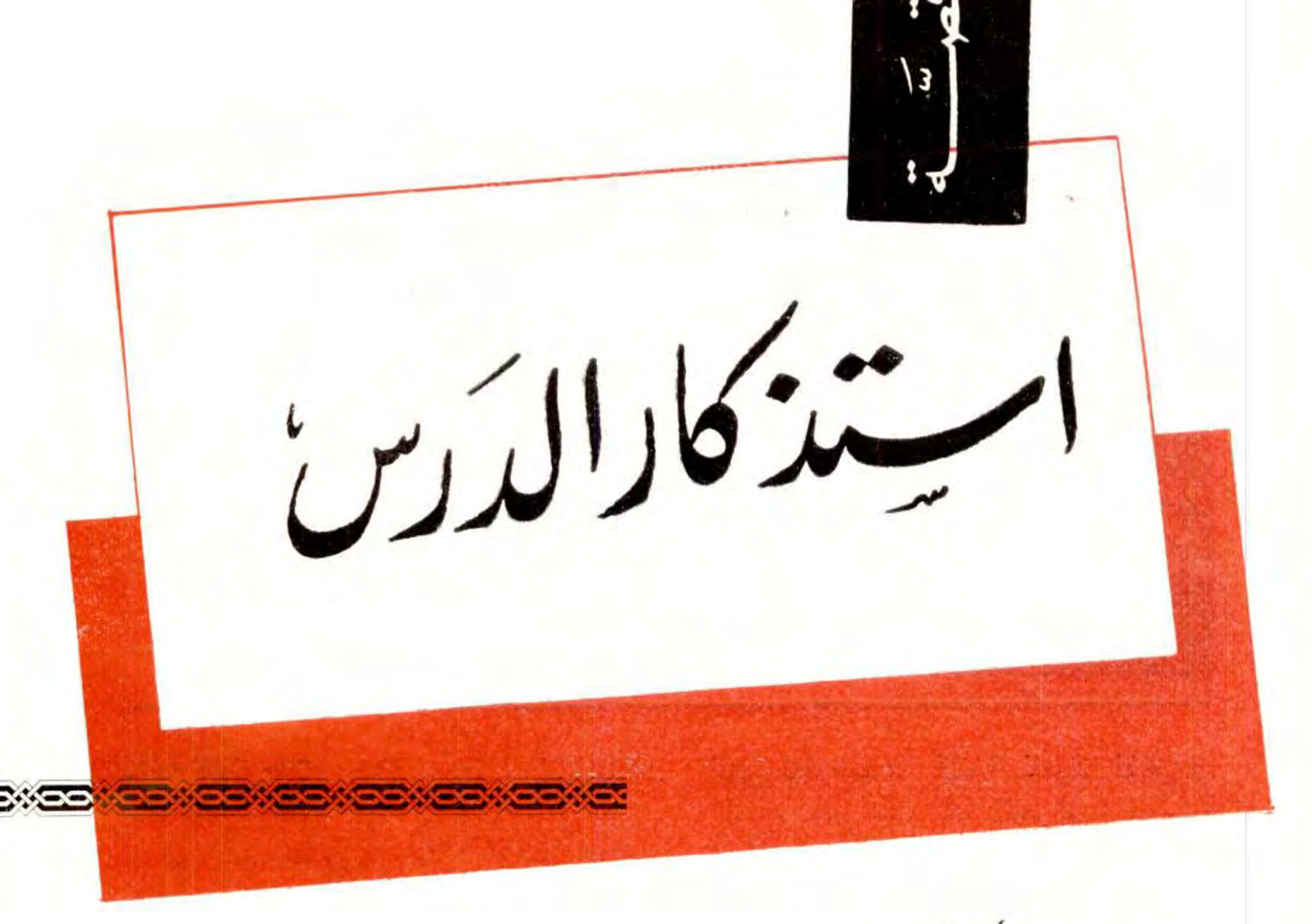
بداية الفكرة :

أما كيف تبلورت فكرة اقامة هذا المسجد ، فقد كانت فى أذهان المسئولين هناك قبيل استقلال ماليزيا ، فقد قرر المجلس التشريعى فى ذلك الوقت اقامة مسجد يسمى باسم رئيس الوزراء تنكو عبد الرحمن ولكن رئى تسميته بعد ذلك باسم مسجد (نجارا) أى المسجد الوطنى، بعد أن رفض رئيس الوزراء أن يسمى المسجد باسمه . وعند البدء فى تنفيذه جمعت الأموال عن طريق التبرعات من قبل الحكومة المركزية ، وحكومات الولايات الماليزية ، وقسم من الجمهور الماليزى المسلم .

وهكذا ارتفع هذا البناء الضخم ، الذى يرى على بعد أميال فى العاصمة الماليزية وفى هذه البقعة من أرض المسلمين التى يتسابق مواطنوها الى كل ما يعلى كلمة الاسلام وكل ما يبرز الوجود الاسلامى فيها .

ان المسافة الزمنية التى تفصلنا عن ماليزيا ، تقدر بأربع ساعات ونصف الساعة ، وهى مسافة تعتبر فى بدء انتشار الاسلام من المسافات الخيالية ، ومع ذلك فها هو ذا دين الله ينتشر فى تلك الربوع ، والأمنية التى ما بعدها أمنية للفرد الماليزى المسلم حج بيت الله الحرام ، وزيارة قبر سيد الأنام وقد بلغ شغفهم بالحج وزيارة الأماكن المقدسة الى حد وضعهم نماذج للكعبة الشريفة،وأماكن رمى الجمرات فى المتحف الوطنى ، حتى يتدرب عليها من يود أداء فريضة الحج ، كما قيل لنا ، وعلى مقربة من هذه النماذج ، يدور شريط سجل عليه تلاوة من آى الذكر الحكيم لكبار المقرئين فى البلاد العربية ، فهم شغوفون بتجويد القرآن الكريم ، وتنظم الحكومة مسابقة سنوية لأحسن قارىء وقارئة ، وفى يوم افتتاح المؤتمر الاسلامى الذى حضرناه ، قرأ أحد الماليزيين تلاوة مباركة بلغة سليمة ، وبصوت يدل على التمكن من تجويد القرآن ، ومع هذا فقد علمنا أن هذا المقرىء لا يجيد التكلم باللغة العربية ،

ان الكتابة عن كل ما رأيته من آثار اسلامية رائعة ، وتمسك شديد بالدين الحنيف ، فى تلك البقعة النائية من أرض المسلمين ، المتعددة الأطراف ، تحتاج الى صفحات وصفحات ولكنى أكتفى الآن بهذه العجالة ، ولنا عود قريب ان شاء الله .



للأستاذ
محمد الخضري عبد الحميد

شيء ما .. خفي ، مقبض ، ثقيل .. كان يبسط على أرجاء المكان ظلالا كابية قاتمة ، وان تكن غير مرئية .. وأفواه الجالسين المطرقى الرءوس فى شرود : تنفرج ما بين هنيهه وأخرى متوانية فى تراخ ، وبصمت .. تختلج وتدور ببطء شديد ، لترتشف على مهل قطرة صغيرة من حساء ، أو لتلتقط قضمة يسيرة من خبز ...

وذلك كله يمضي فى رتابة وملالة .. بغير شهية بينة ، وبلا أدنى صوت يتردد .. وعلى المائدة المتواضعة فى ذلك البيت الصغير .. يجلس الأب العجوز ، ذو اللحية الكثة المشعثة البيضاء .. والخطوط الحادة عميقة الغور واضحة على الجبين والخدين. لاينى يهز بعنف مكروب رأسه الذى بدا كما لو كان مثقلا بأحمال ثقال من الهموم والآلام .. وكلما اهتزت رأسه : تتهدل بارتعاش مباغت أطراف الكوفية المنسابة من تحت العقال ، المتهدلة على عنقه وظهره .. لكأنه كان يطرد مع كل هزة من اهتزازات رأسه وبدنه : خواطر تاعسة ملحاحة ، تنوشه وهى فى الأعماق تمور وتطن ، طنينا طاحنا يكدر عليه بعض ما بقى له من صفوه!

.. والى جواره ومن حوله على المائدة .. جلست (علية) ابنته التى تتشاغل عن الطعام بضمادة بيضاء حول ساعدها .. والأم ، ساهمة واجمة بدورها .. وصبى وسيم صغير بادى الحيوية والذكاء ، لا يشك من يراه لأول وهلة أنه : (طبعة جديدة) غضة من ذلك الكهل الذاهل الحزين المقطب الجبين !



وعلى ذلك النحو .. مر وقت ليس بالقصير ..

.. حتى لاح على أسارير الأب العجوز المكروب ما ينم عن أنه يحاول — جاهدا — تبديد شىء من ذلك الصمت الموحش الثقيل .. زفر بشدة زفرة حارة .. ثم نحى جانبا طبق الحساء من أمامه ودق بقبضته الخشنة سطح المائدة بكل قوته ، وصاح فجأة صيحة عاتية مزمجرة :

— لم أعد أحتمل ! .. اننى لن أستطيع بعد الآن صبرا .. كل ذلك حدث ، ويحدث ، وها نحن مع ذلك كله : هنا .. نجلس .. لنأكل .. ونشرب .. هبوا معى .. ولنخرج اليهم — كلنا — الآن ...

عندئذ تنهدت (علية) ، ابنته بارتياح .. وابتسمت وهى ترنو اليه فى حنان ضاف ..

اتكأت ، بالضمادات الملفوفة حول عضدها ، على حافة المنضدة العريضة ، وهى تحدق فى المصباح الزيتى الشاحب ، المدلى من السقف أمامها .

وحقيقة الأمر أنها — منذ جلسوا يأكلون — لم تك تكف لحظة عن أدق الانفعالات ، البينة والخفية ، التى تجيش وتمور ولكن بلا أصداء ، على كل خلجات وجه أبيها .. ظلت طويلا ترمقه خلسة من خلال أهداب عينيها .. تتعلق شعاعات العينين النجلاوين بحركات تينك الشفتين المتقلصتين ، اللتين لم تكونا تمضغان ، بقدر ما كانت ترتجفان . تهمهمان .

... ترقبت طويلا هذه اللحظة .. انتظرت وطال انتظارها حتى تسنح لها هذه السانحة .. عله أن يكون هو البادىء الليلة .. وحسنا فعلت اذ كانت حصيفة لبقة ، فأعدت للأمر المرتقب عدته .. وحمدت الله فى سرها وتأهبت للكلام ..

الآن وحسب ، تستطيع أن تتكلم .. بسهولة ، ويسر ، وانطلاق ...

★ •• •• •• ★

... حينما كان اضراب الطالبات فى تلك البلدة العربية المحتلة .. وجند الأعداء الصهيونيين لا يكفون عن ملاحقة الفتيات بالتنكيل والارهاب واستمرار المشاكسة والايذاء حينا.. ثم بالوعود الماكرة الزائفة وأحاديث التزلف والترغيب والاسترضاء أحيانا .. لعلهن أن يرجعن عن عنادهن ، أو يتخلين عن شيء من صـــمودهن ، ويعدن الى الانتظام فى مدارسهن ومعاهدهن .. اذ بذلك يهدأ بـــال أولئك الدخلاء الجبنـــاء .. انهـــم — ببســـــاطة — يريدونهن على ان يرضين بالواقع ، ويمضـــــين فيما اعتدن من سلوك طيب هادىء ، لا شقاوة فيه ولا عناد .. بهذا ينعم المحتلون المرهقون — ولو الى حين— بفترة من الراحة يلتقطون فيهـــــا الأنفاس !

... فى ذلك الحين .. حدث أن أصابت احدى القذائف الطائشـــــة — التى ينثرها الأوغاد المذعورون ، كيفما اتفق — ذراع « علية » .. و .. وكادت الاصابة تودى بالذراع كلها .. لولا عناية الله جل وعلا ، ولطفه ، وبره — سبحانه — بتلـــك الأسرة الكادحة المؤمنة ..

.. يومها أقسم الشيخ أن سينتقم . وسيكون انتقامه بذراعه هو ، ثأرا لما أصاب ذراع ابنته .. لقد أراده على أن يكون انتقاما شرسا وضـــاريا ، كجزاء عادل من جنس العمل

لكن حوائل جمة عاقته عن الاسراع فى البر بهذا القسم ... من بين تلك الحوائل والعراقيل كان : اشـــتداد حدة العار والجنون اللذين عصـــــفا بعقـــــول المحتليـــن حـــكامـــا وجندا .. وكان ذلك اثر طوفان عارم من الاضرابات والمقاطعات ، وهجمات الأهلين ، والغارات الداهمة المتوالية من أبطال الفدائيين الفلسطينيين .. الأمر الذى كان يحفز الشيخ المتحرق شوقا الى أن يضرب — هو أيضا — ضربته .. على التريث ، والارجاء المتمهل .. حتى يســـتطيع أن يبر بقسمه فى دقة وفى احكام ، وبأسلوبه هو الخاص .. وبحيث لا يكـــــون ساذجا يلقى بنفسه الى تهلكة قد لا تسفر عن (الثمرة الكاملة) التى تشفى غليله ، وترضى طموحه ! .. ثم كان مرضه القديم الذى عاوده ثانية .. يناوشه أياما ، ويتركه قليـــــلا ليعود بعد ذلك أعنف وأقسى مما كان ... لقد كان الرجل قد تهاوى صريع الآلام والهواجس ، عقب تلك الصدمة النفسية المروعة .. التى رأى فيها بعينيه وعن كثب كيف أن أناســـــا يدعون أنهم (بشر) كسائر البشر ، يكشـــــفون عن حقيقتهم فيتحولون وحوشا لا ضابط لغرائزهم ، ولا وازع لهم من ضمير ، أو خلق ، أو دين ...

وقد يكون الحائل الأكبر الذى جعله يرجىء الوفاء رغما واضطرارا .. هو : اختفاء بندقيته العزيزة العتيدة، فجأة ، من بيته .. !

★ .. .. .. ★

عبثا فتش عن البندقية الثمينـــة المفقودة .. بحث عنها فى كل مكان .. داخل البيت وخارجـــــه .. حتى شجيرات الليمون والزيتون خلف داره الصغيرة كان يتسلل اليها فى بهمة الليل ، وبعد أن ينام الناس ، وهناك يظل ينبش أعماق التربة بأظافره ، ويحفر حول الجذوع بفأسه .. فى غفلة من أعين جيرانه وأهل بيته !

كانت بندقيته العزيزة ، وطلقات

عشر مودعة فى (خريطة) معها ، هى عدته للانتقام ، وهى وسيلته الى البر بالقسم .. ولكن الآن : أين ؟ ! .. ثم .. من ؟ ! .. من ذا الذى يجرؤ على أن يسرق بندقية عتيقة ، من بيت كهل طيب وديع ؟ !

وتكاد تجنح به الظنون الى مزالق الريب وسوء الظنون .. ولكنـــه ، بهزات حاسمة من رأسه ، يطرد تلك الخواطر من ذهنه ، مستغفرا ربه وهو يتمتم فى سره « ان بعض الظن اثم » .. و .. ومع ذلك لاتنى تلك الخواطـــر تعود الـــى الحاحهـــا وجيشانها ، واليدان ما تزالان تعملان ما بين حفر ونبش .. فـــلا يجد مندوحة من أن يمصمص بشـــفتيه متسائلا :

ــ من ؟ ! .. الجيران ؟ ! .. الجيران مثلى ، طيبون ، وادعون .. من اذن ؟ .. الأعداء المحتلون ؟! .. ذلك ــ بالقطع ــ محال ! .. فأولاء ان هم فعلوها .. فانهم عنـــد ذلك لا يقنعون بالسرقة وحدهـــا ! .. اذ ما بعد واقعة (اكتشاف) حيازتى سلاحا مثلها .. الا السحق والتدمير ، وعلى عجل ، بعدها .. !

★ •• •• •• ★

بعد أن مر ذلك كله فى الذهـــن الحائر المكدود .. تكلمت الفتاة ..

... فى انطلاق تكلمت (علية) ، ابنته .. أخذت تهدىء من روع الأب الثائر المقهور .. راحت بحنان الابنة البارة الشجاعة تؤكد له أن المشاعر التى تعتصره : هى هى ذات المشاعر التى يحسها ويعانيها كل بنى البلدة المحتلة .. الشبان والأطفـــال ، والفتيان والكهول والفتيات لا يهدأ للجميع بال الا أن يأذن الله بشروق فجر جديد ، يطلع على الأرض الطاهرة الأبية وليس على أديمها ظل ولا أثر لذلك الدنس الدخيل البشع .

... أقسمت له على أنها ــ وهى الفتاة ــ تستطيع أن تبز رجالا فى ميدان الانتقام لما أصابها وأصاب وطنها على أيدى أولئك الطغمة من الأفاقين .. قالت لأبيها إن أخـــاها الصغير بمقدوره ، هو أيضا ، أن ينوب عنه فى انفاذ القسم ، وتحقيق الأمنية .. فقط لو أنه بذلك يرضى !

لكن أباها ، آخر الأمر ، لا يرضيه فى شىء حديثها .. ولا يقنعه قط منطقها .. يسارع ــ حانقا محتدا ــ فيقاطع حروف كلماتهـــا .. عـــائدا يهتـــف علـــى ايقـــاع الدق العنيف بالقبضتين معا :

ــ لكنى شفيت يا ابنتى بحمد الله وفضله .. واننى الآن أقوى .. لماذا بالله تريدين أن تحولى بينى ، وبين البر بقسمى ؟ !

ويقف هائجا ، ليدور بعينيه فيما وفيمن حوله .. محملقا ، متسائلا :
ــ فقط لـــو أننى وجدتها ! .. ولكننى ، باذن الله ، سأجدها ..
لن أهدأ أو أستريح حتى أحقق الوفاء بنذرى .. فأريح بذلك ضميرى ، وأرضى خالقى عنى .. يجـــب أن أســـتعيد ثقتـــى بنـــفسى . يجب ! . يجب ! .

★ •• •• •• ★

بهدوء .. وفى سكون .. والعيون عبر المائدة تدور فى المحاجر تطلعا وترقبا .. وقفت (علية) .. شامخة متوثبة .. كأنما هى قد قررت أخيرا أن تحسم أمرا آن له أن يحسم ..

تقدمت خطوات .. ومدت ذراعها السليمة ففتحت بابا من صيوان قديم تحتفظ فيه بملابسها وكتبها وحوائجها الخاصة .. ولم تلبث أن أخرجت من داخل الصيوان : بندقية أبيها !

وبهدوء أيضا .. قدمتها — فى بساطة — اليه ... !

★ •• •• •• ★

دهشت الأم ، وان بدا عليها أنها لم تفاجأ تماما بالذى ترى ! .. وابتسم أخوها الصبى ، ابتسامة بريئة ذكية ذات دلالة معنية .... أما الوجه الأسمر المتغضن ، المجلل بالشعر الغزير الفضى ، فقد تهلل .. وانبسطت أساريره ، وتدفقت اليه حيوية وسطع منه بريق ! ..

.. قفز الشيخ هاتفا بفرحة طفولية عارمة ، يحتضن ابنته ، ويقبل جبينها .. لكنه سرعان ما ثاب الى رشده .. فتوقف برهة وقد كاد التجهم المأثور يعود الى ملامح وجهه .. ومضى فى حيرة يسأل ويسأل .. أخذ يلحف فى الأسئلة ، ويطلب لكل سؤال جوابا وتفسيرا .. أين كانت؟! .. كيف اختفت ؟ .. ولماذا ؟ .. ومن الذى .. ؟؟ .. و .. وأين الطلقات العشر التى كانت فى خريطة من الجلد مربوطة الى ما سورتها ؟ !

★ •• •• •• ★

حاولت الأم — بعد أناة وروية — أن تمهد باستهلال مناسب للجواب التى تتأهب لأن تقوله ابنتها .. لولا أن سبقها ولدها الفتى الصغير .. يبغى ، بحيوية الصبا المتفتح ، أن يتقدم ليوضح أشياء .. لكن (علية) أخته .. سارعت ، ضاحكة ، تمنع بأناملها أية كلمات قد تخرج من فمه ، ولتدع كلماتها هى تنطلق ..

— أبى .. ذلك يا أبى سر صغير، أستأذنك فى أن تدعه لى الآن .. حتى أتم بعون الله ما بقى منه ، فأبوح لك به كاملا .. أبتاه .. ان أبا مثلى قادر ولا ريب على أن يبر عنك بالقسم الذى أقسمت .. لكن .. ها أنت ما تزال تصر ، وتمعن اصرارا .. أنا لم أك طوال أوقات غيابى أستذكر الدروس وحسب هناك عند زميلاتى الطالبات .. كنا حقا نستذكر الدروس .. لكنا أيضا كنا لا نكف عن استذكار (الدرس) أيضا ! .. فقط .. ثق يا أبى العزيز من شىء واحد .. ثق من أن طلقاتك العشر كلها .. لم تذهب واحدة منها هباء .. ولم تخطىء احداها مرة : الهدف .. !







الجمان في تشبيهات القرآن

تأليف : ابن ناقيا البغدادى

تحقيق : عدنان زرزور ، محمد الداية

عرض وتقديم : عبد المعطى بيومى .

معجزة الدهر الخالدة التى ظلت دائما وستظل ابدا مثار اعجاب البشر ، وملفت أنظارهم على اختلاف أجناسهم وثقافاتهم ومنازعهم فى الحياة .. وليست هذه المعجزة العجيبة غير القرآن الكريم كتاب الله الخالد الباقى على وجه الزمان ما عاش الزمان .. يظل بين الناس كنزا الهيا .. يكتشف فيه فئآت الناس على تعاقب الزمن غير ما يكشفه الآخرون ، فهو متجدد الى الأبد باق الى ما شاء الله أن يبقى

يرى فيه العالم حشدا معجزا من أسرار الكون وخفايا الوجود ، ويرى فيه الطبيب شفاء للناس ورحمة ويكشف فيه الفيلسوف ضالته من الحكمة الراقية التى لا تخطىء ولا يتأتى لها أن تتوه فى زحام الجدل والمنطق العويص ، ويجد فيه الأديب رصيدا لا ينفد من سحر القول وسمو المعنى فى فنون لا تطاولها فنون من أسرار البلاغة ومعجزات البيان .

والكتاب الذى بين أيدينا من أمهات الكتب الكثيرة التى استلهمها مؤلفوها من القرآن وعن القرآن كتاب يمتد فيه الحديث على أربعمائة صحيفة وثمان من القطع الكبير ، كتبه فى القرن الخامس الهجرى علم من أعلام الادب فى تاريخ الادب العربى كله ، تخصص فى النقد الادبى ، وبرع فيه حتى لقد كان يلقب بالرئيس ، وهى درجة تعورف على تقدمها وعلو شأنها فى هذا العصر لقب بها ابن سينا ومن بعده قلة من أبرز البارزين فى مجالات الثقافة والفكر ، منهم مؤلفنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن ناقيا البغدادى .

والكتاب على امتداده وضخامته يعالج موضوعا واحدا من موضوعـات البلاغة فى القرآن الكريم موضوع التشبيه .

وموضوع التشبيه يحتل بشكل عام أهمية كبرى فى البلاغة العربية ، حتى لقد قال المبرد « لو قال قائل : ان التشبيه هو أكثر كلام العرب لم يبعد »

وقد نوه على أهمية التشبيه فحول الادب العربى جميعا ، من أبرزهم ابن أبى عون الذى قسم الشعر كله الى ثلاثة أقسام : المثل السائر ، والاستعارة الغريبة والتشبيه النادر ، وأما وراء ذلك فكلام وسط أو دون لا طائل فيـه ولا فائدة منه ، وقد حكم ابن أبى عون أن أجل هذه الأقسام وأصعبها على صانعها هو التشبيه

فاذا ألف الرئيس ابن ناقيا كتابـه فى نوع خـاص من التشـبيهات وهو التشبيهات التى وردت فى القرآن الكريم عرفنا أهمية الكتاب ومكانته فى المكتبة العربية والاسلامية على الاطلاق .

فاذا أضيف الى ذلك أنه لم يكتب فى تشبيهات القرآن وأسرارها كتاب قبل هذا الكتاب ـــ كما نص المؤلف فى خاتمته بأن من كان قبله لم يفرد لهذا النوع كتابا أيقنا بضرورة اطلاع كل مشتغل بالثقافة الاسلامية عليه وضرورة العناية بالكتاب نفسه بطبعه ونشره على كافة المستويات .

من أجل ذلك .. كان اهتمام وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت بنشر هذا الكتاب المهم فى سلسلة احياء التراث الاسـلامى التى تتولاها ادارة الشئون الاسلامية بالوزارة . وذلك بعد كتابها الأول «الفوائد فى مشكل القرآن» للعز بن عبد السلام ، حتى خرج الكتاب للناس فى ثوب جيد وطبعة قيمة واخراج يناسب أهمية الكتاب وموضوعه تشبيهات القرآن .

ولكى تكون الصورة واضحة أمام القارىء نذكر هنا أن المؤلف استعرض سور القرآن سورة سورة ، ثم وقف عند كل تشبيه فى كل سـورة على حدة ، يحلل عناصر البلاغة فيه ، ولم يكتف بذلك بل قارن كل تشبيه بما يقابله فى سورة أخرى ، ان كان هناك نظير له فى القرآن ، ثم يأتى بتشبيهات أخرى ، وردت فى كلام العرب ، وبالموازنة الدقيقة بين المعانى فى تشبيهات القرآن ، وتشبيهات العرب تظهر خفايا التشبيه القرآنى وأسراره فى جلاء لا يستطيع انكار اعجـازه منكر

وقد أبدع المؤلف فى هذا الباب ابداعا لا يقوى عليه غيره ، حتى لقد جاء ـــ كما يقول المحققان ـــ بتشبيهات لم ترد فى الكتب العربية المعروفة فى عصره مما يدل أوضح دلالة على تمكن الرجل وتبحره فى مادته .

وقد قام بتحقيق هذا الكتاب الأستاذ عدنـان محمد زرزور (فى ناحيـة التفسير) والدكتور (محمد الداية) من ناحية الأدب وقد وضعا مقدمة ضـافية بينا فيها مجملا عن تاريخ ابن ناقيا البغدادى ، ومجملا آخر عن الكتاب مادتـه ومنهجه ، ووجوه البحث فيه ، كما بينا تاريخ هذا الكتاب منذ وضعه مؤلفه حتى اليوم

ومن كل هذا جاء الكتاب بمقدمته المستفيضه واستعراضه لآيات القرآن التى وقع فيها أسلوب التشبيه ومقارنته بأساليب العرب الأخرى آية من آيات القدرة والابداع ومعلما بارزا من معالم الثقافة العربية الاسلامية ونحن نقدم فى نهاية عرضنا للكتاب نموذجا مما أورده المؤلف فى ص ٦٤ :

سورة العنكبوت ـ ٢٩ ـ

٢٤ ـ قوله عز وجل : (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانو يعلمون) . (١)

الاتخاذ : افتعال من الأخذ . « والعنكبوت » يذكر ويونث . قال الشاعر :

على هطالهم فيهم بيوت ... كأن العنكبوت هو ابتناها

وتجمع « العنكبوت » على عناكب ، ويقال فيه : العنكباء .

ومعنى الآية : أن من عبد غير الله فقد اتخذ وليا من دونه لا ينفعه ولا يضره . فكان فى اتخاذ ذلك كالعنكبوت فى اتخاذها بيتا لا يجنها من شىء ، ولا يكنها من حر ولا برد .

قال الفرزدق ، فى هجاء جرير يفخر عليه :

ان الذى سمك السماء بنى لنا ... بيتا دعائمه أعز وأطول

بيتا زرارة محتب بفنائه ، ... ومجاشع ، وأبو الفوارس نهشل

لا يحتبى بفناء بيتك مثلهم ... أبدا اذا عد الفعال الأفضل

ضربت عليك العنكبوت بنسجها ... وقضى عليك به الكتاب المنزل(١)

يقول : بيتكم فى الوهن والضعف كبيت العنكبوت الذى وصفه الله تعالى.

وقال ذو الرمة ، يذكر دلوا أرسلها فى ركية :

فجاءت بنسج من صناع ضعيفة ... ينوس كأخلاق الشفوف ذعالبه

هى انتسجته وحدها او تعاونت ... على نسجه بين الثياب عناكبه (٢)

---

(١) الآية ٤١ .

(٢) ديوان الفرزدق (طبع الصاوى) ج ٧١٤/٢ ـ ٧١٥ وفيه بين كل بيتين أهمله المؤلف .

(٣) ديوان ذى الرمة ٥٠ . وفى الاصل : تنوش . أخلاق جمع خلق : الليالى ، والذعالب : ما تمزق من الثوب ، يقول : نسج العنكبوت له ذعالب يضطرب مثل ذعالب الثوب المزق وفى الديوان : بين المثاب عناكبه ، وفسر المثاب بأنه مقام الساقى .

ومن مستحسن تشبيهاته التى تدخل فى هذا الباب قوله فى وصف الظليم (١)

وبيض رفعنا بالضحى عن متونها	سماوة جون كالخباء المقوض
هجوم عليها نفسه غير أنه	متى يرم فى عينيه بالشخص ينهض
يصرف للأصوات من كل جانب	سماخا كبيت العنكبوت المغمض (٢)
هتكت عنها — والليث منسدل —	مهلهل النسج ماله هدب
من نسج خرقاء لا تشد لها	آخية فى الثرى ولا طنب (٣)

وقال البحترى ، وناسب بين نسج العنكبوت وبين الغرض فى تشبيه جنس من الثياب :

أين الدبيقى الذى سمدت له	أيدى النساء فجاء طوع المغزل
والشرب اذ يحكى برقة نسجه	نسج العناكب فى المكان المهمل
عدل الهواء اذا صفت أقطاره	وأرقه نسم الخريف المقبل
فكأنه عرض يقوم بنفسه	فى غير ما جسم له متقبل (٤)

قوله تعالى : (لو كانوا يعلمون) متصل بقوله (اتخذوا) أى لو علموا أن اتخاذ الأولياء كاتخاذ العنكبوت بيتا ضعيفا . ليس أنهم لا يعلمون أن بيت العنكبوت ضعيف ، وذلك أن بيت العنكبوت أضعف البيوت التى تتخذها الهوام وأقلها وقاية ، فكذلك أولياؤهم فى الضعف والوهن ، وعدم النفع لهم ودفع الضرر عنهم .

---

(١) الظليم : ذكر النعام وجمعها ظلمان وظلمان .

(٢) ديوان ذى الرمة ٣٢٤ وفيه (.. فى عينيه بالشبح ..) وهى رواية أخرى — والشبح الشخص والمراد بالبيض بيض النعام أى فزعناه — الظليم — فقام عن بيضه ، ثم رمى نفسه عليه يحضنه فاذا رأى شخصا نهض وهرب . والسماخ جوف الأذن ، شبهه ببيت العنكبوت .

(٣) البيتان فى ديوان أبى نواس — الحكمى — ٢٤٢ (ط . مصر ١٨٩٨) وفيه ... والليل معتكر — ولعلها الأقرب الى ليالى أبى نواس (الصافية) — والآخية والأخية عروة تربط الى وتد مدقوق وتشد فيها الدابة .

(٤) لم نقف على هذه الابيات فى ديوانه . والدبيقى نوع من الثياب نسبة الى بلدة دبيق . وسمدت : دأبت يقال سمد فلان فى العمل دأب فيه والشرب نوع من الثياب أيضا .

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها

فى الاغتسال

السؤال :

أنا رجل موظف ، وقد استيقظت من نومى فوجدتنى محتلما ، ولم يبق من الوقت ما يسمح لى بالاغتسال ، وادراك العمل فى موعده ، فهل يجوز لى ان أتيمم للصلاة ، وهل يصح أن أتوجه الى العمل بدون غسل ؟ هشام ــ دبى

الاجابة :

ما دام الماء موجودا فلا يجوز لك التيمم ، وضيق الوقت ليس عذرا مبيحا للتيمم ، والخروج من المنزل قبل الاغتسال جائز شرعا ، ولكنه ليس من شأن المؤمنين المتطهرين الذين يحبهم الله ويرضى عنهم .

الهرب من التجنيد

السؤال :

لجا الى منزلى ابن أحد أصدقائى وطلب منى ايواءه والتستر عليه لأنه هارب من التجنيد وانا فى حيرة ، هل أتستر عليه ام أبلغ عنه ؟ س ــ العراق

الاجابة :

قال الله تعالى « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » وبهذا اوجب الله على الأمة الاسلامية ان تعد قوة مسلحة تحمى دينها وحرماتها وأرضها من عدوان المعتدين ــ وكان المسلمون السابقون يتطوعون من أنفسهم للجهاد طلبا للشهادة، فى سبيل الله ، فلا يجوز لمسلم أن يهرب من التجنيد ولا يجوز لمسلم أن يعين غيره على الهرب منه ، والظروف الراهنة التى تعيشها الأمة العربية تفرض على جميع أبنائها أن يتقدموا للجهاد لانقاذ مقدساتهم وتحرير أرضهم وغسل العار الذى لحقهم على يد الصهيونية الباغية ، فكل من فر أو أعان على الفرار من أداء هذا الواجب المقدس فهذا اثم فى حق ربه ودينه وأمته .

ميراث الجنين

السؤال :

توفى رجل عن زوجة ، وحمل (جنين) وبنات أربع وأختين شقيقتين وابن أخ شقيق ، فما نصيب كل منهم من التركة ؟ حسين ــ بيروت

الاجابة :

يحجز للجنين من التركة نصيب ولد ذكر الى أن يولد ، فاذا ولد حيا تقسم التركة على النحو الآتى :ان كان ذكرا تأخذ الزوجة الثمن فرضا وباقى التركة للولد والبنات الاربع للذكر مثل حظ الانثيين ولا شيء للأختين الشقيقتين ولا لابن الأخ الشقيق .

وان كان أنثى تأخذ الزوجة الثمن فرضا ، وللبنات الخمس الثلثان فرضا بالتساوى وللأختين الشقيقتين الباقى مناصفة بينهما ، ولا شيء لابن الأخ الشقيق لحجبهما بالاختين الشقيقتين . واذا ولد الجنين ميتا توزع التركة بين الزوجة والبنات والأختين الشقيقتين فقط .

منكر حرمة الخمر

السؤال :

بعض المسلمين ينكر حرمة الخمر وحجته فى ذلك أن الله لم يقل فى القرآن الكريم حرمت عليكم الخمر كما قال سبحانه « حرمت عليكم الميتة » فما حكم اسلام منكر تحريمها .

على ــ الكويت

الاجابة :

تحريم الخمر أمر معلوم من الدين بالضرورة ــ ومن أنكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة فهو مرتد عن الاسلام ، وقد ثبت هذا التحريم بالكتاب والسنة النبوية الصحيحة واجماع المسلمين . فمن استحل شرب الخمر بعد هذا معاندا أو متاولا فهذا خارج من المسلمين « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

الزواج السرى

السؤال :

اذا اتفق رجل مع امرأة على الزواج بها ، وحصل الايجاب والقبول ، وقدم لها المهــر ، ولكنه لم يثبت هذا الزواج فى وثيقة ولم يشهد عليه فما حكم هذا الزواج شرعا ؟

الاجابة :

الزواج الذى يخفيه الانسان عن الأهل والأقارب والناس ليس هو الزواج الشرعى الذى من الله به على عباده وهذا الزواج لا يحقق الأهداف النبيلة التى شرع الزواج من أجلها والعلاقة التى تقوم بين الرجل والمرأة على هذا الاساس علاقة محفوفة بالريبة والخوف .

ولهذا اشترط الفقهاء فى صحة عقد الزواج حضور الشهود ، وبما أن هذا العقد المذكور فى الســؤال لم يحضره شهود فهذا عقــد باطل ، ولا يصح للرجل معاشرة المرأة على أساسه .



يعبرون فيه عن أفكارهم
دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

مبادؤنا .. لا مبادىء الغرب

من كلمة للأستاذ / سامى سيد طه :

انساق كثير من شبابنا ممن تثقفوا على موائد الغرب وراء بريق زائف لآراء ومبادىء ظاهرها فيه الرحمة وباطنها فيه العذاب ، مبادىء اتخذها الغرب لخداع الشعوب وتضليل الرأى العام . ينادون بالمساواة وهم لا يفقهون من المساواة الا اسمها ، ويدعون العدل ثم يريقون مبادئه على مذابح أهوائهم ، ويقولون بأنهم رسل رحمة واخاء ويلهبون ظهور الانسانية بسياط جورهم .. تناقض تام بين القول والعمل فى شتى جوانب الحياة الغربية ، فهذا تمثال الحرية فى أمريكا تراق بجانبه دماء الملونين ظلما وعدوانا ، وهذه هيئة الأمم ، هيئة السلام ، سيطر عليها من يريدون توجيه دفتها لخدمة أغراضهم ، طالبين تأييدها لهم فى تنفيذ مؤامرتهم لخنق الحريات ، وهم يدعون أنهم يعملون من أجل السلام وتقدم الأمم فى موكب الرقى ، ومع ذلك يضعون اسرائيل شوكة فى ظهر العرب تعوقهم عن النهوض ! .. ومع كل هذا التناقض آمن بعض شبابنا بمبادىء الغرب ، جهلا بدينهم ، وانسياقا مع الدعايات المضللة .. ولو أن شبابنا تروى بعض الشىء لأغناه ذلك عن التسول على موائد الغرب

مبادىء ، هم فى الواقع أى الغربيون — عالة علينا فيها .. وليتهم طبقوها كما طبقتها عقيدتنا السمحة ! فالاخاء والمساواة والاشتراكية والديمقراطية والتكافل الاجتماعى ، كل هذه المبادىء التى يتشدق بها الغرب ويغرى بها الشباب الأغرار . كلها مبادىء اسلامية طبقها الرسول وخلفاؤه فى مجتمع الطليعة وعند التوسع طبقوها فأحسنوا التطبيق .

الفكر والسياسة والاسلام

كتب الأستاذ على راضى كلمة تحت هذا العنوان جاء فيها : لا شك أن بداية الاسلام كدعوة مميزة كانت ككل بداية ، وهذا هو الأمر الطبيعى والذى تدعمه الحقائق التاريخية . تاريخ الثلة الأولى من شباب الاسلام بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقد لاقى الاسلام من عناد

القادة وعنت الشعوب ما لاقى ، ولما نضج واكتمل أقام الله دولته واعز لواءه ونشر ذكره وأدام حكمه ، وأصبح أعداؤه الألداء هم جنوده الخلصاء .

ولكن الاختلاف بين الاسلام وبقية الدعوات يظهر فى مرحلتين : مرحلة الحكم ومرحلة الانجار فالاسلام قادر باستمرار على اعطاء أفكار جديدة تلائم العصر ، وهذه احدى معجزاته وهى أنه خالد على الدهر ويصلح لكل زمان ومكان ، وقد رأينا هذا واضحا فى عهد الخلفاء الراشدين الذين حكم كل منهم عصرا مختلفا عن عصر خليفته . وكان الاسلام فى جميع هذه المراحل يطبق تطبيقا كاملا وابتعدت الشقة فى عهد بنى أمية ، وفتح الله على المسلمين وتغير وجه الغبراء وتبدل حال الناس ومع هذا بقى الاسلام قادرا على أن يضبط حياة الناس لا عنفا ولكن سعة فىمبادئه ولا للدانة فى مبادئه بل لمرونة فيها .

وعندما ساد الظلام وابتعد المسلمون عن دينهم وزالت الدولة الحاكمة باسم الاسـلام لم يكن ذلك لأن فكرا جديدا استطاع مغالبته وازالة دولته بل لأن جهلا سيطر على المسلمين وظلاما سـاد بلادهم فابتعدوا عن دينهم رويدا رويدا حتى زال نوره من قلوبهم فسقطت دولته من بين اظهرهـم لأنهم أصبحوا فى حالة لا يستحقون معها حمله ولا يقدرون معها على اقامته . ومن هنا يتجلى الفرق بين الاسلام وسواه من الايديولوجيات فهو غير بعيد عن قلوب الناس وعقولهم ولم يبتعد مهما تقدم الانسان ، كما أن أى فكر انسانى لا يقوى على الصمود أمامه بل مواجهته مهما كانت حال الاسلام من الضعف وحال هذه المبادىء من القوة .

يا أمة العرب

وبعث الأستاذ حامد شكور قصيدة بهذا العنوان يقول فيها :

ياقوم : هذا هـو التاريخ ينفحنا ... عزما يبدد مـا نلقى مـن الويل
عند التحدث عـن امجـاد امتنا ... فى القدس حين اقيمت دولة الدول
هذا صـلاح الدين القائد الورع ... قد وحد الشمل فى وعر وفى سهل
حتى تعـالت هتافـات مدوية ... « الله أكبر » بين السـفح والجبل
تسعون عاما بلاد الشـام لم ترها ... الا انحرافا واصرارا علـى الجهـل
لكنه الاسـلام هدأ روعهـم ... واضـاء وجها قد تكدر من محل
قد ظل هذا الدين روح نضـالنا ... فأزال أكداسا من الارهاب والسحل
يا عرب سوف يعود الدين ينقذنـا ... فحذار من مسـخ وحذار من بدل
أعظم بـه دينـا . هيـا لساحته ... ولنعل آفاقا الى التوحيد فى ظـل
« والله أكبر » سر النصر ترفعنـا ... يا أمة العرب كبى صـيحة البذل
فالله ينصرنـا : اذ ما ننـاصره ... ولسوف يخذل من يبقى علـى جدل



باشراف

الشيخ رضوان البيلي

امنعوا الاختلاط

هذه الرسالة ليست لى ، بل هى لكاتبة أمريكية متخصصة فى دراسة مشكلات الشباب ، وقد عثرت عليها فى صحيفة من الصحف التى تصدر فى احدى الدول العربية المسلمة ، وقد بعثت بها اليكم رجاء نشرها لعل الله يفتح بها قلوبا غلفا وأعينا صما ويهدى بها قوما فتنهم المجتمع الغربى ، وفرض عليهم نفسه .... تقول صاحبة الرسالة « هيلسيان ستانسبرى » .

ان المجتمع العربى كامل وسليم ، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التى تفيد الفتاة والشاب فى حدود المعقول ، وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبى والاميركى ، فعندكم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة ، وتحتم احترام الأب والأم ، وتحتم أكثر من ذلك عدم الأباحية الغربية التى تهدد اليوم المجتمع والأسرة فى أوروبا وأمريكا ، ولذلك فان القيود التى يفرضها المجتمع العربى على الفتاة الصغيرة ، وأقصد ما تحت سن العشرين . هذه القيود صالحة ونافعة.

لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم ، وامنعوا الاختلاط ، وقيدوا حرية الفتاة بل ارجعوا الى عصر الحجاب ، فهذا خير لكم من اباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا .

ان الاختلاط والاباحية والحرية فى المجتمع الأوروبى والأمريكى هدد الأسر وزلزل القيم والأخلاق، فالفتاة الصغيرة تحت سن العشرين فى المجتمع الحديث تخالط الشبان ، وترقص (تشاتشا) وتشرب الخمر والسجاير ، وتتعاطى المخدرات باسم المدنية والحرية والاباحية .

والعجيب فى أوروبا وأمريكا أن الفتاة الصغيرة تحت سن العشرين تلعب وتلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها ، بل تتحداهم باسم الحرية والاختلاط تتحداهم باسم الاباحية والانطلاق تتزوج فى دقائق ، وتطلق بعد ساعات ، ولا يكلفها هذا أكثر من امضاء (توقيع) وعشرين قرشا وعريس ليلة ، أو لبضع ليال ، وبعدها الطلاق . وربما الزواج فالطلاق مرة أخرى.

عبيدان الفصيل ـ الكويت .

وشهد شاهد من أهلها .. هذه الرسالة تقرير من شاهدة عيان لا من شاهد عيان عن تجربة الاختلاط فى المجتمعات الأجنبية ، وعن نتائجه المخزية المشينة ، وما أظن أن عاقلا مسلما يحب لمجتمعه أن يتردى فى الهاوية السحيقة التى تردت فيها المجتمعات الاجنبية ولا أن يخوض تجربة ثبت فشلها وخزيها وعارها . وانى لأنكر أشد الانكار على كل من يريد أن ينقل مجتمعه المسلم المحافظ الى مجتمع العرى والتكشف والفوضى باسم الاسلام فيتخذ من ترخيصه للمرأة فى الخروج من المنزل لبعض حاجاتها ، ولحضور صلاة الجماعة فى المسجد ، ولشهود الحج ، وللمشاركة فى بعض أعمال الجهاد وسيلة لاباحية الاختلاط . فقد وضع الاسلام لمثل هذه الأحوال قواعد وضوابط . وهذا الترخيص ليس مطلقا غير محدود بل هو مقيد مشروط ، فليس جائزا فى الاسلام أن تطوف المرأة خارج بيتها كما تشاء ، ولا أن تخالط الرجال فى المساجد والمعاهد والمجالس كما تشاء ،

فصلاتها فى بيتها أفضل من صلاتها فى حجرتها ، وصلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها ، وأخرج البخارى عن عطاء أن النساء كن يطفن بالبيت مع الرجال على العهد النبوى ، ولكنهن لا يخالطن الرجال . ونهى عمر أن يطوف الرجال مع النساء ، ورأى رجلا معهن فضربه بالدرة ، كان خروج النساء الى الحرب ضرورة ولا ضرورة الآن لوفرة الرجال .

ومع تقديرنا للنصائح الغالية التى جاءت على لسان الكاتبة أحب أذكر أن هذه ليست تقاليدنا وعاداتنا فقط والتقاليد والعادات تخضع وتتأثر بتطور الحياة . هذا هو ديننا وشريعتنا قرآننا وسنة نبينا وهدى سلفنا ، والحجاب ومنع الاختلاط والتستر كل هذا ليس قيدا للمرأة ، بل هو تكريم وتشريف لها ، وعصر الحجاب الذى ورد فى الرسالة هو عصر النبوة الهادية ، وعصر الرسالة الخاتمة ، وعصر الفضيلة والعفاف ، وعصر السيادة والقوة وعصر الشخصية المتميزة الكاملة للمرأة المسلمة ، والفتاة الصغيرة فى الاسلام هى التى لم تبلغ سنا تشتهى فيه ، أما اذا بلغت هذا السن ، فيجب أن تؤخذ بأحكام الله سواء أكانت دون العشرين أم فوقها ، ولكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء .

مساجد في القمر

قد يصل الانسان الامريكى الى القمر ، ويضع قدميه على أرضه قبل أن تصلكم هذه الرسالة ونتيجة لهذا يكون الانسان قد دخل فى ملكوت السماوات ، بل يكون وصل الى الى أبعد من نصف هذا الملكوت لأن القمر كما تعلمون فى السماء الرابعة .

كيف وصل الانسان الى هذا المستوى ، ولم تحرقه الشهب التى حرس الله بها السماء ، وجعلها رجوما للشياطين ؟ وما هو موقف المسلمين بعد أن يصبح هذا الكوكب عامرا ببنى الانسان ؟

سيد جلول — الرباط

يبدو يا سيدى أنك مأخوذ بهذا التقدم العلمى الخطير ، ويحق لك ولكل انسان أن يؤخذ بما وصل اليه العقل الانسانى فى هذا المجال ، واذا كان بلوغ الانسان هذه المنزلة يبعث على الاعجاب والتقدير ، أفليس الخلق والابداع لهذا الكوكب واخضاعه لقوانين كونية ثابتة يدعو الى مزيد من الايمان بالوجود والتقديس للخالق الحكيم ! !

((هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون)) ((تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا))

وسفينة الفضاء (أبولو ١١) وأبولو ١٠) لم تصل الى السماء الأولى و ورجل الفضاء الذى سيضع قدميه على القمر لم يلج ملكوت السموات لأن القمر ليس فى السموات ، والكواكب والنجوم كلها ليست فى السموات ، بل هى دونها ، والسموات فوقها بمسافات لا يعلمها الا الخالق جل وعلا ، والزعم بأن القمر فى السماء الرابعة أو الثالثة وهم وخرافة ، وأكذوبة ابتدعها الاسرائيليون ودسوها على المسلمين ، وسودوا بها صحائف الكتب ، ونسبوها الى ابن عباس رضى الله عنه .

والقرآن الكريم صريح كل الصراحة فى أن هذه الكواكب ليست فى السماء بل هى منثورة بين السماء والأرض قال تعالى ((ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين)) والقمر واحد من هذه المصابيح .

واذا وصل الانسان الى القمر وكثر هناك الاناسى كان على المسلمين أن يبذلوا جهدهم ليرحلوا اليه فيمن يرحل ، وان يبلغوا كلمة الله هناك ، ويقيموا شعائره ، ويشيدوا مساجده ويرفعوا المآذن ، ويذكرو اسم الله بكرة وأصيلا وبعد :

فليس فى الاسلام ما يدل على عدم امكان الوصول الى القمر ، بل فيه ما يغرى العقل الانسانى باكتشاف جميع الآفاق المجهولة ، فيه ما يؤاخذ المسلمين على التخلف والقصور فى ميدان المعرفة والحضارة .



الشرق الأوسط
من مقال نشرته مجلة البلاغ الكويتية
تحت هذا العنوان نقتطف ما يلى :

أنه قلب العالم الاسلامى النابض الذى يسيل عليه لعاب الاستعمار واليهود ليس لأنه يمثل ثروة اقتصادية وبشرية واستراتيجية وطبيعية ومركز مواصلات فحسب بل لأنه كذلك القلب الحى لهذا العالم الكبير وواسطة العقد فيه ، فاذا نفذت فيه الطعنة النجـــلاء وتوقف عن النبض — لا سمح الله ضمن الأعداء التقليديون فناء هذه الأمة واضمحلال هذا الدين . خاب فألهم وضـــل عملهم ، فلو كان الأمر متوقفا على البشر فقط لصدقت مقاييس أولئك ، ولكن الله تعالى هو الذى تكفل بحفظ هذا الدين واظهاره : ((انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)) ((والله متم نوره ولو كره المشركون)) .

من هنا كان كل هذا الاهتمام بما يسمونه ((الشرق الأوسط)) فغرس فى قلبه خنجر مسموم وكانت هذه المرة ضربة فى الصميم يصعب شفاؤها والتخلص منها لأن الضاربين قد استفادوا من عبر التاريخ ودروس الماضى — بينما غفلنا نحن وتفرقنا وتخاذلنا وتواكلنــا — فـأخفوا الضارب والمضروب وقالوا : عرب ويهود . بينما هى سلسلة من الحرب الصليبية الطويلة التى لم تنته .

عندما دخل القائد الانجليزى اللنبى القدس وتنفس الصعداء قائــلا ((الآن انتهت الحروب الصليبية)) ، وها هى أخبار منطقتنا — وقلبها فلسطين — وأحداثها وما تثيره يحتل الصــفحات الأولى فى مختلف الصحف والأخبار الأولى فى الاذاعات واجهزة التفزيون .. وتفصيل ذلك يطول وما أحداث لبنان وقضايا الخلاف بين العراق وايران عنا ببعيد ، وكل ذلك وغيره مما كان وسيكون مندرجا تحت ما تقول ويتبادل التأثير والتأثر بقضية المسلمين الأولى قضية فلسطين .

هل تعلم

وجاء فى نشرة فلسطين التى تصدرها وزارة الارشاد والأنباء الكويتية تحت هذا العنوان ما يلى :

● أن ديفد بن جوريون صرح لصحيفة (لوموند) ، الفرنسية ، بأن المجتمع الذى يحلم بــه الاسرائيليون لم يتحقق بعد ، وأنه لم يفد الى فلسطين المحتلة سوى ١٨٪ من يهود العالم .... أى أن حلم الصهاينة لن يتحقق الا بالتوسع لتستوعب ، حسب تصريحات بن جوريون ، من ٤ — ٥ ملايين مستورد يهودى ؟؟

● ان عدد اليهود فى فلسطين المحتلة حوالى ٥ر٢ مليون ؟

● أن مصدرا فى وزارة الخارجية الاسرائيلية أعلن بأن المؤسسة العسكرية العدوانية دفعت فى السنة الماضية ٣ر٣ مليون دولار تعويضا للقتلى الاميركيين من ملاحى سفينة التجسس (ليبرتى) وأن أمريكا طلبت ٥ر٣ مليون دولار أخرى تعويضا للجرحى وعددهم ١٦٦ ؟؟

أن المؤسسة الصهيونية تدرس خطة موشى دايان ، وزير الدفاع الصهيونى ، الخاصة بدمج الاراضى المحتلة بفلسطين السليبة .. وان غولدا مائير ، رئيسة وزراء العصابات المعتدية أعلنت رفض الدمج .. أكثر من مرة ؟؟

● أن عرب القدس والناصرة رفضوا دفع الضرائب للسلطات الاسرائيلية بالرغم من التهديدات والتحذيرات التى يعلنها العدو يوميا وبكل وسائل اعلامه ؟؟

● أن حصيلة التبرعات ، كما تقول صحيفة الجويش كرونيكال ، لهيئة جى . بى البريطانية اليهودية للعام ١٩٦٨ بلغت ما يزيد على أربعة ملايين جنيه استرلينى ، ويتوقع أعضاء الهيئة أن تزيد تبرعات عام ١٩٦٩ على خمسة ملايين جنيه استرلينى ؟؟

● أن المنظمات الصهيونية تمكنت من جمع توقيعات ٢٢٠ من أعضاء الكونجرس الامريكى على بيان يعلن معارضتهم لمحادثات الدول الأربع الكبرى ، لبحث تنفيذ قرار مجلس الأمن لحل أزمة الشرق الاوسط ؟؟

حادث انابيب حيفا

وتحت هذا العنوان كتبت جريدة السياسة الكويتية افتتاحية جاء فيها : —

حتى يكون العمل الفدائى مجديا أكثر يتحتم بالمقابل أن يكون نشاطه داخل الارض المحتلة ، بل حتى قواعده أن امكن . فالدول العربية ، وهى تعلن قبولها للحلول السلمية ، وتفاوض من أجل حدود آمنة ، وتترك تحديد ذلك لقرارات الدول الكبرى ، فانها تتمشى — ربما — مع قرار بطلب ايقاف النشاط الفدائى كقواعد تنطلق من أراضيها ، وهذا بالطبع لن يكون لها فيه خيار بالمرة ، فالقرار سيكون قرار الكبار ، وعلى الصغار عادة أن يصغوا لما يريده الكبار ، أو فليستعدوا للموت .

والعمل الفدائى الذى يواجه الآن أول مصاعبه فى لبنان ، سيواجه مصاعب أخرى تتمثل فى ذلك التمزق فى اتجاهاته ونشاطه . فحتى الآن هناك أكثر من ثلاثين منظمة فدائية ، ومع كل حادث بسيط داخل الاراضى المحتلة يصدر أكثر من بلاغ يعلن تبنى الحادث ، وانه من فعل هذه الجبهة لا تلك .. ان الصورة التى اصبح عليها العمل الفدائى الآن توحى بالشك والخوف الى حد ما من ان بعض الجبهات لا تعرف من العمل الفدائى سوى فن الجباية وهذا أمر فى غاية الخطورة ، حتى يمكن القول بأن المواطن العربى العادى ، قد يجد نفسه فى يوم من الأيام قد احجم تماما عن المساعدة التى يبذلها ، والتى كان يمكن أن تكون مجدية لو نظمت واختير لها طريق مدروس .

ثم ان هناك موقفا رسميا عربيا اذا لم يتضامن مع العمل الفدائى فان العمل الفدائى سيفقد دعامة هامة فى استمرار بعث الروح فيه ، والموقف الرسمى العربى سيكتفى بالتأييد للعمل الفدائى فى اطار التصريحات الصحفية أما العمل الجدى فانه لن يكون حتى يكون العمل الفدائى نشطا داخل الارض المحتلة بقواعده ، وبذلك تواجه اسرائيل النضال الحقيقى للشعب الفلسطينى ، وهو نضال لا يمكن توفره بتمزق الفدائيين وتعدد جبهاتهم ومنظماتهم أو بنشاط على الحدود ..

ان حادث تفجير أنابيب النفط فى حيفا عمل فدائى ناجح .. ولكن بالطبع ستصدر بيانات من أكثر من جبهة فدائية تتبناه وتعتبره من فعلها .

وبالطبع هنا يتأكد التمزق الفدائى الذى لن يؤدى فى النهاية الى الاستمرار والديمومة .



اعداد الاستاذ : عبد المعطي يومي

الكويت : استقبل سمو أمير البلاد المعظم وفدا من الطلبة الكويتيين ممثلين عن اتحاد الطـلاب المسلمين فى أمريكا حيث عرضوا على سموه دور الأتحاد فى خدمة القضايا العربية والاسلامية .

● شكت اسرائيل مرتين خلال الشهر الماضى من أن الكويت تشارك فى القتال وتؤيد الفدائيين بصورة مباشرة ، وقد صرح سعادة الشيخ سعد العبد الله وزير الداخلية والدفاع بأن الكويت تفخر بذلك وتوكد استمرار موقفها .

● وافق مجلس الوزراء الكويتى على التبرع بمبلغ ٣٠ ثلاثين الف دينار كويتى لمساعدة بعض الهيئات والجمعيات الاسلامية فى عدد من البلدان العربية والاجنبية بناء على توصية قدمها معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية .

● قام سلطان طائفة البهرة الاسلامية فى الهند بزيارة البلاد فى الشهر الماضى ضمن جولة فى القاهرة والجزائر وليبيا بعد أدائه فريضة الحج .

● صرح معالى وزير الأشغال أنه سيتم بناء ١٠٥ مدرسة و ١١٨ مسجدا خلال السـنوات المقبلة .

● وضعت وزارة التربية بالاشتراك مع معهد التخطيط التابع للأمم المتحدة فى الكويت خطة خمسية للتعليم فى الخليج تنتهى فى ٧٢ ــ ١٩٧٣ بحيث يبلغ عدد الطلاب فى نهايتهـا ٢٠ ألفـا والمدرسين ٨٠٠ .

● اتخذت وزارة التربية اجرآت حازمة مع المدرسة التبشيرية التى تطعن على الرسول وتزور قضية فلسطين لطلابها .

● رحبت الكويت بقطع تركيا للعلاقات الاقتصادية مع اسرائيل ، ويجرى تنسيق أعلامى بين الكويت وأنقرة وقد افتتح معالى وزير الارشاد مكتبا سياحيا تركيا فى الكويت ، كما ينتظر أن تفتح سفارات فى البلدين .

● نشرت وزارة التربية احصائية عن تطورها منذ انشائهـا ٣٦ ــ ١٩٣٧ م حيث كان عدد طلابها ٦٠٠ والمدرسين ٢٦ وميزانيتها ٤ آلاف دينار وفى ٦٨ ــ ١٩٦٩ يبلغ عدد الطلاب ١٢٠٥٥٠ والمدرسين ٧٣١٧

وميزانيتها ٢٧ر٣٨٩٠٠٠ دينارا كويتيا .

القاهرة : بعث مدير جامعة الأزهر الشيخ الباقورى برقية الى امام الشيعة فى ايران يبلغه فيها باسم الجامعة أسفه لاثارة مشكلة الحدود مع العراق فى الوقت الحاضر .

● عقد الفريق محمد فوزى وزير الحربية ندوة تحدث فيها عن دور علماء الأزهر فى جبهـة القتال ، والجدير بالذكر انه يوجد عدد كبير منهم فى صفوف الجيش .

● عقد سلطان طائفة البهرة مؤتمرا صحفيا خلال زيارته لجامعة الازهر صرح فيه أن مسلمى الهند وعددهم ٦٠ مليون مسلم على استعداد للجهاد بجانب اخوانهم العرب ، وطالب بعقد مؤتمر اسلامى

● يسود التوتر الشديد والقتال المستمر — جبهة القناة ، وقد تميز أخيرا بغارات ناجحة للكوماندوز المصريين على تحصينات العدو .

السعودية : صرح الشيخ أحمد زكى اليمانى وزير البترول والثروة المعدنية بأن انتاج المملكة من البترول قد هبط نتيجة لضرب خطوط التابلاين من قبل بعض الفدائيين فى نهاية الشهر الماضى ، وصرح بأن السعودية لن توافق على تحويل هذه الخطوط من مسارها الطبيعى .

● قام معالى الشيخ عمر السقاف وزير الدولة للشئون الخارجية السعودى ، بزيـــارة الى الكويت حيث تم التباحث مع المسئولين الكويتيين حول تدعيم العلاقات بين البلدين الشقيقين ، كما تم التباحث حول قضايا الخليج وقضايا عربية أخرى .

● زار البلاد بدعوة من رابطة العالم الاسلامى السيد أبو الحسن الندوى العالم الهندى ، وقد ألقى محاضرة عن فراغ فى المجتمع يجب أن يملأ « تحدث فيها عن تاريخ الاسلام وأمجاده ، ودعا الى التمسك بالاسلام وتعاليمه .

الاردن : قامت سلطات الاحتلال الاسرائيلى بهدم ١٤ منزلا عربيا حول المسجد الأقصى ، وقد اعتدت قوات الجيش الاسرائيلى على اثنين من الصحفيين الأجانب حاولا تسجيل عملية نسف هذه البيوت .

العراق : قام وزير الوحدة العراقى بجولة استغرقت أسبوعين فى الشهر الماضى لعدد من الدول العربية لشرح وجهة نظر العراق من قضية الملاحة فى شط العرب وقضايا الخليج .

سوريا : وافقت سلطات الأردن وسوريا على دخول الرعايا السوريين الى الأردن بالهويـــة الشخصية فقط ، وقد سمحت سوريا فى الشهر الماضى للرعايا العرب جميعا بدخول سوريا دون جواز .

السودان : أعلن اللواء جعفر النميرى رئيس مجلس الثورة قرارا يمنح جنوب السودان الحكم الذاتى ويطالب الجنوب بذلك منذ عشر سنوات

قام وفد سودانى بجولة فى عدد من الدول العربية لشرح وجهة النظر الجديدة للسودان فى مختلف القضايا .

ليبيا : أجرى تعديل وزارى بحيث خرج وزراء الخارجية والداخلية والصحة وعينوا سفراء فى وزارة الخارجية .

الجزائر : رفض الرئيس بومدين تحديد النسل كحل لمشكلة تزايد السكان فى الجزائر وقال انه بدلا من تحديد النسل يجب ايجاد اعمال وبناء مدارس وتحسين الظروف الاجتماعية فى البـــلاد

المغرب : دعا الملك الحسن الى عقد مؤتمر قمة اسلامى وأوفد بعض وزرائه للدول الاسلامية من أجل هذا الهدف .

تركيا : نفت تركيا شائعات عن عقد اتفاق جديد بينها وبين اسرائيل ، وقالت ان الذى وقع بينهما هو برتكول يتضمن الاسس التى بموجبها ستسدد اسرائيل ديونها .

افتتحت فى تركيا مدرسة دينية للبنات فى حفل كبير ضم عددا من المسئولين ، وقد ذكر نائب رئيس الشئون الدينية فى كلمة ألقاها فى الحفل أننا نحن المسلمين نرفض التقدم الانحلالى ونحن بحاجة الى انسان يقدمنا خطوة الى الله تعالى .

البحرين : رفضت دائرة الشئون الخارجية تصريحات بعض المسئولين الايرانيين بما ســـمى مطالبة لا أساس لها بالبحرين ، وقالت ان هذه التصريحات تسىء الى الاستقرار فى المنطقـــة ، وتؤدى الى الاضرار بسياسة التعايش السلمى بين ايران والامارات العربية .

باكستان : القى الرئيس خان بيانا فى الشهر الماضى أعلن فيه أن الاسلام هو القاعدة الفكرية الوحيدة للباكستان ، وهاجم الذين يحاولون الاساءة الى عقيدة الباكستان وقال انه طالما ظـــل الشعب متمسكا بعقيدته الاسلامية فانه يصعب عليهم التأثير عليه .

أخبار متفرقة

كندا : عقد فى أوتاوا (عاصمة كندا) مؤتمر اتحاد الطلاب المسلمين فى الولايـــات المتحدة وكندا فى ١٦ ، ١٧ ، ١٨ مايو الماضى حضره مائة عضو من مختلف دول العالم حيث بحثوا موضوع الاقليات الاسلامية المعاصرة وموضوع فلسطين .

((الى راغبى الاشتراك))

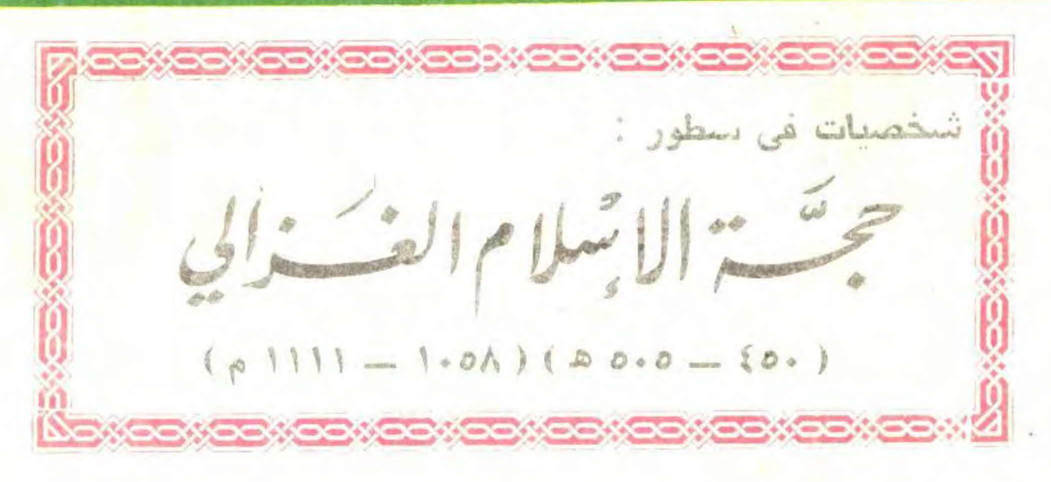
تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منــا فى تســهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيــاع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبــول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأســا مع متعهد التوزيع عنــدهم ، وهــذا بيــان بالمتعهديــن »

القاهرة : شركة توزيع الاخبــار ـ ٧ شارع الصحافــة
مكة المكرمــة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص.ب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء
الريــاض : مكتبة مكة شارع الملك عبد العزيز ـ السيد أحمد باصريح
الطائــف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص.ب ٢٢
جــــدة : الدار السعودية للنشر ـ ص . ب : ٢٠٤٣
بغــداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص.ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطــر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عــدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد
المــكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحــدودة
دبــى : ساحل عمان ـ ص.ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مســقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيــة ـ السيد رجا العيســى
دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : مكتبــه بحـــرى ص.ب ٥

مراكــش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى
ليبــيا : طرابلس الغرب ص.ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغــازى : مكتبة الوحدة العربية ص.ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص.ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



● هو أبوحامد محمد بن محمد الغزالى ، الملقب بحجة الاسلام ، ولد بقرية غزالة واليها نسب — من قرى طوس بخراسان سنة ٤٥٠ هـ — ١٠٥٨م لأب كان يتخذ دكانا لنفسه يغزل فيه الصوف ويبيعه ، وبها تعلم الكتابة والخط ، ثم مضى الى نيسابور ، وتتلمذ هنــاك على امام الحرميــن الجوينى ، فلفت الانظار اليه بذكائه وفطنته وحاضر بديهته ..

● لقيه الوزير نظام الملك فاعجب به ، وحل من نفسه محلا عظيما وولاه التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٨٤ هـ ..

● طاف الغزالى بكثير من البلاد الاسلامية ، فحج ، وانصرف الى دمشق وبقى بها مدة ، وفيها الف بعض كتبه ويقال إن كتابه « إحيــاء علوم الدين » واحد منها . وزار القدس والاسكندرية ..

● والغزالى مع أنه أعجمى الأصل كان ذا أسلوب عربى مشرق استطاع به أن يعبر عن كثير من أدق المعانى الفلسفية فى سهولة ويسر ..

● والغزالى شخصية متعددة الجوانب فهو : أمام متكلم ، وفيلســوف مسلم ، وعالم أخلاقى ، وفقيه مجتهد ، ومتصوف زاهد ..

● وتوفى حجة الاسلام الغزالى سنة ٥٠٥ هـ — ١١١١ م ..

● وللغزالى نحو مائة كتاب فى مختلف المعارف والعلوم العقلية والدينية منها :

— احياء علوم الدين .
— تهافت الفلاسفة .
— محك النظر فى المنطق .
— القسطاس المستقيم .
— الرد على الباطنية .
— مشكاة الانــــوار .
— كيمياء السعادة « ألفه بالفارسية » وقد ترجم الى العربية ..

رحمه الله تعالى رحمة واسعة ،

العوضى الوكيل

الوعي الإسلامي

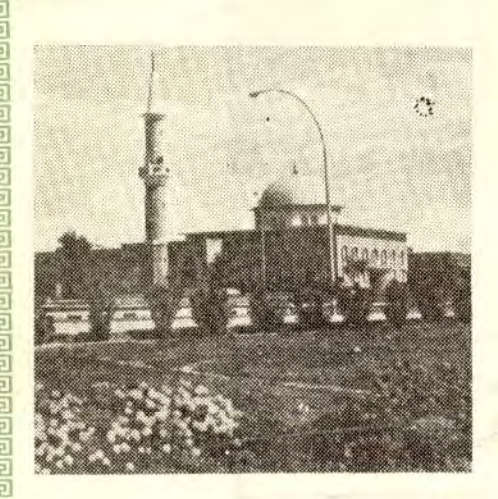
إسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة ـ العدد ٥٤ جمادى الثانية ١٣٨٩ هـ ـ ١٤ أغسطس «آب» ١٩٦٩ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف



بين جلال الروحانية وجمال الطبيعة يظهر فى الصورة مسجد الشامية الضاحية . أحد المساجد الحديثة فى الكويت ، يطل بمنارته الشاهقة وقبته العالية على حديقة غناء أخضل روضها وتفتحت أزهارها .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة الخامسة

العدد الرابع والخمسون

جمادى الثانية ١٣٨٩ هـ
١٤ أغسطس (آب) ١٩٦٩ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		فرنك وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

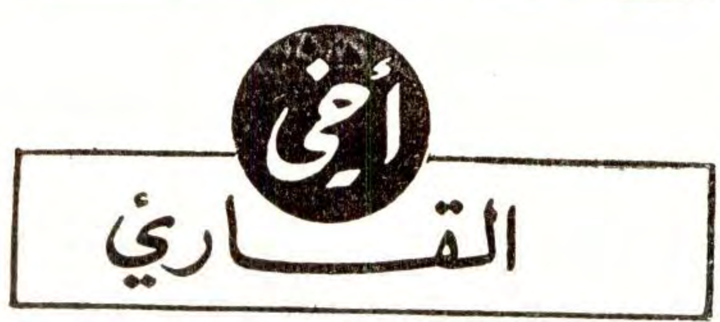
الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
(أما الأفراد فيشتركون رأسا)
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت





وعدت فى العدد الماضى بمتابعة الكاتب الهدام فيما كتبه ، ودعا اليه من قضاء على الدين ، ونسفه من الجذور ، كنموذج للدعوة التى يدعو بها بيننا جماعة من أبناء البلاد ، ليحملوها على التنكر لدينها ، ويقطعوا صلتها بماضيها المجيد . وذلك ليعرف كل مسلم أمين على دينه :

من أين تهب عليه ريح السموم ، ولا سيما فى هذا الوقت الذى نشط فيه هؤلاء ، وتجرءوا على الهجوم الصريح على الدين فى كتبهم ومجلاتهم .. بصورة لن تنفعهم بل ستكشفهم وتفضحهم : لأنها ستنبه الغافلين ، وتوقظ النائمين من المسلمين : ليقفوا حراسا أمناء على دينهم وتراثهم ، قبل أن يجرفهم السيل الى الهاوية .

وأختار لك هنا الآن بعض نماذج من تفكير الكاتب ودعوته ، فى مقاله الذى أشرت اليه ، فى العدد السابق والذى حشد فيه ــ تحت عنوان ((علمنة الانقلاب)) ــ كل مهارته الفكرية والانشائية ، لاقناع القارىء بوجوب التخلص من الدين .. ثم لم يكتف بهذا ، بل شاء له فكره وحظه أن يكشف عن دعوته ودعوة زمرته ، بصورة محددة فى آخر مقاله ، فقال :

((لذلك ان تساءل القارىء عن موقفى فى هذا الشأن فجوابى هو :

١ ــ اننى أومن أن ليس هناك من أديان تاريخية تنكرت فى تعاليمها للعقل الانسانى ، وكرامة الانسان أكثر من الاديان الوحدانية (!!!)

٢ ــ ان مساوىء الأديان وشرورها يزيد كثيرا جدا عن خيرها (!!!)

٣ ــ ان الاديان الوثنية كانت أخف شرا وأكثر عقلانية من الأديان الوحدانية، فهى أقل شرا لأنها لم تكن تضطهد وتقتل الآخرين باسم آلهتها كما صنعت الأديان الوحدانية (!!!) اذ كانت تؤمن أن لكل مجتمع آلهته فهو حر بها . وكانت أكثر عقلانية لأنها بتعدد آلهتها اعترفت بتعدد مظاهر الكون ومستوياته ، أكثر من

الأديان الوحدانية ، وهو موقف اكثر انسجاما مع العلوم الطبيعية الحديثة التى تميل الى رؤية مستويات عديدة متباينة معقدة ينطوى عليها الكون (!!)

٤ ـــ أن التاريخ شاهد آلاف الأديان التى آمن أصحابها بأنها الكلمة النهائية حول التاريخ والكون والحياة ، لكن جميع الاديان ماتت ، وليس هناك أى سبب يجعل الاديان الحالية فى العالم أكثر حظا (!!!)

هذا كلام السيد السند صاحب العقل الجبار !!! الذى يثور ويفور من أجل العقل واحترامه وحريته ! ، ويدعو الى نبذ الأديان ، لأنها فى رأيه تقيد العقل عن الانطلاق كما يريد ، ثم هو يرى فى الوقت نفسه أن الانتكاس الى هاوية اللا معقول ، والخضوع للأحجار ، وعبادة الأشجار والجبال . صورة من صور احترام العقل وتمجيده !!!

الى هذا الحد يذهب السيد المفكر العاقل جدا .. ويرى الاديان التى تدعو الى عبادة الله القاهر وحده ، وتسمو بالعقل الانسانى حتى لا يخضع الا لخالقه ، يراها أكثر شرا من الوثنية التى تمتهن العقل ، حتى يصير أقل قيمة من الحجر الذى يعبده !!

فهل هذا تفكير انسان يحترم نفسه ، وعقله ؟ ..

ومن العجب بعد ذلك أن نرى هذا المخلوق يتطاول على الله والأديان كلها ، ويخص الالهية منها بسخطه ونقمته ، ويحكم عليها بأنها شر من الوثنية !!

ومن العجب أن نراه يهاجم الاديان لأنها فى رأيه تشتمل على الايمان بالغيبيات ، ويهاجم أيضا الخرافات ، ثم يرفع من شأن الوثنية التى تقوم كلها على الاوهام والخرافات والأباطيل !!

هذا هو منطق السيد الذى يتصدى بكل غرور للحكم على الأديان بأنها شر!

لقد كشف نفسه ، وأبان لنا عن نوعية العقل الذى يحمله ويسيره .. وأراحنا ـــ حقيقة ـــ من تتبع كلامه بالرد والنقض ، فليس هناك عاقل يحترم نفسه وعقله ، يرى فى الخضوع للأحجار ، وتقديس الجبال والاشجار شيئا يرفع من قيمة العقل .

وهل مثل هذا الكاتب يغرى الناس باتباعه وقبول دعواه ، اللهم الا اذا كانوا على شاكلته ((والطيور على أشكالها تقع)) ؟ انه يريد الهدم وكفى ، وهو تابع أمين لكارل ماركس الذى يقول ((يجب أن نحطم الدين لأنه قيد يعوق التطور ..)) !! وهو يسخر لغته العربية لهدم الدين العربى فى نفوس الذين يقرأون لغة العرب دون أن يكلف نفسه مئونة الدراسة لدينه الذى يدعو للتطور فى كل مجال . فلحساب من ـــ اذن ـــ يعمل هذا وأمثاله ؟

ان الاسلام يقف أمام تحديات الشرق والغرب ، حارسا امينا على معنويات الامة الاسلامية ، والعربية منها بنوع خاص .. وهؤلاء الذين يتحدون الاسلام من خارج بلاد الاسلام ، ليس لهم هدف الا القضاء على هذا الحارس ، لينقضوا على فريستهم يفعلون بها ما يشاءون ..

ونحن لا نتعصب للأسلام وندافع عنه ، لمجرد أنه دين ورثناه عن آبائنا ، ولكن لأننا عقلناه ، وعرفنا فيه الحيوية الدافقة التى تحفظ على أتباعه كيانهم ،

وتحرسهم من الذوبان فى غيرهم ، وتجعل لهم شخصية ترتبط بصـــاحب هذا الدين ، وتصل عزتهم بعزته ، فهو دين يحفظ علينا دنيانا . قبل ان يحفظ علينا عاقبتنا ومآلنا ...

وهذا المعنى هو الذى يريد أعداؤنا أن يحطموه فينا ، وقد حطموا ما حطموا منه ، فتمكنوا من السيطرة علينا ، لكنهم لم يستطيعوا ان يقضوا على هذا المعنى تماما من نفوسنا ، ولم نستسلم لهم ، فأخذوا ينقضون علينا الآن لنسف ما تبقى لدينا من الجذور ، خشية أن تربو هذه البقايا ، وتنمو الشجرة ، وتتسع الدوحة . ويعود المجد الغائب لأهله ، ويصبح للمسلمين قوة تقف فى وجوههم ، وتحول دون أطماعهم ، وتردهم الى مخابئهم !!!!

وهذا الكاتب وامثاله مسلطون علينا ، ليبلغ الحاقدون هدفهم .. وما هم ببالغيه ، ((فلن يزال الخير فى هذه الامة الى يوم القيامة))

واذا كانت مخايل الضعف أو الترنح تغرى هؤلاء بالانقضاض علينا وعلى ديننا ، فان الشعور بالخطر كفيل بأن يحول الحمل الهادىء الى أسد هصور .

وهذه الاصوات وبعض التحركات المنبعثة من هنا وهناك للنيل من هـــذا الدين ، لن يكون لها الا رد فعل عنيف . ((فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم))

ومن العجيب أن يصل الغرور بهذا الكاتب وجماعته حدا جعلـــه يوجه النصيحة الغير المبرورة لما سماه ((بالفكر الثورى)) ليشجع الخروج على الدين ويوجهه .. والى أين ؟ المعنى فى بطن الشاعر ! .

فيقول فى مقاله ((لهذا كان على الفكر الثورى ان يتقدم ويوجه هذا الخروج أو على الأقل يجاريه)) حسنا .. انه يصدر تعليماته الى أصحاب الفكر الثورى فى البلاد العربية ، ونحن وغيرنا نقرأ هـــذه التعليمات : ولا بد ـــ نتيجة لهذا ـــ أن نأخذ حذرنا منهم ومن دعواتهم ولأجل أن يكون الكلام واضحا لا بد أن نحدد مـــا يريده بأصحاب الفكر الثورى .. انه يريد الجماعة التى تشاركه رأيه ، وتعمل القضاء على الدين ونسفه ، أولئك الذين سماهم ((المتمردون المسئولون عن الله الذى سيخلقونه)) وهو من أجل هذا لا يرضى عمن سماهم أصحاب الفكر العربى الثورى السائد ، لأنهم فى رأيه هـــادنوا الدين ، ولم يحدثوا الانقلاب المطلوب ، بنسفه من الجذور ، ويحملهم لهذا نتيجة الهزيمة ، لأنهم لو كانوا قد عملوا على نسف الدين لانتصروا !!

وهذا هو كـــلامه ، بعد أن دعا الى انقلاب يقضى على الفكر الدينى من الوجود ، كضرورة لا بد منها ، اذا اراد العرب الانتصار :

((لهذا كان الفكر العربى الثورى السائد فكرا اصلاحيا لا فكرا انقلابيا))

وما الفرق بين الاثنين فى رأيه ؟ انه يتابع كلامه فيقول :

((الاول (الفكر الاصلاحى) يحاول التوفيق بين استمرار الايديولوجيـــة التقليدية ، وتغيرات تجرى ضمنها ، بينما يرفض الثانى (الانقلابى الذى يريده) هذه الايديولوجية وينقضها . الاول يعبر عن تعبير تكتيكى أو اســـتراتيجى فى طريقة التعبير عنها ، فيترك قواعدها سليمة .

اما الثانى (الانقلابى) فيعنى تغيير هذه القواعد ذاتها ، وطرق التفكير والشعور السائد)) !!

فاصحاب الفكر العربى الثورى يعتبرون فى رأيه غير ثوريين وغير انقلابيين، ومتناقضون مع أنفسهم !!!!

لماذا ؟

لأنهم لم يثوروا على الدين ، ويقضوا عليه كما يريد ، بل صالحوه ، وتركوا قواعده سليمة ، وكان الواجب عليهم تغيير هذه القواعد !!

هكذا يرى السيد السند !! . ويطلق كلامه !!

ونحن نعرف من زمن بعيد أنه وأمثاله ضد كل عمل اصلاحى جزئى ، لأنه — فى رأيهم — يمتص عوامل السخط فى الأمة ، ويؤخر الثورة على الدين ، وعلى النظام الموجود !! وهم لهذا لا يرضون عن الزعماء العرب حتى وان أعلنوا أنهم ثوريون — ما داموا يحترمون دينهم وتقاليدهم ، وهم وان سالموهم ، ومشوا فى ركابهم زمنا ، فانما ليستغلوا الظروف ، ويقفزوا شيئا فشيئا الى ما يريدون ، من مرحلة الى مرحلة ، حتى يحققوا ما يريدون من انقلاب !!

لا أريد هنا ان الوم هؤلاء فهم منطقيون مع ما آمنوا به ، وجادون فى العمل له بكل الوسائل المتاحة لهم .. وانما الذى أريده هنا بعد كشفهم أن يتنبه الغافلون منا ، ويحسوا ما حولهم ، ويحولوا بيننا وبين الكارثة التى يعمل لها هؤلاء ..

أريد أن يتيقظ كتابنا ودعاتنا ، ويعيشوا فى جو المعركة الفكرية التى يتعرض لها دينهم وتراثهم ، وينازلوا هؤلاء بالأسلحة الفكرية الحديثة التى يستعملونها ، ويهجمون بها على أفكار الشباب ..لينتزعوهم من أحضان دينهم ووطنهم ..

أريد من الكتاب والدعاة ان يعيشوا على المستوى الفكرى الذى يطرح فيه هؤلاء آراءهم ويقدموا لشبابنا من الغذاء الفكرى الاسلامى ، والحلول الاسلامية المناسبة لمشكلاتنا ، ما يجعلهم يزدادون بدينهم ايمانا ، وحوله التفافا.

وأريد من الذين يساعدون على زيادة عوامل السخط فى مجتمعاتنا ، ان يحذروا نفوسهم ، ويخففوا من غلوائهم ويترسموا ما خطه الاسلام من أسلوب عادل للحياة ، وعلاج لمشكلاتها المعيشية ..

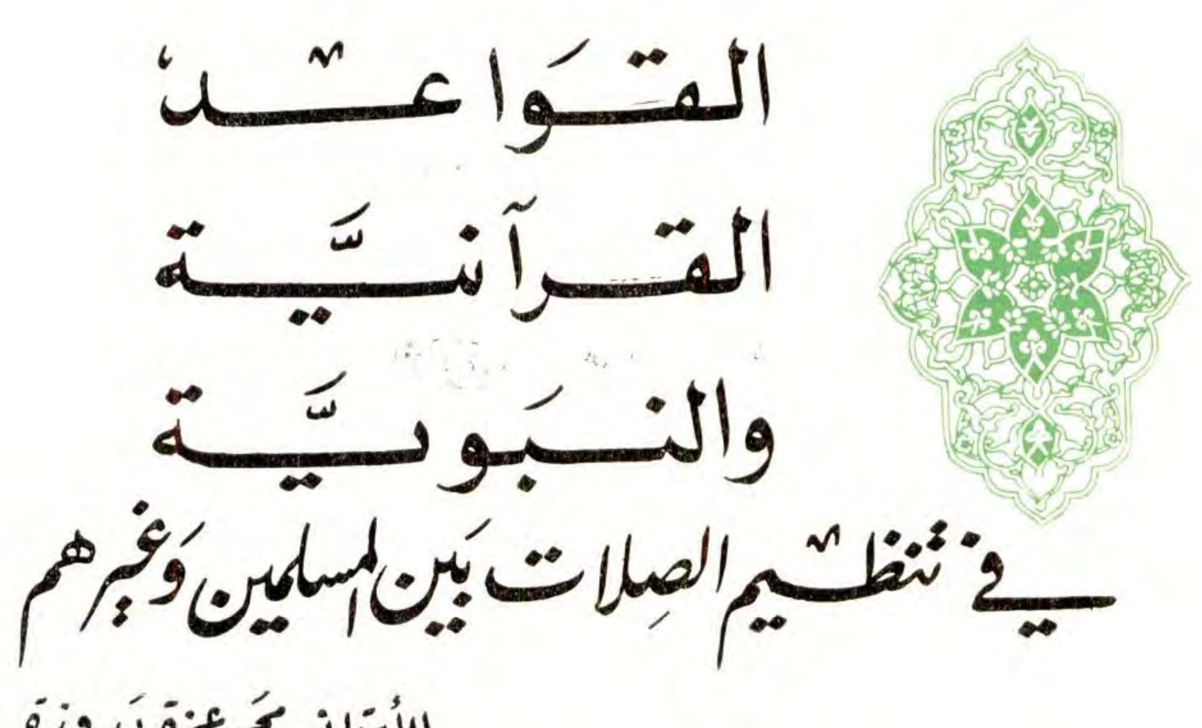
أريد من هؤلاء وهؤلاء ان يكونوا فى اخلاصهم القلبى والعملى لدينهم ووطنهم على المستوى الذى يخلص فيه المبطلون لدعواتهم ، حتى لا يكونوا فى باطلهم أقوى منا فى حقنا .

ان العجلة تسير بسرعة لتطحن المقصرين والمتباطئين ، ولن نلوم الا أنفسنا اذا قصرنا أو تباطأنا

((وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم))

عبدالمنعم النمر

مدير ادارة الدعوة والارشاد



القواعد القرآنية والنبوية في تنظيم الصلات بين المسلمين وغيرهم

للأستاذ محمد عزة دروزة

شرحنا فى المقالات السابقة القواعد المستلهمة من كتاب الله وسنة رسوله فى تنظيم صلات ومواقف المسلمين بأعدائهم والمتعاهدين معهم والمسالمين لهم والخاضعين لهم من غيرهم مع مدى ومجال الجهاد وحكم الأسرى فى الاسلام .

وقد بقيت أمور أخرى متصلة بالبحث صار من المستحسن الالمام بها استيفاء للبحث . من ذلك الطعام والزواج بين المسلمين وغيرهم .

ونبدأ أولا من هذا البحث بما يتصل بأهل الكتاب وقد يكون من المفيد أن نشرح مدى تعبير (أهل الكتاب) بادىء الأمر فى ضوء ما ورد فى كتاب الله وسنة رسوله قبل شرح ما يتصل بموضوع الطعام والنكاح بينهم وبين المسلمين فنقول:

فى القرآن آيات عديدة قد تلهم أن تعبيرى (أهل الكتاب) و (الذين أوتو الكتاب) يعنيان اليهود والنصارى مثل آيات البقرة هذه (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ان اللهعلى كل شىء قدير . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير . وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ١٠٩ — ١١٣) ومثل آيات سورة آل عمران هذه (يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون . ها أنتم حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ٦٥ — ٦٧ ومثل هذا المدى ينطوى فى آيات المائدة ١٢ — ١٩ و ٤٤ — ٥٩ و ٦٥ — ٦٧ والتوبة ٢٩ — ٣٤ التى نكتفى بالاشارة الى سورها وأرقامها تفاديا من اطالة المقال غير أن فيه أيضا آيات تذكر أهل الكتاب بأسلوب مطلق . وتأمر النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين بأن يعلنوا ايمانهم بكل أنبياء الله وكتبه ، وبما أنزل الله من كتاب مثل آيات البقرة (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين

١٧٧) و (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ٢٨٥) وآية النساء (يا أيها الذين آمنو آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ١٣٦) وآية العنكبوت (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولو آمنا بما أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون ٤٦) وآية الشورى (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ١٥) وفيه آيات تذكر أن الله بعث فى كل أمة خلت نذيرا وأرسل رسلا كثيرين منهم من قصهم فى القرآن ومنهم من لم يقصصهم مثل آية النحل (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ٣٦) وآيات فاطر « انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة الا خلا فيها نذير . وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ٢٤ ـ ٢٥ » وآية غافر « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ٧٨ »

ومن الذين قص القرآن خبرهم من لم يكونوا من بنى اسرائيل الذين ظهرت اليهودية والنصرانية على يد أنبياء منهم مثل نوح وهود وصالح وشعيب وادريس وذو الكفل واسماعيل . ومع أن ابراهيم واسحق ويعقوب هم أجداد بنى اسرائيل كما تفيده آيات القرآن وأسفار اليهود معا فانهم لم يكونوا يهودا ولا نصارى وذكروا فى آيات من القرآن فى عداد من أوحى الله اليهم وأنزل كتبه عليهم . وكل هذا يستتبع أن يكون الله تعالى قد أنزل كتبا غير التوراة والانجيل والزبور التى هى كتب اليهود والنصارى المذكورة فى القرآن أيضا ويسوغ القول أن تعبير (أهل الكتاب) يقتضى أن يكون أشمل من اليهود والنصارى. وأن ما فى القرآن من آيات تفيد أنهم هم المقصودون بالتعبير فى الدرجة الأولى هو بسبب كونهم هم الذين كان العرب أول المخاطبين بالقرآن يعرفونهم ويتصلون بهم كأهل كتاب ولا يعرفون غيرهم ممن يصح أن يوصفوا بأهل الكتاب .

ولقد أثرت أحاديث نبوية عديدة فيها ذكر أهل الكتاب وفيها ما يمكن أن يفيد أن المقصودين هم اليهود والنصارى . من ذلك حديث جاء فيه (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) ومن ذلك حديث جاء فيه (والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار) وحديث جاء فيه (افترقت اليهود على احدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على احدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين فرقة وزاد فى رواية اثنتين وسبعين فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة) ومن ذلك حديث جاء فيه (قال بعض أصحاب رسول الله يا رسول الله ان أهل الكتاب يسلمون علينا فكيف نرد عليهم قال قولوا وعليكم) وحديث فيه تفسير جاء فيه (اذا سلم عليكم اليهود فانما يقول أحدهم السام عليك فقل وعليك)(١) غير أن المتبادر على ضوء شرحنا السابق أن هذا أيضا من قبيل السبب المستفاد من بعض الآيات الذى ذكرناه آنفا وأنه لا يقيد الاطلاق القرآنى ولا يجعل التعبير حصرا لليهود والنصارى بحيث يمكن القول ، والله تعالى أعلم أن التعبير يصح أن يشمل كل أمة تدعى أن عندها كتبا منسوبة الى الله تعالى أوحيت الى رجال عظماء منهم وفيها شرائعهم ، اذا ما كان عليها سمة من سمات الكتب المنسوبة الى الله تعالى دعوة أو مبادىء أو أحكاما أو وصايا وشرائع مهما كان فيها تحريف أو انحراف . لأن

---

(١) تنبيه على أن هناك حديثا يذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يسلم على مجالس فيها يهود أيضا حيث يفيد هذا أن الحديثين هما فى صدد بدء اليهود أو أهل الكتاب بالسلام والاجابة عليه . وليس فى الأحاديث ما يمنع المسلم من بدء السلام عليهم . والله تعالى أعلم .

هذا كان قائما بالنسبة لليهود والنصارى وما فى أيديهم من كتب منسوبة الى الله تعالى بنص القرآن على ما جاء فى آيات عديدة . وما يزال قائما ، ومعلوم اليوم أنه كان فى فارس شخص اسمه زارادشت له كتاب ويوصف بأنه من الأنبياء . وأن أشخاصا عديدين ظهروا فى الأزمنه القديمة فى الهند والصين وغيرهما وتركوا كتبا فيها شرائع وتعاليم ووصايا منسوبة الى خالق الأكوان ورب الأرباب الأزلى الأبدى ، ولهم أتباع يدينون بدياناتهم ويلتزمون بكتبهم اليوم.

وفى سورة الحديد آية مهمة فى دلالتها فى هذا الباب وهى (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب ٢٦) فذكر ذرية نوح مع ذرية ابراهيم يفيد كما هو المتبادر أن هناك أنبياء من ذرية نوح أنزل الله عليهم كتبه من غير ذرية ابراهيم التى منها جل أنبياء بنى اسرائيل وبنوع خاص موسى وعيسى عليهما السلام اللذين تنسب اليهما اليهودية والنصرانية والتوراة والانجيل ، وليس فى القرآن والحديث شىء مهم عن ذرية نوح الا ما جاء فى القرآن من أن الله تعالى نجاها من الطوفان الذى أغرق الله الكافرين به . ومن ذلك آية الصافات هذه (وجعلنا ذريته هم الباقين ٧٧) وآية الاسراء هذه « ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا ٣ » وآية مريم هذه (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا ٥٨) وفى الاصحاحات ٧ — ١٠ من سفر التكوين أول أسفار العهد القديم المتداولة اليوم أن الذين نجوا مع نوح هم أبناؤه سام وحام ويافث وأمهم ونسوتهم فصاروا أجدادا لأمم شتى نمت فى آسيا وافريقية وعلى ضوء هذا يمكن أن يقال : انه اذا ادعت ملة من الملل أن عندها كتابا موحى من الله تعالى على أحد عظمائها وأنبيائها القدماء وعليه سمة ما من سمات كتب الله ، ولو كان فيه ما يتعارض مع القرآن فانها تكون داخلة فى تعبير (أهل الكتاب) القرآنى والله تعالى أعلم . (١)

وفى تفسير المنار للسيد رشيد رضا فصل طويل فى هذه المسألة ذكر فيه أنه ورد عليه سؤال من جاوا فى حكم الزواج من الجاريات غير المسلمات ، وقد انتهى فصله الى ما يتطابق مع ما انتهينا اليه .

— ٢ —

ولقد ورد فى موضوع الطعام والنكاح بين المسلمين فى أهل الكتاب هذه الآية فى سورة المائدة (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخذان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين ٥)

ولقد ورد فى كتب الحديث والتفسير والفقه أقوال كثيرة فى صدد ما احتوته الآية من أحكام معظمها معزو الى ابن عباس وبعض أصحاب رسول الله وتابعيهم . وهذا عرض لذلك وتعليق عليه .

أولا — فى موضوع الطعام

١ — هناك من قال : ان الآية فى صدد ذبائح أهل الكتاب كما أن هناك من قال انها عامة الشمول . وفيها اباحة لأكل جميع طعام أهل الكتاب .

---

(١) نرى أن النص القرآنى الوارد فى تحديد أهل الكتاب يقيد النص القرآنى العام الوارد فى شأنهم .. (الوعى)

ولقد جاءت الآية بعد آيات فيها بيان المحرمات من الذبائح بحيث يمكن أن يكون القول الأول هو الوارد من حيث الموضوع وظروف النزول وسياقه . غير أن الاطلاق فى الآية يجعل القول الثانى فى محله أيضا كما هو المتبادر .

٢ ـ وقد استدرك بعضهم استدراكين . الأول أن ما هو محرم على المسلمين فى كتاب الله وسنة رسوله يظل محرما عليهم أكله ولو قدمه لهم أهل الكتاب . والمحرم على المسلمين من الأطعمه ذكر فى آيات قرآنية وأحاديث نبوية . فمن الأول آية سورة المائدة هذه (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم(١) وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم ٣) .

وفى سورة المائدة آية اخرى فيها تحريم للخمر والميسر بالاضافة الى الازلام والانصاب وهى هذه (يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والازلام والانصاب رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)

اما الاحاديث النبوية فمنها حديث رواه أبو داود والترمذى عن المقدام بن معدى كرب جاء فيه (الا لا يحل لكم الحمار الاهلى ولاكل ذى ناب من السبع) وحديث رواه الترمذى وابن ماجه جاء فيه (سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الذئب فقال ويأكل الذئب احد فيه خير) . وحديث رواه ابن ماجه جاء فيه قيل يا رسول الله ما تقول فى الثعلب قال ومن يأكل الثعلب . وحديث رواه مسلم وأبو داود عن ابن عباس قال (نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن كل ذى ناب من السباع وعن كل ذى مخلب من الطيور) وحديث رواه مسلم وأبو داود والنسائى والترمذى عن جابر قال (نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن أكل الهر وعن أكل ثمنه) وحديث رواه أبو داود وأحمد جاء فيه (ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم القنفذ فقال خبيثة من الخبائث) وحديث رواه أبو داود ومسلم عن جابر قال (نهانا النبى صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن البغال والحمر ولم ينهنا عن الخيل) وحديث رواه ابن ماجه والحاكم وصححه عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (أحلت لنا ميتتان ودمان . فاما الميتتان فالحوت والجراد واما الدمان فالكبد والطحال) وحديث أخرجه أبو داود عن عبد الله ابنشبل جاء فيه (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل الضب)

---

(١) تفسير الكلمات والمقاصد ـ المحرمات فى الآية ١ ـ الميت موتا طبيعيا من الحيوان المباح أكله ـ ٢ ـ الدم المسفوح على ما جاء مفسرا فى آية سورة الأنعام (١٤٥) ـ ٣ ـ لحم الخنزير ـ ٤ ـ الحيوان الذى يذبح لغير الله أو يذكر غير اسم الله عليه ـ ٥ ـ الحيوان الذى يموت خنقا أو وقذا أو نطحا أو ترديا ـ سقوطا ـ أو نهشا من سبع باستثناء ما يبقى فيه من رمق الحياة فيذبح مع ذكر اسم الله عليه حين ذبحه وهذا معنى ذكيتم فيحل حينئذ أكله ـ ٦ ـ الحيوان الذى يذبح عند الأصنام ولأجلها كقربان ـ ٧ ـ الأزلام ـ هى سهام كانوا يرمونها للاستخارة أو المقامرة ويكون مكتوبا عليها بعض العبارات ، وكانوا يذبحون بعيرا ثم يرمون السهام للمقامرة على ثمنه ولحمه ، والراجح أن هذا هو المقصود هنا لأنه متناسب مع محرمات الذبائح ، والمقامرة محرمة فما ذبح بسبيلها يكون محرما . ومعنى المخمصة المجاعة أو الجوع والجملة تعنى أن التحريم عن المحرمات يرتفع عن المسلم اذا اضطره الجوع الى تناولها على شرط ألا يكون متعمدا لاقتراف اثم مخالفة أمر الله تعالى واستحلال المحرم .

وننبه فى صدد الضب على ان هناك حديثا رواه الخمسة عن خالد بن الوليد قال (انه دخل مع النبى صلى الله عليه وسلم بيت ميمونة فاتى بضب محنوذ فأهوى اليه يده فقال بعض النسوة أخبروا النبى بما يريد ان يأكل فقالوا هذا ضب يا رسول الله فرفع يده فقلت احرام هو يا رسول الله قال لا ولكنه لم يكن بأرض قومى فأجدنى اعافه . فاجتررته فأكلته والنبى صلى الله عليه وسلم ينظر) وهناك احاديث فى صدد الخمر والمسكرات يحسن الالمام بها . منها حديث رواه الخمسة الا الترمذى عن ابن عمر قال (خطب عمر على منبر رسول الله فقال انه قد نزل تحريم الخمر وهى من خمسة أشياء العنب والتمر والحنطة والشعير والعسل . والخمر ما خامر العقل) وحديث رواه الخمسة عن عائشة قالت (سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن البتع وهو نبيذ العسل فقال (كل شراب اسكر فهو حرام) وحديث رواه مسلم وأبو داود والترمذى عن طارق الجعفى انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه أو كره ان يصنعها فقال أنما أصنعها للدواء فقال انه ليس بدواء ولكنه داء) وروى أصحاب السنن عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ما أسكر كثيره فقليله حرام) وحديث رواه أبو داود والترمذى بسند حسن عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (كل مسكر حرام ما أسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام) والفرق مكيال يسع سعته عشر رطلا . والمعنى أن المرء اذا أسكره حتى هذا القدر الكبير من الشراب فيكون القليل منه حراما . وحديث رواه أبو داود والترمذى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه . والاستدراك حق وسديد . بحيث تكون القاعدة انه لا يجوز للمسلمين أن يأكلوا طعاما قدمه لهم الكتابيون فيه هذه الأنواع والصفات المحرمة عليهم فى دينهم . أما الاستدراك الثانى فهو ان ما يصح أكله من طعام أهل الكتاب هو ما كان حلالا فى شريعتهم . ولا نرى هذا الاستدراك سليما الا فى نطاق من الاستدراك الأول . فالخمر عندهم غير محرم مثلا ولكنه محرم عند المسلمين فلا يصح للمسلمين تناوله أو تناول طعام مصنوع به اذا قدمه لهم كتابيون . ولحوم الابل والأرانب مثلا وهى من ذوات الأظفار وشحوم الغنم والبقر محرمة على أهل الكتاب على ما جاء فى أسفارهم وأخبر به القرآن فى آية سورة الأنعام هذه (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون ١٤٦) ولكنها غير محرمة على المسلمين لا فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله . فاذا قدمها الكتابى للمسلم طعاما مصنوعا فلا يحرم عليه أكلها كما هو المتبادر والله تعالى أعلم ، ويقاس على هذا غيره مما هو محرم عند الكتابين وغير محرم عند المسلمين . فأسفار الكتابيين تحل أكل حيوانات الماء التى لها زعانف وفلوس فقط وتحرم أكل ما ليس له زعانف وفلوس منها فى حين أنه ليس فى الشرع الاسلامى تفريق . وكل حيوانات الماء حلال أكله للمسلمين بمقتضى حديث ابن عمر الذى رواه ابن ماجه والحاكم . والله تعالى أعلم .

٣ — وهناك أقوال فى صدد ما ذبحه أهل الكتاب وذكروا اسم المسيح أو مريم أو العزير عليه أو ذكروا أنهم يذبحونه نذرا لكنيسة أو بيعة أو قديس أو نبى . فمن العلماء من قال بحل ذلك . ومنهم من قال بحرمته . ومنهم من توسط فقال ان النصرانى أو اليهودى اذا ذبح فذكر غير الله وأنت تسمع فلا تأكله . واذا غاب عنك فقد أحل الله لك ذبيحته . وقد يكون هذا القول هو

الأوجه فان آية المائدة أحلت للمسلم طعام الكتابى مطلقا فاذا لم يعلم يقينا أنه شابته شائبة يكون بها محرما عليه فى شريعته كان حلالا له فى نطاق اطلاق الآية ، وليس عليه أن يسأل والله تعالى اعلم ، ولم نطلع على قول فى الذبيحة التى يذبحها الكتابى ويتيقن المسلم أنه لم يذكر اسم الله عليها ولا اسم غيره .

وفى سورة الأنعام آية تحرم أكل ما لم يذكر اسم الله عليه وهى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق .. ١٢١) غير أن هناك أحاديث تذكر أن المسلم اذا نسى ذكر الله حين الذبح لا يضره ذلك ويأكل مما ذبحه لأنه لا يؤمن الا بالله . من ذلك حديث رواه الحافظ أبو أحمد بن عدى عن أبى هريرة قال (جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى فقال النبى صلى الله عليه وسلم اسم الله على كل مسلم) وحديث أخرجه البيهقى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (المسلم يكفيه اسمه ان نسى أن يسمى حين يذبح فليذكر اسم الله وليأكل) وحديث رواه أبو داود عن الصلت الدوسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ذبيحة المسلم حلال . ذكر اسم الله أو لم يذكر ان ذكر لا يذكر الا اسم الله)

وعلى ضوء الاحاديث يمكن ان يقال أن آية سورة الأنعام انما تحرم الذبيحة التى يذبحها غير المسلمين ولا يذكرون اسم الله عليها . واذا كان هذا الاستنتاج صوابا ونرجوا ان يكون كذلك فيكون ما ذبحه الكتابيون دون أن يذكروا اسم الله عليه ولو لم يذكروا غير اسم الله حل للمسلم اذا كان حاضرا وقت الذبح أو اذا تيقن من ذلك .

اما اذا لم يكن حاضرا ولم يتيقن فيجوز أن يقاس الأمر على المسئلة الأولى فيأكل من الذبيحة ولا يسأل . والله تعالى اعلم .

٤ — هناك من قال ان ذبائح الكتابيين من العرب لا تحل للمسلمين لأنهم لا يدخلون فى تسمية (الذين أوتو الكتاب) ولو كانوا يدينون باليهودية أو النصرانية . وهناك من قال : ان التسمية شاملة لكل من يدين باحدى الديانتين سواء أكانوا عربا أم غير عرب فتكون ذبيحتهم حلالا للمسلم فى نطاق ما شرحناه من حدود

والمتبادر ان القول الثانى هو الأوجه والله تعالى اعلم .

٥) والفقهاء والمفسرون يركزون أقوالهم على الذبائح فى الدرجة الأولى فى صدد ما أحل للمسلمين من طعام أهل الكتاب لان فى الحيوانات ما هو محرم عليهم . ولأن طريقة ذبحها تتحمل احتمالات التحليل والتحريم .

ويكون بناء على ذلك طعام أهل الكتاب من غير الذبائح ومما لا يدخل خمر ولا دم مسفوح حلا للمسلمين . وهو ما عليه الجمهور .

٦ — ولقد أباح الله للمسلمين أن يأكلوا من الأطعمة المحرمة عليهم اذا ما اضطروا اليها على شرط الالتزام بقدر الضرورة وعدم تجاوزها . وقد جاء هذا فى آية سورة المائدة الثالثة التى أوردناها وفى آيات أخرى مثل آية سورة البقرة (١٧٣) والأنعام (١٤٥) والنحل (١١٥) وهذه الرخصة فى نطاق قيدها واردة بالنسبة لما يقدمه أهل الكتاب للمسلمين من طعام فيه ما حرم عليهم فى كتاب الله وسنة رسوله كما هو المتبادر .

٧ — لم نطلع على أى تحفظ فى صدد حل تقديم المسلمين طعامهم لأهل الكتاب فيكون ذلك حلا مطلقا كما جاء فى آية المائدة والله تعالى أعلم .

للحديث بقية



هذه أعمال دائم ثوابها

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صـــدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »
رواه الامام مسلم

١ ــ الموت أمر لا بد منه « كل نفس ذائقة الموت » وانتهاء الاجل حقيقة لا ريب فيها ، وقضاء محتوم لا يحتمل الجدل ، لا محيص عنه ولا مناص منه ، لا جند يدفعه ، ولا قوة ترده . ومن الناس من اذا مات لا تحس به الدنيا ، ولا يترك وراءه فراغا يتطلبه هان على نفسه فى حياته الدنيا فأهمل تكوينها ، وغفل عن حقائقها ، فخبا ذكره ساعة صعود روحه الى بارئها ، ولم يعد له وجود كما لم يبق له أثر يدل عليه ، ومنهم من جال فى دنياه وصال ، فجاب الأرض وطاول الجبال ، غاص على در الحياة وغرف من أنهارها ، وأدلى بدلوه فى كل مجال ، فاذا قبضت روحه نعته الدنيا باسرها وناحت عليه بواغمها والعجماوات ، وعز على أهلها أن يواريه غيب محجوب ، وينأى به عن ساحتهم قدر مكتوب . ولما كان مقياس الاسلام عاما يشمل خامل الذكر والنابه ، سعى دائما الى الطريقة المثلى والقدر المشترك الذى تقوم به عمارة الكون ما بقى كون ، والذى يستطيع المساهمة فيه المقل من الجهد والمكثر فيه فلا يعيا به الضعيف الواهن ، ولا يفوت القوى المتوثب

ولكل جزاء وتقدير ، والنتيجة صلاح هنا وجنى طيب للثمار هناك ذلك هو أن يقدم المسلم زادا لنفسه من عمل يده ، وبواسطة كدحه وجده ، كسب حلال وانفاق فى الوجوه المشروعة الدائمة النفع الثرارة بالخير دائما ، وما أكثر الدروب والمسالك الموصلة الى الحسنى وزيادة ، ولكن سيدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، اختار ثلاثة من عديد لكثرة خيرها ، ولشمول نفعها فى الحياة وبعد الموت ، وتفاعلها مع المجتمع الذى تنفق فيه تجارتها ، وتدعيمها لبنيانه ، وارسائها لأسسه على أصول ثابتة قوية فما الكلام بالمنطوق وكفى ، ولا بما يلفظ وحسب ، وانما هناك معان عميقة ، وأثار دفينة تختبىء وراء فصاحة سيدى رسول الله تنعم الدنيا لو سارت على نهجها بالراحة النفسية والرضا القلبى والطمأنية الدائمة ، وخذ القول من مصادره ولا تعقب .

٢ — اذا مات ابن آدم انقطع عمله ، حقيقة ولا ريب ، من مات فنى والفناء لا ينتج وأذا دفن تلاشى من على سطح البسيطة ، والمتلاشى لا يقوم بنيانا ، ولا يؤثر فى منفعل فانقطاع العمل الفعلى المؤثر فى غيره متابع دائما للموت ، وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا اذا — فما العمل ، وما هى الوسيلة التى يرسمها الاسلام أو التى يجب أن يقرها ويدعو اليها لتكون سيرة طيبة ونفعا شاملا لصاحبها فى دنياه وبعد رحيله عن الدنيا .

وضع سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتحقيق ذلك الهدف ثلاث طرائق كلها بر وخير ورحمة وبركة للمجتمع الذى يعيش فيه المسلم العامل بها وللعامل نفسه ، واليك ايضاح القول :

أ — **صدقة جارية :** ما هى الصدقة الجارية ، هى الدائمة المستمرة المتواصلة وكيف يمكن الحصول على مصدر يغل صدقة جارية بعد موت صاحبها هذا لن يكون الا بجهد وعرق وصبر وجلد وعمل متواصل للانتاج والدأب الغير المنقطع حتى تكون للمسلم ثروته التى يخلف منها صدقة جارية وهو ان فعل ، أفاد المجتمع الذى يعيش فيه فالانتاج المثمر لا يكون الا عن طريق مصنع أو متجر أو مزرعة وليس هذا بالقدر المعتاد لمواصلة الحياة وانما يأتى من الزيادة والنماء ، والفيض عن المنصرف ففى هذا دعوة كافة للتصنيع والبناء والاعمار بالطرق المشروعة المتعارفة اسلاميا واجتماعيا المرضى عنها من رب العالمين ، فاذا وجد المال وفاض عن الحاجة أمكن لصاحبه أن يجعل الفائض فى بناء مدرسة عامة ، تقضى على الجهل ، أو مستشفى يزيل الآلام ، أو آلة جهاد يدافع بها عن المسلمين ، ومن هنا نشأت نظام الأحباس فى الاسلام ، وحبس العقارات والممتلكات الثابتة على المعوزين وما أكثرهم فى كل زمان ومكان ، ويقول العلى الكبير فى محكم ما أنزل على خير خلقه : « انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم .. الآية » ومن هذا أيضا بناء دور الضيافة تأوى عابرى السبيل وتضم بين جوانحها أبناء الطريق الغرباء عن ديارهم وتمدهم بما يوصلهم الى مستقرهم ، حتى ما كان يفعله السلف الصالح من غرس الأشجار

ليستظل بها السابلة من حمارة القيظ ، فتلك أمور يتجدد نفعها ويدوم ثوابها ويعود بالاحسان والرحمات على صاحبها ، وهى من كسبه وسعيه وجهده ولا شك .

ب ـ أو علم ينتفع به : ويندرج تحت هذا القسم من الحديث الشريف كل أنواع العلوم المفيدة للانسانية دنيويا وأخرويا وما من شىء له قيمة فى الدنيا الا واحسانه يؤدى الى ثواب الآخرة ، فلو صدرت عن مؤمن بالله واليوم الآخر مخترعات نافعة كان له ثوابها فى الآخرة ، وأما صدورها عن الكافر الجاحد فأمرها موكول الى علام الغيوب وحده ولا نستطيع لها حكما ، وكذلك من أسهم فى تحرير المؤلفات الشارحة للاسلام الداعية الى الخير الموجهة الى الله تبارك وتعالى ، كان عمله هذا مندرجا تحت هذا المقطع من الحديث الشريف ، وما أحوج زماننا فى جميع دوله وقاراته الى علماء مسلمين فاقهين مجيدين أقوياء الايمان بالله عاملين بكتابه وسنة رسوله ليحملوا تلك الرسالة الكريمة الى الدنيا المعاصرة ، فهناك فراغ فى الوجود الفكرى لا يملؤه الا فقه الاسلام ومعرفة رب السموات والارض ، فأين الطبيب النطاس الفاقه ليداوى باخلاص كلوم الانسانية المعذبة التى سلك بها فلاسفة العصر سبلا أوصلتها الى بهيمية هوجاء ، وشهوات جامحة ، فمن وفقه الله للاقتداء بسيدى رسول الله فى الاستهانة بالمعوقات والمضى فى سبيل الله كان حظه وفيرا فى الدنيا والآخرة ، وقد قيل لسيدى رسول الله ان دعوتك الى الله الواحد تشقيك وتتعبك ، وتبعدك عن قومك وشيعتك فيجيبهم القرآن الكريم فى آيات محكمات : « طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . الا تذكرة لمن يخشى » . وهذه الدعوة ليست منك وانما أنت رسولها المصطفى « تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى » وتمضى الآيات الكريمات موضحة قدرة الله مظهرة عظمته وأن من كان صاحب هذه القدرة فهو حافظ رسوله ومحيطه بعنايته (والله يعصمك من الناس) وتسرد الآيات المحكمة على رسول الله قصص اخوانه الرسل السابقين وتشرح له حال موسى عليه السلام وما كان من ضعف أمه وهى سيدة مستضعفة لا حول لها ولا طول ومع هذا يشاء العلى القدير أن يربى موسى فى حجر عدو الله وعدوه فرعون .. ثم يؤيده بأخيه هرون : ويدعوهما الى الانطلاق الى فرعون يدعوانه الى الله وأن لا يهابا جاهه ولا يخشيا سلطانه ويناديهما رب السماء والارض حين يبدو عليهما الضعف الانسانى (وخلق الانسان ضعيفا) فيقولان : (انا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى) يقول لهما ربهما .. (لا تخافا اننى معكما أسمع وأرى) ..

فمن سلك هذا السبيل فى عصرنا حاملا كتاب الله الى الناس أجمعين كان له أجر الصديقين وكان عمله وانتاجه علما يدر عليه الرحمان ما لاح كوكب وما بدت ذكاء .

ولا أرى زمانا هو فى حاجة الى الاسلام صافيا طاهرا خاليا من الشوائب مثل زماننا هذا الذى بث فيه دعاة الشر أفكارهم ونفثوا فيه سمومهم ، وبرزوا

متصدرين الجماهير العاثرة خلقيا الميتة روحيا المنبتة عن قيوم السموات والارض انبتاتا كاملا لا أجد شيئا يدوم ثوابه وتستمر رحماته من دعوة طيبة وكلمة كريمة وكتابة مفيدة تقدم لتلك القطعان الضالة ، لتردها الى النهج القويم ، ولا يظن ظان أن الاضواء التى تتراءى هنا وهناك من رحلات الى القمر واكتشافات مثيرة قد تدعو الى الهدوء والاطمئنان كلا وربى انها لتزيد الطين بلة وتضاعف البلاء ، ولا منجاة الا بالاعتصام بحبل الله مهما طال المدى وزادت المكتشفات المخبوءة فى الارض والسموات .

جـ ــ أوولد صالح يدعو له : وهذا من جوامع الكلم الطيب الذى قلت كلماته وتعددت معانيه فالولد الصالح هو الذى رباه أبوه فأحسن تربيته وقومه فأجاد تقويمه ، وهداه الى الحق فاتبعه والى نور الاسلام فاستضاء به ، ذلك الولد لا يصدر عنه الا البر بوالديه واسداء المعروف لهما أحياء وأمواتا ، وهذه دعوة قوية من سيدى رسول الله الى تكوين جيل صالح من الابناء ، والعمل على ما يوصلهم الى القمة القيادية فى أحسن صورة وأقوم مسلك ، حتى تصدر عنهم الأفعال النافعة للوطن ، ليصبحوا مصابيح تضىء حالك الليالى ، وأقمارا يهتدى على ضوئها المدلج الحائر وفى الحديث الشريف (.. وان ولد الرجل من كسبه) .

وأخيرا نخلص من هذا الحديث الشريف بثروة اجتماعية عظيمة لو طبقت لأثمرت وأنتجت خيرا كثيرا . فالعامل فى شعاب الحياة ليثرى عن طريق مشروع هو لبنة صالحه فى بناء المجتمع ، وكذلك موجه علمه الى نفع الناس وارشادهم .

وأخيرا الساهر على مصلحة الاولاد ورعايتهم ينشىء جيلا طيبا كريما ، وهكذا نجد التوجيه الكريم دائما فى سنة رسول الله وهديه ولعل الله يوفق القائمين على أمور المسلمين الى التطبيق العملى المنتج انه نعم المستعان جلا وعلا .





الأخلاق المحاربة

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

الذى أعلمه علم اليقين ، ولا أشك فيه أبدا ، هو أن الملوث جنسيا أو الملوث جيبيا ، لا يمكن أن يقاتل فى الحرب كما يقاتل الرجال .

وأريد بالملوث جنسيا ، الذى تردى فى مهاوى الرذيلة فسقا وفجورا ، يقضى أيامه مفكرا فى البغايا ، ويقضى لياليه . فى معاشرتهن ، ويكشف ذيله على ما حرم الله ، ويطمع فى أعراض الناس .

وأقصد بالملوث جيبيا ، الذى دخل جيبه المال الحرام رشوة من الراشين أو غشا فى البيع والشراء أو جمعا للمال من طرق غير مشروعة .

وأقرر هذا المبدأ اعتمادا على تجربتى العملية فى الحروب ، واستنادا الى دراساتى لتاريخ الفتح الاسلامى العظيم ، والى ما قرره القادة العظام الأقدمون والمحدثون على حد سواء .

وأرجو ألا يقول قائل : كيف اذن ينتصر الغربيون — مثلا — فى الحروب ، وهم ملوثون جنسيا ؟

ان الذين يزعمون بأن كل الأجانب ملوثون جنسيا مخطئون كل الخطأ ، أو واهمون كل الوهم أو مغرر بهم كل التغرير .

ولقد عشت ردحا طويلا فى بلد أجنبى من البلاد الأوربية ، فوجدت أن فيهم البر والفاسق ، ولكن مصدر قوتهم يكمن بالمتمسكين بالفضيلة قولا وعملا، وما أكثرهم هناك .

ومشكلة أكثر الذين يفدون الى الغرب من الشرقيين ، هى أنهم ينحدرون بأنفسهم الى مستوى الخادمات وأكثرهن منحرفات أخلاقيا ، ولا يرتفعون بأنفسهم الى مستوى ذوى الشرف الرفيع المتمسكين بدينهم وتقاليدهم العريقة ومثلهم العليا .

وحين يعود هؤلاء الشرقيون الى أوطانهم ، يظنون خطأ أن الشعب الأجنبى الذى عاشوا فى بلده وقتا من الزمن هو بمستوى أولئك الخادمات اللواتى عاشروهن وحدهن من بين ذلك الشعب الأجنبى .

وليس الذنب ذنب الشعب الأجنبى الذى يحكمون على كله بما فيه من خير وشر بجزئه بما فيه من شر ، انما الذنب ذنب أولئك الشرقيين الذين استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير ، فاختاروا الرذيلة دون الفضيلة ، وآثروا الظلام على النور .

والقلائل من الشرقيين الذين صانوا أنفسهم من الدنس ، وحاسبوا أنفسهم مرتين قبل أن يقدموا على ما يعيب : مرة لالتزامهم بالدين الحنيف ، ومرة لأنهم غرباء فى محيط يحصى عليهم كل صغيرة وكبيرة يقترفونها .

هؤلاء القلائل من الشرقيين ، رأوا عجبا من تمسك الأجانب الغربيين فى بلادهم بأهداب الشرف والفضيلة ، وابتعادهم عن كل ما يخل بالصدق والأمانة، وتجنبهم كل ما يخل بالمروءة والخلق الرفيع .

— ٢ —

أذكر أن جماعة من العراقيين كانوا يعيشون مع عائلة أجنبية فى دارها ، وكانت تلك العائلة مؤلفة من زوج وزوجة وأمها ، وكان لديهم ثلاثة أولاد وبنت واحدة ، وكان أكبر أولئك الأطفال عمره ثمانى سنوات .
وكنت مع العراقيين الذين يساكنون هذه العائلة الأجنبية فى البلد الأجنبى، حين كنت أستكمل دراستى العسكرية فى دورة الضباط الأقدمين (الضباط العظام كما يطلق عليهم فى قسم من الجيوش العربية) .

كانت كل غرفة من غرف الدار ، فيها ما لا يقل عن ست صورمؤطرة باطارات فخمة للسيد المسيح عليه السلام وللعذراء وللقديسين .
وكانت تلك الصور موضوعة على الجدران ، بحيث تقع عين ساكن الغرفة فى تلك الدار على احدى الصور فى كل الاتجاهات .

وكان فى كل غرفة مكتبة صغيرة ، كل ما فيها من كتب دينية : العهد القديم والعهد الجديد ، ومعجمات للكتاب المقدس ، ومؤلفات عن حياة السيد المسيح وعن مشاهير القديسين .

وكان والد الاطفال وأمهم وجدتهم يسحبون الأطفال سحبا صباح يوم الأحد من كل أسبوع الى الكنيسة ، وكانوا يلقون مواعظهم على أطفالهم صباح مساء بشكل منظم معقول ، يحثونهم بها على التمسك بالدين .

وقد تلقى العراقيون تعليمات محددة من مسؤولى السفارة العراقية ترشدهم الى الطريق السوى فى معاملة من يساكنونهم من الأجانب .
من تلك التعليمات عقد أواصر صداقة وطيدة بين العراقيين والأجانب ، وانتهاز فرص المناسبات الاجتماعية والدينية لتقديم هدايا رمزية لمن يشاطرونهم السكن .

وفى أحد الأيام ذكرت الجدة وهى عجوز شمطاء ، أن أحد الأطفال واسمه (توم) سيحل عيد مولده السادس بعد أيام .
واقترح أحد العراقيين أن يدعو العائلة الأجنبية الى السينما على حسابه تحية لعيد ميلاد (توم) المرتقب .

واعترضت العجوز الشمطاء على هذه الدعوة قائلة : « يجب أن أذهب معك الى السينما قبل يوم من موعد الدعوة ، حتى أتأكد بنفسى من أن الرواية المعروضة خالية مما يضر بأخلاق الأطفال » .
وكنا فى أحد الأيام نتناول طعام الغداء على مائدة العائلة ، فتحدث أحد العراقيين بحديث غير مهذب اعتبرته العائلة الأجنبيـــة نابيا لا يليق بأن يقال بحضور الأطفال .

ونهضت العجوز وهى تتمتم بكلام خافت يدل على الاستنكار والاشمئزاز ، وآوى كل ساكن فى الدار الى غرفته الخاصه به بعد الغداء وآويت الى غرفتى لاستجم بعض الوقت .
ولم أكد أســـتقر على سريرى ، حتى ســـمعت من يطرق باب غرفتى ، فنهضت وفتحت الباب .

وكان على الباب أحد أصحابى ، فقال : « لقد رمى أهل الدار عفشى فى الشارع ، وأوصدوا باب غرفتى !! أترضى بذلك ؟؟ » .
ويومها قلت له : « اذا كنت على حق فكلنا معك ، واذا كانوا على حق ، فأنت وحدك .... وعلى نفسها جنت براقش » .

وسمعت العجوز تحاورنا ، فجاءت الى تسعى . قالت : « انكم هنا لنأخذ منكم المال حتى نربى به الأطفال تربية خاصة ، فلن نسمح لأحد أن يقول كلاما يضر بأخلاقهم ! لقد قال صاحبك ما لا يجوز ولا ينبغى أن يقال على مسمع من الأطفال ... انه قال : .... » .
وقلت لصاحبنا : « الحق مع العائلة ، والحق أحق أن يتبع .... فعليك أن تجدلك سكنا جديدا تأوى اليه » .

وقد رأيت كثيرا من الشخصيات الرفيعة الأجنبية لا يدخنون ولا يعاقرون الخمر ولا يرتادون الملاهى ولا يخلون بمتطلبات الشرف الرفيع ، وكنت أسمع منهم تذمرا شديدا من تردى الخلق وانصراف بعض الناس عن ســـبيل الحق والخير والرشاد .
المشير مونتكومرى أشهر قادة الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ــ ١٩٤٥) ألف كتابا عنوانه : (السبيل الى القيادة) ، ردد فيه عشرات المرات ، أن من أهم عوامل نجاحه قائدا هو تمسكه بأهداب الدين .
ترى ! هل عزا قائد عربى أو مسلم سر نجاحه الى تمسكه بالدين الحنيف ؟ وماذا سيقال عنه اذا عزا سر نجاحه الى الدين ؟ !

— ٣ —

المجتمع فى الدول الأجنبية اذن هو قسمان : قسم متمسك بالفضيلة ، وقسم من أشياع الرذيلة .
فريق الفضيلة هو قوة المجتمع الأجنبى وهو قوة لكل مجتمع شرقى وغربى ، وفريق الرذيلة هو نقطة الضعف فى المجتمع الأجنبى وفى كل مجتمع شرقى وغربى .
وكلما ازداد عدد المتمســـــكين بالفضيلة ، ازدادت قوة المجتمع وازداد

تماسكه ، وارتفع شأن البلاد ، وأصبحت ذات أثر وتأثير فى الأحداث العالمية من الناحيتين السياسية والحضارية .

وكلما ازداد عدد أصحاب الرذيلة ازداد ضعف المجتمع وازداد تفسخه ، وتضعضع شأن البلاد ، وأصبحت تجرر أذيال الخيبة سياسيا وحضاريا .

كتب أندريا موروا فى كتاب : (أسباب انهيار فرنسا) فى الحرب العالمية الثانية يقول : **((من أهم أسباب انهيار فرنسا هو تفسخ الشعب الفرنسى ، نتيجة لانتشار الرذيلة بين أفراده)) .**

وكان ما كتبه هذا الكاتب الفرنسي الكبير حقا لا مراء فيه ، لذلك أراد الجنرال ديغول فى أيام رئاسته للجمهورية الفرنسية حتى يوم استقالته من منصبه الرفيع يوم ٢٧ نيسان (أبريل) ١٩٦٩ ، أن يحارب الرذيلة فى الشعب الفرنسى ، ويغرس الفضيلة فيه ، لأنه كان واثقا بأن الفضيلة هى الأساس لاستعادة فرنسا مكانتها الدولية ، وهى التى تقودها الى النصر سياسيا واقتصاديا وحضاريا وعسكريا ، وأن الرذيلة هى الأساس لانهيار فرنسا وقيادتها الى الهزيمة فى كل المجالات .

وما يقال عن فرنسا ، يقال عن كل دولة قديمة أو حديثة .

والذين تتبعوا تاريخ الأمم ، وأمعنوا النظر فى أسباب بزوغ نجمها سياسيا وحضاريا وأسباب أفول نجمها سياسيا وحضاريا أيضا ، يجدون أن الأمم ارتفعت دائما بأخلاقها المحاربة ، وانهارت لتفسخ شعبها أخلاقيا ، وميله الى الترف ومتاع الدنيا الذى هو متاع الغرور .

ما هى أسباب انهيار اليونان ؟ ما أسباب انهيار الرومان ؟ ما أسباب انهيار البابليين والآشوريين فى العراق ؟ وانهيار الفراعنة فى مصر ؟ ثم انهيار العباسيين فى العراق ومصر ؟ ما أسباب انهيار دولة العرب فى الأندلس ؟

ان دراسة قصة الحضارة فى العالم ، تعطى الجواب السليم !

— ٤ —

لقد أدرك السلف الصالح أهمية الخلق الكريم فى احراز النصر .

ولو أردت استعراض أقوال السلف الصالح ، وعلى رأسهم الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ، لبعد الشوط ، ولطال المدى .

وما أعظم قولة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى رسالة بعث بها الى قائد من قادة الفتح الاسلامى العظيم : « أخوف ما أخاف عليكم ذنوبكم » .

لقد كان لا يخشى على الجيوش الاسلامية الزاحفة المنتصرة جيوش الامبراطوريتين الساسانية والرومية ، ولكن كان يخشى عليها ما يقترفه المجاهدون من ذنوب ، لأنه كان يعلم حق العلم بأن المسلمين لا ينتصرون بعدد ولا عدد ، فأعداؤهم أكثر منهم عددا وعددا ، ولكنهم ينتصرون بتمسكهم الشديد بمثلهم العليا التى جاء بها الدين الحنيف .

ومن أقوال عمر بن الخطاب حاثا على الخشونة محذرا من الترف : « اخشو شنوا ، فان الترف يزيل النعم » .

ولم يكد الفاتحون يعودون ليستقروا فى حواضر المسلمين الجديدة والقديمة وقد أصبحوا أغنياء بعد فقر ، الا وتطاول أكثرهم فى البنيان ، ومالوا الى نعومة العيش . وقدم الكوفة أحد الفرس من خراسان ، وكان قد شهد بلده يستسلم للفاتحين المسلمين ورأى الرجل الفارسى أبناء أولئك الفاتحين فى حياة ناعمة رغيدة : تزوجوا الجوارى ، واتخذوا القصور ، وتفاخروا بالمتاع ، فقال متعجبا مستغربا : « أأنتم فتحتم بلدى » .

كلا ! ان الذين فتحوا بلده ، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون ، وفى أموالهم حق للسائل والمحروم .

وخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فبدأ على يديهم انهيار دولة الاسلام ، والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

وبتقادم الزمن ، وتعاقب الأيام والشهور والأعوام ، ازدادت عوامل التفسخ فى المجتمع العربى والاسلامى : شاع الجهل ، وساد الظلم ، وبرزت الأنانية والفردية ، وضعف الجانب الروحى ، وتضخم الجانب المادى ، ونشبت الضغائن والأحقاد ، وتعدد الحكام ، وكثرت الطوائف ، وانتشرت الخرافات ، واستبدل الفرد والمجتمع الذى يفيده بالذى يضره ، وبدل الناس ما بأنفسهم من خير وتعاون وانسجام .

وجاء الاستعمار فأضاف ضغثا على ابالة : فرق ليسود ، وجزأ ليحكم ، وشجع التفسخ الخلقى ، وتظاهر بهذا التفسخ ليقتبس العبيد أخلاق السادة ، وأعطى المتفسخين ومنع الملتزمين ، وقدم الأمعات وأخر الثقات ، واستصفى الجبناء ، واستبعد الأقوياء ، وصافى الجواسيس وجافى الشرفاء ، وقرب الخونة وأبعد الوطنيين ، واحتضن المارقين ، ولفظ المتدينين .... فكان لخططه هذه أثر أى أثر فى نفوس العرب والمسلمين !

وكثيرا ما نسمع عن أثر الاستعمار على المستعمرين كلاما مبهما يعمم ولا يخصص .... ان أثر الاستعمار هو فى سلب المثل العليا من المستعمرين، حتى يستطيع أن يحكم وهو قرير البال ، لأن أصحاب المثل العليا اذا غلبوا ساعة ، فلن يغلبوا الى قيام الساعة !

قدم الجنرال غورو لاحتلال لبنان وسورية عام ١٩٢٠ ، وجاء معه جيش لجب ومع ذلك الجيش باخرة مليئة بالبغايا ، فقيل له : « واجب الجيش المقاتل مفهوم ، فما فائدة الجيش الآخر ؟ » ، فقال : « ان أثر هذا الجيش الآخر أعظم من الجيش المقاتل »

وصدق غورو ، وكان صريحا بجوابه ...

لقد عمل المستعمر فى أيامه على اشاعة الفاحشة والتهتك فى كل بلد حل فيه ، ونجح فى مهمته أعظم النجاح .

ولست ألوم المستعمر ، ولكننى ألوم من يقبل ذلك من العرب والمسلمين ومن يقتفى آثاره فى ترك التفسخ والانحلال يرعيان كالفار نفوس الاجيال .

والا فما أهداف اشاعة الفحشاء فى العرب والمسلمين ؟



(ضرورة إحيائه)

للدكتور : مصطفى كمال وصفي

استاذ القانون الادارى بجامعة أم درمان الاسلامية
السودان

لا شك أن علينا ــ نحن المسلمين ــ فى هذا العصر واجبا متعينا ، هو أن نحيى شريعتنا التى أسلمناها الى التخلف حينا من الدهر ، بسبب القول بوقف الاجتهاد . وان علينا عبئا ثقيلا أن نعوض كل هذا التأخير ، وكل هذا التوانى الذى تسببنا فيه ، حتى تراكمت المشاكل وتزايدت وصارت تركة ثقيلة يتعين تصفيتها . وان لم نفعل ، فلا نلوم الا نفوسنا ، اذا تسرب النشء الى النظريات الاجنبية ، ولجئوا اليها لحل المشكلات الجديدة ، وبذلك نسهل على الأفكار الغير الاسلامية غزونا والسيطرة على أفكارنا .

ان مدنيتنا لا بد من أن تعبر على معبر تجتاز عليه مشكلات هذا الزمان ، هذه المشكلات التى أوجدتها زحمة الحياة الحديثة ، وتعقد ظروف انتاجها ، وتداولها وتوزيعها ، وطرق تنظيمها وادارتها ، هذه الحاجات الشعبية التى لا مفر من الاعتراف بوجودها ، والتى يجب مواجهتها بأصول من مقوماتنا ، وان لم نفعل

ــ أقول مرة أخرى ــ فان هذه الحضارة ستضرنا الى أن تجتاز على معبر غير اسلامى . فلا بد للزمن أن يتقدم ، ولا بد من أن يواكبه الفكر والعون العقلى فى تقدمه . ولا يعقل أبدا تكون احدى العجلتين منطلقة فى أسرع دوراتها ، والأخرى واقفة . . فاذن يجب ان تدار عجلة الاجتهاد مع عجلة الزمان . وان نعطى آيات الله حقها فى الأمر بالتدبر والفهم .

علاقة الدولة بالمحكومين

ومما دار الزمان فيه أقصى دورته ، وانطلق فيه أيما انطلاق من عقاله ، أوضاع تنظيم الدولة وعلاقتها بالمحكومين . فانه قد تعاقبت فى ذلك انفجارات فكرية فى الدولة الحديثة ، وأدى ذلك الى نشوء أفكار شعبية ونظامية جديدة قامت لها نظم ودول . وبسبب ازدحام الحياة بقيام الانتاج الكبير والمواصلات السريعة ، وسرعة العمليات التجارية ، نشأت فى الدول الأجنبية نظريات صاغتها ظروفهم الخاصة ، ومبادئهم المهيمنة على حياتهم ، وأخرجوا فى ذلك أفكارا قامت على أسس غريبة لم نعرفها . فلا الظروف التى انشأت تلك الأفكار وجدت لدينا ، ولا المبادىء التى يسير عليها هؤلاء فى حياتهم تتفق مع مقوماتنا ومبادئنا .

ثم نفرت منا فرق ارتادت هذه المسالك الغريبة ، فأعجبت بتلك الافكار ، وعمدت الى الاقتباس منها فى نظمنا ، فلم توفق ولم تفطن الى المغايرات الرئيسية بين ظروفهم ، وبين مبادئهم ومبادئنا .

وهذا الشباب الحديث أوجدت لديه الفاظ : (حديثة) و (اشتراكية) و (ديموقراطية) ومساواة ، حساسيات عميقة يطالبون بتحقيقها فى مجالنا .

وقد ارتبك مفكرونا فى مواجهة هذه الحساسيات الجديدة ، فهم لا يستطيعون تجاهلها ، ولا يستطيعون ايفاءها من أصول تراثنا الذى أهملنا رعايته والقيام عليه ، حتى يكون دائما قادرا على اعطاء الثمار الناضجة فى هذه الأرض الجديدة ، لاطعام هذه الأذواق والمتطلبات الحديثة . فان ارضنا الخصبة الصالحة تراكمت عليها الرمال والأتربة والطفيليات الغريبة ، والبستانى غافل عن ذلك ، لا يزيح هذه الطبقة السبخة الجديدة ، ولا يشذب هذه الطفيليات ويزرع بدلها النبات الطيب . . فعمد هؤلاء الى هذه التربة الرديئة الجديدة يحاولون استنبات النبات الصالح فيها ــ وهيهات أن ينجحوا ــ وغزا الجدب معظم أرضنا الصالحة ، وكدنا بهذا نودع أرضنا أو تودعنا .

النظام الدستورى

وفى هذا المجال ــ مجال تنظيم الدولة وعلاقتها بالمحكومين ، وهو الذى نسميه الآن بالقانون العام ، عنت ضرورة قوية الى احياء النظام الدستورى الاسلامى ، وقامت محاولات فى بلاد مختلفة ، ولكنها ــ فيما أرى لم توفق كل التوفيق لتأثرها بغزو الأفكار الأجنبية التى شبهناها بالطبقة المالحة السبخة ، والطفيليات التى ترين على الأرض الصالحة .

ادعاء

وقال البعض : لم يكن للاسلام نظام دستورى [1] ولم يعرف الاسلام شيئا عن المشكلات الحديثة ، وأنه لما كان ذلك من المصالح المرسلة ، وكانت مرونة أحكام الاسلام تسمح بملاءمة هذه الاحكام لظروف كل عصر فانه لاحرج أن نقتبس النظم الديموقراطية أو الاشتراكية الحديثة كما هى !! وقد أيد هؤلاء دعواهم بالباطل ، فقالوا : ليس فى القرآن سوى مبادىء عامة واسعة — كالشورى — يجوز تطبيقها فى كل زمان حسب ظروفه . أما السنة فقد زعموا أنه ليس فيها على الاطلاق أحاديث تتعلق بالسياسة والامانة ، واستشهدوا استشهادا خاطئا بأقوال لم يفهموها [2] وقالوا : لا محل للاجتهاد ما دام ليس ثمة أصل يقاس عليه أو تستنبط منه الأحكام .

وهذه الدعوى المنحرفة تلقى منا كل العناء لمواجهتها . لأنه يجب علينا أن نقدم البديل الاسلامى فورا للرد عليها . وان مثلى ممن يتولى تثقيف النشء فى الجامعات على النهج الاسلامى يواجه دائما بسيل من الاستفهامات والاستنكارات من الشباب الذى لا يمكننا الحجر على ارتياده مختلف المؤلفات الغير الاسلامية . وفى الوقت نفسه فان اعداد البديل الاسلامى بعد طول هذه الركود أمر يتطلب أشد الاحتياط والتدبر والجهد .

وهكذا فان الفقيه والمفكر الاسلامى كلاهما فى محنة يجب أن يحتسبا الله فى بذل أقصى الجهد لاجتيازها سواء فى مدرجات الطلبة ، أو فى الاجتماعات العامة أو فى الصحف والمجالس والتشريعات والتنظيمات . ولم يعد يقبل فيها التحمل بقفل باب الاجتهاد ، فهذه دعوى ، لم يعد أحد يقتنع بها ، بل يرونها تهربا ولا يقبل كذلك أن يشهر فى وجه طالب الاستفسار سلاح التخويف والتهديد . فنحن نريد عقائد وقلوبا ، وليست السنة معقودة أو قلوبا حائرة .

النظام الادارى

وكذا ، ففى المجال الثانى من مجالات تنظيم الدولة وعلاقتها بالمحكومين ، وهو المجال الادارى يتعين علينا بذل الجهد وملء الفراغ واعداد الجسر أو المعبر المأمون الذى تعبر عليه مدنيتنا بما يحقق المصالح الواجب رعايتها فى هذا الزمان ومستقبل الأيام .

---

(١) أنظر كتاب (مبادىء نظام الحكم فى الاسلام) للدكتور عبد الحميد متولى — دار المعارف ١٩٦٦ ومقاله (مصادر الاحكام الدستورية) بمجلة الحقوق (جامعة الاسكندرية سنة ١٩٦٢ . والاسلام هل هو دين ودولة — مجلة القانون والاقتصاد — جامعة القاهرة) ديسمبر ١٩٦٤ ومارس ١٩٦٥ لسيادته .

(٢) فقد استخلص البعض من قول الامام القرافى (الفرق ٣٦) أن (كل ما تصرف فيه عليه السلام بوصفه أما ما لا يجوز لاحد أن يقدم عليه الا باذن الامام اقتداء به عليه السلام) أن معناه أن هذه الاحاديث كانت وقتية فلا يعمل بها بعده صلى الله عليه وسلم . انظر كتاب مبادىء نظام الحكم فى الاسلام المذكور صفحة ٧٧ و ٢٠٢ و ٤٦٠ .

وهذه المسألة بالغة الأهمية والخطر ، فان اتخاذ الدولة نظاما غير اسلامى فى شئونها الادارية يسمح ويمهد الى ارساء النظم الغير الاسلامية فى سائر نواحى الحياة العامة والخاصة . فهذه العلاقة هى المفتاح الطبيعى وواسطة العقد بين العلاقات والنظم الدستورية من ناحية ، والعلاقات والنظم الخاصة (المدنية والتجارية) من ناحية أخرى فهى من ناحية تقوم على أصول دستورية خاصة كما أنها تمهد للدولة سبيل التدخل فى الذمم الخاصة ، وتتحكم فى النشاط الفردى باسم الضبط الادارى وامتيازات الادارة .

فاذا لم تكن هذه الحلقة الوسيطة اسلامية ، فانها تؤثر يمينا فى الأوضاع الدستورية ، ويسارا فى الحياة الخاصة ، فيكون ضررها مزدوجا . وكذا ، فان الاسلام يتطلب الشمول فى تنفيذ مبادئه ونظمه ولا يمكن تطبيق الاسلام فى شئون ثم نظم الفرنجة فى شئون أخرى . ولن يتيسر القول بأن النظام اسلامى ، اذا طبقت الشريعة فى الأحوال الشخصية ، ثم القانون المدنى فى الأحوال العينية ، أو اذا سارت الآداب العامة والحريات على الطريقة الاوروبية ، فانه يتعذر بلا شك تقنين نظام اسلامى فى العقوبات ، لأنه لا عقاب على المباح .

وسنحاول فى بحثنا هذا أن نبرز بعض أصول النظام الادارى الاسلامى كما يجب أن يكون فى هذا العصر الحديث .

المشروعية التى يقوم عليها :

من المؤكد أن الاسلام قد احتوى اصولا راسخة فى المسائل الادارية .

فقد قامت دول عالمية اسلامية سادت هذا العالم قرونا عديدة ، وتطلبت بلا شك درجة عالية من الكفاية الادارية ، لمواجهة عبء الحكم فى تلك الدول الوسيعة ، وكانت نظم هذه الدول مستمدة من الاسلام . مستقاة من أصوله .

لا نقول أن النظم التى انتهجتها هذه الدول الكبرى . كالدولة الاموية والدولة العباسية والدولة الفاطمية والدولة العثمانية وغيرها ، هى من مصادر القانون الادارى الاسلامى . فان مصادر التشريع الادارى — كسائر مصادر التشريع الاسلامى فى سائر الأمور — انما ترتكز أساسا على الكتاب والسنة وطرق الاجتهاد المقررة شرعا ، وليس من بينها عمل لاحق على عهد الصحابة . فهذه اجتهادات لا تفيدنا ولا نرتبط بها ، بل نستمد الحكم دائما من هذه الأصول الشرعية ، وان كان لا حرج فى الاطلاع على ما سار عليه سلفنا والعلم به ، فان كان حسنا ، اتبعناه ، والا هجرناه .

فلا جدوى اذن من الرجوع الى اشكال الدواوين والاقلام وطرق التنظيم فى العهود . ولا يسمى بحثا فى القانون الادارى — بمعناه الصرف — أن نقول : وكان فى عهد عمر من الدواوين كذا . وكان فى الدولة الأموية أو العباسية أو الفاطمية كذا وكذا . . أو أنه كانت ثمة وزارة تفويض وأخرى للتنفيذ ، وولاية للشرطة وأخرى للحسبة ، لأن كل هذه الاشكال ليست جوهر الموضوع ولا صميمه . ولا تخرج عن أن تكون دراسة تاريخية بحتة لا تغنى شيئا فى مواجهة ما نسميه الآن بالقانون الادارى .

انما المقصود بالقانون الادارى محتواه وموضوعه ومضمونه ونظرياته ، وليس اشكال أدواته وأجهزته .

وهذا الموضوع هو : القواعد التى تنظم الجهاز الادارى ،أى الجهاز الذى يقوم على المرافق العامة ، والوسائل التى تتبع لممارسة نشاطه ، والعلاقات بين هذه الأجهزة بعضها ببعض ، وبينها وبين الأفراد .

وهذا الموضوع يواجه مشكلة أساسية بالذات ، هى الموازنة بين ما يجب للادارة من امتيازات ، وما يعترف لها به من وسائل لتيسير عملها وتسييره ، باعتبارها أمينة على مصلحة عامة ، وبين حماية الافراد من افتياتها عليهم .

فهذه المشكلة بالذات وراء جميع النظريات الادارية ، وهى التى تحدد الى أى مدى يعترف للدولة بحقها فى استعمال وسائل القانون الادارى ، التى تقوم على القهر والاجبار ، والى أى مدى تقف هذه الامتيازات رعاية للحرية الفردية وللكيان الخاص .

وهذه الموازنة اللازمة هى التى انتجت مبدأ المشروعية ، ووضعته هذا الموضع الاساسى من القانون الادارى بالذات(١).

معنى المشروعية

هو سيادة القانون . وخضوع الدولة فى تصرفاتها للقانون (بمعناه الواسع) فهى محكومة به فى تصرفاتها خاضعة له . وهذا يقتضى حتما ألا تبتدر الدولة عملا الا على أساس من التنظيم المسبق : فتوضع قاعدة عامة أولا ، ثم تصدر تصرفات الدولة على مقتضاها . وهى فى ذلك تخضع لسلسلة متدرجة من القواعد . أعلاها وأسماها هو ما نسميه بالمشروعية العليا Supper Begality وهى تلك القواعد العليا المستمدة من أهداف الجماعة ومن نظامها الأعلى ، والتى تعتبر ولو لم تنص عليها الدساتير .

ومثالها فى الأنظمة الوضعية قواعد الحرية والمساواة وحقوق الانسان . ثم يليها الدستور باعتباره النظام الأعلى فى دولة معينة ، والذى يجب أن يتقيد بقواعد المشروعية العليا التى هى نظام الانسانية كلها . ويليها القوانين (بمعناها الشكلى) أى التى تصدرها السلطة التشريعية فى الدولة ، ثم اللوائح المختلفة على مدى تدرجها ، ثم التصرفات الفردية . فكل عمل من هذه يجب أن يخضع لكل ما علاه من قواعد .

واحترام المشروعية هو الذى يجعل الدولة دولة قانون ، وبدونها لا تصير

---

(١) حقيقة أن هذا المبدأ معتبر فى سائر أفرع القانون ، ولكنه فى العلاقات الخاصة مكفول بالوسائل الخاصة التى يستطيع الفرد أن يمارسه ضد دائنه وحقه فى الاستعانة عليه بالسلطات العامة وهيمنة مبدأ المساواة القانونية فى تلك العلاقات .

الا ما نسميه بدولة « البوليس » . وهى دولة تتحكم فيها الاعتبارات التنفيذية ، فلا تكفل معها حريات الأفراد وضماناتهم . وهى لا تسوغ الا فى أحوال استثنائية وللضرورة الوقتية المحضة . فهى نظام واقعى وغير مشروع .

وقوة المشروعية وثباتها واستقرارها من أهم عوامل قوة الدولة ومظاهرها واستقرار نظامها . وهى المقياس الحضارى لسلامة نظام معين واستحقاقه لأن يتصف بأنه نظام .

هذه المشروعية فى الاسلام

فاذا نظرنا الى قيمة المشروعية فى النظم المختلفة وجدناها على أتمها وأثبتها فى الاسلام دون سواه . ذلك لأن نظام الدولة الاسلامية وحدهـا مكفول باطار أعلى حاكم ثابت دائم لا تبديل له ، هو ما جاء فى كتاب الله وفى سنة رسوله . فان الله سبحانه وتعالى قد شرع لنا أصول النظام الاجتماعى الذى يحكم الناس ، ونص عليه فى نصوص لا سبيل الى تبديلها أو تغييرها . ولله بعد ذلك فى كل نازلة حكم ، علينا أن نبذل الوسع والجهد فى استنباطه واكتشافه بطرق معينة محددة للاجتهاد ، واستخراج الأحكام . فنشأ عن ذلك ثبات تام واستقرار كامل فى أصول المجتمع وأسس المشروعية ، يؤدى الى الاطمئنان والأمن من فجاءات التغيير والتبديل ، والى الثبات المؤدى الى الاستقرار والرخـاء ، والى كفالـة الرقابة الشعبية والى معرفة مدى حقوق كل من الدولة والافراد وتحديدها تحديدا مانعا من التجاوز المتعسف .

ومن النصوص المؤدية الى انشاء هذه المشروعية وتقريرها قوله تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول)) النساء ٥٩) .

وقوله تعالى ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيمـا شجر بينهم)) (النساء ــ ٦٥)

وقوله أيضا (من يطع الرسول فقد أطاع الله) النساء ــ ٨٠) .

وقوله : ((ولو ردوه الى الرســول والى أولى الأمر منهـم لعلمــه الذين يستنبطونه منهم)) (النساء ٨٢) .

ويصادقه قوله صلى الله عليه وسلم : (أما بعد : فما بال رجــال منكـم يشترطون شروطا ليست فى كتاب الله ؟ فأيما شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل، وان كان مائة شرط ، فقضاء الله أحق ، وشرط الله أوثق) (البخارى)

وفيه أيضا كتاب أبى بكر رضى الله عنه فى الزكاة (بسم الله الرحمن الرحيم: هذه فريضة الصدقة التى فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين والتى أمر الله بها رسوله ، فمن سئلها من المسلمين على وجهها فليعطها ومن سئل فوقها فلا يعط) (البخارى ــ كتاب الزكاة) .

فهذا قرآن وحديث وأثر .

وهذه المشروعية الاسلامية خلاصتها وفحواها : التضامن فى تنفيذ ما أمر

الله تعالى ، والتضامن فى منع ما نهى عنه . وهى بطبيعة الحال ملزمـــة لدول الاسلام فى كافة عصورها ، ولو أغفلت الدساتير النص عليها ، أو جرت القوانين على خلافها لأنها أعلى درجات المشروعية ويتقيد ما دونها بها . ولا يضرها أن يغم ذلك على المسلمين فى أى وقت : فان الحق أحق أن يتبع . وهى فى هذه الدول ــ التى يسكنها غالبية من المسلمين ــ يسندها رضا الجماعة بها واعتناقهم لها . وارادةالشعب ــ فى كل النظم ــ هى مصدرالسلطات. والمسلمون بطبيعة الحال لا يمكن أن يرتضوا سواها ، والا فليسوا مسلمين(١) وواقع وصفهم بالاسلام مؤداه الحتمى هو سيادة هذه المشروعية الاسلامية وسيطرتها على جميع النظم الوضعية ولو لم تنص الدساتير على ذلك ، بل ولو تنكرت لها . وهذه المشروعية الاسلامية فى ثباتها لا يقارن بها ولا تدانيها مشروعية الدول الحديثة .

ففى النظم الفردية ــ التى تتخذها الآن الدول الليبرالية ــ يعترف للمشرع بحق ذاتى فى التشريع . فله أن يشرع بما يشاء وكيف يشاء ، وليس على سلطته قيد فى ذلك . وهذا من شأنه أن لا يؤمن انحراف التشريع وراء تطورات التقلبات السياسية وانحرافات الطبقات التى تصل الى الحكم . وكان ذلك موضع نقد وشكوى من عامة الفقهاء . فان المشروعية العليا ليست فى تلك الصيانة التى هى عليها فى نظام الاسلام ، وليس لها ذلك الاطار الثابت الحافظ المكفول فى نظامه .

وهى فى النظم الاشتراكية تتخذ لونا خاصا سميت من أجله باسم (المشروعية الاشتراكية) وخلاصتها أخضاع القوانين لاعتبارات الايديولوجية المذهبية ، وعوامل الخطة ومقتضياتها حتى تهيمن السلطة التنفيذية بذلك على التشريعات ، ولا يعود لها احترام يحفظ كيانها (٢) .

وهذه الايديولوجية ليست ثابتة . فليست تعاليم ماركس هى تعاليم لينين أو ستالين أو خروشوف أو الصين الشعبية ، أو تعاليم التخريجات الوسيطة التى انتشرت فى أنحاء العالم فى الدول الاشتراكية المختلفة ، ولذلك لا يمكن القول بأن هذه الدول تتمتع بمشروعية ثابتة ، ولا أن الاستقرار والثبات يسودها .

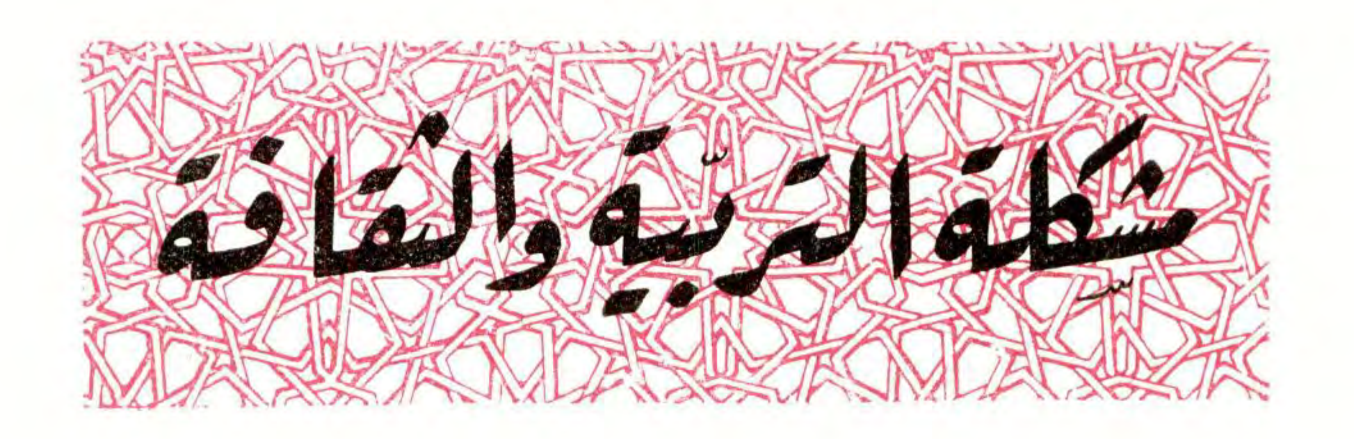
وقد اتجه المفكرون من زمن طويل الى القول بوجوب خضوع القانون للمثل العليا الصالحة للانسانية . وتطورت أفكارهم من نظريـــة القـــانون الطـــبيعى لجروسيوس الى نظرية كلسن النورماتيقية (النظامية) الى نظرية دوجى فى التضامن الاجتماعى الى نظرية المنظمة لهوريو ، والتى تسود الفكر القانونى الآن وسمى مجموع هذه النظريات بالمدرسة الموضوعية . ولكن عافها أحيانا عدم تجسد هذه المثل العليا التى يتمنونها . ولو أوتوا ما أوتينا من كتاب منير وسنة ثابتة لما اختلفوا ولا تحيروا . والحمد لله رب العالمين .

للبحث بقيـــة

---

(١) فان واقع الاسلام وقيامه على شهادة التوحيد ، معناه أن ينفذوا ما أمر الله به ، ويمنعوا ما نهى عنه . فالشهادة ليست نطقا فقط بل هى عمل على مقتضاه . وقال الامام البخارى : « وقال عدة من أهل العلم فى قوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون : عن قول لا اله الا الله : (كتاب الايمان ــ النسخة السابقة الجزء الاول صفحة ١٣) وقال ابن عباس رضى الله عنه فى تفسير (ان الله يأمر بالعدل) أى يقول لا اله الا الله ، يعنى والعمل على مقتضى ذلك .

(٢) لنا بحث فى ذلك باسم المشروعية فى الدول الاشتراكية فى مجلة القانون الادارى (بمصر) فى سنة ١٩٦٧ م .



بين استقرار المبادئ وتطور العلم

ودور الاسلام في ذلك

للدكتور محمد غلاب

لقد صار من الأمور المألوفة التى تلوكها الألسنة وترددها الأصوات فى كل صباح ومساء ، أن العصر الذى نعيش فيه الآن هو عصر جديد ، يختلف عما سبقه من العصور اختلافا كليا باختراعاته التى تبهر الأبصار ، وابتكاراته التى يصم دويها الأسماع . وذلك بسبب الحظ المعجز الذى ظفرت به العلوم الطبيعية والكيميائية ، لا سيما بعد الحرب العالمية الثانية ، وبسبب الدور الذى مثلته تلك العلوم فى زلزلة الأرض التى كانت البشرية تعيش عليها هادئة ساكنة ، والتى كانت الى ما قبل هذا العصر راسية راسخة ، وبسبب تلك الهزات العنيفة التى أحدثتها نتائج البحوث المعاصرة فى أمزجة بنى الانسان وأعصابهم وطباعهم ومعاملاتهم المتبادلة فيما بينهم ، وبسبب تعلقات بعضهم بالبعض الآخر رغم الاستقلال الظاهرى الذى ليس سوى أردية شفافة ، وصور براقة للحرية الزائفة التى يخدع بها الجميع أنفسهم وغيرهم ، من حيث يشعرون أولا يشعرون . .

حقا انها حقبة جديدة تعلن بالحاح عن حقها فى تجديد التفكير والادراك ، وفى تطوير التعليم والتثقيف . وهى تحاول أن تطغى ، فتعرض المعارف التقليدية للخطر بسبب الطوفان الذى لا تنقطع أمواجه العاتية ، ولا تقف تياراته المتباينة ، بل المتضاربة ، وما تقذف به الى عالمنا من مجتلبات تتحدث كلها عن الكشوف العلمية وأقلها نافع ، وأكثرها مدمر ، والتى هى — فى أكثر الأحايين لسوء حظ الانسانية — بين أيد شريرة ، ومملوكة لنفوس خبيثة .

ومما لا شك فيه أن هذه الزلازل المجتاحة ، تقتضى من الصفوة المصلحة العناية بالمبادىء السامية أكثر من ذى قبل ، وتتطلب منها دقة مزج تلك المبادىء بالمواد التعليمية على صورة فنية عميقة .

مشكلة التعليم والمناوراة السياسية .

غير أن مشكلة التعليم فى الآونة الراهنة فى كل مكان ، تغلى وتفور وتقذف بألوان من العنف تباغتنا قوتها فى الظروف العادية فضلا عن ظروف المناورات السياسية التى تنسجها الأيدى المغرضة التى تحركها من وراء ستار الأحداث المدرسية الخاصة ، أو اصلاحات البرامج المحلية ، أو تأمين مستقبل الشباب ، وما الى ذلك من زوائف براقة ظاهرها فيه الرحمة ، وباطنها من قبله العذاب ، ولكن لا ينبغى البتة ان يفهم من هذا أن الشباب ليس له مشاكل خاصة ، تقتضى سرعة الحل فهذا أمر لا يعارض فيه عاقل ويجب على الدولة ان تعتنى به أشد الاعتناء .

التوازن بين المبادىء القديمة والحديثة

من أجل هذا كله كانت مشكلة التجديد الحادة المدببة الشائكة عسيرة أو غير ميسورة الحل فهنا ــ كما فى كل مكان آخر ــ نشاهد احدى المعضلات الرئيسية تفرض نفسها بهيئة اجبارية لا يمكن تجنبها . وهى معضلة التوازن الذى يجب تثبيته بين قوى التقاليد أو معرفة القواعد الأساسية ، والمبادىء الراسخة التى عليها تعتمد الحياة الجوهرية البشرية من جهة ، والقوى التجديدية التى تتألف من تطورات العلوم ، ومن النظريات الاجتماعية المعاصرة من جهة ثانية .

ومما لا ريب فيه أن هذه القوى تتصادم فى صلابة وقسوة . واذا لم تنجح فى أن تتبادل الانسجام وأن تتسق فيما بينها اتساقا كافيا ، فانها سوف تتبادل الهدم والتحطيم .

لا بد من جهد الشباب والشيوخ

ومن ثم لم يكن بد من اتحاد جميع الجهود ، أى جهود الشباب الحادة السريعة الانفعال والمندفعة الى العمل الفورى المباشر ، وتضافرها مع جهود الذين أنضجتهم سابقية المعارف ، وتجارب الحياة ، لكى تنهى على خير وفى نجاح ، تلك المهمة الضرورية التى تشغل ، بل تقلق من بيننا ممن هم أكثر وفاء للصدارة الثقافية ، وحسن القيادة التقدمية .

حقا ، نحن الآن فى حقبة من حقب التطور والانتقال . وفى مثيلات هذه الحقبة يحتاج العقلاء دائما الى الاسترشاد بأضواء القيادات الحكيمة ، والاستنارة بأنوار القدوة الطيبة حتى لا يهيموا فى متاهات التخبط ، ولا يضلوا فى صحراوات

الاضطراب والارتباك . فهل نستطيع في هذه الحالة أن نستعيد ذكريات العصور الاسلامية الأولى فاننا اذا استعدنا ذكريات تلك الحقب الذهبية ، الفينا بدهيا أن الاسلام قد مزج بين المعارف النافعـــة والموروثات الصـــالحة من تراث الشرق والغرب ، وأفاض عليها من انوار الوحى وأضواء السماء ما جعلها قمينة بخلق أمة عظيمة صالحة للبقاء والسيادة ، ومدنية رفيعة خالدة . وكأنه قد حقن جميع الشعوب التى اعتنقته بحقن حيوية جديدة هى ينبوع عملاقى من ينابيــــع العلم والفن والمعرفة والثقافة ، كما كانت مصدرا للعقيدة الثابتة والايمان الراسخ ، والقيم الأخلاقية العالية ، والمبادىء الانسانية السامية .

المسلمون والتطور ..

ان المسلمين اليوم لا يستطيعون أن يبقوا فى معزل عن أية صورة من صور التجديدات العقلية ، أو التطورات الاجتماعية ، فمن المهمات الأساسية للاسلام — الذى هو فى الوقت ذاته عقيدة وتشريع — أن يستمر دون أدنى توقف فى أن يكون يقظا حذرا وأن يتولى على الدوام قيادة تحديد المصير ، وان يرأس — دون أى تخل — ذلك التوازن الضرورى بين التقاليد المتوارثة ، والمعارف الجديدة . وذلك لأن الحلول المستوردة التى تقدم الينا لا تلتئم معنا لأن الطوابـــع المميزة لمجتمعنا تتباين فى أكثر اتجاهاتها ومناهجها مع طوابع الغرب وهى الطوابـــع الاستعمارية بصورتيها القديمة والجديدة ، والرأسمالية القائمة على الأنانيـــة البغيضة والجشع المقيت واذن فطبائع الأشياء من جهة ، واملاء الحاجة الملحة من جهة أخرى ، هما اللذان يقتضيان أن تكون مبادئنا الاسلامية هى الأســـس الثابتة التى تعتمد عليها الاتجاهات الثقافية والأنظمة السياسية عندنا .

من الداخل ينبغى ان يكون الحل ..

ومعنى هذا فى وضوح تام أن من الداخل وحده ينبغى أن تنبثق حلـــول مشاكلنا التى ننقب عنها ، بل التى نتحرق شوقا اليها ، وهى اقرب الينا من حبل الوريد .

« كالعيس فى البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول »

ولا ريب ان هذا لا يتطلب منا سوى ان نفتح عيون عقولنا على القرآن الكريم حتى نجد فيه — على مستوى أفهام القادة المثقفة — ما يمكن ان يطلق عليه اسم مفاتيح المفاهيم الرئيسيـــة لجميع أبواب المناطق الروحيـــة والثقافيـــة ، والسياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية . وهو مبدأ الاعتدال أو الوقوف فى نقطة التوسط بين استقرار العدالة السماوية الأبديـــة ، ومرونـــة التطورات الانسانية .

الفلسفة تتراجع أمام الاسلام ..

ولقد حدد ارسطو هذا التوسط تحديدا عدديا يخضع للحساب والأرقام

الى درجة أنه عين رقم الفضيلة الذى لو تجاوزته الى أعلى أو الى أدنى لصارت رذيلة أو أقرب الى الرذيلة . وقد افتتن كثير من العقول بهذا التحديد الحسابى الأرسطى ، ولكن القرآن وتتميم شرحه بالأحاديث النبوية قد وضعا لهذه النظرية أحكم القواعد وأسماها ، وأكثرها قابلية لتناول البشرية ، وأدخلها فى بـاب الامكانيات العملية ، وأيسرها فى التطبيق مما جعل تلك القاعدة الرقمية الأرسطية تتراجع باهتة منهارة أمام تلك التعاليم السماوية الخالدة التى نستطيع اجمالها فى ان التوسط لا يزيد عن كونه نوعا من الاعتدال البشرى النبيل الذى يجب أن يقترب من الكمال فى كل شىء بقدر المستطاع ، وان يصحبه فى سـيره هذا ، كثير من الأمل والمرح كما يشير الى ذلك الحديث الشريف « ان الدين يسر ، ولن يشاد هذا الدين أحد الا غلبه . فسددوا ، وقاربوا ، وأبشروا .... » (رواه البخارى) .

والحق أننا اذا تأملنا تأملا دقيقا فى نظرية أرسطو وفى مبدأ الاسـلام ووازنا بينهما ألفينا ان الأولى مدموغة بطابع البشرية الأرضية الناقصة المعيبة ، وأن الثانى تشع منه أضواء الكمال اذ أننا لو حددنا موضوع الانفاق أو الاعطاء مثلا بأرقام التوسط الأرسطى ، فكيف نتصرف فى تحديد من يستحق الاعطاء ؟ وكم ينبغى أن يعطى ؟ ومتى ؟ ولأية غاية ؟ .

لا شك فى أن ذلك الرقم الذى حدده حكيم « استاجيرا » سـيقف واجما مبهوتا أمام هذه الأسئلة السالفة التى حددها الاسلام وأجاب عليها بأن ما ينبغى عمله فى هذه المواقف هو الاجتهاد فى الاقتراب من الكمال بقدر ما تتسـع له الطاقة البشرية .

دور الاسلام فى هذا العصر ..

فى هذا العصر القلق المعذب يجب أن يبرز دور الاسـلام الذى تشـمل تعاليمه الناحيتين : الروحية والمادية ، أو الدين والدنيـا ، وأن يقوم بمهمتـه الجوهرية وهى الاحتفاظ بوجهى المدنية اللذين تهددهما بالزوال أزمة الضـمير المعاصر على التعاقب . وهذان الوجهان هما : الدينامية الروحية والأخلاقية من جهة ، والعلم من جهة أخرى .

ما نريده من العلم .. !

وليس المراد بالعلم هو تيكنولوجيته التى تتنقل بطريقة آلية فحسب ، ولكن المقصود على الأخص هو مناهجـه وروحـه التى تتنبـأ وتصـنع الفروض ، وخصائصه ، وعقيدته فى مقدرته ، وامتداد متناولاته ومحتوياته .

لا بد من قمع المهرجين ..

ففى الواقع أنه ليس من النادر فى عصرنا الراهن أن نسمع أصوات عدد

من عظماء الباحثين الحقيقيين تهتف بوجوب كشــف النقاب عن الأدعياء الذين يتطفلون على موائد العلم متخذين التهويش والتهريج والتسرع وعدم الجديــة والحاجة الملحة الى الاقناع قبل الشك والبحث والتجربة ديدنا فى كل خطواتهم وتصرفاتهم . ونحن بدورنا هنا نعلن مع أولئك الباحثين للأسف الشديد ، ان لدينا الأن كثيرا من أدعياء الثقافة الذين يفعلون بها ما يفعله امثالهم فى الغرب بازاء العلم ، فبدلا من الاقتراب بقدر المستطاع من الكمال الذى أمر به الاسلام ، هم يبتعدون عنه ما استطاعوا الى ذلك سبيلا غير مبالين بنتائج تصرفاتهم البغيضة .

ولما كان استيفاء التفكير فى هذا الموضوع الحيوى الهام ، أو رسم لوحة أمينة للثقافة النافعة والتثقيف المفيد ، يحتاج الى عرض آخر ، فقد آثرنا أن نكتفى اليوم بأن نعيد الى ذاكرات شبابنا عامة ، وشباب المدارس والجامعات خاصة حتمية العناية بواجباتهم الضرورية نحو أنفسهم قبل كل شيء ، فكل ما عدا هذه الواجبات يتعلق بها ، لأن الشخصيات اذا كانت مصابة بالرذيلة ، أو ضعيفة ، أو فقيرة الينابيع ، فان كل ما تزاوله أو تمسه من قريب أو من بعيد ، وبالتالى كل تصرفاتها تكون مدموغة بطابع هذه الخطايا المتأصلة أو بالوهن المتغلغل فى الأعماق .

الشجاعة والأمانة ..

ولما كنا قد أشرنا آنفا الى الواجبات الضرورية ، فانه ينبغى لنا أن نجمل هذه الواجبات هنا فى فضيلتين هامتين وهما الشجاعة والأمانة المثالية أو الوفاء للمبدأ ، وهما أساسيتان فى تكوين العقليات ، وفى محيط الرياضــة البدنيــة الجماعية التى تعد الجسم لأن يكون وعاء صالحا لجميع الانتاجات المعنوية ، ومن ثم كانت هاتان المهمتان متلازمتين تلازما كاملا .

ومعنى توافر الشجاعة والأمانة فى العقليات هو الوصول الى جعلها مرنة الى حد المقدرة القصوى على فهم العــالم والقوى التى تعمره ، وادراك الفكر والوقائع التى يكتظ بها ، وأحداث الماضى والحاضر ، وجميــع تجارب العلوم الحية . وهى تتناول كذلك عدم التقهقر أمام عقبات العقل ومتاعب الفكر عندما يتعلق الأمر بالبحث عن الحقيقة ، ومن ثم ينعت القرآن من يأتى بالحق ويؤمن به بأنه فى مقدمة الأتقياء الفضلاء : « والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون » (آية ٣٣ من سورة الزمر) .

ومما يدخل فى محيط هاتين الفضيلتين البعد عن كل ما يعرض الانسان للمواقف المشتملة ، على أنصاف الحلول ، أو أنصاف الرذائل الشائنة اذا صح هذا التعبير ، أو المتشابهات القائمة بين المباح والمحظور « ومن حام حول الحمى أوشك ان يقع فيه » .

ومجمل هذا كله ان يكون المرء بريئا نظيفا فى كل ما يفعل أو يقول « يا أيها

الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » . (آية ١١٩ من سورة التوبة) أى ان يتطابق القول والعمل أتم التطابق وأكمله دون ادنى لف أو دوران .

واخيرا تتناول الشجاعة والأمانة جرأة الشباب على أن يريدوا وأن يعرفوا، وان يفهموا فهما ذاتيا أى أنهم يكونون رجالا لا أطفالا ، ورؤوسا لا أذنابا ، وأن لا يتصرفوا ألبتة فى تناقض مع أقوالهم « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » . (آيتى ٢ و ٣ من سورة الصف) .

ميزة الطلاب ..

وهنا يتحتم علينا أن نتذكر ان الطلاب يظفرون بميزة خاصة لا تتيسر لغيرهم ، وهى مهمة التعلم الذى يسلحون به عقولهم مدى الحياة بفضل الوسائل التى يملكونها ، والهدوء الذى يمكنهم من تأدية رسالتهم العلمية ، والتى لا يملكها الآخرون . واذن فعدم الاستفادة من هذه المهمة ، أو استغلالها فى أهداف نفعية خالصة كلاهما شؤم على الصالح العام ، ومتنافر مع روح الاسلام الذى يأمر بالاعتدال والأخذ بطرف كل من الروحية والمادية « ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين » . (آية ٧٧ من سورة القصص) .

الشباب ومصير الوطن ..

ومن هذا يتبين فى وضوح ان جانبا هاما من مصير الوطن يتعلق بالتكوين العقلى والخلقى والجسمى للشباب ولهذا يجب على الناضجين أن يبذلوا جهودا جبارة ، بل ان يفرغوا كل ما فى وسعهم من قوة للعناية بهذه الناحية من نواحى الحياة .

حقا اننا نعيش اليوم فى عالم شديد القسوة ، مفرط فى الواقعية ، بل يكاد يكون خلوا من العواطف والرحمة ، ولكن لا ينبغى ألبتة أن ننسى ان الروحية عليها دائما طابع الدوام والاستقرار . الذى لا يزول ولا يحول . ونحن لا نجد فى هذا الصدد مثلا نقدمه الى شبابنا اروع من مثل اشقائهم الفلسطينيين الذين اتقد ايمانهم بالكرامة والحرية فى صدورهم ثم انبجس من أعماق هذا الايمان رجال جدد أوفياء لوطنهم تتمثل حرارة وفائهم فى قلوبهم وألسنتهم وأذرعتهم . وقد اقتادهم هذا الايمان الى البطولة والتضحية فى حماسة نبيلة لا تكل ولا تمل ، بل هى من عالم الأبدية ،





للشيخ : ابراهيم بدَيوي

المستشار الدينى لمحافظة البحيرة

بك أستجير ، ومن يجير سواكا ... فأجر ضعيفا يحتمى بحماكا

انى ضعيف أستعين على قوى ... ذنبى ومعصيتى ببعض قواكا

أذنبت يا ربى وآدتنى ذنو ... ب مالها من غافر الاكا

دنياى غرتنى وعفوك غرنى ... ما حيلتى فى هذه أو ذاك

لو أن قلبى شك لم يك مؤمنا ... بكريم عفوك ما غوى وعصاكا

يا مدرك الأبصار ، والأبصار لا ... تدرى له ولكنهه ادراكا

أتراك عين والعيون لها مدى ... ما جاوزته ، ولا مدى لمداكا

ان لم تكن عينى تراك فاننى ... فى كل شىء أستبين علاكا

* * *

يا منبت الأزهار عاطرة الشذا ... هذا الشذا الفواح نفح شذاكا

يا مجرى الأنهار : ما جريانها ... الا انفعالة قطرة لنداكا

رباه هأنذا خلصت من الهوى ... واستقبل القلب الخلى هواكا

وتركت أنسى بالحياة ولهوها ... ولقيت كل الأنس فى نجواكا

شاعر من الشعراء المجيدين ومن الشيوخ الأزهريين المتفتحين ، طالما سمعناه شابا وشيخا يشدو بالشعر السهل الممتع ، وهو الآن يتحف قراء الوعى ولأول مرة بهذه التأملات الروحية الواعية ، التى لم أستطع أن أغالبها فتركتها للقارىء على طولها ، ليعيش — كما عشت — فى جوها لحظات من التأمل والصفاء .

(الوعى)

ونسيت حبى واعتزلت أحبتى — ونسيت نفسى خوف أن أنساكا
ذقت الهوى مرا ولم أذق الهوى — يارب حلوا قبل أن أهواكا
أنا كنت يا ربى أسير غشاوة — رانت على قلبى فضل سناكا
واليوم يا ربى مسحت غشاوتى — وبدأت بالقلب البصير أراكا
يا غافر الذنب العظيم وقابلا — للتوب : قلب تائب ناجاكا
أترده وترد صادق توبتى — حاشاك ترفض تائبا حاشاك
يا رب جئتك نادما أبكى على — ما قدمته يداى لا أتباكى
أنا لست أخشى من لقاء جهنم — وعذابها لكننى أخشاكا
أخشى من العرض الرهيب عليك يا — ربى وأخشى منك اذ ألقاكا

◆ ◆ ◆

يا رب عدت الى رحابك تائبا — مستسلما مستمسكا بعراكا
مالى وما للأغنياء وأنت يا — رب الغنى ولا يحد غناكا
مالى وما للأقوياء وأنت يا — ربى ورب الناس ما أقواكا
إنى أويت لكل مأوى فى الحيا — ة فما رأيت أعز من مأواكا

وتلمست نفسى السـبيل الى النجـا … ة فلم تجـد منجى سوى منجاكـا
وبحثت عن سر السـعادة جـاهدا … فوجدت هـذا السر فى تقواكـا
فليرض عنى النـاس أو فليسخطوا … أنـا لم أعـد أسعى لغير رضاكـا
أدعـوك يـا ربى لتغفـر حوبتى … وتعـيننى وتمـدنى بهداكـا
فاقبـل دعـائى واستجب لرجاوتى … مـا خاب يومـا من دعـا ورجاكا
يـارب هـذا العصر ألحد عندمـا … سخرت يـا ربى لـه دنيـاكا
علمتـه من علمـك (النووى) مـا … علمتـه فـاذا بـه عاداكـا
مـا كاد يطـلق للعـلا صاروخه … حتى أشـاح بوجهـه وقلاكـا
واغتر حتى ظـن أن الكـون فى … يمنى بنى الانسـان لا يمنـاكا
أو ما درى الانسان أن جميـع مـا … وصلت اليـه يـداه من نعمـاكا ؟
أو مـا درى الانسـان أنـك لو أرد … ت لظـلت الذرات فى مخبـاكا ؟
لو شئت يـا ربى هـوى صاروخه … أو لو أردت لمـا استطـاع حراكـا
يـأيها الانسـان مهـلا واتئـد … واشـكر لربك فضـل مـا أولاكـا
واسـجد لمـولاك القـدير فانمـا … مستحدثـات العـلم من مولاكـا
أفـأن هـداك بعلمـه لعجيبـة … تـزور عنـه وينثنى عطفاكـا
ان النـواة ولكترونـات التـى … تجـرى يراهـا الله حين يراكـا
مـا كنت تقـوى ان تفتت ذرة … منهـن لولا اللـه قـد قواكـا

◆ ◆ ◆

كـل العجـائب صنعة العقل الذى … هـو صنعـة الله الذى سـواكـا
والعقـل ليس بمـدرك شـيئا اذا … مـا اللـه لم يكتب لـه الادراكـا
للـه فى الآفـاق آيـات لعـ … ـل أقلهـا هو مـا اليه هداكـا
ولعـل مـا فى النفس من آيـاته … عجب عجـاب لو تـرى عينـاكا
والكـون مشـحون بأسـرار اذا … حـاولت تفسيرا لهـا أعيـاكا
قل للطبيب تخطفتـه يـد الردى … يا شافى الامراض : من أرداكـا ؟
قـل للمريض نجا وعوفى بعدمـا … عجزت فنـون الطب : من عافاكـا ؟
قـل للصحيح يمـوت لا من عـلة … من بالمنـايا يـا صحيح دهاكـا ؟
قـل للبصير وكان يحـذر حـفرة … فهـوى بها من ذا الذى أهواكـا ؟
بل سائل الأعمى خطا بين الزحـا … م . بلا اصطدام : من يقود خطاكا ؟
قـل للجنين يعيش معـزولا بـلا … راع ومرعى : مـا الذى يرعاكـا ؟
قل للوليـد بكى وأجهش بالبـكا … ء لدى الولادة : مـا الذى أبكاكـا ؟
واذا تـرى الثعبـان ينفث سـمه … فاسأله : من ذا بالسـموم حشاكا ؟
واسأله كيف تعيش يـا ثعبـان أو … تحيـا وهـذا السم يمـلأ فاكـا ؟

واسأل بطون النحل كيف تقاطرت شهدا وقل للشهد من حلاكا ؟
بل سائل اللبن المصفى كان بـين دم وفرث ما الذى صفاكا ؟
واذا رأيت الحى يخرج من حنايا ميت فاسأله : من أحياكا ؟
قل للهواء تحسه الأيدى ويخفى عن عيون الناس من أخفاكا ؟
قل للنبات يجف بعد تعهد ورعاية : من بالجفاف رماكا ؟
واذا رأيت النبت فى الصحراء يربو وحده فاسأله : من أرباكا ؟

• • •

واذا رأيت البدر يسرى ناشرا أنواره فاسأله : من أسراكا ؟
واسأل شعاع الشمس يدنو وهى أبعد كل شىء ما الذى أدناكا ؟
قل للمرير من الثمار من الذى بالمر من دون الثمار غذاكا ؟
واذا رأيت النخل مشقوق النوى فاسأله : من يا نخل شق نواكا ؟
واذا رأيت النار شب لهيبها فاسأل لهيب النار : من أوراكا ؟
واذا ترى الجبل الأشم مناطحا قمم السحاب فسله من أرساكا ؟
واذا ترى صخرا تفجر بالمياه فسله : من بالماء شق صفاكا ؟
واذا رأيت النهر بالعذب الزلال جرى فسله : من الذى أجراكا ؟
واذا رأيت البحر بالملح الأجاج طغى ، فسله : من الذى أطغاكا ؟
واذا رأيت الليل يغشى داجيا فاسأله : من يا ليل حاك دجاكا ؟

• • •

واذا رأيت الصبح يسفر ضاحيا فاسأله : من يا صبح صاغ ضحاكا ؟
هذى عجائب طالما أخذت بها عيناك وانفتحت بها أذناكا !!
والله فى كل العجائب ماثل ان لم تكن لتراه فهو يراكا ؟
يأيها الانسان مهلا ما الذى بالله جل جلاله أغراكا ؟
حاذر اذا تغزو الفضاء فربما ثأر الفضاء لنفسه فغزاكا ؟
أغز الفضاء ولا تكن مستعمرا أو مستغلا باغيا سفاكا
سخر نشاط العلم فى حقل الرخاء يصغ من الذهب النضار ثراكا
سخره يملأ بالسلام وبالتعاون عالما متناحرا سفاكا
وادفع به شر الحياة وسوءها وامسح بنعمى نوره بؤساكا
العلم إحياء وإنشاء وليس العلم تدميرا ولا اهلاكا
فاذا أردت العلم منحرفا فما أشقى الحياة به وما أشقاكا



ادفنى قتــلاك وأرضى بالمصــيبة	واذهبى عاصفة الليل غريبــــة
واقبعى حول الضحــايا واذكرى	عمرا مرا وأوطــانا سليبــــــه
وادخــلى الســجن الذى شيدته	وتوارى فى الزنازين العصيبــــه
وارسفى فى القيــد حتى تهرمى	واكتبى أغنيــة المــوت كئيبــــه
واتركى الطوفان يعلو موجـــــه	ويغطى هذه الأرض الجديبـــــه
وارمقى المجـــد الذى حطمتــه	واعصرى القلب الذى خنت وجيبه
أنت ضيعت الرجــولات ســدى	أنت أطلقت يد البغى الخضيبـــه
أنت قــد وليت عميــاء الخــطى	وحميت الوحشى أغريت نيوبـــــه
فــأغرقى فى لجــــة مجنونـــة	يا شعوبا لم تعلمهــا المصيبـــــه
واطفئى المصباح يــا ريح الردى	واصرخىفى الشرقواجتاحىدروبه
وادفعى الســيل على أنقــاضه	وارفعى بين الأعــاصير نحيبـــه
واتركيه موحشــا مندرســـــا	وابعــدى عنه ولا تبكى غروبـــه

★ ★ ★

وأرانى غارقـــــا فى ألمــــى	ويصب البؤس فى روحى لهيبـــه
وأرى أرجوحـــــة داميـــــة	وشراعــا يشهد الموج مغيبـــــه
وأرى أوديـــــة مهجـــــورة	وربا محرقــة كانت خصيبـــــه



للشاعر الفلسطينى

عبد الرحمن بارود



وقطيعـــا فى البرارى يختفـى
لم يجـد عشبا ولم يعرف قليبـه

وبنيـــات يصففن الحصــى
ويفاخرن بأسمـــال معيبـــه

آه يـــا قطعاننــــا لا تســـألى
كل من فى شرقنـــا يدرى عيوبـــه

★ ★ ★

زمجرى يـــا رايـــة اللـــه ارجعى
واخفقى فوق صحارانا الحبيبـــه

واجمعى أشتاتنـــا فى حينـــــا
واقذفى الموت بنـــا وامضى مهيبه

وأعيدينـــــا الى أيامنـــــا
حيث جبريل على رأس الكتيبـــة

زعمت شرذمــــة منبــــوذة
من صعـــاليك وأبواق كذوبـــه

ان قـــرآن الهــدى ماتت علـى
دفتيه كل آمــــال العروبـــه

فانبرت مكتنــــا شامخــــة
تصهل الخيــل حواليها غضوبـه

وغـــدا اليرموك موجـــا مرعبـــا
ورؤى حمرا وألحـــانا طروبـــة

وجرى يصرخ فى عـــرض الدجى
أين يـــا خالد أيــام الشبيبـــة

نحـــن أقسمنـــا عـلى أرماحنـــا
أن نعيـــد النور للدنيـــا الرحيبـــه

نحـــن لم نضرب ستارا حولنـــا
يـــا بقايا من حثـــالات عجيبـــه

نحـــن ربيـــون ذا مصحفنـــا
يعرف التاريخ ربــــاه وطيبـــه

عمـــر منا ومنـــا طــــارق
ولكم أنتم شعارات قشيبـــه

فاعرفونـــا واحذروا أقدامنـــا
ان أقـــدام العماليق رهيبـــه !

تفتيت الحقيقة بداية التحول عنها ..!

للشيخ : محمد الغزالي

أصاب جهاز (التلفزيون) عندى عطل مبهم فلم تظهر الصـــورة المرتقبة ، ونظرت الى الجهاز الجاثم فى مكانه لا يؤدى عمله نظرة استغراب ! وتحسستـه بيدى فخيل الى أنه لا ينقص شيئا من آلاته الجلية والخفية ...

وأخيرا جاء العـــامل المتخصص فى اصـــلاحه ، واستبدل بجزء تالف منه جزءا صالحا ، واستأنف الجهاز عمله ، وشرع يحقق الفائدة المرجوة منه !!

وقلت فى نفسى : ان الجهـــاز كله توقف عن أداء رسالته حتى تعـــاونت أجزاؤه الصغار والكبار على تحقيق وظائفها المنوطة بها !!

ولا عجب فقد تتوقف الدبابة عن السير والقتال لقطعة تنقصها فى مقدمتها أو مؤخرتها ...

وقد يتعطل مصنع عن الانتاج تكلف انشاؤه الألوف المؤلفة من الجنيهات ، لأنه يفتقر الى تكملة لا تساوى مائة جنيه ..

وهكذا شئون الحيـــاة المادية والأدبيـــة ، قد يصيبها عطب فـــادح ، لأن شطرها أو أغلبها موجود ، وبقيتها الأخرى مفقودة عن خطأ أو تعمد .

ومن ثم قد ترى أمامك أشياء صالحة ، ولكنها قليلة الجدوى ، لأنها مبتورة ، وما تتم قيمتها وتبرز ثمرتها الا اذا دارت الحيـــاة فيها وفيما يكملها ، وعنـــدئذ ينطلق التيار فى دائرته المغلقة فيسطع النور ..

ان تعـــاليم الاسلام كذلك لا تصـــلح الحياة وتقيم المجتمعات الا على النحو الذى شرحنا ..

وعناصر الوحى تشبه عقـــاقير الأدوية لا يتم الشفاء بها الا اذا أخـــذناها كما جاءت .

أما اذا طرحنا عقارا ، وتناولنا آخر فلن يذهب لنا سقام ..

وقد وجـــدت أن كثيرا من علل المســـلمين الفكرية والنفســـية ، بل عللهم الاقتصادية والسياسية ترجع الى أنهم يجدون مع بعض النصوص ، ويهزلون مع بعضها الآخر ، فلا يحصدون من هذا التناقض الا ضياع النصوص كلها .

ولا يفيدون من النصوص التى عملوا بها ــ فيما يزعمون ــ شيئا طائلا ! لأن وجودهــا المنقوص فى المجتمع كوجــود جهاز (التلفزيون) الذى سقت لك خبر عطله .

تأمل معى هذا الحكم الشرعى فى فرع من فروع الفقه الاسلامى . . .

يقول الله تعالى : « واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا . . » .

الى هنا يمكن تقرير الحكم العملى فى شأن يتصل بكيــان الأسرة ، وربما لا يشغل العلماء أنفسهم عند تقرير الحكم بأبعد من ذلك عند ايراد النص . . .

أفهذا ما فعل القرآن الكريم ؟ لا ، لقد أعقب ذلك بخمس جمل تتضمن فنونا من النصح والتــأديب والتربية يضيع المجتمع ان أضــاعها ، فقال جل شأنه :

(١) « ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه » . (٢) « ولا تتخذوا آيــات الله هزوا » .

(٣) « واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به » .

(٤) « واتقوا الله » . (٥) « واعلموا أن الله بكل شىء عليم » .

وعندما توجد فى بلادنا أحكام الطــلاق ولا توجد معها بقية المعــانى التى صاحبتها فى هذه الآية فسوف يلعب بكتاب الله ، ولن تزيد الأمة الا خبالا . . . !!

خذ مثلا آخر ، لقد نهى الاسلام عن السرقة ، وأمر بقطع يد السارق ، بيد أن هذا الحد من حــدود الاسلام يكون خيرا وبركة مع احيــاء أوامر الله كلها ، وإقامة شعب الايمان الكثيرة ، التى تسد يقينا كل ثغرة ، وتمنع أى غبن ، وتطارد آفات البطــالة والجوع عند البعض ، وآفــات النهب والحيف والسرف عنــد البعض الآخر .

أما مع رفع كل رقابة عن طرق الاكتساب ، واتاحة الثراء من شتى الوجوه الحرام ، وايقاع الضعاف فى عقابيل البأساء والضراء ، فالأمر يحتاج الى تبصر فى التطبيق .

ومعــاذ الله أن نتريث فى اقامة حــد من حدود الله ، ولكنا نقول مقــالة الحسن ، وقد رأى الشرطة تقبض على لص فقال : أسارق السر يسعى به الى سارق العلانية . . . ؟!!

وما كذلك دين الله . . .

وسمعت متحــدثا فى الدين يذكر أنه لا حدود للمهر ، ويستشهد بقصــة المرأة التى اعترضت عمر بن الخطاب لما أراد تقييد المهور .

والقصة صحيحة ، ولكن المتحدث قليل الفقه فى الاسلام ، ضعيف الشعور بمآسى المسلمين اليوم . .

ان الجمهرة من الشباب ألفت أن تقضى صدر عمرها ، ولا أقول شطره ، فى التســول الجنسى والانحراف الشائن ، وكل تعسير للحــلال سيتبعه حتما

تيسير الحرام ، فكيف يلقى فقيه ربــه باقرار هذه الحال ، أو اقرار مـــا يؤدى اليها يقينا ؟

ان قصـــة عمر مع المرأة المعترضة تفهم فى جو كان الرجــل يستطيع فيه الزواج مثنى وثلاث وربـــاع .. وكان الحرام يقع فلتـــات نادرة أو استثناء من قاعدة عامة ...

أما اليوم فان العرف الســائد بين جماهير المسلمين فى الزواج والمهــور والهدايا لا صلة له بتقوى الله ، ولا اشاعة الاستعفاف ، ولا اقرار الطهر النفسى والاجتماعى .

انه عرف يقــوم فى جملتــه على رذائل الرياء ، والكبرياء ، ورغبــة أسر كثيرة فى الانتفاخ والتعاظم ...

ان الاسلام كل لا يتجزأ ، والشبكة التى تنسج تعاليمه الدقيقة تفقد جدواها عندما تخرق من جانب واحد ، فكيف اذا تعددت فيها الخروق ، وتفاحش الاهمال والتلف ؟؟

والواقع أن هجر بعض الأحكام الاسلامية ، والإقبال على بعضها الآخر ، هدم لمبدأ السمع والطاعة المأخوذ على جماعة المؤمنين .

فان تقسيم الوحى الإلهى على هــذا النحو لا يعدو أن يكون تحكيما للهوى الشخصى فيما ورد ، فما أعجبنا قبلناه وما لم نسغه رفضناه .

وهذا قريب من مسلك المشركين أنفسهم مع رســول الله ، فانهم لم يردوا كل ما جاء به ، بل وافقوه على البعض ، وحاربوه على البعض الآخر ، ولذلك أمره الله بالثبات على الكل ، وقــال له : (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليــك وضائق به صدرك أن يقولوا : لولا أنزل عليه كنز أو جــاء معه ملك ، انما أنت نذير والله على كل شىء وكيل) .

واتبـــاع الهوى فى استبقاء حكم ، واطراح آخر معناه أن ما استبقى ليس لأنه أمر به !!

فقد أمر بغيره كذلك فلماذا ترك ؟

معناه أن ما استبقى ظفر بالحيـــاة لأنه أرضى رغباتنا فقط ، ولو صـــادمها لطوحنا به هو الآخر .

وقد نبه القرآن الكريم الى أن فساد بنى اسرائيل نشأ مع هــذا العوج ، فقد أخذت عليهم المواثيق بأمور سواء ، ففعلوا بعضها وتناسوا بعضها ، لأنهم يتصرفون وفق شهواتهم ، ولا يرتبطون بأمر الله ونهيه ..

فكان التعقيب الإلهى على هــذا الســلوك : « أفتؤمنون ببعض الكتـــاب وتكفرون ببعض فما جــزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحيـــاة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون » ..

والأمة الاسلامية اليوم موزعة على عشرات الدول ، وأمر الاسلام فى كل دولة منها يستحق الدراســـة ، ويؤسفنى أن أقول : انى لم أره مكتمل الشـــكل والموضوع فى قطر من أقطار الأرض .

هنـــاك مجتمعات لا تعترف بالحـــدود والقصـــاص ، ومجتمعات لا تعترف بدساتير الحريات والحقوق ، ومجتمعات لا تعترف بالحـــلال والحرام ، وأخرى تترك الصلاة والصيام ، وأخرى ... وأخرى ...

وأعداء الاسلام كلمـــا رأوا جزءا منه أصابه الشلل ، سارعوا بالتـــدخل الماكر ، ليزيدوا الطين بلة ، أو ليزيدوا المريض علة ...

ونحن نصرخ بأولئك المسلمين المفرطين أن يرجعوا الى دينهم كله ، لا يدعون منه شيئا ، ولا يفرطون فى جانب ، ولا يأذنون لعدو سافر ولا لصديق جاهل أن يصرفهم عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ، فذاك وحده طريق النصفة والانتصار .

إن شعب الإيمان التى تبلغ السبعين موزعة توزيعـــا دقيقـــا على الدائرة الرحبة التى تمد اليها وظيفة الإيمان وتنتشر فيها أشعته .

ولما كان الاسلام علاقة تشمل النفس والمجتمع والدولة ، وتتناول المعاش والمعاد فى إطار من معرفة الله ورقابته ، فان تعـــاليمه تشبه شبكة الأعصـــاب المبسوطة فى الكيان الانسانى كله لا تخلو منها جلدة بين الرأس والقدم .. !

قال تعالى « ونزلنا عليك الكتاب تبيـــانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » ..

ومن الخطأ تصنيف تعـــاليم الاسلام على أساس فنى وتصـــور أن بعضها يقوى وينمو فى حين أن بعضها الآخر يذبل ويذوى .

إن ذلك قد يجوز فى عالم الدراسات النظرية حيث ينجح الطالب فى مـــادة ويرسب فى أخرى لأنه استوعب الأولى وأهمل الثانية .

أما فى المجتمع الكبير فان اعتلال بعض الاسلام ينقل العـــلة الى البعض الآخر على عجل أو على مهل ما لم نســـارع بالاستشفاء والتصون وانفاذ أوامر الله فى كل مجال .

فضعف العقيدة مثلا ليس يترك أثره الردىء فى صلة المسلم بربه بل يتعدى ذلك الى موقف الفرد من الجماعة وموقف الدولة من العالم أجمع .

وترك الصلاة ليس معصية خاصة فقط بل هو ذريعة الى انهيار الاخـــلاق وانتشار الآثام .

واهمال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليس برودا فى عاطفة التدين فقط ولكنه آية على موت الضمير الاجتماعى وتلاشى رسالة الأمة .

والاستعمار الحديث فى حملته على الاسلام لا يقوم بهجوم شامل على كل شيء انه أذكى من ذلك وأدهى .

انه يصر على إماتة بعض التعاليم أو سرقتها من الوعى العام عالما أن ما بقى سيتبع ما أخذ .

ترى هل سنخدع عن ديننا أم ندافع عن كل ذرة منه .

★ ★ ★



(بين الأستاذ الشيخ زكريا البري رئيس قسم الشريعة والدراسات الاسلامية)
(والمستشرق الفرنسي جاك بيرك الأستاذ الزائر بجامعة الكويت)

التقى المستشرق الفرنسى جاك بيرك بأساتذة جامعة الكويت . ودار بينهم حوار . عن مفهوم المثقف . ودوره فى المجتمع . وفى ختام هذه اللقاء توجه الأستاذ الشيخ زكريا البرى رئيس قسم الشريعة والدراسات الاسلامية ـ الى الأستاذ الزائر بالسؤال التالى :

سواء أكان المثقف هو الذى يلقى الضوء ليسير كما يقول فريق أم هو الذى يلقى ضوءا لينير كما يقول آخرون ، فما دور المثقف الأوروبى والغربى بصفة عامة ؟

دور المثقف فى انجلترا وفى فرنسا وفى ألمانيا وغيرها بالنسبة للمشكلة التى أوجدها الغربيون فى الشرق وهى المشكلة الفلسطينية ؟

وما الحلول العادلة لهذه القضية بعيدا عن الأغراض الشخصية ؟ الحلول العادلة لقضية أوجدها الغربيون قبل أن يتركوا الشرق . بل لكيلا يتركوا الشرق ثم بعد ذلك يصرون اصرارا على أن يجعلوا « التكنولوجيا » التى وصلوا فيها الى مرحلة قوية سلاحا فى يد هؤلاء الذين زرعوهم فى بلادنا ؟

وهل يرى المثقفون الغربيون أن العرب جنس يستحق الابادة . لأنه لم يتيسر له الحصول على القوة التكنولوجية . وأليس للعرب حضارة وتراث قدموه ويقدمونه للبشرية ؟

ما دور المثقف الغربى فى هذا ؟ فان الحوادث تكاد تحجب عنا أى حل عادل لأى مثقف غربى . ولقد جاءنا فيلسوف فرنسى زار الشرق ثم بعد ذلك عاد ليصر على مناصرة الفكرة الظالمة . أنا لا أتعصب للعرب ولا للمسلمين ، أنا رجل عادل فى تفكيرى ، لأن الاسلام يعلمنى ذلك ، وعروبتى التى أعتز بها تناديني بنصرة الناس جميعا ، ولكنى حين أجد الغرب ، والغرب جميعه بدوله الثلاث

يقف هذا الموقف الظالم . فرنسا تصدت لنصرة هؤلاء ، وكانت أقوى مناصر لهم فى فترة من فترات التاريخ ، ومن قبلها بريطانيا ، ومن بعدها أمريكا — حين أجد ذلك أتساءل ما دور المثقفين الغربيين ؟ وهل تركوا المسألة لرجال التكنولوجيا والحرب ؟ وهل سكتوا وخافوا منها كما يحاولون اخافتنا الآن ؟

واذا كان فى سؤالى شىء من الانفعال فأرجو ألا يغضب الأستاذ الفاضل وهو زميل يقدر الظروف التى أعيش فيها .

الأستاذ الدكتور جاك بيرك :

فضيلة الشيخ والزميل : ان سؤالك وجيه ، فهناك كثير من المشكلات أثرتها كمثقف .

السؤال عن دور المثقف الغربى ، ولعل البعض هنا يستطيع أن يجيب عن دورى أنا ولست بالوحيد ، وقبل أن أعالج مشكلة السؤال الأول يجب أن أشير الى نقطتين أخريين :

سيادتك قلت ان فرنسا لعبت دورا مهما فى القضية الفلسطينية ، وهذا صحيح ، ولو سمحت ليس بصحيح . لماذا ؟ التدخل الفرنسى الانجليزى بعد الحرب الأولى هو الذى كون مشكلة تجزئة الشام الأكبر ، طبعا لو بقيت تلك البلاد الواسعة على حالها لكان هناك امكانيات لتعايش أقليات كثيرة منها اليهودية ، ولكن للأسف الشديد جزئت هذه البلاد حتى صار من الصعب ومن المحال جعل العدالة التاريخية سائدة فى المنطقة .

ثانيا سألت عن الغربيين هل اكتفوا بالعسكريين والتكنولوجيا كحل للمشكلة . أنا لا ، وأنا أسأل سؤالا ؟ هل الشرقيون اتكلوا على الجنود وعلى التكنولوجيا لحل المشكلة ، هذا سؤال مشترك .

وسأرجع الآن الى السؤال الأول ، وهو دور المثقفين فى أوربا من قضية فلسطين ؟ فأنا أحكى لكم الأشياء كما عشتها ، والقضية بالنسبة للاوربيين والشرقيين طويلة وقديمة ، وبالنسبة للمتخصصين كذلك ، ولكن الفرنسى أصبح يعرف قومية فلسطينية تعلن الحرب بين جانبين ، ثم قامت فئة من الصهيونيين وأصدقائهم المختلفين تمكنت من السيطرة على الموقف لمدة شهر تقريبا فى فرنسا ، لماذا ؟ لأنهم تمتعوا برواسب الحرب الجزائرية ، وما بقى فى الشعور الفرنساوى من الغيظ نحو الجزائر ، ونحو النزوح الفرنسى عن الجزائر ، استغلوا ذلك حتى تصور الشعب الفرنسى أو بعض منه مدة أن قضية الصهيونية فى فلسطين مثل قضية الفرنسيين فى الجزائر .

وفى الحقيقة أن هناك فروقا عظيمة ، ولكنهم استغلوا ذلك لكى يدمروا الشعور الفرنسى ، غير أن قسما آخر من المثقفين هناك أقصد لو سمح حضرة الأستاذ — اليساريين لم يقبلوا ذلك ولم يتركوا أنفسهم يزورون من جانب الصهيونية ، وفهموا أن الصهيونية أقوى خطرا من الامبريالية ومن تلاعبات التكتلات الكبرى والمعسكرات الكبرى ، هذه هى الحقيقة .

سارتر بلا شك رجل مثقف وعقل كبير غير أن له بعض مسائل غريبة الشأن . مثلا وقت المصالحة بين الفرنسيين والجزائريين لم يكن راضيا

بالمصالحة ، فكان يرسل من أصدقائه الى تونس لكى يشيروا للبعض من الجزائريين بعدم قبول الصلح مع فرنسا .

سارتر للأسف الشديد يتكلم فى فلسفته عن شخصية الغير ، وشخصية الغير لا يتذوقها .

فى الحرب الجزائرية زعم أن الجزائريين قسم من اليسار الفرنسى ، ويختلفون عنه فقط فى أنهم يرمونهم بالقنابل ، ولكن من جهة الأشياء الغريبة أنه لم يزر الجزائر منذ الاستقلال احتجاجا على سلوك ابن بيلا .

وأنا والبعض الآخر تحدينا سارتر وطلبنا منه أن يأتى هو ومن يريد أمام المذياع ونتحاور ورفض أو تحشم فى الحقيقة موقفه قلق ، موقف المحرج الذى لم يستطع أن يتجنب أن يتفادى هذه الحجج السوفسطائية .

ضرب اليهود وماتوا فى أوروبا ، ولا شك أن هذا ظلم ، ولكن ليس العرب فى فلسطين هم الذين قتلوا اليهود ، ولكن سارتر الفيلسوف الكبير !! والمنطقى العظيم !! لم يتفاد السوفسطائية حتى أنه خسر منطقه فى تحليل القضية الفلسطينية .

بعد هذه الموجة رجع الشعور العام فى فرنسا أكثر انصافا بكثير ، الآن يميل الى الرجحان فى صف العرب .

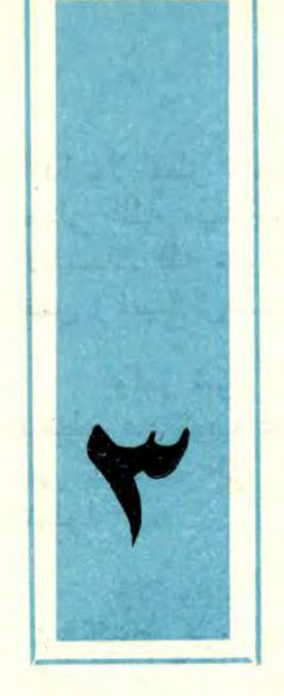
رواسب الحرب الجزائرية فى المرة الأولى هى التى أثرت فى الشعور الفرنسى . والآن كثير من الفرنسيين لهم ذكريات حساسة والشعب الفرنسى لا يستطيع أن يقاوم النضال ضد المحتل . فى المظاهرات الطلابية وفى وقت الحركة الطلابية فى فرنسا بداخل الجامعة كان هناك مكتبة لمنظمة « الفتح » فحاول الصهيونيون اما أن يجعلوا مكتبا آخر مجاورا لهذا ، واما أن يثيروا اضطرابات ، فرفض الطلاب ورحت أخاطب العرب هناك أصحاب منظمة « الفتح » وأقول لهم : اياكم أن تتركوا للغير أن يجعلكم سببا لتدخل البوليس فى السوربون ، وهناك فهم العرب وتعايشوا مع الحركات الطلابية حتى انتهت .

والآن الشعور العام فى فرنسا أحسن بكثير ، وأفتكر أن المشروع الفرنسى والمشروع الروسى لو تقاربا سيكونان مرحلة لا أقول : انها حاسمة ، ولكن مرحلة أولية لحل المشكلة الفلسطينية .

والآن أسألكم هل هذا التطور تلاحظونه فى بلدان أخرى من أوربا الغربية ، وهل المثقفون الانجليز لعبوا نفس الدور الذى لعبناه ، أنا والكثير من الأساتذة الجامعيين فى فرنسا ومنهم يهود ؟ هل هذا حصل فى اكسفورد أو لندن ؟ لا أظن ولقد كان على المثقفين فى فرنسا أن ينيروا الموقف ، وهذا نفس الشىء الذى حصل فى الحرب الجزائرية .

الأستاذ الشيخ زكريا :

من الواضح أننى لم أقصد بسؤالى الى الأستاذ الكبير جاك بيرك وأمثاله فأنا أعلم سلفا مواقفه ، وانما قصدت الجو العام للمثقفين هناك ، وأشكر له جهوده وأشكر له توضيحاته .



رَفْعُ الحَـرَج فِي الشَّرِيعَةِ الإِسْلامِيَّة

للشيخ : مناع قطان
الأستاذ بكلية الشريعة ــ بالرياض

وجه رفع الحرج :

قد أرجع الشاطبى رفع الحرج عن المكلف الى وجهين :

أحدهما : الخوف من الانقطاع عن الطريـق ، وبغض العبادة وكراهـة التكليف .

والثانى : خوف التقصـير عن مزاحمة الوظائف المتعلقة بالعبد المختلفة الأنواع .

أما الوجه الأول : فان الاسلام هو شريعة الله السمحة التى يسرها لعباده وزينها لقلوبهم وحببها اليهم ، ليقبلوا عليها بصدق واخلاص . والنفس بطبيعتها تميل الى السهولة واليسر والاستجابة الى الحنفية استجابة فطرية (واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون) .

ولو تركت النفس لهواها وجاء الحق تبعا لما تختار لأدى ذلك الى العنت والحرج (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) .

ولهذا نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن التشدد فى العبادة والتعمق فى الدين ، وقال : (هلك المتنطعون) وجاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلمـا أخبروا وكأنهم تقالوها .

وقالوا : أين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فأصلى الليل أبدا ، وقال الآخر وأنا أصوم الدهر

أبدا ولا أفطر ، وقال الآخر وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال : أنتم الذين قلتـم كذا وكذا ، أمـا والله انى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى .

وأمر نبى الأمة أن يأتى الناس من صالح العمل ما يطيقون ، فان الله لا ينقطع عن ثوب عباده حتى ينقطعون عن عبادته ، وليس فى مقدورهم أن يصلوا فى عبادتهم الى الغاية « عليكم من الأعمال ما تطيقون ، فان الله لا يمل حتى تملوا » .

ولا شك أن ترك الرخص يؤدى الى الانقطاع عن الاستباق الى الخير ، كما يؤدى الى السآمة والملل . والنفير من العبادة ، وكراهية العمل ، وترك الدوام عليه ، ودخل النبى صلى الله عليه وسلم المسجد فاذا حبل ممدود بين الساريتين ، فقال : « ماهذا الحبل ؟ » قالوا هذا حبل لزينب فاذا أفترت تعلقت به ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه ، فـاذا أفتر فليرقد » .

وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ، انى والله لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا فيها فقال (ما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم قط أشد غضبا فى موعظة منه يومئذ ، ثم قال — أيها الناس ، ان منكم منفرين فمن أم بالناس فليتجوز فان فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة » .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال ، فلما أبوا أن ينتبهوا واصل بهم يوما ثم يوما ثم رأوا الهلال فقال « لو تأخر لزدتكم كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا » وبين فى حديث آخر سماحة الدين وما يورثه التعمق فيه من كراهية للعبادة ، وضرب مثلا لانقطاع المتعمق دون غايته « ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ، ولا تبغوا الى أنفسكم عبادة الله ، فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » وفى حديث قيام رمضان قال لهم — أما بعد : فانه لم يخف على شأنكم ، ولكن خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها .

أما الوجه الثانى : الذى يرجع اليه رفع الحرج عن المكلف — وهو خوف التقصـير عند مزاحمـة الوظائف المتعلقـة بالعبد المختلفـة الأنواع — فان الاسلام هو دين الحيـاة ، وللحياة متطلباتهـا المشروعـة فى الكسب والاستمتاع بما أحل الله ، ولكل مطلب من مطالب الحياة المشروعة حقه على العبد واعطاء بعضها من العناية ما يفضى الى التقصير فى جانب الآخر لا يتفق مع روح القصد والاعتدال فى الاسلام . يقول الشاطبى (ان المكلف مطلـوب بأعمال ووظائف شرعية لا بد له منها . ولا محيص له عنها ، يقوم فيها بحق ربه تعالى . فاذا أوغل فى عمل شاق فربما قطعه عن غيره ، ولا سيما حقوق الغير التى تتعلق به ، فيكون عبادته أو عمله الداخل فيه قاطعا عما كلفه الله به . فيقصر فيه ، فيكون بذلك ملوما غير معذور . اذ المراد منه القيام بجمعها على وجه لا يخل بواحدة منها ولا بحال من أحواله فيها . »

ونحن حين نطالع نصوص الشريعة الاسلامية نجد هذا واضحا جليا فى كثير من المواضيع .

ففى حديث معاذ مثلا نرى أن الشاكى رجل أقبل ببعيرين يستقى عليهما ، وقد دخل الليل بعد أن أعناه طول العمل بالنهار اقتياتا لنفسه وعياله وأصبح فى حاجة الى أن يريح جسمه ، فاذا بمعاذ يطيل عليه فى الصلاة مما ألجأ الرجل الى الانطلاق والتقدم بشكواه الى رســـول الله ، عن جابر قال — أقبل رجل بناضحين ، وقد جنح الليل فوافق معاذ يصلى ، فترك ناضـــــحيه وأقبل الى معاذ فقرأ بسورة البقرة أو النساء ، فانطلق الرجل وبلغه أن معاذا نال منه ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم (فشكى اليه معاذا ، فقال النبى صلى اللـــه عليه وسلم (يا معاذ — أفتان أنت ، أو أفاتن ؟ ثلاث مرات فلولا صليت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، والليل اذا يغشى . فانه يصلى وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة) .

وآخى النبى صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبى الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال ما شأنك ؟ قالت — أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا ، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما فقال له — كل فانى صائم ، قال — ما أنا بآكل حتى تأكل ، فأكل ، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم . فقال له — نم فنام ، ثم ذهب ليقوم فقال له — نم فلما كان آخر الليـــل قال سلمان قم الآن — فصليا جميعا ، فقال له سلمان — ان لربك عليك حقا وان لنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذى حق حقه ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « صدق سلمان » .

وفى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص نحو هذا . فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له — صم وأفطر ونم وقم ، فان لجسدك عليك حقا ، وان لعينيك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا ، وان لزورك عليـــك حقا ، فكان عبد الله يقول بعد ما كبر — يا ليتنى قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليـــه وسلم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراعى الفطرة البشرية فى معاملة أصحابه ويتلطف فى سلوكه معهم بما يحقق الرغبات المشروعة فى هذه الفطرة . ولو كان هذا فى صلاته وروى عنه أنه قال : انى لأدخل فى الصلاة وأنا أريد اطالتها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه » .

وعند اختلاف الحظوظ فالاسلام يجمع بينها أو يرجح بعضها على بعض فان الافراط فى بعض العبادات قد يعجز المكلف عن القيام بما هو أهم منها . والحظوظ متفاوتة ، والشريعة الاسلامية تنظر اليها بعين العدل . ليأخذ المسلم منها ما لا يخل بواجب ويترك منها ما لا يؤدى تركه الى محظور واذا تزاحمت الأعمال وقع الترجيح بينها ، فاذا تعين الراجح ارتكب وترك ما عداه ، حكى عن عياض عن ابن وهب أنه آلى ألا يصوم يوم عرفة بالموقف أبدا ، لأنـــه كان

فى الموقف يوما صائما وكان شديد الحر ، فاشتد عليه قال — فكان النــاس ينتظرون الرحمة وأنا أنتظر الافطار ، وفى الحديث « انكم قد استقبلتم عدوكم والفطر أقوى لكم » .

ما جاء فى الشرع مما يكون سببا فى المشقة .

قد يكون فيما تضمنته الشريعة من مأمورات ومنهيات ما يكون سببا لأمر شاق على المكلف — ولكن الشارع لا يقصد بهذا ادخال المشقة عليه ، وانمـــا يكون قصده جلب مصلحة أو درء مفسدة . وذلك هو ما يقتضيه النظر العقلى والمنطلق السليم . يصاب المرء بمرض يؤرقه ويقض مضجعه فى جسمه أو فى طرف من أطرافه فاذا رأى الطبيب أن سلامة صحته فى دواء مر . أو اجــراء جراحة . أو قطع عضو لم ير عاقل بأسا فى شرب الدواء أو تعاطى الجــراحة أو قطع العضو ، مع ما فى ذلك من ايلام تحقيقا لمصلحة ناجحة فى حفظ النفس ، والايلام ليس مقصودا فى العلاج ، وانما المقصود طلب الاستشفاء والأمل فى العافية .

فالعقوبات المشروعة فى الاسلام لارتكاب الجرائم كالقصاص والحدود تبدو فيها القسوة والمشقة ولكنها تزجر الفاعل وتكفه عن المعاودة . وتكون عظة لغيره أن يقع فى مثل ما وقع فيه ، وليست الصحة النفسية فى حياة الفــرد والصحة الجماعية فى حياة الأمة بأقل شأنا من صحة البدن .

وفى شريعة الاسلام تهذيب للنفس وتربية لها على المثل العليا ، بمخالفة هواها حتى يكون المكلف عبدا خالصا لله ، يديــن له بالطاعة ، ويتحرر مــن أهوائه وشهوات نفسه وليست مخالفة الهوى من اعشاق المعتبرة فى التكليف وان كانت شاقة فيما جرت عليه العادة . الا أنها تصل العبد بربه ، والقصـــد الأول فيها هو تحقيق معنى العبودية لله ابتغاء مرضاته ، وطلبا لثوابه(أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم) (أفمن كان على بينة من ربه كمــن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم) .

وفى الجهاد فى سبيل الله مشقة وان لم تكن خارجة عن المعتاد ولكنه يحقق غاية سامية فى اعلاء كلمة الله ، واحقاق الحق والذود عن حياض الدين وحماية حوزة الفضيلة (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) فالقتال فى سبيل الله فريضة فى تحمل معنى المشقة ، ولكنها واجبة الأداء لما فيها من خير كثير للفرد المسلم وللجماعة المسلمة وللبشرية كلها ولا ينكر الاسلام — وهو دين الفطرة — على النفس البشرية احساسها الفطرى بكراهية القتال ، ولكنه يقرر من جانب آخر أن القتال وان كان مر المذاق فان وراءه حكمة تسيغـــ مرارته ، وتهون مشقته ، فلعل وراء المكروه خيرا ، ووراء المحبوب شرا والله وحده هو الذى يعلم عواقب الأمور وغاياتها البعيدة (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) فقد تكره النفس الانسانية القاصرة الضعيفة أمرا ويكون فيه الخير كل الخير ،

وقد تحب أمرا وتتهالك عليه وفيه الشر كل الشر ، ولذا كان الثبات على محنة العقيدة التى تزلزل القلوب بأهوالها ضريبة الايمان الصادق وباب النصر المحقق فى حياة الأنبياء والمرسلين (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا أن نصر الله قريب) .

ومن هذا القبيل — وان لم يدخل فى التكليف — ما يلحق الانسان من مصائب بلاء ومحنة (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها عن خطاياه) .

وبعد :

فتلك هى الملامح الواضحة فى الشريعة الاسلامية ببعض جوانبها حتى يرتفع الوهم الخاطىء فى مشقة تكاليفها وثقل العبء فى القيام بها .

انها شريعة الفطرة التى تراعى جوانب الحياة الانسانية وتلبى مطالبها العادلة وتستعلى بها على سفاف الأمور .

انها شريعة أخلاقية لا تكبل الناس بقيود تكاليفها ولكنها تخلصم من أغلال عبودية الهوى والشهوة استعلاء للادارة الانسانية كى تختار مواضع هذه الشهوات فى حدودها النظيفة التى وفرها الاسلام . وفى دائرة الطيبات التى أحلها الله .

انها شريعة أخلاقية لا تكبل الناس بقيود تكاليفها ولكنها تخلصهم من أغلال الانسان بكل مقوماتها واذا استقامت النفس البشرية مع فطرتها ووجدت فى شريعة ربها ما يلبى حاجاتها فانها تبذل طاقاتها فى يسر وسهولة ، وتشق طريقها الى المجد راضية مطمئنة واثقة بالغاية وان طال بها الطريق .

والبشرية اليوم تعانى ما تعانيه من اعتساف المناهج الجاهلية وأصحابها وهى ترى فى أفق التاريخ منهجا انسانيا واقعيا فريدا هو منهج الاسلام الذى خلصها بتجربته فى الصدر الأول من شقوة الحياة . وقادها الى بواعث الخير الفطرية وغايتها الساحقة فى يسر وسهولة ، ولا سبيل لخلاصها اليوم من شقوتها الا به وبيدنا نحن المسلمين هذا المنهج برصيده التشريعى وتراثه التاريخى ، والوعى الاسلامى فى مشارق الأرض ومغاربها يتطلع الى محاولة تطبيق هذا المنهج من جديد حتى تعود البشرية الى الحق والعدل والسلام . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء ، والله من وراء القصد .

هدية العدد القادم

بمناسبة ذكرى الاسراء والمعراج تقدم المجلة مع عدد رجب صورة ملونة نادرة لقبة الصخرة المشرفة ..



يكتبها : عبد المنعم النمر

حتى لا يجرفنا الطوفان

مما يأسف الانسان له كثيرا أن نجد بعض أصحاب الديانـــات لا يزالون يعيشون فى ظلمة تعصبهم الجاهل ، وينفقون الكثير من جهدهم ومالهم لمحاربة الاسلام فى الوقت الذى تقف فيه الأديان جميعها أمام تحديات الالحاد والكفر بالله والأديان أيا كان لونها .. ولقد كانت الحصافة والحكمة تقضيان على كل مؤمن بالله أن يوفر على نفسه الجهد الذى يبذله فى محاربة دين آخر ليوجهـــه الى العدو الألد الذى يكفر بالله والأديان ، ويسدد كل ســـهامه اليها ليجتثهـــا من جذورها ..

ان هؤلاء المتعصبين ضـــد الاسلام والذين يحاربونـــه فى عقر داره ، ويحاولون ان ينالوا منه ومن رسوله وكتابه ، وهم يتولون أمانة تربيـــة أبناء المسلمين الذين أودعوهم ــ بطيبة النفس ــ أولادهم أمانة ليعلموهم العلم النافع فى الحياة . هؤلاء بعيدون عن الجو الذى يحيط بهم ، ويعيشون فى جو القرون الوسطى التى شحنت فيها النفوس بالتعصب ضد الاسلام ، حتى حملت آلات الفتك نحو الشرق لتقضى على الاسلام والمسلمين .. هؤلاء متأخرون بأفكارهم وأساليبهم ، يعيشون فى بئر مظلم ملىء بماء الحقد والسموم .. وهم بهـــذا يحاربون أنفسهم ، لأنهم يساعدون الكافرين بالله فى زعزعة العقائد .. ويعملون على اخراج الناس من دينهم أو تشكيكهم فيه على ظن أنهم سيتبعونهم ، وهو ظن خاطىء .. فالذى يتشكك فى دينه كثيرا ما يقع فريســـة فى يد الملحدين المنكرين لله والأديان ...

أقول هذا بمناسبة ما كشفته الصحافة والجهات المسئولة فى الكويت من ألاعيب المدرسة الأمريكية بها ، وتدريسها لكتب تطعن على الرسول صلى الله

عليه وسلم وعلى الاسلام ، وكتب أخرى تمجد اسرائيل وتحاول أن تقنع الطلاب العرب المسلمين أو تغرس فيهم وجهة النظر الاسرائيلية ضد العرب !! وفى المدرسة كما تقول مجلة النهضة ــ طلاب من ٣١ جنسية منهم ١٥٣ من العرب منهم ٣٠ كويتيا ، تفعل المدرسة الاميركية هذا وتهاجم دين البـــلاد وتصـــور الرسول بصور قبيحة ، وتتهمه بتهم شنيعة !! وتغذى الطلاب بهذه المعلومات عن الاسلام وعن قضية فلسطين ، وكأنها مدرسة فى أمريكا أو فى اسرائيـــل لا فى قلب البلاد الاسلامية العربية !!

تفعل المدرسة هذا برغم العيون المفتوحة هنا ‥ وبرغم ان الحكومـــة الوطنية تباشر سيادتها كاملة على البلاد ٠ مما جعلها تتخذ معها اجرآت شديدة، كما صرح وزير التربية ، ونرجو أن تكون رادعة لها ولغيرها ‥

وقبل أن تثير مجلة النهضة الكويتية هذا الموضوع زارنى أخ غيور مثقف يعمل فى احدى امارات الخليج ، وحدثنى حديثـــا مرا عن نشـــــاط المدارس التبشيرية فى امارات الخليج ، ولا سيما الامارات التى لم ينشط حكامها لأنشاء المدارس ، فانتهزت هيآت التبشير فرصة هذا الفراغ ، وفتحت المدارس باشراف متخصصين فى التبشير ، وجذبت اليها أبناء المسلمين بكل الوسائل حتى استغل المشرفون عليها حسن صلتهم باليد الحاكمة فعلا فى الامارات ، وأخذوا يقضون للناس مصالحهم ، على أن يدفعوا بأبنائهم وأبناء أصدقائهم الى هذه المدارس ‥ حتى أصبح المشرفون على هذه المدارس مقصد الكثيرين من أصحاب الطلبات لحل مشاكلهم لدى اليد الحاكمة المتسلطة ، التى تسدى اليهـــم كل معونـــة وتستجيب لكل رغبة لتهىء الجو لهذه المدارس ورسالتها المعروفة !! واذا كانت حكومة الكويت فى استطاعتها أن تحاسب المدرسة الامريكية وتوقف نشاطها ، فهل فى استطاعة حكام الامارات فى الخليج أن يتخذوا اجراء حاسما ضد هذه المدارس ؟؟؟؟

على أن الأمر لا يقف عند حد هذا الاجراء الحاسم ، ولكنه يتوقف فعـــلا على أن يعمل حكام هذه الامارات على فتح المدارس الكثيرة المتنوعة لتعليم أبناء الشعب المتعطشين للمعرفة ، فالناس اذا لم يجدوا الا مدارس التبشير لتعليم أبنائهم فانهم يضطرون الى أن يدفعوا بهم اليها بدلا من تركهم جهالا ‥‥

والمدارس التى أنشاتها الكويت فى الخليج برغم أنها كثيرة لكنها لا تســـد الفراغ ، وليس من المفروض على الكويت أن تتولى عن حكام الامارات هذه المهمة بعد أن أفاض الله عليهم المال الكثير ‥ ولهذا أهيب بالمسئولين فى هذه الامارات ان يتنبهوا ، وأن يوجهوا جل اهتمامهم ومالية بلادهم الى تعليم الشعب والنهوض به علميا وصحيا ومعيشيا ، بدلا من صرف الأموال فى المظاهر التى لا تجدى وأن يتعاون كل الحكام فى فتح المدارس فى كل امارة ، ويقتدوا بما تفعله الكويت فى هذا المضمار حتى ينهضوا ببلادهـــم ويسدوا الباب على هـــذه المدارس التبشيرية التى تنتزع من أبناء الاسلام دينهم وروحهم العربية ،

ولعل من الانصاف كذلك أن نهيب بالقادرين من المثقفين والأغنياء ليتعاونوا على فتح المدارس الأهلية حتى تأخذ دورها مع المدارس الحكومية فى تربية النشء تربية دينية وطنية ‥‥

ان ناقوس الخطر يدق ، وعلينا جميعا أن نتيقظ حتى لا يجرفنا الطوفان بعد فوات الأوان ‥‥‥

كان الجو حارا محرقا ، والرياح تهب فى منطقة المطار ساخنة لافحة ، وتذكرت قبيل قيام الطائرة أننى لم اصل العصر وذهبت الى مسجد المطار يلفح وجهى لهيب الجو ، وأنا أشعر فى قرارة نفسى بكثير من الرضا ، وأنا أغالب هذا الجو لأقف بين يدى ربى لحظات ، أؤدى فيها واجبا قبل أن تقلع بى الطائرة، ووقفت أصلى ، وتذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى احدى وصاياه ((وصل صلاتك وأنت مودع)) وأحسست أن ليس هناك موقف يملى على الانسان الالتزام بهذه الوصية مثل موقفى فالطائرة ستقضى فى الجو ست ساعات الى لندن وجلست بعد الصلاة جلسة خاشعة ، ومرت بى خواطر كثيرة كان أهمها وابرزها سؤال قام فى نفسى : هل أنت مطمئن الى لقاء الله الآن ((وكان الجواب فيه شىء كثير من لوم النفس ، ولكن كان فيه أيضا من الأمل شىء أكثر .. وكانت لحظة حساب للنفس شعرت فيها بكثير من السـعادة ، فما أجمـل أن يعرف الانسان حسابه ، ماله وما عليه ، وما أجمل أن يتجه الى نفسـه باللوم على ما فاته ، ويرجو من الله العفو ، ويطمئن الى ما قدمه ويرجو من الله حسـن القبول (وأنا عند حسن ظن عبدى بى) .

وركبت الطائرة ، وصدرى منشرح كما لم ينشرح من قبل فى مثل هـذا الموقف .. وقضينا فى الجو ست ساعات ودقائق دون توقف ، وكأنى جالس على الأرض . وهى تحلق بنا على ارتفاع (٣١) ألف قدم ، وكانت من طـراز (بوينج) التى تسيرها الخطوط الكويتية بين الكويت ولندن ...

وجلست بجانب النافذة ، وبيدى منظار مكبر أنظر من خلاله الى الجو والى الارض ، فأرى من بديع صنع الله ما زادنى ايمانا بخالق الكون .. كنت أنظر أحيانا فأرى جبال الارض وصحراءها ، وبحارها ، وارى احيانا أخرى جبالا أو كالجبال ولكنها ليست ثابتة على الأرض بل معلقة فى الهواء . انها جبال من السحاب تأخذ فى تعرجاتها ونتوءاتها وعلوها وانخفاضها أشكال الجبل الأرضى، فأجدنى أتلو قوله تعالى (ألم تر ان الله يزجى سـحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد ..) نعم هذه هى التى اشار اليها القرآن الكريم باسم الجبال .. وهى كالجبال حتى كنا نختلف عليها هل هى الأرض وجبالها أو سحاب يشبه الجبل . وتلك آية من آيات الحق فى نزول القرآن من عند الله الذى يصنع كل شىء ويعلمـه ، فما ركب الرسول طائرة ، وراى مثل هذا المنظر من أعلاه حتى يصفه هذا الوصف الواقعى الصادق ...

وتذكرت فى الحال قصة ربان السفينة التى خاض بها جبال الأمواج يعلو بعضها البعض بالمحيط الهندى اثناء موسم الأمطار والرياح حتى نجا بباخرته ، وعاد الى كتاب يقرؤه ، فوجد فيه ترجمة لقوله تعالى (أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب) فلفت نظره هذا الوصف الدقيق للحالة التى كان يعانيها ، ورأى ألا بد من السؤال عن (محمد) صلى الله عليه وسلم الذى قيل ـ خطأ وكذبا ـ ان القرآن من كلامه .. فلما رسا بباخرته فى جدة والتقى باحد المسلمين المثقفين سأله . هل كان محمد ربانا ؟ فقيل له . لا ولم يركب البحر طيلة حياته .. فوقع الايمان فى قلب الرجل وتأكد عنده أن

القرآن ليس من عند محمد كما كان يفهم ، ولكنه من عند الله .. وكانت ساعة رضا تلك التى تأمل فيهـــا الربان ما حوله وراجع ذلك على ما قرأ من ترجمة للقرآن وسأل ، وتلقى الجواب .

وكم فى الكون من آيات ودلائل .. ولكن لا ينتفع بها الا المتأملون الباحثون عن الحقيقة ولعل هذا هو السر فى أن الله سبحانه كثيرا ما يختم الآيات التى تتحدث عن عظمة الخالق بقوله (ان فى ذلك لآيات لقوم يعلمون) أو (يتفكرون) أو (يذكرون) والكون هو الكون ، والعظمة التى تبرز منه هى هى .... ولكن السر فى جهاز الاستقبال . فى القلب الذى يبلور هذه العظمة فى هتاف مؤمن مخلص (الله وراء كل موجود) .. وهل يمكنك أن تسمع أو ترى شيئا اذا كان جهاز الاستقبال من المذياع أو التلفاز مختلا خربا أو مغلقا ، مهما تكن اجهزة البث والارسال سليمة ترسل الصوت والصورة ؟

نعم السر فى جهاز الاستقبال والالتقاط فى الانسان .. السر فى القلب السليم ، ولعل هذا هو ما يشير اليه قوله تعالى (ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد) وقوله (وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) (صم بكم عمى فهم لا يعقلون) .

لم تغرب الشمس

حين ركبنا الطائرة قبل غروب الشمس بساعتين ، ظننا أننا سنصل الى لندن ليلا . ولكن الطائرة سارت ست ساعات ودقائق والشمس معنا لما تغرب، نراها من النافذة مائلة الى الغروب والطائرة فى سرعتها تلاحقها حتى وصلنا الى مطار لندن ، وهى محتجبة وراء السحاب تتاهب للغروب ... كان الوقـــت التاسعة ودقائق بينما كان فى الكويت الحادية عشرة والنصف كما كانت تشير ساعاتنا التى لم نغير عقاربها ..

وقد لفت نظرى ان الاوراق التى وزعت علينا فى الطائرة كان فى احداها بيان بالاشياء المسموح بها فى الجمرك ، ثم تلاه هذا التنبيه . ان لم يكن معك ما يحتاج لجمرك فاخرج من الباب المكتوب عليه كذا وان كان معك شىء عليه جمرك فاخرج من الباب المكتوب عليه كذا ...

وفى المطار مررنا سريعا بالاجراآت ثم تسلمنا الحقائب ، لم تفتح ، ولم يسألنا انسان عما معنا من المسموح به أو غير المسموح، بل ترك أمر ذلك للركاب واخذت حقيبتى التى تضم ملابسى حين وجدتها ، وخرجت فى دقائق ، بل فى دقيقة . لم يكن هنا (منكر ونكير) كما تعود الناس أن يروهما فى بعض المطارات الأخرى ..

لقد كانت براعة استهلال أو حسن استقبال ملأ قلبى بالرضا والانشراح والتقدير ، وقد تعودت كثيرا رؤية الحقائب فى بعض المطارات ونقط الحدود تفتش تفتيشا دقيقا ويعبث بمحتوياتها . بل تقلب رأسا على عقب ، ويمضى المسافر غارقا فى عرقه وحرجه ساعة أو أكثر فى المطار أو عند نقطة الحدود بل أحيانا داخل البلد أيضا بعد الحدود ، كما شاهدت ذلك بنفسى فى بلد عربى كنت أزوره فى عطلة عيد من الأعياد !!!

هل يمكن ان توجد مثل هذه الثقة فى بلادنا العربية ويعتمد عليها المنفذون للقانون ؟

ذلك أمر يرجع الى التربية والخلق ويرجع كذلك الى ظروف البلد التى تكثر من الأشياء المحظورة أو تقلل منها وتجعلها فى أضيق نطاق ...

ومع هذه الخواطر تذكرت الكويت ومطارها وجمركها الذى ترددت عليه خروجا ودخولا طيلة خمس سنوات فما رأيت حقيبة فتحت ولا سئل صاحبها عما فيها .

وتركنا المطار سريعا وسرت بصحبة المدير المساعد للمركز الاسلامى هنا الى قلب المدينة ، وراعنى هدوءها وقلة المـــــارين والركاب .. ونظرت يمينا ويسارا فوجدت المحلات مغلقة ونحن فى يوم الأربعاء ، فسألت ، فقيل لى ان العمل الرسمى هنا ينتهى الساعة الخامسة ، وعادة تغلق المحلات قرب المغرب، وينصرف الناس الى بيوتهم استعدادا للنوم مبكرين لأن وقت الليل هنا قليل . تغرب الشمس الآن الساعة التاسعة وعشر دقائق وتشرق الســـاعة الرابعة وأربعين دقيقة . ويبدأ العمل التاسعة صباحا ويستمر حتى الخامسة يتخلل ذلك ساعة ونصف للراحة ، وبدأت صباح اليوم التالى أرى المدينة التى يسكنها عشرة ملايين ، والتى تكتظ بالسياح الأجانب .

فى التليفزيون البريطانى . .

مساء اليوم (الاثنين ٦٩/٧/٧ عرض التلفزيون الانجليزى برنامجا خاصا عن فلسطين والفدائيين بصورة لم يسبق لها مثيل كما حدثنى المقيمون هنا .. فقد تحدث فى البرنامج أحد أعضاء مجلس العموم المناصرين للعرب عما يلاقيه الحق العربى هنا من اضطهاد .. وذكر فى صراحة تامة أن أعضاء البرلمان الذين يناصرون قضية الحق العربى يقابلون بالعنت والارهاب ويحاربون فى حياتهم ، وفى المناصب العليا التى يمكن أن يرشحوا لها .. بينما يجد المناصرون لليهود التشجيع والمساعدة . وذكر أنه أجرى معه تحقيق داخل مجلس العموم حين قدمت طلبات من بعض أعضاء المجلس بأنه أخطأ فى مناصرته للعرب ، وقال أنه يجب علينا أن نكون محايدين لا منحازين لليهود بالصورة التى نحن عليها . ونعرف أن الفلسطينيين يدافعون عن حقهم وأرضهم وأن الفدائيين يجاهدون من أجل ذلك .

كما ذكر صحفى أمريكى أيضا أنه يكتب محايدا عن أخبار العرب وقضيتهم كما يكتب عن اليهود ولكنه مع ذلك يلقى محاربة لأنه يذكر وجهة النظر العربية .. وعرض التلفزيون كذلك صورا لاجتماع فى (هايد بارك) يخطب فيه أحد رجال (فتح) ويحاول اليهود التشويش عليه واثارة المعارك معه ومع المناصرين له حتى يحولوا بينه وبين المستمعين ..

وقد شعرت كما شعر الذين شاهدوا البرنامج من العرب بأن هذه خطوة طيبة بلا شك من (التلفزيون) الحكومى ، لأنه أتاح للشعب البريطانى ولكل الذين شاهدوا البرنامج أن يعرفوا التزوير الذى يعيشون فى جوه بسبب الدعاية الصهيونية ويعرفوا سوط الارهاب الذى يسلطه الصهيونيون هنا على كل انسان يحاول أن يقول كلمة الحق بجانب العرب سواء أكان من الانجليز أم من غيرهم.

وهكذا ينكشف التزوير الصهيونى شيئا فشيئا ويجد الحق أنصارا له ، ولكن علينا أن نفهم أنه لولا ثبات العرب وجهود الفدائيين التى لفتت أنظـــار العالم ما أقدم التلفزيون على عرض هذا البرنامج ، فالنائمون لا يلفتون الأنظار ،

ولا يثيرون أحدا لمساعدتهم على النوم ، ولكن الذى يعمل ويحدث الدوى بعمله هو الذى يلفت الأنظار ويستثير الهمم لمساعدته ومساندته . تلك سنة الحياة . ومن سار على الدرب وصل .

ادركوا . .

عرفت هنا فى لندن هذا الموضوع وتألمت كثيرا للظروف التى أحاطت به ، ورأيت من الضرورى عرضه على المسلمين جميعا وعلى أصحاب الثراء بخاصة لينقذوا سمعتهم .

والموضوع يتلخص فى أن المسلمين فى (ليفربول) وهم عدد كبير ألفوا جمعية اسلامية برياسة الحاج على حزام لترعى شئونهم وهى تضم حوالى (١١) الف مسلم ، وكان أول ما فكرت فيه الجمعية اقامة مسجد ومدرسة لتعليم أبناء المسلمين . وجمعت مبلغا من المال دفعه المشتركون فيها ، واشترت قطعة أرض من البلدية سنة ١٩٦٥ لهذا المشروع وبدأت ببناء الاساس ثم توقف العمل لعدم وجود المال فقام الحاج على بجولة فى بعض الدول العربية بعد أن تحدث مع سفرائها هنا .. فظفر من الكويت بخمسة آلاف دفعتها الأوقاف ومن العراق (٧٠٠) والاردن (٢٧٥) ـ وأخذ من بقية البلاد التى زارها وعودا !! واحدى الامارات الغنية أعطته تذكرة سفر للعودة !!! ذكروها لى ولكن لا داعى لذكرها ، كما تبرعت ماليزيا بخمسمائة جنيه . والسفير الكويتى الشيخ سالم بثلثمائة والمرحوم الملك سعود بأربعمائة .

والموقف الآن فى غاية الحرج . فالبلدية اشترطت مدة للبناء والا استردت الأرض ، وانتهت المدة وطلبوا مدها فمدتها ستة شهور كادت تنتهى والمشروع يتكلف (٥٥) ألفا صرفوا على الأساس نحو عشرة آلاف .. وان لم تهتم الدول الاسلامية والأغنياء الغيارى فيها وتسارع بالتبرع لاتمام المشروع استردت الأرض بما عليها حسب قوانينها . وهنا يكون العار .

ان المسلمين الذين ينفق بعضهم هنا مئات الآلاف أثناء زيارته ، والذين لديهم الفائض الكثير كيف يعجزون عن المساهمة لاتمام هذا المسجد أمام مختلف أصحاب الديانات هنا !! وقد ذكر لى الذين تحدثوا معى عن هذا الموضوع اغداق الزوار العرب الكبار على أفراد هنا بعشرات الآلاف بينما طلب منهم التبرع للمسجد فبذلوا وعودا لا تزال قائمة » !

فكيف يكون الموقف اذن يا أهل الغيرة من المسلمين « لو كان فى الوقت متسع لفتحنا باب التبرعات من الفقراء ومتوسطى الحال . ولكن الموقف يقتضى الانفاذ السريع وأصبح متعلقا بالقادرين على دفع الآلاف ، وفى وقت مبكر حتى لا تقع الكارثة ، فماذا يكون موقفهم ؟ .

أعتقد أنهم سيكونون عند حسن الظن بهم حين يتأزم الموقف كما رأينا ، ويمكن لكل من يريد التبرع أن يرسله باسم الحاج على حزام على المركز الاسلامى فى لندن أو لمدير المركز الاسلامى الأستاذ راجا محمود اباد أو لمساعده الشيخ محمد ابراهيم الجيوشى أو للمجلة وهى تتولى ارساله .

وعنوان المركز

Islamic Cultural Centre,

Regents Lodg park Road - London - N.W.8.

من أعظم رجال الفكر العالمي

للأستاذ : أحمد مصطفى السفاريني

عبد الرحمن بن خلدون

• ولد بتونس وقضى أكثر حياته بالمغرب والأندلس ، ثم استقر في مصر ودفن بها
• شغل مناصب كبيرة ولكن عمله هو الذي خلده

- السياسي الذى خاض مناورات السياسة وغرق فيها حتى أذنيه ثم خلص منها كفافا .
- والأديب الذى خلص الأسلوب الانشائى الأدبى من السجع والتعقيد .
- والفقيه الذى قبض على ناصية القضاء المالكى فى القاهرة .
- والمؤرخ الذى فتح باب العمل التاريخى على مصراعيه : نظريات واستقصاء

● لم يعد البحث فى الترجمات الشخصية معتمدا على السرد التاريخى للاحداث التى مرت بحياة المترجم له ومكتفيا بالاشارة اليها ، مقتصرا على المرور بها مرورا عابرا ، ولكنه أصبح تقصيا لأكثر الأمور — فكرية أو تاريخية أو نفسية — تأثيرا فى شخصية المترجم له ، وابرازا للنواحى التى امتاز بها نشاطه ، وبرزت فيها مواهبه . لكى تكون الترجمة لونا من الدراسات الجادة لجوانب من الحياة الانسانية ، ومن تاريخ المجتمع لفترة من فترات نموه ، أو نشاطه .

كان المغرب العربى موطن ابن خلدون بعد أن انهارت دولة الموحدين تتنازعه دول أهمها ثلاث : دولة بنى حفص بالمغرب الأدنى ، ودولة بنى عبد الواحد فى المغرب الأوسط ، ودولة بنى مرين فى المغرب الأقصى . وكان الصراع بينها محتدما بعد أن فقدت الدولة المركزية سيطرتها . وقد مثل ابن خلدون عصره ، وكان بحق ابن مجتمعه ذلك المجتمع المتمسك باسلامه والمعتز به ، والفارق فى مفارقات غريبة وعجيبة . فهو — أى ابن خلدون — عالم فقيه طلب العلم وكاد ينقطع اليه ، وسياسى حاذق ينفذ ببصره الى أبعاد الحياة السياسية ، ويتحين الفرص للوثوب ، وهو مؤرخ من الطراز الأول ، وهو قاض فيه الورع وفيه الصرامة . وهو أديب وشاعر لا يقل أصالة عن الكثيرين من الأدباء والشعراء .

نسبه : هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الذى ينتهى نسبه الى الصحابى الجليل وائل بن حجر ، ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم بسط لوائل هذا رداءه لما جاءه وافدا عليه وقال : « اللهم بارك فى وائل بن حجر وولده وولد ولده الى يوم القيامة . وأسرة ابن خلدون ترجع



الى أصل حضرمى يمانى . وخلدون دخل الاندلس مع الفاتحين المسلمين سنة ٩٢ هجرية وكان اسمه خالد بن عثمان الذى اشتهر فيما بعد باسم خلدون وفقا للطريقة التى جرى عليها حينئذ أهل الاندلس فى علامات التعظيم . ونشأ بنو خلدون فى مدينة (قرمونة) بالأندلس ، ثم نزحوا الى اشبيلية ، وفى زمن الأمير عبد الله بن عبد الرحمن الأموى (٢٤٧ — ٣٠٠هـ) ثار فى اشبيلية أميرها (أمية بن عبد الغافر) و (عبد الله بن الحجاج) واشترك معهما فى قيادة الثورة ، اثنان من حفدة خلدون همـا : كريب بن عثمان بن خلدون ، وأخوه خـالد ، وانتهت باستبداد كريب بن خلدون بأمـارة اشبيلية ، الا أنه قتل بعد عدة اضطرابات . كما اشترك زعماء من بنى خلدون فى معركة الزلاقة الشهيرة سنة ٤٧٩هـ (١٠٨٦م) مع المعتمد بن عبـاد فقتل بعضهم ، ورقى آخرون الى مرتبـة الرياسة والوزارة .

ولم يسمع لهم ذكر بعد ذلك الا فى عهد الحفصيين ، فاستعادوا بعض ما كان لهم من الجاه والرياسة ، وعنـد سقوط اشبيلية (٦٢٠هـ — ١٢٢٣م) ترك بنو حفص الأندلس ، ونزحوا الى أفريقية داعين لأنفسهم حيث نجحوا ، فلحق بهم بنو خلدون ، فأكرموا وفادتهم حتى أن الجد الثانى لابن خلدون (أبا بكر محمد) تولى لهم شئون دولتهم بتونس . وورثه ابنه (محمد بن أبى بكر) الجد الأول لابن خلدون بعد مقتل أبيه فى بلاط بجاية تحت ظل بنى حفص . ولم يتزعزع مركزه بعد أن تغلب الأمير أبو يحيى بن اللحيانى على بنى حفص أما والد ابن خلدون أبو عبد الله محمد ، فقد عزف عن شئون السياسة وتفرغ للعلم وكما يقول ابن خلدون نفسه : « فقد عزف عن السياسة وآثر الدرس والعلم ، ونزع عن طريقة السيف والخدمة الى طريقة العلم والرباط .. فقرأ وتفقه ، وكان مقدما فى صناعة العربية ، وله بصر بالشعر وفنونه » (التعريف) .

نشأته : ولد عبد الرحمن بن خلدون (بتونس) فى غرة رمضان سنة ٧٣٢هـ (٢٧ مايو ١٣٣٢م) فلمـا بلغ سن التعليم بدأ يحفظ القرآن الكريم وتجويده ، وكان أبوه معلمـه الأول ، وتونس يومها ملتقى العلماء ، بعد أن حل بها علماء الأندلس الذين شتتتهم الأحداث ، فتلقى عليهم مختلف فنون المعرفة ، فجود القرآن بالقراءات السبعة ، والعلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه

(على المذهب المالكى) وعلوم اللغة من نحو وصرف وبلاغـة . والمنطق والفلسفة والطبيعـة ، والرياضيات .

وقد عنى ابن خلدون بذكر أسـاتذته كلهم عناية فائقـة وترجم لكل واحـد منهم فى تاريخه الشخصى : (التعريف بابن خلدون) . أما الكتب التى درسها فأكثر من أن تحصى ، فيروى أنه لازم أستاذه أبا محمد بن عبد المهيمن وأخـذ عليه ، اجازة وسماعـا : الأمهات الست وهى : صحيحا البخارى ومسلم ، وسنن أبى داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، وكتاب الموطأ ، والسير لابن اسحاق ، وكتاب ابن الصلاح فى الحديث ، كما درس على أستاذه محمد بن سعد ابن برال كتبا جمة منها كتاب التسهيل لابن مالك ، ومختصر ابن الحاجب فى الفقه) .

والظاهر أن ابن خلدون اتجه الى العلم والأدب على ما اختار له والده الفاضل العـالم . ولكن الظروف والأحداث وقفت دون رغبته حجر عثرة ، فلم يكد يبلغ الثامنة عشرة من عمره حتى اكتسح العالم وباء الطاعون ٧٤٩هـ ، ولم تفلت منه بلدة فى الشرق الاسلامى أو أوروبا ، وبلغ من فظاعته أن دفن فى تونس ــ بلدة ابن خلدون ــ فى يوم واحد ألف ومئتا نسمة . ويسميه ابن خلدون (الطاعون الجارف ، وأنه نكبة كبيرة طوت البساط بما فيه) . ويحدثنا عن أثر هذا الحادث فى سير حياته فيقول : (لم أزل منذ نشأت ، وناهزت مكبا على تحصيل العلم حريصا على اقتناء الفـاضل ، متنقلا بين دور العلم وحلقاته الى أن كان الطاعون الجارف ، وذهب بالأعيان والصدور ، وجميع المشيخة ، وهلك أبواى رحمهما الله) . أما من أفلت من ذلك الوباء اللعين من العلماء فقد هاجر من تونس الى المغرب الأقصى مع السلطان أبى الحسن صاحب دولة بنى مرين . فغير هذان الحدثان من مجرى حياته فبدأ يتطلع الى وظائف الدولة ، وانصرف عن عزمه على متابعة العلم والتفرغ له . وبهذا تكون أولى مراحل حياته قد انتهت .

ميدان السياسة

ثم بدأت مرحلة التوظف ، وخوض غمار المعترك السياسى . وليست السياسة بالأمر السهل ، ولا العمل السياسى هينا ، فالذين يهيئون لمثل تلك الأعمال ، يؤتون بسطة فى العلم ، ووافرا من الذكاء والفطنة ، وبعدا فى النظر ، لذلك فان نجاح ابن خلدون وسط هذا البحر المتلاطم دليل على قدرته ومهارته ، وحسن تأتيه للامور ، ولكن العصر الذى عاش فيه ، لم يكن عصر استقرار ، فحجبت السحب الكثيفة صفاء الرؤية ، وجعلت التدبير على غير طبيعته فأخفق ابن خلدون أحيانا ، اخفاقا دفع به الى السجن ، والى أن تحرض عليه الأعراب ، فينهب ، ويسلب كل ما يملك .
ابتدأت أولى وظائفه الديوانية أواخر سنة ٧٥١ هجرية تولاها لأحد وزراء الحفصيين المستبدين هو الوزير (ابن تافراكين) وهى وظيفة كتابة العلامة ، وتعنى وضع الحمد لله والشكر لله بالقلم العريض فيما بين البسملة وما بعدها من مخاطبة أو مرسوم ، كما عرفها ابن خلدون نفسه . ولما قتل الوزير (ابن تافراكين) فر ابن خلدون واستقر فى (بسكرة) من أعمال الجزائر حيث قضى شتاء عام ٧٥٣هـ هناك كما أنه تزوج .

وعندما تغلب السلطان أبو عنـان المرينى على كل بلاد المغرب سنة ٧٥٥هـ .. استطـاع ابن خلدون أن يحصل على وظيفة محترمة عنده ، فقدم (فاس) عضوا فى مجلس السلطان العلمى ، وكلف بحضور الصلوات معه . وفى عام ٧٥٦هـ عين ضمن كتاب السلطان وموقعيه .

عود على بدء

ويبدو أن ابن خلدون عاوده الحنين فى هذه الفترة للاستزادة من العلم ، فأخذ يتصل بالعلماء

الذين أقاموا بفاس ويتدارس معهم العلوم ، ويذكر من هؤلاء العلماء (محمد بن الصفار) أمـام القراءات لوقته ، و (محمد المقرى) قاضى الجماعة بفاس ، الذى برز فى العلوم الى حيث لم تلحق غايته ، و (محمد بن محمد البلفيقى) شيخ المحدثين والأدباء والفقهاء والصوفية والخطبـاء بالأندلس ، وسيد أهل العلم باطلاق . و (محمد بن أحمد الشريف الحسنى) الامام العالم الفذ فارس المعقول والمنقول ، و (محمد بن يحيى البرجى) كاتب السلطان وصاحب الانشاد والسر فى دولته . و (محمد بن عبد الرزاق) شيخ وقته جلالة وتربية وعلما وخبرة بأهل بلده وعظمة فيهم ، الى آخرين وآخرين من أهـل المغرب والأندلس كلهـم لقى وذاكر وأفـاد منه وأجازه الاجـازة العلمية [1] .

مؤامرات

ويبدو أيضا أن هذه الوظائف لم تكن لترضى مطامح ابن خلدون ، فقد أخذ يبحث عن شريك للثورة على السلطان أبى عنان ، لأن مناصبه هذه على حسب رأيه لم تكن فى درجة المناصب التى شغلها أسلافه ، ووجد ضالته فى الأمير أبى عبد الله محمد الحفصى وأخذا يدبران الأمر على أن تكون لابن خلدون الحجابة فى حالة نجاح الثورة ، ولكن السلطان تنبه للمؤامرة فكشفها ، وقبض على المتآمرين وألقى بهما فى السجن ، ثم أطلق سراح الأمير الحفصى ، أما ابن خلدون فبقى فى السجن قرابة السنتين وكان ذلك سنة ٧٥٨هـ ولم ينقذه الا حدوث فتنة جديدة تسلم فيها الوزير الحسن بن عمر السلطة بعد أن خلع السلطان الجديد بعد موت أبيه أبى عنان ، ووضع بدلا منه أخا له هـو السعيد ابن أبى عنان ، واستبد بالأمر ، لأن السلطان هـذا كان طفلا ، وقتل كل منافسيه ، ثم بادر الى اخراج ابن خلدون من سجنه ، والاستعانة به سنة ٧٦٠هـ . ولم يلبث أن وثب (منصـور بن سليمان المرينى) بالوزير (ابن عمر) وانتزع السـلطان من يده ، فانقلب ابن خلدون على الوزير ، وأخذ يتقرب الى السلطان الجديد حتى ولاه وظيفة الكتابة .

وحدث فى هذه الأثناء أن قدم من الأندلس أحد أخوة أبى عنان المرينى ، وأخذ يدعو لنفسه ، وكاتب ابن خلدون ، فوجد عنده أذنا صاغية واستعدادا كبيرا ، فخطط له وأعانه على احتـلال (فاس) . فعين ابن خلدون فى كتابة سره .

ومما يذكر أن ابن خلدون أثناء قيامه بهذه الوظيفة نهج فى كتابة الرسائل نهجا جديدا ، فخلص الانشاء من قيود السجع التى كانت قاعدة ذلك العهد ، وجعله مرسلا خاليا من التعقيدات اللفظية ، والالفـاظ الغريبة . ثم ولاه بعـد ذلك (خطة المظالم) فأداهـا بعدالة وكفـاية . ولكن العلاقات ساءت بين ابن خلدون والسلطان أبى سالم ووزيره ابن مرزوق . وفى أواخر سنة ٧٦٢هـ (١٣٦١م) ثار أحد وزراء السلطان (عمر بن عبد الله) وخلع السلطان وولى أخاه (تاشفين) مكانه سلطانا واستبد بالأمر . وكان طبيعيا أن ينضوى ابن خلدون تحت لواء الوزير الجـديد فأقر على وظائفه ، وكان ابن خلدون يطمع بأكثر مما فى يده فيقول : (كنت أسمو بطغيان الشباب الى أرفع مما كنت فيه ، وأدل فى ذلك بسـابق مودة معه منذ أيام السلطان أبى عنـان ، وصحابة استحكم عقدها بينى وبينه) .

رحلة للأندلس

بيد أن الوزير لم يحقق له هذه المطامح فغضب ابن خلدون واستقال من وظائفه ، فتنكر له

(١) من كتاب التعريف ..

الوزير ، فرحل الى الأندلس فى رحلته الأولى ، فنزل سبته ، وجاز الى (جبل الفتح) أى جبل طارق ، ومنه الى غرناطة عند السلطان محمد بن يوسف من بنى الأحمر ، ووزيره ابن الخطيب ، وكانت له معهما صحبة معروفة ويد سابقة عندما حلا لاجئين فى بلاط السلطان أبى سالم بفاس ، وابن خلدون يومئذ كاتب للسر والانشـــاء والمراسيم . فاستقبل بالحفـــاوة والتكريم ، واختصه السلطان محمد بن يوسف بالسفارة بينه وبين الملك (بطرة بن الهنشة بن اذفونش) ملك قشتالة ، لابرام صلح كانا يزمعان ابرامه ولتنظيم العلائق السياسية بينهما . فسافر الى اشبيلية (وهى الموطن الأول لبنى خلدون) حاملا اليه هدية فاخرة ، فأدى بنجاح مهمته ، وأعجب به (اذفونش) حتى أنه طلب اليه أن يبقى فى مملكته ، وعرض عليه اعادة أملاك أجداده اليه ، ولكنه اعتذر عن ذلك بأمور قبلها الطاغية فسمح له بالعودة ، وقد كافأه السلطان على حسن سفارته بأن أقطعه اقطاعا كبيرة من الأرض فزاد رزقه واتسع حـــاله ، وعمل الســـعاة والحسد عملهما بين ابن خلدون والسلطان ووزيره فضاق بالمقام فى الأندلس .

عودة لتونس

ووافق ذلك أن الأمير أبا عبد الله محمد الحفصى ــ الذى تآمر مع ابن خلدون بفاس وسجنا ــ كان قد استرد ملكه ، واستولى على عرشه بجاية واستوزر أخا ابن خلدون ، (يحيى) فكتب الى ابن خلدون يستقدمه ، فغادر الأندلس ، وركب البحر الى بجاية سنة ٧٦٦هـ . واستقبله الأمير استقبالا حفيا وولاه الحجابة وهى كما عرفها ابن خلدون (الاستقلال فى الدولة والوســـاطة بين السلطان وأهل دولته لا يشاركه فى ذلك أحد) وقام بالمهمة خير قيـــام ، واستقل بحمل الملك ، وتدبير الأمور وعكف بعد الفراغ من عمله على تدريس العلم فى جامع القصبة أثناء النهار . وهكذا جمع فى هذه الفترة بين رياسة الدولة وتدريس العلم ، أرقى مناصب الدولة ، والتدريس .

وفى سنة ٧٦٧ قتل السلطان أبو عبد الله على يد ابن عمه السلطان (أبى العباس أحمد) أمير قسنطينة ، وأكرم أبو العباس هذا ابن خلدون ، لأنه لم يثر عليه بجاية بعـــد مقتل السلطان ، وأقره فى منصبه حينا ، وارتاب منه بعد ذلك فتنكر له . فغادره ابن خلدون الى مدينة بسكرة لصداقة كانت له مع أميرها . وتعاون مع (أبى حمو) ضد السلطان (أبى العباس) أكثر من مرة ، فكان يثير القبائل ، ويجمع الجموع ، ويرسم الخطط . ورأى أن يستريح من عناء السياسة فلجأ الى رباط (أبى مدين) وأقام فيه ، حتى استدعاه السلطان عبد العزيز المرينى بعد استيلائه عـــلى (تلمسان) وعهد اليه ببث الدعوة بين القبائل لمقاتلة عدوه أبى حمو ــ الذى كان قد ناصره ابن خلدون وعمل لحسابه) فقبل المهمة وأخذ يجوب القفار بحثا عن نصرة القبائل . ثم عـــاد الى (بسكرة) . وأراد أن يغادرها الى تلمسان فوردته الأخبار بموت السلطان عبد العزيز ، فاتجه الى فاس ، وهنا حض أبو حمو عليه قبيلة بنى يغمور فانتهبوا قافلته ، ووصل هو وأهله الى فاس فى حالة يرثى لها ، ولكن الوزير (أبى غازى) عوضه خيرا ، فأقام بها مبجلا ، موقرا عالى الرتبة حتى حـــدثت فتنة نحى فيها ابن غازى عن الوزارة ، ووشى بابن خـــلدون فقبض عليه حينـــا ، ثم أفرج عنه .

فلم يجد له فى المغرب مقاما فغادرها الى الأندلس فى رحلته الثانية فى ربيع سنة ٧٧٦هـ . وشخص الى غرناطة حيث نزل فى ضيافة سلطانها (ابن الأحمر) ولكن سلطان فاس توجس من استقراره فى الأندلس شرا ، فمنع أسرته من اللحاق به ، كما طلب الى ابن الأحمر تسليمه ،

فلما رفض ، طلب اليه أن يجيزه الى عدوة تلمسان : أى أن يقصيه من أرض المغرب ، ففعل . وهكذا كانت هذه الرحلة قصيرة جدا لم يكد فيها يسلم حتى ودع . ولم يدر أين يسير ، والى أية جهة يتجه وكان أخوه (يحيى) قد عاد الى خدمة (أبى حمو) فى تلمسان ، ولكن أبا حمو كان ناقما على ابن خلدون لغدره به عنده ، فنجحت وساطتهم ، وعفا عنه ، فقدم تلمسان فى عيد الفطر سنة ٧٧٦هـ — ١٣٧٤م .

الاتجاه للتأليف

بدأ ابن خلدون يتململ من شؤون السياسة فعقد عزمه على تركها والانقطاع للتأليف والقراءة . وصادف أن ندبه (أبو حمو) للطواف بالقبائل والدعوة له . فتظاهر ابن خلدون بالرضا ، واتجه الى منازل أصدقائه (بنى عريف) فأكرموا مثواه . وتوسطوا لدى السلطان ليعفو عن مخـــالفته أمره ، والسماح لأهله باللحاق به ، ونجحوا فى وساطتهم ، وأنزلوه مع أسرته بأحد قصور قلعة (ابن سلامة) وذاق ابن خلدون طعم الراحة خلال سنوات أربع قضاها هناك ، وتفرغ فيها للدراسة والبحث والتأليف ، ودون فى هذه الفترة كتابه التاريخى الشهير : (كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى الســـلطان الأكبر) . وهو الكتاب الذى رفع ابن خلدون الى مصـــاف المؤلفين العظام ، وبنى له ذكرا وصيتا عريضـــا . وأتم منه المقدمة ، وهى عبارة عن نظريات فى تفسير معنى التاريخ وبناء المجتمعات ، وانهيار الدول . ثم أكمل أبحاثه التاريخية من حفظه فى صيغته الأولى . ولكنه رأى أن مؤلفا كهذا يجب فيه الرجوع الى مصادر ، ومراجع ليس فى مقدوره الاستغناء عنها ، فاعتزم العودة الى تونس مسقط رأسه حيث يجد بغيته فى مكتباتها . وغادر مرابع بنى عريف فى شهر رجب سنة ٧٨٠ هـ . ولقى السلطان أبا العباس على رأس جيشه بظاهر (سوسه) فأحسن وفادته ، وحياه وأرسله الى تونس . وكان قد غادرها سنة ٧٥٣هـ . وعكف ابن خلدون على اتمـــام مؤلفه وتنقيحه وتهـــذيبه ، حتى اذا ما انتهى من ذلك رفع نسخته الى الســـلطان أبى العباس فتقبلها الســـلطان سنة ٧٨٤هـ . وكان السلطان قد استصحبه فى احدى غزواته على كره منه ، فخشى أن يتكرر هذا العمل ، وهو الذى أزمع على عدم العودة الى السياسة ومشاغلها ، والانقطاع الى البحث والتأليف ، فاغتنم فرصة قرب حلول موسم الحج فطلب الى السطان السماح له بتأدية الفريضة ، وما زال به حتى سمح له .

الى مصر

واتفق أن كان بمرسى المدينة سفينة لتجـــار الاسكندرية فخرج اليها فى حفـــل من تلامذته وأصدقائه وغادر المغرب نهائيا الى مصر سنة ٧٨٤هـ — ١٣٨٢م . وبذلك ودع كل أعمال السياسة وشئونها وانتهت مرحلة من أشق مراحل حياته قضاها فى جو خانق من المؤامرات ، والدسائس . وصل ابن خلدون الى ثغر الاسكندرية فى يوم عيد الفطر من سنة ٧٨٤هـ — ١٢٨٢م ، ومكث فى الاسكندرية شهرا لتهيئة أسباب الحج ، ولكنه لم يتم فقصد القاهرة ، وبهرته عظمتها ووصفها بأنها : حضرة الدنيا وبستان العالم ، ومحشر الأمم ، ومدرج الذر من البشر ، وايوان الاسلام . ولقى من علمائها وأهلها الترحيب والاستقبال الرائع . واتخذ من الأزهر مدرسة يلتقى فيه بتلاميذه ومحبيه فأعجب به علماؤها ..

يقول عنه المقريزى فى كتابه (السلوك) .

وفى هذا الشهر – رمضان سنة ٧٨٤هـ قدم شيخنا أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون من بلاد المغرب ، واتصل بالأمير الطنبغا الجوبانى ، وتصدى للاشتغال بالجامع الأزهر ، فأقبل الناس عليه وأعجبوا به . ويقول ابن تغرى بردى عنه : (واستوطن القاهرة ، وتصدر للاقراء بالجامع الازهر مدة ، واشتغل وأفاد) . ويقول السخاوى : (وتلقاه أهل القاهرة وأكرموه ، وأكثروا ملازمته والتردد عليه ، بل تصدر للاقراء بالجامع الأزهر مدة) . ويقول ابن حجر : (ان ابن خلدون كان لسنا فصيحا حسن الترسل ، مع معرفة تامة بالامور ، وخصوصا متعلقات المملكة) .

ثم اتصل بسلطان مصر الظاهر برقوق ، فأكرمه وأحسن اليه ، وعينه سنة ٧٨٦هـ فى منصب مدرس الفقه المالكى بمدرسة القمحية ، وألقى فى أول مجلس له فيها خطبة طويلة تكلم فيها عن فضل العلماء فى شد أزر الدولة الاسلامية ، وأشاد بما لسلاطين مصر من فضل فى نصرة الاسلام ، وبناء المدارس والمساجد وخص بالذكر السلطان برقرق . و (انفض ذلك الاجتماع وقد شيعتنى العيون بالتجلة والوقار ، وتناجت الأنفس بالأهلية للمناصب) (التعريف) .

وفى التاسع من شهر جمادى الثانية ، من السنة نفسها عين ابن خلدون فى منصب قاضى قضاة المالكية ، وهو منصب رفيع له من مثله ثلاثة مناصب لكل مذهب من الشافعية والحنفية والحنـــابلة والمالكية منصب ، وان كان قاضى قضاة الشافعية أكثر سلطة لأن ولايته تشمل جميـــع بلاد مصر ، وله النظر فى أموال اليتامى والوصايا .

وكان ابن خلدون صارما شديدا يتحرى العدل والصدق ، فمضى يزجر ، ويعاقب كل من تدور حوله الشبه من المدلسين والمرتشين ، ورد بطاقات الأمراء وهداياهم ، وسار سيرة حميدة ، فلم يحمد توليته أصحاب النفوذ فأثاروا عليه الناس ، وسعوا بالوشاية به الى السلطان . وصادف أنه كان قد أرسل يستقدم أهله من تونس فلما كانت سفينتهم قرب الاسكندرية أصابها قاصف من الريح فغرقت ، وذهب الموجود والسكن والمولود – وهى مصيبة عظيمة ، وأراد أن يذهب الى السلطان ويطلب اعفاءه من منصبه فأعفى من منصب قاضى القضاة وعاد الى درسه وتأليفه سنة ٧٨٧هـ .

وبعد سنة واحدة عين أستاذا للفقه المالكى فى المدرسة الظاهرية البرقوقية سنة ٧٨٨هـ . ولكنه أقصى عنها بعد مدة . وفى سنة ٧٨٩هـ ، أدى فريضة الحج . واختير بعدها للتدريس فى مدرسة (صرغتمش) . وأضيفت الى وظيفته هذه وظيفة (شيخ خانقاه بيبرس) بعد وفـــاة شيخها سنة ٧٩١هـ . وفى هذه السنة حدثت فتنة (يلبغا الناصرى) نائب حلب . الذى خلع برقوق عن العرش ، وحتى يكون خلعه للظاهر برقوق مقبولا حصل فتوى من الفقهاء بجواز قتاله لأنه استعان بالكفار على المسلمين ووقعها القضاة الأربع ومن بينهم ابن خلدون . ولكن الظاهر برقوق استرد عرشه ، فنقم على الفقهاء ، وأعرض عن ابن خلدون مدة ، ثم عاد الى احسانه اليه . وفى النصف الثانى من سنة ٨٠١هـ عين ثانية فى منصب قاضى القضاة المالكية .

فى فلسطين

وفى هذه الأثناء استأذن السلطان فى زيارة فلسطين ومشاهدة بيت المقدس فأذن له فزار القدس وبيت لحم والخليل . وعندما رجع الى مصر لم يمكث سوى شهور ثلاثة نحى بعدها عن منصبه قاضيا للقضاة المالكية . وفى هذه السنة ٨٠٣هـ جاءت الأنباء بوصول تيمورلنك الى الشام

بجيوشه ، فأسرع السلطان فرج بن الظاهر برقوق بجيوشه للقاء تيمورلنك وأخذ معه من الفقهاء ابن خلدون وغيره . واشتبك الجيش مع تيمورلنك ، ثم جرت مفاوضات للصلح فغادر بعض الأمراء الى مصر خفية ، وعلم السلطان أنهم ذهبوا لتدبير مؤامرة عليه ، فترك دمشق تحت رحمة تيمورلنك ثم عاد مسرعا الى مصر .

مع تيمورلنك

واجتمع الفقهاء بابن خلدون وتشاوروا فيما ينبغى لهم أن يفعلوه ، واتفق رأيهم على طلب الأمان من تيمورلنك ، وذهب وفد منهم لمقابلته واتفقوا معه على تسليم دمشق اليه ، ولما عادوا أخبر أحدهم ابن خلدون أن تيمورلنك سأل عنه . فبكر من غده وتدلى من على السور بحبل ثم ذهب لمقابلة تيمورلنك مصطحبا معه : مصحفا وسجادة للصلاة ، وعلبا من الحلوى ، فى هدية اليه . وأكرمه تيمورلنك وطلب اليه أن يكتب له واصفا جغرافية المغرب ، ففعل ، وأخيرا استأذن ابن خلدون فى السفر الى مصر فأذن له بعد أن بقيت فى ذمة تيمورلنك ثمن بغلة كان باعه اياها ، ووصلته بعد أن استقر فى مصر .

النهـــاية ...

وفى المدة بين سنة ٨٠٣هـ وسنة ٨٠٨هـ تاريخ وفاته تقلب فى منصب قاضى القضاة أربع مرات وكانت وفاته فى اليـــوم السادس والعشرين من شهر رمضـــان سنة ٨٠٨ هجريـــة ، الموافق ١٦ مارس ١٤٠٦ م .

هذه هى السيرة المفصلة بغير أطنـــاب ، والموجزة دون تفريط لأحد أفذاذ القرن الثـــامن الهجرى ، من أكثر علماء المسلمين شهرة ، لما تقلده من مناصب سياسية فى بلده مسقط رأسه فى المغرب ، ومناصب قضائية فى مصر . وما سفر فيه من سفارات فى المغرب والمشرق . وما أنتج من جهد ثقافى وفكرى فى جميع المجالات العلمية والتاريخية ، ويكفى أن يشار اليه بأنه أول من نهج فى تأليفه التاريخى نهج البحاثة المستقصى ، قبل أن يقتصر على تجميع الأحداث ، فمقدمته التى بدأ فيها تاريخه تعد فتحا مبينا فى عالم التأليف التـــاريخى . ولا نشك فى أنه تأثر الى حد بعيد بما عاناه شخصيا من تدبير شئون السياسة ، وما بلاه من معاناة الأحداث ، وطبائع الناس .

كما أننا لن ننسى له كتابه القيم (التعريف بابن خلدون ورحلاته الى المغرب والشرق) الذى قدم لنا فيه تاريخا مفصلا لحياته ، والأحداث التى مرت به ، وهو من باب ما يعرف الآن بالتراجم الذاتية ، وهى فى التاريخ القديم تكاد تكون معدومة الا من بعض الأدباء . وما هذه السيرة الا شهادة قاطعة على قابلية العقلية الاسلامية حتى فى فترات الضعف والوهن الفكرى للوصول الى أعلى مراتب الحياة الثقافية محليا وعالميا ولكن شريطة أن تكون الثقافة المكونة للشخصية ذات طابع مبدئى ، وهدف محدد . رحم الله ابن خلدون ، وهيأ للمسلمين من أمثـــاله ــ على علاته ــ رجالا عاملين مخلصين ــ آمين .



تأملات

« ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأى المرسلين : وان كان كبر عليك أعراضهم فان اســتطعت أن تبتغى نفقا فى الارض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ولو شـــاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين »

صدق الله العظيم

آية ٣٤ ، ٣٥ سورة الانعام

يكاد يكون محتوى هاتين الآيتين واضحا من القراءة الأولى .
فالآية الأولى تتحدث عن النتيجة الحتمية للجولة التى يخوضها الرســـل مع البشر ، وهدفها تخليص هؤلاء من براثن الشرك ، وتبصرتهم بأن مصدر القوة كلها على مختلف صورها ودرجاتها واحد ، ومع أن هذه النتيجـــة تهدى اليها الفطرة السليمة الا أن رحلة الانسان اليها رحلة شاقة محفوفة بالضلال ، الذى يعمى بصيرته عن الرؤية النافذة لهذه الحقيقة .

فيغشى بصره ما يغشاه من اعتزاز وكبر بقدرته العقلية ، وظنـــه انها تستطيع أن تجعله مستقلا عن الكون الذى هو جزء منه ، ويظن أن المكتشفات العلمية التى من المفروض ان تؤدى به الى التسليم بعظمة الخالق ، ستؤدى به الى عكس ذلك ، فيكون هو المتحكم فى الكون ، والمسيطر على نواميســـه وصدق الله العظيم فى وصف هذه النظرة المتعالية عندما قال .

« ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ان فى صـــدورهم الاكبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير : لخلق الســـموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (ســـورة غافر)

ويغشى قلبه ما يغشاه من عجز فى تصور القدرة الالهية الواحدة ، وتعجز نفسه عن التخلص من كل الادران ، ويظل مشدودا الى قوى أدنى منها ، يتخذها للقوة العليا زلفى أو ندا ، الى غير ذلك من وسائل الشرك ، التى ما قصدت الديانات كلها الا الى تخليص البشر من اســـارها ، على اعتبـــار أن الشرك استعباد وحد من حرية الانسان لحساب قوى لا تملـــك له نفعا ولا ضرا . . .
وان الانسان الذى يسكن التوحيد قلبه ينظر الى كل ما هو كائن فى الحياة ، على انه مجرد علاقات لا تملك أية واحدة منها قدرة عليه ، ويعالجهـــا ويعاملهـــا بالأسلوب المناسب لها : حلا واستفادة ، مع التيقن الكامل أن القوة لله جميعا .

هذه النتيجة التى لا بد أن يهتدى اليها الانسان بفطرتـــه المجردة ، ان خلصت نظرته ، هى التى عناها الله تعالى بانها مضمونة النتيجة « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى »

أى ان رسالة التوحيد لا بد منتصرة ، مهما بعدت الشقة ومهما كثرت التضحيات . .

للأستاذ : أحمد مختار قطب

المحامى أمام محكمة النقض ـــ القاهرة

والذى نبغيه من الحديث عن الآيتين الكريمتين ، هو ان نستمر فيما قصدنا اليه من اشعار كل مسلم ـــ ازاء الغزو العقائدى وكثرة ما يقال عن وجوب استقلال المنهاج العلمى عن الدين ـــ أن هاتين الآيتين الكريمتين فيهما مثل واضح لكذب هذا القول ، وأن الدين الاسلامى قائم فى جوهره على عدم انفصام التفكير العلمى عن العقيدة ، بل ان هذا النوع من التفكير هو من مكونات العقيدة الصحيحة .

وآية ذلك ان هاتين الآيتين الكريمتين تتكلمان عن كلمات الله ، أى سننه ونواميسه الكونية ، ومن بينها : أن دعوات الرسل الاصلاحية ، تقتضيهم التصدى لعناد الناس وتكذيبهم وايذائهم ، شأنهم دائما شأن كل من يتصدى للاصلاح ، وأن الصبر فى مثل هذه المواقف أمر لازم ، وأما ضيق الصدر والتعلق بعمل حاسم من الله ، فانه وان كان ذلك فى مقدوره تعالى ، الا أنه خارج عن نطاق السنن الكونية ، وأن التعلق بأن الله قد يغير هذه السنن لأمر يعرض هو الجهل وعدم الفهم . .

والمهمة الصحيحة لكل المصلحين أن يؤمنوا أن الحياة البشرية يجب أن ينظر لها ككل لا كحلول فردية ، وأن دورهم فى هذه الحياة غير مشروط بانتصار الحق على أيديهم ، بل قد يكون هذا الدور مجرد مساهمة ، معها الآلاف بل ملايين من المساهمات الخفية ، أو غير الخفية على أعين الأفراد ، فى تكوين التيار الذى ينتهى الى الهدف العام ، وهو التسخير الكامل لما سخره الله لنا فى هذا الكون فى ظل اعتقاد راسخ فى أنه لا اله الا هو . . . والايمان الكامل بالله وملائكته وكتبه ورسله .

ويوضح ذلك أن الآيتين تقرران أن رسالة الأنبياء وان كانوا مكلفين بها من الله تعالى الا انها تخضع للنواميس الكونية وأن الرسول لا يجوز له ان يتكل على ما يعتقده فى قدرة الله على جمع الناس على الايمان . . . والا لم تكن هناك حاجة اذن لرسالته . . . بل ان ارسال الرسل مبشرين ومنذرين هو فى حد ذاته افهام لنا بأن كل شىء حتى رسالاته تعالى تخضع فى انتصارها لنفس النواميس والسنن الموضوعة للعالم .

كيف يقال بعد ذلك ان للعلم مجالا وللدين مجالا ؟

أيها المسلم ان عقيدتك لا تسمح لك فقط بالانطلاق الفكرى ، بل تصف تعلقك بغير التفكير المحلل والدارس لنواميس الكون بأنه من عمل الجاهلين غير الفاهمين .

وحيث يطمئن الانسان الى عقيدته تزول البلبلة وتحل السكينة محل الارتياب .



قبسات من تاريخ القضاء في الإسلام

للأستاذ الشيخ
عبد الفتاح أبو غدة
المدرس في كلية الشريعة بالرياض

ان الحديث عن القضاء فى الاسلام واسع الاطراف ، متشعب الجوانب ، غزير الماده لا تتسع له صفحات بل مجلدات ، ولذا اراني مضطرا الى ان اشير الى قبسات من تاريخ ذلك القضاء الذى كان بحق غرة فى جبين الانسانية ، وتاجا فى تاريخ القضاء فيها .

ولنعرف فضل الاسلام فى قضائه السامى الرفيع ، يجمل بنا أن نذكر نبذة وجيزة عن القضاء عند العرب وعند العرب قبل الاسلام ، لنتبين فضل قضاء الاسلام على قضاء الناس سواء من قبل ومن بعد .

ونظرا لضيق المقام واتساع الموضوع فلنكتف بهذا النموذج اليسير فانه دال على ما سواه من جوانب القضاء عند غير العرب قبل الاسلام .

ان أول ما يلفت نظر الباحث فى تاريخ القضاء عند غير العرب قبل الاسلام ما يجده لديهم من مؤاخذة الحيوان بجنايته اذا جنى هو ، أو جنى صاحبه ، ومن معاملتهم له فى المسئولية كمعاملة الانسان العاقل المفكر وهذا أغرب ما تضمنه تاريخ القضاء فى العصور القديمة والوسطى ، حتى القرن التاسع عشر الميلادى أى من نحو سبعين سنة ، فقد كان الحيوان يحاكم فى هذه العصور كما يحاكم الانسان ، ويحكم عليه بالسجن والتشريد والموت ، كما يحكم على الانسان الجانى تماما .

ففى شرائع اليهود فى الاصحاح الحادى والعشرين من كتاب الخروج : اذا نطح ثورا رجلا أو امرأة وأفضى ذلك الى موت النطيح ، وجب رجم الثور .

وحرم أكل لحمه ، ولا تبعة على مالكه اذا لم يكن الثور معتاد النطح ، فاذا كان من عادته النطح ، وأنذر الناس صاحبه فلم يعبأ بأنذارهم ، وأهمل رقابته حتى تسبب فى هلاك رجل أو امرأة ، كان جزاء الثور الرجم ، وجزاء صاحبه الاعدام . وهناك حالة ثانية يعاقب فيها الحيوان فى شرائع اليهود ، وهى ما اذا واقع رجل أو امرأة بهيمة ، وجب قتل الحيوان والرجل أو المرأة معا .

وفى شرائع قدماء اليونان ، كانت عندهم محكمة خاصة لمحاكمة الحيوانات والجمادات المتسببة فى هلاك انسان ، وكان يطلق على هذه المحكمة اسم (البريتانيون) وهو اسم المكان الذى كانت تعقد المحكمة جلساتها فيه . ومما ذكره أفلاطون فى كتابه القوانين اذا قتل حيوان انسانا كان لاسرة القتيل الحق فى اقامة دعوى على الحيوان أمام القضاء ، ويختار أولياء الدم القضاء من المزارعين وفى حالة ثبوت الجريمة على الحيوان يجب قتله قصاصا ، والقاء جثته خارج البلاد ، ويستثنى من ذلك القتل الناشىء عن مبارزة بين الانسان والحيوان فى مسرح الالعاب العمومية ، فان هذا لا يترتب عليه شىء .(1)

ولم تكن مسئولية الحيوان عندهم قاصرة على حالات القتل ، بل هو مسئول كذلك فى الجنايات التى دون القتل ، فاذا عض كلب انسانا وجب على صاحب الكلب ان يسلم كلبه الى المجنى عليه مكموما ومشدودا فى الوثاق ، فيثأر الانسان المعضوض لنفسه من الكلب الذى عضه ، كما يشاء بالقتل أو التعذيب أو غيرهما وكذلك كان الحيوان عند اليونان يعاقب على جنايته سيده أو اسرته فى بعض الحالات فمن حكم عليه بالاعدام لجريمة ارتكبها ضد الدين أو الدولة ، كان هو واسرته وحيواناته وممتلكاته محكوما عليها بالحرق أو التدمير أو المصادرة .

ولا بأس ان ازيد عن قضاء اليونان هذه الكلمة الصغيرة ، وهى انهم كانوا اذا سقط جماد كحجر أو خشبة أو شجرة ، على انسان فقتله ، اختار اقرب الناس الى القتيل قاضيا من جيرانه ليحكم على ذلك الجماد من الحجر أو الشجرة أو الخشبة ان ينبذ خارج حدود البلاد .

أما حال القضاء بالنسبة للحيوان عند قدماء الرومان فقد تضمنت شرائعهم مادة تقضى بعقوبة الاعدام على الثور وصاحبه اذا نقل الثور اثناء الحرث الحد الفاصل بين الحقل المحروث والحقل المجاور له ، كما تضمنت شرائعهم عقوبة الكلب الذى يعض انسانا بوجوب التخلى عنه للمعضوض ، يتصرف فيه كما يشاء ، وكذلك القضاء عندهم اذا رعى الحيوان عشبا غير مملوك لصاحبه ، فانه يجب تسليمه لصاحب العشب المرعى ، يفعل فيه ما يشاء .

وكذلك كان حال القضاء بالنسبة لعقوبة الحيوان عند قدماء الجرمان كما كان عند الرومان واليونان .

اما عند قدماء الفرس فالامر فيه اعجب واطرف ، ذلك ان الكلب المصاب

---

(1) بدهى ان هذه المبارزة الحيوانية شىء تمجه النفوس السليمة والفطر الزكية ، وقد حرمها الاسلام الحنيف .

بالكلب اذا عض خروفا فقتله ، أو انسانا فجرحه تقطع اذنه اليمنى فان تكرر ذلك منه قطعت اذنه اليسرى ، وفى المرة الثالثة تقطع رجله اليمنى ، وفى الرابعة تقطع رجله اليسرى ، وفى الخامسة يستأصل ذنبه . (٢)

اما حال الحيوان عند العرب قبل الاسلام اذا جنى الحيوان جنايـــة بان دخل أرضا حراما محمية لصاحبها ، أو رعى عشب أرض ليس بين مالكه وصاحبها قرابة أو موالاة ، فانهم كانوا أرحم بالحيوان من اليونان والرومـــان والفرس واليهود ، فانهم كانوا لا يقتلون الحيوان ، ولكن يشنون بسببه حربا تقتلهم قتلا ، وتأكلهم أكلا !

هذه المامة سريعة فى حكم واحد من تاريخ القضاء عند أولئك الناس قبل بزوغ الاسلام واشراقه على البشرية التائهة الضالة ، ندرك منها ان عقلية القضاء فيها خرافية سوداء ، لا تستند الى عقل سليم ولا شرع سماوى قويم ، وانما هى أوهام توارثوها واحتكموا اليها فحكمتهم ، وخضعوا لها فركبتهم .

شرف القضاء ومنزلته فى الاسلام

ويحسن بنا بعد هذا العرض الوجيز لحال القضاء قبل الاسلام ان نعود الى الحديث عن القضاء فى تاريخ الاسلام . وهذا يقتضينا ان نبحث عن نظرة الاسلام الى القضاء ومنزلته لديه .

ان حاجة الانسانية الى القضاء بمنزلة حاجتها الى الشمس والهواء ، فلو رفع القضاء من حياتها لهبطت الى دركة البهائم والعجماوات ، واكل قويهـــا ضعيفها ، وكبيرها صغيرها كما تفعل الحيوانات والاسماك ، فالقضاء كما قال الخليفة المأمون ــ هو ميزان الله الذى تعتدل به الناس (٣) .

فيه تصان الحياة والكرامة والحرية لكل فرد ، وبه تحفظ الدماء والاعراض وبه يتحقق للمجتمع التآخى بين افراده ، ولهذا كان للقضاء فى الاسلام منزلة رفيعة سامية ، فهو فريضة من أقوى الفرائض وعبـــادة من أشرف العبادات لمن ابتغى به وجه الله تعالى ، لانه اظهار للعدل ، وازالة للباطل وبالعدل قامت الارض والسموات .

وقد وصف الله نفسه اذ قال سبحانه (فالله يحكم بينهم) وقال أيضـــا ــ (ان ربك يقضى بينهم) وامر به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال ــ (فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم) وجعل أنبياءه قضاة بين خلقه فقال (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون) وبه اثبت سبحانه اسم الخلافة لداود عليه السلام حين قال له (يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) .

ولا شرف فى الدنيا بعد الخلافة اشرف من القضاء ، ولاجل منيف قدره ، وسمو منزلته ، اشترط الاسلام فيمن يتولاه من شروط الصحة والكمال ، ما لم يشترطه فيمن يتولى غيره من الولايات ، ولولا قيام القضاء بالعدل بين الناس

---

(٢) من كتاب (من روائع حضارتنا) للدكتور السباعى رحمه الله تعالى .

(٣) فى كتابه الى واليه على مصر عبد الله بن طـــاهر بن الحسين . وتمام كلامه « واعلم أن القضاء هو ميزان الله الذى تعتدل به الناس ، وباقامة العدل تصلح الرعية ، وينتصف المظلوم ، وتأخذ الناس حقوقهم »

لاختل النظام والمعاش ، وسادت الفوضى والفساد قال الله تعالى — (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض) وقال أيضا (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) .

وقد نبه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عظيم أجر القضاء ، وعلو منزلته فى الاعمال الصالحات ، وانه موضع المنافسة منها ، فقد روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق أى انفاقه فى الطاعات والخيرات — ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها .

قال الامام الفقية ابن قدامة الحنبلى فى كتابه (المغنى ٣٧٣) والقضاء من فروض الكفايات لأن أمر الناس لا يستقيم بدونه ، فكان واجبا عليهم كالجهاد والامامة . قال أحمد — لا بد للناس من حاكم ، أتذهب الحقوق ؟ وفيه فضل عظيم لمن قوى على القيام به وأداء الحق فيه ، ولذلك جعل الله فيه أجرا مع الخطأ ، وأسقط عنه حكم الخطأ ، ولأن فيه أمرا بالمعروف ونصرة للمظلوم وأداء الحق الى مستحقه وردا للظالم عن ظلمه واصلاحا بين الناس وتخليصا لبعضهم من بعض ، وذلك من أبواب القرب ، ولذلك تولاه النبى صلى الله عليه وسلم والأنبياء قبله فكانوا يحكمون لأممهم وبعث عليا الى اليمن قاضيا ، وبعث أيضا معاذا قاضيا .

وقد روى عن ابن مسعود انه قال — لان أجلس قاضيا بين اثنين ، احب الى من عبادة سبعين سنة وعن عقبة بن عامر قال — جاء خصمان يختصمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال — اقض بينهما ، قلت انت أولى بذلك قال وان كان قلت علام أقضى ؟ قال اقض فان اصبت فلك عشرة ، وان أخطأت فلك أجر واحد ، رواه سعيد بن منصور فى سننه . انتهى .

فالقضاة الأمناء يحرزون هذا الاجر الجزيل من الله ، لانهم حراس الشريعة وحماتها ، واعوان الحق وانصاره ، لا يعرفون فيه كبيرا ولا صغيرا ، ولا مأمورا ولا أميرا ، يقيمونه على الملوك قبل السوقه ، ويحققون به رضوان الله قبل رضاء العباد ، وفيهم جاء قول القائل :

ان الملوك ليحكمون على الورى   وعلى الملوك لتحكم العلماء

حكم الدخول فى القضاء أو الاعراض عنه

ولسائل أن يقول — اذا كانت هذه منزلة القضاء فى الاسلام ، وهذا عالى قدره المنيف ، فكيف نوفق بين هـذا وبين ما ورد فى التحذير من الدخول فى القضاء ، وبين ما اشتهر عن كثير من سلف الأمة انهم هربوا من ولاية القضاء كل الهرب ، حتى آثر الامام أبو حنيفة السجن على ان يلى القضاء ، ومات وهو سجين فى بعض الاقوال ، فكيف نوفق بين هذا وبين ما ذكرت ؟

والجواب عن هذا أدعه للقاضى العلامة ابن فرحون المالكى رحمه الله تعالى ، اذ يقول فى كتابه العظيم « تبصرة الحكام فى أصول الأقضية ومناهج الأحكام »

(اعلم أن أكثر المؤلفين من أصحابنا — المالكية — وغيرهم بالغوا فى

الترهيب والتحذير من الدخول فى ولاية القضاء . وشددوا فى كراهة السعى فيها ، ورغبوا فى الاعراض عنها والتنفير والهرب منها ، حتى تقرر فى أذهان كثير من الفقهاء والصلحاء أن من ولى القضاء فقد سهل عليه دينه ، وألقى بيده الى التهلكه ، ورغب عما هو الأفضل ، وساء اعتقادهم

وهذا غلط فاحش يجب الرجوع عنه والتوبة منه ، والواجب تعظيم هذا المنصب الشريف ، ومعرفة مكانه من الدين ، فبه بعثت الرسل ، وبالقيام بـه قامت السموات والارض ، وجعله النبى صلى الله عليه وسلم من النعم التى يباح الحسد عليها .

واما قوله عليه الصلاة والسلام — القضاة ثلاثة — قاض فى الجنة وقاضيان فى النار ، قاض عمل بالحق فى قضائه فهو فى الجنة ، وقاض علم الحق فجار متعمدا فذلك فى النار ، وقاض قضى بغير علم واستحيا ان يقول — لا أعلم فهو فى النار .

فصح أن ذلك الوعيد انما هو فى القاضى الجائر ، أو القاضى الجاهل ، الذى لم يؤذن له شرعا فى الدخول فى القضاء . وفى هذا القاضى الجائر أو الجاهل قال بعض الظرفاء :

ولما توليت البرايا وفاض الجور من كفيك فيضا
ذبحت بغير سكين وانا لنرجو الذبح بالسكين أيضا

واما من اجتهد فى تحصيل الحق على علم فأخطأ فيه ، فقد قال عليه الصلاة والسلام — اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ، واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر . بمثل ذلك نطق الكتاب العزيز فى قوله تعالى (وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ، ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) فأثنى الله على داود باجتهاده وأثنى على سليمان باصابته وجه الحق) انتهى بزيادة يسيرة .

وقال الامام علاء الدين الكاسانى الحنفى فى كتابه الجليل (بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع ٧ : ٤ وهو يتحدث عن حكم الدخول فى القضاء أو الاعراض عنه —

« اختلفوا فى أن القبول أفضل أم الترك ، احتج القائلون بأفضلية الترك بما روى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : من جعل على القضاء فقد ذبح بغير سكين . وهذا جار مجرى الزجر عن تقلد القضاء .

واحتج المفضلون الدخول فى القضاء بصنيع الأنبياء والمرسلين ، وصنيع الخلفاء الراشدين ولأن القضاء بالحق اذا أريد به وجه الله تعالى يكون عبادة خالصة ، بل هو من أفضل العبادات ، والحديث المذكور محمول على القاضى الجاهل ، أو العالم الفاسق ، أو الطالب للقضاء الذى لا يأمن على نفسه » انتهى . فأفاد هذا أن الأفضل قبوله والدخول فيه .

اما ما اشتهر عن الامام أبى حنيفة وأمثاله المشهور لهم بالكفاءة من تأبيهم ولاية القضاء فهو عندى على أحد الحالين —

١ — فمنهم من خاف على نفسه أن يضعف فى النهوض بهذه الولاية العظيمة ، فتأبى عنها وهرب منها ، وكان بهذا التأبى منه مسوغا أن يلى هذه الولاية الرفيعة الخطيرة بعض الضعفاء عنها ، فينجر ضعفهم عليها وعلى المجتمع معها ، فكان ذلك المتأبى الكفء فى اجتهاده بترك ولاية القضاء ذا أجر واحد ، ولم يحرز بذلك أجرين .

٢ — ومنهم من كان عرض هذه الولاية العظيمة عليه غير خال من شوائب

معها مستورة وراءها كما وقع للامام أبى حنيفة رحمه الله تعالى ، فانه من أعلم أهل عصره بسمو منزلة القضاء وأهميتـــه فى نظر الشرع الحنيف ، وقد قرر ذلك فى مذهبه أوضح تقرير ، فالذى يبدو أن عرض القضاء عليه لم يكن خالصا من الملابسات السياسية ، التى كانت تختفى وراء ذلك العرض الالزامى القاسى، وما أحسن ما قاله العلامة الشيخ محمد الخضرى فى كتابه تاريخ التشريـــع ص ٢٣. ، اذ تعرض لهذه الواقعة من حياة أبى حنيفة فوجهها توجيها حســـنا فقال رحمه الله تعالى —

« أدرك أبو حنيفة تحول الأمر من بنى أمية الى بنى العبـــاس ، وكانت الكوفة مركز الحركة الكبرى فى هذا الانتقال ، وبهـــا تمت بيعة أبى العباس السفاح ، ولم نسمع لأبى حنيفة فى تلك الحركة ذكرا ، الا انه يقال — ان يزيد ابن هبيرة والى العراق من قبل مروان بن محمد عرض على أبى حنيفة ولايـــة القضاء فأبى أبو حنيفة ، فضربه من أجل ذلك .

وانا اذا سهل علينا أن نفهم اباء شخص أن يتولى القضاء ، فلا نكاد نفهم أن يضرب على ذلك اذ أن الضرب بالسوط — وهو نهاية الاحتقار — لا يفعله عاقل ليحمل انسانا على تولى أشرف المناصب بعد الامارة وهو القضاء اذا لم يكن ثم الا الاباء ، فانا لا نظن أنه يحدث فى قلب الأمير من الضغن ما يحمله على اجراء تلك العقوبة ، ولا سيما أن الفقهاء كانوا متوافرين بالكوفة ، فلا يعز على ابن هبيرة أن يختار من بينهم من يؤدى هذه المهمة .

انى أظن — الكلام ما يزال للعلامة الخضرى — انى أظن أن مثـــل هذا العرض ، كان الغرض منه محنة المعروض عليه ، حتى يعرف مقدار ولائه للدولة، فان العلماء على ما يظهر كانوا يمتنعون أن يتولوا عملا لدولة لا يحبونها لئلا يكون ذلك تأييدا لها . وقد حصل أن قام بالكوفة فى هذا العهد ثائران —

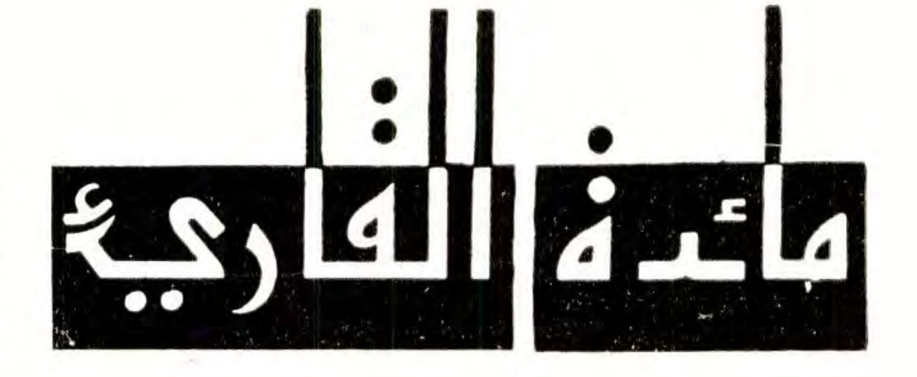
أولهما زيد بن على بن الحسين ، الذى خرج سنة ١٢٢ فى خلافة هشام ابن عبد الملك وامارة يوسف بن عمر الثقفى على العراق ، فقتل .

والثائر الثانى

هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، فى عهد اضطراب الحبل سنة ١٢٧ وقد كانت من أبى حنيفة كلمة تدل على امتداح زيد بن على كما نقل ذلك عنه من كتبوا سيرته ويمكن أن يكون قد عاد ذلـــك منه فى أيام عبد اللـــه بن معاوية ، فأراد الأمير ابن هبيرة أن يختبر ولاءه لبنى أمية ، فعرض عليه القضاء فامتنع — فضربه — لأنه شعر بانحرافه عن بنى أمية ، لا لأنه أبى أن يتولـــى القضاء » انتهى كلام العلامة الخضرى .

وقيل ان الذى دعا أبا حنيفة الى القضاء وضربه عند امتناعه هو أبو جعفر المنصور وكان فى نفسه شىء من جهة أبى حنيفة فانه وشى به الى المنصور أنه حسن فعل ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على ، الخارج على المنصور بالبصرة . قاله الأستاذ محمود عرنوس فى تاريخ القضاء فى الاسلام ص ٧٣ » .

« للحديث بقية »



أعدها : أبو نزار

السلعة الغالية

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . يقاتلون فى سـبيل الله فيقتلون ويقتلون » .

(قرآن كريم)

« من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل .. ألا ان سـلعة الله غالية .. ألا ان سـلعة الله الجنة » .

(حديث شريف)

قتلانا وقتلاهم

لص خرج للسطو فاخترقت بدنه رصاصة أزهقت روحه ، فجثته على عرض الطريق كجثة دابة نافقة أولئك قتلى المستعمرين من كل جنس ولون .

أما قتلانا . أما الشهيد من رجالاتنا الابطال ــ فكما وصف الله :

« واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا . عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا . ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا » .

وكما قال الشاعر :

تردى ثيـاب الموت حمرا فمـا أتى لها الليـل الا وهى من سـندس خضر

سيدة مجاهدة

فى « وقعة اليرموك » التحم العـرب بالروم ، وأقبل خالد بن الوليد على جواده حتى وقف على تل جلس عليه النساء ، فهتف بهن ــ يا نساء العرب ، أيما رجل جاء اليكن فارا من المعركة فاقتلنه .

ويروى أن أم عامر ابنة معاذ بن جبل قتلت تسعة من الروم بعمود فسـطاطها فى هذه الموقعة .

الورد القرآنى

كان عثمان بن عفان رضى الله عنه يقرأ القرآن كله كل أسبوع مرة :

يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة .
وليلة السبت بالانعام الى هود .
وليلة الاحد بيوسف الى مريم .
وليلة الاثنين بطه الى القصص .
وليلة الثلاثاء بالعنكبوت الى ص .
وليلة الاربعاء بتنزيل الى الرحمن .
وليلة الخميس يختم الختمة .

المـــــانعة

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه :
من قرأ تبارك الذى بيده الملك كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر وكنا فى عهــد رسول الله صلى الله عليه وسلم نسميها المانعة ، وانها فى كتاب الله عز وجل سورة من قرأ بها فى ليلة فقد أكثر وأطاب .

رواه النسائى وصححه الحاكم

أدعية الظواهر الكونية

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى المطر قال :

اللهم صيبا نافعا .

فاذا كثر أو خاف ضرره قال :

اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والآجام والظراب والأودية ومنابت الشجر .

واذا سمع الرعد والصواعق قال :

اللهم لا تقتلنا بغضـــبك ، ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك واذا رأى الهلال قال :

الله أكبر اللهم أهله باليمن والايمـــان والســـلامة والاسلام والتوفيق لما تحب وترضى . ربى وربك الله .

الحمراء والخضراء

اختصم رجلان عند القـــاضى اياس بن معاوية ، فقـــال أحدهما دخلت الحوض لأغتسل ، ووضـــعت قطيفتى الحمراء التى أضعها على رأسى ، ثم جاء هذا فوضـــع قطيفتـــه الخضراء تحت قطيفتى ، ثم دخل واغتسل ، وخرج قبلى ، وأخذ قطيفتى ومضى بها ثم خرج فتبعته ، فزعم أنها قطيفته فسأله اياس ــ هل لك من بينة ؟ قال : لا . فأتى القاضى بمشط وسرح بها رأس هذا ورأس هذا فخرج من رأس أحدهما صوف أحمر ومن رأس الآخر صوف أخضر ، فقضى بالحمراء للذى خرج من رأسه صوف أحمر وبالخضراء للثانى .

قضية نادرة

ولد فى عهد أمير المؤمنين على ــ كرم الله وجهه ــ مولود له رأسان وصدران فى حقو واحد فسئل ــ أيورث ميراث اثنين أو واحد فقال :

يترك حتى ينام ، ثم يصاح به ، فان انتبها جميعا كان له ميراث واحد وان انتبه واحد وبقى الآخر كان له ميراث اثنين .

شهــــادة

شهد الفضل بن ربيع وزير الخليفة هارون الرشيد عند قاضى القضـــاة أبى يوسف ، فرد شهادته ، فعاتبه الخليفة فى ذلك قائلا : لم رددت شهادته ؟ قال أبو يوسف : سمعته يقول ذلك ، أنا عبدك ، فان كان صادقا فلا شهادة للعبد ، وان كان كاذبا فكذلك .

الاسلام والحضارة

للدكتور عبد الرحمن علي الحجي

قدم الاستاذ عبد الحميد فرحات لقراء مجلة « الوعى الاسلامى » كتاب «الاسلام والحضارة» (١) عرضا ومناقشه ، والكتاب المذكور تأليف المستشرق الانكليزى البروفسور مونتجمرى واط عميد قسم الدراسات العربية بجامعة ادنبره فى بريطانيا .

انه من المفيد ومن الضرورى ان ننقل ما يكتب غير المسلمين عن التراث الاسلامى وعن الاسلام الى العربية أو على الاقل ان نعرف محتوى ما يكتبون كخطوة أولى ، وخلال ذلك لا بد ان نتبين الروح التى يصدرون عنها ووجهة النظر التى يتبنونها أو يصلون اليها ، للاستفادة من انتاجهم ان كان مفيدا والرد عليه وبيان وجه الحق لصحح المنصف منهم ما لديه من افكار خاطئة أو يعترف بحق فاته ادراكه ، ولوقف من كان متعصبا مغرضا ولتنبيه غيرهم على عدم متابعته ووقايتهم من الوقوع فيه ، وهذا دون شك واجب المثقفين والدارسين من المسلمين كل حسب تخصصه .

لقد اسهم الاستاذ عبد الحميد فرحات مشكورا فى هذا الميدان باطلاعنا على ما فى كتاب الاسلام والحضارة « الذى صدر بالانجليزية سنة ١٩٦٧ للبروفسور مونتجمرى واط وذهب الاستاذ فرحات الى أبعد من ذلك بأن تحدث عن الاستشراق والمستشرقين عموما وصنفهم حسب علميتهم ومواقفهم من الاسلام وتراثه، فجعل مؤلفاتهم تتحرك فى اتجاهات ثلاث » .

١) الذين عرفوا حقيقة الدين الحنيف فهم « يقومون فى امانة العلماء ونزاهتهم بتسجيل ما للدين الاسلامى من مميزات وفضائل .

٢) الذين عرفوا الحقيقة

(١) نشر فى عدد صفر سنة ١٣٨٨ هـ

« ويقومون بتشويهها وتلويثها ، بدافع من سوء النية والتعصب .

٣) الذين يرفضون كل الاديان « ومن بينها الاسلام بالطبع »

ويقدم الاستاذ فرحات كتاب « الاسلام والحضارة » على انه من الاتجاه الاول وأن مؤلفه الاستاذ واط من أولئك المنصفين الذين عملوا لكشف وبيان فضائل الاسلام ، وهذا الكتاب يمثل أحد الادلة ، وللمؤلف كتب أخرى يقوم كل منها دليل على انصافه .

ولا أخالف الاستاذ فرحات فى وجود بعض المستشرقين المنصفين الذين تحدثوا عن الاسلام ونشروا تراثه فى ميادين مختلفه ، ونرجو ان يكون هؤلاء كلهم — ويظلوا — مخلصين لهذا الاتجاه والا يكون منهم ممن يدس السم فى الدسم ، وهنا فالمرجو من هذا الصنف من المستشرقين المخلصين (وكل غير المسلمين الذين تولوا دراسة الاسلام) ان يتغير لديهم طابع الاستشراق فى مهمته وروحه وان يخدم الحقيقة كما يخدم قومهم ، بتعريفهم بها وأن يحقق أو يتحقق بواسطتهم احد أمرين أو كليهما وقد يؤدى احدهما الى الآخر .

١) عليهم حين يبحثون فى تراث الاسلام وحضارته وتاريخه المستوى الذى وصلت اليه هذه الحضارة وما اسداه الاسلام للانسانية واهداه لها ان يربطوا ذلك كله بالعقيدة الاسلامية وروعتها ، وليست الامور السابقة (الحضارة والتاريخ) الا بعض جوانب الصورة العملية للمثل الاسلامية متطابقة مع الاسلام كليا أو جزئيا ، ولعل مثل هذا العمل والفهم قد يقود بعضهم الى ان يسلم، وقد حدث هذا فعلا مع عدد منهم ، ولم يكن يوم بدأوا دراسة الاسلام بنية الدخول فيه أو الانتظام فى عداد اتباعه ، بل اصبح بعضهم من الدعاة اليه وكرسوا الجهود فى بيان مميزاته وفضائله ، ولا يمكن بحال وضع هذه الامور بمعزل عن العقيدة وهذا ما يجب ان يلتفت اليه ايضا نظر الدارسين المسلمين .

٢) أن تتغير لديهم — أو يقوموا بتغير — طابع الاستشراق وروحه (وربما بعض اهدافه) وجعله اداة لخدمة الحقيقة كما يخدم بذلك قومهم، وخدمته لهم تعريفهم بحقيقة الاسلام، فعليهم ان يقوموا بتقريب الشقة بين الاسلام والمسيحية وبين الشرق والغرب والعمل على ازالتها ، ويقضوا على ما زرعه المتعصبون من روح نابية وأفكار مجانبة لحقيقة الاسلام ، وبذلك يسهموا فى القضاء على روح التعصب ليكف اذاه عنا والذى لا قينا ولا زلنا نلاقى منه الكثير ، ما كان منه على شكل سافر أو تستر وراء الاقنعة والواجهات المختلفة أو ما سلك السبل المتعددة التى ظاهرها الرحمة ولكن فى باطنها العذاب .

وليس كتاب «الاسلام والحضارة»(١) Islam and Culture هو الذى دعانى الى كتابة ما اكتبه هنا ، لسبب بسيط هو اننى لم أر الكتاب وكنت اتمنى لو توفر لدى واطلعت عليه ولكن الذى دعانى للكتابة هو حديث الاستاذ فرحات عن المؤلف (الاستاذ واط) ووضعه له فى الصنف الاول

(١) لا ادرى لم جعلت ترجمة عنوان الكتاب«الاسلام والحضارة» بدلا من الاسلام والثقافة

من المستشرقين الذين عرفوا « حقيقة الدين الحنيف ويقومون فى امانة العلماء ونزاهتهم بتسجيل ما للدين الاسلامى من مميزات وفضائل .

لم أكن اعرف عن اتجاه البروفسور واط مؤلف الكتاب ومكانته العلمية موقفه من الاسلام قبل صيف ١٩٦٦ يوم كنت فى انكلترا حتى كتبت الى مجلة The Islamic Quarterly التى تصدر فى لندن عن المركز الثقافى الاسلامى لاناقش كتابا جديدا ظهر للبروفسور واط عن التاريخ الاندلسى (اسبانيا الاسلاميه) ـ

W. Montgomery Watt,
« Ahistory of Islamic Spain
Islamic Surveys 4 »
E.U.P. 1965 x † 210 PP. 252.

وربما كان ذلك مفيدا لتكون مناقشتى للكتاب قائمة على ما أجده فى الكتاب نفسه غير متأثرة بفكرة سابقة عن المؤلف له أو عليه ، وفعلا فقد كتبت عرضا للكتاب شمل اسلوبه فى العرض والمناقشة والمصادر التى اعتمد عليها وفى خطوطه وروحه العامه ، وناقشت بعض افكاره ، ولذلك سأستعين بما ذكرته هناك فى بيان ما اريده هنا وستكون مناقشتى منصبة على ما وصف به الاستاذ فرحات للبروفسور واط على ضوء ما وجدت فى ذلك الكتاب ، كانت دهشتى تزداد كلما تقدمت فى قراءة كتاب (تاريخ اسبانيا الاسلامية) تزداد غرابة لشدة بعده عن الحقيقة، الامر الذى لا يظهر فى عمومه انه ناتج عن الجهل بل عن التجاهل والتعصب الذميم ــ مع تحاشى وصف الاستاذ واط بالغباء ونشر هذا النقد باللغة الانكليزية Review فى المجلة المذكوره The Islamic Guarterly, vol x, nos 3-4 1966

ثم نشر بالعربية فى مجلة (الاقلام) التى تصدرها وزارة الثقافة والارشاد العراقيه (بغداد) فى الجزء السابع، السنة الثالثة ذو الحجة ١٣٨٦/ آذار ١٩٦٧ ويجد القارىء فى هذا النقد لكتاب الاستاذ واط أمورا غريبة وشططا كبيرا عن الحقائق وتفسيرات للاحداث لا تحمل طابعا علميا واصطيادا للادلة التى يبتغى بها تأييد التحريفات فهو يتحدث عن الجهاد ــ ربما فى غير ضرورة ، وهو يتحدث عن تاريخ الاندلس ــ وله فيه « الجهاد » رأى غريب ، وأنه ليكاد يلقى الشك على نوايا الخلفاء والقادة فى التاريخ الاسلامى وبضمنه الاندلس (ص ٤٣ ، ٩٠ ، ٩٨) فتراه يهمل ذكر امور تاريخية يلزم ذكرها فى أى حديث عن التاريخ الاندلسى لانها قد تقف ضده بينما يفصل فى موضوعات جزئية أو قضايا جانبية ، لانها تؤيد رأيه (الذى ليس فيه انصاف) فهو مثلا حين يتحدث عن الاقليات غير الاسلامية فى الاندلس (ص ٥٣ وبعدها) يكاد يهمل الحديث عن التسامح الرائع الذى تمتعت به هذه الاقليات لكنه يفصل فى الحديث عن انتشار الاسلام (وهو ما لا يتطلبه بهذا الشكل ، موضوع الكتاب) مؤكدا خلال ذلك دوافع المسلمين التى يقر ــ على ما يبدو ــ انها ليست دوافع عقائديه ولا تبتغى اعلاء كلمة الله ، ولغرامه بهذا الأمر يعود بالقارىء الى الحديث عن انتشار الاسلام فى الجزيرة العربية (وهو غير موضوع الكتاب) وانه كان بالسيف وبدوافع غير دينية تماما (ص ٧ ــ ٩ ، ٢٤) وانه اهمل ان

يسوق الادلة على رأيه دونما سبب ، وانه ليذهب ابعد من ذلك حينما يعتبر — على ما يظهر — ان دوافع ذلك الحرب فى الاسلام وان لبست ثوب الدين ، فهى — احيانا — لا تختلف كثيرا عن دوافعها فى الجاهلية وغمطه للحقائق باهماله لذكرها أو بتشويهها ظاهر فى هذا الكتاب .

لم أرد ان انقل كل ما قاله الاستاذ واط فى الكتاب لكنى أشرت الى بعض آرائه هناك فى الاسلام وتاريخه ، ومن اراد معرفة ذلك مفصلا فليرجع الى الكتاب نفسه أو الى النقد المذكور له ، وفى هذا الكتاب (تاريخ اسبانيا الاسلامية) يدافع الاستاذ واط عن احدى الفكرتين القديمتين اللتين تبناهما عدد من المستشرقين وما زالتا تترددان من قبل الامعات فى بلادنا الا وهما ان الاسلام انتشر بالسيف كما يبدو أن الاستاذ واط فى كتابه الاسلام والجماعة المتحدة Islam and The Unided Group الذى تحدث عنه المرحوم الاستاذ العقاد — واشار اليه الاستاذ فرحات بالثناء يدافع عن الفكرة الثانية لهذا البعض فى المستشرقين وهى ان الاسلام قام وانتشر تحت تأثير العوامل الاقتصادية وليست الفتوحات الاسلامية الا مدفوعة ، ولو فى حدود بهذه العوامل ويكون الاستاذ واط بهذين الكتابين — تاريخ اسبانيا الاسلامية ، والاسلام والجماعة المتحدة ، قد أدى دوره كمستشرق غير منصف بلباقة وأمانة، بحيث وجد فى المسلمين من يطرى له آراءه كما فعل الاستاذ فرحات متابعا بذلك المرحوم العقاد .

والواجب يقضى ان نعرى هذه الآراء ، فهلا يسعد ذلك اروع انجاز حققه الاستاذ واط ، واذا كان للعوامل الاقتصادية — كغيرها من العوامل الانسانية تأثير فى حياة الناس ، فذلك معروف ، وليس فى الحديث عنه أو تقريره اى كشف ، واستعماله فى تفسير حوادث التاريخ لا يعتبر سبقا أو فضلا ، كما ذكر الاستاذ فرحات ناقلا ذلك — فى غير التزام بالنص — عن الاستاذ العقاد الذى يقرر فى كتابه « ما يقال عن الاسلام » طبعة القاهره ص ٢٢٤ بأن « فضيلة هذا الباحث (يعنى الاستاذ واط) فى دراساته الأخيرة انه تخلص من آفة التفسيرات المادية وعرف مكان الظروف الاقتصادية فى تطورات الحوادث وتطويرها .

وهنا يرد الى الذهن سؤال مهم — هل للعامل الاقتصادى أى مكان أو تأثير أو اعتبار فى ظهور الاسلام فى مكة على يد رسول الله الامين صلى الله عليه وسلم وهل كان هذا العامل هو الدافع لانتشاره فى الجزيرة العربية وخارجها ؟ وهل هذا العامل هو الذى دفع المسلمين الى ان يضحوا بأموالهم وانفسهم ؟

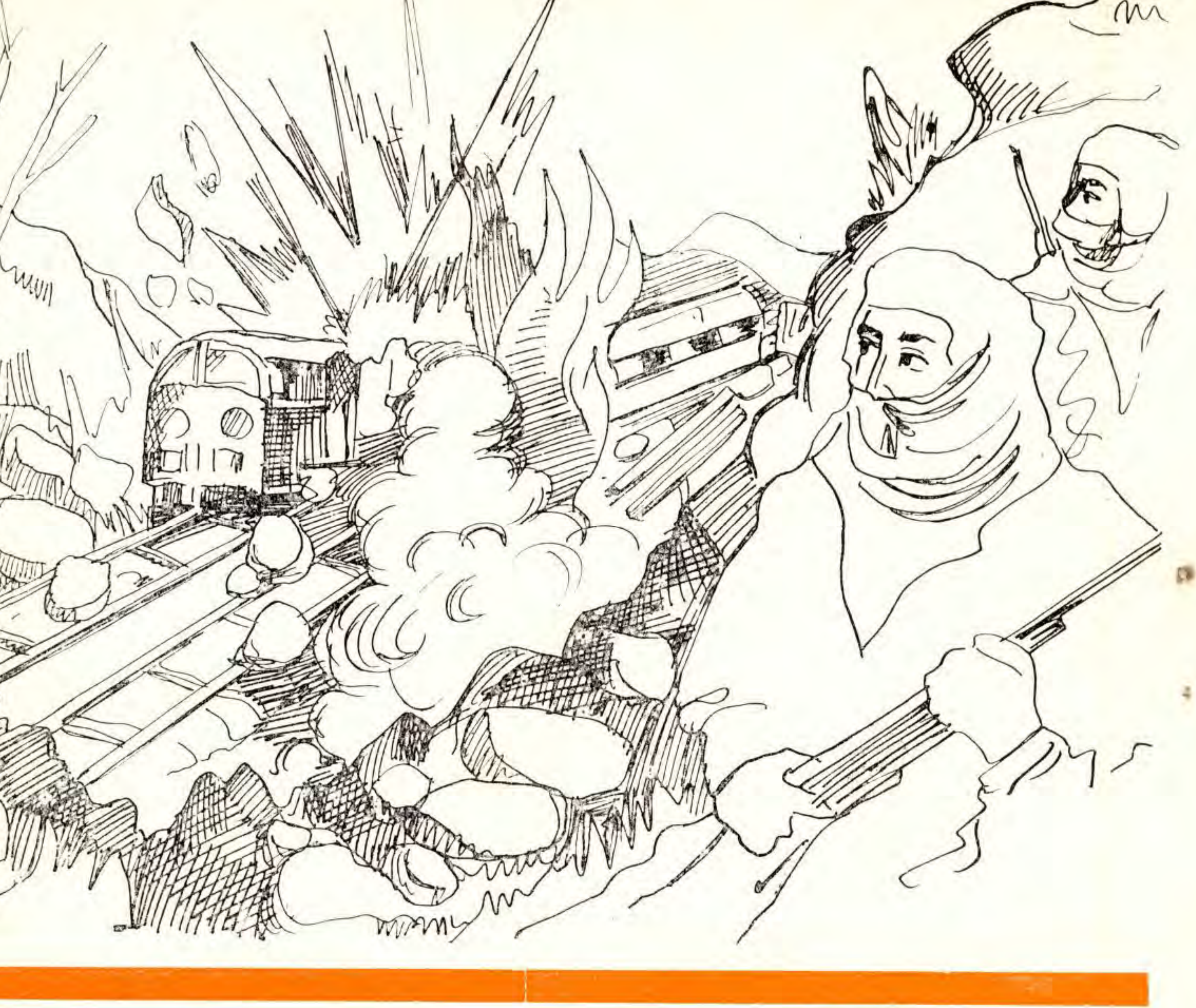
ان مثل هذا القول (ان ظهور الاسلام وانتشاره كان بسبب وبدافع العامل الاقتصادى) يهدف الى قطع صلة الانسان بالسماء ويلغى وحى الانبياء ، كما تشير الفكرة الاخرى (فكرة انتشار الاسلام بالسيف) الى انه ليس فى الاسلام من المثل والتشريعات ما تجتذب الناس ولم يكن انتشاره قائما على الاختيار ، بل كان بالقوة والقهر أى تغير

البقية على ص ٨٨



فى اليوم الثالث من أيام العدوان الغادر عام ١٩٥٦ — كان سالم الفدائى يحمل سلاحه ويذرع أرض سيناء فاقترب من مكان خرب فيه حديقة متهدمة ودار يسكنها شيخ طاعن فى السن يدعى حسن العطار ، كان سائقا لاحدى القطر الحديدية فى خط سيناء فلما أحيل الى التقاعد أقام له فى هذه القرية بيتا صغيرا . وكان سالم يعرفه من قبل وكان رجلا صـــالحا يخشى ربه ويحب الناس ويتقن عمله وكان يوصى أصحابه بذلك فيقول اتقان العمل عبادة ولذلك كان دائم الحنين الى قيادة القاطرات فقد كان ذلك عمله الذى حرم منه بعد احالته الى التقاعد وكان من عادته قبل العدوان أن يطيل المكث فى محطة السكك الحديديه ويعاون عمالها وهو يمازحهم فقد كان صاحب دعابة ومرح ويحسن رواية الاقاصيص والذكريات ، وفى الايام التى لا يجد فيها أحدا يتحدث اليه كان يقف أمام القاطرات ويناجيها كأنها مخلوقات تعى وتسمع فيقول : أيتها القاطرات الطيبـــة .. اننا اصدقاء منذ عهد بعيد فكثيرا ما عملنا معا .. وسافرنا معا الى بلاد بعيدة .

وعندما كان يسمع صفير قاطرة قادمة من بعيد كان يعتبر هذا الصـــفير موجها اليه .. فينحنى ويرد التحية فى وقار قائلا : مع السلامة ايتها القاطرة أنت ومن تحملين من المواطنين فيضحك من حوله ويقولون : أنت رجل مرح يا عطار فيجيبهم مبتسما : المرح سر العافيـــة : لا ابتغى من الحياة غير أمرين : ان أعيش مرحا محبا للناس وان أموت فى سبيل بلادى شهيدا مدافعا عن أمجاد العروبة



بقلم محمد لبيب البوهي

وفى المساء الثالث من أيام العدوان عندما كانت الشمس تهم أن تتوارى خلف الافق البعيد ... وقد هبت عاصفة رملية حجبت شعاع الشمس الواهنة كأنما كانت الطبيعة تعبر بذلك عن سخطها على المعتدين الذين أرادوا سوءا بالعرب والعروبة فرد الله كيدهم الى نحورهم .

كان حسن العطار فى هذا الوقت جالسا عند باب داره فرأى شبحا يتسلل نحو الدار فصاح بكل قواه : ــ قف أيها المتسلل .. وتكلم .. من أنت ؟

وكان هذا الشبح هو سالم فأجاب :

ــ هل انا آمن على نفسى ؟

فأجاب حسن العطار وهو يتقدم شاهرا سلاحه فى وجهه : ...

ــ انى عربى .. فمن أنت .. ؟ جاسوس ؟ وهم حسن العطار ان يطلق النار .. لولا ان سمع سالما يقول :

ــ انا صديقك سالم .

فوضع حسن العطار سلاحه ... وقال : مرحبا بك ..
ثم اقترب منه فوجده يرتجف فسأله عن حاله وعما يكربه :
فقال سالم : .. التعب الشديد ... لبثت فى الصحراء بلا طعام ثلاثة أيام .. ومعى أخت مريضة . وذهب العطار مع سالم فجاءا بأخته وهيبة .. وتحاملت وهيبة على ضعفها ونهضت فاعدت طعاما وشرابا ساخنا .
وراح سالم يرتجف من الحمى والاعياء فقال له صاحبه العجوز :
ـ قم الى الفراش والتمس من الراحة نصيبا يؤهلك لأيام قادمة كلها كفاح .
فأجاب سالم : الراحة على نفسى حرام مادام يتنفس فى جو بلادى معتد أثيم .. لا بد من العمل فسأله العطار : وماذا تريد أن تعمل يافتى العرب ؟
قال : ما يجب على كل عربى أن يعمله الجهـــاد .. ولا شىء غيره حتى النصر أو الاستشهاد . فقال الرجل :
نطقت صوابا ياولدى .. لن يرى العربى راحة قبل القضاء على المعتدين .
ثم تلفت حوله كأنما يريد أن يتحقق من أن أحدا لا يراه ولا يســـمعه وهو يقول : خذنى معك يا بنى ان بروحى ظمأ الى دماء المجرمين .
فشد سالم على يد الرجل فصاح العجوز المرح : يدك قوية ايها الفتى .
فأجاب سالم : اردت ان اشعرك بقوتى على حمل السلاح .
قال الرجل : سأدلك على صيد عظيم هنا .. معسكر اقامه الصهيونيون على بعد ميل وعندى خمسة صناديق معبأة بالبارود .
فصاح سالم فى فرح غامر : الله أكبر .. خمسة صناديق ؟
نعم .. انها خمسة .
هتف الفتى : .. ومن أين جئت بها أيها البطل ؟
فابتسم حسن العطار وقال ضاحكا : الامر بسيط للغاية ، كنت جالســـا خلف حديقة دارى عندما مرت من هنا سيارة صهيونية معبأة بعشرات الصناديق من البارود فتوقف رجالها لينهبوا ثمار الحديقة ولما توغلوا بعيدا عن سيارتهم قلت فى نفسى : ياعطار اغتنم هذه الفرصه واخطف من الصناديق ما تستطيع قبل ان يعودوا فان البارود الاسود ينفع فى يوم اشد منه سوادا .
فضحك سالم وصاح : هذه يدى اصافح بها مجاهدا كبيرا .. نعم المواطن أنت يا عم .. ان صناديقك الخمسة تكفى لنسف معسكرهم .. سأدفع حياتى راضيا ان قتلت منهم الفا .
قال المجاهد العجوز : أو تعيش لوطنك سالما غانما لتجنى ثمار النصر هيا خذنى معك لنشعل فى معسكرهم النار .
فأجاب سالم : المجازفة بغير تدبير القاء بالنفس الى الهلاك .. سأذهب وحدى ادرس المكان .. واتحسس المنافذ الى معسكرهم ثم ندبر بعد ذلك ما يكون .
وعبثا حاول العطار أن يلحق بسالم لان الفتى اسرع لوقته .. اتخذ من الليل ستارا .. وراح على ضوء نجم واهن وسط عاصفة الليل يتحسس طريقه الى معسكر الأعداء .
وبصر به أحد جنود المعسكر فصاح :
ـ هنا شبح عربى يتسلل .
فانطلق رصاص الحراس من كل مكان ولكنهم اخطأوه . وعاد من حيث جاء بعد ان حدد مكان معسكرهم ولكن سياراتهم كانت تتبعه .. تريد اقتناصه

باى ثمن وما ان وصل دار صاحبه العطار .. حتى كانت مصفحتان صهيونيتان قد عرفتا مكمنه وأحاطتا بالدار .

* * *

صرخ أحد المهاجمين وهو ينظر الى حسن العطار قائلا :

ــ انني اعرف هذا الرجل .. انه سائق القطار المتقاعد .

كان الصهيوني يتكلم بالعربية .. فقد كان صهيونيا جاسوسا عاش فى بلادنا حينا من الدهر ثم تنكر للبلاد التى انعمت عليه .

وأحاطوا بالرجل وبصاحبه ســـــالم أما وهيبة فقد فرت الى مكان قريب وراحت المصفحات تمطر البيت بالقنابل حتى هدمته .. وساقوهما الى قائدهم الكبير .

* * *

ولما عرف القائد الصهيونى قصة حسن العطار قال : يجب أن تؤدى خدمة كبيرة لنا .. سنرحل الى الحدود بعد ساعات وهنا قطار معطل من قطارات خط سيناء وعربات كثيرة سنملؤها بالجند والذخيرة وعليك ان تقود القاطرة .

فقال معاون القائد الصهيونى :

ــ العرب لا يساعدون أعداءهم .. ولا يشترى أحدهم حياته بخيانة .. فلعل الرجل يغدر بنا وهو يسوق القاطرة .. ويلقى بنا الى الهلاك .

فنفخ القائد الصهيونى صدره غرورا واجاب : سنجعله يقود القاطرة تحت الحراسة المسلحة عشرة من رجالنا سيحيطون به ويدفعونه الى العمل بقوة الســـلاح .

* * *

وقال العطار فى اصرار : الموت خير لى من الخيانة .. لن افعل ذلك أبدا .

واحاط الهم بسالم وقد علم بذلك فغاص فى لجة التفكير عسى ان يجدللامر مخرجا .. حتى تفتق ذهنه عن حيلة بارعة فقال لحسن العطار بعد ان ساقوهما الى السجن حتى يحين موعد قيادة القاطرة

ــ العاقل ينتهز كل فرصة للايقاع بعدوه .. وما انعم الله على امرىء نعمة خيرا من العقل اذا أحسن الافادة منه فى روية وحكمة سأدبر أمر فرارى اذا تقدم الليل ثم اضع البارود تحت شريط القطار .... فأذا مرت العربات وفيها الصهيونيون وذخيرتهم .. نسفتهم نسفا .

ففرح حسن العطار بهذا الرأى وقام الى سالم يعانقه وقال :

ــ نعم المواطن انت يا فتى العرب .. تلك حيلة بارعة .

ولكن سالما أحس بشىء يشد على قلبه .. حين تذكر بأن صاحبه العطار قد يكون من بين الهالكين .

ولكن الرجل طمأنه وأجاب :

ـ ليس أسعد الى المواطن العربى من أن يموت شهيدا فى سبيل عمل عظيم ، فاذا نسفنا القطار بمن فيه من الصهيونيين قبل ان يعودوا الى بلادهم ليدبروا عدوانا جديدا ففى ذلك للوطن ربح كبير هيا يا ولدى استعد للفرار واذهب الى مكان البارود فاجعله تحت الشريط فاذا رأيتنى اطلق خمس صفارات متتالية فتلك اذن علامة بيننا على ان تشعل البارود .

وتعاهدا على هذا الامر .

فلما جن الليل .. أخذ العطار يفتعل الضحك والغناء لشغل الحراس فاجتمع حوله فريق منهم وقالوا هذا شيخ كبير قد فقد عقله وذهب عنه وقاره وعلينا ان نستمتع بالسخرية منه والتفوا حوله واخذوا يضحكون ويسمرون فانتهز سالم هذه الفرصة وتسلل هاربا من بين الأسلاك .

وقبيل الفجر كان الصهيونيون قد نقلوا ذخائرهم وعتادهم الى عربات القطار .. وقادوا حسن العطار بقوة السلاح الى مكان القاطرة .. وطلبوا اليه ان يقودها .

واخذت خيوط الفجر تتجمع فى الافق الشرقى .. عندما اتخذ عشرات من الصهيونيين مكانهم فى عربات القطار ورفع رئيس الحراس سلاحه فى ظهر العطار وصاح به : ابتدىء ولكن اياك ان تطلق الصفير .

فرضخ الرجل للامر .. واخذت العجلات تدور وراحت : القاطرة ترسل فى الجو دخانها الكثيف بينما أقبل السائق العجوز يتحسس جدران القاطرة فى حنو وتقدير فقد كان رجلا محبا لمهنته القديمة عاش مع القاطرات اربعين عاما .. وقد طال به الحنين اليها منذ تقاعد عن العمل وها هى ذى فرصة مؤاتية قد اتيحت له .

وسارت القاطرة نحو ميل وهى تجر عدة عربات ملأى برجال الاعداء .. ولاحظ رئيس الحراس ان القاطرة بدأت تهدىء من سرعتها فلكز العطار بسلاحه وقال اسرع والا اطلقت عليك النار .

فتبسم السائق العجوز وراح يتلفت ذات اليسار وذات اليمين ثم فاجأ القوم باطلاق صفير حاد طويل .

فصاح به كبير الحرس : هل جننت ؟ لاتطلق هذا الصفير .

ولكن الرجل لم يلق اليه بالا .. وشد من قبضته على مفتاح القاطرة والتمع فى عينيه عزم شديد وراح يعاود اطلاق الصفير خمس مرات متتالية .

انها العلامة المتفق عليها مع سالم .

* * *

واذ ذاك برز سالم من مكمنه وكان قد احكم وضع البارود تحت شريط القطار وغمس فى البارود فتيلا طويلا تسرى فيه النار حين يشعلها وكان فى

وقفته مستعدا وفى يده الثقاب فلما رأى القطار يقترب منه فى اناة ــ اشفق على مصير صاحبه العطار الذى سيذهب مع الهالكين .

ولكن الرجل أخذ يستحثه بالصفير .

فما هى الا لحظة حتى دوى فى الفضاء صوت انفجار رج اطراف سيناء .

لقد انفجر البارود وامتدت النار الى الأعداء وذخيرتهم والعتاد المشحون .. فاذا بالعربات كلها تتحول الى شعلة من نار .

وارتفع صراخ المعتدين وهم يحاولون عبثا أن يفروا من لهيبها .

لقد حاق بهم بعض ما دبروه لبلادنا من عدوان .

واخذت اصواتهم تتخافت .. وتبتلع الصحراء صراخهم .. حتى اتت عليهم النار اجمعين .

* * *

وظل سالم فى مكمنه يرقب الأحداث ليلة بطولها وقلبه معلق بصاحبه الشيخ الكبير وبعد أن ذهب المجرمون جاء رجال من أهل البادية من قرية لينظروا هذا الحادث الكبير .

لقد ذهب القطار ومن فيه من المعتدين

* * *

واسرع سالم الى الحطام المتناثر يبحث عن صاحبه .
فلم يلبث أن وجده وقد تقلصت قبضته على مفتاح القاطرة .. لقد أسلم الروح وهو يحتضن آلتها الحبيبة التى عمل معها اربعين عاما .. ومات معها شهيدا كما كان يتمنى .

خيل الى سالم ان الرجل يبتسم وان روحه تطوف به وتقول :

ــ شكرا يا فتى العرب .. لقد اتيت عملا مجيدا اننى سعيد اذ أموت شهيدا فى سبيل عمل عظيم أما انت فمن ورائك كفاح طويل حتى اليوم الموعود يوم يشد كل عربى على يد أخيه فى سبيل تحرير فلسطين وتطهير الوطن العربى الكبير من المعتدين .

* * *

انحنى سالم على جبين صاحبه فقبله ثم قام فدفنه ثم انصرف تجاه قناة السويس وهو يرى بعين الخيال مع تباشير الصباح الوليد فى السماء كوكبة من ارواح الشهداء تهلل وتكبر .. وتحيى فتى العرب الذى يعد نفسه ليوم النصر الموعود

ان هذه الارواح معه ومع النصر على موعد فى فلسطين .

اقتصادى اثر أو شارك فأدى الى مجىء الاسلام أو الى حدوث الانقلاب الاسلامى الذى يعتبر أكبر تغير وأعظم انتقال تقدمى حقيقى شــهده تاريخ الانسان قاطبة ؟

وهل اندفع أولئك الحفنة من العرب أقوى من الاعاصير يبشرون بالاسلام جاعلين جهادهم لاعلاء كلمة الله فى الارض وتحطــيم الطـــواغيت كل الطواغيت هدفا ترخص فى ســبيله النفــوس اندفعـــوا بتأثير عوامل اقتصادية ، ان العقيدة الاســلامية لهى الحـــدث الذى غير وســائل الانتاج والمنافع الاقتصـــادية بل وصاغها حسب مفاهيمه كيما تكون خادمة للحياة الاسلامية متمشية ضمن منهاجها دائرة فى فلكها ، وللاسلام نظامه الاقتصادى المستقل ، بل انه فى سبيل الاهداف الاسلامية تنازلت تلك الجماعات التى حملت الاســلام الى العالم عن كافــة منافعهــا الاقتصادية وكـــل الدوافع المادية وضحت بجميع امكاناتها المالية .

اما عن كتاب الاستاذ واط الجديد « الاسلام والحضارة » وللاسف ليس بين يدى لاطلع عليه — الذى قدمه الاستاذ فرحات ، فيبدو فيه المؤلف وكأنه تخلى عن آرائــه القديمــة وهجوماته على الاســلام بلباقة أو بدون لبـــاقة بل أحيـــانا بدون لياقة العـــالم ، فهل أعلن تنازله عنها أو أعاد كتــابتها (أو ينوى) بشـــكل جديد ؟ ولا أدرى اذا كان الاستاذ فرحات قد اطلع على كتاب الاستاذ واط :

« محمد فى مكه »

Mohammed at Macca

حيث يقول فى ص ٤٦ حين الحديث عن تحنث الرسول عليه الصــلاة والسلام فى غار حراء ما معناه : بأن أغنياء مكة كانوا يتخلصون من حرها بالذهــاب الى الطــائف اما محمد (عليه الصلاة والسلام) فما كان فقره يسعفه بالذهاب للاصطياف فى الطائف لذلــك كان يذهــب الى غار حراء ليصطاف فيه هاربا من حر مكه ؟؟؟ بخ بخ على هذا العمق الواعى والعلم الغزير والبحث العلمى المنصــف الدقيق .

يبدو الاســتاذ واط فى كتابــه « الاسلام والحضارة » على ما أورده الاستاذ فرحات وأنه يؤمن بالاسلام ، وهنا قد يسأل سائل اذا كان الاستاذ واط يشيد بالاسلام عقيدة وتشريعا وفكرا فهل يؤمن هو به « بعقلــه وروحه » وما المانع ؟

ذلك ما نرجو ، وعندها سنقول « الاسلام يجب ما قبله » .





يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها

فى الميراث

السؤال :

رجل لم ينجب توفى وترك أولاد أخ شقيق ذكورا وأناثا ، وأولاد أخت شقيقة ذكورا وأناثا فكيف توزع التركة بينهم ؟

محمد ابراهيم — دبى .

الاجابه :

أرث هذا المتوفى ينحصر فى أولاد أخيه الذكور فقط يوزع بينهم بالسوية ، ولا شىء لبنات الاخ الشقيق ، ولا لأولاد وبنات الاخت الشقيقة .

السؤال :

توفى رجل وترك زوجة وأولاد أخ شقيق وعمة فمن يرث من هؤلاء ومن لا يرث ؟

حسن الزيد — الكويت .

الاجابه :

توزع تركة هذا المتوفى على النحو التالى —
١ — للزوجة الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث .
٢ — لابناء الأخ الشقيق باقى التركة تعصيبا .
٣ — العمة وبنات الأخ لا شىء لهن .

فى النكاح

السؤال :

توفيت زوجتى وأريد التزوج من عمتها ، فهل يحل لى شرعا العقد على عمة زوجتى المتوفاه ؟

جعفر محمد — البصرة .

الاجابة :

لا مانع شرعا من أن تتزوج عمة زوجتك المتوفاه ، وانما المحرم شرعا هو أن يجمع الرجل بين زوجتين احداهما عمة الاخرى لأن الشارع يرى فى هـذا الجمع قطعا للرحم التى أمر الله أن توصل نظرا لما يؤدى اليه الجمع من التخاصم والتقاطع ، وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها وفى هذه الحالة التى وردت فى السؤال توفيت الزوجه فاذا تزوجت عمتها فلا جمع ولا تخاصم ولا قطع للرحم فيحل التزوج بها .

مؤخر الصداق

السؤال :

تزوج أبى بغير والدتى ، ثم توفى والدى ولهذه الزوجه مؤخر صداق فى ذمته فهل يجب على دفع مؤخر الصداق لها ؟

اسماعيل بابكر ـ السودان .

الاجابة :

مؤخر الصداق دين فى ذمة الزوج يحل عند وجود أقرب الاجلين الطلاق أو الموت وبناء على هذا فاذا مات الزوج أخذ مؤخر الصداق من تركتـه قبـل توزيعها ـ كسائر الديون التى تكون عليه ـ هذا اذا كانت له تركه ، فان لم تكن له تركه فلا يجب على الابن دفعه للزوجة ، ولكن البر بالآباء يتطلب من الابن أن يتبرع بسداد هذا الدين نيابة عن أبيه وابراء لذمته .

المأكولات المحفوظة

السؤال :

ما حكم الشرع فى أكل ما يستورد من اللحوم والخضروات والأسـماك المحفوظة ؟

على الراشد ـ الكويت .

الاجابة :

أحل الله تعالى أكل الخضروات سواء أكانت محفوظة أم غير محفوظـة والأسماك كذلك أحلها الله تعالى محفوظة أو غير محفوظة .

أما اللحوم المحفوظة . فأكلها حلال بثلاثة شروط :

١) أن تكون مذبوحة بآلة محددة غير الظفر والسن

٢) أن يكون الذابح مسلما أو كتابيا .

٣) ألا يذكر عليها عند ذبحها غير اسم الله .

فاذا تحققت هذه الشروط حل أكل اللحوم المحفوظة ولو كانت مستوردة من غير البلاد الاسلامية ، واذا تأكد ان شرطا منها يتحقق لم يحـل أكلها ، أما اذا جهلنا توفر هذه الشروط أو احداها فالاصل الحل والورع الترك وفى الحديث الشريف ((دع ما يريبك الى ما لا يريبك)) .



باشراف
الشيخ رضوان البيلي

صرخة ..

تركت عملى غير آسف عليه ، والتحقت باحدى منظمات المقاومة الفلسطينية واجتزت عدة اختبارات وتدريبات ، وانتظرت دورى فى اشتراكى مع المجاهدين داخل الأراضى المحتلة وطال انتظارى ..

وأخيرا سمعت أن نفقة المنظمة قصرت عن الوفاء بمساعدة أسر الشهداء ، وعجزت عن تغطية معاشات جنودها ، وليس لديها حاليا السلاح الكافى لتزويد المتطوعين .

ولهذا السبب لن أظفر بشرف الدفاع عن بلادى الا اذا سدد هذا العجز فى ميزانيتها وتوفر المال اللازم لتسليحى وأمثالى من مئات الشباب الذين ينتظرون دورهم فى الجهاد ، ولا يعلم متى يحين الوقت الذى تتحقق فيه هذه الأمنية .

والذى أقصده من هذه الرسالة هو أنى أستصرخ العرب والمسلمين عن طريق مجلتكم لدعم العمل الفدائى ..

(م)

العمل الفدائى بعد حرب سنة ١٩٦٧ أثبت وجوده فى جميع المجالات ، وأكد أهمية دوره فى تحرير الارض المحتلة ، والانجازات التى حققها الى الآن حملت العالم العربى والاسلامى حكومات وشعوبا على ضرورة مساندته ودعمه ، وهذا الدعم وصل الآن الى أعلى درجة حرارة فى العاطفة والشعور ، ولكنه لم يرتفع عن درجة الصفر فى البذل والعطاء الا قليلا وما أظن أن فردا واحدا من ٧٠٠ مليون مسلم يضن بما يطلب منه أو يفرض عليه ، وحصيلة المبالغ التى يمكن جمعها من هذا العدد الضخم تحتاج الى عقل (الكترونى) لاحصائها ، وهى كافية ووافية بكل ما تحتاج اليه المقاومة عشرات السنين ولكن الذى ينقصنا هو الحاجة الماسة السريعة الى التخطيط والتنظيم لكيفية جمع التبرعات واستخدامها فى الدعم ، وأعتقد أن الأمر من الوضوح بحيث لا يحتاج الى أخذ المثل من عدونا الذى اعتمدت ميزانياته أساسا على تبرعات الصهاينة فى جميع أنحاء العالم ، والذى لا يزال يعقد المؤتمرات للمنظمات الصهيونية لجمع التبرعات والاستزادة منها وبعد حرب حزيران تبرع يهودى واحد بشراء مدمرة بدلا من ايلات التى أغرقتها الجمهورية العربية المتحدة ..

أما كيفية التنظيم والتخطيط لجمع التبرعات لدعم المقاومة العربية على أساس من الميزانيات ذات الموارد الثابتة التى تضمن قيامها وتطورها ، فهذا من شأن الدول العربية الاسلامية فى جميع أنحاء العالم .

وأما صاحب هذه الرسالة فقد حبسه العذر وله أجر المجاهدين ، ولعله معنا فى الامســـاك عن نشر بقية ما جاء فى رسالته من معلومات .

القمر والنجم

فى القرآن الكريم سورتان موجودتان فى المصحف بهذا الترتيب النجم القمر ، فما الفرق بين النجم والقمر ، كذلك نسمع فى هذه الأيام عن القمر الصناعى ، ولكننا لا نشاهده فأين يظهر ؟

حسين الجبلى — مسقط

* ... * ... *

القمر من الكواكب ، والكواكب غير النجوم ، والكوكب جسم مظلم كروى الشكل تقريبا يدور حول الشمس فى عكس اتجاه عقارب الساعة ، وهو كالمرآة يعكس ضوء الشمس .

أما النجوم فهى ذات اضاءة ذاتية ، وتبدو متلألئة فى السماء ، والنجوم فى حركة سريعة على الدوام ، وأقرب النجوم الينا الشمس .

والقمر الصناعى ليس جسما مضيئا بذاته ولا عاكسا للضوء ، بل جسم أطلقه الانسان ليدور حول الارض ، ويحمل آلات يمكن بواسطتها جمع المعلومات وارســـالها بالراديو الى الارض ، ويستخدم كذلك فى الاذاعة ودراسة الجو والارصاد الفلكية ، ويحمل القمر صاروخ ذو مراحل ، ويستطيع الصاروخ حامل القمر الانطلاق فى اتجاه وسرعة دوران الارض حول محورها ، ويكمل القمر رحلته دون حاجة الى دفع محركات الصاروخ بعد ما يحصل القمر على السرعة التى تدفعه للدوران ويظل فى مداره ما لم يعقه شىء .

الأئمة الأربعة

الأئمة الأربعة مالك وأبو حنيفة والشافعى وأحمد . ما أسماؤهم الكاملة وأين ولد وتوفى كل منهم .. ؟

محمود عيد محمد الشيبانى — عدن

الامام مالك : هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحى اليمنى . ولد بالمدينة المنورة سنة ٩١ ﻫ على الأرجح وتوفى بها سنة ١٧٩ ﻫ .

الامام أبو حنيفة : هو النعمان بن ثابت زوطى الفارسى . ولد بالكوفة سنة ٨٠ ﻫ وتوفى ببغداد سنة ١٥٠ ﻫ ودفن بها .

الامام الشافعى : هو محمد بن ادريس بن العباس بن عمار بن شافع . ولد بغزة ســـنة ١٥٠ ﻫ وتوفى بمصر سنة ٢٠٤ ودفن بها .

الامام أحمد : هو أحمد بن حنبل ولد بخراسان سنة ١٦٤ ﻫ . وتوفى ببغداد سنة ٢٤١ ﻫ .

أصحاب الاخدود

يحدثنا القرآن الكريم فى سورة البروج عن قصة أصحاب الأخدود .. فمن هم وأين عاشوا ؟

السيدة/س. ع — الكويت

الاخدود الشق فى الارض ، وأصحاب الاخدود قوم كفار اضطهدوا جماعة من المؤمنين وأرادوا منهم الكفر ، فلما أبو شقوا لهم شقا فى الارض أشـــعلوا فيه النار وألقوا بالمؤمنين فيه واحدا واحدا ، ويقول المؤرخون : انهم جماعة من أمراء اليمن شاءوا الانتقام ممن آمن من نصـــارى نجران .



يعبرون فيه عن أفكارهم
دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

الجهاد المقدس

من كلمة للأستاذ/ غلام محمد نيازى ــ عميد كلية الشريعة بأفغانستان نقتطف ما يلى :

الوطن الاسلامى وطن واحد فالاعتداء على أى جزء من وطن اسلامى يعتبر اعتداء على الوطن الاسلامى كله ، فاذا وقع مثل هذا من العدو فقد وجب على المسلمين أن يهبوا مرة واحدة لدفع هذه المظالم ، ويعتقد كل مسلم أن الجهاد فى مثل هذه الحالة فرض على كل مسلم ومسلمة (وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل من لدنك نصيرا) .
كيف وقد احتلت الصهيونية جزءا من الوطن الاسلامى ودمروا المساجد والأماكن المقدسة واغتصبوا القبلة الأولى وقتلوا النساء والأطفال وشردوا مئات الالوف من المسلمين من أوطانهم فهل بعد كل ذلك لم يحن وقت الجهاد ؟ وهل المسلمون يتثاقلون ولم يستجيبوا لنداء الحق (يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتهم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل . ألا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير) .

فالاسلام يدعو المسلمين للجهاد متى وقع الاعتداء عليهم ومتى غلبهم العدو على أرضهم وأوطانهم وأخرجهم منها بغير حق ، ويفرض الجهاد فى مثل هذه الحالة على كل مسلم ومسلمة فى كل بقعة من بقاع العالم الاسلامى ، ويكمل بذلك ايمانهم ، ويدخل فى زمرة المسلمين الصادقين قال قال الله تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) وما من مسلم يستشعر قلبه روح الاسلام ويؤمن بمقدسات الاسلام يمكن أن ينسى اعتداء اليهود على أوطان المسلمين عامة ، وعلى الأماكن المقدسة خاصة ، وما من مسلم يستشعر قلبه روح الاسلام يمكن أن ينسى خيانة اليهود مع رسول الاسلام الأعظم والمسلمين الأولين فى المواقع المتعددة كغزوة الاحزاب وأمثالها . وما من مسلم يستشعر قلبه وروحه للاسلام يمكن أن ينسى عداوة اليهود للاسلام والمسلمين منذ أن بعث رسول الاسلام ومنذ أن هاجر من مكة المكرمة ودخل المدينة المنورة ــ وما من مسلم يستشعر قلبه روح الاسلام يمكن أن ينسى نفاق اليهود مع رسول الاسلام والمسلمين الأولين كنفاق عبد الله بن أبى ــ وما من مسلم يستشعر قلبه روح الاسلام يمكن أن ينسى دسائس هذه القبيلة الغدارة قديما وحديثا كدسيسة

عبد الله بن سبأ قديما ودسيسة الصهيونية حديثـا وقرار بازمان ومعاهـدة سايكس بيكو ووعـد بلفور واغتصاب أرض فلسـطين واخرج أصحابهـا الشرعيين واشتراكها فى العـدوان الثـلاثى كعميلة للاستعمار واعتدائها الصارخ على الأرض المقدسة واحتلال القبلة الأولى منذ عامين وأكثر ـ فعلى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أن يتيقظوا ويلبوا لهذا النداء الكريم (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل) ولا ينسون قول رسول الاسلام الأعظم ((من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار)) وقال (حرس ليلة فى سـبيل الله أفضل من ألف ليلة بقيام ليلها وصيام نهارها) وقال (جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكـم وألسنتكم) وذلك تلبية للأخوة الاسلامية (انما المؤمنون أخوة) و (ترى المؤمنين فى تراحمهـم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

مستقبل الاسلام

فى ضوء المناهج الحضارية المتصارعة

من كلمة للأستاذ عبد الحليم عبد الفتاح عويس تحت هذا العنوان نقتطف ما يلى :

أصبح الفكر الاسلامى يمثل كأى فكر دينى مرحلة زمنية متخلفة تفوق عليها العلم الطبيعى وصار لزاما على حركات الفكر والثقافة والسياسة والاجتماع أن تتخطى هذا الدين باعتباره رؤيا تاريخية تدت الى مرحلة زمنية متخلفة ، ومع هذا أن خفتت الأصوات التى تنادى بالاسلام دينا ودولة ، مسجدا ومصنعا .. قانونا للأحوال الشخصية وللأصول الاجتماعية ، وصـارت كلمة الحكم بالقرآن رجعية فى نظر بعض الناس .

واذن .. فلا مجال لانكار مبلغ التحدى الحضارى .. الذى يواجهه الاسلام ، ولكى تنطلق القافلة الاسلامية من جديد .. نحو مستقبل قرآنى يطل على البشرية فى خضم صراعها الحيوانى الأسود ....

لكى تنطلق هذه القافلة من جديد لا بد لها من ((منهج قرآنى)) يستمد جذوره الحضارية من ذات المنهج الاسلامى ...

ولا بد أن يشتمل هذا المنهج على تصورين فى معركة التحدى الحضارى التى لا بد له أن يدخلها ... لا بد من ((تصور دفاعى)) يعتبر جسرا يقبع خلفه الفرد المسلم والمجتمع المسلم .. هذا الجسر يعطيه القدرة الواعية على استكشاف نواحى القصور فى المناهج الحضارية التى تقدمها المناهج المعاصرة ، وكيف أنها كلها أخطأت فى تصورها لحقيقة الانسان وتخبطت لذلك فى علاجه ، ونظرت كل منها اليه من زاوية واحدة .. أخذت تضخمها وتعمقها حتى عميت عليهـا الزاوايا الأخرى فبعض النظرات أو المناهج تعتبر الانسان ((كائنا اقتصاديا))وتتجاهل الجوانب الأخرى وتفسر بهذا المقياس كل تاريخ الانسان على الأرض .

ولن نستطرد فى ذكر عديد من التصورات الناقصة ـ فذلك موضعه اذا أتيح لنا أن نستمـر فى كتابة هذه المقالات بأذن الله .

لكننا هنا ـ فقط ـ نؤكد وجوب هذا ((التصور الدفاعى)) فى عملية البعث الاسلامى الوشيكة الوقوع ... أما التصور الثانى فهو بالطبع ((التصور الهجومى)) ... انها كأس الثقـة التى لا بد أن يشرب منها كل مسلم حضارى ... انها اقتناع المسلم بدوره القيادى فى الحياة بعيدا عن مجالات التأثير الشرقى أو الغربى .. انها الاستجابة لتلك الآية القرآنية الصريحة ((كنتم خير أمـة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)) وبدون هذه الراية الحضارية يفتقد الانسان المسلم عنصر الاصالة ، ويكون منطقة فراغ نفسى وفكرى وقلبى ، ويسقط سريعـا أمام أى غزو فكرى وحضارى زاحف ...)



الاعلام العربى

تحت هذا العنوان نشرت صحفية أخبار اليوم القاهرية حديثا للأستاذ المدير العام لمركز الدراسات التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية جاء فيه :

أنا أفهم أن المعركة مع العدو معركة حياة أو موت ، والاعلام هنا له دور أساسى فى كسب المعركة مثل بقية الأسلحة والوسائل الأخرى العسكرية والسياسية .

وحتى يكون اعلامنا العربى فعالا فى هذه المرحلة يجب أن تتوافر له هذه الشروط :

أولاً : يكون الاعلام مرنا (لأنه فى الماضى كان جامدا الى أقصى الحدود) بحيث يعطى الحقائق نفسها بأشكال مختلفة يتلائم كل منها مع الشعب الذى نوجه الاعلام له ...

ثانيا : أن يشدد الاعلام على ثورة الشعب الفلسطينى ، وحق هذا الشعب فى الثورة لتحرير وطنه بعد أن كان الاعلام فى الماضى يشدد على بشاعة حياة المخيمات ، ويحاول اثارة الشفقة ، وبالتالى كادت القصة تتحول من قضية جهاد قومى الى استجداء للعطف .

ثالثا : على الاعلام مثل سائر الوسائل الأخرى أن يوفق فى التخطيط والتنظيم ، وأن يخرج من دائرة العمل الفردى .

رابعا : الموضوعية فى الاعلام وكلما كان الاعلام أشد تمسكا بالحقائق وأكثر اعتمادا على المصادر الأساسية وأبعد عن العاطفية كانت نتائجه أضمن وخاصة لقضية فلسطين التى لا تشكو أبدا من الاثباتات بحق العرب ، ولكنها تشكو من عدم استخدام هذه الاثباتات ونشرها بين الناس .

وأنا أعتقد أن أنجح اعلامى عربى اليوم هو الفدائى الفلسطينى ، انه بعملية واحدة جريئة يخدم الاعلام العربى حول قضية فلسطين أكثر مما تفعله جميع مكاتب الاعلام معا لمدة طويلة .

وعلى رجال الاعلام العرب أن يستفيدوا من اهتمام الصحف والرأى العام الأجنبى بأنباء المقاومة المسلحة فى فلسطين .

والشىء الذى يجب أن نعمله بالتحديد الآن هو أن نبقى صامتين فى انتظار أن يأتى الينا أحد ، علينا أن نلاحق القوى بأكملها ، فمن كان جاهلا بالقضية نعطيه المعلومات اللازمة ، ومن كان معاديا نحاول أن ندرس لماذا هو ضدنا لنختار الوسائل التى تساعدنا على تعريفه واقناعه بالحقيقة .

ونحن فى مركز الأبحاث فكرنا فى اصدار كتاب مصور يعالج القضية الفلسطينية فى زاوية جديدة كيف ؟ ...

جميع الكتب المصورة التى صدرت من قبل كانت تركز على فظائع العدوان الصهيونى .. وخاصة اجبار شعب فلسطين على النزوح ... واستخدام النابالم ... والوحشية فى معاملة المعتقلين

ورأينا فى المركز أن القارىء الأوروبى قد مل هذه الصور لأنه ظل يشاهدها منذ عشرين سنة ، ولهذا أخرجنا كتابا به ١٦٠ صورة تمثل قضية فلسطين من جميع جوانبها : جمال الأرض قبل اغتصابها . تطلع الفلسطينين الى غد مشرق ، اقبالهم على العلم ، تصميمهم على الكفاح .

مثال آخر — وزعت بعض مكاتب الاعلام العربى صورا لفتيات اسرائيليات يرتدين المينى جوب والميكروجوب فى الأماكن المقدسة فى فلسطين المحتلة ، ولم تؤثر هذه الصور كثيرا فى الأوروبيين لأن الفتاة فى بريطانيا مثلا تذهب الى الكنيسة بهذه الثياب القصيرة .

وبدلن من ذلك نشرنا نحن صورة لجامع الخليل سنة ١٩٦٥ .. قبل الاحتلال .. الشيخ يقرأ من القرآن والمؤذن يدعو الناس للصـــلاة ، ثم نشرنا صـــورة أخرى لنفس المكان من الجامع وبه جندى اسرائيلى يصلى أمـــام شعارات يهودية ، وهـــذا الشىء يضـــايق الأوروبى جـــدا لأنه لا يوافق على الاستيلاء على أماكن مقدسة وتحويل الجامع الى معبد أو كنيسة .

وهكذا نستطيع أن نؤثر فيهم .

اسرائيل فى افريقيا

وتحت هذا كتبت مجلة الكويت تقول :

ماذا يريد الصهاينة من افريقيا ؟ وما هو سر الاهتمام البالغ الذى توليه المؤسسة العسكرية الصهيونية بشعوب القارة ، وهى تحاول عن طريق دعاياتها الكاذبة المبنية على التضليل والخداع التحكم بهم والسيطرة عليهم .

دراسة مستفيضة تضمنها كتاب (كيف يعيث عملاء اسرائيل فسادا فى القارة الافريقية ؟) الكتاب من تأليف الكاتب الغانى (توم تيتجاه) يحلل فيه الدوافع الحقيقية للنشاط المشوه لدولة تعيش على الاعانات والقروض المالية والتبرعات المختلفة ، ومع ذلك تعمل على التغلغـــل فى البلدان الافريقية عن طريق تقديم المساعدات المالية والقروض الطويلة الأمد .

وفى حماس ظاهر يكشف المؤلف عن تلك الأساليب الملتوية التى تتبعها (اسرائيل) للتسلل الى القارة الافريقية فيقول :

تلجأ اسرائيل الى شعار التحرر من الاستعمار البريطانى الذى قاست منه افريقيا والشعب الافريقى طيب يصدق هذه الأكاذيب الحية لخداع الشعوب ، اذ أن من وراء اسرائيل يتخذها قفازا تخفى به مخالبها الاستعمارية .. واقتصاد (اسرائيل) ، كما ثبت ، جزء لا يتجزأ من الاقتصاد الامبريالى العالمى ، ورغم أن هذه الدولة تدعى بأنها بلد صغير الا أن أكثر السلع التى تصدرها الى افريقيا هى سلع أمريكية أو بريطانية مشبوهة تصنع فى (اسرائيل) .

ويتحدث الكاتب فى هذه الدراسة عن المخابرات اليهودية ونشاط عصابات التجســـس والتخريبالصهيونية ويقول فى دراسته :

« من المؤكد أن المخابرات الاسرائيلية وعصابات الهاجاناه وأرجون زفاى لئومى وشتيرن هى المسئولة عن المذابح التى حولت شعب فلسطين المسالم الى شعب من اللاجئين » .

ويستشهد بأقوال (مناحيم بيجن) ، قائد عصابة أرجون زفاى لئومى ، فى كتابه (الثورة) « لقد خلقنا جوا من الرعب المجنون جعل أكثر من ٦٥٠ ألف عربى يفرون ، تاركين وراءهم كل شىء الأمر الذى كان له أهمية سياسية واقتصادية لا حدود لها » .

ويحذر الافريقين بقوله : « لقد فعلوا ذلك مع العرب ... وهم الآن يستعدون لارتكاب هذا العمل مع سائر الافريقيين .. و (اسرائيل) هى أسنان الامبريالية الحادة التى تريد أن تلتهـــم افريقيا بأسرها ، وهناك مؤامرات تركز اهتمامها لتشجيع هذا الالتهام الذى يريد لافريقيا أن تتحول الى مزرعة للمواد الخام تستغلها (اسرائيل) لاستعبادنا وافقارنا .

وفى ختام دراسته الواسعة حول التغلغل الصهيونى فى القارة الافريقية ، يتساءل الكاتب بألم :

هل هناك مفر من تحويل القارة الافريقية الى ترسانة للدول الاستعمارية ؟

ويجيب بحماس ... أجل ، هناك فرصة سانحة لدينا ... أن نتعاون جميعنا ضد العدو المتربص بنا ، وأن نغلق الباب فى وجه التغلغل الذى يسعى الى عبوديتنا ، وأن نستيقظ للخطر الذى يتهدد مصالحنا لنحول دون كارثة ستحطم حياتنا .



اعداد الاستاذ : عبد المعطي يومي

● الكويت : غادر صاحب السمو أمير البلاد المعظم أرض الوطن الى لبنان الشقيق فى زيارة خاصة للراحة والاستجمام .

● قام سعادة الشيخ سعد العبد الله وزير الداخلية والدفاع بزيارة الى سوريا فى الشهر الماضى وقد سلم سعادته الرئيس السورى رسالة من سمو أمير البلاد المعظم كما سلم رسالة أخرى للرئيس اللبنانى أثناء زيارته لبنان .

● صدر مرسوم أميرى بتعيين فضيلة الشيخ عبد الرحمن عبد الوهاب الفارس وكيلا مساعدا لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ، وفضيلته متخرج فى كلية الشريعة بالأزهر .

● رشحت وزارة التربية الطلاب الذين يرغبون فى الحصول على المنح الدراسية التى قدمتها باكستان وعددها ٤٠ منحة .

● تدرس وزارة التربية اقتراحات برلمانية بانشاء معهد دينى ابتدائى فى كل محافظة ومعهد دينى ثانوى ومعهد دينى للفتيات تدعيما للرسالة التى يقوم بها المعهد الحالى فى نشر الاسلام والحفاظ على القرآن والسنة .

● تبحث جامعة الكويت اقتراحا يقضى بقبول الجزء الأكبر من نسبة العشرة بالمائة المخصصة لغير الكويتيين فى العام الدراسى الجديد من الطلبة الفلسطينيين وخاصة أبناء الشهداء .

● تتضمن خطة وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية للسنوات القادمة بناء حوالى مائة مسجد جديد وترميم المساجد القائمة .

● القاهرة : ألقى الرئيس عبد الناصر خطابا يوم ٢٣ يوليو الماضى أعلن فيه أن القوات العربية أصبحت مستعدة لبدء عملية التحرير وان حقنا وواجبنا لا تحرير سيناء وحدها وانما تحرير القدس والارض العربية المحتلة .

● ستقبل جامعة الازهر فى العالم الدراسى القادم ٣٧٩٥ طالبا من الحاصلين على ثانوية الازهر والثانوية العامة وقد تقرر أن تقبل الجامعة بصفة خاصة زيادة قدرها ٢٠٪ .

● أنشىء فى قرية « أبو حماد » شرقية معهد دينى تكلف بناؤه عشرة آلاف جنيه تبرع بها الشعب وسيقوم الازهر بامداد المعهد بالمدرسين أوائل العام الدراسى القادم .

● أنشىء بوزارة الاوقاف مكتب دينى مثلت فيه سائر الهيئات الاسلامية فى الجمهورية العربية المتحدة .

● السعودية : بعثت رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة برقية احتجاج الى السلطات العنصرية فى جنوب افريقيا لقيام هذه السلطات باعتقال الشيخ عبد الله هارون لالقائه خطبة عن المساواة والاخوة فى الآلام .

● اعتمد معالى وزير المعارف خطة لنشر التوعية الدينية فى المراكز الصيفية لرعاية الشباب

● الاردن : من المنتظر أن تخرج مسيرة اسلامية تمثل فيها كل الدول الاسلامية من عمان الى القدس متخطية خطوط وقف اطلاق النار وتجرى الترتيبات بين الهيئات الاسلامية لتنفيذ هذه المسيرة عقب موسم الحج مباشرة .

● أعلن السيد ياسر عرفات رئيس منظمة تحرير فلسطين فى مؤتمر العمال الفلسطينيين أنه استشهد ٦ آلاف فلسطينى فى الارض المحتلة منذ يونيو ٦٧ وأسر ١٥٠٠٠ منهم ١٥٠٠ سيدة .

● العراق : أعلن الرئيس العراقى أحمد حسن البكر أن العراق منصرف انصرافا كليا الى تدعيم الجبهة الشرقية مع العدو الاسرائيلى والتنسيق بينها وبين الجبهات العربية وقد عزز العراق قواته فى هذه الجبهة .

● سوريا : تقوم سلطات الأمن السورية بحملات واسعة لمطاردة الشباب الذين يرسلون شعورهم للقضاء على روح التخنث التى أخذت تتسرب الى بعض الشباب المائعين .

● لبنان : ما زالت الازمة الوزارية فى لبنان قائمة منذ أربعة أشهر .

● وزعت وزارة العدل على المحاكم اللبنانية منشورا يطالب المحاكم بضرورة مراعاة أوقات الصلاة أما بتأجيل الجلسات حين الصلاة أو عدم تعيين جلسات أصلا للمسلمين يوم الجمعة .

● السودان : صرح السيد بابكر عوض الله رئيس الوزراء انه قد بدأت فعلا اعادة تنظيم القوات المسلحة السودانية من أجل ازالة آثار العدوان الاسرائيلى .

● ليبيا : أعلن مدير المدارس القرآنية بالجامعة الاسلامية أن اقبال الفتاة الليبية على التعليم الدينى قد سجل ارتفاعا ملحوظا ويبلغ عدد مدارس البنات ١١ مدرسة بها ما يزيد عن ٦٠٠ طالبة وسيفتح معهد للبنات فى بنغازى فى العام الدراسى القادم .

● تونس : دعت حكومة تونس وفدا من منظمة التحرير الفلسطينية للتشاور حول تدعيم العمل الفدائى .

● الجزائر : شنت الحكومة حملة لمهاجمة التسول وأهابت بالمواطنين أن يدفعوا الزكاة والصدقات الى مركز الاصلاح الاجتماعى لايجاد الوظائف وسبل العمل للطبقات الفقيرة فى المجتمع .

● المغرب : فى مقابلة تمت أوائل الشهر الماضى بين جلالة الملك الحسن وبين وزراء التربية فى دول المغرب العربى قال جلالته : انه من الاهمية بمكان أن نعلم فى مدارسنا مبادىء الاسلام الحنيف وأكد ايمانه الشخصى بوجوب تنفيذ ذلك .

● باكستان : افتتحت منظمة التحرير الفلسطينية مكتبا لها فى الباكستان وقد أشادت احدى الصحف الهندية الاسلامية بهذا العمل وأهابت بفتح مكتب للمنظمة فى الهند قائلة انه لن يسبق شباب المسلمين فى الهند أحد فى القتال مع اخوانهم العرب .

● ماليزيا : تقوم حكومة ماليزيا بتوجيه الدعوة الى الدول الاسلامية لحضور المؤتمر السياسى الخاص بمناقشة وضع مدينة القدس ووسائل تخليصها من الاحتلال الاسرائيلى

أخبار متفرقة

بلجيكا — وقعت الحكومة البلجيكية عقد تنازل عن البناية الشرقية فى الحديقة الخمسينية فى بروكسل لاقامة مسجد ومركز اسلامى ثقافى .

● باريس : تكلفت أبحاث الفضاء منذ سنة ٦٠ (٢٥) ألف مليون دولار وصرح عضو اللجنة الاكاديمية الفرنسية أن النزول على أرض القمر ترف يمكنه الانتظار .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبـول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ــ ٧ شارع الصحافـة
مكة المكرمـة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص ب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء
الريـاض : مكتبة مكة شارع الملك عبد العزيز ــ السيد أحمد باصريح
الطائـف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ ص ب ٢٢
جـدة : الدار السعودية للنشر ــ ص . ب : ٢٠٤٣
بغـداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطـر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عـدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد
المـكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحـدودة
دبـى : ساحل عمان ــ ص ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـة ــ السيد رجا العيسـى
دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات ص ب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : مكتبـه بحـرى ص.ب ٥

مراكـش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى
ليبـيا : طرابلس الغرب ص ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية ص ب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



* كاتب ومفكر اسلامى معاصر ، ولد باسوان فى ٢٨ يونية سنة ١٨٨٩ وتوفى بالقاهرة ثم دفن فى أسوان فى ١٢ مارس سنة ١٩٦٤ ..
* اقتصر تعليمه الرسمى على الشهادة الابتدائية ، ولكنه كان قارئا نهما ويكفى للتدليل على ذلك انه ترك مكتبة ضخمة تقدر بحوالى ٢٢٫٠٠٠ مجلد فى مختلف العلوم والفنون على معظم هوامش كتبها تعليقات واشارات ..
* حاول اليهود اغتياله فى مدينة القدس سنة ١٩٤٥ لانه كان من اسبق الكتاب العرب إلى كشف مخططاتهم ضد العرب والاسلام ..
* كانت حياة العقاد شطرين : شطرا شغلته فيه مطالب السياسة والتطاحن الحزبى فى مصر ، فشغله ذلك عن التاليف بعامة والتاليف فى الاسلاميات بخاصة . ثم لما خرج من ذلك الصراع المرير اخرج كتبا إسلامية جليلة الخطر اشهرها : —
  - حقائق الاسلام وأباطيل خصومه
  - التفكير فريضة إسلامية
  - ما يقال عن الاسلام
  - الديموقراطية فى الاسلام
  - الاسلام والشيوعية
* ثم أصدر بعد ذلك سلسلة من كتب العبقريات الاسلامية نالت رواجا منقطع النظير وطبع بعضها أكثر من عشرين طبعة واشهرها : —
  - عبقرية محمد
  - عبقرية الصديق
  - عبقرية عمر
  - عبقرية الامام
  - الصديقة بنت الصديق
  - داعى السماء بلال بن رباح
  - عبقرية خالد

  وهذه العبقريات ليس ترجمات لحياة هؤلاء العظماء ، ولا هى سرد لحوادث حياتهم أو عصرهم وإنما هى تصوير لشخصياتهم ، يجلو خفاياها ويحدد معالمها فى ضوء علم النفس الحديث والمنطق ، ويبين أثر الاسلام فى خلق هذه العبقريات ويربو كتب العقاد الاسلامية على خمسين كتابا ..
* تمتاز كتابات العقاد بالقوة والوضوح والتركيز ..

العوضى الوكيل

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت



السنة الخامسة ــ العدد ٥٥ رجب ١٣٨٩ هـ ــ ١٣ سبتمبر « أيلول » ١٩٦٩ م

فليقاتل في سبيل الله الذين
يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة
ومن يقاتل في سبيل الله
فيقتل او يغلب فسوف
نؤتيه اجرا عظيما صدق الله العظيم

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة الخامسة

العدد الخامس والخمسون

رجب ١٣٨٩ هـ

١٣ سبتمبر « أيلول » ١٩٦٩ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

البلد	السعر	العملة
الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		فرنك وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
(أما الافراد فيشتركون رأسا)
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت



بسم الله الرحمن الرحيم



في السابع والعشرين من هذا الشهر تحل الذكرى الثالثة الحزينة للاسراء والمعراج والمسجد الاقصى ـ أولى القبلتين وثالث الحرمين ـ أسير مكبل في يد الأعداء ، والمسلمون في جميع انحاء الارض حين يحتفلون بهذه الذكرى لا نجد الا كلاما منمقا ، وآمالا عراضا .. ومسرى الرسول ومعراجه في يد عدوهم . ولما يعملوا عملا حاسما شجاعا لفك أسره وتحريره .

وصدقوني اذا قلت لكم انني حين اردت الكتابة في هذه الذكرى ، احتبست الكلمات ، وجف القلم ، كما جفت الدموع ، لاحساسي ان الفاجعة أكبر من كل كلام ، فهي ليست مجرد وقوع أرضنا والمسجد الأقصى في يد عدونا ، ولكنها تكمن حقيقة في النفوس التي صنعت هذا الواقع المر ، والتي لا تزال كما هي حتى الآن !! ..

ولهذا لم أجد خيرا من كلمات اهديها في هذه المناسبة الى الامة المسلمة ، والى ولاة الامر فيها

جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وشكى اليه القحط والجدب ، وقال له : يا أمير المؤمنين قحط المطر ، وقنط الناس .. فقال له عمر رضي الله عنه : مطرتم اذن . وقرأ قوله تعالى « وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد »

وفي هذا قيل يقول الله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » فهل فيه : اذا اشتد الكرب هان ؟ . قيل : نعم .. قوله تعالى « وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته » . وقوله : « ان مع العسر يسرا » ، فانه سبحانه يبتلي عباده بالشدائد ، جزاء على اعمالهم ، وتطهيرا لنفوسهم ، حتى اذا تنبهوا لنقائصهم وأصلحوها ، بدل الله عسرهم يسرا ، وخوفهم أمنا ، وان استمروا في طغيانهم وضلالهم أجرى عليه سنته وانزل بهم نقمته ، وسلط عليهم بذنوبهم من لا يرحمهم ، « وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون »

ذلك لأن « الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، وقد بين لنا سبحانه عاقبة الانحراف عن سنته في قوله « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » واذا كنا الآن نعاني من الشدائد منتهاها من

داخلنا وخارجنا ، فبما كسبت أيدينا ، واذ كنا نرجو من خلال ذلك فرجا ، فيجب ان نمهد له بالعمل السليم ، لا بالكلام الاجوف .

ذلك ما يجب على كل واحد منا ــ صغيرا أم كبيرا ــ أن يفكر فيه ، فان سنة الله جارية ، وكل عمل له نتائجه فى الدنيا والآخرة ، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

ومن سنن الله فى عباده ما يقرره الرسول صلى الله عليه وسلم « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله ان يعمهم جميعا بعذاب منه » « وهذا هو مفهوم قوله تعالى » « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة »

ذلك لأن المفسدين اذا لم يجدوا من ينصحهم ، أو يردعهم ازدادوا عتوا وفسادا ، وتعكر بذلك صفو الحياة ، واختل ميزان العمل فيها ، وعانت الامة من ذلك الجهد والبلاء .

فاذا رأى المسلمون أنفسهم فى شدة ، فهم الذين صنعوها بأيديهم ، وهم ــ وحدهم ــ الذين يستطيعون تغييرها . وهم وما يريدون ، وما يعملون .

ومفتاح الخير للأمة صنفان من أبنائها يحدثنا الرســول صلى الله عليه وسلم عنهما فيقول » « صنفان من أمتى اذا صلحا صلح الناس ، واذا فسدا فسد الناس : العلماء والأمراء »

وقد وضع الرسول العلماء فى الدرجة الاولى ، لان عليهم واجب البيان الصحيح ، والارشاد السليم ، وتقرير الحق دون تزييف . وعلى الأمراء واجب التنفيذ لحكم الله الذى يبينه العلماء ، دون ضيق بهم ، لأنهم لا يخترعون شيئا من عند أنفسهم ، ولكنهم ينطقون بحكم الله .. ومن هنا كانت مسئولية العلماء وأصحاب السلطة أمام الله عظيمة .. لان فى أيديهما مصير الأمة ..

وفى هذا نسوق محاورة وقعت بين أحد العلماء وأحد الخلفاء العباسيين ، تركت لنا هذه العبرة البالغة ، أو هذه الدرة الثمينة ، التى نهديها الى العلماء والى الأمراء ولاة الأمور :

قال الخليفة لعالم دخل عليه : عظنى ..

فقال له العالم : يا أمير المؤمنين لأن تصحب من يخوفك ، حتى تبلغ الأمن، خير لك من أن تصحب من يؤمنك حتى تبلغ الخوف » .

.. حكمة ما أغلاها .. وجدير بكل واحد منا أن يعرفها ، ويتخذها منهجا له فى حياته ، فالكثير منا قد يبتلى بطائفة من المتملقين ، أو من هيئة المنتفعين ، فيسدون عليه منافذ الحق ، ويزينون له الباطل ، أو يسايرونه فى أهوائــه ، ارضـــاء له ، وكسبا لمراكز حوله دون أن ينبهوه الى الصـــواب ، فيزجوا بــه الى العاقبة السيئة فى الدنيـــا وفى الآخرة ، ويدفعوه هو ومن يرعاهــم الى الهاوية !! واذا كان يقال : ان كل واحد منا كالسوق ، يجلب اليــه ما يروج عنده ، فان من الضرورى على ولى الامر الحكيم ، المؤمن بربه ووطنه ، أن يحذر المنافقين ، ويتعامل فى تجارة لن تبور ، ويؤثر ما عند الله على ما عند الناس .

وقد قيل « رحم الله امرءا أهدى الى عيوبى » لأنه اتاح لى الفرصـــة لأصلاحها ، والناصح كالنور الاحمر ، ينبه المارة الى الخطر الــذى أمامهــم ليتجنبوه .. وبدونه يتردون فى الهاوية ..

ذلك مقام الناصح الذى يجب أن يعرفه هو ، وان يعرفه الناس له ،

فيشكروه ولا يعنفوه ، وذلك من أجل مصلحتهم قبل مصـــلحته ، فهم الـــذين سيستفيدون أولا من نصيحته ويقول الرسول الكريم عليه أفضل الصـــلوات والتسليم فى هذا ((اذا أراد الله بالأمير خيرا جعل الله له وزير صدق ، ان نسى ذكره ، واذا ذكر أعانه ، واذا أراد به غير ذلك جعل الله له وزير سوء ، ان نسى لم يذكره ، وان ذكر لم يعنه))

وفى هذا نسوق حادثة وقعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين فى أثرها واجب الناصحين ، لا سيما اذا كانوا حول كبير ، بيده السلطان ..

فقد جاء رجل الى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، يطالبه بدين لـــه عليه ، وأغلظ الرجل للرسول فى القول ، حين بدأ حديثه معه بقوله ((انكـــم يا بنى هاشم قوم مطل)) تماطلون فى سداد الديون التى عليكم ، وتعدى الرجل بقوله هذا حدود المطالبة ، وكان عمر رضى الله عنه بجانب الرسول ، فلم تتحمل نفسه مثل هذه الخشونه ، واستأذن الرسول فى أن يضرب عنقـــه ، فقال له الرسول الحكيم المربى الأعظم ــ وهنا مكان الشاهد ــ : ((لقد كنا أحوج الى غير هذا منك يا عمر : تنصحه بحسن القضاء ، أى المطالبة ، وتنصحنى بحسن الأداء)) .

والرسول عليه الصلاة والسلام بهذا يعلم عمر ، وكل ناصح ومشـــير لا سيما اذا كان يحيط باصحاب الكلمة النافذة ــ أن يتوخى الدقة فى نصحه ومشورته ولم يكن عمر صاحب هوى ، ولكنه كان غيورا ..

وفى هذا ايضا نسوق موقفا عظيما للخليفة العادل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، من الجدير بكل واحد منا ان يتأمله ، ويتخذه منهجا له فى حياته :

كان رضى الله عنه يسير ومعه بعض أصحابه .. فقابلته امرأة فى الطريق واستوقفته وقالت له : ــ لقد كنت عميرا ، ثم أصبحت عمر ، ثم صرت أمير المؤمنين ، فاتق الله واعدل فى رعيتك))

وسمع عمر مقالة المرأة ، ووعاها جيدا ، وأخذ يبكى حتى ابتلت لحيته .. يبكى لما حباه الله من فضل ، وما حمله من مسئولية ، لم ينم عنها ، ولكن ذكرته الناصحة بها ..

فقال لها أصحابه ــ وقد اخذوا بجلال الموقف ، وما صار اليه الخليفة : كفى يا أمة الله ، فمن يعدل اذا لم يعدل أمير المؤمنين ؟ !

فالتفت اليهـــم عمر ، وكأنه أحس فيهم الرغبة فى لوم المرأة النـــاصحة ، لأنها تقول للخليفة : اتق الله ، وقال لهم يعلمهم ، ويعلم الدنيا كلها من بعدهم : ((دعوها ، فلا خير فيكم اذا لم تقولوها ، ولا خير فينا اذا لم نقبلها)) .

وفى هذهالكلمات القصار بين الخليفة العادل واجب الرعية ، وواجب الراعى ، ووضح الاساس الاصيل المتين لصلاح الامم ، وازدهار الخير فيها .

نعم .. وبدون هذا لا يصلح حال أمة ، ولا يرجى للخير فيها ازدهار .

ترى .. هل من سميع أو مستجيب ؟ !!

عبدالمنعم النمر

مدير ادارة الدعوة والارشاد



ثبت أن رســـول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا مـــا تيسر منه » .

وقـــد كان الصحابة ـــ رضـــوان الله عليهم ـــ يقرءون القرآن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أوجه مختلفة فى بعض الآيات ، ومما يدل على ذلك ما رواه سيدنا عمر بن الخطاب ـــ رضى الله عنه ـــ قال : سمعت هشـــام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئنيها رســـول الله ، فكدت أســـاوره فى الصلاة ، وتصبرت حتى سلم فلببته بردائه ، وانطلقـــت به أقـــوده الى رسول الله ، فقلت : يا رسول الله . انى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها ، فقال رسول رسول الله : أرسله . اقرأ . فقرأ القراءة التى سمعته يقرأ ، فقـــال رسول الله : « هكذا أنزلت » ، ثـــم قال لى : اقرأ ، فقـــرأت ، فقـــال : « هكذا أنزلت » . ثم ذكر الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ الحديث الذى افتتحنا به هذه الكلمة .

ولم يرد عن رسول الله ، ولا عن أحد من الصحابة نص فى معنى هذه الأحرف السبعة ، ولذلـــك اختلـــف العلماء فى المراد منها ، ولعل مـــن أسباب اختلافهم هـــذا اختلافهم فى معنى كلمة (حرف) ، فمن معانيه الطرف والوجه ، وشاهد ذلك قوله تعالى : « ومن الناس من يعبد الله على حرف »(١) ، أى عـــلى وجـــه واحد ، وهو أن يعبده فى السراء دون

(١) من الآية ١١ سورة الحج .

الضراء ، أو في الضراء دون السراء ، ومنها الكلمة المنظومة ، فان العرب تسميها حرفا ، والحرف يقع أيضا على المقطوع من الحروف الهجائية ويطلق الحرف على المعنى .

وقد اختلف العلماء في فهم المراد من هذا الحديث النبوى على خمسة وثلاثين قولا ، أشهرها ثلاثة :

١ ــ ذهب بعضهم الى أن المراد التوسعة على القارىء ، ولم يقصد الحصر ، وذلك لأن العدد سبعة يستعمل كثيرا في اللغة العربية ، والمراد منه التكثير .

٢ ــ أن المراد سبع لغات لسبع قبائل من العرب ، وهذه اللغات السبع متفرقة في القرآن ، فبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة تميم . . . وهكذا وأكثره بلغة قريش .

وأنكر ابن قتيبة ، وجماعة من العلماء ، هذا الوجه ، وقالوا : لم ينزل القرآن الا بلغة قريش ، لقوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » .

وقال ابن حيان : قيل : أقرب الاقوال الى الصحة أن المراد سبع لغات .

٣ ــ المراد سبعة أوجه من المعانى المتفقة بالالفاظ المختلفة نحو : أقبل ، وهلم ، وتعال ، وعجل ، وأسرع ، وأنظر ، وأخر ، ونحو ذلك .

قيل : وعلى هذا القول أكثر أهل العلم .

والسر في نزول القرآن على أحرف سبعة التيسير على من يقرءون القرآن من العرب ليقرأ كل عربى بلغته التى لا يستطيع أن يحيد عنها ، لأن طبعه ثبت على النطق بها ، وهذا بعض ما يفسر به قول الله تعالى : « ولقد يسرنا القرآن للذكر »(٢) .

وأكثر العلماء على أن هذا التيسير كان في العهد الاول فقط استجابة للضرورة التى اقتضته ، وهو استحالة أن ينطق العربى بغير لغته، فلما مرنت الألسنة على النطق بألفاظ القرآن اقتصر على حرف واحد ، ونسخ ما عداه ، والذى بقى هو الذى نقرأ عليه الآن ، وقد كان هذا النسخ في العرضة الاخيرة ، فقد كان جبريل عليه السلام يعارض النبى القرآن مرة كل سنة ، فلما كانت السنة التى توفى فيها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ــ عارضه جبريل مرتين ، واقتصر على هذه القراءة التى تلقاها الناس .

ثم جاء سيدنا عثمان بن عفان فكتب المصاحف مقتصرا على هذا الحرف ، وكانت القراءات المتواترة على هذا الحرف أيضا ، وهذا هو رأى (الطبرى) ، وتبعه فيه عدد من العلماء .

وأصحاب هذا الرأى يرون أن الأحرف السبعة غير القراءات السبع ، ويرى الامام الزركشى أن (الأشبه بظواهر الأحاديث أن المراد بهذه الأحرف اللغات ، وهو أن يقرأ كل قوم من العرب بلغتهم ، وما جرت عليه عادتهم من الاظهار والادغام والامالة والتفخيم والاشمام ، والهمز والتليين والمد ، وغير ذلك ، من وجوه اللغات الى سبعة أوجه منها فى الكلمة الواحدة) ثم يقول : (وهذه الوجوه هى القراءات السبع التى قرأها القراء السبعة ، فانها كلها صحت عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو الذى جمع عليه عثمان المصحف ، وهذه القراءات السبع اختيارات أولئك القراء ، فان كل واحد اختار فيما روى وعلم وجهه

---

(٢) من الآية ١٧ من سورة القمر .

من القراءة ما هو أحسن عنده والاولى ولزم طريقة منها ورواها ، وقرأ بها واشتهرت عنه ، ونسبت اليه ، فقيل : حرف نافع ، وحرف ابن كثير ، ولم يمنع واحد منهم حرف الآخر ، ولا أنكره ، بل سوغه وحسنه ، وكل واحد من هؤلاء السبعة روى عنه اختياران أو أكثر ، وكل صحيح (١)) .

. . . .

وقد بقيت آثار هذه اللغات فى القراءات ، فمثلا :

١ — اذا أضيف الاسم المقصور الى ياء المتكلم بقيت ألفه على حالها ما لم يكن قبلها ياء . يقال : فتاى وعصاى . هذا هو الشائع المستعمل فى القبائل العربية ، لكن (هذيلا) — وهى قبيلة سيدنا عبد الله بن مسعود — تقول : فتى وعصى — بتشديد الياء فيهما — ، وقد قرىء قوله تعالى : « قال هى عصاى أتوكأ عليها »(٢) : « قال هى عصى » وقرىء قوله تعالى : « فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون(٣) » « فمن تبع هدى » بتشديد الياء .

٢ — الفعل أو الاسم المنتهى آخره بياء مكسورة ما قبلها تشبع حركته ، وهى الكسرة فى وصل الكلام ووقفه ، تقول : يقضى القاضى .. هذا هو المعروف فى قبائل العرب ، ما عدا هذيلا فانها تجتزىء بالكسرة عن الياء فى الوصل ، وعلى ذلك جاء فى قراءة سبعية : « قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا »(٤) « يوم تأت كل نفس تجادل عن نفسها(٥) » . « والليل اذا يسر هل فى ذلك قسم لذى حجر(٦) » . « وهو الكبير المتعال . سواء منكم من أسر القول ومن جهر به(٧) » . « الذين جابوا الصخر بالواد . وفرعون ذى الأوتاد(٨) » .

٣ — الفعل (حسب) بمعنى ظن من باب (علم) فى لغة تميم ، وعلى وزن (ورث) عند الحجازيين ، وبعض القراء يقرأ مضارع هذا الفعل بفتح السين ، وهم ابن عامر ، وحمزة ، وعاصم ، والباقون يقرءونه بكسر السين على لغة الحجازيين .

وسنعرض لوجوه أخر من وجوه القراءات فى نهاية هذا البحث .

. . . .

وقد اتفق العلماء على أن اللغة التى شرفها القرآن بأن ينزل بها من بين لغات العرب هى لغة قريش ، ولم نجد لأحد من العلماء خلافا فى ذلك ، ولا ارتيابا فيه ، فهو أمر تواتر نقله ، واشتهر بين العلماء ، والخلاف انما هو حول نزول القرآن كله بهذه اللغة ، أو نزول أكثره بها .

ومن الأدلة على أن القرآن نزل بلغة قريش :

١ — ما ذكروا من أن سيدنا عثمان — رضى الله تعالى عنه — حين رأى اختلاف الناس فى القراءة ، وخاف عاقبة ذلك فيمن يخلف من القرون رأى أن يجمع الناس على قراءة واحدة ، ويريدهم على مصحف يأخذون عنه ، ويحتكمون اليه فدعا

---

(١) البرهان فى علوم القرآن جـ ١ . ص ٢٢٧ .
(٢) من الآ ية ١٨ من سورة طه .
(٣) من الآية ٣٨ من سورة البقرة .
(٤) الآية ٦٤ من سورة الكهف .
(٥) من الآية ١١١ من سورة النحل .
(٦) سورة الفجر .
(٧) من الآية ٩ ، ١٠ من سورة الرعد .
(٨) من سورة الفجر .

الصحابة الاجلاء زيد بن ثابت الانصارى ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وسعيد بن العاص القرشيين ، وقال لهؤلاء الثلاثة ــ بعد أن دفع اليهم الصحف التى جمعت فى عهد أبى بكر ــ رضى الله عنه ــ : ما اختلفتم فيه أنتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش فانه نزل بلغتهم .

٢ ــ وقد اختلفوا على كتابة كلمة (التابوت) فى قوله تعالى : « ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة(١) » فقال زيد : (التابوه) بالهاء ، وقال القرشيون : (التابوت) بالتاء المفتوحة ، فلما رفعوا أمرهم الى عثمان أمرهم أن يكتبوه بالتاء لأنه كذلك لغة قريش .

٣ ــ ما روى عن سيدنا عمر بن الخطاب من قوله : لا يملين فى مصاحفنا الا غلمان قريش أو ثقيف .

٤ ــ ما تواتر نقله عن العلماء ، وهذا النقل قد توفرت له كل أسباب الصدق والثقة ، فقد كان العلماء يتحرون فيه كل التحرى ، ويأخذونه بكل حيطة وحذر لأنه يتصل بالمصدر الأول للشريعة الاسلامية ، وقد كان كل جهادهم فى حياتهم أن يصونوا هذه الشريعة ، وأن ينفوا عنها كل شائبة .

ومن الأدلة على أن فى القرآن الفاظا ليست من لغة قريش ، وقد قيل أن فيه من أربعين لغة عربية على ما ذكره (الواسطى) الذى عدد القبائل التى ورد شىء من لغاتها فى القرآن :

١ ــ ما روى صفوان بن سالم انه سمع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقرأ (يحيى) بالإمالة فقيل له : يا رسول الله . تميل ، وليس هو لغة قريش ؟ فقال : هى لغة الاخوال بنى سعد .

٢ ــ ما روى عن الحسن قال : كنا لا ندرى ما الارائك حتى لقينا رجل من أهل اليمن فأخبرنا أن الاريكة عندهم : الحجلة فيها سرير .

٣ ــ وما روى عن عكرمة عن ابن عباس ــ وهو قرشى ــ قال : ما كنت أدرى ما قوله تعالى : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين (٢) » حتى سمعت ابنة ذى يزن الحميرى ، وهى تقول : أفاتحك ، تعنى : أقاضيك ، ــ وفى سورة السجدة : « متى هذا الفتح ان كنتم صادقين » أى : متى هذا القضاء .

وما روى عن ابن عباس أيضا من قوله : ما كنت أدرى ما فاطر السموات والارض حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ، يعنى ابتدأت حفرها .

٤ ــ ما روى من أن محمد بن مناذر الشاعر نزل مكة ، فقال له أهلها : ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة ، انما الفصاحة فى أهل مكة ، فقال ابن مناذر : أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن ، وأكثرها موافقة له ، فضعوا القرآن ــ بعد هذا ــ كيف شئتم : أنتم تسمون القدر (برمة) وتجمعونها على (برام) ، ونحن نجمعها على قدور ، قال الله تعالى : « وجفان كالجواب وقدور راسيات(٣) » ، وأنتم تسمون البيت اذا كان فوق البيت (علية)

---

(١) من الآية ٢٤٨ من سورة البقرة .

(٢) من الآية ٨٩ من سورة الأعراف .

(٣) الآية ١٣ من سورة سبأ .

وتجمعون هذا الاسم على (علالى) ونحن نسميه (غرفة) ونجمعها على (غرفات) و (غرف) وقال الله تبارك وتعالى : « لهم غرف من فوقها غرف مبنية(١) » . « وهم فى الغرفات آمنون(٢) » . الى أن عدد عشر كلمات .

ومن الكلمات التى نص العلماء على أنها ليست من لغة قريش كلمة (يلتكم) فى قوله تعالى من سورة الحجرات : « وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا) أى : لا ينقصكم ، وقد قالوا ان هذه الكلمة من لغة بنى عبس .

ولم يقف هذا الخلاف عند الكلمة والكلمتين أو الكلمات ، بل كان القرآن الكريم يرفض الاصل من أصول اللغة القرشية ، وينزل بغيره ، ومن ذلك أن قريشا لم تكن تهمز فى كلامها ، وانما كانت لغتها التخفيف ، جاء فى مقدمة لسان العرب . قال أبو زيد : أهل الحجاز ، وأهل مكة والمدينة وهذيل لا ينبرون (النبر : الهمز) . وجاء رجل الى النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال له : يا نبىء الله فقال عليه السلام : لا تنبر باسمى . انا معشر قريش لا ننبر .

وروى عن على بن أبى طالب — كرم الله وجهه — أنه قال : نزل القرآن بلغة قريش ، وليس من لغتها النبر ، ولولا أن جبريل عليه السلام نزل بالهمز ما همزنا .

ولما حج المهدى الخليفة العباسى ، ودخل المدينة قدم الكسائى العالم النحوى المعروف ليصلى بالناس فقرأ بالهمز ، فأنكر عليه أهل المدينة ، وقالوا أتنبر فى مسجد رسول الله القرآن (من غير همز) ؟

وهذا الخبر يدل على أن أهل المدينة الى عهد المهدى (١٥٨ — ١٦٩ هـ) كانوا ينكرون الهمز ، وينكرون على من يقرأ به القرآن ، ولكن المروى عن سيدنا على يدل على أن القرشيين نطقوا بالهمز بعد نزول القرآن ، ولعل المخرج من هذا التناقض الظاهرى أن من طاوعه لسانه ممن لا يهمزون همز ، ومن بقى على طبعه جافيا على ما كان عليه ، وثبت لسانه على سليقته بقى على لحنه الاول ، وقد كان الذين أنكروا على الكسائى من أهل المدينة من الفريق الثانى .

وربما كان الأكثر فى القرآن لغة غير القرشيين ، فهو ينزل بها وبغيرها ، ولكنه يكون بلحن غيرها أكثر ، كما ذكروا فى ضم هاء الغائب اذا كان قبلها ياء أو كسرة ،فهذه لغة قريش ، وبها قرأ حفص : « وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره(٣) » « وبما عاهد عليه الله(٤) » وقرأ حمزة : « فقال لأهله امكثوا (٥) » .

ولغة غيرهم الكسر ، وهو فى القرآن أكثر .

كما ذكروا فى كلمتى براء وبرىء فان الأولى لغة قريش ، ومن ذلك قوله تعالى : « واذ قال ابرهيم لأبيه اننى براء مما تعبدون(٦) » . وبنو تميم وغيرهم من العرب يلتزمون

---

(١) ٢٠ سورة الزمر .
(٢) ٣٧ سورة سبأ .
(٣) ٦٣ سورة الكهف .
(٤) ١٠ سورة الفتح .
(٥) ١٠ سورة طه .
(٦) ٢٦ سورة الزخرف .

الثانيـــة ، وهى فى القـــرآن أكثـــر استعمالا ، قال تعالى : « ان الله برىء من المشركين ورسوله[1] » . وقد وردت فى القرآن فى أحد عشر موضعا .

وكثيرا ما تكون لغـــة قريش هى الكثرة الكاثرة ، ســـواء من ناحيـــة استعمال المفردات ، أو من ناحيـــة اتباع القواعد .

فمن ذلك أن الزام المثنى الألف فى جميع أحواله لغة قبائل من العرب ، منها بنو الحارث بن كعب ، وزبيـــد ومراد وعذرة ، وبطون من ربيعـــة وبكر ، وبنو الهميم من تميم — وهى لغة غير مشهورة — ولكن القـــراءة المشهورة فى بعض الآيات جـــاءت على هذه اللغة ، وذلك فى قولـــه تعالى : « ان هذان لساحران[2] » ، ولكن كل ما جاء من المثنى فى القرآن غير هذا فالمشهور فيه استعمـــال المثنى بالالف فى حالة الرفع ، وبالياء فى حالتى النصب والجر ، وان قرىء فى بعض الآيات على غير المشهور كما فى قوله تعالى : « وكان أبواه مؤمنين[3] » من سورة الكهف ، وقد قرىء (مؤمنان) .

وقد وردت أحاديث قليلة استعمل فيها المثنى بالالف مطلقا ، نحو قوله صلى الله عليه وسلم : لا وتران فى ليلة . وهـــذا يـــدل على أن بعض القرشيين — ومنهم النبى صلى الله عليه وسلم ، كان ربما نطق بغيـــر لغته .

ومن ذلك الفعل المضارع المجزوم المدغم ، فان لغة أهل الحجاز عامة — ومنهم قريش — فك الادغـــام ، وهى أفصح اللغتين ، وعليها أكثر ما جاء فى القرآن الكريم ، ومنه قوله تعالى : « ان تمسســـكم حســـنة تسؤهم[4] » . وقوله : « ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى[5] » وقوله : « ولا تمنن تستكثر[6] » ،وكذلك فعل الامر المدغم ، الأكثر فيه الفك ، ومن ذلك قوله تعالى : « واغضض مـــن صوتك[7] » .

ولغة بنى تميم ، وبقية العرب بقاء الادغـــام ، وقد جـــاء عليها قول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنيـــن أعزة على الكافرين[8] » .

وقرىء : من يرتد ومـــن يرتدد . قال الزمخشرى فى الكشاف : وهو فى الامام (يريد المصحـــف الامام) بدالين .

وعلى لغة التميميين قرىء قوله تعالى : « ومن يشاق الله فان الله شـــديد العقاب[9] » ، وقد جاء فك الادغام فى هذه الكلمة فى قولـــــه تعالى : « ومن يشاقق الرسول من

---

(1) ٣ سورة التوبة .
(2) طه ٦٣ .
(3) الكهف ٨٠ .
(4) آل عمران ١٢٠ .
(5) طه ٨١ .
(6) المدثر ٦ .
(7) لقمان ١٩ .
(8) المائدة ٥٤ .
(9) الحشر ٤ .

بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا(١) » .

وقد يلتزم القراء السبعة لغة قريش ، ويتركون غيرها ، كما فى نصب المستثنى فى الاستثناء المنقطع، فقريش تلتزمه ، وبنو تميم يجيزون الرفع ، وقد أجمع القراء السبعة على النصب فى قوله تعالى : « مالهم به من علم الا اتباع الظن(٢) » وقوله سبحانه : « وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى(٣) » .

ومن ذلك اجماع القراء السبعة على النصب فى قوله تعالى : « ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم(٤) » لأن (ما) النافية تعمل عمل ليس عند الحجازيين ، ولا تعمل عند التميميين .

أما الامالة والتفخيم والروم والاشمام ، فالأصل أن كل قوم يقرءون بلغتهم ، وان كانت بعض الكلمات كثر فيها التسكين على لغة غير القرشيين ، وقل فيها التفخيم ، وهو تحريك أواسط الكلمات بالضم أو الكسر ، على لغة القرشيين ، ومن ذلك « يأيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع(٥) » فالقراءة بضم الميم ، وهى لغة قريش ، وقرىء بسكونها ، وهى لغة غير الحجازيين فان أهل الحجاز يفخمون الكلام كله ، أى يحركون وسطه ، الا كلمة عشرة ، فانهم يسكنون وسطها ، وبلغتهم اشتهرت قراءتها ، وتحريكها بالكسر لغة أهل نجد .

. . .   .

ولكن ما الذى يعنى العلماء باللغة حين يقولون (لغة قريش) و (لغة تميم) ؟ انهم يعنون الطريقة التى يكون بها التفاهم بين أفراد القبيلة ، وهذه تشمل اللهجة ، ودلالة الكلمة ، وبنيتها ، ووضعها بين الكلمات من تقديم وتأخير ، وصفتها من تصحيح واعلال .

ومن لغات العرب الفصيح والأفصح والضعيف ، وقد اعتبر العلماء قريشا (مركز الدائرة) فلغتها فصحى اللغات ، ثم تليها فى الفصاحة لغات القبائل المجاورة لها ، وكلما بعد موطن القبيلة عن موطن قريش بعدت المسافة بين لغتها ولغتهم ، ولذلك كانت القبائل التى تعيش فى مشارف الشام ، أو تنزل ريف العراق ، أو تسكن على حدود مصر مشوبة اللغات لمخالطتهم الفرس أو الروم أو القبط ، وكانت القبائل التى تسكن سرة الجزيرة العربية نقية اللغة ، فصيحة اللهجة(٦) .

وقد ذكروا أن القبائل الفصيحة التى عنها أخذت اللغة بعد قريش هى : قيس وتميم وأسد وعليا هوازن

---

(١) النساء ١١٥ .
(٢) النساء ١٥٧ .
(٣) الليل ١٩ ، ٢٠ .
(٤) يوسف ٣١ .
(٥) الجمعة ٩ .
(٦) بعض ما ورد فى هذا البحث أشار اليه الكاتب فى بحث آخر له نشره فى مجلة الازهر منذ سنوات .

(وهم سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف) ، وكان أبو عبيدة يعتبر سعد بن بكر أفصح هذه القبائل لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ونشأت فى بنى سعد ابن بكر » . ويقول أبو عمرو بن العلاء : أفصح القبائل عليا هوازن ، وسفلى تميم .

وقد كان لقريش أثر عظيم فى انتقاء أطايب اللغات ، فكان القرشيون يأخذون ما يستحسنون منها ، ويديرون به ألسنتهم ، والذى هيأ لهم ذلك — كما يقول مصطفى صادق الرافعى — نوع الحضارة الذى اكتسبوه من تاريخهم ، ذلك الذى ألان من طباعهم ، وكسر من صلابتهم ، وبذلك مرنوا على التخير ، فسامت لغتهم مما فى اللغات الأخرى من الهجنة ، وانتهى بهم الامر الى أن كانوا أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ ، ولأسهلها على اللسان ، وأحسنها فى السمع ، كما أعانهم على ذلك رحلاتهم الكثيرة التى هيأت لهم الاستماع الى كثير من اللغات ، فدخلت لغتهم بعض الكلمات التى عربوها من الرومية والفارسية والحبشية وغيرها .

ونستطيع أن نؤكد أن اللهجات العربية تقاربت فى زمن قديم ، ولم تبق الا فوراق يسيرة ، هى التى لاحظها القرآن عند نزوله ، فلم يشأ أن يجهد العرب ، ويكلفهم فوق طاقتهم ، وينطقهم بغير لغتهم التى مرنوا عليها فكانت الأحرف السبعة .

أما قريش فقد كانت اثنتى عشرة قبيلة ، عشرة منها تسكن بطحاء مكة ، وتسمى قريش البطاح ، واثنتان تسكنان ظاهر مكة ، وتسميان قريش الظواهر ، ومن أشهر هذه القبائل . بنو عبد مناف ، وهم رهط النبى صلى الله عليه وسلم ، وبنو عبد شمس ، وهم أجداد الأمويين ، وبنو مخزوم ، وبنو عبد الدار ، ومن قبائل قريش قبيلة (تيم) وهى قبيلة سيدنا أبى بكر ، وقبيلة (عدى) وهى قبيلة سيدنا عمر — رضى الله عنهما — .

تصويب

وردت الينا عدة رسائل من القراء تشير الى خطأ مطبعى وقع فى مقال المرأة الصالحة المنشور فى العدد (٥٣) أدى الى اختلال المعنى فى بعض العبارات والصواب :

ويأخذ سارة العجب ، ويدخل الله السرور عليها وعلى ابراهيم « وامرأته قائمة فضحكت ... »

من هدي السنة

حول الإسراء والمعراج

عن انس ابن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار دون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه ، فركبته حتى أتيت بيت المقدس ... الحديث كما رواه البخارى وسلم (١)

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد

تناول هذا الحديث الشريف بالشرح والايضاح كبار العلماء منذ بدء الاسلام وقلبوه على وجوهه فى كل عصر ومصر بما لا يدع مقالا لقائل والذى يعنينا منه اليوم ما يثيره من ذكريات وما تحقق فيه من معجزات لن يتطاول اليها نتاج العلم الحديث ولا فتوحاته مهما بلغت فتلك معجزة خارقة وما يجرى الآن من الجولان فى الفضاء القريب من الارض أو البعيد عنها والوصول الى القمر هو نتائج علمية مما افاضه الله على الانسان « علم الانسان ما لم يعلم » .

١ — هذا الكون بديع فى نظامه متناسق فى اجرامه ، متباين احيانا فى اهداف موجوداته ، ولضرب المثل ترى ليلا جعله الله سكنا ، ونهارا يمضى فيه كل ناطق وباغم لطيته ، يبتغى فيها من فضل الله ، أو يحقق مرادا لبارئه من عدم ، ومبدعه من لا شيء ، والمخلوق الوحيد الذى حبته عناية مولاه قدرة خارقة على استخدام ما حوله ، والانتفاع بما غايره ، بتعليم ربه الذى سخر له ما فى السموات وما فى الارض جميعا هو الانسان ذو العقل الفريد والنوازع الفذة ، جواذب علوية ، وأضدادها سفلية والعلو والسفل لها معان يحددها كيفما طاب له وحسبما يروقه ، احيانا تجرى بحوثه على قاعدة ، وحينا بشذوذ ، يقسو وتزداد قساوته ، ويصلب وتشتد صلابته فتنال شراسته من عشرائه ونظرائه ، وطورا من الصق الناس به وأقربهم اليه قربة أو قرابة

(١) هو حديث طويل يشرح قصة الرحلة المباركة تفصيلا ويحكى ما رآه صلى الله عليه وسلم فى السموات العلى ، وما كان من أمره (صلى الله عليه وسلم) مع الكفار حين اخبرهم الخبر فقد كذبوا وعاندوا حتى ارتد بعض من آمن . وكان أشد الناس تصديقا لرسول الله أبا بكر الصديق رضى الله عنه .

وقد لا يكون هذا لضيق فى معيشته أو حاجة الى مقومات حياة ، وانما هـى الحيوانية المستـــــتكنة فيه والوحشية الموروثة من اباء له لبثوا وقتا ما فى الغاب ، فاستعملو الظفر والناب فى اعداد الطعام وبناء كوخ وجنى ثمار ، ودفاع عن نفس ، وربما لقتال دون سبب باد ، ولا لعداء ظاهر ولا استجابة لشرف ، ولا ذودا عن حياض ، وحقا ان الفطرة السليمة داعية خير ربما ورائدة هدى ، ودالة على نضج اجتماعى ، يرحم متـى وجبت الرحمة ، ويقسو حين تلـزم القسوة ، تضع الامور فى نصابها ولا تنبو عن ما يليق بهـــا ، ولا تجردهـــا من معانيها ، ولا ترنق صفاءها ، وهذا اذا سلمت واعتدلت وعلى الضد اذا تعلقت بأنانية أو بنزعة آنية ، ولهذا وضح انه مهما ارتقت الفطر ونمت العقول واستقامت لها مواد بحثها فهى ليست بقـادرة على رسم خطة أو وضع منهج يقوم أو يقيم امور الحياة بميزان دقيـق واعتدال أكيد وضمان محقق ، وشاءت ارادة الله تبارك وتعالى ألا يؤاخـذ الا بتكليف فأرسل رسلا مبشريـن ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وحباهم وأيدهـم ببراهين وزودهم بقوى خارقة لمـا اعتاد البشر ، تلك هى المعجزات ، ومن معجزات خاتم الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وسـلم اسراؤه ومعراجه حيث قطع المســافات الارضية والجواء العلوية فى سرعة لا يمكن ان تدخل تحت تعبير بشرى فلا يقال انها سرعة الصوت أو الضوء لانها لا تدخل فى نطاق تعبر عنـه الفاظ بشرية ومضت فى زمن لم تجر فيهبحوث ضوء أو صوت فى طفولة العقل الانسانى فى بدء ولادتـه أو قريبا فيها فسبحان الـذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الـى المسجد الاقصى ثم عرج بـه الى الى سدرة المنتهى الى السـموات العلى .

٢ ــ حاضرنا ، عالمنا المعاصر ، جرت فيه فتوحات علميـة مثيرة ، بدأت منذ أمـد بعيد وبدأت تبرز ثمارها وتتفتح اكمامها فى أواخـر القرن التاسع عشر ، وكان اهمها الى الآن نزول أول رجل على القمـر خبر عجيب ، وحدث غريب فى عرف الانسانية اللابثة على كوكبها دهرا طويلا لم تبرحه ، وكفاها من الكواكب الأخرى جمال باد ، ونور يلـوح ، وتحركات تشاهد بالالات أو بالعيون المجردة ، فلا عجب ان يتلقى العالم كله هذا الخبر الحق بدهشة واعجاب وأن يعده فتحا مبينا ومقدمة لفتوحات علمية تتلوه ، وآثار هذا كثيرا أيضا من تســاؤلات دينية ، ولهؤلاء المتسائلين الحق كل الحق فى استجلاء الحقائق الواقعية على ضوء ما ورد فى شريعة الاســلام التى تعتبر ــ وبحق ــ ارقى الشرائع والتى كان من أهم ما تصدى له علماؤهـا لتأكيده باصرار منذ بدء القرن السادس الميلادى أو قريبا من هذا التحديد هو تأكيدهم ان القرآن الكريم حوى كل ما يصح ان يقع من حوادث تصريحا أو اشارة فضلا عن كونه كتابـا مقدسـا يتعبـد بتـلاوته واحتوائه على شريعة وقانون ونظام حكومـة وتحقيق وجود دولة متكاملة بنظام عام شامل .

والواجب فهمه والتأكيد عليه بهذا الصدد صدد الفتوحات العلميـة الحاضرة ، والتى تليها وقد تكون بالغة الاثر أكثر منها هوانه لم يقل أحـد يعتد برأيه أو يعتمد على تقريره ان القرآن الكريم كتاب يحتوى عـلى نظريات خاصة ، أو مجموعة أقاصيص

عن الحوادث العلمية ، وانما القرآن هو الكتاب السماوى الوحيد الذى اطلق العقل من عقاله وازال كل الحواجز من طريقه وفتح له مجال البحث فى الكون وفى مقرراته حتى يخلص من كل ذلك الى الايمان بمدبر الكون وموجده ، فالاسلام عامة والقرآن خاصة قد وضع للعقل المعالم والصوى وأنار له الطريق وحثه بشدة على المضى قدما دون ونى أو تقصيرأو تقاعس أو ابطاء فى البحث والدراسة ، وآيات الكتاب العزيز فى هذا الصدد لا تحصى عددا ، الا اذا احصيت فضائل القرآن الذى ما خلا جزء منه من دفع قوى للانتاج العقلى والتأمل الفكرى ، وعلى هذا فكل ما يكشف عنه النقاب من مخبآت الكون وايضاح زواياه وأبعاده فهو مقبول ولا تعارضه سنة أو آية من الكتاب الحكيم ، وما القمر الا كوكب مما خلق الله ، بل وخلق صغير حقير بسيط اذا قيس باخوان له واخوات ، والوصول اليه ليس نهاية المسيرة العلمية ابدا ولن يكون ، وكل كشف يوصل العقلاء أولى الالباب الفاقهة والبصيرة المستنيرة الى سعة ملك بارىء الكون وعظمته وقيوميته ، واليس من المفرح للمسلم المقوى لعقيدته والمثبت لايمانه ان يعلم ويؤمن بان أول من صعد الى السماء وعاد منها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعلوم ان هذا كان بقدرة الله معجزة لرسوله ومن غير المتوقع أن يحدث هذا علميا فالذى حدث الآن هو شىء بسيط الى جانب معراج سيد الرسل عليه الصلاة والسلام وما هو الا خبر عادى لمن له ادنى مسكة من ايمان وهو نوع من استخدام الموجودات الكونية من ادوات وآلات سارت براكبيها الى القمر ، وهذا المسلم الذى يقف موقف المتفرج المتسائل الآن ألم يكن من الواجب ان يمضى أول السابقين الى الكواكب الأخرى ، ألم يكن له من معجزات رسوله الكريم ما يدفعه الى التساؤل عن ما فى هذا الكون العجيب ، ولكنه العجز والضعف والونى والوهن والاعتماد على الغير وتلك حيلة العاجز ، المقصر ، ولعله أن يكون لهذا الحدث العلمى اثره فى دفع المسلمين للعمل فى نفس الحقل بهمة ونشاط لتحصيل ما فات والسير مع الركب ، ومما يعطى القارىء فكرة توضح له نفاذ البصيرة العربية الناضجة ما نشر ان واحدا من علماء العرب (ج.ع.م) قد دعى للاشتراك فى دراسة وبحث المستحضرات القمرية مع افذاذ علماء العالم فى هذا الميدان فهذا اعتراف عالمى بقدرة المفكر العربى وقوته على البحث والاستنتاج .

٢ ـ تفسير فى غير موضعه :

يحاول بعض المعاصرين ان يفسروا قول الله تبارك وتعالى فى سورة الرحمن (يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان) حسب الوقائع الجارية ..

ولكن موقع الآية الكريمة وسياقها ليس معهم فى هذا الشرح والتفسير والذى يناسب اتساقها ووضعها من السورة الشريفة هو انها واردة فى معرض التحدى للمشركين يوم البعث والنشور فبعد ان سردت سورة الرحمن من أولها نعم الله على عباده فى البر والبحر والارض والسماء ارشدتهم الى ان هذه النعم كلها ليست مستمرة ابدا فقال عز وجل (كل من عليها فان) ثم أشارت

الاية الكريمة الى ان كلا من الانس والجن سيجازى على عمله وسيلقى ثوابا أو عقابا مناسبا لما قدم ولا مهرب من ذلك بأى حال من الاحوال وكيف يكون هناك مهرب وقدرة الله محيطة بكل شيء فى الارض والسماء (اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا) وتبدو ارادة الله سبحانه فى التهديد والوعيد الذى اشتملت عليه الاية الشريفة (سنفرغ لكم ايها الثقلان) قال الامام البخارى سنحاسبكم ومن المعروف فى كلام العرب قولهم لأتفرغن لك أى لآخذنك على غرتك . فمعنى الآية الكريمة يامعشر الجن والانس اين تذهبون من سلطان الله وقدرته المحيطة بكل شيء فأينما تذهبون احيط بكم وقوله تعالى الا بسلطان أى الا بأمر من الله تعالى قال تعالى (يقول الانسان يومئذ أين المفر . كلا لا وزر . الى ربك يومئذ المستقر .)

فالآية فى سياقها ومعناها لا تدخل تحت بحث معاصر وليس هناك ما يدعو لمثل هذه التأويلات البعيدة عن واقع القرآن ، وانما هى واردة فى الحشر والقيامة ، وليصل الانسان ببحثه حيث يصل به بحثه فالغاية والنهاية والمرجع والمآب الى الله رب العالمين .

٢ ـ ما تثيره ذكرى اسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم

من غير المقبول ولا المعقول ان تمر هذه الذكرى دون ان تثير فى المسلمين كوامن الألم لمايرونه من سيطرة اعداء الله على مقدساته على مسرى رسول الله ومعراجه (المسجد الاقصى) وليترجم هذا الالم وتلك الذكرى نارا وثورة تحرق المعتدين وتجليهم عن مقدسات المسلمين والمسيحيين ، اليس هذا مما يدفع الى الفداء والتضحية والعمل الجاد المثمر فى قوة وترابط وأيد واستعداد للعمل على ما من شأنه ان يمحو العار اللاحق بالعرب عامة والمسلمين خاصة ما قيمة الحياة وانت ترى حرماتك مستباحة واخوانك مشردين وديارك مغتصبة ، هل تقيم وزنا لروح لا يذهب فداء للشرف والكرامة ، هل تحتفظ بمال ولا تجود به فى هذا السبيل . وهو ينتهك مقدسات المسيح عليه السلام ويعبث بمهده ولا يراعى فيه الا ولا ذمة ولكنها البصائر تعمى تحت وطأة الموجات السياسة العاتية والمنافع الموهومة من وراء هذا العمل الشاذ فى عرف العقل والشرف والكرامة .

والآن لنمض كل بما يستطيع يدا واحدة وقلبا واحدا تحت قيادة حازمة واحدة لنصل الى هدفنا الاسمى وهو تطهير الارض المقدسة من مدنسها ويومئذ يفرح عباد الله بنصر الله ولينصرن الله من ينصر ان الله لقوى عزيز .



القدس

مركز المقدسات العالمية

للشيخ : عبد الحميد السائح
وزير الاوقاف والمقدسات الاسلامية السابق بالاردن

علاقة العرب بالقدس الشريف ترجع الى ما قبل ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد حيث انشأها اليبوسيون (من الكنعانيين) وقد كانت لهم فيها حضارة ، اقتبس اليهود منها حين طرأوا على البلاد بعد ذلك .

أما المسلمون فقد نشأت علاقتهم بها حين أسرى برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم من مكة اليها وحين عرج به منها الى السماوات العلا . وسجل ذلك فى آية قرآنية ، يتلوها ملايين المسلمين (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) .

وبذلك أصبح الايمان باسراء الرسول اليها جزءا من عقيدتهم وايمانهم ، وحينما فرضت الصلاة على المسلمين ليلة المعراج كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، والمسلمون معه فى مكة ، يصلون نحو المسجد الأقصى ، والكعبة بين يديه ، وبعدما هاجر الى المدينة ، ستة عشر شهرا ، ثم اتجه الى الكعبة (١):

١ — الامام أحمد وتفسير الطبرى .



منطقـــة الكأس مـــا بين الصخرة والاقصى والاشجـــار القديمة التى طالما ظللت أفواج المصلين مدى مئات السنين .

وقد ثبت الرسول عليه الصلاة والسلام قدسية هذا المكان الطاهر بقوله (لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى) (٢) .

ولما تم الفتح العمرى سنة ١٥ هـ ــ ٦٣٦ م بدأت السيادة الفعلية للمسلمين على القدس ، والمسجد الأقصى ، وسائر البقاع المقدسة هناك ، واستـــمرت هذه السيادة خلال أربعة عشر قرنا باستثناء فترة الحروب الصـــليبية ١٠٩٩ ــ ١١٨٧ م

وقد عمد أمير المومنين عمر الى مكان المســـجد الأقصى « محل الاسراء والمعراج بدلالة بطريق النصارى صفرونيوس ، وقد استشار فى المكان الذى يقع عليه البناء فى داخل سور المسجد ، فأشـــار كعب الأحبار ان يكون وراء الصخرة حتى يتجه المصلون اليها ، فقال له عمر :

ضاهيت اليهودية يا كعب ــ بل نجعله صدر المسجد ، حيث صلى الرسول عليه الصلاة والسلام (٣) وهو العمرى اليوم فى الجهة الشرقية الجنوبيـــة من المسجد ، وقد تم بناؤه حينئذ من الخشب .

وقد كان مكان الصخرة تعلوه الأتربة الكثيفة ، لأن الروم جعلوا منها مزبلة، فأخذ ينقل التراب عنها بطرف ردائه وقبائه ، وساعده المسلمون فى ذلك واستعان بأهل الأردن فى نقل بقيتها (٤) وقد كان عبد الملك بن مروان الأموى يهتم باعمار المساجد والتفنن بها ، فبنى المسجد الأموى بدمشق ونظر لعلاقة الصخرة المشرفة بالمعراج فقد أقام عليها مسجدا ذا شأن ، أصبح فيما بعد آية فى الفن المعمارى العربى الاسلامى ، وقد سمعت من ثقات المهندسين والخبراء ، انه لولا تعصب

٢ ــ رواه الشيخان .
٣ ــ تاريخ الطبرى .
٤ ــ البداية والنهاية .

الاوروبيين ضد العرب والمسلمين لكان مسجد الصخرة المشرفة أحد العجائب السبعة فى العالم وانه أهم بكثير من اهرامات مصر وغيرها ولكن اعتباره منها يبرز آثار العروبة والاسلام ...

وبعد ان أتم عبد الملك بناء مسجد الصخرة المشرفة وقبته ، اتجه لاقامة مسجد آخر فى ساحة الأقصى ، يتصل بمسجد عمر ، الذى انشأه فى صدر المكان ، حيث صلى الرسول عليه الصلاة والسلام ليلة الاسراء والمعراج ، وبعد الشروع فيه توفى وأتم عمله ابنه الوليد .

وبقى هذان المسجدان المؤسسان فى ساحة المسجد الأقصى المبارك وداخل سوره من أعظم الآثار العربية الاسلامية ، وقد اعتنى بهما جميع ولاة أمور المسلمين فى جميع أدوار التاريخ على اختلافها ، وفى السنين الأخيرة وفى أثناء العدوان الاسرائيلى الأول على فلسطين ١٩٤٨ أصيب مسجد الصخرة المشرفة بأضرار بالغة ، وقد ساهم المسلمون فى عدة أقطار اسلامية من العرب وغير العرب فى المشرق والمغرب فى أعماره بالأموال والكفاءات مما يشهد بتقديرهم لأهميته ، وتعلقهم بقدسيته .

وقد كان مفهوم المسجد الأقصى ، المقدس لدى عموم المسلمين ، انما يعنى جميع ما احاط به سور المسجد الأقصى ، وفيه الأبواب ، يدل على ذلك :

١ — ما ورد فى الحديث الصحيح ان الرسول صلوات الله وسلامه عليه حين أخبر قومه بالاسراء ، واستنكروه أرادوا أن يمتحنوه بالاستيضاح عن صفة المسجد ، فأخذ يصفه لهم ويعد أبوابه بابا بابا ، وقد كانوا يعرفونه فتحققوا صفة الوصف .

٢ — ما جاء فى كتاب بلدانية فلسطين العربية للأب أ .س . مرمرجى الدومنكى ، أحد أساتذة المعهد الكتابى والآثارى فى القدس الشريف ، وعضو المجمع العلمى العربى بدمشق (ان المتعارف عند الناس أن الأقصى من جهة القبلة ، الجامع المبنى فى صدر المسجد ، الذى فيه المنبر ، والمحراب الكبير ، وحقيقة الحال أن الأقصى اسم لجميع المسجد ، مما دار عليه السور)

٣ — الفتوى الدينية التى أصدرها علماء المسلمين فى الضفة الغربية عام ١٩٦٧م وصرحوا فيها بذلك أيضا استنادا الى نصوص دينية وتاريخية موثوقة .

وقد أيد هذه الفتوى مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية فى الأزهر الشريف الذى عقد عام ١٩٦٨ ، اذن فاقدام الحاخام شلومو غورن حاخام الجيش الاسرائيلى ، مع جماعته ، على الصلاة فى ساحة المسجد الأقصى فى أغسطس سنة ١٩٦٧ بحجة أنها خارجة عن الأقصى وكذلك ما فعله بعدئذ جماعة من الصهيونيين فى ساحة مسجد الصخرة من الصلاة ، والنفخ بالبوق ، والرقص ، كل ذلك عدوان صارخ على مقدسات المسلمين وانتهاك لحرمتها . هذا فضلا عن اغتصابهم مفتاح باب المغاربه (أحد أبواب المسجد الأقصى ، المجاور للبراق الشريف) وترددهم على ذلك المكان الطاهر فتيانا وفتيات بحالات خليعة مزرية تتنافى مع أبسط قواعد الأخلاق والآداب والاحترام للأماكن المقدسة .



المنبر والمحراب الرخاميان
فى فناء مسجد الصخرة المشرفة
وقد أقفر من المسلمين .

ولم يكتف الصهاينة بهذه الاعتداءات والتحديات على المقدسات الاسلامية ، بل عمدوا الى الحفريات فى الحائطين الغربى ، والجنوبى الغربى للمسجد الأقصى ، بزعم الوصول الى ما يدل على وجود آثار للهيكل . مع أنهم لم يستطيعوا الوصول الى شىء من ذلك .

الا أنهم يعرضون المسجد الأقصى ، والأماكن الوقفية المحيطة به للدمار والضرر الفادح وقد نقلت الينا الأخبار من القدس المحتلة فى ١٩٦٩/٦/١٦ أن سلطات الاحتلال نسفت أربعة عشر منزلا وهى من المنازل المحيطة بالأقصى . ومن الأوقاف الاسلامية ، وفيها مسجد وزاوية ، وحينما أراد المستر جون واليس مراسل صحيفة الديلى تلغراف اللندنية والمستر وليم شميك مراسل صحيفة بولشيمرن الامريكية مشاهدة عملية النسف طردهم المسئولون الاسرائيليون بالقوة .

وقد وضعت وزارة الأديان فى الحفريات الجارية بالقرب من البراق صندوقا مقدسا ، وأعلنت انه مكان مقدس الا أن تيدى كولك رئيس بلديتهم انتقد هذا التصرف وقال : ان اعلان هذا المكان انه مكان مقدس يثير العجب بحد ذاته.

وان المسئولين منهم لا يخفون مطامحهم فى المسجد الأقصى لبناء الهيكل على انقاضه ، فقد قال وزير الأديان الدكتور زيرح ، قد أصبح هذا المكان ملكا لنا بحق الفتح ، كما انه كان ملكا لنا بحق شراء داود له من اليبوسيين ، وانه من الحكمة **ألا يبنى الهيكل فى الوقت الحاضر** وقال حاخامهم الاكبر نسيم ينبغى علينا اعادة اقامة الهيكل ، فقيل له ، وماذا تفعل بالمسجد الاسلامى القائم هناك . . ؟ قال : وما يدرينا لعله تأتى زلزلة فتريحنا منه .

وقد وضعوا الخطة اللازمة لذلك فى مؤتمر الحاخامين فى الخارج الذى عقد فى القدس فى النصف الثانى من ١٩٦٧ وقد حضره الحاخام الاكبر فى نيويورك ، وحاخام لندن وممثلون عن الصهيونيين فى أمريكا وكندا ، وفرنسا ، وانكلترا .

مما يدل دلالة واضحة على تخطيط مقرر لاقامة الهيكل على أنقاض الأقصى بعد التخلص منه واقصاء المسلمين عنه .

وينبغى ان نشير هنا الى أن الماسونية التى هى ربيبة الصهيونية ، خالقة معها فى العمل على اعادة بناء الهيكل بشتى الطرق والأساليب .

وقد أرسل جريدى ترى من كاليفورنيا ، باسمه واسم رفيقه أودى مورفى العضوين فى المحفل الماسونى ، الى مجلس أمناء مسجد عمر (الأقصى) فى القدس بتاريخ ١٩٦٨/٥/٣٠ كتابا يشير فيه الى رسالة سابقة ، أرسلها الى مجلس الأمناء ، فى النصف الثانى من ١٩٦٧ يعرض فيها مبلغا مغريا ، اذا قبلت الفكرة مبدئيا .

ويقترح فى الرسالة الثانية المشار اليها اعلاه ، اقامة بناء هيكل سليمان فى المسجد الأقصى ، وان المحفل مستعد لجمع مائة مليون دولار ، عندما يكتمل بناء الهيكل فسينذر لله والملك سليمان **وللنظام الماسونى العام ،** ويعد بارسال امدادات مالية مستمرة ، وانه كمسيحى وعضو فى النظام الماسونى ، يترأس جماعة فى أمريكا تطمح أن ترى هيكل سليمان قد أعيد بناؤه ...

ولأنه سيكون ضيفا على شعب اسرائيل فى تل أبيب ولا علاقة له بالسياسة المحلية !!

ويطلب من المسلمين فى القدس مقابلته والتحدث اليه فى هذا الموضوع الخ ...

وطبعا لم يكن نصيب هذه الرسالة الا مثل نصيب الرسالة الاولى وهو الاهمال .. ولعل فى هذه الاشارة ما يقنع أولئك المخدوعين ، من كبار المسلمين والعرب فى النظام الماسونى ، ويشعرون أن الماسونية والصهيونية صنوان أو حليفان يسعيان لاعادة بناء الهيكل .. وأن أبسط الواجبات القومية والدينية التنصل من هذه المؤسسات الخطرة .

المقدسات المسيحية

حين حضر أمير المؤمنين عمر الى القدس ١٥ هـ — ٦٣٦ م بناء على طلب البطريق صفورنيوس اعطاه وثيقة الأمان المسجلة فى تاريخ الطبرى وغيره من الثقات وقد صرح فيها بأنه أعطاهم امانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم ، وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها الخ .....

وقد أدركت الصلاة أمير المؤمنين عمر وهو فى الكنيسة وسمح له البطريق بالصلاة فيها ، ولكنه امتنع حتى لا يدعى المسلمون فيها حقا بسبب صلاته فيها ، وقد صلى خارجها فى مكان قريب منها أقيم عليه مسجد بعد ذلك يحمل اسم « عمر » .



فى الجانب الشمالى المطل على باب الاسباطتلتقى الاروقة والمآذن والمحاريب ومواقع المدارس التى طالما حفلت بطلبة العلم من أبناء المسلمين من كل مكان يخيم فيها صمت القبور .

ونظرا لنزاهة المسلمين فى معاملة غير المسلمين فان مفاتيح كنيسة القيامة وحق فتح أبوابها ، بيد المسلمين ، منذ عهد عمر ثم عهد صلاح الدين برضى المسيحيين وموافقتهم ، وبقى هذا التقليد قائما حتى الآن .

وقد حاولت سلطات الاحتلال الصهيونى تغيير هذا فلم يوافق المسيحيون على ذلك . وقد بقى ولاة أمور المسلمين منذ الفتح العمرى محافظين على المقدسات المسيحية ، ويتعهدونها بالرعاية حتى أنه فى أواخر ١٩٤٨ أو أوائل ١٩٤٩ أصاب كنيسة القيامة حريق فحضر المرحوم الملك عبد الله من عمان حالا ، وأشرف على ذلك بنفسه وأمر بسرعة اصلاحها وتعميرها ، لأن المسلمين بحكم شريعتهم وعهودهم ومواثيقهم يعتبرون أنفسهم مسئولين عن رعاية المقدسات المسيحية مسئوليتهم عن رعاية المقدسات الاسلامية — ولم يحدث فى عهد الحكم الاسلامى والعربى أى عدوان أو انتهاك لحرمة الأماكن المقدسة المسيحية .

أما فى عهد الاحتلال الصهيونى فان الأماكن المقدسة المسيحية لم تنج من العدوان والانتهاك فقد أصيبت كنيسة القديسة حنه (الصلاحية) بالقدس بضرر بالغ بفعل طائرات العدو كما أنهم بعد الاحتلال سرقوا تاج العذراء من كنيسة القيامة واعتدوا على الأب البرت روك بالضرب لانه منع يهوديا من ادخال كلبه الى كنيسة القيامة ، هذا فضلا عن دخولهم للمعابد المسيحية بحالة خليعة مزرية منافية لكل أدب واحترام .

المقدسات اليهودية

لليهود فى القدس عدة كنائس أو بيع ، كانت موضع الرعاية أيضا فى العهود العربية والاسلامية وكان اليهود يتمتعون بكامل حريتهم فى الوصول

اليها وأداء طقوسهم الدينية ، ولم يسبق للمسلمين أن اعتدوا عليهم ، بل انهم حضنوهم يوم كانوا مطاردين فى انحاء كثيرة فى العالم ، لأن المسلم بحكم عقيدته وشريعته لا يحقد ولا يضمر العداء الا اذا اعتدى عليه فمن واجبه المحافظة على شخصيته وحقوقه وعلى حريته « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » (٥)

وقد هدم لهم بعض الكنائس أثناء القتال سـنة ١٩٤٨ م لأنهم تترسـوا بكنائسهم واتخذوا منها معاقل يضربون المسلمين والعرب ويوجهون اليهم المقاتل.

وقد منعوا من الوصول بعدئذ الى ساحة المبكى وبعض كنائسهم فى القدس العربية ، لأسباب سياسية وهى حالة الحرب بينهم وبين العرب ، ولا عـلاقة لذلك بأسباب دينية .

موقف يستحق التسجيل والتنبيه

حينما غزا التتار بلاد الشام ، أخذوا أسرى المسلمين والنصارى واليهود ، ولما غلب المسلمون بعد ذلك التتار ودان ملوكهم بالاسلام طلب شيخ الاسلام ابن تيمية من ملك التتار اطلاق سراح الأسرى فوافق على اطلاق المسلمين وأصر شيخ الاسلام على اطلاق سراح أسرى النصارى واليهود لأننا مسئولون عنهم ، ولم يسع التتار الا الاذعان لطلب شيخ الاسلام وتحقيق رغبته .

وأخـيرا

لقد اطلعت على خارطة بالعبرية توزع فى أوروبا ، فيها بيان دولة اسرائيل قبل ١٩٦٧ م وللدولة بعد ١٩٦٧ م ، ومنها يتضح أنهم مصممون على أن تشمل دولتهم الجديدة ، مكة المكرمة ، والمدينة المنورة والكويت وامارات الخليج العربى بالاضافة لأراض أخرى من سوريا والعراق ، وبالتالى يريدون أن يضعوا أيديهم على منابع البترول حتى يتحكموا فى العـالم ، وحتى يحققوا قول مناحم بيجن « يجب علينا أن نطرد العرب ونعيدهم الى الصـحراء » فهل يسـتفيق العرب والمسلمون قبل فوت الأوان ، ويقدرون الأخطار الناجمة عن وجود اسرائيل ؟ وأن الامر جد لا هزل ، وأن هذا يتطلب منهم جميعا أن يضعوا جميع طاقاتهم وما يملكون فى سبيل معركة فاصلة ، تقرر مصيرنا ومصير المعتدين الغاصبين .

« اللهم انى قد بلغت ، اللهم انى قد بلغت ، وليبلغ الشـاهد الغائب ، وليبلغ القارىء كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

---

٥ — الآية ١٩٤ من سورة البقرة .



ومرد ذلك الظلم الى نجاح اليهودية العالميـــة فى خداع العالـــم الغربى والشرقى بباطلها المبنى على التزوير والكذب والبهتان والفجور والحقد والجشع. ويساعد على نجاح خطط اليهودية العالمية الطريقة التى يعالج بها العرب مشكلة فلسطين حين يعتبرونها قضية أرض قومية اغتصبت ، متجاهلين أنها جزء لا يتجزأ من ديننا الحنيف ، ارتبطت بالاسلام منذ بزغ نوره فى مكة المكرمة قبل أربعة عشر قرنا . فقد أراد وعلم ســبحانه وتعالى وهو رب العالمين ، ، أن فلسطين تشكل خط الدفاع الرئيسى عن الاسلام وبلاد المسلمين ، وانها مقدسة بعث سبحانه وتعالى أنبياءه فيها ، فأراد أن تتم لها القدســية بالاسلام ونبى الاسلام ، فجعل سبحانه وتعالى اسراء محمد عليه الصلاة والســلام من مكة الى بيت المقدس ، وعروجه من بيت المقدس الى سدرة المنتهى ، ثم العودة من السموات العلى الى بيت المقدس ومنها الى مكة المكرمة . ولم يختر سبحانه وتعالى بيت المقدس مكانا لاسراء نبيه الا لحكمة الهية وتدبير سماوى رسم منذ ذلك التاريخ والى الأبد علاقة المسلمين ببيت المقدس :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » .

تنفيذ أوامر الســماء

ولقد حدثت هذه الصلة الروحية التى فرضتها السماء بالرسول الكريم ، حين استتب له الأمر ، أن يشرع فى التمهيد لتطهير بيت المقدس وتأمين ظهر ديار الاسلام . فبعث عليه الصلاة والسلام سنة ثمان للهجرة بأول قوة اسلامية الى بلاد الشام . وجعل على رأس تلك القوة زيد بن حارثة وان أصيب فجعفر

الظلم الذى يتعرض له الاسلام والمسلمون فى فلسطين لا مثيل له فى التاريخ . وحين نقول القدس أو بيت المقدس فاننا نعنى كل شبر من أرض فلسطين المباركة . والظلم الذى نواجهه اليوم يجعل من قضية فلسطين أخطر قضايا العالم بأسره .

بقلم
القائد عبدالله التل

ابن أبى طالب ، فان أصيب فعبد الله بن رواحة . وسارت القوة الاسلامية الأولى وعددها لا يزيد على ثلاثة آلاف ، للاحتكاك بقوات الروم التى تسيطر على بلاد الشام ومن جملتها الأردن وفلسطين .

ومع أن المؤرخين يمرون على ذكر هذا الحادث مرا خفيفا ، فانى أعتبر مسيرة كتائب الفداء الأولى للاشتباك بجيوش الروم من أعظم أحداث التاريخ الحربى الاسلامى . ذلك لأن تلك القوة الاسلامية الصغيرة كانت أول عمل حربى للمسلمين خارج الجزيرة العربية ، أكد حقيقة القوة الكامنة فى الاسلام ، تلك القوة التى تدفع بالمسلم الى الفداء والاستشهاد فى سبيل الله . ولكى نقارن بين الروح المعنوية عند المسلمين الأول وكتائب الفداء الاولى فى الاسلام وبينها عند جيوش ٥ حزيران ، فانى أوجز أحداث تلك المعركة لنأخذ العبرة .

حينما وصلت قوات زيد بن حارثة الى معان ، علم المسلمون أن هرقل قد حشد فى مؤاب مائة ألف من الروم وانضم اليهم مثل هذا العدد من قبائل العرب . فاقترح بعض المسلمين أن يكتب القائد للرسول صلى الله عليه وسلم يطلب المدد وأوامر جديدة . فانبرى عبد الله بن رواحة يشجع الناس قائلا :

يا قوم ، والله ان التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين : اما ظهور واما شهادة .

وتشجع المسلمون وزحفوا نحو الشمال حتى قابلتهم جموع الروم فى مؤته ودارت رحى معركة فدائية غير متكافئة . فقاتل زيد براية الرسول صلى الله

عليه وسلم حتى قتل . ثم تسلم الراية جعفر بن أبى طالب فقاتل حتى قطعت يمينه ، فجعل الراية بشماله فقطعت ، فاحتضنها بعضديه حتى قتل فتسلم الراية عبد الله بن رواحة حتى قتل . ثم رأى المسلمون أن يتسلم الراية خالد بن الوليد، فنفذ خطة حكيمة للانسحاب ، وأنقذ قوات المسلمين من هزيمة محققـــة وفناء أكيد وعاد خالد بالجيش ، وحين دنت القوة من المدينة قابلها الرسول الكريم وجمع من المسلمين الذين أخذوا يحثون التراب على الجيش قائلين : يا فرار ، فررتم فى سبيل الله ... ! ويرد الرسول قائلا : ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار ان شاء الله تعالى .

فأى ايمـــان أقوى من ذلـــك الايمان ، وأية شـــجاعة أعظم من تلك الشجاعة ....؟ جيش يعود ناقصا نخبة من صحابة رسول الله ، فـــلا يؤثر ذلك فى نفوس ذويهم وعشيرتهم ، بل يسارعون الى التنديد بالقوة المنسحبة آخذين عليها انها لم تقاتل حتى آخر نسمة منها . ولقد كانت تلك الموقعة محكا امتحنت فيه الروح المعنوية لدى المســـلمين ، وأثبتت استعدادهم للتضحيـــة والفداء فى سبيل الله ، وهما الركن الأساسى الذى بنى عليه التاريخ الحربى الاسلامى الخالد .

ولقد كانت معركة مؤته من أسباب اصرار الرســـول الكريم على تأمين حدود ديار الاسلام وتطهيرها من الأعداء المتربصين بالاسلام والمسلمين . وأمر عليه الصلاة والسلام بتجهيز جيش يقوده أسامة بن زيد . وانتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى وجيش أسامة يتأهب للزحف شمالا ، فأمر الخليفة أبو بكر الصديق أن يواصل الجيش سيره ويحقق المهمة التى أمر بتحقيقها واشتبك جيش أسامة مع قبائل العرب التى أسهمت فى موقعة مؤته ضد المسلمين وناوشها وأدبها ثم عاد الى المدينة . وفى زمن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، تم حصار بيت المقدس ، واستمات الروم فى الدفاع عن المدينة ، بيد أن الدين الجديد وما يزرعه فى نفوس أتباعه المؤمنين من قوة خارقة وطاقة لا حد لها ، قد انتصر على عناد الروم ، ودب اليأس فى نفوسهم وطلبوا التسليم للخليفة الذى سمعوا بعدله . وأطل البطريرك صـــفرونيوس على القوات المسلمة من فوق أسوار المدينة وقال لهم : انا نريد أن نسلم لكن بشرط أن يكون التسليم لأميركم ، فقدموا له أمير الجيش ، فقال لا ، انما نريد الأمير الأكبر ، نريد أمير المؤمنين فكتب أمير الجيش الى الخليفة عمر ، فخرج رضى الله عنه من المدينة قاصدا بيت المقدس ومعه راحلة وغلام ، فلما صار فى ظاهر المدينة قال لغلامه : نحن اثنان والراحلة واحدة ، فان ركبت أنا ومشيت أنت ظلمتك ، وان ركبت أنت ومشيت أنا ظلمتنى ، وان ركبنا الاثنان قصـــمنا ظهرها ، فلنقتسم الطريق مثالثة . وأخذ عمر يركب مرحلة ويقود الراحلة مرحلة، والغلام يركب مرحلة ويقود مرحلة وتمشى الراحلة متخففة من حمل أحد مرحلة . وهكذا استمر عمر يقتسم الطريق مثالثة بين نفسه وبين غلامه وبين راحلته من المدينة حتى بلغ جبلا مشرفا على القدس صادف ان كانت ببلوغه قد انتهت مرحلة ركوبه ، فكبر من فوق رحل الراحلة ، ولما فرغ من تكبيره قال لغلامه : دورك أركب فقال الغلام : يا أمير المؤمنين لا تنزلن ولا أركبن ، فانا مقبلون على مدينـــة فيها مدنية وحضارة وفيها الخيول المطهمة والعربات المذهبة ، فان دخلنا على

هذه الصورة — أنا راكب على الراحلة ، وأمير المؤمنين آخذ بمقودها — هزأوا بنا وسخروا من أمرنا وقد يؤثر ذلك على نصرنا ، فقال عمر دورك .. لو كان الدور دوري ما نزلت ، أما والدور دورك فوالله لأنزلن ولتركبن . ونزل عمر وركب الغلام الراحلة وأخذ عمر بمقودها . فلما بلغ سور المدينة وجد نصاراها في اســـتقباله خارج بابها المســمى بباب دمشق . وعلى رأســـهم البطريرك صفرونيوس ، فلما رأوه آخذا بمقود الراحلة وغلامه فوق رحلها أكبروه وخروا له ساجدين ، فأشاح الغلام عليهم بعصاه من فوق رحلها وصاح فيهم : ويحكم ارفعوا رؤوسكم فانه لا ينبغي السجود الا لله . ثم انتحى البطريرك صفرونيوس ناحيته وبكى . وتأثر عمر وأقبل عليه يطيب خاطره ويواسيه قائلا : هون عليك فالدنيا دواليك يوم لك ويوم عليك . فقال صفرونيوس أظننتني لضياع الملك بكيت .. ؟ والله ما لهذا بكيت ، وانما بكيت حين أيقنت أن دولتكم على الدهر باقية ترق ولا تنقطع .. فدولة الظلم ساعة ودولة العدل الى قيام الساعة ، وكنت حسبتها دولة فاتحين تمر ثم تنقرض مع السنين .

خلود الوجود الاسلامي :

لقد صدق صفرونيوس لأنه كان بعيد النظر أدرك بعد أن شـــهد بعينه تطبيقا عمليا لعدالة الاسلام لا مثيل له في التاريخ ، أدرك أن دولة الاســـلام باقية على الدهر ترق ولا تنقطع وقد ظل الوجود الاسلامي في بيت المقدس متصلا طوال القرون اهتز في فترة الاحتلال الصليبي ثم عاد راسخا قويا الى أن وقعت كارثة حزيران ١٩٦٧ وفقدنا بيت المقدس حيث سقط بأيدي اليهود لأول مرة في التاريخ الاسلامي . وانني أرى أن الوجود اليهودي في بيت المقدس زائف هزيل، لأنه مبني على أسس واهية نابعة من تعاليم التوراة والتلمود ومقررات حكماء صهيون ، تلك التعاليم التي تدعو الى القســـوة والبطش بالابرياء وتبيح قتل الأطفال والنساء والشيوخ ، وتستبيح دم غير اليهود ومالهم وعرضهم . ولا مجال هنا للمقارنة بين الأسس الثابتة الراسخة التي قام عليها الوجود الاسلامي في بيت المقدس وبين الأسس التي قام عليها الوجود اليهودي الظالم الحاقـــد المغتصب . فأخلاق الفروسية والشهامة التي فرضتها تعاليم الاسلام وطبقها عمليا صحابة رسول الله وخلفاؤه من بعده ، هي التي جعلت من بيت المقدس أرضا اسلامية خالدة خلود الاسلام . والاسلام كما نعلم يحمل عناصر بقائـــه وخلوده وانتشاره ، وأهم تلك العناصر

أولا : انه جاء للناس كافة « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » .
ثانيا : أنه حمل الى العالم أسس الديمقراطية الصحيحة وهي المساواة ، « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم »

والمسؤولية الفردية « كل امرىء بما كسب رهين » وقيام الحكم علـــى الشورى « وأمرهم شورى بينهم »

ثالثا : قدرة الرسول العظيم على توحيد العرب بالاسلام ، بعد أن كانوا

قبائل متناحرة ضعيفة ممزقة . تعبد الأصنام وتقدس الفردية والعنصرية ، وما يتبعها من أنانية ونعرات قبلية . فجردها الرسول صلى الله عليه وسلم عن التعصب والانانية وغرس فى نفوس العرب المسلمين الطاعة الواعية والتضحية فى سبيل الله والأمة ، وطهرها من الأحقاد وعداوات الجاهلية والانحراف . وعلمها الصبر والحزم والثبات فى الشدائد والملمات .

رابعا : انفراد الاسلام من بين أديان البشر فى وضع أسس الجهاد فى سبيل الله والمستضعفين فى الأرض ، وليس فى سبيل شعب معين أو حاكم أو زعيم ، أو من أجل أهداف اقتصادية أو سياسية ونحن نعلم كيف يفسر الكثيرون من ملاحدة الغرب والشرق ظهور الاسلام على انه حركة فرضتها ظروف جزيرة العرب الاقتصادية . ويتناسى هؤلاء بأن المدنية الاسلامية التى عمت أرجاء الكرة الأرضية من الأندلس غربا الى الصين شرقا ، وما نتج عن تلك المدنية من خير وعمران وثراء ورفاهية ، ظلت جميعها وقفا على البلاد التى عمرها الاسلام ، ولم تنتقل بشكل فعال الى الجزيرة العربية مهد الاسلام ووطن العرب الاول . ولقد قلب دستور الجهاد فى سبيل الله الذى جاء به الاسلام الحياة الاجتماعية فى الأمة العربية رأسا على عقب ، واستطاع ذلك الدستور أن يحول الفرد العربى الى قوة خارقة حين أخذ يستعذب الموت فى سبيل الله مضحيا بماله وبنفسه من أجل اعلاء كلمة الله ، وهى لعمرى مثالية فى البذل والتضحية والفداء سهلت على قادة المسلمين تعبئة قوى الأمة جميعها من أجل توطيد أركان الاسلام والدولة الاسلامية .

خامسا : ان الاسلام قد انتصر بالفقراء الحفاة العراة الذين تساووا فى القدر والمكانة والمسؤولية مع أشراف قريش وسادة العرب . وانخرطوا جميعا فى كتائب الاسلام الأولى التى انتشرت شرقا وغربا حاملة مشاعل الحرية تبدد بها ظلمة حالكة كانت تلف العالم فى ذلك الحين . فلم يمض سوى بضع سنين حتى كانت تلك الكتائب تدك ايوان كسرى وعرش هرقل .

أنت يا رسول الله .....
أنت آثرت أن تقيم على الفقر دعام الرقى والعمران ..
فلبست الأيام لم تزه بالمعطف من خزها ولا الطيلسان ...
ولمست الحصى فتاه على الدر وازرى بروعة المرجان ...
وآثرت الهيجاء تعصف بالفرس وتجتاح هيكل الرومان
يترامى اليك بالنصر من بيدائه كل جائع عريان
فاذا بالتراب تحت أبى ذر مدلا على ابى سفيان

سادسا : ان الاسلام دين ودنيا ، فقد جاء بنظام للحياة كامل صالح لكل زمان ومكان .

والتشريع الاسلامى دعامة راسخة للعدالة فى العالم . كما ان العبادات فى الاسلام تدخل فى صميم بناء المجتمع الاسلامى والحضارة الاسلامية ، وهى ليست طقوسا وغيبيات كما يعتقد الملحدون ، وانما هى من أسس وحدة الأمة العربية والشعوب الاسلامية كافة .

سابعا : ان الاسلام لم يأذن الا بالحرب العادلة ، وهى التى تعلن دفاعا عن العقيدة وعن الانسانية وعن السلام . ولم يعرف الاسلام الحرب من أجل الكسب المادى وتأمين المواد الخام والأسواق التجارية واستعمار الأوطـــان واستعباد الشعوب . وما أكثر الأكاذيب والافتراءات التى وجهت الى الاسلام ، محاولة أن تصمه بالقسوة وانه لم ينتشر الا بالســـيف . وهى لا شك متهافتة باطلة لأن اكثر من سبعة أعشار المسلمين فى العالم هم من بلاد لم تطأها قدم جندى مسلم .

الوجود اليهودى فى بيت المقدس

لم يكن اليهود طرفا فى النزاع على بيت المقدس طوال مـــدة الوجـــود الاسلامى فى فلسطين ذلك لأنهم لم يكونوا موجودين فى البلاد بشكل يجعـــل منهم مشكلة . كما أن العهدة العمرية اشترطت ألا يسكن القدس يهود بناء على طلب صفرونيوس الذى كان يحرم عليهم السكن فى بيت المقدس . وعليه فان تطور الوجود اليهودى فى فلسطين طوال الحكم الاسلامى الذى دام أربعة عشر قرنا ، راجع الى سماحة الاسلام وتساهل المسلمين الذين تغاضوا عن تسلل اليهود وسمحوا لهم باقامة شعائر الندب والبكاء أمام حائط المبكى .

أما الوجود اليهودى فى فلسطين قبل الاسلام فانه يصور لنا أبشع أصناف الهمجية والقسوة والحقد والجشع . ومنذ اللحظة التى قادهم فيها موسى عليه السلام للهرب من مصر الى سيناء ثم فلسطين ، اعتبروا أن الشعب الآمن الذى يسكن فلسطين عدو لدود لهم ، فحملوا فى نفوسهم البغض والحقد والكيـــد والعزم على ابادته . كما صورت لهم نفوسهم الشريرة أن أرض كنعـــان وما حولها من البلاد من الفرات الى النيل هى هبة لهم من الههم حسب وعوده التى قطعها لأجدادهم ابراهيم واسحق ويعقوب ... وملأوا توراتهم بمثل هذه الوعود العجيبة مقرونة بأوامر اله اليهود ورب الجنود لشعب الله المختار أن يقتل غير اليهود دون تمييز بين محارب وطفل وشيخ وامرأة ،وأن يكون القتل والابادة دون سابق انذار أو دعوة لاعتناق دين اليهود ......! والهمجية التى تعرض لها شعب فلسطين العربى على أيدى اليهود بقيادة يشوع قبل ثلاثة آلاف سنة ، لا يعادلها الا همجية اليهود التى صبوها على شعب فلسطين العربى فى مذبحة دير ياسين وغيرها من المذابح التى اقترفها اليهود ضد الشعب البرىء الآمن . وحين نقرأ توراة اليهود وتلمودهم نجد أنهم قد اعتبروا دينهم خاصـــا بهـــم ، واحتكروا الاله وأسموه تارة اله اسرائيل وتارة أخرى اله الجنـــود ، ولا ذكر لرب العالمين فى كتب اليهود وديانتهم . ولقد كيفوا توراتهم لتطابق طبائعهـــم السيئة وأخلاقهم الذميمة ، فحشروا فى كتابهم المقدس أسس الرذيلة والانحلال الخلقى للانسانية كافة ، وأباحوا النهب والسلب والسرقة والكـــذب والغش والفجور ونسبوا لأنبيائهم ارتكاب المعاصى والرذائل ، وأوجدو مبدأ الغايـــة تبرر الواسطة .

والفترة التى استولى فيها اليهود على جزء من فلسطين لم يخلفوا خلالها فى البلاد أى أثر لمدنية كما فعل الغزاة الفاتحون فى التاريخ . وهم يستندون

الى وجودهم فى فلسطين قبل ثلاثة آلاف سنة ليطالبوا بالعودة الى تلك الديار التى غزوها وبطشوا بأهلها ولم تكن وطنا لهم فى يوم من الأيام . وتبدو صفاقة اليهود المستمدة من تعـــــاليم التوراة والتلمود فى قمتها حين ترضى بأن يدفع المسلمون الأبرياء ثمن المذابح والأهوال التى تعرض لها اليهود على مر التاريخ اذ ما علاقة المسلمين بتاريخ اليهود الأسود ؟ وما ذنب المسلمين حين لا يجد قادة العالم القديم والحديث مناصا من ذبح اليهود وتشريدهم ... ؟ فقد غزاهم سرجون ملك آشور (٧٢١ قم) وذبحهم وسبى عددا كبيرا منهم الى ما وراء نهر الفرات . وغزا الأشوريون مملكة يهوذا (٦٧٧ ق.م) وذبحوا اليهود وأسروا ملكهم وسبوه الى بابل . واجتاح نخو فرعون مصر مملكة يهوذا (٦١٠ قم) وحطم جيشها وقتل ملكها . وغزاهم نبوخذ نصر للمرة الاولى (٥٨٨ ق.م) وهدم أسوار القدس وأحرق الهيكل وسبى الشعب الى بابل . وحكم بطليموس اليهود وهدم القدس وأرسل ١٠٠ الف الى الأسر فى مصر (٣٢٠ قم) .

واحتلها انطوخيوس (١٦٨ قم) وهدم أسوار القدس وقتل ٨٠ ألفا من اليهود فى ثلاثة أيام . واحتل جيش بومبى الرومانى القدس (٦٣ قم) واستباح الهيكل وفتك بالشعب اليهودى . ودمر القائد الرومانى تيطس القدس (٧٠م) وفتك باليهود ولم تقم لهم قائمة منذ ذلك التاريخ .

وما ذنب المسلمين فيما حل باليهود من بطش وتعذيب وابادة على أيدى الشعوب المسيحية ؟ لقد حبسهم يوحنا ملك بريطانيا ، وعذبهم هنرى الثالث وحبسهم واتهمهم بسرقة جزء من الجنيه الانجليزى الذهب . وبطش بهم ادوارد الأول وحين لم ينفع البطش طردهم من بلاد الانجليز (١٢٩٠م) بعد أن أحرق الشعب البريطانى عددا كبيرا منهم فى قلعة يورك .

وحذا ملوك فرنسا حذو ملوك الانجليز ، فلم يجدوا بدا من البطش باليهود وحبسهم وطردهم من البلاد التى آوتهم ثم اختنقت بضغطهم الاقتصادى المبنى على الربا الفاحش مضافا الى ذلك التدهور الاجتماعى الناجم عن السـعى الحثيث لتدمير القيم الاخلاقية وتقويض أسس الحياة الاجتماعية فاضـطهدهم لويس التاسع وشردهم وطردهم من فرنسا ومن قبله لويس أغسـطس ومن بعده فيليب الجميل . وفى سنة ١٣٤١م هاج الشعب الفرنسى فى أواسط فرنسا وذبح أعدادا كبيرة من اليهود حتى أنه فى سنة ١٣٩٤م لم يبق فى فرنسا يهودى واحد .

وكذلك حدث لهم فى أسبانيا على يد رجال الاكليروس ومحاكم التفتيش المسيحية . وبعد أن أوصلهم التسامح الاسلامى فى أسبانيا الى قمة الانتعاش السياسى والاقتصادى والثقافى طردوا من أسبانيا بمرسوم فرديناند وايزابيلا (٣١ مارس ١٤٩٢م) بعد أن تعرضوا للذبح والتشريد وفقدان ثرواتهم المنقولة وغير المنقولة .

ولا ننس المذابح التى واجهها اليهود فى كل من روسيا وبولندا وايطاليا ورومانيا وبلغاريا وهنغاريا ، وما حصل لهم على يد النازية وليدة الفكر المسيحى

الأوروبى . فأية عدالة هذه التى تسمح بأن يصب اليهود أحقادهم على الذين تسامحوا معهم وعاملوهم بالحسنى فى الوقت الذى كانت فيه جميع شعوب أوروبا تضطهدهم وتقتلهم وتطردهم من أوطانها ؟

حتمية انتصار الاسلام

قلت ان الوجود الاسلامى فى بيت المقدس خالد خلود الاسلام ، وسقوط بيت المقدس بأيدى اليهود صفحة من سجل التاريخ عابرة لا تدوم طويلا ، حققها اليهود بوحدتهم وتعاونهم وتضحياتهم وتمسكهم بدينهم ، فى حين تخلت الأمة العربية عن مقومات وجودها وعزها ومجدها فكان طبيعيا أن نخسر بيت المقدس ومعه كرامة الامة العربية والمسلمين كافة . بيد أن الشعوب الاسلامية والامة العربية عملاقة حين تعود الى دينها وتتخلق بأخلاق الاسلام ، وهى فاعلة ذلك فى يوم من الأيام ، عندها يدرك الغرب الخطأ الفادح الذى وقع فيه حين غرر باليهود ونفخ فيهم وخدعهم وشجعهم على ظلم العرب والمسلمين والاعتداء عليهم واغتصاب مقدساتهم . ومهما أطلق على الحرب بيننا وبين اليهود من أوصاف وألفاظ كالامبريالية والاستعمار .. الخ فان الحقيقة تبقى ناصعة تشير الى أنها حرب بين اليهودية ذلك الدين الميت الذى يحض أنصاره على الظلم والغدر والحقد والجشع والقسوة والغرور والفتك بالأبرياء ، وبين الاسلام دين العدل والمساواةوالرحمة والمحبة والاخاء والتسامح . وانتصار الاسلام فى هذه المعركة حتمى لأن دولة الظلم ساعة ودولة العدل الى قيام الساعة .



مسرى الرسول

روعت قلبا ساليا   وأسلت دمعا غاليا

وأثرت شجوا فى الحشا   يا مخبرا بل ناعيا

أودت فلسطين التى   شغلت مدى آماليا

عاث اللصوص بربعها   وجنوا هناك مخازيا

كم قتلوا من نسوة   فعلوا بهن مساويا

وأما مهن - بغلظة -   ذبحوا لهن ذراريا

بقروا بطون حوامل   فرموا بهن عواريا

وعلى الشيوخ تجمعوا   ضربا وقتلا ضاريا

وعلى ضعاف عسالة   صبوا جحيما حاميا

حسبوا التوحش مكسبا   به يبلغون معاليا

لكنهم لو حققوا   لرأوه خزيا باقيا

وغدا يعود عليهمو   بوباله مترامیا

ما جار قط مسلط   الا تدحرج هاويا

فليذكروا اجرامهم   وليرقبوا به جازيا

والمسجد الأقصى الذى   صبوا عليه دواهيا

وجنوا على حرماته   وأتوا شنارا باغيا

سيحاسبون بقسوة   ويرون يوما عاتيا

حتى تقول ذئابهم   جاء القصاص مساويا

فلنمحقن غرورهم   بالنار محقا قاسيا

ولنكتبن صحيفة   ما أن ترى لها كاويا

للأستاذ : المدني الحمراوي

مـــن بعـــد نصر نالـــه	سلف سنـــدرس ثانيـــا
لن نســلم الأقصـى ولــن	نرضـــى عليـــه تغاضـيا
ســنذود عنـــه عصابـــة	قـــد دنســـته تعاميـــا
حتى يعـــود مطهـــرا	منهـــم ويبقـــى ساميـــا
مســرى الرســول محمـد	ما ان تـــرى لـــه ناسـيا
كيـف السـكوت وأحمــد	صـــلى هنـــاك مناجيـــا ؟
ربـــط البراق ببابـــه	حتى تعبـــد داعيـــا
هل بعـــد هذا رخصـــة	تـــدع الموحـــد لاهيـــا ؟
كلا فان القـــدس لـــلإ	ســـلام كان مآويـــا
عمـــر أتـــاه مصليـــا	وصـــلاح فكـــه تاليـــا
وغـدا نعيـــد حرامـــه	يومـــا قريبـــا آتيـــا
حتى يـــكون الحــق يـــو	م الفـــتح عنـا راضيـــا

يا مســلما لا تبتئـــس	فالنصر ليـــس أمانيـــا
وخـــذ التأهـــب وارتقـب	فجـــرا لليـــلك دانيـــا
هـــذى ـ لعمـرك ـ محنـــة	قد علمتـــك تآخيـــا
هى نقمـــة فى طيهـــا	نعم أتـــتك غواليـــا
أن تستفـــد عبرا بهـــا	تجـــد النجـــاح مواتيـــا

سؤال عن الفدائي

من ذا يكون ذلك الفدائى
ما يستطيع للقوى الصماء
وهل يرد ضربة القضاء

هذا سؤال عم فى الأرجاء
يدور فى الصباح والمساء
وفى فم المفتر بالذكاء
من يخبطون خبطة العشواء
يخططون دونما عناء
وانها لقولة الأعداء
فرددوا كالطفل والببغاء

يقال فى الجهر وفى الخفاء
على لسان كل ذى غباء
من كل من ينطق بالهراء
اذا بدا تناقض الآراء
كأنما هم قادة اللواء
قد أرسلت للأنفس الرعناء
قولة « دايان » على الهواء

من ذا يكون ذلك الفدائى
ما يستطيع للقوى الصماء
وهل يرد ضربة القضاء

هذا سؤال الضعف والخواء
نعيش فى الهزيمة الشنعاء
أفقدنا السراب كل ماء
فلا نرى فضل اليد البيضاء
نعيش فى الايحاء والاصغاء

فنحن بعد النكبة النكراء
كتائه فى مهمة البيداء
نسعى ندور فى الدجى العمياء
بل نحسب المخلص كالمرائى
نلمز بالرمز وبالايماء

فقل لهم من أنت يا فدائى
ما تستطيع للقوى الصماء
وهل ترد ضربة القضاء

أجاب دون منطق الكلام
ينطق بالرصاص بالألغام
بل بارتخاص النفس بالاقدام
على ثرى المعراج والاسلام

بالمدفع الرشاش بالحمام
ليس بحرف تافه هدام
وبالشهيد الحر فى الصدام
وتحت ظل صخرة السلام



للشاعر: أحمد عنبر

من بعد يأس ساحق مبيد
أيقظنا بالأمل الوليد
ذكرنا بهمة الجدود
بمجدنا بعزنا التليد
بخالد بسعد الصنديد
بطارق يعبر بالجنود
برافعي الرايات والبنود
في خيبر في الخندق العتيد
لينقذوا الاسلام من يهود

واليوم في معسكر الكرامة
فعاد مهزوما بلا كرامة
مضى يعض أصبع الندامة
جند لها أخو فدى ضرغامة

كالأمس طأطأ العدو هامه
غادرها مخلفا حطامه
قتلاه ألف أقلقت منامه
أزال عن زيف العدا لثامه



كان اللقا لقومنا فخارا
والعدو سبة وعارا
جن فراح ينشر الدمارا
يحرق الزروع والديارا
ويصرع النساء والصغارا
ويقتل الضعاف والكبارا
فلم يدع أخو الفداء ثارا
أصلى العدو كل يوم نارا
وجال في أسواقه أعصارا

حتى اذا كل العدا وانهاروا دماؤهم ودمعهم أنهار
نهارهم من فوقهم قهار وليلهم من تحتهم غدار
أمامهم وخلفهم ثوار يؤرقونهم فلا استقرار
حينئذ تأتى عليهم نار من كل صوب حولهم تدار
وفى الحدود جحفل جرار عند النفير زاحف جبار
عندئذ لن ينفع استعمار فعيشهم فى دارنا بوار

فلتخرس الألسن والشفاه
ولترفع الرءوس والجباه
وليدعون كل أخ أخاه
الى الوغى الى الوغى نداه
الى الجهاد فالجهاد جاه
وللجهاد قد دعا الإله
وذل من أعرض عن دعاه
ومن يلبى بالغ مناه
محررا من وطن ثراه
أو باذلا دماءه فداه

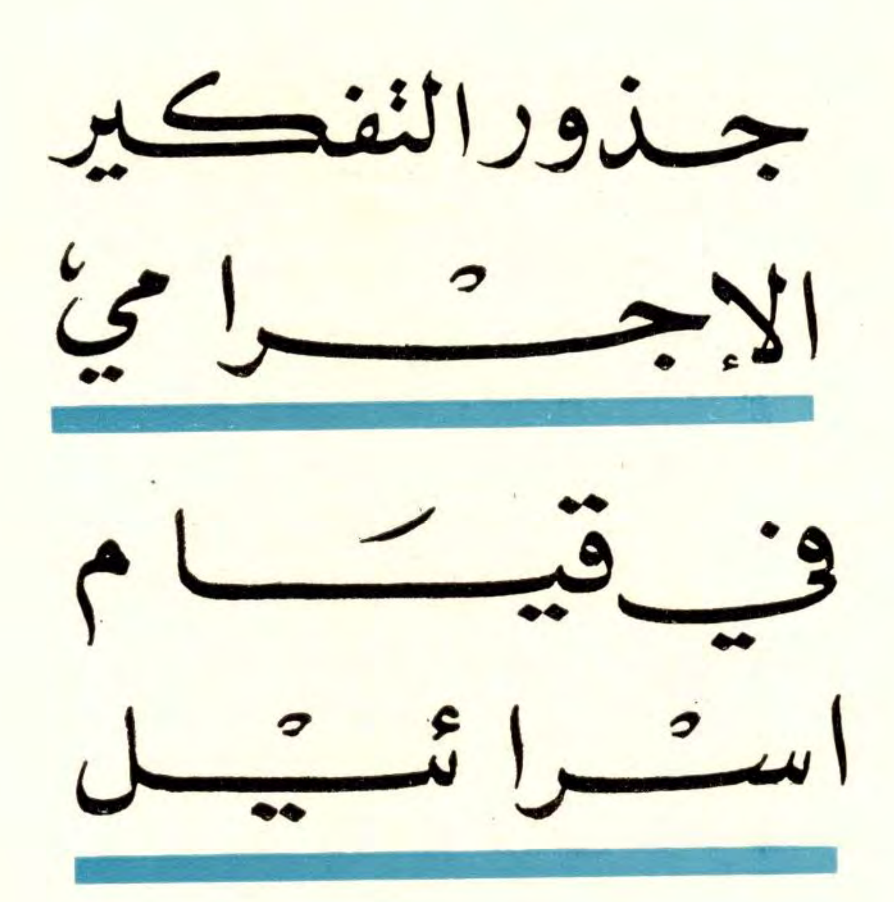
هيا الى كرائم الخصال ولتضربوا روائع الأمثال
هيا امنحوا الفداء كل مال وارخصوا لديه كل غال
حتى يتم عدة النضال مصعدا حرارة القتال
فوق السهول وعلى التلال حتى يزول كل صرح عال
وتصبح الثورة كالزلزال
والحرب بالساعد والنصال والنصر بالمدفع والأبطال
فعززوا الأبطال بالرجال وسلحوا الرجال بالأموال
حتى نزيل عار الاحتلال

◆ ◆ ◆ ◆

والآن من تكون يا فدائى
ما تستطيع للقوى الصماء
وهل ترد ضربة القضاء
هل أنت نجدة من السماء هل أنت قوة من الفضاء
هل أنت شعلة من الضياء
يمحو سناك داجى الظلماء

◆ ◆ ◆ ◆

نعم وما انت سوى فدائى من طيب أرضى يفتدى ومائى
ينشق من عطرى ومن هوائى وفى دمائه جرت دمائى
سليل شعب للعلا بناء
غلتك يوما محنة الأرزاء
وأطلقتك ثورة الآباء



جذور التفكير الإجرامي في قيام اسرائيل

للأستاذ : فؤاد الرفاعي

- **لم تكن فلسطين هدفا أول لانشاء الوطن اليهودى .**
- **رفض السلطان عبد الحميد تسليم اليهود موطىء قدم فى فلسطين رغم محاولتهم رشوته بعشرين مليون جنيه .**
- **خطط هرتزل لافناء العرب الفلسطينيين بالتهجير والتجويع وتعريضهم للآفات والامراض .**

عندما فكر (تيودور هرتزل) ــ اليهودى المجرى المولود فى بودابست عام ١٨٦٠ ، ومؤسس الصهيونية ، وأبو اسرائيل الروحى ــ فى جمع شتات يهود العالم وتأسيس وطن قومى لهم ، لم تكن فكرة اختيار المكان الذى سيقوم عليه ذلك الوطن القومى المزعوم واضحة فى ذهنه كل الوضوح ، وانما كانت مهتزة متأرجحة .

نعم ، لقد كانت فلسطين هدفه الاول وحلمه الاسطورى ، لارتباطها ــ فى ذهنه ومشاعره ــ بتاريخ اليهود القديم الذى عفى عليه الزمن منذ عام ٣٥ قبل الميلاد ، حين أزال الرومان دولة اليهود الثانية من الجزء الشرقى لفلسطين ، بعد أن شارك الانباط العرب فى ضرب قسم منها قبل مقدم الرومان .

غير أن هرتزل كان يعلم فى الوقت نفسه بأن تحقيق حلمه الاسطورى ، اذا كان يصادف من قلبه هوى جامحا من العصبية الدينية والعنصرية ، فانه لا يصادف من السند التاريخى متكأ يعينه عليه ، لان انقضاء عشرين قرنا على تقويض كيان اليهود السياسى والاجتماعى فى فلسطين على أيدى الرومان ، سيسقط كل حجة تاريخية يتذرع هو بها للمطالبة بفلسطين وطنا قوميا لليهود .

لهذا ، فقد ظل هرتزل حائرا فى اختيار المكان المناسب فترة امتدت سبع سنوات ، أى منذ أن جهر بفكرة انشاء دولة لليهود عام ١٨٩٥ .

فهو يرى مرة فى جزيرة قبرص مكانا مناسبا للتجمع اليهودى ، يمكن الصهيونية — فيما بعد — من التسلل منها الى فلسطين ، أو الوثوب عليها حينما تواتى الظروف كهدف للصهيونية أخيرا .

وهو يرى مرة أخرى أن يؤسس ما يسمى بالوطن القومى اليهودى فى جنوبى افريقيا ، أو فى شرقيها ، اذا لم يوافق السلطان عبد الحميد الثانى ، سلطان تركيا آنذاك ، على منح اليهود حقا فى الهجرة الى فلسطين .

بل هو ذهب الى التفكير فى اختيار الارجنتين ، أو أية بقعة أخرى من بقاع أمريكا اللاتينية ما دامت تحقق له حلمه فى جمع يهود العالم داخل وطن مستقل لهم ، ينقذهم من الاضطهاد والتشتت والاحتقار .

ذلك لان هرتزل كان يدرك ما لفلسطين من حرمة دينية عظيمة لدى المسلمين والمسيحيين — آنذاك ..!! — على السواء ، ويدرك فى الوقت نفسه أن السلطان العثمانى ، الذى كانت فلسطين العربية تحت سيطرته كجزء من الامبراطورية العثمانية ، لا يجرأ على تسليم فلسطين لليهود ، لانه يخشى اثارة شعور العرب خاصة والمسلمين بعامة فى الدرجة الاولى .

وكان ادراك هرتزل لهذا الامر صحيحا ، فعلى الرغم من أنه حاول رشوة السلطان عبد الحميد بمبلغ عشرين مليونا من الجنيهات الذهبية ، مستغلا عجز الخزينة التركية وافتقار السلطان الى المال ، فان السلطان أفسد على هرتزل أحلامه ، حين أبلغه عن طريق صديقه نيولنسكى المسؤول عن الادارة السياسية فى سفارة النمسا فى الاستانة بأنه — أى السلطان — غير قادر ولا مستعد للتنازل — بأى شكل — ولو عن مساحة قدم واحدة فى فلسطين ، لان فلسطين — كما قال السلطان بالحرف الواحد — ليست له بل لشعبه .

ثم أضاف السلطان الى ذلك قوله الذى دونه هرتزل فى مذكراته يوم ١٩—٦—١٨٩٦ .

— « لا أستطيع مطلقا أن أعطى أحدا أى جزء من فلسطين ، فليحتفظ اليهود بملايينهم ، فاذا قسمت امبراطوريتنا — وهى لن تقسم الا على جثثنا — فقد يحصل اليهود على فلسطين بغير مقابل (!!) انما لن تقسم جثثنا ، وعليه ، فلن أقبل باقتطاع شىء من جسمنا لاى غرض كان » !

اللعب على الحبال

ازاء هذا الرفض القاطع ، راح هرتزل يلعب على الحبال بكل ما عرف عن اليهودى العنصرى من تحفظ ماكر ، وصمت منطو على دغل وفساد .

فهو يلجأ تارة الى امبراطور ألمانيا للضغط على السلطان عبد الحميد ، لما كان بينهما من صداقة شخصية ومصالح متبادلة .

وهو يولى وجهه تارة أخرى نحو كبار الوزراء والامراء ورجال الحاشية والبلاط فى كل من لندن وباريس وفينا ليكسبهم الى حركته .

ثم هو يتقرب بعد ذلك من قيصر روسيا مستغلا نفوذ اليهود فى بلاطه ، ليضمن بذلك سكوت روسيا عن مؤازرة الدول الكبرى لمشروعه اذا ما كتب له النجاح .

والغريب — بل الطبيعى فى السلوك اليهودى المدخول — أن هرتزل كان يتصل بكل من هؤلاء على حدة ، ويدس لديه على الاخرين ، ويوقع بهم ، ويوهمه بأنه انما يعتمد عليه وحده بالسير فى قضيته ، وبأن أموال اليهود ستصب فى خزينته اذا هو عاضد الحركة وساعد فى هجرة اليهود الى فلسطين تمهيدا لاقامة الدولة !

أى أن هرتزل كان يعتمد فى مساعيه على الرشوة والاغراء فى الدرجة الاولى ، لا على حق شرعى مستند الى الواقع والتاريخ .

لقد استطاع هرتزل ، بحكم عمله الصحفى من جهة ، وروابطه الشخصية بكبار ساسة أوربا وزعمائها من جهة ثانية ، أن يميز برؤية صحيحة ما ستؤول اليه القضية اليهودية ، كما تمكن من خلال اتصالاته ومراسلاته ووسطائه وعمله الدائب على جميع الجبهات ، أن يبلور تلك الرؤية فى برنامج للعمل لم تكن فلسطين فيه محور الهدف مبدئيا .

حتى أنه حين عقد المؤتمر الصهيونى الاول فى مدينة بازل بسويسرا يوم ٢٩—٨—١٨٩٧ م كان هرتزل لا يزال مهتز الامل حول امكانية اغتصاب فلسطين لجعلها أرضا لاسرائيل ، مما أدى ببعض زملائه المؤتمرين الى أن يتهموه بالخيانة فيما بعد ، لانه أظهر ميلا الى اقامة الوطن اليهودى على غير أرض فلسطين .

ومن هنا يبدو جليا أن هرتزل كان يهدف فى الدرجة الاولى ، وقبل كل شىء ، الى اقامة دولة لليهود فقط أينما اتفق وتيسر ، وكانت فلسطين فى ذهنه هدفا ثانيا يمكن السعى الى تحقيقه فيما بعد .

واذن فالحق التاريخى المزعوم لليهود فى فلسطين ليس هو المحور الذى دارت عليه الفكرة ، اذ لا سند هنالك لا من المنطق ولا من التاريخ يمكن التسليم

به كمستند ، فان مضى ألفى عام على خروج اليهود من فلسطين لا يشكل لهم حق العودة اليها ، اذ أن الكيان السياسى الذى أقاموه فيها قبل الميلاد لم يمتد أكثر من ٥١٢ سنة ، فى حين أن جذور التاريخ العربى تذهب فى تلك الارض بعيدا الى مدى سبعة آلاف عام ، بالاستناد الى أوثق المصادر والاسانيد الشرقية والغربية على السواء .

فلسطين ولا سواها

وعلى الرغم من ذلك ، فان أحلام هرتزل فى اغتصاب فلسطين ما كانت لتفارقه حتى أنه عندما يئس من الحصول على موافقة السلطان العثمانى حول الهجرة اليهودية ، فكر فى أن يختار صحراء سيناء أرضا للدولة ، مثلما كان قد فكر فى جزيرة قبرص من قبـــل ، لان كلا المنطقتين قريب من فلسطين ويمكن التسلل أو الوثوب من أى منهما الى أرض الاحلام عندما تواتى الفرصة وتسمح الامكانيات . ومع ذلك فقد رفض السلطان طلبه هذا كذلك .

صحيح أن وضوح الرؤية أمام هرتزل ، واستشفافه بعد الشقة ما بينه وبين حلمه الاسطورى ، وتعثر مساعيه أمام رفض السلطان ، واستخفاف كثير من المفكرين اليهود به وبمشروعه ، وعدم استجابة كبار المتمولين منهم مبدئيـــا لدعوته .. كل هذه الاسباب كانت تميل بهرتزل الى القبول بأى مكان آخر كمرحلة تمهيدية لجمع شتات يهود العالم .. غير أن فلسطين ما كانت لتغيب عن خياله أينما ذهب وحيثما انقلب .

لقد فكر هو فى فلسطين بدء الامر كهدف واحد من عدة أهداف ، ثم كأفضل وأحسن هدف ، ثم أصبحت فى تفكيره وتفكير خلفائه الصهيونيين من بعده هى الهدف الوحيد الذى لا هدف سواه ، فلا بديل لفلسطين عندهم حتى ولو حصلوا على أية بقعة أخرى من بقاع العالم ، مما هو أكثر ضمانا لهم وأمنا وأقل مغامرة وخطرا .

فى المؤتمر الصهيونى الاول

وعندما انعقد المؤتمر الصهيونى الاول فى بازل ، وانتخب هرتزل رئيسا له ، أعلن تأسيس الدولة اليهودية وارساء قواعد الحركة الصهيونية التى نمت كالشجرة الخبيثة وتفرعت حتى أصبحت خطرا لا علينا نحن العرب وحسب ، بل وعلى الحضارة الانسانية بأسرها ما لم تقطع من أصولها .

لقد كتب هرتزل عن ذلك اليوم المشهود فى مذكراته يقول :

« لو طلب منى تلخيص أثر مؤتمر بازل فى كلمة واحدة — وعلى أن أحرص على عدم رفع صوتى بلفظها — لـــكانت تلك الكلمة : فى بازل أسست الدولة اليهودية » .

« لو أنى قلت ذلك بصوت عال لضحك الجميع منى » ..

« لكن ، ربما فى خلال خمس سنوات ، أو فى مدى خمسين سنة بالتأكيد ، سيتحقق الجميع من صحة الامر » !!..

« ان تأسيس أية دولة ، هو رهن بارادة الشعب فى انشائها ، بل هو رهن بارادة فرد قوى قوة كافية » !!..

« واذا كانت الدولة فى العادة شيئا معنويا ، فان الارض هى فقط الاساس المـادى لها » !!..

« فى بازل اذن أنشأت الكيان المعنوى الذى لا تراه أغلبية الناس الساحقة كما هو .. »

« لقد أنشأته بوسائل قليلة جدا ، وبالتدريج وضعت الناس فى جو مناسب للدولة ، وجعلتهم يشعرون بأنهم هيئة وطنية » ..!!

« لقد وضع هذا المؤتمر الذى انتخبنى رئيسا له برنامج الصهيونية ، وجعل محور ذلك البرنامـج تأسـيس وطن محمى لليهـود الذين لا يريدون — أو لا يستطيعون — الاندماج مع شعوب مختلف المناطق التى يعيشون فيها .. ويجب أن يكون تأسيس ذلك الوطن علنيا ، وبحماية من القانون » .

وانصرف هرتزل بعد ذلك اليوم بعزم أكبر الى وضع خططه لسلب الاراضى الفلسطينية من أهلها العرب بأخبث طرائق التفكير الاجرامى الذى يمكن أن يبيت لشعب آمن فى أرضه ووطنه .

ولكى يضفى على خططه تلك صفة مقبولة ولكنها مضللة ، فكر فى أن يكون استلابه الاراضى بطريقـة الشراء ودفع القيمة ، ثم استعادة أثمـانها بالمضاربات التجارية بين اليهود أنفسهم ، وبعمليات حسابية معقدة يقوم على تنفيذها جماعات سرية من اليهود .

لذلك فقد دعا سائر اليهود المتمولين من جميع أنحاء العالم ، وعلى رأسهم عائلة روتشيلد الفاحشة الغنى الى تأسيس شركة لشراء الاراضى باسم (البنك اليهودى الاستعمارى) . فلما تم له ذلك ، راح عملاء تلك الشركة يعملون بتكتم على عقد صفقات الشراء ، فتفاوضوا مع عائلة (سرسق) الرومية لابتياع سبعة وتسعين قرية من ممتلكاتها فى فلسطين ، وكانت تلك العائلة الرومية الـكبيرة واقعة تحت عجز مالى مقداره سبعة ملايين فرنك ، بددها أعضاؤها على موائد القمار فى باريس . وقد نجحت الشركة فى الاستيلاء على مساحات كبيرة فى أخصب بقاع فلسطين اشترتها من عائلة (سرسق) تلك ، ومن غيرها كذلك ..

جذور الاجرام العريق

ان ملامح النجاح المبدئى الذى أصابه بنك الاستعمار اليهودى فى شراء مساحات من الارض الفلسطينية ، جعلت هرتزل ينتقل بتفـكيره الى تصـور الحالة الراهنة التى سيتصرف اليهود فى اطارها حيال السكان العرب الاصليين.

وهو تفكير لا يدانيه فى الاجرام والقسوة والسقوط الاخلاقى تفكير آخر غيره قائم على العنصرية الطاغية والمكر اللئيم .

فقد وضع هو فى برنامجه — عند قيام الدولة عمليا — أن يجلى السكان العرب الفقراء عن أراضيهم الى البلاد المجاورة ، وذلك اما بقوة السلاح حين يتاح ، أو برفض اعطائهم أى عمل يعيشون منه ، أى بتجويعهم وتقويض كيانهم بنشر البطالة بينهم تمهيدا لافنائهم والتخلص منهم .

أما أصحاب الاملاك من الفلسطينيين الذين يرفضون بيع ممتلكاتهم ، فقد رسم لهم هرتزل خطة تقضى بابقائهم الى فترة ما فى أماكنهم ، ريثما يستطيع عملاء البنك اليهودى استخلاص أراضيهم منهم ، وفى ذلك يقول (ص ٨٨ — ٨٩ من مذكراته) :

« يجب أن نقوم بكلتا العمليتين فى آن معا . استخلاص الارض ، وابعاد السكان الفقراء بتعقل وحذر » .

ثم يقول :

« يجب أن نعمل على ايهام أصحاب الاملاك التى لا تنقل بأنهم يخدعوننا ببيعنا ممتلكاتهم بأكثر مما تساوى .. وأما نحن فلن نبيعهم شيئا .. سيكون استخلاص الاراضى عن طيب خاطر .. وهذه هى مهمة عملائنا السريين .. وعندما نحصل على الاراضى ولو بأثمان باهظة ، سنعمد بعد ذلك الى بيعهـا لليهود فقط ، وستكون المتاجرة بالعقارات بين اليهود فقط .. طبعا لن نستطيع أن نصرح بهذا ونعلن أن أى بيع آخر ليس قانونيا .. لذلك يجب أن نحـافظ على كل ما يباع من ممتلكات عن طريق فتح مجال للبنك أن يشتريه ثانية .. ان هذا الحق فى الشراء ثانية هو امتياز لا يمكن اســترجاعه بالرهن .. أما ما سننفقه من أجل الشراء ، فسنسترده عن طريق تحسين الاراضى واستغلالها ، وبهذا لا نكون خسرنا شيئا ، بل ستكون أرباحنا أضعافا مضاعفة » .

ومزيد من الاجرام الخلقى

لم يقف تفكير هرتزل فى تبييت الشر لعرب فلسطين عند هذا الحد المخزى فى نظر أبسط المبادىء الخلقية والانسانية ، بل تعداه الى ما هو أدهى منـه وألأم .

فهو حريص على ألا يصيب اليهود أى مكروه اذا ما استولوا على فلسطين وليكن ذلك المكروه منصبا على العرب أنفسهم قبل اجلائهم عن أراضيهم .

ان فناء ألف عربى هو خير عند هرتزل ألف مرة من موت يهودى واحد ..

لقد تصور هذا المجرم العريق أن اليهود القادمين الى فلسطين من بلاد بعيدة ، قد يصادفون من الحيوانات البرية الخطيرة ما ليسوا هم متعودين على رؤيته أو درء خطره ، كالافاعى الكبيرة الفاتكة مثلا .

وكحل للموضوع، رأى هرتزل أن يستخدم سكان البلاد العرب فى مواجهة أخطار تلك الحيوانات .. وذلك عن طريق اغرائهم بالمال .. وتخصيص جوائز مغرية لمن يأتى منهم بجلود الافاعى وبيوضها .. أو أية حيوانات أخرى خطيرة (مذكراته ص ٩٨) .

أما المناطق الموبوءة والمكشوفة والمعرضة للحر والبرد الشديدين ، فالحل الوحيد عند هرتزل لتطهيرها وتعميرها هو استخدام أبناء البلاد من العرب فيها قبل اجلائهم ، وذلك عند تنفيذ مشروعات شق الطرق أو مد الخطوط الحديدية ، أو تجفيف المستنقعات (لأن أهل البلاد متعودون على الطقس ، والا كثرت نسبة الموت بيننا .. مما يسيء الى معنويات الشعب اليهودى الذى سيكون على أية حال خائفا من الامر المجهول) مذكراته ص ٢٠٨

ولقد زار هرتزل فلسطين فى أواخر عام ١٨٩٨ ، وعلم بأن الامراض تفتك باليهود المهاجرين اليها ، فراعه ذلك ، ولكنه طمأن نفســـه بأن هذا الفتك لن يستمر لدى قيام الدولة على أرض فلسطين .. فليكن تعرض الســكان العرب لتلك الامراض دريئة لليهود .. اذ الى أولئك السكان سيعهد بتطهير الاماكن الموبوءة .. وفى ذلك يقول :

« سيكون تكاليف ذلك بلايين .. ولكن انفاق هذه البلايين سيؤدى الى خلق ثروة جديدة تفوقها بأضعاف .. وأن استخدام السكان العرب الفقراء ضد الاوبئة هو الشيء الممكن » ص ٧٤١ من مذكراته .

نعم ، هكذا بكل هذا اللؤم ، وبكل هذه الوحشية الفكرية والسلوك غير الاخلاقى قامت اسرائيل فى أرضنا العربية مستمدة نسغها السام من جذور تفكير أبيها الروحى (تيودور هرتزل) .

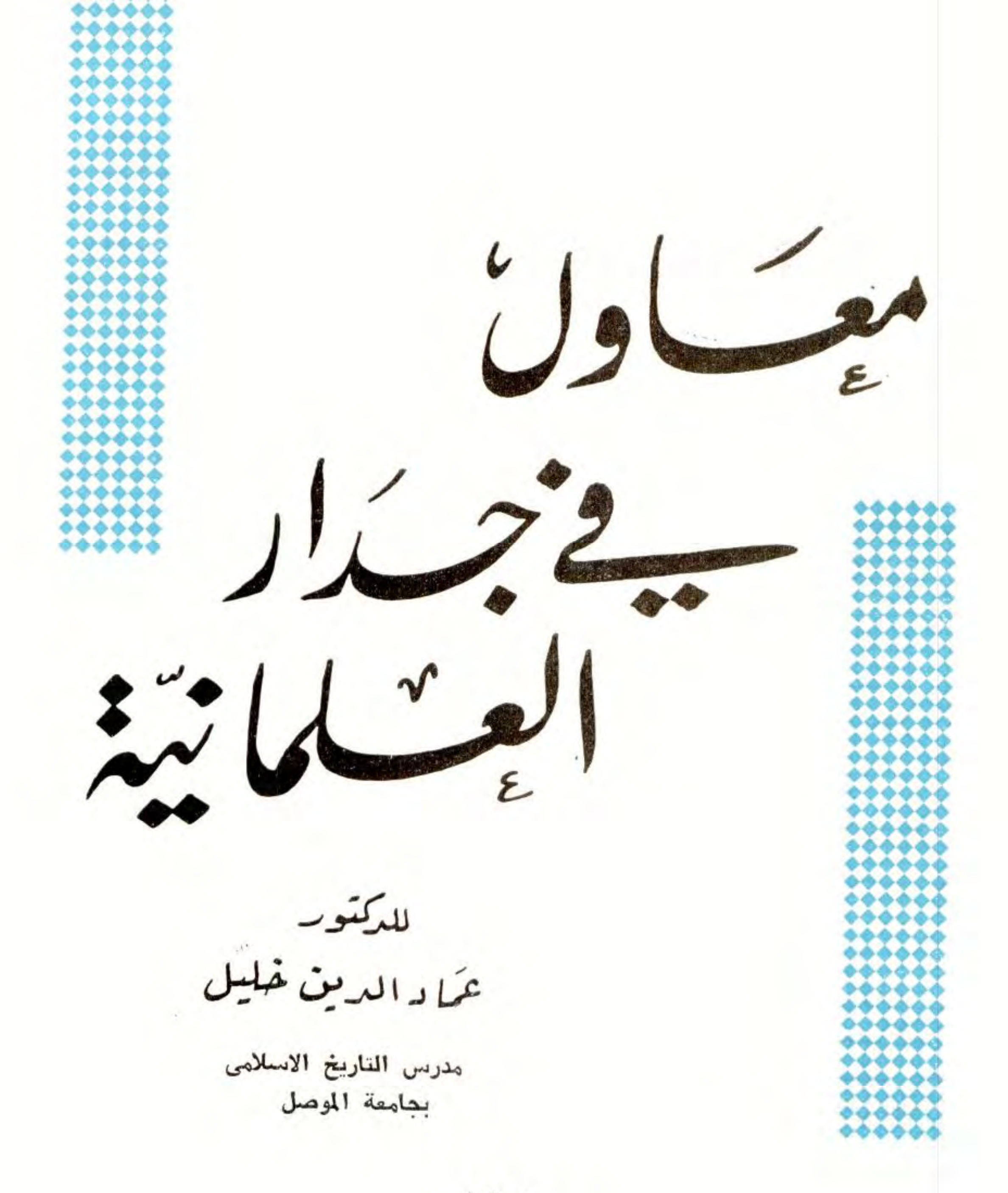
وكان طبيعيا أن يتسلل هذا التفكير الاجرامى فى أذهان خلفاء هرتزل ، وأن يبدو على أشد صوره الوحشية فيما بعد ، حين قامت اسرائيل فى أرضنا العربية فارتكب الاسرائيليون من جرائم القتل والنهب والتعذيب ضد اخوتنا وأبنائنا العرب ما لا يمكن أن تمحو أثره الايام الا بمعاقبة أولئك الاسرائيليين على أيدينا نحن العرب سواء أطال الزمن أم قصر .

ان للتاريخ دورات يعيد بها نفسه ، ويهيىء الظروف ذاتهـــا التى تطيح بالطغاة والغاصبين .

ولقد قامت لاسرائيل دولة فى جزء من فلسطين على فترتين خلال خمسة قرون قبل الميلاد ، ولكنها ما لبثت أن انهارت بسبب ضلال اليهود وطغيـــانهم وتعصبهم وقتلهم الانبياء وغير الانبياء بغير حق .

وستنهار ولاشك دولتهم هذه الاخيرة التى أقاموها بالخب والرشوة والخداع والطغيان على أرضنا العربية .. انها ستنهار بأقصر مدى مما يتصورون .

وسيدون التاريخ فى أسفاره أن دولة ثالثة لاسرائيل قامت فى فلسطين بفعل الطغيان والخب والسقوط الاخلاقى ، وأنها انهارت بفعل هذه الاســباب نفسها ، كما انهارت مثيلتاها قبل ألفى عام ، وليس هذا تنبؤا أو رجما بالغيب ، وانما هو استخلاص من الشواهد والقرائن والارقام ، اذا صحا العالمان العربى والاسلامى ، ولا بد لهما من صحو كامل قريب .



معاول في جدار العلمانية

للدكتور
عماد الدين خليل

مدرس التاريخ الاسلامى
بجامعة الموصل

(١)

المعلم طاقة واحدة من مجموعة طاقات وهبها الله الانسان يوم خلق الانسان . يفتح ابن آدم منافذه الحسية من سمع وبصر ولمس على الواقع القريب ، فتنطبع فى عقله صورة أو ظاهرة من هذا الواقع . ثم يتكرر فتح النوافذ وتتكرر الصور والظواهر ، فيتنبه الى أن هذا التكرار لا تحكمه الصدفة وانما يسوقه قانون له أولياته وفاعليته ونتائجه . ومن ثم يطلع العقل على الناس بنظرية هى حصيلة صور عديدة أو ظواهر شتى عرضت نفسها على الحواس مرة بعد مرة .. ثم ما تلبث هذه النظرية أن تكتسب حكم اليقين فتغدو قانونا تنبثق عنه منجزات تجريبية وتكنية ، تبدأ فجة خشنة وتتدرج نحو الاحسن والاروع .. ويجد الانسان نفسه أخيرا أمام الاشياء الباهرة التى تطرحها عليه يوما بعد يوم حضارة العلم والحسية والتجريب التى تمكنت بهذه الوسائل من الكشف عن جانب من قوى الكون المذخورة ، واستطاعت أن تضع هذا الكشف الجزئى المحدود فى صيغة نظرية مدروسة أو قانون منتج .

(٢)

ذلك اذا هو مدى العلم ، وتلك اذا هى وسائله التى يحمل نفسه عليها ، ومعطياته التى يطلع بها على الناس . وخلاصة الامر أن جانبا من الانسان ، جانبا واحدا فقط ، هيأ له الله سبحانه امكانية التعامل مع ما يحيط به من ماديات فى الارض والسماء ، من أجل تطور حضارته فى جانبها المادى ، وابتغاء مزيد من السعادة والرفاهية والانتاج .. هذه الامكانيات التى تتمثل بمنافذ حسية تفتح نفسها على الخارج وتدفع الى العقل الواعى لحظة بعد لحظة ، وساعة بعد ساعة ، بمجموعة من الاصوات والملموسات والاضواء ، وتتيح له أن يكشف عن جانب من القانون الاكبر الذى يسير به الخلاق سبحانه ملكوت السماوات والارض . فكل محاولة علمية للكشف اذا انما هى جهود من أجل التوصل الى ادراك مزيد من جوانب هذا القانون الالهى ، وبالتالى مزيد من الفهم لقدرات الخالق العظيم الذى له ملك السموات والارض ، الامر الذى يعرف الانسان العالم بخالقه العلام ويدفعه بالمنطق السديد — الى الايمان به والاسلام له . وذلك هو الوتر المعجز الذى عزف عليه القرآن الكريم آيات التدبر والتفكر فى الملكوت .. وقاد شعوبا دائما عبر رحلة العقل هذه — من الجاهلية الى الاسلام .

(٣)

هل ترون فى هذا أية ثنائية بين الوسيلة والهدف ؟ بين المادة والروح ؟ وبين العقل والايمان ؟.. أبدا .. فالبحث فى العلم قد قادنا دون قصد الى الله .. والحضارة التى تسعد الناس بما تطرحه من أشياء كان يجب أن تعلم الناس أيضا الايمان بالله .. لأن الله سبحانه هو الذى منحهم القضية — فى جانبها هذا — برؤوسها الثلاث : أرضية من طاقات مذخورة فى السموات والارض ، وسائل ذاتية تجريبية للتعامل مع هذه الارضية ، ثم قدرة على ادراك جوانب من القانون الأكبر الذى يحكم الكون .. وهذا هو الذى قاد عددا لا يحده حصر من العلماء الى الاذعان لأمر الله ، بعدما بلغوا درجات هائلة من البحث والتجريب .

اسمعوا كبلر وهو يقول (.. كل الخليقة ليست الا سيموفونية عجيبة فى مجال الروح والافكار ، كما هى فى مجال الاجسام والاحياء .. كل شىء متماسك مرتبط بعرى متبادلة لا تنفصم .. كل شىء يكون كلا متناسقا .. ان الله قد خلقنا على صورته وأعطانا الاحساس بالتناسق .. كل ما يوجد حى متحرك ، لأن كل شىء متتابع متصل .. كل كوكب وكل نجم ان هو الا حيوان ذو نفس .. ان روح النجوم هى سر حركتها ، وسبب ذلك الحب الذى يربط بعضها ببعض ، وتعليل ذلك النظام ، الذى تسير عليه الظواهر الطبيعية ..)

ويتساءل هنرى بوانكاريه فى كتابه : قيمة العلم : أيحق لنا أن نتكلم فى سبب ظاهرة من ظواهر الكون ، ما دام كل جزء من أجزائه متصلا بكل جزء برباط التضامن ؟ ان أية ظاهرة من الظواهر لن تكون نتيجة سبب واحد ، بل نتيجة أسباب غير متناهية فى العدد ، ان أية ظاهرة مهما يكن شأنها ليست فى الغالب الا نتيجة لحالة الكون كله فى لحظة سلفت ..

وفى كتاب للعالم اينشتاين فصل جاء فيه : انه يعتنق ما يسميه الديانة الكونية ، تلك الديانة التى تملأ قلب كل عالم انقطع للتأمل .. ذلك التناسق العجيب بين قوانين الطبيعة وما يخفى من عقل جبار لو اجتمعت كل أفكار البشر الى جانبه ، لما كونت غير شعاع ضئيل أقرب القول فيه أنه لا شيء[1] .

وغير كبلر وبوانكاريه واينشتاين .. مئات ..

(٤)

لكن الذى غطى على هذه الاصوات ويا للأسف سوء التفاهم الذى يحكم الحضارة المعاصرة والذى افترض زيفا ثنائية بين العقل والايمان ، وبين الانسان والله .. ثنائية غير موضوعية هى وليدة ظروف صعبة شهدها تاريخ الصراع المزيف بين العقل والدين .. الصراع الذى ظل يتضخم وينتفخ حتى غدا كالكابوس الذى تضيع معه معالم الاشياء والقيم والغايات .. وقد ضاعت هذه كلها فعلا ، دون أن يظهر صوت جاد يعلن عن زيف هذه الثنائية ، ويقول بصراحة إن العلم هو الوسيلة ، أو الخطوة الاولى ، فى الطريق الى الله ..

(٥)

السؤال الذى يطرح نفسه بعد هذا هو : **لماذا لم يهيىء الله سبحانه للانسان يوم خلقه رؤية مباشرة للقانون الذى يسير بموجبه السماوات والارض ،** فيتيح له بهذا سرعة مذهلة فى انجاز الاشياء دون تعب أو عناء ؟ يقينا أن الجواب على هذا السؤال سيتقدم بنا خطوات الى الامام ، سينأى بنا عن دائرة العقل والحس واليقين المادى ، الى دائرة أوسع تضم الروح والقلب والوجدان ، ثم تبعد بنا وتتسع فتضم الغيب وما وراء الحس ، بعيدا عن الرؤيا المباشرة للأشياء .. فكما أن العلم يقود حتما الى الايمان ، فان أية مناقشة حول العلم تقود هى الاخرى الى دوائر أوسع من مدى العلم والحس اذا ما أراد السائل فعلا أن يجد الجواب .. **لماذا لم يطلع الله الانسان على القانون الطبيعى الشامل الذى يحكم السموات والارض ؟** اذ ما من شك فى أن الاطلاع ، المباشر هذا سوف يقفز بالانسان خطوات عملاقة فى تعامله مع الارضية الكونية ، وفى انجازه أشياء حضارية تفوق الخيال .. لقد حدث هذا مرة أو مرتين عندما هيأ الله سبحانه لبعض أنبيائه — سليمان عليه السلام مثلا — الاطلاع على جوانب واسعة من هذا القانن ، فشهد ملكه معجزات تربك العقل وتحيره .. وما هى فى الحقيقة بمعجزات ، انما هو الكشف عن جانب أكبر من القانون الطبيعى أتاح لهذا الملك الاواب أن يسخر طاقات الارض لصنع هذه العجائب .. فلماذا لا يتاح لكل انسان هذا المصير العظيم ؟ ولماذا لا تشهد الارض فعلا ذلك البطل الذى ابتكره خيال جيته باسم (فاوست) ؟؟

(٦)

هنا ننتقل الى دائرة القيم والاخلاق ، دائرة الانسان من حيث هو انسان يحتوى فيما يحتوى على قيم وطاقات تفوق بكثير مدى العقل والحواس الخمس .

ومن ثم فلا بد من المقارنة بين هذه الطاقات جميعا لكى نستطيع ادراك الجواب ترى .. لو أعطى الانسان — يوم خلقه — المفتاح الذى يدخل به مباشرة الى ساحة الطبيعة ، فيدرك قوانينها دون عناء ، ويقفز الى الحضارة الخارجية بلا تدرج أو تطور ، أكان يشهد التاريخ البشرى هذه الجهود العظيمة ، وتلك المحاولات الدائبة ، وذلك التشبث والسعى صوب الكشف والتحضير ، أكان يمكن أن يكون للبشرية تاريخ أساسا ، وما هو دور العقل اذن اذا كان بامكان العين أن ترى القانون الاكبر ، والاذن أن تسمعه ، واليد أن تلمسه ، ما هو — وهذا هو الاهم — دور الارادة الانســانية التى ركزها الله فى الانسان ، والطاقات التى ألحقها بها كى يكون للانسان امكانية التصدى للغموض الطبيعى والحواجز الطبيعية ؟ ولماذا — اذن — جعل الله سبحانه فى الارض هذه المشاكل والتعقيدات والصعوبات الطبيعية ؟ أفيمكن دون أن يستثير الله سبحانه عنصر التحدى الارادى بين الطبيعة والانسان ، أن تكون هناك محاولة جادة لاستخدام العقل والارادة ، والتغلب على الغموض والتعقيد ، ومن ثم التقدم والتحضر ؟ ثم ، أكانت هناك حضارة فى تاريخ البشرية لم يسهم فى بعثها الى الوجود هذا التحدى الابدى بين الطبيعة والانسان ؟

(٧)

أخلاقية الوجود الانسانى على الارض تقتضى هذا الحوار العجيب بين الطبيعة والانسان . هو يسأل وهى تتمنع على الاجابة ، وهو يسعى اليها هادئا مرتاحا ، وهى ترفض أن تفتح له أحضانها وتلقى اليه بكنوزها .

معنى هذا أن على الانســان أن يرفض الكسل والقعود ، أن يتخلى عن السعى الهادىء المطمئن الى رزقه وتأمين حياته واحاطة وجوده على الارض بالضمانات . ماذا عليه اذن ؟ عليه كما أراد الله سبحانه له — أن يمشى ويتحرك أن يكدح ويجد ، أن يستخدم كل الطاقات التى وهبها اياه من أجل تحقيق هذا الهدف . أن ترد الطبيعة على جوابه وتسلم اليه القياد ، فى القرآن الــكريم مئات الآيات والعلامات تنفخ فى الانسان هذا المعنى الحضارى العظيم ، وتعلمه أن حواره مع الطبيعة لن يثمر الا بالسعى والكدح والحركة . من أجل هذا أيضا كان الاسلام — خاتم الرسالات ومصدقها — دعوة حركية على هذا النطاق ، كما هو دعوة حركية على النطاق الاكبر نطاق العقيدة والدين والمنهج .. حــركة الانسان والشعوب والامم من الظلام الى النور من الجهل والتخلف الى العلم والتحضر ، من النظرة المسترخية الكسولة للطبيعة والاشياء الى التمعن المتوتر النشيط للطبيعة والاشياء .. هذه الحركة التى يطلب القرآن أن تكون متفجرة أبدا ، لا تكل ، ولا تمل .. ثم يطلب منها ، وهذا هو الاعجاز العظيم ، الا تقصر سعيها على مدى الارض ، ويعلمها أن وطن الانسان ليس هى الارض فحسب ، بل الكون كله .. وكما أنه يدعوه للحركة العقائدية فى نطاق الكون كله ، فكذلك يطلب أن تكون حركته العقلية فى نطاق الكون كله . فالارض جزء من الكون ، والناموس الذى يحكم الارض هو نفسه الذى يحكم الكون . والله سبحانه خالق القوانين والاوضاع والانسان هو الذى فى السماء اله وفى الارض اله !! ومن ثم فان اللقاء بين الحركتين — حركة العقل ، وحركة الوجدان ، حركة الحس ،

وحركة الروح ، حركة الذهن وحركة القلب ــ هذا اللقاء ، سيكون محتما فى المدى القريب والبعيد ، لأن كلتا الحركتين ستطلع الانسان على الملكوت ، وتقوده الى الله ..

(٨)

ما هو الفرق بين القانون الطبيعى والقانون الدينى الاخلاقى ؟ ولمــاذا لم يكشف الله سبحانه عن الاول بينما قدم الكثير عن القانون الثانى ؟

سؤال يجدر أن يقال ، ولكن بقليل من التمعن نحصـــل على الجواب فى البداية يجب أن ندرك ، أنه فى المدى البعيد ، مدى علم الله الذى تتقطع الاعناق دونه فى هذه الحياة الدنيا ، الا من ارتضى من رسول ، فى مدى هذا العلم تنتفى هذه الثنائية بين القانونين ــ قانون الطبيعـــة وقانون الدين ، تذوب الحواجز وتتلاشى الفوارق ، ويلتقى كلا القانونين فى مدى صنع الله وارادته وقانونه الاكبر الذى يسير ملكوت السموات والارض بما عليهما من جماد وحيوان . ان المادة نفسها ، التى يرتكز عليها القانون الطبيعى ، قد حطمها اليوم العلم نفسه . لم تعد العينة الصلبة من المادة هى أساس الطبيعة . لقد كشف لهم العلم الحديث عن جانب خطير من القانون الطبيعى وعلمهم أن أساس الطبيعة هى الحركة وليست المادة ــ الذرات بأشكالها المتناهية فى الصغر ، تتحرك فتضفى الشكل المـــادى للاشياء ، وهذه الذرات هى الاخرى تتشكل وفق حركة معجزة فى كيانها الداخلى .. فكأنه تسبيح أبدى لكل قوى الطبيعة لرب الملكوت ولــكأنه ايماء عجيب للانسان المعاصر بزيف هذه الثنائيـــة التى قسمت خلق الله الى قسمين وأقامت بينهما جدارا من التباعد والصمت . ان الحركة ــ هذا المعنى الكبير ــ هو أساس الوجود المادى تماما كما هو أساس الوجود الحيوى . هذا ما كشف عنه العلم الاخير وما هذا الكشف الا جانب ضئيل مما يمكن أن يكشف عنه المستقبل القريب والبعيد . ومن يدرى فلعل العلم سيقود الانسان يوما الى الحقيقة القائلة إن الدين هو العلم والعلم هو الدين وكلاهما الحق ، اعتمادا على الناموس الواحد الذى يحكم الجميع .

هذه الثنائية بين القانون الطبيعى والقانون الدينى ليست سوى افتراض من خيال الانسان القاصر ، وظروفه الخارجية غير الموضوعية التى تقوده دائما لاصدار أحكام لا تغنى عن الحق شيئا . ولا يتيح المجال هنا استعراض هذه الظروف ، وما هو بالجديد على كل مثقف فى العالم الحديث ، ما شهدته أوروبا من مظالم وقسوة وسوء تصرف عبر تاريخها الطويل ، الامر الذى أدى الى هذه الازدواجية فى ذهن الغربى ووجدانه ونظرته للاشياء وتعامله معها . ان الصراع بين العقل والدين هناك ، ذلك الصراع العنيف القاسى الذى ذهب ضحية له علماء كبار ، وأحرقت من أجله تلال من الكتب . هذا الصراع أنتج بالضرورة هــذه الثمار المرة التى تسمم الحضارة المعاصرة ، وهذا العلقم الذى يملأ أفواه الناس فى العالم الحديث . ان الانسان لا يطيق أن يكون انسانين ، والفرد الواحد

لا يحتمل أن يكون فردين . وليس من المنطق أن ينأى العقل عن القلب ، والفكر عن الوجدان ، والحس عن الروح والطاقة عن الحركة . ليس من السهل أن يتمزق الانسان ويغدو أشتاتا وتفاريق .. ولكن لا بد لهذا الانسان — شاء أم أبى — أن يجنى ثمار ما صنعه الصراع الكريه ذاك ، وأن يمتلىء فيه بالعلقم .

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا !!

(٩)

ونعود من جديد الى السؤال الذى طرحناه قبل قليل — لماذا لم يكشف الله سبحانه للانسان عن القانون الطبيعى ، بينما قدم له الكثير عن القانون الدينى ؟

هنا يأتى دور الانسان نفسه — الانسان بارادته وطاقاته وامكاناته ، الانسان بما هو الانسان ترى لو تركت للانسان حرية الكشف عن القانون الاخلاقى والمنهج الدينى بنفسه ، أكان يمكن أن يصل الى بغيته ؟ أكان من السهل عليه تحقيق هدفه المنشود ؟ اذن لماذا لم تستطع المبادىء الوضعية طيلة آلاف السنين من عمر البشرية أن تحقق هذا الهدف ؟

أليس من العبث والقسوة أن يترك الانسان هكذا — يتعثر طوال حياته على الارض ولا يجد من يهديه سواء السبيل ؟ من العبث والقسوة أن يظل الانسان أسير جهله وتخبطه اللذين لا يرتفع عن وهدة حتى يوقعانه فى وهدة أعمق منها وأبعد غورا ؟ أليس من العبث والقسوة أن يهدر الانسان طاقاته الفاعلة فى سبيل البحث عن المنهج والقيم ؟ وهل بامكان الانسان — أساسا — أن يصل الى المنهج الامثل ويحدد القيم العليا ؟

فى مجال الطبيعة والاشياء لم يشأ الله سبحانه أن يكشف للانسان عن قوانينها ، لأن هذا يعنى اهمالا لطاقات الانسان الخلاقة وقدرتها على الكشف والابتكار . ولو حدث وأن وجد الانسان نفسه فجأة أمام القوانين الطبيعية على حقيقتها ، لألغيت اذن — وبشكل محتم كما سبق — كل قدراته ومحاولاته ، ولا سلم نفسه لكسل فكرى واتكالية لم يرد الله للانسان أن يقع فى اسارها . أما القانون الاخلاقى والمنهج الدينى فهل كان من المنطق أن يظل غامضا ، وأن يسعى الانسان بنفسه للكشف عنه ؟ ان هذا القانون وذلك المنهج مادام يرتبطان أساسا بالعالم الاوسع ويمتدان الى ما وراء الحس الظاهر للعيان ، ما داما ينأيان دائما عن رؤيا الانسان المباشرة وحريته المحدودة ، وحركته النسبية ،

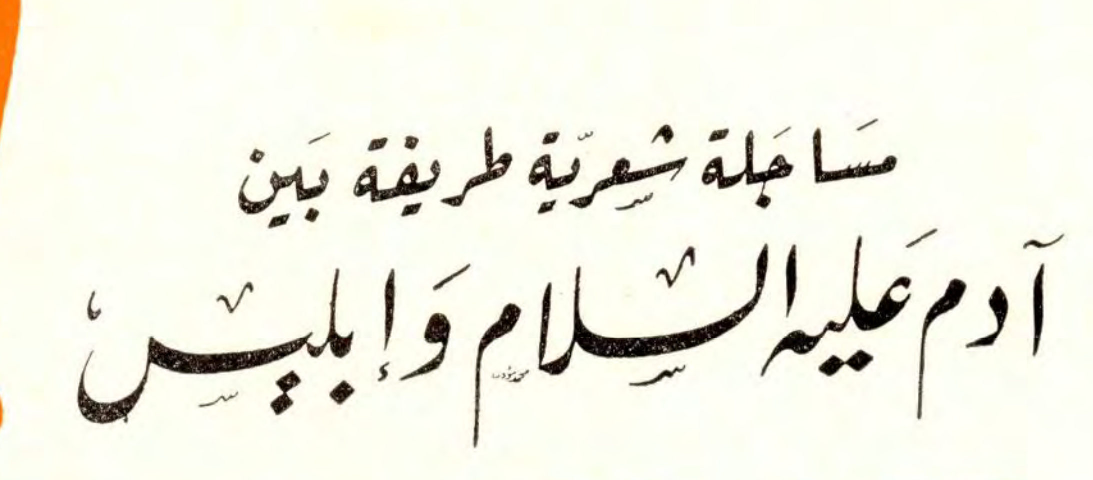
فليس من السهل عليه اذن أن يترك وحده للسعى وراء أهداف لم يهيأ للكشف عنها ان تجربة (الخطأ والصواب) تغدو مجدية فى مجال التعامل مع الطبيعة ، لأنها ستعلم الانسان طريقة جديدة ، أو تعطيه ابتكارا جديدا . وما منجزات الغرب التكنية المعاصرة سوى (تراث) أسـهمت فى صنعه وبنائه معظم أمم الارض وشعوبها بعد أن مارست كثيرا من تجارب الخطأ والصواب ، ولا زال العلم الى الآن ينفى اليوم ما أثبته بالامس ، ويثبت ما سوف ينفيه فى الغد ، ولكن هذا النفى والاثبات ، وهذه الظنية التى تحكم العلم ، لم تؤثر فى يوم من الايام على التطور المستمر للانجازات العلمية بل ان هذه فى صعود مستمر نحو الاكثر والاحسن أما فى المجال الاخلاقى والدينى فلا يمكن للانسان أن يمـارس تجربة الخطأ والصواب لأن هذه ستكون على حساب كينونته ووقته وجهده ، ولانها — وهذا هو الاهم — سوف لن تقدم له (الصواب) المطلق الذى لا خطأ بعده فى يوم من الايام . ذلك أنه لا يملك الوسائل التى تمكنه من تمحيص هذا الصواب . ثم ان عملية النفى والاثبات هنا ليست سوى عملية سلبية . اذ أن النفى فى عالم الاخلاق سيوقع الامم والشعوب فى فوضى لا حد لها ، وسيصيب الانسان نفسه بمشاكل باطنية وقلق وتمزق داخلى ، ينشلانه عن المضى فى طريق التطور والتحضر .

لقد أعطى الله الانسان امكانيات خلاقة ، وقدرة نافذة ، ورؤيا عظيمة ، لكن هذا وحده لا يكفى . ان امكاناته وقدرته ورؤياه لها أرضية واسعة للسعى والحركة وان تقليص هذه الارضية هى اهدار لطاقات الانسان أو تجميدها وهى بمعنى أوسع احتقار للارادة الانسانية . لكن هناك مدى أوسع بكثير من هذه الارضية ولو ترك الانسان وحده لظل يتحرك كالاعمى يقوم ويسقط الى أن يأتى يوم يسقط فيه فى الهوة التى لا قيام بعدها . ولقد حدث هذا فعلا لكن الناس والدعاة الوضعيين والامم والشعوب التى تعبدها أولئك الوضعيون من دون الله قالوا لها أن بامكانهم اعطاءها المنهج والقيم ، فسارت وراءهم رهبا ورغبا ، وعبدتهم من دون الله ، ثم ما لبث أن سقط الارباب والعبيد على السواء .

---

(١) أنظر توفيق الحكيم : تحت شـمس الفـكر — الصـفحات ٢٩ — ٣٠ ، ٧٥ — ٧٦ ، ٨٤ — ٨٥ .





للأستاذ : محمود غنيم

نحن ممن يؤمنون ايمانا لا يتطرق اليه شك بأنه لا جديد لأمة لا قديم لها .. ومن أجل ذلك نستهجن تلك الحملات التى يشنها بعض السطحيين من المتعلمين وأشباه المتعلمين على تراثنا القديم ، وعلى ما ينفق فى سبيل احيائه من جهد ومال بالغين ما بلغا من العناء والسخاء ، واذا كان المرحوم شوقى يقول :

أبوتنا وأعظمهم تراث   نحاذر أن يكون لآخرينا

فاننا نؤيده فيما يقول ، غير أننا نضع فى المرتبة الأولى قبل أعظم الآباء تراثهم الفكرى ، ونشاطهم الذهنى اللذين فلسفا بهما علوم الدين واللغة ، واللذين لو اتجها الى الذرة ما كان بعيدا أن يصلا الى تحطيمها قبل أن يصل اليه العلم الحديث ، واللذين آلا الينا ممثلين فيما خلفوه لنا منسوخا بالأيدى والأقلام من كتب ، بل موسوعات لا يسع الناظر اليها الا أن يرمقها بعين التقدير والاعجاب ، بل بعين الحيرة والذهول فى عصر المطابع والآلات .

بيد أننا فى الوقت نفسه نقرر أن هذا التراث ليس وردا خالصا ، ولا ذهبا لبابا ، بل يختلط ورده بشوكه ، وتبره بتربه ، لذلك كان لا بد لمن يتصدى لاستخراج هذه الكنوز من معادنها أن يكون مزودا بآلات ثقافية لا تقل عن الآلات المادية التى يتزود بها من يتصدى لاستخراج زيت البترول وغيره من

أعماق سحيقة فى جوف الأرض ، ثم لا بد مع هذا كله من استخدام ملكة النقد التى يستخدمها الصيرفى الحاذق فى تمييز النقد الزائف من النقد الصحيح ، والا ضل الباحث عن هذه الكنوز ضـــلال قاطع البحر بلا بوصلة ، وجائب الصحراء بلا دليل .

ولك أيها القارىء الكريم أن تعتبر هذا الكلام الذى أسلفته بمثابة تقدمة أسوقها اليك بين يدى الموضوع الذى أريد أن أطرقه ، أو بعبارة أدق — بين يدى الخبر الذى أريد أن أرويه لك منقولا بنصـــه من كتاب له خطره ، وهو كتاب تاريخ بغداد للحافظ أبى بكر أحمد بن على المعروف بالخطيب البغدادى .

ورد فى الجزء الخامس من الكتاب المشـــار اليه ، طبع مكتبة الخانجى بالقاهرة والمكتبة العربية ببغداد ، فى صفحة ١٢٨ عند الترجمة رقم ٢٥٥٢ لأحمد بن محمد المخذمى ما نصه :

حدثنا الأزهرى : أخبرنا على بن عمر الحافظ : حدثنا اســـماعيل بن العباس الوراق : حدثنا أبو البخترى عبد الله محمد بن شاكر : حدثنى أحمد ابن محمد المخذمى عن عبد العزيز بن الرماح عن سفيان بن عيينة عن ابن أبى بخيخ عن مجاهد عن ابن عبـــاس : قال : لمـــا قتل ابن آدم أخاه قال آدم عليه السلام :

تغيرت البـــلاد ومن عليهـــا ... فوجه الأرض مغـــبر قبيـــح
تغـــير كل ذى لون وطعـــم ... وقل بشـــاشة الوجه الصبيح
قتل قابيـــل هابيـــلا أخاه ... فوا حزنا مضى الوجه المليـــح

فأجابه ابليس :

تنح عن البـــلاد وســـاكنيها ... فها فى الخلد ضاق بك الفســيح
وكنت بهـــا وزوجك فى رخاء ... وقلبك من أذى الدنيـــا مريح
فمـــا انفـــكت مكايدتى ومكرى ... الى أن فاتك الثـــمن الربيـــح
فلولا رحمـــة الرحمن أضـــحى ... بكفك من جنـــان الخـــلد ريح
وجاورنا عـــدو ليس يفـــنى ... عـــدو ما يموت فنســـتريح

والى هنا ينتهى الخبر الذى أردنا ايراده ، منقولا بنصه من المصدر الذى ألمعنا اليه ، ولا يسعنا الا أن نعلق عليه بما يلى :

١ — لا كلام لنا مع ابليس وما قرض من شـــعر غثيث ، فابليس كبير المردة والشياطين ، وهؤلاء خلق من خلق الله لهم قدرة على التشـــكل بما يشاءون من الأشكال ، فأولى بهم أن تكون لهم القـــدرة على أن يصـــطنعوا ما يشاءون من اللغات ، منظومها ومنثورها على السواء .

٢ — ولكن لنا وقفة مع شعر آدم عليه الســـلام ، أكان آدم أبو البشر

ينطق العربية ، والعربية الفصحى ، فضلا عن أن ينظم بها الأوزان العروضية ، ذات القوافي الحائية ؟ وهل كانت اللغة العربية — على هذا — أصلا تفرعت منه كل لغات العالم ؟ اذن فما بال علماء اللغات يزعمون أن الانسان الأول بدأ يتفاهم بالاشارة ، ثم يحاكي الطيور في أصواتها ، حتى نشأ من ذلك ما أطلقوا عليه اسم اللغة الاولى ، وأن هذه اللغة قد انقرضت على مر الزمن ، ولم يبق منها الا أنقاض توزعتها سائر اللغات ، بعد أن أصابها غير قليل من التحوير والتبديل ؟

٣ — واذا كان آدم ينطق العربية ، وعلمه الله — سبحانه وتعالى — بها الأسماء كلها فهل علمه الشعر العربي أيضا ، وهو القائل في كتابه العزيز محدثا عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) ؟ فهل انبغى لآدم ما لم ينبغ لحفيده عليه السلام .

٤ — واذا كان لآدم أن يقرض الشعر أفما كان الأجدر به أن يقرض شعرا قويا متماسكا ، لا شعرا هزيلا متهافتا كهذا الشعر الذي أوردناه ، لقد كان أجدر به أن يسلك سبيل الشعر الجيد ، أو ينفض يديه من الشعر جملة ، ويسلك سبيل ذلك الأديب الذي قيل له : ما يمنعك من قرض الشعر ؟ فقال : نظري الى جيده .

ان البيت الثاني من أبيات آدم لم يسلم من الاقواء ، وان في البيت الثالث ضرورة قبيحة غاية القبح ، وأعني بها تسكين حرف اللام من (قتل) . ولا يماثل هذه الضرورة في قبحها الا تلك الضرورة التي وردت في الأغنية التي يغنيها عبد الوهاب للمرحوم كامل الشناوي :

ماذا أقول لأضلع مزقتها حزنا عليك ؟
ماذا أقول لأدمع سفحتها أشواقي اليك ؟

بحذف حرف الألف في النطق من آخر (سفحتها) حتى يستقيم الوزن ، وكان في استطاعة الشاعر أن يقول :

ماذا أقول لمدمع سفحته أشواقي اليك ؟
أو:ماذا أقول لأدمع أسيلتها شوقا اليك ؟

وبذلك يسلم المعنى والمبنى والتصريح والوزن دون أن يعلق بواحد من هذه الأربعة ذرة غبار :

٥ — ثم نعود الى أبيات آدم — عليه السلام — فنقول :

أية بلاد تلك التي تغيرت ، وتغير من عليها ؟ أكان في عهده بلاد تتغير ؟ ثم ما هو روح الحزن السائد في الأبيات ؟ ان آدم لا يبكي ابنه بروح الانسان الأول ، بل بروح أحد ذراريه الذين ورثوا الأرض من بعده بما لا يعلم الا الله وحده عدده من السنين .

٦ — أما معجزة المعجزات ، وأعجوبة الأعاجيب — فهما كيف طوى هذا الشعر القرون ، واجتاز مجاهل ومجاهل من الأرض والتاريخ ، حتى وصل الى ابن عباس رضي الله عنهما ؟

ان مؤرخى الأدب يقررون أن أقدم ما وصل الينا من الشـــعر العربى لا يتجاوز عمره قرنا ونصف قرن قبل الهجرة النبوية ، وحتى هذا القدر القريب العهد نسبيا لم يسلم من رجل كالدكتور طه حسين يثير حوله زوابع وأعاصير من الشكوك والأوهام ، فما بالك بشعر ينسب الى آدم عليه السلام ؟

والحق أن الشعر يكثر فيه المنحول والمدخول ، وما يبرأ منه من ينسب اليه براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، لا فى العصر الجاهلى وحده ، بل فى كل عصر ، حتى عصرنا هذا ، ولم يفت الأوائل هذا الاعتبار ، فتراهم فى كثير من مؤلفاتهم بعد ايراد ما هو موضع شك من الأبيات الشـــعرية يقولون : وأهل البصر بالشعر يشكون فى نسبة هذه الأبيات الى صاحبها .

٧ ــ وحسبنا أن نجتزىء بهذا القدر من الوقوف عند شعر آدم وابليس ، ثم نقف وقفة أخرى مع المؤلف : أعنى الخطيب البغدادى نفسه . اننا نسائله كيف طوعت له نفسه رواية هذا الشعر ، وان كان مرفوع الاســـناد الى ابن عباس ؟

واذا كان لا بد له أن يفعل تطبيقا لمبدأ الأمانة فى النقل ، أفما كان الأجدر به أن يرويه مثلا مقرونا بصيغة الزعم أو أحد مشتقاته ، أو أن يعلق عليه بما يفيد الشك والارتياب ، بله الجحود والانكار ؟

اننا نعتب عليه فى ذلك لمكانته الأدبية والتاريخية ، ثم لمكانة أخرى أهم من هذه وتلك ، وأعنى بها مكانته من رواية الأحاديث النبوية ، فقد تعجب أيها القارىء اذا علمت أن كتاب (تاريخ بغـــداد) الذى يقع فى اثنى عشر مجلدا ضخما من أجمع الـــكتب للأحاديث ، وأوفاها تراجم لرواتها الذين يعـــدون بالآلاف ، وكنا ننتظر من هذا المؤلف الجليل أن ينقد هذا الشعر بالبصيرة التى ينقد بها رواة الأحاديث الاحاديث ، ونحن نعلم مقدار ما يبذله رجال الأحاديث فى نقدها من تحر واجتهاد ، وكلنا يعلم قصة ذلك المحدث الذى ذهب ليستقصى عن حديث معين ، حتى انتهى به المطاف الى من روى عنه ، فوجده يستدعى ماشية له نافرة ، بشىء يشبه الكلأ ، وليس بكلأ ، فرجع أدراجه قائلا : هذا رجل يكذب على الماشية ، فليس بمستبعد أن يكذب على الرسول .

أريد أن أقول : ان ايراد مثل هذا الشـــعر فى كتاب (تاريخ بغداد) لا يجعلنا نطمئن كثيرا الى بعض ما أورده فيه المؤلف من أحاديث ، فنحن مثلا ننظر بعين الشك الى الحديث الوارد فى الجزء الخامس ص ٤٣٣ ، ونصـــه ما يلى : « حدثنا عبد الوارث بن سعيد ، حدثنا أبو عمرو بن العلاء ، عن محمد ابن عبد الرحمن ، عن يحيى بن عبيد البهرانى ، عن ابن عبـــاس : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينبذ له ، فيشربه اليوم والليلة ، ومن الغد وليلته ، فاذا كان اليوم الثالث أمر أن يسقى الخدم أو يهراق » .

واننى أكتفى بايراد هذا النص دون أن أطيل الوقوف عنده ، فليس من غرضى فى هذا المقال تحقيق الأحاديث ، أو بحث كنه هذا الحـــدث بالذات : أصحيح هو أم زائف ؟

ورأينا الخاص :

ثم نعود الى موضوعنا الأصلى ، بعد أن ابتعدنا عنه قليلا ، (والحديث شجون) فنقول : ان لنا رأيا خاصا ، لا نرى بأسا بعرضه على القراء فيما يتعلق بأمثال هذا الشعر الذى ينسب لآدم عليه السلام أو لابليس لعنه الله أو للملائكة أحيانا : كقولهم لبنى آدم ، على حد ما ورد فى جمهرة أشعار العرب :

لدوا للموت وابنوا للخراب — فكلكموا يصير الى الذهاب

وخلاصة هذا الرأى أن الشعراء فى مختلف العصور كانوا يصطنعون هذا الشعر المنسوب لآدم ، أو لابليس ، أو للملائكة ، أو للجن أحيانا ، ويضيفونه اليهم لا على أنه من لسان المقال ، بل على أنه من لسان الحال ، فهو أشبه بأن يكون النواة الأولى للشرح المسرحى الذى يجريه الشاعر على لسان بطل مسرحيته وغيره من أشخاصها المختلفين . غير أنه على مر الزمان تنوسى لسان الحال ، ولم يبق الا لسان المقال . وما يدرينا بعد فترة من الزمن بما سوف ينسب الى كليوباطرة والى قمبيز ، والى غيرهما ممن أجرى شوقى الشعر العربى الأصيل على ألسنتهم ؟

أقول : لعل الأجيال المقبلة ستشاهد من يتناسى (شوقى) بالمرة ، ويقول : قالت كليوباطرة تخاطب الأفعى حينما عزمت على الانتحار :

هلمى الآن منقذتى هلمى — وأهلا بالخلاص وقد سعى لى
شربت السم من فيك المفدى — بسلطانى وزدت عليه مالى
على نابيك من رزق المنايا — شفاء النفس من سوء الليالى

وبعد ، فاننى أعود مرة أخرى ، فأقرر ما لتراثنا الخالد من قيمة فنية لا يستغنى عنها باحث فى عصرنا الحديث ، وأقرر بجانب ذلك ما أسلفته من أن هذا التراث يختلط تبره بتربه ، وعلى هذا فنحن فى أمس الحاجة الى محققين لهذا التراث من طراز جديد . ان قصارى ما يريده المحققون فى عصرنا الحديث أن يبرزوا الآثار القديمة على النحو الذى أخرجها عليه المؤلف ، فان وفقوا الى ذلك عدوه فتحا مبينا . وليس هذا ما أريده ، وانما أريد محققين ينفون الخبث عن التراث ، ويذهبون بزبده جفاء ، وينقونه من كل ما يشوبه فيشينه ، ويغض من جماله ، فلم يعد مستساغا فى عصرنا الحديث أن نقرأ أمثال الأبيات السالفة منسوبة الى آدم أو الى ابليس ولم يعد مستساغا فى عصرنا الحديث أن نقرأ فى بعض تفاسير القرآن عند قوله تعالى : (والشمس تجرى لمستقر لها) قول بعض المفسرين : (ان ذلك انما يكون نهارا ، أما فى الليل فان الشمس تسجد تحت العرش) ، على حين أن مسألة كروية الأرض وسطوع أشعة الشمس على نصفها عملية مستمرة طول اليوم — مسألة مفروغ منها يعرفها صبية المدارس ، ويلم بها الأمى والمتعلم على السواء فى عصرنا الحديث .

بمثل هذا التحقيق الذى أنشده نعود بالحنيفة السمحة الى السمو الالهى الذى صاغها الله عليه ، ونتقى شر كثير من سهام النقد اللاذع الذى يوجهه اليها الغربيون . وبالله التوفيق .



موقف الشريعة من التأمين

والآن ما هو موقف الشريعة الاسلامية من هذا النظام ؟

التأمين نظام حديث نسبيا لم يعرف فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا فى عهد الخلفاء الراشدين أو الائمة المجتهدين . ولذلك لم يرد ذكر لعقد التأمين فى السنة النبوية الشريفة ولا فى أقوال الصحابة أو الائمة المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين .

ان أول من تحدث عن التأمين هو الامام محمد بن عابدين من فقهاء المذهب الحنفى فى القرن الماضى (١٧٨٤ — ١٨٣٦ م) حيث ورد ذكر التأمين فى حاشيته (رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الابصار) بمناسبة التأمين البحرى الذى انتشر فى أيامه عن طريق التجار الذين كانوا يستوردون البضائع من بلاد أوربا فى عصر النهضة .

رأى ابن عابدين :

يقول ابن عابدين : « جرت العادة أن التجار اذا استأجروا مركبا من حربى يدفعون له أجرته ويدفعون أيضاً مالا معلوما لرجل حربى مقيم فى بلاده يسمى ذلك المال (سوكرة) على أنه مهما هلك من المال الذى فى المركب بحرق أو غرق أو نهب أو غيره فذلك الرجل ضامن له بمقابلة ما يأخذه منه ، وله وكيل عنه مستأمن فى دارنا يقوم فى بلاد السواحل الاسلامية باذن السلطان يقبض من التجار مال السوكرة واذا هلك من مالهم فى البحر شىء يؤدى ذلك المستأمن للتجار بدله تماماً . والذى يظهر لى أنه لا يحل للتاجر أخذ بدل الهالك من ماله ، لأن هذا التزام ما لا يلزم » .



موضوع التأمين . وهل هو حلال أو حرام ؟ موضوع يشغل بال الجميع وقد رأينا أن نفتح باب الكتابة والمناقشة فيه لعرض الآراء حوله

وقد نشرنا فى العدد ٥٣ القسم الاول من هــذا البحث منتظرين أن نتلقى من البحــوث الجادة المدعمة بالحجج ما يمكننا من استمرار النشر حول هذا الموضوع حتى يمكن الاحاطــة بالآراء وحججها . وهذا هو القسم الاخير منه ويتناول رأى الشريعة .

(الوعى)

وهذا الرأى لابن عابدين ينصب على حالة ما اذا عقد عقد التأمين فى دار الاسلام حيث تطبق عليه قوانين الاسلام التى تحرم هذا العقد فى رأيهما . أما اذا كان العقد معقودا فى دار الحرب وأرسل صاحب السوكرة مبلغ التعويض الى التاجر فى دار الاسلام فانه يكون حلالا فى هذه الحال لأنه أخذ مال حربى برضائه دون غدر أو خيانة وليس بعقد فاسد معقود فى دار الاسلام .

رأى الفقهاء المعاصرين :

ينقسم موقف الفقهاء المعاصرين من التأمين الى ثلاثة أقسام :

١ — الفريق الاول يرى تحريم التأمين تحريما باتا لأنه كالقمار أو الرهان المحرم . وفى التأمين على الحياة اجتراء على حق الله تعالى لأن الذى يضمن حياة الشخص المؤمن عليه لمدة معينة والا دفع تعويضا لمن يحددهم فى حالة وفاته يكون خارجا هو ومن أمن لديه عن دين الاسلام .

٢ — أما الفريق الثانى فيقر بعض أنواع التأمين ويحرم البعض الآخر فيرى أن التأمين على السيارات مثلا لضمان اصلاحها ليس حراما . أما التأمين على الحياة فهو نوع من المقامرة لأنه ان دفع شخص بعض المال ومات فبأى حق يستحق كل المبلغ ، وان عاش حتى نهاية مدة التأمين فانه يأخذ المال الذى دفعه مع فائدة وهذا ربا(١) .

والخلاف بين أصحاب هذا الرأى وبين من يجيزون عقود التأمين جملة وتفصيلا محصور فى

---

(١) رأى فضيلة أستاذنا الشيخ محمد أبو زهرة — مجلة الاهرام الاقتصادى العدد ١٣٢ فى ١٥—٢—١٩٦١ .

دائرة واحدة لا يتجاوزها وهى عقود التأمين التى تكون بين مستأمن وشركة مؤمنة هى أجنبية عنه وهو أجنبى عنها ، وهما طرفان ، لكل واحد منهما حقوق وواجبات ، فالتأمينات الاجتماعية التى تقوم بها الدولة سواء أكانت بين الموظفين أم العمال وسواء أكانت شاملة لها صفة العموم أم كانت خاصة ببعض الطوائف ، صحيحة مباحة ليس هناك أى اعتراض عليها وهى تعاون اجتماعى سواء أكانت اتفاقيا أم كان فرضا من الحكومة فان هذا نوع من التآخى أيا كان سببه ولو كان بالالزام والتحتيم(٢) .

وعلى هذا يتحدد موقف هذا الفريق من الفقهاء فيما يلى(٣) :

١ ــ ان التأمين التعاونى والاجتماعى حلال لا شبهة فيه .

٢ ــ أنه لا يحل عقود التأمين غير التعاونى للاسباب الاتية :

أ) لأن فيها قمارا أو شبهة قمار على الاقل .

ب) لأن فيها غررا والغرر لا تصح معه العقود .

جـ) لأن فيه ربا اذ تعطى فيه الفائدة ، وفيه ربا من جهة أخرى وهو أنه يعطى القليل من النقود ويأخذ الكثير .

د) لأنه عقد صرف اذ هو اعطاء نقود فى سبيل نقود فى المستقبل . وعقد الصرف لا يصح الا بالقبض .

هـ) لأنه لا توجد ضرورة اقتصادية توجبه .

٣ ــ أما الفريق الثالث من الفقهاء فيرى جواز التأمين ، ومن هذا الرأى الامام الشيخ محمد عبده حيث نسبت اليه فتوى أجاز فيها التأمين وهذه الفتوى منشورة بمجلة المحاماة السنة الخامسة رقم ٤٦٠ ص ٥٦٣ وهذا نصها :

فتـــــوى شرعيـــــة

تأمين على حياة . جوازه . شركة مضاربة .

القاعدة الشرعية : عمل شركات التأمين على الحياة عمل مباح لأن اتفاق الشخص مع أصحاب شركة التأمين هو من قبيل شركة المضاربة ، وهى جائزة .

السؤال : سأل جناب مدير شركة قومبانية متوال ليف الامريكية فى رجل اتفق مع جمـــاعة (قومبانية) على أن يعطيهم مبلغا معلوما فى مدة معلومة على أقساط معينة للاتجار فيها لهم فيه الحظ والمصلحة ، وانه اذا مضت المدة المذكورة ، وكان حيا ، يأخذ هذا المبلغ منهم مع ما ربحه من التجارة فى تلك المدة ، واذا مات فى خلالها تأخذ ورثته أو من يطلق له حال حياته أخذ المبلغ المذكور مع الربح الذى ينتج مما دفعه فهل ذلك يوافق شرعا .

الجواب : اتفاق هذا الرجل مع هؤلاء الجماعة على دفع ذلك المبلغ على وجه ما ذكر يكون من قبيل شركة المضاربة ، وهى جائزة ، ولا مانع للرجل من أخذ ماله مع ما أنتجه من الربح بعد

(٢،٣) أنظر رأى أستاذنا الشيخ محمد أبو زهرة ــ أسبوع الفقه الاسلامى ص ٥١٥ ، وكذا تعليقه على موضوع التأمين أثناء مناقشته أمام المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر .

العمل فيه بالتجارة ، واذا مات الرجل فى ابان المدة ، وكان الجماعة قد عملوا فيما دفعه ، وقاموا بما التزموه من دفع المبلغ لورثته أو ان يكون له حق التصرف فى المال أن يأخذ المبلغ جميعه مع ما ربحه المدفوع منه بالتجارة على الوجه المذكور .

وبذلك يكون الامام الشيخ محمد عبده أول من قال بأن التأمين عقد مضاربة .

ويرى بعض الفقهاء(٤) أن التـــأمين بكل أنواعه ضرب من ضروب التعاون التى تفيــد المجتمع والتأمين على الحياة يفيد المؤمن كما يفيد الشركة التى تقوم بالتأمين أيضا ، ويذهب أصحاب هذا الرأى الى أنه لا بأس شرعا بالتأمين على الحياة اذا خلا من الربا بمعنى أن المؤمن عليه اذا عاش المدة المنصوص عليها فى عقد التأمين استرد ما دفعه فقط دون زيادة . أما اذا لم يعش المدة المذكورة حق لورثته أن يأخذوا قيمة التأمين (التعويض) وهذا حلال شرعا .

وقد أجاز البعض الآخر(٥) التـــأمين بالقياس على عقــد الموالاة (ولاء الموالاة) الذى يعتبره الحنفية من مراتب أسباب الارث وهو أن يقول شخص مجهول النسب لآخر أنت وليى تعقل عنى اذا جنيت (أى يدفع التعويض فى حالة ارتكابه جناية خطأ) وترثنى اذا أنا مت . وقد أقر بعض الصحابة بصحة عقد الموالاة منهم عمر وابن مسعود وابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم كمـــا أخذ به أبو حنيفة وأصحابه . ويعتبر ولاء الموالاة عقد معاوضة ملزم للطرفين — كما هو الحال فى عقد التأمين — حيث يلتزم الشخص بأن يتحمل العوض المالى عن جناية الخطأ التى يرتكبها الآخر على أن يرث الاول الثانى فى حالة وفاته دون وارث . وفى عقد التأمين يتحمل المؤمن دفع العوض مقابل التزام المستأمن بدفع الاقساط .

وذهب فريق ثالث من أصحاب الرأى المجيز للتأمين الى أن التأمين التجارى فى العصر الحديث أصبح ضرورة لا يمكن تجاهلها وانتهى الى أن هذا التأمين جائز شرعا للاسباب الآتية(٦) :

١ — أولا أنه عقد مستحدث لم يتناوله نص خاص ولم يشمله نص حاظر ، والاصل فى ذلك الجواز والاباحة .

٢ — أنه عقد يؤدى الى مصالح بيناها وبينا وزنها ولم يكن من ورائه ضرر واذا ثبتت المصلحة فثم حكم الله .

٣ — أنه أصبح عرفا دعت اليه مصلحة عامة ومصالح شخصية والعرف من الادلة الشرعية .

٤ — أن فيه التزاما أقوى من التزام وعد ، وقد ذهب المالكية الى وجوب الوفاء به قضاء .

---

(٤) هـــذا الرأى للمرحوم الاستاذ الدكتور محمد يوسف موسى — الاهرام الاقتصـــادى السابق الاشارة اليه .

(٥) من هـــذا الرأى الاستاذ مصطفى الزرقا (عقد التأمين وموقف الشريعـــة الاسلامية منه) أسبوع الفقه الاسلامى ص ٣٦٩ والاستاذ أحمد طه السنوسى — مجلة الازهر العددين ٢ ، ٣ من المجلد ٢٥ سنة ١٣٧٣ هـ .

(٦) التأمين لفضيلة أستاذنا الشـــيخ على الخفيف وهو البحث المقـــدم للمؤتمر الثانى لمجمـــع البحوث .

رأى مجمع البحوث الاسلامية :

عرض موضوع التأمين على المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الاسلامية المنعقد بالازهر الشريف فى شهر المحرم عام ١٣٨٥ هـ وقرر بشأنه ما يلى(٧) :

١ ــ التأمين الذى تقوم به جمعيات تعاونية يشترك فيها جميع المستأمنين لتؤدى لأعضائها ما يحتاجون اليه من معونات وخدمات أمر مشروع وهو من التعاون على البر .

٢ ــ نظام المعاشات الحكومى وما يشبهه من نظام الضمان الاجتماعى المتبع فى بعض الدول ونظام التأمينات الاجتماعية المتبع فى دول أخرى : كل هذا من الاعمال الجائزة .
٣ ــ أما أنواع التأمينات التى تقوم بها الشركات أيا كان وضعها مثل التأمين الخاص بمسئولية المستأمن ، والتأمين الخاص بمـــا يقع على المستأمن من غيره والتـــأمين الخاص بالحوادث التى لا مسئول فيها والتأمين على الحياة وما فى حكمه :

فقد قرر المؤتمر الاستمرار فى دراستها بواسطة لجنة جامعة لعلماء الشريعة وخبراء اقتصاديين وقانونيين واجتماعيين مع الوقوف ــ قبل ابداء الرأى ــ على آراء علماء المسلمين فى جميع الاقطار الاسلامية بالقدر المستطاع .

والان ما هو موقفنا من التأمين بعد أن بينا آراء الفقهاء فى هذا الموضوع الهام ؟

لقد أصبح التأمين اليوم ضرورة تحتمها المصلحة العامة فهو يمنح الامان والاطمئنان للمستأمن ويساهم فى تحقيق مصالح اقتصادية ضخمة . فالقول بأنه لا توجد ضرورة اقتصادية تحتم التأمين ليس صحيحا ، لأن شركات التأمين تساهم ــ بأموالهـــا المتجمعة نتيجة عمليـــات التأمين ــ فى المشروعات الاقتصادية الكبرى ومن الضرورى بل من المهم جدا أن يستمر عمل هذه الشركات بل ويزداد حتى تسهم بنصيب أكبر فى تنمية الاقتصاد القومى بما تقدمه من مدخرات المستأمنين .

والتأمين نظام تعاونى يقوم على أساس التعاون والتضامن بين المستأمنين وما المؤمن (شركات التأمين) الا وسيط لتنظيم عملية جمع الاقساط واستثمارها ودفع العوض للمؤمن لهم فلا مقـــامرة ولا رهان فى التأمين حيث أن القمار والرهان يتوقفان على المصادفة والحظ وأن القانون الوضعى نفسه لا يقرهما ، ويعد باطلا كل عقد رهان أو قمار . كما أنه لا توجد هناك خسارة لأحد طرفى العقد نتيجة لدقة الاحصائيات التى تعتمد عليها شركات التأمين فى حساب الاقساط .

ان التأمين نظام حديث ــ كما سبق القول ــ ولم يرد له نص فى الشريعة الاسلامية ولا يوجد ما يدعو الى تحريمه فالاصل فى العقود الاباحة اذا لم يخالف العقـــد قواعد الشرع . وليس كل مستحدث مخالف للشرع بالضرورة ، بل هناك من الامور الحديثة ، ما لم يرد فيها نص لا بالتحريم ولا بالاباحة ، ويجب النظر الى هذه الامور على أساس الضرورة والمصلحة العامة حتى لا يكون هناك حرج على المسلمين ، فمن المبادىء الفقهية الهامة أن « الضرورات تبيح المحظورات » .

ولنا فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة فعندما دعت مصلحة المسلمين الى جمع القرآن وهو أمر لم يحدث فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام تردد أبو بكر فى بادىء

---

(٧) كتاب المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الاسلامية ص ٤٠١ .

الامر حتى أقنعه عمر بأن فى جمعه مصلحة عامة لاستشهاد كثير من القراء فى معركة اليمــامة فخوفا على القرآن من الضياع وافق كبار الصحابة رضوان الله عليهم على جمعه فى صــحائف ثم جاء عثمان فأمر بجمع القــرآن فى مصحف واحد وأرسل به الى الامصار منعا من اختــلاف القراء .

وكذا حد شارب الخمر لم يكن محددا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدد فى خلافة أبى بكر الصديق بأربعين جلدة رفعت الى ثمانين أيام عثمان عندمــا كثر شاربو الخمر ورئى أن العقوبة غير رادعة فكان من المصلحة زيادة العقوبة ردعا للشاربين وزجرا لهم .

كما أن الفاروق عمر بن الخطاب أنشأ نظما جديدة للحكم لم تكن معروفة فى عهد الرســول صلى الله عليه وسلم ولا فى عهد أبى بكر ، ولم يعارض أحد من الصحابة فى ذلك .

ونظام المعاشات الحكومى أو نظام التأمين الاجتماعى الذى يبيحه جمهور الفقهاء المعاصرين والذى أقره مجمع البحوث الاسلامية جزء من التأمين ، وما يقال عن التأمين الخاص أو الفردى الذى تقوم به الشركات يمكن أن يقال عن نظام المعاشات أو التأمين الاجتماعى فقد يدفع العامل أو الموظف مبلغا يسيرا ويأخذ عند احالته الى التقاعد ايرادا شهريا يفوق ما دفعه ويستمر دفع هذا الايراد لورثته بعد وفاته بل ان هناك حالات يدفع فيها المستأمن قسطا أو أقساطا تعد على أصابع اليد الواحدة ثم يموت فيصرف لذويه معاشا شهريا بصفة مستمرة يفوق أضعاف أضــعاف ما حصل منه .

كما أن هناك جهالة فى نظام المعاشات اذ أن الهيئة القائمة على تنفيذ هــذا النظام لا تعــلم مقدار الاقساط التى ستحصل عليها من المؤمن له والتى ستدفع له أو لورثته بمقتضاها المبالغ التى يحددها القانون عند نهاية المدة .

واذا قيل إن نظام التأمين الخاص يشوبه الربا أو شبهة الربا فان فى نظام التأمين والمعاشات ربا أيضا . اذ تستثمر هيئة التأمين والمعاشات أموالها بالربا (٨) .

وعلى ذلك فكل ما وجه الى نظام التأمين الخاص من انتقادات يرى البعض تحريمه على أساسها يمكن توجيهها أيضا الى نظام المعاشات الذى يقره جلة الفقهاء ومجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف (٩) .

---

(٨) هناك نظام يسمى استبدال المعاش وهو أن يستبدل (يقترض) العامل أو الموظف جزءا من معاشه بعد مدة معينة يقضيها فى الخدمة نظير استقطاع قسط شهرى منه ويضاف على مبلغ الاستبدال أرباح تقدر حسب مدة القرض وهــذا ربا يحرمه الدين . ومن الواجب الغــاء هذه الفائدة .

(٩) « الوعى الاسلامى » يمكن أن يقال : ان هنــاك فرقا ملحوظــا وهو أن الدولة التى هى ملزمة شرعا برعاياها هى التى تدفع ، ولا حرج من هذا شرعا ، وأعتقد أن الشركات المؤممة التى هى ملك للدولة يمكن اعطاؤها حكم هيئة التأمين والمعاشات الحكومية ، لأن الدولة فى الحالتين هى التى تتولى العملية .

البقية ص ــ ٧٣



أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمـا يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب . (قرآن كريم)

ايمــــان

قال زيد بن ثابت : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أطلب سعد بن الربيع ، فقال لى :

ان رأيته فأقرئه منى السلام ، وقل له : يقول لك رسول الله : كيف تجدك ؟

قال زيد : فجعلت أطوف بين القتلى ، فأتيته ، وهو بآخر رمق ، وفيه سبعون ضربة ما بين طعنة رمح وضربة سيف ، ورمية سهم ، فقلت له :

يا سعد : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : كيف تجدك .

فقال : على رسول الله السلام . قل له : يا رسول الله : أجد ريح الجنة .. وقل لقومى الانصار : لا عذر لكم عند الله أن يتمكن عدو من الوصول الى رسول الله وفيكم عين تطرف .

وفاضت روحه من وقته .

القــاضى والمدين

أحضر رجل خصمه للقاضى ، وادعى عليه مائة دينار ، فطلب القاضى من المدعى البينة ، فعجز فطالب المدعى عليه باليمين ، فانشده هذين البيتين :

وانى لذو حلف كــــــاذب — اذا ما اضطررت وفى الامر ضيق

وهل من جنــاح على مســـلم — يدافــــع بالله ما لا يطيـــق

فاستظرفه القاضى ، ودفع من ماله الخاص ما عليه من الدين .

شــبر واحد

انى لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الارض ، فهى ليست ملك يمينى ، بل ملك شعبى .. لقد ناضل فى سبيل هذه الارض ، ورواها بدمه ، فليحتفظ اليهـود بملايينهم .. واذا مزقت امبراطوريتى يوما فانهم يستطيعون أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن .. أما وأنا حى فان عمل المبضع فى بدنى لاهون على من أن أرى فلسطين قد بترت من امبراطوريتى ، وهذا أمر لا يكون .. انى لا الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة .

السلطان عبد الحميد يرد على زعيم الصهيونية هرتزل عام ١٩٠١ م.

أعدها : أبو نزار

هل تعــلم

◈ أن القائد الاسلامى الكبير موسى ابن نصير فاتح بلاد الاندلس كان من أبناء مدينة الخليل .

◈ أن عدد الســـكان اليهود فى نيويورك مليونان و٦٠٠ ألف يهودى ، أى أكثر من اليهــــود الموجودين فى اسرائيل .

◈ أن عدد البوليس اليهـــــودى الموجود فى نيويورك أكثر من الموجود فى تل أبيب .

◈ أن المدرسين اليهود فى نيويورك أكثر من الموجودين فى اسرائيل .

◈ أن الصـــلاة عند اليهود هى التجارة ، والايمان هو الربح ، والجنة هى السوق ..

اليهودى والدكان

أدرك الموت أحد اليهود ، فأخــذ يتلفت حواليه ، ويسأل عن أولاده ، فقال :

أين زوجتى ؟ فجاءت وقالت : هنا .

أين ابنى كوهين ؟ فجاء وقال هنا .

أين ابنتى راشيل ؟ فجاءت وقالت : هنا .

فقفز الرجل من فراشه وهو يصرخ: من الذى سيفتح الدكان ؟!

دينـــار يلد

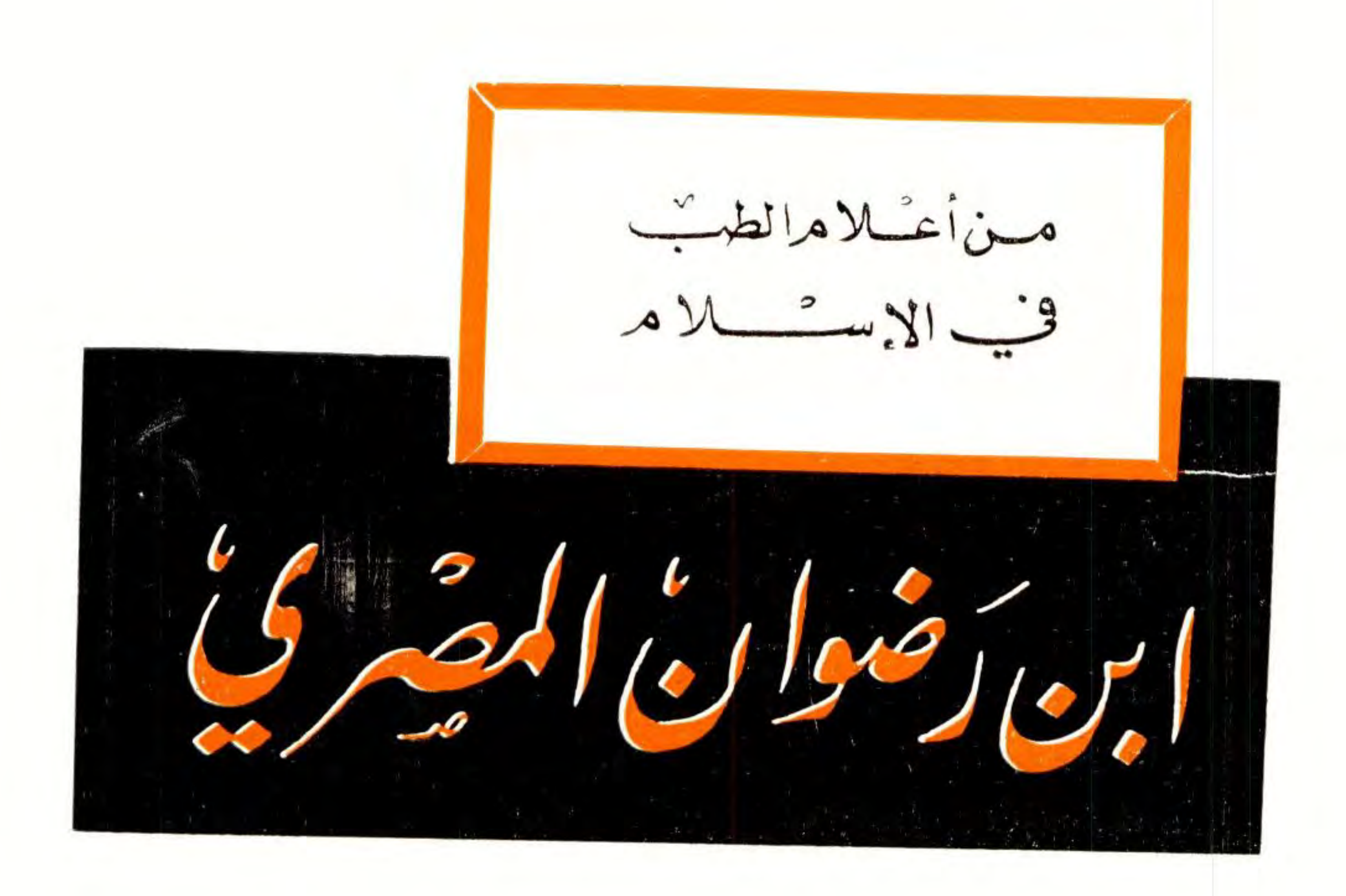
وجدت امرأة دينارا ، فأخبرت زوجها ، فقال : ادفعيه الى حتى يلد لك فى كل أســبوع درهمين ، فدفعته اليه ، فصار يدفع اليها ، فلما كان الاسبوع الرابع طالبته بالدرهمين ، فقال : مات فى النفاس ، فقالت : ويلى عليك ، كيف يموت الدينار ؟ فقال لها : الويل لك على أهلك ؟ كيف تصدقين بولادته ، وتنكرين موته فى نفاسه .

طـــائر وســـمكة

عهد رجل بابنه الى معلم يعلمه الهجاء ، وبعد فترة سأل الوالد ولده ، هل تعلمت الهجاء ، قال : نعم . قال : ما هجاء طير ؟ قال : ط. أ. س. ح قال : ما هجاء سمكة ؟ قال : س ى م ك ل فأرسل الى المعلم فحضر فأخبره بجهل ابنه ، فاعتذر عنه المعلم ، وقال : كيف تطلب من صبى صغير أن يتهجى شيئا يطير فى الهواء وشيئا يغوص فى الماء .

الى المسلمين

تألفت لجنة فى أمريكا تدعو الطلبة اليهود والمسيحيين الى الدخول فى مسابقة موضـــوعها (قراءة التوراة) ومن يفوز فى هذه المسابقة من غير اليهود يأخذ مكافأة مالية أكبر مع دعوته مع أسرته لزيارة اسرائيل .



للدكتور : محمد أبو شوك

رئيس الوحدة الباطنية . المستشفى الاميرى — كويت

طبيبنا هذه المرة هو أبو الحسن على بن رضوان بن على بن جعفر من أرض مصر . ولد وترعرع بها ، وعمل فى مستشفياتها ، وعاصر حقبة من أحداثها . وهو مثل من أمثلة الكفاح والتصميم القوى رغم الظروف القاسية التى واجهها ، والتى أثرت فى حياته ، ولكنه مع ذلك كان الطبيب الانسانى — العالم الكفء ، فسما وارتفع الى ان صار رئيس المطببين فى مصر ، ونال الحظوة عند حاكمها الفاطمى . واتخذ له دارا كانت تعرف بدار ابن رضوان لشهرة صاحبها ، وكان يتمتع بسعة فى الرزق وعلو فى الجاه . ولعل ذلك يتضح جليا عندما نتعرض لسيرته التى كتبها بنفسه .

سيرته :

يقول عن نفسه « انه لما كان ينبغى لكل انسان أن يتحمل أليق الصنائع به وأوفقها له ، وكانت صناعة الطب تتاخم الفلسفة طاعة لله عز وجــل ، وكانت دلالات النجوم فى مولدى تدل على أن صناعتى الطب وكان العيش عندى فى الفضيلة ألذ من كل عيش ، أخذت فى تعلم صناعة الطب وأنا ابن خمس عشرة سنة » .



وبعد أن تعرض لطالع ولادته أخذ يتحدث كيف أنه وصل الى ما وصل اليه فى عبارات وجيزة كلها ثقة بالنفس فيقول : « فلما بلغت السنة السادسة أسلمت نفسى فى التعليم ، ولما بلغت السنة العاشرة انتقلت الى المدينة العظمى (يقصد القاهرة وكان من مواليد الجيزة) واجهدت نفسى فى التعليم ، ولما أتممت أربع عشرة سنة أخذت فى تعليم الطب والفلسفة ، ولم يكن لى مال أنفق منه (لانه نشأ فى بيئة فقيرة اذ كان والده يعمل فرانا) فلذلك عرض لى فى التعليم صعوبة ومشقة ، فكنت مرة أتكسب بصناعة القضايا بالنجوم ، ومرة بصناعة الطب ، ولم أزل كذلك وأنا فى غاية الاجتهاد فى التعليم الى السنة الثانية والثلاثين ، فانى اشتهرت فيها بالطب ، وكفانى ما كنت اكسبه بالطب ، بل وكان يفضل عنى الى وقتى هذا ، وكسبت مما فضل عن نفقتى املاكا فى هذه المدينة ان كتب الله عليها السلامة وبلغنى سن الشيخوخة كفانى فى النفقة عليها » .

وكان ابن رضوان — على ما يتضح من سيرته — يقوم بأعمال يومية مرتبة منظمة فيقول : « من ذلك أتصرف فى كل يوم فى صناعتى بمقدار ما يغنى ، ومن الرياضة التى تحفظ صحة البدن ، واغتذى بعد الاستراحة من الرياضة غذاء أقصد به حفظ الصحة . وأجتهد فى حال تصرفى فى التواضع والمداراة وغياث الملهوف وكشف كربة المكروب واسعاف المحتاج . وأجعل قصدى فى كل ذلك

الالتذاذ بالافعال والانفعالات الجميلة . ولا بد أن يحصل من ذلك كسب ما ينفق فأنفق منه على صحة بدنى ، وعمارة منزلى نفقة لا تبلغ التبذير ، ولا تنحط الى التقتير ، وتلزم الحال الوسطى ، بقدر ما يوجبه التعقل فى كل وقت وأتفقد آلات منزلى ، فما يحتاج الى اصلاح أصلحته ، وما يحتاج الى بدل بدلته ، وأعد فى منزلى ما يحتاج اليه من الطعام والشراب والعسل والزيت والحطب ، وما يحتاج اليه من الثياب ، فما فضل بعد ذلك كله صرفته فى وجوه الجميل والمنافع ، مثل اعطاء الأهل والاخوان والجيران وعمارة المنزل ، وما اجتمع من غلة امـــلاكى ادخرته لعمارتها ومرمتها ولوقت الحاجة الى مثله .

هذا فيما يتعلق بشئونه المالية وتدبيره اموره وعطفه على اهله واخوانه وجيرانه .

ثم تعالوا بنا لنقرأ ماذا قال فى معاملة الناس . يقول : « واتعرف ما يمكننى تعريفه من الأمور المزمعة وآخذ له أهبته ، واجعل ثيابى مزينة بشعار الأخيار والنظافة وطيب الرائحة ، وألزم الصمت وكف اللسان عن معـــايب الناس ، واجتهد ألا اتكلم الا بما ينبغى ، وأتوخى الايمـــان ومثالب الاراء فأحذر العجب وحب الغلبة وأطرح الهم والاغتمام ، وان دهمنى أمر فادح أسلمت فيه الى الله تعالى ، وقابلته بما يوجبه التعقل من غير جبن ولا تهور . ومن عاملته يدا بيد ، لا أسلف ولا أتسلف ، الا أن اضطر لذلك ، وان طلب منى أحد سلفا وهبت منه ولم أرد منه عوضا . وما بقى من يومى بعد فراغى من رياضتى صرفته فى عبادة الله سبحانه بأن أتنزه بالنظر فى ملكوت السموات والارض وتمجيد محكمها . وأتفقد فى وقت خلوتى ما سلف يومى من أفعالى وانفعالاتى ، فما كان خيرا أو جميلا أو نافعا سررت به ، وما كان شرا أو قبيحا أو ضارا اغتممت به ، ووافقت نفسى بألا أعود لمثله » .

ويقول : كان قد كتب القدماء والعارفون فى ذلـــك كتبا كثيرة ، رأيت أن أقتصر منها على ما أذكره من ذلك وهى : خمسة كتب من كتب الأدب وعشرة كتب من كتب الشرع وكتب ابقراط وجالينوس فى صناعة الطب مثـــل كتـــاب الحشـائش لأيقوريدس ، وكتب روفس واريبا سيوس ، وبولس ، وكتاب الحاوى للرازى . ومن كتب الفلاحة والصيدلة اربعة كتب ، والمربعة لبطليموس ومن كتب العارفين كتب أفلاطون وارسطوطاليس والاســـكندر وتامبطبوس ، ومحمد الفارابى » .

من ذلك يتضح لنا مدى اطلاع ابن رضوان وما كان عليه الطبيب فى أيامه من ســـعة فى الاطلاع على كتب مختلفة فى مختلف العلوم والمعارف . ثم انظر معى معاملته للناس وكيف كان يمد لهم يد المســـاعدة ويحنو على مرضـــاهم ، ويعطف على فقرائهم ، وكيف كان يحفظ لسانه ، ويتكلم بالحسنى أو يسكت . ثم يرينا كيف أنه يحب ألا ينسى الطبيب دينه وربه ، ويراقب الله فى كـــل شىء يعمله ويتأمله فى مخلوقاته « انما يخشى الله من عباده العلماء » .

ثم اذا هو يتطرق الى نقطة هامة تهمنا فى هذه الأيام وانى لاعتقـــد انها مفتاح كل مرض ، الا وهى الاضطرابات النفسية التى تحيط بنا من كل جـــانب

وذلك حين يقول : « وأطرح الهم والاغتمام جانبا وان دهمنى أمر فادح أسلمت فيه الى الله تعالى وقابلته بما يوجبه التعقل من غير جبن ولا تهور » .

ومن كلام طبيبنا على بن رضوان ما نقله عنه من خطه ابن أبى أصيبعة فى كتابه (عيون الانباء فى طبقات الأطباء) : « اذا كانت للانسان صناعة ترتاض بها أعضاؤه ويمدحه بها الناس ، ويكسب بها كفايته فى بعض يومه ، فأفضل ما ينبغى له فى باقى يومه ، ان يصرفه فى طاعة ربه ، وافضل الطاعات النظر فى الملكوت ، وتمجيد المالك لها سبحانه ، ومن رزق ذلك فقد رزق خير الدنيا والآخرة ، وطوبى له وحسن مآب .

دستور الطبيب ويقول : الطبيب على رأى بقراط هو الذى اجتمعت فيه سبع خصال :

الاولى : ان يكون تام الخلق صحيح الاعضاء حسن الذكاء ، جيد الروية عاقلا ذكورا خير الطبع .

الثانية : أن يكون حسن الملبس طيب الرائحة نظيف اليدين والثوب .

الثالثة : أن يكون كتوما لاسرار المرضى لا يبوح بشىء من امراضهم .

الرابعة : ان تكون رغبته فى ابراء المرضى أكثر من رغبته فيما يتلمسه من الاجرة ، ورغبته فى علاج الفقراء أكثر من رغبته فى علاج الاغنياء .

الخامسة : ان يكون حريصا على التعليم والمبالغة فى منافع الناس .

السادسة : ان يكون سليم القلب ، عفيف النظرة ، صادق اللهجة ، لا يخطر بباله شىء من امور النساء والاموال التى شاهدها فى منازل الاغنياء فضلا عن ان يتعرض الى شىء منها .

السابعة : أن يكون مأمونا ثقة على الارواح والاموال ولا يصف دواء قتالا ولا يعلمه ولا دواء يسقط الاجنة . يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه .

فهو بذلك رسم لنا الصورة المثلى للطبيب ، ويا حبذا لو سرنا فى هذا الدرب فانه نعم الطريق وخليق بكل طبيب ان يتحلى بمثل هذه السجايا .

ثم انظر معى الى آرائه المختلفة فى الطب . يتضح ذلك من قوله : « البدن السليم من العيوب هو البدن الصحيح الذى كل واحد من اعضائه باق على فضيلته ـــ اعنى ان يكون يفعل فعله الخاص على ما ينبغى . « أى يؤدى وظيفته الخاصة به على ما ينبغى .

كيف يتعرف على المرض ؟

وقال : « لتعرف العيوب هو ان تنظر الى هيئة الاعضاء والسمنة والمزاج ولمس البشرة ، وتتفقد أفعال الأعضاء الباطنة والظاهرة ، مثل ان تنادى عليه من بعيد ، فتعتبر بذلك حال سمعه ، وأن تعتبر بصره بنظر الاشـــياء البعيدة والقريبة ، ولسانه بجودة الكلام وقوته بشيل الثقل والمسك والضبط . والمشى مثل ان تنظر الى مشيه مقبلا ومدبرا .

ويعتبر بذلك حال احشائه ويتعرف حال مزاج قلبه بالنبض وبالاخـــلاق ، ومزاج كبده بالبول وحال الاخلاط ، ويعتبر عقله بان يسأل عن اشياء وفهمه لها وطاعته بأن يؤمر بأشياء ، وأخلاقه بما يميل اليه . وعلى هذا المثال أجد الحال فى تفقد كل واحد منها من الاعضاء والاخلاق .

اما فيما يمكن ظهوره للحس فلا تقنع فيه حتى تشاهده بالحس واما فيما يتعرف بالاستدلال ما يستدل عليه بالعلامات الخاصة . واما فيما يتعرف بالمسألة فابحث عنه بالمسألة حتى تعتبر كل واحد من العيوب فتعرف هل عيب حاضر ، أو كان ، أو متوقع ، أو الحال حالة صحة وسلامة ؟

من هذا يتضح لنا طريقته التى كان قد خطها لنفسه فى كشفه على مرضاه وما اقربها الى الطرق التى نستعملها اليوم .

وكان يقول : « اذا دعيت الى مريض فأعطه ما لا يضره الى ان تعرف علته فتعالجها عند ذلك . ومعنى معرفة المرض هو ان تعرف من أى خلط حدث أولا ثم تعرف بعد ذلك فى أى عضو هو عند ذلك تعالجه » .

نظرية الأخلاط :

ونظرة عامة على نظرية الاخلاط التى كان يؤمن بها ابن رضـــوان والاطباء العرب لفترة طويلة فقد أخذها العرب عن اليونان وفسروها وشرحوها وجعلوها أساسا لمعرفة المرض وعلاجه .

فالجسم مركب من سبعة امور طبيعية (العناصر — الاخلاط — الأمزجة — الاعضاء — الصفات والوضائف — والأرواح) . وان سبب الامراض ينشأ عن عدم التجانس بين هذه الاخلاط . وكذلك صحة الجسم موقوفة على ستة امور ليست بطبيعية وهى : (الهواء — والطعـــام — والشراب — والحركـــة والسكون — والنوم — واليقظة والانحباس والاستفراغ (الافراز) ويشـــمل الاستفراغ البول والغائط والجماع) وهذه الامور غير الطبيعية تعدل الامزجة وتحفظ الصحة وحينما تفسد هذه الاخلاط أو لا تتجانس فى اعمالها ينبغى ان تعطى المريض مسهلا أو تفصده أو تبرده . وتقول هذه النظريـــة عندما يفقد التجانس أو التوازن بين الاخلاط والاعضاء والوظائف تصير الامور خارجه على الطبيعة فتحدث الامراض .

ابن رضوان وابن بطلان :

ولا يذكر ابن رضوان الا ويذكر معه معاصره الطبيب ابن بطلان اذ كانت بينهما المساجلات والمناظرات والمراسلات ، ونقد الواحد منهم الاخر ، عندما يقوم بعمل أو يؤلف كتابا . وابن بطلان هو ابو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن بطلان طبيب نصرانى بغدادى كان من تلاميذ ابى الفرج عبد الله بن الطيب كما لازم الحسن بن ثابت بن زهرون الحرانى وانتفع بعلمه وقد اشتد الجدل بينهما الى ان وصل الى التعرض بشخصيتهما فكان ابن بطلان يهاجم ابن رضوان لعلمه بقبح منظره وسواد لونه ومما قاله فيه :

فلما تبدى للقوابل وجهه
نكصن على اعقابهن من الندم
وقلن واخفين الكلام تسترا
ألا ليتنا تركناه فى الرحم

ويلقبه بتمساح الجن . ثم كان يهاجمه بانه لم يتعلم الطب على يد أحد ولكنه تعلمه من الكتب . ويرد عليه ابن رضوان موضحا وجهة نظره وان هذا النوع من التعلم خير من ذاك غير ان ذلك لم يمنع ابن بطلان من السفر الى مصر للاجتماع بزميله المصرى فخرج من بغداد سنة ٤٤٠ هـ مارا بالرصافة وحلب وانطاكية واللاذقية حتى وصل الى الفسطاط والتقى الطبيبان وكان بينهما مناظرات ولكن الصلة بينهما مالبثت ان تحرجت فاضطر ابن بطلان لمغادرة مصر قاصدا القسطنطينية حيث كان الطاعون متفشيا عام ٤٤٦ هـ .

مؤلفاته :

أولا قام ابن رضوان بشرح كتب جالينوس : كتاب العرق ــ كتاب الصناعة الصغيرة ــ كتاب النبض الصغير ــ كتاب المزاج .

ثانيا مؤلفاته :

كتاب الاصول فى الطب
رسالة فى علاج الجذام
كتاب النافع فى كيفية تعليم صناعة الطب
مقالة فى دفع المضار عن الابدان فى مصر
مقالة فى الشعير وما يعمل منه
مقالة فى مذهب ابقراط فى تعليم الطب
تفسير مقالة الحكيم فيثاغورس فى العضله
تفسير ناموس الطب لابقراط

تفسير وصية ابقراط المعروفة بترتيب الطب

كلام فى الادوية المسهلة

كتاب فى عمل الاتربة والمعاجين

مقالة فى احصار الحميات

كتاب فى حل شكوك الرازى عن كتب جالينوس .

مقالة فى حفظ الصحة وغيرها من المقالات فى شتى الحالات كالاورام ، الادوية المفرده ، بقاء النفس بعد الموت ــ فضيلة الفلسفة ، وفى الحر .

مقالة فى لقب نبؤة محمد (صلى الله عليه وسلم) عن التوراة والفلسفة .

مقالة فى اكتساب الحلال من المال

مقالة فى حدث النائم

مقالة فى مزاج السكر

مقالة فى هواء مصر

وغير ذلك كثير .

والواقع ان ابن رضوان تطرق لعلوم شتى فى مقالات عديدة ، مما يدل على سعة اطلاعه وتعمقه فى دراسات مختلفة شأنه فى ذلك شأن الاطباء فى عصره وما كانوا يتحلون به من تكريس وقتهم وجهودهم للبحث والسعى وراء كل ما يوصل اليه فى مختلف العلوم والمعرفة .

وفاته :

لقد حدث فى ايامه ان زاد الغلاء ونقص النيل وتبعه وباء عظيم سنة ٤٤٥هـ واشتد سنة ٤٤٧ هـ وحكى أن السلطان المنتصر بالله كفن من ماله (٨٠،٠٠٠) الف نفس وانه فقد (٨٠٠) قائد وحصل للسلطان من المواريث مال جزيل .

ويحكى ابو عبد الله محمد الحالقى الناسخ فى كتاب ابن ابى اصيبعه ان ابن رضوان تغير عقله فى آخر عمره وكان السبب فى ذلك انه فى ذلك الغلاء كان قد اخذ يتيمة رباها وكبرت عنده فلما كان فى بعض الايام خلا لها البيت واستولت على عشرين الف دينار ذهبا والاشياء النفيسة التى كانت فى حوزته ولاذت بالفرار وهربت ولم يعثر لها على اثر فكان لهذا الحادث اثر سىء فى نفسه حز عليه ان يكون ذلك جزاء لما اسداه من معروف واصيب بخلل فى عقله وتوفى فى خلافة المستنصر بالله ابى تميم بن الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم وذلك فى سنة ٤٥٣ هـ بعد حياة حافلة بالجهد والعناء فى سبيل رفع راية العلم خفاقة عالية تحت راية الاسلام الكبرى ذلك الدين الحافز على العلم والتبصر « وقل رب زدنى علما » .

التأمين ــ بقية ص ــ ٦٣

ولذا فاننا لا نرى فارقا جوهريا بين النظامين الا فى الجهة التى تقوم بهذا العمل وهى المؤمن ففى نظام المعاشات تقوم به الدولة ممثلة فى الهيئة العامة للتأمين والمعاشات بينما فى التأمين الخاص فتقوم به شركات مساهمة مؤممة فى الجمهورية العربية المتحدة ويمكن اعتبارها كالهيئة العامة للتأمين والمعاشات لسيطرة الدولة عليها ولذا فليس هناك أى مبرر لهذه التفرقة .

ولكن ما هو الموقف من الربا الذى يشوب نظام التأمين ؟

ان الاموال التى تجمع من المستأمنين تستثمر فى المشروعات الكبرى ومقدر سلفا الارباح التى سوف تحققها وعلى هذا تقوم الشركات بحساب التعويضات المحتمل حدوثها ثم تجنب جزءا من الارباح يعرف بالاحتياطى لمواجهة أى أخطار غير متوقعة ثم أرباح الشركة . ويضاف جزء من هذه الارباح الى قيمة التأمين الذى يرد فى نهاية المدة .

ومن تتبع عملية التأمين يتبين أن المستأمنين يعتبرون شركاء أو مساهمين فى المشروعات التى تساهم فيها شركات التأمين ومن غير المتوقع أن تخسر هذه الشركات الا اذا حدث ــ لا قدر الله ــ نكسة للاقتصاد القومى نتيجة حروب أو كوارث طبيعية وفى هذه الحالة لا أعتقد أن شركات التأمين يمكنها الوفاء بالتزاماتها أو حتى دفع الاقساط السابق تحصيلها من المستأمنين .

وعلى الرغم أن من المؤكد حصول شركات التأمين على مبالغ ضخمة من الارباح نتيجة استثمار أموال المستأمنين فى المشروعات الاقتصادية ، وما الربح الذى يضاف الى المبالغ المحصلة عند ردها فى نهاية مدة التأمين الا جزء من الارباح التى حققتها هذه المبالغ ومن حق المستأمن الحصول عليها . وليس هناك ما يدعو الى تحريم هذا العائد . أقول على الرغم من ذلك فما زال فى النفس شىء من هذا الربح .

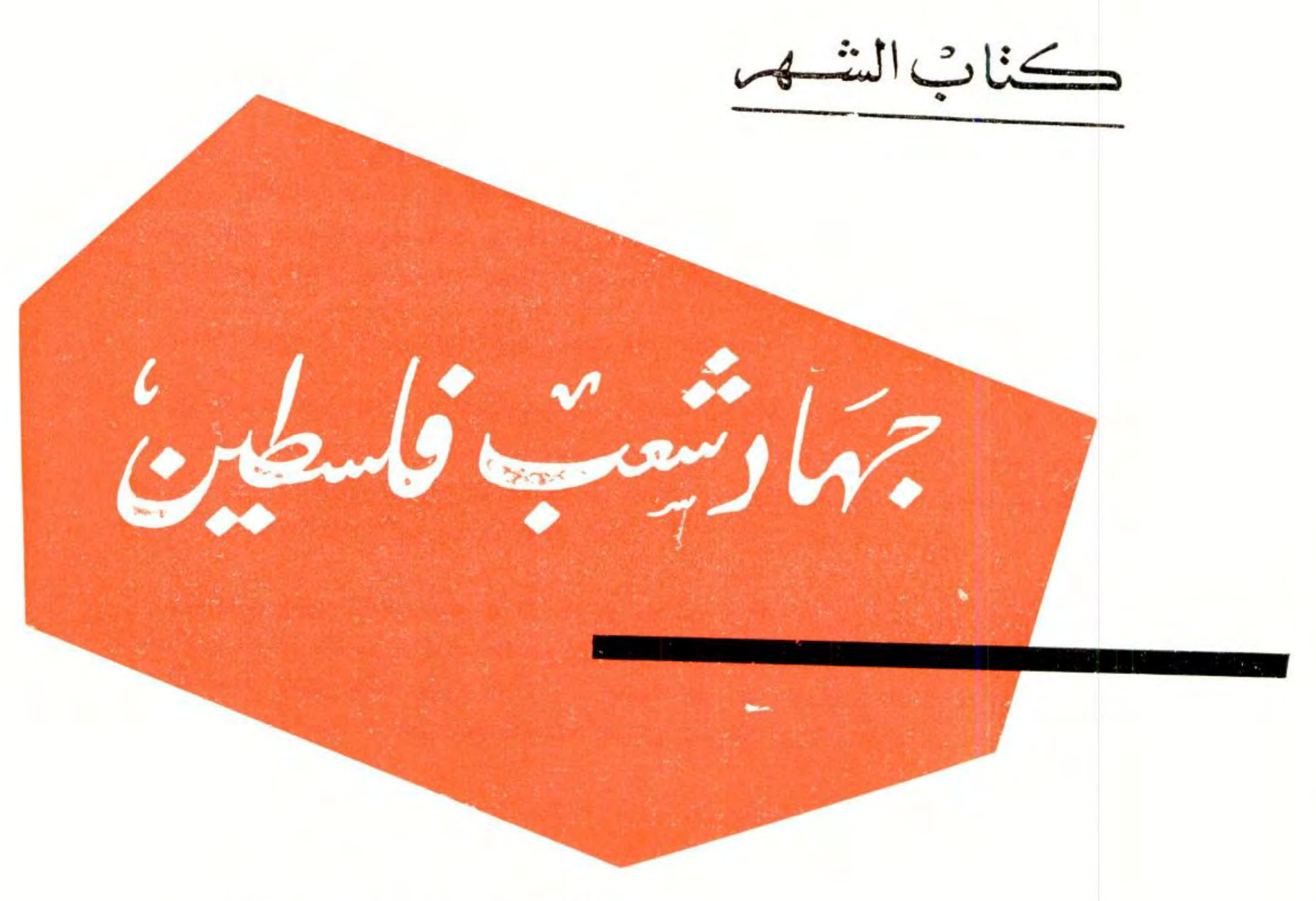
ونرى أنه من الافضل أن تؤول أرباح شركات التأمين الى الدولة لاستخدامها فى المشروعات العامة التى يحتاج اليها جمهور المواطنين . وعلى شركات التأمين أن تقوم بتقدير التعويض الذى يدفع للمؤمن له عند تحقق الخطر المؤمن ضده ، أو مبلغ التأمين الذى يدفع فى نهاية العقد عند بقاء المستأمن على قيد الحياة بدون اضافة أى أرباح اليه ويقدر مبلغ التأمين على قدر الاقساط المتفق على تحصيلها من المؤمن له طول مدة العقد ، فلو توفى قبل نهاية هذه المدة صرف مبلغ التأمين للمستحقين . كما يجب منع شركات التأمين من استثمار أموالها بالربا (١٠) .

وبذلك نضمن خلو عقد التأمين من الربا أو شبهة الربا .



---

(١٠) تستثمر شركات التأمين بعض أموالها بالربا ومن أمثال ذلك اقراض المستأمنين بعد مرور مدة معينة يحددها العقد بضمان قيمة التأمين وتفرض أرباحا على هذه القروض وهذا ربا منهى عنه .



لمؤلفه صالح مسعود أبو يصير

نشر : دار الفتح — بيروت

بقلم : الشيخ طه الولى

أن يتناول الانسان قلمه ويطلق شباته تملأ سطور الصفحات ذوات العدد بالدفاع عن قضية فلسطين فهذا أمر لا يختلف فيه أثنان أو كما قال أسلافنا العرب ، لا ينتطح فيه عنزان . أما أن تشرع أقلام الكتاب فى تأليف الكتب وتدبيج المقالات من أجل الدفاع عن « جهاد شعب فلسطين » فذلك والله ، من العجب العجاب ، ذلك اننى ما كنت أحسبنى ، واصلا فى يوم من الايام الى أشغال نفسى وغيرى فى موضوع دفع اتهام أهل فلسطين فى دينهم ووطنيتهم وتقصيرهم عن مكافحة غائلة العدوان اليهودى الذى فرضته عليهم صليبية القرن العشرين ارضاء لنزوتها الحاقدة التى ما زالت تتضرم فى عقولهم وقلوبهم منذ انبثاق فجر الاسلام بضيائه الهادى على يد الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم .

على أن الذى حصل ، لم يترك لا لى ، ولا لغيرى من حملة الاقلام ، ان يكون لنا الخيرة من أمرنا ، فى معالجة باطل لا يقل فى أذاه وضراوة بلاه عن باطل الوطن القومى اليهودى الذى يريد ازالة الوجود العربى الاسلامى من

الارض المقدسة التى اختارتها العناية الالهية لتكون مقرا لأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وشرفتها بأن يكون اليها اسراء النبى صلى الله عليه وسلم من البيت الحرام فى مكة المكرمة الى المسجد الاقصى الذى باركه الله وما حوله من أرض الانبياء والصديقين والشهداء على تعاقب الزمن وتقلب الايام .

أجل ، لقد فرضت علينا الصهيونية اليهودية وحلفاؤها وعملاؤها من الصليبية العالمية أن نخوض ، معركة الدفاع عن سمعة أهل فلسطين ، فى نفس الوقت الذى فرضت علينا فيه الدفاع عن فلسطين نفسها ، بمقدساتها وتراثها وترابها الطاهر .. اذن ، لا بد مما ليس منه بد ، بعد أن أصبحت المعركتان معركة واحدة تكمل احداهما الأخرى وتؤديان الى مصير واحد ، وهو الدفاع عن كياننا المادى والمعنوى ضد عدو زنيم سخر سنانه ولسانه وبيانه وحشد جميع أنصاره وأعوانه للقضاء على هذا الكيان والقائه صريعا فى مطاوى العدم والاهمال والنسيان .

ولا بد لنا من الاعتراف بأن العدو أصاب منا مقتلا حين استطاعت قواته المسلحة أن تنشب أوائله المهلكة فى صميم الارض المقدسة فلسطين وتجثم عليها بكلكل الصهيونية الغادرة بعد أن أطبقت عليها من البر والجو والبحر بقوة لم يجد معها ما أطلقه الحق الصريع من نداءات الاستغاثة الى أهل الارض قاطبة المتمثلين فى المنظمات المختلفة لهيئة الامم المتحدة . لأن هؤلاء تصامت آذانهم دون سماع هذه النداءات بما أوقر فيها من دوى المدافع اليهودية والدعايات المغرضة .

وبعد أن جعل اليهود فلسطين بما تقل على أرضها من تراث وآثار ومقدسات تخر هاوية تحت ما يملكون من آلات الحرب والفتك والدمار استخفهم زهو الجريمة النكراء التى ارتكبوها تحت قناع صفيق من الاضاليل والاكاذيب وأفانين النفاق والبهتان . وايقنوا ان لا سبيل الى اسدال ستار النسيان على آثار هذه الجريمة فى الاوساط العالمية ، الا اذا ازالوا من الوجود العنصر البشرى الذى شتته فعلتهم الشنيعة وأساليبهم الوحشية والقته فى أطراف الدنيا هائما على وجهه فى كل واد مثخنا بجراح الذل والهوان ، ومثقلا بآلام الجوع والحرمان وابصاره شاخصة فى كل مكان لعله يلقى من أى انسان ولو نظرة واحدة عابرة ترمقه بالعطف والحنان .

وهكذا ، القى اليهود المجرمون بثقل دعايتهم ، هنا وهناك ، لتشويه سمعة الشعب الفلسطينى بالافتراء عليه وتصويره أمام الرأى العام العالمى بان هزيمته كانت من صنع يديه وان الذى قذف به الى ما هو فيه من ضنك التشرد وانحلال كيانه القومى لم يكن الا ما اجترمه هو بحق نفسه من سوء تصرفه وعبث قيادته . والح اليهود فى ملء العيون والاسماع بان أرض فلسطين لا يستحقها من فرط بها وآثر عليها بلهنية العيش الرغيد لقاء دريهمات معدودة لمدة محدودة ، ثمنا بخسا لوطن لم يرخصوا هم فيه المهر من اموالهم ورجالهم وجهودهم .

الا انها بئست كلمة تخرج من ابواق هؤلاء القوم المفترين ، ان يقولون الا كذبا ، وما أراد الغزاة البغاة ، الظالمون الطغاة ، من وراء هذه الحملة الزائفة الا اخفاء معالم الجريمة التى ارتكبوها بالقضاء على معالمها ، تماما مثلما يفعل أى مجرم عادى حين يوارى ضحيته بستار من الخفاء كيلا تبقى شاهدا على سوء ما فعل ويتخلص من العقوبة التى يستحقها اذا انكشف أمره وأمسكت بتلابيبه دينونة الحساب بما هو جدير به من ألوان العقاب .

ولو ان هؤلاء اليهود ، وقفوا فى تمويه الحق والواقع بطلاء الباطل والكذب عند حدود الامم الاجنبية لهانت دعاياتهم ولامكن تطويق آثار هذه الدعايات قبل ان يستشرى ضررها على جوهر القضية الفلسطينية ، ولكنهم تجاوزوا فيما بذلوه فى هذا الصدد حدود تلك الامم حتى وصلوا بنفثاتسمومهم صميم الاوساط العربية والاسلامية اذ راحوا يقنعون هذه الاوساط ان الشعب الفلسطينى الذى يغضبون له ويغارون على مصيره وكيانه القومى ومقدساته الدينية ، ليس فى مستوى هذه العاطفة التى يحيطونه بها ، لان براقش ، كما يقول المثل العربى . هى التى جنت على نفسها وان ايدى أهل فلسطين هى التى وكت وافواههم هى التى نفخت حتى أكلت وجودهم نار الصهيونية وجعلتهم كالهباء المنثور ضائعين مشردين فى كل طرف من اطراف المعمور ..

وكاد المسلمون والعرب يؤخذون بما استدرجهم اليه اليهود من احابيل الاكاذيب والاضاليل عن طريق ما يملكون من وسائل الاعلام الجهنمية وبتنا نجد نفرا من بنى قومنا وأهل ديننا ، يمضغون الدعاية اليهودية بافواههم ويلوكونها بالسنتهم ولا يتورعون عن ان يسخروا لها اقلامهم على صفحات الجرائد واوراق الكتب دون ان يعلموا انهم بما يقولون أو يكتبون ، انما يرددون ما يقوله ويكتبه اليهود أنفسهم حتى استشرى الداء وعظم البلاء وبلغ الحزام الطبيين ، وبلغت مصيبتنا فى بعض آلنا ومواطنينا مثلما بلغته منا مصيبتنا فى اعدائنا ، بل هى أصبحت أدهى وأمر وأشد نطالا .. وقديما قيل :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند !

واذ أصبح الخنجر الذى يطعننا بنصله اعداؤنا ، تمسكه أيدى فئة ضالة منا ، فانه لم يعد امامنا بد ولا حيلة ، من أن ننزل الى المعركة فى الميدان الذى فرضه علينا خصومنا لعلنا نعيد هذه الفئة عن ضلالها ونمسح عن العيون السقيمة ما علق بها من غشاء الدعاية اللئيمة كى نقيل عن أخواننا أهل فلسطين أعباء هذه الحملة المسعورة ونكشف عن كاهلهم أعباء هذا الاتهام الغاشم ليستطيعوا أن يجدوا فى أمتهم من العرب والمسلمين العروة الوثقى التى يعتصمون بها فى جهادهم من أجل الحفاظ على كيانهم والدفاع عن قوميتهم وايمانهم باجنحة لم تهضها تهمة باطلة ما أنزل الله بها من سلطان ولا كان لها نصيب من الحقيقة ولا مكان .

وعلى هذا ، فان الكتاب الذى دبجته يراعة براعيم الزعيم الليبى المخلص الاستاذ صالح مسعود ابو يصير تحت عنوان « جهاد شعب فلسطين ، خلال نصف قرن » ان هذا الكتاب جاء فى الوقت الذى مست الحاجة اليه لما انطوت عليه صفحاته التى أربت على الستمائة من القطع الكبير من روائع الكلم الذى يصور كفاح أهل فلسطين فى سبيل دينهم وكيانهم الوطنى من خلال أعمال البطولة الخارقة التى سطروها بدمائهم وارواحهم فوق كل حبة من حبات تراب بلادهم ، غير عابئين بما فرض عليهم من انواع التنكيل والتعذيب بما لا يعرف الرحمة ولا الشفقة ولا أى معنى من معانى الكرامة الانسانية والمفاهيم الخلقية فى أى شكل من الاشكال

وانه ليمكننا القول بان كتاب الاستاذ صالح مسعود ابو يصير ليس يحمل بين دفتيه ذلك اللون من الكتابة التى يراد بها تقديم مادة جديدة ترضى فضول القارىء فى تطلع الى معرفة أحداث دخلت فى ذمة التاريخ بل هذا الكتاب فى الواقع ، هو من جملة اسلحة المعركة الضارية التى يخوضها سدنة أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين واخوانهم من أهل الايمان والتوحيد والقرآن

ضد قوى الشر الطالحة التى تألبت عليهم من كل حدب ومن كل صوب مستهدفة تحقيق المؤامرة الكبرى التى ما زالت تنتزى بها قلوب القوم الكافرين منذ رفـع الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم عقيدته بالدعوة الى الله عن طريق الصراط المستقيم الذى لا يشوبه امت ولا اعوجاج ولا لبس أو تأويل . ولهذا فاننا نلمح فى كل صفحة من الكتاب يراع الكتاب المؤمن وهو يصول ويجول دفاعا عن المثل الاعلى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وان الانسان وهو يقرأ كتاب « جهاد شعب فلسطين » بعينيه ، يكاد يسـمع بأذنيه فى كل كلمة من كلماته أزيز الرصاص ودوى القنابل وصيحات الحرب والفـداء التى ملأت هضاب فلسطين وبطاحها منذ خمسين عاما حتى اليوم . وعندما يأتى هذا الكتاب على ذكر اسماء أولئك الابطال من أهل فلسطين . فان هذه الاسماء تكاد تنطلق من عقال الحروف الصامتة بصور اصحابها الغر الميامين وهم فى حلل الشهادة والخلود مهيبين باصحاب النخوة والاريحية والمروءة أن يتناولوا من أيديهم رايات الكفاح والنضال ويتابعوا رسالتهم فى حملة الدفاع عن قدسية الامانة التـى وضعها فى اعناقهم التاريخ ليحولوا بين الارض المقدسة وبين ارجاس الاستعمار والصهيونية ، هذه الارجاس التى تذرعت وما تزال باقذر ما عرف البشر فـى تاريخهم الطويل من وسائل العدوان الحاقد والتعصب المميت .

والمؤلف الكريم خير من يصلح للكتابـة عن الوطن والوطنيـة والجهـاد والمجاهدين ، ذلك بانه هو نفسه قد ضرسته انياب العمل من أجل بلاده ليبيا يوم كانت هذه البلاد تتلوى مهيضة تحت وطأة الاحتلال الايطالى الـذى غالها ووأد باجناده المفترسة حرمة ترابها وحرية ابنائها ولم يتورع عن جندلة أشياخهـا وعـلمائهـا مـن شـاهق الطائرات الى حضيض الصفائح وغياهب القبور فلقد شـهدت هضبات ليبيـا وصـهوات منابرها فى الاسـتاذ صالح مسـعود أبـو يصـير فارسـا ما رجلتـه النكبـات ببلوائهـا ولا ثنت عنان كفاحه المصائب ببأسائها ، بل انه بقى ثابتا فى حومة العمل الوطنى كالراية الشامخة التى لا يزيدها عصف الرياح الهوج الا اصطفاقا بعلياء الكرامة والاباء !

لذلك فان الاستاذ صالح مسعود ابو يصير حين يشرع يراعه فى الكتابـة عن جهاد شعب فلسطين ، فهو انما يغمس هذا اليراع فى مداد ، هو فى الواقع عصارة من جهاده الشخصى الذى ابتدأ فى ليبيا ومن اجلها وما يزال مستمرا فى فلسطين ومن أجلها . فبورك من كاتب وبورك من كتاب وبوركت من قضية تناولها الكاتب فى كتابه ايمانا واحتسابا ليوم لاينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم يرتع فيه حب الله والجهاد فى سبيله دون ان تأخذه فى الحق بهارج الحياة الدنيا وما فيها من غرور الطمع ولا مفازع الاستعمار وما فيها من مقارع العذاب ولقد قدم المؤلف الكريم بين يدى كتابه بكلام اشار فيه الى الوشيجة الفكرية التى وصلت ما بين ماضى كفاحه فى مسقط رأسه بليبيا وبين ما أخذ به نفسه فى حاضره من الانتصار لتراثه الدينى فى مهوى فؤاده وعاطفته بفلسطين فقال :

« كنت طالبا يافعا عام ١٩٣٨ م حين كانت المظاهرات تخرج من الازهر الشريف هاتفة « فلسطين للعرب لا لليهود » وكان منبر الازهر يهتز تحت نبرات الخطباء ينددون بطغيان الانكليز ومظالمهم ، ويشيدون بشعب فلسطين العربية .

ولم أكن استطيع الاحاطة بما يقولون ، فسنى لم تتجاوز الثلاثة عشر عاما . ولكنى تابعت فى شغف واهتمام اخبار فلسطين .

انى لقادم من ليبيا حيث يجثم آنذاك الاستعمار الايطالى ، مباعدا بين الشعب العربى فيها وبين سائر شعوب الامة العربية . وقاطعا كل صلة له بأوطان الامة العربية وتطور قضاياها ، ومثقلا روح المقاومة فى الشعب الليبى ، وحائلا بينه وبين الثقافة والتاريخ والاحاطة ، الا أن تكون ثقافة ايطالية وتاريخا رومانيا ، واحاطة فاشستية ، ولهذا كان تتبعى لما أسمع من الخطباء تتبع الظمآن المتلهف ذلك الذى يريد أن يفهم وأن يعلم وأن يحيط .

... وكنت احمل بين جنبى حقدا مريرا للايطاليين الذين اغتصبوا أراضى قومى ، وجاءوا بمجموعهم تسكنها وتحتلها ، ورموا باصحاب الارض فى الصحارى ، فسمعت ان الانكليز فتحوا ابواب فلسطين لليهود ، وحاربوا العرب فى حياتهم واراضيهم وحقوقهم ... وكنت لذلك اشعر بالمرارة القوية لما يفعله الانكليز بفلسطين ، حين اتخيل انهم يهدفون الى خلق هجرة فلسطينية تشبه هجرة قومى من ليبيا أمام جحافل الاستعمار ومظالمه . الى ان يقول بلهجة صاحب العقيدة الذى أخذ عليه ايمانه بعقيدته مجامع فكره وعقله وقلبه :

« فاننى أحد أفراد الشعب الليبى ، وعلاقتى بفلسطين والفلسطينيين ، هى الشعور بالمسؤولية الحتمية على كل عربى ، والادراك ، كامل الادراك لوحدة القضية العربية ، وحدة نصرها ، ووحدة فجرها ووحدة اقطارها ، ووحدة أخطائها .

« لقد قدم الفلسطينيون كثيرا من التضحيات فى معارك غير متكافئة ضد قوى عالمية ، وهم اليوم لا يكادون يصغون لنداء الشعب العربى ، الذى يتحمل وزر النكبة ، والذى عليه ان يحسن دراسة تلك الصفحات الخالدة ، وان يدرك ان تضحيات العرب الفلسطينيين ونكباتهم فتحت للامة العربية مجال العمل والثورة واصلاح دولها اصلاحا طور كل شىء فى وجودها » .

بهذه الكلمات المشحونة بحرارة الاسى من ماضى ليبيا وقلق الخوف على مستقبل فلسطين ، استهل الاستاذ ابو يصير كتابه « جهاد شعب فلسطين » ليهز ضمير قارئه ويوقظه على الاخطار التى احدقت بالامة العربية وانشبت فى قدس اقداسها اظافر اليهود التى تشبعت طوال عشرات القرون بسموم الاحقاد المتوارثة فيهم صاغرا بعد صاغر منذ أن أذلهم تيطس الرومانى بالهزيمة وقضى عليهم سفيروس العربى بالتشرد فى أواسط القرن الثانى للميلاد الى ان استصنعوا بلفور الذى وعدهم باسم الحلفاء الصليبيين بالعودة الى فلسطين تمهيدا لاقامة دولتهم فى رحابها المقدسة على انقاض الاسلام والمسلمين فى أواسط القرن العشرين .

ولقد احسن المؤلف الاستاذ ابو يصير صنعا عندما فتح بصيرة قارئه فضلا عن بصره ، على حقيقة الثورة التى اعلنها شريف مكة السلطان حسين بن على ضد دولة الخلافةالعثمانية الاسلامية أوائل الحرب العالمية الاولى ، هذه الحرب التى لخص المؤلف رأى أوروبا فى نتائجها نقلا عن كتاب « الصليبية الجديدة فى فلسطين » بقوله :

« ان الدول الاوروبية اجمعت كلها على هدف واحد ، برغم ما بينها من تباين آراء ، وتضارب مصالح وهو القضاء على الامبراطورية العثمانية ، وادعوا أن الاتراك المسلمين يضطهدون المسيحيين وان هذه الدولة تقوم على عنصر دينى وتستهدف استئصال المسيحيين من سائر القارة الاوروبية ، اذا تسنى لها ذلك،

وعلى هذا امتدت اصابع الاستعمار الغربى الى صميم الشرق العربى رويدا ، رويدا ، وقد رأينا جيوش الصليبية الجديدة تغمر سواحل البلاد العربية ، وقد حاولت ان تستغل حركة التحرر العربى حتى اذا تم لها الفتح وساعدها سكان البلاد ، كشرت عن انيابها ، ووقفت تقول للشعوب العربية ، « انتم جزء من الغنائم والاسلاب ، لا شركاء فى الظفر والفتح » .

وفى كلام هذا الكاتب ما يغنى عن كل بيان فى ان ثورة الشريف حسين لم تكن فى الواقع الا بعض الادوات الماكرة التى استخدمتها الصليبية الحديثة لمتابعة حملاتها المسعورة ضد الاسلام والمسلمين بعد أن قامت الدولة العثمانية سدا منيعا دون هذه الحملات حوالى ستة قرون متلاحقة .

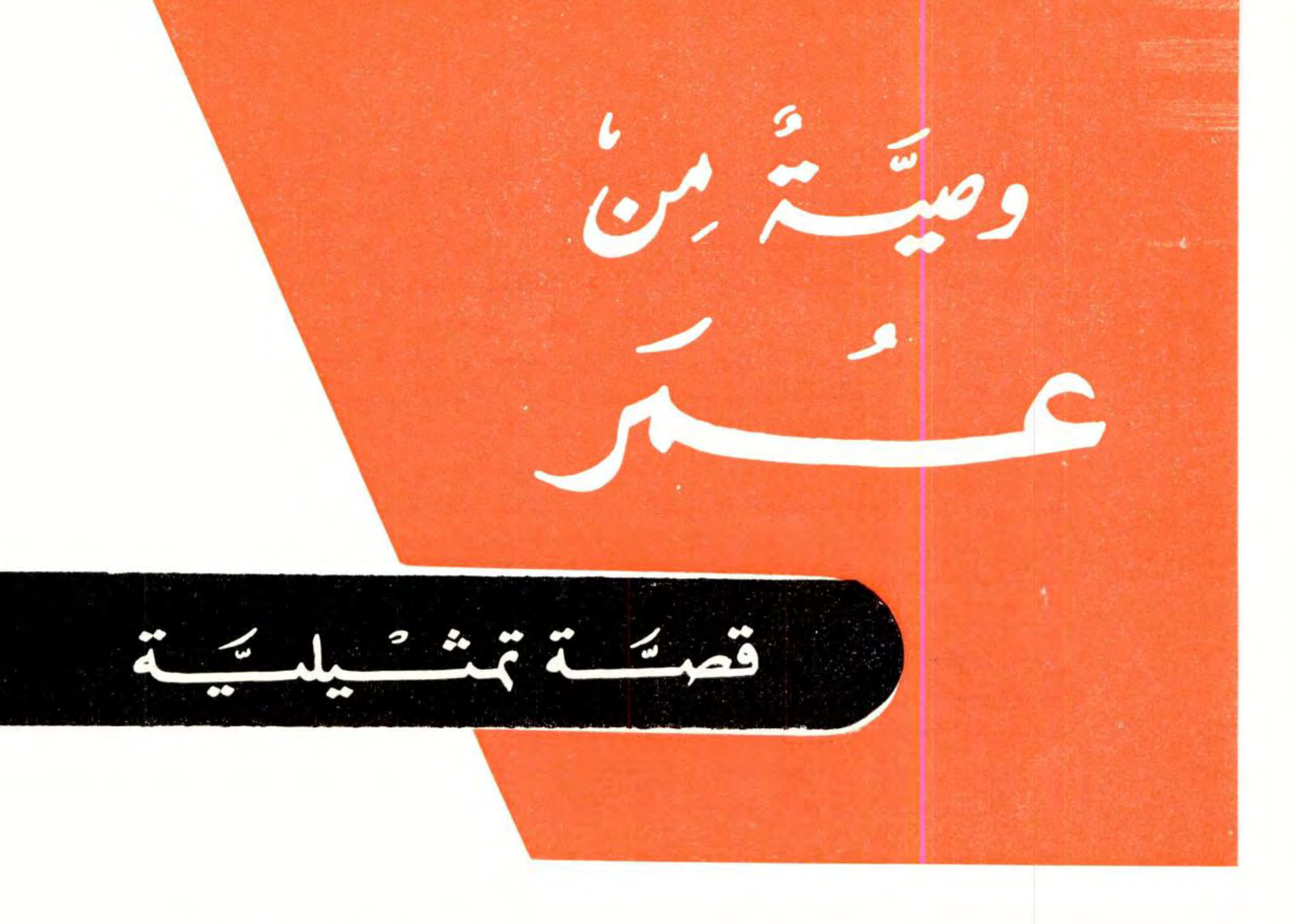
ولكى يؤكد الاستاذ ابو يصير هذه الصورة البشعة للحلفاء الذين سار شريف مكة فى رحابهم ضد السلطة الاسلامية الشرعية ، المتمثلة بامير المؤمنين السلطان العثمانى باسطمبول ، فانه قدم لقارئه قول اللجنة الملكية البريطانية فى تقريرها المنشور عام ١٩٣٧ وهو :

« عندما صحت النية على زحف الجيوش البريطانية على فلسطين فى شهر فبراير (شباط) ١٩١٧ فتح باب المفاوضات الرسمية بين الصهيونية والحكومة البريطانية ، وتلتها مفاوضات أخرى بينهم وبين الحكومة الفرنسية والايطالية ، فتمت الموافقة رسميا على المشروع الصهيونى فى باريس وروما كما تمت فى لندن وارجىء نشر هذه الموافقة حتى أواخر أكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٧ » .

وهكذا ، فان الاستاذ ابو يصير ، تذرع بشجاعة المؤرخ الذى يتحلى بروح النقد الذاتى ، ووضع تحت حروف الاحداث التى رافقت حركة الحسين بن على النقاط التى تكشف لكل ذى عينين معانيها الحقيقية كما عبرت عنها الوقائع فيما بعد وليس كما اراد تزويرها أصحاب المآرب المشبوهة من المغرضين أو أصحاب الافهام السقيمة من المضللين .

ولسنا ، فى هذه العجالة ، بصدد الحديث عن دور الزوج المخدوع فى قصة شريف مكة مع الحلفاء الغربيين ، الورثة التقليديون لاسلافهم الصليبيين ، فمثل هذا الحديث افاض فيه المؤلف الكريم بما لا يترك زيادة لمستزيد ، ولكننا لا نستطيع الا أن نزجى لهذا المؤلف تحية الاكبار والاعجاب لانه سلط بكلامه فى هذا الصدد ، الاضواء الساطعة التى بينت لكل عربى وكل مسلم الطريق الوعر الذى انزلق بالمسير فيه ذلك الثائر وهو يبحث لرأسه عن تاج الملك فى اوحال المطامع الخادعة التى وضعتها أمامه الصليبية العالمية المستترة بالوعود الخلابة والعهود الكاذبة بقيام وحدة عربية كاملة لامة عربية متحررة ! . .

على انه قبل ان نرفع القلم عما أخذنا به من التعريف بكتاب « جهاد شعب فلسطين »فانه لا بد لنا من التنويه بالجهد العظيم الذى عاناه مؤلفه الاستاذ صالح مسعود ابو يصير ، وهو مكب على موضوعه باحثا بين المصادر التاريخية ومدققا فى الوثائق السياسية بكل صبر واناة واخلاص للوصول الى غايته الوطنية من خلال الوقائع الفعلية المجردة التى لا يشوبها زيف التشويه الصهيونى ولا تخفيها المطامع الاستعمارية . ولنا ملء الثقة بان يكون هذا الكتاب القيم قبسا من ضياء الحق فى الطريق الموصل الى انتصار العدالة الانسانية والكرامة الاسلامية فى فلسطين التى كانت وما زالت وستبقى دائما وابدا وطنا حرا للعرب وتراثا خالصا للمسلمين .



عثمان : ادع لى عبد الرحمن بن أبى بكر ليؤدى شهادته .

أبو طلحة : (مناديا) عبد الرحمن ابن أبى بكر .

(يظهر عبد الرحمن بن أبى بكر ويقف أمام المنبر) .

عثمان : أرنا الخنجر يا صهيب .

صهيب : (ينهض) هوذا يا أمير المؤمنين (يبرز الخنجر فى يده) .

عثمان : يا عبد الرحمن بن أبى بكر أهذا الخنجر الذى وصفته ؟

عبد الرحمن : نعم يا أمير المؤمنين هو بعينه .

عثمان : فماذا ترى فى الهرمزان وجفينة ؟

عبد الرحمن : ان كان هذا هو الخنجر الذى قتل به عمر فلا أرى الثلاثة الا قد اجتمعوا على قتله .

عثمان : فهل ترى أن الهرمزان وجفينة كانا متواطئين مع أبى لؤلؤة .

عبد الرحمن : نعم ان كان هذا هو الخنجر الذى قتل به عمر .

عثمان : من الذى ألقى البرنس على عدو الله أبى لؤلؤة يوم الحادث ؟

صهيب : حطان أخو بنى غنم .

عثمان : ادعه يا أبا طلحة .

أبو طلحة : (مناديا) حطان أخا بنى غنم .

(يظهر حطان)

عثمان : أنت الذى انتزعت الخنجر من أبى لؤلؤة ؟

حطان : نعم يا أمير المؤمنين .

عثمان : أهو هذا ؟ (يشير الى الخنجر فى يد صهيب) .

حطان : أجل هو بعينه .

كعب : قامت عليهما البينة اذن يا أمير المؤمنين .

أنس : كذبت يا كعب أين هى البينة ؟

كعب : الخنجر الذى قتل به عمر

المنظر :

جانب من المسجد النبوى الشريف يظهر فيه المنبر وقد جلس عليه عثمان ابن عفان ووقف أمامه عبيد الله بن عمر فى يديه القيد وبجانبه أبو طلحة الانصار كأنه يحرسه ، وقد ظهر على يمين المنبر بعض كبار الصحابة على وطلحة والزبير وسعد وابن عوف وعبد الله بن عمر وعلى يسار المنبر القماذبان وكعب الأحبار والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص ومن دون هؤلاء واولئك أفياء من الناس امتلأ بهم المسجد .

للأستاذ : علي أحمد باكثير

هو الذى رآه عبد الرحمن بن أبى بكر مع الثلاثة ليلة الحادث .

أنس : يا أمير المؤمنين ما يدرينا ماذا كان حديثهم ساعة بغتهم عبد الرحمن بن أبى بكر ؟

كعب : لا ريب كانوا يتناجون بقتل أمير المؤمنين عمر .

أنس : يا عبد الرحمن بن أبى بكر . هل سمعت من حديثهم شيئا ؟

عبد الرحمن : اللهم لا .

أنس : يا أمير المؤمنين ان العجم فى المدينة يستروح بعضهم الى بعض فلعل أبا لؤلؤة قد جالسهما تلك الليلة دون أن يطلعهما على نيته السيئة .

كعب : فكيف ثاروا لما بغتهم ابن أبى بكر فسقط من بينهم الخنجر ؟

أنس : سبحان الله ثاروا للبغتة .

عبيد الله : يا شيخ السوء أتدافع عن قتلة عمر ؟

أنس : غفر الله لك يا ابن أخى . انى أعرف الهرمزان وأعرف اخلاصه ونسكه وحبه لأبيك فلا يعقل أن يشترك فى قتل أبيك .

عبيد الله : تذكر أنه قتل أخاك البراء بن مالك .

أنس : انما كان ذلك حين كان مشركا قبل أن يهديه الله الى الاسلام

كعب : كان ملكا من ملوك التاج فى فارس فلا غرو ولو كان مسلما ان يحقد على من مزق ملكهم .

عبد الله : يا كعب بن ماتع اتق الله .

كعب : يا ابن عمر انى أريد أن انقذ أخاك .

عبد الله : بل أنت داعى فتنة .

كعب : داعى فتنة .

عبد الله : يا كعب بن ماتع لا تدعنى أفشى للناس ما أمرنى عمر باخفائه .

كعب : يا عبد الله بن عمر ان كنت لا تريد أن أنتصف لأخيك من قتلة أبيك فأنت صاحب الكلمة الاولى فى ذلك (يجلس) .
عبيد الله : يا أخى ان لم تشأ أن تدافع عنى فلا تمنع غيرك ان يفعل .
عبد الله : يا أخى لا يغرنك من يدافع عنك بالباطل فلن ينفعك وان أمير المؤمنين قد أحضر هؤلاء الجلة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار لينظروا معه فى أمرك ويشيروا عليه فيما يقضى به وأنهم لن يظلموك .
عبيد الله : وماذا يمنعهم من ظلمى وقد سرهم مقتل أبى ؟
عبد الله : مه يا عبيد الله .
عبيد الله : هذا أحدهم قد تطوع آنفا فظلمنى اذ دافع عن الهرمزان وأثنى عليه وطالب بدمه وأهدر دم عمر .
أنس : معاذ الله يا ابن أخى أن يصدر ذلك من رجل مسلم .
عبيد الله : من دافع عمن قتلك فقد أهدر دمك .
أنس : يا ابن أخى انى شهدت بما أعلم من دخيلة الهرمزان . والله عز وجل يقول : ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه . .
عبيد الله : واعمراه . واأبتاه . لقد صار أصحابك يا أبى يخشون الله فى قتلتك ولا يخشونه فيك .
عثمان : والآن يا معشر المهاجرين والانصار . أشيروا على فى هذا الذى فتق فى الدين ما فتق .
عبيد الله : كلا والله ما فتقت ولكنى رقعت الفتق .
عثمان : اسكت فليس الحديث موجها اليك .
عبيد الله : لا والله لا أسكت عن الحق أبدا .
عثمان : ماذا ترون فيه يا معشر المهاجرين والانصار ؟

(يصمت الجميع كأنهم يشفقون على عبيد الله من الحكم بالقتل) .
عثمان : ويحكم ما بالكم لا تجيبون ؟ أشيروا على فى أمره .
على : يا أمير المؤمنين أرى أن تقتله فما من الحق تركه .
سعد : وأنا أرى أيضا أن تقتله .
الزبير : وأنا كذلك .
طلحة : ليس من الحق تركه
عبيد الله : هيه . لقد وضح الصبح لذى عينين .
عثمان : ماذا تعنى ؟
عبيد الله : ان أناسا طمعوا فيها بعد عمر فاستطاعوا أيام عمر .
عثمان : مه . يا هذا لا تعرض بالمسلمين .
عبيد الله : والله لو أمكننى الله لأقتلن رجالا ممن شرك فى دم أبى . لا والله لا يذهب دم عمر هدرا أبدا . أواه ليتنى بدأت بهم قبل جفينة والهرمزان .
عثمان : يا ابن أخى لا تجعل على نفسك سبيلا .
عبيد الله : الأنى جهرت بالحق .
عثمان : ويلك لقد مات عمر يرحمه الله وهو يقول : الحمد لله الذى لم يجعل قاتلى يحاجنى بسجدة سجدها لله قط .
عبيد الله : بل أدرك بفراسته جفينة الأمر ولذلك سألكم : أعن ملأ منكم كان هذا ومشورة ؟ ولكن عمر كان دائما يصون حقوق الناس ويفرط فى حق نفسه وأهله .
عبد الله : ويلك أنك لتقول قولا عظيما : انك لتتهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاشتراك فى دم أبيك .
عبيد الله : أى والله .
عثمان : ويلك من تتهم منهم ؟
عبيد الله : ليس فى وسعى أن أعينهم .
الزبير : أتتهم جزافا ؟

عبيد الله : ان الذى شهد لى بذلك لم يشأ أن يعينهم والا لما تركتهم .
عثمان : من الذى شهد لك بذلك ؟
عبيد الله : رجل ثقة مطلع على بواطن الأمور .
عثمان : من يكون ؟
عبيد الله : لست فى حل من ذكر اسمه فقد استحلفنى لا أبوح باسمه لأحد .
على : يا ابن أخى أتصدق كلام هذا الفاسق فى أصحاب رسول الله وأصحاب أبيك ؟
عبيد الله : كلا ما هو بفاسق .
على : أوكان يوغر صدرك على أصحاب رسول الله لو لم يكن فاسقا يريد أن يثير الفتنة بين المسلمين ؟
عثمان : يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين .
عبيد الله : هذه نزلت فى أخيك لأمك الوليد بن عقبة بن أبى معيط .
على : ولكنها تصدق على كل فاسق يريد أن يكيد لله ولرسوله وللمسلين .
عبيد الله : لكن صاحبى ليس كذلك . انى لا أشك فى صدقه وأمانته وما جربت عليه كذبا قط . وما أخبرنى بشىء الا وقع وتحقق .
عثمان : فقل لنا من هو ؟
عبيد الله : بحسبك أن تعلم أنه هو الذى أخبرنى بشهادة عبد الرحمن ابن أبى بكر قبل أن أسمعها من عبد الرحمن بن أبى بكر .
سعد : يا أمير المؤمنين لا تدعه حتى يذكر لنا اسم ذلك الفاسق .
عبيد الله : لا والله لا أبوح باسمه ولو قطعتم حلقومى .
كعب : (ينهض) يا أمير المؤمنين لو سألت جمهور المسلمين فى هذا الأمر لقالوا لك جميعا : يقتل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم ؟ هذا لا يكون أبدا . يا معشر المسلمين ان كان هذا رأيكم فاجهروا به .
المسلمون : (أصوات من كل ناحية فى المسجد) أجل يا أمير المؤمنين . هذا لا يكون أبدا كيف يقتل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم ؟ ليس هذا من العدل .
عثمان : (يحاول اسكاتهم) على رسلكم أيها الناس .
المسلمون : ابعد الله جفينة والهرمزان . ان شهادة عبد الرحمن ابن أبى بكر لكافية .
عثمان : نشدتكم الله معشر المسلمين لو كان عمر حيا أكان يتركه ؟

(ينهض عمرو بن العاص)
عمرو : يا أمير المؤمنين ان جاز لعمر أن يشتد على نفسه وآله فليس لنا ذلك .
عثمان : لم لا ؟ أليس لنا فى عمر أسوة حسنة .؟
عمرو : الأسوة بعمر ان نشتد على أنفسنا وآلنا لا أن نشتد على عمر وآل عمر .
على : يا ابن العاص انما ذلك فى غير حدود الله فاما فيها فلا يجوز التساهل مع آل عمر ولا غير آل عمر .
عمرو : لكن النبى صلى الله عليه وسلم أوصى بأن تدرأ الحدود بالشبهات .
على : فأين الشبهة والجانى مقر ومصر ؟
عمرو : يا أبا الحسن ان هو الا شاب أخذ بثاره من قتلة أبيه .
على : لسنا فى الجاهلية يا ابن العاص . ليس له ذلك الا ببينة وعلى يد السلطان .
عمرو : ليس من بينة واضحة ولكن القرائن تدل .
المسلمون : (من أركان المسجد) أجل يا أمير المؤمنين . القرائن تدل

ما كان أبو لؤلؤة وحده . كان معــه جفينة والهرمزان . ليس من العدل أن يقتلوا عمر أمس ونقتل نحن ابنه اليوم . لتجعلن له مخرجا يا أميــر المؤمنين أو ليكونن شر كبير .
(ينظر عثمــان الى على كأنــه يستنجد به فى هذه المشكلة) .
عثمان : ما الرأى يا أبا الحسن ؟
على : اتق الله يا عثمان ولا تبدأ عهدك بنقض حكم من أحكام الله .
عثمان : وجمهور المسلمين يا أبا الحسن .
على : انهم لن يغنوا عنك غدا من الله شيئا .
عثمان : يا أصحاب رسول اللــه أما من مخرج ؟
عمرو : يا أمير المؤمنين عندى لك مخرج .
عثمان : هات يا أبا عبد الله .
عمرو : ان هذا الأمر قد كان قبل أن يكون لك على الناس سلطان .
عثمان : يا أصحاب رسول الله أما من مخرج ؟
على : لا مخرج يا أمير المؤمنين الا أن يعفو اولياء المقتولين .
المغيرة : أنا يا أمير المؤمنين ولى ابنة أبى لؤلؤة وقد عفوت وقبلــت الدية وأبرأت منها آل عمر .
المسلمون : أحسنت يا ابن شعبة أحسن الله اليك .
عثمان : فمن ولى جفينة ؟
سعد : ليس لجفينة ولى يا أميــر المؤمنين .
عثمان : فأنا ولى من لا ولى له وقد جعلتها دية واحتملتها فى مالى .
المسلمون : أحســنت يا أميــر المؤمنين . أحسن الله اليك .
عثمان : بقى ولى الهرمزان . اين ولى الهرمزان ؟
(ينهض القماذبان فتتطلع اليــه العيون) .
القماذبان : أنا القماذبان يا أميــر المؤمنين . ابن الهرمزان .

عثمان : ماذا ترى يا قماذبان ؟
المسلمون : اقبل الدية يا قماذبان اصنع كما صنع المغيرة وأمير المؤمنين
عثمان : أيها الناس دعوه يقل ما عنده ولا تحملوه على ما لا يحب .
القماذبان : يا أمير المؤمنين الى أن أقتله ؟
عثمان : نعم
القماذبان : ولا تمنعونه منى ؟
عثمان : لا لا أحد يمنعه منك الا أن تعفو أنت وتقبل الدية .
القماذبان : فانى قد عفوت يا أمير المؤمنين وقبلت الدية .
عبيد الله : لكنى لا أقبل يا أميــر المؤمنين . لا دية لقتلة عمر .
عثمان : لا تخف يا عبيد الله . انى سأحتملها فى مالى .
عبيد الله : كلا لا أقبل منك يا أمير المؤمنين ان تدى من قتل أبى .
عثمان : اذن ندفعك اليه ليقتلك .
عبيد الله : افعلــوا . دعوهــم يقتلونى كما قتلوا أبى . أليس ذلك هو ما تبتغون ؟ اقتلوا آل عمر جميعا ولا تبقوا منهم على أحد !
المسلمون : يا عبيد الله بن عمــر اقبل . لا تجعل على نفسك سبيلا . انا نشفق عليك .
عبيد الله : يا معشر المســلمين جزيتم خيرا . ولكنى اؤثر أن أقتــل كما قتل عمر علــى أن تدفع الديــة لقاتل عمر .
عثمان : لا مناص اذن من قتلك . لقد حكمت على نفسك .
كعب : حنانيك يا أمير المؤمنين . لا تعجل على عبيد الله واعذره فانه موتور (يتهامس عبد الله بن عمــر وابن عوف وينظران الى كعب فــى استياء) .
ابن عوف : يا أمير المؤمنين لــو أذنت لى ولعبد الله بن عمر فكلمنــا عبيد الله على حدة فلعلنا نستطيع أن نرده الى صواب .
عثمان : افعلا ان شئتما .

(ينزل ستار أمامى فيحجب المنظر الاول ويظهر عبيد الله وعبد الله وابن عوف وحدهم) .

ابن عوف : يا ابن أخى ان هــذا ليهودى لن يهديك الى خير .

عبيد الله : قد علمت أنكما كرهتما ذبه عنى ودفاعه .

ابن عوف : انك لا تعرف ســوء طويته .

عبيد الله : سبحان الله وما شأنى بطويته ؟

ابن عوف : لقــد راقبناه جيــدا فرأيناه يومىء للقماذبان ألا يقبــل الا القود فلما أعرض عنــه القماذبــان وأعلن قبوله للدية طفــق يحرضــك بعينــه لتــرفض ما فيه نجاتــك وخلاصك .

عبيد الله : والله لشد ما أسأتما الظن بكعب .

عبد الله : يا أخى لو تعلــم رأى أبيك فيه .

عبيد الله : وما رأى أبى فيه ؟

عبد الله : اخبره يا ابــن عــوف عسى أن يصدقك خيرا منى .

ابن عوف : تعاهدنا أن نكتمه ولا نفشيه لأحد ؟

عبيد الله : وعلام ذلك ؟

ابن عوف : وصية من عمر .

عبيد الله : عاهدتكما لا أفشيــه لأحد .

ابن عوف : (بصوت خافض) كان عمر يرى أن كعبا من المتواطئين مع أبى لؤلؤة .

يدهش عبيد الله وتتسع حدقتــاه ويتهامس الثلاثة هنيهة بكلام غيــر مسموع) .

عبيد الله : تبا لليهودى الكلب . والله لأقتلنه شر قتلة !

عبد الله : صه لا يسمعنك أحد . ان أباك أخذ علينا عهدا أن نكتم هذا الأمر ولا نثيره . ولولا حرصنا علــى حياتك ما أخبرناك به .

ابن عوف : فكن عند حسن ظنــا يا عبيد الله ولا تكن أول من ينقض وصية أبيك .

عبيد الله : (يتنهد آســفا) أواه منك يا عمر لشد ما تهضمت نفســك وأهلك .

(يرفع الستار الأمامى ويظهــر المنظر الأولمن جديد ويعود عبيد الله وابن عوف الى حيث كانوا) .

عبد الله : يا أمير المؤمنين لقــد عاد أخى الى صوابه .

عثمان : أحقا يا عبيد الله ؟

عبيد الله : نعم

عثمان : الحمد لله .

على : يا أمير المؤمنين أعــد الآن عليهم السؤال أيقبلــون الديــة أم يصرون على القود فقد عاد لهم الخيار برفض عبيد الله .

عثمان : صدقت يا أبا الحسن . أنا ولى جفينة قدجعلتها دية واحتملتها فى مالى .

المغيرة : وأنا ولى ابنة أبى لؤلؤة قد قبلت الدية وأبرأت منها آل عمر .

القماذبان : (تتطلع اليه العيون مرة أخرى) الى الآن ان اقتلــه يا أمير المؤمنين ؟

عثمان : نعــم فقــد عاد اليــك الخيار .

القماذبان : فانى أتركه لله عــز وجل .

المسلمون : (أصواتهم مــن كل جانب) بوركت يا قماذبان . بوركت يا ابن الهرمزان . أيها المسلمــون احملوا هذا الفتى على أعناقكم .

القماذبان : رويدكم أيها المسلمون ان أنا الا واحد منكم . دعونى أرجع الى منزلى .

المسلمون : (أصواتهم) لا والله يا فتى لا تعود الى منزلــك الا على الاعناق .

ـــــ ستـــار ـــــ

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها

فى التيمم

السؤال :

أصبت بمرض ومنعنى الاطباء من الاغتسال ، فكيف أصلى اذا كانت على جنابة ، وقد اغتسلت مرة فاشتد المرض وزادت آلامى .

(سيدة ــ الكويت) .

الاجابة :

متى كنت غير قادرة على الاغتسال بسبب المرض يكفيك أن تتيممى وعليك أن تكررى التيمم لكل صلاة مفروضة ، وبهذا أفتى علماء المالكية ، وفى هذا اليسر كل اليسر (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) .

الصلاة فى القطبين

السؤال :

يستمر النهار فى القطبين (الشمالى والجنوبى) ستة أشهر ويستمر الليل فيهما ستة أشهر ، فكيف يؤدى المسلم الصلاة اذا كان مقيما فى أحدهما ؟

(مسلم)

الاجابة :

مذهب الشافعى أن تقدر أوقات الصلاة فى هذه الأماكن بأقرب البلاد اليها التى فيها ليل ونهار. روى مسلم عن النواس بن سمعان قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ولبثه فى الأرض أربعين يوما : يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم . قلنا فذلك اليوم الذى كسنة يكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا . أقدروا له قدره .

وقياسا على هذا تكون أيام القطبين كأيام الدجال يجرى عليها حكمها .

في الرضاع

السؤال :

خطبت فتاة ، وقد علمت بأن أخى الأصغر رضع من أم خطيبتى ، فهل رضاع أخى من أمها يحرم على زواج ابنتها هذه ؟

(سعيد ــ الكويت)

الاجابة :

يحل لك شرعا أن تتزوج هذه الفتاة ، ولا يمنع من ذلك أن أخاك رضع من أمها ، لأنها ليست أختك من الرضاع بل هى أخت أخيك رضاعا ، فلا تعد من المحرمات عليك بالرضاع .

في الميراث

السؤال :

توفيت بنت عن أم وجدة وأخوين شقيقين فما حكم الشرع فى كيفية توزيع التركة بين هؤلاء ؟
س . و — البحرين

الاجابة :

لا تأخذ الجدة شيئا ، لأنها محجوبة بالأم ، وللام السدس ، وللاخوين الشقيقين باقى التركة مناصفة .

السؤال :

امرأة توفيت عن أخوين لأم ، وبنت أخ شقيق وعم لأب ، فمن يرث من هؤلاء ومن لا يرث ،وما نصيب كل وارث ؟

(حمدان التكريتى — السودان)

الاجابة :

الذى يرث من هؤلاء هم الاخوان لأم والعم لأب ولا شىء لبنت الاخ الشقيق ؟
والاخوان لأم لهما ثلث التركة يقسم بينهما بالسوية ، والعم لأب له الباقى .

في الصيد

السؤال :

ما حكم أكل الطائر الذى يصاد بالبندقية فى جميع المذاهب ؟
(عز الدين اسماعيل — لبنان)

الاجابة :

المصيد بالبندقية اذا أدرك حيا وجب ذبحه بالطريقة المعتادة ، وبهذا يحل أكله ، فاذا ترك ولم يذبح حتى مات حرم أكله .

والمصيد بالبندقية اذا مات بالرصاص لا يحل أكله عند الشافعية والحنابلة ، لأنه قتل بآلة مثقلة لا يقطع بها فى العادة ، اذ الطلقة التى تخرج من البندقية ليست محددة ، والى هذا الرأى ذهب بعض الحنفية .

أما المالكية وفريق من الحنفية فيرون حل أكل المصيد بالبندقية اذا كان الصائد مميزا ، ولم يترك التسمية عمدا ، وأن يكون القتل بسبب الرمى دون سبب آخر .



يعبرون فيه عن أفكارهم
دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

حول (الدم المسفوح)

تلقينا من الشيخ محمد سليمان الأشقر أمين مكتبة الوزارة هذا التعقيب .
نشرتم فى العدد (٥٣) بحثا للشيخ جلال الحنفى بعنوان **(الدم المسفوح ، بحث بين التفسير واللغة)** انتهى منه الباحث الى أن الدم المحرم هو الدم المسفوح وأن الدم المسفوح فى رأيه هو الذى ينزف من الحيوان عند فصده على ما كان مألوفا فى الجاهلية ، فقد كان الناس يفصدون الابل فيأكلون ما ينزف من دمها ، ويطعمون منه ضيفانهم حين كانت نفوسهم لا تسخو بذبح ناقة أو جمل ، كما انتهى الباحث الى أن ما عدا هذا من أنواع الدماء ليس محرما ، ومنه الدم الذى يسيل من البهيمة عند ذبحها .

ولما كان هذا القول مخالفا لما اتفق عليه سلف الأمة وخلفها رأيت أن أوضح وجه الخطأ فى استدلال الكاتب المحترم .

فهو يرى أن السفح فى قوله تعالى **(أو دما مسفوحا)** لا يصدق على الدم المنسكب عند الذبح ، اذ لو كان كذلك لما قرن بخبيثين هما الميتة ولحم الخنزير ، ولا وجه لهذا التخصيص لأن **(السفح)** فى اللغة يعنى الصب ، فالدم المسفوح هو الدم المصبوب ، واطلاق الدم المسفوح فى الآية يعنى أن — الدم المسفوح بجميع أنواعه محرم سواء أكان السفح فى حال حياة الحيوان أم عند ذبحه . هذه هى الدلالة الصريحة للآية والذى تقتضيه اللغة .

نعم ، قد كان بعض العرب يفصد الدابة ليشرب دمها . وهذا النوع من الدم المسفوح محرم قطعا ، لكن أين الدليل على أن ما سفح بغير الفصد خارج عن دلالة الآية ؟ « مع أنه يغلب على الظن أن الفصد كان قد انتهى أمره بنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن تعذيب الحيوان . فلماذا يقصر الكاتب دلالة الآية على الجزء الأقل المتروك ، ويلغى دلالتها على الجزء الأعظم من الدم المسفوح وهو ما يسيل عند الذبح » ؟ فهذا تحكم بغير حجة ولا برهان . واعتذار الكاتب فى آخر مقاله بأنه ليس لديه من المراجع ما يمكنه من متابعة الموضوع على وجه التفصيل اعتذار غير مقبول فى مجال البحث العلمى وخاصة اذا كان يترتب عليه تحليل أو تحريم .

ولو كانت الدماء المنصبة حلالا لجاز بيعها وأكل ثمنها . فكيف وقد حرم النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح أكل ثمنها . فقد روى البخارى فى صحيحه **(البيوع ٢٥ ، ١١٣)** أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الدم .

الصحيح اذن أن الدم المسفوح حرام بجميع أنواعه . وأن الأصل فى مادة الدم أنها حرام لا يجوز للمسلم تعاطيها الا للمضطر .

ونعتقد أن الله قيد الدم الذى حرمه بكونه مسفوحا تخفيفا على هذه الأمة لئلا يلزموا بتتبع الدم الذى يبقى فى عروق الذبيحة بعد الذبح . كما قال عكرمة تلميذ ابن عباس . **(لولا هذه الآية لتتبعناه فى العروق)** .

وقد ورد ذكر تحريم الدم فى القرآن فى أربعة مواضـــع لم يقيد فى ثلاثة منها بالمسفوح ، وقيد فى موضـــع واحد ، وهـــذا يشعر بأن سبب تحريم الدم المسفوح أنه **(دم)** لا أنه **(مسفوح)** وان ذكر السفح جاء للرخصة فى ما تجمد فى العروق . والله أعلم .

واجب الأمة

ويتحدث الأســـتاذ دسوقى أحمد عبد العاطى عن واجب الأمـــة فى هذه الظروف فيقول .

أمر الله المسلمين بأن يستعدوا لأعدائهم بكل ما يستطيعون من قوة وهو أمر لا يختص بزمان ولا بفريق من الناس . .

أمر صريح بالاســـتعداد الكامل الدائم للدفاع عن الدين ، وعن الوطن ، وبيان واضح قوى للهدف من هذا الاستعداد أو السلم المسلح فى الاسلام ، وحث على الانفاق فى سبيل تحقيق هذا الهدف باستكمال عدة المسلمين . .

أما الأمر الصريح فقوله **(وأعدوا لهم مـــا اســـتطعتم من قوة ومن رباط الخيل)** .

وأما البيان الواضح للهدف فقوله **(ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)** .

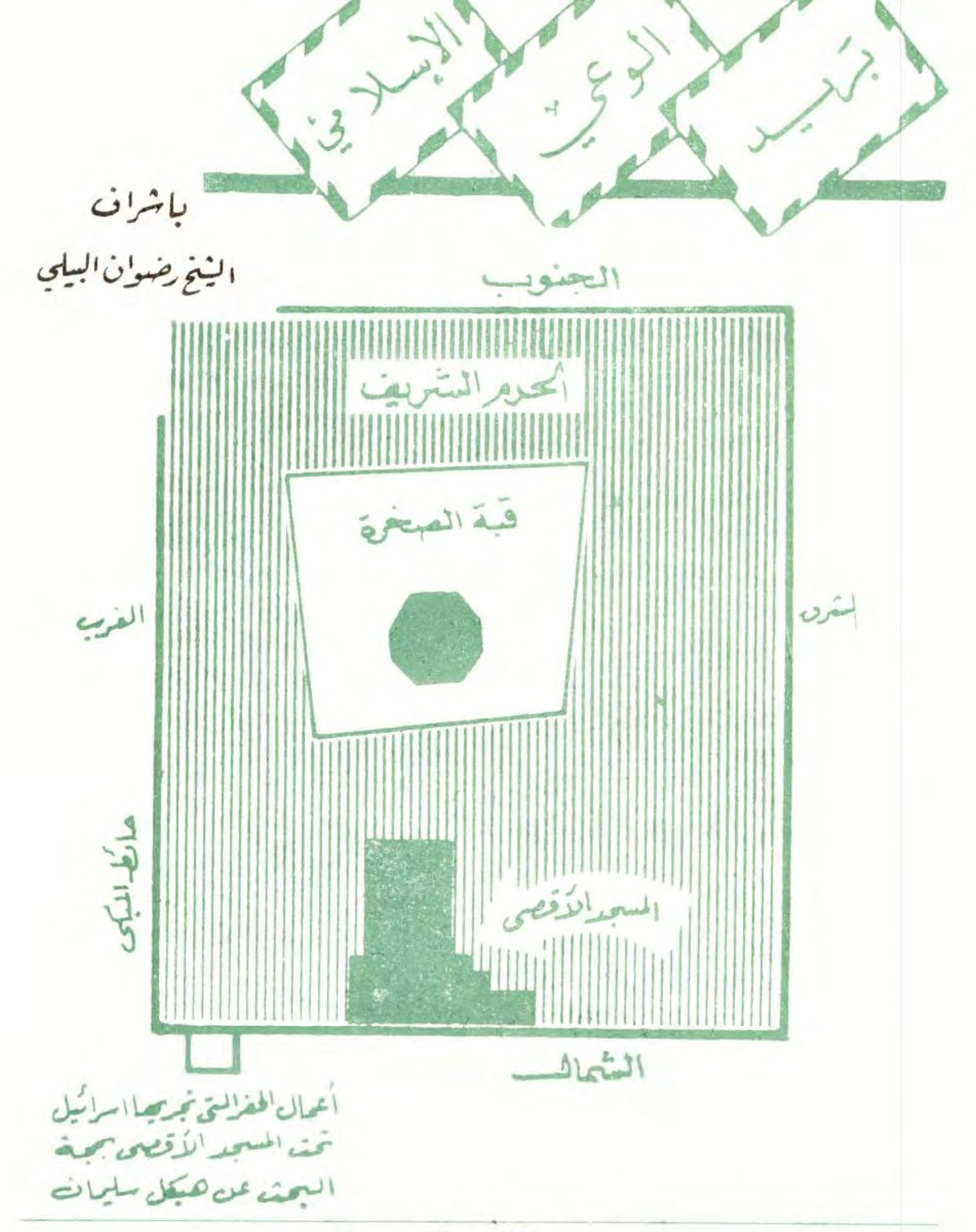
وأما الحث على الانفاق فتشير اليه الآية الكريمة **(وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة)** أى لا تهلكوا بأيديكم بترك الانفاق لأن عدم انفاق المال فى الاستعداد للقتال يضعفكم ويمكن الأعداء من نواصيكم فتهلكون ، فالآية ترغب المؤمنين فى هذا البذل ، اذ تعدهم بأن يوفى اليهم كل ما ينفقونه فى سبيل الله من نقد أو غيره قليل أو كثير . . أى بأن يجازوا عليه جزاء وافيا . أما فى الدنيا والآخرة كليهما . واما فى الآخرة فقط . .

والآية تؤكد دعوة المؤمنين الى البذل أو ترغبهم فيه اذ تقول **(وأنتم لا تظلمون)** فان هذه الجملة الحالية تقرر أنهم لن ينقصوا من جزاء ما ينفقون شيئا . . .

التخذيل . واذا كان ما أنزله الله فى عنصرى القوة والتنظيم لا يعدو بضع آيات فان ما أنزله فى شأن النفاق وما ينبثق منه من صور التخذيل وألوان الفتنة التى تفسد على الناس حياتهم وتقف دون النصر والظفر . وخاصـــة فى أوقات الغزو والجهاد أوضح برهان على أن عنصر التخذيل فى الأمة الناهضة أشد فتكا من أقوى العدد وأحدث النظم . وعلى أن طهارة الأمة من هذا العنصر الخبيث كفيلة بالنصر مهما قل عدد المجاهدين وضعفت قوتهم المـــادية (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) . .

وما أصيب المؤمنون بمـــا أصـــيبوا فى أحد وحنين الا عن طريق التخذيل والفتنة **(ويوم حنين اذ اعجبكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين)** . .

فواجب الأمة الاسلامية والعربية فى هذه الظروف العصيبة القاسية التى تمر بها ، والاحن التى وقعت فيها أن توحد صفوفها ، وتقوى ارادتها وتبذل الدماء والأرواح مضحية بهما فى سبيل حقها والاحتفاظ بكيانها ، والاعتصـــام بكرامتها **(ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)** . .



ماذا بعد الحريق !!

ترى كيف تمت المؤامرة الكبرى ضد الاسلام ، والمدى الذى بلغته الصهيونية فى الاستخفاف بالمسلمين ، والعدوان على المقدسات .. والعرب والمسلمون حيث هم .. نداءات واستنكارات وبرقيات واحتجاجات .. هل لا يزال فى العرب والمسلمين من يعلق أملا على الضمير العالمى ، والهيئات الدولية ، والحلول السلمية ؟ « .. هل لا يزال فيهم من يعتقد أن هذه الحرب من أجل فلسطين ، أو من أجل الشرق الاوسط .. انها من أجل القضاء على الاسلام وحرق المسلمين .. هل يحتاج المسلمون بعد ألسنة النار التى التهمت المسجد الأقصى — الى من يوقد حميتهم ، ويشعل ارادتهم للوقوف صفا واحدا وجبهة واحدة فى وجه العدوان الصهيونى » « .. متى نفيق ؟ متى نحمل السلاح » متى الزحف المقدس ؟

من المؤسف ان اشعال النار فى أولى القبلتين وثالث الحرمين لم يكن مفاجأة ، وان العرب والمسلمين لم يؤخذوا على غرة حين أقدمت اسرائيل على

حرق المسجد الأقصى ، ولن يؤخذوا كذلك على غرة اذا فعلت اسرائيل — لا قدر الله — بمقدساتهم أكثر من ذلك ، فان نوايا الصهيونية الاثيمة تجاه المقدسات فى القدس وضد المسجد الاقصى بالذات ومخططهم لازالته من الوجود واقامة هيكل سليمان على انقاضه امر معلوم ومكتوب ومطبوع قبل ان يكون لاسرائيل وجود فى أرض العرب والمسلمين . وما اعتقد ان ذلك كان مجهولا أو خافيا على احد منهم .

هذه هى الحقيقة ، وهذه المستندات تؤيدها وتثبتها .

١ — جاء فى دائرة المعارف اليهودية . ان اليهود يجمعون أمرهم بغية الزحف على القدس وقهر العرب واعادة العبادة الى الهيكل أى الى المسجد الاقصى واقامة ملكهم هناك .

٢ — جاء فى دائرة المعارف البريطانية . ان اليهود يتطلعون الى امتداد اسرائيل ، واستعادة الدولة اليهودية واعادة بناء الهيكل .

٣ — طلب اليهود اثناء الانتداب البريطانى على فلسطين من الحكومة البريطانية ان تسلمهم الحرم الشريف فى القدس بحجة انه ملك لهم .

٤ — فى سنة ١٩٢٩ أعلن الزعيم اليهودى (جلوزتز) ان المسجد الاقصى القائم على قدس الاقداس ملك لهم .

٥ — قال الوزير اليهودى البريطانى (اللورد متشت) ان اليوم الذى سيعاد فيه بناء الهيكل أصبح قريبا جدا ، واننى اكرس ما بقى من حياتى لبناء هيكل سليمان مكان المسجد الاقصى .

وخرجت أحلام الصهيونية وامانيها الى حيز التنفيذ بعد حرب يونيو ٦٧ وعمدت اسرائيل الى تدعيم وجودها فى القدس — متحدية بذلك قرارات مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة ، وسعت منذ اللحظة الاولى لوضع اقدامها فى المدينة المقدسة الى اهانة المقدسات الاسلامية والاستخفاف بالرأى العام العربى والاسلامى ، وكان من مظاهر هذا الاستخفاف وهذه الاهانة ما يلى : —

- استباحة حرمة المسجد الاقصى بالسماح للاسرائيليين والاسرائيليات بدخوله فى ملابس فاضحة وفى أوضاع مستهجنة كأنهم فى أماكن الدعارة والفجور .
- هدم جميع الأبنية الاثرية الملاصقة للمسجد الأقصى .
- القيام بحفريات حول المسجد تلحق اضرارا جسيمة بمبناه بحثا عن آثار عبرانية تكشف عن هيكل سليمان .
- تصريح أدلى به وزير الاديان الاسرائيلى فى مؤتمر دينى عقد بالقدس عقب الاحتلال قال فيه .

« أرض الحرم ملك يهودى بحق الاحتلال وبحق شراء اجدادهم لها منذ ألفى سنة » .

- انشاء صندوق لجمع الاموال من أجل اعادة بناء الهيكل .
- وثيقة قدمتها لجنة انقاذ القدس لمجلس الجامعة العربية تكشف عن نوايا اسرائيل تجاه المسجد الأقصى ، وهذه الوثيقة هى خطاب للماسونى الامريكى (جريدى ترى) قال فيه —

ان هيكل سليمان كان المحفل الماسونى الأصلى ، وان سليمان كان رئيس المحفل ، وان مسجد عمر واقع على الهيكل هو والصخرة التى قدم عليها ابونا ابراهيم ولده اسحق قربانا لله .

واننى كماسونى أرأس جماعة فى أمريكا تطمح أن ترى هيكل سليمان وقد اعيد بناؤه وان هذه الجماعة تقوم بجمع مائة مليون دولار لهذا الغرض .

مهدت الصحف الاسرائيلية منذ شهر واحد لعملية ازالة الأقصى من الوجود ودعت الى اتخاذ اجراءات عاجلة فنشرت صحيفة لامرحاب الصهيونية تحت عنوان هيكل سليمان بالقدس . يجب الاستيلاء بسرعة على المقدسات الاسلامية ووضعها تحت سلطة اسرائيل مهما كان الثمن .

والثمن فى نظر اسرائيل قليل لا يكلفها شيئا . فهو على الاكثر استنكار من مجلس الامن .

فالنوايا الصهيونية العدوانية تجاه المسجد الاقصى ، بل تجاه مسجد الصخرة وسائر المقدسات معلومة ومكشوفة ، وهم لا يعدمون وسيلة من الوسائل لتحقيق هذه النوايا بافتعال الحريق أو نحوه . ومن أجل هذا كله تؤكد ان حريق المسجد لم يكن مفاجأة ، بل كان منتظرا ما دام العرب والمسلمون لم يغيروا من موقفهم تجاه العدو .

ثم ماذا بعد حريق المسجد ؟! استمعت الى نشرات الاخبار والتعليقات فى معظم الاذاعات العربية ، وطالعت الكثير من الصحف والمجلات العربية والاسلامية ورأيت صفحاتها الأولى مجللة بالسواد بعد الحادث ، وقرأت ردود الفعل السيئة فى البيانات والتصريحات والنداءات والبرقيات المعبرة عن مبلغ الالم الذى عصر النفوس ، وعن شدة اللهب الذى يغلى فى الصدور وعن الدم الذى نزفته القلوب أسى وحسرة .

كل هذا كان ولكن مكاتب التطوع التى فتحت ؟ اين الملايين من الشباب الذين سجلوا اسماءهم ؟ اين ساحات التدريب ؟ اين اللجان التى كونت لجمع المال وشراء السلاح ؟

هل يكون هذا الحريق النفير العام لزحف المسلمين لتحرير وتطهير المقدسات والارض الاسلامية من اعداء الله والانسانية !!

ذلك ما تؤذن به الدلائل ، وتشير اليه الاصابع (حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا) .

شكـوى

بعث الينا لفيف من القراء بعدة رسائل يشكون فيها من تصرف بعض الباعة لعدم حصولهم على كتاب (حقيقة اليهود والمطامع اليهودية) الذى وزعته المجلة هدية مع عدد جمادى الاولى الماضى .

والمجلة تؤكد للقراء انها طبعت العدد اللازم من الكتاب ، وان شركات التوزيع سلمته للباعة مع الاعداد ، وانا لنستنكر هذا التصرف من بعض ضعاف العقيدة والايمان ، ونهيب بكل مسلم ان يقوم بالواجب الذى يمليه عليه دينه وضميره فى هذه المعركة الحاسمة ، وهذا الكتاب المستغل يسهم فى تعريف القارىء بنفسية العدو وحقيقته ، ويكشف عن نواياه ومخططاته ، ويحفز المسلمين الى التكاتف لدرء خطره وتسديد الضربات القاتلة له .

وقد طالب بعض القراء باعادة طبعه وتوزيعه على ضباطنا وجنودنا فى خطوط المواجهة حتى يزيدهم ايمانا بحقهم وحقدا على عدوهم .

ونعد القراء باننا نعد رسالة أخرى نوزعها هدية مع بعض أعداد المجلة القادمة ان شاء الله .



الحريـــق

كان لحادث احراق المسجد الاقصى صداه العميق فى مختلف أنحاء العالم العربى والاسلامى ، وقد تناولت جميع الصحف فى صفحاتها الاولى هذا العمل الاجرامى ، فقالت صحيفة الرأى العام الكويتية :

منذ أشهر قلنا أنه لا يمكن لاسرائيل أن تتخلى عن القدس ، لانها بهذا التخلى تكون قد أسقطت الحلم الصهيونى القائل باعادة بناء هيكل سليمان ، فوق أنقاض المسجد الاقصى ، رمزا لقيام مملكة اسرائيل فى العالم .

وقلنا أيضا أن سلطات الاحتلال مستعدة للتخلى عن تل أبيب ، ولكنها لن تنسحب من القدس للسبب الدينى هذا ، والذى كان واضحا منذ تموز ١٩٦٧ أنه يشكل بالنسبة لليهود قضية حياة أو موت . وقد بدأ اليهود بجمع الاموال لتأمين نفقات البحث عن بقايا هيكل سليمان المزعومة ، ولاعادة بنائه ، وتبرع الثرى اليهودى روتشيلد بمبلغ مليون جنيه استرلينى لتحقيق هذا الغرض .

ومنذ أشهر أيضا بدأت الحفريات حول المسجد الاقصى وتم نسف البيوت العربية حوله واعداد الحى المحيط بالمسجد ليصبح حى الهيكل العتيد .

وقد ارتفعت الاصوات منبهة الى أن الهدم والحفريات سوف تصل الى المسجد الاقصى ، ولكن لم تتحرك الهيئات والزعامات الاسلامية لاتخاذ أية خطوة تحمى هذا الاثر الهام فى التاريخ الاسلامى .

وها هى الاصوات تعود اليوم مرة أخرى ، بعد أن احترق المسجد طوال ثلاث ساعات ، كانت كافية فيما مضى لاطفاء حريق أنابيب النفط فى حيفا ، ولكنها لم تكن كافية لاطفاء الحريق فى المسجد الاقصى ، اذ هل يطفىء الحريق من يشعل ناره ؟ »

أبدا .. وهذا الحريق ليس الاخير فى المسجد الاقصى ولا فى سواه من المعالم الدينية المحمدية والمسيحية على حد سواء .

فالحقيقة التى لا مهرب منها هى أن حرب الصهيونية ضدنا هى حرب دينية يهودية ، حدد اليهود مضمونها ، وهم اليوم يكشفون عن هذا المضمون الذى ما كان ليخفى الا على الاغبياء الواهمين أن حربنا مع اسرائيل هى حرب طبقية أو استعمارية .

وانها حرب دينية ليس لاننا نحن نريدها حربا دينية ، ولكن لان الذين هيأوا للحرب وجمعوا اليهود من كل مكان فى الارض ، انما فعلوا ذلك مدفوعين بالحقد الدينى الموروث ، وما نجحوا فى أول خطواتهم الا بتحريك الغرائز الحيوانية للحقد الطائفى الذى حملوه منذ ألفى عام .

انها حرب دينية لا نملك نحن تغيير أسبابها ، لاننا لم نبدأها ولم نخطط لها ولم نحدد غاياتها . اننا لا نملك غير العمل لتغيير نتائجها التى يتصورها اليهود .

مطلوب اجراء له قيمة

ونشرت صحيفة (أخبار الكويت) تحت هذا العنوان تقول :

حتى الان يبدو الاتجاه الذى سار فيه أسلوب المعالجة العربية والاسلامية لمأساة حرق المسجد الاقصى من جانب السلطات الاسرائيلية ، وكأنما لم يستفد أصحابه بعد من الحقائق والظروف التى تعاصر القضية العربية ..

فكل الاحتجاجات والاستنكارات والبيانات الرسمية تتجه صوب الامم المتحدة لتخاطب مجلس الامن وتهيب به أن يتخذ من جانبه الاجراءات الرادعة لسلطات العدوان العنصرى فى تل أبيب .

وقد أثبتت الاحداث الاخيرة فى المنطقة العربية أن مجلس الامن الدولى لا يملك من الامكانات والظروف ما يجعله قادرا حتى على اصدار بيانات كلامية عدا عن اجراءات رادعة كما ورد فى العديد من الاستغاثات التى وردت فى الثمانى والاربعين ساعة الاخيرة .

ولو أن هذا المجلس يحرص بالفعل على هيبة المنظمة الدولية وفعاليتها لكان قد اجتمع غداة أصدر قراره الشهير بشأن القدس الذى شجب فيه ، واستنكر وطلب الغاء كل الاجراءات الاسرائيلية التى ترمى الى تهويد المدينة المقدسة .. كان عليه أن يجتمع ـ كما نص فى بيانه ليحدد ـ وليس ليبحث ـ الاجراءات الرادعة التى تجبر سلطات تل أبيب على الانصياع لقراره . لكن المجلس لم يجتمع لسببين :

- انه لا يريد أن يعيش موقف الانهيار المباشر للمنظمة الدولية .
- ان الولايات المتحدة قد تعهدت قبلا لسلطات الاحتلال أنها لن توافق على أية قرارات تفرض أية عقوبة من أى نوع ولأى سبب على هذه السلطات .

هذان السببان وهما شديدا الالتصاق بعضهما البعض هما اللذان حالا بين اجتماع جديد للمجلس ، وهما فى نفس الوقت اللذان أعطيا سلطات الاحتلال الدافع ، والضمان للمضى لا فى تنفيذ واحكام اجراءاتها الادارية لتهويد المدينة فحسب ، وانما لازالة كل أثر دينى أو حضارى فوق أرض العرب ثم المضى فى تجسيم خرافاتها التى لجأت اليها منذ مطلع هذا القرن ، والتى ابتدأتها بحكاية حائط المبكى ، تلك الحكاية التى لا يصدقها حتى جماعة البكائين حولها ، وها هى تثنيها بما تدعيه هيكل سليمان ..

الاتجاه اذن الى مجلس الامن هو مجرد اجراء شكلى لا يقرب نطاق الايجابية الذى يجب أن يعالج به ، وبسرعة هذا الموقف الخطير ، ولقد سئم العرب وكل الجماهير المسلمة نغمة البيانات والاحتجاجات ، وأصبحت هذه الجماهير تتطلع الى اجراءات واعية ومسئولة .

جريمة مروعة

كتبت صحيفة الاهرام القاهرية تحت هذا العنوان تقول :

ربما اختلفت اراء الدول ، وتباينت حول الوسائل الكفيلة بالتوصل الى حل لازمة الشرق الاوسط ، ولكن هناك قضية لم يكن عليها خلاف منذ اللحظات الاولى التى أعقبت حرب يونيو ، وكانت من أبرز نقاط لقاء الجماعة الدولية على اختلاف اتجـاهاتها ، كما كانت فى الوقت ذاته من أكثر ما رفضته اسرائيل ، وتشبثت الى الان فى رفضه ، وهى أن اسرائيل يجب ألا تحتفظ بالقدس ، ولا يجوز أن تؤتمن على ما تحتويه من مقدسات لها قيمتها البالغة للمسلمين والمسيحيين فى كافة أرجاء الارض .

واليوم ، وفى ظل الادارة الاسرائيلية ، ورغم كل تعهداتها لاطراف مختلفة فى العالم بأنهـا تستطيع الحفاظ على هذه المقدسات ، تنشب النيران لتبتلع المسجد الاقصى ، وتثبت اسرائيل عجزها عن اطفاء النيران ، اذا لم تكن قد تواطأت فى ارتكاب الجريمة ، أو حرضت على اقترافها ، تماديا فى سياستها التى دأبت على انتهاجها منذ حرب يونيو فى تهويد القدس ، وتدمير مساكن العرب ، وازالة كل ما يحول دون سيطرتها المطلقة على المدينة .

والجريمة المروعة التى ترتكب الان ـ لا فى حق الحضارة الاسلامية فحسب ، بل فى حق الحضارة العالمية كلها . والتى لا بد أن تستثير مشاعر الانسان المتحضر فى كل مكان ، تتطلب ـ وبالحاح ـ أن تتدخل الجماعة الدولية ـ وبأساليب فعالة ورادعة ـ لالزام المعتدى على التخلى عن سلوكه الاجرامى واستهتاره بأقدس القيم تحقيقا لاطماعه التوسعية ، وينبغى أن تنهض درسا للعالم المتحضر ولاكثر ما يعتز به تراث الانسان كله .



اعداد الاستاذ : عبد المعطي بيومي

احراق المسجد الأقصى :

فى يوم الخميس الثامن من جمادى الثانية ١٣٨٩ هـ أحرقت اسرائيل المسجد الأقصى ، وقد دمر الحريق القسم الجنوبى الشرقى منه ، كما أتى على المنبر ، وقد ادعت العصابات الصهيونية أن ماسا كهربائيا سبب الحادث ، ثم تراجعت وزعمت أن شابا استراليا أضرم النار فى المسجد ، وبهذه المؤامرة الاسرائيلية تتضح نوايا العدو فى محو الآثار الاسلامية والعدوان على المقدسات الدينية لتقيم على أنقاضها هيكل سليمان .

وكان لهذه الجريمة المروعة أثرها العنيف ، فى مشاعر العالم الاسلامى ، وصداها المدوى فى مختلف أنحاء العالم .

الكويت : اجتمع مجلس الوزراء على أثر حادث احراق المسجد الأقصى ، ودرس الخطوات الايجابية التى يجب اتخاذها لانقاذ وتحرير البلاد والأماكن المقدسة ، وطالب بعمل اسلامى حازم وقد أهاب معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية بالمسلمين ودعاهم الى الجهاد المقدس .

● رفع معالى وزير الأوقاف تقريرا مفصلا لسمو نائب الأمير وولى العهد عن أعمال الوزارة ونشاطها .

● تم التوقيع على مناقصة انشاء عدة مساجد على نفقة سمو أمير البلاد المعظم وستنشأ المساجد فى مناطق : الشعب ، الرميثية ، البدوية ، الفحيحيل ، العمرية ، المزرعة ، العضيلية ، الصليبخات ، فيلكا ، الصباحية .

● خصصت جامعة الكويت والمعهد الدينى عددا من المنح الدراسية لبعض أبناء (٢٥) دولة عربية واسلامية .

● سيبحث مجلس الأمة فى دورته القادمة مشروع قانون الوصية الواجبة .

● زار البلاد وفد الصداقة الكونغولى الاسلامى برئاسة السيد محمد سيس .

القاهرة : بعث الرئيس عبد الناصر ممثله الشخصى الى عمان وبغداد ودمشق اثر احراق اسرائيل للمسجد الأقصى وقد سلم الممثل رسائل الرئيس الى زعماء هذه الدول . وقد وجه الرئيس عبد الناصر خطابا الى القوات المسلحة بهذه المناسبة أعلن فيه أن احراق المسجد الأقصى جريمة لن تمر بدون عقاب .

● أصدر فضيلة شيخ الأزهر بيانا دعا المسلمين فيه الى انقاذ المسجد الأقصى وتخليصه من براثن الصهيونية وقد قال فضيلته أن الاعتداء على الأقصى جريمة فى حق المسلمين والمسيحيين .

● عقد وزراء الخارجية العرب اجتماعا فى الجامعة العربية وقرروا دعوة مجلس الدفاع المشترك فى الشهر القادم وتأييد عقد مؤتمر قمة عربى وآخر اسلامى .

● أنشىء فى جامعة الأزهر قسم للدراسات العليا لقراءات القرآن الكريم يقبل الحاصلين على شهادة تخصص القراءات من معاهد القراءات الأزهرية وما يعادلها من الدول العربية والاسلامية .

● دعا المؤتمر السادس للمعلمين العرب الذى عقد فى الاسكندرية فى أوائل جمادى الثانية .. الحكومات العربية للعمل الجاد للمحافظة على مناهج التعليم فى الأرض المحتلة .

● قدمت الجامعة العربية الى لجنة التحقيق الدولية فى جرائم اسرائيل ضد حقوق العرب فى الأرض المحتلة تقريرا مدعما بالوثائق والصور التى تدمغ اسرائيل فى اعتدائها على حقوق الانسان .

السعودية : أصدر جلالة الملك فيصل نداء الى العالم الاسلامى قال فيه علينا نحن العرب والمسلمين أن نتنادى ليوم قريب نلتقى فيه جميعا على أرض القدس لانقاذ مقدساتنا وأرضنا فنفوز باحدى الحسنيين النصر أو الشهادة وقد دعا جلالته الى عقد مؤتمر اسلامى .

● تلقى جلالة الملك فيصل رسالة من الرئيس عبد الناصر اقترح فيها أن يأخذ جلالته زمام المبادرة للدعوة الى مؤتمر قمة اسلامى بمكة .

الأردن : دعا جلالة الملك حسين الزعماء العرب الى مؤتمر قمة لتقرير ما يمكن عمله ردا على احراق اسرائيل للأقصى وأعلن فى عمان أن مجلس الوزراء فى حالة انعقاد دائم .

● دعا رئيس منظمة التحرير الفلسطينية قادة المنظمات الفدائية الى اجتماع عاجل وقد أصدر الفدائيون بيانا نادوا جميع العرب والمسلمين الى القتال كرد طبيعى على احراق المسجد وعاهدوا المسلمين على استمرار الجهاد حتى النصر .

● قررت لجنة التحقيق الاسلامية أن النيران اندلعت فى المسجد عن عمد وان الحراس شاهدوا الشاب الاسرائيلى الذى أشعل الحريق ولم يتمكنوا من القبض عليه .

العراق : عمت العراق موجة غضب عارمة على مختلف المستويات لاحراق اسرائيل المسجد الأقصى .

● استدعت العراق القائم بأعمالها فى رومانيا احتجاجا على رفع رومانيا العلاقات بينها وبين اسرائيل الى درجة سفارة فى الوقت الذى تتحدى فيه اسرائيل كل القيم والمبادىء الانسانية .

سوريا : أعلنت الحكومة السورية أن واجبنا تخليص المقدسات من رجس الصهيونية .

لبنان : أعلن الرئيس شارل حلو أن اسرائيل تتحمل تبعة حريق المسجد الأقصى .

● أغارت الطائرات الاسرائيلية على جنوب لبنان وقد اجتمع مجلس الأمن ولم يتخذ قرارا ضد اسرائيل وقد رفض لبنان وضع مراقبين دوليين على حدودها مع اسرائيل .

● دعا مفتى لبنان الى اضراب عام احتجاجا على احراق اسرائيل للمسجد الأقصى .

تونس : أعلن الرئيس التونسى أن احراق المسجد الأقصى هو امتهان للقيم الروحية من شأنه أن يؤدى الى تفاقم خطورة الموقف فى الشرق الأوسط .

الجزائر : بعث العقيد بومدين رسالة الى يوثانت قال فيها إن هذا الاعتداء يدل على تعصب يذكر المرء بأحلك الساعات التى عاشتها أوربا تحت نير النازية .

المغرب : قال جلالة الملك الحسن إن اسرائيل تتحمل أمام التاريخ والرأى العام العالمى المسئولية الكاملة لهذا الانتهاك للمقدسات .

السودان : أعلن رئيس مجلس الثورة أن حريق الأقصى يدل على نوايا اسرائيل العدوانية وانتهاكها لكرامتنا ومقدساتنا وأن الأمة العربية مصممة على تحرير الوطن العربى .

تركيا : عبر رئيس الوزراء التركى عن أسفه الشديد لاحراق المسجد الأقصى .

إيران : أعطت حكومة ايران تعليماتها الى مندوبها لدى الأمم المتحدة بتأييد الحملة التى يقوم بها الأردن والدول العربية لاستعادة القدس .

باكستان : تظاهر ملايين المسلمين فى مدن باكستان وقراها معلنين الجهاد المقدس وقامت الجمعيات بجمع التبرعات واستقبال المتطوعين للجهاد لانقاذ المسجد الأقصى والمقدسات الاسلامية .

سيلان : أعرب زعماء المسلمين عن غضبهم لحريق المسجد الأقصى .

ماليزيا : حث مفتى كيلنتان مؤتمر حكام الولايات على العمل على استرداد الأماكن المقدسة من اسرائيل .

الصومال : دعت الصومال مجلس الأمن الى الاجتماع لبحث جريمة احراق المسجد الأقصى .

اعداد : ع. ب.

مكتبة المجلة

مجلة القضاء والقانون

أصدرت وزارة العدل بالكويت العدد الاول من مجلة القضاء والقانون ، ويشتمل هذا العدد على مقالات وأبحاث حول القضاء فى الاسلام ، والمقومات الاساسية للنظام القضائى بالكويت وتاريخه ، وحول النيابة وطبيعة عملها ، وعن حركة التقنين فى الفقه الاسلامى ، كما يشتمل على بحث فى الوصية الواجبة ، وفى العمل الغير مشروع .

التقرير السنوى لوزارة التربية
٦٧ — ١٩٦٨ م

أصدرت وزارة التربية بالكويت تقريرها السنوى لعام ٦٧ — ١٩٦٨ يحتوى على نبذة تارخيية وجغرافية عن دولة الكويت ، كما يتناول تطور نظام التعليم واحصائياته .

حقيقة معركتنا مع اسرائيل

كتاب يقع فى ١٦٣ صحيفة من القطع الكبير يشرح فيه مؤلفه الاستاذ عبد الغفور العقرب جذور الصراع العربى الاسرائيلى ، ويكشف زيف الروحية اليهودية وأحقية فلسطين لأهلها الفلسطينيين ، كما يعرض فيه أطوار تكوين الدولة الصهيونية ، وتشريد أهل البلاد الاصليين ، ويرسم السبيل لاستعادة الحق مع ابراز أهمية الجانب الروحى فى هذا الصراع .

الخليج العــربى

كتاب ترجمه الدكتور عبد القادر يوسف عن السير أرنولد ت ويلسون الذى عاش فى منطقة الخليج العربى ثمانية عشر عاما ، وهو يحتوى على موجز لتاريخ الخليج منذ أقدم العصور حتى الآن مع بيان وضع الخليج فى السياسات الدولية ، والكتاب يقع فى ٤٣٦ صحيفة من القطع الكبير ، وقد نشرته مكتبة الامل بالسالمية . الكويت .

تراث القاهرة العلمى والفنى
فى العصر الاسلامى

بمناسبة الذكرى الالفية للقاهرة أصدر الدكتور عبد الرحمن زكى هذا الكتاب الذى يشتمل على

تمهيد وخمس مقالات تحدث فيها المؤلف عن ميــلاد الحضارة الاسلامية فى مصر وتطورها على أيام الطولونيين ، والفاطميين ، والايوبيين ، والمماليك ، بالاضافة الى بعض الصفحات والجداول الخاصة بالآثار . والكتاب ١٠٤ صحيفة قطع كبير نشر مكتبة الانجلو بالقاهرة .

مساجد القاهرة المباركة ومشاهدها

كذلك ألف الدكتور عبد الرحمن زكى فى نفس المناسبة ألفية القاهرة هذا الكتاب الذى يتضمن فكرة موجزة عن كل مسجد من مساجد القاهرة الشهيرة ومشاهدها الحضارية وهو فى ٥٤ صحيفة من القطع الكبير نشرته موسوعة مدينة القاهرة .

الكتاب السنوى لوزارة الارشاد والانباء

أصدرت وزارة الارشـــاد والانباء كتابها السنوى لعام ١٩٦٨ ، وقد ضمنته نبــذة تاريخية وجغرافية عن دولة الكويت ، وبيانات احصائية عن نشاطات الوزارات ومشروعاتها المختلفة .

نظرية الضرورة الشرعية

كتاب حديث للباحث الاسلامى الكبير الدكتور وهبة الزحيلى الاستاذ بجامعة دمشق ، وقد شرح فيه نظرية الضرورة الشرعية فى الشريعة الاسلامية بعدما حلا للكثيرين تحليل أشياء وتحريمها متعللين بالضرورة الشرعية ، والكتاب يقع فى ٣٤٦ صحيفة من القطع الكبير ومن نشر مكتبة الفـــارابى بدمشق .

جهاد شعب فلسطين
خلال نصف قرن

كتاب يعرض فيه مؤلفه الاستاذ صالح أبو يصير مأساة فلسطين من بدايتها الى نهايتها عرضا مدعما بالوثائق الرسمية التى تكشف مخازى الاستعمار والصهيونية وتواطئهما ضد شعب فلسطين ، هذا التواطؤ الذى لا يمكن أن يتم فى عصر متحضر ، والكتاب فى ٦٠٥ صحيفة نشر دار الفتح . بيروت .

مختصر صحيح مسلم ــ للحافظ المنذرى

الكتاب الثالث من سلسلة احياء التراث الاسلامى التى تصــدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت ، وقد حقق الكتاب على نسخ مخطوطة الاستاذ محمد ناصر الدين الالبانى ، وهو مجلد يحتوى على جزءين فى طبع أنيق واخراج فاخر .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبـول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ـ ٧ شارع الصحافـة

مكة المكرمـة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص.ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء

الريـاض : مكتبة مكة شارع الملك عبد العزيز ـ السيد احمد باصريح

الطائـف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص.ب ٢٢

جـدة : الدار السعودية للنشر ـ ص . ب : ٢٠٤٣

بغـداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص.ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطـر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عـدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد

المـكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحـدودة

دبـى : ساحل عمان ـ ص.ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـة ـ السيد رجا العيسـى

دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : مكتبه بحـرى ص.ب ٥

مراكـش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى

ليبـيا : طرابلس الغرب ص.ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية ص.ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص.ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



- هو عبد الرحمن بن احمد الكواكبى من زعماء الفكر العربى والاسلامى فى العصر الحديث ولد بحلب الشهباء وبها تلقى علومه الأولى على يد ابيه وغيره ، وكان ابوه من معلمى الجامع الأموى واصحاب المناصب الشرعية .
- عمل صحفيا ، ثم بالادارة والقضاء والتعليم .
- كان يجيد اللغتين التركية والفارسية الى جانب اجادته للعربية .
- وكان كما يقول العقاد فى ترجمته ، على اطلاع حسن فى مسائل الدين ودراية محققة بتواريخ الأمم الاسلامية ، وملما بالفتوح العلمية فى العصر الحديث .
- زار الكواكبى مصر سنة ١٨٩٨ م وساح فى سواحل افريقية الشرقية وسواحل آسيا الغربية للتوسع فى معرفة حال المسلمين بهذه البقاع ، وزار الهند كذلك للغرض نفسه .
- شاع ان الكواكبى حين مات بمصر مسموما ، بتدبير الخلافة العثمانية أو الخديوية المصرية ، ولكن العقاد يؤكد بعد دراسة اقوال مؤرخى الكواكبى انه مات بذبحة صدرية .
- ضريحه الآن بالقاهرة فى مقبرة باب الوزير ، نقل اليه رفاته بعد وفاته بنحو خمس عشرة سنة ، وعليه هذان البيتان لحافظ ابراهيم :

هنا رجل الدنيا ، هنا مهبط التقى ... هنا خير مظلوم هنا خير كاتب
قفوا واقرؤا ام الكتاب وسلموا ... عليه فهذا القبر قبر الكواكبى

- ولعبد الرحمن الكواكبى كتب منها :
  - صحائف قريش
  - ام القرى
  - طبائع الاستبداد

وكلها تبحث فى اصلاح احوال المسلمين واعلاء شانهم وتوحيد كلمتهم.

« رحمه الله »

« العوضى الوكيل »

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة ـ العدد ٥٦ شعبان ١٣٨٩ هـ ـ ١٤ أكتوبر « تشرين الأول » ١٩٦٩م



اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السـنة الخامسة

العدد السادس والخمسون

شعبـان ١٣٨٩ هـ

١٢ أكتوبر « تشرين الأول » ١٩٦٩ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وأيقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسـياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريـال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيـا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		فرنك وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليمـا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الـكويت ١ دينـار

فى الخـارج ٢ دينـاران

(أو ما يعادلهمـا بالاسـترلينى)

(أما الافراد فيشـتركون رأسـا)

مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسـلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ـ كويت







قال صلى الله عليه وسلم « لا تشد الرحال(١) الا الى ثلاثة مساجد(٢) : الى المسجد الحرام والى مسجدى هذا والى مسجد ايلياء « أو بيت المقدس » أخرجه مالك من حديث أبى هريرة .

المَساجدُ المعظّمة في الاسْلام هيَ التي تُشَدُّ اليهَا الرحَالُ للزّيارَة .

أوّل مَنْ شادَ تلكَ المسَاجدَ على الأرض .

قضاءُ اللّه عَلى بني اسرائيلَ بالخروجِ من بَيتِ المقدسِ وتشرّدهِم في الآفاق جزاءً وفاقاً لعصيانهم أوامرَ اللّهِ في التوراةِ وقتلِهم انبياءَهُ .

وَحدَةُ العَربِ وَالمسلمين مَع الايمان العَميق باللّهِ وَرسُله هيَ المحرّر الوحي للأراضي المقدّسَة .

١ — المسجد الحرام :

هو القائم فى مكة المكرمة بناه — أو جدد بناءه — سيدنا ابراهيم وولده

(١) لا تشد الرحال : الرحال جمع الرحل مركب للبعير ، وارتحل حط عليه الرحل فهو رحيل ومرحول وانه لحسن الرحلة بكسر الراء ، الرحل للابل ، والمعنى لا يسافر المسلم قاصدا للزيارة الا الى تلك المساجد الثلاثة التى أشار اليها سيدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) المسجد : سجد أى خضع ، وأسجد طأطأ رأسه وانحنى ، والمسجد كمسكن الجهة وما كان من باب جلس فالموضع أى مكان السجود على الجهة مع الاعظم الستة الاخرى الواردة فى الحديث أمرت أن أسجد على سبعة أعظم .

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف
والشئون الاسلامية

اسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، ثم هدم فأعاد بناءه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش .

ومسجدى هذا : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة بناه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام أول ما نزل اليها مهاجرا من مكة المكرمة ، وأقام الى جواره بيوت نسائه أمهات المؤمنين رضى الله عنهن جميعا .

والى مسجد ايلياء أو بيت المقدس : وهو المسجد الاقصى ، ومعنى الاقصى أى الاكثر بعدا ، وقد كان أبعد مسجد عن أهل مكة فى الارض يعظم بالزيارة ، وقد بارك الله حوله حيث دفن بجواره كثير من الانبياء والصالحين .

من بنى المسجد الاقصى ؟

بعد أن قتل داود جالوت فى حرب استعرت بينهما حكى قصتها القرآن الكريم فى الايات الشريفة (من ٢٤٦ الى ٢٥١) من سورة البقرة[١] أتاه الله الملك على بنى اسرائيل وأصابهم فى عهده طاعون جارف فخرج بهم عليه السلام الى موضع بيت المقدس يدعون الله ويسألونه كشف البلاء عنهم فاستجيب دعاؤهم فاتخذوا ذلك الموضع مسجدا ، وكان ذلك بعد مضى احدى عشرة سنة من ملك داود الذى توفى قبل أن يتم البناء فأتمه ابنه سليمان عليهما السلام .

وقيل ان الموت انتشر فى بنى اسرائيل عقابا لهم على مخالفات ارتكبوها ، فسأل داود ربه أن يعفو عنهم حتى لا يعمهم الفناء جميعا فاستجاب الله له ، وشاهد داود الملائكة تعرج الى السماء من فوق الصخرة فقال : هذا مكان ينبغى أن يبنى فيه مسجد ، ثم شرع فى البناء ، فأوحى الله اليه أن هذا بيت مقدس ، وأنك قد صبغت يديك بالدماء ، فلست ببانيه ، ولكن ابن لك سأملكه بعدك أسميه سليمان أسلمه من الدماء سيبنيه ، فلما ملك سليمان بناه ، وكان عليه السلام يتجرد فيه السنة والسنتين ، ويدخل اليه طعامه وشرابه ، ثم مات سليمان فى بيت المقدس ، وكان عمره نيفا وخمسين سنة[٢] .

---

(١) من قوله تعالى « ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله » الاية الى نهاية قوله تعالى « فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وأتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء » الاية .

(٢) تاريخ الامم والملوك لابن جرير الطبرى جـ١ ص ٣٤٣ .

٢ ــ الاسرائيليون يفسدون فى الارض مرتين فيخرجون منها :

قصت الايات الكريمة رقم ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ من سورة الاسراء أو سورة بنى اسرائيل أنهم أى الاسرائيليون سيفسدون فى الارض مرتين ، فاذا جاء وعد أولهما بعث الله عليهم عبادا له أولى بأس شديد يخرجونهم منها عقابا لهم على افسادهم ، ثم يتوبون فيعودون الى ديارهم ، ولكن لا يلبثون أن يرجعوا الى ما كانوا فيه من مخالفة لأوامر الله تعالى ، فيجيء وعد الاخرة فيسلط الله عليهم من يفتك بهم ويفرقهم أيدى سبا . فما المراد بالافساد فى الارض فى الاية الكريمة وهل وقع فعلا ؟

والجــواب :

ان المراد بالافساد مخالفة أحكام التوراة والتمادى فى الفسوق عن أمر الله ومجاهرته سبحانه بالعداء ، والارض الوارد ذكرها فى الكتاب العزيز هى أرض الشام وبيت المقدس وما والاها ، وقد وقع ذلك منهم فعلا فأرسل الله عليهم من أجلاهم عن الديار وشردهم شذر مذر ومزقهم شر ممزق .

المرة الاولى :

روى محمد ابن اسحاق أن ((ســـنحاريب)) ملك بابل جاء بجيش كبير ، ونزل مجـــاورا بيت المقدس فهـــزمه الله وأمات جميع جيشـــه ، ولم ينج الا ((سنحاريب)) وخمسة من خواصه ، فأسرهم ملك اسرائيل (صدقة) وأمر فطيف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس بعد أن طرح فى رقابهم الجوامع[١] ، وكان يعطيهم كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم[٢] ثم أطلق سراحهم فعادوا الى بابل ومات سنحاريب وخلفه فى الملك (بختنصر) .

فى هذه الاونة مات (صدقة) ملك اسرائيل واختلفوا على الملك من بعده ، فاختلط أمرهم وعصوا نبيهم (أرمياء) ، ولمـــا شدد عليهم النكير قتلوه ، وكان هذا ايذانا بهلاكهم ، فسلط الله عليهم بختنصر فدخل هو وجنوده بيت المقدس ، وأعملوا سيوفهم فى رقاب الاسرائيليين ، حتى أفنوهم الا قليلا منهم ومضى ببنى اسرائيل الزمان[٣] وهم مستعبدون لملوك بابل ، وفى هذه الاثناء صلحت أحوالهم وتابوا الى الله من ذنوبهم ، فعادت اليهم قوتهم ، وأمدهم الله بأموال وبنين ،

(١) الجوامع الاغلال والواحد جامعة .

(٢) مكن الله (صدقة) من أعدائه لأنه كان صالحا يقيم العدل والقسطاط فى رعيته ، وهم مستقيمون يعملون بما ورد فى التوراة آنذاك .

(٣) قدره السدى بخمسمائة عام .



وصاروا فى عدد أكثر من عددهم الاول ، واستطاعوا طرد البابليين ، واستنقاذ أسراهم منهم ، وعاد أمرهم فى بيت المقدس كما كان ، وذلك قول الله تبارك وتعالى : ((ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا))(١) .

وعد الآخرة :

تولى ملك بنى اسرائيل (لاخت) وكان زير نساء فقتل نبى الله يحيى بن زكريا عليهما السلام ، حين نهاه عن الزواج بامرأة يحبها ممتثلا فى ذلك أوامر تلك الفاجرة حيث وقع تحت تأثير سلطان جمالها .. فسلط الله على بنى اسرائيل (اسبيانوس قيصر الروم) فغزاهم فى البر والبحر ، واستولى على أموالهم ونسائهم ، وأخذ جميع ما كان فى بيت المقدس من حلى وجواهر(٢) وهذا قول الله جل وعلا ((فاذا جاء وعد الاخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علو تتبيرا)) وقد فعلوا بهم ما ساء وجوههم — أى سادتهم — وذلك باهلاكهم ، ودمر الغزاة كل ما غلبوهم عليه من بلادهم ، وكان من أمر الاسرائيليين فى هذه المرة أن تفرقت بهم الافاق ، وسار جمع منهم الى الحجاز ، وأقاموا بالقرب من يثرب انتظارا لظهور نبى من أبناء عمومتهم العرب بشرت بظهوره التوراة ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، فزعموا أنهم سينصرونه وسينتصرون به على أعدائهم ، ولكن لما أعلن رسالته صلى الله عليه وسلم خالفوه ، وتلك شنشنتهم ودأبهم الخلاف دائما ، وما بالطبع لا يتغير (وكل اناء بالذى فيه ينضح) .

وهل ينبت الخطى الا وشيجه   وتغرس الا فى منابتها النخل

وهكذا جعل الله تبارك وتعالى هلاك بنى اسرائيل منوطا دائما بمعاصيهم وبعدهم عن تعاليم السماء ، ولما بعث الله سيدنا رسول الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم عادوه وعاندوه وكادوا له ونقضوا عهده ، فلم يجد بدا من عقابهم ، فأجلاهم عن المدينة المنورة بل وعن شبه الجزيرة جميعا وقال الله تعالى فيهم ((ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)) الاية ١١٢ من سورة آل عمران ..

سلك بنو اسرائيل منذ تفرقهم فى الارض مسلكا ظاهره الذلة والمسكنة ، وباطنه الاستيلاء على مصائر البلاد التى استوطنوها بامتلاك رؤوس الاموال

---

(١) النفير والنافر من ينفر مع الرجل من عشيرته وأهل بيته قال الشاعر :

فأكرم بقحطان من والد   وحمير أكرم بقوم نفيرا

(٢) روى ذلك السدى والحافظ ابن عساكر .

فيها ــ والمال عصب الحياة ــ من حازه دانت له الدنيا ومن حرمه فمكانه فى السفح ، وتحقق لهم قول الله تعالى ((وحبل من الناس)) أى وعون من الناس ، وهذا ما كان ، فقد أعانتهم الدول الكبرى المعاصرة فاعترفت بهم دولة فى أرض العرب التى اغتصبوها ظلما وعدوانا ، ثم أيدتهم بأموال وسلاح وجعلتهم شوكة فى حلوق العرب والمسلمين ، وها هى ذى كل الدول الكبرى دون استثناء تؤيد وجودهم فى الارض المقدسة ، ومنها ما يزودهم بالاسلحة الفتاكة للقضاء على السكان الاصليين من عرب ومسلمين ، ولا من سميع ولا مجيب ، وكان آخر ما صدر عنهم تلك الجريمة الشنعاء البادية فى عدوانهم على المسجد الاقصى الذى بارك الله حوله ، فما الحيلة معهم الان ؟!

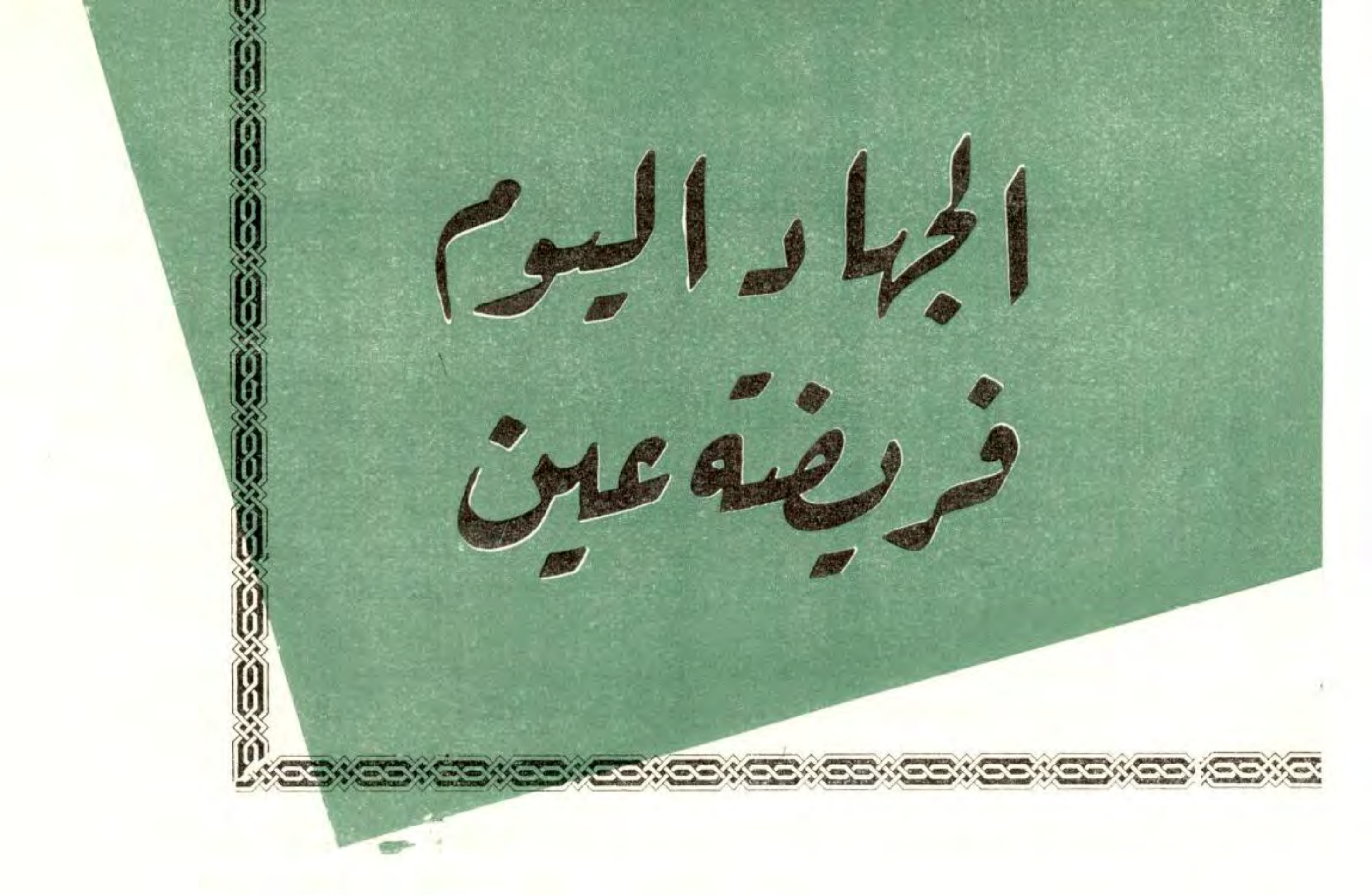
لا حيلة الا الدفع بالقوة ولا قوة الا مع ايمان عميق بالله وعمل بما أوصى به رسله وأنبياؤه ، فقدرة الله غالبة ، ولكنه وعد سبحانه ووعده لا يتخلف أن سينصر من ينصره ((ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)) ومن الفــأل الحسن أن يكون هذا الحادث البشع مدعاة لضم صفوف المسلمين عامة ، والعرب خاصة تحت لواء واحد والسير معا لانقاذ الاراضى المقدسة ، والله مع العاملين ، ولن يترهم أعمالهم .. فالاقدام الاقدام أيها العرب .

والبدار البدار أيها المسلمون الى انقاذ المسجد الاقصى الذى تستصرخكم سقفه المنهارة وتناديكم جدره المتداعية تحت وطأة عدوان العدو الغاصب .

أرى كلنـــا يهوى الحياة لنفســـه
حريصا عليها مستهاما بهـــا صبا

فحب الجبان النفس أورده التقى
وحب الشجاع النفس أورده الحربا





الجهاد اليوم فريضة عين

للدكتور : أحمد الحوفي

ليس أجدى علينا فى هذه المحنة التى نصطلى بلظاها من أن نفىء الى ديننا نعتصم بقواه ، وننهض بما يوجبه علينا من علم وعمل وانتصار بالله ونصر لله .

فلنرجع الى الاسلام لنتعرف حقيقة الجهاد ومعناه ، ولندرك حكمه العام وحكمه فى هذا الوقت الذى نحيا فيه .

معنى الجهـــاد

لطالما شهد التاريخ حروبا شنتها أمة على أمة ، مبعثها الادلال بالقـــوة والغرور بالسطوة وغايتها السيطرة والاستيلاء والاستئثار بالسلطان ، واحتكار خيرات الناس .

فهل هذه الحروب جهاد ؟

وكثيرا ما شهد التاريخ حروبا أشعلهـــا مشركون بالله على قوم مؤمنين بالله ، ليصرفوهم عن العقيدة الصحيحة الى الوثنية والشرك والضلال .

فهل هذه الحروب جهاد ؟

كلا ، ان هذه وتلك حروب باغية يبرأ منهـا الجهاد . أما الحروب التى تقاوم الحروب الباغية وتصدها ، لتحمى العقيدة الصحيحة والدين القويم والوطن والعرض والمال والحياة ، فهى الجهاد .

واذن فالجهاد والحرب كلمتان تلتقيان وتفترقان ، فالحرب أعم من الجهاد ، لأنها قد تكون من الجهاد ، وقد تكون من البغى والعدوان . ولهذا عرف الفقهاء الجهاد بأنه : « بذل الوسع فى القتال فى سبيل الله بالاشـتراك العملى فى الحرب ، أو الاشتراك فيها بالمال أو الرأى أو مداواة الجرحى أو اعداد الطعام والشراب ، وما شـاكل هذا . ومثله المرابطة ، وهى الاقامة فى مكان على الحدود بين المسلمين وأعدائهم ، لا يتحقق الدفاع عن وطن المسلمين الا به ، لاعزاز الدين ، ودفع المشركين[1] .

ومعنى هذا أن الجهاد حرب فى سـبيل الله ، فهى اذن حرب محتومة مشروعة للذود عن الدين ، أو للدفاع عن الوطن وما يتصل بالدين والوطن من أموال وأرواح وأعراض وأخلاق .

ولهذا كان الجهاد حربا شريفة البواعث ، نبيلة الاغراض ، سامية الاهداف فالغزوات النبوية جهاد ، ومحاربة أبى بكر للمرتدين جهاد ، ومقاتلة عمر للروم والفرس جهاد ، ومناضلة المسلمين للتتار جهاد ، ومكافحة مصر للحملات الصليبية جهاد ، وثورات مصر على الاحتلال الفرنسى والبريطانى جهاد ، ومنازلة ليبيا لايطاليا والجزائر لفرنسا جهاد .

وهكذا كل حرب يشنها المسلمون للدفاع عن دينهم ووطنهم جهاد ، والحرب التى ينهض بها العرب اليوم لتخليص وطنهم من أوضار العدوان الاسرائيلى جهاد أى جهاد .

حكمـــه

للجهاد أحكام تختلف باختلاف الدواعى والملابسات . فهو تارة مفروض على المسلمين جميعا لا يسقط عن بعضهم اذا نهض به الاخرون .

وهو حينا مفروض عليهم فرض كفـاية ، يقوم به بعضهم فيسقط عن الباقين .

١ — فهو فرض عين فى عدة حالات :

أ) اذا هجم العدو على بلد من بلاد المسلمين وجب على أهل هذا البلد أن يخرجوا الى العدو ، ليقوم كل منهم بما يستطيع القيام به ، ولا يتخلف منهم أحد ، سواء أكان من المقاتلين أم من غيرهم .

---

(١) ابن عابدين ٣/٢٣٨ .

وهذا هو النفير العام الذى يشترك فيه الجميع ، المرأة والعبد والغلام والشخص الذى له أب أو أبوين ، سواء أذنا له أم لم يأذنا(١) .

ب) **فان عجز أهل هذا البلد** عن صد عدوهم ، أو تكاسلوا عن النهوض له ، وجب الجهـــاد على من يليهم ، وهكذا حتى يصير فرضـــا بالتدريج على المسلمين جميعا .

فلو سبيت مسلمة بالمشرق لوجب على أهل المغرب تخليصها من السبى .

قال تعالى :
« انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله » (٢) .

وقال سبحانه :
« يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض ؟ أرضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة ؟ فما متاع الحياة الدنيا فى الاخرة الا قليل . ألا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا ان الله على كل شىء قدير » (٣) .

جـ) وهو واجب على كل مسن علم بضعف المسلمين عن محاربة عدوهم وهزيمته ، وهو يستطيع أن يغيثهم ، لأن المسلمين كلهم يد على من سواهم .

ولهذا اذا استطاع أهل البلد المعتدى عليه أن يردوا عدوهم سقط الجهاد عن الآخرين .

د) كذلك يجب على المسلمين اذا ما قارب العدو دار الاسلام ولم يدخلها ، حتى يظهر دين الله ، ويصان الوطن ، ويهزم العدو ، وليس فى هذا خلاف (٤) .

ومعنى هذا أن العدو اذا أراد الهجوم على المسلمين صار الجهاد فرضا على المقصودين كلهم ، ثم على غيرهم ، لاغاثتهم سواء أكان الرجل من الجنود المخصصين للقتال أم لم يكن .

فعلى كل مسلم أن يجاهد فى هذه الحالة بنفسه وبماله وبلسانه ، كما فعل المسلمون حينما قصدهم العدو عام الخندق ، فان الله لم يأذن لأحد فى تركه ، لأنه دفاع عن الدين والنفس والحرمة ، فهو قتال اضطرار ، مفروض على كل من يصلح للدفاع وللحرب (٥) .

---

(١) المحلى لابن حزم ٢٩٢/٧ .
(٢) سورة التوبة (٤١) .
(٣) سورة التوبة ٣٨ — ٣٩ .
(٤) ابن عابدين ٢٣٢/٣ وتفسير القرطبى ١٥١/٨ .
(٥) ابن عابدين ٢٣٩/٣ ومجموع فتاوى ابن تيمية ٣٥٩/٢٨ .

هـ) ولكنه مع هذا واجب على الجنود المعدين له الذين يتقاضون رواتبهم من مال الامة ، بل ان وجوبه عليهم أكيد . وهذا الواجب على الجنود قائم على الشرع ، وقائم على العقد الذى أبرمه الجنود مع الولاة على الطاعة والجهاد ، ومستند الى العوض المالى كما يجب العمل على الاجير الذى قبض الاجر ، وتسليم المبيع على البائع الذى قبض الثمن ، وهذا هو السبب فى أن الناس يستنكرون جبن الجندى ، ويزدرون فشله أو تخلفه عن الجهاد ويستقبحون معاونته للعدو ، أكثر مما يزدرون ذلك من غيره ، كما يستنكرون المعصية من العالم أشد ممـــا يستنكرونها من سواه(١) .

٢ — ويجب الجهاد وجوب كفاية فى حالات أخرى :

أ) اذا كان بعض المسلمين قادرين على الدفاع وقتال الاعداء . فان هجم العدو على بلد اسلامى ، وكان أهل هذا البلد ذوى مقدرة على صده ، فان الجهاد ليس فرضا عينيا على جيرانهم ، بل هو فرض كفـــاية ، ما دام اخوانهم غير محتاجين اليهم . ولكن اذا عجزوا عن المقاومة ، أو لم يعجزوا عنها ولكنهم تراخوا عن الجهاد صـــار فرض عين على جيرانهم لا يسعهم تركه . فان عجز هؤلاء الجيران أو تكاسلوا صار فرض عين على من يلونهم ، وهكذا الى أن يصير فرضا عينيا على المسلمين جميعا(٢) . وقد اقتضت حكمة الله تعالى ألا يجعله فرض عين دائما ، لئلا يشغل به المسلمون جميعا فتتعطل مصالحهم .

ب) اذا كان المسلم ممن لا يستطيعون الجهاد لأنه مريض بمرض يقعـــده أو لأنه غير قادر على حمل السلاح ، أو لأنه لا يمتلك الراحلة والزاد ، أو لانه من الذين أعفاهم الله تعالى(٣) .

حكمـــه اليـــوم

فما حكم الجهاد اليوم ؟

ما حكمه واسرائيل تبغى فسادا فى فلسطين ، وتعيث شرا فى بيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين ، وتنزل بالمسلمين هناك أبشع ما سمع به التاريخ من وحشية وتنكيل وانتهـــاك للحرمات ، وتطـــرد الاهلين الاصلاء الابرياء من ديارهم ، وتنتهب ثرواتهم وتحشد فى السجون والمعتقلات عشرات الالوف من الابرياء ، وتقتل الرجال والصبيان والشيوخ والنساء ؟

ما حكمه واسرائيل تطغى على قطع عزيزة من الوطن العربى الاسلامى فى مصر وسورية والاردن ؟

ما حكمه واسرائيل تعلن فى وقاحة وتبجح أن وطنها المنشود يمتد من الفرات الى النيل ؟

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٨٤/٢٨ .

(٢) ابن عابدين ٢٣٩/٣ والمبسوط للسرخسى ٤/١٠ .

(٣) ابن عابدين ٢٤٢/٣ .

ما حكمه واسرائيل تتطلع فى جشع مسعور الى أن تستولى على شمالى الحجاز الى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام ؟

ما حكمه واسرائيل تراوح المسلمين والعرب وتغاديهم بعدوان مسلح تؤازره دول معادية للعرب وللاسلام ، وبينهم وبين العرب والمسلمين احن وثارات ؟

أهو فرض عين على أهل فلسطين ؟

نعم .. انه فرض عين عليهم جميعا .

ولكنهم عجزوا عن صد اسرائيل ، فصـــار فرض عين على جيرانهم فى

الاردن وسورية ولبنان والعراق ومصر . فاذا كان هؤلاء قد ضعفت قوتهم أن تهزم القوى الدولية التى تمد اسرائيل وتساندها ، فقد صار الجهاد فرض عين على المسلمين جميعا من الباكستان شرقا الى المغرب غربا ، ومن البحر الابيض المتوسط شمالا الى السودان جنوبا .

يقول ابن عابدين :

« اياك أن تتوهم أن فرضيته تسقط عن أهل الهند بقيام أهل الروم به مثلا بل يفرض على الاقرب فالاقرب من العدو ، الى أن تقع الكفاية ، فلو لم تقع الا بكل الناس فهو فرض عين كالصلاة والصوم .

ولهذا لا ينبغى للامام أن يخلى ثغرا من الثغور من جماعة من المسلمين فيهم غناء وكفاية لقتال العدو .

فان قاموا به سقط عن الباقين ، وان ضعف أهل ثغر عن مقاومة الاعداء ، وخيف عليهم منهم ، فعلى من وراءهم من المسلمين الاقرب فالاقرب أن ينفروا اليهم ، وأن يمدوهم بالسلاح والمال لأن الجهاد فرض على المسلمين جميعا ، ولكنه يسقط عن بعضهم ، لأن بعضهم الاخر قام به »(١) .

الجهاد اليوم فرض عين .

فرض عين على الدول الاسلامية .

وفرض عين على الجيوش الاسلامية .

وفرض عين على كل فرد يستطيع أن يساهم فيه بجهد يساعد على النصر ، ويمحو وصمة الهزيمة ، ويرد الحقوق الى ذويها ، ويعلى كلمة الله ، سواء أكان الذى ينهض به نائيا عن فلسطين أم دانيا من نواحيها .

---

(١) ابن عابدين ٣/٢٤٠ .

٣

قضية الايمان بالغيب

بين الدين والعلم

هل رأيت ربك ؟

للأستاذ : محمد كامل حته

سئل الامام على ـ رضى الله عنه :
ـ يا أمير المؤمنين ، هل رأيت ربك ؟
قال : أو أعبد مالا أرى ؟
قيل : وكيف تراه ؟
قال : لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ، ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان(١) . .

□ □ □

وهذا التطلع لمعرفة الذات الالهية نابع من أعماق الفطرة الانسانية ، كمظهر من مظاهر احساس الانسان بالحاجة الى معرفة حقيقة وجوده ، وصلته بمبدع هذا الوجود .

احساس فطرى تختلف وسائل التعبير عنه ، باختلاف مراتب الفكر الانسانى وتطوره فى مراحل المعرفة .

يمثل هذا التطور ما جاء فى قصة ابراهيم ـ عليه السلام :

ـ « واذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة ؟ انى أراك وقومك فى ضلال مبين . وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر ، فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون . انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين(٢) » .

---

(١) كتاب « نهج البلاغة » الجزء الأول ص ٣٥٥ شرح الامام محمد عبده .
(٢) الآيات ٧٤ ـ ٧٩ سورة الأنعام .

صورة موجزة فى حياة ابراهيم ، لكنها تمثل أبعادا مديدة تنتظم تصور الانسانية للذات الالهية على تعاقب العصور وتطور الافكار ..

تبدأ هذه الصورة بعبادة الاصنام ، وهى مرحلة قاصرة تعتمد على « تجسيم » المعبود بحيث تلمسه الايدى وتراه العيون .

وحين ارتقى التصور الانسانى للذات الالهية مرتبة أخرى ، لم يستطع الناس أن يتخلصوا من العبودية لغير الله ولكن بمفهوم آخر .. حيث قالوا :

ـ « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى(٣) » .

وهناك عبادة الظواهر الكونية التى تبهر الانسان فى مرحلة من مراحل تصوره : الشمس ، القمر ، النجوم ، النار ، الانهار ..

وهناك عبادة القوى غير المنظورة التى تبعث فى نفسه الرغبة أو الرهبة ، حيث اعتقد بوجود اله للخير ، واله للشر ، وآلهة أخرى لمختلف القوى والمعانى المؤثرة فى حياة الانسان ..

وسيلة واحدة اهتدت بها البشرية الى الذات الالهية بعد أن جربت مختلف الوسائل ، هى التى تتمثل فى قول ابراهيم :

ـ « انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين » .

انها معرفة الله عن طريق النظر فى ملكوت السموات والارض ..

ولهذا قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

ـ « تفكروا فى خلق الله ، ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا . »

ولهذا كانت الحجة القرآنية على من ينكرون وجود الله أو يشركون به شيئا ، وكان التوجيه القرآنى لمصادر الايمان بالله .. هو الدعوة الى النظر فى ملكوت السموات والارض ، وما بث فيهما من دابة ..

قال الله تعالى :

ـ « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء ؟ (٤) »

ـ « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد(٥) » .

ـ « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، والى الارض كيف سطحت ؟(٦) » .

ويتحدث القرآن عن آيات الله فى الكون والحياة ، هذه الآيات التى تثير الفكر الانسانى وتقوده الى معرفة الله والايمان به فيقول :

ـ « ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء والارض ، لآيات لقوم يعقلون(٧) » .

---

(٣) الآية ٣ سورة الزمر .

(٤) الآية ١٨٥ سورة الأعراف .

(٥) الآيات ٦ ـ ١٠ سورة ق .

(٦) الآيات ١٧ ـ ٢٠ سورة الغاشية .

(٧) الآية ١٦٤ سورة البقرة .

— « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون(٨) » .

— « ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين (٩) » .

— « فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب(١٠) » .

— « هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون(١١) » .

— « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون(١٢) » .

ويقول القرآن مصورا أثر هذه الآيات الكونية والحيوية عند ذوى العقول البصيرة :

— « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك ... (١٣) »

وهذا هو الطريق الى معرفة الله ...

التفكر فى ملكوت السموات والأرض ، بما أودع الله فى الانسان من عقل وفكر ، وليس التطلع الى رؤية الله جل جلاله بحاسة النظر ..

الاستدلال بالمخلوقات على وجود الخالق .

والاستدلال بما يحكم من نواميس تجرى به على بصيرة وهدى ، آية على التدبير المحكم والقصد الالهى .

وهذا التفكير يعكس تجاربه على القلب فيثير فيه ألوانا أخرى من المعرفة هى التى وصفها الامام على بأنها « حقائق الايمان »

ومرة أخرى سئل الامام على أن يصف الله كأنه يراه عيانا ...

فغضب لذلك غضبا شديدا ، وقال للسائل فيما قال :

— « ... فانظر — أيها السائل — فما دلك القرآن عليه من « صفته » فائتم به واستضىء بنور هدايته ، وما كلفك الشيطان علمه مما ليس فى الكتاب عليك فرضه ، ولا فى سنة النبى — صلى الله عليه وسلم — أثره ، فكل علمه الى الله سبحانه ، فان ذلك منتهى حق الله عليك . فاقتصر على ذلك ولا تقدر عظمة الله — سبحانه — على قدر عقلك فتكون من الهالكين . »

ان الأنسان مجاله أن يعرف الله — سبحانه — بصفاته ، وبآياته ، لا بذاته . وهل يحيط المحدود بغير المحدود ؟

ولكن فى الطبيعة الانسانية نزوعا الى اقتحام الغيب المحجوب . ألم تتحرك هذه الطبيعة فى نفس موسى حين ذهب الى ميقات ربه وكلمه الله ، فقال : رب أرنى أنظر اليك ؟

---

(٨) الآية ٣٧ سورة فصلت .
(٩) الآية ٢٢ سورة الروم .
(١٠) الايات ٥ — ٧ سورة الطارق .
(١١) الآية ٦٧ سورة غافر .
(١٢) الآية ٢١ سورة الروم .
(١٣) الآيتان ١٩٠ و ١٩١ سورة آل عمران .

ـــ « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب .. (١٤) »
ولقد سئلت عائشة ـــ رضى الله عنها :

ـــ « هل رأى محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ربه ؟

فقالت للسائل : لقد قف شعرى مما قلت . من حدثك أن محمدا ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ رأى ربه فقد كذب . ثم قرأت : « لا تدركه الأبصـــار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير . (١٥) » ـــ « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب . » ولكنه رأى جبريل ـــ عليه السلام ـــ فى صورته مرتين .. »

ورؤية جبريل على صورته الملائكية التى تشير اليها عائشة ـــ رضى الله عنها ـــ كانت أولاهما عند بدء الوحى ، وكانت الأخرى ليلة المعراج .. (١٦)

ونعود الى ما فى النفس البشرية من دوافع فطرية تجعل الانسان يتجه الى الله ، حتى بين الذين ينكرون وجود الله ويلحدون فى آياته ، وهى دوافع كامنة تثيرها الحالات التى يتعرض لها الانسان فى حياته ، كالخوف والمرض ونقص الأنفس والثمرات ، وغلبـــة العدو وظلم القوى ، ومواجهة الشـــدائد والمحن .. هنالك تستيقظ مشاعر العبودية فتدفع بالانسان الى حمى الله يلوذ به ويلتمس عنده العون والحماية والرحمة . وهنالك يرى الانسان ربه ـــ تبارك وتعالى ـــ متجليا عليه بعونه وحمايته ورحمته .

يقول الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم : ـــ

ـــ « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك . »
ويقول الله تعالى مذكرا بهذه الحقيقة التى يؤمن بها الناس جميعا وهم فى حالة الفزع ، فاذا ما أصابهم الأمن كان منهم الشكور ومنهم الكفور :

ـــ « واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور . (١٧) »

ـــ « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الأرض، أاله مع الله قليلا ما تذكرون .. (١٨) »

هذا رأى الدين فى تصور الذات الالهية . فما هو رأى العلم ؟
يقول الدكتور البرت آينشتين :

ـــ « ان الشوق الى المعرفة والمحبة والرشاد ، يخلق فى نفس الانسان

---

(١٤) الآية ٥١ سورة الشورى .
(١٥) الآية ١٠٣ سورة الأنعام .
(١٦) الآيات ١ ـــ ١٤ سورة النجم .
(١٧) الآية ٣٢ سورة لقمان .
(١٨) الآية ٦٢ سورة النمل .

صورة رائعة للذات المقدسة ، يتجلى فيها القانون الخلقى والمبدأ الاجتماعى للانسان . فان بعض الأشخاص الممتازين فى الشعوب التى بلغت مراتب عالية فى المدنية يرتقون بفكرتهم الدينية الى درجة « الشعور الدينى الكونى » وليس باليسير تفسير ذلك لمن لا يشعر به ، لأنه لا ينطوى على تشبيه مادى للذات الالهية ولا يشمل صورة للخالق سبحانه ، وانما علامة هذا الشعور ادراك أربعة أشياء :

- بطلان الرغبات الزائلة والأغراض الانسانية المتنوعة .
- جلال النظام المدهش الذى يتجلى فى عالمى الطبيعة والفكر .
- أن مصير الانسان مقيد بهذا النظام الكونى العجيب .
- اعتبار هذا الوجود الكونى وحدة مشبعة بأسمى المعانى .

ونقف قليلا عند قول لآينشتين انه لا يوجد تشبيه مادى للذات الالهية ، وهو المعنى الذى قرره القرآن الكريم فى قوله : « ليس كمثله شىء . . . »

ونقف كذلك عند قول آينشتين ان معرفة الله انما تجىء عن طريق الشعور الدينى الكونى ، وهو يذكر من علامة ذلك . . التسامى على الرغبات الزائلة والتعلق بالقيم الخالدة ، وادراك قدرة الله فى هذا النظام المحكم الذى تتجلى مظاهره فى الوجود ، والصلة الوثيقة بين الانسان وهذا النظام الكونى العجيب ، والقصد والحكمة التى تغمر هذا الوجود الكونى بالمعانى السامية . .

ان الانسان حين يرتقى ويسيطر على « واقعه » المادى الذى يشده الى الأرض ويستعبده بالشهوات ، تصفو نفسه وتتفتح بصيرته على آفاق جديدة فى الفكر والحياة وفى معرفة الله ، ويكتسب طاقات جديدة تعطيه القدرة على تسخير قواه والتأثير فيما حوله بما لا عهد له به من قبل . .

يقول الحديث القدسى : « ما زال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها » .

انه يصل الى حالة الاتصال بالله سبحانه ، مصدر القوة والضياء ، فيتلقى عنه ويستمد منه على قدر استعداد طاقاته للتلقى والاستقبال . .

وان رؤية الله — سبحانه وتعالى — تكون بمعنى مراقبته فى كل فكر أو عمل . انها مقام « الأحسان » فيما رواه أبو هريرة عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حيث قال : الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك ! »

وهو ما عبر عنه الامام على — رضى الله عنه — حين قال : أو أعبد ما لا أرى ؟

هذا فى الحياة الدنيا . أما لقاء الله ورؤيته يوم القيامة ، فذلك له حديث آخر ، حين نصل فى حديث الايمان بالغيب الى اليوم الآخر . . .

— « وجوه يومئذ ناضرة ، الى ربها ناظرة . »



البنك الإسلامي

للدكتور : أحمد شلبي

تتفق الآراء على أن البنوك ضرورة من ضرورات العصر ، وعلى أن بعض المعاملات التى تقوم بها حلال لا غبار عليها كحفظ الودائع الثمينة فى خزائنها نظير أجر تتقاضاه ، وكتحويل النقود من قطر الى قطر مقابل عمالة ، وكاصدار الشيكات السفرية .. ولكن بها جانب الربا وهو جانب يحرمه العقل والدين ، وبها جانب التحكم فى اقتصاديات البلاد ، ومحاولة اخضاع السياسة والحكم لسلطان المال ، وبها قبل كل هذا وبعد كل هذا اهمال الاخلاق واهمال المجتمع لحساب تنمية المال ، فالمشروعات كثيرة الربح هى التى تحتضنها البنوك مهما كانت ضارة أو قليلة الجدوى بالنسبة للمجتمع ، والمشروعات قليلة الربح تهملها البنوك مهما كانت حاجة المجتمع اليها شديدة .

ومن أجل هذا راح الباحثون المسلمون يضعون الاسس لانشاء بنوك تزاول النشاط المباح للبنوك ، وتقترح بديلا اسلاميا للنشاط المحرم ، والاسلام دين كل زمان ومكان ، وهو يضمن للبشرية السلامة والسعادة لو حاول الناس أن يجدوا فى رحابه ما ينير لهم مسالك الحياة ، وعيب البلاد الاسلامية أنها استوردت النظام المصرفى بخيره وشره من البلاد غير الاسلامية ، ولكنها عندما تقف لتستهدى بهدى الاسلام ستجد فى البنك الاسلامى خير عوض للبنك الحديث ، ونحن هنا نحاول أن نرسم الطريق للبنوك التى يرتضيها الفكر الاسلامى مقررين أن من الممكن أن نجد بعض العيوب فى هذه المقترحات عند تنفيذها ، ولكن العلاج ممكن لكل ما يظهر عند التطبيق من عيوب ، ومقررين كذلك أن بعض مراحل هذا المشروع قد تمت تجربته فى «ميت غمر» بالجمهورية العربية المتحدة فأثبت نجاحا عظيما .

ومؤسسة البنك الاسلامى التى نقترحها تضع نظاما للبنوك الداخلية أى الواقعة فى كل قطر من أقطار العالم الاسلامى ، كما تقترح البنك الاسلامى

الدولى الذى يربط بين بنوك العالم الاسلامى ، ويجعل منها كتلة واحدة أشبه بكتلة الاسترلينى أو الدولار الامريكى ، وعلى هذا فالبنك الاسلامى يتدرج من دائرة ، الى دائرة أوسع ، فدائرة أشمل ، وهو بهذا يضم ثلاثة أنواع .

١ ــ البنوك الاسلامية المحلية .

٢ ــ البنك الاسلامى المركزى .

٣ ــ البنك الاسلامى الدولى .

وهناك دعائم مصرفية ثلاثة يتوقف عليها نجاح البنوك ، وهذه الدعائم هى : السيولة والربح والضمان ، فالسيولة أن يكون بالبنك دائما نقد يكفى حاجة الذين يستردون حقوقا لهم ، سواء كانت من مدخراتهم به أو محولة لهم من مكان آخر أو من مدخر آخر ، والربح دعامة هامة من دعائم البنوك ، وكلما نما الربح كلما اشتد اقبال الناس على هذا البنك ، والضمان ضرورى كذلك حتى يقبل الناس على ايداع مدخراتهم بالبنك ، وهم آمنون ، وكثيرا ما يكون الضمان نتيجة لما يستمتع به البنك من سمعة طيبة ، أو تاريخ ناجح أو نتيجة للثقة بمؤسسيه ، أو تتدخل الحكومات ضامنة حقوق الافراد بالبنك .

وعلى كل حال فان البنك الاسلامى باتجاهيه (المحلى والمركزى) يتخذ هذه المبادىء أسسا له ، ولا يقل عن غيره من البنوك تمسكا بها ، وهو يزيد عن البنوك الاخرى باتجاهاته الروحية التى تعود على المال بالبركة والنماء ، وذلك بأن ينمى ما به من أموال عن طريق حلال ، ويجعل المال خادما للمجتمع ، وليس المجتمع خادم المال ، ومن ناحية الضمان فانه مع النخبة الممتازة من خيار المسلمين الذين سيكونون مؤسسين أو مشرفين ، فاننا نقترح أن تشرف الحكومات الاسلامية على البنوك الاسلامية ، وبالتالى تضمن حقوق الافراد فيها .

وينبغى أن نوضح أننا ونحن نرسم معالم البنك الاسلامى ، لا نقبل فى هذه المؤسسة أى طابع للربا ، بل لا أقبل حيلة من الحيل التى تحقق الربح فى القروض ، ولا نسير فى الصورة التى نرسمها عن البنك الاسلامى على رأى ضعيف ، لأننا نريد البنيان قويا من أساسه ثابتا فى دعائمه ، وفى هذا الضوء نبدأ الكلام عن كل من شعب البنك الاسلامى :

١ ــ البنوك الاسلامية المحلية :

فى كل دائرة من دوائر القطر ينشأ بنك محلى ، وتتسع الدائرة فتشمل المحافظة أو تضيق فتنحصر فى مركز من مراكزها حسب كثافة السكان وتغير ظروف البيئة والمجتمع داخل حدود المحافظة أو تماثل هذه الظروف ، ويكون طابع البنك محليا ، فى كل نشاطه ، فموارده من سكان الدائرة ، والمشرفون عليه وجميع موظفيه من أبناء الدائرة ، وجميع المشروعات التى يباشرها تنبنى على ما بالدائرة من المواد الخام ، والعمال الذين يعملون بهذه المشروعات عمال محليون ، وأهدافه بوجه عام خدمة السكان وترقية مستواهم ، وتيسير حاجاتهم وحمايتهم من الاستغلال .

وهناك دستور محدد تلتزم به البنوك المحلية ، وفيما يلى أبرز معالمه :

■ تكون أخلاق الاسلام وتعاليمه شعار البنك فى جميع معاملاته ومشروعاته ويعتبر الالتزام بهذه الاخلاق أهم الوسائل لصلاحية التعامل مع هذه البنوك ، وقد قلنا أخلاق الاسلام والالتزام بها لنفتح بذلك الباب لغير المسلمين أن يتعاونوا

ويسهموا فى هذه البنوك بشرط اتباع هذه الاخلاق ..

■ التشجيع المثابر على الادخار مهما قل ، وتجميع المدخرات ، وحسن استثمارها بطرق حلال .

■ حشد الطاقات المحلية الكامنة فى الدائرة سواء كانت بشرية أو مادية لخدمة السكان ، فالبنوك من هذا النوع لا تباشر صناعة المال فحسب ، ولكن مجالها واسع كما سنرى .

■ اثارة روح التعاون بين الافراد لخدمة الهدف المشترك .

■ اثارة روح المنافسة السليمة بين دائرة ودائرة .

■ تعليم سكان الدائرة أن يحاولوا حمل أعبـــائهم المحلية أو أكثرها دون الاعتماد على الحكومة المركزية فى كل الشئون .

■ فى حدود الدائرة يدرب العاملون على أن عملهم ليس فقط لقاء مرتب يتقاضونه بل انهم يخدمون به أنفسهم وذويهم وبيئتهم .

■ فى حدود الدائرة يسهل التعـــرف على الاشـــخاص الذين توكل لهم الاعمال ، وتعتبر مسئولية العمل ملقاة على الشخص وعلى أسرته .

والبنك المحلى به قسمان ، أحدهما للايداع بالحساب الجارى ، والاخر للايداع الاستثمارى ، وسنتكلم عن كل على حدة :

أ) الايداع بالحساب الجارى :

هذا القسم يتفق مع ما هو موجود بالبنوك العادية فى بعض الوجوه ، ويختلف معها فى وجوه أخرى ، فالمدخر يستطيع أن يودع فى هذا الحساب أى مبلغ يريد ابتداء من خمسة قروش أو ما يعادلها ، وله أن يسحب مدخراته أو يسحب منها وقتما يشاء ، ولا يدفع المودع فى هذا النوع من الحساب عمالة ، ولا يستحق ربحا ، كالمعمول به الآن فى البنوك .

ولكن لـــا كان النظام المصرفى متأكدا بواسطة التجارب الطويلة من أن السحب لا يتجاوز ٢٥ ٪ من المبـــالغ المودعة فى الاحوال العـــادية فان البنك الاسلامى يستطيع أن يبقى من المبالغ المودعة به ما يغطى طلبات السحب وأن يباشر باذن يتفق عليه بصفة عامة ــ أنواعا من المعـــاملات الاســـلامية بباقى الرصيد فى هذا الحساب ، فيستطيع أن يباشر أنواعا من المضاربة فى نطاق الدائرة ، صناعية كانت أو تجارية ، وطبيعى أن البنك سيدرس كل المشروعات التى سيمولها دراسة دقيقة كما يدرس الاشـــخاص الذين سيتعـــامل معهم ، وستساعده حدود الدائرة على الاحاطة بالمشروعات وعلى التعرف على الاشخاص كما ذكرنا ، وسيتكون بالبنك ربح من هذه المعاملات يعد كله رصيدا للبنك ، لأن المودعين لا يأخذون ربحا على هذه المدخرات وتنفق هذه الارباح فى مصروفات البنك ، وفى تكوين احتياطى له ، وفى القيام ببعض المشروعات الاجتمـــاعية بالدائرة .

والفكر الاســـلامى تجاه القرض ليس الا عملا فرديا ، فالقـــادر يقرض المحتاج ، بيد أن من الممكن أن يقدم البنك من هذا الرصيد قرضا حسنا بضمان كاف لشخص نزلت به حاجة أو ألمت به ملمة ، وطبيعى أن البنك لا يأخذ ربحا لهذا القرض الاستهلاكى ، وهذا التصرف لا يضير البنك فى شىء ، لأن هـــذا الرصيد ربح لأموال المدخرين ويستغل فى أعمال الخير للمجتمع ، ويصرف هذا

القرض عند الضرورة فقط ، وللمساهمين لا لغيرهم ليكون ذلك التصرف مشجعا للأفراد على الادخار والمساهمة فى نشاط البنك ، وفى هذا القرض الاستهلاكى لا يدفع المقترض أى ربح ، فالانسان الذى هاجمه المرض ، والفلاح الذى نفقت ماشيته ، والتاجر الذى عبث اللصوص بتجارته أو أكلت النار بعض تجارته أو كلها ، يستطيع هذا أو ذاك أن يلجأ للبنك — اذا كان مدخرا به — ليأخذ قرضا حسنا ، ولا شك أن هذا التصرف سيخلق سمعة طيبة للبنك ، ولا شك كذلك أن المجتمع فى الدائرة لن يترك فرصة لمقترض أن يتوانى فى السداد مع القدرة عليـــه .

وهناك قروض صغيرة انتاجية يمكن أن تعطى من هذا الرصيد وترد دون فائدة ، وهذه القروض تكون فى حدود عشرة جنيهات مثلا ، وتعطى لأصحاب الحرف الصغيرة المنزلية من المدخرين لتساعدهم فى شراء المواد الخام اللازمة لحرفهم مع ما يقدم لهم من مساعدات فنية ، والهدف من هذا هو رفع مستوى هذه الحرف ورفع مستوى القائمين بها ، وربط هؤلاء الحرفيين بالبنك .

والبنك الاسلامى المحلى يباشر بالاضافة الى ذلك بعض ما تباشره البنوك الحالية من نشاط مالى ، بشرط عدم مجافاة هذا النشاط للفكر الاسلامى ، فله أن يباشر المقاصة مع البنوك المحلية الاخرى لصالح عملائه ، وأن يصدر شيكات سفر فى حدود القطر ، وأن يقوم بضمانات للعملاء فى حدود مدخراتهم أو فى حدود القروض التى يوافق على دفعها لهم ، كما أن له أن ينوب عن الافراد فى أن يسدد عنهم بعض التزاماتهم أو يحصل مبالغ لصالحهم من أفراد أو من هيئات ويستجيب البنك لحاجة عملائه فى انشاء الخزائن الحديدية الصغيرة ليودعوا بها المستندات والوثائق والمجوهرات ، وتكون كل هذه الاعمال نظير عمـــالة مناسبة يحصل عليها البنك من العملاء ، وهذه الارباح تنفق فى الاهداف التى تنفق فيها أرباح المضاربة بهذا الرصيد وقد سبق ايرادها .

ب) الايداع الاستثمارى :

فى هذا النوع من الايداع تحدد نهاية صغرى للمبلغ الذى يسهم به المشترك وليكن دينارا أو ما يعادله ، ويمكن للمدخر أن يودع قروشه الصغيرة بالحساب الجارى حتى تصبح دينارا فينقلها للايداع الاستثمارى ويتفق المودعون على أن المدخر لا يسحب مدخراته من الايداع الاستثمارى فى أى وقت يشاء ، بل يكون ذلك فى موعد محدد من العام ، ونقترح أن يكون كل سنة ، عقب اجراء الحساب الختامى السنوى الذى لا بد أن يقوم به البنك لدراسة نشاطه فى الماضى ونتائجه ورسم الخطة لنشاط المستقبل .

وبهذه المدخرات يباشر البنك ألوانا من النشاط الاقتصادى تسير كلها فى رحاب الدين وقد فتح الاسلام طرقا تجعل الربح أحيانا مضمونا كاستعمال السلم والبيع المؤجل بثمن أعلى ، والبنك بذلك يفرج من أزمات الناس من جانب ويضمن الربح من جانب آخر ، وليس للبنك أن يبالغ فى تقـــدير أرباحه لأنه يرمى الى اسعاد المجتمع بقدر ما يرمى الى تحقيق الربح .

وبالاضافة الى السلم والبيع المؤجل يباشر البنك المضاربة مع الافـــراد المساهمين ومع الهيئات والشركات المحلية المساهمة سواء كانت المضاربة فى مشروعات صناعية أو زراعية أو تجارية ، ويكون ذلك بعد دراسة دقيقة للمشروع

للاطمئنان الى فائدته وملاءمته للمجتمع من جهة والى احتمال ربحـــه من جهة أخرى ، وكذلك بعد دراسة للمضاربين الذين يأخذون المال للعمل به ، من حيث كفاءتهم وأمانتهم ، وكما قلنا من قبل ستساعد البيئة المحدودة على التعرف على كل هذه الاسس ، وهنا نقرر أنه لا بد أن يوجد بالبنك خبراء فنيون فى التنمية ، يعرفون البيئة ، وحاجاتها ، والمشروعات التى يمكن أن تنجح فيها ، وهـــؤلاء الخبراء هم الذين يوافقون على نوع المضاربة باديء ذى بدء ، ثم يستمرون فى نشاطهم فيقدمون للمضاربين نصائحهم وخبراتهم الفنية فى جميع مراحل العمل .

وواضح من دراسة المضاربة أن الربح فيها يقسم بين رأس المال والعمل بالنسبة التى يتم الاتفاق عليها من أول الامر ، فالربح الذى يحصل عليه البنك يقسم — بعد خصم المصروفات وخصم ما يمكن أن يكون قد حدث من خســـارة فى بعض المضـــاربات — على المدخرين بنسبة مدخراتهم ومدة الادخار ، وقد اتضح من تجربة البنك المحلى «بميت غمر» أن الارباح الصافية تجاوزت ١٠٪ من قيمة المدخرات وبذلك حقق البنك ربحا عاليا وحلالا ، بالاضافة الى ما بعثه فى الدائرة من نشاط اجتماعى واقتصادى ، وتلك نتيجة مشجعة للغاية .

ولعل من الخير ونحن على ذكر بتجربة «ميت غمر» أن نورد بعض الامثلة للمضاربات التى باشرها هذا البنك .

١ — قدم البنك لصاحب مصنع لعلب الكرتون اللازمة بالمنطقة ١٠٠٠ جنيه لتوسيع مصنعه وتطوير عمله ، وتم الاتفاق على أن يكون الربح مناصفة بين صاحب المصنع والبنك ، وقد ربح المصنع ٢٥٠ جنيها ونصف جنيه فى ستة أشهر .

٢ — قدم البنك مبلغ ١٠٠٠ جنيه لأحد التجار ليزاول بها تجارة الاسمنت فترة كان العمران بالدائرة يحتاج لهذه المادة ، واتفق على أن يكون الربح مناصفة ولم يكن للبنك أى اشراف على هذه التجارة ، اذ كان المضارب يحظى بسمعة طيبة للغاية ، واشترى التاجر صفقات الاسمنت وباعها خلال ثلاثة أشهر ثم أعاد التاجر رأس المال للبنك وكان نصيب البنك من الربح ٤١ ج و٥٨٥ م .

٣ — قدم البنك مبلغ ١٥٠٠٠ جنيه لبعض المدخرين الذين لهم خبرة فى صناعة الطوب الاحمر للبناء لانشاء مصنع لهذا الغرض ، واتفق معه على أن يكون للبنك ٧٠٪ من الارباح ولهذه الشركة ٣٠٪ بعد مصروفات المواد الخام والعمال ، وقد حقق المشروع فى الشهر الاول من اقامة المصنع ٣٠٠ جنيه ربحا .

ومما يساعد على نجاح أمثال هذه المشروعات أن البنك كمؤسسة وبما به من خبرات فنية وما يتمتع به من ثقة ، يستطيع بسهولة أن يحصل على المواد الخام والماكينات والتصاريح التى تلزم لهذه المشروعات ، وربما كان من العسير أن يستطيع الافراد الحصول على هذه الاشياء بجهودهم الخاصة .

وفى الريف يستطيع البنك أن يشترى أبقارا يودعها عند الفلاحين ويكون للبنك نصيب من ربح نموها وتطورها ، كمـــا يستطيع أن يبيع بأجل للفلاحين والاسمدة والبذور من حاجاتهم ، ويتقاضى ثمنها عند بيع المحصول الرئيسى للفلاح أيا كان نوع هذا المحصول ، ويشترى البنك منهم محاصيلهم بطريق السلم ، وكل ذلك يراعى فيه العدالة والربح المعقول ، فليس المال فى هذه الانواع من البنوك الا خادما للمجتمع كما قلنا من قبل .

وينبغى أن نذكر أن المضـــاربة وفتح باب العمـــل والربح لا تكون الا مع المساهمين ، كما قصرنا القرض من قبل عليهم ، ليكون ذلك من الوسائل التى تحث الناس على الادخار والمساهمة فى المشروع ، فالمدخر يدرك أنه يخدم نفسه

بالربح الذى يحصل عليه لمدخراته ويخدم نفسه بامكان نزوله مضـــاربا برأس مال البنك ، ثم يخدم بيئته بما يبعث فيها من نشاط وما يحققه لها من خـــدمات اجتماعية ، ويمتد الارتباط بين البنك ومساهميه وعماله الى أبعد نطاق ، فجميع العمال الذين يعملون فى مشروعات قامت برأس مال من البنك يتحتم عليهم أن يوافقوا على خصم نسبة من رواتبهم تكون حصيلة يسهمون بها فى نشاط البنك ، أو يمكن أن يتم الادخار لهم بطريق الايداع بالحساب الجارى ، على أن تتحول هذه المدخرات للايداع الاستثمارى كلما بلغت الحد المقرر لهذا الايداع .

وننتقل الان لنوع آخر من النشاط الذى يزاوله البنك المحلى ، وذلك هو القيام بمشروعات لحساب البنك نفسه بدون مضاربة ، كأن ينشىء البنك محلا تجاريا ويعين له مديرا وبعض العمال ، وكأن ينشىء البنك مصنعا لتعليب فاكهة تكثر بالمنطقة ، ويعين له مديرا وعمالا فنيين كذلك ، وقد حدث فى تجربة مصنع الطوب التى سبق أن أشرنا اليها أن تم الاتفاق على ادارة هذا المصنع لحساب البنك فانتقل من المضـــاربة الى الملكية الخاصـــة للبنك وأصبح المضارب مديرا للمصنع ، وتكثر المؤسسات التى يديرها البنك لحسابه عندما تكون المؤسسة واسعة أو تحتاج الى خبراء وفنيين يلزم الحصول عليهم من خارج الدائرة ولا يمكن عقد مضاربة معهم لأنهم ليسوا من أهاليها ، وكأن يقيم البنك مطبعة يرى الحاجة اليها ماسة فى المنطقة ويجلب لهـــا فنيين من خارج الدائرة ، على أن هـــذه المؤسسات يمكن نقلها الى مضاربة عندما يظهر من أهالى الدائرة من يستطيع أن يحل محل الخبراء الذين جىء بهم من خارجها ، وعندما يرغب هؤلاء فى القيام بهذا العمل لحساب المضاربة لا لحساب البنك .

ويكون المشروع لحساب البنك كذلك اذا كان لا يتوقع منه ربح واسع يغرى الافراد بالمضاربة فيه ، كأن يقيم البنك مكتبة لبيع الكتب النافعة أو ينشىء صحافة محلية ومثل ذلك من الامور التى تقصـــد لخدمة المجتمع أكثر ممـــا تقصد الى الحصول على الارباح .

ما الفوائد التى تعود على الدائرة من البنك الاسلامى المحلى ؟

اننا نرى الفوائد عديدة وشاملة ، فالادخار يصبح عادة الناس ، وفى ذلك وقاية لمستقبلهم ومستقبل أولادهم ، والمدخرات الصغيرة تتجمع منها حصيلة ضخمة يمكن بحسن استغلالها أن تنقلب قوة هائلة تخلق العمل للعاطلين وتحارب الفقر ، كما تخلق مجموعة من الصناعات المحلية وما يلزمها من حلقات تدريبية على هذه الصناعات ، فتبرز المواهب الكامنة ، ويفتح الطريق للنبوغ الذى كثيرا ما يقتله صمت القرى وكسادها .

وبالاضافة الى النشاط الاقتصادى نجد بالدائرة تطورا اجتماعيا واضحا ، فالبنك يشجع فتح الاندية للعمال ، ويعنى بمستواهم الصحى والثقافى ، كما أن الطرق ستمهد لأنهـــا شرايين النجاح الاقتصـــادى ، وسيسهم البنك كذلك فى مشاريع الانارة الكهربائية وفى العناية بالتعليم والمستشفيات وغيرها .

وسيخلق البنك الاسلامى خلق الرغبة وخلق الامل فى الافراد والجماعات كما يخلق الثقة بالنفس ، ويعلم السير على الجادة المثلى ، والتعاون الشامل الذى يحقق الخير للجميع ، وفى كلمة قصيرة نقرر أن البنك الاســـلامى ليس مشروعا اقتصاديا بحتا ، بل هو مشروع اقتصادى اجتماعى .

٢ ــ البنك الاسلامى المركزى :

يوجد بنك محلى فى كل محافظة كما ذكرنا من قبل بما فى ذلك العاصمة بل ربما يوجد أكثر من بنك فى العاصمة أو فى المحافظات الكبرى ، أما البنك الاسلامى المركزى فهو بنك وحيد فى كل قطر ، وهو يقوم فى العاصمة غالبا ، وربما اختير له مكان آخر ، وهو لا ينافس البنوك المحلية فى أعمالها وأوجه نشاطها ، وانما له أهداف أخرى فى مجالات جديدة .

يقوم البنك المركزى باصدار العملة بكل قطر وضبط رصيدها ، وبه تدخر الحكومة أموالها ، ويصدر الشيكات السفرية الى خارج القطر ، ويصدر خطابات الاعتماد الى الخارج ، ويقوم بالتحاويل الخارجية لحساب الحكومة أو الهيئات ويقوم بعملية تغيير النقد ، وغير هذه من الاعمال التى تجعله حلقة الاتصال المصرفية بين القطر وبين الاقطار الاخرى وطبيعى أن للبنك المركزى عمالة على هذه الجهود .

هذا جانب من أعماله ، وهناك جانب وثيق الصلة بالبنوك المحلية ، فانه يقف منها موقف المراقب والمشرف على أعمالها ، والمنسق لهذه الاعمال ، فهو الذى يشرف على حسابات كل بنك محلى ، وعلى ما يباشره من نشاط وما يحققه من أهداف ، وهو بذلك يحمى مدخرات المودعين ويحرس البنوك من الانحرافات .

والى البنك المركزى ترد مدخرات البنوك المحلية التى لم تستخدم فى مشروعات أو مضاربة محلية ، ويقوم البنك المركزى باستخدام هذه الاموال لحساب البنوك المحلية فى مشروعات أوسع ، ومضاربات أكبر مع الحكومة ، كما يقوم بدور الوسيط لعقد شركة بين بنك محلى تقع فى دائرته مشروعات لم يستطع هذا البنك تمويلها وبنك محلى آخر لديه فائض لم يستثمره ، فالبنك المركزى بذلك ينسق النشاط الاقتصادى والاجتماعى بين البنوك المحلية .

٣ ــ البنك الاسلامى الدولى :

البنك الاسلامى الدولى هو قمة النظام الاقتصادى المصرفى وهو يمثل الرباط المالى بين الدول الاسلامية ويحقق الفكر الاسلامى الذى لا يعترف بالحدود التى تفرق بين شعوب الامة الاسلامية .

وهذا البنك يصدر الدينار الاسلامى الذى يكون أساس العملة فى الاقطار الاسلامية كالجنيه الاسترلينى بالنسبة لعملات البلاد المرتبطة به ، وصلة هذا البنك بالبنوك المركزية كصلة البنوك المركزية بالبنوك المحلية ، فهو ينسق بين أعمالها ، ويعقد القروض الحسنة بين بنك مركزى وبنك مركزى آخر ، أو يقوم بدور الوسيط لعقد شركة بين بنك مركزى لديه فائض لم يستثمره ، وبنك مركزى آخر تقع فى دائرته مشروعات لم يستطع تمويلها ، وهو كذلك واسطة بين بنوك الكتلة الاسلامية والبنوك الاخرى فى العالم .

وهذا البنك ستدعمه الثروات الطبيعية الكبرى فى العالم الاسلامى وسيدعمه كذلك الموقع الاستراتيجى للعالم الاسلامى والقوة البشرية به ، مما يجعل العملة الاسلامية عظيمة القيمة ومما يتيح الفرصة للأمل فى أن تتنافس الدول غير الاسلامية على التعاون معه ، وعلى تقديم قروض بدون فوائد للبنك الاسلامى تقربا من هذه الكتلة البشرية الكبرى ذات المصادر الطبيعية والصناعية المهمة .

وبعد ، انه حلم جميل نرجو أن يتحقق فنرى البنك الاسلامى يشرق فى بلادنا وفى العالم الاسلامى كله ، وكم له من فوائد فى مجال الاقتصاد ومجال النشاط الاجتماعى والسياسى .

الوقت في نظر الإسلام



للدكتور : محمد كامل الفقي

الوقت كنز قل من النـــاس من يصونه ، والحرص على الوقت ، وحسن استغلاله ، من الحكمة والدين ، ولما كان الوقت هو الطريق لسعادة الفرد ومجده فى دنياه وآخرته ، نبه الدين ــ دائما ــ الى قيمة هذه النعمة ، وذكر بها وحث على استثمارها ، بل جعل الوقت أمانة فى عنق النـــاس ، يســألون عنها يوم يسألون عن كل نعمة فيم استغلت ، ومن ثم حث الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يأخذوا من شبابهم لهرمهم ، ومن صحتهم لسقمهــم ، ومن غناهم لفقرهم ، ومن حياتهم لما بعد موتهم ،

ان الوقت هو الحياة ، فالذين يفرطون فى أوقاتهم ، ويزجونها فى اللهو واللعب ، والكسل والتراخى ، والاثم والمجانة ، انما هم السفهاء الذين يمنحون الحياة ثمنا للخمول والضياع والتخلف والهوان ، والذل والفقر وبؤس الدنيا ، وهم مع ذلك يحاسبون فى الآخرة حسابا عسيرا على سفههم وحمقهم ، يوم لا يغفل الحساب العادل مثقال ذرة أو حبة من خردل .

حقا ان الزمن بعضنا ، وما أشبه الذين تذهب اوقاتهم ســدى ، بالذين ينتحرون فى بطء وما أقرب حالهم للذين يموتون عضوا فعضوا . حتى يذهبوا الى آخرتهم غير كرماء ، كما كانوا فى أولاهم غير كرماء .

لقد قال الحسن البصرى : « ابن آدم ، انما أنت عدد ، فاذا مضى يوم فقد مضى بعضك » ، وفى وصية عبد الملك بن صالح العباس لابنه : « من توانى فى نفسه ضاع وفوت الفرصة يورث الحسرة » . ولو تأمل الناس فى معنى الفرصة لعلموا انها الشىء الثمين القيم الذى حدد للظفر به وقت معين لا يعود اذا تاخر ، ولا يمهل المهمل لحظة ، وبفواته تفوت السعادة ، ويكتب للخاسر فيه خسران الحياة .

ان الرجل الحكيم يزن بميزان الغوالى والنفائس وقتـــه ودقائق عمره ، ويضع لكل التفاتة من أوقاته منهجا معينا ، وخطة مرسومة ، وعملا دقيقا ثم هو يؤاخى بين هذه المناهج ، ويلائم بين كل غرض فيها ومقصد فما كـــان منها للعبادة فهو للعبادة ، ولأمر ما كانت الصلاة على المؤمنين كتابا موقوتا .

وما كان منها لجسده فهو لجسده ، رياضة بالتنزه أو السباحة أو الكرة أو التمرين أو الترويض .

وما كان منها لغفلة فهو له ، يتعهده بالقراءة والتثقيف ، ويضيف الى ذهنه المحدود أذهانا فسيحة مثمرة ، حيث يكتنه أسرار العلوم والمعارف ويعى نتاج العقول والافكار ، ويلقح خواطره بخواطر العلماء والمبرزين ، فاذا هو ممدود الفكر والتصور ، مبارك الرأى والتحليل ، مرتفع بهذه العلوم والمعارف الى آفاق وآفاق ،

والداء العياء الذى استشرى فى شباب هذه الامة ، ولم نضع لعلاجه خطة مدروسة ولا منهاجا ، له ماله من الوعى والعمق ، أن يذهب أبناؤنا وبناتنا الى المعاهد والجامعات ويختلفوا الى منابع العلم والمعرفة ألوفا وألوفا يكبدون الدولة من النفقات ما يكبدون ، ويعيون آباءهم وأمهاتهم بالرغبات والمطالب ، ولو أمعنا النظر لوجدناهم فى جل شهور الدراسة آلات معطلة وطاقات مؤجلة ، وغرسا موقوف الثمر ، وما يتوفرون عـــلى البحث والدرس ، ومـــا يجدون فى الكد والتحصـــيل الا فى أخريـــات عامهـــم الدراسى ، فيسهرون الليل . ويحشرون المعلومات فى ذهنهم ركاما غير منضد ، ويداخلون المسائل فى أذهانهم مداخلة لا تنسيق فيها ولا عمق ، وما عليهم الا أن ينقلوها بتصرف أو بغير تصرف ، امانات حملوها وهم ضيقون بها ، متثاقلون بحملها ، فاذا انتهى الامتحان نفضوا من عقولهم غبارها ورموا بأوراقها الى حيث تستريح عيونهم من أليم رؤيتها . وذلك هو سر انحطاط مستواهم ، وتأخر الركب بهم ، وان توصد الابواب فى وجوه المجاميع المنحطة والدرجات النازلة الهابطة ، وقلوب الآباء واجفة ، والآباء فى حرقة الأسى يلجون كل باب ، ويرفعون الصيحات هنا وهناك . ولو درى هـــؤلاء الذين هم أغلى على الآباء من أنفسهم مدى الهم الذى يخترم نفوس الآباء . والحيرة التى تأخذهم من أقطارهم ، لأحسنوا استغلال أوقاتهم . فضنوا بها عن الكسل واللهو والعبث ، وجعلوا لكل لحظة من لحظاتهم حسابا .

لا شك أن الذين هم فى الطليعة من التلامذة فى شتى مراحل التعليم انما هم الذين احتضنوا اوقاتهم وصانوهـــا من العبث والفوضى ، فمنـــاهج التعليم والكتب وأوقات الدراسة والاسئلة والدرجات والمصححون كل هذه انما هى سواء لكل طالب ، لايختلف خط واحد منهم فى تلك عن الاخر ، لكن الذى رسب أو تأخر

أو فاته الركب ، انما هو الذى عمى عن قيمة الوقت ، فالوقت كالسيف لم يقطعه هؤلاء فقطعهم ، والذى سما فى نتيجته ، وارتقى فى مجموع درجاته هو الذى احسن فهم اوقاته . ورعاها كما يرعى نفسه ، ومن ثم فقد كفل لنفسه اسمى الحياة واستأهل من الدولة جوائز التفوق ، ومن المجتمع أرقى أنواع التقدير ووجد من أهله الحب والاعجاب ، بل أحس الاهل أنه فخرهم ، وانه ثمرة كفاحهم ، وانه أجل النعم التى اسديت اليهم كالذى يقول :

نعم الآلــه على العباد كثيرة   واجلهن نجابــة الابناء

لقد كدت فى مطلع شبابى أن أقبل الحكمة التى تقول — لا يدخل السرور فى المساء الا على قلوب الذين عرفوا ان لا يضيع نهارهم سدى .

وكنت أكاد أتمزق أسى وأسفا كلما سمعت قول المعصوم عليه صلوات الله « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ »

فاذا رأيت شابا أعجله الفقر الى وظيفة متواضعة ، لكنه ظل على رغبة فى العلم وطلب له حتى نال اسمى درجاته ، وكان بين ذوى المؤهلات الراقية ، قلت رغم اننى قرير العين به ، انه من القلة التى لم تغبن فى فراغها .

والأسف البالغ يهز كل غيور على شبابنا ، حين يمر بالمقاهى فى بعض بلادنا فيراها خلايا تزخر بالشباب والأماليد ، أين انتاج هؤلاء فى الحياة ؟ من أين يأكل هؤلاء ويلبسون ويعيشون ؟ سلوا آباءهم الذين يعتصر الكفاح أعمارهم . عشرات وعشرات من هؤلاء فى الطرق والنواصى والاسواق والميادين يتسكعون بلا غاية ، ويغدون ويروحون فى غير غرض ، أفئدتهم هواء وقلوبهم خالية من الآمال والآلام وتبعات الحياة ، وبخاصة فى اجازة الصيف الطويلة التى لم ترسم لهم فيها حدود ولا غايات .

فى هذه البيئة يتخرج الجهل ، ويستشرى الغى وتنحــل أواصر الوطنية الرفيعة والمثل العليا ، فى وقت يحتم حاضرنا الدامى على كل غصن من دوحة الاسلام أن يثمر وأن يطيب جناه .

ان من الخطأ البين أن نسكت لحظة عن تذكير أبنائنا وبناتنا بقيمة الوقت ، وأن لا نبصرهم فى كل مناسبة بأن كل دقيقة تمر من حياتهم دون ان تكون وفق خطة موضوعة ذات غرض كريم مقصود انما هى بمثابة تمزيق لأجسادهم واراقة لدمائهم ،

لا بأس بأن ينام الابناء كما يشاءون وان يتريضوا كما يشاءون وان يجتلوا مشاهد الطبيعة كما يشاءون وان يعيشوا كما يحبون مع قصة ذات مغزى أو أغنية الطبيعة ، كما يشاءون ، وان يعيشوا كما يحبون مع قصة ذات مغزى أو أغنية ندية ، أو فن ما — مشروع من فنون الطرب والتسلية ، ان ذلك حقهم فى الحياة، بل ذلك هو الذى يرضيهم عن الحياة ويزيدهم فيها حبا وبه تتفتح عيونهم على جمالها ، وتنفتح صدورهم لرسالة النضال فيها .

ان ذلك محبوب ومطلوب ما دام وفق نظام موضوع ، وبقصد وغاية ، والى حد معلوم ، ولا ريب ان مما يعين الابناء على تفهم الزمن وادراك قيمتــه ، ان

يشاهدوا آباءهم وأمهاتهم وهم قدوة فى توزيع الزمن على مطالب الحياة ، وان تكون اوقاتهم وفق منهج دقيق من أكل ونوم وسعى ورياضة أو طلب معرفة أو ثقافة ، فان ذلك سيكون ترويضا سهلا للابناء وأخذا لهم بهذه السنة الحسنة ولن يجد الابناء مشقة فى مزاولة هذه المناهج ما داموا ينشأون عليها ويجدونها سنة لأهلهم ونهجا . .

سيسأل المسلم يوم الحساب عن عمره فيم أنفقه ، وعن شبابه فيم أبلاه سيسأل عن هذه السنين الطوال ما عمل الخير الذى ادخرناه ، وما عمل الشر الذى تردينا اليه .

ولو أن كل مسلم وضع نصب عينيه هذه الغاية لأمسك بيديه كل دقيقة من عمره وجعلها مجال الكسب واتخذ منها زادا ليوم يجعل الولدان شيئا .

ليس عمل الخير محتاجا من كل مسلم الا ان يفهم ثقله فى الميزان ، وأن يرى آثاره فى الدنيا والآخرة فيمسى محبا له ، مفتونا به . يحرص عليه أشد من حرصه على طعامه وشرابه .

بعض الذين يحيون بيننا ، جندوا أنفسهم لنفعها ولنفع الناس ، فهم مستكثرون من الطاعات ، منهومون بعبادة الله . ولا يجوز فى عرف العقلاء أن يظنوا الطاعة صلاة وصياما وحجا فحسب ، ان الطاعة فنون والعبادة ألوان .

فالسعى على الأولاد قمة الطاعة ، وغاية العبادة ، وان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها صوم ولا زكاة ولا صلاة ولا حج ، ولكن يكفرها السعى على المعاش ، وشكر النعمة ، وصلة الرحم ، واصلاح ذات البين وعيادة المريض وتشييع الجنازة وتفريج الكرب ، ومساعدة المحتاج كلها قمم فى الطاعة ، وآيات فى العبادة . والأذكياء هم الذين لا يخلون وقتا من أوقاتهم من كسب بهذه المنازع الطيبة وذلك السلوك الكريم .

يجب أن يكون وقتنا خزانة ندخر فيها للآخرة .لننفق منها بسخاء اذ يكون بعض الناس مفلسين .

اذا أصبح صباحك فاستقبله ببرنامج مرسوم ، وبزاد ، وبعدة ، وبخطة لا تعدل عنها الا لأمر لا تملكه .

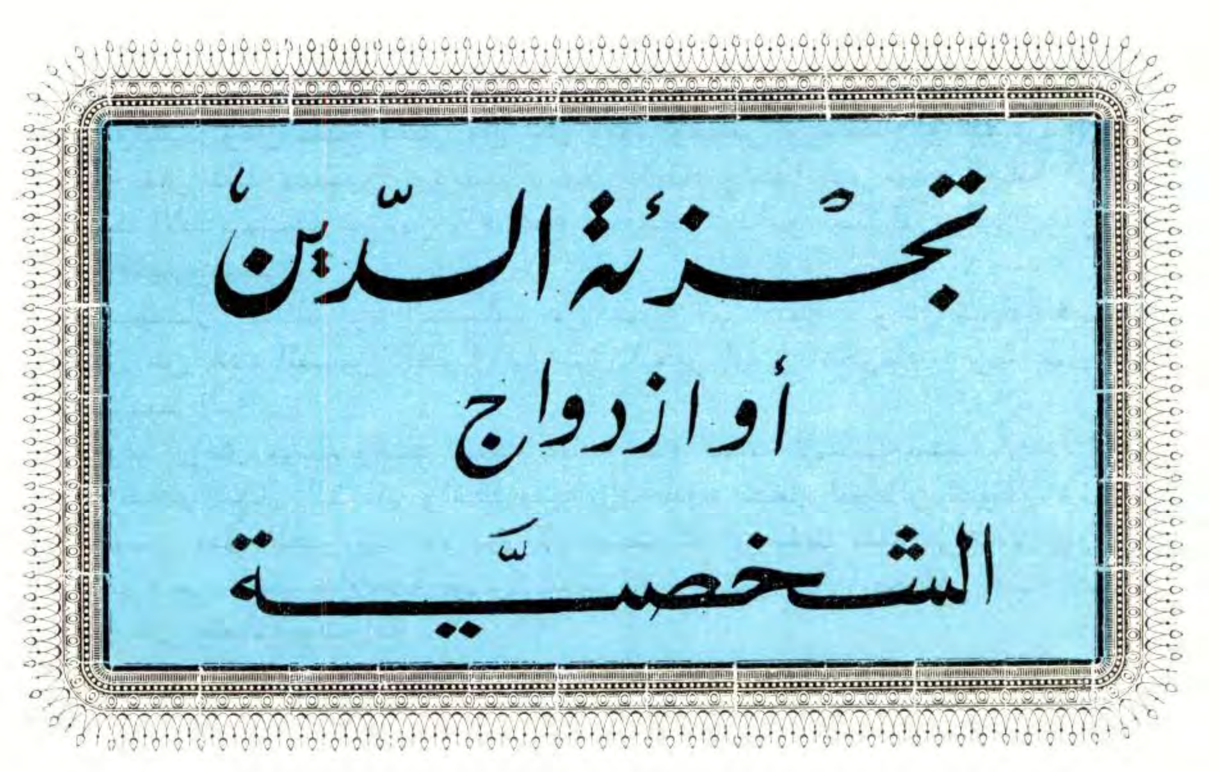
ليتذكر الشباب أنهم فى مطالع الحياة قادرون على كل عمل ، فاذا ما عمروا لان عودهم ، وخارت قواهم ، وعجزوا عما كانوا عليه قادرين ، الوقت ثروة ان ضاعت لا تسترجع ، ومن ثم كان الوقت أثمن كنز للناس وما حرص الدين على الحث على الانتفاع بالوقت الا لأنه الحياة . .

ان الانبياء والرسل ، لم يضيعوا جانبا من شبابهم ، ولم يقصروا ساعة من نهار فى حمل أعباء جليلة قبل أن يكونوا انبياء ورسلا .

وفى السيرة العطرة ما تقربه العيون ، اذ نرى فى صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم من هم كانوا ألوية للحق ، ومن خاضوا غمار المعارك . ودكوا حصون الشرك وهم أيفاع .

ولقد كانت اوقاتهم كلها منابع خير . ومصادر بر ، ومفاتح رحمة للناس جميعا .

فلنتخذ من الرسول ومن صحابته قدوة فى تقدير الوقت لعلنا أن نكون به من سعداء الحياتين معا .



للدكتور
وهبة الزحيلي

ليس الاسلام مجرد عاطفة ثائرة عارضة ، ولا ملهاة مؤقتة ، ولا حديثا طارئا ، أو حدثا زائلا ، وانما هو للمؤمن عقيدة أصيلة راسخة ، وعمل دائم ومستمر ، وملتزم محكم ، وحقيقة خالدة لا تؤثر فيها عاديات الزمن ، ولا تزعزعها الاعاصير الهوج ، ولا يجزئها تقلبات العصور ، وتغير الأنظمة والاعراف ، وتصارع الفتن ، واطباق الشكوك وألوان الزيغ المستجدة ، واختلاف النزعات واصطراع الاهواء والشهوات ، واستبداد الحكام المعادين لها واعراض الناس عنها وتحريفهم لها .

فالمؤمن حق الايمان أمام كل هذا كالطود الراسخ ، والجبل الأشم ، تمر الأحداث فيهزأ بها وتلدغه الافاعى فيرقيها ، وتلامسه النكبات فيصبر عليها ، صلبا فى دينه ، محافظا على عقيدته مستمسكا بأخلاقه ، معتزا باسلامه ، سائرا بوعى وادراك نحو هدف أمثل رسمه له القرآن ثابت الخطى ، رابط الجأش ، قوى الجنان .

فهو لا يتلون ولا ينافق بأن يكون مرة مؤمنا ، وآنا كافرا ، وأخرى خليطا ممزوجا من الايمان والكفر ، متلاعبا أو متنقلا كالعصافير ، وانما يضع فى اعتباره وتقديره أن لدينه المقام الأول ولشريعته الصدارة العظمى فهى لم يطرأ عليها نسخ ولا تبديل ، ولا تغيير ولا تحريف وانما بأصالتها وسلامتها تحقق له وللانسانية جمعاء فى كل وقت الخير والسعادة والرفاه .

هذه هى المبادىء الاساسية الأولى لاسلام كل مسلم ومسلمة ، ولكنا مع الأسف نجد فى مجتمعنا صورا كثيرة مضحكة مبكية تجمع ألوانا شتى من التناقض والتبعثر وعدم الانسجام ، دون رابطة بينها ولا تلاؤم أو تشابه فيها .

فهناك أناس كانوا يملأون الأوساط بالخطب الرنانة الحماسية ، فيمجدون الاسلام ، وينعون حاضر المسلمين ، ويقودون الجماعة الاسلامية بكلام نارى ، وشحنات عاطفية هائلة ، وطاقات توجيه مؤججة ، الا أن هؤلاء كان ينقصهم عقل واع ، وتخطيط مدرك ، ونظر بعيد ، فسرعان ما انهاروا ، وطالما نتحمل الآن أوزار شقشقة كلامهم ، فقد تبخرت العواطف العاصفة التى كانوا يلهبون الجماهير بها ، شأنهم فى ذلك شأن كثير من خطباء المساجد فى صلاة الجمعة الذين يعتمدون على اثارة العواطف ، ثم يتركون الناس بدون علم ينفعهم أو خطة يسيرون عليها ، فليس الاسلام — كما قلت — مجرد عاطفة وانما هو عملية واعية مدركة متحركة متكاملة ذات تخطيط واسع الأفق بعيد المدى .

وأناس آخرون تسمع منهم اطراء عظيما للاسلام والمسلمين الاوائل ، وتحسبهم فى كلامهم أنهم نسخة طيبة للسلف الصالح ، الا أنهم فى آخر الكلام يرتدون على أعقابهم ، ويرتكسون على رؤوسهم فينقضون ما قالوا ، ويعلنون بوقاحة أن الاسلام ادى رسالته وانتهى ، ولم يعد صالحا للحكم والتطبيق والسياسة والادارة فى عصر الحضارة الحديثة والنور . وهؤلاء هم أضل سبيلا فليس الاسلام — كما أوضحت — لفترة زمنية محددة ، ولا لفئة من الناس فقط ، ولا لعصر دون عصر .

والجيل الصاعد من شبابنا وشاباتنا يعانى فى واقعه اليوم مرارة التخلف والجهل والسلبية والاستهتار بالقيم والدين والاخلاق ، واللامبالاة وضعف الشخصية ، والخوف والتردد ونحو ذلك مما لا يتفق مع المستوى اللائق الصلب الذى ينبغى أن يكونوا عليه لمواجهة العدو الرابض فى قلب بلادنا ، والذى يتحدى المجتمع الدولى بأسره ، ويعلن بحماقة اصراره على المضى قدما فى البقاء فى الاماكن المقدسة الى الأبد ؟ لذا فأن من مظاهر ازدواج الشخصية أن الناس يطلبون تحقق النصر على العدو ثم لا يعدون العدة اللازمة لذلك من عودة الى الله وجهاد فى سبيله ومن أجل مبادىء الاسلام وعلى كافة المستويات ، جهاد للنفس عن الهوى وجهاد مع الأهل عن الانحراف وجهاد فى المجتمع بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر وفى مجالات لقاء العدو والانفاق فى سبيل ذلك .

ولا نعدم فى مجتمعنا فئة تحترم الاسلام وتلتزم بعض مظاهره وتؤدى شعائره ، الا أنهم جبناء ضعاف لا يريدون أن يعرف عنهم ذلك ، فهم فى صلاتهم وصيامهم يستخفون من الناس ويتهربون من اظهار كونهم عبادا مسلمين ، وقد يضطرون أحيانا بدافع المجاملة والمسايرة الى اقتراف منكر عظيم أو ارتكاب فاحشة ، أو تناول شىء من المحظورات للتظاهر بأنهم غير متدينين ؟ مع أن الاسلام كما هو معروف — عنوان النبل والسمو والفضيلة والخلق وأنه وحده صاحب الخلود والبقاء ، ومع أن أهل الباطل والفسق والفجور لا يخجلون من اظهار انحرافهم واعلان مجونهم . والعاقل هو الذى يدرك أن هذا الفعل نفاق لا خير فيه ، يقول عليه الصلاة والسلام (من التمس رضاء الناس بسخط الله ، سخط الله عليه ، وأسخط عليه الناس ، ومن التمس رضا الله بسخط الناس ، رضى الله عنه ، وأرضى عليه الناس) ومن أصول الايمان أن الخير والضرر ليس بيد الانسان ، قال صلى الله عليه وسلم فى وصيته المعروفة لابن عباس (واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الاقلام ، وجفت الصحف) .

وفى وسط الأسرة نجد البلاء المستطير ، فقد نجد الأب راكعا خاشعا لله ، يتلو القرآن آناء الليل وأطراف النهار ، وقد تكون الأم أو السيدة عابدة مصلية صائمة قائمة ثم نشاهد فى هذه الاسرة تناقضا واضحا وسلوكا شاذا ومظهرا فاضحا لا يتفق مع حرمات الاسلام ، فمن هذا البيت بالذات تخرج الابنة كاسية عارية مائلة مميلة رأسها كسنام البعير ، تذهب فى الصباح أو فى المساء الى حلاق ، أو خياط ، وتظهر من جسدها ما جعله الله حراما قطعيا وهو كل ما عدا الوجه والكفين كما هو معلوم . وقد تحتجب المرأة خارج المنزل الا أنها لا تتورع عن اظهار مفاتن جسدها ضمن البيت أمام أقربائها ممن ليس لهم بها صلة رحم محرم .

فهل فى هذا ما يتفق مع صلاة ذلك الاب ، أو صلاح تلك الام ، وهل فى سكوت الرجل عن زوجته تخرج متبرجة أو حاسرة الرأس أو كاشفة الذراع والساق ما يتلاءم مع دين الاسلام الذى يدين به وهل فى ضعف شخصية الزوج أو تراخيه واهماله أو تخوفه على المصالح الزوجية ما يعفيه من العذاب الأليم ؟ أليس كل راع مسؤولا عن رعيته ، فالرجل راع ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية ومسؤولة عن رعيتها ؟

أجل ان الخطب جليل ، وان المسؤولية قائمة وان الجواب عقيم ، وان الاسلام لا يقبل التجزئة أو ازدواج الشخصية ، فاما اسلام أو لا اسلام ، أما كفر أو ايمان ولا واسطة بينهما ، ولا تناقض فى الشرع ولا فى السلوك الذى يتطلبه من كل مسلم أو مسلمة ، فليست هذه هى صورة المسلمين الاوائل الذين كانوا يطبقون الاسلام حرفيا ، فيرسم لهم رسول الله تعاليمه مجسدة ، ويلتزمها الناس سلوكا وعملا ومنطقا وعقيدة ومظهرا ، لذا فانا لا نريد من مسلمى اليوم اسلاما ممزق الاوصال ، مفكك العرى ، مقتول الفؤاد ، فالاسلام لا يقبل الترقيع ولا التجزئة ولا التزييف ولا التناقض ، ولا يصلح سلوك الاغلبية الاسلامية دليلا واضحا على حقيقة الاسلام ، ولا يصح لانسان الاحتجاج بفعل أولئك المنحرفين عنه ، المعطلين لبعض أحكامه ، فالحق لا يعرف بالرجال ، وانما يعرف الرجال بالحق ، والقرآن الكريم هو الحجة القاطعة على الناس ، وهو من تناقضاتهم فى الافعال والاخلاق والتصرفات المنحرفة براء ، قال عليه الصلاة والسلام « من اقتدى بكتاب الله ، لا يضل فى الدنيا ، ولا يشقى فى الآخرة ، ثم تلا هذه الاية « فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » « من كان مستنا فليستن بمن قد مات ، فان الحى لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، كانوا أفضل هذه الامة : أبرها قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، اختارهم الله لصحبة نبيه ، ولاقامة دينه ، فأعرفوا لهم فضلهم ، وأتبعوهم على أثرهم ، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم ، فانهم كانوا على الهدى المستقيم » .

وفى اتباع كامل ما جاء به القرآن الكريم والرسول المبين الخير والصلاح « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله ، وسنة رسوله » ولا يقبل طبعا من امرىء أخذ بعض أحكام الاسلام وترك بعضها الآخر ، فالاسلام كل لا يتجزأ ولا يقبل التقسيم وكل حكم منه يكمل الحكم الاخر بمثابة الجسد الواحد . فعن أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه فيما يرويه الطبرانى فى الكبير قال « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مرعوب ، فقال أطيعونى ما كنت بين أظهركم (أى مدة حياتى ووجودى بينكم أشرح لكم أوامر

الله) وعليكم بكتاب الله ، احلوا حلاله ، وحرموا حرامه » فالحلال والحرام كلمتان شاملتان لكل ما أحله الله أو حرمه ، لأن المفرد المضاف (وهو كلمة حلال وحرام) يفيد العموم كما هو معروف ومثل ذلك قوله تعالى « فليحذر الذين يخالفون عن أمره » أى كل أمر الله تعالى وقال عليه السلام : « ان هذا القرآن شافع مشفع ، من اتبعه قاده الى الجنة ، ومن تركه أو أعرض عنه ، زج فى قفاه الى النار » أى أن اتباعه كله هو سبيل الجنة .

وازاء هذا ، فان المسلم الذى صحت عقيدته يظهر أثر اعتقاده فى نفسه وأعماله « فان من البديهى أو الضرورى الا يكون لايمان قلب المسلم أثر فى نفسه ، اذ أن لكل اعتقاد أثرا فى النفس ، ولكل أثر فى النفس تأثيرا فى الاعمال » .

فاذا كان هؤلاء جميعا متدينين حقا ، فما عليهم الا أن يظهروا أثر تدينهم بوضوح فى جميع أعمالهم ومعاملاتهم بما يتفق مع القرآن والسنة النبوية دون تناقض ولا تنافر ولو فى بعض أحكامهما .

ومن أخص ما يجب الانتباه والاحتياط له تلك العادات الذميمة فى أوساط الأسر وهو انفراد أو اختلاط الرجل بالمرأة حتى ولو كان أحدهما ذا رحم محرم من الاخر ، فعن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (اياكم والدخول على النساء ، فقال رجل من الانصار ، أفرأيت الحمو ؟ قال الحمو الموت) والحمو أبو الزوج وأقرباؤه الذين يدلون به كالأخ والعم وابن العم ونحوهم ، وكذا أبو المرأة وأقرباؤها ممن يدلون بها . ومعنى الحمو الموت كما قال أبو عبيد يعنى فليمت ولا يفعلن ذلك ، فاذا كان هذا هو الحكم فى أب الزوج وهو قريب محرم ، فكيف بالغريب ؟ لذا فان ما تفعله النساء اليوم وبخاصة فى المدن من كشف النحر والذراعين والرأس والساقين مثلا أمام ابن العم وابن الخال واخوة الزوج والاصهار ليس فى شرع الله ما يبيحه أو يسمح به ، فذلك كله حرم يأثم به فاعله ، كما يأثم الغريب باطلاعه على المرأة أو بغيره من ارتكاب المعاصى ، مما يوجب ولو أدبا وحياء على المرأة الستر والصون عن جميع الناس الا على الزوج فذلك أطهر لقلبها وأزكى لها ولغيرها .

وكذلك فى مجال المعاملات تظهر سمة التناقض واضحة فى شخصية بعض المتدينين ، فترى الرجل يصلى ويصوم ويزكى ويحج ، ولكنه لا يتورع عن الغش فى المعاملة ، أو البيع بأسعار فاحشة ، واحتكار الضروريات الاقتصادية للناس فى بعض المواسم ، والاطلاع على عورات البيوت والنساء .

هذه أمثال من واقعنا الاجتماعى لتجزئة دين الله فى الاوساط الاسلامية وذلك من أعظم المنكرات التى لايلتفت الناس اليها ، مع أن الله سبحانه قد ندد بها وشنع على فاعليها ، سواء فى مجال العقيدة أم فى مجال التشريع ، أم فى مجال الأفعال الاجتماعية لأن الواجب يقضى بوحدة الشخصية الاسلامية ، وتحقيق الانسجام والتوازن والاتساق فى كل ما جاء به الاسلام فى العقائد والالهيات والاخلاق والنظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

١ ــ ففى نطاق العقيدة ــ شنع الله عز وجل على اليهود الذين نقضوا الميثاق وخالفوا أحكامه وأخذوا ببعضهاوتركوا بعضها الآخر، فقال سبحانه فى هذا

الموضوع فى سورة البقرة (٨٣ — ٨٦) « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » ؟ ثم بين الله تعالى موقفهم المتخاذل العدوانى المتناقض من الرسل والكتب المنزلة من عنده فقال (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) .

وقد حذرنا الله سبحانه من عاقبة الاختلاف والتناقض ، فقال (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء ، انما أمرهم الى الله ، ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » أى ان الذين جزأوا دينهم واختلفوا فيه ، واقروا ببعض وكفروا ببعض ، وأولوا نصوصه على حسب أهوائهم ونزعاتهم ، وكانوا شيعا كل شيعة تدين برأى امامها لست أنت يا رسول الله من قتالهم وسؤالهم وعقابهم فى شىء وانما عليك تبليغ الرسالة ، انما حسابهم على الله وحده .

ولقد كان من أوليات دعوة الرسول انذار الذين فرقوا القرآن وآمنوا ببعض وكفروا ببعض فقال تعالى فى بيانه خصائص هذه المهمة (وقل انى أنا النذير المبين . كما أنزلنا على المقتسمين . الذين جعلوا القرآن عضين . فوربك لنسألنهم أجمعين . عما كانوا يعملون) أى لقد أنزلنا عليك القرآن مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين ، فانهم اقتسموا القرآن فجعلوا بعضه حقا ، لأنه موافق لهواهم وبعضه باطلا لأنه مخالف لهواهم .

٢ — وفى نطاق الاعمال الاجتماعية المسلكية جعل الله الناس فئات فئة منهم مستحقة للعذاب اذا لم تتب ولم تلتزم كلية مبادىء الاسلام فقال سبحانه (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، عسى الله أن يتوب عليهم ، ان الله غفور رحيم) والمعنى أن جماعة من أهل المدينة اعترفوا بذنوبهم ولم ينكروها قد خلطوا عملا صالحا وهو الاعتراف بالذنب والتوبة والرجوع الى الله ، والجهاد مع النبى صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، وآخر سيئا وهو التخلف عن الجهاد بغير عذر ، فلم يكونوا من المؤمنين الخلص ، ولا من المؤمنين الفاسقين .

فكان اذن خلط العمل الصالح بغيره مستوجبا للعقاب ، ولا ينفع الصلاح حينا لتغطية الفساد أحيانا بل لا بد من استقامة واضحة والتزام لأحكام وحدود الله جميعها وتوبة نصوح .

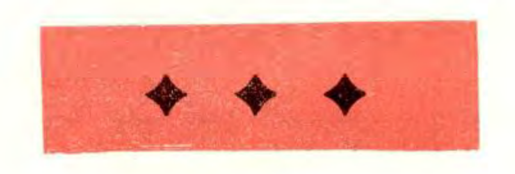
ولنعد بكلمة موجزة الى الجيل الصاعد لنحذره من أخطار السلبية واللامبالاة التى تسيطر عليه ، فان السلبية تفقده انسانيته وكرامته وارادته الخيرة المبدعة القوية ، مما يؤدى بالمجتمع الى اصابته بتعطل الانتاج وشلل الطاقة البشرية ، ومن المعلوم أن الناس أبناء ما يحسنون وبقدر ما ينتجون ، وليست الحياة مجرد دعة وترف ،ولهو ولعب وغدو ورواح فى الطرقات ، لا سيما فى هذه الايام الحالكة فكل انسان مشغول بنفسه ، ولعل أحسن وصف للشباب والشابات ما قاله شيخ الأزهر الأسبق الاستاذ مصطفى المراغى على منبر الازهر (شب الاسلام عزيزا لا يعرف الذل ، كريما لا يقبل الضيم ، وحمله

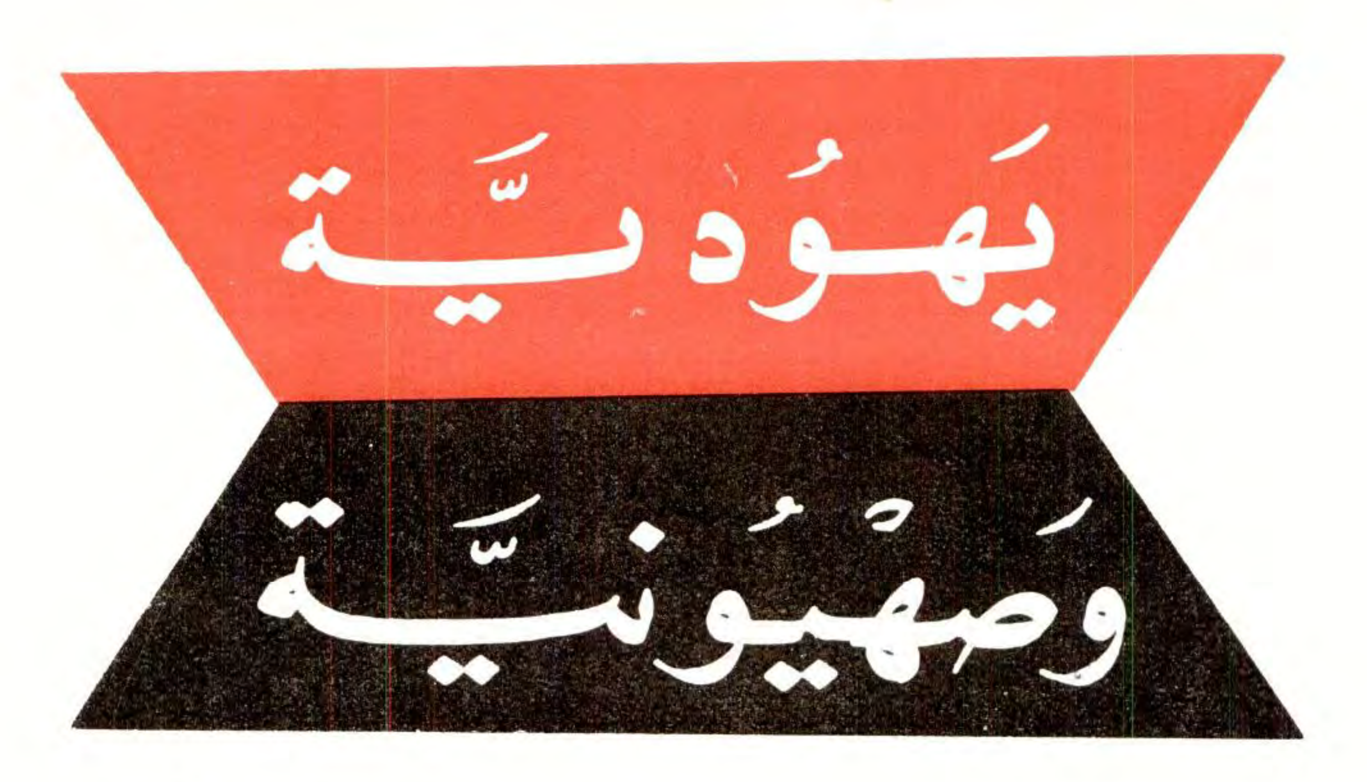
كرام برره رفعوا لواء عزه ، وشيدوا صرح مجده ، وطوفوا به فى الآفاق ، نافذ السلطان ، رفيع المكان ثم خلف من بعدهم خلف فتنوا بعرض الحياة الادنى ، واتبعوا الشهوات وضلوا السبيل ، وحسبوا أن الأمر مغانم تقسم ، وأسلاب توزع ، ودنيا مملوءة بالملذات ، فيها دعة وسكون ، وترف ومجون وطال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، وصرفتهم الاهواء عن الهدى الالهى فساءت حالهم ، وصبروا على الذل ، واطمأنوا اليه) .

الا أننا جميعا رجالا ونساء مطالبون بالاستقامة على أمر الله ، فلا نجزىء دين الله ، ولا نختار لأنفسنا ما يحلو ، ولا نكون ذوى صور متعددة ، وانما نخشى الله وحده ، والله أحق ان نخشاه نعبد الله كأننا نراه ، فان لم نكن نراه ، فانه يرانا ، نراقبه ونلتزم حدوده فى السر والعلن ، فى البيت والمعمل والمتجر والمصنع والمزرع لعل الله يفرج عنا « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ، وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب، من قبل ، فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون » ، « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون » .

وان جزاء الاعراض عن دين الله جملة أو تفصيلا واضح فى قرآن الله « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا (أى شديدة متعبة) ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » .

هذا هو معنى التخلف حقيقة الذى يعنى الاحجام عما أمر الله به وهذه هى الرجعية التى تعيد الانسان الى العصر البدائى الوحشى الذى يتحلل الناس فيه من قيود الفضيلة والاخلاق ، ويفكر فيه القوى للقضاء على الضعيف أو استغلاله أو تسخيره لصالح شخص معين أو فئة معينة أو لخلق جيل مزدوج الشخصية . والتقدمية الحقة هى تقدم الفكر والاخلاق والسلوك بما هو صالح للانسانية جمعاء . وهذا ما ينادى به الاسلام لأنه دين العلم والمدنية والحق والخير ، فهو الداعى الى أمثل ما تستهدفه الحضارة الانسانية لذا فان ما تطلقه بعض الحناجر وتتفوه به بعض الأفواه من الفاظ التقدمية والرجعية لمعاداة الدين ، فهو لا ينطبق على الاسلام لأنها الفاظ جاءتنا من أوساط غريبة كل الغرابة عن الاسلام وهى أوصاف ان صحت فىماضى أوروبا فى الوقت الذى كان يعادى فيه بعض رجال الدين التطور والتقدم الصناعى ونحوه ، فهى لا تصح فى قاموس الاسلام الذى ينبذ كل تخلف ويحارب كل انحراف انسانى حرصا على تحقيق الخير للبشرية وليسود الانسجام والتفاهم والود فى المستوى الانسانى الذى يلتزم أفراده وحدة الدين الاسلامى ، ويطالب بتربية الأشخاص على نحو متلائم مندفع نحو غاية واحدة ولأغراض شريفة .





• لا تبعدوا اليهودية والإسلام عن المعركة .
• التنادي بالإسلام هو صيحة النجاة .

للشيخ : محمد الغزالي

ان وسائل الاعلام فى الامة العربية حريصة أشد الحرص على أن تفرق بين اليهودية والصهيونية ، وعلى أن تجعل القارىء أو المستمع العربى يقصى الدين اقصاء عن الصراع الدائر اليوم على اغتصاب فلسطين وما حولها . .

ولا يخفى خطر هذا المسلك ، وبعده عن التاريخ والواقع وتخذيله لوسائل الدفاع التى ينبغى توفيرها فى وجه هجوم دينى حاقد !!

ان الصهيونية ليست وليدة بحث اليهود عن وطن لهم بعدما أحسوا وحشة الغربة فى أرض الله الواسعة .

كلا ، فقد وسعتهم بلدان شتى ، وعاشوا فيها جزءا من أبنائها الاصلاء ، ووصلوا الى درجة فاحشة من الثراء ، ومناصب كبيرة فى الحكم .

ولكنهم رجحوا نداء دينهم على علاقاتهم بأوطانهم ، وآثروا التجاوب مع توراتهم وتلمودهم على الذوبان فى الوطنية الامريكية أو الالمانية أو الروسية أو المصرية أو العراقية .

سيرتهم فى مختلف القارات واحدة ، ونزوعهم الى خدمة عنصرهم ، وحسب ديدنهم فى كل مكان وزمان . .

لقد عاش اليهود ملوكا بيننا نحن المصريين فى أواسط هذا القرن ، فلم تركوا مصر الى اسرائيل ؟ فرارا من اضطهاد ؟ انه نداء الدين وحده .

وهم الان يحيون ملوكا فى أمريكا وفى أوروبا الغربية ، ولكنهم عرضوا مصالح الاوطان التى وسعتهم للبوار .

فى سبيل ماذا ؟ فى سبيل اسرائيل ، فى سبيل دولة دينية تجمعهم فى سبيل الملك الذى تهفو اليه ضمائرهم ، ويتلون آياته فى صحف العهد القديم على أنه وعد الله الذى لا يتخلف لهم ولذراريهم من بعدهم ..

ان الصهيونية ليست نزعة سياسية تولدت عن الاضطهاد النازى فى ألمانيا ..

فان اليهود قبل هذا الاضطهاد بسنين أو بقرون كانوا يحلمون بامتلاك فلسطين وطرد أهلها منها أو ابادتهم فيها ..

ونحن لا نقر فى العالم أجمع أى تفرقة جنسية ، ولكن مسلك اليهود فى ألمانيا كان هو السبب الاول فى اهاجة الالمان عليهم وايقاع المذابح الشائنة بهم .

لقد ظهر أن ولاء اليهود لأوطانهم الرسمية مزيف ، وأن ولاءهم الأول هو لجنسهم وتاريخهم وأمانيهم الحرام فى حقوق الآخرين .

وربما تعرض اليهود فى أمريكا بعد سنين معدودة لمثل ما تعرض له أسلافهم فى ألمانيا النازية عندما يصحو الامريكيون فيجدون أن مصالحهم فى العالم العربى والاسلامى قد تلاشت لأن يهود أمريكا قد باعوا هذه المصالح فى سبيل قضاياهم الخاصة ..

والمهم ونحن نواجه معركة الحاضر والمستقبل أن نحذر من الببغاوات التى تردد بغباء كلمات لا تفهمها وتريد بجهلها الغالب أبعاد اليهودية والاسلام عن المعركة مع أن المعركة لا تعنى الا القضاء على الاسلام لحساب القوى المعادية له ..

اننا لقينا العنت من أولئك الشامخين بجهلهم ، سواء كانوا فى الصحف أو الاذاعات ، أو المسارح ، وظاهر أنهم ثمار الاستعمار الثقافى لبلادنا ، ذلك الاستعمار الناقم على الاسلام وحده الحريص على تربية أجيال تكره شرائعه وفضائله ، وترفض مناسكه وشعائره وتنسى ماضيه وحاضره .

تلك هى الاجيال التى وقفت فى ميدان السياسة تصف الغزو اليهودى لفلسطين ، بأنه حركة عنصرية ، أو عدوان محلى ، أو تعاون بين الامبريالية والصهيونية ، أو تآمر رأسمالى على حركات التحرر الحديث ، أو غير ذلك من الترهات الى أتقنها الجهل المستكبر الفاشى هنا وهناك ..

ولو أن واحدا من هؤلاء ذهب الى أقرب مكتبة ، ودفع قروشا قليلة أو كثيرة ، واشترى العهد القديم وحده ، أو الكتاب المقدس كله ، ثم كلف خاطره القراءة فيه لوجد التخطيط الدينى لاسرائيل الكبرى واضحا فى صحائفه ، ولوجد الكفن يلف رفات العرب منسوجا من كلماته ، ولوجد حرب الابادة التى تعرض لها قومه ناضحة بين سطوره ..

ان مؤامرة الاستعمار فى القرون الاخيرة خلع العرب من دينهم فى الوقت الذى يتحمس فيه كل ذى دين لدينه ..

ان صحف العهد القديم لم تكتف بحداء بنى اسرائيل كى يجيئوا من كل مكان الى فلسطين ، بل صورت لهم البقاع التى ينزلون بها ، والحدود التى تفصل كل سبط عن أخيه !!

ووزعت عليهم دمشق وحماة وبيروت وعشرات من البلاد الواقعة قرب البحر المتوسط ..

اقرأ هذه السطور من سفر حزقيال .

لذلك هكذا قال السـيد الرب : الان أود سبى يعقـوب وأرحم كل بيت اسرائيل ، وأغار على اسمى القدوس . فيحملون ضربهم وكل خيـانتهم التى خانونى اياها عند سكنهم فى أرضهم مطمئنين ولا مخيف .
عند ارجاعى اياهم من الشعوب ، وجمعى اياهم من أراضى أعدائهم ، وتقديسى فيهم أمام عيون أمم كثيرة . يعلمون أنى أنا الرب الههم باجلائى اياهم الى الامم ثم جمعهم الى أرضهم . ولا أترك بعد هناك أحدا منهم ، ولا أحجب وجهى عنهم بعـد ، ولأنى سـكبت روحى (١) على بيت اسرائيل يقول السيد الرب ..

الاصـحاح الاربعـون

فى السنة الخامسة والعشرين من سبينا ، فى رأس السنة ، فى العاشر من الشهر ، فى السنة الرابعة عشرة بعدما ضربت المدينة ..
فى نفس ذلك اليوم كانت على يد الرب وأتى بى الى هناك ..
فى رؤى الله أتى بى الى أرض اسرائيل ووضعنى على جبل عال جدا عليه كبناء مدينة من جهة الجنوب ولـا أتى بى الى هناك اذا برجل منظره كمنظر النحاس ، وبيده خيط كتان وقصبة القياس وهو واقف بالباب .
فقال لى الرجل : يا ابن آدم : انظر بعينيك واسمع بأذنيك واجعل قلبك الى كل ما أريكه لأنه لأجل ارادتك أتى بك الى هنا .
أخبر بيت اسرائيل بكل ما ترى .
واذا بسور خارج البيت محيط به وبيـد الرجل قصبة القياس ست أذرع طولا بالذراع وشبر ..
فقاس عرض البناء قصبة واحدة وسمكه قصبة واحدة . ثم جاء الى الباب الذى وجهه نحو الشرق وصعد فى درجة ، وقاس عتبة الباب قصبة واحدة عرضا والعتبة .. الخ الخ الخ
الاصحاح الاربعون والحادى والاربعون والثانى والاربعون حيث ينتهى وصف قياس بيت الهيكل .

الاصحاح الثالث والاربعون

« ثم ذهب بى الى الباب . الباب المتجه نحو الشرق واذا بمجد اله اسرائيل جاء فى طريق الشرق وصوته كصوت مياه كثيرة والارض أضاءت من مجده » .
« وقال لى يا ابن آدم هذا مكان كرسى ، ومكان باطن قدمى ، حيث فى وسط بنى اسرائيل الى الابد اسمى القدوس . لا هم ولا ملوكهم » .

---

(١) عاش حزقيال ، مؤلف هذه الاصحاحات أيام المحنة الاولى لبنى اسرائيل بعد أن فسدوا فسلط الله عليهم بختنصر ، وجنوده فاجتاحوا البلاد ودمروا الهيكل ، وساقوا أمامهم عشرات الالوف من اليهود أسرى ، وقد عزى الرجل قومه بهذه الكلمات ، وملأ روعهم أنهم متخلصـون من الاسر البابلى وعائدون الى بلادهم ، وقد عادوا فعلا لكنهم سرعان ما زاغوا وطردوا من فلسطين ، وقد عادوا ثالثة يحملون اثامهم الاولى ومشاعرهم القديمة ، وسوف يتم طردهم ان شاء الله ولو بعـد حين .

الاصحاح الخامس والاربعون

« واذا قسمتم الارض ملكا تقدمون تقدمة للرب قدسا من الارض طوله خمسة وعشرون ألفا طولا والعرض عشرة آلاف » .

الاصحاح السابع والاربعون

هكذا قال السيد الرب . هذا هو التخم الذى به تمتلكون الارض بحسب أسباط اسرائيل الاثنى عشر . يوسف قسمان . وتمتلكونها أحدكم كصاحبه ــ على الهيئة ــ التى رفعت يدى لأعطى آباءكم اياها وهذه الارض تقع لكم نصيبا .

وهذا تخم الارض :

نحو الشمال من البحر الكبير طريق حثلون الى المجىء الى صدد : حماة وبيروته وسترائيم التى بين تخم دمشق وتخم حماة وحصر الوسطى التى على تخم حوران .

ويكون التخم من البحر حصر عينان تخم دمشق والشمال شمالا . وتخم حماة وهذا جانب الشمال . وجانب الشرق بين حوران ودمشق وجلعاد وأرمن اسراشيل الاردن من التخم الى البحر الشرقى نفيسون ، وهذا جانب المشرق وجانب الجنوب يمينا من ثامار الى مياه مريبوث قادش النهر الى البحر الكبير . وهذا جانب اليمن جنوبا .

وجانب الغرب البحر الكبير من التخم الى مقابل مدخل حماة . وهذا جانب الغرب فتقتسمون هذه الارض لكم لأسباط اسرائيل » .

هكذا وضع أنبياء بنى اسرائيل الاقدمون خطة تمزيق العرب ، وتقسيم تراثهم على أسباط اسرائيل .

وقد نقلت هذه السطور من العهد القديم وان كنت لم أفهم أغلب الاسماء(١) التى تحدد تخوم الارض أو توضح اتجاهات الزحف اليهودى كما أوصى به كاتبو ذلك العهد . .

ويظهر أن اليهود لخصوا المراد فى الجملة المشهورة « أرض اسرائيل من الفرات الى النيل » وهم أدرى بما فى كتبهم المقدسة ، وأدرى بما يعنيه « حزقيال » متلقى هذه الخريطة عن الوحى الالهى كما يدينون . .

وأريد أن أقو لباسم الاسلام المستوحش المكتئب كلمة حاسمة .

كلمة سوف تبدو غريبة على الاذان التى طمسها الهوان والاذلال أمدا طويلا ، والتى مرنت على سماع الزور والباطل وحده .

ان الدين قد انتقل انتقالة واسعة عن المفهوم البدائى الضيق الذى ألفه

---

(١) حبذا لو عنى المؤرخون العرب بوضع فهرس مقارن شامل لهذه الاعلام القديمة ، حتى يلقوا ضوءا على هذه المسميات .

الاسرائيليون مفهوم الهيكل ، ومملكة الرب ، والشعب المختار ، وحكم العـــالم باسم رب الجنود عن طريق حكماء صهيون أو بيت اسرائيل ..

ان هذه الكلمات المصورة لمعنى الدين أليق بالعهد البدائى الذى كانت قبائل اسرائيل فيه تغدو وتروح بقيادة رعاة محليين يؤدون واجبهم حينا ، أو يقتلون قبل هذا الاداء المفروض .

لقد أصبح للدين مفهوم أرحب ، ليس فيه هيكل مقدس ، ولا شعب مختار ولا أدب محتكر .

حقيقة هذا الدين أن الله رب العالمين أجمعين على سواء .
وان التقدم عنده ليس بالنسب ولا بالادعـــاء بل بالخلق الزكى والتقوى المهيمنة . لا كهانة هناك ولا تهاويل ولا هياكل ..

شيئان فقط هما أساس العلاقة بين الله الاحد ، وبين كل انسان يمشى على قدميه فى القارات الخمس : الايمان والعمل الصالح .

ان محاولة بنى اسرائيل مسخ مفهوم الدين على النحو الذى جمدوا عليه من عشرات القرون جريمة فاحشة لا يمكن قبولها ..

لقد جاء عيسى ابن مريم ليكسر القيود الصلبة التى أراد بنو اسرائيل حبس الدين داخلها .

وكان مجيئه تمهيدا للرسالة الخاتمـــة التى مزجت الدين بكل أشـــواق الانسانية الرفيعة فى الايمان المهدى والاخوة العامة ، حيث لا مكان للتسامى الا بالقلب السليم والفكر السليم ..

نعم بعث الله محمدا مسويا بين أجناس البشر فى الولاء للحى القيـــوم مسقطا كل سلطان مفتعل فى ميدان الروح أو فى ميدان المال ..

فاذا أراد بنو اسرائيل أن يلحقوا بقافلة الانسانية الحرة المتآخية فلا بد أن يؤمنوا بعيسى ومحمد واذا كانوا حراصا على استعادة مجدهم القديم فطريق الخلاص مفتوحة أمامهم ، ولكى يعرفوها جيدا قال الله « يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون . وآمنوا بما أنزلت مصدقا لمـــا معكم .. »

ان بنى اسرائيل يحلمون أن يحكموا العالم من هيكلهم وهم مصرون على تصديق ما لديهم وحده وتكذيب كل ما جاء به عيسى ومحمد ..

وما لديهم مزيج من وحى الله وهوى الانفس .

ولو افترضنا جدلا أنه حق لا ريب فيه ، فان الوقوف عنده وحده ، ونبذ ما أوحى الله بعده ، مسلك لا تصلح به الدنيا ولا يسعد به عباد الله ..

ومن هنا اشترط الاسلام أن يكون الايمان بكتب الله كلها ، ورفض ما سوى ذلك من ايمان مبتور فقال جل شأنه « يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم » .
وعلى لسان موسى — كبير أنبياء بنى اسرائيل — ذكر ربنا جل جلاله أن

أبواب رحمته مفتحة لعباده ، وأن الصلحاء الاتقياء يستطيعون دخولهـا متى شاءوا ، فعندما دعا موسى « اكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الاخرة انا هدنا اليك » كان الجواب الالهى له « عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبـائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم » .

ان قيادة العالم باسم الله ليست مهمة سهلة يستطيعها اليهود بمهارتهم المـالية وألاعيبهم الشيطانية ، وتسخيرهم للشعوب المفرطة وانتهازهم للفرص المتاحة .. وقد نبأ القرآن الكريم أن التاريخ اليهودى سيتفاوت بين مد وجزر ، ومعصية وطاعة وهزيمة ونصر .

قال لهم بعد هدم الهيكل الاثير « ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها .. » وقال لهم أيضا « وان عدتم عدنا » .

أى ان عدتم للفساد عدنا للانتقام .

وقد عاد اليهود الى فلسطين ــ لأسباب شتى ــ فكيف عادوا ؟ وما هى مثلهم العليا ، وما مواقفهم من وصايا الله للنبى الخاتم والنبى الذى سبقه وبشر به ؟

لقد عادوا متشبثين بما لديهم وحده مكذبين لكل ما جد بعد ..
وكسبوا نصرا بعد نصر على من ؟

على أوزاع من العرب جهلوا رسالتهم ، ونسوا تاريخهم ، وعاشوا فى دنيا الناس أذنابا ، وعن كتاب الله وهدى نبيه غرباء ..

ان مجموعة الشعوب الاسلامية تشعر بجزع مر لا للحروب التى جرت بين العرب واليهود ، ولكن للطريقة التى جرت بها هذه الحروب ، ولظـاهر الانحلال والفسق عن أمر الله التى ملأت جوها ..

كان العرب أزهد الناس فى كتابهم ، وكان اليهود ألصق الناس بتوراتهم .. كان اللص متحمسا فى الهجوم ، وكان رب البيت باردا فى الدفاع ..

وبلغ من نجاح الغزو الثقافى لبلادنا أن الحرب تعلن علينا لفرض دين ، واجتياح أمة ، ومع ذلك تتبارى وسائل الاعلام فى تضليل الفكر العربى ، وتصف هذه الحرب بأى شىء الا أنها تتصل بالدين ..

ولم ذلك ؟ حتى لا يستيقظ الوعى الاسلامى العارم ، وتتجاوب الاصداء بضرورة العودة العامة الجادة الى الاسلام لوقف هذا الفناء القادم .
لكن آمالنا ان غرائز الامم تصحو لملاقاة الخطر الداهم ، وان التنـادى بالاسلام سوف يكون اليوم صيحة النجاة .

وسوف يكون غدا صيحة النصر ..
« وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون » .

إحراق المسجد الأقصى

اعداد الاستاذ عبد المعطى بيومى

من الاحداث أحداث لا يمكن أن تمر هكذا ثم تنسى لأنها تمس مقتلا فى تاريخ الامم ، ويصل أثرها الى أعماق النفوس فان لم تفق الامة وتنفض عن نفسها غبار الغفلة بعد هذه الاحداث تداعت عليها الامم وكانت نهايتها .

واحراق اسرائيل للمسجد الاقصى فى جمادى الاخرة حدث من هذه الاحداث التى أثارت مشاعر المسلمين وخواطرهم بحيث تحركت الامة فى سائر أقطارها فى ثورة غاضبة ظهرت آثارها فى مهاجمة بعض المؤسسات الاسرائيلية فى مختلف أنحاء العالم وفى الدعوة الى مؤتمر قمة عربى وآخر اسلامى .

وقد انهالت على المجلة البرقيات والرسائل من كثير من المسلمين تستنكر هذا العمل الاجرامى ، وتلح فى تيسير السبيل لها للجهاد فى سبيل الله .

كذلك تلقت المجلة العديد من البيانات والنداءات من الهيئات الاسلامية ونكتفى بنشر البيانات التالية :

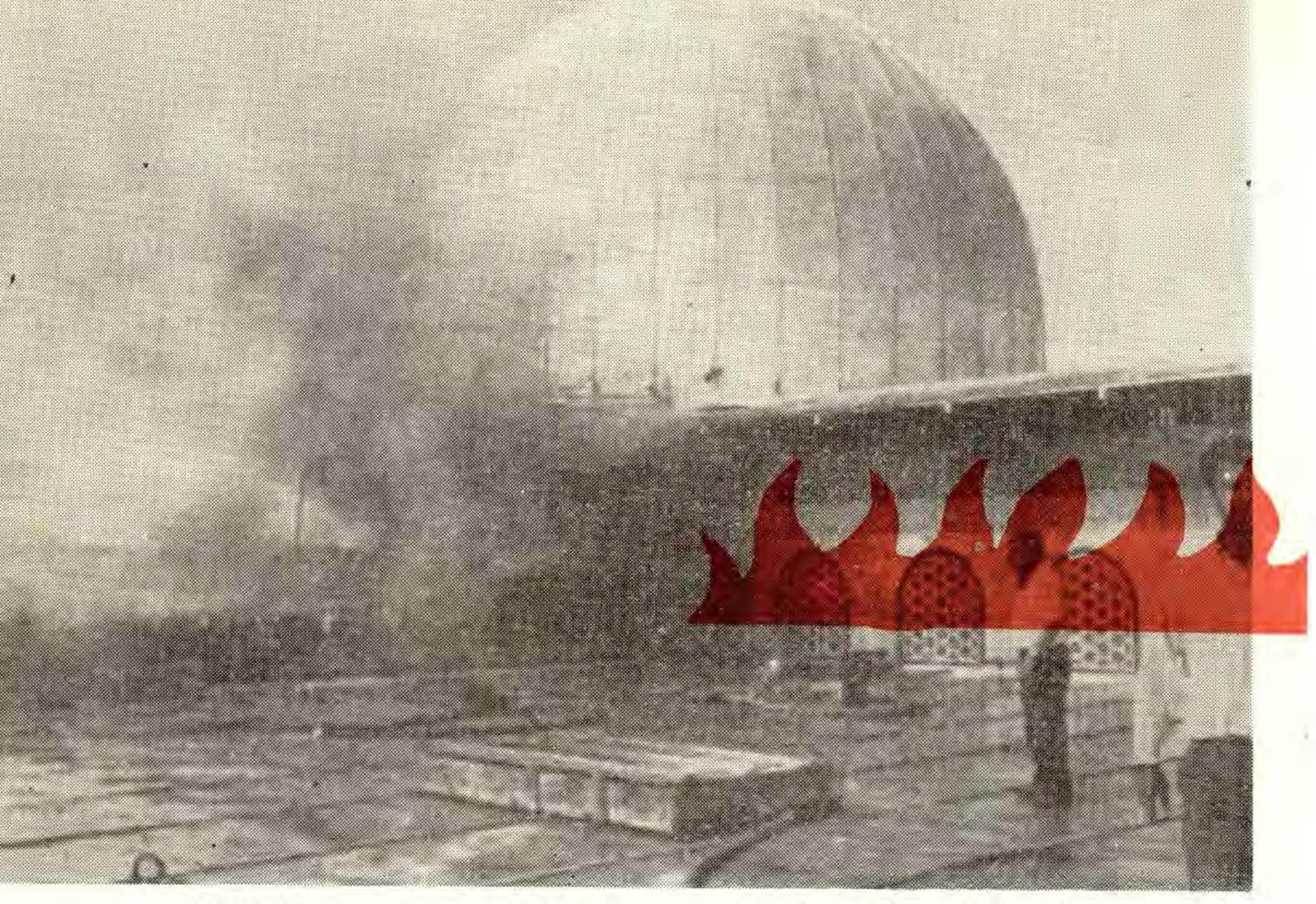
مجمع البحوث الاسلامية

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » .

هذا المكان الطاهر المقدس دنسه قتلة الانبياء من بنى اسرائيل فى ماضيهم ومثيرو الفساد فى الارض فى حاضرهم ، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، وكلما انطفأت دبروا الاخرى لأنهم أعداء الله ، وأعداء الحق ، وأعداء الانسانية .

ولقد وقعت الواقعة ، وارتكبوا كبرا عظيما ، لقد حرقوا ذلك المكان الذى احترمته الانسانية فى غابرها وحاضرها ، فكانت القارعة التى قرعت أسماع المسلمين ، فى مشارق الارض ومغاربها بل انها أزعجت المنصفين فى كل مكان .

لقد كانت الارض المقدسة بما فيها من آثار النبيين المصطفين الاخيار فى



النار تشتعل فى المسجد الاقصى وترى سحب الدخان تغطى جانبا من الصخرة المشرفة

أيدى المسلمين فقاموا على رعايتها ، وحاطوها باحترامهم وعنايتهم ، وكانوا أمناء على مقدسات الاديان كلها بأمر دينهم ، وهدى نبيهم ، وقالوا منصفين : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » .

وان أعضاء مجمع البحوث الاسلامية ليهيبون بالمسلمين والمسيحيين على السواء حكومات وشعوبا وهيئات أن يهبوا وأن يقوموا قومة رجل واحد فيعملوا جاهدين متضامنين بأقوم الاساليب وأنجع الطرق لانقاذ بيت المقدس ، وتطهيره من الصهاينة الغاصبين والمعتدين المفسدين ليبقى كما أراد له رب العالمين : طيبا طاهرا مباركا فيه .

أيها المسلمون هذا هو المسجد الذى لوثه الصهيونيون بآثامهم وفجورهم ، ولم يكتفوا بذلك ، وانما ختموا اجرامهم باحراقه .

أيها المسلمون : لقد أهينت الشعائر وأبيحت الحرمات ، فأصبح الجهاد الان فرض عين على كل قادر عليه ، أينمــا كان وفى أى أرض يقيم ، وقد وجب أن يتحرك كل مسلم ، وليرسل كل اقليم طائفة منه ينفرون للجهاد ، ويرابطون مع المرابطين ، ويقاومون مع المقاومين ، ومن لم يجد فى نفسه القوة البدنية فليرسل المال والسلاح للمرابطين .

ولا تكتفوا أيها المسلمون بأن يعاد بناء ما هدم واصلاح ما حرق ، بل انهــا الاهانة لا يغسلها الا اقتلاع المفسدين وطردهم وفى عنق كل مسلم تبعة بقائهم وتلحقه سبة العار الذى نزل .

أيها المسلمون : اجتثوا الشر من أساسه ، وقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين .

أيها المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها ان روح رسول الله صلى الله عليه وسلم تناديكم ، وأرواح الرسل والانبياء جميعا تهيب بكم أن هبوا جميعا الى تطهير الارض المقدسة ، وتطهير البيت الذى باركه الله ، وبارك ما حوله «انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) .

« ألا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير » .

« ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .

جمعية الاصلاح الاجتماعي

فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » (قرآن كريم)

. ليست النكبات والكوارث القاصمة التى تصاب بها الامم والبلاد مفاجآت أو مجرد مصادفات ، بل هى الطبيعة الحتمية لسلسلة طويلة من الحوادث التى لم ينتبه لها فى أوانها الا القلائل الذين رزقهم الله الفطنة الدقيقة والفراسة الصادقة ، وهم الذين قال الله عنهم : « ان فى ذلك لآيات للمتوسمين » .

فكارثة استيلاء الصليبيين على القدس فى القرن الخامس الهجرى ، ونكبة اجتياح التتار والمغول بغداد والعالم الاسلامى فى القرن السابع ليست من فلتات الدهر التى تأتى دون نذير ، بل كانت هاتان النكبتان حلقة أخيرة بعد سلسلة من الانحرافات الطائشة والامراض الخلقية والتصرفات الاثيمة فى ظل حياة لا يرضاها الله ولا رسوله ولا صالح المؤمنين . ومن يتتبع كتب التاريخ والسير ويدرس هذه الفترة يدرك أن زحف همج التتار على بغداد ، وأن سقوط الاندلس بعدما أصبحت دويلات ، وصار فى كل ولاية منها أمير ومنبر ، وطغى فيها الحكام وطما فيها الفساد لم يكن كل ذلك غريبا عن منطق التاريخ وسنن الحياة .

ان الذى حدث ويحدث سيستمر ويزداد . . ان الطريق واضح معلوم هو أن يقوموا لله مثنى وفرادى ثم يتفكروا أن لا طريق لغسل العار وأخذ الثأر والذب عن كرائم الارواح والاعراض وحماية بيضة الاسلام وتعظيم شعائر الله وحرماته الا برفع النداء فى الداخل بالاوبة الى الله والتزام شريعته وتبنى منهاجه وباعلان الجهاد فى سبيل الله لاعلاء كلمته وصيانة ما استرعانا اياه من مبادىء الدين ومقدساته ، وانقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، واعادة فتح الربوع التى بوركت وما حولها وخالطتها رفات الاجداد الفاتحين ، ودماء الشهداء من محرريها كلما دنسها الغاصبون فى غفلة الحماة الاباة .

اذا المجد القديم توارثته بناة السوء أوشك أن يضيعا

وبعد ، فان أدق تصوير لما ناب المسجد الاقصى من اغتصاب وتحريق ، وأصدق تحليل لمنشأ الذل والهوان الذى تعيشه الامة الاسلامية شعوبا وحكاما بعد تعطيل فريضة الجهاد لهو قول الله عز من قال : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز .



المسجد الاقصى وهو يحترق ويرى مفتى القدس الشيخ سعد الدين العامى يقف على سلم الحريق وهو يصيح : هذه بداية النهاية

كذلك وجهت رابطـــة (العالم الاســـلامى) بمكة المكرمة نداء الى جميع المسلمين جاء فيه :

١ ــ ان الكارثة التى حلت بالعالم الاسلامى بفقد فلسطين ، واستمرار المظالم العديدة التى ترتكبها السلطات الصهيونية فى الوطن الاسلامى .

٢ ــ ثم الحريق الذى وقع والتهم جانبا كبيرا من المسجد الاقصى .. دعا رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة ــ التى تستنكر كلمـــا وقع ــ الى المبادرة بدعوة المسلمين الى عقد اجتمـــاع عاجل للنظـــر فى وضع حد لهذه الحوادث .

٣ ــ تؤيد رابطة العالم الاسلامى الدعوة الى الجهاد الذى نادى به جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل ســـعود ولذلك فهى تهيب بالمسلمين أن يسارعوا الى العمل على عقد هذا الاجتماع وتعيين الزمان والمكان لاصدار القرار اللازم لانقاذ البلاد المغتصبة ووضع حد لتلك المظالم .

والله المسئول أن يؤيد المسلمين بنصر من عنده .

ويعزف الزمان على أوتار ملتهبة هذه المرة .. ويشتد أوار المعركة متحديا الكتل الهائلة من جموع المسلمين ، وتتطاول ألسنة النيران من المسجد المحزون داعية جموع الامة بلسان حالها بعد أن كلت الالسن المؤمنة ، ونضبت العيون الساهرة ، وجفت يراعات العاملين .

وهكذا بدأت المأساة .. ولكم تمنيت لهذا القلم أن يكون خنجرا مسموما تقطر منه الدماء يستقر فى صدرى وصدور الطلائع المؤمنة الغيورة على دينها ومقدساتها قبل أن أسمع هذا الامر الجلل وهذه الجريمة النكراء .. لقد عاثت براثن الشعوب بطهـر المسجد وقدسيته وجلاله مستهينة بمشـاعر ملايين المسلمين فى بقاع المعمورة ، وما كانت الصهيونية ومن ورائها صانعوها الاقزام وعملائهم الصغار ليفعلون شيئا من هذا لو أن أسود الايمان بارزة على مسرح الحياة .. ولكن .. ويا للاسف وقعت المأساة وعاث اليهـود بطهر المسجد المبارك وقدسيته .

فيا جموع المسلمين فى أنحاء المعمورة .. اعلموا أن الجهاد هو طريقنا للوصول الى العزة ، ولن ترفرف راياتنا الا بحمل السيف فى وجوه أعداء الله وأقزام البشرية ، واسمعوا معى قول الشاعر يفلسف حماية المسلمين لعقيدتهم ومقدساتهم فيقول :

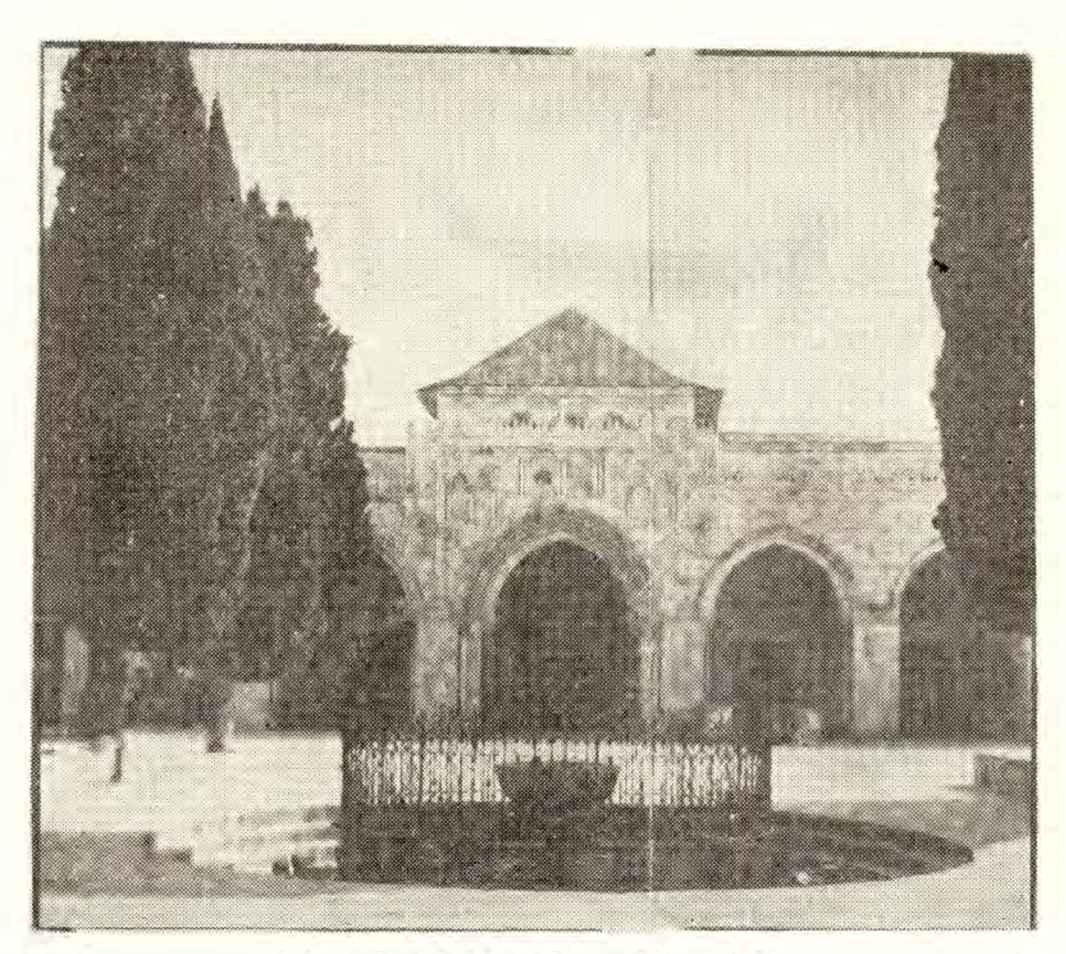
والسـيف يلمـع فى يمين محمـد ليصب ذعرا فى الوهاد وفى الذرى

يعطيـك معنى الحق كيف يصـونه جيش والا بات حقـا مهـدرا

واسمعوا قول الله تبارك وتعالى حاثا الطلائع المؤمنة على النفير العـام بعبارة قوية صارخة : « انفروا خفافا وثقـالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسـكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » .

واسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الجنة تحت ظـلال السيوف » فشدوا الرحال أيها المسلمون ، وأعدوا أنفسكم أيها المؤمنون فالنصر من عند الله يؤتيه من يشاء من عباده .

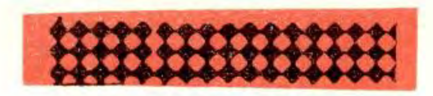
أيها الناس : قوموا الى جنة عرضـها كعرض السموات والارض أعدت للمجاهدين فى سبيل الله .. الى أيديكم أيها المسلمون لنشد الرحال الى هناك حيث ترفرف القلوب المؤمنة الى جانب المنبر الرائع الذى كانت جحافل الايمان تضع بقربه الجباه ساجدة عابدة ، والتى روت جنباته دموع المؤمنين البـاكين المتبتلين فى جنبات الليل القاتمة .. الى هناك باسم الله لننقذ المسجد المحزون ونعلنها مدوية من جديد حى على الصلاة .. وعندها سيحسب العالم بأن الفاتح صلاح الدين قد عاد الى الحياة .

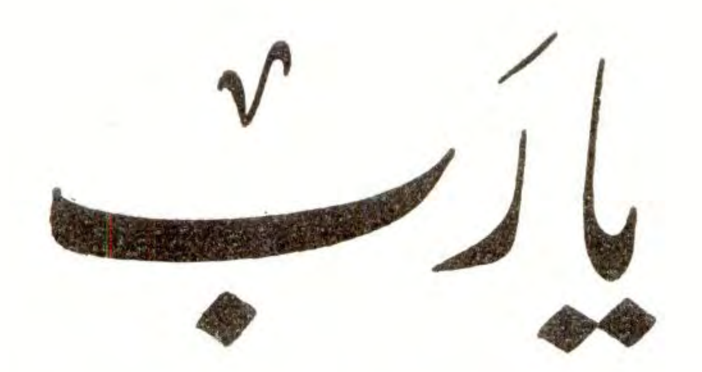


المسجد الاقصى الاسير قبل الحريق ..!!

جمعية رابطة العلماء بالعراق

ان ما حل فى المسجد الاقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين من جريمة نكراء ألا وهى حرق المسجد الاقصى الشريف ، لقد اهتزت لها قلوبنا كما اهتزت لها قلوب العالم الاسلامى أجمع وتصدعت لها أركان المعمورة وان دل ذلك الاجرام على شىء فانما يدل على تآمر الكفر على الامة الاسلامية ومقدساتها ، وطمس معالمها وخبث الصهيونية المجرمة وكيدها ، وليس هذا بالامر الغريب ، ولكن الغريب أن يبقى المسلمون فى تفرقتهم وتفرجهم حتى حل ما حل من المصائب والكوارث التى نراها ، واذا لم تصحو الامة من غفوتها وتقم من كبوتها فسيستفحل الخطر ويعم القاصى والدانى . لذا فان الله جل شأنه يدعوكم الى اعلان الجهاد الاسلامى المقدس لقطع دابر هؤلاء المفسدين واخراجهم من ديارنا ومقدساتنا دون تهاون وتسويف عملا بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين » وقوله : «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين» وقوله : « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .





لك فى حيـاة العـالمين شؤون ... مـا كان من أحـداثها ويكـون
وعلى الذى ترضاه فى هذا الورى ... مـا اهتز منطلق وقر سـكون
يـا رب هذا الكون صنعة قـادر ... حـارت لديه مدارك وظنـون

انى اتجهت اليك يشرق خـاطرى ... وأرى جميـع العـالمين تهون
فى عمق أعماقى يضىء مشاعرى ... نور تحـار على سناه عيـون
تتألق الأضواء فى جسـدى فما ... يبقى بـه حمـأ له مسـنون
فـاذا العوالم كلهـا دون الثرى ... واذا نواميس الحيـاة سـجون
واذا انطلاق الروح فى ألق الهدى ... كـون تكشـف سره المكنـون

اللـه ، يـا اللـه فوق مداركى ... سر هنـاك على سـناك مصون
انى أنـا الانسـان أعرف من أنا ... وأرى مكانى منـك أين يكـون
انى ذكـرتك خاشـعا بمـدامع ... ذابت لفـرط حنينهـن جفـون

يـا ذا الجـلال وكل خلقك كلمة ... الكاف كـل حروفهـا والنـون
أرسلت خير الخلق فى فمه الهدى ... للصـالحين مفصـل ومبين
الحـرف والكلم المعظـم معجـز ... ومن الجـلال تفـرد المضـمون
أن ليس للانسـان الا ما رمى ... سـعيا فكل حسـابه موزون

للأستاذ: محمد التهامي

فطريق من ضلوا طريق شمالهم | والمهتدون لهم لديك يمين
وهداك من يعرف عليه طريقه | تتكامل الدنيا له والدين

والمسلمون الصادقون وجودهم | ألق يضيء وعزة ويقين
للعلم والعمل الكبير حياتهم | والكون فلك تحتهم مشحون
فيسخرون بحاره وهواءه | ويفجرون جباله وتلين
من فضل خالقهم وفضل كفاحهم | لا الخير مقطوع ولا ممنون

ولهم شريعتهم ودون جلالها | يتراجع التشريع والتقنين
أرست عدالتها السماء وساقها | روح على سر السماء أمين
فيها لكل الناس من كل حقوقهم | ما عاش تحت ظلالها مغبون
فالناس مهما قيل فى أنسابهم | الماء أصل وجودهم والطين

هذى الشريعة للخلود وشعبها | بالمجد فى هذى الحياة قمين
ان كان قد أخفى عليه زمانه | فالدهر يسعد تارة ويخون
والصبر فى شرع الحنيفة واجب | والصعب بالصبر الجميل يهون
وعلى الكفاح المر يعد مسلم | ايمانه بين الضلوع مكين
فالمجد ليس تعللا بتراثنا | يسعى به ماض لنا مدفون
فبقدر ما تسعى يكون نصيبنا | فنصيبنا بكفاحنا مرهون
هذى شريعتنا وذلك ديننا | من حاد عنه يحيد عنه الدين



من
مجالس
الوعظ



الإنسان على القمر

للشيخ : زكريا ابراهيم الزوكه
مفتش الوعظ بالازهر

أقبل يسعى . وفى عينيه بريق عجيب . كأنه بريق المنتصر الذى ظن أنه حاصر خصمه فأحكم الحصار . فهو يطلب اليه فى نبرات شامتة أن يرفع يديه ويلقى السلم !!

قال فى صوت تعمد أن يكون عاليا نافذا : يا مولانا . ما رأيكم دام فضلكم فى هؤلاء الذين ركبوا الجو . ونفذوا من أقطار الارض ، ومشوا على وجه القمر ؟!

قلت : فتح مبين . وكشف علمى رائع . أنا من أوائل المعجبين به . . والمصفقين له . .

قال : فأنت اذن مثلى تؤمن بالعلم ، وترى فى محرابه — وحده — الساحة التى يجب أن تتعفر فيها الجباه ، وتخشع الاصوات ، وتتجه الابصار والافئدة .

وكان فى المجلس عدد من ذوى المزاج الحاد ، والاحساس المرهف ، ظنوا أن الرجل يريد النيل من الدين والمساس بقدسيته .. فغضبوا منه ، وهموا به .. ولكنى رددتهم الى الحلم ، ودعوتهم الى الاناه ، وبينت لهم أن الاسلام لا يخشى الناقدين له ، ولا يضيق ذرعا بالمعترضين عليه ، لأنه دين القلب والعقل والشهادة والغيب .. دين العقيدة التى بنيت على التفكير والنظر والرأى .. وأن مبارزته ومنازلته لا تزيده على المدى الا صفاء وصلابة ، لأنها تكشف عن جوهره النفيس ، وأساسه المتين ، وقوله الحق ..

وقلت لهم : ان الرجل يسأل ، وهذا حقه ، وعلى أن أجيب ، وهذا واجبى .. وموقفكم أنتم هو موقف الحكم الذى ينطق بالحكم بعد أن يسمع حجج الطرفين ..

قلت لسائلى المفتون بالعلم ، المتبجح بفتوحه وانتصاراته : قبل أن أجيب على سؤالك لدى كلمة أحب أن ألقى بها بين يدى هذا الحوار ..

لماذا تحرص — أنت وبعض المثقفين — على أن تضعوا العلم فى ناحية ، والدين فى الناحية المضادة له فتجعلوا منهما خصمين متدابرين ؟

وكان الاولى أن تضعوهما فى موضعهما الصحيح صديقين يسيران معا على الطريق .. الدين يحض على العلم ، والعلم يؤيد الدين .. هذا هو العدل وبخاصة مع دين يحترم العقل ، ويحض على الفكر ، ويثيب على البحث ، ويسمى الاسلام .

أنا يا صاحبى أومن بالعلم ، ولكنى من قبل ومن بعد أومن بالله الذى خلق العلم والعلماء .. وأودع فى الانسان هذا السر الالهى الذى عبر عنه بقوله (ونفخنا فيه من روحنا) فاستطاع بتلك اللطيفة الربانية أن يتخذ نفقا فى الارض وسلما فى السماء ، فيغوص ويطير ثم ينطلق كالشهاب ليعرف ويطلع ، ويبدع ما شاء الله أن يبدع .

انك ترى فى هؤلاء الذين وثبوا على القمر دليلا من أدلة النفى لصدق الاسلام وصلاحيته وأنا أرى فيهم أنفسهم دليلا من أدلة الاثبات على صدقه وصواب المستمسكين به وأعيذك بالله أن تزل كما زل أحد رواد الفضاء الذين حوموا حول القمر ولما يلمسوه .. لقد بهره هذا النصر ، وغرته أسبابه ، فآمن بالعلم وكفر بالله ، وهبط من الجو الى الارض ليصرح فى مؤتمر صحفى بأنه فتش عن — الله — فلم يجده !!

كأن الله عز وجل يسكن فى القمر أو يتخذ له مدارا حوله .. أو كأن ملكوت السماء قد انكمش وتقلص ، وانتهى عند هذا الكوكب الصغير !!

ولقد أخذه الله نكال الاخرة والاولى ، فلم ينفعه العلم ولم ينقذه العلماء ، لأن وسائلهم أقصر وأعجز من أن تلم بسر أرواحهم ، ومكنون نفوسهم ، وصدق الله (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) .

انك درست ــ ولا شك ــ أن الضوء يقطع فى الثانية الواحدة (١٨٦ ألف ميل) وفى الدقيقة (١١ مليون و ١٦٠ ألف ميل) . .

وفى السنة الواحدة من سنينا يقطع (ستة آلاف مليار ميل تقريبا) . وهذه المسافة هى التى اصطلح العلماء على تسميتها (بالسنة الضوئية) ليعبروا بها عن أبعاد السماء الهائلة . . فمتى قيل لنا ان نجما يبعد عنـــا سنة ضوئية ، أدركنا أنه يبعد عنا (ستة آلاف مليار ميل) .

فهذا القمر الذى استطاع العلماء بعد الجهد المضنى أن يضعوا أول انسان عليه يعتبر أقرب الاجرام السماوية الينا لأنه يبعد عنا ــ نحن سكان الارض ــ (٢٤٠ ألف ميل تقريبا) حيث ثبت أن ضوءه يصل الينا فى أقل من ثانيتين .

اما الشمس فتبعد عنا (٩٣ مليون ميل تقريبا) لأن ضوءها يصل الينا فى ٨ دقائق . . فهل تذكر كم يبعد عنا أقرب النجوم الينا بعد الشمس ؟

ان العلماء يقولون : ان أقرب نجم الى الارض يبعد عنها (أربع ســـنوات ضوئية) وأن من النجوم ما يبعد عنا (ألف سنة ضوئية) بل ان وراء ذلك ما يقول العلماء أنه يبعد عنا مليون سنة ضوئية أو أكثر) [1] فهل يكفى هذا لتدرك المدى الهائل لأبعاد السماء ؟ ولتدرك المعنى المنبثق من قول العلى القادر (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون) .

وقوله تعالى : (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

على أن العلماء فى القرن العشرين لم يخطوا هذه الخطوة الرفيقة فوق القمر الا بعد ثمانى سنوات من أبحاث الفضاء المضنية . . وبعد جهد اشترك فيه أكثر من ٤٠٠ ألف أربعمائة ألف عالم وفنى وخبير وعامل !!

وبعد أن أنفقوا فى سبيل ذلك أكثر من ٢٤ مليارا أربعة وعشرين مليارا من الدولارات [2] . . وكان أى خطأ طفيف ، أو انحراف خفيف ، أو لحظة من غفلة ، أو سنة من نوم ، تكفى لفشل المشروع كله ، وبعثرة الجهد ، والانفس ، والاموال فى فضاء لا حد له ولا سلطان عليه !!

والقمر ــ كما قلت ــ أقرب الكواكب الينا ، وأصغر من الكوكب الذى نعيش فيه . . ثم هو واحد من ملايين الكواكب التى تسبح فى الفضاء !!

أفلم يخطر على بالك وأنت تستعرض هذا الشريط الذى يعيى الخيال ، والذى يمثل جانبا من ملكوت السماء أن تسأل نفسك فى أناة وروية ، ونزاهة وتجرد : من الذى خلق الارض ومن عليها ؟ والسماء وما فيها ؟ ووضع لكل شىء نظامه الذى لا يختل ، ومســاره الذى لا ينحرف ، ومداه الذى لا يتجاوز ، وموعده

---

(١) من كتاب « قصة الايمان » للاستاذ الشيخ نديم الجسر ص ٢٦٨ .
(٢) جريدة الاهرام فى ١٦ـ٧ـ١٩٦٩ .

الذى لا يخلف (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون) .

أهى المصادفة العمياء التى تخطىء مرات ومرات ان اصابت مرة واحدة ؟

أم هو العدم العقيم الذى لا ينتج وجودا ولا يدبر حركة ؟

أم هى الطبيعة وتطورها وترقيها ، والطبيعة نفسها تسأل عمن خلقها ووضع لها قانونها ؟

أم هو — الله — وحده الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى ..

(تبارك الذى جعل فى السماء بروجا ، وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا)

اننا بوحى من القرآن الكريم ، واستجابة لدلالاته واشاراته ، سنظل ننتظر الكثير الطيب من جولات العلماء فى ميادين النظر والفكر .. وسنظل نتوقع العجيب الغريب من كشوفهم ومنجزاتهم .. لأن الانسان فى نظر القرآن الكريم ليس شيئا تافها أو خلقا هينا .. ان الله علمه منذ خلقه ، وكرمه حين أوجده . وأمر الملائكة أن يسجدوا له ويدينوا لعلمه ، لأنه المسئول عن اثبات عظمة الله وكشف آياته فى الافاق ..

وكلما اتسعت دائرة العلم ، وتشعبت مسالك الفكر ، وازداد اقدام العلماء ضاقت طرق الجهل واتسع طريق الايمان ، وقديما قال أحد الفلاسفة « قليل العلم يبعد عن الله ، وكثيره يقرب منه » وهذا حق لا ريب فيه « انما يخشى الله من عباده العلماء » .

وسيأتى اليوم الذى يثوب فيه العلماء الى أنفسهم ، ويفكرون فى بارئهم ، ويستريحون ولو قليلا — من ادمان النظر فى كتاب الكون — الى النظر فى كتاب الله وسنة رسوله ويومئذ يدركون أن الخير كل الخير فى الجمع بين الدين والعلم والايمان بالدنيا والاخرة « ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا » .

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد . الا أنهم فى مرية من لقاء ربهم الا أنه بكل شىء محيط » صدق الله العظيم .





للأستاذ : مناع القطان

يطيب لكثير من الناس أن يشعروا بالطاقة الفكرية التى يستمتعون بها . وأن يستخدموا هذه الطاقة فى ادراك الحقائق ، لا سيما والبحث العقلى قد أصبح من سمات العلم الحديث ما استند الى المشاهدة والاستقراء ، وما علم هؤلاء أن هذا النهج هو وليد الفطرة ، وأنه السبيل الذى أرشد به الخالق عباده الى الاهتداء اليه والايمان بوحدانيته .

الحكم العقلى :

يقسم العلماء الحكم الى ثلاثة أقسام : عقلى وشرعى وعادى ، والذى يعنينا من ذلك هو الحكم العقلى ، وهو اثبات أمر لأمر أو نفيه عنه بناء على تفكير دون توقف على شرع ولا تجربة أو تكرار .

وهذا الحكم منه الواجب والمستحيل والجائز .

فالواجب : هو الثابت الذى لا يقبل الانتفاء لذاته ، وذلك كثبوت العلم والقدرة والمحبة والرضا ونحوها من الكمالات لله ، فانها صفات ثابتة له تعالى لا تقبل الانتفاء .

والمستحيل : هو المنفى الذى لا يقبل الثبوت كشريك البارى ، والجمع بين النقيضين ورفعهما ، والجمع بين الضدين ، فانه يستحيل عقلا أن يكون الشىء موجودا ومعدوما ، أو أنه ينتفى عنه الوجود والعدم ، كما يستحيل أن يكون أبيض وأسود فى وقت واحد .

والجائز : ويقال له الممكن هو ما يقبل الوجود والعدم ، كالمخلوقات التى نشاهدها ، فانها كانت معدومة فقبلت الوجود ، ثم بعد وجودها تقبل العدم .

ومعنى كون الوجوب والاستحالة والجواز حكما عقليا أنها لازمة لما حكم له بها لا تقبل التخلف عنه ولا الانفكاك وان جاءت بها نصوص الشرع ، وليس المراد أنه لا علاقة للشرع بها ، فان نصوص الشرع قد جاءت بأصول الدين ، وكشفت للعقل عما خفى عليه وقصر عن ادراكه من تفاصيل عقائد التوحيد وسلكت به طريق الحق ، وهدته الى سواء السبيل ، ولولا ما جاء فيها من البيان لارتكس العقل فى حمأة الضلالة ، وقام للناس العذر ، وسقط عنهم التكليف ، قال تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » وقال « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما » .

امكان العالم وحاجته الى موجد :

كل ما شاهدناه فى ماضينا من الكائنات وما نشاهد فى حاضرنا ممكن . وضرورة أنا نراه يتحول من عدم الى وجود ، ومن وجود الى عدم . ولو كان واجبا لما سبق وجوده عدم ولا لحقه فناء ، ولو كان مستحيلا لما قبل الوجود ، وقد شاهدناه موجودا ، فثبت أنه ممكن .

واذا كان العالم ممكنا وجب أن يستند فى نشأته الى من يكسبه الوجود ، ويرجع فى تصرفاته وتقلباته الى من يتولاه ويحفظ عليه وجوده فى كل أطواره ، وهذا مما شهدت به الفطرة ، وجبلت عليه النفوس ، قال تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » وقال صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

كما دل على ذلك العقل ، فان نسبة الممكن الى طرفيه : الوجود والعدم : على السواء ، فلو وجد بدون سبب خارج عن ذاته وحقيقته لزم ترجيح أحد المتساويين على الاخر بلا مرجح . وهو باطل ، ولو أوجد نفسه لزم مع ذلك أن يكون متقدما على نفسه باعتباره خالقا لها ، متأخرا عنها باعتباره مخلوقا لها . وتقدم الشىء على نفسه وتأخره عنها محال بالضرورة ، لما فيه من التناقض الواضح ، فثبت أن الممكن لا بد له من موجد غير ذاته وحقيقته ، يوجده ويدبر شئونه فى كل أحواله ، وهذا هو الله سبحانه وتعالى .

وقد أرشدنا الله الى ذلك فى كثير من آيات القرآن ، قال تعالى : « أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون ؟ » فأنكر سبحانه أن يكونوا خلقوا بلا خالق ،

وأن يكونوا خلقوا أنفسهم ، وبذلك تتفق الفطرة والعقل والسمع على حاجة العالم الى صانع ، واستناده الى موجد .

اثبات وجوب الوجود لله تعالى :

واذا ثبت أن الله هو الذى أوجد العالم ، فان وجوده يختلف عن وجود الممكن ، لأن لفظ الوجود بمعناه المطلق يشترك فيه الممكن والواجب ، أى الحادث والقديم الازلى ، فالله يوصف بأنه موجود ، والحادث من المخلوقات يقال له أيضا موجود ، الا أن الممكن له وجود يخصه ، فانه حادث سبق وجوده عدم ، ويلحقه الفناء ، وهو فى حاجة دائمة ابتداء ودواما الى من يكسبه الوجود ويحفظه عليه كما سبق .

ولله وجود يخصه ، فهو سبحانه واجب الوجود لم يسبق وجوده عدم ، ولا يلحقه فناء ، ووجوده من ذاته لم يكسبه من غيره ، اذ هو الغنى عن كل ما سواه .

وبذلك جاء السمع وشهد العقل .

أما السمع فمنه قوله تعالى : « هو الاول والاخر والظاهر والباطن » وأما العقل ، فلأنه لو كان مستحيلا لم يصح أن يستند اليه الممكن فى حدوثه بداهة ، لأن المستحيل ما لا يتصور فى العقل وجوده ، وفاقد الشىء لا يعطيه .

ولو كان ممكنا لافتقر فى حدوثه الى من يرجح وجوده على عدمه لما تقدم ، فأن استمرت الحاجة فاستند كل فى وجوده الى نظير له من الممكنات ، لزم اما الدور واما التسلسل فى المؤثرات ، وكلاهما محال ، واذا انتفى عليه الامكان والاستحالة ثبت له الوجوب ، ضرورة أن اقسام الحكم العقلى ثلاثة ، وقد انتفى اثنان ، فتعين الثالث ، وهو الوجوب ، فالله واجب الوجود .

ولا يزعم أحد بعد ذلك أن وجود العالم كان وليد الصدفة بالاتفاق ، أو أن اطواره نشأت عن تفاعل بين عناصر المادة . فتفرقت الى وحدات بعد اجتماع ، أو اجتمعت وائتلفت بعد تفرق واختلاف ، وصار لتلك الوحدات أو المركبات من الخواص ما لم يكن قبل هذا التفاعل ، وبذلك تجددت الظواهر ، وحدث ما يشاهد من تغير وآثار ، مع جريانها على سنة لا تتبدل ، وناموس لا يختلف ولا يتغير .

فان انتحل احد هذا الزعم قيل له : من الذى أودع تلك المادة طبيعتها ؟ واكسبها خواصها ؟ فانها ان كانت لها من ذاتها ومقتضى حقيقتها لم تقبل التغيير والزوال لأن ما بالذات لا يتخلف ولا يزول ، وقد رأيناها تتبدل وتزول . فلا بد لها من واهب يهبها ذلك ، وفاعل مختار عليم حكيم يدبرها ، ويضعها فى محالها ، وليس ذلك المادة وحدها ، ولا خواصها أو طبيعتها القائمة بها ، فانها ليس لها من سعة العلم وكمال الحكمة وشمول المشيئة ، وعظيم القدرة ما ينتظم معه

الكون على ما نشاهد من احكام يبهر العقول دقة وجمـــالا ، ومن ابداع يأخذ بمجامع القلوب .

فلم يبق الا أن يكون الله تعالى هو الذى خلق هذه الكائنات فى احكامها الدقيق « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور . الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير . ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير » .

وحدانية الخالق :

وقد قامت الدلائل العقلية والسمعية على وحدانية الخالق فى ربوبيته ، وفى أسمائه وصفاته ، وفى الوهيته .

فهو خالق كل شىء ومليكه ، واليه يرجع الامر كله فى التصريف والتدبير ، وقد أقرت بهذا فطرة الناس ، ولم يعرف عن طائفة بعينها انهـــا قالت بوجود خالقين متكافئين فى الصفات والافعال ، وانما حكى عنهم نسبة بعض الامور الى ما زعموهم آلهة لها شىء من النفع والضر ، فقربوا اليها القرابين ، وبين الله سبحانه وتعالى بطلان ذلك ، وأنكر على من زعمه ، فقال تعالى : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون . عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون » فبين سبحانه انه لو كان معه اله يشركه فى استحقاق العبادة لكان له خلق وملك وقهر وتدبير ، اذ لا يستحق العبادة الا من كان كذلك حتى يرجى خيره ويخشى بأسه ، ولو كان له خلق وتدبير وملك وتقدير لعلا على شريكه وقهره ان قوى على ذلك ليكون له الامر وحده ، ولذهب بخلقه ، وتفرد بملكه دون شريكه ، حتى يكون لديه من القوة والجبروت ما يفرض به سلطانه على الجميع ، فان من صفات الرب كمال العلو والكبرياء والقهر والجبروت .

وقد استخلص العلماء من ذلك دليلا سموه دليل التمانع ، فقالوا : لو أمكن أن يكون للعالم ربان يخلقان ويدبران أمره لأمكن أن يختلفا بأن يريد أحدهما وجود شىء ويريد الاخر عدمه ، أو يريد أحدهما حركة شىء ويريد الاخر سكونه ، وعند ذلك اما أن يحصل مراد كل منهما وهو محال لـــا يلزمه من اجتماع الضدين ، واما الا يحصل مراد كل منهما وهو محال لـــا يلزمه من رفع النقيضين وعجز كل منهما ، واما أن يحصل مراد واحد منهما دون الاخر ، فيكون الذى نفذ مراده هو الرب دون الاخر لعجزه ، والعاجز لا يصلح أن يكون ربا .

وهذا الخالق الواحد هو الاله الحق الذى يفرد بالعبادة ، قولا وقصـــدا وفعلا ، فلا ينذر الا له ، ولا تقرب القـــرابين الا اليه ، ولا يدعى فى السراء والضراء سواه ، وبهذا أرسل ، وجاءت الكتب ، ورفع علم الجهاد لتوحيد الله .

واذا ثبت فيما سبق توحيد الله تعالى فى ربوبيته خلقا وتدبيرا ، فان هذا هو الطريق الفطرى لتوحيده فى الوهيته عبادة وقصدا ، وبهذا احتج الله على المشركين « قل لمن الارض ومن فيهـــا ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله قل أفلا تذكرون ؟ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله قل أفلا تعقلون ؟ قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجـــار عليه ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله قل فأنى تسحرون ؟ » .

ومنهج القرآن فى ذلك مخاطبة الفطرة البشرية لالزامها بالحجة العقلية التى تدل دلالة صريحة على توحيد الله « أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض ؟ أاله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ؟ » .

وبهذا التوحيد يستقيم أمر الحياة الانسانية على الجادة . وتهتـدى فى شئونها الى سواء السبيل .

لقد ازدهرت الحركة العلمية فى ديار الغرب بالعصر الحديث ، واينعت واثمرت ، واستطاعت أن تصل الى بحوث عجيبة فى جوف الارض ، وفى أجواء الفضـــاء ، ووصلت الفنون والمبتكرات الى ما حقق للانسان الرفاهية والمتعة ، ولا تزال هذه الحركة العلمية فى تطور دائم ، تأتى كل يوم بجديد ، وتلد كل عجيب .

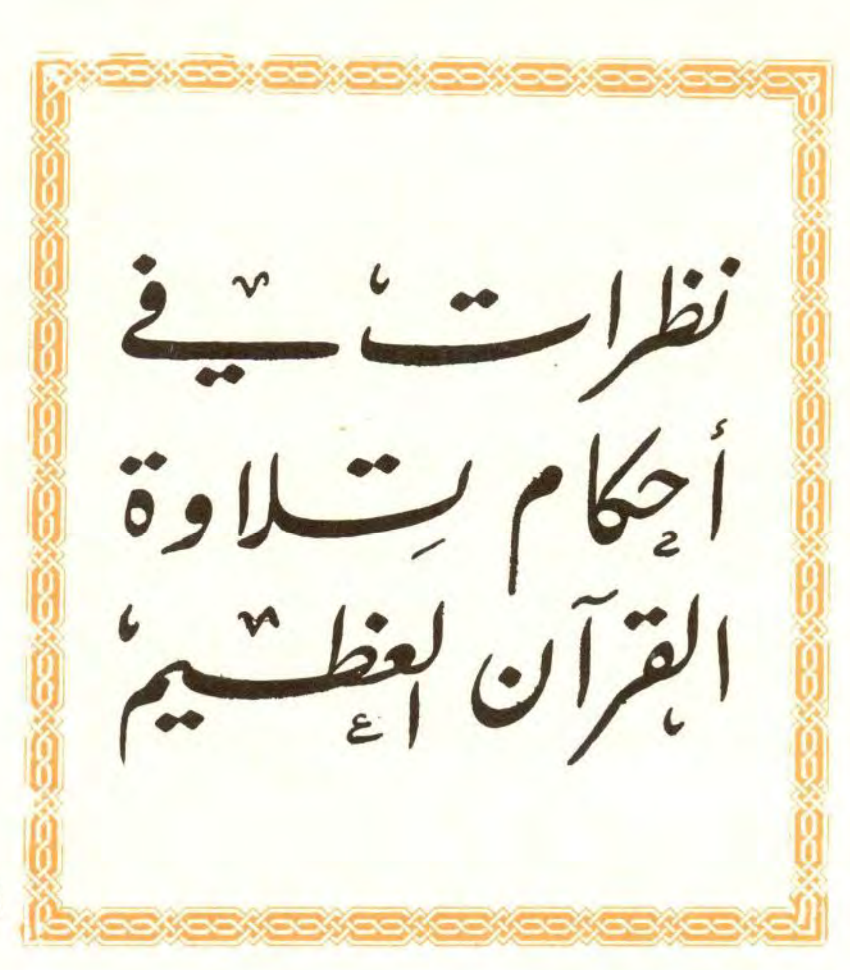
ولكن هذا العالم الحضارى المتقدم قد أظل الدنيا بوجوم رهيب ، وسحابة كئيبة ، حيث اقفرت النفس البشرية من كنزها الاصيل ، ورصيدها الهائل ، من القيم الانسانية والمثل العليا . وما عمرته يد الانسان باسم المدنية يوشك أن تخربه يد الانسان باسم العلم .

والايمان بالله وما يستتبعه هو سبيل النجاة من تلك المهالك . وهو الذى يحقق للانسانية سعادتها ، فالى هذا الايمان نوجه دعوتنا ، وعلى طريقه تسير القافلة التى تقود الانسانية الى الخير والبر والرشاد .

إزالة لبس

كنا قد نشرنا فى العدد ٥١ من المجلة كلمة عن مصحف فيه أخطاء وكانت الأذهان قد اتجهت الى المصحف الذى تقوم بطبعه دار اقتصاديات الشرق فى كولون بالمانيا وقد جاءنـــا بعد ذلك من الأخ الأستاذ / أحمد حمدى خياط المشرف على هذه الدار أن المصحف الــذى يطبعونه لم يتم طبعه حتى الآن ، ولم يوزع فى الأسواق وأنه يطبع على نسخة وافق عليها الأزهر ، كما وافقت هيئة اسلامية فى السعودية على المسودة وخلوها من أى خطأ أو زيادة أو نقصان أو تحريف . وأن هناك جهات أخرى فى ألمانيا غيره تطبع القرآن .

ونحن يسرنا أن ننشر هذا منوهين بجهود الأستاذ خياط فى الحقل العربى الاســـلامى بالمانيا ، ومنتظرين المصحف الذى يتولى طبعه داعين له بالتوفيق .



للشيخ : ابراهيم عطوة

تمهيد :

أولم يكن آية للناس ، ونعمة كبرى ما بقيت السموات والارض ، أن يتفضل الله تعالى بانزال هذا الكتاب المعجز الجامع لمصالح الدنيا والدين .. والغنى بتشريعه القوى المحكم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد . نعم انه لأعظم آية ومعجزة لأعظم نبى ولخير أمة أخرجت للناس « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » قال الله تعالى « أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » .

كلما تقدم الزمن وازدهرت العلوم والابحاث . ونبغ المخترعون والمكتشفون والمثقفون . واستقام التفكير السليم المنصف ، ظهر جلال القرآن وعظمته ، ومسايرته للحق الثابت ، وبلوغه الغاية فى الهداية . وأنارة العقول وامدادها بالمناهج القويمة والسعادة الحقيقية ، فى ميادين العبادات ، والمعاملات والاخلاق ، والفضائل والقوانين المدنية والاجتماعية والجنائية والتاريخ والقصص والمعاهدات والصلح والسلم والحرب والمواعظ وغير ذلك من المعارف الكثيرة الجمة والعلوم الهادية سواء السبيل . قال الله تعالى « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » .

ويطيب لنا أن نسوق اليك بعض ما أشار اليه القرآن الكريم من الحقائق العلمية . فقد لفت الانظار الى نظرية الضغط الجوى فى قوله تعالى « فمن يرد الله أن يهديه ، يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء » فجعل ضيق الصدر البالغ ملازما لمن يصاعد فى

السماء ويرتفع الى الطبقات العليا فى الجو . وهو ما يشير اليه التشبيه الذى فى الآية الكريمة .

ومن ذلك وصف البحار وظلماتها وما يعرض لأهلها وصفا محكما دقيقا لا يهتدى اليه من لم يخرج من جزيرة العرب ليركب البحار ويشاهد أهوالها فى قوله تعالى « أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها » . اللهم ان هذا التصوير البديع الصادق دليل على أن هذا الكتاب من عندك وليس لرسولك الا البلاغ .

ومن ذلك اشارته الى بصمات الأصابع واختلافها البالغ بحيث لا يشترك فيها اثنان على كثرة الملايين من البشر فى حين أن الأعضاء الأخرى كالكبد والكلية والطحال وغيرها لا يمكن تمييزها اذا اختلط عضو منها بأمثاله واتحدت الصفات المميزة وذلك فى قوله تعالى « بلى قادرين على أن نسوى بنانه » .

ومن هذه الكنوز والاسرار الكبيرة المنبعثة فى الذكر الحكيم يظهر مزيد فضل الله تعالى واحسانه مرة أخرى فى انزاله دستورا معجزا ليكون زاد البلغاء وقوت العلماء والقراء والمفكرين والمستنبطين فانه مائدة الله الكبرى ومأدبته ، دعا اليها عباده الصالحين كما دعاهم الى دار السلام .

القرآن هو رسائل الهيه ، يتحدث فيها الخالق الى خلقه ليخرجهم من الظلمات الى النور ، ويبلغهم فيها عهوده ومواثيقه ، وأوامره ونواهيه . ولو أنزله غير معجز فى أسلوبه وعلومه وتشريعه وحديثه عن الغيبيات وغير ذلك ، لما ازداد اهتمام الباحثين به . ولهذا كان الخير كله فى دوام تلاوته وحسن تدبره والاصغاء اليه . والأخذ عنه والاستمداد منه ، فانه حبل الله المتين ، وسراجه المنير . ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم . قال تعالى « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون » وقال تعالى « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب » . وقال عليه الصلاة والسلام « أهل القرآن أهل الله وخاصته » . وروى مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اقرءوا القرآن فانه يجىء يوم القيامة شفيعا لصاحبه » فما أعظم هذه الفوائد والمزايا الأخروية الى جانب الفوائد والمزايا الدنيوية .

وليس ما فى القرآن وتلاوته ، من جمال ونعيم روحى ، مقتصرا على القارىء وحده بل يشاركه فيه كل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . ورب مستمع أوعى من قارىء . وقد قيل : القارىء كالحالب والسامع كالشارب فقد أخرج البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود رضى الله عنه اقرأ : فقال يا رسول الله اقرأ وعليك أنزل ؟ فقال انى أحب أن أسمعه من غيرى . فقرأ من أول سورة النساء حتى بلغ الى قوله تعالى : « فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » فقال : حسبك .. فالتفت فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان .

ومما تلزم مراعاته فى التلاوة ، أن يسأل الله عز وجل الرحمة اذا مر بآية رحمة ، وأن يتعوذ من عذابه اذا مر بآية عذاب . يفعل ذلك القارىء والمستمع جميعا . وقد صار أمر الناس الى غير هذا لقلة اهتمامهم وتدبرهم ، وانما يعنيهم الاصوات الرخيمة ، والنغمات المصنوعة البغيضة ، فهم يقرأون

آيات الوعيد والترهيب بالوجه الذى يقرأون بـــه آيات الوعـــد والترغيب . والمستمعون على غرارهم يصيحون ويطربون فى كل ذلك ، وما هكذا يقرأ القرآن ويستمع له .

روى مسلم عن حذيفة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يمر بآية عذاب الا تعوذ ، ولا بآية رحمة الا سأل ، ولا بآيـــة تنزيه الا سبح ، وعلى القارىء ان يجلس للقراءة متواضعا خاشعا ، مستحضرا عظمة القرآن ، ومن أنزل القرآن تبارك وتعالى . وأن يتلوه بتؤدة وتمهل وبـــكاء ان استطاع ذلك ، ولا يقرأ بقراءة المرحين ، المغترين ، المستكبرين ، الذين يجعلونه متاعا ولهوا وموسيقى ، يتلهون بها ، ويصرفون وجوه الناس اليهم طلبا للشهرة وكسب المال من هذا الطريق المحرم . وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا » .

التغنى بالقرآن الكريم :

وقد اختلف العلماء فى جواز التغنى بالقرآن الكريم ، ولسنا بصدد تفصيل ذلك . وذكر أدلة الفريقين ، ولسنا بالصادين عن هذا الأمر ، حتى ندع القارىء فى حيرة . ولكن نبينه للناس فى اختصار واستيفاء .

الحق أن ما عليه كثير من القراء اليوم ، من التمطيط واضاعة صـــفات الحروف ، كالشدة والجهر فى الباء والدال وغير ذلك . واخراج الحروف من غير مخارجها . والسكت على الســـواكن . وتوليد حروف زائـــدة فى القرآن ، واضعاف بعض الحروف وقتلها قتـــلا ، وقيـــاس قراءة القـــرآن على القطع الموسيقية ، بادخال النغمات والاصوات ، الى غير ذلك من الاصوات الرقيقة المخنثة .. كل ذلك حرام واثم عظيم ، وهو من أقبح القبيح الذى يستنزل غضب الله ، وسخطه ومقته ولعنته على القارىء والمستمع الذى يعلم ذلك ويرضى عنه ، ولا يقوم من مجلس القراءة منكرا متبرئا ، ولو نظر من أجاز التغنى كالامام الشافعى الى هذا ، لم يتردد فى القول بتحريمه ، والانكار على فاعله ، لبشاعته وفظاعته ، وللاحاديث الواردة فيه . ولو نظر غيره من المانعين للتغنى بالقرآن الى الاحاديث الدالة على تزيين القرآن بالصوت لم يقولوا بتحريمه ، ونستطيع أن نلخص الموضوع فى كلمات :

الأولى : ترقيق الصـــوت بالقراءة وتحســـــينه مع الخشوع والخشـــية والتعظيم ، واعطاء الحروف حقها ومستحقها مستحب ومرغـــوب فيه شرعا . وهو من عمل فضلاء الصحابة ولا خلاف فيه لأحد .

الثانية : ما عليه كثير من القراء اليوم مما وصفناه آنفا من أكبر الكبائر .. ولا خلاف لأحد فى أنه حرام أشد التحريم .

الثالثة : القراءة ، مع اعطاء الحروف ما تستحقه ، فى أداء حســـن ، ونغمات فيها تطريب ، مختلف فيه ، وهذا النوع هو الذى أنكره ســـعيد بن المسيب على عمر بن عبد العزيز ، حين سمعه يصلى فى مسجد رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم ، وهو يومئذ أمير المدينة ، فخفف من صلاته ، وأخذ نعله وخرج ، ولم يتكلم بكلمة واحدة رضى الله تعالى عنهما ، ومعاذ الله أن يجيز الامام الشافعى ما عليه بعض القراء اليوم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصـــواتها واياكم ولحون أهل الفســـق والكبائر فانه ســـيجيىء أقوام من بعدى يرجعـــون القرآن ، ترجيع الغنـــاء

والرهبانية والنوح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم ، وقلوب من يعجبهم شأنهم » . روى صدره مالك فى الموطأ والنسائى فى سننه ، وروى باقيه البيهقى فى شعب الايمان ، والطبرانى فى الاوسط ، مع اختلاف فى الالفاظ ، كلهم عن حذيفة رضى الله عنه ، فما أعظم هذا الحديث وما أدله على صدق الرسول عليه الصلاة والسلام . فقد تحقق ما جاء به كما تحقق أمثاله من المغيبات التى أخبر عنها . وانا لله وانا اليه راجعون .

وقد ابتلينا بقراء جاوزوا حدود التجويد وأصوله بالزيادة فيها ، والنقص عنها ، واستحداث بدع دخيلة عليها ، فيفرطون فى المد ، ويتجاوزون مقداره ، ويشبعون الحركات حتى يتولد منها أحرف لم ينزل بها القرآن الكريم ، ويدغمون فى غير موضع الادغام ، ويقصرون المد الطبيعى ، أو يسقطونه ، ويقضون على الحرف الأول فى ابتداء القراءة وعلى الحرف الأخير عند الوقف .. فلا تسمع لهما صوتا .. ويقرأون بالترقيص ، والترعيد ، والتحزين ، ويرومون السكت على السواكن . ثم يندفعون فى عجلة وهرولة مع التطنين فى الغنات وترقيق المفخم ، لا سيما لفظ الجلالة المنصوص على تفخيمه ، وابدال حرف بحرف آخر أو اخفائه ، بحيث تنعدم صفاته .

ومن قبيح اعمالهم ، تخفيف الحرف المثقل ، وتحريك السواكن ، واسكان الحروف المتحركة ، مع التكسر ، واجتلاب الموسيقى ودراستها ، ليطبقوها فى تلاوة القرآن الكريم ، ولهذا حرموا بركات القرآن ، وبعدوا عن الوقار ، وسيما الصالحين . كما حرموا من الانتفاع به والاتعاظ بما فيه . ومثلهم فى ذلك المستمعون ، الذين جعلوا القرآن متاعا ولهوا ، يتلهون به . وما هكذا كان السلف .

روى أن رجلا قرأ فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرب ، فأنكر ذلك عليه القاسم بن محمد . وقال يقول الله تعالى « وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

وقال النووى فى زوائد الروضة : الصحيح أن الافراط على الوجه المذكور حرام ، يفسق به القارىء ، ويأثم به المستمع ، لأنه عدل به عن منهجه القويم . قال وهذا مراد الشافعى بالكراهة (انتهى) .

وقد كان السلف ينكرون على من فعل أقل من ذلك بمراحل ويأبونه كل الاباء .

روى الطبرانى فى معجمه الكبير بسند رجاله ثقات . أن ابن مسعود كان يقرىء فقرأ رجل « انما الصدقات للفقراء والمساكين » مرسلة أى مقصورة . فقال ابن مسعود ما هكذا اقرانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال كيف اقراها يا أبا عبد الرحمن . فقال اقراينها « انما الصدقات للفقراء والمساكين » فمدها . قال الامام ابن الجزرى هذا حديث جليل . ونص فى هذا الباب .

قواعد التجويد :

وقد اشتدت حاجتك بعد هذا البيان الى ذكر البراهين الدالة على أن تحسين الصوت بقراءة القرآن وتعمد تزيينه ، والتغنى به وابرازه ، فى صورة قوية مؤثرة ، تستولى على القلوب وتأخذ بالألباب ، مع الخشوع والتعظيم والتوقير ، واستحضار من انزله عز وجل ، ومع المحافظة على حسن الترتيل ، ورونق التلاوة ، وقواعد التجويد والقراءة ، من غير تفريط ولا افراط ، وأن هذا من عمل الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن سننه وسنة أصحابه والاعلام .

فقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » والصحيح فى معناه أن المراد بالغناء ، مد الصوت ، والجهر بالقراءة كما يعين على ذلك كلام علماء اللغة .

وروى أبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم وصححه وابن حبان من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « زينوا القرآن بأصواتكم » روى ابن ماجه عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان ينتظرها فأبطأت عليه فقال : ما حسبك ؟ قالت : يا رسول الله كنت أستمع قراءة رجل ، ما سمعت أحسن صوتا منه . فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع اليه طويلا . ثم رجع فقال هذا سالم مولى أبى حذيفة ، الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله .

وفى البخارى ومسلم من حديث أبى موسى ، أنه عليه الصلاة والسلام ، استمع الى قراءة أبى موسى . فقال لقد أوتى هذا من مزامير آل داود . وروى البخارى ومسلم عن جندب عبد الله البجلى رضى الله عنه « اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم . فاذا اختلفتم فقوموا عنه » وروى عبد الله الحاكم « لا يسمع القرآن من أحد أشهى ممن يخشى الله تعالى » .

ولقد سمعنا فى أيامنا هذه القرآن من قوم قرءوا ليالى وأياما لم يسأمهم الناس لخشوعهم وحسن أدائهم ، مع اظهار معانيه وأغراضه فى قراءتهم . وفى كتاب أسد الغابة لابن الأثير الذى حققه بعض العلماء وأشرف على تحقيقه الأستاذ / محمد صبيح جـ ١ . ص ١١٩ : عن أبى سعيد الخدرى عن أسيد بن حضير ــ وكان من أحسن الناس صوتا بالقرآن . قال : قرأت ليلة سورة البقرة وفرس لى مربوط ويحيى ابنى مضطجع قريب منى وهو غلام . فجالت الفرس . فقمت وليس لى هم الا ابنى . ثم قرأت ، فجالت الفرس . فقمت وليس لى هم الا ابنى . ثم قرأت فجالت الفرس فرفعت رأسى فاذا شيىء كهيئة الظلة فى مثل المصابيح مقبل من السماء فهالنى ، فسكت فلما أصبحت غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : اقرأ أبا يحيى . فقلت قد قرأت ، فجالت . فقمت ليس لى هم الا ابنى . فقال لى . اقرأ أبا يحيى . فقلت : قد قرأت فجالت الفرس فقال : اقرأ أبا يحيى فقلت : قد قرأت فرفعت رأسى فاذا كهيئة الظلة فيها المصابيح فهالنى ، فقال : تلك الملائكة دنوا لصوتك . ولو قرأت حتى تصبح لأصبح الناس ينظرون اليهم .

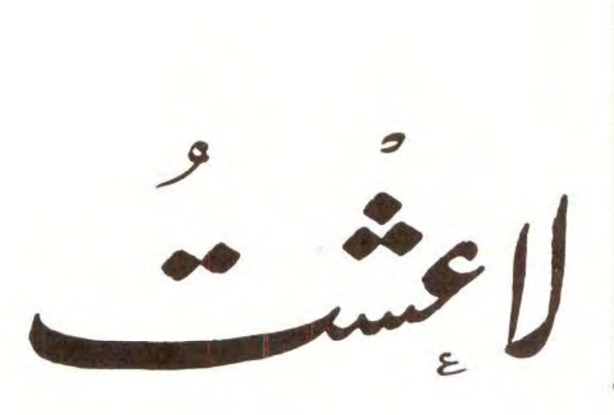
مراتب التلاوة :

ويستحب ترتيل القرآن أى قراءته قراءة مفسرة واضحة مبينة حرفا حرفا حتى لتكاد تعدها عدا . قال العلماء فى بيان معنى التحقيق ، وهو عند أهل هذا الفن عبارة عن اعطاء الحروف حقها ، من اشباع المد ، وتحقيق الهمز ، واتمام الحركات ، وتوفية الغنات ، وتفكيك الحروف ، وهو بيانها ، واخراج بعضها من بعض ، بالسكت والترسل والتؤدة ، والوقوف على الوقوف الجائزة والاتيان بالأظهار ، والادغام ، على وجه يستحسن ، ويستحب الأخذ به للمعلمين من غير أن يتجاوز فيه ، الى حد الافراط ، من تحريك السواكن وتوليد الحروف ، من اشباع الحركات ، وتكرير الراءات وتطنين النونات ، بالمبالغة فى الغنات الى غير ذلك مما تنفر عنه الطباع وتمجه القلوب والأسماع .

نقول وهذه المرتبة من القراءة كما تسمى بالتحقيق ، تسمى بالترتيل ، كما نص عليه المحققون وهو قول الأكثرين . وثوابها أجزل وأعظم . والأجر فيها أتم

« البقية ص ٦٧ »

في حريق المسجد الأقصى



تبت يد الجانى الذى أحرقه   وحطم المحراب والأروقه

قلب النبوات .. وفجر الهدى   ما أحمق السهم الذى مزقه

النار .. لم تعرف طريقا له   فكيف غالت فى الدجى رونقه

و (القبلة الأولى) .. التى وحدت   خلائق الأرض .. بلا تفرقه

من قبضة الآزال .. هالاتها   وأخير فى أيكتها المغدقه

أين حمامات .. بها رفرفت   بالأمن .. فى حرية مطلقه

ومادت الدنيا برجع الصدى   كأنه الصاعقة المطبقه

وكل قلب مفعم بالأسى   يكاد لفح النار أن يخنقه

(المسجد الأقصى) .. الذى باركت   أرجاءه .. عين به محدقه

عين الذى أسرى إليه دجى   بعبده .. فى ومضة مشرقه

أفضى اليه من أعاجيبه   وفض من أسرارها المغلقة

واتصل الخلق بخلاقة   فى (سدرة) للمنتهى مورقه

وعاد عبد الله فى لمحة   عبر الصحارى القفرة المحرقه

هنا التقى (عيسى) و (موسى) به   فى موكب .. سبحان من نسقه

(القدس) .. يا ويلاه .. عاثت به   سليلة الكفران والزندقه

غلقت الأبواب فى وجهنا   ولم تكن أبوابنا مغلقه

صبت على (الرحمة) أحقادها   مصهورة .. ضاقت بها البوتقه

بكى السلام السمح فى أرضنا   لكنه فك اليد الموثوقه

وانقض إعصار الضحى .. يفتدى   أقداسنا الكبرى .. وما أشوقه

خف الى الثأر أسود الشرى   وهم حماة الحق .. اهل الثقه

إن لم أنتقم

للأستاذ : محمد محمود زيتون

واهتز فى الاسلام روح الفدا … وكل جندى بنى خندقه
جريمة العصر .. وهل تمحى … إلا بمحو (الاعين الضيقه)

العدل .. لم يرضوا به زاجرا … والعقل .. لم يلتزموا منطقه
وترهات الإفك من دينهم … كالذيل .. فى توراتهم ملصقه
و (الهيكل) المزعوم .. من دلهم … عليه .. أو بعد البلى حققه
ما (لسليمان) – على ما ادعوا – … دعوى .. وكم دعوى لهم مسبقه
و (حائط المبكى) – لنا .. لا لهم … ان لم نكن أولى بأن نسحقه
وكم شكت (سيناء) .. من بغيهم … اذ أحرقوا (الدير) واستبرقه
ما أفدح الارزاء من عصبة … فى ذل الاستعمار مستغرقه

يا شيخ .. يا قسيس .. لا ذقتما … طعم الكرى .. و (القدس) فى بندقه
كونا على (صهيون) نارا .. ولا … يفتكما السندال والمطرقه
(بغداد) .. ريعت قبلهم بالأولى … ذاقوا لظى (دجلة) بالملعقه
و (عين جالوت) .. روى ماروى … عنها لنا التاريخ .. ما أصدقه
وتلك (حطين) .. التى سجلت … مجدا .. يكاد الدهر أن ينطقه
(القدس) فى الشرق .. شراع فما … حدابهم أن يحرقوا زورقه
و (الصخرة الشهباء) .. ما بالها … تهوى بأنفاس لنا محنقه
مشبوبة الآهات .. تشكو الى … رب .. بهذا البيت ما أرفقه
يا مسجدى الأقصى .. ويا قبلتى الأولى .. وروح الله فى المنطقه
لا عشت .. ان لم أنتقم .. ولتمت … أم .. على أولادها مشفقه
ولتبق (إسرائيل) .. فى غيها … حتى أراها فى غد مغرقه

رؤيا مكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

اما بعد فقد اطلعت على ورقة ذكر لى انها انتشرت فى كثير من بلدان المملكة مضمونها أن رجلا يدعى الحـــاج عبد اللطيف أو الحاج عبد الله مصطفى ، زعم أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام بمكة المكرمة ، وأوصاه أن يبلغ المسلمين بالتعاون والايمان وزعم أن من يقرأ تلك الورقة يجب عليه أن يكتبها ثمـــان مرات ثم يوزعها ، ومن لم يوزعها يصاب بمرض الدم ، ومن يوزعها يفرح فرحة كبيرة بعد عشرة ايام ، ودعا على نفسه ان كان كاذبا أن يموت على دين الكفر ، هذه خلاصتها .

ولواجب النصح للمسلمين ، وتكذيب المفترين رايت ان انبه الناس على أن هذه الرؤيا واشباهها من جملة المرائى المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتنزه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول ، أو يوصى بمثل ما ذكره هذا المفترى من الامر بكتابتها ثمان مرات أو أقل أو أكثر ، ويرتب على ذلك الثواب ، وعلى تركه العقاب ، فهذا من أبطل الباطل ، وقد أجمع علماء المسلمين على أن الانسان لو لم يكتب القرآن الكريم ، وهو أعظم الكلام وافضله لم يكن عليه بأس ، وهكذا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو لم يكتب شيئا منها لم يكن عليه بأس ، وكفاه ان يتعلم من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما لا يسعه جهله ، وبهذا يعلم كل مسلم له أدنى بصيرة أن هذه المرائى واشباهها من أكاذيب شياطين الانس والجن ، فالواجب تنبيه الناس عن الاغترار بمثل هذه المرائى الكاذبة ، والمشروع لمن وجدها أن يمزقها ، ويحـــذر الناس من الاغترار بها .

وأسأل الله أن يصلح احوال المسلمين ، ويمنحهم الفقه فى الدين ، وأن يكبت أعداء الاسلام وجميع المفترين ، وأن ينصر دينه ويخذل أعداءه انه سميع قريب وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

نائب رئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

« بقية ص ٦٧ »

لأن ذلك يعين على فهم القرآن وتدبر آياته والتلفظ به والانتفاع بما فيه من المواعظ والعلوم الكثيرة القيمة . والمقصود من التلاوة هو التدبر . قال تعالى « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب » ولحديث أم سلمة رضى الله تعالى عنها أنها نعتت قراءة النبى صلى الله عليه وسلم . فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا رواه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حسن صحيح .

والترتيل مطلوب حتى ممن لا يستطيع التدبر والاستنباط من القرآن الكريم . وذلك لما فى الترتيل من تعظيم القرآن ، وتوقيره والعناية به ، وأدائه كما أنزل الينا ولما يستدعيه من رياضة اللسان ، والاجتهاد والتدريب توصلا لاتقان التلاوة . قال تعالى « ورتل القرآن ترتيلا » . وقال علماؤنا رحمهم الله قال تعالى « ورتل القرآن ترتيلا » « ورتلناه ترتيلا » . روى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل » أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فقال « ورتل القرآن ترتيلا » . قال ان عباس بينه . وقال مجاهد تأن فيه . . وقال الضحاك أنبذه (أخرجه) حرفا حرفا كأن الله تعالى يقول تثبت فى قراءتك وتمهل فيها وافصل الحرف من الحرف الذى بعده .

ولم يقتصر سبحانه على الأمر بالفعل ، حتى أكده بالمصدر (ترتيلا ، اهتماما به وتعظيما له ليكون ذلك عونا على تدبر القرآن وتفهمه وكذلك كان صلى الله عليه وسلم يقرأ ، وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة حتى تكون أطول من أطول منها : ؟

« الثانية » من مراتب القراءة **التدوير** وهى تلى الترتيل من حيث الأجر والثواب وهو الاسراع بالقراءة مع اعطاء الحروف حقها ومستحقها طلبا لآخر السورة أو القدر الذى يراد قطع القراءة عنده .

« الثالثة » من مراتب القراءة **الحدر** ، وهو ادراج القراءة ، والاسراع فيها أكثر من الاسراع فى التدوير السابق ، مع اعطاء الحروف جميع ما تستحقه ، فتراعى أحكام التجويد ، من اظهار وادغام وقصر ومد ووقف ووصل وغير ذلك . والا كان القارىء مخطئا خارجا عن طباع العرب . ويجب أن يتجنب القارىء بالحدر ، بتر حروف المد وذهاب صوت الغنة ، واختلاس الحركات . وهذه المرتبة أقل الثلاثة أجرا ومثوبة . وان زادت بسببها القراءة . وهذا قول أكثر السلف والخلف وان قلت القراءة فى الترتيل ، لأن المقصود من القراءة فهم القرآن للعمل به .

سئل مجاهد عن رجلين قرأ أحدهما البقرة ، والآخر البقرة وآل عمران ، فى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد ، أيهما أفضل ، فقال الذى قرأ البقرة وحدها أفضل . ولكن نقول سئل مالك رضى الله عنه عن الحدر ، فى القرآن فقال : من الناس من اذا حدر كان أخف عليه . واذا رتل أخطأ ، والناس فى ذلك على ما يخف ، وذلك واسع .

وقد بقى شىء يقال له **الهذرمة** ، وهى الاسراع فى القراءة أكثر من الاسراع فى الحدر ، حتى يخطىء القارىء ويخالف أصول التلاوة . وما يجب التزامه فيها وهى حرام واثم كبير .

والله نسأل أن يرزقنا حسن النظر فيما يرضيه عنا ، وأن يلزم قلوبنا حفظ كتابه ، كما عملنا . وأن ينور بالقرآن أبصارنا ويطلق به ألسنتنا انه نعم المولى ونعم النصير .



« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » . **(قرآن كريم)**

ان الله عز وجل يملى للظالم ، فاذا أخذه لم يفلته ..
(حديث شريف)

شكوى

لقد كانت الامثال تضرب بيننا ، بجور (سدوم) وهو من أظلم البشر ، فلما بدت فى الكون آيات ظلمهم اذا (بسدوم) فى حكومته (عمر) .

حكمة امرأة

دخل أحد الامراء على أمه وهو يبكى بعد أن سقطت امارته فى يد الأعداء فقالت له أمه :
يا بنى ان الملك الذى يبكى عليه أصحابه لا يعود ، انما يعود الملك الذى يقاتل عنه أصحابه ..

دعاء

قيل لأعرابى : أتحسن أن تدعو ربك ؟
قال : نعم ، ثم قال : اللهم انك أعطيتنا الاسلام من غير أن نسألك ، فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك .

هذا الكلب

نزل يهودى على أعرابى ، فمات عنده ، فقام الأعرابى يصلى عليه ، فقال : اللهم انه ضعيف وحق الضعيف ما قد علمت ، فأمهلنا الى أن تقضى ذمامه (حق ضيافته) ثم شأنك وهذا الكلب .

نجم المغفل

قال منجم لرجل : ما نجمك ؟ قال : التيس . فضحك الحاضرون ، وقالوا : ليس فى النجوم والكواكب تيس . قال : بلى ، قد قيل وأنا صبى منذ عشرين سنة ، نجمك الجدى ، فلا شك أنه قد صار تيسا منذ ذلك الوقت .

إعداد : أبو نزار

حيلة محام

اتهـــم رجل بالسرقة ، فأراد المحامى أن يجر القاضى الى شرك يغريه بالوقوع فيه ، وتحـــذلق فى دفاعه متعمداً ، فقال : انكم تعاقبون رجلا كاملا يعمل بزراع واحدة هى التى جذبت الســـلعة من وراء القضبان .

قال القاضى : وهو يظن انه أوقع المحامى فى شركه : حسن نحن نحكم على الذراع بالسجن ستة أشهر ، ولينطلق صاحبها حيث يريد .

فخلع المتهم ذراعه المصنوعة وهم بالانصراف .

طابع بريد

ذهب فتى الى شـــباك البريد ، فوجد الموظفتين فى شـــاغل عنه بحديث طويل عن زى فســـتان السهرة الذى كانت تلبسه احداهما ، فطلب الفتى من احداهما أن تتفضل باعطائه طابعا قرمزى الوســـط ، وردى الحـــافة ، منقوش الأطراف والجوانب ، ومشـــغولا كله ولا يســـاوى مع هذا أكثر من ثلاثة فلوس .

واعظ أمريكى

كان بعض الوعـــاظ الامريـــكيين ينادى بحقوق الســـود فى بلد ليس فيه كثير من السود .. فقـــال له رئيسه : لم لا تذهب الى دوكنتكى حيث يقيم أصحابك ؟

القسط الأول

شـــاع بين الفتيات زى الملابس القصيرة التى تكشف السيقان والســـواعد ، وعاد أحد الازواج الى بيته ، فنظر الى امرأته التى كانت ترتدى أحد هذه الفســـاتين وتبدو كأنها عارية . فلمـــا رأت الزوجة علامة الدهشـــة عليه قالت له : أتدرى أنهم يبيعون الفساتين بالتقسيط على عشرة أقســـاط ، وقد انتهزت الفرصة ، واشتريت فســـتانا يوفر عليك سداد ثمنه الكبير دفعة واحدة .

فقال الزوج : أظن أن هذا هو القســـط الاول من الفستان .

اعتراف واعظ

سئل أبو بكر الواعظ وهو يخطب عن مسألة ، فقال : لا أدرى ، قيل له . ليس المنبر موضع جهل فقال : انما علوت بقدر علمى ، ولو علوت بقدر جهلى لبلغت السماء .

من أعلام

الإسلام

أسامة بن زيد

أصغر قائد في الإسلام

للأستاذ : حسين القباني

أسامة بن زيد :

أصغر قائد فى الإسلام ، رأى النبى صلى الله عليه وسلم أن يكرم ذكرى أبيه ، أبى أسامة ، زيد بن حارثة ، فعقد له — حين بلغ الثامنة عشرة من عمره — لواء الجيش المسير لقتال الروم ، ليؤدب الذين سخروا من دعوة الرسول ، واعتدوا على رسله ، وقتلوا أصحابه .

إذن من هو أبو أسامة ؟

من هو الرجل الذى كانت له هذه المكانة الرفيعة فى قلب الرسول حتى رأى أن يكرم ذكراه برفع ابنه الشاب الى مركز القيادة !

إنه زيد بن حارثة ، من أشراف العرب وأحرارهم ، ينتهى نسبه الى لؤى بن كعب .

وقد شاء القدر أن يقع أسيرا وهو فى مرحلة الطفولة ، إذ انقضت عصابة من بنى القين بن جسر على قافلة كانت فيها أم زيد « سعدى » فى طريقها لزيارة قومها بنى معن . وأسر زيد وبيع فى سوق عكاظ باربعمائة درهم ، وقد اشتراه حكيم من بنى خزام لعمته السيدة خديجة بنت خويلد . وقد ظل فى خدمة خديجة حتى تزوجت بالرسول صلى الله عليه وسلم فوهبت له زيدا ، وكان عندئذ فى الثامنة من عمره .

وكان والد زيد قد حزن على فقده حزنا شديدا ، فلما علم يوما ما بأنه عند رسول الله ، أسرع الى مكة ، وسأل عن الرسول ، ثم قدم عليه وهو فى المسجد .

وقال له :

ــ يا ابن عبد المطلب ، يا ابن سيد قومه ، أنتم حرم الله ، تفكون العانى وتطعمون الأسير . جئنا لك فى ولدنا عندك ، فأمنن علينا وأحسن فى فدائه .

فقال الرسول عليه الصلاة والسلام :
ــ وما ذاك ؟
ــ زيد بن حارثة .
فرد الرسول عليه الصلاة والسلام قائلا :

ــ أو غير ذلك ؟ ادعوه فخيروه ، فان اختاركم فهو لكم بغير فداء .. وان اختارنى فوالله ما أنا بالذى أختار .

فلما جاء زيد ، قال له الرسول مشيرا الى أبيه ومن معه من بنى قومه :
ــ أتعرف هؤلاء ؟
ــ قال زيد .
ــ نعم . هذا أبى ، وهذا عمى .
فقال له الرسول :
ــ فأنا من علمت . وقد رأيت صحبتى لك ، فاخترنى أو اخترهما .
فقال زيد :
ــ ما أنا بالذى أختار عليك أحدا ، أنت منى بمكان الأب والعم .
فقال أبوه :
ــ ويحك ؟ أتختار العبودية على الحرية .
فرد زيد قائلا :
ــ رأيت من هذا الرجل شيئا ما أنا بالذى اختار عليه أحدا .
فلما رأى الرسول هذا ، أخرجه الى الملأ وقال :
ــ اشهدوا أن زيدا ابنى يرثنى وأرثه .
وهنا انصرف والد زيد وقد طابت نفسه .

□ □ □

وقد كان زيد من اوائل المسلمين ، بل قيل انه رابع أربعة دخلوا الاسلام . وقد شهد غزوة بدر الكبرى ، وكان البشير الذى حمل الى أهل المدينة أنبــاء انتصار الاسلام على الكفر . وقد أراد الرســـول أن يعبر له عن مكانته فى نفسه ، فزوجه من حاضنته أم أيمن ، فأنجبت له أسامة ، وقد قالت عائشة : ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فى سرية الا أمره عليها .

هذه مكانة زيد من الرسول ؟ فهل من عجب أن تكون لابنه أسامة مكانة خاصة فى قلب الرسول ؟

لقد شاءت ارادة الله أن يقع زيد ، وهو طفل ، أسيرا ، وأن يباع ــ كما

بيع يوسف عليه السلام من قبل ــ الى السيدة خديجة ليكون بمثــابة الابن للرسول .

وهكذا أتيح لأسامة أن يشب فى كنف رسول الله ، وأن يظفر بحبه وحنانه حتى لقد قال الرسول عنه :

ــ ان أسامة بن زيد لأحب الناس الى ، وأنا أرجو أن يكون من صالحيكم فاستوصوا به خيرا .

وكان أسامة ، حين استشهد أبوه ، فى الخامسة عشرة من عمره . وما أن بلغ الثامنة عشرة ، حتى رأى الرسول ، تكريما لذكرى أبيه المجاهد ، أن يعقد له لواء الجيش المسير لقتال الروم .

ولكن مرض الرسول ، وانتقل الى جوار ربه ، وهنا رأى أسامة أن يترك للخليفة الجديد حرية اختيار أمير الجيش ، ولكن أبا بكر خليفة الرسول أبى إلا أن ينفذ رغبة النبى عليه الصلاة والسلام .

على أن هذا الوضع لم يكن يرضى بعض الصحابة فى حيــاة الرسول ، ومن بينهم عمر بن الخطاب ، لحداثة عهد أسامة بالحرب ، ولصغر سنه . ولكن الرسول غضب أشد الغضب حين علم بهذا الأمر ، وأوقف كلا عند حدوده ، إلا أنه ما أن مرض وانتقل الى جوار ربه حتى عــاد المعترضون الى الاعتراض ، وذهب عمر الى أبى بكر ، وأنهى اليــه رغبة المعترضين على إمرة أســامة للجيش ، وهنا وثب أبو بكر وأمسك بلحية عمر وقال له :

ــ ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب . استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرنى أن أنزعه ؟ لو خطفتنى الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فخرج عمر الى الملأ ، فقالوا له :

ــ ماذا صنعت ؟

قال :

ــ امضوا . . ثكلتكم أمهاتكم ما لقيت بسببكم من خليفة رسول الله .

□ □ □

وقد أراد أبو بكر أن يبــالغ فى تكريم أسامة وفــاء لذكرى رسول الله ، فخرج يشيع جيشه سائرا على قدميه ، وأسامة راكب ، فقال له أســامة :

ــ يا خليفة رسول الله . . لتركبن أو لانزلن .

فرد أبو بكر قائلا :

ــ والله لا نزلت ولا أركب . وما على أن أغبر قدمى ساعة فى سبيل الله .

ولعل الوصية التى أوصى بها أبو بكر أسامة فى شئون الحرب ، تعتبر أول دستور للقواعد والمبادىء الانسانية التى أخذت بها الدول المتحضرة بعد ذلك بعدة قرون . .

لقد قال أبو بكر لأسامة يوصيه يومذاك :

ــ لا تخونوا ولا تغدروا ، ولا تغلوا ولا تمثلوا ، ولاتـ قتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا أو تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب ، فاخفقوهم بالسيف خفقا . اندفعوا باسم الله .

□ □ □

غاب أسامة فى هذه الغزوة أربعين يوما عاد بعدها ظافرا مكللا بالنصر ، ولكنه وجـــد أبا بكر مشغولا فى حروب الردة الطـــاحنة ، فأسرع الى الوقوف بجانبه حتى استرد للاسلام هيبته ، وحتى أعادت انتصاراته البشر فى نفوس أهل المدينة بعد أن أحزنتهم حـــروب الردة ، فلا عجب بعد ذلك أن استخلفه أبو بكر على المدينة عند عودته اليها .

ولما ولى عمر بن الخطاب الخلافة ، أكرم من أكرمه رسول الله وخليفته ، ففرض لأسامة خمسة آلاف درهم ، وفرض لابنه « ابن عمر » عبد الله الفين ، ومن ثم قال عبد الله :

ــ فضلت على أسامة ؟ وقد شهدت ما لم يشهد ؟

فرد عليه عمر الخليفة العادل قائلا :

ــ ان أسامة كان أحب الى رسول الله منك ، وكان أبوه أحب الى رسول الله من أبيك .

□ □ □

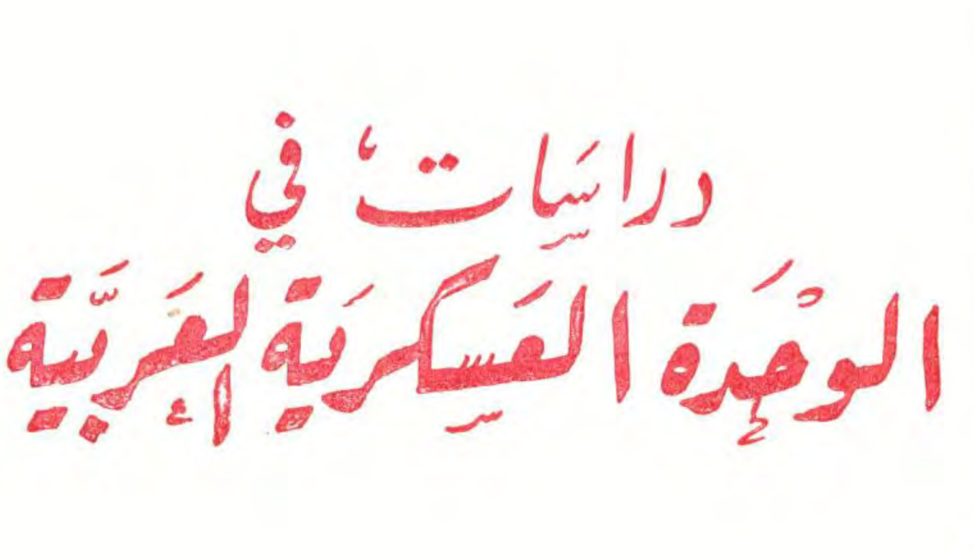
وحين آلت الخلافة الى عثمان بن عفان ، أكرم أسامة ، وقربه اليه ، وأولاه ثقته حتى اذا اضطربت الامور وبدت بوادر الفتنـــة التى انتهت بمقتل عثمان ، أرسله عثمان الى البصرة ، وأرسل محمـــد بن مسلمة الى الكوفة ، وعبد الله بن عمر الى الشام ، وعمار بن ياسر الى مصر ليبحثوا عن أسباب هذا الاضطراب ، ويقفوا على حقيقة الحال فى البلاد الاسلامية .

ولما قتل عثمان حزن عليه أسامة حزنا شديدا .. ولعل شدة حزنه هى التى جعلته يعتزل أمور السياسة ويمتنع عن البيعة لعلى بن أبى طالب ، ثم يرحل الى دمشق .

وعـــاش أسامة ، بعد عودته من دمشق الى المدينـــة ، حتى آخر أيام معاوية ، أى حتى سنة ثمان وخمسين ، وقيل تسع وخمسين هجرية ، وكان رضى الله عنه يحيط بالكثير من أحاديث رسول الله ، وقد روى عنه من الصحابة : أبو هريرة وعبد الله بن عبـــاس ، ومن كبار التـــابعين ، أبو عثمان النهدى وأبو وائل رضى الله عن الجميع ..

□ □ □





دراسات في الوحدة العسكرية العربية

للواء الركن : محمود شيت خطاب

عرض وتلخيص بقلم : سعيد زايد

يعد هذا الكتاب كتاب الساعة دون أدنى شك ، فهو يحتوى على دراسات مستفيضة فى القضية العربية بصفة عامة ، وفى الوحدة بصفة خاصة ، والوحدة العسكرية بوجه أخص . وتقرأ فى كل سطر من سطوره الرأى الحر والصراحة النادرة ، والاخلاص الذى لا تشوبه شائبة ، والوطنية المخلصة والقومية التى تنبع عن فهم عميق لقضية الوطن العربى .

صدره المؤلف بالاية الكريمة « ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » وأهداه : « الى القائد الذى يجاهد من أجل الوحدة ، ويوحد من أجل الجهاد ، فيستعيد القدس وفلسطين من اسرائيل بالوحدة والجهاد » .

ويقع الكتاب — عدا المقدمة والخاتمة — فى أحد عشر فصلا ضمنها الاستاذ اللواء ملاحق أربعة فى معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين الدول العربية « والقيادة السياسية والقيـادة العسكرية فى الجامعـة العربية » و « أسلوب عمل الجامعة العربية حلفا سياسيا عسكريا » و « ميثاق جامعة الدول العربية » وضمنها أيضا ثلاث خرائط عن البلاد العربية وعن فلسطين وعن المطامع الاسرائيلية التوسعية فى البلاد العربية . وختم الكتاب بفهارس دقيقة للأماكن والاعلام . ويذكر المؤلف فى المقدمة أن الوحدة بين العرب هى الحديث المحبب بين رجاله وشبابه فقد كانت حديثه مع زملائه حين كان تلميذا بالمتوسطة وحين كان طالبا فى الكلية العسكرية وحين أصبح ضابطا بالجيش العراقى .

فالوحدة هى الامل الذى ترفرف حوله مشاعر العرب أجمعين وهى النور الذى يضىء حياتهم فلماذا لم تتحقق اذن ؟ هكذا يتساءل المؤلف فى صراحة ويقول « . . والوحدة المسكينة أيضا كل العرب يريدونها ، فمن حال دون تحقيقها ؟ » .

يستعرض الاستاذ اللواء الوحدة العسكرية فى التاريخ العربى الاسلامى فيذكر أن الشعوب لا تستكمل قوتها الا اذا كانت موحدة الصفوف والاهداف فلم

يكن للدول العربية قبل أن يجيء الاسلام ويوحدها أثر فى التاريخ فلمـــا جاء الاسلام أكسب العرب قوة وعزة ومنعة وأصبحت كلمتهم مسموعة وأضحوا مهابين الجانب بقدر ما اتحدوا وتعاونوا وسارت هيبتهم فى خط متواز مع وحدتهم فان ضعفت هذه ضعفت تلك ، وان قويت هذه قويت تلك . والسبيل الامثل للقوة هى الوحدة العسكرية « فاذا لم يضع العرب الوحدة العسكرية فى حيز التنفيذ فورا فانهم بعد سنوات سيكونون اما لاجئين خارج بلادهم ، أو عبيدا فى بلادهم » .

ويفرق الاستاذ اللواء بين التعاون العسكرى وبين الوحدة العسكرية .. فالاول يخضع للظروف والملابسات فهو أمل يتحقق وقد لا يتحقق ، ورجاء قد يلبى وقد لا يلبى « أما الثانية فانها لا تخضع للظروف والملابسات ، فهى أمر وتنفيذ وهى واجب وفرض » فلو نظرنا الى الحرب بين العرب واسرائيل فى سنوات ١٩٤٨ ــ ١٩٥٦ ــ ١٩٦٧ نجد أن الوحدة العسكرية بين العرب أمر لا بد منه . فقد كان من أهم أسباب اندحار الجيوش العربيـــة هو عدم وجود وحدة عسكرية وبالرغم من أن الاستاذ اللواء لا يرضى بديلا عن الوحدة العسكرية فانه يرى أن جامعة الدول العربية « بأجهزتها الراهنة لا يمكن أن تنهض بالوحدة العسكرية أو التعاون العسكرى » ويرى ضرورة تعيين أمين عام للجـــامعة العربية من العسكريين ذوى الكفاءة العسكرية العالية والماضى المجيد .

ويتفق الاستاذ اللواء مع الرأى الغالب على أن اندحار العرب سنة ١٩٦٧ هو اندحار عسكرى قبل كل شيء ويعجب للاجتماعات والمؤتمرات العربية التى عقدت فى شتى المجالات وفى مختلف البقاع ، ولم يكن بينها مؤتمر عســـكرى واحد تتدارس فيه أسباب النكسة . ويدعو سيادته الى عقد هذا المؤتمر على النطاق العربى « على أن يكون أعضاؤه على مستوى الاحداث علمـــا وكفاية وتجربة وخلقا كريما .. وليس من الضرورى أن يقتصر المؤتمر على العسكريين الرسميين بل لا بد من أن يشمل اللامعين من العسكريين ــ خاصة الذين شهدوا حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ والذين هم خارج الخدمة العســـكرية فى الوقت الحاضر » .

ويدعو الاستاذ اللواء الى القصد من الكلام والاهتمام بالعمل وينتقد بعنف الشعر الذى يدعو الى الميوعة والاغانى الخليعة . ويرى أن حشد الطاقات المادية والمعنوية للعرب كلهم مهم لمجابهة اسرائيل وأهم منه هو تنظيم هـــذه الطاقات تنظيما دقيقا فالهزيمة التى لحقت بالعرب فى حرب يونيه ترجع الى عدم تنظيمهم لطاقاتهم المادية والمعنوية للاغراض الحربيـــة ولا يتـــأتى التنظيم الا بالوحدة العسكرية والوحدة تعنى : توحيد القيادة ، وتوحيد التدريب ، وتوحيد التسليح وتوحيد التنظيم وتوحيد التجهيز ورفع المعنويات وتوحيد الجهود وتوحيد ساحة القتال . كل هذا فى النطاق الداخلى . أما فى النطاق الخارجى فانهـــا تقف مانعا ضد مطامع العدو وتعيد للعرب حقوقهم فى الارض المقدسة .

ومن أسف فقد بدأ التشكيك فيها من يوم مولدها ، تشكيك من العدو ومن يقفون وراءه وامتد أثره لسوء الحظ الى العرب ليرددوا « دســـائس أعدائهم بسذاجة تقطع نياط القلب » والتشكيك نوع من الحرب النفسية ، بل هو من أهم وسائلها تلجأ اليه اسرائيل ويلجأ اليه أعداء العرب ليحطموا معنـــويات العرب .

والقيادة العربية الموحدة من يوم مولدها سنة ١٩٦٤ حتى تجميدها فى أوائل عام ١٩٦٧ قد حققت ــ كما يذكر الاستاذ اللواء ــ أعمالا مجيدة منهـــا

السرى ومنها غير السرى . ويوم أن تذاع الاسرار سيعلم المواطنون العرب أن أى حدث عظيم فى تاريخهم هذا الذى سمى بالقيادة العربية الموحدة . أما الاعمال غير السرية فهى وضعها لائحة تسير بمقتضاها فى تنفيذ واجباتها وانشاؤها لجهاز عسكرى متكامل يضم خبرة العسكريين فى كل الدول العربية ، وتدعيم الاتصال بينها وبين جميع الجيوش العربية ، وتعيين القوات العربية الخاضعة لامرتها ، ودراسة مسارح العمليات المحيطة باسرائيل لنجاح التعاون عند نشوب الحرب وتنظيم حماية الاعمال والاجراءات التى تجريها الاجهزة الفنية للجامعة العربية مثل تحويل مياه روافد الاردن ودراسة خطط الجيوش العربية والتنسيق بينها ، والعمل على تحقيق الاتصال الشخصى بين ضباط جيوش الدول العربية ، واصدار توجيهات وتعليمات تدريبية للقوات العربية التى تخضع لامرتها وغير ذلك من أعمال . وهى أعمال عظيمة اذا قيست بالفترة التى عملت فيها القيادة ، وهى تزيد عن عام ونصف عام وان كانت الامور خلال هذه الفترة لم تجر كما تشتهى القيادة العربية الموحدة وذلك راجع لتعارض الاجراءات العسكرية والدستورية وتعارض الموقف الداخلى لقسم من الدول العربية مع متطلبات الخطة العسكرية الموضوعة من القيادة العربية الموحدة وعدم ثقة بعض الدول العربية فيها ، وعدم اعطاء الاسبقية للنواحى السياسية عند البت فى الامور والقرارات التى تصدر من القيادة فمن الواجب لكى تستطيع القيادة العربية النهوض بواجباتها فى السلم والحرب أن توضع الوحدة العسكرية فى حيز التنفيذ وأن تدعم ماديا ومعنويا وأن يعاد تنظيمها كما ينبغى . ويرى الاستاذ اللواء أن الناحية العسكرية لا تكفى وحدها لجعل القيادة العربية ذات أثر وتأثير فمن الضرورى أن تكون هناك وحدة سياسية تسأل أمامها القيادة الموحدة ولكن كيف السبيل ؟ قبل أن نبين ذلك نذكر عبارة قالها أنتونى ناتنك : ان زعماء وزارة الخارجية الاسرائيلية قالوا له : ان حكومتهم ستلجأ الى كل وسيلة ممكنة من أجل ابقاء جيرانها العرب ممزقين » وعبارة قالها المؤرخ البريطانى توينبى « ان القضية الفلسطينية لن تحل حلا نهائيا الا اذا اتحد العرب » ويظهر من ذلك أن اسرائيل تهدف دائما الى تفرق كلمة العرب واختلافهم عسكريا وسياسيا . ويستعرض الاستاذ اللواء — فى هذا السبيل — تاريخ انشاء الجامعة العربية فيذكر أن بروتوكول الاسكندرية الذى صدر فى مايو سنة ١٩٤٣ ذكر أن فلسطين بلد عربى وأن ميثاق الجامعة الذى أعلن ميلادها فى مايو سنة ١٩٤٥ لم يرد فيه ما ينص على التعاون العسكرى صراحة ولذا لم تنص مواده على تأليف لجنة خاصة بالتعاون العسكرى . ولقد وضح أثر هذا النقص فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ مما اضطر الدول العربية الى توقيع معاهدة الدفاع المشترك والى عقد معاهدات عسكرية ثنائية وثلاثية ومن أسف فان هذه المعاهدات لم تؤد الغرض المطلوب ، وأضحى من الواجب « تعديل ميثاق الجامعة العربية ليكون أساسا للوحدة العسكرية العربية والوحدة السياسية فى آن واحد أو تحوير الجامعة العربية لتكون حلفا عسكريا سياسيا للعرب » صحيح أن هناك تناقضات تظهر بين الدول العربية ، اذا نحن تركناها للزمن كى يحلها فانه من الممكن أن توجد الان نقطة التقاء للعرب وهى قضية فلسطين التى لا يختلف فيها عربى واحد أو مسلم واحد .

ويرى الاستاذ اللواء أن عامل الوقت يصبح مع العرب ضد اسرائيل اذا وجد العرب طريقهم السوى وساروا عليه وقد يصبح مع اسرائيل ضد العرب اذا بقى العرب سادرين فى غيهم يغطون فى نومهم فلا بد للعرب من مسابقة

الزمن وحشد طاقاتهم وفق تخطيط دقيق تنهض به قيادة عربيـــة موحدة على رأسها قيادة سياسية رصينة ، تضع كل مصلحة قطرية ضيقة تحت أقدامهـــا وتنسى كل ما مضى من دواعى التناحر والفرقة من أجل تحقيق الوحدة العسكرية العربية ومن أجل استعادة الحق العربى فى الارض المقدسة . . ذلك هو الطريق السوى لانتصار العرب على اسرائيل » .

ويرى الاستاذ اللواء انشاء قيادة سياسية تتعاون مع القيادة العربيـــة الموحدة حتى تنبثق الوحدة العسكرية الشاملة ويدعو سيادته مفكرى العرب الى اقتراح صيغة لهذه الوحدة تتفق والظروف الراهنة للعرب وأوضاعهم السياسية القائمة ويشارك هو فى هذا الفكر فيقترح تحوير الجامعة العربية لتكون حلفا عسكريا سياسيا للعرب . ويدعو الاستاذ اللواء — بحرارة واخلاص — الى تقوية الروح المعنوية للشعب والجيش ومن عوامل هذه التقوية أن تكون هناك عقيدة يشعر المرء بأنه يدافع عنها ويضحى فى سبيلها وهذه العقيدة يجب أن تكون واحدة للجيش والشعب وليس أعز من الاسلام عقيدة بالنسبة للعرب وأن تكون هنـــاك قيادة فى جميع ميـــادين الحياة عســـكرية وسياسية وصـــناعية واقتصادية وفكرية وعائلية وأن يكون هناك نصر ليس فى ميدان الحرب فقط بل فى ميدان العلم وميدان العمل وكل ميدان حيوى « وللنصر تكاليف أولها التخطيط الدقيق المتكامل والعمل الدائب المخلص لوضع ذلك التخطيط فى حيز التنفيذ ، وما أشد تأثير الوحدة العسكرية فى رفع الروح المعنوية فانها قوة لا شك فيها قوة تؤدى الى النصر بحشد قواها » ، فان العرب كانوا متفوقين عسكريا على اسرائيل قبل حرب عام ١٩٦٧ ولا يزالون متفوقين على اسرائيل حتى اليوم ولكن هذا التفوق العسكرى بدون وحدة عسكرية وبدون قيادة عربية فعالة ، تبقى موزعة هنا وهناك بينما النصر يقتضى حشدها لتكون قوة ضخمة ضاربة والا فان وجودها وعدمه سيان ويجب أن تؤثر الوحدة فى مجال الانتاج الحربى فتعمل على انتاج السلاح العربى فى المصانع الحربية وبالايدى العربية وبذلك تحل مشكلة السلاح حلا جذريا وتعمل الوحدة أيضا على التقدم العلمى فيساهم العرب دولا وأفرادا فى مجال البحوث العلمية التطبيقية حتى يأخذوا المبادأة العلمية من العدو .

ويختم الاستاذ اللواء كتابه القيم بنفثة حارة يخاطب فيها قلوب العـــرب والمسلمين وعقولهم نفثة يطرق فيها أبواب اخلاصهم لدينهم ويحثهم على العمل من أجل الله الذى هداهم وشرح قلوبهم للايمان فيذكر أن العرب يبلغون مائة مليون نسمة ففى مقدورهم حشـــد عشرة ملايين مقـــاتل لحرب اسرائيل وأن المسلمين يبلغون سبعمائة مليون نسمة ففى استطاعتهم حشد سبعين مليون مقـــاتل لحرب اسرائيل . يا لله . . أين يكون يهود العالم كله ولو اجتمعوا على قلب رجل واحد أمام هذا العدد الهائل من جيش المؤمنين ؟ وهل كان يهـــود يفكرون فى انشاء وطن لهم فى فلسطين لو علموا أن العرب والمسلمين عنـــد مسئولياتهم دفاعا عن حقوقهم وجهادا بالاموال والانفس فى سبيل الله ؟ ان شريعة الغاب التى لا يزال العالم يسير عليها تؤيد القوى وتستمع لكلمته وتخذل الضعيف وتهزأ من قوله وليس من سبيل لبيان قوة العرب الا الوحدة العسكرية التى تحشد طاقاتهم المادية والمعنوية وصدق الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام حين قال « اثنـــان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين ويد الله مع الجماعة » .



الشخصيات	
	× جابر بن عبد الله ..
	× زيد بن ثابت ..
	× سعد بن معاذ ..
	× سلمان الفارسى ..
	× بلال بن رباح ..

المنظر الاول

نفر من المسلمين من بينهم جابر بن عبد الله وزيد بن ثابت وسعد بن معاذ يجلسون أمام مسجد النبى بالمدينة يتحدثون باهتمام بالغ .

جابر — علمت ياقوم ان نفرا من يهود بنى النضير انطلقوا الى قبائل غطفــان وبنى مرة وبنى فزاره واشجع وسليم وأسد ليؤلبوهم على المسلمين .. ويحرضوهــم على قتالنا والاخذ بالثار ... ويعدوهم بالنصر لا محالة ...

زيد — وذهب نفر من أكابرهم .. وعلى رأسهم حيى بن أحطب وسلام بن أبى الحقيق الى قريش يدعونها الى حربنا .. وقد عاهدوا قريشا على ان يقفوا الى جانبهــــم حتى يستأصلوا شأفة المسلمين .. ويطفئوا نور الله ..

سعد — أما أنا فقد علمت ان قريشا سألت وفد بنى النضير . وأين بنى عمومتكم قريظه ؟ .. قالوا انهم يقيمون بالمدينة مــكرا بمحمد ينتظرونكم .. فيميلون معكم .. ويطعنوهم من الخلف ..

جابر — (فى غيظ) لقد بلغ الحقد والافتراء بهؤلاء اليهود حدا ، انه عندما سألتهم قريش : يا معشر يهود انتم أهل الكتاب الاول والعلم .. بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد .. أفديننا خير أم دينه ؟ .. قالوا بل دينكم خير من دينه .. وانتم أولى بالحق منه .. وقد علم رسول الله بذلك .. فاحمر وجهه غيظا .. ثم غفا اغفاءة قصيرة .. ولما أفاق تلا علينا .. ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ... يؤمنون بالجبت والطاغوت .. ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا .. أولئك الذين لعنهم الله .. ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا .

زيد — ترى هل استجابت قريش الى تحريض يهود ؟

جابر — لقد خرجت وحلفاؤهــــا من قبائل

مسرحية اسلامية من وحي القرآن

للأستاذ : عبدالحميد غرابة

غطفان وبنى مرة وبنى فزاره فى عشرة ألاف فارس تحت أمرة ابى سفيان .. وانهم فــى الطريق الينا ..

زيد ــ يا لله .. انه جيش لم تر الجزيرة العربية مثله ..

سعد ــ هل لنا قبل بمقاتلة هاته الالوف المؤلفة من رجال وخيل وأبل وأسلحة وذخيرة ؟

جابر ــ هذا ما تحدث به من كــانوا فى مجلس رسول الله .

زيد ــ وما كان رأى النبى ؟

جابر ــ قال : « ايها الناس اشيروا على .. ان العرب ترمينا عن قوس واحدة » فأشار أبو بكر بتحصين المدينة ... فعارضه عمر بن الخطاب لان التحصين وحده لا يكفى أمام هذه القوة الساحقة ..

سعد ــ كأنى برسول الله وصــحابته لم ينتهوا الى رأى ؟

جابر ــ أشار سلمان الفارسى على رسول الله احتفار خندق حول المدينة ...

زيد ــ (مندهشــــا) احتفار خندق حول المدينة .. انه عمل لم تعرفه بلاد العرب من قبل

جابر ــ لقد ساورت الدهشة أبابكر وابن الخطاب مما أشار به سلمان الفارسى فقال لهما : كنا معشر أهل فارس اذا دهمنا عدو حفرنا خندقا حولنا ..

سعد ــ (متسائلا فى لهفة) رسول الله وافق على ما أشار به سلمان ؟

جابر ــ اطرق رأسه هنيهة يفكر ... ثم رفعها وقال « نعم الرأى يا سلمان » اضربوا . خندقا حول المدينة .. ثم قام رسول الله .. وتبعه من كان معه ... وانطلقوا خارج المدينة ليحددوا مكان الخندق ...

زيد ــ (مشيرا الى من حوله) هيا يا قوم نأتى بالمكائل والفؤوس ونلحق برسول الله ... ... (ينصرف الجميع)

المنظر الثانى

(المسلمون يحفرون فى الخندق وقد تصببت جباههم بالعرق .. وبدت عليهم امارات الجهد والتعب ، الا انهم لا يكفون عن العمل .. ويرددون فيما بينهم هذا النشيد بصوت يملأ الفضاء)

اللهم لولا أنت مـــا اهتدينـــــا ...
ولا تصــــدقنا ... ولا صـــلينا ...
فانزلن ســــكينته علينـــــا ...
وثبت الاقـــدام ان لاقينـــــا ...
والمشركــون قــد بغو علينـــــا ...
وان ارادوا فتنـــة أبينـــــا ...

جابر — ما كان للنبى ان يجهد نفسه بالحفر كل هذا الجهد .. ويعفر ثيابه بحمل التراب ... ويدمى يديه بنقل الحجارة والصخور ..

سلمان — وما فى هذا يا جابر بن عبد الله؟

جابر — كنت أحب ان لو اكتفى بتوجيهنا .. وارشادنا .. وتشجيعنا ..

سلمان — انه يرى نفسه واحدا منا ثم هو يريد ان يرغبنا فى العمل والتفانى فيه .. الفأس ، لقد صادفتنى صخرة عاتيه .. حاولت ان اقتلعها فاستعصت على .. وكانت تتحطم فى يدى .

زيد — وماذا عليك لو تركتها مكانها ؟

جابر — (مرددا فى تعجب) اتركها فى مكانها .. كيف تشير بذلك يا زيد بن ثابت ؟ .. لو تركتها كما تقول لاتخذها الكفار معبرا يعبرون الينا من فوقها ..

زيد — هيه ... وماذا صنعت ؟ ..

جابر — استنجدت برسول الله .. فطلب منى بعض الماء .. فجئته به .. فصبه فوق الصخرة وهو يدعو الله .. ثم أشـــــار بيده الى الصخرة وقال على بركة الله يا جابر ... وما ان انهلت عليها بفأسى حتى تفتتت الصخرة بسهولة .. فلم اتمالك نفسى .. وصحت الله أكبر .. الله أكبر ..

سلمان — لقد اعترضتنى مثل هذه الصخرة .. ولما استنجدت برســـــول الله أخذ منى المعول .. وضربها ثــلاث ضربات وهو يردد باسم الله .. وكان بعد كل ضربة .. المح تحت المعول برقة ... .. وقد تفتت الصخرة كأنها كثيب من الرمل ..

زيد — (مرددا فى تعجب) تقول كنت ترى برقة كلما ضرب رسول الله الصخرة بالمعول .. ترى ما سر هذه البرقة ؟ .

سلمان — لم تفتنى هذه الظاهرة .. فتقدمت من النبى وقلت له : بأبى أنت وأمى يا رسول الله .. ما هذا الذى رأيته يلمع تحت المعول؟ وأنت تضرب ضرباتك الثلاث ؟

جابر — وما كان جواب النبى ؟

سلمان — تبسم فى وجهى وقـــال : أوقد رأيت ذلك يا سلمان ؟ قلت بلى يا رسول الله .. فقال أما الاولى فان الله فتح على بهـــا اليمن .. وأما الثانية فان الله فتح على بها الشام والمغرب .. وأما الثالثة فان الله فتح على بها المشرق ..

جابر وزيد — (يهللان معــــا) الله ... الله أكبر ..

أنصارى — (يصيح) يا أهل الخندق .. يا أهل الخندق .. رسول الله يدعوكم الى وضع الاحجار والصخور التى تنتزعونها عند ناحية المدينة .. لتكون سلاحا نرمى به العدو عند الحاجة ..

المسلمون — يلقون بالحجارة والصخور حيث أمر النبى بينما ينشدون ..

اللهم لولا أنت ما اهتدينـــــا ...
ولا تصدقنـــا .. ولا صـــلينا ...
.... الـــخ ..

سلمان — الحمد لله لقد انتهينا من حفر الخندق .. ما كنت أحسب اننا سننتهى منه فى مثل هذا الوقت القصير ..

جابر — اذا اخلص المرء .. وتفانى فـــى عمله .. انتهى منه من أقصر وقت..

سلمان — (فى تأكيد وايمان) لن تستطيع جحافل الشر .. بلغت مابلغت من القوة والكثرة والعتاد ان تعبر هذا الخندق ..

جابر زيد — (يرفعان ايديهما الى السماء) اللهم رد كيدهم .. وشتت شملهم .. اللهم نصرك

المنظر الثالث

(جيوش الاحزاب ترابط على حافة الخندق تجاه المســــلمين .. وبين الحين والحين يتراشقون بالسهام والنبال) .

زيد — الى متى يظل الحصار يا جابر بن عبد الله ؟

جابر هاهى عشرون ليلة مرت بنا يا زيد بن حارثة .. وهم قبالتنا لا يبرحون أماكنهم حتى كدنا نهلك من البرد ...

زيد — والله ان الكفار كأمواج البحر .. ولولا هذا الخندق لاكتسحوا المدينة .. وضربوا ديارنا وهتكوا اعراضنا ..

جابر — أمر الكفار ميسور .. لكن المصيبة فى يهود بنى قريظه ..

زيد — ما الذى تعنيه يا جابر ؟

جابر — علمت من أمرهـــم مــا لو علمه المسلمون لفت فى عقدهم ..

زيد — (مندهشا) كيف ؟ .. وقد وادع سيدهم كعب ابن أسد رسول الله .. وعاهده على الا يطعننا من الخلف .. وان يكون أمينا على ما تركناه فى المدينة من أموالنا ونسائنا وأطفالنا وان يمدونا بالطعام والماء ..

جابر — جاءنى من أنبأنى ان حيى بن أحطب استطاع ان يتسلل الى حصون بنى قريظه .. .. ويلتقى بكعب .. وراح يحرضه على نقض ما عاهد عليه محمدا ... وقد تردد كعب وقال لابن أحطب : ما رأينا من محمد الا صدقا ووفاء .. وانى لاخشى على قومى من مغبة الغدر به ...

زيد — ليت رسول الله استأصل شأفـــة بنى النضير بدلا من ان يتركهم يرتحلون موقورين .. ها هو حيى يؤلب حلفاءنا بنى قريظه ..

جابر — لم ييأس هذا اللعين من تردد كعب .. وأخذ يوسوس فى أذنه .. ويذكره بمـــا أصاب يهود بنى قينقاع وبنى النضير .. وما يوشك ان يصيبه اذا لم تنجح الاحزاب فى القضاء على محمد ..

زيد — (ملوحا بيديه ومتوعدا) تبا لهذه الحية الرقطاء ..

جابر — واستطاع ابن أحطب ان يوغر صدر سيد بنى قريظه بعد ان وصف له قوة جيش الاحزاب وعدتها وعددها .. وانه لم يمنعها غير الخندق من ان تمحوا فى سويعة المســـلمين محوا .

زيد — والله لن ينالوا مناشيئا ..

جابر — وامام هذا التحريض .. لان كعب .. وتحركت فيه يهوديته .. فسأل ابن أحطب: ما يكون الحال اذا ارتدت الاحـــزاب ؟ .. فاعطاه حيى موثقا ان رجعت .. ولم يصيبوا محمدا دخل معه فى حصنه .. وشاركه فى حظه ..

زيد — ورسول الله ... هل علم بما كان من أمر يهود بنى قريظة ؟ ..

جابر — أمر سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة ان ينطلقوا الى المدينة ليتبينوا الامر .. فان وجدوه حقا كتموا الامر حتى لا يفت ذلك فى عضد المسلمين .. وان وجدوه كذبا جهروا به للناس ..

زيد — ها هو سلمان الفارسى يقدم ناحيتنا عله يحمل انباء سارة .

سلمان — (يتقدم ناحيتهما ويحييهما فيردان تحيته) .

زيد — ما وراءك من أنباء يا سلمان .

سلمان — (فى ضيق وألم ايه .. أنباء .. انباء .. وانباء .. ليس فيها مـــا يسر الخاطر .. ويشرح الفؤاد .

زيد جابر — (معا فى لهفة) بالله حدثنا ما تكون ؟

سلمان — تقدم معتب بن مسار من النبى وقال له : يارسول الله لقد وعدتنا ان نأخذ كنوز كسرى وقيصر .. وها نحن اليوم لا يأمن أحدنا نفسه اذا انكشف للعدو .. رموه بالنبل والحجارة .. فطلب منه رسول الله ان يصبر ... ثم ...

زيد — (مقاطعا فى عجاله) ثم ماذا ؟

سلمان — تقدم أوسى بن قيظى ومعه نفر من قومه بنى حارثة الى رسول الله وقال : ان بيوتنا عورة من العدو .. فاذن لى ولقومى أن نرجع .. فان بيوتنـــــا خارج المدينـــة ولن يتورع العدو عن هدمها على من فيها ..

زيد — وما كان جواب النبى ؟

سلمان — قال : هذا شأنك يا أوسى بن قيظى .. .. فعاد أوسى وقومه الى المدينة .. و ..

جابر — (مقاطعا فى غيظ) يا للقوم الجبناء

سلمان — (مكمـــلا حديثه دون ان يلتفت للمقاطعة) بدت على وجه النبى علامات الضيق والالم وهو يرى بنى حارثة ينسلخون عن الجبهة

ويرحلون عن المدينة .. ثم غفا اغفاءة قصيرة لم يلبث بعدها ان تلا علينا « اذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم .. واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر .. وتظنون بالله الظنونا .. هنالك ابتلى المؤمنون .. وزلزلوا زلزالا شديدا .. واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض .. ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا .. واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى .. يقولون ان بيوتنا عورة .. وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا ..

المنظر الرابع

(نفس المنظر السابق .. نفر من المسلمين يقفون على حافة الخندق يرقبون تحركات العدو)

جابر — (يشير ناحية العدو) انهم يعظمون نيرانهم .. ويرفعون أصواتهم مبالغة فى تخويفنا . وبث الذعر فينا ..

زيد — (فى عزم وايمان) والله لن ترهبنا أفانينهم ما دام الله معنا ...

سلمان — علمت ممن بعثهم رسول الله الى بنى قريظة انهم غدروا بنا .. وبلغ بهم الغدر انهم قطعوا عنا المدد والطعام والماء ..

جابر وزيد — (معا) ويل لليهود ..

سلمان — ولم يقف عندهم عند هذا الحد.. بل تمادوا .. فراحوا يثيرون الذعر والخوف فى قلوب شيوخنا ونسائنا وأطفالنا اللائى تركناهم فى المدينة ..

جابر — يا لهم من جبناء انذال ..

سلمان — وانى لأخشى والله أن يفتحوا للاحزاب أبواب المدينة فيدخلوها .. ويستأصلوا من فيها ثم يأتونا بعد ذلك من الخلف .. ولا يعلم الا الله ماذا سيصيبنا من سيوفهم ..

زيد — ليت رسول الله يدعنا ننقض على هؤلاء الاوغاد قبل ان ينالوا منالهم ..

سلمان — لقد جمع رسول الله صحابته وقال لهم : « اشيروا على أيها الناس .. انى أرى أن نبعث الى عيينة بن حصن والحرث ابن عوف قائدا غطفان من يصالحهما على ان يأخذا ثلثا ثمار المدينة .. وعلى ان يرجعا بمن معهما من الرجال عنا .. فقام سعد بن معاذ وقال : يا رسول الله .. أمرا تحبه فتصنعه .. أم شيئا أمرك الله به ، لا بد من العمل به . ؟ ... ام شىء تصنعه لنا ؟ ..

جابر — هيه ... وما كان جواب رسول الله ؟

سلمان — قال : « بل شىء اصنعه لكم » .. فقال ابن معاذ : يا رسول الله .. قد كنا وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان .. لا نعبد الله ولا نعرفه .. وهم لا يطمعون ان يأكلوا من ثمار المدينة الا قرى أو بيعة .. أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا اليه .. وأعزنا بك .. نعطيهم أموالنا .. والله ما لنا بهذا من حاجة ..

زيد — والله انه للقول الحق ..

سلمان — لم يشأ رسول الله ان يقطع برأى قبل ان يزيد الموقف ايضاحا فقال : والله ما أصنع ذلك الا لانى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة .. وكالبوكم من كل جانب .. فاردت ان اكسر عنكم شوكتهم .. فصاح صحابة النبى فى عزم وايمان : السيف وحده هو الذى يحكم بيننا وبينهم .. ولما وجد الرسول من صحابته هذا الاصرار قال لهم « انتم وذاك » .. ثم ...

جابر — (مقاطعا فى لهفة) ثم ماذا يا سلمان ؟

سلمان — بعث بنعيم بن مسعود الى كتائب الشر ليخذلهم عنا .. وانكم لتعلمون ان نعيما حديث عهد بالاسلام .. وأعداؤنا لا يعلمون انه اسلم .. وقد استطاع بدهائه ان يوقع بينهم العداوة والبغضاء ..

جابر — وكيف كان ذلك يا سلمان ؟

سلمان — ذهب الى بنى قريظة ونصحهم الا يقاتلوا حتى يأخذوا رهنا من قريش تحت ايديهم .. حتى لا تتنحى قريش عنهم .. وتعود الى أوطانها .. وتتركهم وحدهم يجابهون المسلمين .. ثم ذهب الى قريش .. وأسر لهم ان بنى قريظة ندموا على نكثهم لعهد محمد .. وانهم اتفقوا معه على أن يأتوه برهائن من أشراف قريش ليضرب اعناقهم

زيد — (مستسائلا فى لهفة) وصـــدقته قريش ؟

سلمان — ساورها الشك أولا .. وحتى يقطع الشك باليقين أرسل أبو سفيان الى كعب سيد بنى قريظه يدعوه الى قتال محمد .. فطلب كعب ان يبعثوا اليه برهائن مـــن اشراف قريش قبل ان يخرجوا للقتال .. عندئذ أيقنت قريش ما تبيته لهم يهود بنى قريظه من الغدر والخيانة ..

انصارى — (يصيح) ايها الانصار .. ايها المهاجرون .. انى لارى كتائب العدو تأتينا من فوق الوادى ، فهيا الى سلاحكم ..

(يلتحم المسلمون والاحزاب فى القتال) .

بلال — (يصيح) ايها المسلمين .. ليكن شعاركم فى القتال ما يقوله رسول الله حم لا تنصرون ..

المسلمون — (يرددون فى قوة وعزم) حم لا تنصرون .. حم لا تنصرون ..

يقف القتال بين الفريقين ويتساقط القتلى وتتصاعد أهات الجرحى) .

بلال — (يصيح) ها هو رسول الله يستقبل القبلة ويدعو الله ، اللهم منزل الكتاب .. سريع الحساب . اهزم الاحزاب ..

المسلمون — (يصيحون) حم لا تنصرون .. حم لا تنصرون ..

سلمان (يصيح) ها هى كتـــائب الشرك وجحافل الشر ترتد على اعقابها وتولى الدبر..

المسلمون — (يهللون فى فرح) اللهم لك الحمد .. اللهم لك الحمد ..

(تعصف رياح شديدة) .

جابر — ما هذه الريح العاصفة .؟

زيد — لم نر مثل هذه الرياح فى شـــدتها وعنفها ..

بلال — الرياح تعصف بالاعداء ..

(يشتد عصف الريح .. وتهطل الامطار .. ويخطف البرق الابصار) .

سلمان — أرى العدو قد أصابته لوثة من الرعب والفزع .

بلال — والله انى لارى قدورهم من الرياح تتكفأ .. وأبنيتهم تتهدم .. وخيامهم تتقاذفها..

جابر — ها هو ابو ســـــفيان يركب جمله ويشير الى الناس ليتحدث اليهم ..

بلال — دعنا نســــمعه .. انه يريد ان يخطبهم ..

أبو سفيان — (يصيح) يا معشر قريش .. انكم واللات ما اصبحتم بدار مقام .. لقد هلك الكراع والخف .. وأخلفت بنو قريظه .. وبلغنا عنهم الذى نكره .. ولقينا من شـــدة الريح ما ترون .. فارتحلوا فانى مرتحل ..

(يضرب بعيره ويتجه ناحية مكة) .

زيد — ها هى جحافل الشر تتتابع ..

المسلمون — (يهللون فى نشـــوة) اللهم لك الحمد .. المسلمون اللهم لك الحمد ..

سلمان — الحمد لله الذى نصرنا ..

زيد — هذا فضل الله يؤتيه من يشاء ..

بلال — (يصيح) ايها الانصار .. ايها المهاجرون .. لقد نزل الوحى على رســـول الله بآية من آيات رب العرش : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم .. اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها .. وكان الله بما تعملون بصيرا » ..

المسلمون — (يصيحون بنشوة النصر) الله أكبر .. الله أكبر ..

ستار / ختام





إعداد : ع . ب

لم يكن يتصور أحد أن الحقد الصهيونى سيمتد بمثل ما حدث ليشعل رقعة العالم الاسلامى كله وأن الجماعات الصهيونية المتعصبة دينيا ، والتى وفدت من بلاد شتى لتغتصب فلسطين وتطرد أهلها الاصليين ستصل بها الجرأة والتبجح لتتحدى مشاعر كل مسلم وتستهين بمقدسات الاسلام .

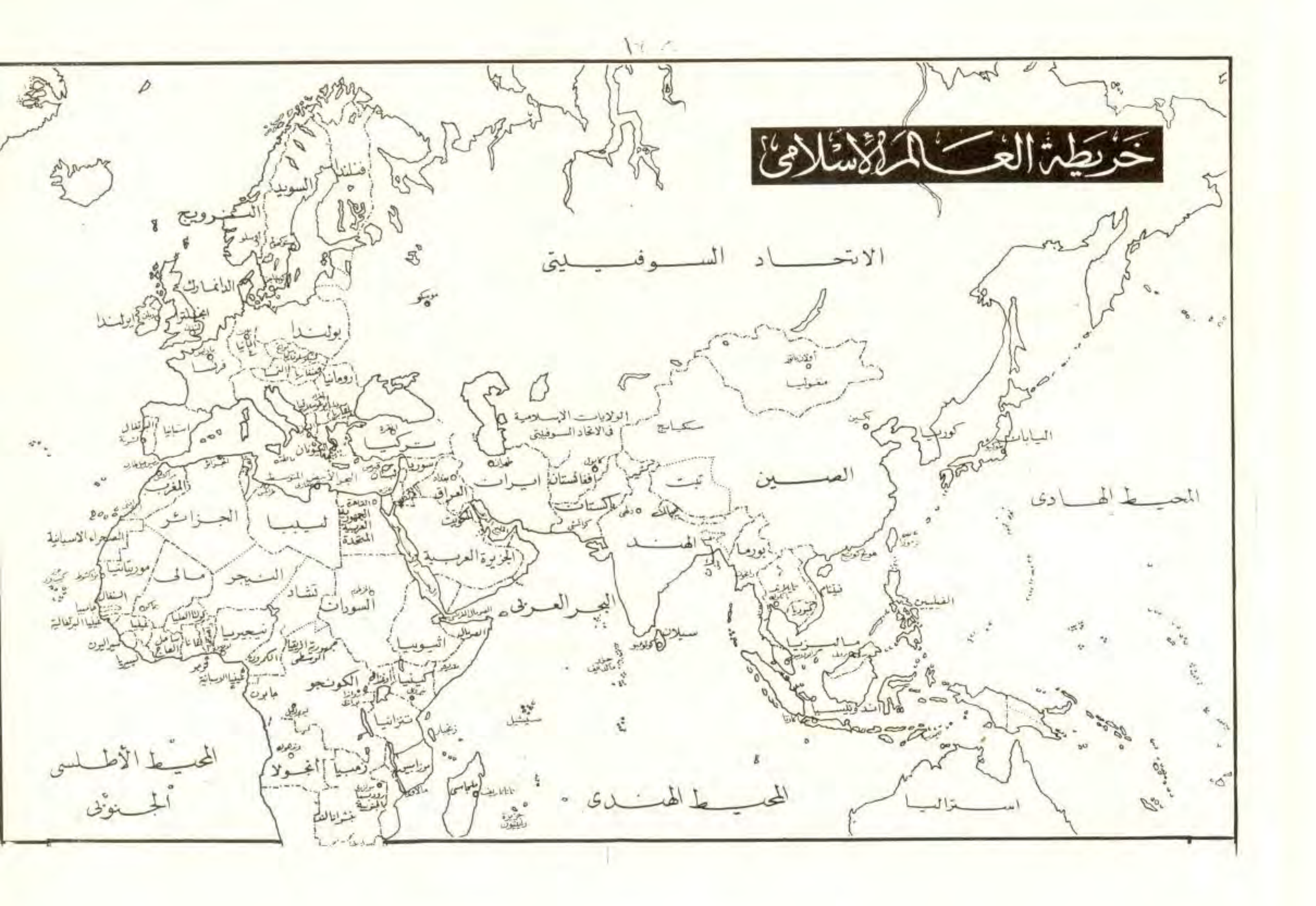
فقد أحرقت المسجد الاقصى فى الثامن من جمادى الثانية ١٣٨٩ هـ ، وكان لهذا الحادث المفجع أثره العميق فى نفس كل مسلم أحس بالصدمة فى صميم قلبه وبالمهانة فى أصل كرامته .

ويبدو أن الجماعات الاسرائيلية لم تقدر سلفا عواقب الحادث ونتائجه تحت تأثير الغطرسة الزائفة فقد روت وكالات الانباء أن مسئولا اسرائيليا انتقل الى المسجد الاقصى وما أن شاهد عملية الحريق حتى رجع الى الوراء وهو يدمدم بصوت يسمع « انه لشىء مخيف حقا ، ولسنا ندرى عواقبه »

أو لعل اسرائيل كانت تقدر سلفا ما ستكون عليه مشاعر المسلمين ازاء حادث كهذا فأرادت أن تمتحن هذه المشاعر على المستوى العملى غير هياج الثورة ومظاهرات السخط .

وعرف المسلمون وجه الصهيونية الحقيقى المتعصب لصهيونيته والساخر من الاديان فتنادوا الى مؤتمر قمة فيما بينهم لمعالجة الموضوع .

وبعد الحادث بيوم واحد دعا جلالة الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية الى مؤتمر قمة اسلامى ونادى بالجهاد المقدس وقد أيد فخامة الرئيس عبد الناصر الفكرة واقترح عقده فى مكة المكرمة ليكون المجتمعون على مقربة من أقدس مقدسات الاسلام كما رحبت كل الدوائر المسئولة فى الكويت بعقد هذا المؤتمر فى أقرب وقت ممكن وأصدر مجلس الوزراء الكويتى بيانا فى ١٠ جمادى



الثانية أعلن فيه أن هذا العمل أصبح أكبر من أن يستنكر ولا بد من عقد مؤتمر اسلامى فى أسرع وقت . وعهد الى المغرب والسعودية باجراء الاتصالات اللازمة لعقد هذا المؤتمر .

وفى ٢٧ جمادى الثانية ١٣٨٩ هـ (٩-٩-١٩٦٩ م) اجتمع فى الرباط عاصمة المملكة المغربية وزراء خارجية سبع دول اسلامية للتمهيد لمؤتمر القمة الاسلامى وهذه الدول هى : المغرب والسعودية و ج. ع. م. والصومال وماليزيا والاردن وباكستان .

وقررت اللجنة دعوة ملوك ورؤساء العالم الاسلامى الى الاجتماع فى مدينة الرباط يوم العاشر من رجب ١٣٨٩ هـ (٢٢ سبتمبر ١٩٦٩ م) .

وكان رأى القاهرة أن يجتمع مؤتمر تحضيرى فى نفس الموعد المحدد (٢٢-٩-١٩٦٩) لوضع جدول أعمال المؤتمر وتحديد موعد له .

وقد لبى الدعوة ٢٥ دولة اسلامية واعتذرت عشر دول عن الحضور ، وشهد المؤتمر ١٠ ملوك ورؤساء و٥ رؤساء وزارات و٣ رؤساء مجالس نيابية و١٩ وزيرا .

المغرب : صاحب الجلالة الملك الحسن الثانى . الكويت : صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح . السعودية : جلالة الملك فيصل . الاردن : جلالة الملك حسين . الجزائر : فخامة الرئيس هوارى بومدين . موريتانيا : فخامة الرئيس مختار ولد داده . ايران : جلالة الشاه محمد رضا بهلوى . الصومال : فخامة الرئيس عبد الرشيد شارماركى . اليمن : القاضى عبد الرحمن الاريانى . باكستان : فخامة الرئيس يحيى خان . أما الدول الست عشرة الاخرى فهى :

الجمهورية العربية المتحدة وتونس وليبيا والسودان ومالى وغينيا والسنغال وجامبيا والنيجر وتشاد ولبنان وتركيا وأفغانستان وماليزيا واندونيسيا واليمن الجنوبية .

وقد اعتذرت عن حضور المؤتمر كل من سيراليون والكاميرون وساحل العاج وغانا وفولتا ونيجيريا وتانزانيا وجزر مالديف وامتنعت سوريا والعراق .

وفى يوم الاثنين ١٠ من رجب ١٣٨٩ (٢٢—٩—١٩٦٩) افتتح جلالة الملك الحسن الثانى ملك المغرب المؤتمر وقد ألقى كلمة استهلها بالاية الكريمة :

« لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم » وقال اننا نعيش اليوم لحظة فريدة من نوعها قلما يعيشها دين من الاديان ومسئول من المسئولين .

وقد ألقى السيد أنور السادات رسالة من الرئيس عبد الناصر الى أعضاء المؤتمر قال فيها :

ان جمعكم الكريم يعلم من حقائق قضية الامة العربية ونضالها ضد العنصرية الصهيونية والمؤيدة من الاستعمار ، والمؤتمرة بأمره ما يغنى عن اعادة شرحها لكم خصوصا وأن هناك أخوة أعزاء لنا سوف يتولون عرض وقائعها عليكم كاملة ومفصلة .

واذا كان لى ما أضيفه فهو أن الحريق الذى أشعل عن عمد وبتدبير فى المسجد الاقصى المبارك ليس الا لمحة واحدة من صورة أكبر حافلة بالنذر وبعلامات خطر داهم لا يستهدف الامة العربية وحدها .

ان شعوبا كثيرة من الشعوب الحرة فى عالمنا أصبحت الان أكثر تنبها لحجم الخطر ومداه وليس يخالجنا شك فى أن الامم الاسلامية قائمة بدورها متحملة نصيبها عن وعى وتبصر وهى التى تهتدى فى طريقها بنور الاسلام ورسالته المحمدية الشريفة .

كما بعث فضيلة شيخ الازهر رسالة الى المؤتمر ناشد فيها الرؤساء والملوك ، وممثلى الدول الاسلامية أن يوحدوا كلمتهم فى مواجهة التهديد الصهيونى الاستعمارى للعالم الاسلامى ، وقال ان حرق المسجد الاقصى ليس اعتداء على بناء أو أراض ، ولكنه اعتداء على مقدسات ، وقال شيخ الازهر ان أقطار العالم ترقب هذا المؤتمر الذى يلتقى فيه زعماء المسلمين ، لترى ماذا يفعل المسلمون عندما تنتهك حرماتهم ومقدساتهم .

وقد انتخب جلالة الملك الحسن رئيسا للمؤتمر .

وفى الجلسات المغلقة بعد جلسة الافتتاح ظهر فى المؤتمر اتجاهان :

- ◎ اتجاه يدعو الى تناول قضية فلسطين بأسرها فى اطار سياسى .
- ◎ اتجاه آخر يرى حصر قضية المسجد الاقصى فى نطاق دينى بعيدا عن الجوانب السياسية

للمؤتمر كما ثارت المناقشات حول اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية ولكن استقر الرأى على أن تشترك منظمة التحرير الفلسطينية ممثلا عن المقاومة الفلسطينية ، كما استقر الرأى على أن تشترك الهند فى المؤتمر باعتبارها تضم عددا كبيرا من المسلمين تمثلها سفيرها فى المغرب .

وقد عارض الرئيس الباكستانى فى حضور وفد الهند وقرر المؤتمر مرة أخرى ألا يشترك وفد الهند فى المؤتمر واشتمل جدول أعمال المؤتمر على الموضوعات الاتية :.

احراق المسجد الاقصى ، والوضع فى القدس ، وسحب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية المحتلة ، واعادة حقوق شعب فلسطين ، ومساندة الدول الاسلامية له فى نضاله ، وتطبيق القرارات التى سيتخذها المؤتمر وموعد ومكان انعقاد المؤتمر القادم ، واتخاذ موقف موحد حول جميع هذه المسائل .

وقد عقد المجلس جلسته الختامية يوم الخميس ١٣ من رجب وأصدر البيان التالى :

ان رؤساء الدول والحكومات الاسلامية والممثلين لكل من أفغانستان وتشاد وغينيا ومسلمى الهند واندونيسيا وايران والاردن والمغرب والسعودية والكويت ولبنان وليبيا وماليزيا ومالى وموريتانيا والنيجر وباكستان والسنغال والصومال وجنوب اليمن والسودان وتونس وتركيا والجمهورية العربية المتحدة واليمن المجتمعين فى مؤتمر القمة الاسلامى الاول المنعقد فى الرباط فى الفترة ما بين ٩ — ١١

رجب عام ١٣٨٩ الموافق ٢٢ — ٢٤ سبتمبر ١٩٦٩ وقد حضر ممثلو منظمة التحرير الفلسطينية هذا الاجتماع « بصفتهم مراقبين » ايمانا منهم بأن وحدة عقيدتهم الدينية هى عامل قوى لتقارب شعوبهم وتفاهمها ، واذ عزموا على سياسة القيم الاسلامية والروحية والاجتماعية والاقتصادية التى تبقى أحد العوامل الجوهرية لتحقيق التقدم البشرى وتعبيرا عن ايمانهم الراسخ بتعاليم الاسلام التى أرست قاعدة المساواة التامة فى الحقوق بين جميع البشر وتأكيدا لالتزامهم بميثاق الامم المتحدة وبالحقوق الاساسية للانسان التى أرست مبادئها وأهدافها أساسا متينا للتعاون المثمر بين جميع الشعوب وحرصا منهم على توثيق الروابط الروحية التى تجمع بين شعوبهم وحفاظا على حريتها وحضارتها المشتركة القائمة بصورة خاصة على مبادىء العدل والتسامح ونبذ التفرقة العنصرية حرصا على توفير الرفاهية وتحقيق التقدم وتأكيد الحرية فى كافة أنحاء العالم وعزما على توحيد جهودهم بصيانة السلام والامن الدوليين ، لهذا كله يعلنون ما يلى :

١ — ستتشاور حكوماتهم بغية التعاون الوثيق والمساعدة المتبادلة فى الميادين الاقتصادية والعلمية والثقافية والروحية وحيا من تعاليم الاسلام . وأن تسعى الى تسوية المشاكل الدولية وفقا لمبادىء وأهداف الامم المتحدة .

٢ — ان رؤساء الدول والحكومات الاسلامية أو ممثليهم بعد أن بحثوا العمل الاجرامى فى حرمة المسجد الاقصى والحالة فى الشرق الاوسط يعلنون ما يلى :

أ) ان الحادث المؤلم الذى وقع يوم ٢١ أغسطس ١٩٦٩ والذى تسبب الحريق فيه أضرارا فادحة فى المسجد الاقصى الشريف قد أثار أعمق القلق فى أكثر من ٦٠٠ مليون مسلم فى سائر أنحاء العالم وأن الاعمال المتمثلة فى انتهاك حرمة مقام يعتبر من أقدس المقدسات الدينية لدى البشرية وفى تخريب الاماكن المقدسة وخرق حرمتها ، تلك الاعمال التى وقعت تحت الاحتلال الاسرائيلى المسلح لمدينة القدس الشريف وهى المدينة التى تحظى باجلال جميع معتنقى ديانات الاسلام والمسيحية واليهودية قد زادت فى حدة التوتر فى الشرق الاوسط وأثارت استنكار سائر شعوب العالم .

وان رؤساء الدول والحكومات وممثليهم يعتقدون أن الخطر الذى يهدد المقامات الدينية الاسلامية بمدينة القدس انما هو ناتج عن احتلال القوات الاسرائيلية لهذه المدينة وان المحافظة على الصبغة المقدسة لهذه الاماكن وضمان حرية الوصول اليها والتنقل فيها تستلزم أن يسترجع القدس الشريف وضعه الذى أكدته ١٠٣٧ سنة من التاريخ .

وبناء على ذلك فانهم يعلنون أن حكوماتهم وشعوبهم مصممة العزم على رفض أى حل للقضية الفلسطينية ، لا يكفل لحرية القدس وضعها السابق لأحداث يونيو ١٩٦٧ كما أنهم يطالبون جميع الحكومات وبصورة خاصة حكومات فرنسا والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وبريطانيا أن تأخذ بعين الاعتبار تمسك المسلمين القوى بمدينة القدس وعزم حكوماتهم الاكيد على العمل من أجل تحريرها وان شعوبهم وحكوماتهم لتشعر بقلق عميق من جراء استمرار الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية منذ شهر يونيو ، ورفض اسرائيل اعارة أدنى اعتبار لقرارات مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة والتى تدعوها لالغاء تدابير ضم مدينة القدس الشريف .

وأمام هذا الوضع الخطير فان رؤساء الدول والحكومات الاسلامية وممثليهم يهيبون بالحاح بجميع أعضاء الاسرة الدولية وخاصة الدول الكبرى التى تتحمل مسئولية خاصة فى الحفاظ على السلام الدولى كى تبذل المزيد من الجهود المشتركة والمنفردة لتحقيق الانسحاب السريع للقوات الاسرائيلية من كافة الاراضى التى احتلتها بعد حرب يونيو ١٩٦٧ وذلك تمشيا مع المبدأ الذى يقضى بعدم شرعية اكتساب الاراضى عن طريق الغزو العسكرى .

ونظرا لتأثرهم العميق بمأساة فلسطين فانهم يقدمون مساندتهم التامة للشعب الفلسطينى لاسترجاع حقوقه المغتصبة ولمواصلة نضاله من أجل تحرير وطنه ويؤكدون تمسكهم بالحل السلمى بشرط أن يكون قائما على العدل .



يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها

التسوية بين الاولاد :

هل يجوز شرعا للوالد أن يفضل بعض أولاده على بعض فى العطية ؟

الاجابة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سووا بين أولادكم ولو بشق تمرة » وقال : « لعن الله من استعق ولده » .

ولهذا أفتى العلماء بأنه يجب على الوالد أن يسوى بين أولاده ، فى العطية والهدايا والانفاق ما استطاع الى ذلك سبيلا ، ولا يجوز له أن يفضل بعضهم على بعض الا لمبرر شرعى ، ومن المبررات الشرعية التى أقرها العلماء سببا للتفضيل العاهات المانعة من الكسب كالعمى ، والشلل ، وكل مرض أو مانع يمنع صاحبه من الكسب .

■ ■ ■

فى الايمـــان

السؤال :

حلفت بحياة النبى على فعل أمر من الامور ، ولم أفعله ، فما هى الكفارة الواجبة على لعدم برى باليمين ؟

الاجابة ؟

قال صلى الله عليه وسلم : « من كان حالفـــا فليحلف بالله أو ليصمت » وبناء على هذا فالحلف بغير الله عز وجل لا يجوز شرعا ، ولا يلزم به كفارة لأنه لا يعتبر يمينا شرعية ، وعليك أن تستغفر الله .

■ ■ ■

الوكالة فى النكاح

السؤال :

وكلت عمى فى أن يعقد لى على فتاة معينة ، ولخصومة بين عمى هذا وبين

اقارب الفتاة وكل غيره نيابة عنه في عقد زواجي على هذه الفتاة ولم يستأذنى ، فهل يجوز هذا شرعا على مذهب الشافعى .

الاجابة :

ليس للوكيل فى النكاح أن يوكل غيره الا باذن موكله .

لا يجوز شرعا لعمك أن يوكل غيره فى عقد زواجك من غير اذنك اذ ليس للوكيل فى النكاح أن يوكل غيره الا باذن موكله .

■ ■ ■

فى المعـــاملات

السؤال :

هل يجوز شرعا أن يضمن الانسان صديقا له مضطرا عند أحد البنوك مع العلم بأن البنك يعطى بفائدة .

الاجابة :

اذا كان هذا القرض بفائدة فهو معاملة ربوية ، وقد حرم الربا على آكله ومعطيه وكاتبه وشاهده ، ولا شك أن الضامن قد شارك فى هـــذه المعاملة الربوية ، فيحرم عليه ذلك .

■ ■ ■

فى الميـــراث

السؤال :

توفى رجل ، وترك أما ، واخوة لأم ، وعما ، فما نصيب كل منهم فى تركة المتوفى ؟

الاجابة :

تقسم التركة بينهم على النحو الاتى :

للأم سدس التركة لقوله تعالى : « فان كان له اخوة فلأمه السدس » .

وللاخوة للأم اثنين فأكثر ثلث التركة لقوله تعالى : « فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث » ، ونصيب الذكر منهم مثل نصيب الانثى .

وللعم باقى التركة وهو النصف بطـــريق التعصيب لقوله صلى الله عليه وسلم : « ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأولى رجل ذكر » .

■ ■ ■



يعبرون فيه عن أفكارهم
دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

شهر شعبان فى التاريخ

وتحت هذا العنوان كتب الاستاذ عبد المنعم البحقيرى يقول :

شهر شعبان أحد الاشهر العربية التى يحتفل بها المسلمون .

وسمى بهذا الاسم لأنه فى هذا الشهر يتشعب العود بعد أن يكون خرج فى شهر رجب ، وقيل أيضا سمى بذلك الاسم لتشعب العرب فيه للغارات أيام الجاهلية بعد انتهاء شهر رجب ، وهو أحد الاشهر الحرم التى يحرم فيها القتال .

ومن الحوادث التاريخية التى يذكرنا بها هذا الشهر غزوة بنى المصطلق التى وقعت فى هذا الشهر فى السنة الخامسة ، وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الغزوة لليلتين خلتا منه ، وغاب فى غزوته هذه ثمانية وعشرين يوما ، وقدم المدينة لهلال شهر رمضان ، وكان خروجه الى أعدائه لما علمه من تهيئتهم الجو للمسير اليه للقضاء على المسلمين ودعوتهم ، وكان على رأسهم الحارث بن أبى ضرار ، ولقد انتصر المسلمون انتصارا عظيما .

وفى شهر شعبان كانت سرية أبى قتادة بن ربعى الانصارى ، ولقد بعثها الرسول الكريم لكسر شوكة المشركين الحاقدين على الاسلام ، والذين كانوا يتجمعون من حين الى آخر للقضاء على المسلمين ، وكانت غزوة بدر الآخرة فى شعبان من السنة الثالثة الهجرية ، وفيها تخاذل العدو وعاد ذليلا فاشلا .

وفى شهر شعبان أيضا يرى فريق من العلماء أنه تم فيه تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة ، كما تمنى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. فلقد أراد من ربه أن يحول القبلة الى الكعبة لأنها قبلة ابراهيم ، وهى مفخرة العرب ومطافهم ومزارهم .

وأيامه مباركة ، ولياليه مكرمة ، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر فيه من الصيام .

التيار الغربى وأثره على المجتمع الشرقى

وكتب الاستاذ محمد أحمد محمد ابراهيم يقول تحت هذا العنوان :

كان للتيار الغربى اثر كبير على مجتمعنا الشرقى ، ولقد كان للمرأة النصيب الاوفى فى ابراز ودعم وتزيين هذا التيار لما يكمن فيها من مظاهر الاغراء والجاذبية ، ونجد ذلك واضحا فى صورتين :

١ — اللباس ، ان هذا السفور الذى ظلت المرأة تغلو فيه غلوا بشعا حتى نزعت عنها كل ستر ، وخلعت أثوابها واحدا بعد الاخر ، فلم يبق لها غير غلالات لا تستر مكشوفا أو تخفى عورة .. وتفننت فى تقصير الثياب وشدها واختيارها ما يناسب جسمها ، ويكشف عن دقائق أعضائها ويبرز مفاتنها ، وانتهت الى وضعية لا تطاق .. فى البلاجات على السواحل والمسابح العامة والمراقص وعرض الازياء ، فأضحى فى عرفهن الرقص العارى — فنا — والحشمة والفضيلة والعفة رجعية وانعزالا وتخلفا وجمودا .. فمرحبا وألف مرحب برجعية عارفة لماهية الاخلاقية .. وكان لا بد أن يصاحب هذا المظهر الاجتماعى الخطير معضلة أخرى تكون أشد خطرا وأكثر ضررا من الاولى وهى :

٢ — الاختلاط بين الجنسين ، وفى المجتمعات الغربية ادى الاختلاط الى انحطاط الاوضاع وتفكك الاسرة وكثرة الاطفال غير الشرعيين ، وكثرة نسب الطلاق ، وتفشى الخيانات الزوجية ، وممارسة كل أنواع الشذوذ الجنسى . والوقائع الصارخة التى تنشرها يوميا صحف الغرب صور يندى لها جبين الحر ، وهى خير دليل على مساوىء الاختلاط ونتائجه المدمرة المهلكة .

ان فضائح الغرب الجنسية التى هزت الانسانية هزا ، لهى أكبر حجة ممكن أن نلقيها على مسمع فتياتنا الشرقيات ، وعلى الاخص العربيات حفيدات خولة والخنساء . ها هى ممثلة الاغراء مارلين مونرو والتى تعمل فى أعلى مراتب هوليود . وقد حصلت على شهرة لم تحصل عليها ممثلة مثلها ، نجدها تمر فى مأساة مرة حادة نغصت عليها عيشها ، وأقضت مضجعها ، وحرمتها من نعيم الحياة الباذخة ولذة المجد .. تجدها تكتب وصيتها الى كل فتاة تطلب المجد عن طريق السينما والشاشة البيضاء : « احذرى المجد .. احذرى كل من يخدعك بالاضواء .. انى أتعس امرأة على هذه الحياة الارض .. لم أستطع أن أكون أما .. انى امرأة أفضل البيت .. الحياة الشريفة على كل شىء .. ان سعادة المرأة الحقيقية فى الحياة العائلية الشريفة الطاهرة ، بل ان هذه الحياة العائلية لهى رمز سعادة المرأة .. » وتقول فى نهاية وصيتها : « لقد ظلمنى كل الناس ، وان العمل فى السينما يجعل من المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة .. انى أنصح الفتيات بعدم العمل فى السينما والتمثيل ان نهايتهن كنهايتى ان كن عاقلات .. » وانتحرت مارلين تخلصا من العار وهروبا من الفضيحة والحياة التعيسة لأنها لم تستطع أن تحقق لها سعادتها ..



باشراف
الشيخ رضوان البيلي

المسلم فى القمــر

ورد فى مجلتكم الغراء (الوعى الاسلامى) العدد (٥٣) جمــادى الاولى ١٣٨٩هـ ما نصه فى بريد الوعى :

« واذا وصل الانسان الى القمر وكثر هناك الاناسى كان على المسلمين أن يبذلوا جهدهم ليرحلوا اليه فيمن رحل وأن يبلغوا كلمة الله هناك ويقيموا شعائره ويشيدوا مساجده ويرفعوا المآذن ويذكروا اسم الله بكرة وأصيلا » ا هـ .

وأحب أن أقف قليلا عند كلمة (ويشيدوا مساجده) فأبرز عدة نقاط :

● باستقراء آى القرآن المجيد نجد أن مواقيت الصلاة والصوم والحج وبعض الكفارات مرتبطة بالهلال .. ونستطيع أن نلمح ذلك من قوله تعالى : « يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج » (سورة البقرة) وقوله سبحانه : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » (سورة يونس) .

● تنفرد الصــلاة والحج بارتباطهمــا بشىء آخر غير المواقيت ألا وهو استقبال الكعبة المشرفة والسير اليها .. قال تعــالى : « وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » (سورة البقرة) . وقال : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » (سورة آل عمران) .

● ومن هذا يتبين :

أولا : أن الصلاة مرتبطة بمواقيت محــددة واستقبال مكان خاص فكيف يتحقق ذلك مع الوصول الى القمر والاستقرار فيه ان أمكن .

ثانيا : أن الصوم يتحقق برؤية الهلال كما قال المصطفى عليه الصــلاة والسلام : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » فكيف نرى الهلال ونحن قاطنون عليه ؟!

ثالثا : ان من شروط الزكاة الاساسية ــ الحول وهو اثنــا عشر شهرا هلاليا فكيف نخرج الزكاة وقد خرجنا من النطاق الذى نستطيع أن نرى فيه هلالا لتحديد بدء الشهر ونهايته ؟

رابعا : ان الحج أشهر معلومات كمـا هو نص كتاب الله فكيف نعـلم الشهور ؟

والذى نخلص اليه ــ والله أعلم بالصواب ــ أن العبادات موقوتة بزمان ومكان قد لا يتحققان مع الاستقرار على سطح القمر !! وليس معنى ذلك الغاء الدين من جوهره بل هناك مجالات أرحب وأوسع .. هناك الاخلاقيات النبيلة والاجتماعيات الرشيدة والمعاملات الخيرة التى لا يخلو منهـا تجمع بشرى أيا كان موقعه ..

أرجو من سيادتكم التعليق والتمحيص ان أمكن .

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد سيد أحمد المسير
القـاهرة

قبل الاجابة على ما ورد فى هذه الرسالة من أسئلة والتعقيب على ماخلص اليه كاتبها من رأى ــ رأينا أن نستوضح من المختصين فى العلوم الكونية عدة نقاط وهى :

١ ــ امكانية الحياة الانسانية على القمر .
٢ ــ تعاقب الليل والنهار عليه .
٣ ــ تحديد السنة الشمسية على سطحه .

وقد رجعنا الى الاستاذ زهير الكرمى مفتش أول العلوم فى وزارة التربية بالكويت ، فأجاب :

لا يمكن للانسان أن يعيش على سطح القمر فى الحـالة الطبيعية التى يعيشها على سطح الارض لأسباب عدة منها : انعدام الهواء وارتفاع درجات الحرارة نهارا وانخفاضها ليلا الى حدود لا يحتملها الانسان وكذلك لكثرة النيازك التى تصطدم بسطح القمر .

ولذا فلا بد لرواد القمر من أن يلبسوا بزات خاصة مكيفة درجات الحرارة وبها مولد للهواء وقوية الى حد احتمال اصطدام النيازك الصغيرة بها .

ويأمل العلماء أن يبنوا تحت سطح القمر مساكن خاصة يستطيع الانسان أن يعيش فيها بحرية وبالطبع تكون هذه المساكن مكيفة الحرارة يتولد فيها الهواء بشكل كيماوى مستمر .

وأما عن وجود ليل ونهار فى القمر فيوجد ، وبناء على هذا يمكن تحديد السنة الشمسية فيه .

وقد عرضنا هذه الرسالة ورأى العالم الكونى على بعض المشتغلين بالفقه الاسلامى للاجابة على الاسئلة الواردة فيها ، فتوقف فريق منهم عن ابداء رأيه وقال : اذا كانت الحياة الانسانية بصفة مستمرة على سطح القمر مستحيـلة ــ كما يقول العلماء ــ لعدم ملاءمة الظروف هناك للحياة ، فان البحث عن كيفية اقامة المسلم شعائر الاسلام فى هذا الكوكب سابق لأوانه ، ولا توجد ضرورة

ملحة تفرض على الفقهاء الاجتهاد فى بيان مواقيت الصلاة ، وتحديد القبلة ، وبدء الصوم المفروض ونهايته ، ومعرفة حول الزكاة ، وبقية أحكام العبادات لمن يقيم فى الارض الجديدة من المسلمين اذ الاقامة الطبيعية هناك غير ممكنة .

وقال فريق آخر ان عدم وجود ضرورة ملحة ينبغى ألا يحجب علماء الفقه عن التفكير مسبقا فى هذا الامر حتى يساير التطور الفقهى تطور العلوم والمكتشفات الجديدة ، وحتى يمكن الاجابة عن الاستفسارات التى تتردد فى نفوس عدد من المسلمين ، ولقطع الالسنة الملحدة التى تتهم الاسلام بالرجعية والقصور ، وعدم صلاحيته لمجاراة النهضة العلمية المعاصرة ولنا فى علماء السلف الصالح أسوة ، فقد سبقوا زمانهم بعدة قرون ، واستنبطوا أحكاما لأحداث لم تكن موجودة فى عصرهم ولكنها وجدت بعدهم .

وسواء أكانت اقامة الانسان طبيعية أو صناعية فان شعائر الاسلام لا تسقط عن المسلم ، بل عليه أن يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويصوم رمضان ويحج البيت كما يفعل المقيم على الارض .

وحيث تشرق الشمس على سطح القمر وتغيب فيمكن تحديد أوقات الصلاة فوقت الظهر يبدأ من زوال الشمس عن وسط السماء ويمتد الى أن يصير ظل كل شيء مثله بعد ظل الزوال . ووقت العصر يبدأ بصيرورة ظل الشيء مثله بعد فيء الزوال ويمتد الى غروب الشمس ، ويدخل وقت المغرب اذا غابت الشمس وتوارت بالحجاب ، ووقت العشاء يبدأ من مغيب الشفق وينتهى بطلوع الفجر الصادق حيث تبدأ صلاة الصبح ، وفى الجهات التى يطول نهارها ويقصر ليلها ، والبلاد التى يقصر نهارها ويطول ليلها فيكون التقدير على أقرب الجهات المعتدلة بالنسبة لهذه الاماكن أو يراعى فيها مواقيت البلاد التى وقع فيها التشريع وهى مكة والمدينة ، وحيث تعذر تحديد القبلة للصلاة ، فتكون قبلته هى الجهة التى يختارها لاتجاهه كما هو الحال بالنسبة لمن يصلى النافلة على الراحلة من سكان الارض (فأينما تولوا فثم وجه الله) .

هذا فيما يتعلق بالصلاة والقبلة ، أما عن الصوم المفروض بدءا ونهاية وعن تقدير حول الزكاة فيمكن اعتبار مواقيت أهل الارض مواقيت لسكان القمر باعتبار أن الارض هى الام وهى موطن التشريع وتنزل الوحى ، وقد يسرت وسائل الاتصال الحديثة نقل هذه البيانات من الارض الى السماء ، وأما الحج فمكانه وشعائره ومواقيته فى الارض وقد فرضه الله على من استطاع اليه سبيلا ، فمن استطاع الانتقال والسفر لأداء شعائر الحج وجب عليه أداؤه ، أما من لم يستطع فلا يجب عليه الحج ، وشأن سكان القمر ، فى هذا الغرض شأن سكان الارض .

■■■

أما ما ذهب اليه الاستاذ المسير فى نهاية رسالته من اسقاط التكاليف الشرعية عن سكان القمر ، واعتبار الدين فى حقهم أخلاقيات واجتماعيات رشيدة فاننا لا نقره على رأيه الذى ذهب اليه .



الايمان وبغى الشيطان

ومن مقال بهذا العنوان نشرته مجلة (البلاغ) الكويتية :

فلسطين عربية اسلامية :

أيها العرب اذكروا عروبتكم اذكروا آباءكم الذين رووا كل شبر فيها بدمائهم عندما حاولت أوروبا انتزاع فلسطين .. ومع ذلك ظلت فلسطين عربية تقوم فيها مقدسات الحضارات الاسلامية والمسيحية ففيها المسجد الاقصى ، وفيها كنيسة القيامة التى أبى عمر رضى الله عنه الصلاة فيها حفاظا على علاقتنا مع أهل الذمة والعهد حتى لا يتخذ المسلمون ذلك من بعد حجة الى أخذها والاستيلاء عليها .

ان هؤلاء انما يطلبون الشرق كله وهيهات .. هيهات أن تتحقق أحلامهم مع أمة الخير التى سادت العالم يوما ما ، وحكمته بعدل ونصفة ، والتى ستحقق السلام فى الارض كلها .

الايمان يصنع المعجزات :

هيهات أن يظل لهم شأن أو تقوم لهم كلمة ، وأنتم تحكون تاريخ آبائكم الذين أحبوا الله ورسوله أكثر من حبهم لنفسهم ، وكانوا القوة كل القوة ، وكانوا النصر كل النصر لأن قلوبهم امتلأت بالايمان ، والايمان الذى يحتل قلوب الشباب يصنع بهم ومنهم معجزات الدهر وقوة الاحداث .

الشهادة فى سبيل الله :

ليكن للشباب الاسوة الحسنة فى سيدنا سالم مولى أبى حذيفة الذى كان يحمل لواء الجَيْش ، فقيل له يا سالم اننا لنخاف أن نؤتى من قبلك ، فقال لهم : بئس أنا حامل القرآن » وحامل القرآن مؤمن تمام الايمان لا تخشى بوائقه ، ولأنه مندفع فى صفوف القتال ، وهو يرغب فى الشهادة كرغبته فى الحياة مما جعل من سيدنا سالم حفاظه على لوائه رمز أمته وقيادته فنقله الى شماله عندما قطعت يمينه ، فلما قطعت شماله أخذ اللواء بعضديه ، ومات محتضنا للوائه حتى استشهد فى سبيل الله ، وحين يتغلغل الايمان فى قلوب شبابنا ولا يحيدون عنه وتكون مع الله فستقوى منا العزائم ولا تخور ، وتشتد منا القوى ولا تمور ويهتف هاتف النصر فى آذاننا (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين) .

اخوتى فى كل صقع من أصقاع العالم العربى والاسلامى تواصوا بالحق (والعصر ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

عملية الشهيد فرحان السعدى

المراسلون الاجانب والعرب الذين شاهدوا رجال العاصفة ــ فتح ــ فى معركة الشهيد فرحان السعدى التى امتدت على جبهة طولها أربعون كيلو مترا وعمق تراوح بين ٤ ــ ٥ كيلو مترات أدركوا أمرين بديهيين .

الاول كذب ادعاءات اسرائيل وسخافة عملها فى تغطية معركة شاملة كهذه ، ومسخ الاخبار عنها الى حد القول أنه أطلقت بعض نيران الرشاشات الخفيفة على احدى المستعمرات ، وأصيب جندى واحد بجراح .

أما الامر الهام الثانى فهو أن الثورة الفلسطينية قد دخلت مرحلة جديدة يعبر عنها بمرحلة العمليات العسكرية المركبة .

وبعد مرحلة زرع ألغام ونسف الجسور كانت المرحلة الثانية التى كانت عبارة عن مهاجمة مستعمرة ، وفى الوقت نفسه نصب كمين لقوات نجدة العدو التى كان لا بد أن يقذف بها الى ميدان المعركة .. وقد بدأت تجربة المرحلة الثالثة باحتلال المستعمرة اليهودية لعدة ساعات ، ثم الانسحاب بعد رفع الاعلام الفلسطينية .. وفى الاونة الاخيرة بدأ العدو يواجه مرحلة العمليات المركبة فى معارك قتال ضار تمتد على جبهة طولها عشرات الكيلو مترات .

وكانت فتح حريصة فى عملية (الشهيد فرحان السعدى) على ايفاد عدد كبير من الصحفيين العرب والاجانب منهم مراسلو وكالات الانباء — رويتر والاسيوشيتدبرس ويونايتدبرس ووكالة د ب أو غيرها وراء صفوف المقاتلين لمراقبة المعركة عن كثب . ووزعوا فى مجموعات تمركزت فى أماكن مختلفة من الجبهة ليمكن تغطية المعركة .. ولقد أبرق هؤلاء المراسلون الى صحفهم والوكالات التى يمثلونها بالتفاصيل ..

قال مراسل رويتر :

وشاهد عدد من الصحفيين المحليين والعرب أيضا هذه العملية التى كانت خلالها نيران الرشاشات وقذائف المورتر والقذائف الاخرى التى تبادلها الجانبان تشاهد بوضوح من خلال الظلام الذى كان يلف المنطقة .

وجذبت أصوات هذه القذائف وخيوط الضوء الحمراء التى كانت خلفها فى سماء المعركة انتباه أبناء قرى المنطقة فخرجوا من منازلهم لمشاهدة ما يمكن مشاهدته من هذه المعركة ، ولم يكن بامكاننا أن نشاهد من مواقعنا التى تبعد حوالى خمسة كيلو مترات تفاصيل المعركة فى الجهة المقابلة لنا ، وهى مناطق شويعر والجنيدية والتركمانية على الرغم من أن قذائف انارة قليلة ألقيت خلال المعركة .

وكان ظهور الخطوط الحمراء التى خلفتها الرشاشات الثقيلة فى سماء منطقة المعركة فى نحو الساعة التاسعة ليلا دليلا على بدءها . وتلت ذلك انفجارات قذائف المورتر والصواريخ التى يستخدمها الفدائيون .

وبعد نحو نصف ساعة هدأ كل شىء وبدا أن المعركة انتهت . ولكن ما أن مضت بضع دقائق حتى انطلقت من وراء الجبال المطلة على النهر من الضفة الغربية قذائف المدفعية الاسرائيلية الثقيلة ، وأخذت تتساقط على ضفاف نهر الاردن والضفة الشرقية منه .

وقال فدائيون كانوا يراقبون المعركة معنا أن القوات الاسرائيلية تطلق هذه القذائف على المواقع التى تعتقد أن رجالنا سينسحبون منها .

وبعد اطلاق نحو عشرين قذيفة من قذائف هذه المدفعية عاد الهدوء يخيم على المنطقة .

وعادت المنطقة الى الالتهاب مرة أخرى فى نحو العاشرة والنصف فى موقع آخر أمامنا ، ولكنها ما لبثت أن هدأت نهائيا فى نحو الساعة الحادية عشرة . وفى نحو منتصف الليل شاهدنا الفدائيين الذين اشتركوا فى هذه المعركة يعودون الى قواعدهم وهم يحملون أسلحتهم الخفيفة ويرتدون ملابسهم المموهة .



اعداد الاستاذ : عبد المعطي بيومي

● مؤتمر القمة الاسلامى : عقد بالرباط عاصمة المغرب لأول مرة فى التاريخ مؤتمر ذروة للملوك ورؤساء دول العالم الاسلامى اشتركت فيه (٢٥) دولة اسلامية ..

● الكويت : عاد سمو أمير البلاد المعظم فى حفظ الله ورعايته الى أرض الوطن بعد أن ترأس سموه وفد الكويت الى مؤتمر القمة الاسلامى الذى تألف من معالى وزير الخارجية ومعالى وزير الاوقاف وسعادة وكيل الأوقاف وكبير المرافقين العسكريين وكبير الأمناء ومدير مكتب صاحب السمو الأمير المعظم .

● قام وفد موريتانى برئاسة وزير الثقافة والتربية بزيارة الكويت فى مطلع سبتمبر الماضى وقد أجرى مباحثات هامة تتعلق بتوطيد الروابط الثقافية والتعليمية بين الكويت وجمهورية موريتانيا الاسلامية .

● زار البلاد وزير الخارجية العراقى وقد سلم نائب الأمير المعظم رسالة من الرئيس البكر حول الموقف العربى الراهن ودعم امارات الخليج وتقوية الجبهة الشرقية مع العدو الاسرائيلى .

● وجه معالى وزير التربية كلمة الى الطلاب بمناسبة بدء العام الدراسى فى ٨ من رجب حثهم فيها على التسلح بالعلم والتزود بالمعرفة كما صرح بأن كل الاتفاقيات الثقافية مع الدول الأجنبية تنص على جعل اللغة العربية لغة ثابتة فى جامعاتها .

● صرح سعادة وكيل وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بأن الوزارة تنوى تشييد أكبر عدد ممكن من المساجد فى جميع أنحاء الكويت كما أعلن انتهاء الدراسات الخاصة ببناء مسجد الدولة الكبير الذى سيكلف (٣ ملايين دينار) وستطرح مناقصته خلال الشهرين القادمين .

● قام وفد تجارى كويتى بزيارة الى تركيا فى نطاق تدعيم العلاقات الاقتصادية مع تركيا بعد أن قطعت هذه العلاقات مع اسرائيل خلال الشهور الماضية .

● احتفلت الكويت بأسبوع محو الأمية وقد بلغ عدد مراكز تعليم الكبار فى الكويت (٦٠) مركزا بها (٢٧١٩١) دارسا ودارسة .

● القاهرة : عقد بالقاهرة فى الشهر الماضى مؤتمر قمة شمل المتحدة والأردن والعراق وسوريا والسودان وقد بحث المؤتمر الجوانب العسكرية فى الوقت الراهن .

● عين فضيلة الشيخ محمد الفحام شيخا للأزهر والدكتور بدوى عبد اللطيف مديرا لجامعة الأزهر والدكتور محمد بيصار أمينا عاما لمجلس الأزهر الاعلى .

● تقرر انشاء معهد للدراسات الافريقية يتبع الجامعة الازهرية ويدرس تاريخ ولغات البلاد الافريقية ويقبل طلاب الثانوية الازهرية .

● وجه فضيلة شيخ الازهر الجديد بيانا الى المسلمين فى العالم ذكرهم بالايمان بالله وحده والحفاظ على دينه والاعتصام بكتابه .

● قررت وزارة الأوقاف وشئون الأزهر المساهمة فى انشاء مسجد ومركز اسلامى فى لاجوس عاصمة نيجيريا كما قررت مد الصومال ونيجيريا وفولتا العليا واليمن الجنوبية بالمعونات الثقافية الاسلامية .

● السعودية : رأس جلالة الملك فيصل وفد مؤتمر القمة الاسلامى الذى انعقد فى الرباط .

● انتقد جلالة الملك فيصل خطاب الرئيس الامريكى أمام الأمم المتحدة فى الشهر الماضى وقال ان الرئيس الامريكى ذكر تقرير المصير لشعب فيتنام ولم يذكر ذلك بالنسبة للفلسطينيين .

● سيشترك كبار المهندسين المسلمين فى تصميم المسجد الكبير فى اسلام أباد الذى سيموله جلالة الملك والذى يسع مائة ألف مصل .

● الأردن : رأس جلالة الملك حسين وفد بلاده الى مؤتمر القمة الاسلامى وفى الوفد ولى العهد ورئيس الوزراء ووزير الخارجية والاوقاف .

● أكد جلالة الملك حسين فى الشهر الماضى فى حديث لمحطة كولومبيا الامريكية للاذاعة والتليفزيون انه اذا لم يحل النزاع بين العرب واسرائيل فان العالم قد يمر بكارثة .

● أدان مجلس الأمن فى رجب الماضى اسرائيل بمناسبة احراقها المسجد الأقصى وقد ذكر فى قرار الادانة ان المجلس سيصدر قرارا قريبا بمعاقبة اسرائيل اذا تمادت فى تجاهلها لقرارات الأمم المتحدة .

● العراق : تجرى الاتصالات بين علماء الدين فى العراق وبين علماء المسلمين فى العالم لعقد مؤتمر دينى فى العراق فى أقرب وقت ممكن لمناشدة الضمير الاسلامى تأييد الثورة الفلسطينية .

● السودان : عقد وزير التربية والتعليم السودانى اجتماعا مع كبار المسئولين فى الوزارة فى منتصف جمادى الثانية حيث قرر أن تكون اللغة العربية هى اللغة الوحيدة فى امتحانات الثانوية العامة .

● حذرت الحكومة بريطانيا من عواقب تزويد اسرائيل بالسلاح .

● ليبيا : تسير الحياة فى البلاد سيرها الطبيعى بعد أن استولى الجيش على مقاليد الامور وألغى النظام الملكى وأحل محله النظام الجمهورى .

● المغرب : عقد مؤتمر القمة الاسلامى فى الرباط برئاسة جلالة الملك الحسن واستمر ثلاثة أيام .

● تركيا : أحرق شباب متظاهرون فى ازمير شعار اسرائيل امام المؤسسات اليهودية .

● تلبية لطلب الحكومة التركية تقرر ارسال عدد كبير من مبعوثى الأزهر — بعد انقطاع — لتدريس العلوم الدينية والعربية .

● ماليزيا : يوالى المسلمون مظاهراتهم منذ احراق المسجد الأقصى وتطالب الهيئات الاسلامية فى ماليزيا بالعمل الجدى المشترك مع الدول الاسلامية الأخرى .

● الهند : اشتركت الهند فى مؤتمر القمة الاسلامى ورأس الوفد سفير الهند فى المغرب .

● حدثت اشتباكات دموية بين المسلمين والهندوك راح ضحيتها عدد كبير من الطائفتين .

● نيجيريا : قبل الاقليم المنشق فى بيافرا قرار المؤتمر الافريقى بوقف اطلاق النار ورفض قرارا آخر للمؤتمر ذاته باعتبار نيجيريا كلها وحدة متماسكة بما فيها بيافرا .

● قام وفد نيجيرى بتهنئة شيخ الأزهر الجديد .

● السنغال : قام وزير خارجية السنغال بزيارة الكويت والسعودية وقد أجرى مباحثات مع المسئولين فى البلدين المسلمين .

● ارتيريا : ذكرت جريدة العلم الناطقة بلسان حكومة أثيوبيا أن الحكومة الاثيوبية أصدرت ترجمة للقرآن الكريم باللغة الأمهرية تحت اشراف موظفين غير مسلمين فى وزارة الاعلام .

● رفض حاكم ارتيريا الاثيوبى تدريس اللغة العربية أو التدريس بها فى المعاهد الاسلامية وقرر ترجمة الكتب الاسلامية الى اللغة الأمهرية .

أخبار متفرقة :

● نيويورك : امتنعت الولايات المتحدة عن التصويت على القرار الذى اتخذه مجلس الامن بادانة اسرائيل لاحراقها المسجد الأقصى .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ـــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة مكة المكرمة ص.ب (٤٦)

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ـــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة مكة ص.ب (٤٦)

جدة : الدار السعودية للنشر ـــ ص.ب (٢٠٤٣)

بغداد : مكتبة المثنى ـــ السيد قاسم محمد الرجب .

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـــ السيد محمد سعيد بابيضان .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـــ المنامة ـــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ـــ السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب ـــ ص.ب (٢٨) حضرموت .

دبى : ساحل عمان ص. ب (٢٦١) ـــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ـــ السيد حسين قمر .

تعـــز : مكتبة المنار الاسلامية ـــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ـــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ـــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ـــ بيروت ـــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

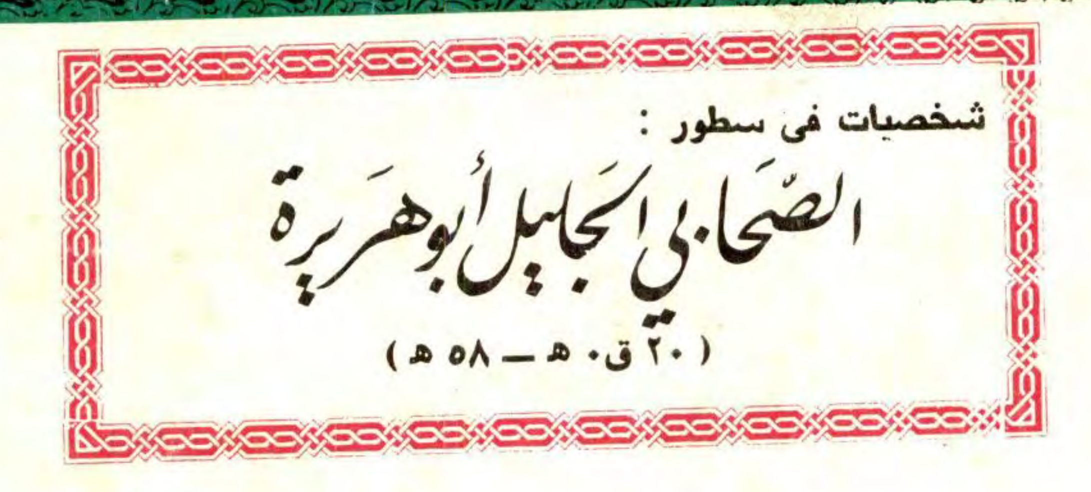
مراكش : الدار البيضاء ـــ مكتبة الوحدة الوطنية ـــ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ـــ ص.ب (١٣٢) ـــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ـــ ص.ب (٢٨٠) ـــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتبة منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة



* هو الامام الفقيه المجتهد الحافظ الصحابى الجليل عبد الرحمن ابن صخر ، ينتهى الى دوس من اليمن ، كان اسمه فى الجاهلية : عبد شمس فسماه النبى صلى الله عليه وسلم : عبد الرحمن ..
* كنيته أبو هريرة طغت على اسمه ولقبه ، وقد روى عنه انه وجد هرة فحملها فى كمه فقالوا : أبو هريرة ... لكنه كان يقول لا تكنونى أبا هريرة فان النبى صلى الله عليه وسلم كنانى : أبا هر والذكر خير من الأنثى ..
* قدم الى النبى بعد اسلامه على يد زعيم دوس الطفيل بن عمرو ، وشاهد خيبر مع الرسول وكان فى ميمنة جيش المسلمين مع قومه ..
* لزم النبى صلى الله عليه وسلم حتى آخر حياته ، يرافقه فى السفر والاقامة ويجلس اليه بالليل والنهار ، فكان ذلك من أسباب تمكنه من رواية هذه الآلاف المؤلفة من الحديث النبوى الشريف ..
* أرسله الرسول الكريم مع غيره الى البحرين لينشر الاسلام ، ويرشد المسلمين الى أمور دينهم ويفتيهم ..
* دعا له الرسول بالحفظ ، فكان من أحفظ الصحابة لحديثه ..
* وأبو هريرة رضى الله عنه اكثر الصحابة حديثا عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم .
* روى له ابن حنبل فى مسنده ثلاثة آلاف وثمانمائة وثمانية واربعين حديثا بعضها مكرر باللفظ والمعنى ، وله فى الصحيحين ستمائة وتسعة من الاحاديث ، وجملة ما روى عنه يجاوز الخمسة آلاف اما من روى عنه من كرام الصحابة والتابعين فيبلغون ثمانمائة .
* عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو هريرة وعاء ((من العلم)) ..
* عابه قوم بكثرة روايته عن الرسول وافراطه فى الحديث عنه ، وشككوا فى بعض ما رواه ولكن الثقات من الباحثين ردوا عليهم فيما عابوه به ، وانصفوا الصحابى الراوية المحدث ..
* تملأ أحاديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم كتب أصحاب المسانيد والصحاح ولا يكاد يخلو منها كتاب من كتب الحديث .

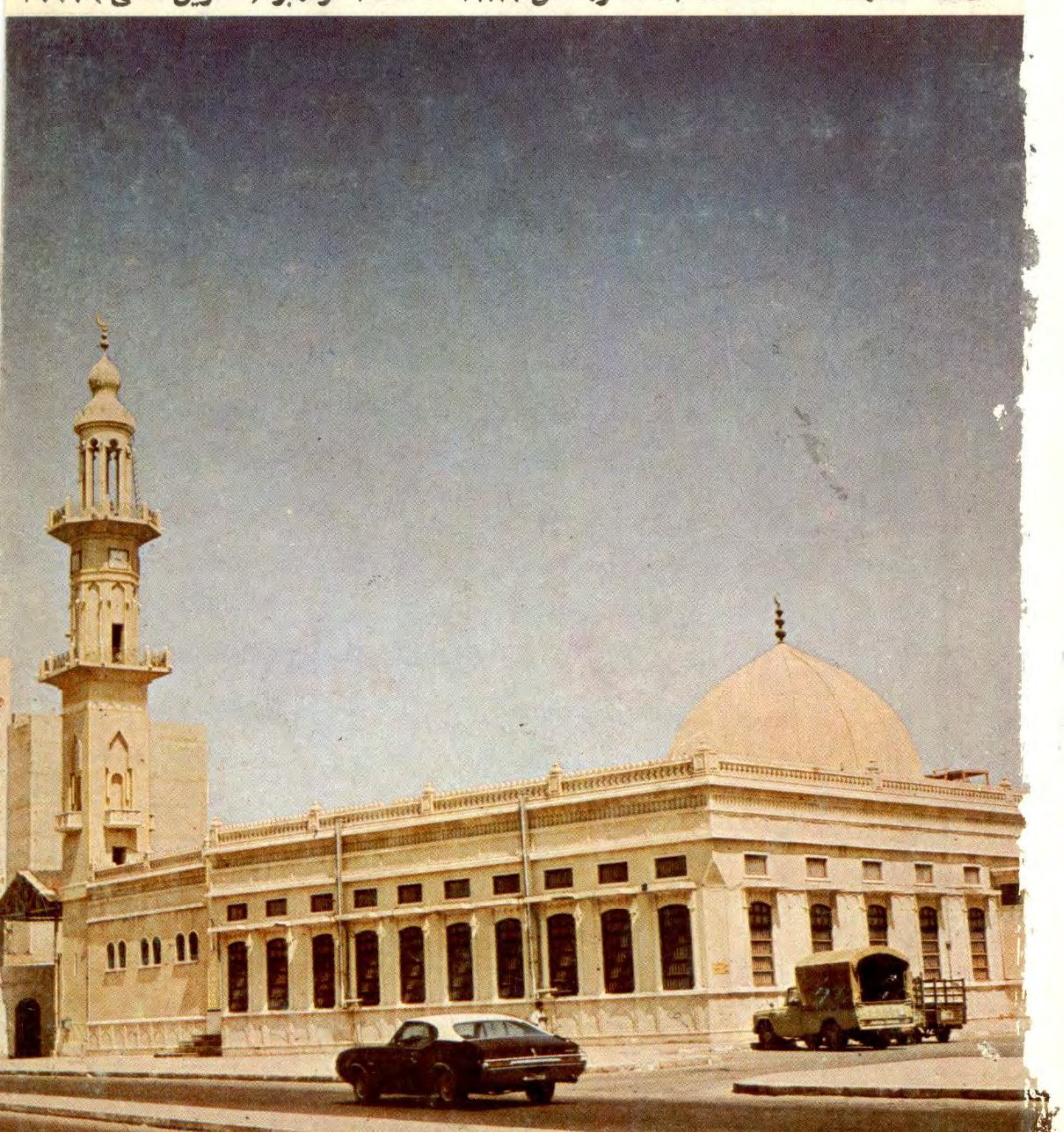
رضى الله تعالى عنه ،،

العوضى الوكيل

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة ـ العـــدد ٥٧ ـ رمضان ١٣٨٩ هـ ـ ١٠ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٩



اقرأ في هذا العدد

مسجد السوق الكبير



من أضخم مساجد الكويت ، وتطل منارته الشاهقة على أكبر المناطق التجارية ، وهو مزود بمكيفات الهواء ومبردات الماء ومفروش بالسجاد الفاخر ، ويؤدى فيه أمير البلاد المعظم صلاة العيدين ، وتقيم فيه وزارة الاوقاف احتفالاتها الجامعة فى المناسبات الدينية ..

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة الخامسة

العدد السابع والخمسون

رمضان ١٣٨٩ هـ

١٠ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٩ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		فرنك وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
(أما الافراد فيشتركون رأسا)
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت

حديث رمضان

محمد مؤذن



حديث رمضان حديث شيق دائما لدى الكاتب والقارىء معا .. فالكاتب يستوحى معانيه من هذا الحشد الهائل من الأحداث التى حفل بها هذا الشهر الكريم ، ومن نوعية العبادة التى تميز بها ، ومن الهدى النبوى فى أيامه ولياليه ، ومثله فى ذلك مثل السخى الكريم الذى أصاب كنزا ثمينا فأخذ ينفق منه ذات اليمين وذات الشمال مستمتعا بلذة الوجدان والعطاء ...

ويجد القارىء فى رمضان متعة فى القراءة قلما تتهيأ له فى غيره من الاوقات . نظرا لما توقظه فيه عبادة الصوم من وعى ، وما تثير فى نفسه من أشواق وتطلعات لا تجعل فى حياته مجالا للهو العابث الذى قتل به وقته طول العام .

ونتيجة لهذا التهيؤ النفسى والعملى للارسال من جانب الكتاب ، والاستقبال من قبل القراء عبر الموجات الروحية التى تسرى فى هذا الموسم الدينى ـ كانت سوق الكلمة

• شهر الموسم الثقافي الإسلامي الكبير
• لقاءات ليلية بين الرسول وبين أمين الوحي
• كل شيء من أجل الإسلام هو شعار النصر

الطيبة فيه رائجة ، وتجارة المقالة النافعة رابحة .

وقد حرصت أجهزة الاعلام ، وخاصة الصحف والمجلات التى تصدر فى البلاد العربية والاسلامية على أن تجعل لأحاديث رمضان بابا ثابتا ومكانا بارزا فى صفحاتها الرئيسية ، كما حرص المؤلفون والناشرون على أن يوقتوا ظهور المؤلفات الاسلامية فى العقيدة والعبادة والسيرة النبوية ، وسائر فنون المعرفة والثقافة ـ بظهور هلال رمضان وفاء بما ألزمهم الله تعالى من واجب التوجيه والتعليم ، وارواء لظمأ القراء ، وتلبية لرغباتهم وتطلعاتهم .

وهذا النشاط الثقافى الملحوظ والتجاوب الكامل بين الكاتب والقارىء فى هذا الشهر ليس أمرا طارئا على المجتمع الاسلامى ، ولا نتيجة ليسر الطباعة وانتشار الصحافة وسرعة النقل ، بل هو طابع قديم وأصيل أصالة الاسلام نفسه .. فقد أفرده علماء السلف الصالح بمؤلفات خاصة . بعضها يحمل اسمه وعنوانه وبعضها يسمى باسم العبادة المفروضة فيه ، والآخر يسمى باسم لياليه الكريمة أو أشهر المعارك الحربية التى وقعت فيه ، والمكتبة الاسلامية زاخرة بأمثال هذه الكتب : فضائل رمضان ، مجالس رمضان . فضائل ليلة القدر . غزوة بدر . فتح مكة .. الخ هذه العناوين التى تدل على مدى اهتمام المسلمين بهذه الأيام العظيمة ، بل ان بعض العلماء الاعلام كان يؤرخ الفراغ من مؤلفه الضخم فى التفسير أو الحديث أو الفقه ، أو سائر فنون الثقافة الاسلامية ببدء الصيام فيقول : وكان الفراغ من كتابته فى غرة رمضان ، أو بليلة القدر فيقول : وقد صادف الانتهاء من املائه ليلة القدر ، فكان رمضان هو الموسم الثقافى الكبير الذى يؤرخ به ، كما يؤرخ المحدثون اليوم افتتاح مصنع أو مؤسسة بعيد وطنى أو مناسبة قومية .

ولم يقف النشاط الثقافى فى

رمضان ـ ابان العصور الزاهرة للاسلام ـ عند حدود القراءة والكتابة أو الكتاب والصحيفة ، بل حفلت المساجد والدور بالمحدثين والقراء وضاقت بالاعداد الضخمة من المستمعين والراغبين فى التعلم والتزود من المعرفة ، وكان للملوك والحكام لقاءات خيرية فيه مع العلماء والرعية فى حلقات الدرس بين المنابر والمحاريب .

وقد ازدان التاريخ الاسلامى بصور مشرقة لهذه الندوات الثقافية الرفيعة ولمجالس القراء الذين كانوا يرتلون آيات الله البينات آناء الليل وأطراف النهار ، وقد استمر هذا النشاط العلمى الى عهد قريب ، ولا يزال المعمرون منا يقصون علينا خبر تلك المجالس الرمضانية ، ويروون لنا طرفا مما كان يدور فيها من مناقشات علمية جادة .

وكانت بداية هذا النشاط ، بل قمته بين انسان كامل ، وملك مقرب ، بين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين جبريل أمين الوحى عليه السلام .. وكانت لهما لقاءات ليلية دائمة فى رمضان . يتدارسون فيها كتاب الله الذى أنزل فى رمضان هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .. روى الامام البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما : قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل فى كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة .

هذه اللقاءات بين الرسول وبين أمين الوحى ، وما تلاها من تلاقى صاحب الرسالة مع أصحابه ، وتلاقى أصحابه بعضهم مع بعض ـ كانت كلها على كتاب الله ـ علما وعملا ، فهما وتطبيقا ، تربية وسلوكا .. وهذه هى بداية الانطلاق والابتداء لقوة الاسلام ، وسيادة المسلمين ، وهى التى جمعتهم على شعار موحد هو : (كل شىء من أجل الاسلام) .

وقد ظهرت ثمرات التحرك الاسلامى فى ظل الايمان الوثيق بالله ، والعمل الخالص من أجل الاسلام ، فى جميع الميادين والمعارك التى فتحها أو خاضها المؤمنون .

وقد اقترن أولها وأشهرها برمضان ، ففى السادس عشر منه فى السنة الثانية من الهجرة كانت غزوة بدر التى دفع اليها ، وخطط لها ، وقذف بالقلة المؤمنة فيها ـ الايمان المتوقد المتدفق ، لا العقل البارد المتعثر .. اذ المنطق الحسابى والتقدير المادى لهذه الغزوة يقطع مسبقا بأن نتائجها ليست فى صالح المؤمنين وأن الأقدام عليها منهم مخاطرة ومغامرة وغرور ... هذا هو منطق الذين أجدبت قلوبهم من الايمان ، وتفكير المنافقين الذين لا هم من المؤمنين ، ولا هم من الكافرين ، وقد عبر القرآن عن هذا المنطق والتفكير ، فقال سبحانه : (اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم) وفرق كبير بين هذا المنطق ، وبين منطق الايمان الذى ذابت فى حرارتة جموع الأعداء وعدتهم ، فرق بين هذا المنطق ومنطق المؤمنين الذين يقولون للقائد صلى الله عليه وسلم : «وهم يرون الطلائع الأولى لفرسان الاعداء تسير فى زهو

وخيلاء : يا رسول الله امض لما أراك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : (اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون) ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، والذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك ــ دونه حتى تبلغه) ويقولون : لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، انا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عيناك فسر على بركة الله .

وانا لنجد هذا الطابع الايمانى . طابع الرغبة فى الجهاد ، والاستماتة فيه ، والبعد عن الاغراق فى التفكير، والاسراف فى الحذر ، وتوقى المخاوف ــ طابع المؤمنين بعد عصر النبوة ، فتاريخهم حافل بالمغامرات والخطوات الجريئة فى سبيل الله وهذا هو سر انتصاراتهم الساحقة .

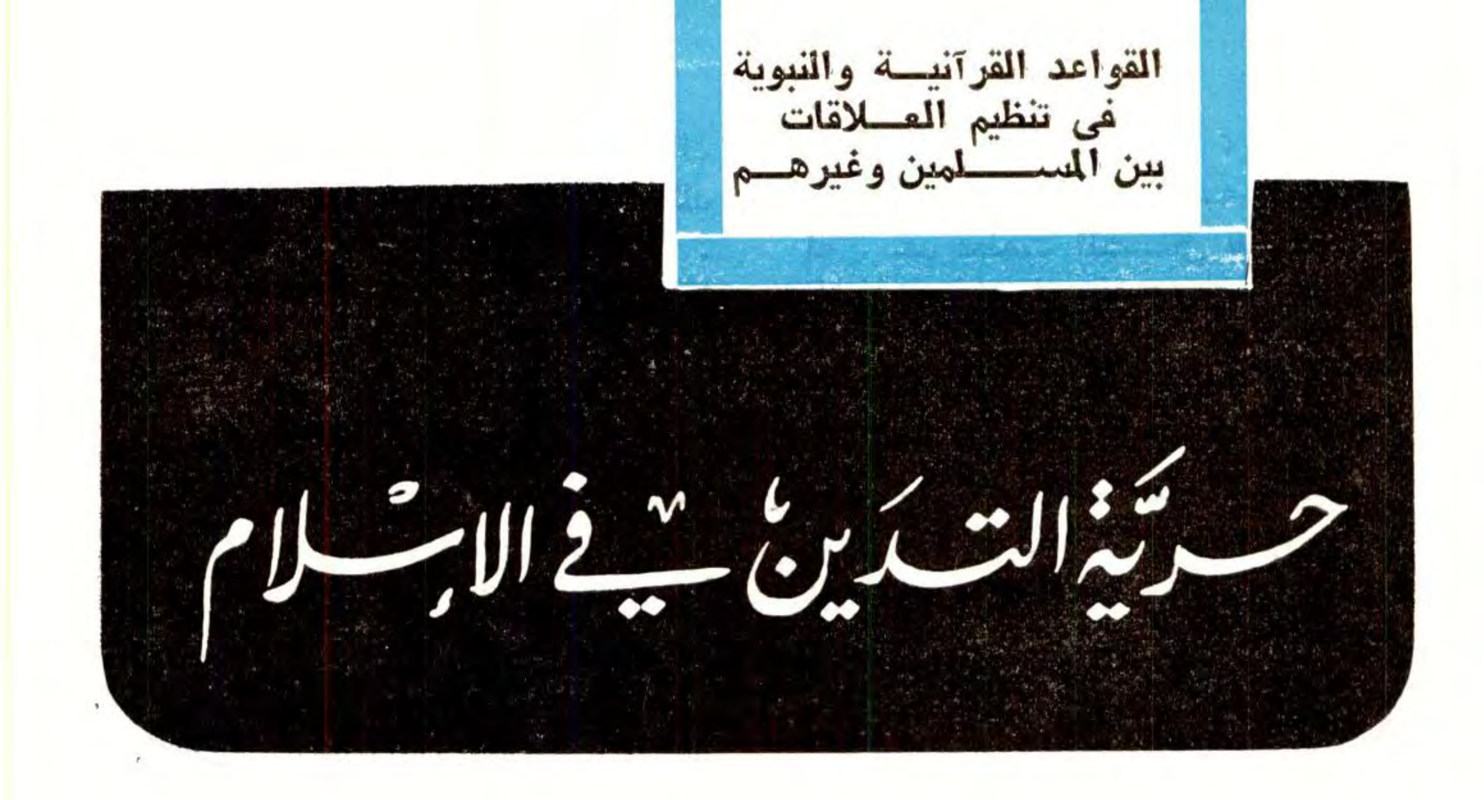
يروى التاريخ ان طارق بن زياد فاتح الأندلس لما نزل بالجزيرة الخضراء ، أمر بالسفن ، فأحرقت فأثار ذلك بعض رجال جيشه ، وقالوا له : لقد قطعت الحبال بيننا وبين بلادنا . فضحك طارق من تفكيرهم وقولهم ، ووضع يده على السيف وقال : انما يحافظ على السفن من يفكر فى الرجوع .. أما أنا فقد عزمت على البقاء فى هذا المكان والقتال ، فاما أن يكون لنا وطنا ، واما أن يكون لنا قبرا . وكتب الله للايمان النصر .

وهذا الايمان الذى يحشد جميع القوى المؤمنة ، ويضع كل طاقاتهم وامكانياتهم فى خدمة الاسلام ، ومن أجل المعركة ــ كما يقال ــ هو الذى تفتقر اليه الأمة العربية والاسلامية فى الصمود والردع والثأر من أعدائنا وأعداء الله .

هذا بعض ما يذكرنا به رمضان وما يثيره الحديث عنه فى نفوسنا ، وما يوحى به من أمجاد وذكريات ودروس هى مشاعل تضىء لنا معالم الطريق فى حاضرنا المؤلم ، وواقعنا المرير : (ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)

المحرر .





للأستاذ : محمد عزة دروزه

ان حرية التدين فى الاسلام بالنسبة لغير المسلمين من القضايا المحكمة ، وان المعاهدين والمسالمين والخاضعين منهم سواء أكانوا كتابيين أم غير كتابيين يستطيعون أن يعيشوا جنبا الى جنب مع المسلمين ، مع قيام حسن التعايش والتواصل والتعامل بينهم ، ومع تمتعهم بحريتهم الدينية وطقوسهم ومعابدهم ، ومع واجب ضمان دمائهم وأعراضهم وأموالهم وأملاكهم على السلطان الاسلامى كالمسلمين سواء بسواء ، وان حالة الحرب والعداء بين المسلمين وغيرهم لا تقوم شرعا بسبب عدم اسلامهم ، وانما بسبب ما يبدو من بعضهم من مواقف عدائية وعدوانية ضد الاسلام والمسلمين من قتال ونكث عهد ، ومناصرة للاعداء ، وصد عن سبيل الله ، وفتنة للمسلمين ، وطعن فى دينهم الخ .. وان هذه الحالة تنتهى حينما ينتهى الواقف هذه المواقف من مواقفهم بالمعاهدة والمسالمة والخضوع أو الاسلام ، وان هذه الحالة لا تقوم أصلا بينهم وبين من يوادهم ويسالمهم ، ويكف عنهم يده ولسانه ، ولا يصد عن دينهم ولا يطعن فيه .

وفى القرآن آيات كثيرة تدعم هذا المبدأ المحكم ، ويمكن أن يضاف اليها آيات كثيرة أخرى تدعمه احتوت تقريرات صريحة بأن النبى صلى الله عليه وسلم جاء مبشرا ونذيرا ومذكرا وداعيا الى الله ، وأنه ليس جبارا ولا مسيطرا على الناس ، ولا مسئولا أو وكيلا عنهم ، وأنه لا اكراه فى الدين بعد أن تبين الرشد من الغى والحق من الباطل ، وان من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، وان للمسلمين دينهم ، وللكفار دينهم الذى يستطيعون أن يحتفظوا به اذا شاءوا مما هو وارد فى آيات كثيرة من القرآن ، وتضاف اليها الاحاديث العديدة التى أوردناها فى ما يجب على المسلمين وجيوشهم وأمرائهم أن يفعلوه مع غير المسلمين من أعداء ومعاهدين ومسالمين وخاضعين ، والتى هى متساوقة مع الايات القرآنية .

ولقد كان السلطان الاسلامى وظل ملتزما بهذه المبادىء فى جميع الادوار والافكار ، مما استفاضت أخباره فى كتب التاريخ ، ومما لا تزال آثاره قائمة فى ما كان وظل فى مختلف أدوار التاريخ ، وفى مختلف أنحاء البلاد الاسلامية من طوائف عديدة متنوعة غير مسلمة احتفظت بأديانها وطقوسها وتقاليدها ، وحافظ السلطان الاسلامى على حريتها ودمائها وأموالها وأعراضـــها كالمسلمين سواء بسواء ، بل لقد وصل تسامح السلطان الاسلامى الى درجة أنه كان يتسع فى مختلف الادوار والاقطار لوجود طوائف اسلامية فى أصلها ، ثم انحرفت عن الاسلام ومقتضياته الى درجة المروق منه ، والارتداد عنـــه ، مع أن الشرع الاسلامى يجعل قتالها وقتلها اذا لم تتب واجبا ، وكل هذا مما لم يكن له مثيل فى تاريخ الاديان الاخرى التى كانت المذابح لا تنقطع بين معتنقيها بسبب اختلاف الدين والعقيدة ، بل والممارسة والمذاهب مع وحدة الدين والعقيـــدة مما هو مشهور معروف .

واذا كان التاريخ سجل بعض الشذوذ عن ذلك فى ظل الاسلام فى بعض حقبه وأقطاره فمرده على الاعم والاغلب الى ســـلوك بعض الطوائف سلوكا مناقضا مع ما التزمت به من واجب المسالمة وكف اليد واللسان وعدم التناصر عليهم مع أعدائهم ، أو الاستجابة لتحريض هؤلاء الاعداء ، ممـــا انكشف أمره وحقيقته ، ولم يعد سرا يجوز فيه التدليس والتضليل ، وما شذ عن هذا فهو نادر لا يتحمل الاسلام مسئوليته لأنه لا يرد اليه .

والى هذا فقد انكشف لكل ذى بصيرة وانصاف من غير المســـلمين زيف الخرافة التى كان يروجها أعداء الاسلام من أن الاسلام قد انتشر بالسيف فى زمن النبى وخلفائه من بعده ، وحق الحق وزهق الباطل ، وعرف الناس أن النبى صلى الله عليه وسلم وخلفاءه رضى الله عنهم قد التزموا بذلك المبدأ المحكم ، وأن الحروب التى وقعت فى زمنه وفى زمن خلفائه من بعده انما كانت بسبب مواقف العداء التى وقفها الاعداء من الكفار ، وأن القتال لم يكن الا ضدهم ، وأنه كان يتوقف حالا حينما يجنحون الى السلم والسلام ، وينتهون من مواقف العـــداء والعدوان بأية صورة ، وأن الاسلام انما انتشر بالدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن ، ثم بما فى مبادىء الاسلام القرآنية والنبوية من عناصر القوة النافذة الى أعماق القلوب والعقول الكافية يجعل الناس الذين تجردوا عن المكابرة والعناد ، وتبرءوا من الغرض والهوى ، ورغبوا فى الحق والحقيقة يستجيبون اليها .

ولقد كان هذا فى زمن ضعف النبى صلى الله عليه وسلم فى مكة أيضا مما فيه البرهان الساطع الذى لا يمكن دحضه والمراء فيه ، حيث استجاب الى الدعوة طوائف من مختلف الفئات والملل والاجناس والالوان ، فيهم اليهودى والنصرانى والمجوس والصابئى والمشرك والوثنى والذكور والاناث والشباب والشـــيوخ والزعماء والاغنيـــاء والفقراء والعربى القرشى واليمنى والحجـــازى والنجدى والتهامى والشامى والعراقى والمصرى والفارسى والحبشى والرومى فى مكة وفى المدينة قبل الهجرة حتى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يهاجر الى المدينة الا

وكان الاسلام قد دخل كل بيت من بيوتها (١) . والذين وقفوا منها مواقف العناد فى مكة كانوا من الزعماء والاغنياء ، وكانت مواقفهم استكبارا فى الارض ومكر السيء ما تمثله آية سورة الزخرف هذه (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ..) وآيات سورة فاطر هذه (وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا . استكبارا فى الارض ومكر السيىء ولا يحيق المكر السيىء الا بأهله ..) وقد استطاعوا أن يصدوا أكثر أهل مكة عن الاسلام من تابعيهم ، أو ما لهم مصلحة معهم مما تمثله آية سورة الاحزاب هذه : (وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ..) وآية سورة سبأ هذه : (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا ..) ثم استمر ذلك على نفس المنوال فى الهجرة حيث دخل الناس فى دين الله أفواجا من كل نحلة وجنس ولون وطبقة أيضا ، ودخل أهل مكة ثم سائر العرب بعد أن هلك زعماء مكة وأغنياؤها ، وانكسر الجدار الذى كان يقف أمام الدعوة والعرب ، مما يمثله آيات سورة النصر هذه : (اذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا ..) ثم استمر ذلك بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، وظل الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فى مشارق الارض ومغاربها من كتابيين وغير كتابيين بالدعوة ، ثم بما كان يضر به الدعاة من حكام وقواد فتح ومجاهدين وقضاة وعمال من أروع الامثلة التى كانت تتمثل فيها المبادىء السامية القرآنية والنبوية ليرى كيف كان الكتابيون من نصارى ويهود الذين استطاعوا أن يتغلبوا على هواهم وأحقادهم ومآربهم ، ورغبوا فى الحق والحقيقة والهدى ، ويروا أعلام النبوة المحمدية يقبلون على الاسلام فى زمن النبى فى مكة وفى المدينة بشوق ولهفة وخشوع وبكاء ، ويعلنون أن القرآن حق منزل من الله ، وأن محمدا نبى الله ، ويؤمنون بهما غير عابئين بانتقاد وجبروت المنتقدين من قومهم ومن المشركين . ولم يقف موقف المكابر الجاحد لما عرف أنه الحق الا جمهرة من اليهود بزعامة بعض أحبارهم وزعمائهم ، وقليل من النصارى بزعامة بعض رهبانهم ، وكان ذلك لأسباب تمت الى المنافع والمراكز مما يتمثل فى آيات عديدة .

وقد خصصنا اليهود والنصارى بالذكر لأن أصحاب تلك الخرافة انما روجها الحاقدون منهم ، وهناك كتب كتبها نصارى فيها تفنيد قوى لهذه الخرافة ، وتقريرات قوية مدعمة بالحجج والوثائق فى كون انتشار الاسلام انما كان بالدعوة والدعوة فقط نذكر منها كتاب تاريخ الدعوة لارنولد توماس ، وفتح العرب لمصر لبتلر ، وحضارة الاسلام لغوستاف لوبون .

ولقد شاء بعض الكتابيين من رهبان وأحبار وغير رهبان وأحبار أن يحتفظوا بدينهم فكان لهم ذلك ، وما تزال أنسالهم موجودة كالجزر الصغيرة فى الخضم الاسلامى العظيم ، فكان ذلك البرهان الساطع الذى يفقأ عين كل مكابر على

---

(١) يمثل هذا اية سورة الحشر (والذين تبوؤوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ..) وانظر أيضا الجزء الثانى من سيرة ابن هشام ص ٤٢ — ٤٩ ، وقد ذكر فيها كيف أقبل أهل المدينة على الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون ، وهذا قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم بشخصه .

التزام المسلمين بحرية التدين لغيرهم ، ولقد كان السلطان الاسلامى قويا قادرا على ارغامهم على الاسلام ، أو ابادتهم لو لم يكن ملتزما بذلك المبدأ المحكم .

ولقد قال أصحاب تلك الخرافة حينما اصطدموا بالحقيقة أن الكتابيين الذين أسلموا قد أسلموا للخلاص من الجزية استنادا الى بعض روايات غير وثيقة مع التجاهل لروايات أخرى تنقضها ، وقد فند بتلر وتوماس وغيرهما هذه الدعوة ، ومن طريف ما قالوه وهو حق أن الذى يتخلى عن دينه ليتخلص من جزية زهيدة لا يزيد أعلاها عن أربعة دنانير فى السنة ، وليست الا على الاغنياء والكاسبين من الرجال البالغين ، وكان يستثنى منها النساء والاطفال والشيوخ والمرضى والرهبان والاحبار ليس هو من ذلك الدين ، وليس هذا الدين منه فى شىء ، ونزيد على ذلك أن زيف ذلك وغثاثته يبدوان قويين حينما يعرف المرء أن الكتابى يعلم أنه اذا أسلم صار متلزما بأداء الزكاة التى لم يكن نصابها عاليا ، وهو عشرون مثقالا من الذهب أو مائتا درهم من الفضة ، وكان سيلتزم بالقتال والتعرض للأخطار ، وكان هو معفيا من هذا وذاك مكتفى منه بأداء تلك القيمة الزهيدة . .

مركز رعايا الدول الاسلامية من غير المسلمين :

وهذا موضوع متصل بالبحث السابق ، فقد كان منذ بدء السلطان الاسلامى تحت راية النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة طوائف من غير المسلمين يعيشون فى ظل هذا السلطان ، وهؤلاء اما أن يكونوا مواطنين أصليين للمسلمين كفوا منذ البدء ألسنتهم وأيديهم عن المسلمين والاسلام وسالموهم ووادوهم ، أو أعداء مناوئين ثم خضعوا للسلطان الاسلامى ، ودخلوا فى ذمة المسلمين ، ورعوية هذا السلطان على أساس الاحتفاظ بدينهم وأداء الجزية ، أو عاهدوهم بدون حرب وجزية ، أو بعد حرب بدون جزية على أن يعيشوا فى كنف سلطانهم كافين عنهم ألسنتهم وأيديهم .

وليس فى القرآن والسنة ما يفيد حظر أى نوع من أنواع الحريات المشروعة على كل هؤلاء . تعبدية كانت أو معاشية أو مدنية أو شخصية أو اجتماعية أو اقتصادية كالمسلمين سواء بسواء . ونواهى القرآن والسنة عن الاعتداء على مال الغير ودمه وعرضه ، وأوامرها بالتزام الحق والعدل والقسط والمعروف عامة تشمل المسلمين وغيرهم من غير الاعداء ، هذا فضلا عن ما هناك من أحاديث خاصة أوردناها فى بعض مقالاتنا السابقة فى التشديد برعاية عهد وذمة المعاهدين والذميين وحمايتهم ورعاية حقوقهم وسلامتهم ، ويكون كل هذا من باب أولى لرعايا الدول الاسلامية من غير المسلمين بطبيعة الحال .

وليس من شأن نص بعض الدساتير على أن دين الدولة الاسلام أن يضارهم فى شىء ما دامت حريتهم الدينية وحقوقهم وسلامتهم مضمونة ونشاطهم الاقتصادى والاجتماعى والشخصى مصونا معترفا به ، والمسألة شكلية منبثقة من كون الاسلام هو دين الكثرة الساحقة من سكان الدولة ، بل وان هذا النص لن شأنه أن يوثق ما لهم من حقوق وضمانات لأن ذلك مما نصت عليه مصادر الاسلام الرئيسية أى كتاب الله تعالى وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ،

ومن تحصيل الحاصل أن يقال إن المسلمين سلطانهم وعامتهم ملتزمون بالنص القرآنى الآمر والحاث على الاقساط الى الكافين عن المسلمين والاسلام أيديهم وألسنتهم والبر بهم ، ويدخل فى ذلك حسن التعامل والتعايش والتواصل فى مختلف الشؤون والمجالات .

ولقد جرى حكام المسلمين من عهد الخلفاء الراشدين على الاستعانة بهم فى مختلف مصالح الدولة وشؤونها ، وليس هناك أى مانع من كتاب وسنة من ذلك على مختلف المستويات باستثناء رئاسة الدولة .

ولقد مر على التوقف عن تقاضى الجزية من الاجيال الذين ارتبط آباؤهم بها فى زمن الفتوحات الاسلامية مدة طويلة ، وصـــار ذلك ســـائغا عند حكام المسلمين وخاصتهم وعامتهم ، وليس فى الكتاب والسنة ما لا يسوغ ذلك ، فلم يبق محل لذكرها وتذكرها فضلا عن استئنافها .

مسألة تقاضى غير المسلمين فى شؤونهم الخاصة :

فى سورة المائدة فصل طويل فى هذه المسألة وهو الايات ٤١ ــ ٥٠ التى يحسن بالقارىء قراءتها معهذا المقال حيث رأينا عدم اثباتها تفاديا من التطويل ، والمقال لا يتحمل شرح ظروف نزول الآيات ، فنكتفى بالقول أنها تفيد بقوة أنها فى صدد الذين كانوا فى كنف السلطان الاسلامى فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأنها تشريع مستمر المدى لما بعده ، كما تفيد أن لليهود والنصـــارى الحق فى التقاضى فى شؤونهم الخاصة أمام قضاتهم ، ووفق أحكام التوراة والانجيل اذا أرادوا وأن لهم أن يتحاكموا فى هذه الشئون أمام القضاء الاسلامى اذا أرادوا وأن عليهم فى الحالة الاولى أن يلتزموا بأحكام التوراة والانجيل .

وفى الحالة الثانية أن الحكم يكون وفق الشرع الاسلامى[٢] والآيات قد تفيد أن للسلطان الاسلامى أن يلزمهم بعدم الخروج عن نطـــاق أحكام التوراة والانجيل فى الحالة الاولى ، وهكذا تتسق المبادىء الاسلامية فى توفير الحرية الدينية وضمانها لليهود والنصارى الذين يكونون تحت كنف السلطان الاسلامى .

والقاعدة هى فى صور التقاضى فى الشؤون الخاصة . أما القضايا التى يكون المسلمون طرفا فيها فلا خلاف فى أن مردها الى القضاء الاسلامى والحكم فيها يكون بموجب الشرع الاسلامى .

هذا فى صدد اليهود والنصارى . وقد يكون هناك طوائف غير مسلمة أخرى فى كنف السلطان الاسلامى مشركة أو وثنية .

والنص القرآنى صريح بأن الرخصة هى بالنسبة لليهود والنصارى والتوراة والانجيل ، وأن ذلك مستمد من كون الكتابين منزلان من الله تعالى فيهمـــا نور

---

(٢) هذا صريح قطعى فى الايات ٤٨ و٤٩ من سورة المائدة .

وهدى ، وبالتالى أن ما فيهما من أحـــكام هى أحكام ربانية ، وليس هذا قائما بالنسبة للطوائف الاخرى المشار اليها . فيكون التقاضى فى شؤونهم راجعا الى القضاء الاسلامى والحكم فيها مستمدا من الشرع الاسلامى ، والاية الاخيرة من الفصل صريحة التقرير بأن ما عدا أحكام الله فى كتبه المنزلة هو حكم جاهلى لا يصح أن يكون فى السلطان الاسلامى .

ولقد ذكرنا فى مقال سابق أن تعبير أهل الكتاب فى القرآن والاحاديث ، وان كان يقصد به اليهود والنصارى ، فان فى القرآن ما يفيد سواغ شموله لملل أخرى ، اذا كان عندها كتب عليها سمة من سمات كتب الله ، وادعت أنها نزلت على عظيم من عظمائهم يجوز أن يكون من رسل الله ، وهناك حديث وثيق السند رواه الامام أبو يوسف فى كتاب الخراج عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال فى صدد المجوس (أشهد على رسول الله أنه قال سنوا بهم سنة أهل الكتاب) كما روى عن على أنه كان لهم كتاب ربانى أهملوه مما قد يكون فيه تعليل لحديث النبى صلى الله عليه وسلم ، وبناء على هذا قد يرد سؤال عما اذا كان لمثل هـــذه الطوائف فى السلطان الاسلامى أن يتحاكموا فى شؤونهم وفقا لكتبهم الدينية .

والذى يتبادر لنا أن النص القرآنى ، وهو يذكر التوراة والانجيل وما فيهما من هدى ونور وأحكام الله وايجاب التزامهما من قبل أهلهما يلهم أن هذين الكتابين الالهيين كانا موجودين ومتداولين واقعيا ومسلما بذلك ، وهذا مما يسوغ القول أن لهما خصوصية ، ولا يصح أن يقاس عليهما كتب غير مذكورة فى القرآن وغير معروف وجودها يقينا ، ولا يمكن وصفها بما وصفت به التوراة والانجيل ، ويؤدى الى منع حق أهل هذه الكتب بتقاضيهم وفقها ، ولو ادعوا أنها من الله لأنها تظل دعوى بدون سند قرآنى .

وهذه المسألة غير مسألة حل طعام الذين أوتوا الكتاب للمسلمين ، وحل طعام المسلمين لهم ، وحل تزوج المسلمين بالمحصنات منهم الذى تضمنته آية سورة المائدة (٥) وشرحنا مداه قبل ، فنص هذه الاية مطلق يسوغ أن يشمل كل من ادعى أنه أهل كتاب ، وقامت الشواهد على احتمـــال صحة دعواهم خلافا لمسألة التقاضى التى فيها نص صريح بالنسبة للتوراة والانجيل وأهلهما وحسب ، والله تعالى أعلم .






ورثة الأنبياء

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد

المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
((العلماء ورثة الانبياء)) .
(رواه أحمد وأبو داود والترمذى وآخرون)

١ ــ أرسل الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، فقام يدعو الى الله على بصيرة هو ومن اتبعه ، وبدأ دعوته سرا ثم جهر بها حين أمر بذلك لما نزل عليه قول الله تبارك وتعالى : ((فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين)) وكان هذا أمر باعلان ما أمر به من الشرائع ، ولا يلق بالا الى تعنيف المشركين وايذائهم ، ولا يهتم بما سيكون عليه أمره معه بعد اعلان الدعوة ، فالله تبارك وتعالى حافظه منهم ، ومزيل لكيدهم ، وناصره عليهم ، وقد ورد فى الاخبار الصحيحة أن طائفة من المشركين كانت لهم شوكة وقوة ، وكانوا كثيرا ما ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالايذاء باللسان ، وربما تجاوزوا ذلك الى أبعد منه حين يمر بهم ، وقد أفناهم الله جلت قدرته تباعا ، وقد ذكر عدد منهم فى كتب السيرة الشريفة مثل الوليد بن المغيرة ، والعاصى بن وائل ، وعدى بن قيس ، والاسود بن عبد يغوث ، والاسود ابن عبد المطلب ، فأماتهم الله جميعا بأهون الاسباب ، حيث ورد أن سهما تعلق بثوب الوليد فحمله كبرياؤه على أن يتركه ولا يبعده عنه فأصاب عرقا فى عقبه فمات ، ولحق به العاصى بسبب شوكة لصقت بأخمص قدمه ، وأصاب عدى بن قيس مرض فى أنفه فمات ، وأصيب الاسود بن عبد يغوث بداء أودى بحياته ، وعمى الاسود بن عبد المطلب ، وهكذا باد الواحد منهم تلو الاخر ، ورسول الله يرى ذلك ويشاهده ، وتوالت عليه صلى الله عليه وسلم الاساءات من كل جانب ، ولكنه مضى فى طريقه مبلغا ما أمره الله بتبليغه ، وحين لزمت الهجرة من بلد

استعصى ايمان أهله ، وتفننوا فى الايذاء هاجر الى البلد الذى رحب به أهله وأعانوه على أمره بكل ما استطاعوا من قوة وما أوتوا من مال وولد .

وكان وجود سيدى رسول الله نورا وهدى ، فهو مبعث الرسالة ومصدرها يبلغ ما يوحى اليه من ربه ولا يسأل أحد سواه عن ما يتعلق بالتفاصيل التى تشرح الاسلام وتوضح طرائقه ، فكان كل شىء فى العقيدة وخصائص ملابساتها. وما غمض منها يرجع فيه الى سيدى رسول الله ، ولحق عليه الصلاة والسلام بالرفيق الاعلى بعد أن تركها على المحجة البيضاء ، وبعد أن أتم الله نعمته على عباده بالاسلام وارتضاه لهم دينا .

٢ ــ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ الصحابة يتصدرون للشرح والتوضيح ، فهم ورثته فى حمل الرسالة والقيام بأعبائها ، فما وجدوا له حكما فى كتاب الله أو فى سنة رسول الله أخذوا به وقبلوه وطبقوه وحلوا به مشكلاتهم وأما ما نجم من الامور التى لم تحدث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد عمدوا فيه الى القياس والتطبيق مراعين ما ورد من الاحكام عن رسول الله ، مقاربين لا مباعدين ، فظلت روح الشريعة ونصوصها تمضى حاكمة بين الناس ، ومصدرها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن بعدهم التابعون لهم باحسان .

واذا فتحنا صفحات التاريخ متحدثا عن القرون الاولى وجدنا علماء الاسلام قد حملوا الامانة على أحسن وجه وفى كل ميدان ، وما جاوزوا ما يشير به الاسلام قيد أنملة ، فقعدوا القواعد ، واستنبطوا أصول الاحكام ، وتشاوروا فيما غم عليهم ، وما غمض من شأن ، وجالوا فى كل مجال ، فلما امتدت الفتوح الاسلامية ، وخشى عقلاؤهم ضياع آثار رسول الله انتدبوا أنفسهم الى جمع ما تفرق من الاحاديث وغربلوها تماما ، ولم يرتضوا الا الصحيح بشروط وضعوها لمعرفته والاقتناع به ، وبرزت أسماء كريمة على الله من علماء المسلمين العاملين أمثال الائمة أئمة التشريع والفقه ، وهم كثر يفوقون الحصر وان كان قد شهر بعض أعلامهم لطول جهادهم فى تحصيل العلم وتعليمه للمسلمين ، وتعطر التاريخ العلمى للاسلام بوجود هؤلاء الصفوة .

٣ ــ كان أمثال أبى حنيفة ومالك وأحمد والشافعى والبخارى ومسلم والحسن البصرى والاشعرى وغيرهم ممن ورثوا الشريعة عن رسول الله حقا وأدوها صدقا ،وجاء من بعد فى كل قرن من حمل تلك الدعوة على أحسن وجه، وحارب بشدة كل بدعة نجمت ، وأبدى رأى الاسلام واضحا فى كل مخالفة ظهرت ، وبهذا حققوا الوراثة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال : « العلماء ورثة الانبياء » ثم قال فى موطن آخر ما خلاصته : **« نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة »** فعلم أنه صلى الله عليه وسلم لم يورث درهما ولا دينارا ، وانما ورث العلماء الهداية والارشاد ، وتحمل المسئولية الشرعية كاملة .

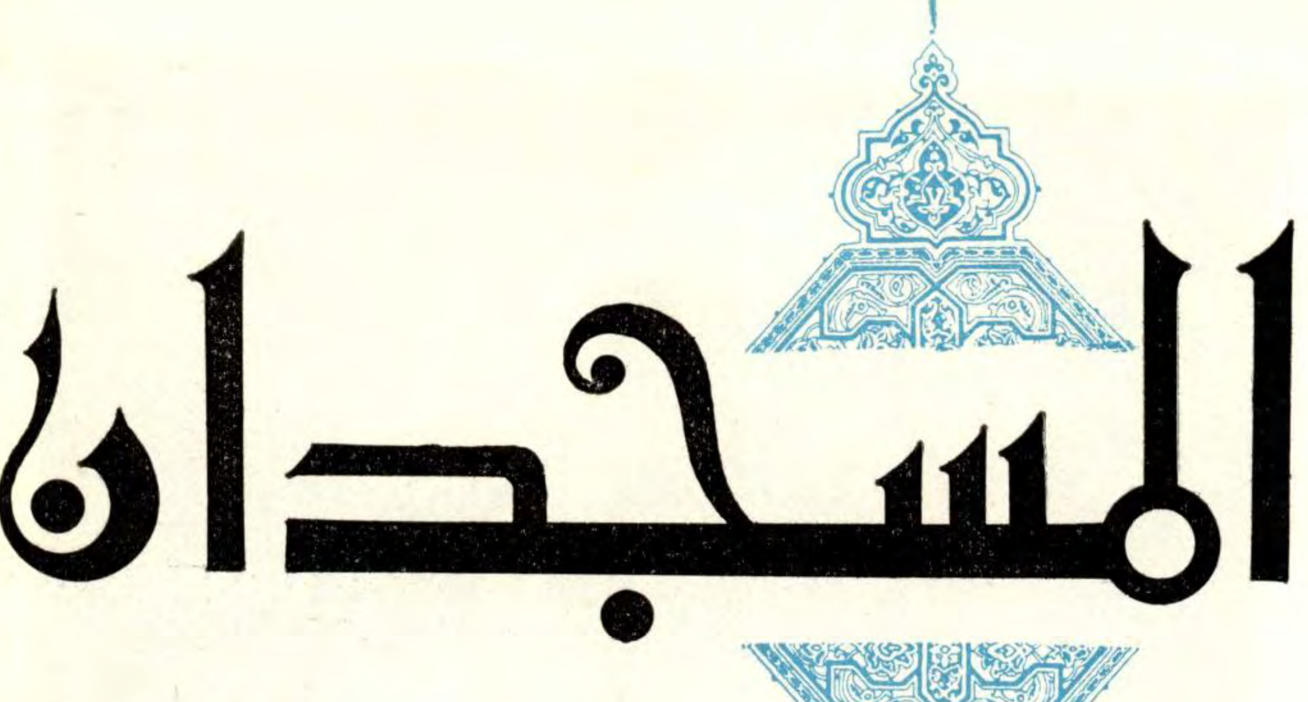
ولما اتصل المسلمون بالامم ذات الحضارة القديمة ، ونقلوا ثقافاتها الى لغتهم لم يقصروا فى البحث ، ولم يقبلوا الامور على علاتها ، بل أخضعوا البحوث

كلها لقواعد اسلامية ، وزادوا فى حضارة العالم حضارة ذات خصائص مميزة وعلائم واضحة .. واقتضى اتساع رقعة الدولة وتشعب مصالحها تنوع البحث بعيدا عن العبادات والمعاملات ، ونشأت بحوث فى الكون وما يقوم به أمور الحياة فى معاشها ، فجال علماء الاسلام فى هذا أيضـــا كل مجال ، ووضعوا أسس الحضارة المعاصرة ، وكانوا روادا فى علوم مختلفة ، ومن الممكن أن يقال ـــ والقلب مطمئن لمـــا يقال ـــ ان وجود المسلمين وحضارة الاسلام مرحلة كان لا بد منها للتطور الحضارى الذى نراه ونشاهده ، ونعيش فى ظله ونلمسه .

٤ ـــ وجد المسلمون دافعهم الى الدرس والفحص فى كتابهم الكريم المنزل من حكيم حميد ، فقد جعل الله آدم خليفة وجعل قصة خلافته من المحكم لا من المتشابه ، وضرب بها الامثلة على تفضيل آدم على جميع ما عداه من المخلوقات مسخرا تلك الكائنات لفكره وبحثه وعلمه ، فقد هيأ الله له هذه الارض ، وقوى هذا العالم وأرواحه التى بها قوامه ونظامه ، وجعل الانسان عاملا باختيـــاره وأعطاه استعدادا فى العلم والعمل ، ولمـــا علمه الاسماء كلها أمر ملائكته أن يسجدوا اعظاما لعلم آدم ، وتقديرا لمدى معرفته بأسرار الكون ومكنوناته ، وفى ثنايا ذلك الفخر العظيم والتعظيم البالغ مداه ، أبان الله لآدم ولذريته من بعده أن طريقهم فى الحيـــاة ليس سهلا ولا هينا ، وانما تلاحقه العقبـــات وتملأه المشكلات ، وكان أول مظهر لذلك نكوص ابليس وتكبره عن السجود لآدم ، وقال الله له : ((**ان هذا عدو لك ولزوجك**)) وبالتالى لذريتكما من بعد كما ، ولا تهنوا أمام المشكلات المتلاحقة والعوائق المانعة من التقدم .

٥ ـــ بعد هذا : وجـــد المسلمون فى قرآنهم الامر بالنظر فى السموات والارض ، ومعه الامر بالاستقامة فى أمور الدين ، ولم يجدوا فرقا بين الامرين ، فكلاهما من الله تعالى ، فوجب عليهم أن يعمروا حياتهم بالعبادات الخالصة لله ، محققين قوله تعالى : ((**فاستقم كما أمرت**)) .

فالاستقامة مطلوبة من رسول الله ، ومن أمة الاسلام جميعا ، وبعد ذلك وجب عليهم أن ينقبوا فى البلاد ويبحثوا عن خفايا الكون ليصلوا الى أسراره تنفيذا لأمر الله أيضـــا فى قوله ســـبحانه : ((**قل انظروا ماذا فى السموات والارض**)) فالامر للوجوب فاذا نحن قرأنا آيات الاحكام ، وعملنا بها وطبقناها ، فلنقرأ آيات العجائب الـــكونية ، ونعمـــل على التطبيق فى الزراعة والصناعة والتجارة والبحوث الكونية ، ولمـــا كنا قد أهملنا ذلك حينا لسبب أو لآخر فلنكفر عن هذا التقصير ، ولنبدأ بالعمل الجاد ولنحمل أبناءنا حملا على الفناء فى سبيل البحوث الكونية ، ومن ســـار على الدرب وصل ، وبهذا نكون ورثة حقيقيين لرسول الله وقائمين دائما بحق الله ، وجديرين بتلك الوراثة حتى نتسنم المكان الذى أراده الله لنا كأمة وسط لنكون شـــهداء على الناس ويكون الرســـول علينا شهيدا .



الأقصى المبارك والصخرة المشرفة



تحقيق وتاريخ

للشيخ : طه الولي

على أثر العدوان الآثم الذى ارتكبه اليهود فى المسجد الأقصى المبارك حين أحرقوا بالنيران منبره ومحرابه يوم ٨ جمادى الاخرة سنة ١٣٨٩ هـ (٢١ آب سنة ١٩٦٩ م) طلبنا الى المؤرخ الشيخ طه الولى أن يكتب لنا كلمة عن هذا الاثر الاسلامى العريق مع نبذة تاريخية خاصة بالمنبر الذى ذهبت به النيران عن اخره .

فكتب لنا الشيخ هذه الدراسة المهمة التى ننشرها على حلقات ونلفت نظر القراء لمتابعتها .

(الوعى)

بيت المقدس متحف رائع للفنون الدينية فى الاسلام :

استأثرت مدينة القدس الشريف باهتمام المسلمين منذ العصور الاولى للفتح الاسلامى نظرا لمكانتها الدينية التى أشار اليها القرآن الكريم فى أكثر من



آية ، وأكدتها السنة النبوية الشريفة فى عدد غير قليل من الاحاديث والاقوال المأثورة .

وعلى الرغم من تعاقب السنين وتقادم الزمن ، فان هذه المكانة الرفيعة بقيت آخذة بنفوس المسلمين وألبابهم دون أن يعروها تراخ أو وهن ، وقد شارك المجتمع الاسلامى على مختلف عصوره ومستوياته فى التعبير عن احترامه لمدينة بيت المقدس بجميع الوسائل التى يملكها سواء بالاقوال المكتوبة أو الافعال المادية فى مجالات البناء والعمران . وان المصنفات الدينية والمؤلفات التاريخية قد ازدحمت صفحاتها ذوات العدد بالشواهد الناطقة على حرص جميع الشخصيات الاسلامية ، عبر عهودها المتباينة على تخصيص هذه المدينة المقدسة بالنعوت السامية ، واختيارها لاقامة الاثار الدينية التى ما تزال حتى الان تستقطب عناية علماء الدراسات والفنون الاسلامية فى محافل الغرب والشرق على حد سواء .

وانه ليمكن القول ، بل الجزم ، بأن الكتب التى ألفت عن التراث الاسلامى فى القدس الشريف سواء من الناحية الاثرية ، لا يكاد يضاهيها من حيث الاهمية النوعية والكمية العددية ، أى كتب أخرى مما ألف حول غيرها من المدن فى جميع أطراف العالم ان فى القديم أو الحديث .

واليوم ، وقد أصبح ما فى رحاب هذه المدينة التاريخية من معالم الاسلام تحت سلطان الدولة اليهودية ، ونزوات التعصب الحاقد التى تغلى بها صدور المسؤولين فيها ، وبعد أن أصبح الوضع السياسى والعسكرى للمدينة نفسها فى المأزق الذى ليس للمسلمين فيه أى حرية أو اختيار ، فاننا رأينا أن نأخذ أنفسنا باحصاء تلك المعالم الفنية بمعانى الفن والجمال والقيم الروحية الخالدة ، التى أقامها خلفاء المسلمين وملوكهم وأمراؤهم وأعيانهم وعلماؤهم فى أرض هـذه

البقعة الطاهرة ، منذ انبثق فجر الاسلام بضياء الحرية على البلاد الفلسطينية المقدسة ، حتى احتجاب هذا الضياء بالاحتلال اليهودى الذى جثم بظلامه عليها بعد كارثة حرب حزيران ١٩٦٧ م .

الفصل الاول :

مسجد الصخرة المشرفة

- بناه الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان بادارة رجاء ابن حيوة ويزيد بن سلام . — بدأ البنـــاء سنة ٦٦ هـ (٦٨٥م) وانتهى ســـنة ٧٢هـ ٦٩١م
- الوليد بن عبد الملك استخرج ما على القبة من ذهب وسكها نقودا أنفقت على ترميم المسجد .
- المأمون بن هرون الرشيد أمر بترميم المسجد ثانية عندما زار بيت المقدس . — سنة ٢١٦ هـ (٨٣١م)
- أم الخليفة المقتدر من آل عباس أمرت بصنع أبواب قبة الصخرة المشرفة من خشب التنوب (وهو نوع من جنس شجر الصنوبر) . — سنة ٣٠١هـ ٩١٣م
- الخليفة الفاطمى الظاهر لاعزاز دين الله أعاد ترميم القبـــة المشرفة وبعض أجزاء ســـور المسجد التى تصدعت أو سقطت أيام ولاية أبيه الحاكم بأمر الله . — سنة ٤١٣هـ ١٠٢٢م
- الصليبيون حولوا المسجد الى كنيســـة وبنوا على الصخرة المشرفة مذبحا باسم (هيكل السيد العظيم) . — سنة ٤٩٣هـ ١٠٩٩م
- السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن يوسف بن أيوب أزال عن المسجد معالم الكنيسة ، ورفع المذبح ومحا الرسوم والتماثيل ، وزين القبـــة المشرفة بنقوش جميـــلة . — سنة ٥٨٦هـ ١١٩٠م
- الملك العادل أخو صلاح الدين ثم الملك المظفر ، ثم الملك الافضل ثم الملك العزيز ، وجميعهم من سلاطين الايوبيين تولوا المسجد بعنايتهم وزادوا فى زينتـــه وتركوا فيه آثارا من الكتابة والنقوش الزخرفية .
- السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى من سلاطين المماليك البرجية ، اعتنى بعمارة المسجد وجدد فصوص الصخرة التى على ظاهر الرخام . — سنة ٦٦٩هـ ١٢٧٠م
- الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى (من سلاطين المماليك أعاد تجديد فصوص الصخرة المشرفة . — سنة ٦٩٤هـ ١٢٩٤م
- الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون جدد الزخارف الذهبية فى الصخرة المشرفة . — سنة ٧١٨هـ ١٣١٨م
- الملك الظاهر برقوق من المماليك البحرية أمر نائبه بالقدس الشريف بهادر الظاهرى بتجديد السدة (دكة — سنة ٧٨٩هـ ١٣٨٧م

المؤذنين) بالمسجد وأوقف على المسجد القيسارية المعروفة اليوم بخان السلطان .

- الامير أركماس الجلبانى قراسنقر الظـاهرى جقمق **سنة ٨٣٦هـ** ١٤٣٢م أوقف ضياعا ، جعل جانبا من ريعها للانفاق على قبة الصخرة المشرفة والعناية بها ، وذلك فى زمن الملك الاشرف برسباى .
- الملك الظاهر جقمق ، فى أيامه دخل بعض أبنـاء سنة ٨٥٢هـ ١٤٤٨م الاعيـان لصيد الحمام بالمسـجد الشريف فأحرقوا بشموعهم جانبا من قبة الصخرة فقام ناظر الحرم يومئذ القاضى شمس الدين الحموى باطفاء الحريق واصلاح ما احترق من القبـة ، فأنعم عليه جقمق بألفين وخمسمائة دينار ذهبا فاشترى بهـا الناظر المذكور رصاصا عمر به سقف القبة وأعاده أحسن مما كان من قبل الحريق .
- الملك الاشرف قايتباى المحمودى أمر بصنع الابواب سنة ٨٧٣هـ ١٤٦٧م النحاسية التى بمدخل القبة المشرفة من جهة الغرب.
- السلطان العثمانى سليمان بن سـليم الاول أعاد سنة ٩٤٥هـ ١٥٤٢م عمارة البـاب الشمالى لمسجد الصخرة المشرفة ، وصنع ست عشرة نافذة من الزجاج المذهب وكذلك ثلاثة أبواب نحاسية .
- السلطان العثمانى أحمد بن السلطان محمد خان وضع سنة ١٠٢٠هـ ١٦١١م فى داخل مسـجد الصخرة المشرفة قنديلين لهمـا سلاسل من الذهب الخـالص وكتب على القنديلين كلمات : الله ، محمد ، أبوبكر ، عمر ، عثمان ، على، الحسن ، الحسين ، وكتب بأسفل كل منهما اسمه .
- محافظ القدس الشريف ، قره قولاق ، حاجى مصطفى سنة ١١١٧هـ ١٧٠٥م باشا قام ببعض الترميمات فى المسجد باشراف تابعه حسين أغا .
- السلطان محمود جدد فى المسجد الشريف جزءا من سنة ١٢٢٣هـ ١٨١٧م بلاطاته الرخامية .
- السلطان عبـد المجيـد الاول أمر بترميم المسجد سنة ١٢٧٠هـ ١٨٥٣م الشريف فقام بهذا العمل خبير أرمنى يدعى قرابت ، وهذا كان خبيرا ببناء القباب ، وفى عهد السلطان المذكور أصلحت بعض النقوش فى المسجد الشريف ، وأضيفت اليه بعض الزخارف من داخله .
- السلطان عبد العزيز فى عهده أعيد انشاء قسم كبير سنة ١٢٨٨هـ ١٨٧٤م من السقف الخشبى المثمن الاضلاع فى المسـجد الشريف .
- السلطان عبد الحميد الثانى أمر بتجديد عمارة الباب الغربى ، وفرش المسجد الشريف بالسجاد العجمى سنة ١٢٩٢هـ ١٨٧٥م الفاخر الموجود حتى الان ، كما أمر السلطان المذكور بكتـابة سورة (يس) التى ما تزال حول رقبـة

الصخرة ، والـــكاتب هو الخطاط محمـــد شفيق ، والكتابة من نوع خط الثلث ، وهى على افريز عرضه ٨٥ سم ، وبأحرف عرض كل منهـــا ٣ سم ، وقد طبخت حروف السورة بالقيشانى من قبل مصطفى على أفندى .

- سماحة مفتى فلسطين السيد محمد أمين الحسينى سنة ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م رمم ما فسد بفعل الزمن من المسجد الشريف بالتعاون مع وزارة الاوقاف المصرية فى عهد الملك الســـابق فاروق الاول التى أوفدت المهندس محمود أحمد باشا وشملت الترميمات تجديد مهازيب المسجد واللحامات التى تشد صفائح الرصاص فى المواطن التالفة ، وفى عهد السيد محمـــد أمين الحسينى جـــدد المجلس الاسلامى الاعلى عشرين نافذة داخليـــة من نوافذ الجبس الملون بالزجاج ، ووضع قيشانيا جديدا بدلا من القديم التالف ، وتم تثبيت الرخام بصورة قوية فى جميع أنحاء القبة .
- الملك حسين بن طلال ملك المملكة الاردنية الهاشمية ألف لجنة دعيت لجنة اعمار المسجد الاقصى المبارك والصـــخرة المشرفة أعضـــاؤها : الشيخ محمـــد الشنقيطى ، قاضى قضاة الاردن ، رئيسا ، والشيخ عبد الله غوشه ، رئيس الهيئة العلمية الاسلامية ، وحسن الكاتب محافظ القدس الشريف ، والاماكن المقدسة ، والمدير العام للاوقاف بالاردن ، وأحد كبار التجار والملاكين فى الاردن بمعاونة لجنة من الفنيين قوامها :

— المهندس حسين شافعى
— المهندس محمد عباس بدر (كان المقاول الذى تعهد بالعمل رجل
— المهندس صالح أحمد الشوربى الاعمال السعودى محمد بن لادن)
— المهندس عبد المنعم عبد الوهاب

وهؤلاء قاموا فى المسجد بالاعمال التالية :

□ تقوية القبة من الداخل بخشب جديد واستبدال الرصاص القديم بألواح من الالومنيوم المذهب .

□ وضع هلال جديد من الالومنيوم بدلا من الهلال النحاسى القديم ، تعلوه مانعة للصواعق صنعت من ذهب البلاتين .

□ تقوية أساس جدران المسجد من الخارج بالخراسانة المسلحة ، وكذلك الاعمدة والدعامات الداخلية ، وأزيلت ثلاثة أعمدة تآكلت مع الزمن ، ووضع مكانها ثلاثة أعمدة جديدة اثنان من الناحية الشرقية القبلية للصخرة المشرفة ، والثالث من الناحية الشمالية .

وجمعت نفقات هذه الاعمال من بعض ملوك العرب والمسلمين وغيرهم من عامة الناس .

(للحديث بقيـــة)

رشيد رضا وإعجاز القرآن

للدكتور : أحمد الشرباصي

يعنى رشيد فى « تفسير المنار » بالنواحى البلاغية ، وينص على أن هذا التفسير ينبه الى عجائب من بلاغة القرآن فى كل جزء لا تجد مثلها فى غيره من التفاسير ، ويذكر ضروب ايجازه ، ومعانى مفرداته ، وتحديد الحقائق فى جمله .

وما دام رشيد يعنى بالناحية البلاغية فى التفسير ، فلابد من أن يعنى بالحديث الواسع عن اعجاز القرآن الكريم ، والى جوار الاشارات المتناثرة الى هذا الاعجاز القرآنى خلال أجزاء التفسير ، يعقد رشيد فصلا ممتدا لتحقيق وجوه الاعجاز فى القرآن ، فيما يقرب من عشرين صفحة فيذكر فيه أن القرآن معجز لجملة أسباب ، هى باختصار وايجاز :

١ — اعجازه بالاسلوب والنظم ، حيث اشتمل على النظم الغريب والاسلوب العجيب .

٢ — بلاغته التى تقاصرت عنها همم سائر البلغاء .

٣ — اشتماله على الاخبار بالغيب .

٤ — سلامته من الاختلاف والتناقض والتعارض .

٥ — اشتماله على العلوم الدينية والتشريع .

٦ — عجز الزمان عن ابطال شىء منه .

٧ — تحقيق القرآن لأشياء كانت مجهولة للبشر ، كالمسائل العلمية التى لم تكن معروفة (١) .

---

(١) تفسير المنار ، ج ١ ص ١٩٨ — ٢١٥ .

ورشيد رضا لم يكتف بالحديث عن اعجاز القرآن فى تفسير المنار ، بل تحدث عنه حديثا مجملا موجزا فى كتابه « عقيدة الاسلام » وقال ان هذا الاجمال فيه من الوجوه ما يمكن شرحه فى سفر أو أسفار .

ولقد تحدث رشيد عن كتابة الرافعى فى « اعجاز القرآن » ، فذكر جهده فى هذه الكتابة ، وقال عنه : « واذا كان قد انفرد ببيان نكت ودقائق لم تعرف لغيره ، فقد جلى بعض ما سبقه اليه من النكت والوجوه من قبله ، بعبارة مؤثرة بما ألبسها من حلل الخيال ، حتى تجلت فى أروع مثال ، وثم مباحث مفيدة فى هذا الباب ، تراها فى الفصول الكثيرة من الكتاب . ولذلك يصدق على صاحبه المثل السائر : كم ترك الاول للآخر .

ولكن رشيدا يدرك عن وعى أن وجوه الاعجاز فى القرآن الكريم — اذا أريد لها الاحصاء والاستقصاء بالتفصيل والتحليل — لا تدخل فى نطاق الامكان لفرد ، ولذلك كتب فى اعجاز القرآن كاتبون ، ويكتب فيه كاتبون ، وسيكتب فيه على مر الايام كاتبون ، ووجوه اعجازه كثيرة يعقل منهـا كل ذى علم وبصيرة ما يتوجه اليه ذهنه ، مما استعد لادراكه عقله .

ولذلك يعود رشيد ليقول : بعد هذا كله نقول أنه بقى لى من وجوه الاعجاز ما لم يغص المؤلف بحره ، حتى يستخرج دره . ويقول : والتحقيق أن اعجاز القرآن بمعانيه من الهداية والعلم أعظم من اعجازه بفصاحة عبـارته وبلاغة أسلوبه ، وهى التى كانت سبب بقاء الدين فى العرب والعجم ، بعد أن قل من يذوق طعم هذه البلاغة (٢) .

التفسير بين الامام وخليفته :

يذكر الشيخ محمد أبو زهرة أن الاستاذ الامام كان يقرأ كثيرا من التفاسير ، حتى أنه يقرأ نحو خمسة وعشرين تفسيرا ، ما بين مطبوع ومخطوط ، ولـكنه لا يتيه فيما يقرأ ولا ينقل ما يطالع ، بل يستعين بمجموع هـذه التفاسير على الوصول الى لباب المعنى (٣) .

وكتب الدكتور عثمان أمين مقالا عن طريقة الاستاذ الامام فى تفسير القرآن الكريم (٤) ذكر فيه أن الامام كان يميل فى التفسير الى أخذ آيات القرآن جملة ، ويرى أنه اذا كنا بحاجة الى معرفة أسباب النزول فى آيات الاحكام فان معرفة الوقائع والحوادث التى نزل فيها الحكم تعين على فهمه .

ولا بد فى التفسير من الذوق السليم ، وما يتبعه من لطف الوجدان ودقة الشعور اللذين هما مدار التعقل والتأثر والفهم والتدين ، ومقتضى هذا أن ينفذ المفسر الى روح القرآن .

ولقد أعجب الاستاذ عباس محمود العقاد بهذا المقال ، وكتب عنه مقالا جاءت فيه العبارة التالية :

---

(٢) انظر تقديمه لكتاب منهج الامام محمد عبده فى تفسير القران الكريم ، ص (ط) .

(٣) انظر مجلة منبر الاسلام ، عدد جمادى الاولى سنة ١٣٨٣ هـ .

(٤) تفسير المنار ، مجلد ١١ ص ٣٥٢ .

« للقرآن الكريم حكم غير سائر الاحكام ، لأنه يتطلب من المفسر أن يعرف له مقاما واحدا فى جملته ، يخالف به كل مقام ، وهو مقام الرسالة الالهية التى يرتبط بعضها ببعض ، وتنتهى ظواهرها كلها الى باطن واحد توافقه جميع الاجزاء من السورة والايات ، متفرقات ومتصلات .

ولا ينسى المفسر هذا المقام المجمل على اختلاف المناسبات ، واختلاف مقام القول فى كل آية وفى كل حكم من أحكام يتواتر فى تفصيل آياته » .

ويقول العقاد هذا تأكيدا لاستحسانه طريقة الاستاذ الامام فى التفسير ، وقد عبر عن هذه الطريقة بقوله :

« هى فيما نرى أحدث أساليب التفسير وأسدها من الوجهتين الدينية والبلاغية ، وخلاصتها فى كلمات معدودات أن الاستاذ الامام كان أقدر المفسرين المحدثين على فهم كل مقام من مقامات الوحى الشريف ، وذلك مقصد بعيد الامد فيما يرجع الى فهم الوحى الالهى على التخصيص .

وانما يعينه على أن يدرك وحدة الوحى فى جملته ، كما يدرك مقاماته أو مناسباته فهما منه لموقعه من السامع ، وللحكمة المقصودة بتوجيه الخطاب اليه » (٥) .

ومما تقدم نفهم أن الميزة الواضحة فى تفسير الاستاذ الامام هو النظر الى القرآن الكريم عند تفسيره على أن آياته وحدة ، فينبغى أن تفسر جملة ، لا آية آية ، وأن استقامة هذا النظر تحتاج الى عقل وذوق ولطف وجدان مع سعة بحث .

والانصاف يقتضينا أن نعترف لرشيد منا بأنه نظر الى القرآن هذه النظرة ــ مع الفرق الموجود طبعا بين الاستاذ وخليفته ــ ولذلك نراه فى الغالب يضع للسورة عند البدء فى تفسيرها ــ مقدمة تتحدث عنها بصفة عامة ، فيذكر أغراض السورة ومقاصدها وأحكامها ، والملامح الغالبة عليها ، وقد يعود فى آخر السورة الى ذكر خلاصة لها ولمقاصد هاوأهدافها ، وهو فى تلك الخلاصة يبذل جهدا عنيفا ، وها هو ذا يكتب الى صديقه شكيب أرسلان فيحدثه عن الجزء العاشر من « تفسير المنار » بقوله :

« واتفق أن تمت فيه سورة براءة (التوبة) وعلى أن أراجعه كله ، لأستخرج منه مسائل السورة الكلية من أصول وفروع وغيرها ، وهذا أشق عمل فى التفسير ، ولم أسبق الى مثله » (٦) .

ولو رجعنا مثلا الى تفسير رشيد لسورة (الاعراف) لوجدناه قد بسط تفسيرها فى مئات من الصفحات تقارب الثمانمائة صفحة ، ثم يصوغ لها خلاصة فى ثنتين وعشرين صفحة (٧) .

وهو لا يفسر القرآن كلمة كلمة ، ولا آية آية ، بل يذكر طائفة من الآيات

---

(٥) انظر مجلة الازهر عدد جمادى الاخرة سنة ١٣٨٣ هـ .

(٦) السيد رشيد رضا ، ص ٦١٥ .

(٧) تفسير المنار ، ج ٩ ص ٥٥٩ ــ ٥٨٠ .

يجمعها غرض مشترك ، ثم يتحدث عنها بصفة عامة ، وان كان التفسير يقتضيه أحيانا أن يتعرض لمعانى بعض الالفاظ ، أو يطيل الوقوف عند أجزاء معينة من الآيات .

ورشيد نفسه قد أخذ على نفسه العهد بعد أن انتهى من النقل عن الامام بأن يسير على طريقته فى التفسير ، فقال : وسنستمر فى التفسير على هــذه الطريقة التى اقتبسناها منه ان شاء الله تعالى . ثم أظهر تواضع التلميذ أمام الاستاذ ، فأضاف عقب ذلك قوله : وان كنا محرومين فى تفسير سائر القرآن من الفوائد والحكم التى كانت تهبط من الفيض الالهى على عقله المنير (٨) .

ورشيد أيضا يستخدم عقله فى التفسير ، ويطيل تدبره للآيات فى كثير من الاحيان ، حتى يستخرج منها المعانى الملائمة لجلال القرآن من جهة ، والمذكرة بسنن الله الثابتة المطردة فى الكون التى لا ينكرها عاقل من جهة أخرى ، ولذلك كثرت اشاراته الى هذه السنن الكونية (٩) .

وليس معنى هذا أن رشيدا تابع شيخه خطوة خطوة بلا مخالفة أو زيادة ، لأن رشيدا نفسه قد ذكر فى مقدمة « تفسير المنار » أنه لمــا استقل بالعمل فى التفسير ، بعد وفاة الشيخ محمد عبده ، زاد على منهجه التوسع فيما يتعلق بالاية من السنة الصحيحة ، سواء كان تفسيرا لها أو فى حكمها ، وفى تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية ، والمسائل الخلافية بين العلماء ، وفى الاكثار من شواهد الايات فى السور المختلفة ، وفى بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين الى تحقيقها (١٠) .

ويرينا رشيد رضا ألوانا من اطلاعه على العلوم المادية كالطبيعة والكيمياء وعلم النبات وعلم الحيوان ، حيث يستشهد بكثير من هذه العلوم فى مواطنها المناسبة من التفسير ومن شواهد ذلك أنه أورد محاورة بين تلميذ وشاب وشيخ يتحدث فيها عن حياة الله عز وجل ، بأسلوب قريب من الافهام ، ولكنه يتحدث عن عناصر الهواء وعناصر الارض وعن المواد المختلفة ، وعن الفرق بين حياة النبات وحياة الحيوان وحياة الانسان (١١) .

ويحدثنا الشيخ محمد أبو زهرة عن مدى التشابه والاختلاف بين تفسير الاستاذ الامام وتفسير السيد رشيد رضا ، فيقول :

« لقد تكونت مدرســة من العلمــاء والمثقفين تطلب علم الامام وترويه وتنشره ، ومن أقوى هذه المدرسة تأثرا بالامام السيد رشيد رضــا رحمه الله وعفا عنه ، فهو راويته وناقل علمه الينا نحن الذين لم نستمع الى الامام ، وان استمعنا الى صحابته المخلصين له .

ولا شك أن السيد رشيد الذى سار فى تفسير الامام بعد أن قبضه الله تعالى اليه ، قد حاول حكاية طريقة الشيخ ، ولكن طريقــة الامام كانت طاقة

---

(٨) تفسير المنار ، ج ٥ ص ٤٤١ .

(٩) انظر على سبيل المثال تفسير المنار ، ج ١ ص ٦ ، ٧ .

(١٠) تفسير المنار ، ج ١ ص ١٦ .

(١١) تفسير المنار ، ج ٣ ص ٢٦ — ٢٨ .

نفسية ، وليست منهاجا فقط ، ولذلك لا نجـد فى الاجزاء التى أتمهـا السيد التغلغل الذى كنا نراه فى المنقول عن الامام .

ولكن تفسير المنار قد اشتمل على أمرين لم يكونا فى تفسير الامام :

أولهما العناية بدعم التفسير بالمأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك بلا ريب خير كله .

وثانيهما النقل الكثير عن المفسرين ، وان السبب فى ذلك أن الامام كان يلقى درسا ، فكان يلقى ما يتمثل فى عقله وقلبه ، مما قرأ وتأمل وتدبر فى القرآن ولأن كل همة نفسه كانت متجهة الى لباب القرآن (١٢) .

والشيخ أبو زهرة يرى قريبا من هذا الفرق بين الاستاذ الامام والسيد رشيد فيما نقله رشيد عن أستاذه ، فيقول : وأحسب أن النقل كان مقربا لما قاله الامام ، وليس محققا لكل ما قال ، ولا مصورا لكل ما أراد (١٣) .

ولا شك أن انصراف الاستاذ الامام الى تدبر القرآن كان أوسـع وأعمق وأوثق من انصراف رشيد ، فقد شغل رشيد نفسـه بشواغل كثيرة أرهقتـه وبعثرته ، ولم يتوافر لديه من الطاقة ما توافر لدى هذا العقل العبقرى المتألق : عقل الاستاذ الامام ولكن ليس معنى هذا أن نبخس رشيدا حقه ، أو أن نهون من جهده ومكانته فى التفسير .

وما أشبه الاستاذ الامام بالذى أعطى البذور ، أو ألقاها فى التربة المخصبة وما أشبه رشيد بتلك التربة التى أنبتت وأعطت الكثير من الثمر والحصاد ، أو نقول : ان الشيخ كان كمن يشق الطريق الجديد ، ويضع على جانبيـه أعلاما وصوى هنا وهناك ورشيد كان يعبد الطريق ويوسعه ويصلحه ، ويغرس على جوانبه بواسق الاشجار ، أو نقول ان الشيخ قد وضع المنهـاج ، وضرب له طائفة من النماذج ، ورشيد أخذ فى تطبيق المنهج فأفلح فى الكثير من هـذا التطبيق .

ويمكن أن ألاحظ — مع اجلالى لمكانة الاستاذ الامام ، واعجابى الشـديد بعبقريته فى التفسير — ان تفسير السيد محمد رشيد رضا يظهر فيه بوضوح ما يلى :

١ — التوسع فى شرح معانى الكلمات الغريبة ، والعبارات اللغوية ، مع العناية بالجوانب البلاغية ، والتعرض أحيـانا للقواعد النحوية ، وايراد شواهد أو نصوص من كتب اللغة والادب والشعر .

٢ — التوسع فى الاستعانة بالاحاديث النبوية والاثار الواردة المتعلقة بالسور ، أو الاية .

٣ — ذكر مقدمات للسور ، وذكر خلاصات لها ، وهذه ناحية مهمة جدا ، وهى تحقق منهج النظر الى السورة كوحدة تحقيقا واسعا .

٤ — التوسع فى الرد على شبهات المعاندين والمجادلين من الجهلة أو الملاحدة أو الضالين .

---

(١٢) انظر المقدمة لكتاب منهج الامام محمد عبده فى تفسير القران الكريم ص (ط) .

(١٣) المرجع السابق .

٥ ـــ الاستعانة بالعلوم الطبيعية والمـــادية ومعارف العصر فى تقريب معانى التفسير وخاصة فى المسائل العلمية والاجتماعية .

٦ ـــ ذكر المسائل الخلافية ، وترجيح بعض الاقوال فيها على بعض ، أو الاتيان برأى آخر فيها ، ويصحب ذلك غالبا شىء من التأويل أو التخريج ، مع احتفاظ رشيد بسلفيته .

٧ ـــ التخفيف بعض الشىء من الركون الى حكم العقل فيما قد يعلو على ادراك هذا العقل .

٨ ـــ الاكثار من قرن الايات بما يمثلها من آيات أخرى فى القرآن أخذا بمبدأ تفسير القرآن بالقرآن .

٩ ـــ الاستطراد الى موضوعات يفيد العلم بها ، وان لم تقو المناسبة بينها وبين المقام الذى سيقت فيه .

١٠ ـــ أسلوب رشيد أقرب وأخف ، واشتغاله بالصحافة والسياسة له دخل فى ذلك وأما أسلوب الاستاذ الامام فانه أوسم وأحكم .

١١ ـــ رشيد يجنح الى التطويل والاسهاب ، وأستاذه يميل الى التركيز والايجاز .

١٢ ـــ رشيد ينقل كثيرا من النصوص التى يريد الاستشهاد بها من أقوال المفسرين وغيرهم ، لأنه يطالع ويراجع ، ثم يكتب ويؤلف وبين يديه مصـــادره ومراجعه ، على حين كان الاستاذ الامام لا يفعل مثل هذا لأنه يلقى درسا يعتمد فيه غالبا على ذاكرته .

١٣ ـــ التنبيه فى أدب ووفاء على بعض ما يحتاج الى النظر أو المراجعة من كلام الاستاذ الامام .

واذا كان الاستاذ الشيخ محمد أبو زهرة قد بدا معتدلا فى رأيه عن الاستاذ الامام وخليفته ، فان الدكتور طه حسين يبدو عنيفا ، فلقد سألته عن رأيه فى رشيد وتفسيره ، فقال : لقد كنت ضده ، وخاصة بعد وفاة الشيخ محمد عبده لأن الشيخ رشيد استمر ينشر تفسير القرآن منسوبا الى الامام ، وأنا مقتنع كل الاقتناع أن ما نشره الشيخ رشيد بعـــد وفاة الامام منسوبا اليه ليس من كلام الامام ، لأننى حضرت درسين من دروس الشيخ محمد عبده ، لم أدركه الا فيهما ، وقد سمعته أول ما سمعته ، وهو يفسر قوله تعالى من سورة النساء : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجزبه ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا » .

هكذا تحدث الدكتور طه ، والاية التى ذكرها هى من أواخر الايات التى فسرها الاستاذ الامام ، لأن رقمها حسب عد المصحف الذى اعتمد عليه رشيد هو مائة واثنان وعشرون ، ورقم آخر آية فسرها الاستاذ الامام هو مائة وخمسة وعشرون .

وكذلك قال لى الدكتور طه : ان الشيخ رشيدا كان فى تفسيره يريد أن يعتقد الناس أنه هو لسان الشيخ محمد عبده .



للأستاذ : محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

فى مستهل القرن السابع الميلادى ظهر الاسلام فى شبه الجزيرة العربية ، وكان العالم فى هذا الوقت يموج بالفتن ، وتنتشر فيه النزعات الخبيثة التى تمكن للشر والفساد ، ولم يكن العرب حينئذ أقرب الى الخير من غيرهم ، بل سادت فيهم عادات ضارة هدامة ، ومالوا عن دين ابراهيم الى عبادة الاوثان ، فكان من الطبيعى أن تصطدم مبادىء الاسلام بعقائد العرب وعاداتهم ، ومن أجل ذلك قامت القبائل العربية فزعة تاحرب الدعوة الجديدة وتقاومها بكل الوسائل ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقابل هذا العنف والطغيان بالرضا والايمان والصبر الجميل .

وتوالت المحن على الرسول وعلى المسلمين ، حتى كانت المؤامرة الكبرى التى أراد بها المشركون قتل الرسول ، فأوحى الله سبحانه وتعالى اليه بالهجرة الى المدينة ، فخرج من مكة آسفا حزينا ، لأنها وطنه وأحب بلاد الله الى الله ، وكذلك أخرج المسلمون من مكة تاركين ديارهم وأموالهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله .

وكان المهاجرون يحنون دائما الى موطنهم مكة ، ويتطلعون الى قريش التى فرقت بينهم وبين أهلهم وأخرجتهم من وطنهم لأنهم خرجوا على دعوى الجاهلية والعصبية ، فتثور ألما ، ويودون لو أن الفرصة تهيأ لهم ليستردوا حقهم المسلوب .

ثم استقرت الاوضاع فى المدينة على أساس الاخوة والتعاون والمساواة ، فالمهاجرون يعيشون فى ظل وارف من الاخلاص من اخوانهم الانصار ، فعوضهم ذلك عن الكثير مما فقدوه .

وفكر الرسول فى القيام بعمل تمهيدى ضد مصالح قريش لاشعارهم بقوة المسلمين وقدرتهم على أن يلحقوا الضرر ، عسى أن يحملهم هذا التهديد على أن يرجعوا عن غيهم ويحاولوا التفاهم مع المسلمين ، فكان أول ما ارتآه الرسول من وسائل النضال ضد قريش ، هو تهديد طريق تجارتهم الى الشام ، ولا شك فى أن قريشا لم تكن لتهتم بشىء قدر اهتمامها بهذه التجارة .

وفى السنة الاولى من الهجرة بدأ النضال على شكل ارســال سرايا تقف فى وجه التجـارة القرشية ، وقد تمكن الرسول من عقد محالفات مع القبائل العربية على طريق قريش الى الشام وحول المدينة ليؤمن حدود الدولة الناشئة ، خشية أن يفاجأ من مشركى العرب بتدبير مع قريش ، فيطوقوا عاصمة الدولة ، ويضربوا حصارا حديديا على المسلمين .

وهذا العمل من الرسول يعتبر مجرد عملية تأمين ودفاع عن النفس والمبادىء والنظام الذى وضع اطاره فى وثيقة التأسيس للدولة الاسلامية الناشئة ، ولم يكن للاعتداء أو شن الحروب ضـد قريش أو غيرها .

وهكذا أصبح طريق التجارة فى يد المسلمين ، لأن قريشا لم تجد بعد هذا التحالف ملاذا يمكن أن تحتمى فيه ، ثم أخذ الخطر يزداد على ثروة قريش التجارية عندما وسع الرسول فى سياسـة إلحاق الضرر باشراك أفراد من الانصار فى السرايا ، وباعلانه أن الله قد أحل له القتال فى الاشهر الحرم وهى التى كان فيها القتال قبل ذلك محرما ، وكانت قريش تترقب فيها الامن على متاجرها .

ولقد وقعت سرية عبد الله بن جحش الاستخبارية فى شهر رجب فى السنة الثانية من الهجرة ، وهو من الاشهر الحرم ، وقد عابت قريش على المسلمين هذا العمل ، واعتبرته خرقا للنظام العربى الذى جرى عليه العرف منذ عهد ابراهيم عليه السلام ، وأشاعت بين القبائل أن محمدا يقاتل ويسفك الدماء ويعتدى على الامن فى الاشهر الحرم .

لقد كان من مقومات الدفع المشروع لدى المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ، ثم صودرت أموالهم وديارهم ، وأعلنت قريش اهدار دمائهم ، أن يصادروا أموال قريش ومن يناصرها ، وأن يعلنوا اهدار دمائها بعد أن قامت لهم دولة لها سيادتها ولها شخصيتها القوية ، ولها مبادؤهـا وأهدافها وأسفرت عن حقيقتها وحقيقة موقفها من الوثنية والرجعية .

ان الحكم الذى أعلنه الاسلام هو الحكم الذى تعلنه كل دولة حديثة فى علاقاتها الحربية ، فهناك حرمات دولية اذا خالفتها احدى الدول بطل احتماؤها بها ، وفى هذه الحالة يحق لغيرها أن تخالفها كما خالفتها ، وتتخذ من القصاص ما يردع المعتدى ويرهقه ويعوض الخسارة ، ألم تحجز قريش أموال المسلمين وأسرت بعضهم ؟ اذن فأموال بأموال ، وأسير بأسير .

بداية النضال :

علم الرسول أن هناك قافلة تجارية لقريش قادمة من مكة فى طريقها الى الشام ، يقودها أبو سفيان بن حرب ، فأراد الرسول أن يعترض طريقها ليفجع قريشا فى أموالها كما فجعت المسلمين من قبل فى أموالهم وأنفسهم ، ان هذه القافلة قد جهزتها قريش بخمسين ألف دينار ، شاركت فيهـا عشيرة أبى سفيان بأربعين ألفا ، وهذه الآلاف انتزعتها قريش من عمل المستضعفين ومن أموالهم المغتصبة .

وجمع الرسول المهاجرين وحضهم على أن يخرجوا ويصادروا أموال القافلة ، وأعلن أن ما فى القافلة سيوزع على من يغنموها من مهاجرين وأنصار ، وأعد العدة لملاقاة القافلة عند عودتها ، وظل يترقبها حتى بلغه خبر رجوعها ، فخرج فى نحو ثلاثمائة من المهاجرين والانصار ، بعد أن استخلف على المدينة رجلين من بسطائها ، أحدهما يؤم الناس فى الصلاة ، والاخر يقضى بينهم .

وعلم أبو سفيان بخروج الرسول لملاقاته ، ففزع أشد الفزع ، لقد أبلغه اليهود بذلك وحذروه من احتمال المفاجأة عند بدر ، ولشدة حذره ترك القافلة فى مكان أمين وأرسل رسولا الى قريش يستنفرهم ويخبرهم بالخطر الداهم الذى تعرضت له قافلتهم ، ثم أقبل بنفسه الى بدر لاستطلاع أخبار المسلمين فعلم أن راكبين جاءا الى بدر وأناخا خلف تل مجاور ثم رحلا ، فذهب أبو سفيان الى المكان

الذى كان فيه الرجلان ونظر فى روث بعيريهما ، فوجد فيه نوى عرفه من علائف المدينة ، فأيقن بأن الرجلين كانا من رجال الرسول ، فأسرع عائدا الى المكان الذى ترك فيه قافلته وخالف الطريق المعتاد فى الاياب ، متخذا طريقه على شاطىء البحر الاحمر .

وصل الرسول الذى أرسله أبو سفيان يطلب الغوث والنجدة ، فثار القريشيون ثورة عنيفة ، وسارعوا الى نجدة القافلة ، لأن معظمهم كان له فيها نصيب ، وخرج كل المساهمين فى القافلة لينجدوا أبا سفيان ، ولم يبق رجل منهم قادر على حمل السلاح الا خرج ، أو أرسل مكانه من يحارب باسمه الى أن بلغت عدتهم نحو تسعمائة وخمسين مقاتلا فى مائة فرس وسبعمائة بعير .

واندفع هذا الجيش تحت قيادة أبى جهل ، بيد أنه لم يكد يوغل فى الصحراء حتى جاءهم رسول آخر من أبى سفيان يعلن لهم أن القافلة قد نجت ، ويطلب منهم العودة الى مكة ، فتصدعت وحدتهم ، ولولا سلاطة لسان أبى جهل ورميه من تردد فى متابعة المسير وفضل العودة الى مكة بالجبن والضعف لانسحب عدد كبير جدا .

وطالب أبو جهل الرجال أن يسيروا حتى يصلوا الى بدر ، فيقيموا بها ثلاثة أيام ، ينحرون الذبائح ويطعمون الطعام ، ويسقون الخمر وتعزف الجوارى المغنيات ، ويخيفون محمدا وأصحابه بهذه المظاهرة العسكرية ، فلا يعودون للقيام بمثل هذا العمل مرة ثانية ، وفى الوقت نفسه تسمع بهم العرب وبمسيرتهم وجمعهم ، فما تزال تهابهم القبائل بعدها أبد الدهر .

وكان الرسول فى هذا الوقت متخذا أهبته حتى لا تفوته القافلة وما زال يتقدم متتبعـــا قافلة أبى سفيان حتى نزل بوادى زفران فبلغه أن قريشا قد ساقت من مكة جيشا جرارا لحماية القافلة .

ان الرسول لم يكن يحسب أن قريشا ستخرج بكل فرسانها وجنودها ، فقد خيل اليه لفترة من الوقت أنه وصحبه سيتعرضون بغتة للقافلة ، ويغنمون ما فيها ثم يعودون أدراجهم بعد أن يكونوا قد ألقوا الرعب فى قلب القرشيين ، ولم يلبث النبى أن علم بأن القافلة قد نجت وأن الجيش القرشى يتأهب للقتال وسيقابل المسلمين .

ان المعركة لم تعترض قافلة تجارية ، وانما أصبحت ضد جيش قوى يتفوق عليهم فى العـــدد والعدة والاستعدادات والمهارات الحربية ، ومواجهة مثل هذا الجيش كانت تستدعى التذرع بجميع ما للحروب من استعدادات حربية ، وخطوط تموين ، ورواحل بقدر المستطاع .

ان المسلمين عندما خرجوا من المدينة لم يكونوا قد حسبوا مثل هذا اللقاء ، وقد يفضى الالتحام مع جيش قريش الى هزيمة محققة تدفع بقريش الى مطاردتهم الى المدينة ، وقد يستغل اليهود مثل هذا الظرف — كعادتهم — ويقومون بثورة داخلية فى المدينة ، فهم أناس لا يؤمن جانبهم ، لأنهم جبلوا على الغدر والخيانة ولا شىء بمستبعد عليهم ، وفى هذا أكبر الخطر على المسلمين .

ان المشركين وقفوا يتحدون المسلمين ، فان لم يقبلوا التحدى ويقفوا فى وجههم ويشتبكوا معهم لجاز أن تدفع الحمية المشركين فيواصلوا زحفهم نحو المدينة ، وهذا هو ما أهم الرسول كثيرا .

موقف المسلمين :

وفى هذا الموقف الخطير برهن الرسول على عبقرية فذة ، فقد جمع كل قواته من المهاجرين والانصار وشرح لهم الموقف من جميع وجوهه ، وأوضح لهم كافة الاحتمالات ، وطلب منهم ابداء الرأى .

هل يمضى الى بدر فيلقى جموع قريش ، أم يؤثر العافية ويعود الى المدينة ؟ فأشار أبو بكر بالذهاب الى بدر والتقدم للحرب ، ورأى عمر مثل رأى أبى بكر ، وأيدهما المقداد بن عمرو ، ولفت نظر الرسول أن هؤلاء الثلاثة من المهاجرين ، وهو فى الواقع انما يريد استجلاء موقف الانصار فهم العماد الباقى لقواته ، فالتفت الى بقية من بالمجلس وقال ((أشيروا على أيها الناس)) وعندئذ أحس

الانصار أنه يقصدهم ، فقال سعد بن معاذ (لكأنك تريدنا) فقال الرسول « نعم » فأجابه سعد (لقد آمنا بك وصدقناك ، فلو استعرضت بنا هذا البحر (١) فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا) .

ولم يكد سعد يتم كلامه حتى أشرق وجه النبى بالسرور حينما رأى من أصحابه هذا التضامن والايمان الكامل فقال لهم : سيروا وأبشروا فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين (٢) وقد أفلت العير والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم .

اذن فقد أجمع المسلمون أمرهم على أن يلاقوا قريشا ، وقادهم الرسول الى وادى بدر وكان الرسول شديد الحرص على معرفة قوة العدو قبل بدء المعركة ، فجمع من المعلومات ما لم يطمع فى أكثر منها أى قائد عظيم فى معركة مصيرية مثل هذه المعركة المقدم عليها ، ووجد المسلمون غلامين من قريش يملآن بعض الاوانى من أحد الابار ، فتقدم اليهما على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص يسألونهما ، وعرفوا أنهما من سقاة قريش ، فأخذهما الى الرسول فناقشهما واستجوبهما استجوابا دقيقا استنتج منه الرسول عدد جيش قريش ومن به من أشرافها ، وعرف المكان الذى يرابط فيه جيشهم .

ان الكثير من المعارك الحربية مهما اختلفت نظمها وأساليبها وأسلحتها يتوقف مصيرها الى حد كبير على المكان الذى يتخيره الجيش لنزوله ، وبمعرفة المكان ينكشف الغرض الحقيقى لعملية الهجوم أو الدفاع أو التحصين ، وتتضح منه القدرة على الثبات والتعرض للحصار أو سهولة الارتداد ، هذا الى جانب معرفة عدد القوات المكونة لجيش العدو تبين جانبا مهما عن مدى امكانيته واستعداداته ، وبمعرفة القواد تظهر خطة العدو ، حيث أن لكل قائد تجاربه الخاصة ومواهبه الحربية التى يعرف بها ويتضح كذلك مدى ما يحيق بالعدو من خسائر فى حالة ما اذا فقد قادته فى المعركة .

وبدأ الرسول يستعد للمعركة ، فأرسل الى المدينة يطلب مزيدا من الرجال ، لكنه رأى أن الوقت قد لا يتسع لوصول المدد ، فقد تهاجمه قريش فى أية لحظة ، فلينظم صفوفه اذن حتى لا تباغته قريش .

رأى الحباب بن المنذر فى مكان المسلمين :

رأى الرسول أن ينزل بعسكره فى أول وادى بدر على ضفاف الماء ، وكان الحباب عليما بهذا المكان فسأل الرسول « أمنزل أنزلكه الله ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ » فقال الرسول : « بل هى الرأى والحرب والمكيدة » فقال الحباب (فأن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس) واقترح الحباب أن ينزل جيش المسلمين آخر وادى بدر ، وأن يكون معسكرهم على مرتفع من الارض بين وادى بدر بغدرانه ومائه ، وبين الكثيب المنخفض الذى نزلت به قريش ، وفى هذه الحالة يقف المسلمون بين قريش والماء ، فيقاتلون وخطوطهم مأمونة . فاقتنع الرسول برأى الحباب ، وأعلن أمام المسلمين أنه قد نزل على رأيه ، وهكذا كان الرسول يحترم الرأى الصائب وينفذه .

وفى منتصف الليل قام أصحاب الرسول وبنوا حوضا كبيرا حول العين تدفق اليه الماء من غدران بدر ، وأقاموا بالقرب منه ، وانفرد الحباب بتموين الجيش بالماء وقطعه عن قريش ، وأيقن المسلمون أنهم سيواجهون المشركين بالسلاح والعطش ، وسلاح العطش سلاح قاتل .

---

(١) البحر الاحمر .

(٢) العير أو النفير وهو ذلك الجيش الذى نفر لقتال المسلمين .

رأى سعد بن معاذ فى مكان الرسول :

قرر الرسول أن يكون فى أول الصفوف المقاتلة ، ولكن سعد اقترح عليه ألا يفعل ذلك ، لأنه حينئذ سيكون أول هدف لسهام قريش ، ورأى سعد أن يبقى الرسول فى مؤخرة الجيش ليقود المعركة ضد قريش ، وتبنى له خيمة يجلس فيهـــا ، فان هزموا قريشا كان بهـــا ، وان هزمتهم قريش كان الرسول فى مكان أمين ، ويتم الانسحاب بدون أن تتعرض حياته لأدنى خطر ، فاقتنع الرسول بهذا الرأى وعدل اليه ودعا لسعد بخير ، وأقيمت الخيمة واصطف المسلمون فى مكانهم أمام الماء .

بدء المعركة :

منع المسلمون عن القرشيين الماء ، ووقفوا دونهم ودونه ، وبدأ البعض يعانى من شدة العطش وأعلن أبو جهل صيحة الحرب فجأة ، لأنه خشى أن يستجيب الرجال لدعوة عتبة بن ربيعة بأن يرجعوا ويخلوا بين الرسول وسائر العرب ، فان أصابوه فذلك ما أرادته قريش ، واتهمه عندها أبو جهل بالجبن ، أو أن يتذكر الرجال أنهم يقاتلون أقاربهم فتثبط همتهم ، واندفع الاسود بن عبد الاسود من صفوف المشركين وهو يقسم بأغلظ الايمان ليشربن من حوض النبى بالقوة أو يهدمه ووجم المسلمون والاسود يتقدم ، ولكن حمزة بن عبد المطلب برز له ووقف فى وجهه ، وتقاتلا ، فقتله حمزة ، وكان فى قتل الاسود الشرارة التى بدأت على أثرها الحرب بين الفريقين .

اصطف الفريقان وتهيأ المسلمون للقتال فنظر الرسول الى قريش ودعا ربه قائلا : اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى ، اللهم أن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد .. ثم نظر الى أصحابه وأخذ يحثهم على الثبات وأخذ ينادى ربه حتى سقط عنه رداؤه .

المنازلات الفردية :

كان نظام القتال فى ذلك الوقت بسيطا ، فالجنود ترتب على شكل صفوف متراصة ، وكانت المعركة تبتدىء بمنازلات فردية بين أبطال الفريقين الذين كانوا يتقدمون من أماكنهم فى فرقهم ويطلبون من الخصم المبارزة .

وقفت قريش أمام المسلمين وخرج من صفوفها ثلاثة : عتبة بن ربيعة وسط أخيه شيبة وابنه الوليد فبرز اليهم ثلاثة من أقوى المبارزين الانصار ، ولكن عتبة طلب من الرسول أن يبرز لهم الاكفاء من المهاجرين ، فأمر الرسول أن يتقدم حمزة ، وعلى بن أبى طالب ، وعبيدة بن الحارث ، فبارز حمزة عتبة وقتله ، وكذلك فعل على بالوليد ، وهجم شيبة وهو موتور فى أخيه وابن أخيه ، فقطع رجل عبيدة وهو أسن أصحا بالرسول ، وكاد أن يقتله لولا أن أدركه حمزة وأجهز عليه .

المعـــــــركة :

وهكذا سقط فى وقت واحد ثلاثة من أكبر سادات قريش ، ومن أبرز فرسانها الشجعان ، فكبر المسلمون وهللوا ، واندفعت صفوفهم تقاتل ، والتحم الفريقـــان ، وعلى الرغم من عدم التكافىء العددى فان المسلمين كانوا أسعد حظا من المشركين ، فقد أكسبهم النوم الذى غشيهم ليلة المعركة قسطا وافرا من راحة الجسم والاعصاب ، وأمطرت السماء ماء مهدت به الارض تحت أقدامهم ، وأصبحت تحركاتهم على سفح التلال سهلة ، فى حين أن الماء قيد زحف المشركين ، وعوق حركتهم وتسلطت أشعة الشمس فى الصباح على أعين المشركين أثناء زحفهم ففككت تجمعاتهم وأفســـدت خطتهم .

وحمى وطيس المعركة بين المسلمين والمشركين ، ولم تكد الشمس تغيب حتى كان المشركون قد هددهم العطش وأنهكهم القتال وأمضهم فقد أشجع فرسانهم ، وتجمعت فلول المشركين تاركة جثث قتلاها على الرمال وانقض عليهم المسلمون يأسرون كل من تقع يدهم عليه وفرت جموع قريش وامتلأت قلوب المسلمين بنشوة النصر فأخذوا يهنئون بعضهم ، غير أن الرسول خشى فى الامر خدعة ، فقد تستدير هذه الجموع وتطوقهم أو تزحف جهة المدينة وتداهمها وهم بالخارج ، فأمر الرسول بمتابعة الجيش المنهزم ، فانقض الرجال فى أثرهم وهم يسرعون فى العودة الى مكة مجهدين من العطش معذبين من الهزيمة المنكرة التى منوا بها .

ولقد كان ذلك النصر الرائع فى صبيحة يوم الثلاثاء ١٧ رمضان سنة ٢ هـ — ١٥ مارس سنة ٦٢٤ م بعد معركة لم تستمر أكثر من بضع ساعات .

بعـد المعركة :

أمر الرسول بأن يحمل كل ما غنم ، وكل من أسر الى خيمته ، وكان عدد الاسرى سبعين رجلا من بينهم عدد لا بأس به من أغنياء قريش ، ثم بعث بشيرين الى المدينة يبشرانهم بالفتح العظيم والنصر المبين ، أحدهما عبد الله بن رواحة والثانى زيد بن حارثة ، ثم تفقد الرسول بنفسه أرض المعركة ، فوجد أن من قتل من رجاله أربعة عشر ، أما قتلى قريش فانهم سبعون ، فطلب من رجاله أن يواروا جميع القتلى التراب بلا استثناء ، وأن يلقوا كبار رجال قريش فى بئر جاف ويلقوا عليهم الحجارة .

دور الملائـكة :

لا شـك فى أن المسلمين بذلوا غاية جهـدهم فى هـذه المعركة ، مع العوامل الاخرى التى ساعدتهم بيد أن عنف الضربة وسرعتها وتسديدها فى جيش يتفوق تفوقا ساحقا فى العدد والسلاح ، جعل من هذه المعركة ذات غرابة غير مألوفة فى التاريخ .

وتبدو هذه الغرابة عميقة حينما نعلم أن الملائكة قد اشتركت فى هذه الموقعة الى جانب المسلمين غير أنه حدث خلاف فى نوع الاشتراك فالبعض يرى أن الاشتراك كان تثبيتا وتقوية لمعنويات المسلمين والبعض الاخر يرى أن الملائكة قد اشتركت فى القتال اشتراكا فعليا ، لأن الخطاب فى قوله تعالى (فاضربوا) — من قوله تعالى « فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان — الخطاب للملائكة وليس للمسلمين ، وذلك كى يتفق عطف النسق مع قوله تعالى (فثبتوا) فتكون الملائكة قد اشتركت فعلا فى القتال ، وهو الظاهر من قوله تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) فالنصوص صريحة فى المعونة الالهية ، ولكن أحدا من القرشيين لم ير الملائكة والا آمنوا ، غير أنهم فروا وولوا الادبار على قوتهم ، ومع أنهم لم يخسروا سوى سبعين أسيرا ، ويقينى أن اشتراك الملائكة فى القتال كان معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم .

الرجوع الى المدينـة :

ورجع الرسول فى موكب ظافر الى المدينـة ، وحوله رجاله يجرون الاسرى ونظر فى وجوه أصحابه فوجدها مضيئة ، ثم شـاهد الاسرى وهم يسيرون مشدودى الوثاق ، فقال لأصـحابه « استوصوا بالاسرى خيرا » وأمر الراكبين أن يحملوا الاسرى معهم ، وأن يسقوهم حتى لا يهلكوا من العطش . ثم أمر بقتل رجلين من الاسرى كانا من أشد الناس عداوة للمسلمين وايذاء لهم هما النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط ، ويعتبر بعض المستشرقين قتل هذين الاسيرين قسوة من الرسول وتشفيا فى العداء ، والحكم فى هذا الموضوع يجب النظر فيه لموضوعه وموقعه وأشخاصه ، فليس هو الحكم الذى اتبعه الرسول فى شأن الاسرى فى جميع الحروب ، وانما هى حالة أفراد مخصوصين كانوا معروفين بتعذيب المسلمين والتنكيل بهم بلا مبالاة ولا نخوة .

ان قتلهما لم يكن نزوة أو انتقاما ، ولكن كان حكما عادلا فى اثنين كانا من أقسى وأفظع وأغشم أعداء الاسلام ، ولم يكن فيهما خير يرجى ، وقوانين الحرب الحديثة تبيح مثل هذا العمل وتقره ثم ان أمر الرسول بقتل هذين الاسيرين يعتبر عملا من أعمال الدولة كالحرب نفسها فلا يفتقر الى تدبير أو تزكية .

وعلى مشارف المدينة أقبلت الوفود من القبـــائل الموالية للمسلمين تهنئهم بالنصر ، ولم يكد الرسول صلى الله عليه وسلم يصل الى أبواب المدينة حتى وزع الاسرى بين صحبه ونصحهم مرة ثانية بأن يحسنوا معاملتهم حتى يرى فيهم رأيه .

قضية الاسرى :

استشار الرسول أصحابه فيما يفعل بالاسرى ، فرأى عمر أن يقتلوا جميعا ، فما أقبلوا الا عادين يريدون البطش بالمسلمين ، غير أن أبا بكر أشار على الرسول أن يأخذ منهم الفدية ، عسى الله أن يهديهم ويتبعوا الدين الجديد فيما بعد ، فقال صلى الله عليه وسلم « ان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال (فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم) وان مثلك يا عمر مثل نوح قال (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) .

ومال الرسول الى رأى أبى بكر ، فليس كالعفو شىء يفتح القلوب المغلقة ، فافتدى الكثير من الاسرى أنفسهم ومن لم يستطع افتداء نفسه وكان يحسن القراءة والكتابة كانت فديته أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين ، وقد عفا الرسول عن بعضهم بغير فداء .

وبعد تنفيذ القرار فى الاسرى نزل القرآن معاتبا على اختيار الفدية عن التخلص من أسرى الوثنية كما يشير الى شرائع الانبياء السابقين فى مثل هذه الظروف ، غير أن العتاب لم يكن على اطلاق سراح الاسرى والمن عليهم بالفداء ، ولكن على نفس الاسر أثناء المعركة أى على عمل تكتيكى حدث أثناء القتال ، وهو اكتفاء الرسول وبعض المسلمين بانهاء المعركة بأقل ما يمكن من الخسائر فى أرواح زعماء قريش .

ان الرسول كان يعلم أن بعضهم قد خرج مكرها ومن بينهم رجال من بنى هاشم ، وبعضهم سبق أن طالب بنقض الصحيفة فاعتبرها الرسول حسنة تجزى بمثلها ، والمسلمون الذين آثروا الاسر على القتل قلة ، وان كان بعضهم كان يرجو من استبقاء الاسرى عرض الدنيا وأخذ الفداء قال تعالى : « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » فالله سبحانه وتعالى ينهى عن اتخاذ الاسرى من يريد عرض الدنيا ولولا حكم سابق من الله بألا يعاقب مجتهدا على اجتهاده ما دام القصد خيرا ، لكان العذاب الاليم .

لقد كان الفتح المبين الذى أحرزته الدولة الاسلامية الناشئة فى أول موقعة تخوضها من أهم الدعائم فى تعزيز سياستها وهيبتها كما كان صدمة عنيفة هزت ركائز اليهود وأقضت مضاجعهم وكان فيه تحطيم كبرياء قريش وكسر شوكتها ويضاف الى هذا أن انتصار الجماعة الاسلامية قرر مصيرها كقوة لا تكتفى بالدفاع عن نفسها فقط ، بل يمكنها مهاجمة أعدائها والحاق الهزيمة بهم .

ثم ان هذه الموقعة وطدت مركز النبى بالمدينة ، فانتصار الفئة القليلة لم يكن ليتم الا بفضل الله وعلى ذلك كان انتصار بدر نذيرا بأن غضب الله سينزل على الكفار جميعا من أهل المدينة ســـواء كانوا وثنيين أو يهود أو غيرهم ، ونزلت الايات تحض المسلمين على قتال المشركين واخضاعهم وبدأت سرايا المسلمين تخرج نحو الشرق والشمال والجنوب وبلغت فى تقدمها تخوم بلاد الشام .

ومهما يكن من أمر فان موقعة بدر كانت بداية المرحلة الهامة فى تاريخ الدولة الاسلامية حتى لقد نظر اليها الناس على أنها لا تقل فى نتائجها عن بدء الوحى ونزول القرآن ، أو هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم .



للأستاذ : البهي الخولي

— ١ —

نشرت « الوعى الاسلامى » الغراء بالعدد الاول من السنة الثالثة ــ المحرم ١٣٨٧ هـ ــ مقالا للاستاذ الكبير على الطنطاوى قرر فيه رأيا له عن السماء أنها « جرم حقيقى » لأن الله تعالى سماها « بناء » وقال : « بنيناها » .. ووصفها بأنها سقف لهذا العالم فقال : « وجعلنا السماء سقفا محفوظا » .. وجعل لها أبوابا تفتح وتغلق فقال : « ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر » « لا تفتح لهم أبواب السماء » ونفى أن يكون فيها منافذ غير هذه الابواب فقال : « وما لها من فروج » .. الى آخر ما ذكره من النصوص الكريمة ليثبت به أن السماء « جرم حقيقى » .. وعند فضيلته أن السماوات السبع هى سماء الدنيا ، وهى عبارة عن كرة جوفاء سميكة .. الله أعلم بمقدار سمكها .. وفى جوف هذه الكرة فضاء عظيم فيه الشمس وتوابعها وسائر الكواكب التى لا يحصى عددها ، وفوق هذه الكرة فضاء لعله مثل الفضاء الذى بداخلها أو أصغر منه أو أكبر ، وهذا الفضاء الثانى تحيط به كرة ثانية ، لها سمك ، هى السماء الثانية .. ثم فضاء ثالث تحيط به كرة ثالثة وهى السماء الثالثة .. وهكذا الى السماء السابعة .. « وخارج الكرة التى هى السماء السابعة أجرام أكبر ، أجرام لا يستطيع العقل مهما جهد وكد أن يتصور مدى كبرها هى « الكرسى والعرش » .. وقال الاستاذ انه يعرض رأيه هذا « لتقيم من أوده تعليقات العلماء » .

وأرى أن رأى الاستاذ الكبير فى غير حاجة الى مناقشة لأمرين :
الاول : أنه رأى كلا من العرش والكرسى « جرم كبير » وليس هذا رأى

فضيلته وحده بل هو رأى كثير من القدامى خالفهم فيه غيرهم فقد روى عن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس ، رضى الله عنهما ، أن المراد بالكرسى هو علم الله تعالى وقد اختار الامام الطبرى هذا القول ورجحه .. وقيل ان المراد بالكرسى هو قدرة الله التى يمسك بها السماوات والارض ، قال القرطبى « وهذا قريب من قول ابن عباس » .. وما دام القول يدور فى هذا الموضوع حول رأيين معروفين قديمين فان طرحه للمناقشة لن يأتى بجديد الا اثارة ما لسنا بحاجة الى اثارته من تعصب كل فريق بوجهة نظره ، وليس ذلك من قضايا الساعة التى تشغل بال الشعوب والطوائف والافراد ، وحسبنا أنا جميعا مؤمنون بالعرش والكرسى والقلم ، واللوح لأن الوحى نزل بهـا ، وذلك قدر كاف لوحدة الكلمة واجتماع الرأى ..

والامر الثانى : انه قد ورد فى الفخر الرازى ضمن تفسيره للسماوات السبع أنها هى القمر ، والزهرة ، وعطارد ، والشمس والمريخ وزحل والمشترى ولم ينكر الرازى ذلك .. وقد تصورها فضيلة الاستاذ الطنطاوى — نصوص القرآن — على أنهـا سبع كرات عظمى يدخل بعضها فى بعض كبراهن هى السماء السابعة ، وصغراهن هى السماء الدنيا ، وهى عالمنا الذى فيه أرضنا وما نعهد من شمس وقمر وكواكب على ما قدمنا من قول سيادته .. واذ اتسع المجال لقولين دون انكار ، فقد يتسع لثالث دون انكار أيضا ما دام يعتمد على علم ثابت ولا يخرج عن نص القرآن .. وما دام الفكر يتصور الرأى من مفهوم الآية ومقررات العلم ، فهو رأى مقبول ، وليس ثمة ضرورة — من الدين أو الدنيا — تدعو لمناقشته أو اقامة أوده ، فقد يكون أودنا نحن أولى بالاقامة بمتابعة أنباء غزو الفضاء لزيادة معارفنا عنه واستحثاث الهمة اليه ، واستنباط الدلالات منه على قدرة الله وعلمه تعالى .

— ٢ —

وقد تدعو ضرورة المقام الى القاء بعض الضوء على جوانب الموضوع بعرض معانى السماء التى جاءتنا فى نصوص الكتاب الكريم ، لعل فى عرضها ما يزيدنا بصيرة بالقرآن ، ويدخل فى جواب ما سأل عنه الاستاذ : ما هى السماء ..؟ وقد وردت السماء فى القرآن لعدة معان :

١ — لمـا يعلو الانسان فيظله ، ومنه قوله تعالى : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها » وقوله تعالى : « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء » .. فالسماء فى هاتين الآيتين ليست نجوما ولا كواكب ولا كرة علوية ، بل هى أقرب من ذلك ، فهى ما يعلو الانسان فيقلب اليه وجهه أو يذهب فيه صاعدا الى جبل أو نحوه ..

٢ — وجاءت بمعنى السحاب ، ومنه قوله تعالى : « وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم » وقوله تعالى فى طوفان نوح عليه السلام : « ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر » . وقد جاء فى القاموس ولسان العرب السماء : السحاب .

٣ — وجاءت بمعنى القبة الزرقاء التى ليست هى قبة على الحقيقة ، اذ هى مجرد لون يتكون من انتشار الضوء حين تسقط أشعة الشمس على جزئيات الهواء وبخار الماء فى طريق وصولها الينا ، ومنه قوله تعالى « ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله ؟ » .. قال فى القاموس المحيط :

« الجو : الهواء » .. والمعروف أن الهواء طبقة غازية محيطة بالارض لا ترتفع الى سماء الشمس والقمر والكواكب ولا تبلغ بطبيعة الحال جرم الكرة التى قال الاستاذ الطنطاوى انها السماء الدنيا ، فان المسافة بيننا وبين الشمس تبلغ ٩٣ مليون ميل .. والهواء لا يرتفع فى تلك المسافة أكثر من خمسمائة ميل أى بنسبة ١ : ١٨٦٠٠٠ — فبعد الشمس عنا أكبر من سمك طبقة الهواء بستة آلاف ، وثمانين ألفا ، ومائة ألف مرة .. فاذا خوطبنا بأن الطير مسخرات فى جو السماء لتحصيل العبرة من ذلك ، نظر الذهن فى الاضافة الى أقرب ما تعارفنا عليه بأنه سماء ، وهو القبة التى تعلونا بزرقتها الجميلة ، فان الهواء الذى تسبح فيه الطير هواء تلك القبة لا غيرها ، بل انها منه على ما أسلفنا ..

وجاء فى هذا المعنى أيضا قوله تعالى « وجعلنا السماء سقفا محفوظا ، وهم عن آياتها معرضون » .. وذلك أن السقف لم يرد فى القرآن مرادا به السماء الا فى موضعين ، هذا أحدهما ، والاخر قوله تعالى « والسقف المرفوع » والمراد بهذا المرفوع هو سماء الكواكب والنجوم فانها أجرام ضخمة هائلة رفعت عن الارض فى أفقها العالى بغير عمد فكانت بشهادتها على قدرة البارى جل شأنه خليقة بأن يقسم بها سبحانه فى معرض قسمه الذى بدأه بقوله : « والطور . وكتاب مسطور .فى ورق منشور » .. الى : « والسقف المرفوع » .. أما القبة الزرقاء أى طبقة الهواء ، فجاثمة على الارض غير مرفوعة عنها ، وليس من الحق أن يقال عنها فى قسم أو غير قسم انها سقف مرفوع يمسكه الله أن يقع على الارض ، بل حق ما يقال عنها — وهى سقف مباشر للأرض محكم عليها من جميع جهاتها — انها سقف محفوظ .. وحفظ الشىء معناه حراسته حتى لا يذهب ويضيع قال فى المختار « حفظ الشىء حفظا حرسه » وكذلك قال اللسان .. وجاء فى المصباح المنير : « حفظت المال وغيره حفظا اذا منعته من الضياع » .. فاذا كان شاهد القدرة فى أجرام السماء هو أن ترتفع بغير عمد فلا تقع على الارض ، فشاهد القدرة فى هذا الهواء — وهو طبقة غازية — أن يحفظ على الارض فلا يتطاير عنها ويضيع فى فضاء اللانهاية ، أثناء دورانها بسرعتها الخاطفة حول نفسها وحول الشمس .

ولا نحظر أن توصف الكواكب والنجوم بأنها سقف محفوظ ولكن القارىء الحديث الذى تختلف نظرته للقبة الزرقاء عن نظرة القارىء القديم وفهمه لها ، يرى أن وصف الحفظ — وهو الحراسة من الضياع والتبدد — أكثر انطباقا على ما فهم من دقائق الهواء ، وأن رفع أجرام السماء بلا عمد ليس — فى باب القدرة — أعجب من تثبيت غاز خفيف متطاير على سطح كرة تجرى فى فضاء اللانهاية بسرعة شديدة منذ بلايين السنين فلا ينزلن عن سطحها ، ولا يتخلف عنها ، ولا تمرق هى من غشائه الخفيف ، بل لا يختل سمك طبقته من ناحية اندفاعها فى فلكها عنه فى الناحية الاخرى ، بل لا تضيع منه ذرة واحدة .

فحفظ هذه القبة الجميلة أن يضيع من هوائها الذى عليه مدار الحياة فى هذه الارض هباءة أو ما دونها فيه من الرحمة وآيات الحكمة والعلم والقدرة ما يجعل تفسير الاية به فى حكم اللغة والعلم والواقع ، أولى من سواه .

٤ — ومن معانى السماء التى ورد بها القرآن الاجرام العليا التى نراها فوقنا زاهرة الجمال والضوء ، كالشمس والقمر والنجوم والكواكب .. ونحوها .. ومنه قوله تعالى : « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها » وقوله « ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه » .. وتبدو هذه الاجرام للعين المجردة كأنها حبات صغيرة لامعة منثورة فى فضاء الكون ، والحق أنها أجرام

هائلة ضخمة ، وانما تبدو صغيرة لما بيننا وبينها من أبعاد شاسعة سحيقة ، وقد استطاعت الدراسات الحديثة بما لها من مراصد ومناظير وآلات دقيقة أن تقدر أحجام هذه الاجرام ، وكتلتها ، أى أوزانها .. فحجم الارض — مثلا — يبلغ مئات البلايين من الاميال المكعبة : خمسة آلاف مليون ، وتسعين ألف مليون ، وأربعمائة ألف مليون ميل مكعب ، ولنا أن نتصور ضخامة حجم الشمس اذا علمنا أن هذا المقدار من البلايين لا يساوى الا واحدا من بليون من حجمها .. فاذا علمنا أن من النجوم ما يكبر حجم الشمس بمائة مليون مرة أو أكثر استطعنا أن نتصور المدى الهائل الذى تبدو فيه ضخامة الاجرام العليا .. وكتلة الارض — أى وزنها — تبلغ خمسة آلاف مليون ، مليون ، مليون طن فكم تبلغ كتلة الشمس من الاطنان اذا علمنا أن هذا العدد الضخم لا يزن من كتلتها سوى ٣ من مليون ؟ وكم يزن النجم الذى يكبر الشمس بمائة مليون مرة ؟!

فاذا قال الحق سبحانه : انه رفع السماء بغير عمد ، وانه يمسكها أن تقع على الارض الا باذنه فان حساب تلك الارقام يصور للذهن والوجدان طرفا من قدرته العظيمة جل شأنه .

أما عددها فكبير جدا أعيى العلماء أن يحصوه ، ولا يعلم قدره الا الله ، وقد ذكر العلماء أنها مقسمة الى وحدات كل « وحدة » تسمى مجرة ، تحتوى كل منها على ملايين ومئات الملايين من النجوم .

وقد تكونت كواكب هذه المجرات ونجومها أو بنيت من غازات دقيقة فى الفضاء الكونى كانت ذراتها تتجاذب فيما بينها بحسب قرب بعضها من بعض فائتلف من هذا التجاذب جرم كل نجم وحجمه .. وقد تكفلت كتب العلم ببسط عملية التكوين بما لسنا بصدده ، ويهمنا أن بعضها قرر سبق القرآن بالاشارة الى الغاز الذى بدأت به عملية البناء فى قوله تعالى « ثم استوى الى السماء وهى دخان » وذلك فى معرض بدء خلق السماء والارض ..

٥ — ومن معانى السماء التى ورد بها القرآن الكريم ، الفضاء الكونى ، فان وراء قبتنا الزرقاء ذات الافق المحدود فى نظر العين المجردة فضاء واسعا لا نهاية له كما يقول العلماء ، ليس به هواء ولا هباء ، بل هو خال خلوا تاما من كل ذرة حسية .. فاذا ارتفع انسان فى سفينة من سفن الفضاء حتى جاوز طبقة الهواء التى تغلف الارض تغيرت المناظر من حوله تغيرا تاما ، اذ يختفى الضوء الذى كان يغمره وهو على سطح الارض ، ويغدو فى ظلام دامس ، فان الضوء الذى كان يراه على سطح الارض كان ناشئا من انعكاس الاشعة على جزيئات الهواء وبخار الماء والهباء ، فلما جاوز جو الارض وصار فى الفضاء الكونى العام ، صار حيث لا هواء ولا هباء ولا شىء ينكسر عليه الشعاع ، فهو فى ظلمات بعضها فوق بعض لا يرى فيها سوى حبات النجوم وقرص الشمس المتوهج ، يحف به سواد رهيب موحش لا نهاية له ..

هذا الفضاء الصامت المظلم الذى يمتد الى ما لا نهاية هو أحد المعانى التى وردت بها كلمة السماء ، أو السماوات ومنه قوله تعالى : انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب » فالكواكب كانت فى الفقرة السابقة بمعنى « السماء » وهى هنا زينة لسماء أخرى هى ذلك الفضاء الموحش بظلمته وأسراره الخطيرة .

والسماء الدنيا هى أول ما يلينا من الفضاء الكونى وأقربه ، وليست هى القبة الزرقاء لأن الكواكب انما تزين ما تقوم فيه ، وهى انما تقوم فى الفضاء بلا مراء ، فهى زينة له لا لغيره .

ومما جاء فى هذا المعنى — أيضا — قوله تعالى : « تبارك الذى جعل فى

السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا » والمعروف أن البروج تقديرات فلكية خاصة بمراقبة سير النجم فى فلكه ، أى فى مداره .. قال فى لسان العرب « البرج : واحد البروج الفلكية ، وهى اثنا عشر برجا .. الخ » ولا شك أن دوران الكوكب انما هو فى الفضاء ، فما فى مداره من تقسيمات فلكية «بروج» هى فى الفضاء نفسه ، ويؤيده قوله تعالى : « وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا » فالسراج هو الشمس ، والشمس والقمر كانا فى الفقرة السابقة مندرجين فى جملة الاجرام التى جاءت بمعنى السماء ، ولكنهما هنا جرمان « جعلا » فى سماء أخرى هى فضاء الكون .

ومنه أيضا قوله تعالى : « ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السماوات وما فى الارض ؟ » وأقرب معهود لنا فى السماوات هو الشمس والقمر والنجوم ، فاذا من الله سبحانه بأنه سخر لنا « ما فى السماوات » ووجهنا الى النظر فيه انصرفت دلالة اللفظ الى أقرب المعهودات الذهنية ، بل المشاهدات بالحس نفسه .. وتلك المشاهدات أو المعهودات انما هى مسخرات لنا على مثل ما فى قوله تعالى : « وسخر لكم الشمس والقمر دائبين » .. واذا ، فالشمس والقمر والنجوم التى وردت بمعنى السماء فى الفقرة السابقة قد سيقت هنا على أنها مجرد أجرام مرسلة « فى السماوات » .. واذ كان جريها فى الفضاء مسلما لا شك فيه ، فان المعنى لا يستقيم الا بتوجيه السماوات على أنها فضاء الكون الذى أسلفنا .

وهذا الفضاء فسيح جدا ، أو لا حد لاتساعه ، كما فى كلام علماء الطبيعة الجوية .. ومواقع النجوم فيه تعطينا مفتاحا لتصور بعض آفاقه ، أو لتصور سعة ما عرفنا من آفاقه ، فمن مواقع النجوم تعرف بعد بعضها من بعض ، وهى أبعاد شاسعة تكاد الرؤوس تدور لسماع أرقامها الضخمة والخيال يعجز عن تمثل آماده السحيقة ، ولذا عدل العلماء عن قياسها بالمتر والكيلومتر ، والميل ، الى مقياس آخر ، فقد رأوا أن سرعة الضوء فى الدقيقة الواحدة تبلغ ١٨ مليون كيلو متر ، ووجدوا أن ضوء الشمس يقطع المسافة التى بيننا وبينها وقدرها ١٤٩ مليون كيلو متر فى ثمانية دقائق ، فقالوا ايجازا فى التعبير واجتنابا للنطق بأرقام طويلة : أن بيننا وبين الشمس ٨ دقائق ضوئية بدلا من ١٤٩٫٠٠٠٫٠٠٠ كيلو متر .. أى أنهم اتخذوا من الزمن وحدات للقياس منسوبة الى سرعة الضوء .

ولكن الدقائق الضوئية لم تسعف العلماء فى مرادهم ، فهم مكلفون أن يرصدوا مواقع النجوم ، أو النجوم فى مواقعها ، لا موقع الشمس فقط ، ولا كواكبها التسعة التابعة لها فحسب .. ومواقع النجوم تقترب منا أو تبعد بحسب المجرات التى توجد فيها فنجوم مجرتنا أقرب الينا من نجوم المجرة التى تليها ، ونجوم المجرة التى تليها أقرب الينا من نجوم المجرة التى بعدها .. وهكذا .. وتلك آماد لا يغنى فيها أن تقاس بالدقائق الضوئية ، ولا بالساعات والايام ، ولا بالاسابيع والشهور ، فاتخذوا السنة الضوئية وحدة للقياس .. فاذا كانت الدقيقة الضوئية تساوى ١٨ مليون ك. م فماذا تعدل السنة ؟!

ومجرتنا تعتبر وطننا السماوى لأن أرضنا وسائر مجموعتنا الشمسية تقع فى نطاقها ضمن ملايين النجوم والكواكب التى تتضمنها ، فاذا ذهبنا ندرس أبعاد تلك المجرة داخليا أدركنا الاتساع الهائل الذى جعلهم يقيسون الابعاد بالسنين الضوئية ، لا بالدقائق ولا بالشهور ، فأقرب نجم الينا من نجوم تلك المجرة — أى أقرب جار يلى مجموعتنا الشمسية ، مباشرة — يصل الينا ضوؤه فى أربع سنين

ضوئية .. فاستخرج عدد الدقائق فى السنة ، واضربه فى ٤ ــ أربع سنين ــ واضرب الناتج فى ١٨ مليون لتعرف المسافة التى بيننا وبين أقرب جار لأسرتنا الكونية .

والنجوم فى مجرتنا موزعة فى الفضاء على هيئة قرص واسع كبير ، فاذا علمنا أن قطر هذا القرص ــ أى الخط الواصل بين طرفيه مارا بالمركز ــ يساوى مائة ألف سنة ضوئية أدركنا الآماد السحيقة التى تترامى اليها أطراف تلك المجرة وأن من نجومها ما يصل الينا ضوؤه فى ألف سنة ، وعشرين ألفا ، وستين ألفا ، لا فى أربع سنين فحسب ..

فاذا تركنا مجرتنا الى أول مجرة تلينا الفيناها تبعد عنا بمقدار سبعمائة وخمسين ألف سنة ضوئية ، ومن المجرات ما يبعد بمليون سنة .. وخمسين مليون سنة .. ومئة مليون سنة .. ومئات الملايين من السنين .. فاذا أقسم الله تعالى فى القرآن بمواقع النجوم فهو قسم ينطوى على اشارة الى تلك الابعاد الهائلة التى تعتبر رموزا ضئيلة لسعة آفاق ملكه اللانهائى ، اذ هى أبعاد لما عرفنا من فضاء السماوات .. وأقول لما عرفنا لأن هناك ما لم نعرف بعد ، وما لا يمكن أن نعرف .. وجهود العلماء ومراصدهم ذات العدسات الواسعة الضخمة لم تستطع أن تكشف من آماد تلك السماوات الا مدى طوله ٥٠٠ مليون سنة ضوئية !!

والمجرات تدور حول نفسها ، وفى الوقت نفسه تجرى فى الفضاء الكونى الى حيث لا يعلم الا الله ، وهى فى جريها هذا الكونى يفترق بعضها عن بعض وتتباعد ، أى أن البعد بين كل مجرة وأخرى يزيد فى يوم عن أمسه ، ويزيد فى غيره عن يومه .. وهكذا .. وكلما زاد البعد زادت سرعة الجريان ، وفى هذا يقول الدكتور جمال الدين الفندى وزميله فى كتابهما (قصة السماوات والارض) « وتتباعد المجرات عن بعضها بسرعة فائقة ، ويزداد بذلك حجم الكون أو يتمدد ، كما أنه يظهر فى صورة حركة مستمرة .. وكلما تباعدت المجرات عن بعضها ازدادت سرعتها ، فقد شوهد مثلا أن المجرات القريبة من مجرتنا تتباعد بسرعة تقدر بحوالى بضعة ملايين من الاميال فى الساعة الواحدة ، فى حين تتباعد المجرات التى على مسافة أكبر بسرعات تزيد على مائتى مليون ميل فى الساعة الواحدة وتصل سرعة تباعد المجرات الواقعة على أضعاف هذه المسافات من مجرتنا الى سرعة الضوء نفسه ــ ١٨ مليون ك .م فى الدقيقة ــ وفيما بعد ذلك ، أوفيماوراء تلك الحدود من المسافات تزيد سرعة تباعد المجرات عنا على سرعة الضوء فلا يمكن بذلك للاضواء ، أو للاشعاعات الاثيرية المنبعثة منها أن تصل الينا بأى حال من الاحوال ، ولن نستطيع ــ اذا ــ أن نعرف شيئا عنها ، أو أن نراها من مجرتنا !! انها فى الكون غير المرئى ..

ان مسألة اتساع الكون ــ أو بمعنى أصح اتساع السماوات وآفاقها ــ هى أهم وأعظم نتيجة تمخضت عنها نظرية النسبية المشهورة ، وليس بالخيال ، فقد حقق بالمشاهدة والرصد ولم يعد للجدال فيه سبيل : « والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون » .. لننظر الى هذه الآية وروعتها ، وروعة مدلولها بما حوت من معان فلكية وطبيعية ورياضية .. انها ملخص علوم الفلك والطبيعة والرياضة انها الاعجاز بعينه » .. ولعلنا على ضوء هذا التقرير من عالمين مختصين بدراسة

---

(١) ص : ٤١ من كتاب قصة السماوات والارض للدكتورين الفندى ويوسف حسن . نشره « كتاب الشعب » القاهرة .

الطبيعـة الجوية ندرك خطورة القسم فى قوله تعـالى : « فلا أقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم » ان عقولنا اذ تفهم مدلول هذا القسم على ضوء تقريرات العالمين الكبيرين انما تسجد فى خشوع وتسليم لما تدل عليه عظمة هذا الملك من عظمة الخالق العظيم جل شأنه ..

ونظرية النسبية الدقيقة اذ تقرر تلك التقريرات العلمية عن سعة الفضاء الكونى ، وما يجرى فيه من مجرات بسرعة تفوق سرعة الضوء ، وما ينتشر فى تلك المجرات من بلايين البلايين ، أو ما لا يـعلم الا الله من الـكواكب والنجوم والاجرام العجيبة — تعتبر تفسيرا لمـا قدمنا من آيات وردت فيها كلمة «السماء» و « السماوات » بمعنى الفضاء الكونى ..

٦ — وكما وردت السماء بمفهومات حسية على ما قدمنا ، وردت بمفهوم روحى ، أو معنوى غير حسى ، ومنه قوله تعالى : « يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو الرحيم الغفور » فقد ذكر المفسرون — ويراجع الزمخشرى والفخـر الرازى — أن ما ينزل من السماء ضربان : ضرب حسى مثل المطر ، والبرد ، والثلج والصواعق ، وتنصرف السماء بالنسبة له الى معنى حسى .. وضرب معنوى ذكر منه الزمخشرى « الارزاق ، والملائكة ، وأنواع البركات والمقادير » وذكر الفخر الرازى أنه « أنواع رحمته ومنها الملائكة ومنها القرآن » وتنصرف السماء بالنسبة له الى معنى غير حسى قطعا ، فالقرآن ، والملائكة والمقادير والبركات والرحمة اذا قيل انها تنزل من السماء ، فهى سماء معنوية ، وليست هى الاجرام أو الفضاء الكونى أو غيرهما من مفاهيم الحس التى وردت بها السماء .. هذا بالنسبة لما « ينزل من السماء » أما بالنسبة لما « يعرج فيها » فقـد قال الزمخشرى « ما يعرج فيها من الملائكة وأعمال العباد » وقال الفخر : « وما يعرج فيها ، منها الكلم الطيب ، لقـوله تعالى « اليه يصعد الكلم الطيب » ومنها الارواح . ومنها الاعمال الصالحة لقوله تعالى : « والعمل الصالح يرفعه » والسماء التى تعرج فيها أرواح الناس وأرواح الاعمال هى سماء روحية أو معنوية لا يدرى الا الله كنهها ..

ومنه قوله تعالى : « قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا » والملائكة كائنات نورانية روحية لا ينزل من شمس ولا مريخ ولا مجرة من المجرات انما هى سماء من أمره تعالى .. ومنه أيضـا قوله تعالى « ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء » ومما قاله المفسرون فى ذلك « لا يرفع لهم فيها عمل صالح ولا دعاء .. وقيـل لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء .. وقال ابن جريج لا تفتح لأعمالهم ولا لارواحهم» ولا جدال فى أن الروح لا يناسبها أن يفتح لها باب حسى أو يغلق ، فهى من أمر الله لا تجرى عليها أحكام المحسات .. وقد أورد القرطبى فى تفسير قوله تعالى : « ولله خزائن السماوات والارض ، ولكن المنافقين لا يفقهون » واستشهد له بقول الجنيد : « خزائن السماوات : الغيوب .. وخزائن الارض : القلوب » وقد أورد الفخر أيضا هذا القول نفسه .. وخزائن القلوب على ما يريد الجنيد — رحمه الله — لا تتلقى من خزائن الغيوب الا ما لله فيهـا من أرزاق قدسية ، وتحف ولطائف من البر لا يعلمها الا هو تعالى ، فاذا كان ذلك فى سماء فهى فى ذوق أرباب المعانى سماء روحية لا حسية ..

— ٣ —

تلك معان للسماء حسية ومعنوية رأينا العلم فيها يقـدم من التقريرات

ما يفسر نصوص الوحى ويوضح اشاراته الى ما كنا نجهل من حقائق الطبيعة الجوية ، وقد قدمنا من ذلك بعضه ، وسكتنا عن كثير رعاية للمقام .. فمما لم نذكره مثلا الدلالات التى تستكن فى وصف الطبقة الهوائية بقبتها الزرقاء بأنهـا « سقف محفوظ » .. وقد كان هذا الوصف يؤدى فيما مضى مهمته فى الدلالة على قدرة الحق تعالى ، ولكن تقدم البحث فى أسرار طبيعة الجو أرانا فيه اعجازا — لم نكن نراه — فى دقة التعبير عن الحقائق ، وأبان لنا من دلائل رحمته تعالى ورعايته لنا بذلك « السقف » ما يضاعف الاحساس بفضله ويؤكد عرى الايمان به .. ذلك أن من شأن أى سقف أنه وقاية لأهله من أى أذى يعرض لهم من عل ، وهذا السقف يحفظنا من ملايين الكتل السماوية المتساقطة علينا كل يوم ، بل كل ساعة باستمرار ، فان تحته مقادير من الشهب لا يتصور لها حصر ، يقول عنها الدكتور أحمد زكى أنها تدور حول الشمس أسرابا أسرابا فى الفضاء فى مدارات مختلفة .. والارض أثناء دورانها فى الفضاء تمر بمدارات هذه الشهب فتجذب الكثير منها ، فتنزل عليها كأنها شآبيب المطر ، ويظهر من هـذه الشهب حين نزولها فى جو أكثر من مليون فى الساعة الواحدة ترى بالعين المجردة اذا راقبها المراقبون من كل أفق ، ويقول الدكتور أحمد زكى فى ذلك « ولو أن بسطح الارض عيونا ترى لرأت فى الساعة الواحدة ألف ألف من الشهب .. وبالمناظير ترى أكثر من ذلك كثيرا » ..

والشهب كتل صلبة من المعادن والصخور فاذا جذبتها الارض اليها اندفعت نحوها بسرعة هائلة ، فاذا اخترقت الهواء بتلك السرعة سخنت من الاحتكاك به فاتقدت نارا ، ونرى مسرى النار فى الهواء كأنه خط من نور ، لا يلبث أن يزول لأن الشهاب نفسه لا يلبث أن يحترق فيصير رمادا قبل أن يصل الى الارض .. ومن الواضح أنه لولا الهواء يحفظنا من وصول تلك الكتل الصخرية التى تنهال كل لحظة كالمطر لمـا استقر لنا عيش ولمـا انتظمت لنا حياة ، وتلك احدى الرحمات التى من أجلها جعل الله الهواء للارض سقفا محفوظا يقيها كثيرا من الاخطار .. ويقول الدكتور الفندى وزميله : « وهناك عدد قليل جدا من النيازك وصل فعلا الى سطح الارض مثل نيزك سيبيريا العظيم ، وهو كتلة هائلة سقطت من السماء عام ١٩٠٨ واخترقت أرض سيبيريا بعد أن هزتها ودمرت مسـاحة واسعة قطرها نحو ٢٠ ك م٢ » .. فاذا كان ذلك ما دمر نيزك واحد ، فماذا كانت تكون حالنا لو لم يدفع الله عنا بهذا السقف ذلك الوابل المنهمر من كتـل لا يعلم الا الله ملايينها وأثقالها ..؟

ولعلنا بهذا ندرك المناسبة الحكيمة التى تربط ختام الاية بموضوعها فى قوله تعالى : « وجعلنا السماء سقفا محفوظا ، وهم عن آياتها معرضون » .

هذا وقد أوردنا قوله تعالى : « فلا أقسم بمواقع النجوم » وأن عظمة ذلك القسم تبدو فيما يقدم العلم عن تلك المواقع من أبعاد شاسعة بعضها يصل الينا ضوؤه فنستطيع أن نراه وأن ندرسه ونعلمه ، وبعضها لا يصل الينا ضوؤه لأنه يمعن فى فضاء الكون بسرعة تفوق سرعة الضوء فلا يتيسر لنا أن نراه ، ولا أن ندرسه ولم نذكر أن ذلك التقرير العلمى يقدم تفسيرا وايضاحا لدلالات دقيقة فى قسم آخر فى قوله تعالى « فلا أقسـم بما تبصرون وما لا تبصرون . انه لقـول رسول كريم » فان ما نبصره معروف أما ما لا نبصره فيدخل فيه قطعا تلك المجرات

---

(١) ١٥٧ من كتاب « مع الله فى السماء » للدكتور أحمد زكى مدير جامعة القاهرة سابقا .

(٢) ٢١ من كتاب « قصة السماء والارض » .

التى ترامت فى آفاق سحيقة من الكون غير المرئى فلا سبيل الى أن يصل الينا ضؤوها ومن اعجاز الكتاب الذى فصله الله على علم دقة التعبير « بما نبصر وما لا نبصر » لأن المقام يتعلق بما يصل الينا ضوؤه ، وما لا يصل .. ومعلوم أن الشعاع هو سبيل العلم عن طريق « الابصار » « دون غيره من الحواس ، فاذا كان اختيار الفعل « أبصر » دون غيره يبلغ بنا غاية الاحكام فيما يقتضيه المقام من دقة الاداء ، فانه يقف فى الاذهان على عتبة « اللامرئى » تسرح أو تحدق فى غموضه فلا يكون جهدها الا أن تنحسر كليلة خاشعة ، وقد علمت من امتداد علمه تعالى بالمجهول والمعلوم ما يزيدها تسبيحا بحمده وتقديسا له فيما تعلم وما لا تعلم ، وما لا يملك مفاتحه الا هو تعالى .

فالعلم قد القى اضواء تبينا بها فى نصوص الآيات الكريمة جوانب ودلالات زادتنا فقها بكتاب الله تعالى ، وفهما بمعنى السماء ، ولا نعنى بالفقه مجرد فهم الدلالات والاشارات العلمية ، ومعرفة ما جاء عن نشأة الاجرام وكثرتها الهائلة فى السماء ، فان كتاب الله كتاب هداية ، لا كتاب علم طبيعى كما يبدو لبعض السذج المتحمسين ، بل نعنى بالفقه ما يتضافر العلم ونص الكتاب على تجليته من آيات الخلق فنزداد به علما بالله تعالى .

فنصوص الوحى لم تنزل لتقرر علما يسميه الناس اليوم علما ، بل لتزكى العقل والضمير بأصول العلم القدسي وتوجه الفكر الى صدق مناهج النظر فى الكائنات وما تتضمن من عبر شاهدة بآثار الخالق تعالى فيتزكى بذلك ما فى الضمير والعقل من معارف الوحى وهدايته .. تلك غاية الكتاب ، وهدف ما فيه من اشارات كونية ، وما مقررات العلم الطبيعى الا بعض حصيلة نظر الانسان وكشفه لآيات الخلق .. وهو بذلك حقيق أن نرى فيه أثر قدرة الخالق وعلمه ونحوهما على ما أراد سبحانه من حكمة الخلق ، الى ما نرى فيه من مدلول ما أجملت النصوص الوحى واشاراته ..

والقرآن بذلك انما ينظر الى لب مقررات العلم ، وهو دلالتها على الله ــ واذا ، فالسماء ليست مجرد جرم أو تقرير علمى انما هى آية ، « وكل معنى أوردناه للسماء أو أصح ليس سوى آية ، بل ان حقيقة كل ما فى الكون سمائه وأرضه من كائن ظاهر أو خفى انه آية ، وليس له من قيمة أو قدر الا دلالته الازلية على ما لنخالق تعالى من صفات الجلال والجمال .. ولسنا نجحد أو نبخس بذلك ما للعلم الطبيعى من أثر حسى فى حياة الشعوب والافراد ، فنحن نرى أنه يضع فى يد الانسان مفاتيح كنوز الطبيعة ، ويسلحه بأسباب التفوق والغلبة .. لا نجحد ذلك لأنا لا نجحد العلم الطبيعى نفسه ، فقد قلنا انه بعض حصيلة نظر الانسان وكشفه لآيات الخلق فاذا كان لذلك العلم من آثار فى حياة الانسان فهى بدورها نعمة جديرة أن نشهد فيها أثر المنعم تعالى وفضله ..

فليس فى الكون كله الا نعمه وسطور آياته التى ترسل تمجيده تعالى الى كل عقل .. فاذا ذكرنا السماء فهى الايات التى تزود العقل والضمير زادهما الحق من معرفة الله .. وليست الاجرام ، والافلاك ، والفضاء الخطير ولا نحو ذلك شيئا اذا لم تكن هى تلك الايات التى تفتح للعقل والقلب أبواب السماء الروحية أو ملكوت آفاق من المعرفة والكرامة والعزة ولطائف من الاذواق والمعانى تغرد لها الروح ويطرب لها العقل فيذوق المرء نعيم الخلد وهو ما يزال فى قرارة الدنيا .. فاذا سأل الشيخ الجليل : ما هى السماء ؟ استشرق فكر قارىء القرآن ، أو من اتخذ القرآن رفيق فكره وضميره الى قدس هذه الايات ، هى حيث هى مناط مجد الازل والابد ، ورفعة الانسان وكرامته حيث كان انسان فى الدنيا والاخرة .. والحمد لله على نعمة الايمان .

يا لها أسوة ببدر تجلت

أيها المدلجون فوق الصحارى   فى أسار الدجى عناة حيارى
كلما رف بارق من ضياء   أدركته غياهب فتوارى
خيم اليأس فى القلوب ظلالا   كابيات تضلل الأبصارا
فكأن الهجير أندى نسيما   وكأن الكهوف أرحب دارا
وقفة فى الحمى المضمخ بالحمد   تهز الطلائع الأحرارا
وقفة أيها السراة تزكى   تلكم الأنفس الظماء الأسارى
أى مجد كمجدكم أى قوم   بلغوا ما بلغتموه فخارا
ذاك تاريخكم يدل عليكم   موطن الطهر ينبت الاطهارا
أنتمو خير أمة فاجتلوه   تستبينوا الآيات والأسرارا

.. .. ..

يا لها أسوة ببدر تجلت   فى سماء المجاهدين منارا
يوم سارت كتائب النور تفدى   دعوة المصطفى وتحمى الديارا
قلة فى عديدها تستحق الآ   لاف والله ينصر الأبرارا
روع الشرك ما له من مصير   غير أن يطوى الفلاة فرارا
فترى المارقين جمعا شتيتا   كالسكارى وما همو بسكارى
بين شلو ممزق وصريع   تلك عقبى من حالف الفجارا

.. .. ..

وترى المؤمنين صرحا مشيدا   يطرق الطرف دونه اكبارا
بينهم حامل الرسالة يحدو   ركبهم يغمر الدجى أنوارا
ومضى فى الصفوف سعد أبيا(١)   رائع السمت يحشد الأنصارا
ذاك صوت المقداد(٢) حرا ينادى   دعوة الحق يحفز الثوارا

(١) هو سعد بن معاذ صاحب راية الانصار والابيات تشير الى موقفه البطولى اذ قال الرسول صلى الله عليه وسلم أشيروا على أيها الناس وكان يريد بكلمته هذه الأنصار الذين بايعوه يوم العقبة . فالتفت اليه سعد وقال : لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض لما أردت ، فنحن معك .

(٢) ايماءة الى قول الصحابى المقداد بن عمرو اذ قام قائلا : يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا ، انا ها هنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون .

للأستاذ
حسن فتح الباب

هاتفا : لن تكون وحدك أنا ... حيث تمضى تقاتل الأشرارا
ليس فينا أشياع موسى استكانوا ... واستعزوا بالمال ذلا وعارا
وأصموا أسماعهم عن نداء : ... أن تعالوا نجاهد الجبارا(٣)
وتداعوا الى النكوص فقالوا ... أنت والرب قوة لا تجارى
ها هنا نحن قاعدون فهيا ... آتنا أيها النبى انتصارا
مثل ساقه اليهود قديما ... ثم أضحى بخزيهم سيارا
بئس من يرفض الكفاح ويرجو ... من غراس المكافحين ثمارا
وغدا الركب زاحفا فى البوادى ... وقريش تضل أيان سارا
نزل المسلمون بدرا ظماء ... للوغى يدخلونها اصرارا
تلكم الحرب والمكيدة والرأ ... ى(٤) تذيق المضللين بوارا
فلقد عاث فى البلاد فسادا ... كل باغ يستكبر استكبارا
كل صاد عن الحقيقة عاد ... راكب فى مروقه الأخطارا
كم بلا المؤمنون منه وبالا ... ونكالا وغدرة ودمارا
ذاك رأس الطغاة(٥) خر صريعا ... وبلال يرديه عدلا وثارا
وأبو جهلهم(٦) يلاقى معاذا ... والردى يملأ الفضاء شرارا
فيذوق المنون منه زعافا ... راعفا ناقعا غبارا ونارا
وعلى وحمزة يلقيان الشرك ... بالسيف مرهفا بتارا
انها آية القصاص ببدر ... فيلق الحق يمحق الكفارا

.. .. ..

فلتكن غزوة الرسول شهابا ... ساطعا يلهم النفوس الكبارا
ولنصن عزة العقيدة بالرو ... ح ونرفع من آى بدر شعارا

(٣) المقصود بالجبار فرعون موسى .

(٤) اشارة الى قول الحباب بن المنذر وقد بادر المسلمون الى ماء بدر — يا رسول الله أريت هـذا المنزل — أمنزلا أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنـه ، أم هو الرأى والحـرب والمكيدة ؟ وقول الرسول « بل هو الرأى والحرب والمكيدة » .

(٥) أمية بن خلف رأس الكفر الذى طالما عذب بلالا مؤذن رسول الله .

(٦) أبو جهل عمرو بن هشام من عتاة قريش ، وقد قتله معاذ بن عمرو بن الجموح .

رمضان ...!

على أمة الإسلام فى غدواته ... يصب سيول الخير من نفحاته

أهلّ على الدنيا وفيه بشاشة ... فسال عليها الفيض من بركاته

وفيه أتى القرآن للناس بالهدى ... فشعّ على الدنيا سنى كلماته

وبين لياليه الروائع ليلة ... من الدهر كم تسمو على سنواته

ملائكة الرحمن فيه تنزلت ... وأنزل رب العالمين هباته

فمرحى بضيف يكرم الناس بالقرى ... ويرويهمو بالسيل من رحماته

إذا جاعت الأجسام عند صيامه ... فإن غذاء الروح فى دعواته

وإن أصبحت فيه الحلوق ظوامئا ... فرى النفوس الغر فى صلواته

له فرحة عند النفوس وبهجة ... وكل لسان يتقى حرماته

هو الصوم بين الله والعبد سره ... فطوبى لعبد يجتنى ثمراته

سمو بارواح ، وشحذ إرادة ... وعزمة إنسان وقوة ذاته

وإحساس قلب بالفقير وبؤسه ... فنسمع فى أضلاعنا زفراته

وأيد لمسكين تمد كريمة ... فتمسح من أجفانه عبراته

وصون نفوس عن قبيح فعالها ... وصون لسان عن قبيح صفاته

وبعد عن الشيطان درءا لشره ... وقرب من المولى لنيل صلاته

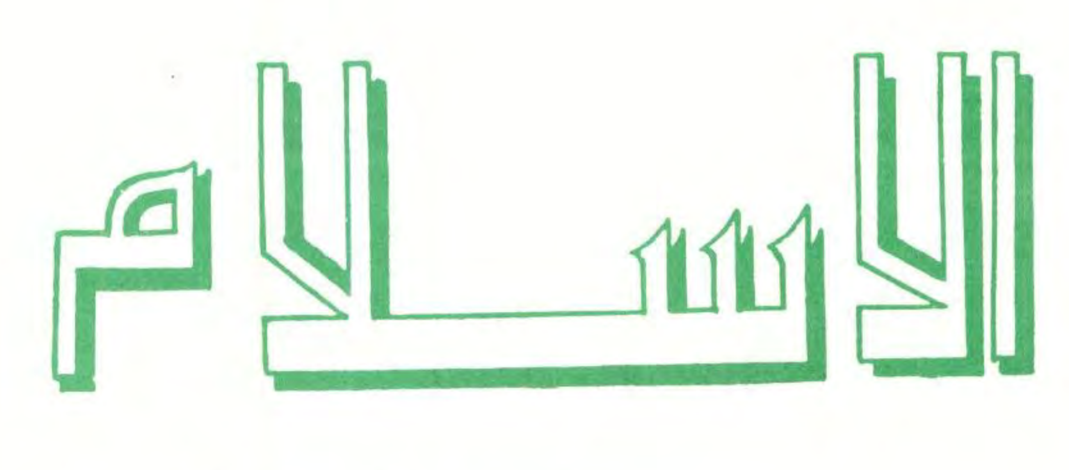
هو النور يسرى فى جوانح عابد ... فيحمل قلبا لا نرى ظلماته

سلام على « بدر » ومن ذاق نصرها ... فهم فى حمى الإسلام خير حماته

أطاحوا بفجار تفاقم شرهم ... فقوض صرح الكفر فوق بناته

للأستاذ : محمد الهادي اسماعيل
المدرس الأول بالفحيحيل الثانوية

يقولون للربان : لو خضت مائجا ... لخضناه ، كان العزم من عزماته
فضائل هذا الشهر كانت سلاحهم ... وقرآنه درع لصد عداته
ودانت لنا الدنيا نقود زمامها ... بقوة حق لا بلين قناته
بجولة إيمان ، وصولة مصحف ... بحدة سيف لا يفل شباته
اولئك آبائى ، وتاريخ أمتى ... وذلك دينى فى ربيع حياته
فماذا اصاب الدين أواه قومنا ؟ ... وكيف يعيش اليوم بين عصاته ؟
وكيف نطيق العيش بين انينه ؟ ... وكيف نذوق النوم رغم شكاته ؟
ثلاث مضين الآن يا رمضان .. فى ... اسى ، نمضغ الإذلال من نكباته
مضى العام والعامان فى القيد نرتجى ... فكاكا ، فزاد القيد من حلقاته
مضى العام والعامان نجرع ذلنا ... وثالثها قد زاد من جرعاته
أيصبح بيت الله فى القدس باكيا ... على حين نرجو ان نرى بسماته ؟
وحتام وجه الشرق يقطر حسرة ؟ ... أفى قادم يلقاك فى حسراته ؟
أم ان عيون الشرق تنفض ذلها ؟ ... متى الشرق يصحو من عميق سباته ؟!
هو النصر بالايمان لا سر غيره ... به انتصر الاسلام فى غزواته
الى الدين والايمان بالله والتقى ... فذلك جيش لا نرى حركاته
ولكن يكيل الضرب فى الحرب للعدا ... ولن يقدروا ان يتقوا ضرباته
فصوموا ، وادوا للاله حقوقه ... فكل بناء قام من لبناته



الاسلام وحرية العقيدة

للأستاذ : جمال الدين عياد

ثمة حقائق ثلاث ينبغى أن نضعها موضع الاعتبار حين ندرس موقف الاسلام العظيم من حرية العقيدة ، ومن الأكراه فى الدين :

الحقيقة الأولى : أن أية قوة فى الأرض اذا استطاعت أن تكره الناس على كل شىء ، فلن تستطيع أن تكرههم على الدين ، أو أن تلزمهم اياه وهم له كارهون، فهى مهما تسيطر عليهم ، لن تملك منهم الا السنة تردد ما تكره عليه من قول ، أو أجسادا تؤدى ما تجبر عليه من عبادة وتقديس . فأما القلوب والأرواح فلن تجد اليها سبيلا ، ولن تملك منها كثيرا أو قليلا ، ولن تستطيع معها اكراها وتحويلا .

الحقيقة الثانية : أن الله ــ سبحانه ــ قد نهى رسوله الكريم عن أن يلح فى دعوة من يعرض ويتولى ومن أجل هذا نزل القرآن الكريم يعاتب الرسول لما تصدى لنفر من أشراف قريش يلح فى دعوتهم الى دينه ، فقال سبحانه : « فأما من استغنى ، فأنت له تصدى ، وما عليك ألا يزكى » واذا كان الأمر كذلك ، فكيف لرسول الله أن يكره الناس على دين الله ، وقد عوتب لما تصدى لمن أعرض واستغنى

ثم ان الله سبحانه قد قرر فى هذه الآيات من سورة عبس أن رسوله الكريم لن يحاسب على اعراض الناس ، ولن يسأل عن كفرهم والحادهم ، اذ يقول تعالى « وما عليك ألا يزكى »

الحقيقة الثالثة : ان الاسلام دين التفكر والتعقل ، والنظر والتدبر ، فهو

يخاطب العقل ، فيدعو بالحكمة ، ويقنع بالحجـــة ، ويقهر بالبرهان ، ويجادل بالتى هى أحسن .

وحسبنا فى هذا المقام أن نستمع لقوله تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » ولقوله سبحانه « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيـــا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون . »

هذه الآيات تدعو الى التفكر الذى يثمر الايمان فى القلب السليم ، وهذا الايمان هو الذى دعا اليه الاسلام ؛ لأن ايمان العقل لا يذهب ولا يضعف ما دامت للأنسان عين تنظر وعقل يفكر ، بل يزداد مع الأيام قوة كلما ازداد النظر والتفكر، فأما ايمان التقليد فهو أضعف من أن يصمد لكيد الشيطان ، وأما ايمان الاكراه فانه الايمان الزائف الذى لا يعرف الى القلوب سبيلا .

تلكم هى الحقائق الثلاث التى ينبغى أن نقف عندها متأملين عندما نتحدث عن موقف الاسلام العظيم من حرية العقيدة ومن الاكراه فى الدين .

وبعد هذه الحقائق النظرية ، لا بد من دراسة لموقف الاسلام من النـــاحية العملية فلقد حارب الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ فعـــلا وقاتل اليهود والمشركين فى غزوات عديدة .. لكنه ما حارب الا مضـــطرا دفاعـــا عن حرية العقيدة ....

فقد كان أول ما فعله ــ عليه الصلاة والسلام ــ بعد أن قدم المدينة مهاجرا ان عقد مع اليهود وثيقة أمن وسلام ، وادعهم فيها ، وأمنهم على دينهم وأموالهم وأرواحهم ، وبالرغم من هذا فقد كان اليهود يؤلبون على رسول الله ، ويجادلونه بغير الحق ، وهو ــ عليه الصلاة والســـلام ــ يرد كيدهم باللين والحكمـــة والسياسة ، لقد حاولوا ــ أول الأمر ــ أن يفرقوا بين المسلمين بعد أن جعلهم الله اخوانا متحابين ، فأرسلوا غلاما منهم الى الأوس والخزرج يذكرهـــم بيوم بعاث ، يوم انتصر الأوس على الخزرج ، ولم يقم عنهم الغلام حتى أفسد بينهم فتواعدوا القتال وتنادوا : « السلاح السلاح » !

فانظر كيف كان موقف نبى الرحمة ورسول السلام ... لم يزد ــ عليه الصلاة والسلام ــ على أن قال للأنصار « الله الله أبدعوى الجـــاهلية وانا بين أظهركم ، بعد أن هداكم الله للاسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر وألف به بين قلوبكم » .. وما سمع الأنصار هذا القول الحكيم حتى انتزعوا من قلوبهم العداوة والبغضاء ، وعادوا أشد ألفة وايثارا .. وهكذا رد عليه الصلاة والسلام كيد اليهود فى نحورهم دون أن يصيبهم بسهم أو يضربهم بسيف . ولو قد أراد لفعل ولن يجد لائما أو عاتبا ، لأن القوم أرادوا له الشر ، وائتمروا بأنصاره ليقتتلوا ، فلا أقل من أن يجزيهم شرا بشر « وجزاء سيئة سيئة مثلها » ولكنه آثر الحلم وجنح للسلم فألف بين أنصـــاره بحســـن سياسته وجميل حكمته ، ولا عجب « فمن عفا وأصلح فأجره على الله »

وقد كان جديرا باليهود أن يكفوا عن سياسة العداء لما يجدون من تسامح الرسول وعفوه وسمو سياسته ، ولكنهم أبوا الا تعنتا وفسادا ، فمضوا يجادلونه بالباطل ليفسدوا عقيدة المسلمين ويزعزعوا ايمانهم ولكن هيهات هيهات .

ولقد ظلوا على هذه السياسة عامين اثنين ، والرســـول لا يحاربهم الا بالحجة والمسلمون لا يناضلونهم الا بقوة الايمان . حتى اذا انتهى العامان بغزوة بدر الكبرى بلغت وقاحتهم غايتها ومنتهاها اذ كشفت طائفة منهم عن عورة امرأة مسلمة فثار المسلمون لهذه القحة وغضب الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولكنه آثر السلم فى هذه المرة أيضا فأرسل يحذرهم عاقبة ظلمهم علهم يثوبون لرشدهم ويرجعون عن غيهم ولم يحاربهم حتى كشفوا عن سواد قلوبهم وسوء نواياهم فتوعدوه بالحرب وأقسموا لو حاربوه ليعلمن أنهم الناس . .

فانظر كيف كان عليه الصلاة والسلام يؤثر السلم حتى يدعوه اعداؤه الى الحرب وهو يوم أرسل يحذر تلك الطائفة من اليهود لم يكن عاجزا عن حربها ، وانما كان فى قوة حربية ومعنوية تمكنه من سحقها لو أراد . فلقد عاد يومذاك الى المدينة بعد أن هزم قريشا فى بدر . وهو بعد هذا الظفر لم يشأ أن يعاقب اليهود على بغيهم قبل أن يحذرهم وينذرهم ، عسى أن يكون فى التحذير والانذار رجوع الى الحق ودرء للقتال . فهل بعد هذا حسن سياسة ولين جانب ؟ وهل بعد هذا جنوح للسلم ونفور من الحرب ؟

وان نظرة واحدة الى سياسة الرسول عليه الصلاة والســـــلام مع بنى النضير كافية لتؤكد ما قدمناه من حرصه — عليه الصلاة والسلام — على السلم. فلقد ائتمرت هذه الطائفة الآثمة من اليهود بالرسول الكريم لتقتله ، والتآمر على قتل الرسول معناه التآمر بالدعوة الاسلامية . وهذه هى الجريمة الكبرى التى لا تغتفر فلا أقل من أن يحاربهم الرسول فيقتلهم كما حاولوا قتله . ولقد حاربهم الرسول فعلا .

وليس يهمنا هذا الآن وانما الذى يهمنا أنه ما حاربهم الا مضطرا ، فلقد كان يعمل جاهدا للسلم حتى اللحظة الأخيرة ولقد أراد أن يعاقبهم على بغيهم بغير السيف والرمح فأرسل يأمرهم بالجلاء عن المدينة ولكنهـــم أبوا الا تكبرا وعنادا فرفضوا الجلاء وأرسلوا يسألونه أن يصنع ما بدا له .

وبربك أيها القارىء الكريم ماذا يصنع الرســـــول ازاء هؤلاء القوم ؟؟؟ أيتركهم ليفسدوا فى الأرض بغير الحق ، ويحاولوا قتله من جديد ، واللـــه قد أراده داعيا اليه بأذنه وسراجا منيرا ؟ لقد حاربهم الرسول بعد أن دعاهم الى السلم فأبوه ، ولو كانت لهم عقول يفقهون بها لجلوا عن المدينة بعد أن كشف الله عن خبثهم ولؤمهم ، ولو قد فعلوا لما حاربهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولما نكل بهم . ولئن كان بنو قينقاع وبنو النضير قد أضطروا الرسول الى حربهم بنقضهم عهده ورغبتهم عن موادعته ، لقد كان موقف بنى قريظة مثل موقفهم فيه تحد صارخ ونقض ظاهر فلقد انضموا الى الأحزاب يوم الخندق فأعلنوا على رسول الله الحرب ونقضوا العهد . ولولا خدعة نعيم بن مسعود ، لما كفوا عن حرب الرسول . فكيف لا يحاربهم وقد حاربوه ، وكيف لا يعاقبهم وقد خانوه ؟

لقد كانت هذه هى السياسة الحربية التى اتبعها الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود . وهى كما ترى سياسة لا تعرف الحرب الا عند الضرورة . ولن تزداد بدراسة الحروب النبوية الا ايمانا بهذه القاعدة .

فموقف قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى دفعه الى حربها . فهى قد كانت حجر عثرة فى سبيل الدعوة الاسلامية ، تحول بين صوت

الحق وبين آذان تريد أن تسمع ، وقلوب تريد أن تؤمن ونفوس تريد أن تهتدى .. وهى قد أخرجت المسلمين من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، فاذا حاربهم الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ فانما يحارب قوما بدءوه بالحرب والعداء وآذوه واضطهدوه وأخرجوه من وطنــه ظلما وعدوانا ، ولو قد تركوه ينشر دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة لما كان هناك حرب ولا قتال « ولكنهم وقفوا فى وجه الدعوة فوقف فى وجههم يناضل من أجلها حتى دخل مكة فاتحا منتصرا .

ولقد عبر عليه الصلاة والسلام عن هذا المعنى الذى قد مناه يوم خرج الى مكة معتمرا ، وسمع أن قريشا قد لبست جلود النمور ونزلت بذى‌طوى تعاهد الله لا يدخل رسول الله مكة عليها أبدا . فلقد تألم ــ عليه الصلاة والسلام ــ لهذا الصد عن سبيل الله ، فقال : يــا ويح قريش لقد أهلكتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ، فان هم أصابونى كان ذلــك الذى أرادوا وان أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الاسلام وافرين ، وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة .. فهو ــ عليه الصلاة والسلام ــ كان يود لو أن قريشا خلت بينه وبين نشر دعوته ، فلا يفرق فى سبيلها بين سيفه وغمده ولكنها أبت الا صدا عن سبيل الله وكفرا به فلم يكن بد من القتال حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله .

واذا كان هذا خبر قريش ، فما خبر الفرس والروم ؟

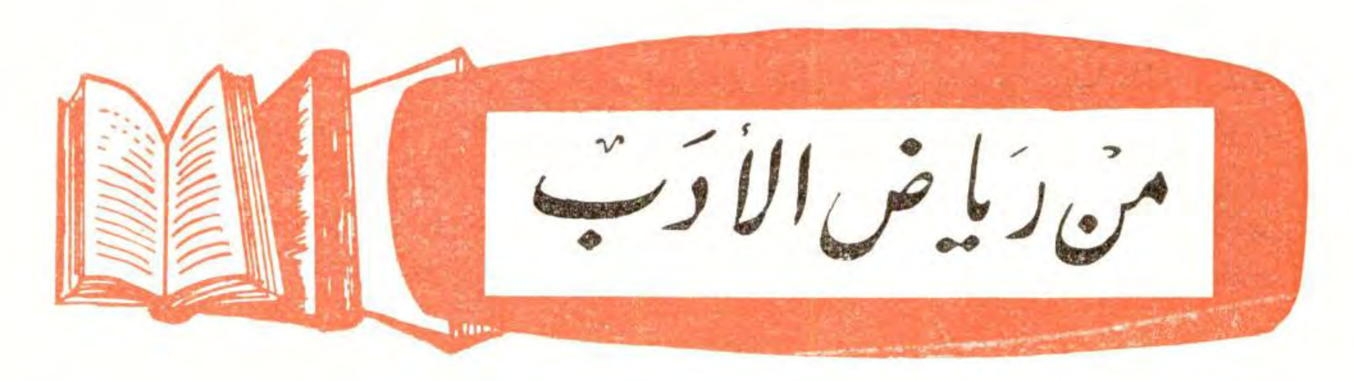
لقد بدأ الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ بحرب الروم عند حدود الشام فى مؤته وذات السلاسل وتبوك ولقد سار الراشدون من أخــلاف النبى على هذه السياسة حتى هزموا الروم والفرس جميعا . فهل معنى هذا أن الاسلام يقر سياسة الحرب من أجل نشر الدعوة ، أو أنه انتشر بالسيف كما يزعم أعداؤه؟

الحق أن الاسلام لم يجبر أحدا على اتباع رسالته ولم يتخذ القوة وسيلة الى نشر مبادئه . فلقد نص دستوره الحكيم على حرية العقيدة وحرم الاكراه فى الدين . ولكن حرية العقيدة ينبغى أن تقرر للاسلام كما قررهــا هو لغيره من الأديان ، فاذا كان الاسلام قد كفل للناس الحرية فى اختيار العقيدة التى يشاؤون، فليس ينبغى لأصحاب السلطة والنفوذ من أتباع العقائد الأخرى أن يحولوا دون الدعوة اليه أو أن يفتنوا من يريد اعتناقه من أتباعهم ورعاياهم . فاذا صــدوا دعاته أو فتنوا أتباعه لم يكن بد من حربهم حماية لحرية العقيدة التى قررها ودعا اليها ،

فحروب الاسلام ضد قريش والفرس والروم لم تكن حروبا تنشر العقيدة بالسيف ، وانما هى تأديب لمن يكفرون بحرية العقيدة ويفتنون الناس عما تؤمن به قلوبهم وتطمئن له عقولهم .

وان موقف الروم من رسول الله ، وموقف رســول الله من الروم لخير ما نذكره فى هذا المقام .... فلقد بدأ ــ عليه الصلاة والسلام ــ يدعو كبيرهم هرقل الى دين الله ، فأبى أن يؤمن هو وكبراء قوم ، وان كان قد أحسن الرد لاسباب سياسية فى أكبر الظن ....

البقية ص ٦١



للأستاذ : محمود غنيم

هذا باب أضافته — ولا نقول : استحدثته — مجلة الوعى الاســـلامى الى أبوابها الحافلة بنتاج العقول ، وثمار القرائح ، وقد أسندت الينا — مشكورة — تحريره ، ونحن من جانبنا لن نألو جهدا فى اختيار ما قل لفظه ، وغزر معناه من الطرف الأدبية التى يتفكه بها الأديب ، وان شئت فقل : التى لا غنى له عنها ، ولن نتقيد بنســـق معين يربط بين حلقات هذه السلسلة ، سوى رقم مسلسل لكل فقرة نوردها ، على أن تكون وحدة قائمة بذاتها . على أننا ربما تصرفنا فى الرواية بعض الشىء ، أو قدمنا بين يدى الفقرة بما يمهد لها ، أو عقبنا عليها بما يجلو غامضا ، أو يزيد المعنى ايضاحا ، دون أن يخل هذا أو ذاك بما نتوخاه من ايجاز ، وبالله التوفيق .

(١)

ثلاثة يهزمون المأمون

لم يكن خلفاء بنى العباس مجرد ســـاسة يهيمنون على شـــئون الدولة المترامية الأطراف ، بل كان يتمتع الكثير منهم بفقه أبى حنيفة ، ونحو الكسائى ، وفلسفة النظام ، وشعر أبى نواس ، ورواية حماد ، والى ذلك يشير الشاعر بقوله :

لم أدر كانوا ملوكا أم فلاســـفة عليهمو من ثيـــاب العلم أبراد ؟
العـــــلم حليتهم ما منهمو ملك الا فقيه ونحـــوى ونقـــــاد

وكان المأمون — صاحب العصر الذهبى — من أكثر خلفاء بنى العبـــاس علما وأدبا وقوة حجة وحضور بديهة ، ولكنه — مع ذلك — يعترف بأنه هزم فى ثلاث مواقع . .

الأولى : حينما ذهب بنفسه ليعزى أم الحسن بن سهل فى وفاته ، فقال لها : لا تبكى عليه فأنا ابنك مكانه ، فقـــالت له : وكيف لا أبكى على من جعل مثلك ابنا لى ؟ فأرتج عليه .

الثانية : حينما جيء برجل يدعى أنه موسى بن عمران ، فقال له المأمون : ان موسى ألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ، فافعل كما فعل موسى ، فقال الرجل : ومتى فعل موسى ذلك ؟ انه لم يفعله الا بعد أن قال له فرعون : « أنا ربكم الأعلى » فقل كما قال فرعون ، وأنا أفعل كما فعل موسى ، فلم ينبس المأمون ببنت شفه .

الثالثة : حينما جاءه جماعة من بعض الأقاليم يشكون اليه عاملهم ، فجعلوا يبسطون ألسنتهم فى هذا العامل ، وينالون من دينه وعدله وكفايته ونزاهته ، فانتهرهم المأمون قائلا : كذبتم ، بل هو الورع العدل الكفء العفيف ، فهم الجماعة بالرد عليه ، ولكن كبيرهم أشار عليهم بالسكوت ، وقال : صدق أمير المؤمنين ، ومن العدل ألا يؤثرنا به دون غيرنا ، بل أن يوزع مواهبه ومزاياه على سائر الأقاليم ، فلم يحر المأمون جوابا .

(٢)

يأتمون ولا يدانون

ونعنى بهم هؤلاء الشعراء الذين ينالون من غرمائهم ، ويسبونهم أقذع السباب ، دون أن تجد الادانة الى أحدهم سبيلا ، ذلك أنهم يتسترون وراء التورية ، فلكل منهم معنى خبيث يقصده ، وآخر لا خبث فيه يلجأ اليه عند الاقتضاء ، فمن ذلك قول حافظ ابراهيم فى شوقى :

يقولون ان الشوق نار ولوعة ‏ ‏ ‏ فما بال شوقى الآن أصبح باردا ؟

على أن « شوقى » يجيبه بقوله :

وأودعت انسانا وكلبا أمانة ‏ ‏ ‏ فضيعها الانسان والكلب حافظ

ومن ذلك قول حفنى ناصف فى صديقه سليم سركيس — وهو مسيحى — حين قام بزيارة للبيت الحرام :

عليك سلام الله ان كنت مؤمنا ‏ ‏ ‏ وان كنت زنديقا سحبت كلامى
لقد كان سركيس بمكة محرما ‏ ‏ ‏ وطاف ببيت فى البقيع حرامى

ومن ذلك أيضا قول محمود غنيم فى صديقه الشاعر المرحوم محمود الخفيف :

صاح قد جعت فهيىء ‏ ‏ ‏ لى كبابا ورغيفا
واسقنى شايا ثقيلا ‏ ‏ ‏ قبح الله الخفيفا



اللواء الركن : محمود شيت خطاب

– ١ –

يرتفع الخط البيانى لعدد حجاج بيت الله الحرام كل عام ، لأن وسائط النقل متيسرة ، ولأنها تطورت سرعة وكفاية ، ولأن القضايا الصحية فى الحج تحسنت ، ولان وسائل راحة الحجيج تأمنت .

والذى يشرف على طواف الحجاج حول الكعبة المشرفة قبيل أيام الحج ، ويشهد أوقات الصلاة فى البيت الحرام قبل الخروج الى عرفات ، ويرى السيل المتدفق من البشر وهم يقصدون عرفة ، ثم يراقب الخيام المضروبة فى يوم الحج تملأ السهل الفسيح حول الجبل ، وينفر مع الذين ينفرون الى (منى) ، لا بد من أن يجول فى خلده السؤال الحيوى : **لو توجه هذا العدد الضخم من البشر الى اسرائيل ، فهل بامكان الصهاينة الصمود أمام زحفهم المقدس يوما أو بعض يوم ؟!**

ان حرارة الايمان ، ترتفع فى نفوس الحجاج ، وهم فى الارض المقدسة ، يؤدون مناسك الحج ، حتى تبلغ درجة عالية جداً .

والحج موسم دينى ، ولكنه فى الاسلام موسم سياسى أيضا ، لأن أيام الحج هى مؤتمر سنوى للمسلمين ، يتدارسون خلالها مشكلاتهم ، ويضعون لها الحلول المناسبة . ولعل أهم مشكلة للمسلمين فى هذه الظروف الحرجة التى تجتازها الامة الاسلامية من المحيط الى المحيط ، هى استيلاء الصهاينة على فلسطين وعلى أجزاء من الارض العربية وعلى القدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

والسؤال الكبير هو : **لماذا لا يستغل المسلمون هذه الايام ، لوضع الحلول**

الجذرية التى تضع كل مسلم فى مشارق الارض ومغاربها أمام مسؤوليته الدينية والسياسية لبذل كل طاقاته المادية والمعنوية دفاعا عن فلسطين وانقاذا للمسجد الاقصى ؟

- ٢ -

واذا كان المرء صريحا فى معالجة أمور المسلمين ، حريصا على مصلحة الاسلام العليا ، مخلصا لأهداف أمته السامية ، فلا بد من أن يضع النقاط على الحروف ، فيعرض ما هو كائن ، ليستخلص ما يجب أن يكون ، حتى يؤتى موسم الحج كل عام ثمراته مرتين ، ولا تقتصر فوائده على الناحية الشخصية دون المصلحة العامة .

ان مصلحة المسلمين العامة ، هى أهم وأبقى وأكثر أجرا عند الله ، من المصلحة الشخصية الفردية لكل مسلم . لذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم : « جهاد ساعة خير من عبادة ستين عاما » .

ذلك لأن الجهاد يهم المصلحة العامة للمسلمين ، أما العبادة فهى تهم المصلحة الشخصية الفردية لكل مسلم .

بالجهاد ترتفع رايات المسلمين شرقا وغربا ، وتكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وتصان حدود دار الاسلام ، ويخشى أعداؤهم التعرض للأرض الاسلامية ، وتصبح للمسلمين مكانة مرموقة بين الدول وفى الاوساط الدولية وفى العالم كله .

تعداد المسلمين اليوم والحمد لله يبلغ سبعمائة مليون نسمة ، ومعنى ذلك أنهم يستطيعون حشد سبعين مليونا من المسلمين أمام أعدائهم ، فأين تكون اسرائيل ، وأين يكون من وراء اسرائيل ، لو صدق المسلمون ما عاهدوا الله عليه وكانوا عند مسؤولياتهم الدينية والتاريخية ؟

أما العبادة الشخصية ، فتنقى النفوس وتدخل النور اليها ، وتجعل منها عناصر أمينة قوية .

ولكن العبادة الشخصية لا تكون ذات جدوى وأثر فى المصلحة العليا للمسلمين ، ما لم تكلل بالجهاد ، خاصة حين يصبح الجهاد (فرض عين) على المسلم ، كما هو الحال فى الوقت الحاضر ، بعد استيلاء الصهاينة على القدس الشريف وفلسطين وسيناء وقطاع غزة والضفة الغربية والهضبة السورية .

ماذا يصنع الاسلام بالمسلم القوام الصوام ، الذى يؤم المسجد الحرام كل عام ، ثم لا يقدم للاسلام أى خدمة ترفع من شأنه وترفع كلمته وتدافع عن حياضه ؟

انى أشك أعظم الشك فى حقيقة ايمان هذا المؤمن الذى يؤدى الفرائض كاملة ، ثم يتنكر للجهاد بالنفس والمال فى سبيل الله .

وصدق رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام : « من لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ، فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا » .

- ٣ -

لقد اختبرت مسلمين كثيرين ملتزمين بتعاليم الدين الحنيف عبادة وتقوى ،

فاذا سألت أحدهم أن يقدم خمسة دنانير للمجاهدين تلعثم ، واذا سألت أحدهم أن يعرض نفسه للخطر أحجم !!

ان أحسن اختبار لايمان المسلم ، هو أن يجاهد بأمواله وروحه لاعلاء كلمة الله ، فاذا أقدم ولم يحجم كان مؤمنا حقا ، والا فهو مسلم من قوارير : عبادته (عبادة) لا (عبادة) .

والاستعمار فى أوج قوته وجبروته ، كان لا يعارض فى اقامة الشعائر الدينية ولا يمنع أحدا من أدائها .

ولكنه كان يضرب بدون رحمة وبغير هوادة ، حين يجد المسلم يحمل بين جنبيه ارادة الجهاد .

الجهاد هو الذى يخافه الاستعمار ، وتخافه اسرائيل ، وتحسب له الصهيونية العالمية ألف حساب .

أما الاقتصار على الطقوس والعبادات ، فلا يكترث بها أحد سواء كان عدوا أم صديقا .

وصدق الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قولته : « ما ترك قوم الجهاد الا ذلوا » .

وقد كان القعقاع بن عمرو التميمى وأضرابه من المجاهدين الصادقين ، أكثر فائدة للاسلام من ألف عابد متبتل لا يجاهدون ولا يحدثون أنفسهم بالجهاد .

وما أصدق وصف أبى بكر الصديق رضى الله عنه للقعقاع : « لا يهزم جيش فيه مثل القعقاع » .

ان الجهاد هو الاختبار العملى للايمان ، وكل قول يخالف ذلك يناقض روح الاسلام الصحيح .

— ٤ —

فماذا أنت واجد فى الحج ؟ وماذا أنت واجد مع الحجيج ؟

يأتى الحجيج الى الارض المقدسة من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم وليذكروا الله كثيرا .

والمنافع يجب أن تكون للدنيا والاخرة : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » ، والاسلام دنيا ودين ، مسجد وثكنة ، ينظم الحياة فى الدنيا وينظم المصير الى الاخرة .

وأكثر المسلمين اليوم يتوخون من الحج الاجر والثواب ، لذلك أصبحت أيامه أيام عبادة وتقوى قضاء لفريضة من فرائض الدين الحنيف .

يصل الحاج ميناء (جدة) البحرى أو مطارها ، أو يصل الارض المقدسة من اليمن أو نجد أو العراق ماشيا أو راكبا ، فيقصد فريق منهم مكة المكرمة ، ويمم فريق منهم شطر المدينة المنورة .

فى مكة يؤدى الحاج العمرة ، فيطوف بالبيت العتيق ، ويسعى بين الصفا والمروة ، ثم يفيض الى عرفات وينفر الى مزدلفة ويصلى فى المشعر الحرام ، ويستقر فى منى : ينحر فيها ، ويرجم الشيطان أو أبارغال :

وأرجم قبره فى كل يوم ... كرجم الناس قبر أبى رغال

وأبو رغال هذا عربى خان أمته ودل أبرهة على عورات العرب يوم الفيل ، فاستحق اللعنة الابدية ، وأصبح يرجم كل عام جزاء خيانته وتنكره لأمته ..

وفى مكة المكرمة يكثر الحاج من الدعاء والقيام وقراءة القرآن ، وفى عرفات تزداد حماسته الدينية دعاء وقياما وقراءة للقرآن .

وفى منى حيث يتيسر الوقت ، تكثر الزيارات والاجتماعات ، وينصت الناس الى خطبة الحج .

وقبل الحج فى مكة ، وبعد الحج فى مكة ، يلتقى المسلمون فى البيت الحرام وفى الفنادق ودور المطوفين وفى الاماكن العامة والخاصة .

وفى المدينة المنورة ، يصلى الناس فى المسجد النبوى الشريف ، ويقصدون البقيع وجبل (أحد) والمساجد التاريخية ، ثم يعودون ليجتمعوا فى المسجد النبوى المطهر وفى الفنادق ودور المطوفين وفى الاماكن العامة والخاصة .

وما يمكن ملاحظته فى الحجاج حين يكونون فى المدينة المنورة أو فى مكة المكرمة أو فى عرفات أو فى منى لا يخرج عن ثلاثة أشياء :

الاولى : أن الحماسة الدينية والشوق الى الاجر الكامل ، يؤديان الى التزاحم الشديد على الاماكن المقدسة تزاحما هو أقرب الى الاثرة منه الى الايثار .

والاسلام كما هو معلوم ، دين الايثار وليس دين الاثرة ، قال تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » (١) .

انك تجد من يزاحمك فى الطواف حول الكعبة المشرفة ، وقد يجرفك تيار موجة عارمة يجعلك تنسى ما تتلوه من دعاء ، لأنك تحاول أن تنقذ نفسك بسلام من الضياع تحت الاقدام .

وتحاول أن تقبل الحجر الاسود ، فلا تجد سبيلا الى تقبيله الا اذا أوتيت بسطة فى الخلق وقوة فى الجسم وعزما على مدافعة الرجال .

وفى أوقات رمى الجمرات ، تجد نفسك فى وسط الحشر الاكبر ، وقد بلغ الزحام مرة درجة جعلنى أدور فى حلقة مفرغة كما تدور التبنة فى موجة عاتية من أمواج البحر المحيط .

وحين بدأت برمى الجمار ، أصابتنى لكمة قاسية فى عينى اليمنى ، تدفق الدم على أثرها غزيرا ، فظننت أننى فقدت عينى الى الابد .. ولكن الله سلم .

وفى الروضة المطهرة ، يبلغ التسابق لاحتلال مكان فيها حدا غير معقول ولا مسوغ له .

ان أكثر الحجاج يبذلون قصارى جهدهم للاستئثار بالاماكن المقدسة ، دون أن يحسبوا لغيرهم أدنى حساب !!

أهذا من الاسلام فى شىء ؟

لا أظن ذلك أبدا ، وانما الاعمال بالنيات .

— ٥ —

ثم تنصت الى دعوات الحجاج ، فتسمع دعاء شخصيا لا صلة له بالمصلحة العامة للاسلام والمسلمين من قريب أو بعيد .

والدعاء الذى يتلوه الحجاج ، عبارة عن نصوص يضمها كتيب صغير بين

---

(١) الاية الكريمة من سورة الحشر : ٩ .

دفتيه ، يقرأها من يحسن القراءة منهم ، ويرددها مع المطوفين من لا يحسن القراءة .

فى هذا الدعاء ، نصوص رددها النبى صلى الله عليه وسلم فى حجه ، فهى على الرأس والعين ، نرددها اقتداء بالنبى الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام .

ولكن فى هذا الدعاء ، نصوصا أقحمها بعض الناس ، فيها مبالغة بالدعاء الشخصى ، فمن حق المسلمين أن يعيدوا النظر فيها ، ليكون لدعائهم أثر فى النفوس والعقول معا ، وليتقبلها المسلمون الصادقون قبولا حسنا .

ليس من المعقول أن يقتصر دعاء كل مسلم على شخصه وعلى أهله وعلى من يحب ، دون أن يشمل المسلمين عامة ومصالحهم العليا خاصة .

يارب ارحمنى .. يارب متعنى بالصحة والعافية .. يا الله ادخلنى الجنة بغير حساب .. يا الهى اهلك أعدائى .. الخ ..

لم أسمع مسلما يدعو للمسلمين ، ويبتهل الى الله سبحانه وتعالى أن يعيد اليهم عزهم ومجدهم .. الا نادرا ..

كل دعائهم ينصب على منافعهم الشخصية ، فأين مكان المصلحة العامة من دعاء المسلمين فى الحج ؟

وهل يتفق ذلك مع روح الاسلام الصحيح ؟

مرة واحدة فقط ، سمعت رجلا يدعو الله فيقول : « ربى .. لقد كان المسلمون سادة العالم ، فقادوه الى الحق والخير والسلام ، فلماذا أصبحوا اليوم أذلاء فى كل مكان ، وهم حملة دينك القويم ؟.. يا ربى !! أعد اليهم مجدهم واجعل راياتهم عالية خفاقة تنتقل من نصر الى نصر .. ياربى .. اكتب لى الشهادة فى أرض فلسطين .. » .

وكأننى عثرت على كنز ثمين فى شخص هذا المؤمن الحق ، فقلت له : « من أى البلاد أنت يا أخى فى الله ؟ » فقال : « من باكستان » .

- ٦ -

وفى عرفات ، يصغى المسلمون الذين يشهدون موسم الحج الى خطبة الحج ، فيجدونها نسخة طبق الاصل من الخطب المنبرية الرتيبة .

وتذكرت يومها خطبة النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، وقارنت بينها وبين خطبة اليوم فى عرفات ، فازداد أسفى وتضاعف ألمى لحال المسلمين فى هذه الايام .

خطبة حجة الوداع لا تزال ترن فى أذن الزمن روعة وقدرا وجلالا ، وتوجيها وحكمة وموعظة حسنة ، وسياسة وادارة وقيادة .

وقد سجل التاريخ وسجلت كتب الحديث وكتب الفقه تلك الخطبة بمداد من نور ، وشرحها الشراح ولا يزالون دون أن يبلغوا المدى ، وكل يوم تظهر للمسلمين فى طياتها حكمة بالغة وموعظة حسنة .

وستبقى تلك الخطبة حية رائدة حتى يرث الله الارض ومن عليها .

أما خطبة الحج فى هذه الايام ، فتذروها الرياح ، لأنها زبد يذهب جفاء ولا يمكث فى الارض .

وقبل الحج وفى منى وبعد الحج ، يتزاور الحجاج ويلتقون ، ولكن لقاءاتهم تقتصر على المجاملات التافهة سؤالا عن الصحة وعن الاحوال ، وعن الاولاد والاهل والاقرباء ، وعن المشكلات التى يلاقيها الحجاج ، وعن تصرفات المطوفين وانحرافهم عن الطريق السوى .

فاذا ارتفع المستوى الثقافى للمتزاورين من الحجاج ، تحدثوا عن الكتب الجديدة والمؤلفات الحديثة ونشاط النشر والناشرين وجهود المكاتب والوراقين .

وقد يدور بين الحجاج حديث سياسى عابر ، ولكنه يتسم غالبا بالارتجال والسلبية ، ويقتصر على النقد والتذمر .

وطبعا تكون مناسك الحج والحديث عنها مكانا وتطبيقا ، أهم ما يدور فى كل مجلس وكل ندى وكل مجتمع عام أو خاص .

ذلك ما هو كائن فى أيام الحج بين الحجيج ..

فما الذى يجب أن يكون ؟

١ — أن يعقد مؤتمر اسلامى على مستوى الدول الاسلامية لتدارس : كيف يمكن أن نجعل من أيام الحج مؤتمرا دينيا وسياسيا يشارك فيه أعلم علماء المسلمين علما وعملا وجهادا وأبرع ساسة المسلمين غيرة وحمية على الاسلام وحرصا على مصالحه العامة .

وهذا المؤتمر هو مؤتمر تمهيدى للمؤتمر الاسلامى السنوى فى الحج ، يضع منهاجه ، ويبنى خطته ، ويوجه أعماله .

٢ — عقد المؤتمر الاسلامى السنوى لمدة عشرين يوما على الاقل فى مكة المكرمة : عشرة أيام قبل الحج وعشرة أيام بعده .

يشهد هذا المؤتمر علماء المسلمين وساستهم .

العلماء يلقون بحوثهم المنشئة الرائدة البناءة حلا لمشكلات المسلمين ومعالجة لقضاياهم المصيرية .

ان من العبث القاء بحوث فى هذا المؤتمر معادة مكررة ، عالجتها الكتب وعرفها المسلمون .

لقد سمعت متحدثا يلقى خطابا عن : مصادر التشريع فى الاسلام !! وهو موضوع جليل بدون شك ، ولكنه موجود فى الكتب ، والمكان المناسب لالقائه فى المدارس والمعاهد والجامعات لا فى مؤتمر اسلامى جامع .

والبحوث التى يجب أن تعالج فى مثل هذه الظروف ، هى : كيف نحشد طاقات المسلمين للجهاد ؟ كيف نعد العدة لانقاذ فلسطين ؟ ما هو واجب المسلمين دولا وشعوبا لنشر الاسلام ومصاولة الردة ؟

وبهذه المناسبة ، فانى أنذر المسلمين بكل مكان ، بأن الاسلام سيقضى عليه فى غرب افريقية نتيجة لنشاط المبشرين واسرائيل هناك .

والسؤال هو : ما هو واجب كل دولة اسلامية للقيام — ماديا ومعنويا — بهجوم مضاد على نشاط المبشرين واسرائيل ، حتى لا نخسر المسلمين الى الابد فى تلك البقاع الشاسعة ؟

٣ — تعاون أعلم علماء المسلمين فى وضع خطبة الحج ، لتكون زبدة الزبدة للعمل الاسلامى خلال عام .

وبالامكان أن تكون هذه الخطبة بعد اذاعتها ذات أثر بالغ فى المسلمين خاصة ليعرف كل واحد منهم واجبه ، وفى غير المسلمين عامة ، فتسيطر على أجهزة الاعلام الاجنبية ردحا من الزمن ، ليعرف غير المسلمين أى قوة جبـــارة لا تقهر فى الاسلام علما وتوجيها وسياسة وادارة وحكمة وفكرا .

٤ ــ أن يركز علماء المسلمين فى أيام الحج فى مخاطبة جماهير الحجاج ، على أن الاسلام دين الاخلاق الكريمة ، وأن الله سبحانه وتعالى حين وصف النبى صلى الله عليه وسلم فى القرآن الكريم قال : « وانك لعلى خلق عظيم » وأن النبى صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم مكارم الاخلاق .

وأن الاسلام دين النظام فى أعلى مراتبه وليس دين الفوضى .

لذلك فالتزاحم على الاماكن المقدسة والتدافع بالمناكب هو اثرة تنافى الخلق الكريم وتجانف النظام .

ان المسلم الحق هو الذى يؤثر غيره بكل شىء ولا يستأثر بالخير دونه .

٥ ــ وضع صيغ للدعاء فى المناسك تقر المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ، وتستبعد الطابع الشخصى من الادعية ، وتدخل ما يثير حوافز الجهاد وطلب الشهادة وما يعنى بالمصلحة العامة العليا للمسلمين .

ان فى الامكان استغلال أيام الحج لمصلحة الاسلام والمسلمين سياســـيا ودينيا ، فحرام أن تذهب تلك الفرصة التى هيأها الله سبحانه وتعالى للمسلمين عبثـــا .

تلك الايام مصدر قوة للمسلمين ، فهل نستغلها كما ينبغى ، أم تبقى طاقات معطلة دون مسوغ ؟!

أخي القارئ ..
وداعـــاً ..

بعد أن التقينا على صفحات هذه المجلة الحبيبة منذ صدور العدد الأول منها ، يؤسفنى أن أودعك ، وألقى القلم الذى كان يستمد مداده من قلبى وغيرته على دينه ، وقضايا أمته ، حتى آن له أن يستريح ولو قليلا ليتابع نبضاته ،ويستأنف معك لقاءاته ، فى مجالات أخرى ، راجيا للوعى الاسلامى أن يطرد تقدمها وازدهارها ، وأن تظل رافعة لواء الكلمة الحرة المؤمنة .

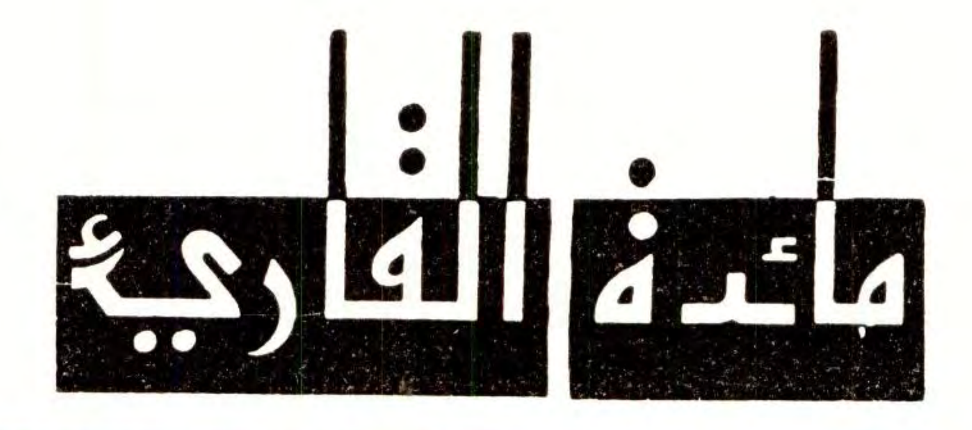
عبـــد المنعم النمـــر
المفتش بالأزهر

ولقد أرسل — عليه الصلاة والسلام — بعض دعاته الى ذات الطلحة على حدود الشام ليدعو الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فقتلهم أعداء الله من أتباع الروم الا كبيرهم كما أرسل — عليه الصلاة والسلام — الى عامل هرقل على بصرى من يدعوه الى الاسلام ، فكان جزاء داعية الرسـول أن قتله أحد أتباع هرقل من بنى غسان ، ولقد روى أن أحد قادة الجيش الرومى أسلم بعد سرية مؤته ، فما كان من هرقل الا أن قبض عليه ثم أمر به فسجن عله يعود الى دين آبائه ، فلما وجد منه اصرارا على دين الله قتله ، وهكذا فان الاسلام بدأ ينشر مبادئه بالحجة لا بالسيف ، ودعاته قد ذهبوا الى حدود الشام مسـالمين لا يبغون حربا ، وانما نصحا وارشادا فاذا بأعداء اللـه يقتلونهم ولا يبالون ، والاسلام — بعد هذا — اذا حاربهم يقال : انه انتشر بالسيف وانما كان يكافح من أجل حرية العقيـدة تلك الحرية التى حـاول أعداؤه أن يحرموه منها بقتلهم دعاته وفتنتهم أتباعه .

* * *

ولو كان الاسلام يقر نشر الدعوة بالسيف واكراه الناس على الدين لما قبل الرسول — عليه الصلاة والسلام — من صاحب ايله ومن أهل الجرباء وأزرح الجزية بعد أن انسحبت أمامه جحافل الروم يوم خرج لقتالهم فى تبوك فان طبيعة النصر تدفع المرء الى الظفر بأكبر قسط منه ، ولكن رسول الله أبى أن يحارب أهل الجرباء وأزرح وايلة لما وجد من جنوحهم للسلم . فسارع — عليه الصلاة والسلام — يكتب لهم كتب امان يقرهم فيها على دينهم ،ويؤمنهم على أرواحهم وأموالهم ، ما داموا يعطون الجزية كما يخرج المسلمون الزكاة ، والجزية ليست ثمنا يدفعونه لقاء اصرارهم على دينهم ، وانما هى عوض عما يبذله المسلمون من جهد ومشقة فى سبيل حمايتهم . حتى لقد روى أبو يوسف فى كتاب الخراج « ان أبا عبيدة بعد ما صالح أهل الشام وجبى منهم الجزية والخراج بلغـه أن الروم قد جمعوا له واشتد الأمر عليه وعلى المسلمين فكتب رضى الله عنه الى أمراء المدن التى تم صلحها أن يردوا عليهم ما جبى منهم من الجزيـة والخراج وأن يقولوا لهم انما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمـع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك ، وقد رددنـا عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا ان نصرنا الله عليهم .

وبعد ، فان من اليسير على كل باحث فيما جاء به الكتاب الكريم من آيات القتال ان يعلم غاية الحرب فى الاسلام فانما شرع الله القتال واذن به لنبيـه والمؤمنين كى يضع للناس مبدأ الاكراه فى الدين بما فعلت بالرسول وأصحابه من الايذاء والاضطهاد والفتنة والاخراج . ولو ترك الله قريشا تفعل ما تريد من هذا الاكراه لطغى الباطل على الحق ولطمس الظلام النور فلم يكن بد من أن يأذن الله لرسوله بالقتال . حتى تكون فتنة ويكون الدين لله فلا يكون فى الأرض غير سلطان الله يهدى من يشاء الى نوره ويصرف من يشاء عن طريق الرشاد اما أن يكون الدين لغير الله من أهل الأرض يصرفونه كيف شاء لهم الهوى ، فيكرهون الناس فى الدين ويصدونهم عما تطمئن اليه قلوبهم فهذا ما شرع اللـه القتال لأجله ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله .



أعدها : أبو نزار

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » ..

(قرآن كريم)

.. .. ..

قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له : الا الصيام فانه لى ، وأنا أجزى به ، والصيام جنة ، فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ، ولا يصخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل : انى امرؤ صائم ، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك ، ولصائم فرحتان يفرحهما ، اذا أفطر فرح بفطره واذا لقى ربه فرح بصومه .

(حديث صحيح)

رمضان فى مكة

وصف الرحالة ابن بطوطة الاحتفال برمضان فى مكة فقال : اذا هل هلال رمضان تضرب الطبول عند أمير مكة ، ويقع الاحتفال بالمسجد الحرام من تجديد الحصر ، وتكثير الشموع والمشاعل حتى يتلألأ الحرم نورا ، ولا تبقى فى الحرم زاوية ولا ناحية الا وفيها قارىء يقرأ ، فيرتج المسجد لأصوات القراءة وترق النفوس وتحضر القلوب ، وتهمل الأعين ، واذا كان وقت السحور يتولى المؤذن الزمزمى التسحير فى الصومعة التى بالركن الشرقى ، وهكذا يفعل المؤذنون فى جميع الصوامع ، وفى أعلى كل صومعة خشبة على رأسها عمود معترض قد علق فيه قنديلان من الزجاج يوقدان ، فاذا قرب الفجر حط القنديلان وابتدأ المؤذنون فى الآذان ، ومن بعدت داره عن المسجد بحيث لا يسمع الآذان يبصر القنديلين المذكورين فيتسحر ، حتى اذا لم يبصرهما أقلع عن الاكل .

أدب

ذكر رجل من القرشيين عبد الملك بن مروان ، وعبد الملك يومئذ غلام فقال : انه لآخذ بأربع وتارك لأربع :

آخذ بأحسن الحديث اذا حدث ، وبأحسن الاستماع اذا حدث ، وبأيسر المؤونة اذا خولف ، وبأحسن البشر اذا لقى .

وتارك لمحادثة اللئيم ، ومنازعة اللجوج ، ومماراة السفيه ، ومصاحبة المأفون .

تيمورلنك فى الآخرة

سأل تيمورلنك الطاغية المشهور أحد العلماء ، فقال له : أين ترى يكون مثواى فى الآخرة ؟ فقال : وأين ترضى أن تكون ، ان لم تكن مع جنكيز خان والاسكندر وفرعون والنمرود .

مماطلة

جلس جحا يبيع زيتونه ، فساومته امرأة ، واستكثرت على الزيتون الثمن الذى طلبه ، وقالت له : اذا أردت أن تبيعنى بالثمن الذى أخبرتك به مؤجلا ، فأنت تعرف زوجى وهو فلان ابن فلان ..

وناولها جحا زيتونة لتذوقها وتعرف جودة الصنف وحقه من الثمن ، فاعتذرت بأنها صائمة لأنها مرضت من سنة وأفطرت فى شهر رمضان .

قال جحا : الآن بطل الخلاف .. لا مساومة ، ولا تأجيل .. أتراك تماطلين الله سنة ، ولا تماطليننى الى يوم القيامة ..

ولى كذاب

ادعى رجل الولاية ، فسأله السامعون عن كرامته ، فقال : أتريدون منى كرامة أعظم من علمى بما فى قلوبكم جميعا ؟

قالوا : وما فى قلوبنا ؟

قال : كلكم تقولون فى قلوبكم اننى كذاب .

ثمن الحمار

ضاع حمار أحد القرويين ، فأقسم ليبيعنه ان وجده بدينار واحد ، ثم وجده ، وندم على حلفه ، ولم يشأ أن يحنث فى قسمه فاحتال عليه ليبر باليمين ، ويحفظ على نفسه ثمن الحمار .

وعرض الحمار فى السوق ، وربط الى عنقه حذاء قديما وجعل ينادى عليه : الحمار بدينار والحذاء بعشرة دنانير ، ولا يباعان على انفراد ..

الشمس والقمر

كان فى الكوفة رجل معروف بالغفلة ، فاجتمع عليه الناس ، وسألوه : أيهما أنفع : الشمس أو القمر ؟

فلم يتمهل وأجابهم بيقين : انه القمر ولا مراء .

قالوا : ولم ؟

قال : لأن الشمس تطلع فى النهار حين يستغنى عنها الناس ، وأما القمر فلا يطلع الا فى الظلام على حين الحاجة اليه .

وزير الزراعة

شكا الفلاحون الى وزير الزراعة بردا أصاب القطن وأتلفه ، والتمسوا منه أن يعفيهم من الضريبة هذا العام ، فأبى أن يعفيهم لأن القطن انما أصيب بالبرد لاهمالهم وقلة درايتهم ، ولو أنهم زرعوا معه صوفا لما أصابه التلف من البرد ..

ما قل ودل

- الكيس الفارغ لا يقف مستقيما .
- التخمة أقتل من الجوع .
- المرأة التى لا يصحبها زوجها يصحبها الجميع .
- المبالغة فى التحية ازدراء .

امارات الشيخوخة

قيل لشيخ هرم : ما بقى منك ؟

قال : يسبقنى من بين يدى ، ويلحقنى من خلفى ، وأنسى الحديث ، وأذكر القديم ، وأنعس فى الملاء ، وأسهر فى الخلاء ، واذا قمت قربت الارض منى ، واذا قعدت تباعدت عنى ..

الحزن وحده لا يكفي لرد العدوان على المسجد الأقصى

محمود مؤذن

للأستاذ : محمد صبيح

> وصف ضرار حزنه على مصرع الامام على رضى الله عنـــه ، بأنه كحزن من ذبح واحدها فى حجرها . وكذلك نحزن جميعا ، على حرق المسجد الاقصى بيد الجريمة والعدوان ، ولكن هل يكفى الحزن وحده ؟

ولنرجع الى تاريخنا المملوء بالصبر ..

حدثت هذه الوقائع من خمسة قرون فقط ..

كان الاعصار المغولى الثانى يجتاح شرق آسيا ، هابطا من سمرقند ، تحت قيادة تيمورلنك ، أو تيمور الاعرج . وقد استولى ودمر ما صادفه من ممـــالك ومدائن .. وصل الى دلهى عاصمة الهند ، وكل بلاد الفرس ، ودمر فى طريقه بغداد ، وزحف شمالا يريد بلاد الاتراك العثمانيين .

رأى تيمورلنك فى الاتراك والمصريين :

وكانت أقوى قوتين عسكريتين فى المنطقة هما مصر وتركيا .. وكان من رأى سلطان التتر أن جند مصر كان عسكرا عظيما ، ولكن السلطان فرج ابن برقوق كان صغير السن ، لا يحسن القيادة ، بعكس أبيه الظاهر برقوق ، الذى كان عظيم الحزم ، سديد الرأى واسع الحيلة ، حتى أن تيمورلنك لم يجرؤ على الاصطدام به طوال حياته .. فلما مات تغيرت الاحوال ..

وأما رأى زعيم التتر فى الاتراك فان لهم قيادة ذات رأى وتدبير واقدام ، ولكن لم يكن له من العساكر من يقوم بنصرته ..

وكتب سلطان الاتراك بايزيد الى سلطان مصر يعرض عليه التعاون فى قتال طاغية التتر ، ويروى « أبو المحاسن » فى كتاب النجـــوم الزاهرة ، أن السلطان العثمانى « أخذ يتخضع ويلح فى كتابه على اجتماع الكلمة ، فلم يلتفت

أحد الى كلامه ، وقالت أمراء مصر يومذاك : الآن صار صاحبنا ، وعندما مات أستاذنا الملك الظاهر برقوق مشى (بايزيد) على بلادنا واخذ ملطية من عملنا ، فليس هو لنا بصاحب ، يقاتل هو عن بلاده ، ونحن نقاتل عن بلادنا ورعيتنا ، وكتب له السلطان بمعنى هذا اللفظ » (١) .

وكانت نتيجة هذه المشورة الركيكة الخائبة ، أن التتر اجتاحوا تركيا ، وأخذوا سلطانها بايزيد أسيرا فى وقعة أنقرة ، ثم جاء دور الشام ، وكانت اقليم مصر الشمالى ، واجتاز التتر جبال طوروس ، ونزلوا الى حلب ، وكان نائب السلطان فيها يستصرخ القاهرة ، ولكن مددها تأخر ، ولم يدركها ، ودافع أهلها ما وسعهم الدفاع ، ولكنهم هزموا أمام أقوى جهاز حربى ظهر فى ذلك العصر . واستبيحت مدينتهم ثلاثة أيام ، هلكت فيها الانفس والاموال وخربت الدور ..

وجاء دور دمشق :

وجاء دور دمشق .. وكان مدد مصر قد جاء تحت قيادة السلطان .. « وكان دخول السلطان دمشق فى يوم الخميس سادس جمادى الاولى ، وكان لدخوله يوم مهول من كثرة صراخ الناس وبكائهم والابتهال الى الله بنصرته » .

وفى المناوشات الاولى بين المدافعين عن دمشق ، والمهاجمين ، ظهر المصريون بتفوق عظيم ومهارة فائقة . وكان على تيمورلنك أن يلجأ الى الحيلة ، ويستغل أسباب الفرقة الكافية فى نفوس أعدائه العرب .. فأخذ يبث بينهم الاشاعات من كل نوع وصنف . ويوهمهم بأنه يائس منهم ، وأن أعدادا كبيرة من جيشه توشك أن تنحاز الى جانب المصريين ، حتى أن كتبا جاءتهم من المسلمين فى قبرص وجزر اليونان بأنهم مسرعون اليهم فى السفن لنجدتهم فلم يكترثوا أو يهتموا بالرد عليهم .

وكان تيمورلنك يعسكر فى « قطنا » وحاول أن يباغت دمشق بهجوم صاعق قاده هو بنفسه ولكن رماح العرب ردته مع جيشه الى مواقعه الاولى .

وبعث تيمورلنك يطلب الصلح ، وتأكيدا لحسن نيته ، أفرج عن عدد من كبار الاسرى الذين أخذهم فى معركة حلب ، وبعث بهم الى دمشق ..

وجاءت تيمورلنك النجدة التى تمناها ، فاذا عدد من أمراء الجيش المصرى ينسحبون بليل ، ويسرعون الى القاهرة لاحداث انقلاب فيها ضد المجموعة البرقوقية .. فما كان من باقى الامراء الا أن تبعوهم ومعهم السلطان ، حتى لا تتم مؤامرة الوثوب الى الحكم ، وتركت دمشق ..

وكان أبهر أدوات التتر فى حروبهم كلها ، الجواسيس فقد كانوا يجمعون المعلومات الوافية عن كل مكان يقصدونه .. ولم تخف عليهم بطبيعة الحال أنباء تفكك القيادة فى معسكر أعدائهم ولكن تيمورلنك مضى فى سياسته (وكلمة سياسة من أصل مغولى) فطلب وفد صلح من القضاة ، فذهبوا اليه ، وكان منهم العالم الجليل الشيخ عبد الرحمن بن خلدون الذى وفد الى مصر فى أيام السلطان برقوق وآثر الاقامة فيها على بلاده المغرب .

الكلام الحلو :

وما أحلى الكلام الذى سمعته وفود الصلح من تيمورلنك .. قال لهم :

---

(١) النجوم الزاهرة جزء ١٢ ص ٢١٦ وما بعدها .

« دمشق هذه بلدة الانبياء والصحابة . وقد اعتقتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة عنى ، وعن أولادى » وكان كل ما طلبه قدرا من الاموال ، وتموينا لجيشه .

وكانت هذه هى الثغرة التى نفذ منها الى المدينـــة العتيدة ، فقد سحب بالتدريج كل ثرواتها حتى « غلت الاســـعار ، وعز وجود الاقوات ، وبلغ المد (أربعة أقداح) من القمح الى أربعين درهما فضة » .

وأخذ العدو يتسرب الى المدينة فى ظل كلمة الصلح حتى ملكها على أمرها ، واستولى على قلعتها بعد جهد عظيم ، ودفاع باســـل قام به أربعون فقط من الدمشقيين .

وحصل تيمورلنك على بيان مكتوب بجميع خطط دمشق وحاراتها وسككها ، فكتبوا له ذلك ، ودفعوه اليه « ففرقه على أمرائه ، وقسم البلد بينهم فساروا اليه بمماليكهم وحواشيهم ، ونزل كل أمير فى قسمه ، وطلب من فيه ، وطالبهم بالاموال فحينئذ حل بأهل دمشق من البـــلاء ما لا يوصف وأجرى عليهم أنواع العذاب من الضرب والعصر والاحراق بالنار والتعليق منكوســـا ، وغم الانف (تغطيته) بخرقة فيها تراب ناعم ، كلما تنفس دخل فى أنفه التراب حتى تكاد نفسه تزهق . فكان الرجل اذا أشرف على الهلاك يخلى عنه حتى يستريح ثم تعاد العقوبة أنواعا ، فكان المعاقب يحسد رفيقه الذى هلك تحت العقوبة على الموت ..

ورأى أهل دمشق أنواعا من العذاب لم يسمع بمثلها الخ .. »

وهكذا يمضى صاحب كتاب « النجوم الزاهرة » ، الذى كان معـــاصرا الاحداث ، وكان أبوه أحد الولاة ، فى وصف العذاب الذى حل بأهل دمشق مما نعجز حتى عن مجرد نقله ..

والغريب أنه ما من مدينة قصدها المغول الا وأحدثوا بها هـــذا النكال الاكبر ، ومع ذلك فان دمشق لم تتعظ بما حل بحلب وحماة وببغداد وسيواس وبكل مكان حولها لم يحسن أهله الدفاع عن أنفسهم فكان ما كان ..

معرفة العدو :

ان معرفة العدو ونواياه وطبيعة تحركاته تساعد على تكوين الفكر الصحيح فى المجاهد والتصميم على النصر .

وما أشبه العدو الصهيونى فى هذه الايام والاستعمار من ورائه بالعـــدو التترى الذى داهمنا من خمسة قرون .. ألفاظ معسولة وكلام مزوق وتخدير للاعصاب وهو المدخل السهل لكل كارثة تأتى بعد ذلك .

خبث وخيانة ....!!

روى رونالد ستورس أول حاكم بريطانى للقدس بعد الحرب العالميـــة الاولى (١) أنه أقام فى عام ١٩١٨ مأدبة جمع فيها بين زعماء العرب فى فلسطين ولجنة من كبار الصهيونيين قدمت لتعمل على تطبيق وعد بلفور ووقف وايزمان وألقى خطبة بعد العشاء قال فيها : « ان اليهود لا يأتون الى فلسطين ، ولكنهم يعودون .. وانه لمن الخبث والخيانة أن يستمع أحد الى هؤلاء الذين يرددون أن

(1) Orientations By Ronald Storrs 1945

لليهود أية أطماع سياسية فى فلسطين .. وكل ما يطمع فيه اليهود هو مكان يعيشون فيه بجوار الفلسطينيين » .. ثم قدم مصحفا للعرب فى صندوق من الخشب الموشى بالذهب ..

وما أشبه اليوم بالبارحة مع فارق فى الشـــكل .. فقد قدم ابن خلدون لتيمورلنك مصحفا مذهبا ، فقبله ووضعه على رأسه .. ولكنه بعد ذلك أحرق المسجد الاموى ، وأقام بارتفاع المآذن مآذن أخرى من رؤوس المسلمين التى قطعها ، وكانت الرؤوس ترص بحيث تكون وجوهها الى خارج هذا البناء الدموى الرهيب ..

ان ثلاثين سنة فقط مضت على خطبة وايزمان فى القدس ، واذا أهل دير يسن يذبحون رجالا ونساء وأطفالا وتحرق مدن فلسطين وقراها ، ويطرد أهلها بسلاح هؤلاء اليهود .

وبعد عشرين سنة وسنة يحرق المسجد الاقصى ، ولقد ورد فى خططهم أن هدفهم دولة من النيل الى الفرات ولكنهم كذبوا أن لهم هذه الاطماع واذا هم فى طريقهم الى تحقيق هذا الحلم .

وقالوا قديما انهم سوف يقيمون معبدهم القديم فى مكان المسجد الاقصى وأقام أحدهم نموذجا لمعبد سليمان على مساحة واسعة من أرض القدس الجديدة كلفه مليون دولار ونعق زعماؤهم الحاليون أنه لا معنى لاسرائيل بغير القدس ولا معنى للقدس بغير المعبد .

ومع هذا تسمع منهم أيضا أصواتا تكذب هذا ، وتتحدث عن سلامة نوايا اليهود ، وانهم لم يقصدوا حرق المسجد الاقصى ، ولكنه من فعل استرالى غير يهودى قادم من أقصى الارض .. ولا نظن أحدا الان صدق هذه المزاعم حتى مجلس الامن رفضها فى قرار الادانة .. ومع هذا فهم يطبقون فى حربهم النفسية لنا المثل القائل أن الطلق الذى لا يصيب يحدث دويا .. ومثل هذه الاكاذيب تحدث رواسب لدى السذج وسليمى النوايا من المسلمين .

وقالوا ان خيبر كانت لنا ، وكذلك أرض بنى قريظة وبنى النضير أى المدينة المنورة ، وسنعود لها .. ورسموا خرائط اسرائيل الكبرى تضم الحجاز بل شبه الجزيرة العربية كلها ومناطق الخليج فيها ..

واذا نحن سكتنا عن القدس فسوف يبتلعونها ويقيمون معبدهم على أنقاض مقدساتنا ، ثم يبدأ دور الحجاز .

ان هذا الاسلوب ليس حديثا فقد طبقه المغول فى حروبهم وتطبيقه يعاد الآن ولكن بأسلوب عصرى .

ولا شىء ينجينا من هذا الكيد الا القتال والجد فيه .. لا شىء الا الحرب والتصميم عليها ، وتكريس كل الجهود لها ، ونحن ـــ المسلمين ـــ لن نغلب عن قلة ولكن بالتخذيل والتواكل .

اننا نحزن على حرق المسجد الاقصى حتى لنحس بدخان الحريق فى داخل صدورنا وهى تكوى به .. ولكن لن يطفىء نار الحريق الا الجهاد الذى أمر به الله ، وأمر به رسوله .. جهاد يكون شـــعاره : الطريق الى الجنـــة الآن هو الاستشهاد فى فلسطين . وفتوى تقول انه لا تصح صلاة ولا عبادة لمسلم الا اذا قدم الجهاد بالنفس والمال فى معركة المصير الحالية على كل ما عداه ..

هذا ما يحدث في ارتريا
فأين واجب الأخوة الاسلامية ؟

للاستاذ : صلاح عزام

سؤال يلح على خاطرى فى هذه الايام فى اصرار وعنف .. وأبحث له عن جواب ، ولعله يلح على خواطر كثير من المسلمين مثلى : وهو : كيف سيلقى مسلمو اليوم ربهم عز وجل .. وماذا سيقولون له حينما يسألهم عما فعلوا بالاخوة الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها .. وكيف تخاذلوا عن رعاية هذه الاخوة التى جعلها الله بينهم أقوى وأعز من رابطة النسب ؟

وأنا هنا لا أقصد التخاذل الاسلامى أمام المد التبشيرى .. ولا أمام ضياع ثالث الحرمين ، وتركه هكذا من بعد احتراق ، من غير ثورة تهز الدنيا ، ولا جهاد مقدس ترفع لواءاته فى كل مكان ، حتى تأتى قوى العالم كلها راكعة أمام قوة المسلمين تطلب منهم السلم والسلام .. وتعيد اليهم كل شبر من أرض طـاهرة دنست ، كما كان يحدث من قبل أيام أجدادنا حملة اللواء المحمدى ..

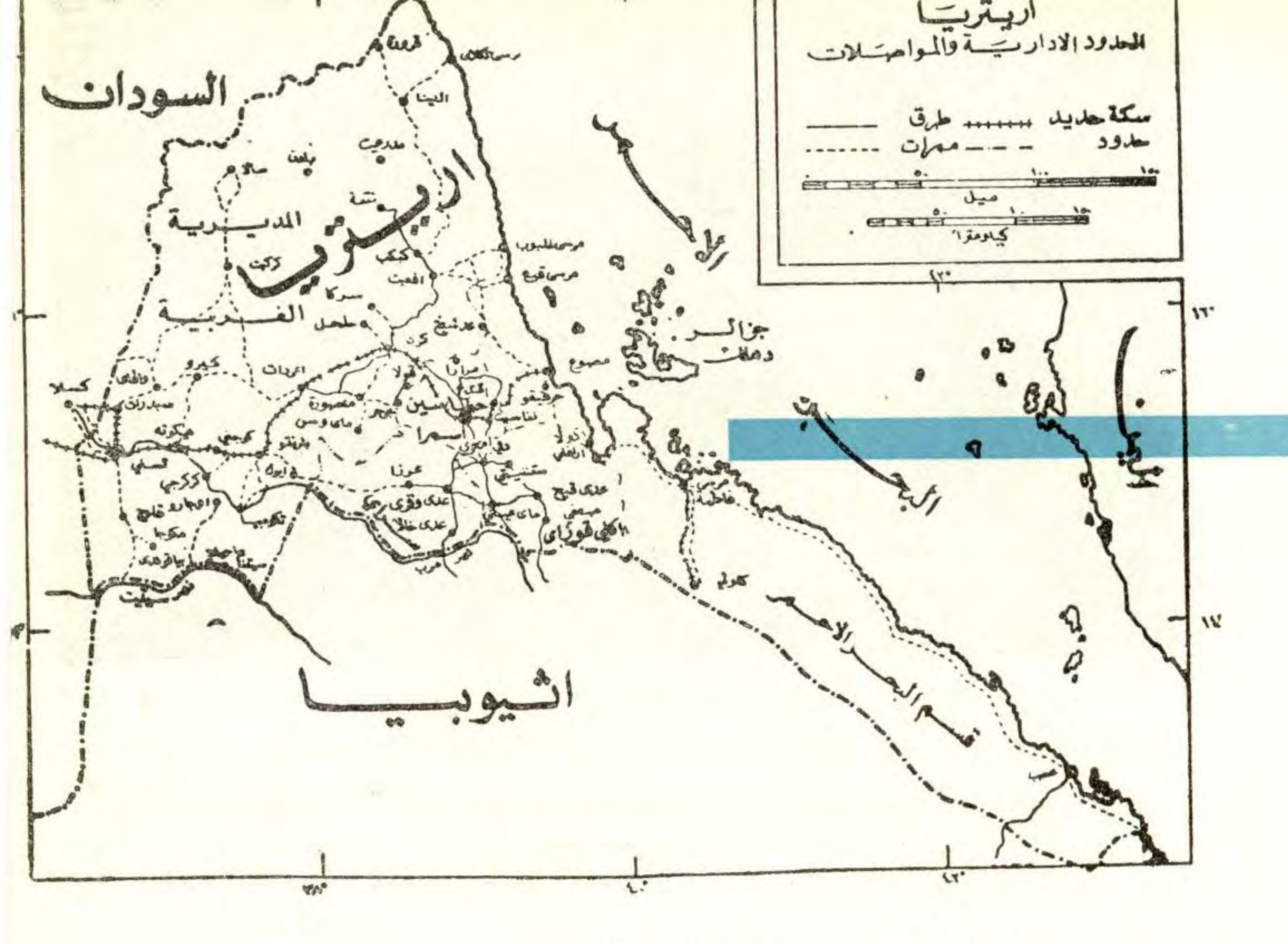
لا .. أقصد الان هذا على الاطلاق .. وانما أقصد ما تناقلته وكالات الانباء العالمية وبعض الصحفيين من هنا وهناك .. وليس بينهم — مع الاسف — مسلم واحد ، أو عربى واحد ، ولكنهم جميعـا من الاجانب الذين كتبوا عن نضـال المسلمين فى كل بقاع افريقيا وآسيا ..

ولنتخذ من مقالنا هذا ارتيريا مثالا واضحا ، ورمزا للمسلمين المناضلين ، من أجل حريتهم ، دون أن يجدوا من اخوتهم فى الكتابة .. وزملائهم فى الاسلام ، عونا لهم على قضيتهم ، وهم وحدهم يناضلون من أجل الحفاظ على دينهم ، أمام حاكم يعمل على تصفية المسلمين والعروبة ، ولا أدرى كيف نفسح له بيننا مكانا ، وهو الذى وقف فى الصف المضاد لنا .. وهو الذى وقف فى مؤتمر عام يلعن المسلمين هناك .. ويقسم أن يقذف بهم الى البحر .. حتى تحركت أخيرا جماهير المسلمين فى اندونيسيا وحدها ، تطلب منه أن يخرج من بلادهم ، وأن لا يزورهم وتسأله عن دماء مسلمى ارتيريا ..

ولنتابع معا ما يدور فى ارتيريا ..

ان ارتيريا المسلمة مفروض أن تكون دولة ذات اتحاد معين مع اثيوبيا ، ولها كل مميزات الدولة وسـماتها واستقلالها . هكذا يقول قرار هيئة الامم المتحدة ..

ولكن .. الحكومة الاثيوبية ضربت بهذا القرار عرض الحائط ، وأعلنت أن ارتيريا جزء منها ، وبدأت — مع ذلك الاعلان — حرب ابادة للمسلمين ، وبدأ المسلمون معها حرب تحرير مقدس منذ سبتمبر ١٩٦٢ ، وبقيادة رجل صالح ، هو حامد ادريس العوانى ، وبعض نفر قليل لا يزيدون على الخمسة عشر فردا ،



ازدادوا مع الايام ، فصاروا عشرات الالوف ..
واستعانوا بالله ..

وواجهوا خصما يعمل بالاشتراك مع اسرائيل التى تدرب رجال الكوماندوز الاثيوبيين .. وتعلمهم حرب العصابات .. وتدربهم على جميع أنواع التعذيب ، وفى ذلك تقول واشنطن بوست ان : (اسرائيل تؤيد الاثيوبيين وتشجعهم على المضى فى سياسة القمع ، لأنها ترى أن المشكلة الارترية والضغوط الاخرى على الامبراطورية الاثيوبية هى جزء من معركتها ضد العرب والاسلام) .

وبهذا التعاون الوثيق بين اثيوبيا واسرائيل ، وخلال عشر سنوات تقريبا ، أمكن للحكومة الاثيوبيــة أن تقتــل الآلاف من المسلمين ، وأن تحرق منــازلهم وممتلكاتهم ، وأن تصادر الاسلام والعربية من أرض مســلمة .. حتى يصف صحفى سويدى المجازر التى تقوم بها قوات اثيوبيا فيقول : ((**فى يوم عاصف تدلت ٢٢ جثة من جثث الثوار على أعواد المشانق فى مدينة (كدن) احدى مدن ارتيريا الرئيسية فى حين كانت تتدلى ١٧ جثــة أخرى فى الوقت ذاته بمدينة (قندع)))** .

وأروع وصف لهذه المآسى ما تقوله الايكونومست البريطانية ((**اذا حلق شخص بطائرة قرب ارتيريا فانه سيرى أكواخا اشتعلت فيها النيران ، وجثثا معلقة على المشانق ، ويقوم بهذه العمليات ضد القوى الارتيرية الثائرة رجال الكوماندوز المدربون فى اسرائيل))** .

وتدل الاحصائيات التى نشرتهــا الصحف والمجــلات الاوربية والامريكية والانجليزية على أن اثيوبيا قد أزالت ٣٠٠ قرية ارتيرية من الوجود .

وأن خمسة آلاف مواطن مسلم فى سجون اثيوبيا ، يمارس معهم كل أنواع التعذيب ، ومن غير محاكمات .



التوعية السياسية عمل يومى لجهاز المفوض السياسى لجيش التحرير الارتيرى .. وفى الصورة بعض فصائل جيش التحرير الارتيرى وهم يستمعون الى درس عن المؤامرات الاستعمارية فى الشرق الاوسط .

وأن جنود الجيش الاثيوبى يمرون فى دوريات منتظمة ، فى صورة حملات على قرى ارتيرية ، يغتصبون الفتيات المسلمات ويضربون المواطنين وينهبون كل ما يقع تحت أيديهم ..

ومحظور على المسلمين الاشتراك فى الجيش ..

ومحظور عليهم الترقية فى الوظائف ، الا الى حد معين ، يقل عن أى اثيوبى مهما كانت ثقافة المسلم وكفاءته ..

وممنوع تدريس اللغة العربية حتى ولو كان فى المدارس الاولية ..

وممنوع تدريس الدين الاسلامى باللغة العربية ، وانما عن طريق كتب تصدرها الحكومة الاثيوبية ، وباللغة الامهرية وحتى الآن لم تصدر هذه الكتب رغم أن القرار صدر عام ١٩٦٣ .

وممنوع أيضا تداول الكتب العربية .. بل ان الحكومة قد جمعت كل الكتب العربية حتى المدرسى منها وأحرقته ..

أما عن مصير المساجد فى الدولة الاثيوبية فله حديث طويل .. لأنه مهول ومزعج للانسانية كلها ..

هذه الوقائع لم نعرفها الا من كتاب غربيين ينشرونها فى سطور دامية تمطر الدم .. وكم هناك من وقائع تجرى كل يوم وكل ساعة لم تصل الى النشر .

وهنا يبرز السؤال الحائر : أين دور المسلمين ..؟ وأين اخوتهم ..؟

ألم يحن بعد الوقت الذى تستيقظ فيه هذه الاخوة ، وتؤدى دورها ؟

لقد رأينا كثيرا من أمم الغرب تهب لمساعدة بيافرا المنشقة على الدولة النيجيرية ، تساعدها بكل ما تستطيع من أموال وسلاح وحيل ، لتقف فى وجه الدولة المسلمة . والسر فى ذلك غير خاف علينا .

فماذا فعلنا نحن المسلمين فى كل مكان للشعب الارتيرى المسلم الذى يعانى من الدولة الاثيوبية كل أنواع الظلم والاضطهاد ، ووسائل القهر والابادة ، مع أنه يطالب بحقه الذى قررته له هيئة الامم ؟؟!!





شهر القرآن

للشيخ : علي البولاقي
عضو هيئة تحرير الموسوعة الفقهية
بوزارة الاوقاف ـــ الكويت

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

١ ـــ فى هذه الآية الكريمة من سورة البقرة وصف الله عز وجل شهر رمضان بانزال القرآن فيه ، وهذا الوصف مدح لشهر رمضان ، وتبيين لشرفه على سائر الشهور بأن الله عز وجل اختاره من بينها لانزال القرآن فيه .

وهو أيضا مختص بانزال الكتب السماوية السابقة ، فقد جاء فى مسند الامام أحمد من حديث واثلة بن الاسقع رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أنزلت صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان والانجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الله تعالى القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان .

ومعنى انزاله لأربع وعشرين خلت أنه نزل بعد تمام أربع وعشرين ليـــلة فيكون انزاله فى ليلة خمس وعشرين .

٢ ـــ وهذه الكتب المنزلة ما عدا القرآن نزل كل منها على الرسول الذى نزل عليه جملة واحدة .

وأما القرآن الكريم فمعلوم أنه نزل على النبى صلى الله عليه وسلم مفرقا من حين رسالته الى قرب وفاته ، لكن ظاهر هذه الآية وآية القدر « انا أنزلناه فى ليلة القدر » وآية الدخان « انا أنزلناه فى ليلة مباركة » ـــ ظاهر هذه الآيات كلها أنه نزل كله جملة واحدة فى ليلة من ليالى شهر رمضان ، وهو أيضا ظاهر حديث واثلة السابق .

وهذا يثير فى النفس تساؤلا : كيف يتسنى القول بنزول القرآن كله جملة واحدة مع ما هو معلوم يقينا من أنه نزل على النبى صلى الله عليه وسلم مفرقا فى اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر تقريبا ، حتى ان الكافرين قالوا كما حكى الله تعالى عنهم فى سورة الفرقان « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة » .

٣ ــ وقد يجيب بعض الناس عن هذا التساؤل فيقول ان الذى أنزل فى الليلة المباركة وهى ليلة القدر من رمضان انما هو أول القرآن نزولا وهو قوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » فيكون قوله تعالى « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » معناه شهر رمضان الذى ابتدىء فيه انزال القرآن .

وقوله « انا أنزلناه » معناه انا ابتدأنا انزاله .

وهذا الجواب ليس بسديد لأن فيه حمل الآيات على غير ظاهرها .

٤ ــ والجواب السديد هو ما أجاب به حبر الامة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فى آثار صحيحة مروية عنه نكتفى منها بما يلى :

(أولا) أخرج الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « فصل القرآن من الذكر فوضع فى بيت العزة من السماء الدنيا ، فجعل جبريل ينزل به على النبى صلى الله عليه وسلم » .

ومعنى قوله « فصل القرآن من الذكر أن الملائكة كتبوا القرآن الكريم نقلا من اللوح المحفوظ ثم أنزلوا ما كتبوه الى مكان فى السماء الدنيا يسمى بيت العزة .

(ثانيا) أخرج النسائى والحاكم والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال « أنزل القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك فى عشرين سنة » .

وقوله « فى عشرين سنة » فيه ايجاز بالاقتصار على ذكر العقدين الكاملين وحذف الكسر وهو سنتان وخمسة أشهر تقريبا .

(ثالثا) أخرج ابن مردوية والبيهقى وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سأله عطية بن الاسود فقال : وقع فى قلبى الشك قول الله تعالى « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » وقوله « انا أنزلناه فى ليلة مباركة » وقوله « انا أنزلناه فى ليلة القدر » وقد أنزل فى شوال وفى ذى القعدة وفى ذى الحجة وفى المحرم وصفر وشهر ربيع ، فقال ابن عباس رضى الله عنهما « انه أنزل فى رمضان فى ليلة القدر وفى ليلة مباركة جملة واحدة ثم أنزل على مواقع النجوم رسلا فى الشهور والايام .

وقوله « وقع فى قلبى الشك » لا يقصد به حقيقة الشك فان القرآن لايشك فيه مسلم وانما مقصوده أن هذا التعارض الذى يبدو لأول وهلة يثير فى النفس حيرة فى الفهم مع ايمان بأن القرآن حق لا ريب فيه .

وقوله « أنزل على مواقع النجوم » معناه أنه أنزل مفرقا على مثل مساقط النجوم فان النجوم تسقط أمام الانظار فى أوقات مختلفة يتبع بعضها بعضا .

وقوله « رسلا » بكسر الراء ــ معناه « تؤدة » أى فى زمن طويل .

٥ ــ ولا شك أن نزول القرآن من اللوح المحفوظ الى موضع مخصوص فى السماء الدنيا يسمى بيت العزة ــ لا يقوله ابن عباس رضى الله عنهما اجتهادا

ولا تخمينا ، فانه من علم الغيب الذى لا يطلع الله عليه الا رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد يقول بعض المتشككين : لعل ابن عباس أخذ هذا عن بعض من أسلم من أهل الكتاب فانه كان يأخذ عنهم بعض أقاويلهم .

وهذا التشكيك غير صحيح فان أهل الكتاب لا علم لهم الا بما فى كتبهم وأقاصيصهم ولا شأن لهم بنزول القرآن فانه ليس من مجالات أحاديثهم .

فلا بد أن يكون ابن عباس رضى الله عنهما قد تلقى هذا النبأ الغيبى من النبى صلى الله عليه وسلم مشافهة أو من صحابى جليل ، وهذا الصحابى الجليل تلقاه من النبى صلى الله عليه وسلم .

ولهذا حكى « القرطبى » الاجماع على نزول القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا .

٦ ــ ولعل السر فى تكرار النزول ــ على ما قال أبو شامة ــ تفخيم أمر القرآن وأمر من نزل عليه باعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة وأنه منزل على خاتم الرسل لأشرف الامم وذلك بانزاله مرتين ، مرة جملة ومرة مفرقا بخلاف الكتب السابقة فقد أنزل كل منها جملة مرة واحدة على الرسول من غير توسط نزولها من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا .

٧ ــ والحديث عن هذه الحكمة يسوق الى الحديث عن حكمة نزوله على النبى صلى الله عليه وسلم مفرقا لا جملة واحدة وقد بين الله عز وجل هذه الحكمة فى موضعين من الكتاب الكريم .

(الموضع الاول) قوله تعالى فى سورة الاسراء « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا » .

(الموضع الثانى) قوله تعالى فى سورة الفرقان « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا . ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا » .

وصدر آية الاسراء « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث » يرشد الى حكمة من حكم التفرقة وهى أن يتيسر على الناس حفظه وفهمه ، وتخليهم عن عقائدهم وأعمالهم الفاسدة بالتدريج وتحليهم بالعقائد والاعمال الصالحة بالتدريج أيضا .

وآخرها « ونزلناه تنزيلا » يرشد الى حكمة أخرى من حكم التفرقة وهى الدلالة على أن القرآن منزل من الله تعالى وليس من قول البشر فانه مع نزوله مفرقا حسب الحوادث واعجازه بهذا الترتيب الزمنى كان النبى صلى الله عليه وسلم يأمر الكتبة كلما نزلت آية أن يضعوها بأمر الله تعالى بعد آية كذا من سورة كذا فكان ترتيبه فى التلاوة غير ترتيبه فى النزول وكان مع ذلك متناسبا أعظم التناسب بل معجزا للخلق جميعا أن يأتوا بمثله ، فهذا اعجاز متكرر مرتين .

(أولاهما) بترتيبه النزولى الزمنى المتسق مع الوقائع .

(وثانيتهما) بترتيبه فى التلاوة آيات وسورا طوالا وقصارا وأوساطا .

٨ ــ والآية الاولى من آيتى « الفرقان » : « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا » ترشد الى حكمة ثالثة وهى تثبيت قلب النبى صلى الله عليه وسلم بتجدد الوحى ونزول الملك وهو أمر يدعو الى طمأنينة القلب وانشراح الصدر مع ما فى ذلك من تيسر

الحفظ وتكرار انتصــاره على الاعداء بتكرار عجزهم عن الاتيان بمثله كلمــا تحداهم .

والآية الكريمة الثانية من آيتى الفرقان « ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا » ترشد الى حكمــة رابعة وهى مســايرة الحوادث باجابة السائلين ، وبيان حكم الله تعالى فى الوقائع المتجددة وتوجيه أنظار المسلمين الى ما يقعون فيه من أخطاء أولا فأولا ، وهتك أستار المنافقين والمشككين كلما هموا بأمر فيه كيد للاسلام والمسلمين .

وهذه الحكم الاربع يؤخذ بعضها من « الاتقان » . وقد فصلها وأطال فيها كتاب « مناهل العرفان » .

٩ ـــ عود على بدء .

لمــا تحدثنا عن وصف شهر رمضان بانزال القرآن فيه تشعب بنا الحديث حول انزال القرآن والكتب السماوية ، ونعود الى الآية مرة أخرى فنقول : ان الله عز وجل امتدح القرآن الكريم المنزل فى شهر رمضان بأمرين :

(أولهما) أنه أنزله هاديا لجميع الناس ومرشدا لهم الى العقائد الحقة والاخلاق الكريمة والشريعة التى ارتضاها الله للناس جميعا من حين بعثــه صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة فانه خاتم الرسل المبعوث للناس كافة بما يصلحهم فى أخراهم ودنياهم .

ولا يلزم من هداية القرآن للناس جميعــا ـــ بهــذا المعنى وهو الدلالة والارشاد ـــ أن يصيروا كلهم مؤمنين متقين صــالحين ، كما لا يلزم من ظهور الشمس أمام جميع الناس أن يكونوا كلهم مبصرين واصلين الى مقاصدهم .

وقد وصف الله عز وجل القرآن فى أول هذه السورة ـــ البقرة ـــ بأنه هدى للمتقين حيث قال « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » وهذا الهدى هو الايصال الى الحق والخير والسعادة ، ولهذا كان مخصوصا بالمتقين أى الذين لديهم استعداد للتقوى أو الذين قدر اللهم لهم أن يكونوا من المتقين .

وكذلك قوله تعالى فى سورة الاسراء « وننزل من القرآن ما هو شــفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا » مع قوله تعالى فى سورة الانبياء « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

فالرحمة فى الآية الاولى هى الاحسان الى المؤمنين بالسعادة الاخروية والرحمة فى الآية الثانية هى الاحسان الى العالمين بالارشاد والدلالة على ما فيه الخير والسعادة .

(والامر الثانى) الذى وصف الله به القرآن المنزل فى رمضان أنه أنزله آيات واضحات من جملة الآيات التى أنزلها الله فى كتبه هادية للأمم ومفرقة بين الحق والباطل .

وامتداح القرآن بهذين الامرين تعظيم وتشريف يؤدى الى تشريف الشهر الذى أنزل فيه ويرشد الى حكمة تخصيصه بفريضة الصيام فان فى الصــيام تأديب النفس بمنعها عن أعظم مشتهياتها امتثالا لأمر الله تعالى واخلاصا لعبوديته

وبه يستنير القلب فيتقبل الحق ويتغلب على الباطل وهذا يناسب انزال القرآن الكريم الهادى الى الصراط المستقيم .

١٠ — وللقرآن الكريم شرف لا يستقصى وفضائل لا تحصى فمن ذلك أن الله عز وجل وصفه بالكريم والمبين والعظيم والحكيم والمجيد والكتاب الذى لا ريب فيه والمبارك والقيم الذى لا عوج له والعزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والمثانى الذى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، والمصدق لما بين يديه والهدى والرحمة والنور والشفاء .

وأمر بتلاوته « اتل ما أوحى اليك » وحث على تدبره «أفلا يتدبرون القرآن» وأمر بترتيله « ورتل القرآن ترتيلا » وحذر من الاعراض عنه ونسيانه « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لما حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى » .

١١ — واذا وجب على المسلمين الاعتناء بالقرآن الكريم حفظا وتلاوة وفهما وعملا — فى جميع أوقاتهم — ففى شهر رمضان شهر القرآن تجب مضاعفة هذا الاعتناء وقد كان جبريل عليه الصلاة والسلام يدارس النبى صلى الله عليه وسلم القرآن فى شهر رمضان ، ومعنى المدارسة أن جبريل كان يقرأ شيئا من القرآن ثم يقرأ النبى صلى الله عليه وسلم نفس ما قرأه عليه جبريل . وفى العام الاخير دارسه القرآن مرتين فى شهر رمضان .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه الكرام رضى الله عنهم يحزبون القرآن فى رمضان وفى غير رمضان فيجعلونه سبعة أحزاب ويقرؤونه فى أسبوع ، وقد ورد ما يفيد أن الحزب الاول من الفاتحة والثانى من المائدة والثالث من يونس والرابع من الاسراء والخامس من الشعراء والسادس من الصافات والسابع من (ق) الى آخر القرآن .

وكانوا يقرؤونه بالتغنى كما نسمعه اليوم من الذين يقرءون المصحف المرتل خلافا لما يجنح اليه بعض الناس من تلاوته فى الصلاة بطريقة تشبه الخطابة تارة ، وتشبه قراءة المقالات تارة أخرى .

وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس منا من لم يتغن بالقرآن يجهر به » ومعنى التغنى تحزين القراءة وترقيقها من غير تصنع ظاهر وخروج عن أحكام التلاوة .

١٢ — وانما ضربنا المثل بقراءة المصحف المرتل لأنها تتفق مع أحكام الأداء .

وأما القراءة البطيئة التى نسمعها فى الاذاعات وغيرها فمنها ما يتفق مع أحكام الاداء أيضا ومنها ما يختلف قليلا أو كثيرا عن هذه الاحكام بما فيه من زيادة الغن والمد والبطء فى النطق حتى تصير الحركة التى ليس بعدها مد كأنها ممدودة ومراعاة الفن الموسيقى بالتكلف فى تنويع الصوت رفعا وخفضا وتغليظا وترقيقا وترعيدا ، وتمطيطا وابعادا للحروف عن صفاتها العربية .

وأود هنا تذكير المتهاونين بأحكام الاداء بأن رسول الله صلى الله عليه

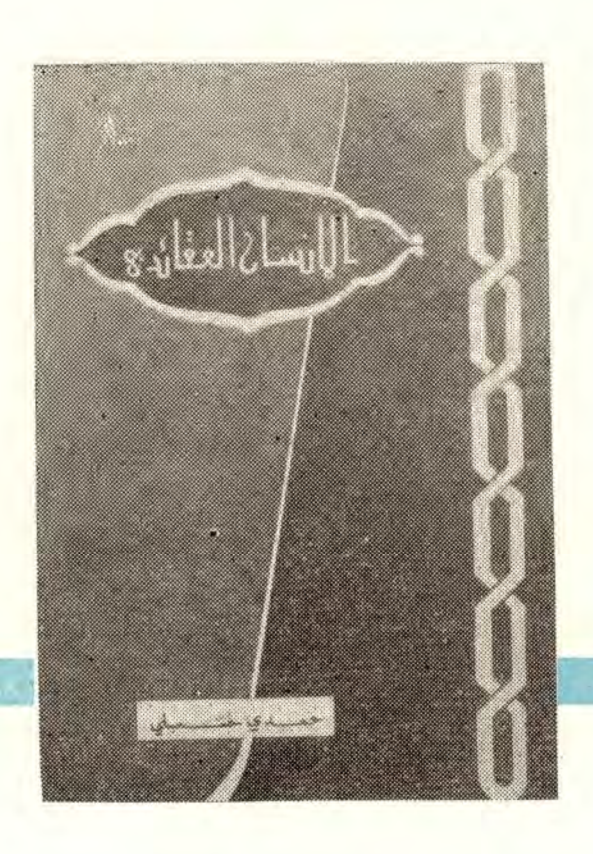
البقية ص ٨١

الإنسان العقائدي

يقوم الكتاب على فكرة مستمدة من الحديث النبوى الشريف :
« من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .
والنهج الذى يقوم عليه هو دراسة الحضارة ، دراسة جادة متمعنة ، وذلك من أجل تشخيص الادواء التى نكبت بها الامة ، ليتوصل عن طريق هذا التشخيص الى معرفة الدواء الناجع للقضاء على هذه الامراض ، ومن ثم تقديم الغذاء الصالح الكامل ، الذى يكسب الامة القوة والنشاط والحيوية ، بما يمكنها من استعادة عزتها وسؤددها ، وكرامتها كما كانت حالها أيام أجدادنا المسلمين الاوائل الذين تحولوا بفضل الاسلام العظيم من رعاة ابل ومن قتلة لأولادهم أحياء ومن فتات متناثر الى أمة متماسكة متراصة كأنها البنيان المرصوص ، انطلقت فى أرجاء العالم تنشر الخير وتهدى البشرية لتخرجها من الظلمات الى النور ، وتحول شقاءها الى سعادة فى الدنيا والاخرة ، وكل ذلك بفضل العقيدة التى تمسكوا بها ، والنظام الذى ساروا عليه .
وهؤلاء هم المؤمنون الذين وعدهم الله بنصره ، وجعل نصرهم حقا عليه .

عود الى كتاب الانسان العقائدى :

وفى التشخيص الاولى لأحوال الامة الاسلامية يوضح الاستاذ حمدى حنبلى فى كتابه « الانسان العقائدى » أن :
١ — سقوط بلادنا — ردحا من الزمن — تحت براثن الاستعمار كان نتيجة لاصابتنا لمدة غير يسيرة :
أ) بالتدهور الفكرى .
ب) والجمود العقلى .
ج) والانهيار الخلقى .



تأليف
الاستاذ : حمدى حنبلى
رئيس قسم التربية وعلم النفس
بمعهد المعلمين

تقديم وعرض
الاستاذ : عبد الرحيم صالح
الـكويت

د) والاضطراب النفسى .

٢ ــ كان الاستعمار غالبا على معظم البلاد الاسلامية وما بقى متحررا فى الظاهر ، أوصلته الهزائم المتتابعة الى حالة من التخلف جعلته فى ذلة وصغار لا يختلف فيها عما سواه ، بل كان من حيث التخلف أكثر شعورا بالنقص وأشد ذعرا من الذى سلبه الاستعمار حريته سلبا تاما .

٣ ــ فكان من النتائج المبدئية للاستعمار :

أ) التردى فى الانهزام الفكرى .

ب) الانحلال الخلقى .

ج) التبعية الثقافية للغرب ، ونشر الثقافة المادية الملحدة .

د) القضاء على النظم التعليمية والتربوية الاسلامية .

هـ) جعل المتخرجين فى مجالات النظم الاسلامية فى المراتب الدنيا ، من مختلف المجالات .

و) لم يدع للغات الشعوب الاسلامية المنهزمة مكانتها المرموقة حيث طردها من دوائر التربية والتعليم وخاصة فى الجامعات ، ولم يبقها أداة للتنظيم وتسيير الامور وأقام على أنقاضها صرح لغته وجعلها هى أداة التعليم .

ز) انشاء جيل يجهل الاسلام بجميع تعاليمه السامية ، وعقائده الاساسية وشريعته السمحاء ، وتاريخه المجيد ، وتقاليده الذهبية من جانب .. وقد صاغ من جانب آخر عقلية الشعوب الاسلامية وأسلوب تفكيرها ونظرتها الى طبائع الاشياء فى القوالب الغربية المادية (الانسان العقائدى ص ٥ ــ ٦) .

ويوضح الاستاذ حمدى حنبلى فى كتابه « الانسان العقائدى » العــلاج المقترح لمثل هذا الداء العضال الذى ان بقى دون استئصال سيواصل الحــاق الهزائم المتوالية بالامة حتى يوصلها الى الحضيض ولا تقوم لها قائمة ، ولذا لا بد من المبادرة بأخذ العلاج الناجع فى استئصال هذا الداء الخبيث .

مما يقترحه الاستاذ حنبلى للعلاج ما يلى :

يرى أنه يقع علاج هذه الحالة على عاتق شباب المسلمين فى مختلف بقاع العالم ومن النقاط التى تصلح للتفكير فيها كبداية للعلاج ما يلى :

١ — معرفة دقيقة بحقيقة الاسلام حتى تكون الامة مسلمة علما وعملا كما هى مسلمة قلبا وعاطفة . وحتى تكون لديها القدرة الكافية لتسيير الشئون الاجتماعية فى العصر الحالى وفقا لأحكام الاسلام ومصلحته وقواعده .

٢ — تقويم ما اعوج ، واصلاح ما فسد من أخلاق الافراد وعاداتهم .

٣ — لا يدخر الشباب جهدا فى بذل كل ما يستطيعون من قوة فكرية وعملية أودعها الله اياهم فى سبيل نشر الاسلام والدعوة الى الله بالكتابة والخطابة والاتصال الشخصى وأن يقوموا بدراسة ونقد أسس الحضارة الغربية وتمييز خبيثها من طيبها حتى يحرروا بذلك المسلمين وقلوبهم من التبعية الى الغرب .

٤ — التعاون بين العاملين للاسلام ، اذ لا بد من أن يؤازر بعضهم بعضا .

٥ — توعية العوام بأمور دينهم وحقيقة عقيدتهم .

٦ — تجنب كل ما هو غير اسلامى فى أى أمر من أمور الحياة .

(الانسان العقائدى : ص ٦ — ٧)

وموجز القول أن كتاب الانسان العقائدى هو عبارة عن محاولة جدية هادفة عن طريق الفكر الرصين المدعم بالحجج والبراهين الى اقناع كل ذى عقل سليم يهمه أمر هذه الامة ويهمه رفعتها وعزتها كما يهمه فى نفس الوقت أمر نفسه وأمر تحريرها من كل عبودية الا عبودية الله خالق الاكوان ومدبرها وفى ذلك عزة النفس الانسانية وكرامتها ، ويهدف الى اقناع مثل من يتصفون بهذه الصفات : الى ضرورة العود الاحمد لمنابع مجتمعنا الحضارية ، والرفد منها والنهل من عذبها الصافى ، وسيكون لكل ذى اختصاص فى هذا المجتمع ، نصيب من الامر ، وان كان على العاملين فى مجال الفكر والتربية ووسائل الاعلام المختلفة ، يقع النصيب والعبء الاكبر .

والكتاب كما يقول مؤلفه الاستاذ حمدى حنبلى « ليس دستور تصميم وعمل وانما هو آراء ارتاح اليها عن غيرها ، ولا أجبر غيرى على الاخذ بها ، وهو مجرد مقترحات بين يدى القارىء تشبه الى حد ما ورقة العمل على موائد النقاش » .

(الانسان العقائدى : ص ٨)

اذ المؤلف يرى « أن اختلاف الرأى فى أوقات كثيرة دلالة على حيوية الامة وفى أوقات أخرى دلالة على التفكك . ونحن نرى أن نطرح جميع الاراء للنقاش بشرط أن لا يصل الجدل الى حد تقليص القدر الذى يجب أن نتفق عليه مبدئيا ألا وهو رفعة هذه الامة وحل مشكلاتها ، لذا لا بد من مساحة فكرية مشتركة كقاعدة لانطلاق التعاون والعمل » .

(الانسان العقائدى : ص ٩)

وهو يتمثل بالامام الشافعى ويقتدى به حيث قال : « رأيى صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب » .

« وعلى هذا الاساس فان الكتاب يشكل نقطة ابتداء يحتك فيها الفكر بالفكر حتى نصل الى ما نرجوه من خير لهذه الامة » .

(الانسان العقائدى : ص ٩)

ان الكتاب يسير على نهج فكرى جاد ، فكر يعمل على تشخيص الادواء التى نكبت بها الامة ، ليتوصل عن طريق هذا التشخيص الى معرفة الدواء الناجع للقضاء على هذه الامراض ، ومن ثم تقديم الغذاء الصالح الكامل الذى يكسب الامة القوة والنشاط والحيوية ، مما يمكن لها العزة والسعادة والسيادة . وسلك مؤلف الكتاب فى دراسته هذه دراسة فكر الانسان ما بين الادب والحضارة ، ودرس خصائص الانسان التى يمتاز بها ومما وضحه فى هذا المجال : قوله : « ان قدرة الانسان على الاجتماع مع غيره من أفراد المجتمع تتأثر بعامل نضوجه من الوجهة العقائدية الفكرية والاجتماعية والجسمية » (ص ١٩) . كما وضح أن « من أهم خصائص المجتمع الاسلامى أنه يرد جميع بنى البشر الى أصل واحد ويطالبهم بعدم الاختلاف والتفرقة والتخاصم » . ويبين « انما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم ، ويعرف به فضل الناس — ان أكرمكم عند الله أتقاكم — والكريم حقا هو الكريم عند الله وهو يزنكم على علم وعن خبرة بالقيم والموازين — ان الله عليم خبير — » (ص ٢٠) « وهكذا تسقط جميع الفوارق ، وتسقط جميع القيم ، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة ، والى هذا الميزان يتحاكم البشر ، والى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر فى الميزان » (ص ٢٠) .

ويعقد الاستاذ حمدى فى كتابه الانسان العقائدى فصلا عن (شخصيتنا بين الامس واليوم) ويخلص من دراسته هذه الى نتيجة هامة وهى كما يطلق عليها بأنها العلاج المبكر ويصفه بأنه : « ايمان بالعمل ، وبخطة العمل ، ومبادأة ، وعدم انتظار ، ايجابية شاملة لمختلف ضروب الحياة ، تربية للاطفال والشباب والكهول ، تربية فردية وجماعية للذكور ، والاناث على حد سواء ، والقريب والبعيد فيها سيان » (ص ٤١) .

ويتحدث الفصل الرابع من الكتاب عن : « الازياء والشخصية الحضارية للمجتمع » وفى هذا الفصل يكشف المؤلف ويفضح مخططات الصهاينة فى افساد الاخلاق الانسانية ، ويقول : « وقد وقعت النساء — كما وقع الرجال — فى أحبولة وفخ الصهيونية فتحرروا من القيم ولم يحترموا تراثهم » (ص ٥٠) .

كما يشير الاستاذ الى هذا المخطط الرهيب الذى يحيط بالامة ويشير الى أن ظهور المينى جوب قد ظهر بشكل مفاجىء وسريع فى البلاد العربية فى صيف ١٩٦٧ ، فى صيف السنة التى أصيبت بها الامة فى نكستها .

ويتساءل الاستاذ حنبلى : « لمصلحة من يثار الجنس فى الجامعة فى كل أوان وفى هذه الآونة بالذات ؟ » (ص ٥٤) .

ويشير الاستاذ مؤلف كتاب الانسان العقائدى الى حوادث كثيرة من الاعتداء الجنسى قام بها شباب العالم ضد مراهقات بسبب ارتداء التنانير القصيرة ومما يرويه الكتاب أنه جاء وفى جريدة النهار البيروتية رقم ٩٦٩٦ بتاريخ ١٢—٧—٦٧ خبر بعنوان : « تعرت قليلا فعراها كثيرا » « ادعت منى ج . ب (١٣ سنة) أن أنطوان أ . م (٣٨ سنة) أدخلها منزله وكمم فمها وجردها من ثيابها ، واعتدى

عليهـــا بالقوة . نالت منى تقريرا طبيـــا وأوقف أنطوان فاعترف بمـــا نسب اليه مدعيا أن منى أثارته بثوبها القصير (المينى جوب) (ص ٥٤) .

وبعد هذه الملاحظات ألا يحق لكل مخلص لأمته وغيور على مصلحتها أن يتساءل عن مدى اخلاص أو خيانة هؤلاء الذين أفسدوا عقول حفنة من فتيات العالم العربى بارتداء المينى جوب فى وقت انتكست فيه الامة ، وما هدفهم الا اغراق الشباب العربى بملاهى واثارات جنسية لابعاده عن خوض معركة المصير التى تخوضها الامة ضد أعدائها المحيطين بها ؟

وكما كشف مؤلف كتاب الانسان العقائدى عن مخططات الصهيونية العالمية فى افساد الاخلاق يكشف عن دور التبشير الذى جاء « كمقدمة » للاستعمار فمهد الطريق له بشتى الاساليب .

ويذكر أنه جاء فى جريدة الحياة البيروتية (العدد ٦٥١٨) الصادر يوم ١٢ــ٧ــ١٩٦٧ « فى احدى مدارس التبشير جاء فى امتحان طلاب (الابريفيه) عن المينى جوب ــ لتوجيه الانتباه نحوه ــ قال السؤال بالفرنسية ــ جدتك (رمز للماضى والتراث) غضبانة لأنها ترى فتيات يلبسن بنطلونا (شرلستون) والشبان يتركون شعورهم طويلا ، والبنات يلبسن المينى جوب .. فدع جدتك تتحدث عن كل هذا . ويضيف السؤال : ناقشها فى الموضوع وأقنعها بأدلة وبراهين عصرية » ويتساءل المؤلف : « فهل بعد هذا من توجيه مباشر مركز نحو الخنفسة والتعرى والانحلال ؟ » (ص ٥٦) .

ومن هذه الابحاث يخلص (كتاب الانسان العقائدى) الى البحث فى الانسان العقائدى والى البحث فى العقيدة الصحيحة التى يمكنها أن تحقق الســعادة للانسانية ومن بحثه لمختلف العقائد يتضح أن الاسلام هو العقيدة الصحيحة التى تصلح لسعادة البشرية **ويوضح أن كل أخلاق لا تنبع من الايمان بالله فانما هى مصلحة نفعية مؤقتة تزول بزوال اللذة والنفع والمغنم (ص ٩٣) .**

ثم يبحث الكتاب فى وظيفة الابداع الفنى والادبى فى تصحيح أفكار الانسان ومفاهيمه عن الحياة ويتحدث عن نماذج وتطبيقات من الادب القديم والحديث ليبين دور الادب فى العمل على نهضة الامة .

ثم يتكلم عن موقف الانسان الحضارى والغزو الحضارى ويبين الطــريق المستقيم الذى يجب على الفكر السير به ويتوج كتــابه ببحث عن الحضــارة الاسلامية ، اذ هى قمة ما يمكن للفكر أن يسمو اليه وبلوغه .

وفى عجالة كهذه لا يمكن ايفاء الكتاب حقه ، فهو كتاب لا بد أن يقرأ ولا غنى لكل مثقف عن قراءته والتأمل فيما جاء فيه . وهو أخيرا سفر يرد على كثير من التساؤلات والحيرة لدى الشباب من الجنسين .



بقية ص ٧٥

وسلم لم ينزل عليه مصحف مكتوب وانما نزل عليه قرآن قرأه جبريل عليه الصلاة والسلام وسمعه منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأه الرسول على أصحابه وقرأه أصحابه على أصحابهم وانتقل جيلا بعد جيل سماعا وقراءة .

ومن المحال تبليغ القراءة خالية عن كيفيتها فالذين قرؤوا القرآن من الصحابة وغيرهم لم يقرؤوا حروفا خالية عن الصفات والحركات والسكنات وانما قرأوا كل حرف خارجا من مخرجه متصفا بصفته من ترقيق وتفخيم واظهار واخفاء واضغام وقلب وقلقلة وغنة مقدرة بمقدار مخصوص ومد مقدر بمقدار لا يزيد عنه ولا ينقص ، وليس اتصاف الحرف بهذه الصفات أقل شأنا من اتصافه بالفتح والكسر والضم والسكون فكما يكون العدول عن الفتح الى الكسر وعن الكسر الى الضم خطأ بل خطيئة . كذلك يعد العدول عن الصفة المتواترة خطأ وخطيئة لأنها نزل بها الوحى وبلغها الرسول للأمة وجمعها الثقات العدول من علماء القرآن ودونوها مفصلة موضحة وسموها « التجويد » .

ومن هنا قال العلامة شمس الدين ابن الجذرى فى منظومته :

والاخذ بالتجويد حتم لازم ... من لم يجود القرآن آثم

لأنه به الاله أنزلا ... وهكذا منه الينا وصلا

فدليل وجوب التجويد هو : السنة المتواترة ، وهى من أعظم الادلة .

وانما نبهت على هذا لأن كثيرا ممن تلقوا من العلوم الدينية أو الدنيوية قسطا وافرا قد تهاونوا بهذه الاحكام حتى ان الحليم يكاد يتميز من الغيظ حينما يسمع بعض خطباء المساجد وأئمتها يلحنون فى القرآن حتى الفاتحة ، ومن لم يلحن منهم فى الاعراب يسرد القرآن سردا خاليا مما يجب فيه من غن ومد واخفاء واضغام وغير ذلك « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

١٣ ــ وبعد .. فشهر رمضان شهر القرآن يذكرنا بقوله صلى الله عليه وسلم « من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول (الم) حرف ، ولكن (ألف) حرف و (لام) حرف و (ميم) حرف » رواه الترمذى وصححه .

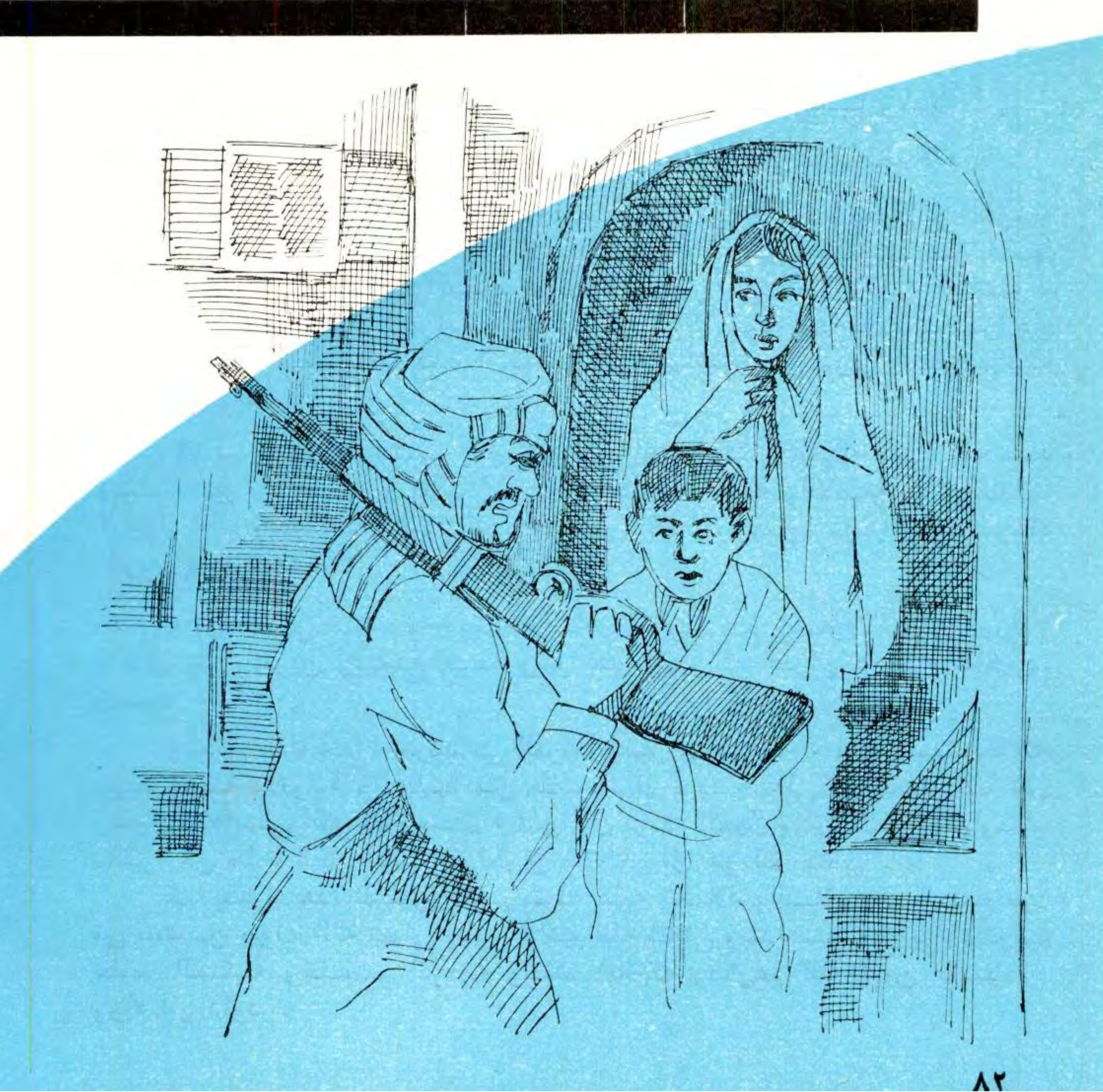
وبقوله صلى الله عليه وسلم « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران » رواه البخارى ومسلم .

ومعنى « يتتعتع » يتردد فى القراءة لعجز فى لسانه ، وليس معناه أنه يتردد لجهله بالقراءة وأحكامها فان طلب العلم فريضة على كل مسلم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن كان تردده للجهل وكان مقصرا متهاونا أو متكبرا عن طلب العلم فليس له أجران ولا أجر بل هو آثم عاص .

كما يذكرنا هذا الشهر الكريم بقوله عليه الصلاة والسلام « ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » رواه أبو داود .

قصة

مدفع رمضان



للأستاذ : محمد الخماش

جلست الأم بجانب موقد النار ، وحولها أطفالها الثلاثة (نادية) التى لم تتجاوز الرابعة و (عمر) فى عامه السادس ، والأكبر (غسان) فى ربيعه التاسع ، وقد جاءوا لتوهم من (الحارة) وقد أحضروا معهم حصيلة ما جمعوه من أخشاب صغيرة لتأكله نار الموقد لتشيع فى البيت الدفء فيكسب الأجسام الصغيرة طاقة حرارية تجعلها تصمد فى وجه البرودة القاسية التى حملها شتاء هذا العام .

وراحت الأم تتطلع بحنان الى أولادها ، وتفكر فى شؤون حياتهم غدا يبدأ أول أيام رمضان المبارك ، وهذا يعنى بالنسبة لها أشياء كثيرة ، سيكون عليها أن تؤمن كل ما تطلبه هذه الأفواه الصغيرة ، ولم يبق بحوزتها الا ثلاثة دنانير مما خلفه زوجها ، ثم ماذا تقول للأطفال غدا حين يرون أنواعا مختلفة من الحلوى والأطعمة الشهية مع أطفال الجيران، فميزانية البيت لا تتحمل أشياء كهذه ... ثم ان ما بقى لا يكاد يكفى لأسبوعين ، وقد يطول غياب زوجها ، و لايعلم ذلك الا الله .. ومن أين ستأتى بالنقود بعد أن تنفد هذه الدنانير الثلاثة ..؟؟

وراحت تفكر فى أشياء كثيرة من مشكلات الحياة واحتياجات البيت ، ولم يخرجها من تفكيرها الا (عمر) ثانى أبنائها يسأل :

ــ هل حقا غدا رمضان يا أمى .؟

ــ لقد سألها عن نفس الموضوع الذى سرحت بخيالها فيه .. فها هم قد بدأوا فى استفساراتهم المحيرة .

ــ نعم .. غدا رمضان .. وهل ستصوم ان شاء الله ؟؟

وببراءة الطفل الذى لا يدرى من أمور الحياة شيئا أجاب :

ــ نعم سأصوم ، ولكن هل ستشترين لنا (قطائف) وحلوى كما كان يفعل والدى ؟؟

لقد وقع ما فى الحسبان .. فانبرت (نادية) الصغيرة تسأل وقد ذكرها سؤال أخيها بوالدها :

ــ أين والدى يا أمى .. لقد طال غيابه ؟؟ .

فعارضها (غسان) الكبير ، وقد كان يرى ضيق أمه حين يرد هذا السؤال من أحدهم ، وألقى عليها الجواب بطريقة التهديد :

ــ انه مسافر ، ألم تقل لك دائما انه مسافر وسيأتى قريبا .

ــ قريبا .. قريبا كلما أسألكم تقولون سيأتى قريبا وها هو لم يأت بعد .. !!

كانت الأم تحرص دائما أن توفق بينهم ، وألا يغضب أحدهم الآخر ، ولذلك لم تجد بدا من أن توقف الحوار لئلا ينتهى بنوم أحدهم غاضبا ، فوجهت القول الى غسان : ــ

ــ اذهب وأحضر لنا عشاء ياغسان ماذا تريدون أن تأكلوا ؟؟ فسارعت نادية : بيض .. بيض يا غسان .

فعارض عمر : — لا .. أنا أريد سردينا . لقد عادوا مرة أخرى للخلاف ، وعلى عادتها فى تربيتها لهم أرادت أن تعطيهم درسا فسألت نادية
— ألا تحبين الرسول صلى الله عليه وسلم يا نادية ؟. وبدهشة أجابت الصغيرة :
— نعم أحبه ..
— وأنت يا عمر .. ؟؟
— وأنا أيضا ، ولكن نحن نتكلم عن العشاء .. ؟؟
— أعرف ذلك .. فالرسول كان يأكل صنفا واحدا من الطعام وأكثر أيامه ، فلا تنسوا ذلك .. فلماذا لا تكونوا مثله ؟؟ وبهذا حسمت الموقف فقالت نادية :
— كما يريد عمر . — لا كما تريد نادية .. أجاب عمر فقالت الأم :
— هذه آخر مرة أراكم تختلفون .. وعلى كل هذه المرة سألبى رغباتكم جميعا .. سأشترى (بيضا) و (سردينا) فأذهب يا غسان .
ويطرق الباب فجأة .. فيقفز غسان ليفتحه فيجد رجلا مدججا بالسلاح يقول له : — أين والدتك ؟؟
— انها فى الداخل .. ولكن لماذا ؟؟
— اننى مرسل من قبل والدك .
فتخرج الأم لترى من القادم ، فحيته ورحبت به ودعته للدخول ، ولكنه اعتذر وهو يقول :
— اننى مرسل من قبل زملاء أبى غسان ، فهم يطمئنونك عليه ، ويبعثون لك هذا المبلغ حتى يأتى ان شاء الله .
— ولكن لماذا تأخر هذه المرة ؟؟
— انه مشغول .. وعلى كل فهو داخل الارض المحتلة والغائب حجته معه .. وودعها مغادرا وهو يقول : سأزوركم ان شاء الله فى وقت قريب .. ونحن مستعدون لكل خدمة .
وأغلقت الأم باب البيت ، وعادت الى الداخل والصغير (عمر) الذى سمع كل كلمة فى الحوار الذى بين أمه ، والرجل يلقى عليها سؤالا لم يستطع كتمه : — من هم زملاء والدى هؤلاء يا أمى ؟؟
فلم تجد بدا من أن توصد باب الأسئلة التى ستتوارد ان هى أجابت أى اجابة ، فقالت بلهجة حازمة :
— ألم أقل لك لا تكثر من أسئلتك .
— آه لقد عرفت يا أمى .. ان هذا الرجل فدائى .. ولا بد أن والدى فدائى أيضا .
— قلت لك أسكت ولا تكثر من كلامك .

... ...

الوقت يقارب التاسعة مساء .. وفى زاوية من زوايا القاعة الكبيرة فى السجن الحربى بمدينة الرملة جلس رجل ذو لحية كثيفة سوداء ، لا يتعدى الثلاثين من عمره ، وقد تكور لافا جسده (ببطانية) عسكرية بالية هى كل ما صرفه له السجانون من متاع يقى به جسده قسوة البرد ، وصقيع الشتاء ، وبالرغم من أنه يرتدى تحتها معطفا وسترة (خاكية) وبنطالا صوفيا ثقيلا راح يرتعد وتتراقص فرائصه ، وتنتفض أجزاؤه انتفاضات ظاهرة ، .. فلاحظ ذلك رجل كبير السن ، تنم لحيته البيضاء عن شيخوخة صالحة، ووجه سمح ترتاح له النفس .. لاحظ أنه نزيل جديد فأشفق عليه وقام متجها صوبه يحمل بطانية أخرى من مخصصاته ، فحياه وجلس بجانبه مناولا البطانية له ..
— خذ هذه يا أخى .. هل أنت نزيل جديد .. ؟؟
— حياك الله أيها العم وبارك فيك .. نعم نزيل جديد ..
شىء رائع وجميل أن يجد الانسان انسانا مثله وفى حاله فى مكان كهذا

يشاطره الحديث ، ويقاسمه الأسى ، ويبثه الهموم .. فأرتاحت نفس الشاب الى الشيخ الجليل .. وبعد لحظة صمت سأل الشيخ ضيف السجن الجديد :

ـ ما الذى جاء بك يا بنى .. خيرا ان شاء الله ؟؟

لقد كان يعرف أن سؤاله من قبيل الفضول اذ انه يعرف أن أى سبب يكون كافيا لأن يجعلهم يزجون بأى عربى داخل السجون .. وما أكثرها من أسباب تلك التى يجدونها فتكون كافية لأن تودى بأى رجل الى حبل المشنقة ، أو التعذيب حتى الموت .

ـ نقلت اليوم من سجن نابلس .

نابلس ...!! اذن لا بد له من شأن آخر ، فهو من الاراضى التى احتلت أخيرا ، فلا بد من أن يستوضح : ـ

ـ ولكن ما سبب سجنك .. ؟؟

وبكل حماس الشباب ، وجرأة الايمان أجاب محدثه : انه الجهاد يا عم ... الجهاد ..

وبلهجة لا يخفى فيها الاعجاب سأله الشيخ :

ـ اذن تريد أن تقول انك فدائى؟؟

ـ نعم .. فدائى ..

وهنا نظر الشيخ الى الشاب باكبار واعجاب ، وقد ترقرق الدمع فى عينيه ، ربما لأنه يرى أمامه شابا من جيل أبنائه يزج به فى السجون ، وتكبله القيود .. وربما لسبب آخر يكنه فى صدره .. ووجد نفسه يقفز ويلثم وجه الشاب تقبيلا وهو يقول :

ـ بورك فيك يا بنى وفيمن هم على دربك .. لا بد أنهم عذبوك .. ؟؟

وتنهد الشاب قائلا : ايه يا عم ، ليعذبوا ما يشاءون .. انه بعض الضريبة ..

ـ وهل اعترفت لهم بأنك فدائى؟؟

ـ نعم .. وما الذى يمنعنى وقد أمسكوا بى بعد أن نفذت ذخيرتى حيث كنت أقاومهم ...

فغمغم الشيخ بشىء من الفخار والاعتزاز :

ـ يا لك من جيل جبلته النكبة وصنعته المأساة .. كنا نظن أنكم نسيتم الأمانة يا بنى .. واعتقدنا أنها ستضيع بموت جيلنا ..

وبتردد واضح سأل الشاب عن موضوع كان يشغله من لحظة جلوس الشيخ عنده :

لكن يا عم .. لم تقل لى لماذا أنت هنا أيضا ؟؟

وهنا أطرق الشيخ رأسه الى الأرض مفكرا ، وبدأ يغوص فى أغوار الزمن ، وأخذ يستعيد السنوات الستين ليستقر بذاكرته على تلك الأعوام السوداء التى نكبت فيها أرضه بالدخلاء الذين جاءوا من وراء البحار يدعون ملكية هذه الأرض .. ولم يكتفوا بذلك بل أخرجوه وقومه منها قسرا .. وطوف بذكرياته على تلك الأيام التى غادر فيها الارض التى أحبها ودرج عليها مهاجرا الى مدينة (غزة) ينتظر عودته بعد أيام قليلة كما وعدته الاذاعات والصحف ... وكيف أن الأيام كبرت فأصبحت سنينا ، وها هى تشيخ اليوم لتتعد العشرين وهو ما يزال بعيدا عن أرضه .. تذكر هذا كله ليجيب على سؤال محدثه : تذكر يا ولدى الهجوم الثلاثى على مصر سنة ست وخمسين؟

ـ نعم أذكر ولكن .. لكن ما شأن هذا بوجودك هنا .. ؟؟

تنهد الشيخ وهو يتابع سرد حكايته : ـ

ـ لم نستطع يا ولدى أن ننتظر حتى يذبحنا أعداؤنا ذبح الخراف ، ونحن نرى جيوشهم تزحف نحونا فى غزة ، فخرجنا شيبا وشبانا ندافع عن بقية الارض التى نقف عليها .. وبما أن لى خبرة فى الغارات الفدائية

اكتسبتها من حربنا الأولى مع الأعداء كان نصيبى مجموعة من الشباب دخلنا الى الأرض التى تركناها جورا عام ثمان وأربعين نغير على مواقع الأعداء ومستعمراتهم ، وفى احدى غاراتنا حدث ما حدث ...

وتنزل دمعة لتجر وراءها دموعا تنساب على وجه الشيخ ، وتمتصها اللحية البيضاء ، ويهتز صوته ويتهدج وهو يتابع :

ـ نعم .. لا زلت أذكر يا ولدى تلك اللحظات التى اكتشفنا فيها الغزاة وطوقنا الجنود من كل ناحية .. وبقينا نقاوم حتى آخر شهيد معى، وتقتضى حكمة الله أن يبقى هذا الوجه الذى يحدثك .. وأقع متأثرا بجراحى، ولم أفق الا فى سراديبهم المظلمة .

هز الشاب رأسه اعجابا بالشيخ وهو يقول :

ـ آه يا عم .. لقد رسمتم لنا الدرب ونحن نتابع السير فيه .. اذن لهذا أنت موجود هنا .. ؟

ـ نعم لهذا .. وحكموا على بالاعدام ، ولكنهم خففوه بعد ذلك بالسجن المؤبد وها أنا أنتظر رحمة الله .

وفجأة يسمعون صوت جندى اسرائيلى ، وهو يصرخ هنا وهناك فى قاعات السجن طالبا النوم من الجميع .. فالساعة تشير الى العاشرة موعد اطفاء الأنوار ، فيودع الشيخ صاحبه الشاب متجها الى فراشه ..

تكور محمود تلك الليلة فى منامه، ولكن أنى له النوم ؟؟ برودة الجو من جهة وشرود فكره من جهة ثانيه، فالليلة أول ليلة من رمضان ، فيا ترى كيف حال أطفاله وزوجته الآن .. ؟؟ فهذه الايام تقتضى بأن يكون بينهم .. اذ أنهم يتلفتون الآن وكل يوم منتظرين قدومه ، ولم يترك لهم ما يكفيهم ، .. وهنا يهتف هاتف من أعماقه رزقكم فى السماء وما توعدون ولكن لا أقرباء لهم يتفقدونهم فى هذه الايام ويقضون حاجاتهم ، ولكن الهاتف يعاوده أيضا ... ولن ينسى الله من فضله أحدا .. يا الهى عليك توكلت فلن تضيعهم .. وأسلم نفسه للنوم وهو يحلم بالمحاكمة التى ستجرى له بعد خمسة أيام وفى حديث الشيخ الكبير قبل قليل .

... ...

وقف الأطفال ينتظرون أمام البيت مدفع الافطار ، وتغمرهم بهجة الانتظار فى الشهر المحبب الى القلوب ، فسأل عمر غسان حين رأى الاطفال يتراكضون ويتصايحون :

ـ هل ضرب مدفع الافطار ؟؟ واذا به يسمع صوتا من الجانب الآخر يجيب :

ـ نعم ضرب !! ـ بابا !! ـ نعم يا ولدى .. بابا ..

الموقد هو الموقد ، والحلقة نفسها .. أم غسان وأولادها ، غسان وعمر ونادية ، ولكن زاد فى هذه الجلسة ـ فى هذه الليلة التى لن تنسى ـ والدهم وقد عاد لهم ، وها هو يحدثهم عن كيفية هربه من السيارة ، وهو فى طريقه الى القدس ليحاكم هناك ويقول :

ـ لم أدر لم لم يقيدونى بالسلاسل تلك الليلة .. ؟؟ يبدو أنهم اعتمدوا على شجاعة صاحبهم الحارس وسلاحه السريع الطلقات ، وهكذا غافلته فى الطريق وانقضضت عليه وخنقته داخل السيارة ، وقفزت منها .. فانبرت نادية تسأل : ـ

ـ ولكن يا (بابا) ألم يروك وأنت تقفز من السيارة :

ـ لا بد أنهم شعروا بذلك .. ولكن بعد أن وصلوا القدس ، ولا تنسى يا صغيرتى أننا نحن البشر فى التفكير والله فى التدبير .

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها

ايضـــــاح

قرأت فى المجلة عدد شهر جمـادى الثانية ٨٩ رقم ٥٤ توريث أولاد الاخ الشقيق الذكور دون الاناث .. مع أنهم فى درجة واحدة من القرابة أرجو ايضاح ذلك ، وشكرا ..

هاشمى ــ جدة

الميراث يقسم بحسب الكتاب والسنة . والقرآن الكريم حين ذكر الورثة لم يذكر منهم بنات الأخ ولا بنـات الأخت ، ولا بنى الاخ ولا بنى الاخت . ثم جاءت السنة بقول النبى صلى الله عليه وسلم « ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأولى رجل ذكر » فأعطى المال فى المسألة المشار اليها لابن الاخ الشقيق بنص الحديث . ونلاحظ التأكيد فى الحديث على الذكورة من قوله (رجل ذكر) مع أن الرجل لا يكون الا ذكرا . ولا خلاف فى ذلك .

فى الرضـــاع

السؤال :

رضع ولد من جدته لأبيه أيام رضاعته كثيرا ، فهل يجوز شرعا لهذا الشاب أن يتزوج بنت عمه ؟

الاجابة :

لا يحل شرعا لهذا الشاب أن يتزوج من بنت عمه لأنها بنت أخيه من الرضاع قال صلى الله عليه وسلم : « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » .

رفع الصوت فى العبادة

السؤال :

بعض المصلين فى المساجد يجهر بالنية فى أول الصلاة ، ويجهر بالذكر والدعاء عقب الصلوات ، فما حكم هذا الجهر شرعا ؟

محمد الرفاعى ــ الكويت

الاجابة :

الجهر بالنية ليس مطلوبا شرعا عند جمهور الفقهاء ، ومع هذا فانه لايبطلها وبعض الفقهاء يرى أنه سنة فقط بالقدر الذى يسمع به نفسه ولا يشوش به على المصلين ، فان شوش على المصلين كره .

أما الجهر بالذكر والدعاء عقب الصلوات فانه يختلف باختلاف الاشخاص والاحوال ، فالاسرار أفضل حيث يخاف الرياء ، أو تأذى المصلين ، والجهر أفضل اذا لم يؤد الى ما ذكر لأنه يوقظ القلب ، ويزيد النشـــاط ، وقد وردت أحاديث اقتضت الجهر ، وأحاديث أخرى طلب بها الاسرار ، ولكل حاله المناسبة .

زكاة الاســـهم

السؤال :

تعودت أن أخرج زكاة مالى فى شهر رمضان مع زكاة الفطر ، والذى أملكه هو بضعة أسهم فى شركة من الشركات ، وقد اشتريت السهم الواحد بأربعـــة دنانير ، ولكن الثمن ارتفع حتى أصبح ثمن السهم الان عشرة دنانير ، فهل أخرج الزكاة على أساس الثمن الاصلى أو على أساس الثمن الحالى .

جميل زايد ــ الاردن

الاجابة :

الزكاة الواجبة فى هذه الاسهم زكاة تجـــارة ، فتقوم الاسهم عند حلول الحول بالسعر الحاضر ، والزكاة تجب فى قيمتها الحالية .

البيـــع بأجل

السؤال :

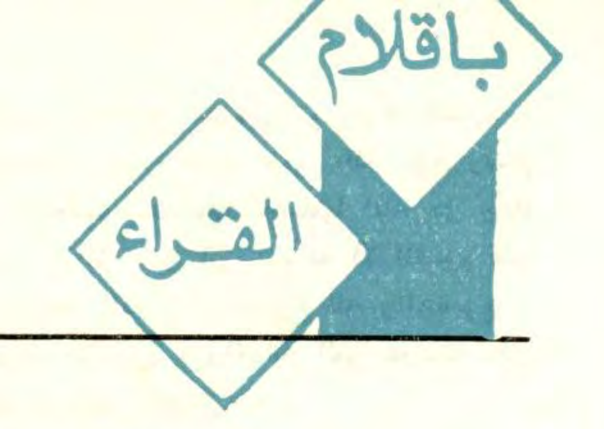
أردت أن أشترى غسالة كهربائية ، فقال لى البائع انها بمائة دينار نقدا ، وبمائة وعشرين على أقساط لمدة سنة ، فهل هناك حرمة فى بيع الاجل ؟

عبد الحميد الفضل ــ الخرطوم

الاجابة :

اذا تراضى البائع والمشترى على ثمن البيع حال ، وثمن مؤجل مع الزيادة جاز شرعا أن يكون الثمن المؤجل أكثر من الثمن الحال .

ولكن اذا اتفق البائع مع المشترى على أن يبيعه بالثمن الحال ، ثم بعد ذلك عجز المشترى عن الدفع فورا ، فطلب منه بعد تمام العقد أن يزيد فى الثمن نظير التأجيل فان هذه الزيادة تكون حراما .



رمضان مظهر للوحدة الاسلامية

تحت هذا العنوان يقول الاستاذ حامد محمد اسماعيل :

جاء رمضان وأهل هلاله على الانسانية بنوره المشرق وهدايته السامية وروحانيته الصافية فيه أنزل القرآن دستور الخالق لاصلاح الخلق وقانون السماء لهداية الارض وميزان القسط والعدل الى يوم القيامة .

وفيه ابتدأ الاسلام وانبثق نوره فى مشارق الارض ومغاربها فتحول العالم أجمع من الركود الى الحركة ومن الفوضى الى النظام ومن الجهالة الى العرفان ..

واذا كان الاسلام الحنيف هو المعنى الجامع للمسلمين والرباط القوى بين كافة المؤمنين ، والقرآن هو حبل الله الممدود من السماء الى الارض ، يجمع به الشمل المتفرق ، ويوحد بين القلوب المتنافرة ويؤاخى بين الناس بالمودة والمحبة ، فان شهر رمضان الذى أنزل فيه كتاب الاسلام الخالد بعد المظهر الزمنى المذكر بالوحدة الاسلامية والاخوة الانسانية .

وقد فرض الله سبحانه وتعالى فيه الصيام ليذكر المسلمين بهذا الوحى الالهى والهدى القرآنى والاخاء الانسانى ولذا قال سبحانه وتعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه » . فالصائم الذى ينقطع عن الطعام والشراب وشهوات الجسم ولذات البدن يتذكر أن هناك من يلتقى معه فى هذه العبادة الطــاهرة النقية ويتسامى معه — على تلك المائدة الروحية — عن المادية التى تباعد بين الانسان وأخيه الانسان الى الروحانية الجامعة التى تجعل من المسلمين جميعا جسما واحدا قوى الاجزاء متين الاعضاء اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى لا فرق بين شرقى وغربى ولا بين عربى وأعجمى .. ومن هنا كان شهر رمضان شهر الاخاء والصفاء يعيش الانسان قبله أحد عشر شهرا ، وهو مشغول بنفسه ، وبمطالب جسمه حتى اذا جاء رمضان سما به عن الانانية الذاتية الى مراقى الانسانية . ونقله من دنيا الاهواء والشهوات الى عالم الحياة الروحية الزاهرة التى يحياها الملأ الاعلى من ملائكة الله المقربين .. وفى ذلك يقول النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه : « أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب الدعاء ينظر الله الى تنافسكم فيه ويباهى بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيرا فان الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل » . فهلا ذكرنا ذلك الشهر الكريم المبارك بأنفسنا فعملنا على أن نكون اخوة متحابين دولا وجماعات وفرادى ..

وهلا أحس المسلم الصائم بأن كل شبر من أرض الاسلام .. وأن كل مسلم فى أى بلد كان وفى أى قطر أقام حق عليه أن يدفع عنه الظلم ، وأن يمنع عنه الاذى ، وأن يرفع عنه العدوان ، وألا يخذله اذا انتصر به ،وأن يفرج كربته اذا أصابته كربة ، وأن يصل اخوانه المسلمين متعاونا معهم على ما فيه خير الاسلام ونصرة الحق مهما تناءت الديار وتباعدت الاقطار ذلك لأن المسلمين كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر .. هلا ذكرنا هذا الشهر الكريم بالعروة التى لا تنفصم وبالوحدة التى لا تنقسم ، وبأننا أقوياء أعزاء اذا كنا متحدين متآلفين كما قال عليه الصلاة والسلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ..

وان شهر رمضان فضلا عن أنه مظهر لوحـدة المسلمين اذ يجمع شـملهم ، ويوحد كلمتهم ، ويصلهم بدينهم هداية وعملا ويربطهم بكتاب ربهم تلاوة وتدبرا وبهدى نبيهم صلى الله عليه وسلم اقتداء وتأسيا فضلا عن ذلك كله هو شهر العبادة التى احتفظت بقدسيتها فأضافها الله جل وعلا الى ذاته العلية دون جميع العبادات ففى الحديث القدسى : « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به » . فالصوم هو الحرمان المشروع والتربية بالجوع والخضوع لله والخشوع . وهو الصبر فى أسمى مراتبه والشجاعة التى تقاوم شهوات النفوس ، والامانة التى عرضت على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ..

انه هو الذى يعلم البخلاء كيف يحمد السخاء . وينبه الاغنياء الى ضعف الفقراء . ويشعر الناس جميعا أنهم أمام ربهم سواء .

حقا ان الفضائل كلها قد اجتمعت فيه والطهارة جميعها قد تجسمت فى أيامه ولياليه .. واذا كانت الشهور كلها شهور الله فان رمضان أفضلها وأكرمها عند الله رب العالمين » .

صفاء النفس وسموها فى رمضان

كتب الاستاذ محمد صالح بربندى تحت هذا العنوان يقول :

ان الحديث عن صفاء النفس وسموها فى هذا الشهر المبارك أمر ضرورى لميزات الصيام الكاملة الشاملة التى تتناول نواحى النفس والعقل جميعها ، ولا ريب فنفسية الانسان تقربها مشاعر عميقة فى الصيام الذى يتصف بطابع خاص هو انطواء النفس على ذاتها وتأملها فى طبيعتها وانغمارها فى جو من السمو الدينى والخلق التجردى البعيد عن النزعات المادية أو الحسية الاخرى .

ان طبيعة هذا الشهر تملأ النفوس روحانية وابداعا ، وتشرق على القلوب بهجة وسناء ، وتطلع على الفكر والعقل ببينات وآيات من الهدى والايمان وهى لذة روحية سامية لا تعدلها أية لذة أخرى لأنها تجعل الانسان واقعيا فى نفسه ، متأملا فى طبيعته شاعرا بالفضائل المنبثقة عما يوحيه الصيام للنفس من خلق وتقوى وتأمل روحى وعقلى .

فصفاء النفس وسموها يقترنان بنشاطها فى هـذا الشهر وينبعثان من تفكيرها فى واقعها المحسوس وتجردها عن الاتجاهات المادية الاخرى الا ما كان صادرا عن الخلق القويم والتأمل السليم لنعمة الايمان والتقوى وشعور الانسان فى أعماق نفسه ، ان الدين هو أساس الفضائل ومنبع الاخلاق والموجه لعواطف الانسان فى هذه الحياة .

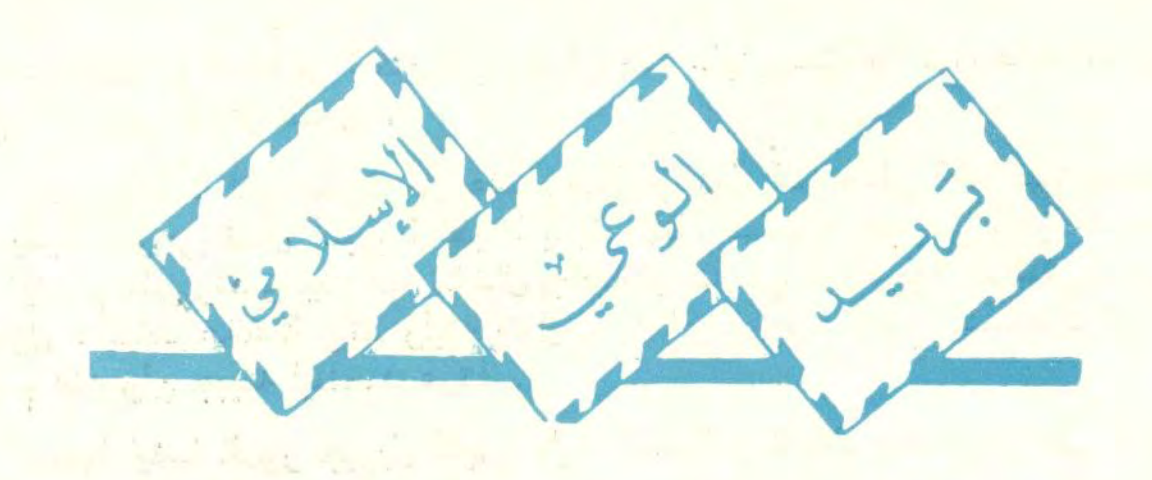
ومن الخطأ الشائع ما يظنه البعض من أن النفس تقعد همتها ويخمد نشاطها وتفتر انفعالاتها فى هذا الشهر ولكنى أرى هذا الاعتقاد غير صحيح وأجد النشاط رائد النفس وباعثا لها على الانتاج والعمل والدأب والجد المستمر دون انقطاع بل انى أتساءل لماذا تقعد همة الانسان ما دامت نفسه قد سمت به فى الصيام الى عالم روحانى وخلقى ملؤه التقوى والعبادة والهداية والرشد ومحاسبة النفس ، وفيه يتأمل الصائم العابد قدرة الله وجبروته وحكمته ؟

بل لماذا يركن المرء الى الكسل وفتور النشاط ما دام خلقه قد ارتفع الى آفاق عالية من الايمان وصفاء النفس وسمو الخلق حتى غدا كنبع الماء الصافى الرقراق .

واذا كانت عادات الانسان قد تقيدت فى هذا الشهر المبارك وأعماله قد تحددت نتيجة الصيام فهو لا يستطيع أن يكون أسير العادات التى استحوذت على نفسه ، وملكت أسارها فى الاشهر الاخرى بأكله ومشربه ونومه ، فهذا التغيير ضرورى له كى يخلد الى نفسه ، ويرجع الى ربه ، ويختبر ارادته ، ويتأمل احساساته ومشاعره ، ويعلم أن من الخير له ألا يكون أسير العادة ، وأنه قادر على تكييف نفسه وتوجيه ارادته للامور جميعها فى كل أوضاعها واتجاهاتها .

فصفاء النفس وسموها فى رمضان يتجهان اتجاها خلقيا وروحيا يسمو بالمشـاعر ، ويعلو بالنفوس نحو الهدى والايمان والتقوى ، وذلك هو زاد القلوب ، وكنز العقول فى هذه الدنيـا الفانية ، فمن الخير للانسان أن يسعى وراء تلك الثروة العظيمة لأن الحياة التى يصاحبها الايمـان والتقوى ستضفى على صاحبها كمالا وجمالا كما يقول الشاعر :

ولو زاد الحياة الناس هديا وايمانا لزادتهم كمـالا



اعداد : ع. ف

من بين الرسائل العديدة التى وردت الى المجلة هذا الشهر رسالة من الاخ عمر السيد عبد ربه من القطيف بالمملكة العربية السعودية يسأل فيها عن كيفية نزول الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهل كان يأتيه على هيئة البشر المعروفة لدينا ، أو كانت له هيئة خاصة لا يراها الا الرسول الكريم .

□□□

كانت للوحى حالات كثيرة :

منها أنه كان يأتى كالرؤيا فى المنام وقد سبق لابراهيم عليه السلام أن رأى فى منامه أنه يذبح ابنه فصدق ما رأى وهم بتنفيذه ، وكان أول نزول الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غار حراء وتلقينه سورة القلم رؤيا لأنه كان فى سنة من النوم .

ومنها ما كان يلقيه الملك فى روعه وقلبه وفى هذه الحال كان النبى لا يرى شيئا ولكن كان يحس أن معنى جديدا وعاه قلبه فى صورة مخصوصة وكان عليه الصلاة والسلام يقول : « ان روح القدس نفث فى روعى » والروع فى هذا الحديث معناه النفس وروح القدس هو جبريل .

ومنها أن يظهر له الملك فى هيئة رجل يخاطبه حتى يعى النبى عنه ما يقول وكثيرا ما كان يأتى فى صورة دحية الكلبى ونزول الوحى فى صورة هذا الصحابى كان بعد الهجرة اذ أن دحية لم يسلم الا بعد بدر ، كما أنه كان رجلا وسيما جميل الصورة .

ومنها أنه كان يأتى الى النبى مثل صلصلة الجرس وكانت هذه الحالة أشد ما يعانيه النبى حتى أن جبينه كان يتفصد عرقا فى اليوم الشديد البرد وحتى أن راحلته لتبرك فى الارض .

عن عمر بن الخطاب : كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى سمع عنه دوى كدوى النحل .

وعن عائشة أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحى فقال النبى : أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشد على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول ، قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد عرقا .

ومنها أيضا ظهور جبريل للنبى عليه الصلاة والسلام بالصورة التى خلق عليها ، ويستدل على هذه الرؤية ما ورد فى سورة النجم : « ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى » .

وقد أورد ابن القيم حالتين للوحى غير ما ذكر .

احداهما التخاطب المباشر كما كلم الله موسى ، والاخرى ما أوحاه الله اليه ، وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها ، ولم نر فيما بين أيدينا من مراجع ما يؤكد حالة التخاطب المباشر . والحالة التى تليها يمكن أن تفهم مما سبق أن ذكرنا .

□□□

وهذه رسالة أخرى يستفسر فيها القارىء عبد الله سالم البديوى من الاردن عن حقيقة الآيات التسع التى أوتيت لموسى لما كذبه قومه والتى وردت فى قوله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » .

الآيات التسع

لما أخذت فرعون العزة بالاثم وتمادى فى تكذيب موسى أمر الله موسى أن يعلم فرعون وقومه بأن الله تعالى سيوقع بهم العذاب جزاء لهم على تكذيبه ، فكانوا كلما وقع بهم عذاب بعد إنباء موسى اياهم به وعدوه بالايمان ، فاذا كشف الله عنهم ما نزل بهم عادوا الى طغيانهم وغدروا بعهدهم ، وهكذا الى أن كانت الآية الكبرى والبطشة العظمى ، وهى اغراق فرعون فى اليم والآيات هى :

١ ــ الجدب بأن قل عنهم ماء النيل .
٢ ــ النقص فى الاموال .
٣ ــ النقص فى الثمرات بكثرة الآفات فيها .
٤ ــ نقص الانفس .
٥ ــ الطوفان بسبب كثرة الامطار فى غير موسمها .
٦ ــ الجراد الذى أتى على الاخضر واليابس .
٧ ــ القمل الذى أقض مضاجعهم وأتعبهم .
٨ ــ الضفادع التى كثرت فنغصت عليهم معيشتهم بسقوطها فى طعامهم وفراشهم وبين ملابسهم .
٩ ــ الدم : قيل سلط الله عليهم الرعاف .
ولا يخفى أن فلق البحر كان بعد تمام الآيات .



وأخيـــــرا ماذا ؟

تحت هذا العنوان كتبت مجلة رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة تقول :

نعم يا مسلمون !! ماذا تنتظرون ؟ وماذا أنتم صانعون ؟

ماذا .. بعد أن ركبت اسرائيل الباغية رأسها .. وارتكبت عدوانها على المقدسات وأحرقت المسجد الاقصى ؟

ماذا يا مسلمون ؟ وماذا تنتظرون ؟ وماذا أنتم صانعون ؟ أفهل بقى لكم من عذر ، أو شبه عذر بعد كل هذا البغى الاجرامى ، وبعد أن بلغ السيل الزبى .

نعم .. لقد أحرق اليهود المسجد الاقصى فى يوم الخميس الثامن من شهر جمادى الآخرة ١٣٨٩ هـ ، وكان هذا فى وضح النهار ، وعلى مرأى ومسمع من العالم أجمع ، وها أنتم وقد تلقيتم نبأ هذه الكارثة العظمى بقلوب تفجرت بالاسى ، وملأها الحزن من كل جانب ، ورأى الناس جميعا كيف جاءت هذه الكارثة ضغثا على ابالة ، وكيف كان وقعها أليما على النفوس جارحا للقلوب والنفوس الطاهرة ، فهل سمعتم بكلمة حق صادرة من الاعماق من أولئك الذين نصبوا أنفسهم أوصياء على الانسانية فى هذا القرن العشرين ، هل سمعتم منهم كلمة صدق تشجب هذا العدوان وتندد بهذا البغى ؟ أم أنهم كما عهدناهم — ما يزالون فى موقفهم الصامد مصرين على أن ينصروا الباطل كيفما كان ، وأن يحاربوا كل حق وكل عدالة ، وكل انصاف ؟

لا .. يا اخوتنا المسلمون أنه من المحال جدا ، أن يقف الى جانبكم مناصرا ومؤيدا من آلوا على أنفسهم أن يناوئوا الاسلام ، وأن يحاربوا المسلمين .

من المحال جدا أن يقولوا لعدوكم الباغى اسرائيل كفى .

كفى ظلما وعدوانا ، يا اسرائيل .

من المحال .. من المحال أن يقولوا لطفلهم المدلل قولا كهذا حتى ولو كان مجرد كلام حتى ولو كان حبرا على ورق ولو أحرق المسجد الاقصى .

اذن ما العمل ؟ ما العمل يا اخوتنا فى الله ، اخوتنا فى دين الله ؟ وماذا تنتظرون ؟ وماذا أنتم صانعون ؟

ما العمل بعد كل هذا الاثم يرتكبه معكم عدو غدار ماكر ، لم تعرف له أية صفة من صفات الشرف فى كل تاريخه الاسود الطويل ؟

المؤتمر الذى نطالب به

أما جريدة البلاغ الكويتية فقد كتبت فى مقالها الاسبوعى الحقيقة بعنوان المؤتمر الذى نطالب به جاء فيه :

اننا لم ولن نعارض المؤتمرات فى حد ذاتها ، ولكن نعارض السطحية فى المؤتمرات .. نعارض الاسلوب الارتجالى فى معالجة قضية العدوان اليهودى ..

ان اسرائيل لم تقم بناء على قرار اتخذه مؤتمر ، ولكن قامت بناء على دراسة عميقة فاحصة ان هرتزل قدم تقريره فى بازل منذ ثمانين سنة عن الحركة اليهودية ، وطالب ببدء العمل لايجاد هذا الوطن ..

وبناء على مخططه الرهيب بدأ الزحف الصهيونى وانتشر اليهود فى الدول العربية والاسلامية ينهبون من خيراتها ويشيدون بناءهم لبنة لبنة .

واستطردت البلاغ تقول :

ان الحركة الصهيونية قامت على دراسة عميقة ومخطط دقيق وضعه الشعب اليهودى الذى لم يكن له وطن ولا دولة ولا جيش ، واستطاع بعد كفاح أن يخلق دولة وجيشا وأرضا ..

والذى نطالب به أن تدرس الشعوب الاسلامية قضية اسرائيل من جميع جوانبها تدرس ماهية هذه العصابة وأصولها الفكرية ومعتقداتها الدينية ومخططها وأسلوبها وكل ما يتصل بها ثم تضع الشعوب خطة للقضاء على هذا السرطان المدمر ..

خطة متكاملة تبدأ من الالف الى الياء ثم تمضى على الطريق بقوة وعزم ..

وأخيرا نخاف أن يقال انكم ستضللون العمل الفدائى وتحاولون تمجيده الى أن ينتهى المخطط الذى تطالبون به ، ونحن نقول : ان طلقات الرصاص هى بداية ونهاية المطاف مع الحركة الصهيونية ، ونحن نطالب بأن تتلاحم الافكار مع القنابل حتى يصح الفكر والعزم (ولينصرن الله من ينصره) .

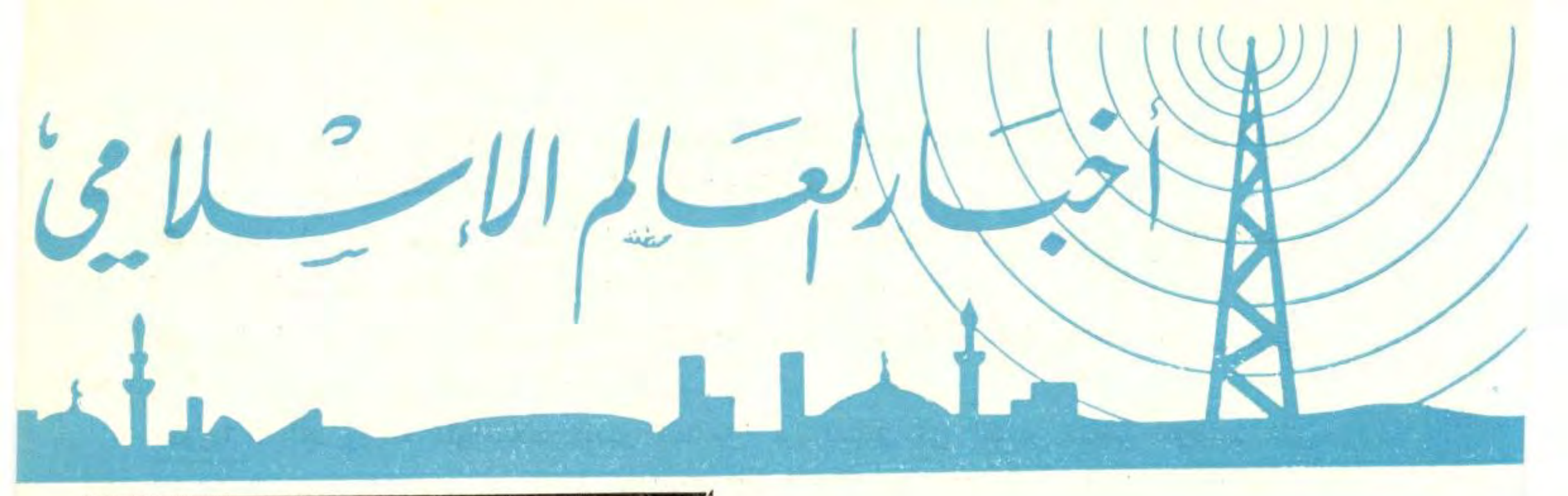
المعركة القادمة .. معركة حياة أو موت

كتبت مجلة (الاعتصام) المصرية تقول :

لقد أعلن من قبل دافيد بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل السابق فى وقاحة مجرم الحرب يقول بالحرف الواحد :

(لا معنى لاسرائيل بدون القدس .. ولا معنى للقدس بدون المسجد الاقصى ..) من أجل ذلك لم يكن مفاجأة ما حدث أخيرا من اقدام اسرائيل على جريمة (حرق المسجد الاقصى) أولى القبلتين وثالث الحرمين .. فان اسرائيل تستهدف من قديم الاستيلاء الكامل على المسجد الاقصى بحجة البحث عن (هيكل سليمان) حتى دفعها ذلك الى اجراء كثير من الحفريات حول المسجد وفى مساحات واسعة محيطة به امتدت الى آلاف الامتار .. ولقد سبق ذلك بعض المقدمات التى تشير الى نواياها العدوانية تجاه المسجد العريق حين علقوا على بعض جدرانه لافتات تحمل عبارات العداء والتشفى .. وانه قد بدأ يتحقق حلم اسرائيل الذى يتمثل فى الهدف المأمول : « من النيل الى الفرات » وكذلك دأب كثير من جنود الاحتلال الاسرائيلى على الدخول الى ساحة المسجد الطاهر بنعالهم النجسة دون مراعاة لأية حرمة أو مقدسات .. وقد جاءت الاخبار أيضا قبل جريمة حرق المسجد بأن عددا من جنود الاحتلال الاسرائيلى قد اقتحموا الحرم القدسى الشريف ، وأقاموا داخله الصلاة على القتلى اليهود الذين سقطوا فى المعارك الاخيرة امعانا منهم فى صلفهم وتعنتهم وكيدهم ..

واذا كان الحريق الذى شب فى المسجد الاقصى بتدبير من اسرائيل قد ألهب شعور المسلمين فى جميع أنحاء العالم شعوبا وحكومات كعمل اجرامى خطير .. واذا كانت المظاهرات العارمة التى اجتاحت عواصم العالم الاسلامى والعربى معبرة عن السخط ضد كل عصابات القتل والغدر والخيانة من اليهود ، وضد الولايات المتحدة الامريكية التى تقف وراءهم بالمال والسلاح والتأييد قد حركت القوى العربية لدول خط المواجهة مع العدو الاسرائيلى لتحقيق التنسيق الشامل حتى تقوم قومة رجل واحد بضربة قاصمة ترد الحق الى أهله ، وتعيد الارض الى أصحابها ، وتطهر المسجد الاقصى من دنس المجرمين الغاصبين فان ذلك لا يتأتى بالتسلح المادى فقط ولا بتوحيد الكلمة فقط .. ولا بتسخير الطاقات العربية فقط .. وانما أيضا بالالتفاف حول رسالات السماء .. وتحكيم كتاب الله .. والقضاء على كل أسباب التحلل والميوعة .. وتكتيل الجهود المادية والبشرية معا بعد أن أصبح الجهاد فرض عين على كل قادر يستطيع حمل السلاح .. وعلى كل قادر يستطيع البذل والانفاق .. وعلى كل قادر يستطيع التعبئة والاعلام .. فنحن أمام عدو خطير يستخدم كل أساليب المكر والخديعة والغدر .. وان المعركة القادمة لا سيما بعد جريمة حرق المسجد الاقصى لهى معركة مصير وبقاء قبل كل شىء .. وهى بالنسبة لكلا الطرفين على السواء معركة حياة أو موت .. وهى جولة أخيرة لكل منهما لن تقوم للمهزوم فيها قائمة بعدها .. فلنستمد فيها القوة من الله عز وجل بايماننا وعزائمنا .. وتمسكنا بديننا وحسن صلتنا بربنا .. واذا كانت قوتنا مستمدة من قوة الله عز وجل فان قوة الله تعالى لا تقهر « وهو القاهر فوق عباده » .



اعداد الاستاذ : عبد المعطي يومي

الكويت : صرح سمو أمير البلاد المعظم بأن مؤتمر القمة الاسلامى فتح صفحة جديدة فى العلاقات بين الدول الاسلامية ووضع أساسا صالحا لتعاون بناء يعود بالنفع عليها .

● وافق مجلس الوزراء على الاشتراك فى المؤتمر الثقافى العربى الثامن الذى سيعقد بجامعة الدول العربية فى ١٠ — ١٩ نوفمبر ١٩٦٩ م .

● دعت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية نخبة من كبار العلماء المسلمين بمناسبة شهر رمضان المبارك لتبصير الناس بدينهم الحنيف .

● قدمت الكويت مساعدات مالية وغذائية لمتضررى الفيضانات فى تونس .

● انتقد سعادة وزير الخارجية السياسة الامريكية فى خطاب أمام الامم المتحدة وقال سعادته : ان هذه السياسة تتجاهل وجود الشعب الفلسطينى وهى عامل حاسم فى رفض اسرائيل الانسحاب من الارض العربية .

● بدأ مجلس الامة انعقاده فى دوره الرابع من الفصل التشريعى الثانى فى ١٧ من شعبان الماضى .

القاهرة : أعلنت الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم عن مسابقة عالمية للقرآن الكريم تقام لأول مرة فى القاهرة وسيحتفل باعلان نتيجتها ليلة القدر برئاسة فضيلة شيخ الازهر .

● تقرر التوسع فى التعليم الدينى بجميع مراحل التعليم وسيضع البرامج والاسس العامة له لجنة عليا يرأسها وزير الاوقاف والازهر الدكتور عبد العزيز كامل .

● قرر وزير الاوقاف والازهر انشاء متحف للفن والآثار الاسلامية يلحق بمسجد السيدة زينب بالقاهرة .

السعودية : استقبل جلالة الملك فيصل وزير التربية العراقى الذى أجرى مباحثات فى السعودية تتناول تدعيم التعاون التربوى والعلمى بين البلدين .

● قام الامير فهد بن عبد العزيز بزيارة للولايات المتحدة وقد اجتمع بيوثانت حيث بحث معه أبعاد القضية الفلسطينية .

● صرح وزير الدولة للشئون الخارجية أمام الامم المتحدة أنه لن يستمر (٦٠٠) مليون مسلم فى الوقوف مكتوفى الايدى والتسليم بالادعاءات الصهيونية ، كما صرح بأن الفدائيين طلاب حق وأنهم نظموا أنفسهم لاسترداد وطنهم .

العراق : أعلنت بغداد أنها تضع القوات العراقية تحت تصرف المنظمات الفدائية لضرب أعمال تصفية العمل الفدائى أينما كان ومن أى مصدر كان .

الاردن : بعث المجلس الاعلى بمذكرة احتجاج الى رئيسة وزراء اسرائيل على اقامتها كنيسا يهوديا تحت المسجد الأقصى وطالب المجلس بوقف الحفريات التى تهدد أساس المسجد .

● نشطت الاعمال الفدائية داخل اسرائيل حتى وصلت لحيفا وهدمت عدة بيوت انتقاما لهدم بيوت العرب .. وقد اشتدت اسرائيل فى انتقامها من العرب .

● فرضت اسرائيل حصارا اقتصاديا على مدينة الخليل وأباحت الصلاة فى الحرم الابراهيمى بالخليل للاسرائيليين كما فعلت الشىء نفسه فى المسجد الاقصى .

● تواصل اسرائيل اسكان العائلات اليهودية فى مستعمرات تحيط بمدينة القدس وفوق الاراضى التى اغتصبتها من السكان العرب .

سوريا : أكد وزراء المواصلات الذين اجتمعوا فى دمشق فى الشهر الماضى حرصهم على تسيير الخط الحديدى الحجازى بين دمشق والمدينة المنورة فى موعده المحدد فى ابريل ١٩٧١ .

● قررت الحكومة السورية اغلاق حدودها مع لبنـــان احتجاجا على تصفيتهـــا للفدائيين الفلسطينيين .

لبنان : قام الجيش اللبنانى بمحاصرة الفدائيين فى الجنوب وضربهم بالمدافع وقد وقع نتيجة لذلك بعض الضحايا من الفدائيين . وكان لذلك رد فعل قوى فى أنحاء العالم العربى . وتســـلم الرئيس اللبنانى رسالة خاصة من الرئيس عبد الناصر يناشده فيها التدخل السريع حتى لا يتفـــاقم الموقف . وقامت مظاهرات عنيفة فى لبنان الشمالى والجنوبى وفرض منع التجول .

الصومال : اغتيل الرئيس شارماركى فى الشهر الماضى وحدث بعد ذلك انقلاب عسكرى أطاح بالحكومة وألغى الدستور .

ليبيـــا : بعث العقيد معمر القذافى رئيس مجلس الثورة الليبى برقية الى الرئيس اللبنانى يأسف فيها على ما حدث فى لبنان مؤكدا أن الامة العربية بحاجة اليوم الى كل جندى وكل طلقة .

تونس : وجه فضيلة مفتى تونس وعميد كليتى الشريعة وأصول الدين بيانا الى المسلمين فى أنحاء العالم ذكر فيه أن اسرائيل عمدت الى احراق المعابد وتخريبها بعد احراق الاجسام .

الجزائر : عقد الرئيس بومدين مؤتمرا صحفيا عن النتائج الايجابية التى أسفر عنها مؤتمر القمة الاسلامى وقال سيادته : ان المؤتمر لا يمكن الا أن يكون ناجحا .

المغرب : قرر مؤتمر الجامعات والمؤسسات الاسلامية الذى انعقد فى الرباط فى الشهر الماضى انشاء رابطة للجامعات الاسلامية مهمتها تعزيز التبادل الثقافى وتوزيع التقارير عن التعليم العالى والعلوم الاسلامية وتنسيق الدراسة بين الدول الاسلامية .

● اجتمع مندوبو ٢٤ منظمة اسلامية فى الرباط لتأييد مقررات القمة الاسلامية والعمل على انشاء رابطة قوية بين مختلف المنظمات الاسلامية الشعبية لتبادل الرأى والمشورة فى المســـائل الاسلامية .

● قرر جلالة الملك الحسن اطلاق أسماء الدول الاسلامية التى حضرت مؤتمر القمة الاسلامى على ٢٥ مسجدا فى المغرب .

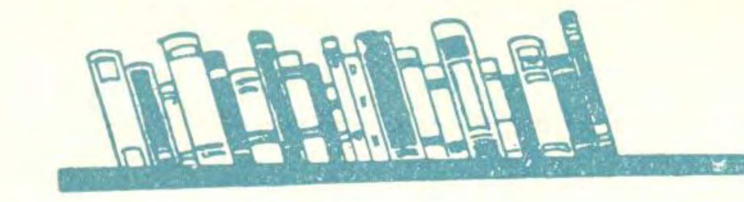
تركيا : فاز حزب العدالة فى الانتخابات الاخيرة فى تركيا للدورة الثانية للبرلمان .

● أعلن وزير خارجية تركيا أن مؤتمر القمة الاسلامى حقق كل ما طلب منه تحقيقه وأظهر أنه من الضرورى ايجاد حل عاجل لمشكلة الشرق الاوسط (قضية فلسطين) .

باكستان : حث السيد اسحق ظفار رئيس الرابطة الاسلامية الرئيس يحيى خان على السماح للمتطوعين الذين بلغ عددهم ٤٠٠٠ شاب للقتال مع العرب بعد احراق المسجد الاقصى .

اندونيسيا : ذكرت وكالة أنباء انتارا الاندونيسية أن حوالى عشرين ألف شاب مسلم سيجندون فى جاوا الوسطى لتشكيل جبهة الجهاد ضد اسرائيل .

نيجيريا : عرض زعيم الاقليم المنشق « بيافرا » اجراء محادثات سلام مع الحكومة الاتحادية دون شروط مسبقة .



مكتبة المجلة

اعداد : الاستاذ عبد الستار فيض

فى افريقيا الخضراء

قام الاستاذ العبودى أمين الجامعة الاسلامية فى المدينة المنورة برحلتين الى افريقيا وسجل فيهما انطباعاته ومشاهداته والكتاب يقع فى ٧٨٠ صفحة ويحتاج الى مطالعته كل من أراد الالمـــام بمعلومات جديدة عن افريقيا .

جغرافية العالم الاسلامى

للدكتورمحمود طه أبو العلا ، وهو كتاب يهدف الى فهم الشعوب الاسلامية وأنمـــاط حياتها الاقتصادية والاجتماعية وتعريف للعالم الاسلامى فى ظل التطور الحديث لعلم الجغرافيا ومحاولة لدراسته من النواحى الطبيعية والبشرية على أسس علمية جغرافية والكتاب مزود بالاحصائيات الحديثة التى نشرتها المصادر العلمية الدولية عن السكان ونشاطهم الاقتصــادى وهو مكون من ٥٠٠ صفحة ومن نشر دار المعارف فى مصر .

أقاصيص الغرب والشرق

مجموعة من القصص لكبار الكتاب العالميين تتناول بالتصوير والتحليل حالات وأحداث وأزمات ومواقف أشخاص مختلفى البيئات والمجتمعات ونماذج انسانية متباينة الملامح والسمات قام بترجمتها الى العربية الاستاذ محمود سيف الدين الايرانى فى هذا الكتاب الذى يقع فى ٢٥٨ صفحة ونشر اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر وطبع المطبعة الوطنية فى عمان بالاردن .

الاسلام والثقافة العربية
فى مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب

دراسة مستوعبة للتحديات الفكرية التى واجهت الفكر الاسلامى والثقافة العربية فى العصر الحديث مع بحث شامل لحركات الاستعمار والتبشير والتغريب ومخططها ودعاتهــا ودراسة لاكثر من قضية من قضايا الشبهات التى أثارها التغريب والنفوذ الاجنبى حول نبى الاسلام والفكر الاسلامى والتمدن والقرآن واللغة العربية وغير ذلك .

والكتاب يحتوى على ٤٠٠ صفحة ومن تأليف الاستاذ أنور الجندى ومن طبع ونشر مطبعة الرسالة بالقاهرة .

كبرى اليقينات الكونية

كتاب من تأليف الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى يبحث عن أدلة وجود الخالق وطبيعة المخلوق مع تمهيد بالغ الاهمية فى بيان منهج البحث العامى عن الحقيقة عند علماء المسلمين وغيرهم وتمهيد آخر بين حاجة الانسان الى عقيدة صادقة عن الكون والحياة والتزام معنى العبودية لواجب الوجود جل جلاله والرابطة بين وجود الله عز وجل وضرورة تقيد الانسان بمنزج معين من الفكر والسلوك وتحدث المؤلف أيضا فى ختام كتابه عن بعض مباحث العقيدة كالالهيات والنبوءات والكونيات والغيبيات والكتاب يقع فى ٣٧٢ صفحة ومن طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

همســـــاتى

الديوان الثانى للشاعر خالد العياف وهو من شعراء الكويت وديوانــه هــذا بمثابـــة تجسيد للحياة الكويتية الحديثة فهو وان كان يعبر فى مضمونه عن نفسية صاحبه الا أنه لا يخلو من تصوير بعض معالم الحياة فى هذا الوطن والديوان يحتـــوى على ٢٠٠ صفحة وقامت بطبعه مطبعة حكومة الكويت .

المناسك وأماكن طرق الحج

ومعـــالم الجزيرة

تحقيق : الاستاذ حمد الجاسر

هذا الكتاب الذى نقدمه للقراء هو من الاثار المفيدة التى تضيف الى ثقافتنا الجغرافية أشياء نافعة فهو أثر ترجع نصوصه كلها الى القرن الثالث الهجرى .

ويعتبر مرجعا لأحوال الدراسات القديمة فى تحديد المواضع والامكنة كما أنه يعتبر الكتاب الوحيد فى جمع ما قيل من الاراجيز فى وصف طريق الحج العراقى .

وقد قدم المحقق فى بداية الكتاب ترجمة وافية لمؤلف الكتاب الامام أبو اسحاق الحربى والكتاب يقع فى ٨٢٢ صفحة وهو الكتاب التاسع فى سلسلة نصوص وأبحاث جغرافيـــة وتاريخية عن جزيرة العرب التى تصدرها دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض فى المملكة العربية السعودية .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة مكة المكرمة ص.ب (٤٦)

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة مكة ص.ب (٤٦)

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب .

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) حضرموت .

دبى : ساحل عمان ص. ب (٢٦١) ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ــ السيد حسين قمر .

تعــز : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

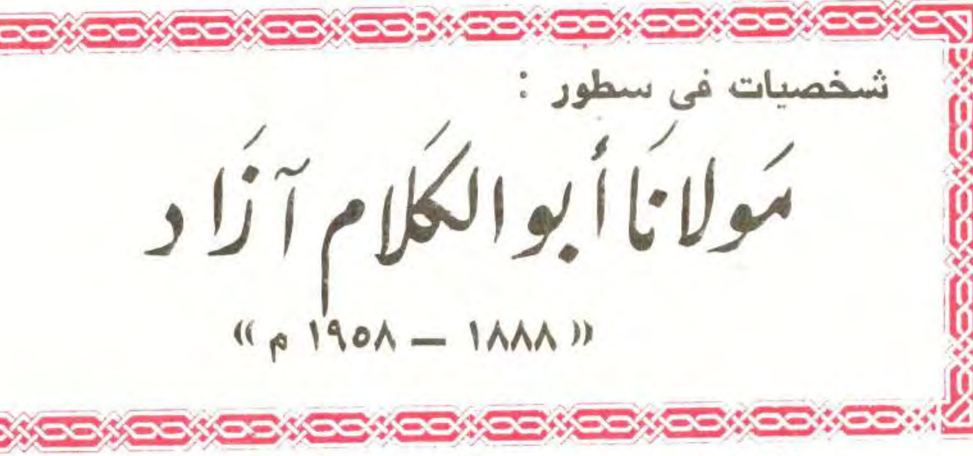
مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب (٢٨٠) ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتبة منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة



- هو محيى الدين أحمد بن خير الدين ، ولد لأب هندى وأم عربية فى مكة المكرمة وجده لأمه أحد علماء المدينة البارزين الشيخ محمد ظاهر الوطرى .
- جمع بين الدين والسياسة والأدب وبرز فيهـــا جميعا حتى لقب بالامام .
- واذا كان مولده عند البيت الحرام بمكة فان نشأته ومرباه فى كلكتا بالهند ، وفيها تعلم العربية والفارسية والفلسفة والفلك ، ثم تعلم الانجليزية ، اللغة السائدة فى الهند أيام يفاعته .
- نشأ مسلما مخلصا لدينه ، ولوطنيه : الاصـــغر وهو الهند والاكبر وهو العالم الاسلامى كله . وساح فى كثير من البلاد للتعرف على أحوال المسلمين فيها كالعراق وسوريا وتركيا ومصر ..
- أنشأ فى سنة ١٩١٢ مجلة « الهلال » لتربية الرأى العـــام تربية سياسية ودينية قوية وأسس لها مطبعة خاصة ، فكان صـــدورها بدء حركة ثورية اسلامية جديدة بين عامة المسلمين فى شبه القارة الهندية .
- وحين عطلت الحكومة المستعمرة الهلال بعد ثلاثة أعوام من صدورها أنشأ صحيفة البلاغ بديلا للهلال .
- يقول غاندى عنه فى مذكراته « من السجن الى الرئاسة » : كان شابا ألمعيا اشتهر وهو فى العقد الثانى من عمره بمعرفته العميقة للغتين العربية والفارسية الى جانب المامه بحاضر العالم الاسلامى وبالحركات الاصلاحية التى تجرى فيه . وبالتطورات الاوربية .
- دخل السجون دفاعا عن عقيدته ، عدة مرات .
- فى أثناء محاكمته أمام محكمة انجليزية ترافع عن نفسه مرافعة قوية عظيمة جاء فيها :

  « انى مسلم ولانى مسلم وجب على أن اندد بالاســـتبداد وقبحه وأشهر مساويه وليعلم أن الاسلام لا يعترف بالحكومة الشـــخصية وانما جاء ليرد الى النوع الانسانى حريته المغصوبة » .

  وتعتبر هذه المرافعـــة القيمة عنوانا صحيحا للنهضـــة الوطنية والاسلامية فى الهند .
- رأس حزب المؤتمر فى الهند ثم رأس البرلمان ثم صار وزيرا للمعارف فى وزارة الهند المركزية الى أن مات ..

  رحمه الله رحمة واسعة ..

العوضى الوكيل

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة – العدد ٥٨ – شوال ١٣٨٩ هـ – ١٠ ديسمبر (كانون أول) ١٩٦٩ م



اقرأ في هذا العدد

مسجد الشيخ خالد



أحدث مساجد امارة ((الشارقة)) بالخليج العــربى ، وهو مبنى على الطراز العربى الجميل ، ويبدو فى الصورة مدخله الفخم تعلوه قبة بين مئذنتين رائعتين ، كما يظهر فيهــا منارتان شامختان بنقوشهما البديعة

تصوير : محمد باقر حبيب

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

الســــنة الخامسة

العدد الثامن والخمسون

شـــــوال ١٣٨٩ هـ

١٠ ديسمبر (كانون أول) ١٩٦٩ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقــاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيــا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		فرنك وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينــار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
(أما الافراد فيشتركون رأسا)
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشــئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ــ كويت



معالم الطريق إلى النصر

- ايمان قوي بالله
- سير على هدي رسول الله
- تجمع اسلامي كامل
- نفير عام ينتظم الأمة الاسلامية

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد

المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

١ ــ أرسل الله رسله بالهدى ودين الحق ، وأيدهم بالمعجزات ، وهى الامور الخارقة للعادة يظهرها الله على يدى مدعى النبوة تصديقا له فى دعواه ، فنجى الله نوحا وأغرق قومه بالطوفان لما عصوا أمر ربهم ، وجعل النار بردا وسلاما على ابراهيم ، وأعطى موسى العصا التى كانت تلقف ما يأفكون ، واقدر عيسى على ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله .

وأما سيدى رسول الله خاتم النبيين فقد كانت معجزته الكبرى ذلك الكتاب الذى لا ريب فيه هدى للمتقين . واعجازه من حيث بلاغته التى أعيت فحول البلغاء فى عصر نزوله ومن جاء من بعدهم عن الاتيان ولو بمثل أقصر سورة منه ، وفوق هذا وذاك ما اشتمل عليه من تشريع ينظم أمور الحياة فى شتى صورها وأشكالها ، اجتماعية واقتصادية وعلاقات دولية ، مشيدا بالتربية الاستقلالية ، وداعيا الى النضوج الفكرى ، فالامة التى تنتسب اليه وتعيش فى ظله وتنفذ ما جاء به تنفيذا كاملا شاملا ، لا بد وأن تصبح فى مقدمة أمم الارض قوة واقتدارا ، وقدوة عملية فى جميع ضروب الحضارة الانسانية ، فلا يمكن بحال لأى مصدر تشريعى أو تقنينى أو تربوى أو داع الى نهضة فكرية أو تقدم علمى أو باحث فى كيفية الحصول على السعادة الانسانية أن يصل أو يقارب ما جاء به الاسلام

وسجله القرآن ، وفصلته السنة ، وابدع فى تطبيقه وتشقيق مسائله تقنينا علماء المسلمين ، وما أبرزه عمليا فى حياة الناس اليومية أمراء المؤمنين المخلصون العاملون . ونضرب الامثلة للتقريب مارين بآيات كريمة من كتاب الله تعالى :

ففى مجال التشريع العام يقول الله سبحانه : « **ان الله يامر بالعدل والاحسان** » وفى ميدان السباق الفكرى والتأمل العقلى للوصول الى نتائج علمية وافية يقول : « **ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب** » . « **قل انظروا ماذا فى السموات والارض** » . وفى الدعوة الى الترابط الدولى ترد الآية الكريمة : « **يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم** » . وفى الاقتصاد: « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** » « **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ..** » « **والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** » وفى تقوية الصلات الاجتماعية للانتاج الفعال فى مجتمع متماسك « **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ..** » الى آخر ما هنالك من كمال كامل لا يرقى اليه نقد ولا يطاوله اعتراض ولا غرو فهو تنزيل من حكيم حميد وتشريع ممن يعلم السر وأخفى .

٢ — من أهم المعجزات المؤيدة لصدق سيدى رسول الله صلى عليه وسلم بعد القرآن الكريم اسراؤه ومعراجه ، فهذه المعجزة توضع فى المكان الاسمى من التوجيه العلمى وطلب البحث الكونى من أتباع سيدى رسول الله فى كل زمان ومكان ، وتأتى فى مقدمة الحث الاكيد على الاستكشاف واستطلاع أسرار الكون علوية وسفلية واستثمار نتائجها فى اسعاد البشرية ورقى الحضارة الانسانية . فمن المؤكد تاريخيا والمحقق علميا والموثوق به اخباريا أن سيد الخلق صلى الله عليه وسلم أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فى لحظات من ليل ، وعرج به الى السموات العلى فى دقائق معدودات ، ولم تتجاوز الرحلة كلها مع لقاءاته عليه الصلاة والسلام باخوانه الانبياء ومفاوضاته مع موسى بخصوص الصلوات الخمس ، واستطلاعه أحوال عصاة أمته الاخروية ، بضع لحظات من الليلة ذاتها . ولو سألنا العلماء المعاصرين الباحثين فى أحوال الكون والواصلين الى بعض أسراره لأجابوا : لا مستحيل مطلقا فى وقوع هذا الامر وحصوله ، فلئن كان الانسان العادى قد وصل الى كوكب غير الارض ، فأحرى بسيدى رسول الله عليه السلام وضيف رب العالمين الذى أحاط بكل شىء علما ، أن يصل الى حيث يريد له من أمره بين الكاف والنون الذى بيده مقاليد كل شىء وهو على كل شىء قدير .

٣ — بعد هذا العرض السريع لبعض آثار قدرة الله تعالى واحاطة علمه وحدبه على البشرية بالتشريعات السديدة والتعليم المفيد والتربية المجدية نتساءل: الم يأن للذين تشرفوا بالانتساب الى الاسلام ان يعرفوا طريقهم المرسوم فيسلكوه غير ملتفتين يمنة أو يسرة ، أما آن لهم أن يدركوا أن من لم تكن له فعالية من نفسه ، ومن لم يثبت وجوده بهمته وعمله لا يمكن ان يقدره غيره ، ولا أن يقيم له وزنا سواه ، وأن التفاخر بالانساب والرمم قد مضى زمانه ، وانه لم يأخذ صورة بارزة الا فى أذهان العاجزين القاصرين ، ولم يكن من سلف الامة عاجز ولا مقصر فقد جرى على ألسنتهم :

ان الفتى من يقـــــول هانــــــذا وليس الفتى من يقـــــول كان أبى

وذاع بينهم :

نفس عصـــــام سودت عصـــاما وعلمتـــــه الـــكر والاقدامـــــا
وصيرته ملكا هماما

وشاع من امثلتهم السائرة :

« كن عصاميا ولا تكن عظاميا » .

وعرفوا أنه لن يهون على الناس الا من هانت عليه نفسه فقالوا :

اذا انت لم تعـــرف لنفســـك حقهـــا هوانا بهـــا كانت على الناس اهونا

الم يحن للمعاصرين من ورثة اولئك الاشاوس الامجـــاد ان يتحاشوا ان يقال فيهم :

من يهن يســـهل الهـــوان عليـــــه ما لجـــــــرح بميت ايــــــلام

الا فلينشدوا مع شاعرهم وهم يعملون وينفذون :

سواى يهاب الموت او يرهب الردى وغيـــرى يهـــوى ان يعيش مخلدا

ومع الآخر :

وما انا ممن تأسر الخمـــــر لبــــه ويملك ســــمعيه اليـــــراع المثقب

وليرددوا :

من لم يمت بالســـيف مـــات بغيـــره تنوعت الاســـباب والموت واحـــد

٤ ـ ولكل هذا يجب ان يعلم المسلمون عامة والعرب منهم خاصـــة أن الطريق واضح لاحب ، وان سلوكه جد هين لا يستحيل مع عون الله .

الطريق ودلائلها للانقاذ من كابوس الاعداء ـ وما اكثرهم ـ بينة وها هى ذى رسومها :

ايمان قوى عميق بالله وعمل وتطبيق لكتاب الله وسير حثيث على هدى رسول الله .. وسينتج كل هذا بعد التركيز الحق والتنفيـــذ الصريح لأحكام الاسلام ، حتى لا تذهب أصـــواتنا أدراج الرياح ، وحتى لا يصدق علينـــا المثل القائل (ما لى أسمع جعجعة ولا أرى طحنا) .

اولا : تجمع اسلامى كامل مع اطراح الاحقاد والضغائن ، ونبذ التحاقد والتحاسد ، فقد صفى الاسلام تلك التفاهات من بين العرب فسادوا ، ثم غلبت عليهم فى عصور متأخرة فهانوا .

ثانيا : نفير عام تشترك فيه كل الامة الاســـلامية مساهمة بكل قادر على الوقوف على رجلين من ابنائها ذكورا وأناثا ، شيبا وشبانا مضحين بالسبد واللبد وباذلين كل تالد وطريف فى سبيل نصر مؤكد بعون الله سبحانه .

ثالثا : دعوة صريحة لا مواربة فيها ولا التواء لأولئك المجاهدين ان يجعلوا

هدفهم احدى الحسنيين مؤمنين بما عند الله وليسمعوها صريحة قوية صادقة ليتدبروها حقيقة مدوية من واقع جهاد المسلمين وتوجيه رب العالمين في سورة النساء من التنزيل الحكيم ، ليصيخوا اليها سماوية قرآنية تحث على ادامة الصلة بالله فى ميدان القتال رمزا لطلب عونه وانعطافا الى ساحته وأملا فى نصره وتأييده : قال تعالى :

« واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ، ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا » .

٥ — وبغير هذا الايمان والعمل ، لا يكون الا نصر مخبول — ان كان — وعمل مبتور ونهاية الى بوار .

وأنا أومن بالله ولا أصدق الا ما أوحى من عند الله ، وذلك هو نداء القرآن وهدى سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أنجبت دروسه وتعاليمه المثل العليا للانسانية الفاضلة الفعالة للخير فى كل الميادين والمجالات .

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم   اذا جمعتنا يا جرير المجامع

جئنى بمثلهم عاملين فى الحقل الانسانى لا يرجون من وراء عملهم جزاء ولا شكورا .

وهاك بعض الامثلة للرجال المؤمنين :

١ — أبو بكر : الواقف وحيدا ضد المرتدين والمنتصر على كل المخالفين .

٢ — عمر : فريد الانسانية فى شدة ودقة تطبيقه للعدالة الانسانية بادئا بنفسه والاقربين وما اليه .

٣ — عثمان : التقى الورع ذو النورين المضحى بماله وصحته فى سبيل الله ساعة العسرة .

٤ — على : وما أدراك ما على صاحب ذى الفقار ، باب العلم ، مطبق سياسة المحبة ولو كانت النتائج ضده ، فاقها كتاب الله واقفا عند حدوده .

٥ — خالد : سيف الله صاحب المواقف الفذة فى تاريخ الدنيا ماضيها وحاضرها فى تاريخ البشرية جمعاء . الم تر اليه يوم أقصى عن القيادة فقاتل جنديا يحمل راية الاسلام لا يرجو الا الله واليوم الآخر .

٦ — أبو عبيدة : أمين هذه الامة كما نص على ذلك سيدى رسول الله .

بهذه النماذج العليا ساد المسلمون ، وسادت حضارتهم ، وبمثلها تعود للمسلمين الصدارة كما كانت . وبالمرور عبر التاريخ خلال القرون لا تعدم فى كل عصر ومصر مثالا رائعا فريدا للكمال فى السلم والحرب فى العلم والبحث فى التقنين والتشريع من أبناء الاسلام ، فاقتدوا بهم واعملوا وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، ويوم يتجمع المسلمون تحت راية الاسلام سيطأطىء العالم كله رأسه اجلالا لهم ، ويصيخ سمعا لمطالبهم ، ويفسح لهم المكان اللائق بكرامتهم فى المجال الدولى ، ولن يستعصى عليهم شأن ما من شؤون الدنيا .. ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز .

من توجيه القرآن الكريم

في صفات المؤمنين

المؤمنون يؤثرون ما عند الله على متاع الحياة الدنيا

للدكتور : محمد البهي

يتهم الاسلام بأنه يقصر عن أن يوفر للانسان المعاصر — فى الثلث الاخير من قرننا العشرين الآن — الحياة الانسانية الكريمة ، لأنه يزهد فى متع الحياة الدنيا ، ويدعو الى عدم الالحاح فى طلبها ، فى انتظار متع أخروية يبشر بأنها خير وأبقى ، وليس هناك ما يؤكد للانسان الذى يدعى الى ذلك ويستجيب لما يبشر به . . وقوع تلك المتع الاخروية !!

فهو دين بالاولى يصرف الناس — بل ربما يخدعهم — عن منافعهم الدنيوية ، ويحملهم على أن يتركوها للمستغلين والانتهازيين ، دون أن يحصلوا من الحياة التى يعيشون فيها الا على القليل من تلك المنافع ، فى صحبة شقاء مستمر للعيش وجهد لا ينتهى للسعى فى سبيله ، ومرارة دائمة لطعم الحياة ، وظلمة قاتمة لليأس التى تخيم من لحظة الى أخرى .

ان الاسلام يدعو حقا الى « الزهد » فى متع الحياة ، ولكنه لا يدعو الى اعتزال هذه المتع . ودعوته الى الزهد هى دعوة فى واقع الامر الى عدم الالحاح فى طلب هذه المتع المادية . . الى عدم التركيز عليها واشباع الشهوة اللامحدودة منها . . الى قصر الرؤية ، والجهد ، والهدف فى الحياة على الحصول عليها وحدها .

ان الاسلام بدعوته الى « الزهد » يحول دون « المادية » وطغيانها فى حياة الانسان . . يحول دون « الوثنية » وانحطاط الكرامة الانسانية ، والنفاق ، والقلق النفسى ، والخوف الرهيب الدائم من مستقبل الحياة .

فالمادية — وهى الالحاح فى طلب المتع المادية من المال والنساء وزخرف

هذه الحياة الدنيوية ، والتركيز عليها ، واخضاع النظرة فى الحياة اليها دون غيرها ــ هى سبيل « الوثنية » فى الاعتقاد والايمان . والوثنية لا تقف عند الاعتقاد فى حجر ، والايمان بصنم ، قصدا الى تحصيل منفعة متوهمة ، أو الى منع ضرر غير محتم للوثنى . بل هى الاعتقاد فى كل « موجود » له صفة التغير وعدم البقاء على حالة واحدة : انه مصدر النفع أو دفع الضر ، أو مصدر الاثنين معا .. هى الايمان بأن فردا ما من الانسان ــ مثلا ــ فوق الخطأ والخطيئة ، وفوق التناقضات من صفات : الموت والحياة ، والفقر والغنى ، والضعف والقوة ، والهوان والعزة ، والجهل والحكمة .. الايمان بأنه اذا مات فهو غائب فى حياة أخرى ولا بد أن يرجع يوما ، وبأنه معصوم ومنزه عن الخطأ والمعصية ، فكل كلمة له حكمة ، وكل خطوة يخطوها فهى ريادة سليمة ، وكل حركة له فهى لمصلحة عامة ، وكل اشارة يوجهها فهى مطاعة .

والانسان ــ اى انسان ــ بطبعه البشرى محدود ومحدد ، وقيمته تبعا لذلك ليست قيمة عامة ولا أبدية ، وأثره فى محيط نفسه ومحيط غيره لا يعدو نطاق محدوديته وقدرته المحددة . ولذا هو غير صالح .. بحكم طبيعته ــ لأن يكون ذا تأثير مستمر فى جانب النفع أو الوقاية من الضرر لنفسه أو لغيره على السواء .

ومن هنا يضطر الذى كان يعبده بالامس أن يوجه عبادته الى غيره اليوم ، ان تعرض لتغير أو تحول الى وضع آخر لم يكن له بالامس ، وهو وضع الضعف أو الفناء .

وهكذا : الوثنى يتلون فى قبلته فى العبادة ، وهو شقى وقلق فى هذا التلون ، لأنه سيظل يفتش عما يجب أن يعبده غدا وبعد غد . وهو فى تغيره من معبود الى معبود « منافق » ، يضفى على معبوده اليوم ما كان يضفيه على المعبود فى الامس ، ويسلب معبود الامس مميزات العبادة والاحترام ، ويكيل له من النقد ما قد يجعله فى محيط الخرافة والوهم .

والمنافق لا يعرف الكرامة لنفسه ولغيره معا فحسب ، وانما بالاضافة الى ذلك لا يعرف الامان والاطمئنان فى حياته ، لأنه ينظر دائما الى مستقبله نظرة الخائف الذى ترهبه صورة التغيير لمعبوده والانتقال من واحد الى آخر ، بعد البحث وطول التفتيش عما يؤمل ثم يعتقد فيه : بأنه مصدر جلب النفع المادى ، أو دفع الضرر المادى كذلك .

فالمادية ، أو الالحاح فى طلب متع الدنيا ، طريق « الوثنية » . والوثنية بدورها سبيل النفاق والانتهازية . والنفاق من جانب مصدر القلق النفسى ، والتهيب والخوف فى رهبة من المستقبل ، وذلك كله يدفع بالوثنى فى النهاية الى : الجبن ، وعدم الانفاق من ماله على نفسه أو على غيره ، فللخشية مما يخبئه الغد .

والاسلام اذ يوصى بالزهد أى بعدم الالحاح فى طلب المتع المادية والتركيز عليها وحدها ، واذ ينظر الى الحياة الدنيا فى مواجهة حياة أخرى أخيرة على أن تلك فى خيرها وبقائها أكثر من الاولى .. يريد أن يحول بين الانسان وطغيان « المادية » عليه .. يريد أن يباعد بينه وبين النفاق وآثاره ، والخوف فى الحياة ونتائجه على النفس فى قلقها ، وجبنها وضعفها .

ولا تقصر آثار « المادية » على الذات وحدها . بل كثيرا ما تتعداها الى ذوات أخرى وأفراد آخرين فى المجتمع . وفيما يصف به القرآن الكريم المؤمنين

فى الآيات التالية بأنهم يؤثرون ما عند الله على ما فى الدنيا من متع مادية وبالصفات الاخرى المستتبعة فى قوله :

« فما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة ، وما عند الله خير وأبقى :
« للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون .
« والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ،
« واذا ما غضبوا هم يغفرون .
« والذين استجابوا لربهم ، واقاموا الصلاة ،
« وأمرهم شورى بينهم ،
« ومما رزقناهم ينفقون .
«والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون .
« وجزاء سيئة سيئة مثلها ،
« فمن عفا واصلح فأجره على الله ، انه لا يحب الظالمين .
« ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل .
« انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق (تحت طغيان المادية) أولئك لهم عذاب أليم .
« ولمن صبر ، وغفر ، ان ذلك لمن عزم الامور » (١) .

وفيما يصف به القرآن الكريم المؤمنين على هذا النحو .. يريد ان يوضح أن الذين يؤمنون بالله حقا يبتعدون فى ايمانهم عن « المادية » . ومظاهر الابتعاد عنها :

١ ــ أن يعتبروا الآخرة فيما لها من متع أفضل بكثير من الدنيا ومالها من زينة وزخرف . وهذا يبعدهم عن المبالغة فى طلب المتع الدنيوية فقط ، ولكن لا يصرفهم عن الاستمتاع بها ، وانما فى الحدود التى لا تخرج الى الوقوع ، فى « المادية » وحدها من جديد : « فما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا » .

٢ ــ وأن يتوكلوا على الله ويعتمدوا عليه وحده فى المعاونة ، وفى الحصول على الخير والوقاية من الضرر .. لا يرجون موجودا سواه فيما ينفعهم ويضرهم . « وعلى ربهم يتوكلون » . والتوكل على الله وحده يحول دون « الوثنية » فى الاعتقاد والانتقال من معبود الامس الى معبود اليوم ، كما يحول دون القلق النفسى ، والتخلق بخلق النفاق والسقوط فى الضعف والهوان ، وفى ظلمة اليأس فى الغد ، عندما يفتش عن المعبود من الناس فلا يجده .

التوكل على الله هو مصدر الشجاعة ، ومصدر الاعتزاز بالكرامة الفردية ، ومصدر الحرية الفردية ، ومصدر النجاح والظفر ، ومصدر الامل فى الغد القريب والبعيد ، « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » فى الحياة كلها ، وليس فى مرحلة دون أخرى . ولا سبيل لهذا التوكل الا بالايمان بالله . والايمان بالله لا يجتمع اطلاقا مع طغيان « المادية » والالحاح فى تحصيل متع هذه الحياة الدنيوية ، ولا مع « الوثنية » فى الاعتقاد ، فى : الصنم ، أو فى الانسان .

٣ ــ وأن يتجنبوا كبائر الاثم والمعاصى والانحرافات التى تؤذى النفس أو الآخرين ، كما يتجنبوا الفواحش والجرائم الاجتماعية التى تسىء الى المجتمع وتقوض العلاقات بين أفراده ، كجرائم : الزنا والقتل ، والسرقة ، وانتهاك

---

(١) الشورى ٣٦ ــ ٤٣ .

الحرمات .. « والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش » . وليس تجنب كبائر الاثم والفواحش الا نتيجة حتمية لعدم الالحاح فى الاستمتاع بالمتع المادية فى هذه الحياة ، اى لعدم سيطرة « المادية » و « طغيانها » على النفس . فطالما لا يكون هناك الحاح وضغط على النفس فى تحصيل المتع والاستجابة لشهوة النفس اللامحدودة . لا يكون هناك اندفاع يحمل النفس على اقتراف المعاصى والفواحش .

٤ — وان يتخلقوا بخلق التسامح ، ان كان هناك ما يثيرهم ويغضبهم من افعال الآخرين وتصرفاتهم . فليس أبقى على العلاقات بين الافراد من التسامح . « واذا ما غضبوا هم يغفرون » . وبذلك يتقربون بصفة من صفات الله جل شأنه ، وهى صفة الغفران .

والتسامح لا يكون له موضع لدى من تحتمله نفسه على اقتناص الفرص ، وتلح عليه الانانية فى السعى لتحصيل المال ، وتكوين العصبيات القبلية ، والاستمتاع بالنساء ، دون رعاية لحق الآخرين فى الوجود والحياة . التسامح ليس له مكان عند من تطغى عليه المادية وتقوده «الوثنية» فى التفكير والتصرف . لأنه مدفوع ، وليست لديه فترة للمراجعة واعادة التقييم . فهو لا يستطيع ان يحول بين الذات وبين استمرارها فى الاندفاع . والمتسامح هو ذلك الذى يراجع الامر ، ويحلل عناصره ، ويقيم تلك العناصر ، ثم يؤثر العلاقة الطيبة مع غيره ، على متعة أو مصلحة شخصية فاتته من اثارة الغير واغضابه ، أو على اهانة كلامية تكون نتيجة لحمق الغير وهوجه .

٥ — وان يتذكروا الله فى كل تصرفاتهم ، ويتابعوا وصايا الكتاب فى سلوكهم مع انفسهم ومع غيرهم . وان يجدوا من اقامة الصلاة طريقا الى العودة الى الله ، كى يحافظوا على عدم الحاحهم فى الحصول على متع الدنيا ، وعدم المبالغة فى تقديرها . فمن يذكر الله فى أوقات متقاربة فى يومه وليله — هى أوقات الصلاة — ويدعوه للمعاونة على موقفه فى الحياة ، وهو موقف المؤمن به .. يشتد أزره وتقوى ارادته فى عدم الخضوع الى ملذات هذه الدنيا ومتعها المادية . أى تقوى ارادته فى أن لا تسيطر عليه « المادية » ، ويطغى عليه اتجاهها « .. والذين استجابوا لربهم ، وأقاموا الصلاة » .

٦ — وان يكون امرهم شورى بينهم لا يعرفون تحكما ، ولا مفارقة فى الاعتبار البشرى ، ولا فى حق الحياة حياة كريمة فى هذا الوجود . ولا يشاور الآخرين معه فى بيئته أو فى مجتمعه أو فى أمته ، الا انسان يقر لهم بحق الحياة ، كما يقر لنفسه ، ويعترف لهم بالمشاركة فى متع الدنيا على نحو ما يستمتع . وذلك هو المؤمن بالله ، الذى لا يقع تحت طغيان المادية بعد ، والذى تتملكه روح التوكل على الله وحده « وأمرهم شورى بينهم » .

ان مباشرة الشورى فى الامر والمشاركة فيها لا تدل على عدم الخضوع لطغيان « المادية » فقط . بل تدل على وجود الايمان بالانسانية ، الذى يحمل عليه الايمان بالله . اذ واقع الايمان بالله فى حياة الانسان هو توفير الاحترام للقيم الانسانية التى تتجه الى صفاء النفوس ، وصفاء العلاقات بين الافراد ، وتمكين أواصر المودة — بدلا من النفرة أو التطاحن — بينهم .

والذى لا يستشير الاخرين معه فى وجوده الخاص أو العام ليس انسانا انانيا ، مغرورا ، مخدوعا بأنانيته فحسب ، وانما هو انسان ملكت عليه « المادية » تفكيره وتصرفاته على السواء .

٧ ــ وأن ينفقوا مما لديهم من أموال وما حصلوا من نعم وارزاق على سد حاجات الآخرين ، دون سؤال منهم ، وفى غير رياء أو منة ممن ينفق : « ومما رزقناهم ينفقون » . اذ ليس هناك أبعد عن الوقوع تحت سيطرة « المادية » والالحاح فى طلب الدنيا ومتعها من هذا الذى ينفق فى غير مقابل مادى مما لديه من مال ، أو صحة ، أو علم ، أو جاه ، أو قوة على غيره فى غير مقابل . اذ شأن الذى تسيطر عليه « المادية » بوثنيتها أن يأخذ ولا يعطى ، ويحصل لنفسه ولا ينفق لغيره .. هو أنانى ، يدور حول نفسه فى تحصيل المنفعة أو فى دفع الضرر ، فان خرج عن دائرة الذات الى « معبود » له غيرها فللغاية نفسها . فكان الانفاق من الرزق على صاحب الحاجة ، أو لصالح الجماعة ، مظهرا من مظاهر عدم التطرف والمبالغة فى طلب متع الدنيا .

٨ ــ وأن ينتصروا على أعدائهم ان اعتدوا عليهم : « والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون » . ولا ينتصر انسان ما ــ فردا أو جماعة ــ على عدو له الا اذا اشترى الآخرة بالدنيا ، على معنى : انه يؤثر ما عند الله على ما فى دنياه وما فى أيدى الناس . فهو اذن لا ينجذب الى الدنيا وما فيها من متع مادية فتقعده عن القتال فى سبيل رد الاعتداء عليه ، ان تعين القتال سبيلا الى ذلك . وعامل النصر دائما هو اللامبالاة بالدنيا والحياة فيها ، فى طريق الاحتفاظ بالقيم العليا والانتساب اليها .

ولكى يبعد القرآن عن الصورة التى يرسمها للمؤمن على هذا النحو : أن مباشرته القتال فى رد العدوان يتنافى مع بعض معالمها على الاقل ، كالتسامح وتجنب كبائر الاثم والعدوان ، برر رد العدوان بأمرين :

أولا : ان جزاء السيئة سيئة مثلها : « وجزاء سيئة سيئة مثلها » . وهذا قانون طبيعى وسنة انسانية لا تقبل النقض .

ثانيا : أن النقد والمؤاخذة يوجه الى المعتدى فى اعتدائه ، وليس الى من رد العدوان عن نفسه : « ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق » (وهم أصحاب « المادية » من الوثنيين النفعيين) وعليهم السبيل ويوجه اليهم اللوم فى دنياهم ، بجانب ما لهم من عذاب أليم فى أخراهم : « أولئك لهم عذاب أليم » .

ومع ذلك اذا كان الاعتداء من الآخرين لا يتصل بالقيم العليا التى يؤمن بها المؤمن ولا بكيان المجتمع ذاته ، كمجتمع له خصائصه واستقلاله فى المميزات ، فان الصبر والمغفرة عندئذ من عزم الامور ، أى من الامور التى لا يقوم بها ولا يحتملها الا أصحاب الايمان القوى والارادة القوية : « ولمن صبر وغفر ، ان ذلك لمن عزم الامور » .

وهذا التعقيب الاخير فى الآيات يدل على أن مبدأ « التسامح » مبدأ مفضل فى الاخذ به ، ومبدأ ذو تأثير ناجع فى استمرار البناء ، وقوة الترابط بين الافراد . ولا يعدل عنه فى مباشرة السيئة بمثلها فى الجزاء ، الا اذا كان الاخذ به يؤدى الى اضعاف الايمان بالله ومقومات هذا الايمان .

□ □ □

ومعنى استتباع اللا « المادية » أو استتباع « الزهد » و « الروحية » فى الاسلام لهذه الصفات فيمن لا يلح فى طلب الدنيا ومتعها ، وان كان لا يعف عنها ولا يحرم نفسه منها .. ان « المادية » والاتجاه القائم عليها فى النظرة الى الحياة

والسلوك فيها تستلزم حتما نقائض هذه الصفات فيمن يكون « ماديا » أى فيمن يكون ذا طابع مادى فى معاملته ، وسلوكه ، وعبادته ، وتصرفاته :

أ) فالمادى لا يؤمن بالله ، ولا بدينه ، ولا بقيم عليا . لأنه لا يعتقد الا فى معبود مادى : حجر ، أو صنم ، أو انسان — ميت أو حى — وبالتالى لا يتوكل على الله ، وانما يتوكل ويعتمد على غيره ، ولما كان غير الله ليست له صفات الله — وبالاخص صفة البقاء — فهو يتغير ويقبل التبديل والتحول . ونتيجة ذلك أن يغير المادى معبوده المادى كلما دعت الحاجة الى تغييره وتبديله .

ومن هنا كان المادى وثنيا ، أى ينتقل بعبادته واحترامه وولائه الى غير واحد .. الى كثيرين ممن يعتقد فيهم أنهم ذو تأثير فى النفع وابعاد الاذى .

ومن هنا أيضا كان المادى منافقا . اذ ليس المنافق الا من كان ظاهر ايمانه لا يدل على حقيقة وقوعه . والوثنى — لأنه متقلب فى الايمان — لا تعرف الحقيقة لايمانه ، ولا تعرف له جدية فى الايمان . فهو يظهر الايمان ، طالما كانت له مصلحة شخصية فى اظهاره . فان اختفت هذه المصلحة الشخصية اختفى معها الايمان بالمعبود المعين ، ورحل الى معبود آخر تكشف عنه المصلحة الشخصية الجديدة .

ب) والمادى اذ يدأب على تحقيق المصلحة الشخصية لا يتجنب ارتكاب المعاصى والفواحش فى سبيل تحقيقها . فهو ليس له وفاء لمن يعبده اليوم ويحترمه من الناس ، وليس له وفاء كذلك لأى شخص آخر حتى يرعى حرمته ، فيعف عن مباشرة الجرائم الاخلاقية والاجتماعية ضده أو ضد من يتصل به .

هو انسان تجردت ذاته من الضمير ، وتجردت من الرقابة الذاتية ، وتجردت من المراجعة النفسية ، واندفعت فى طغيان « المادية » : لا تعرف الا المنفعة المادية فى السعى ، والمقابلة المادية فى المعاملات ، والهدف المادى فى تحقيقه . ولا ترى قيما انسانية تحدد الروابط بين الانسان والانسان حتى تقف عندها قليلا . ولذا : كل وسيلة تحقق لها الغاية فهى وسيلة مشروعة ، ولو كانت الاعتداء ، على الاعراض ، أو النفوس ، أو الاموال .. ولو كانت الفواحش والمنكر وكبائر الاثم والنسوق والعصيان .

جـ) كما لا يعرف المادى معنى التسامح والتنازل . لأن ذلك معنى انسانى كريم . وهو قد تعود المبادلات المادية أو المغالطات فلا يكون تنازله عن تسامح ورضاء نفسى . وانما الجبن وخشية ضياع ما فى يده ، أو تفويت فرصة مرتقبة هو الذى يحول بينه وبين أخذ الحق لنفسه فى « جزاء السيئة بمثلها » .

د) أما الشورى فى الامر فليس لها سبيل الى نفس صاحب الاتجاه المادى . فيم يشاور غيره ؟ وفيم ينتظر من غيره أن يشير عليه ؟ أيشاور غيره فى أمر هو غلبه عليه ، أو يشير عليه غيره فيما لا مناص من اتباعه ؟ ان المادى لا ارادة له ، وانما هو منجذب دائما نحو المنفعة المادية ، وأن استئثار المتع الدنيوية بفراغ نفسه لا يجعله ذا رأى ، أو يقبل رأيا يخالف ما وقع تحت تأثيره ، ولا ينفك يتأثر به .

وفى ظاهر امره انه يميل الى الاستبداد ، وكأن له خيارا فى الامر . ولكن الواقع هو ضعيف بماديته ، وغير ذى مشيئته فى تصرفاته وفى رأيه .

هو مظلوم فى أن ينسب اليه الاستبداد ، والانفراد فى الرأى ، وهو نفسه لا يستطيع أن يتخلص مما يمليه عليه اتجاهه المادى وطغيانه ببريق المتع المادية فى دنياه وعالمه .

هـ) وكيف ينتظر منه أن ينفق فى سبيل الله ، أو فى سبيل مصلحة عامة ، أو فى سبيل سد حاجات الآخرين من ذوى الحاجات ، وهو يدور فى تصرفاته حول ذاته ؟ كل شىء فى الوجود المـــادى يطلبه لنفسه ، ويذل فى سبيل طلبه ، ويقبل المهانة والسخرية واحتقار الذات فى طريق الحصول على ما يطلب ؟

وكيف ينتظر من المادى أن يعطى ولا يأخذ ، وهو الحريص على أن يأخذ ولا يعطى ، أو يعطى الاقل ؟ انه قد يسرق ويرتكب الفحشاء ، ويرتكب جرائم القتل ، وانتهاك الحرمات للآخرين فى سبيل اشباع نفسه من شهوات الدنيا ومتعها المادية . فكيف يكون ذلك الانسان ، الذى يسلك المسلك الانسانى فى الحرص على سد حاجات الآخرين ؟

انه مريض بالمادية . ومن هو مريض بها لا يتصرف تصرف الانسان السليم المعافى ، الذى يملك القدرة على نفسه وعلى ماله ، والذى يستطيع بالرأى الحر أن يوجه مسلكه ويحدد موقفه من الآخرين .

و) ثم كيف ينتصر على الآخرين اذا اعتدوا عليه ، وهو من يجبن ويذل فى سبيل تحقيق مصلحة مادية شخصية له ؟ ان الذى ينتصر هو الذى يؤثر القيم الانسانية العليا يؤثر الآخرة على الاولى .. يؤثر الرأى الحر ، والكرامة البشرية على كل تبعية مادية .

انه لا ينتصر ابدا ، لانه ظالم لنفسه ولغيره معا :

ظالم لنفسه لأنه حرمها من أن تكون نفسا انسانية حرة ، لا تقع تحت سيطرة المغريات المادية وظلامها الدامس فى الوقت ذاته .

وظالم لغيره ، لأنه هو مصدر الاعتداء على غيره ، طالما لا يتهيب ارتكاب الفواحش وكبائر الاثم : « انما السبيل على الذين يظلمون الناس ، ويبغون فى الارض بغير الحق » .

ليس له ايمان حتى ينتصر به وفى سبيله . وايمانه بالمادية ايمان متقلب ومحـــدود الاجل والاثر . فلا يدفع لأمـــد طويل ، ولا يبقى على الاحـــداث والازمات .

□ □ □

وهنا : الاسلام اذا كشف فى هذه الآيات عن نتائج « المادية » ، ونتائج « الروحية » أو « الزهد » فذلك لمصلحة الانسان الذى يريد أن يعيش انسانا ، ولصالح المجتمع الذى يبغى أن يكون ترابط بعض أفراده ببعض ترابطا قويا ، قائما على الرضا وتودد النفوس وتبادلها فى المحبة والسلام .

ولم يقصد الاسلام اطلاقا بتحديد « المـــادية » و « الروحية » وآثار كل منهما على الانسان كفرد وكعضو فى مجتمع ، أن ينفر من الدنيـــا ، ويحمل المؤمنين به على تركها وما فيها من متاع ، وما لها من زينة !

ان القرآن الكريم يتيح للمؤمنين به أن يستمتعوا بمتع الحياة الدنيا ، ويتزينوا بزينتها ، الى الحد الذى لا يخرجهم الى المبالغـــة والاسراف .. أى لا يخرجهم الى « المـــادية » ونتائجها التى من بينها : الشرك و « الوثنية » ، وارتكاب الفواحش ، والبغى ، والاعتداء .

ان القرآن يقول فى بعض الآيات الاخرى :

« يا بنى آدم :

« خذوا زينتكم عند كل مسجد ،

« وكلوا واشربوا ،

« ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين
« قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟
« قل : هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » (١) .

فيأمر بالتزين وبالاستمتاع بالاكل والشرب ، وينعى على من يحرم زينة الله التى هيأها لعباده على الارض ، كما ينعى على من يحرم الطيبات مما تخرج الارض والاستمتاع بها . ثم يؤكد انها حلال للمؤمنين فى دنياهم ، وخالصة لهم وحدهم فى اخراهم .

ولكن الشىء الذى لا يبيحه للمؤمنين هو « الاسراف » — الكفر — لأنه يؤدى حتما الى نتائج وخيمة فى حياة الانسان ، وحياة المجتمع معا .. انه يؤدى الى « المـادية » وطغيانهـا وانحرافاتها . ولذا تقول الآية الاخـرى بعد ذلك :

« قل :
« انما حرم ربى الفواحش ، ما ظهر منها وما بطن ، والاثم ، والبغى
« بغير الحق ،
« وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ،
« وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » (٢) .

اذ ما حرمه فى هذه الآية هو آثار « المـادية » ونتائجها . وقد كان منها — كما ذكر من قبل — ارتكاب الفواحش ، والآثام ، والظلم ، والعدوان : على الاموال ، أو الانفس ، أو الاعراض .

وكيف يحرم الاسلام متع الحياة الدنيا وزينتها على المؤمنين به ، وقد جعل الدنيا دار اختبار لايمان المؤمنين بالله ، والاختبار لا تعرف نتائجه الا بالمباشرة الفعلية لمـا فى الدنيا من متع وزينة . فمن سلك مسلك الاعتدال ولم يلح فى المتع المـادية منها ويجعلها الهدف الاخير له فهو المؤمن على الحقيقة . ومن وقف منها موقف المتطرف ، وجعلها تسد عليه منافذ الادراك ، فلا يبصر ولا يسمع الا من نافذة « المادية » وحدها فهو المنافق فى ايمـانه ، والمتقلب فى عبادته ، والمشرك بالله :

« انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا » (٣) .

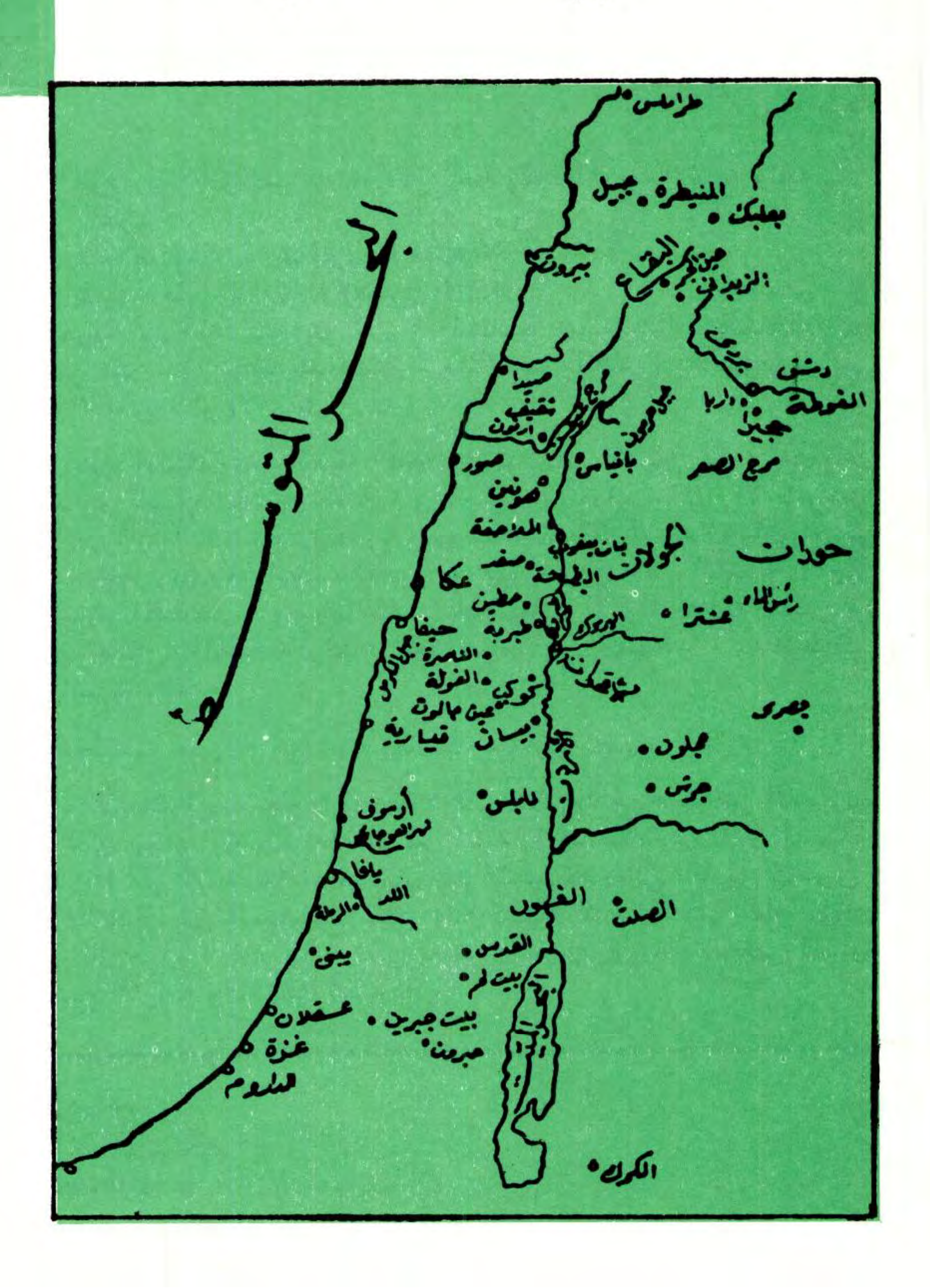
لا يعيب الاسلام أن تسيطر « المادية » على البشرية فى عصر من العصور . ولكن الامر الذى يعيب الاسلام حقا لو لم يكشف الاسـلام عن آثار المـادية البشعة وخطرها على الانسانية ، ولو لم يرشد الناس كافة الى الطريق السوى ، وهو طريق الاعتدال فى الاستمتاع بمتع هذه الحياة الدنيا وعدم الغلو فيها ، وهو طريق : الزهد أو « الروحية » حتى يعيش الانسان انسانا ، ويبقى المجتمع البشرى مجتمع الكرامة والسيادة البشرية .

---

(١) الاعراف ٣٣ .
(٢) الاعراف ٣١ — ٣٢ .
(٣) الـكهف ٧ .

الإعداد المعنوي للحرب

بين العقيدة والقيادة



٢١٦ قائدا من الصحابة

٤٠ قائدا من التابعين

صلاح الدين : اعاد القدس فى « حطين »

قطـــــز : انقـذ الشرق الاوسط فى « عين جالوت »

الصـــناديق التى حملها صـــلاح الدين أيام جهاده

للواء الركن : محمود شيت خطاب

- ١ -

جاءني أمس كبير مذيعى محطة اذاعة عربية كبرى وقال : ان كاتبا كبيرا قال عنك بأن على ما تكتبه مسحة دينية !!

ومن الصدف أن يزورنى قائد من قادة الفدائيين فى ذلك اليوم فقال لى بالحرف الواحد : « لمـــاذا تحرص على الناحية الدينية فى كل ما تكتب ؟ » .

وبالطبع كان ما نقله المذيع الكبير الى ، وما قاله القائد الفدائى الكبير ، هو فى معرض النقد فهما مؤمنان بأن القائد لا ينبغى أن يكون متدينا !!!

وكنت أحرص على صداقة أخ فلسطينى أعظم الحرص ، لأنه من فلسطين التى خالط حبها قلبى ودمى ، ولأنه مفكر المعى وعالم جليل ، ولكننى اضطررت الى نبذه الى الابد ، لأنه زعم بأن التدين مظهر من مظاهر التخلف ، وأن العرب لن يفلحوا ما لم يتخلوا عن الدين .

هذا الصديق يعمل فى بلد عربى يتمسك معظم الشعب فيه بالدين الحنيف ، فزعم أن سر تخلف هذا البلد العربى يكمن فى تدين شعبه ، ولكن الذى يبشر بالخير ــ كما عبر ذلك الذى كان صديقى ــ هو أن طلاب الجامعة فيه يحتسون الخمرة ، لذلك فالبلد مقبل على التحرر والانعتاق من براثن الجهل والتقـــاليد البالية !!

واجتاحنى الغضب الشديد ، وزجرته زجرا عنيفا ، وقررت ان اقاطعه لانحرافه عن الطريق السوى .

وتسأل أمثال هذا الرجل : « هل يحارب الدين العلم ؟ هل يدعو الاسلام الى الجهل ؟ ماذا تعيب على العقيدة الاسلامية منهجا للحياة وسبيلا الى الحق والفضيلة والخير ؟ » .

لماذا اذن نتنكر للدين ؟ ولمصلحة من هذا التنكر ؟

ان الايدى الخفية التى لا تريد الخير للعرب والمسلمين ، هى التى تعمل على اشاعة هذه المفاهيم الخاطئة ، حتى لا تقوم قائمة للعرب والمسلمين .

انى أتحدى كل من يستطيع أن يذكر قائدا عربيا واحدا منتصرا لم يكن يتحلى بالتدين العميق ولم يكن يؤمن بالمثل العليا النابعة من صميم تعاليم الدين الحنيف .

لن يستطيع احد ان يذكر قائدا عربيا واحدا كان له فى ميدان النصر تاريخ ، الا وهو متدين الى ابعد الحدود .

سيد القادات وقائد السادات الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام هو نبى الاسلام ولا أزيد .

وقادة الفتح الاسلامى العظيم كلهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن التابعين عليهم رضوان الله .

لقد أحصيت عدد القادة الفاتحين ، فكانوا (٢٥٦) قائدا عربيا مسلما ، منهم (٢١٦) من صحابة النبى صلى الله عليه وسلم ، و (٤٠) من التـابعين عليهم رضوان الله .

وتوقف الفتح الاسلامى العظيم عام ثلاثة وتسعين الهجرية ، وكانت خطط المسلمين العسكرية قبل هذا التاريخ هجومية ، فأصبحت بعده دفاعية : تصد هجوم المعتدين ، وتدافع عن دار الاسلام .

ومع ذلك ، فكل الذين نجحوا فى صد المعتدين من القادة ، كانوا متدينين الى ابعد حدود التدين ، وكانوا أمثلة شخصية لرجالهم فى التدين والعمل الصالح يكفى أن أذكر منهم نور الدين الشهيد وصلاح الدين الايوبى .

– ٢ –

سجل لنا التاريخ العربى الاسلامى معارك دفاعية كثيرة خاضها العرب المسلمون دفاعا عن عقيدتهم وعرضهم وأرضهم .

ولعل أهم هذه المعارك معركتان : معركة (حطين) التى قادها البطـل المسلم صلاح الدين الايوبى ، ومعركة (عين جالوت) التى قادها قطز صاحب مصر .

ومن الصدف أن تكون هاتان المعركتان فى الارض المقدسـة فلسطين : (حطين) قرية تقع غرب بحيرة (طبرية) على بعد اثنى عشر كيلو مترا من مدينة (طبرية) على طريق (طبرية ـ الناصرة) (وعين جالوت) بليدة صغيرة تبعد خمسة أميال عن مدينة (العفولا) ، تقع بين (العفولا) ومدينة (بيسان) .

ويمكن اعتبار هاتين المعركتين من المعارك الحاسمة ، لأن معركة (حطين) ادت الى استعادة القدس من الصليبيين ، ولأن معركة (عين جالوت) أدت الى انقاذ الشرق الاوسط ومصر من الغزو التتارى الكاسح .

ولقد درست هاتين المعركتين دراسة مستفيضة ، فوجدت أن الفضل الاول لانتصار المسلمين على الصليبيين فى معركة (حطين) يعود الى قيادة صلاح الدين الايوبى ، ووجدت أن الفضل الاول لانتصار المسلمين على التاتار فى معركة (عين جالوت) يعود الى الامامين الجليلين العز بن عبد السلام وأبى الحسن الشاذلى عليهما رضوان الله .

وبمعنى آخر ، أن الفضل الاول فى احراز النصر فى المعركة الاولى كان للقائد ، والفضل الاول فى احراز النصر فى المعركة الثانية كان للجنود .

فى سنة (٥٧٣) الهجرية اشتبك صلاح الدين بالصليبيين على مقربة من مدينة (الرملة) الفلسطينية ، فهزم صلاح الدين ، وقتل وأسر كثير من المسلمين.

وارتد صلاح الدين الى القاهرة ، وقد حزت فى نفسه الهزيمة ، وأخذ يحشد الجيش ويعد العدة لحملة جديدة .

وغادر القاهرة على رأس جيشه الى دمشق ، حيث أمضى هناك زهاء ثلاثة أعوام ، وهو مكب على الاعداد للحرب ماديا ومعنويا بحيث لم تذهب منه لحظة واحدة سدى . وفى خلال هذه الفترة اشتبك مع الصليبيين فى عدة معارك استطلاعية لاختبار قوتهم أولا ، وفى معارك استنزافية لانهاك قوة العدو ثانيا ، وفى معارك تدريبية لتدريب جيشه على القتال عمليا ثالثا وأخيرا ، فاستطاع فى هذه المعارك احراز انتصارات محلية فى (طبرية) و (صور) و (بيروت) ، وهزم الصليبيين فى (حمص) هزيمة شديدة ، واضطر بلدوين ملك بيت المقدس الى طلب الهدنة ، فعقدت بين الطرفين لمدة عامين .

وعاد صلاح الدين الى القاهرة فى منتصف عام (٥٧٦) الهجرية ، فأمضى فيها عاما ونصف عام : يرسم الخطط ، ويعد العدة ، ويدرب رجاله ، ويكمل نواقصهم على هدى الدروس المستفادة من معاركه السابقة ، حتى اطمأن الى كفاية قواته القتالية ، ووثق بقابلياتهم العسكرية .

وفى الخامس من محرم الحرام سنة (٥٧٨) الهجرية ، خرج صلاح الدين من القاهرة ، عاقدا العزم على خوض معركة حاسمة يستعيد بها القدس الشريف .

وبقى فى دمشق أربعة أعوام ، يحشد المجاهدين من كل مكان ، ويستنفر القادرين على حمل السلاح ، ويعد الخطط العسكرية للقتال .

وفى أواخر المحرم من سنة (٥٨٣) الهجرية ، خرج فى قواته من دمشق ، وسار منها الى (بصرى) ليحمى منها طريق عودة الحجاج ، اذ بلغه أن رينو دى شاتيون أمير (الكرك) ينوى الفتك بهم . ولما انتهى عودة الحجاج بسلام سار الى (الكرك) و (الشوبك) وعاث فى أنحائهما .

ووافته جيوش مصر بقيادة أخيه العادل ، وكانت قوات الشام والجزيرة تتلاحق فى تلك الاثناء ، وتجتمع فى دمشق تحت قيادة الملك الافضل ولد صلاح الدين . وسارت من هذا الجيش بأمر صلاح الدين حملة قوية الى ثغر (عكا) لاقتحامه وتخريبه ، فاشتبكت هناك مع الفرنج وفرسان الداوية (فرسان المعبد) والاسبتارية فى معركة طاحنة ، هزم على أثرها الفرنج وقتل مقدم الداوية وجماعة كبيرة من الفرسان ، واستولى المسلمون على كثير من الغنائم .

وسار صلاح الدين فى قواته جنوبا نحو مدينة (طبرية) فاستولى عليها ، ولكن حاميتها اعتصمت بالقلعة . وكان السلطان يهدف الى استدراج الفرنج لمقاتلته فى العراء ، ولكنهم لم يفعلوا ، فترك مدينة (طبرية) وعاد الى معسكره على مقربة منها .

وكان الفرنج قد اجتمعوا فى سهل قريب من (طبرية) ، وكان هذا السهل مقفرا فيه عيون ماء قليلة خربها الفرنج ليحرموا جيش صلاح الدين من الارتواء منها .

ولم يكترث صلاح الدين بمشكلة المـــاء ، لأنه كان عازما على مقـــاتلة الصليبيين واثقا بنصر الله ، فسار فى اليوم الرابع والعشرين من شهر ربيع الاول سنة (٥٨٣) الهجرية نحو معسكر الفرنج .

ولكن الفرنج حرصوا على منع صلاح الدين من السير نحو مدينة (طبرية) وفتح قلعتها ، فتحركوا نحو مدينة (طبرية) يقصدون به الماء ، فوقف الجيش الاسلامى فى سبيلهم ، واشتبك الطرفان فى عدة معـــارك طاحنـــة ، قاتل الصليبيون فيها قتالا شديدا ، الا أن كفة المسلمين رجحت عليهم .

واستطاع صلاح الدين محاصرة الفرنج ، فارتدوا نحو تل بقرية (حطين) القريبة يعتصمون به . ولكن صلاح الدين هاجمهم هجوما صـــاعقا ، فاشتد القتال ، ودافع الفرنج دفاعا مستميتا ، وردوا المسلمين مرات ، ولكنهم هزموا فى النهاية هزيمة شنيعة ، وأسر المسلمون سائر أمراء الفرنج .

هذه المعركة الحاسمة أدت الى استعادة فتح مدينة (طبرية) و (عكا) و (الناصرة) و (قيسارية) و (حيفا) و (صفورية) و (صيدا) و (بيروت) . وتم هذا الزحف المظفر فى أقل من شهر !!!

ولكن هدف صلاح الدين الحيوى كان استعادة بيت المقدس ، لذلك سار الى (عسقلان) ، لكى يتم عزل بيت المقدس عن البحر . وطوق صلاح الدين هذه المدينة من البر ، وضربها بالمجانيق ضربا شديدا ، حتى استلمت بالامان فى آخر جمادى الثانية سنة (٥٨٣) الهجرية ، ثم استعاد معظم الحصون والمدن المجاورة .

ويمم صلاح الدين شطر المسجد الاقصى ، فأشرف على بيت المقدس فى منتصف شهر رجب من سنة (٥٨٣) الهجرية ، وكانت تموج بجموع زاخرة من الفرنج الذين قصدوها من سائر البلاد للدفاع عنها .

وحاصر صلاح الدين المدينة المقدسة ، وشدد عليها الحصار ، وتمكن المسلمون من نقب السور . فلمـــا علم الفرنج بخطورة الموقف ، أوفدوا الى صلاح الدين وفدا من رؤسائهم يطلبون الامان .

ودخل المسلمون بيت المقدس فى يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب (٥٨٣) الهجرية ، فرفعوا أعلامهم فوق الاسوار وفوق المسجد الاقصى ، وأبدى صلاح الدين مع الفرنج منتهى التسامح كما تشهد مصادرهم التاريخية .

كان تعداد جيش المسلمين اثنى عشر الف مقاتل فى معركة (حطين) ، وكان تعداد جيش الفرنج خمسين ألف مقاتل .

وكان تعداد جيش المسلمين فى معركة (بيت المقدس) أقل من اثنى عشر ألفا ، وكان المقاتلون من الفرنج فى القدس ستين ألفا .

وانتصرت الفئة القليلة على الفئة الكبيرة باذن الله .

كانت أسباب النصر كثيرة على رأسها قيادة صلاح الدين ، لأنه وهب حياته للجهاد فى سبيل الله ، وكانت العقيدة الاسلامية تملأ نفسه ومشاعره يضطرم بها ولا يؤمن بغيرها ، وكان وافر الحلم جم التواضع متقشفا فى ملبسه وطعامه ، ينفق كل ما تصل اليه يده فى أغراض الجهاد ومصالح المسلمين ، لا يهتم بشىء من أعراض هذه الدنيا من مال أو قصور أو غيرها ، حتى انه لمـــا توفى لم يخلف مالا ولا عقارا ، ولم يجدوا فى خزائنه شيئا من الذهب أو الفضة سوى دينار واحد وسبعة وأربعين درهما .

وكان صلاح الدين الايوبى يحمل صناديق مقفلة فى أيام جهاده ، يحرص عليها أعظم الحرص ، ويرعاها أعظم الرعاية .

وظن الذين من حوله من المقربين اليه ، بأن هـــذه الصناديق تخفى فى بطونها جواهر ويواقيت ومالا ، ولكن بعد وفاته فتحت تلك الصناديق ، فوجد الذين فتحوها أنها تحوى على وصية صلاح الدين وكفنه الذى اشتراه من كده ، وكمية من التراب .

وفتحت الوصية فكان مما جاء فيها : « أكفن بهذا الكفن الذى تعطر بمـــاء زمزم وزار الكعبة المشرفة وقبر النبى صلى الله عليه وسلم » .
« وهذا التراب هو من مخلفات أيام الجهاد ، تصنع منه طابوق يوضع تحت رأسى فى قبرى » .

وصنع من هذا التراب اثنتى عشرة طابوقة كبيرة تستقر اليوم تحت رأس صلاح الدين عليه رضوان الله فى رمسه ويلقى الله بها يوم الدين .

لقد كان صلاح الدين بعد عودته من كل معركة يخوضها جهادا فى سبيل الله ، يحرص على جمع التراب المتكاثف فوق وجهه وثيابه ويضعه فى صندوق من صناديقه السرية ، وقد استطاع جمع هذه الكمية الكبيرة من التراب التى صارت اثنتى عشرة طابوقة (الطوب) ، فكم عدد المعارك التى خاضها جهادا لاعلاء كلمة الله !!!

مات صلاح الدين فى السابع والعشرين من شـــهر صفر سنة (٥٨٩) الهجرية ، أى بعد سنتين من معركة (حطين) وفتح بيت المقدس ، وكان عمره يوم مات ستة وخمسين عاما ، فقال عن موته شهاب الدين القدسى صاحب كتاب الروضتين فى تاريخ الدولتين : « كان يوما لم يصب الاسلام والمسلمون بمثله مذ فقد الخلفاء الراشدون ، وغشى القلعة والبلد والدنيا من الوحشة ما لا يعلمه الا الله تعالى » .

هل كان ينتصر صلاح الدين ، لو صرف كل همه الى فرجه وجيبه ومسكنه ومأكله ؟
هيهات ....
ان الفرق الكبير بين الانسان والحيوان ، هو أن الانسان له مثل عليـــا يؤمن بها ويضحى من أجلها ، وهذه المثل العليا هى العقيدة .

والانسان يؤثر مثله العليا على متاع الدنيا ، لأن تلك المثل هى الباقية ولأنها نابعة من الانسانية الحقة .

أما الحيوان فهو الذى يؤثر فرجه وعلفه واسطبله وهى متاعه فى الدنيا الفانية التى يعيش من أجلها الحيوان وبها أصبح حيوانا .
فكم من البشر أخلدوا الى الارض ، فأصبحوا حيوانات بل هم أضـــل سبيلا ؟!
فما عبرة معركة (عين جالوت) التى تفيد العرب والمسلمين فى حاضرهم ومستقبلهم ؟

ذلك هو موضوع مقال جديد أقدمه للقراء قريبا باذن الله .

فوضى الحلال والحرام في غياب التشريع الحق

للشيخ : محمد الغزالي

الامة الاسلامية اليوم تمثل جماهير كثيفة من الشعوب المتخلفة ..

والفروق بين الشعوب المتخلفة والشعوب المتقدمة كثيرة ومنوعة ، ويمكن ردها اجمالا الى خلل حقيقى فى المواهب الانسانية الرفيعة ، خلل عاق هـذه المواهب عن أداء وظائفها باقتدار واجادة !!

وليس بصعب على من يرقب الامم المتـأخرة أن يلحظ كسلها العقلى فى ميدان المعرفة ، وكسلها العقلى فى ميدان الانتاج ، وضعف الاخلاق التى تحكم أقوالها وأحوالها ، وكثرة التقاليد التى تمثل طبائع الرياء والاثرة والملق والضياع الفردى والاجتماعى .

ان هناك انهيارا حقيقيا فى البناء الانسانى للشعوب المتخلفة ، والاصلاح الجاد يستهدف اعادة هذا البناء ، ودعمه خلقيا ، واقتصاديا ، وسياسيا ..

ونحن ــ المشتغلين بالدعوة الاسلامية ــ نعالج هذا العمل الشاق ، ونزيح العقبات التاريخية والطارئة التى تعترض طريقنا وما أكثرها ..

وهناك ناس يعملون لهذا الهدف هدف بناء أمة جديدة ، ولكنهم ــ بمؤثرات شتى ــ لا يرتبطون بالاسلام ولا يستشيرونه فى حل مشكلة أو شفاء علة .

وظاهر أن هؤلاء الناس هم الذين نشأوا فى ظل الاستعمار الاوروبى ، وآذاهم أن تكون بلادهم محقورة الشأن ، زرية الظاهر والباطن ، فأرادوا أن تلتحق بالركب المتقدم عن طريق التشبه به والاقتباس منه .

ولـما كان علم هؤلاء بالاسلام قليلا ، فانهم لم يحـاولوا الافادة منه أو الارتباط به ، بل مضوا فى طريق التقليد للشعوب المنتصرة فى ظـاهر أمرها وباطنه ، وعذرهم ــ أمام أنفسهم على الاقل ــ أنهم يبغون النهوض بأمتهم .

ولست الآن بصدد نقد هؤلاء ، بل سأتناول باللوم والانكار مواقف بعض

المتدينين القاصرين الذين يسيئون الى الاسلام من حيث ينشدون خدمته ..
أن تبذل النساء فى هذا العصر بلغ حد السفه وهبط الى درك سحيق من الحيوانية المنكورة ..

وصيحات الوعاظ لوقف هذا التيار تذهب بددا ..
لماذا ؟ لأن تناولهم لقضايا المرأة مشوب بالغموض أو الجهالة ، متسم بالسلبية والعجز ، محكوم بتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان ..
وأغلبهم لو أمكنته الفرص لرد المرأة الى البيت ، وغلق عليها الابواب ، وحرمها مختلف الحقوق المادية والادبية ، وجعلها القدم العرجاء للانسانية السائرة أو الجناح المكسورة للامم الصاعدة ..
والمسلمون فى العصر الماضى خالفوا الاسلام مخالفة مستغربة فى الطريقة التى تحيا بها المرأة ..
فهم حرموها حق العبادة .. بتعبير العصر الحديث — وحظروا عليها دخول المساجد ، ويوجد فى أنحاء مصر نحو سبعة عشر ألف مسجد لا ترحب بدخول المرأة ، ولم يبن فى أحدها باب مخصص للنساء ، كما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بنى مسجده بالمدينة المنورة ..
وقد بذلنا بعض الجهود لتغيير هذه الحال ، ولم ننجح الا فى حدود تافهة ..!! مع أن صفوف النساء فى بيوت الله كانت احدى معالم المجتمع الاسلامى الاول .
وهم حرموها حق العلم — بتعبير العصر الحديث — فلم تفتتح المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية والعالية للمرأة الا بعد محاولات ومجادلات مضنية ، ولم تدخل الازهر الا بعد تطوره الحديث . مع أن النبى صلى الله عليه وسلم جعل طلب العلم فريضة على الرجال والنساء ، ومع أنه أمر باخراج النساء وهن حوائض ليشهدن الخير ويعرفن دعوة الاسلام .
وهم رفضوا أن يكون لها دور فى احقاق الحق وابطال الباطل ، وصيانة الامة بنشر المعروف ، وسحق المنكر مع أن الله قال فى كتابه (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ..)
ان الفكرة التى سيطرت على أدمغة نفر من المتدينين هى عزل المرأة عن الدين والدنيا معا ، واجتياح كيانها الشخصى والمعنوى ..
ولا تزال هذه الفكرة أملا يحركهم ويحملهم على ترويج أحاديث موضوعة أو واهية ، وتكذيب أحاديث صحيحة أو حسنة ، وعلى تفسير القرآن الكريم بآراء لم يعرفها أئمته ، ولا قام عليها مجتمع الاصحاب والتابعين !!
بل أستطيع القول : ان الجاهلية التى دفعت اليها المرأة الاسلامية بهذا الفكر القاصر جعلتها دون المرأة فى الجاهلية الاولى ..
فان المرأة العربية ظهرت فى بيعة العقبة الكبرى كما ظهرت مبايعة بعد فتح مكة ، وقارب عدد النساء المبايعات ستمائة امرأة ..!!
وجهلة المتدينين تستكثر على المرأة المسلمة هذه المكانة الكبيرة ، وقد نتج عن هذا التفكير فى قضية المرأة ، وعن التفكير المماثل له فى قضايا أخرى كثيرة ، ان ظلم الاسلام ظلما شديدا وأن أساء به الظن من لم يحط به خبرا ، ومن لم يحسن له فقها .
وعندى أن افلات النهضة النسائية من قيود الاسلام الحقيقية يرجع الى هذا العجز والغباء .

وقد لاحظت أن بعض المصلحين الذين اشتغلوا بتحرير المرأة قد جرأهم هذا الموقف على ارتكاب حماقات سيئة ..

فهم لما قاوموا بنجاح أخطاء بعض المتدينين اندفعوا فى طريقهم مغالين فخطأوا الدين نفسه حيث لا مجال لتخطئة ولا مكان لتصويب ..

وانه لمن المحزن أن يسىء الدعاة عرض دينهم فى ميدان ما فترفع الثقة بهم فى كل ميدان ، ثم ينفتح الباب على مصراعيه ليتناول من شاء أحكام الاسلام بالمحو والاثبات . يقبل منها ما يعجبه ، ويرد منها ما ينبو عنه مزاجه اللطيف .

أكتب ذلك وبين يدى كتاب مطالعة للمدارس الثانوية ألف على عهد وزارة المعارف ، وراجعه الدكتور طه حسين بك وآخرون .

فى الفصل الثالث من هذا الكتاب حديث عن قاسم أمين ، وردت فيه هذه العبارات وصفا له ولمذهبه فى الحياة العامة يوم كان يلى منصب القضاء « .. ولم يتقيد فى قضائه بآراء الفقهاء أو أحكام المحاكم مما يعتبره أكثر القضاة حجة لا محيد عنها ، بل لم يتقيد بنص القانون اذا لم يصادف هذا النص مكان الاقتناع منه . وهذا مما جعله ميالا للرأفة فى قضائه نافرا أشد النفور من حكم الاعدام !! فقد كان يرى « أن العفو هو الوسيلة الوحيدة التى ربما تنفع لاصلاح المذنب » وأن « معاقبة الشر بالشر اضافة شر الى شر » وأن « التسامح والعفو عن كل شىء وعن كل شخص هما أحسن ما يعالج به السوء ويفيد فى اصلاح فاعله » وأن « الخطيئة هى الشىء المعتاد الذى لا محل لاستغرابه والحال الطبيعية اللازمة لغريزة الانسان » ..

فاذا كانت الجماعة لم توفق بعد الى ادراك هذه الافكار ، وكانت قوانينها التى وكل الى تطبيقها — هكذا يتحدث قاسم أمين القاضى عن نفسه !! — ما تزال تجرى على سنة القصاص والانتقام ، وما تزال دموية متوحشة فلا أقل من أن يتحاشى الاعدام وهو أشد ما فيها وحشية ، وهو العقوبة الوحيدة التى لا سبيل لعلاجها اذا ظهر خطأ القاضى ، أو ثابت الجماعة الى رشدها ورأت تعديل أساس عقوبتها بجعل العقوبة للاصلاح لا للقصاص ، أو أخذت بمذهب العفو والتسامح .

والقارىء الذى يطالع هذه الجمل العمياء يحس أن صاحبها يصطدم بالوحى الالهى اصطداما مباشرا ، وينكر شريعة القصاص ، ويصفها بالوحشية !! ويكذب أن فى القصاص حياة ويوغل مع الخيال فيظن العفو العام فى كل حال وعن كل شخص قاعدة الاصلاح الاجتماعى الصحيح !!

والكلام كله لغو قبيح بل مجون يعزل صاحبه لا عن منصب القضاء وحسب بل عن الفتيا فى مشكلات الناس ، ودعك من أن قائل هذا الكلام مجرد تجردا تاما من كل احترام لنصوص الكتاب والسنة ..

ومع ذلك فان طلاب المدارس الثانوية أيام وزارة المعارف — يقرؤون عقب هذا الكلام الغث تلك العبارات : كانت روح قاسم روح أديب ، وكانت الروح العصبية الحساسة الثائرة التى لا تعرف الطمأنينة ولا تستريح الى السكون ، وكانت الروح المشوقة التى لا تعرف الانزواء فى كن ، بل تظل متمحضة للبحث والتنقيب حتى تنسى نفسها ، وتستبدل بكنها ما فى الكون من نشاط وجمال .. وفى ظننا أن الدعوة الى تحرير المرأة من رق الجهل ورق الحجاب لم تكن كل برنامج قاسم أمين الاجتماعى ، وانما كانت حلقة منه هى أعسر حلقاته وأعقدها » .

ونحن نقول ان قاسما وغيره ممن نهج فى الحياة منهجه كانوا أشخاصا

ينقصهم قدر كبير من العلم الدينى والمدنى ، وأنهم استغلوا القصور الشائن الذى غاب على المتحدثين باسم الاسلام فهجموا على الامور هجوما شاملا كان شره أكثر من خيره ..

وربما استطاعوا أن يكتسحوا رجال الدين — ان صحت التسمية — فى مجال النشاط النسائى لما علمت من حقيقة الموضوع . لكن التطويح بشرائع القصاص ومن ورائها بقية الحدود غباء ضارب الجذور ، وانسلاخ عن الاسلام لا يجدى فيه دفاع ، ولا يساق فيه عذر ..

اذا قال الله « فى القصاص حياة » فجاء غر يقول : فى القصاص هلاك فليس هذا جهلا فقط ، ولكنه ارتداد عن الاسلام وكفر بواح عندنا من الله فيه برهان .

وقد بلغنى أن موظفة فى الاذاعة فى أحد البرامج وصفت قطع السارق بأنه وحشية ، ولم يفاجئنى هذا الارتداد الصريح ، فان التمهيد الثقافى له بدأ من عهود الاحتلال الاجنبى لشتى البقاع الاسلامية ..

وما نقلناه هنا من أن آراء قاسم التى وضعت بين يدى طلاب الصفوف الثانوية يشهد لذلك .

ونريد أن يعلم القاصى والدانى أن كل طعن فى نصوص الاسلام القاطعة مردود على صاحبه ، وأنه ضرب من الارتداد يخدم الاستعمار الحاقد على بلادنا وتاريخنا ..

ولا فرق عندنا بين ارتداد جزئى وارتداد كلى ، فان أبا بكر رضى الله عنه حارب جاحدى الزكاة مع من عاد الى الوثنية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مع أن مانعى الزكاة زعموا أنهم مؤمنون بالله وأقام الصلاة .

بيد أن هذا الزعم لم يخدع الخليفة الاول ولا جمهرة الصحابة ، فقاتلوا الفريقين جميعا وعدوا هؤلاء وأولئك كفارا لا شك فى كفرهم ..

والحقيقة التى لمسناها أن الناقمين على شرائع الحدود والقصاص قوم لا يقين لديهم ولا صلاة لهم ، وأن علاقتهم بالقرآن مقطوعة ، وأنهم ما يستبقون نسبتهم الى الاسلام الا لظروف عارضة ، أو ليكيدوا له وهم داخل دائرته ..

وكلمة أخيرة للمتصلين بالعلوم الدينية ، انه لا يشرفهم أن يتبعوا حديثا واهيا ويدعوا الاحاديث الصحيحة ، كما لا يشرفهم أن يعرفوا رأيا فقهيا ويجهلوا رأيا آخر ..!! انهم يضرون الاسلام ضررا بالغا حين تكون صورته فى أذهانهم ناقصة أو شائهة ، ثم حين يزعمون مع هذا النقصان والتشويه أنهم علماء الدين وحراسه ..

ان القرن الاول — من بين القرون الاربعة عشر التى تمثل تاريخنا — هو أقرب الصور الى حقيقة ديننا .. فكيف يحكم الاسلام (متن) من متون الفقه ألف أيام الاضمحلال العقلى لأمتنا ، أو كيف يحكم الاسلام تصرف تركى فى مجال السياسة أو المجتمع ..؟؟

لقد كان الاستبحار العلمى سمة ساطعة لأمتنا فى أعصارها الاولى ، فلا يجوز أن يقطعنا عن هذا الماضى الزاهى جهل عارض ، أو فكر غامض .

ويوم يعود المسلمون الى دينهم الحق ، فان التخلف المزرى اللاصق بهم اليوم ستنجلى غمته وتنكشف ظلمته وسيأخذون طريقهم مرة أخرى الى الصدارة والتقدم ..

حجة الوداع

كان أول من قام بامـــارة الحج . عتاب بن أسيد ، سنة ثمان للهجرة حين ولاه النبى على مكة بعد فتحها وفى سنة تســـع من الهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وســـلم أبا بكر أميرا على الحج ، فخرج أبو بكر فى ثلثمائة رجـــل من المدينة ، وبعث معه رسول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم عشرين بدنة . وكان لأبى بكر خمس بدنـــات . وفى ذلك الوقت كانت العرب لا تزال فى جاهلية فاسقة يعلنون شركهم فى مشـــاعر الحج ، ويطوفون بالبيت عراة . وفى الوقت الذى كان فيه أبو بكر قد سار الى مكة لقضاء مشاعر الحج ، نزلت ((سورة براءة)) على رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونقضت ما بين الرســـول والمشركين من العهد . وأعلنت أن البيت الآن أصبح يخضع لتعاليم السماء التى جاء بهامحمد . فأرسل النبى بها على بن أبى طالب . فركب ناقة رسول الله . ولما لحق على بابى بكر ، قال له . أستعملك رسول الله على الحج ؟ فقال على : لا ولكن بعثنى أقرأ ((براءة)) على الناس وأنبذ الى كل ذى عهد عهده ، فمضى الناس . وقرأ على سورة براءة على الناس يوم النحر عند الجمرة ، ونبذ الى كل ذى عهد عهده وقال : لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .

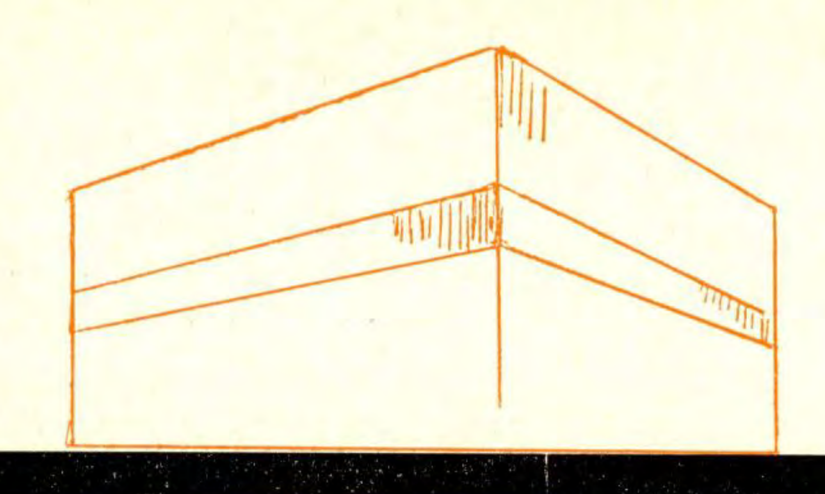
وبعد انتهاء مشاعر الحج رجعا الى المدينة (١) وفى السنة العاشرة حج النبى صلى الله عليه وسلم حجة الوداع .

الدعوة للحج

مكث صلى الله عليه وسلم فى المدينة المنورة تسع سنوات .. بعدها فى الســـنة العاشرة دعـــا الناس للاستعداد للحج فلبت جموع هائلة من المدينـــة المـــنورة ومن قرأها . وجاءت بعض القبائل العربيـــة من أواسط الجزيرة وأطرافهـــا للمسير مع رسول الله .

لقد جاءت هـــذه الجموع من كل بقعة من هذه البلاد العربية المترامية

(١) الطبقات الكبرى ــ لابن سعد ١٦٨/٢



للأستاذ : **عبد الله علي الماجد** ــ الرياض

الأطراف بعد أن استنارت كلها بنور الله ونور نبيه الكريم . تجمع هؤلاء الناس وأقاموا حول المدينة المنورة وكان عددهم مائة ألف ، وقيل تسعون ألفا . وقال آخرون أربعة عشر ومائة ألف . وقد أصاب بعض الناس مرض الجدرى أو الحصبة الذى تفشى بين عدد منهم ، مما أخر بعضهم عن الحج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأعلن لهم أن عمرة فى رمضان تعادل حجة .

ولما كان يوم الرابع والعشرين من شهر ذى القعدة فى يوم الخميس (١) سار ركب النبى بعد أداء صلاة الظهر فى المدينة . ووصل الركب ميقات (٢) أهل المدينة الذى يحرم عنده الحاج وقت العصر وأقام صلى الله عليه وسلم الصلاة قصرا (ركعتين) .. وبات ليلة بها حتى الصباح ، فطاف على نسائه واغتسل تلك الليلة وصلى الصبح . ثم طيبته عائشة رضى الله عنها وكانت تقول :

« كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يحرم ويحل . ويوم النحر ، قبل أن يطوف بالبيت بطيب فيه مسك . أى بعد التحلل الاصغر الذى يحل فيه كل شىء كان محرما للاحرام ما عدا النساء .

أحرم النبى صلى الله عليه وسلم واحرم المسلمون معه كل قد كسى بشرته بازار ، ورداء . وصار ينتظمهم جميعا زى واحد هو أبسط ما يكون زيا ، محققين بذلك المساواة باسمى معانيها .

التلبية فى حجة الوداع

سار ركب الحجيج تتوسطهم (القصواء) ناقة النبى صلى الله عليه وسلم . وبدأ بتلبيته التى رددها معه الجميع :

(لبيك لا شريك لك لبيك . ان الحمد والنعمة لك . والملك لا شريك لك) .

---

(١) وقع حول ذلك خلاف . قيل أنه خرج من المدينة يوم خمس وعشرين . ولكن الصحيح هو ما ذكره ابن حزم الاندلسى من أنه أربع وعشرون ــ انظر حجة الوداع ــ صفحة ٣٨ .

(٢) ميقات أهل المدينة ذو الحليفة وهو يبعد عن المدينة المنورة بمقدار ٣ أميال وهو المعروف الآن بآبار على

وزاد على ذلك فقال .

(لبيك اله الحق) .

ثم أتاه جبريل (عليه السلام) فأمره أن يأمر أصحابه بأن يرفعوا أصواتهم بالتلبية (١) . وتجاوبت الصحارى بهذا النداء . وانطلق هذا الركب يقطع الطريق بين مدينة الرسول ومكة المكرمة . وكان صلى الله عليه وسلم ينزل عند كل مسجد فى الطريق ليؤدى الصلاة وهو رافع الصوت بالتلبية .

تعاليم الحج

ولما بلغ الحجاج (سرفا) (٢) حاضت عائشة (رضى الله عنها) وكانت قد أهلت بعمرة . فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تنقض رأسها وتمشط وتدع أعمال العمرة . وأن تدخل على العمرة حجا . وتعمل جميع أعمال الحج . الا الطواف ما لم تطهر . وحول هذا قول عائشة (لبينا) (٣) بالحج حتى اذا كنت بسرف . حضت . فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكى فقال . ما يبكيك يا عائشة . قلت . حضت . ليتنى لم أكن حججت . فقال : (سبحان الله . انما ذلك شىء كتبه الله على بنات آدم . امسكى المناسك كلها ، غير ألا تطوفى بالبيت) ولما طهرت طافت بالكعبة والصفا، والمروة ، ثم قال عليه الصلاة والسلام (قد حللت من حجتك وعمرتك) .

قالت . يا رسول الله انى أجد فى نفسى لم أطف بالبيت ، حتى حججت . قال : فاذهب بها يا عبد الرحمن (٤) فاعمرها من التنعيم .

وكانت أسماء بنت عميس الخثعمية زوجة أبى بكر رضى الله عنه . قد ولدت بالشجرة محمد بن أبى بكر . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . أبا بكر ، يأمرها بأن تغتسل وتهل . وقد استهل هلال شهر ذى الحجة ليلة الخميس ، اليوم الثامن من خروجه عليه الصلاة والسلام من المدينة . وبذلك يكون يوم عرفة فى حجة الوداع يوم الجمعة التاسع من ذى الحجة .

وأمر رسول الله أصحابه . بأن من لم يكن معه هدى ان احب أن يجعلها عمرة ، فليفعل . ومن كان معه هدى ، فلا . فمنهم من جعلها عمرة . كما أبيح له . ومنهم من استمر على احرامه بالحج . وأما من كان معه هدى فقد استمر على احرامه .

وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : (خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه عام حجة الوداع فأهللنا بعمرة) .

---

(١) انظر (حجة الوداع) لابن حزم صفحة ٤٦ .

(٢) سرف موضع على ستة أميال من مكة المكرمة .

(٣) اذا كانت قد نوت عمرة أولا كما هو المذكور سابقا فيكون معنى كلامها . لبينا بالحج .. أى خرجنا للحج ، وهذا لا ينافى أن بعضهم نوى حجا وبعضهم نوى عمرة فقط كعائشة ، والمعروف أن الرسول نصح بالعمرة فقط الا لمن ساق معه هديا . وقال لو استقبلت من أمرى ما سقت الهدى وفى حديث آخر لعائشة . فأهللنا بعمرة .

(٤) هو أخوها عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من كان معه هدى ، فليهل بالحج مع العمرة ، ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا) .

دخول مكة المكرمة

بات رسول الله صلى الله عليه ليلة الأحد ، بذى طوى الرابع من ذى الحجة ، وصلى الصبح بها . ودخل مكة المكرمة نهارا من أعلاها من الثنية العليا من كداء ، صبح يوم الاحد . فعمد عليه الصلاة والسلام والمسلمون من بعده الى الكعبة المشرفة . فاستلم الحجر الأسود . وطاف بالكعبة سبعا . منها أربع مشيا . وثلاث هرول فيهن . وكان يقبل الحجر الاسود ، والركن اليمانى (١) فى كل مرة منها . وكان يقول بينهما (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) ولا يمس الركنين الآخرين اللذين فى الحجر . وبعد ذلك اتجه الى مقام ابراهيم عليه السلام . فصلى عنده ركعتين قرأ فيهما بعد الفاتحة . (قل يا أيها الكافرون . وقل هو الله أحد) .

وكان صلى الله عليه وسلم قبل صلاته هذه وعند ما بلغ مقام ابراهيم قرأ . (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) . وبعد انتهائه من صلاته . عاد فقبل الحجر الأسود كرة أخرى . بعد ذلك خرج الى الصفا فقرأ .

(ان الصفا والمروة من شعائر الله) أبدأ بما بدأ الله به . فطاف بين الصفا والمروة ، سبعا . راكبا على بعيره يهرول ثلاثا . ويمشى أربعا . وكان اذا ارتقى ربوة الصفا والمروة . ألقى نظرة الى الكعبة ويقول .

(لا اله الا الله وحده . أنجز وعده ونصر عبده . وهزم الأحزاب وحده) بعد ذلك نادى محمد صلى الله عليه وسلم فى الحجاج ألا يبقى على احرامه من لا هدى معه ينحره . فتردد بعضهم فقال عليه الصلاة والسلام (لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ،ما سقت الهدى حتى اشتريه . ولجعلتها عمرة . ولأحللت كما أحللتم . ولكنى سقت الهدى . فلا أحل حتى أنحر الهدى) .

وكان على رضى الله عنه قد قدم من غزوته فى اليمن . وقد أحرم للحج لما علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حج بالناس . واستنكر بعض الأمر على من رآه قد حل وخاصة زوجته . فذهب الى النبى فأمره بالطواف بالبيت والحل فأخبره على انه أهل كما أهل رسول الله ، وكان لا هدى مع على رضى الله عنه فأشركه النبى معه فى هديه ، فأدى مناسك الحج الاكبر .

الى منى

وفى الثامن من ذى الحجة يوم التروية توجه الى منى محرما ضحى

(١) اعتمد الكاتب على حديث رواه الدار قطنى عن ابن عباس ، وهو حديث ضعفه بعض المحدثين وقطع ابن قيم الجوزية فى زاد المعاد بأنه صلى الله عليه وسلم استلم الركن اليمانى ولم يقبله

يوم الخميس ، وتبعه أصحابه من كان محرما . والبقية أحرموا من الابطح بالحج ، وتبعوه الى منى ، فأقام فيها وصلى فروض يومه بها وقضى الليل حتى مطلع الفجر من يوم عرفة ، فصلى الفجر وركب ناقته القصواء متوجها الى عرفات ومن ورائه الناس وأمر بأن تضرب له قبة من شعر بنمرة .

فلما زالت الشمس أمر بناقته القصواء فرحلت ، ثم سار حتى أتى بطن الوادى من أرض عرفة . وهناك نادى فى الناس — وما يزال على ناقته — بصوت جهورى كان يردده من بعد (ربيعة بن أمية بن خلف) وهو يقف بين عبارة وأخرى ، قائلا بعد أن حمد الله وأثنى عليه .

خطبة الرسول الجامعة

أيها الناس اسمعوا قولى ، فانى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا .

أيها الناس ان دمائكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا . وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها ، وان كل ربا موضوع ، ولكن لكم روس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون قضى الله انه لا ربا ، وان ربا عباس ابن عبد المطلب موضوع كله . وان كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وان أول دمائكم أضع دم ابن (٢) ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب . .

أما بعد أيها الناس ، فان الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا . ولكنه ان يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم .

أيها الناس ان النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله .

وان الزمان استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ورجب مفرد (٣) الذى بين جمادى وشعبان .

أما بعد ، أيها الناس ، فان لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن الا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة . فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح . فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن ، بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا ، فانهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وانكم انما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله .

فاعقلوا أيها الناس قولى فانى قد بلغت . وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا أمرا بينا . كتاب الله وسنة رسوله .

أيها الناس ، اسمعوا قولى واعقلوه — تعلمن أن كل مسلم أخ

---

(١) نمرة . قرية بشرقى عرفات . والقبة خيمة من شعر صوف الابل .

(٢) عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب .

(٣) ورد فى بعض الكتب (مضر) . ابن كثير ٢٠٢/٥

للمسلم وأن المسلمين اخوة فلا يحل لأمرىء من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم. اللهم هل بلغت ؟)

وكان النبى يكلف ربيعة أن يسألهم فى بعض المواقف على الكلمات التى قالها الرسول فى سياق خطبته . حرصا منه صلى الله عليه وسلم على تبليغ ذلك الى أذهان الناس . ولما بلغ خاتمة كلامه وقال . اللهم هل بلغت ، أجاب الناس من كل صوب . نعم . فقال . اللهم اشهد .

وكانت خطبته هذه عليه الصلاة والسلام بمثابة تشريع للناس فى أمور دينهم ، وبيان ما تهدف اليه تعاليم الله سبحانه وتعالى ورسوله الذى نطق بهذا .

(وما ينطق عن الهوى . ان هو وحى يوحى) .

ولما أتم النبى خطبته نزل عن ناقته القصواء ، وأقام حتى صلى الظهر والعصر ، ثم ركبها (١) متجها الى المزدلفة ليلة السبت ، العاشرة من ذى الحجة ، وصلى بها المغرب والعشاء .

فى المزدلفة

وبات ليلته فى المزدلفة ، ثم قام الفجر ، وصلى بالناس يوم السبب (يوم العيد) — (يوم الحج الأكبر) . واذن للنساء والضعفاء الرمى بالليل . وبعد صلاته الفجر نزل بالمشعر الحرام . وقبل طلوع الشمس تهجز الى منى وقد أردف الفضل بن العباس ، فأتى جمرة العقبة فرماها بسبع حصيات وهو راكب على راحلته يكبر مع كل حصاة .

فى منى مرة أخرى

وخطب بمنى خطبة كرر فيها تحريم الدماء والأموال والاعراض وأكد فيها حرمة النحر وحرمة مكة على البلاد وأمر بالسمع والطاعة لمن نادى بكتاب الله عز وجل . وأمر الناس أن يأخذوا مناسكهم . فلعله لا يحج بعد عامه ، وعلمهم مناسكهم . ثم اتجه عليه الصلاة والسلام الى المنحر بمنى . فنحر ثلاثا وستين بدنة . ثم أمر عليا فنحر ما بقى منها ، وكان تمام المائة . ثم حلق رأسه . وضحى عن نسائه بالبقر . وأهدى عمن اعتمر منهن بقرة . وضحى فى ذلك اليوم بكبشين أملحين . وطيبته عائشة بطيب فيه مسك . بعد أن حل احرامه .

الى مكة مرة ثانية

نهض عليه الصلاة والسلام راكبا الى مكة فى يوم السبت وطاف طواف الافاضة . قبل الظهر وشرب من ماء زمزم ، وقد اختلف بعض الرواة فيما رووه من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بمكة أو بمنى.

((البقية ص ٨٧))

(١) فى هذه الاثناء نزل عليه الوحى فتلاه ، فاذا هى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)

فلما سمعها أبو بكر ، بكى . فقد أحس أن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد تمت رسالته ، قد دنا يومه الذى يلقى فيه ربه .

السلطان القائد

صلاح الدين

هل مثل قلب صلاح الدين يرعانا ... وهل يشاد لنا مجد كما كانا
فقد ضمخ الارض من ذكر له عبق ... وأترع النفس من ذكراه تحنانا
روض من الطيب ما ينفك طيبه ... طود من المجد ما ينفك نشوانا
حدث عن الدين والأخلاق فى بطل ... تجده للحق والاحسان عنوانا
تجده للوحدة العصماء ذا دأب ... قد لف آمالنا الكبرى فأحيانا
وسار يقدمنا صدقا وتضحية ... وصال يكسبنا نصرا وأوطانا
كأن ايمانه قد هزّ تربتنا ... فأنبتت عزة تسمو وفرسانا
وهز تلك السيوف البيض هزتها ... فرحت تبصرها موجا ونيرانا
ورحت تلقى الأعادى وهى صاغرة ... ماذا غذا السيف حتى صار فرقانا
لقد حباه صلاح الدين عزته ... فعاف عيشا يريه الذل ثعبانا
وأبصر الجنة العلياء دانية ... تحت السيوف ، فهب السيف تحنانا
وعلم الغرب أن العرب ما خنعوا ... وأن للسيف يوم الفصل سلطانا
سل الكتائب والاسلام عن بطل ... صان الديار فذاق الغرب خسرانا
وأيقن الكفر أن الحق قلعتنا ... والدار مدفن من قد جاء عدوانا

* * *

يا قائدا بطلا لم يغر همته ... ملك اذا جل أو نصر اذا حانا
يظل يشحذها الايمان متقدا ... حتى ترى واقعا ما كان حسبانا
تركت (حطين) تروى الدهر قصتها ... بين البطولة والافرنج أعوانا
وترفع الرأس بالنصر الذى ضربت ... جنوده كل علج جاء يلقانا
ورحت تنقذ قدسا من مذلتها ... والشرك مستبسل يرميك ظمآنا
حتى فتحت فطهرت البلاد بما ... رأته بأسا وايمانا وعرفانا
فصنت دينا وصنت الضاد قاطبة ... وصنت حقا وأخلاقا وأوطانا
وصنت مولد عيسى ، عن مراوغة ... وعن ظلام وافك تاه طغيانا

* * *

ومات بعد صلاح الدين فاضطربت ... قلوب قوم وهز الموت أركانا
وانهلت الدمعة الحرى على بطل ... ما لان للخطب فى يوم ولا هانا
وشيع القائد السلطان لا نشب ... ولا غرور ، ووارى الدين(١) سلطانا

(١) لم يخلف السلطان صلاح الدين بن يوسف بن أيوب الا دينارا وواحدا وأربعين درهما . وشيعت بالدين جنازة قاهر الصليبيين .

الأيّوبيّ

للأستاذ : احمد مظهر العظمة
دمشق

وأصبح القبر مهوى الزائرين على   مر السنين ومهوى الناس ألوانا
مقدرين الذى كانت بطولته   تسمو عن الفتك أخلاقا وايمانا

* * *

هدهدت قلبى وقد جاشت غواربه   ولم أجد لهموم القلب سلوانا
كانت تذل لنا الدنيا وقادتها   وأصبح الذل بعد العز يغشانا
بالأمس ضاعت بلاد ذلّ قادتها   وشردوا وتنادوا يا لقحطانا
لم يجدهم جارهم ، كلا ولا رجعت   بيد لهم حجرا يبكى وأغصانا
تلكم فلسطين لا أهل ولا وطن   فى شطر صهيون حيث المكر أعيانا
ويوم حطين لم يخذل فوارسنا   والغرب مقتحم شيبا وشبانا
والقائد البطل المقدام يقدمنا   وهو الصلاح اذا لاقيت عدوانا
ووحدة الصف دين خلف قائدها   يريك برهانا سرا واعلانا
على الهدى والتقى والصدق سيرته   لا يشترى برضاء الله أوثانا
تاج من النصر لا كبر ولا سفه   كذلك الملك اما كنت سلطانا
والرأس ان لم يكن رأسا لصاحبه   ألقى (الأوامر) قربانا وبهتانا
والسيف ان لم يكن فى كف صاحبه   بأسا ونفسا أراه الوهم فرسانا
واليوم لم نكترث بالشر يدهمنا   ولم نبال باسرائيل تغشانا
واللهو مستحوذ والشر مستعر   كأننا لم نكن فى الحرب بركانا
ومنذ عامين أصلتنا اليهود أذى   لم نستطع ردها والخطب وافانا
جاست خلال ديار أرضها حرم   والقدس مسرى رسول الله ، عدوانا
وكانت النكسة الكبرى على عرب   لم يعرفوا ما أعد البغى تلقانا
وكان أن ضاقت الدنيا بأعيننا   وفاجع الرزء أعيانا فأعمانا
والآن نأمل أن نحظى بموطننا   حرا أبيا شجاعا مثلما كانا
وكل رأس صلاح الدين ، غايته   طرد العدا وبناء المجد مزدانا
يا قوم هلا أطعنا من يذكرنا   ونحن فى التيه ، اخوانا وجيرانا
أم المنابر لم تبلغ دعاوتها   هذى القلوب ؟ ولا الآلام آذانا
أنؤثر التيه ، لا درب ، ولا أمل   ولا وميض ، ونبقى الدهر عميانا
أم نؤثر الأمل المنشود تبصرة   فنستعيد منار الحق قرآنا

صيحة فدائي

للأستاذ : أحمد محمد الصديق

لك يا شمس من دمائى وشاح ... ومن الجرح قد يهل الصباح
صيحة الحرب والفداء نشيدى ... ألفته منى الربا والبطاح
لعلعات الرصاص ترنيمة الثأر ... المدوى تناقلتها الرياح
وروتها الانباء حتى استحالت ... كالأساطير ، وهى حق صراح
صحوة المارد الذى نام دهرا ... بعثت .. فهى ثورة وجماح
غضب الفارس المجنح يحتد ... فدنياه أدرع ورماح
والعدو اللئيم ينفث كالأفـ ... ـعى .. ويعوى .. وما يفيد النباح
يا تراثنا الحبيب هجت شجونى ... ودعانى أريجك الفواح
موئل الطهر والقداسة ماذا ؟! ... أين فيك التقى وأين الصلاح ؟
كيف تشكو فيك المساجد هجرا ؟ ... كيف تكسو سماءك الأتراح ؟
الجراحات تستغيث وتشدو ... ملء سمع الوجود : قم يا صلاح
تسأل القدس عن لوائك والأعـ ... ـداء كثر .. بكل شىء أطاحوا
هل نرى سيفك المضىء وقد أفضـ ... ـى الينا شعاعه اللماح
طهر الأرض يا ابن أيوب فالأرجـ ... ـاس فيض .. والكفر . .كفر بواح
أبدا لم تلذ للغاصب الملعـ ... ـون كأس ولن تعتق راح
كل غرس لنا جناه وان طا ... ل انتظار أو عربد السفاح
تلك أخبارنا .. فمن شاء فليعـ ... ـلم .. نفوس تهوى العلا وطماح
البطولات بعض آياتها الكبـ ... ـرى وفيها نحو الخلود وانفتاح
من أراد الحياة حرا كريما ... فعلى دربها الهدى والفلاح
لو ترانا ونحن عصبة حق ... نتحدى .. وليلنا أشباح
والظلام الرهيب ينبع هولا ... ماحقا .. حيثما اتجهت متاح
كل شىء من حولنا يرهف السـ ... ـمع .. والصمت موجة تنداح
تزرع الموت والدمار .. نبث ... الرعب بثا ... وما علينا جناح

مهداة الى أبطال الفداء الميامين ، الذين يحملون أرواحهم
على راحاتهم ، ويلقون بها في مهاوي الردى

مدفعي في يدي يعانق روحي ... وسلاح الايمان .. نعم السلاح

نحو أرضي وجهت ركبي وأشوا ... قي شراع .. وخافقي الملاح

هينمات النسيم تخفق في السـ ... ـفح .. ومن دونه الحقول الفساح

وغصون الزيتون تحنو علينا ... كأن في حضنها لنا مستراح

ونراها بعد الفراق وقد غا ... مت رؤاها .. وأطفىء المصباح

وتولت عنها العصافير حتى ... لا غناء .. لا ضحكة .. لا صداح

أهلها .. أهلها الكرام قطيع ... في فلاة يغدى به ويراح

مزق في الخيام تعدو عليها ... كل ريح .. وللثكالى نواح

واليتامى وراء كل شهيد ... ورثو هديه .. فلبوا .. وصاحوا

هم على دربه يد تصنع الفجـ ... ـر .. وروح في القيد لا ترتاح

وعلى كل خيمة خطت المأ ... ساة سطراً .. في نصه الايضاح

ها هنا الظلم كالح الوجه كالكا ... بوس تشقى من تحته الأرواح ...

فهي بين الخيام تغلي .. وللبر ... كان عصف .. وللهيب اكتساح

ورويداً .. فالنصر بات وشيكاً ... في يدينا لشمسه المفتاح

ليت شعري .. هل نحن كالقدر المحتوم بتنا .. وكالردى نجتاح ؟

في انتفاض .. تصميمة أذهل الأعـ ... ـداء طراً .. وحار فيه الكفاح

كل شبر لنا كمين .. وزحف ... وانتفاض ... وغارة ملحاح

ليس فينا الا أخو الحرب أن دا ... رت رحاها واشتد فيها النطاح

لا سلام .. وشعبنا نهب عدوا ... ن لئيم .. وحقنا مستباح

كل حل لا تفصل النار فيه ... ليس حلا .. ولتشهدي يا ساح

لا نبالي .. وان تلاطم بحر ... من دمائنا .. وهيض منا الجناح

لا نبالي .. ضريبة النصر حتم ... ومع البذل والثبات النجاح

فاعزفي يا بنادق الثار حتى ... يتجلى في أرضنا الاصباح

من أعلام الأندلس :

أبو الحجّاج يوسف الأوّل ابن الأحمر

سلطان غرناطة

٧٣٣-٧٥٥ هـ / ١٣٣٣-١٣٥٤م

نسبه وولادته :

هو سابع ملوك بنى الاحمر « يوسف بن اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجى الانصارى» وهو بهذا يتصل نسبه بأمير الخزرج (سعد بن عبادة) من سادة الانصار بالمدينة .

يكنى السلطان بـ « أبى الحجاج » كما يعرف بـ « أمير المسلمين » وهو اللقب الملكى الذى غلب على سلاطين بنى نصر ، منـــذ اعتلى عرش غرناطة مؤسس دولتهم محمد الاول ابن الاحمر (٦٣٥ — ٦٧١ هـ / ١٢٣٨ — ١٢٧٢ م) ، كما عرف بـ (الغالب بالله) .

ولد أبو الحجاج بحمراء غرناطة فى الثامن والعشرين من ربيع الثانى عام ٧١٨ هجرية ٢٨ يونيو ١٣١٨ م ، أمه تدعى « بهارا النصرانية » حظية والده السلطان أبى الوليد اسماعيل ، كان قد استولدها ، فأنجبت « يوسف » هذا ، أما اخوته محمد ، وفرج ، وفاطمة ، ومريم فمن الحظية « علوة » ، وأما اسماعيل فمن الحظية « قمر » .

صفاته :

يجمل لنا صفات أبى الحجاج معاصره ووزيره لسان الدين ابن الخطيب ،

« كان ملكا فنانا شاعرا »

(أنشأ جامعة غرناطة ، لتستعيد ماضى لدتها جامعة قرطبة)

(ودانت له الحمراء بأفخم وأبهى منشئاتها)

للدكتور : محمد كمال شبانة

مدرس التاريخ الاسلامى
بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

فيذكر أنه : « كان أبيض أزهر ، أيدا ، مليح القد ، جميل الصفات ، براق الثنايا ، أنجل ، رجل الشعر أسوده ، كث اللحية ، وسيما ، عذب الكلام ، عظيم الحلاوة ، يفضل الناس يحسن المرأى وجمال الهيئة ، كما يفضلهم مقاما ورتبة ، وافر العقل ، كثير الهيبة ، الى ثقوب الذهن ، وبعد الغور ، والتفطن للمعاريض والتبريز فى كثير من الصنائع العملية ، مائلا الى الهدنة ، مزجيا للأمور ، كلفا بالمبانى والاثواب ، جماعة للحلى والذخيرة مستميلا لمعاصريه من الملوك (١) .

كفـــالته :

ولد أبو الحجاج بعد ولاية أبيه الحكم بنحو خمس سنوات ، وتوفى والده فى رجب ٧٢٥ هـ ـ يونية ١٣٥٢ م ، ولم يكن الابن قد تجاوز بعد سبع سنوات ، فكفلته جدته أم أبيه السيدة الحرة الجليلة « فاطمة بنت أمير المسلمين أبى عبد الله الغالب بالله محمد الثالث » ، وكانت تتوفر على مزيد من الخبرة لطول تجاربها فى القصر النصرى ، فهى « واسطة العقد ، وفخر الحرم ، البعيدة الشأو فى العز والحرمة وصلة الرحم ، وذكر التراث ، واتصلت حياتها ملتمسة الرأى ، برنامجا للفوائد ، تاريخا للأنساب(٢) ، فاستقى حفيدها أبو الحجاج لبان خبرتها ، وتزود بالجم من حكمتها ، لا سيما وأنها بقيت الى جانبه فترة ليست بالقصيرة ، فقد عاصرته طفلا يحبو ، ثم فتى يافعا ، ثم سلطانا كبيرا ، حتى توفيت فى عنفوان شبابه عام ٧٤٩ هـ ـ ١٣٤٨ م ، مواصلا برها ، ملتمسا دعاءها ، مستفيدا بتجربتها وتاريخها ، مباشرا مواراتها بمقبرة الجنان ، داخل الحمراء ، سحر يوم الاحد السابع لذى الحجة ٧٤٩ هـ (٣) وكان عمرها يومئذ قد نيف على التسعين عاما .

---

(١) راجع مقدمة مخطوطة القاضى النباهى « نزهة البصائر » الاسكوريال ١٦٥٢ ، وكذا مخطوطة ابن الخطيب « كناسة الدكان » الاسكوريال ١٧١٢ .

(٢) الاحاطة ج ١ ص ٢٢١ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٢٢ .

تربيته وثقافته :

كان السلطان أبو الوليد اسماعيل والد أبى الحجاج قد وكل تربية أبنائه الى نخبة ممتازة من رجال العلم والرأى والادارة ، أشرفوا على هؤلاء الامراء فى حل وترحال ، تثقيفا وتدريبا ، كما تعهدوهم صقلا للمواهب وتنمية للملكات ، وكان أن برز لنا أبو الحجاج من بين اخوته الملك الفنان الشاعر ، والسياسى الهادىء الوقور ، وانعكست توجيهات مؤدبيه على ميوله العلمية على ما خلعه على العمارة الاندلسية من نفسيته الشاعرة من جانب آخر ، وماأضفاه على آثار أسلافه ، من ذوق فنى له روعته وسحره وجماله ، كذلك حبــه للعلم وتقريبه العلماء ، وكلفه بالآداب والفنون ، الذى تجلى فيما قام به من منشآت ثقافية ، ورعاية للقائمين بالامر فى هذا الميدان .

وهكذا تأثر أبو الحجاج بخلاصة من المربين العلماء ، والمحنكين من رجالات السياسة ، أمثال الحاجب أبى النعيم رضوان ، والشيخ الرئيس أبى الحسن على بن الجباب ، والمؤرخ لسان الدين ابن الخطيب وغيرهم ممن حفل بهم بلاط والده ثم بلاط شقيقه السلطان محمد الرابع .

اعتلاؤه عرش غرناطة :

تقلد شئون المملكة فى يوم الاربعاء ١٣ ذى الحجة ٧٣٣ هـ (الموافق ٢٥ أغسطس ١٣٣٣ م) ولم تكن سنه قد تجاوزت ١٦ عاما .

انعكاسات ثقافة السلطان :

كان لبيئة السلطان أثر الاعداد والتوجيه ، ثم الاضطلاع بمهام المنصب الخطير ، وقد كان والده اسماعيل ذا شخصية دينية محافظة ، حريصا على اقامة الحدود وفق الشريعة الاسلامية ، ففى عهده خصوصا حرمت المسكرات ، وضيق الخناق على الفساد الاخلاقى ، وحرم جلوس الفتيات فى ولائم الرجال(١) ، وقد كان جديرا بالوالد أن يحرص على تنشئة أولاده كذلك ، حرصا على مستوى سلالة بيت الملك ، وحفاظا عليهم من مؤثرات تتنافى وشرف التقاليد الملوكية .

وفى ضوء ما أسلفناه نستطيع أن نتحدث عن ثقافة أبى الحجاج العامة ، فنقول : انه كان شخصية فنانة ، تتمتع بروح شاعرية عمل ما استطاع فى سبيل حماية العلوم والآداب والفنون ، وربما أجمل ابن الخطيب بعض هذه الخلال فى قوله :

«كان أبو الحجاج من جلة الملوك فضلا وعقلا واعتدالا»(٢) ، وقد تجلى هذا الاتجاه الثقافى عند السلطان فى جوانب هامة من حياته ، نذكر منها :

---

(١) الاحاطة ج ١ ص ٣٩٥ ــ ٤٠١ ، واللمحة البدرية ص ٧١ ــ ٧٤ .

(٢) أعمال الاعلام ص ٣٠٤ .

١ ـ الجانب الفنى :

ويتمثل فيما قام بتشييده فى مجال المعمار الهندسى ، وخاصة ما أضفاه على أجنحة الحمراء ، وما أضافه الى هذا القصر ، مثل باب الشريعة ، وبهو السفراء ، والحمامات السلطانية ، مما لا يزال ـ حتى يومنا هذا ـ شـــاهد صدق على الروح السامية ، المنطلقة فى آفاق الجمال .. لـــا انفرد به هذا القصر الخالد من زخارف خطية ونقوش ذات هندسة ابداعية ، فى سحر أخاذ وجمال فتان ..

٢ ـ الجانب العلمى :

ويتضح من هذا تشجيع أبى الحجاج للحركة العلمية وتشييده المدارس الثقافية بالمملكة ، وفى مقدمتها جامعة غرناطة أو « المدرسة اليوسفية » ، وذلك على يد حاجبه أبى النعيم رضوان النصرى ، ثم ما كان من رصد الاوقاف المغلة عليها ، رغبة منه فى اعلاء شأنها ، ومساعدة قصادها من العلماء والطلاب على أن يردوا منهل العلم فى يسر ورخاء ، حتى كانت جامعة غرناطة تحاول استعادة مكانة جامعة قرطبة .

كذلك رأينا هذا الملك الاديب يفسح المجال فى بلاطه لجهابذة العلم والادب ويأخذ بيدهم الى منصب رئاسة الديوان أو الوزارة ، مقربا اياهم فى مجلسه ، باذلا الخلع والمنح ـ على المجودين منهم ـ فى شتى المناسبات ، حتى لهجت السنتهم بذكره ، وتناولته اقلامهم بالحمد والثناء (١) .

وبالجملة ، فقد بلغت الحركة الفكرية والادبية ذروة ازدهارها فى مملكة غرناطة على عصر السلطان أبى الحجاج يوسف الاول .

لقد برز من أقطاب الكتابة والشعر فى هذه الفترة عدد جم ، أمثال ابن الخطيب وابن الجباب ، وابن زرك ، وابن الحكيم الرندى ، وابن خاتمة الانصارى ومن اليهم ..

واذا كانت الحركة الفكرية الادبية بالاندلس خلال المائتين والخمسين عاما التى عاشتها مملكة غرناطة قد مرت بأطوار ثلاثة : طور التكوين ، وطور النضج وطور الانحلال ، فان عصر السلطان أبى الحجاج يمثل الطور الثانى ، أشرق ابان عصر شقيقه من قبله السلطان محمد الرابع ، وبقى متلألئا الى عصر ابنه ـ من بعده ـ السلطان الغنى بالله محمد الخامس .

٣ ـ الجانب الأدبى :

يعتبر يوسف الاول رائد هذه النهضة الادبية التى سادت الاندلس يومئذ ، فقد رعى روادها من الادباء والشعراء والكتاب ، كما كانت روحه الشاعرية تفيض بين حين وحين ، بما يوحيه الخاطر ، استجابة لموقف يستدعى القول ، أو تلبية لذات نفسه والهامها ..

بيد أنه للأسف لم ينته الينا حتى اليوم شىء من شعر هذا السلطان ، بالرغم مما عرف به فى هذا الميدان ، فقد تحدث عن أبى الحجاج كل من وزيره ابن الخطيب فى بعض مؤلفاته الادبية ، ثم المؤرخ ابن حجر العسقلانى ، فى كتابه

---

(١) اللمحة البدرية ص ١٠٠ .

« الدرر الكامنة ، فى أعيان المائة الثامنة » ، وأفاض كلا الكاتبين فى التنويه بأبى الحجاج كشاعر برز فى النصف الاول من القرن الثامن الهجرى .
هذا ، ونضيف أن القاضى شهاب الدين ابن فضل الاندلسى قد قال عن أبى الحجاج : « ان له يدا فى الموشحات » (١) ذلك اللون الشعرى الخاص ، الذى لم يقتصر انتشاره بين المحترفين من أهل الاندلس فحسب ، بل تعداه الى ملوكهم وأمرائهم فتعاطوه أيضا ، حتى طبقت للأندلس فى هذا شهرة فاقت شــهرة المشارقة .

علاقات ابى الحجاج بكل من الاسبان والمغاربة :

لم تكن علاقة غرناطة بالممالك النصرانية الاسبانية تتسم بالصفاء عموما ، تبعا لمخطط النصارى فى حروب الاسترداد le Recanguista المعروفة ، وكان على مملكة قشتالة يومئذ « الفونسو الحادى عشر » الذى عول على الاجهاز على آخر معاقل المسلمين ، أملا منه ان تسقط غرناطة نفسها على يديه ، فيتوج تلك الحروب التى بدأها أسلافه مع العرب الفاتحين ، وعرف يوسف الاول نوايا معاصره القشتالى ، فاستنجد ــ كسابقيه من أمراء الاندلس ــ بالمغرب ، الذى كان يحكمه وقتئذ السلطان أبو الحسن على المرينى (٦٩٧ ــ ٧٥٢ هـ) فأيده بجيش عظيم ، عقد عليه لولده الامير أبى ملك ، وكاد يبلغ الامير ذروة انتصاراته فى أراضى النصارى ، لولا أن هؤلاء قد أعدوا كمينا للأمير ، وفاجأوه ، فقضوا عليه ، وعلى كثير من حراسه ، وعادت بقايا الجيش الى مواقعها الاندلسية ، ولكن ما كاد يبلغ السلطان أبو الحسن مأساة ولده حتى بادر بارسال جيش أعظم وأقوى ، وقيض له الظفر على الجيوش الاسبانية ، ولكن لم تكن المعركة هذه حدا فاصلا بين الفريقين ، اذ ما لبث الاسبان أن خاضوا ضد المغاربة والاندلسيين بعدئذ المعركة العظمى (وقعة طريف) ٧ جمادى الآخرة ٧٤١ هـ (٣٠ أكتوبر عام ١٣٤٠ م) تلك التى يؤرخ بها الاسبان لانتصاراتهم فى حروب الاسترداد ، فقد أحرزوا فيها انتصارا ساحقا ، بفضل خدعة حربية محكمة سقطت على اثرها كل من طريف ثم الجزيرة الخضراء وقلعة بنى سعيد ، واستولى الاسبان عقب المعركة على علم المقاتلين المغاربة ، وما زال حتى اليوم فى كنيســة طليطلة العظمى ، ونجا السلطان أبو الحسن بأعجوبة ، ولحق أبو الحجاج بغرناطة على رأس فلول الجيش الاندلسى .
وبذلك انكسرت شوكة بنى مرين تجاه الاسبان اثر هذه المعركة ، ولم يتسن للمغرب بعدها أن يعود الى الحرب فى أرض الجهاد مرة أخرى ، كما أن سلطان غرناطة ــ من جهته ــ آثر بعدئذ مهادنة جيرانه النصارى ، فلم تقع بينه وبينهم وقائع حربية تذكر ، وذلك حتى نهاية حكمه ووفاته .

اصــلاحاته :

يشيد المؤرخون المعاصرون بعصر أبى الحجاج ، فقد ابتنى المصانع فى كثير من مدن الاندلس ، كان بعضها قائما للصناعات المحلية ، والبعض للاحتياجات

(١) القلقشندى ، صبح الاعشى ج ٥ ص ١٦٠ .

الحربية . ففى المدينة (المرية) ذات المرفأ الحربى الهام كانت تقوم « دار الصناعة» هذا الى جانب صناعة الحرير التى اشتهرت بها المدينة ، بالاضافة الى صناعة الحديد والنحاس والزجاج ، لما عرفت به أحوازها من وفرة المعادن والخامات .
كذلك اشتهرت مدينة مالقة بصناعة الفخار المذهب العجيب ، والثياب الموشاة بالخيوط الذهبية ، وتصدر من هذا كله كميات وافرة الى الخارج ، حسبما يروى ابن بطوطة ذلك فى رحلته ، حيث زار الاندلس على عصر هذا السلطان .
هذا ، وقد قام يوسف الاول بانشاء بعض القلاع والحصون ، واخصها ، « حصن الببول » قرب مدينة بسطة ، كما جدد ما كان قائما منها ، كحصن جبل فارة بمالقة المنحدر من أعلى الجبل على البحر المتوسط ، واليه يرجع الفضل فى تشييده السور الاعظم حول ربض البيازين ، الذى ما تزال بقية منه قائمة حتى اليوم خارج غرناطة ، ولا سيما فى الجهة الشمالية الغربية ، تحصينا للعاصمة وسدا دفاعيا عنها .
وينوه ابن الخطيب مؤرخ العصر بتلك المنشئات الحربية فيقول : « .. وبنى — يقصد أبا الحجاج — من الابراج المنيعة فى مثالم الثغور وروابى مطالعها المنذرة ، ما ينيف على أربعين برجا ، فهى ماثلة كالنجوم ، ما بين البحر الشرقى — الابيض المتوسط — من ثغر البيرة الى الاحواز الغربية » (١) .
أما الزراعة والتجارة فى عصر يوسف فقد بلغت شأوا عظيما ، وكانت لغرناطة علاقات تجارية بكثير من الدول ، وفى كتاب ابن الخطيب (معيار الاختيار فى وصف المعاهد والديار) اشادة بالرخاء الذى عم الاندلس على عهد هذا الملك خاصة .

ماساته :

قتل السلطان أبو الحجاج يوم العيد فى مسجد الحمراء بيد مخبول مجهول القدر والصفة ، عاجله بطعنة نافذة ، بعد أن هجم عليه وهو ساجد ، أثناء أدائه سنة عيد الفطر من عام ٧٥٥ هـ — ١٩ أكتوبر ١٣٥٤ م ولم يتجاوز عمره السابعة والثلاثين الا بأشهر قلائل ، رحمه الله .

أولاده :

كان له من الابناء محمد وعائشة من حظيته بثينة ، واسماعيل وقيس وفاطمة ومؤمنة وخديجة وشمس وزينب من حظيته مريم ، وأكبر الذكور محمد ، يليه اسماعيل وأصغرهم قيس .
وقد تولى الملك من الابناء — فور مصرع أبى الحجاج — كبيرهم محمد الخامس المكنى بأبى عبد الله ، والمعروف بالغنى بالله ، وذلك حتى عام ٧٦٠ هـ ١٣٥٩ م ثم ثار عليه أخوه اسماعيل الثانى ، الذى نودى به ملكا حتى عام ٧٦٢ هـ ١٣٦١ م حيث استرد محمد الخامس ملكه من جديد ، وبقى متربعا على العرش حتى توفى عام ٩٧٣ هـ — ١٣٩٢ م .
أما قيس — أصغر أولاد أبى الحجاج — فقد مات مقتولا .

(١) الاحاطة ج ١ ص ٥١٧ (عنان) .

الصهيونية العالمية

ومأساة فلسطين

العربية

للأستاذ : وفيق القصار . بيروت

مأساة فلسطين العربية كارثة انسانية مروعة دامية قل ان شهد التاريخ البشرى مثيلا لها فى عصوره المظلمة فكيف بها فى هذا العصر الذى يتباهى به قادته وساسته وزعماؤه ومفكروه بانه عصر المدنية والحضارة المتميز بانتصار الحق على الباطل ، والحرية على الظلم ، والعلم على الجهل ، والرخاء على البؤس ، والاخاء على العداء ، والسلام والامان على الحرب والعدوان ، عصر الشرائع الانسانية والعدالة الاجتماعية .

وليست فلسطين العربية المناضلة الا ضحية من ضحايا الصهيونية العالمية ومؤامراتها الرامية الى السيطرة المالية والسياسية وتواطئها مع الدول الاستعمارية ذات المطامع والمصالح الاقتصادية والاستراتيجية فى البلدان العربية الواقعة فى منطقة الشرق الاوسط بالنظر الى مواقعها الجغرافية ومواردها الطبيعية الغنية ، واخصها النفط الذى هو العصب الحساس للصناعات المنتشرة فى البلدان الغربية . فكان من الطبيعى ان تتحد الصهيونية العالمية ودول الاستعمار الغربية فى تآمرها على البلاد العربية لبلوغ أهدافها المشتركة عن طريق انشاء دولة يهودية فى فلسطين العربيه تكون بمثابة حرية

مسمومة مصوبة الى قلب الامة العربيــة فى منطقة الشرق الاوسط للســيطرة عليها فى سبيل استغلال خيراتها والاحتفاظ بمراكز اســتراتيجية فيها ، وكان من نتائج ذلك التآمر الصهيونى الاستعمارى البغيض اغتصاب ارض فلسطين العربية وتشريد سكانها العرب ، أصحاب الحق فيها منذ مئات السنين واقتلاعهم من وطنهم الغالى الذى هو جزء لا يتجزأ من العالم العربى .

وحرى بنا ان نستعرض فى هذا البحث الموجز أصل المشكلة الفلسطينية والبواعث التى نشأت عنها والمراحل التى مرت بها والنكبــات التى تخللتهــا والعواقب التى اسفرت عنها ، وما ينبغى للعرب خاصة وللمسلمين عامة التجند له ، والعمل عليه للخروج بالمشكلة الفلسطينية من المأزق الخطير الذى وصلت اليه .

المرحلة الأولى
نشاة الحركة الصهيونية وفكرة الوطن القومى اليهودى

الصهيونية حركة بدأت فى القرن الثامن عشر اثر انتشار مذهب القوميات الذى اجتاح أوروبا فى ذاك الحين ، وهو مذهب يرتكز على حق الجماعــات ذات الاصل الواحد أو المرتبطة برباط اللغة والعادات والثقافة الواحــدة ان تؤلف أمة مستقلة عن غيرها وان تحكم نفسها بنفسها وتتحرر من سيطرة الامم التابعة لها .

ولقد تأثر بهذا المذهب قسم من اليهود اخذ يدعو الى القومية اليهوديــة المستمدة لا من الاصل التاريخي وانما من الديانة اليهودية التى تقوم على العنصرية وتجعل من اليهود أمة يهودية تتمتع بحقوق القومية الطبيعية ومنها الحق فى اقامة دولة يهودية .

وقد بدأت الدعوة الى هذه الفكرة فى القرن التاسع عشر من قبل جماعة من اليهود القاطنين احدى مقاطعات روسيا من ســلالة احدى قبائل الاورال « الكزار » KASARS الذين اعتنقوا الديانة اليهودية فى القرن العاشر للميلاد وانتشروا فى المناطق الأوروبية وعرفوا باسم « اسكنازيم » Eshkinazim وهم من الجماعات اليهودية التى لا تمت بأية صلة الى يهود الشرق الاوسط الذين هم من العرق السامى المعروفين باسم « سيفراديم » Sepharadim

ففى عام ١٨٨٤ عقد جماعة من يهود الاسكنازيم مؤتمرا لهم فى مدينــة بنسك بروسيا اتخذوا شعارا له « اصدقاء صهيون » اســتهدف الدعوة الى اقامة وطن قومى لهم فى فلسطين التى يعتبرها اليهود أرض الميعاد . وتحقيقا لهذا الغرض بدأت الحركة الصهيونية عملها ، وكان من ابرز زعماء هذه الحركة وقادتها تيودور هرتزل الذى بشر باقامة دولة يهودية تجمع شتات اليهود من انحاء العالم ، وتؤلف دولة مستقلة قوامها العنصرية الدينية اليهودية . وقد تجند هرتزل لهذه الفكرة وعمل على نشرها فى مؤلفاته وحث على تنفيذها فى المؤتمرات الصهيونية واشهرها فى عهده المؤتمر الصهيونى الذى انعقد فى مدينــة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ ، وتبنى فيها المؤتمر فكرة اقامة الدولة اليهودية .

وفى ذلك المؤتمر التاريخى للصهيونية طرح هرتزل الاقتراح الذى عرضته بريطانيا على اليهود بان تقتطعهــم جزءا من أرض أوغندا التى كانت فى ذاك العهد احدى مستعمراتها فى القارة الافريقية ، وكان هرتزل من محبذى هذا

الاقتراح ، غير ان ويزمان أحد زعماء الصهيونية البارزين عارضه بشدة ودعا الى التمسك بالوطن القومى فى فلسطين أرض الاجداد ، والى تحين الفرص السانحة لتحقيق هذا الحلم الذى يبدو للناقدين وقتئذ انه بعيد المنال .

ولقد بذل الزعيم الصهيونى مؤسس الصهيونية هرتزل وغيره من زعمائها البارزين المحاولات المتعددة والمساعى الحثيثة لدى السلطنة العثمانية التى كانت فلسطين وسائر الاقطار العربية جزءا من مملكتها وخاضعة لسيادتها ، لاقتطاعهم رقعة من الاراضى الفلسطينية لاقامة وطن قومى يهودى فيها ، وتوسلوا لبلوغ هذا الهدف بجميع وسائل الاغراء بالمال وطرق التأثير بالوساطات الدبلوماسية ومنها وساطة قيصر المانيا لدى زيارته للسلطنة العثمانية والديار المقدسة فى فلسطين ، ورغم الظروف المالية العصيبة التى كانت السلطنة العثمانية فى ذاك الحين تعانى منها ، فقد أبت حكومة الباب العالى الاستسلام لهذه المساومة ، ورفضت عروض الاغراء والوساطات السياسية ، وقضت على محاولات الصهاينة بالفشل .

ولكن الصهاينة اليهود استطاعوا الحصول من الحكومة العثمانية على الترخيص بانشاء مستعمرات زراعية يهودية فى الاراضى الفلسطينية . وهكذا بدأ التسلل الصهيونى الى فلسطين بمساعدة المنظمات اليهودية المالية والزراعية، واخصها المصرف اليهودى للمستعمرات «١٨٩٨» ، ولجنة الاستعمار «١٨٩٨» والصندوق القومى « ١٩٠١ » ، ومكتب فلسطين « ١٩٠٨ » وشركة تطوير اراضى فلسطين « ١٩٠٨ » واخذت المستعمرات اليهودية تمتد وتزدهر بتوسيع أراضيها وتحسين أوضاعها والتغلغل فى الاوساط العربية ممهدة السبيل الى ترسيخ اقدامها واحكام الطوق لمشروع الوطن القومى اليهودى .

وبينما كانت الاقطار العربية ترزح تحت الحكم العثمانى متخلفة ومفككة الاوصال ، كانت الحركة الصهيونية ناشطة فى البلدان الاوروبية حائزة لمراكز مالية وسياسية تستطيع بواسطتها الضغط والتأثير على حكومات تلك البلدان لتحقيق غايتها بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين .

ولقد كانت الحرب العالمية الاولى التى نشبت عام ١٩١٤ وخاضت السلطنة العثمانية غمارها الى جانب الامبراطوريتين الالمانية والنمساوية المجرية والملكة البلغارية ، من بواعث الامل فى نفوس زعماء اليهود لبلوغ الهدف الذى كانوا يعملون جاهدين فى سبيله ، وذلك بفتح الطريق امامهم الى فلسطين بواسطة انتصار الحلفاء على اعدائهم واقتسامهم لاراضى السلطنة العثمانية التى كانت الدول الغربية تلقبها « بالرجل المريض » المتوقع موته بين الحين والآخر وافتتاح تركته المشتملة على الاقطار العربية ومن جملتها فلسطين .

وكانت الاقطار العربية فى ظل الحكم العثمانى مهضومة الحقوق وكان سكانها العرب يئنون من وطأة ذلك الحكم ويسعون بدورهم الى الحرية والاستقلال وهم احفاد الامة العربية المجيدة التى بسطت سيطرتها ونفوذها من المشرق الى المغرب ونشرت لواء الحضارة فى جميع الاصقاع التى فتحتها وتميز حكمها فيها

بالعدل والتسامح وحسن المعاملة لجميع رعاياها على السـواء ، باعتراف المنصفين من مفكرى الغرب من ان التاريخ ما عرف فاتحا اعدل من العرب .

وكانت رياح القومية العربية قد بدأت تهب وتفعل فعلها وتبعث فى نفوس العـرب النزعة الى الاسـتقلال والتخلص من الحـكم العثمـانى ، وكان من أثر تلك اليقظـة بعد السـبات العميق وتأثير الوعـود التى اغدقها الحلفاء على بعض زعماء العرب بالمسـاعدة على الانفصـال والاستقلال ، ان انحاز العرب الى جانب بريطانيا وحلفائها وثاروا على الحكومة العثمانية أملا فى تحقيق أمانيهم القومية .

وفيما كانت بريطانيا تعد العرب بالاستقلال ، كانت من جهة أخرى تتفاوض مع حليفتيها فرنسا وروسيا فى اقتسام مناطق النفوذ من الاراضى العثمانيـة وقد تم ابرام معاهدة بين بريطانيا وفرنسا عام ١٩١٦ تولى المفاوضة بشأنها واعداد صيغتها المندوب البريطانى مارك سـايكس والمندوب الفرنسى جورج بيكو ، وحددت تلك المعاهدة التى سميت باسم المندوبين المذكورين ، « سايكس بيكو » الاقطار العربية المقرر ادخالها تحت سيطرة ونفوذ كل منهما ، كما تقرر بموجبها اقامة ادارة دولية خاصة فى معظم الاراضى الفلسطينية بسبب وجود الاماكن المقدسة فيها . وقد بقيت المعاهدة المذكورة سرية بين الدولتين المذكورتين حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى .

وكانت بريطانيا قد سبق لها أن اعطت وعدا باستقلال العرب الى الشريف حسين حاكم الحجاز الذى أعلن ، استنادا الى ذلك الوعد ، خلع طاعة السلطان وبدء الثورة العربية . ولكن الحكومة البريطانية لم تف بوعدها بعد ان تم لها النصر ، وذهب الشريف حسين ضحية مطالبته اياها بالوفاء بذلك العهد وخسر عرشه وتوفى منفيا خارج الاراضى العربية .

المرحلة الثانية

انتزاع الوعد من الحكومة البريطانية على لسان وزير خارجيتها

بلفور بالعطف على انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين

وخلال عام ١٩١٧ وكانت الحرب العالمية الاولى قد انهكت القوى المتحاربة وكانت بريطانيا تعانى من ضائقة مالية شديدة الوطأة بسبب التكاليف والخسائر الحربية ، فاغتنمها زعماء الصيهونية فرصة مواتية جدا للضغط والتأثير على الحكومة البريطانية لانتزاع وعد منها باعطاء اليهود وطنا قوميا فى فلسطين عند انتهاء الحرب بانتصار الحلفاء ، وذلك فى مقابل مساعدة اليهود لهم فى مجهوداتهم الحربية ومدهم بالقروض المالية لمواصلة الحرب ضد اعدائهم الالمان وحلفائهم ، وقد اثمرت تلك المساعى فوافقت الحكومة البريطانية على اصدار تصريح أعلنه وزير خارجيتها « بلفور » بتاريخ ٢ نوفمبر «تشرين الثانى» ١٩١٧ وأبلغت صورته الى البارون روتشيلد صاحب المؤسسات المالية الكبرى واحد الزعماء الصهيونيين البارزين ...

وتضمن الوعد :

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل قصارى جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على ان يكون مفهوما جليا ان لن يجرى أى عمل من شأنه ان يغير الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية الموجودة فى فلسطين وبالحقوق التى يتمتع بها اليهود فى أى بلد آخر وبالمركز السياسى الذى حصلوا عليه فيه »

ان وعد بلفور بمساعدة اليهود على انشاء وطن قومى لهم فى فلسطين القطر العربى المأهول باكثرية ساحقة من العرب الذين يرجع تاريخ دخولهم فلسطين وتوطنهم فيها الى الف وخمسماية سنة للميلاد هو بحد ذاته من الناحية القانونية والدولية ، وعد باطل لانه صادر عن ممثل دولة يمنح رعايا دولة اجنبية حقا فى انشاء وطن قومى لهم فى أرض هى للشعب العربى منذ زمن طويل ، وخاضعة لسيادة دولة أخرى هى السلطنة العثمانية ، وفى زمن لم يكن عدد اليهود المقيمين فى فلسطين يتجاوز ٦ بالمئة من السكان ولم تكن ملكيتهم لاراضيها لتزيد عن ٢١/٢ بالمئة .

ومع ذلك فان وعد بلفور لا يفيد بحد ذاته وبحسب مبناه ومعناه المساعدة على اقامة دولة يهودية فى فلسطين ، وانما توفير نظام لليهود فى فلسطين يحظى بالحماية البريطانية يمارسون فى ظله نشاطهم الثقافى والدينى . وهذا التفسير قد أعلنه فى بدء عهد الانتداب بعض المسؤولين فى الحكومة البريطانية بالتصريح بان الوطن القومى لم تكن الغاية منه فى أى حال اقامة حكومة يهودية تسيطر على الشعب العربى فى فلسطين .

المرحلة الثالثة

تكريس وعد بلفور فى صك الانتداب البريطانى على فلسطين

المصدق من مجلس عصبة الأمم سنة ١٩٢٠ — ١٩٢٢

وعلى أثر انتهاء الحرب العالمية الأولى بانتصار الحلفاء على الجيوش الالمانية وجيوش حلفائها ، فقد انعقد المجلس الأعلى للحلفاء من ممثلى بريطانيا وفرنسا وايطاليا فى مؤتمر سان ريمو فى شهر أبريل نيسان سنة ١٩٢٠ وقرر هذا المؤتمر وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى ، وفلسطين والعراق تحت الانتداب البريطانى . وقد لعبت الصهيونية العالمية دورا كبيرا فى معارضة انتداب فرنسا على فلسطين وضغطت على بريطانيا ، وخاصة بعد دخول الولايات المتحدة الاميركية الحرب ضد المانيا ، لتكون هى أى بريطانيا حامية الحق اليهودى فى فلسطين .

ولقد تكرس وعد بلفور فى صك الانتداب الذى صدقه مجلس عصبة الامم فى اجتماعه المنعقد بلندن بتاريخ ٢٤ يوليو تموز سنة ١٩٢٢ ووضع موضع التنفيذ فى ٢٩ سبتمبر أيلول سنة ١٩٢٣ . وقد جاء فى مقدمة الصك :

« ان دول الحلفاء الكبرى قد أقرت ما جاء فى تصريح بلفور وزير خارجية صاحب الجلالة البريطانية واعتبرت نفسها مسؤولة عن تنفيذ مضمونه فى سبيل انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين »

ومما ضمنه صك الانتداب :

١ ـ مسؤولية الدولة المنتدبة عن وضع البلاد فى احوال سياسية وادارية واقتصادية تضمن انشاء الوطن القومى اليهودى .

٢ ـ الاعتراف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عامة لاسداء المشورة الى ادارة فلسطين والتعاون معها فى الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الامور التى قد تؤثر فى انشاء الوطن القومى اليهودى ومصالح السكان اليهود فى فلسطين ولتساعد على ترقية البلاد وتشترك فيها على ان يكون ذلك خاضعا دوما لمراقبة الادارة .

٣ ـ تسهيل الهجرة لليهود من قبل ادارة فلسطين فى احوال ملائمة ، مع ضمان عدم الحاق الضرر بحقوق ووضع فئات الاهالى الأخرى ، وان تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية حشد اليهود فى الاراضى الاميرية والاراضى الموات غير المطلوبة للمنافع العمومية .

وخلاصة القول ان مواد صك الانتداب المؤلف من ٢٨ مادة كانت كلها تدور حول مسألتين جوهريتين : الاولى العمل على تحقيق قيام الوطن القومى اليهودى ، والثانية صيانة واحترام الحقوق المدنية والدينية للطوائف الأخرى .

اما المهمة الانسانية التى بررت بها عصبة الامم بدعة الانتداب وخاصة الانتداب من درجة « ٢ » المنطبق على الاقطار العربية المنسلخة عن الدولة العثمانية باعتبار انها بلغت درجة من الرقى يؤهلها فيما بعد للاستقلال شرط وضعها تحت انتداب احدى الدول الكبرى لادارة شؤونها والسير بها نحو الاستقلال ، واما المبادىء الاساسية التى تضمنها صك الانتداب وهى المحافظة على الاراضى المشمولة بالانتداب والدفاع عنها واقامة حكم وطنى بعدئذ فيها ، فهذه المبادىء الاساسية وتلك المهمة الانسانية لم يكن لهما نصيب عملى يذكر من جانب الدولة البريطانية المنتدبة ، بل كان الانتداب وسيلة لتحقيق المشروع الصهيونى لا باقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين مع احترام حقوق العرب فيها ، والمحافظة عليها ، وانما لانشاء دولة يهودية فى هذا القطر العربى قامت على اغتصاب أرضه وطرد أهله والاستيلاء على خيراته وممتلكات أصحابه الشرعيين .

ولقد حرصت الدولة المنتدبة البريطانية فى تطبيق صك الانتداب على الوفاء بوعدها لليهود والاخلال بعهودها المقطوعة للعرب فى الحرية والاستقلال، وعينت أول مندوب سام من قبلها على فلسطين السير هربت صموئيل اليهودى لتضفى على الادارة الفلسطينية طابعا يهوديا ولتطبق على البلاد سياستها الصهيونية المرسومة ، وكان من جراء هذه السياسة ان انصرف الصهيونيون

الى تكوين اكثرية يهودية فى فلسطين تمكنهم من الامساك بزمامها والسيطرة على مقدراتها ، ولجأوا فى سبيل ذلك الى وسيلتين :

الاولى تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين على نطاق واسع من أوروبا الشرقية ، والثانية تشجيع انتقال الاراضى من أيدى العرب أصحابها الاصليين الى أيدى اليهود بطرق مختلفة كشراء الاراضى ومنح القروض لليهود وتقديم المساعدات لانشاء المستعمرات ، وكلتا الوسيلتين حققتا النجاح المنشود .

المرحلة الرابعة

تدفق سيول الهجرة اليهودية ومقاومة العرب

للمشاريع البريطانية لتسوية المشكلة الفلسطينية

وهذا الوضع الشاذ المخالف للحقوق الانسانية والمبادىء الدولية وللاهداف النبيلة التى رمت اليها عصبة الامم من تقريرها لبدعة الانتداب ، كان من الطبيعى ان يثير سخط العرب الشديد على السياسة البريطانية ، واتخذت هذه النقمة فى ابريل نيسان سنة ١٩٢٠ شكل مظاهرات عنيفة ، وعقد العرب الخناصر على رفض الاعتراف بوعد بلفور وبالانتداب البريطانى وعلى المطالبة باستقلال فلسطين وتشكيل حكومة نيابية .

ومضت بريطانيا تحكم البلاد حكما مطلقا ، بعد ان فشلت فى اقناع العرب بانشاء حكومة فلسطينية يراسها المندوب البريطانى دون ان يكون لاهالى البلاد راى فيها ، بينما لليهود منظمة هى « الوكالة اليهودية » كانت بمثابة دولة داخل دولة . وقامت الجاليات الصهيونية بتاليف منظمات سرية ارهابية مهمتها التخريب والاغتيال والاعتداء على ممثلى السلطة والدوائر الرسمية وعلى الاهالى فى المناطق العربية .

وبعد ان اتسعت حركة المقاومة العربية وادركت بريطانيا ان قضية فلسطين بعد المؤتمر السورى الكبير ، لا تعنى اهلها وحدهم وانما هى قضية العرب جميعا ، قررت ايفاد لجان لدراسة المشكلة القائمة واقتراح الحلول الملائمة للجانبين ، واصدرت الكتاب الابيض سنة ١٩٣٠ وهو يتضمن وقف الهجرة اليهودية الى المناطق العربية ، والسماح بهجرة يهودية محدودة الى اراضى اليهود غير العامرة ، وتعليق انتقال الأراضى من العرب الى اليهود على ترخيص من الادارة البريطانية .

ولكن اليهود ، سرعان ما قاموا بدعاية واسعة النطاق وشددوا ضغطهم على الحكومة البريطانية التى لم تلبث ان نقضت سياستها السابقة ، فعادت الهجرة اليهودية بصورة شرعية وغير شرعية تتدفق على فلسطين ، وخاصة بعد ان تولى هتلر الحكم فى المانيا عام ١٩٣٣ وطبق سياسة التمييز العنصرى التى قضت باعتبار اليهود طغمة مفطورة على الفساد والتخريب لا يحق لها

الاندماج بالشعب الالمانى الاصيل ، وكانت دسائسها من أسباب هزيمة المانيا فى الحرب العالمية الاولى .

ولقد أهاب الزحف اليهودى المتواصل والمتزايد على فلسطين والمنذر بالمصير المظلم والشر المستطير ، باهاليها العرب الى مقاومته بالقوة وبدأت هذه المقاومة عام ١٩٣٦ باعلان الاضراب العام فى جميع انحاء فلسطين ، ثم تطورت المقاومة الى ثورة علنية مسلحة ، اضطرت الحكومة البريطانية معها الى ايفاد لجنة تحقيق ملكية عام ١٩٣٧ حاولت ان تجد حلا وسطا للنزاع بين العرب واليهود ولمسألتى الهجرة والاراضى فأوصت اللجنة بتحديد هجرة اليهود ب ١٢ ألفا خلال الخمس السنوات التالية ، واقترحت تقسيم فلسطين الى ثلاث مناطق:

١ ـ دولة يهودية فى المناطق المأهولة بأكثرية يهودية .

٢ ـ دولة عربية فى الأجزاء الباقية من الاراضى الفلسطينية وضمها الى شرق الاردن .

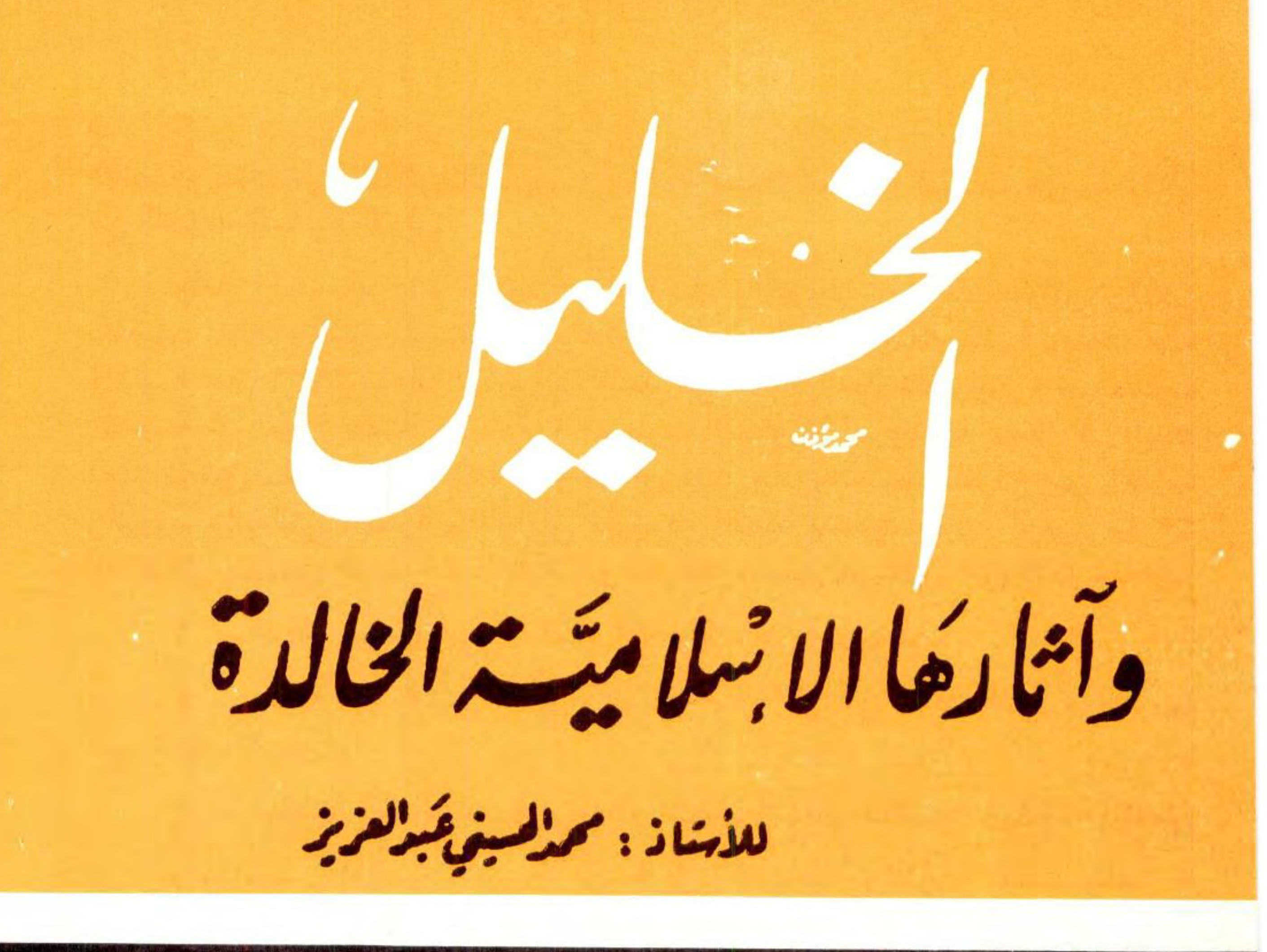
٣ ـ منطقة انتداب بريطانى دائم تشمل الاماكن المقدسة ومنطقة القدس

واستمرت المقاومة العربية عن طريق السياسة والثورة المسلحة ، واسفرت عن تراجع بريطانيا عن مشروع التقسيم الذى رفضه العرب رفضا باتا .

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ركز الصهاينة نشاطهم فى الدوائر السياسية الاميركية مستغلين اضطهاد النازية لهم فى اوروبا من ناحية وازدياد نفوذهم فى الولايات المتحدة الاميركية من جهة أخرى . وعندما تولى ترومان منصب الرياسة فى بلاده اظهر عطفا شديدا على اليهود وطالب بفتح أبواب فلسطين لمئة الف مهاجر دفعة واحدة كحل لليهود المشردين فى أوروبا وانتهج سياسة تأييد مطلق وتحيز سافر لليهود لانشاء دولة صهيونية فى فلسطين ، وكان ذلك التأييد المطلق والتحيز السافر المدعومان بالسلطة الكبرى التى يتمتع بها كرئيس للولايات المتحدة الاميركية من ابرز العوامل وانفذها على خلق دولة اسرائيل . وقد عبرت الحكومة الاسرائيلية عن تقديرها لفضله على الشعب اليهودى بان اقامت له تمثالا يرمز الى اعتراف شعبها له بالجميل والى تخليد ذكره . هذا النصب يرمز فى الواقع الى هدر الحق العربى على مذبح مطامع الصهيونية والمصالح الغربية والى انتهاك حرمة ميثاق الامم المتحدة وشرعة حقوق الانسان .

وفى اثناء تلك الحرب عمل اليهود على تكوين قوة عسكرية مدربة تابعة للجيش البريطانى اشتركت فى العمليات الحربية ، وذلك بقصد تسليحها وتدريبها لتصبح قوة فعالة بعد الحرب ، وكانت تلك القوة نواة الجيش الاسرائيلى .

وقد ارتكبت المنظمات الارهابية المؤلفة منها أعمالا اجرامية بحق العرب والبريطانيين معا ، وكان من ضحاياها الوزير البريطانى المقيم فى الشرق الاوسط اللورد موين فى نوفمبر «تشرين الثانى» ١٩٤٤ ، وعدد من الموظفين البريطانيين من جراء نسف فندق الملك داوود الذى كان مقرا للادارة المركزية البريطانية فى القدس عام ١٩٤٦ .



الخليل وآثارها الاسلامية الخالدة

للأستاذ : محمد الحسيني عبد العزيز

مدينة خليل الرحمن نبي

تنسب مدينة الخليل الى ابى الانبياء ابراهيم عليه السلام الذى وفد اليها مع جماعة من أصحابه ونصب خيامه واشترى أرضا وأقام فيها وعاش ، وكانت تعرف باسم حبرون كما تقول « التوراة » فنقل ابراهيم خيامه وأقام عند بلوطات ممرا التى فى حبرون .

ومدينة حبرون شيدت عام ١٧٠٠ ق.م وتقع على ربوة عالية ترتفع عن مستوى سطح البحر بنحو ثلاثة آلاف قدم ، ولهذا يجود هواؤها ويطيب مناخها ، كما تمتاز بخصوبة أرضها ووفرة مياهها التى تزداد عند ذوبان الثلوج من سفوح جبالها ، وقد عظم شأن المدينة لتوسط مكانها بين غزة والقدس ويربطها بغزة حاليا طريق معبد ، كما تبعد عن القدس بنحو ٤٣ كيلو مترا وتتصل بها عن طريق مرصوف. وقد كسيت جبالها بأشجار العنب والزيتون والخوخ والمشمش والتفاح واللوز والبرتقال حتى تمتد بعض بساتينها نحو سبعة كيلو مترات ، وقد أقام السكان صناعات زراعية كالمربات والمعلبات التى يستهلك بعضها محليا ويصدر الباقى للخارج .

وتشتهر بعدة صناعات منذ القدم فقد اينعت بها صناعات الاوانى الفخارية والزجاجية التى لا زالت تستخدم بعض الاساليب القديمة فى



الله ابراهيم عليه السلام

الصناعة ، بينما ظهرت صناعات حديثة لنسج الكتان والعباءات والملابس الداخلية وغيرها ، وكان للنشاط التجارى والصناعى أثره الكبير فى حركة العمران والبناء فشيدت بها المدارس والمستشفيات واقيمت المساكن الحديثة جنبا الى جنب مقابل الاحياء القديمة تتخللها الحدائق والبساتين النضرة .

وللمدينة مكانة مرموقة ففيها كما يروى المؤرخون أضرحة الأنبياء ابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف عليهم السلام وزوجاتهم الطاهرات

وقد تعرضت مدينة الخليل عبر التاريخ لغزوات الفاتحين من رومان وفرس وصليبيين ووقعت أخيرا فى يد الصهاينة الآثمين لكن العرب مصممون على اعادتها الى حظيرة الاسلام وتحريرها كما حررها أسلافهم من أيدى الرومان والصليبيين .

وقد دخلها العرب عام ٦٣٦م ، وحرروها من أيدى الرومان وأصبحت مدينة عربية اسلامية وأعادوا تعميرها وتجديد ما خربه الرومان والفرس من تدمير لمبانيها وعمائرها وقد اعتنق سكانها (١) الاسلام ودخلوا

(١) يبلغ سكانها نحو ٣٨٠٠٠ نسمة من المسلمين ، بينهم نحو ١١١ مسيحيا .

فى دين الله أفواجا وتأصلت الروح الدينية فى نفوسهم فتمسكوا بأهداب الدين وعملوا بآيات الكتاب الحكيم فحسنت سيرتهم وهم يجاهدون العدو الغاصب جهادا متصلا ويهـاجمون جنوده ليلا ونهارا وينصبون لهـم الكمائن ايمانا بحق بلادهم فى الحرية والسيادة .

وقد أطنب المؤرخون والرحالة فى ذكر محاسن المدينة وفضلها وأشاد الرحالة العربى ابن بطوطة بالمدينة ووصف مسجدها قائلا : هى مدينة صغيرة المساحة ، كبيرة المقدار ، مشرقة الانوار ، حسنـة المنظر ، عجيبـة المـخبر ، فى بطن واد ، ومسجدها أنيق الصنعـة ، محكم العمل ، بديع الحسـن ، سامى الارتفاع ، مبنى فى الصخر المنحوت، فى أحد اركانه صخرة ، احد اقطارها سبعة وثلاثون شبرا ، ويقـال ان سليمان عليه السلام أمر الجن ببنائه وفى داخل المسجد الغـار المكرم المقدس ، فيه قبر ابراهيم وآسحاق ويعقوب ، صلوات الله عـلى نبينا وعليهم ، ويقابلها قبور ثـلاثة هى قبور أزواجهـم ، وعن يمين المنبر بلصق جدار القبلة موضع يهبط فيه على درج رخام محكمة العمل الى مسلك ضيق يقضى الى سـاحة مفروشة بالرخام ، فيها صور القبور الثلاثة ويقال انها محاذية لها ، وكان هناك مسلك الى الغار المبارك وهو الآن مسدود .

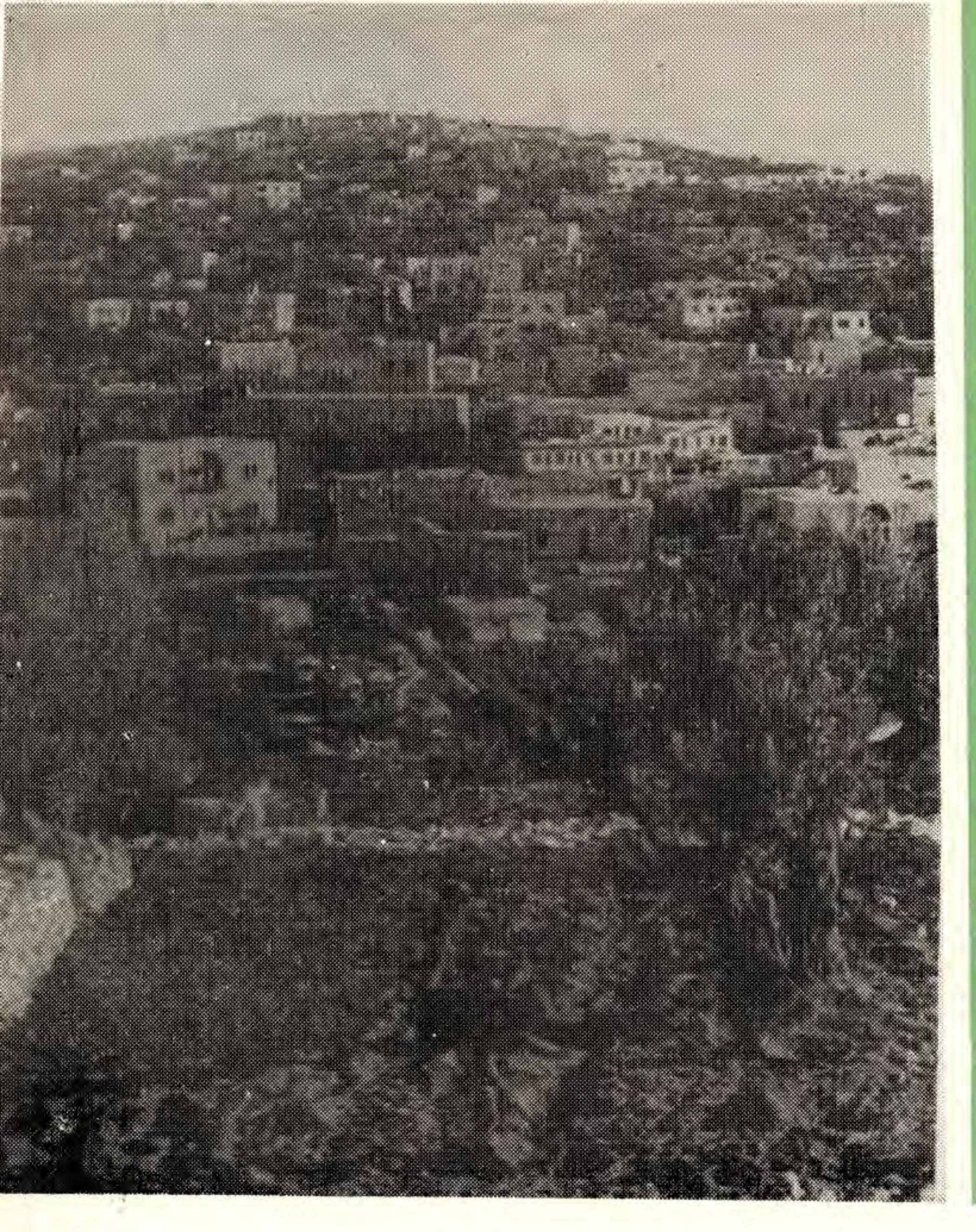
وبداخل المسجد قبر يوسف عليه السلام وبشرقى الحرم تربـة لوط عليه السلام وهى عـلى تل مرتفع وعلى القبـر أبنيـة حسنة وهو فى بيت فيها حسن البناء وبالقرب منها مسجد اليقين وهو على تل مرتفع له نور واشراق ليس لسـواه ، وبالقرب من المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسين بن على وبأعلى القبر وأسفله لوحان من الرخام نقش فى احدهما بخط بديع « بسم الله الرحمن الرحيم » لله العزة والبقاء وله ما ذرأ وما برأ وعلى خلقه كتب الفناء وفى رسول الله أسوة ، هذا قبر ام سلمة فاطمـة بنت الحسين رضى الله عنه . وفى اللوح الاخر دونت هذه الأبيات :

أسكنت منكان فىالاحشاء مسكنه
بالرغم منى بين الترب والحجـر
يا قبر فاطمة بنت ابن فاطمـة
بنت الأئمة بنت الأنجـم الزهر
يا قبر ما فيك من دين ومن ورع
ومن عفاف ومن صون ومن خفر

تاريخ المسجد الابراهيمى :

اما مسجد ابراهيم الخليل فقد شيد فى أوائل عهد بنى أمية وظل يحظى برعاية الخلفـاء العباسيين والفاطميين وسـلاطين الايوبيين والماليك تقديسـا للمسجد وتعظيما لشـأنه فى نفوس الناس ، فبداخله رفات الانبياء الذين اصطفاهم الله سبحانه ليـكونوا هـداة للنـاس يخرجونهم من الظلمات الـى النور ويرشدونهم الى الطريق المسـتقيم طريق الحـق والهدايـة والايمـان والرشاد .

وقد شيد المسـجد من حجارة منحوته نحتا اخذت من الجبال القريبة



منظر عام لجزء من مدينة الخليل بين طبيعتها الجبلية وتبدأ المبانى من بطن الوادى وتتسلق سفوح الجبال حتى تصل الى قممها . وفى الصورة تلة من التلال الاربعة التى بنيت عليها مدينة الخليل ونسبت اليها وكانت تعرف باسم « أربع » وهناك من يقول انها سميت بذلك الاسم نسبة الى أربع بن حث بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام .

ويصل حجم بعضها الى سبعة أمتار وعرضها متر ونصف متر . ويرتفع الجدار نحو ٤٠ قدما ولم يبن على أساس المبنى القديم الذى تحطم على أيدى الغزاة من رومان وفرس .

وللمسجد بابان صغيران احدهما من الشرق والثانى من الغرب ويفتحان على الصحن المكشوف وقد اقيمت للمسجد منارتان مربعتان فى الاركان احداهما فى الجنوب والثانية فى الشمال وقد بنيت من الحجر المصقول المتقن الصناعة وهى على مثال المنارات التى شيدت بالمسجد الاموى الكبير بدمشق ويعلو المسجد شرفات بديعة كما فتحت به نوافذ من الجص والزجاج الملون الجميل .

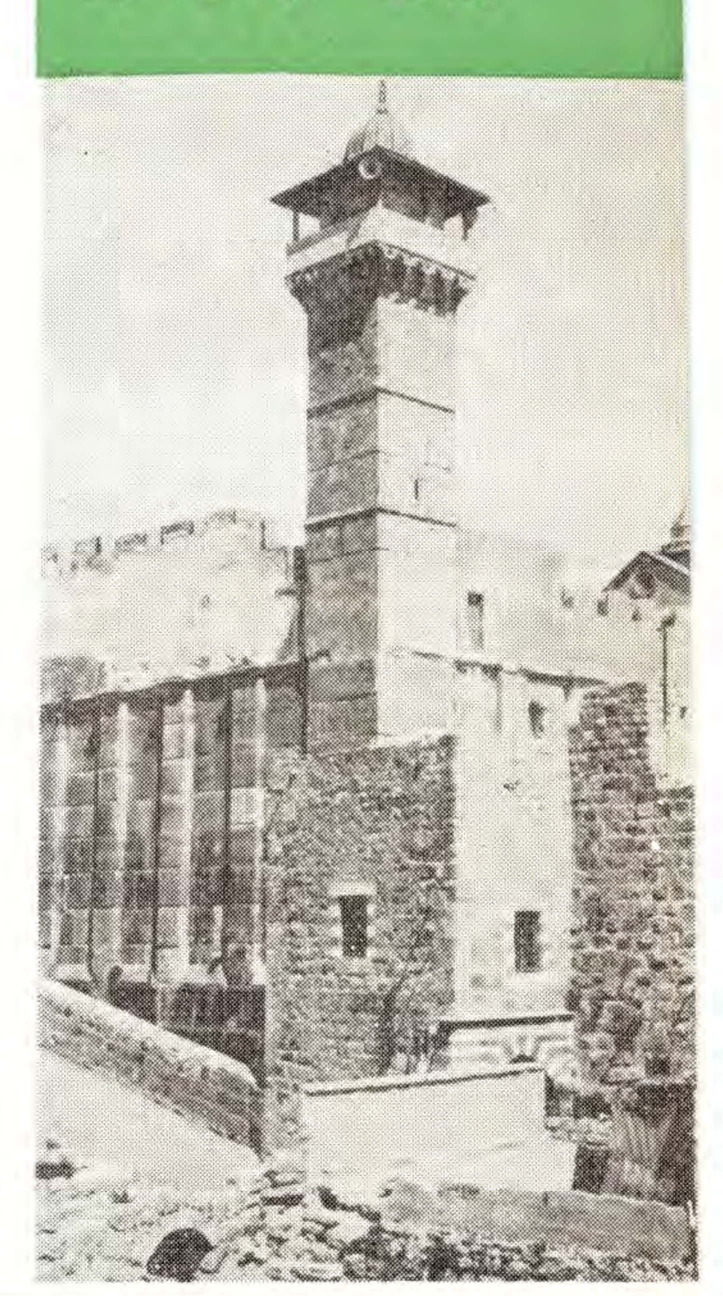
القباب

شيد خلفاء بنى أمية القباب فوق ضريح النبى ابراهيم ويعقوب وزوجتيهما كما شيد الخليفة المقتدر بالله العباسى قبة ثالثة فوق قبر النبى يوسف عليه السلام .

وتؤرخ الكتابة الكوفية التى على المنبر البديع الذى صنع أيام الخليفة الفاطمى المستنصر بالله معد أبى تميم خليفة مصر

(٤٨٤ هـ) وقد صنع من خشب الجوز الجميل وطعم بالعاج الذى ازدهر فى العصر الفاطمى وبلغ درجة بالغة فى السمو الاتقان وتعتبر الصناعات الخشبية فى العصر الفاطمى (١) مثلا رائعا على تقدم صناعة تجميع الخشب من قطع

جزء من الحرم الابراهيمى



صغيرة تضم زخارف بنائية ورسوم هندسية يزينها اطار من الخط الكوفى المزهر وعلى هذا المنبر ما نصه (بسم الله الرحمن الرحيم نصر من الله وفتح قريب . لعبد الله ووليه معد أبى تميم عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائه البررة الاكرمين صلاة باقية الى يوم الدين . مما أمر بعمل هذا المنبر السيد الاجل أمير الجيوش سيف الاسلام ناظر الامام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين ابى النجم بدر المستنصرى عضد الله به الدين وامتع بطول بقائه أمير المؤمنين بثغر عسقلان مسجد مولانا أمير المؤمنين ابى عبد الله بن الحسين بن على بن ابى طالب فى شهور سنة أربع وثمانين وأربع مائة .

وقد أمر السلطان صلاح الدين الأيوبى بنقل هذا المنبر من عسقلان ليوضع فى قبر الخليل ابراهيم بعد ان فتح بيت المقدس واستردها من الصليبيين أثر انتصاره على قواتهم فى معركة حطين ٥٨٤هـ .

العمارة والتجديد فى العهد المملوكى

تنافس حكام مصر المملوكية على رعاية المسجد وتعميره فأمر السلطان الظاهر بيبرس بأعادة بنائه واقام له الشرفات فوق السور القديم كما قام السلطان قلاوون وابنه الناصر بتزيين المسجد وتنميقه فدعمت جدرانه بالرخام البديع وطعم محرابه بالفسيفساء النادرة وأضيف له الرواق الشرقى وزخرفت الأبواب حتى أضحى من أجمل المساجد الاسلامية .

(١) من أشهر المنابر الفاطمية منبر السيدة نفيسة ٥٤١ هـ . وهو محفوظ بالمتحف الاسلامى بالقاهرة .

والى اليمين من رواق المحــراب ضريح النبى ابراهيم وعلى يســار الداخل ضريح زوجته سارة وامام المحراب ضريح زوجة يعقوب عليه السلام اما ضريحه فيقابل المنبر . وبجوار دكة المؤذنين مدخل الغــار الشريف . على حين يوجد قبر النبى يعقوب وزوجته فى الرواق الشمالى خلف الصحن المكشوف وفى أقصى الغرب رواق مســتطيل به ضريح يوسف عليه السلام .

ويروى الجغرافى العربى ياقوت الحموى فى كتابه معجم البلدان ما نصه (دخــلت القدس فى ٧٦٥هـ واجتمعت فيــه وفى مدينــة الخليل بمشايخ حدثونى انه فى سنة ٥١٣هـ فى أيام بردويل انخسف موضع فى مغارة الخليل فدخل اليها جماعة من الافرنج باذن الملك فوجدوا فيهــا ابراهيم واســحق ويعقوب عــليهم السلام ، وقد بليت اكفانهــم وهم مسندون الى الحائط وعلى رؤوسهم قناديل ورؤوسهم مكشوفــة فجدد الملك أكفانهم ثم سد الموضع . (١)

ويذكر ابن بطوطة عن صحة قبور هؤلاء الانبيــاء ابراهيم واســحق ويعقوب ما اسند الى حديث النبى عليه الصلاة والسلام فى رواية ابى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لمــا أسرى بى الى بيت المقدس مر بى جبريل على قبر ابراهيم فقال انزل فصل ركعتين ، فان هنا قبر ابيك ابراهيم ثم مر بى على بيت لحم وقال انزل فصل ركعتين فان هنا ولد أخوك عيسى عليه السلام ثم أتى بى الى الصخرة » ..



(بلوطة) كرمة ابرهيم الخليل فى نمرة

وقد رصدت للمسجد الابراهيمى ريع أراض كثيرة موقوفة على المسجد من صدر الاسلام وعلى مر الايام ففى بلدة زكريا وحدها من قضاء الخليل أوقف ١٥ر٣٢٠ دونما هذا الى العديد من القرى التى اغتصبها الصهاينة عام ١٩٤٨م أثر احتــلال لاجزاء من فلسطين .

هذه قصة الخليل المدينة المقدسة التى اهتم العرب بتعميرها واقاموا

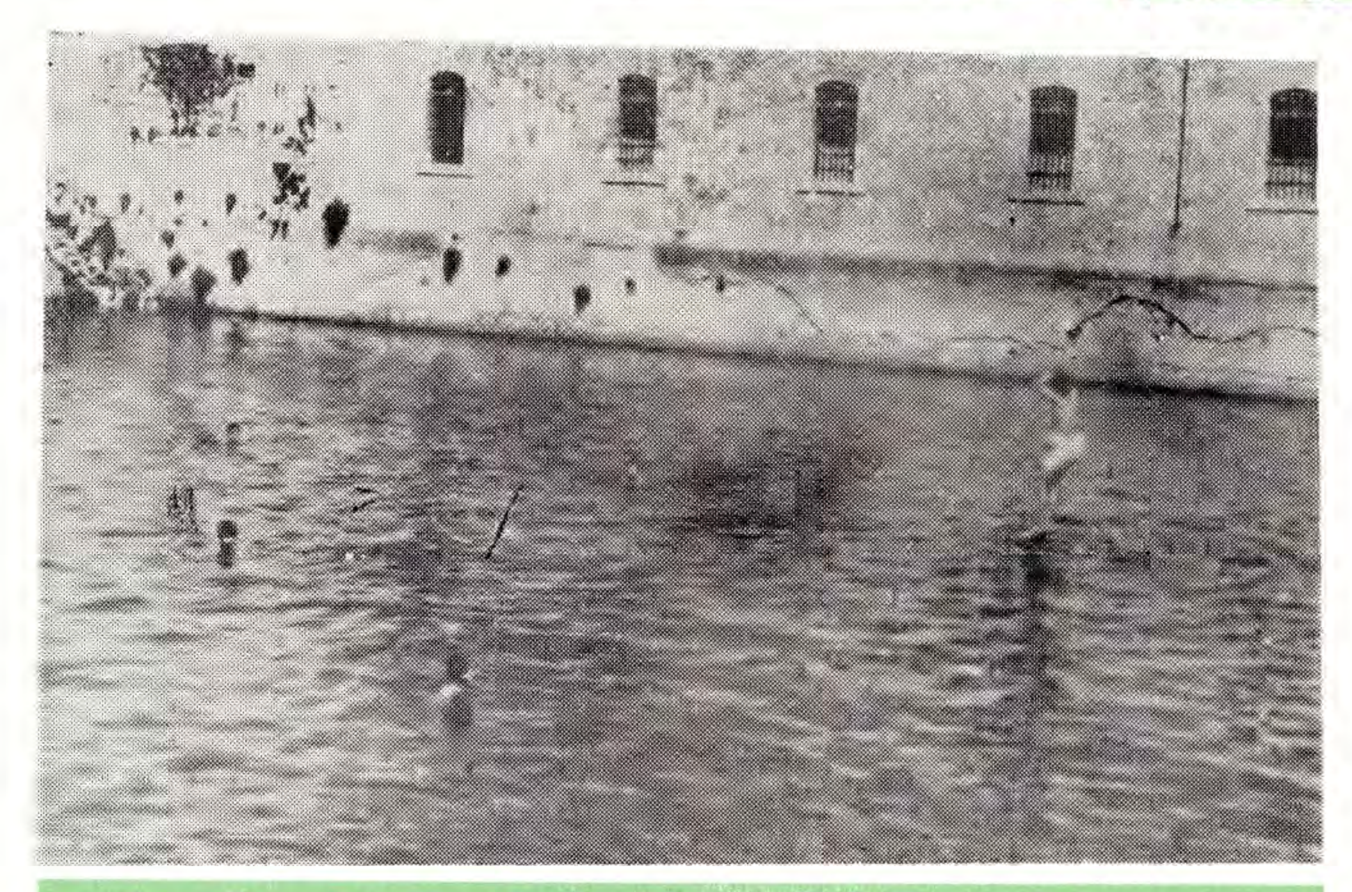
---

(١) رواية ظاهر فيها التزيد والخــيال« الوعى »

بها المساجد والتكايا ورصدوا المزارع للانفاق على تعمير مقدساتها وان اعتداء الغاصبين على هذا الحرم الشريف اعتداء على المقدسات الاسلامية التى دنسوها بأعمالهم الدنيئة ليكن هذا حافزا للمسلمين على اتحاد كلمتهم وتوحيد صفوفهم والجهاد فى سبيل الله بأنفسهم وأموالهم لتطهير الخليل والقدس وغزة وفلسطين من الصهيونية ولتحرير الارض السليبة من الغزاة وليتمثلوا قول الله سبحانه « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله .. » وفى ميدان الجهاد فليتنافس المتنافسون وليعمل العاملون ...



جامع الشيخ على البكاء ويقع فى محلة الشيخ بالخليل ، وقد بنيت مئذنته فى عهد الناصر ابن قلاوون قبل ٦٦٠ عاما .



« بيركة السلطان » ، أنشأها أحد سلاطين المماليك على الطريق البرى للحج وقوافل التجار ، وتتجمع مياهها من الأمطار ، ويستحم فيها أبناء الخليل وتستقى منها المواشى والحيوانات .

الأوائل والأوليات في المؤلفات والموسوعات

للاستاذ : محمد عبد الغني حسن

الاوائل جمع أول . والمقصود به هنا الشخص الذى كان أول من قام بعمل معين لم يسبق له وجود ، أو الشىء الذى قامت بدايته وأوليته فى الوجود . كأن يقال : أول من اختتن هو سيدنا ابراهيم عليه السلام ، وأول من عمل الدروع ولبسها هو داود عليه السلام ، وأول من هشم الثريد لقومه هو عمرو بن عبد مناف ، الجد الثانى للنبى محمد عليه السلام ، ولذا سمى « هاشما » ، وقيل فيـــه :

عمرو العلا هشم الثريد لقومه   ورجال مـــكة مسنتون عجاف

وكأن يقال فى أوائل الاشياء : أول ذنب عصى الله به فى السماء هو حسد أبليس لآدم حين ترفع عن السجود له وأبى واستكبر . وأول ذنب عصى الله به فى الارض هو حسد قابيل لأخيه هابيل على تقبل القربان منه ، فقتله وأصبح من النادمين . كما يذكر القرآن الكريم ، وبهذا كان دم هابيل هو أول دم بشرى أريق على الارض ..

وموضوع « الاوائل » موضـــوع طريف ، لأنه يتتبع أوائل الاشـــخاص والاشياء تتبعا تاريخيا مفيدا . فيمد القارىء بفيض من المعرفة ، ويزوده بأسماء الرواد والطلائع فى كل ميدان من العـــلم والفن والتـــاريخ والوقائع ، وينسب الاعمال والآثار الى ذويها وأصحاب الفضل الاول فيها ، فلا تختلط الاحداث ، ولا تضيع الآثار .

ولقد اهتم العرب بهذا الباب فألفوا فيه الكتب الخاصة به ، أو عقدوا له الفصول فى مؤلفاتهم المتعددة الموضوعات .

وأول من وصل الينا علمه ممن عقدوا الفصول عن «الاوائل» فى مؤلفاتهم : الاخبارى النسابة « محمد بن حبيب » المتوفى سنة ٢٤٥ هـ ، وصاحب كتاب « المحبر » الذى طبع لأول مرة فى حيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٩٤٢ م . فقد اهتم فى كتابه هذا ، المحشو بالمعلومات والمعارف ، بذكر أول من سمى «محمدا» من أبناء المهاجرين ، وأول من سمى « محمدا » من بنى الانصار ، وأول مولود قرشى من أبناء المهاجرين ، وأول مولود من الانصار . كما أبدى اهتماما خاصا بذكر بعض « الاوائل » الذين يمتازون بخصائص معينة من النسب الهاشمى ، كأول من ولده هاشميان ، وأول من ولدته ثلاث هاشميات تباعا . .

ويجىء « ابن قتيبة » الدينورى الاديب المفسر المؤرخ المتوفى سنة ٢٧٦ هـ تاليا لابن حبيب فى ذكر « الاوائل » فى أحد مصنفاته القيمة . ففى كتابه « المعارف » عقد فصلا خاصا بالاوائل يبلغ بضع صفحات . وقد توسع فى هذا الباب أكثر مما ذكره ابن حبيب من قبله ، وطاف ببعض الاوائل فى الجاهلية والاسلام .

ثم جاء بعدهما « ابن رستة » المتوفى سنة ٢٩٠ هـ ، وصاحب كتاب « الاعلاق النفيسة » فعقد فى كتابه هذا بضع عشرة صفحة فى موضوع « الاوائل » ، وقد أشار الى هذا الفصل المؤرخ جرجى زيدان وهو يتحدث فى « تاريخ آداب اللغة العربية » عن الجغرافيين الموسوعيين العرب .

وجاء « الثعالبى » المتوفى سنة ٤٢٩ هـ — وهو أديب موسوعى كما نعلم — فعقد فى كتابه « لطائف المعارف » فصلا طويلا عن « الاوائل » وأضاف اليه من الاوائل ما لم يذكره سابقوه ، كما أضاف من استجدوا بعد نهاية القرن الثالث الهجرى ، وهو القرن الذى عاش « ابن رستة » حتى أخرياته .

ولم يكتف المؤرخون والاخباريون العرب بما عقد من فصول فى الكتب حول موضوع « الاوائل » بل رأى بعضهم أن يزيدوه اهتماما بإفراد بعض الكتب له ، حتى يكون ذلك أدل على أهميته ، فرأينا « سليمان بن أحمد الطبرانى » المتوفى سنة ٣٦٠ هـ يؤلف فيه أول كتاب مفرد فى المكتبة العربية بعنوان « الاوائل » ، ثم جاء « أبو هلال العسكرى » المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ، فاختص الموضوع بكتاب قائم بذاته ، كما فعل الطبرانى من قبله ، وجعل عنوانه « الاوائل » . وقد وهم جرجى زيدان حين عد كتاب أبى هلال العسكرى أول كتاب ألف فى هذا الموضوع ، فقد سبقه كتاب الطبرانى كما رأيت .

وانقطعت معرفتنا بكتاب جديد عن « الاوائل » خلال ثلاثة قرون ونصف الى أن جاء القاضى « بدر الدين الشبلى » المتوفى سنة ٧٦٩ هـ ، فألف كتابا أسماه « محاسن الوسائل ، فى علم الاوائل » ، وجاء بعده جماعة دخلوا ميدان التأليف المفرد فى موضوع « الاوائل » ، ومنهم « ابن خطيب داريا » المتوفى سنة ٨١٠ هـ ، والعلامة « ابن حجر » المؤرخ المصرى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ، والامام « السيوطى » المؤرخ المتعدد نواحى التأليف المتوفى سنة ٩١١ هـ والذى لم يشارك

فى هذا الباب بالتأليف الاصلى ، بل اكتفى بتلخيص كتاب أبى هلال العسكرى واختصاره والاستدراك عليه ، وأسماه « الوسائل ، الى معرفة الاوائل » .
أما بقية المؤلفين فى هذا الموضوع منذ القرن العاشر الهجرى فقد ذكرهم « حاجى خليفة » صاحب كتاب « كشف الظنون » .

ولم يكتف النثر العربى بالمشاركة فى هذا الميدان ، فرأينا القصيد ــ أو الكلام الموزون المقفى ــ يسهم فى موضوع الاوائل بأرجوزة لا تزال مخطوطة ، عنوانها « وسائل السائل ، الى معرفة الاوائل » . وليست الاراجيز ذوات الموضوعات العلمية والتاريخية غريبة على التأليف العربى . فهناك أرجوزة « ابن مالك » فى النحو المسماة « ألفية ابن مالك » ، وله كذلك أرجوزة نادرة فى المثلث من الكلام ، وأرجوزة فى المقصور والممدود ، وطبعتاهما القديمة فى مكتبتنا ، وهناك أرجوزة فى تاريخ أمراء دمشق ألفها المؤرخ الشاعر « صـــلاح الدين الصفدى » ، وسماها « تحفة ذوى الالباب » ، وهى من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

واذا كنا قد أسلفنا القول بأن السيوطى المؤرخ لم يفرد موضوع « الاوائل » بتأليف أصيل ، بل لجأ الى اختصار كتاب أبى هلال العسكرى ، فانه فى الحق ــ فى كتاب له آخر عنوانه « تاريخ الخلفاء » ــ قد اختص كل خليفة من الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين الى آخر عهده سنة ٩١١ هـ بذكر أولياته . وجعل خلفاء بنى العباس بالقاهرة امتدادا لخلفاء بنى العباس فى بغداد بعـــد سقوطها فى يد التتار سنة ٦٥٦ هـ .

ونرى السيوطى فى كتابه هذا يفرد فى آخر سيرة أبى بكر الصديق موضعا خاصا بأولياته ، وكذلك يفعل مع كل خليفة ترجم له وأرخ لحياته ، مع وضع الاوليات فى خلال السيرة أو فى آخرها . وينقل السيوطى عن كل مؤلف ألف قبله فى « الاوائل » وخاصة عن كتاب أبى هلال الذى اختصره كما سلف القول .

ومن طرائفه فى أوليات أبى بكر الصديق أنه : أول من أسلم ، وأول من جمع القرآن ، وأول من سماه مصحفا ، وأول من سمى خليفة ، وأول من اتخذ بيت المال . وقد استند فى هذا الى أثر رد به قول من قال ان عمر بن الخطاب هو أول من اتخذ بيت المال . وتنبه الى وهم أبى هلال فى هذا الموضوع وصححه .

ومن طرائف الاوليات عند عمر ــ كما ذكر العسكرى وعنه نقل السيوطى ــ أنه أول من سمى أمير المؤمنين ، وأول من استعمل التاريخ من الهجرة ، وأول من سن قيام شهر رمضان ، وأول من عس بالليل ، وأول من ضرب فى الخمر ثمانين ، وأول من جمع الناس فى صلاة الجنازة على أربع تكبيرات ، وأول من فتح الفتوح ، واول من عاقب على الهجاء .. والمعاقب الاول على الهجاء فى الاسلام هو الشاعر الحطيئة ، فقد هجا « الزبرقان بن بدر » ببيت يقول فيه :

دع المـــكارم لا ترحل لبغيتهـــا   واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

أى اقعـــد عن طلب المكارم فانك أنت المطعوم المكسو . وقد حكم الشاعر حسان بن ثابت فى هذا البيت أهو هجاء أم معاتبة ! فحكم « حسان » بأنه أقذر من هجاء ! فليس من مروءة الرجل أن يقعد عن طلب المكارم ويكتفى بأن يأكل ويلبس .. ومن هنا قضى عمر على الحطيئة بأن يلقى محبوسا فى حفرة مظلمة ..

أما الخليفة عثمان بن عفان ، فمن أوائله أنه أول من ارتج عليه فى الخطبة وأول من اتخذ صاحب شرطة له ، وأول من اتخذ المقصورة فى المسجد خوفا أن يصيبه ما أصـــاب عمر ، وأول من رتب للمؤذنين فى المســـاجد رزقا ، وكانوا يصنعونها تطوعا ، وأول خليفة ولى الخلافة فى حياة أمه .. وأول من هاجر الى الله بأهله من المسلمين ، وكان ذلك فى الهجرة الى الحبشة : أول هجرة فى الاسلام .

ويلاحظ فى كتب الاوائل والفصول الخاصة بها ، قلة أوليات الامام على بن أبى طالب ، بل ندرتها ، فلم يذكر له « الثعالبى » فى اللطائف الا أنه أول من آمن بالنبى من الصبيان . ولم يذكر له « ابن قتيبة » فى معارفه أولية واحدة .. على حين لم يذكر له « السيوطى » الا أولية اسلامه . على أن ما يجبر هذه الندرة فى أوليات الامام على هو هذه الكثرة الكاثرة من الاحاديث والاخبار الواردة فى فضله ومناقبه ، مما ليس هنا موضع ذكره .

ولم تنقطع مسيرة « الاوائل » فى التاريخ العربى الاسلامى ، فلكل انسان عمل قد يكون هو ابن بجدته والبادىء به ، فلا يضن عليه التاريخ بتسجيل هذه الاولية له . وقد كان للأمويين كثير من « الاوليات » فى التاريخ ، فمعاوية أول من وضع البريد فى الاسلام ، وأول من خطب الناس قاعدا ، وذلك حين كثر شحمه ، وعظم بطنه ! وهو أول من اتخذ الخصيان لخدمته ، وقد كثروا بعد ذلك عند العباسيين والايوبيين ، والمماليك ، والعثمانيين . وعبد الملك بن مروان أول من سمى فى الاسلام باسم عبد الملك ، وأول من ضرب الدنانير ، وأول خليفة بخيل ، وكان يسمى « رشح الحجارة » لكثرة بخله .. والخليفة يزيد الناقص هو أول خليفة خرج بالسلاح فى العيدين .. وهكذا .

و « الاوائل » فى العصر العبـــاسى كثيرة أيضا . فلكل من المنصـــور ، والرشيد ، والامين ، والمستعين ، والمعتمد ، والقاهر ، والمستكفى أوليـــاته المتنوعة . فأبو جعفر المنصور أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين . والرشيد أول خليفة لعب بالصولجان ورمى النشاب والكرة ، وأول من جعل للمغنين مراتب وطبقات ، والامين أول خليفة دعى له على المنابر بلقبه لا باسمه . والخليفة المستعين أول من أحدث لبس الاكمام الواسعة ، فجعل فتحتها نحوا من ثلاثة أشبار ..

وتحفل الموسوعات ودوائر المعارف وكتب الرحلات والكشوف الطبيـــة والجغرافية والعلمية والفنية بأخبار « الاوائل » — أو الرواد — فى ميـــادينهم ومجالات نشاطهم ، كما تحفل بأخبار أوائل الاشياء .. فأول متسلق لجبل مون بلان بالالب هما : جاك بالما ، وميشيل باكار سنة ١٧٨٦ م . وأول متسلق لقمة ايفرست بجبال همالايا هو ادمون هيلارى النيوزيلاندى سنة ١٩٥٣ . وأول من عبر المحيط الاطلنطى بالطائرة منفردا هو الطيار لندبرج سنة ١٩٢٧ م . وأول من رحل بالطائرة هما الاخوان أورفيل ، وويلبر رايت مخترعا الطائرة ، وكان ذلك سنة ١٩٠٣ . وأول من ظفر بجائزة نوبل فى الاداب هو « سللى برودوم » الشاعر الفرنسى ، وكان ذلك سنة ١٩٠١ ، وأول من اخترع آلة السينما هما الاخوان الفرنسيان لوميير سنة ١٨٩٥ م . وأول رائد أمريكى للفضاء هو « آلان برتلت شبارد » وكان ذلك فى رحلته نصف المدارية سنة ١٩٦١ م . وأول من اخترع

جهاز التلفزيون جراهام بل ، وكان ذلك بين عامى ١٨٧٦ ، ١٨٧٧ ، وأول من طاف حول الارض فى سفينة هو الملاح البرتغالى ماجلان ، وقد بدأ رحلته سنة ١٥١٩ م ، وبها برهن على كروية الارض ، وأول أمين عام للامم المتحدة هو النرويجى : تريجفى لى . وأول مكتشف لعقار البنسلين هو السير الكسندر فلمنج الاسكتلندى المتوفى سنة ١٩٥٥ م ، وهكذا .

أما أوائل الاشياء فكثيرة أيضا كثرة تطور المعارف البشرية ونمو التقدم الحضارى عند الامم . فأول مصباح كهربى متوهج ناجح هو ذلك الذى أنتجه المخترع الامريكى توماس أيدسون سنة ١٨٧٩ م ، وأول بلد استعمل الزامية التعليم ، وجعلها حقا للمواطن وواجبا على الدولة هى ألمانيا ، وقد بدأت بها فى أعقاب حركة الاصلاح الدينى ، وانتشرت فى دول الشمال فى أثناء القرن الثامن عشر ، وأول صحيفة ظهرت فى مصر هى « الوقائع المصرية » ، وكان ذلك سنة ١٨٢٨ م .

ويقابل « الاوائل » « الاواخر » .. وكما تنبه المؤرخون الى الاوائل والاوليات فسجلوها ، تنبهوا كذلك الى الاواخر فدونوها . ولعلهم لم يضعوا فى الاواخر كتابا قائما بذاته لقلة الوارد فيها بالقياس الى الاوائل .

وقد ألحق المؤلفون موضوع الاواخر بالاوائل ، من باب اضافة الشىء الى مقابله . ويذكر صاحب « كشف الظنون » أن بعض المتأخرين ألحقوا مباحث « الاواخر » بموضوعات كتب « الاوائل » .

وقد تذكر لفظة « آخر » و « أواخر » صريحة بحروفها ، كما نراه عند السيوطى مثلا حين يقول : (آخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والاموال : الراضى وهو آخر خليفة له شعر مدون) وقد تكون الاشارة الى صفة « الآخرية » بمفهوم النص لا بصريح اللفظ ، كما نراه عند الثعالبى حين يقول فى لطائفه : (كان عمر ابن الخطاب أصلع ، وعثمان ، وعلى ، ومروان بن الحكم ، وعمر بن عبد العزيز . ثم انقطع الصلع عن الخلفاء ..) ومعنى هذا أن آخر خليفة أصلع حتى عصر الثعالبى كان الخليفة الاموى عمر بن عبد العزيز .

وقد تكون قضية « الاوائل » ، و « الاوليات » من المسلمات التى لا نزاع فيها ، ولا خلاف عليها . وذلك هو الشأن فى أكثرها . أما بعضها فقد يتنازعه شخصان أو أكثر ، أو بلدان أو أكثر .. فقضية كشف أمريكا على يد الرحالة كريستوف كولمبس ، وأنه هو أول مكتشف لها ، تقابلها الآن نظرية جديدة ، وهى أن العرب كشفوها قبل كولمبس بزمن بعيد . والقضية القائلة بأن جوتنبرج الالمانى المتوفى سنة ١٤٦٨ هو أول مخترع للمطبعة ذات الحروف المنفصلة ، تنازعها قضية تقول ان يانسون كوستر ، وبامفليو كاستالدى هما أسبق من جوتنبرج الى اختراعها ، وأحق منه بصفة « الاولية » . وقضية الاولية فى التصوير الضوئى يتنازعها أكثر من واحد من أمثال : داجر ، وتالبوت ، وآرتشر ، ومينسيفر ..

وستظل هذه القضايا الخاصة بالنزاع على « أولية » الاختراع مجالا للأخذ والرد ، ما لم يقم عليها دليل قاطع لا يقبل الاحتمال والتأويل ، ومن أين لنا بمثل هذا الدليل ؟!



للأستاذ الشيخ
عبد الفتاح أبو غدة
المدرس فى كلية الشريعة بالرياض

(١)

خصائص القضاء فى الاسلام ومزاياه :

بينا فى المقال السابق منزلة ولاية القضاء فى الاسلام وشرفها الرفيع فى نظر هذا الدين الحق ، وفى هذا المقال نبين مزايا القضاء الاسلامى وخصائصه .

ان القضاء فى الاسلام يقوم على أسس قويمة متينة ، ويتميز بخصائص فريدة بارزة ، ونجمل عماد تلك الخصائص والمزايا فيما يلى :

١ ــ الايمان بالله تعالى :

الذى يجعل من القاضى رقيبا على نفسه ، فى حكمه على القريب والبعيد ــ والعدو والصديق ، فينتفى من حكمه الجور والتحيز والمداهنة ، ويسلم له العدل والمساواة والنصفة . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) . وهكذا يتضح لنا كيف أن الايمان بالله ، واستشعار المسئولية بين يديه ينبعث عنه العدل والانصاف . وهذا الاساس ــ الايمان بالله ــ يفتقده كل قانون وضعى ، مهما تحرى به العدل والاحكام . ومن خلال هذه الخاصة أيضا يتبين لنا متانة القضاء فى الاسلام ، وأنه مقام منيع محصن من تدخل ذوى النفوذ والجاه والقوة فيه ، لأنه ينبعث من عقيدة الايمان لا من تولية السلطان .

٢ ـ الله سبحانه هو الحاكم وحده :

قال تعالى : (ان الحكم الا لله) . وقال سبحانه : (والله يحكم لا معقب لحكمه) . وقال أيضا : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) .

فلا حاكمية الا لله وحده ، والرسول صلى الله عليه وسلم مبين لحكم الله ، حاكم بقول الله وشرعه ، كذلك الحكام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هم فيما يقضون به نواب عن الله ، ومنفذون لأحكامه لا غير . قال الله تعالى فى كتابه الكريم : (يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) .

٣ ـ الشريعة التى يحتكم اليها هذا القضاء :

شريعة عادلة كاملة محكمة ، كيف لا وهى شريعة خالق الخلق وأحكم الحاكمين ، وقد أكملها للناس وأنزلها خاتمة الشرائع السماوية وأتم بها نعمته وفضله على جميع العباد ، وجمع لهم فيهـا خير الدنيا والآخرة قال تعالى : (وان احكم بينهم بما أنزل الله) ، وقال سبحانه : (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) . وقد كفلت هذه الشريعة بكمالها وتمامها للناس كل حاجاتهم ، وأغنتهم عن كل تشريع آخر ، فأى حكم بخلافها هو خروج عن العدل ، ووقوع فى الحيف الذى لا تسلم منه الاحكام والقوانين التى يسنها البشر لأنفسهم ، فيشملها الضعف والهوى والقصور الانسانى ، وطبيعى أن يتأتى عن ذلك الظلم والاضطراب والفساد .

أين شرع الناس من شرع الذى   خلق الدنيـا وسوى العالمين ؟

٤ ـ العـــدل :

لقد تميز قضاء الاسلام فيما تميز به عن غيره باقامته العدل بين الناس ، دون تفريق بين أبيض وأسود ، وملك وسوقة ، وصغير وكبير ، وغنى وفقير ، وشريف وحقير ، فالناس فى نظر الاسلام سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى أو عمل صالح ، كلكم لآدم وآدم من تراب .

وقد فرض الاسلام العدل فى الحكم مع العدو والصديق ، والبعيد والقريب ، وآيات القرآن الكريم الناطقة بذلك كثيرة . قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم لله أو الوالدين والاقربين) .

٥ ـ المســاواة :

ونريد بها الغاء ما تعارف عليه الناس من التمييز بين الشريف والوضيع فى الحكم ، بسبب الشرف والضعة ، دون نظر الى حق المحق وباطل المبطل منهما .

فالاسلام أقام التسوية بين أصناف الناس جميعا أمام الحق والقضاء ، مهما تباينت منازلهم وألوانهم وأجناسهم وبلدانهم وألسنتهم وأديانهم .

وعلى هذا الاساس قام القضاء فى الاسلام ، وبه تميز ، فكان غرة فى جبين القضاء الانسانى أبد الدهر .

٦ ــ الشمول لأنواع الحقوق وشؤون الحياة :

القضاء فى الاسلام قائم على شريعة الاسلام بطبيعة الحال ، ونحن نعلم أن شريعة الاسلام كاملة ، ومن كمالها تناولها شؤون الحياة كافة ، قال الله تعالى : (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) وقال أيضا : (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) .

والقضاء الاسلامى يتناول ــ فيما يتناوله ــ شؤون الاموال والاعراض والدماء وسائر الحقوق ، وهو يشمل نظام البيوت ، ونظام الحكم ، والتعامل بالاموال ، والعقود مهما تنوعت ، وشؤون الحرب والسلم .. والتحكيم وغيرها ، فكل ما يتنازع الناس فيه من شؤون الدنيا داخل فى قضاء الاسلام .

٧ ــ وحدة القضاء :

ومما تقدم يتبين لنا مزية هامة لها أثرها الخطير فى النفوس والافكار ، وهى : وحدة القضاء الاسلامى ، فالانسان فى ظل قضاء الاسلام ليس هو أمام قضاء متعدد النزعات ، مختلف الجهات ، متباين المصادر ، تتضارب مصالح الناس عنده ، وتذهب حقوقهم بسبب اختــلاف قواعده وحلوله للمشكلات والوقائع والخلافات ، بل ليس أمام ذلك الانسان الا قضاء واحد شامل متكامل متجانس بفروعه المتعددة واختصاصاته المتنوعة .

٨ ــ اقتصاره على مصالح الدنيا دون تدخله فى الامور العبادية :

والمسائل الاجتهادية الخلافية ، والوقائع الاخروية . فان الشمول الذى تميز به انما هو من الامور المتنازع فيها من مصالح الدنيا ، أما ما عداها من الامور التى ذكرناها فانها لا تدخل فى نطاق القضاء وحكم الحاكم أصلا ، كما لا تدخل فيه خوالج النفوس ونيات الناس ما لم تتمثل فى أعمال .

قال الامام القرافى فى كتابه (الاحكام فى تمييز الفتاوى والاحكام وتصرفات القاضى والامام) ص ٢٣ : والحكم انما يكون فيما يقع فيه التنازع لمصالح الدنيا ، أما مسائل الاجتهادات فى العبادات ونحوها فلا يدخلها حكم أصلا .

فليس لحاكم أن يحكم بأن هذه الصلاة صحيحة أو باطلة ، ولا أن هذا الماء دون القلتين فيكون نجسا ، فيحرم بعد ذلك استعماله ، بل ما يقال فى ذلك انما هو فتيا ، ان كانت مذهب السامع عمل بها ، والا فله تركها والعمل بمذهبه . ولا يلزم شىء من أحكام العبادات ونحوها من لا يعتقده ، بل يتبع مذهبه فى نفسه ، ولا يلزمه قول ذلك القائل بحكم الحاكم به .

٩ ــ اعتماده على الوازع الايمانى القلبى :

ولئن كان من حكمة القضاء فى الاسلام ومزاياه أن يتولى الفصل فى القضايا المتعلقة بمعاملات الناس ومصالحهم الدنيوية ، ودون قضايا العبادات والاخرويات كما ذكرنا ، فان من مزاياه أيضا اعتماده على الوازع الايمانى القلبى فى نفوس المتخاصمين حتى لو ضلل القضاء ، فانه يبقى الحرام حراما ولو حكم القاضى بحله اعتمادا منه على البينة الواضحة .

وهذا الوازع الايمانى المتولد عن عقيدة الاسلام ، يعتلج فى قلب الخصم حتى يجعله يتورع عن أكل أموال الناس بالباطل ، ولو سانده القضاء فى الظاهر ، عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجلين من الانصار ، اختصما اليه فى مواريث بينهما قد درست معالمها ، ليس عندهما بينة الا دعواهما ، قال لهما : (انكم تختصمون الى ، وانما أنا بشر ، ولم ينزل على فيه شىء ، وانى أقضى بينكم برأيى فيما لم ينزل على فيه ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأحسب أنه صادق فأقضى له فانى أقضى بينكم على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا ظلما بقوله فلا يأخذه ، فانما أقطع له قطعة من النار ، يطوق بها من سبع أرضين يأتى بها سطاما فى عنقه يوم القيامة ، فليأخذها أو ليدعها . فبكى الرجلان جميعا لما سمعا ذلك ، وقال كل واحد منهما : يا رسول الله حقى هذا الذى أطلب لاخى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما اذا قلتما هذا فاذهبا واقتسما ، ثم توخيا الحق ، فاجتهدا فى قسم الارض شطرين ، ثم استهما ، ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه) رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى وابن ماجه ، وجمع بين رواياتهم .

١٠ ــ استقلاله ونزاهته :

القضاء فى الاسلام سلطة عليا ذات كيان رفيع ، مستقلة فى ذاتها ، بمعنى أنه لا سلطان عليها لأمير أو خطير فى أن يتدخل فى أحكامها ، ذلك أن القاضى نائب عن الله عز وجل ، وهو مسئول بين يديه ، فهو ــ وان قامت الحكومة بتوليته منصب القضاء ــ هو بواقع الامر نائب عن الله ، لا يحكم الا بما أنزل الله ، وأرشد اليه رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يكون أحد من رجال الدولة حتى أكبر كبير فيها فى منجاة من أن يقضى عليه اذا اقتضى العدل ذلك ، شأنه كشأن عامة الرعية أمام القضاء .

قال الامام الكاسانى الفقيه الحنفى فى كتابه العظيم (بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع) ٧ : ١٦ « ان القاضى لا يعمل بولاية الخليفة وفى حقه ، بل بولاية المسلمين وفى حقوقهم ، وانما الخليفة بمنزلة الرسول عنهم » فلذا اذا مات الخليفة أو خلع لا تنعزل قضاته . وقد صح أن نصرانيا ادعى على هارون الرشيد دعوى ، فسمعها القاضى أبو يوسف ، مع أنه مولى من قبل الرشيد ، فالقاضى يقبل الدعوى على السلطان أوله لاحقاق الحق .

وسنرى فيما بعد كيف قضى شريح على أمير المؤمنين سيدنا على رضى الله عنه ، وكان خصمه يهوديا ، كما قضى أبو يوسف على الخليفة هارون الرشيد ، وكان خصمه نصرانيا ، وكما قضى محمد بن عمران الطلحى قاضى أبى جعفر المنصور عليه فى خصومته مع الحمالين الجمالين ، انه الاسلام .

ومن أدل الوقائع التى تعبر عن هذا المعنى العظيم ، الذى تميز به قضاء الاسلام : ما وقع للسلطان صلاح الدين الايوبى رحمه الله تعالى ، فقد جاء اليه رجل من أصحابه وأهل الدالة عليه ، يستعديه على رجل غشه ، فقال له صلاح الدين : ما عسى أن أصنع لك ؟ وللمسلمين قاض يحكم بينهم ، والحق الشرعى مبسوط للخاصة والعامة ، وأوامره ونواهيه ممتثلة ، وانما أنا عبد الشرع وشحنته فالحق يقضى لك أو عليك (١) .

ومعنى عبارة السلطان أنه ليس الا منفذا لحكم الشرع وتابعا له ، كالشحنة وهو صاحب الشرطة ، أى رئيسها وأن القضاة مستقلون بالحكم ، لا سلطان لأحد عليهم .

فهذه الواقعة ، والوقائع التى أشرنا اليها ، وغيرها كثير ، كلها تمثل لنا استقلال القضاء ونزاهته فى هذا الدين الحنيف ، وذلك هو الطابع العام لقضاء الاسلام .

---

(١) ذكره الشيخ رشيد رضا فى « الوحى المحمدى » من طبعته الثالثة ص ٢٤٢ .

١١ ــ عمومه وعالميته :

مما هو معلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل للناس كافة ، وأن هذه الشريعة مخاطب بها كل بنى آدم ، وأن كل انسان منهم مدعو للدخول فيها والانضواء تحت ظلها . وقد قرر الاسلام الحنيف أن الناس جميعا على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم وديارهم .. نوع واحد ، ومن أصل واحد : « انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل » « كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى أو عمل صالح » .

ولدى استقراء أحكام هذه الشريعة الاسلامية الغراء ــ التى هى مرجع القضاء ــ نجـدها لا تفرق بين مشرقى ومغربى ، وصينى وعربى ، وأبيض وزنجى .. وهذا كله يدلنا على عالمية هذا القضاء الاسلامى ، وعلى عمومه للبشر قاطبة . فهو القضاء الوحيد الذى يمكن أن يحتكم اليه كل فرد من ألوان البشر ، لاطمئنانه أنه أمام قاض عالمى النظرة والتصور ، أمام قضاء سن أحكامه البارى سبحانه وتعالى لعباده كافة . وهو القائل فى كتابه الكريم (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) . والقائل سبحانه : (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) . ولنقايس بين هذا فى الاسلام ، وبين ما عليه الكثير من الامم التى تدعى الحضارة والرقى اليوم ، مثل أمريكا وجنوب افريقيا ، وما يقوم بهما من المآسى المرة من جراء التفرقة بين لون ولون ، وعنصر وعنصر ، مما تتجدد أنباؤه على أسماع العالم كل يوم .

١٢ ــ كماله وخلوده :

لقد تبدى لنا من كل ما سبق أن هذا القضاء متكامل الوجود . مستجمع لشرائط احقاق الحق مستوف ــ على الوجه الامثل ــ لكل ما يتعلق بالحاكم والمحكوم وشريعة التحاكم وأصول التقاضى وسائر ما يتصل بالقضاء .

وجدير بمثل هذا القضاء الكامل أن يكون بلسما للناس فى كل عصر وجيل ، يصلح بينهم ، ويقوم أودهم ، ويرد شاردهم الى جادة الحق والصراط المستقيم ، فهو خالد خلود شريعة الاسلام ، باق ما بقيت السموات والارض .

هذا ما رأيت تعداده من الخصائص والمزايا للقضاء الاسلامى ، وهناك أمام الباحث الدارس أمور يمكن أن تضاف اليها أيضا ، فتكون من مزاياه مثل كونه مجانيا ، لا يتوقف على رسوم وأجور تقدم من أحد الخصمين ، ليقبل النظر فى الدعوى . وواضح أن هذه المزية تمكن الفقير وغيره من الوصول الى انصافه واقامة العدل بينه وبين ظالمه ، وحرى بالقضاء العادل أن لا يكون بينه وبين الضعفاء من أصحاب الحقوق معوق ولا حجاب .

ومما يذكر أيضا فى هذا المجال ثراء (الفقه الاسلامى) الذى هو المرجع العام للقضاء ، ذلك الفقه الذى لا نظير له عند أمة من الامم . كيف لا وقد نما واتسع على مر العصور خلال أربعة عشر قرنا ، وامتد على آفاق واسعة من الكرة الارضية ، وقد بذلت فيه قرائح العقول وكرائم الجهود من

شتى الاجناس والشعوب وواجه بالحلول الواقعية الحاسمة مشكلات بنى الانسان على اختلافهـا وتنوعها وتجددها ، ومن تلك المزايا أن لهذا الفقه المتجدد قواعد وأصولا منهجية ، تسعف القاضى وتسدده فى التطبيق والاستنباط .

تلك هى أهم خصائص قضاء الاسلام ومزاياه ، فلا عجب أن نشهد فى تاريخه النماذج الرائعة الكثيرة تتجدد وتتكرر على مر العصور ، وخاصة اذا قابلنا بينه وبين قضاء الامم الاخرى فى القديم والحديث . وذلك الفضل كله ناتج عن الاصل الاول لهذا القضاء ، وهو صدوره عن الشريعة المنزلة من عند الله تعالى ، على نبيه وأكمل خلقه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين بهذا الاسلام الحنيف .

والآن نسير مع هذا القضاء العظيم لنشهد فى لمحات نشأته وأطواره .

القضاء فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

تمهيـــــد :

فى هذا العهد النبوى الكريم نشهد مولد القضاء الاسلامى ، ورفع قواعده ، واقامة أركانه : من شرع حكيم يحكم به ، وتصور سـليم للكون والانسان والحياة يدعم هذا القضـاء ، وتحديد للمسئولية ، وجعلها فردية ، واقامة لرقابة الله فى قلوب الناس حاكمين ومحكومين ، مدعين أو مدعى عليهم ، الى غير ذلك مما يحقق العدل والنصفة والاخاء بين العباد .

مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم :

لمـا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكة ، قام يدعو الناس الى دين الله تعالى والايمان به سبحانه ، وتوحيده بالعبادة والطاعة ، ونبذ الشرك والاصنام ، وتنزيه العقل عن لوثات الوثنية والضلالات . ثم أذن له بالهجرة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ، فهاجر اليها ، وكثر الداخلون فى دين الله ، وانتشرت دعوة الاسلام ، وتزايد نموها وقبولها .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا :

وكما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمورا بالدعوة الى الله وتبليغ الاحكام : كان مأمورا أيضا بالحكم والفصل بين الناس فيما يقع بينهم من اختلاف وتنازع . وقد جاء فى القرآن الكريم آيات كثيرة تشير الى ذلك ، منها قوله تعالى : « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لمـا بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم » . وقوله سبحانه « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر ربه ، يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيـه ، ويبين لهم ما يحل وما يحرم ، ويفصل فى خصوماتهم الى جانب قيامه بتبليغ الشرائع والاحكام ، فكان صلى الله عليه وسلم : الامام والقاضى والمفتى والرسول المبلغ عن الله تعالى ، ورفع اليه كثير من الامور المتنازع فيها ، فقضى فيها بما أنزل الله اليه فى كتابه ، وبما هداه اليه من الحكمة ، وبما وهبه من رأى ونظر سديد حكيم . كما أفتى فيما استفتى فيه .

والحكمة فى تولى النبى صلى الله عليه وسلم القضاء بنفسه ظاهرة ، وهى أن العدل أساس العمران ، ولا ارتقاء ولا رجاء لتأليف أمة وتعاضدها وتكوين وحدتها الا بالعدل والامن على الحقوق ؛ لهذا كان عليه الصلاة والسلام يتولى القضاء بنفسه تأليفا لهم ، وتدريبا على اقامة العدل ، وتنبيها لهم أن يكونوا قوامين بالقسط ، وأن يلى قضاءهم من يكون أفضلهم وأنزههم وأعلمهم .

نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القضاء :

ونجمل فيما يلى أهم ما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أقره من طرق الاثبات فى القضاء ، وهى : الاقرار ، البينة ، اليمين ، القسامة ، القيافة ، القرينة ، القرعة ، ونحوها ، وكان يقول : البينة على المدعى واليمين على من أنكر .

وكان يترافع اليه المتخاصمان فيسمع كلام كل منهما ، ثم يقضى على نحو ما يسمع ، اعتمادا على ظاهر البينة ، ودلائل الاثبات أو النفى ، فكان يحكم بالظاهر وكان قضاؤه صلى الله عليه وسلم فيما لم ينزل عليه فيه شىء اجتهادا منه ، ويشهد لذلك قوله تعالى : « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما » . كما يشهد له من السنة المطهرة حديث أم سلمة رضى الله عنها الذى تقدم بتمامه ، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : « انكم تختصمون الى ، وانما أنا بشر ، وانى أقضى بينكم برأيى فيما لم ينزل على فيه ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأحسب أنه صادقا ، فأقضى له ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا ظلما بقوله فلا يأخذه ، فانما أقطع له قطعة من النار » .

اقضية النبى صلى الله عليه وسلم :

وخلال السنوات العشر الكريمة التى عاشها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة المنورة ، صدرت عنه أقضية غير قليلة فى الوقائع التى ترافع الناس فيها اليه ، وقد أفردت تلك الاقضية النبوية بالتأليف من كثير من العلماء جزاهم الله خيرا . ونكتفى بذكر نموذج واحد منها لضيق المقام .

نموذج من اقضية الرسول صلى الله عليه وسلم :

روى مسلم فى « صحيحه » فى كتاب الحدود ١١ : ١٨٧ عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها : أن قريشا أهمهم شأن المخزومية ، التى سرقت فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة الفتح ، فقالوا : من يكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : ومن يجترىء عليه الا أسامة بن زيد حب رسول الله ، فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فيها أسامة بن زيد ، فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أتشفع فى حد من حدود الله ؟ فقال أسامة : استغفر لى يا رسول الله .

فلما كان العشى — وقت اجتماع الناس بعد العصر — قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال :

أما بعد فانما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وانى والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . ثم أمر بتلك المرأة التى سرقت فقطعت يدها .

قالت عائشة : فحسنت توبتها بعد ، وتزوجت وكانت تأتينى بعد ذلك فأرفع حاجتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وان ما تضمنه هذا الحديث الشريف من القضاء النبوى الكريم ، ومن بيان المبدأ الاسلامى العادل السامى العظيم ، وهو المساواة بين الناس ضعيفهم وقويهم ، وشريفهم ومشروفهم : لتعجز البشرية أن تأتى فى قضائها بمثله فى غير ظل الاسلام ، وليس هو حادثة فريدة فى بابها بل ان له أمثالا وأمثالا فى أقضية الرسول الكريم وأقضية أصحابه وأقضية قضاة العدل من علماء الاسلام .

اشهر القضاة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم :

وقد استقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته الشريفة طائفة من أصحابه سادة هذه الامة وعلمائها ، فقاموا بالقضاء فى حضرته ، وقاموا به بعيدين عنه حيث وجههم اليه من بلدان الاسلام الجديد .

ومن الذين قضوا بحضرته : عمرو بن العاص ، وعقبة بن عامر الجهنى ، وحذيفة بن اليمان ، وعمر بن الخطاب ، ومعقل بن يسار رضى الله عنهم ، ويضيق المقام عن ذكر أخبارهم الدالة على ذلك .

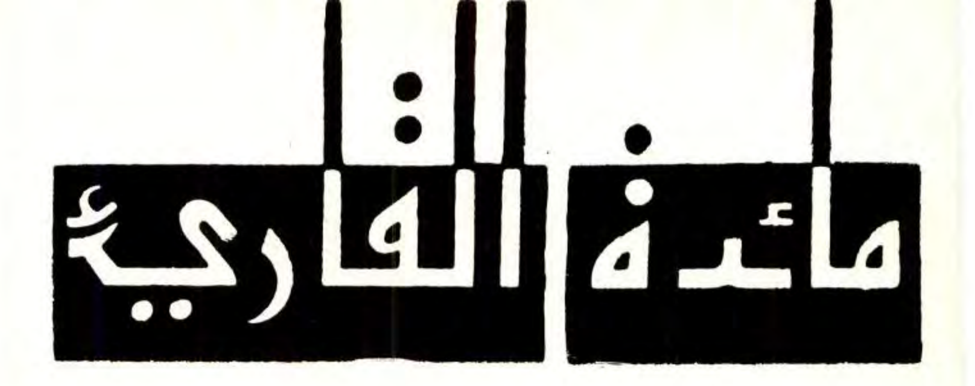
وقد كان هذا الاستقضاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم فى حضرته الشريفة بمنزلة التمرين العملى على النهوض بأداء القضاء على وجهه ، وليشهدهم عليه الصلاة والسلام وهم يفصلون فى الخصومات بين الناس — بعد أن شهدوه صلى الله عليه وسلم يفصل فيها مرات ومرات — فيسددهم ان أخطأوا ، ويقرهم اذا أصابوا ، فكان ذلك تمرينا واختبارا لهم فى آن واحد .

ومن الذين قضوا بعيدين عن حضرته الشريفة عليه الصلاة والسلام : على بن أبى طالب ومعاذ بن جبل ، وعتاب بن أسيد ، وعمرو بن حزم الانصارى وأبو موسى الاشعرى رضى الله عنهم ، ولا يتسع المجال لذكر نماذج من أقضيتهم .

ويجب علينا ونحن نتحدث عن تاريخ القضاء فى العهد النبوى ، أن ننافح بالحق عن هذا الصحابى الجليل قاضى النبى صلى الله عليه وسلم أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه ، واسمه عبد الله بن قيس ، ونعرف به بعض الشىء ، فقد أشاع بعض الضعفة من أهل التاريخ والادب والاخبار ، ما يصوره كأنه من المغفلين البله ، حتى أضاع الخلافة والحق من أهله ، وجر على المسلمين ببلاهته — فى زعمهم وحاشاه — الويلات والمآسى .

فنقول وبالله التوفيق :

ان رجلا اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد البشر والانبياء والرسل ، ليكون قاضيا وأميرا على قطر واسع عريض وهو اليمن ، لا يمكن أن يكون كما زعمه أولئك الضعفة الغالطون ، فان هذا الذى زعموه ينقضه من أساسه — ولا أساس له — تولية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى موسى على ذلك القطر السعيد بالاسلام الجديد ، ورسول الله سيد الرجال وأعرفهم بأفضل الرجال فطانة وزكانة وحزما وعلما ، وهو صلى الله عليه وسلم محفوظ أن يضع الولاية والامانة فى غير موضعها ، أو يكلها الى غير أهلها ، وهو الذى يقول كما روى البخارى فى « صحيحه » : اذا أسند الامر الى غير أهله فانتظر الساعة » .



اعدها : أبو نزار

حق عظيم

جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال له :
يا رسول الله اننى حججت بأمى من اليمن على ظهرى ، وطفت بها البيت وسعيت بها بين الصفا والمروة ، ووقفت بها فى عرفات ، ودلفت بها الى المزدلفة ، ورميت لها الجمار بمنى .. فعلت ذلك كله وهى عجوز لا حراك بها ، وأنا أحملها على ظهرى ، فهل أديت حقها ؟
فقال له صلى الله عليه وسلم : لا .
قال الرجل : ولم ؟
قال : لأنها فعلت ما فعلت بك فى صغرك وهى تتمنى حياتك .. وأنت فعلت ما فعلت بها وأنت تتمنى موتها .

من تاريخ الفتح الاسلامى

لما زحف شهاب الدين محمد بن سام الغورى على الهند ـ قاتله بتهورا ملك أجمير قتالا شديدا ، وانهزمت عساكر المسلمين هزيمة منكرة ، ورجعت الى لاهور ، واعتصمت بها ، وعاتب السلطان الامراء الغورية وأمراء خراسان الذين لم يثبتوا فى المعركة ، وعلق فى عنق كل واحد منهم عليق شعير ، وقال : أنتم دواب . ما أنتم أمراء .. وسار الى غزنه عاصمة ملكه يعد العدة للكرة بعد الفرة . وظل السلطان لا يهنأ له طعام ولا شراب ولا يحلو له نوم ولا راحة . ثم ركب فى جيش عظيم ، ولم يستشر فى ذلك أحدا ، ولما سأله أحد الامراء عن قصده ـ تنفس الصعداء ، وقال :
اننى لم أنم على فراشى منذ لقيت الهزيمة من أمراء الهند ، ثم حسر قباه وقال : ترى أننى لم أغير ثيابى منذ ذلك اليوم ، وقال : اننى لم أر وجه هؤلاء الامراء الذين خذلونى فى الميدان ، وأسلمونى للعدو وقال يخاطب جيشه :
انه يتحتم علينا نحن المسلمين أن نغسل العار الذى لحق الاسلام والمسلمين ، وأن ننفض عنا غبار الهزيمة التى لقيناها فى العام الماضى .
فرضعوا أكفهم على السيوف ، وأطرقوا رؤوسهم سمعا وطاعة ، ثم توجه الى الهند ، وبعث برسالة الى بتهورا يدعوه الى الاسلام والطاعة وأخذته العزة بالاثم ، فحمل عليه السلطان حملة شديدة وانتصر انتصارا باهرا ، وتأسست الحكومة الاسلامية فى الهند التى دامت فى أشكال مختلفة أكثر من سبعة قرون .

أخلاق أبى حنيفة

سأل هارون الرشيد أبا يوسف قاضى القضاة فى عهده عن أخلاق الامام أبى حنيفة ، فقال أبو يوسف :
كان والله شديد الدفاع عن حرمات الله ، مجانبا لأهل الدنيا طويل الصمت ، دائم الفكر ، لم يكن مهذارا ولا ثرثارا ـ ان سئل عن مسألة كان له فيها علم أجاب ـ وما علمته يا أمير المؤمنين الا صائنا لنفسه ودينه ، مشتغلا بنفسه عن الناس ، لا يذكر أحدا الا بخير .
فقال الرشيد : هذه أخلاق الصالحين .

« الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خيرا الزاد التقوى واتقون يا أولى الالباب » .

(قرآن كريم)

ديوانه .. ديوانه

وقف سعد بن أبى وقاص أمام (المدائن) ولم يجد شيئا من السفن وقد زادت (دجلة) زيادة عظيمة ، واسود ماؤها ، ورمت بالزبد من كثرة الماء بها ، فخطب سعد الجيش على الشاطىء ، وقال : الا انى قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم .

فقالوا جميعا : عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل .

ثم اقتحم بفرسه دجلة ، واقتحم الناس لم يتخلف عنه أحد ، فساروا فيها كأنما يسيرون على وجه الارض ، حتى ملأوا ما بين الجانبين فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجالة ، وجعل الناس يتحدثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الارض ، فلما رآهم الفرس يطفون على وجه الماء قالوا : (ديوانه .. ديوانه) يقولون : مجانين . مجانين . ثم قالوا : والله ما تقاتلون انسا ، بل تقاتلون جنا .

جحا العاقل

شكا انسان شدة البرد ، فسمعه آخر ، فقال : الناس أمرهم عجب : اذا أقبل الشتاء شكوا من البرد ، واذا اقبل الصيف شكوا من الحر !!

فقال جحا : ولكن هل سمعت احدا يشكو من الربيع .

وسئل يوما : أيهما أكبر : السلطان أم الفلاح ؟ فقال : الفلاح أكبر لأنه لو لم يزرع القمح لمات السلطان جوعا .

وقال له أحد البخلاء : انك تحب المال ، فقال : انما أحببته للاستغناء عن البخلاء الذين لا قلوب لهم .

حامل الحقيبة

نزل المسافر من السيارة ، ووضع حقيبته بالقرب منه وانتظر حضور أحد الحمالين ، فجاء لص وحملها ، ومشى ، فتبعه صاحب الحقيبة وهو فرحان ، فلما اقترب من منزله أخذ الحقيبة من اللص ، وقال له : أشكرك ياسيدى ، فقد حملت حقيبتى من غير أجر .

راس الجندى

لاحظ الضابط على أحد الجنود أنه لا يعرف يمينه من شماله فقال له : انتبه جيدا وفكر بعقلك . لماذا خلق الله لك رأسا ؟.

فقال الجندى : خلق الله رأسى لألبس فوقه الطربوش .

عندما يشاء



المستضعفون

للأستاذ : عبد اللطيف فايد

انقضت عدة أشهر على العهد الذى أمضاه النبى مع قريش عند الحديبيـــة ، واطمأنت نفوس المسلمين الى أن العاقبة لهم على الرغم من الشروط القاسية التى أملتها قريش فى هذا العهد ..

فقد جاءوا من حول النبى الى مكة زائرين للبيت الحرام بعد ست سنوات من هجرتهم الى المدينة فارين بدينهم تاركين أموالهم وديارهم وكل ما يملكون فى سبيل العقيدة التى آمنوا بها واستقرت فى قلوبهـــم ، وحتى ينجو كل منهم من أذى يلحقـــه بسبب ما شرح الله صدورهم اليه من الدعوة التى جاء بها محمد تخرج الناس من الظلمات الى النور ، وتهدى الى الحق والى طريق مستقيم ... لا معبود الا الله .. الناس كلهم سواسية .. لافضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى والعمل الصالح ..

وما لمعتنق هـــذه العقيدة أن يلقى نكرانا أو اضطهادا ، أو يطرد من أرضه ويحرم من الأهل والمال والولد .. لكن ظلم المشركين من قريش يأبى على هذه الجماعة ما اعتنقت من دين ، وما عمرت صدورها من مبادىء تسخر من ظلمات يعيش فيها الانســـان ، فاتخذوا لصاحب الدين الجديد ولأتباعه كل مرصد ، حتى يتركوا عبادة اللـــه الواحد الأحد الى عبادة أصنام لا تضر ولا تنفع ، ولا تمنع عن نفسها أذى ولا ترد كيدا .. ولـــقى النبى والمؤمنون بدعوته أذى لا يحتمله الا من تمكن الايمان من قلبه تمكنا يهون معـــه أى عذاب .. وكلهم مؤمنون ..

ثلاثة عشر عاما قضوها فى مكة بعد نزول الدين الجديد على محمد ، ينالون من تعذيب قريش وأذاها ما ينالون ، وتحملوا فى صبر تحدث به التاريخ عنهم فى فخر واكبـــار لم يسبقهم اليه أحد ، ولن يدركهم بمثله دعاة مبدأ أو مذهب .. حتى كانت هجرتهم الى المدينة التى حققت لهم المنعة والعـــزة ، وألفت من حولهم قلوبا هفت الى دين الله وانضمت الى حزبه ، داعية اليه ، محاربة فى ســـبيله ، لا يردها عدوان أثيم ، أو تحزب متجبر .. ليس أمامها الا احدى اثنتين أن ينصرها الله على عدوها أو تنال الشهادة فى ميدان القتال فتظفر بالجنة التى وعد الله بها المتقين .

× × ×

سار هذا الركب الكريم من المدينة الى مكة بعد انقضاء السنوات الست يقصد أصحابه بيت الله الحرام فى شهر حرام ، ليطوفوا بالبيت العتيق الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا منذ عهد ابراهيم عليه السلام .. لا حرب فيه ولا قتال ولا شحناء .. كل من يدخله أمن على نفسه من الغدر أو الوقيعة ... وقد فتح هذا البيت أبوابه منذ أقام دعائمه أبو الأنبياء ابراهيم لكل قاصد اليه ، لا يصد عنه ولا يمنع حاج .. وحط الركب رحاله عند الحديبية عندما أبصر المشركين — وقد طارت اليهم أنباؤه — يضربون من حول مكة نطاقا منيعا من الفرسان والمشاة ليمنعوا محمدا وأصحابه من حج بيت الله الحرام وان كان دون ذلك القتال ، لا تمنعهم حرمة البيت الحرام ولا الشهر الحرام ، وعندهما تضع كل حرب أوزارها ، وعلى هذا سنة العرب من لدن ابراهيم عليه السلام ..

ركبت قريش رأسها وجمعت رجالها للموقعة المرتقبة .. كيف يهاجر محمد وأصحابه من مكة ضعافا لا حول لهم ولا قوة ، تاركين أموالهم وديارهم الى يثرب ثم يعودون ليقتحموا عليهم مكة من جديد .. لو حدث ذلك لتمرغت فى التراب سمعة قريش وانحط كبرياؤها ولم يستطع السادة منها أن يرفعوا رءوسهم بين العالمين ، ولانتصر عليهم من أرادوا أن يهزموه .. هذا لن يكون ، ولو كان سببه حج البيت الحرام وأداء سنة ابراهيم ..

لكنها على الرغم من كبريائها الظالم كانت قلوب سادتها ترتجف من هذا الزحف المؤمن الذى باع نفسه لله ، وقد شهدت بلاءه واستماتته فى النضال عن عقيدته منذ يوم بدر وما تلاه من أيام خالدة فى تاريخ الكفاح المؤمن فأرسلت الى النبى رسلها تطلب اليه أن يعود من حيث أتى .. وتكرر تأكيد النبى لكل رسول بعثت به قريش أنه لم يأت لقتال وانما جاء حاجا للبيت الحرام .. وتكرر اصرار قريش على العناد حتى بعث النبى عثمان بن عفان الى أبى سفيان وأشراف قريش كى يبلغهم ما جاء من اجله ويحمل اليهم قوله الكريم عندما بركت ناقته على أرض الحديبية « لا تدعونى قريش الى خطة يسألونى فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها » .. وعاد عثمان بعد ثلاثة أيام وقد أزال من نفوس قريش ما ظنته من أن محمدا اتخذ من سعيه للحج حيلة يغير بها على قريش فى معقلها ، وهى لا تملك أن ترد أحدا من العرب عن الحج والعمرة فى الأشهر الحرم .. لكنها أبلغت عثمان أن ذلك لو حدث لضاعت كبرياء قريش الى الأبد ولن تقوم لها بعد اليوم قائمة ، وقد أصرت على الدفاع عن هذه الكبرياء بالحرب اذا لم تجد لنفسها مفرا منها .. ومع هذا الاصرار خطوة الى الوراء .. فهذا الموقف مقصور على هذا العام فقط ، ولا مانع من الصلح عليه ..

وبعد أيام استقبل النبى «سهيل بن عمرو» رسول قريش للصلح على العودة الى المدينة ... جاء يحمل مزيجا من أنفة قريش وتراجعها ... وجاءت شروط الصلح تقضى بالهدنة بين محمد وأصحابه وبين قريش لمدة عشر سنوات لا يقوم فيها قتال ، وأن يعود وزحفه عن مكة هذا العام على أن يدخلها حاجا فى العام القادم ويمكث بها ثلاثة أيام يؤدى وأصحابه مناسك الحج ويطوف بالكعبة والبيت الحرام .. ومع هذه الشروط وغيرها شرط آخر لم تحتمله نفوس المسلمين أول الأمر : « من جاء الى محمد مسلما دون اذن وليه فلقريش حق اعادته الى معسكرها ، أما من رغب عن محمد راجعا اليهم فليس لمحمد مثل هذا الحق » .. ووافق النبى حقنا للدماء ، واستطاع أن يهدىء نفوس أصحابه الغاضبة الثائرة مؤكدا لهم أن نصر الله قريب وأن من وراء ذلك الفتح المبين وعدهم الله اياه ..

ولم يكد يطول بهم طريق العودة حتى امتلأت نفوسهم غبطة بما أنزل الله على نبيه : « انا فتحنا لك فتحا مبينا . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما » الى آخر سورة الفتح التى تحمل البشرى لركب المؤمنين بالفتح المبين كما تعلن رضاء الله عنهم حين بايعوا النبى على الموت فى سبيل الله اذا لم يكن بد من لقاء قريش فى حرب : « لقد رضى الله عن المؤمنين

اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا » ..

× × ×

وانقضت على هذا العهد عدة أشهر ... واطمانت نفوس قريش بما حققت .. الا أن قلبا كبيرا بين رجالها لم يهدأ له نوم ولا يقظة ، يعيش أيامه قلقا مهموما ، فقد تفتحت نفسه للايمان بالدين الجديد الذى يقوى مع الايام .. كيف اذا أعلن الانضمام اليه وأخذ مكانه فى صفوف المؤمنين أن يسلمه النبى الى معسكر الكافرين يؤذونه ويشـــمتون به ويوقعون به التعذيب والتنكيل .. كان صاحب هذا القلب هو « أبو بصير .. عتبة بن أسيد بن جاريه » .. عاد الى مكة من مجلس الصلح والهم يأخذ عليه كل جوانب نفسه ، ولا يزال يذكر ما وقع لصاحبه « أبى جندل بن سهيل بن عمرو » حينما لجأ الى النبى بعد توقيع الصلح يستنجده من أذى أبيه وقد شرح الله صدره للاسلام فرده النبى الى أبيه يضرب وجهه ويدفعه أمامه وصيحاته تستغيث بالمسلمين أن يمنعوه من الأذى ، والا يتركوه لقريش تفتنه فى دينـــه الذى هداه الله اليه .. ولم يزد النبى على أن قال له : « يا أبا جندل .. اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين مخرجا .. انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم وأعطونا عهد الله وانا لا نغدر بهم » .

« أبو بصير » لا يزال يذكر ذلك ، ونفسه موقنة بانه لا مكان للمؤمن بين الكافرين المتجبرين الذين لا يحترمون حرية العقيـــدة ولا تبصر عيونهم ولا قلوبهم نور الايمان .. كيف اذن يعيش بينهم ويؤدى فرائض دينه ، ومن لـــه بينهم يفقهه فى الدين ويتلو عليه الآيات التى يهبط بها الوحى من عند الله الى رســـوله الكريم ... وأزمع فى نفسه أمرا ..

فى هداة ليل ودع أهله وعياله وماله واتخذ طريقه الى المدينة عسى أن يقبله النبى ويمنعه .. ودخل أبو بصير المدينة وهـــــذا الامل يداعب قلبه ، ولما بلغ مجلس النبى القى بين يديه أمله .. لكن أخبار أبى بصير كانت قـــد تسربت الى قريش فارسلت الى النبى فى طلبه وبعثت اليه باثنين من رجالها يلازمان أبا بصير فى رحلة العودة الى مكة نفاذا للعهد الذى التزم به لهم .. فقال النبى : « يا أبا بصير ، انا قد أعطينا هؤلاء القوم ما علمت ، ولا يصح لنا فى ديننا الغدر ، وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق الى قومك .. » فيكرر أبو بصير رجاءه الى النبى قائلا : يا رسول الله ، أتردنى الى المشركين يفتنوننى فى دينى .. ولكن النبى يؤكد أنه لا يغدر بعهد ، وان الله سيجعل له وللمستضعفين فرجا ومخرجا ..

وسار أبو بصير مع حارسيه راجعا الى مكة ينتظر تحقيق الفرج .. ومع ايمانه بذلك فانه يدبر أمره ، والله يعينه عليه .. وعلى الطريق الطويل بين المدينة ومكة كان الثلاثة يتفيأون ظلال أشجار كلما اشتد قيظ الهاجرة يستريحون من جهد المسير ، ويعرجون الى عيون الماء يستسقون منها ما يطفىء ظمأهم وسط الصحراء حتى كانت الجلسة الأخيرة تحت شجرة حدباء وبالقرب منها بئر ليس من حولها طلاب سقيا .. انهم الآن داخل نطاق مكة .. فى الحديبية .. نفس المنطقة التى شهدت الصلح بين النبى وبين قريش ، ذلك الصلح الذى يعود بشروطه الى الكافرين بعد أن هداه الله الى الايمان .. لكنه وهو الآن فى أرض مكة قد عاد الى ديار قريش ، وهو أن دبر لنفسه أمر الفرار من حارسيه فى هذا الوقت الـــــذى انقطع المستسقون عن البئر يكون قد أوفى عهد النبى لقريش ..

وفى نفس هذا الوقت كان أحد حارسيه وقد اطمان الى أنه فى دياره وغير بعيد من قومه تراوده نفسه أن يشمت بأبى بصير بعد أن أصبح قاب قوسين أو أدنى من عمليـــات تعذيب كبرى بين المتعصبين من قريش ضد دين محمد ومن يتبعون هذا الدين .. فأخرج سيفه يرهب به الرجل المؤمن ويلقى الخوف فى قلبه من مصير ينتظره .. وأدرك أبو بصير ما يدور فى نفس حارسه ، ولم يتركه يبدأ الحديث .. وشهدت ظلال الشجرة الحدباء حوارا بين الرجلين : قال أبو بصير :

— انى أرى فى سيفك هذا مـلامح جودة معدنه وصقل صناعته ..
— هو كذلك أيها التابع الجديد لمحمد ..
— دلنى على من صنعه لك ، لعلى التمس عنده سيفا مماثلا ..
— وماذا تصنع به ؟ !
— العربى يعتز بحمل السيف الجيد ، ولو كان لغير قتال ..
— لا تتمن ذلك أيها التابع الجديد لمحمد ، فبعد مسيرتنا الباقية الى عمران مكة سيطير رأسك فى الهواء بضربة واحدة من هذا السيف ولن تنفعك الأمانى .. وبعد أن تموت سيأتى وقت لهذا السيف يضرب يمينا وشمالا داخل يثرب فى رقاب الذين سبقوك الى الايمـان بمحمد والكفر بآلهة قريش ..
— ولكنى أعجب بسيفك هذا بالرغم مما تتوعدنى .. من الذى صنعه لك ؟ .
— لقد ورثته عن جدى الذى كان يهوى القتال به ، انه سيف بتار لا يكلف حامله جهدا كبيرا فى الاطاحة برءوس أمثالك ..
— اذا هو سيف فائق الجودة ..
— انه كذلك
— هل لى أن أتأكد مما تقول ؟
— خذ .. احمله فى يدك لترى ثقلـه ، واضرب باصبعك عليه لتختبر جودة حديده ، وأمرر راحتك على حده لتطمئن الى مضائه فى قطع الرقاب ..
والتقط أبو بصير السيف ، وفى لمح البصر كانت عنق هذا الحارس قد طارت فى الهواء بضربة واحدة من يمين المؤمن الجديد ... وفكر الحارس الثانى بسرعة خاطفة وأطلق ساقيه للريح عائدا الى المدينة يشكو الى محمد فعلة صاحبه ، وأبو بصير يعدو وراءه عسى أن يظفر به .. ووصلا الى النبى — فقال أبو بصير : يارسول الله ، وفت ذمتك ، وأدى الله عنك .. أسلمتنى بيد القوم ، وقد امتنعت بدينى أن أفتن فيه أو يعبث بى .. أنا ما عدت حتى بلغت ديار القوم فدعنى وشأنى .. فأعجب النبى به ، وتمنى لو كان معه رجال ينصرون خبرته القتالية فى مكان فسيح .. وقال له : « يا أبا بصير .. اذهب حيث شئت » وكان هذا القول اشارة صريحة الى المؤمن الجديد بأنه يملك الحرية فى عدم العودة الى مشركى مكة ، فشرط الصلح لم يعد يحتمل رده مرة أخرى الى ديارهم ..

× × ×

وانطلق أبو بصير فرحا بهذه النتيجة التى حررته من قبضة الكافرين ، وهو بعد ذلك لا يعجزه أن يضرب فى الارض أيا كان المصير ، ما دام قد نجا بدينه ينطلق لسانه بكلمة التوحيد غير خائف من أن يتسمع عليه أحد المشركين فيوشى به الى الذين يتولون تعذيب المؤمنين بالله الواحد الأحد المصدقين برسوله الـذى أرسله الله رحمة للعالمين ..

فى سبيل الله هذه المسيرة الطويلة التى قطعها أبو بصير على رمال الصحراء باحثا عن ظل يفىء اليه أو بئر يجد فيها جرعة ماء تطفىء ظمأ من اشـــتدت عليه حرارة الصحراء ..

ولكن أبا بصير يفكر .. الى أين سينتهى به المسير .. وينقذه من هذا التفكير صدى كلمة قالها له النبى « ان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا » ... وها هى ذى قدماه تصلان بمسيرته الى طريق ممهد .. هنا علامة للحياة .. أقدام السائرين وأخفاف الابل تترك بصماتها على الطريق .. ولكن من أين يبدأ هذا الطريق والى أين ينتهى .. وبذكاء العربى أدرك أن الطريق لقوافل التجارة بين مكة والشام قريبا من البحر ، وأنه غير بعيد من مكان يسمى « العيص » .. وفكر كثيرا .. لقد اضطره عناد قريش وكفرها الى أن يترك داره وأهله وماله ويفر بدينه .. وما الدين الا هداية ورشاد للانسانية .. هو على الحق وهم على الباطل ، ومع ذلك فقد الدار والاهل والمال ، فالمشركون فى مكـة يمثلون دور الغاصب لكل ذلك .. ماذا عليه لو هاجم قوافلهم الذاهبة الى الشام بالتجارة أو العائدة الى مكة بما حملت لتبيع فى أسواقها واستولى منها على ما يبقى فى جسده نبض الحياة حتى يستمر لسانه فى ترديد كلمة التوحيد التى يؤمن بها قلبه وتفيض على روحه طمأنينة وأمنا .. انه لو فعل ذلك لما كان معتديا على أحد فهو يسترد حقه فى ماله الذى حرمته منه

قريش ، وتركته هكذا هائما فى الصحراء ، فلا هو يستطيع الذهاب الى المدينة يمتنع فيها بقوة المهاجرين والانصار ، ولا هو بقادر على العودة الى مكة ليستأنف بين ديارها حياة العمل ويستمتع بحرية العقيدة ..

× × ×

الوقت ليل .. والهدوء يسود المكان .. ونجوم السماء ترسل ضـــوءا خافتا لا يكاد يستوضح من خلاله عن بعد صور الرائحين والغادين .. لكن صوتا ينساب الى أذنيه من بعيد ، ويدنو منه الصوت شيئا فشيئا ، ويدرك أنه صوت حادى الابل .. لا بد أن قافلة فى الطريق .. وعليه أن يبدأ تنفيذ ما فكر فيه .. واختبأ خلف صخرة عالية ومن جانبها ترقب عينه بداية قربها منه .. وترك القافلة تقطع الطريق .. خمسون جملا أو تزيد مرت حتى الآن بعضها فى اثر بعض محملة بمواد التجارة متجهة الى مكة ولا يزال فى القافلة مزيد من الجمال .. وظل ينتظر حتى أوشكت القافلة أن تمر كلها من أمامه .. لم يبق فيها الا خمسة جمال وحارسان .. فقفز اليها شاهرا سيفه وأخذ الحارسين على غرة فقتلهما وفصـــــل الجمال الخمسة عن بقية القافلة .. وأحس بقية الحراس الذين مضوا أن شيئا غير عادى قد حدث ، ولكنهم لم يفكروا طويلا فأخذوا يضربون أعجاز الابل لتسرع فى السير .. لا بد أن عصابة تقطع عليهم الطريق لتأخذ ما حملت الابل من خيرات الشام التى تصنع الرواج فى أسواق مكة .. وبعد ليلتين أو ثلاث ترصد أبو بصير لقافلة ثانية .. فثالثة .. وفى كل مرة تقوم بينه وبين حراسها معركة يكتب الله له فيها النجاة والنصر والرزق .. ولم يلبث حراس القوافل وأصحاب التجارة أن اكتشفوا حقيقة أمره .. انه أبو بصير ..

وحملت أنباء القوافل العائدة الى مكة هذا الخبر الى مجالس قريش ونواديها .. فعزمت على الكيد له وقتله ان تعرض لهذه القوافل واتخذت لذلك عدتها بتزويد حراس القوافل بكثير من السيوف والرماح ..

× × ×

لكن المستضعفين الذين شرح الله صدورهم للاسلام فى مكة ويخشون الجهر به بين قومهم ولا يستطيعون الذهاب الى المدينة والانضمام لصفوف سابقيهم الى الايمان خشية أن يعيدهم قومهم اليهم كما نصت شروط صلح الحديبية ، وجدوا لانفسهم مخرجا مما يعانون من كبت فخرجوا بليل واحدا فى أثر واحد .. كل يحمل سيفه ورمحه الى المكان الذى يربض فيه أبو بصير يعلنون الانضمام اليه ويشاركونه هـــذا الضرب فى الجهاد فى سبيل الدين والحياة ، واتخذوه اماما لهم فى صلواتهم وقائدا لهجماتهم على قوافل قريش ، وهم حين يفعلون ذلـــك يكسرون شوكة قريش بتدمير تجارتها التى تجمع منها الأموال لحرب النبى والذين آمنوا معه ، ويثأرون لاخوانهم المهاجرين الى المدينة تاركين أموالهم وديارهم فى مكة نهبا للمشركين ..

وهناك فى مكة ، كان « أبو جندل بن سهيل ابن عمرو » يحرقه الشوق الى أبى بصير ورفاقه ، فأخذ يجمع من حوله اخوانه الذين يكنون ايمانهم خوفا من قريش وينتظرون فرج ربهم .. لقد كان على الرغم من بطش قريش وسطوتها وتنكيلها بكل من يظهر الايمان بمحمد، يسعى اليهم تحت أستار الليل ويسعون اليه يتدارسون آيات من القرآن الكريم ، ويتفهمون تعاليم النبى ، ويؤدون صلواتهم الى اللـــه بعيدا عن العيون التى تترصد حركاتهم مؤمنين بأن الشر مهما اشتد سلطانه ، وأن الظلم مهما قويت شوكته فان يوما قريبا سيأتى يخفق فيه علم الحق عاليا وتندثر دولة الجبروت والطغيان ويتحقق نصر الله القوى العزيز ..

ان « أبا جندل » لا يزال يذكر يوم صلح الحديبية حين انضم الى صفوف النبى فاسترده أبوه وهو يركله ويضرب وجهه ، ولم يملك النبى وقتها الا أن قال له « يا أبا جندل .. اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين مخرجا ، انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم وأعطونا على ذلك عهد الله وانا لا نغدر بهم .. »

لقد تجمع الآن من حوله نحو سبعين مؤمنا من صحابه .. كل منهم يملك ايمانه ويعتز به

ويعاهد نفسه على النجاة به والدفاع عنه .. وكانت وجهتهم ذلك الحشد من المؤمنين الذين التفوا من حول أبى بصير وفكرته .. وقوى الله الجبهة المؤمنة فى غاراتها على تجارة قريش ، وبدلا من أن تكون غنائمها من قوافلها بعض ما تحمل ابلها أصبحت هذه الغنائم تزيد يوما بعد يوم لتهدد القوافل كلها فلا ينجو منها أحد ، وغدت تجارة مكة يهددها الفناء ، وهى عصب حياتهـــا والعامــل الاول فى رواج أسواقها ..

× × ×

وانعقد مجلس السادة من قريش وأصحاب الكلمة فيها يتشاورون فى رد هذه الغائلة عن قوافلهم .. ماذا يصنعون ..

وارتفعت الاصوات فى المجلس :

واحد يقول : نضع فى حراسة كل جمل اثنين أو ثلاثة من الرجال الاشداء المسلحين ، فاذا تعرضت قافلة للاغارة استطاعوا الدفاع عنها والنجاة بها ..

فيرد عليه آخر يسفه رأيه : اذا ستخرج مكة كلها وراء قافلتين أو ثلاث وتبقى الديار كلها بدون رجال لقمة سهلة لغزوة من غزوات محمد وصحبه تسقط فيها مكة بدون قتال ، وعندئذ لا تستطيعون اخراجه منها بعد أن كثر أتباعه والمؤمنون بدينه ..

ويجمع المجلس على استبعاد هذا الرأى ..

فيقول ثالث : نرسل الى محمد رسلنـــا يطلبون منه أن يمنعهم من التعرض لتجارتنا ..

ولكن صوتا يرتفع مسفها هذه الفكرة .. يقول : لقد أخذتم العهد على محمد أن يرد اليكم من يذهب اليه مؤمنا ، وما ذهب اليه أحد بعد أبى بصير .. انه سيقول لرسلكم : عهدكم نافذ .. أما هؤلاء الذين يترصـــدون تجارتكم على الطريق فليس لى عليهم من سلطان

يظهر رأى جديد من أحد سادة قريش .. انه يرى لدفع هذا الخطر أن تجهـــز قريش جيشا يزحف الى هؤلاء الناس فيقاتلهم ويبدد جمعهم حتى يتحقق الامان للتجارة فى غدوها ورواحها ..

فينطلق صوت آخر : بئس هذا الرأى .. لقد كان أبو بصير ورفاقه يعدون فى أول الامر بالعشرات ، وكانوا أصحاب قدرة نافذة فى الاغارة على القوافل ، والآن يبلغ عددهــم ثلاثمائة أو يزيد ، باعوا أنفسهم لاله محمد ، فان التقيتم معهم فى قتال فانى أخشى عليكم من العاقبة .. لا يغرنكم أن عددهم قليل فى مواجهة الجيش الكبير الذى تستطيعون اعداده فقد بلونا من أصحاب محمد كثيرا فى يوم بدر .. كانوا ثلاثمائة وكنتم ألف مقاتل ، ولكنهم انتصروا عليكم ، ويوم أحد انكشفت صفوفكم بعد ضرباتهم الاولى فى أعناقكم ، ولولا أن جماعة من أتباع محمد خالفوا أمره وتركوا مواقعهم على الجبل لما تمكنتم من هزيمتهم .. ثم ألا تذكرون يوم أن جمعتم الأحزاب من حول يثرب تحاصرونها للقضاء عليه ووقع فى خندقه فرسانكم وأبطالكم ، ومن رضى من رجـــالكم بالمبارزة كان مصرعه بضربة واحدة من سيف أحد المسلمين حتى الحق بكم العار .. وسراياه .. هل نسيتم ؟ ! .. ابحثوا يا قوم عن مخرج أمين تسلم به تجارتكم وتنجو حياتكم ..

وتثور الضوضاء فى المجلس .. هذا يقول انه جبان .. وآخر يصل الحديث : ويريد أن يلصق الجبن بأهل مكة كلهم ليصيروا أمثولة العرب .. ويقول ثالث : انكم جميعا تجيدون الحديث من غير طائل .. ورابـــع وخامس وسادس .. ثم يهدأ مجلس السادة والاشراف من أهل مكة .. ويطرح أحدهم رأيا .. الحل الوحيد هو أن تعلنوا تنازلكم عن الشرط الذى قيدتم به محمدا يوم الحديبية فى اعادة من يذهب اليه مؤمنا ليقيم معه بالمدينة ولا يذهب

الى طريق القوافل يغير عليها .. وليس عليكم أن يزيد أتباعه هناك ، فقد أخذتم عليه عهدا بوقف القتال بينكم وبينه عشر ســـنوات لا تغيرون عليه ولا يغير عليكم .. فمن صبأ بعد اليوم وآثر الذهاب اليه فلن يكون منه خطر على تجارتكم طوال هذه السنين ، ثم تطلبون اليه أن يستقدم اليه المؤمنين به الـــذين يعسكرون على ساحل البحر فى طريق تجارتكم فيأمن الطريق وتغدو تجارتكم وتروح لا يتعرض لها أحد . ويعود الى أسواقكم نشاطها بعد أن هددها الكساد ..

وتميل رءوس السادة والاشراف من قريش فى همهمة وهمس .. وبدا على وجوههم الاقتنـــاع ، فليس أمامهم بد من ذلك .. فالايمان الذى تمكن من نفوس المســتضعفين وقلوبهم بعث فيهم قوة تحمل فى قبضـــتها مصير قريش وتهدد حياتها ، ولم تنفع معه شروط ثقيلة كبلت محمدا وأصـــحابه يوم الحديبية ..

× × ×

وجاءت رسل قريش الى النبى ترجو قبول ما يعرض سادتها وأشرافها .. وقبل النبى الرجاء .. وأسرع جماعة من أصحابه الى المستضعفين يعلنون اليهم أن الله قد حقق لهم الفرج وجعل لهم مخرجا .. وفى الوقت الذى وصل اليهم فيه أمر النبى بالقدوم الى المدينة كان أبو بصير يسلم الروح بعد مرض اشتد عليه فاستبشرت روحه بنصر الله ... وفى نفس موقعه وســـده أصحابه الثرى ، وانطلق ركبهم الى المدينة لينضموا الى أخوان لهم هناك يدعمون قوتهم وبأسهم استعدادا ليوم الفتح المبين ..



تنـــويه

صورة الغـــلاف الامامى للعدد الماضى من تصوير السيد محمد باقر حبيب بالتلفزيون الكويتى فلزم التنويه



تحتل ادارة الشئون الاسلامية بوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية مركزا هاما بين الادارات الاخرى وقد اسندت ادارتها للاستاذ عبد الله العقيل احد علماء الازهر البارزين ، وقد وجد فى هذا العمل مجالا واسعا لنشاطه الملحوظ وحميته الاسلامية ، وتمشيا مع اهداف الوزارة فى نشر الدعوة الاسلامية فى معظم انحاء العالم فقد اعدت هذه الادارة منهجا للعمل قامت بتحقيقه خلال السنوات الماضية فعملت على تقوية روابط الاخوة الاسلامية مع الشعوب والجاليات الاسلامية فى افريقيا وآسيا والبلاد المختلفة وعملت على ايجاد فكر اسلامى واع منقى من الشوائب التى علقت به بتأثير الفلسفات والثقافات والظروف المختلفة التى عاشها المسلمون كما اشرفت هذه الادارة على اقامة المواسم الثقافية التى يحاضر فيها عدد كبير من رجال الفكر الاسلامى من أجل نشر الوعى الدينى بين المسلمين .

وفى مجال احياء التراث الاسلامى اخذت على عاتقها فيما أخذت من المهمات الاسلامية نشر ما يكون فى بعثه ونشره من التراث الاسلامى العلمى نفع كبير ، أو احياء لأثر مجيد يهدده الضياع أو عون على طريق جديد فيه تبصرة وتوعية للمسلمين فى تأسيس المفاهيم الصحيحة عن الاسلام فى نفوسهم وعقولهم أو بعث للقيم الخالدة فى شريعتهم .

- الفوائد في مشكل القرآن
- الجمان في تشبيهات القرآن
- مختصر صحيح مسلم

واحياء التراث الاسلامى والادبى والعلمى من مخطوطات نادرة تركها السلف الصالح والتى تبلغ على أقل تقدير ثلاثة ملايين مخطوط يعتبر من الأعمال المجيدة التى يجب على الدول الاسلامية والعربية أن تتبناها وتبذل كل ما فى وسعها فى سبيل تحقيق النفيس من هذه المخطوطات ، وقد تنبه العرب والمسلمون فى العصر الحديث الى ضرورة احياء هذا التراث الخالد ، ولا تزال تبذل جهود كبيرة فى هذا الصدد .

ففى القاهرة يعنى بهذا الامر الى جانب دور النشر الكثيرة العدد وزارة التربية ثم وزارة الثقافة والارشاد ودار الكتب المصرية وهى أول من بدأ بذلك من المؤسسات والجمعية التاريخية المصرية ومعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

أما فى دمشق فأول من عنى بهذا الامر هو المجمع العلمى العربى وكان للاستاذ الجليل محمد كرد على سيد النهضة العلمية بالشام الفضل الادبى فى ذلك وقد نشر المجمع آثارا جيدة مفيدة تعد مصادر ذات شأن ، ثم جاءت وزارة الثقافة السورية أخيرا لتسهم فى النشر .

ويلى القاهرة ودمشق بغداد فقد بدأ المجمع العلمى فيها بنشر النصوص وساعد على نشرها وما نشره جيد ولكنه قليل بالنسبة لما يؤمل منه .

وفى بيروت أخذت جامعة بيروت اللبنانية بنشر نصوص مفيدة تتعلق بتاريخ لبنان .

وظهر نور جديد فى السنوات الاخيرة فى الكويت اذ أخذت وزارة الارشاد والانباء فى تقديم سلسلة من المخطوطات باسم (التراث العربى) بينما اتجهت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية فى تقديم سلسلة أخرى من المخطوطات باسم : (التراث الاسلامى) .

فاذا انتقلنا من المشرق العربى الى المغرب العربى لم نجد نشاطا ملموسا او انتاجا يذكر فى هذا المضمار ولولا ما نشرته وزارة التربية القومية والشباب والمعهد القومى للآثار بتونس وكلية الآداب وكلية الصيدلة فى جامعة الجزائر ومعهد الدراســـات العليا فى الرباط ومعهــد مولاى الحسن بتطوان لمـــا ذكرنا شيئا .

وينبغى أن نذكر كذلك أن جامعة الخرطوم بالسودان كانت قد بدأت بنشر بعض النصوص ولعلها تمضى فى ذلك .

وبنظرة خاطفة لكل ما حقق من مخطوطات فى تلك البلاد نجد ان الكثير من هذه النصوص التى طبعت يحتاج اليها العالم العربى وتفيد فى استجلاء وجوه الحضارة الاسلامية العربية .

ونلاحظ فيما نشر وفرة النصوص الادبية واللغوية ويلى ذلك النصوص التاريخية والتراجم وقد زادت العناية بالنصوص الفلسفية فى هذه الفترة .

أما المخطوطات الاسلامية فكان نصيبها القليل من التحقيقات . لذا اهتمت ادارة الشئون الاسلامية بالتراث الاسلامى وانفردت عن غيرها من الهيئات بالعناية بالثقافة الاسلامية فى منابعها الاولى وتخريجها للناس فى أثواب قشيبة ميسرة وتحقيقا لهذه الغاية قامت بنشر الكتب المتصلة بعلوم الشريعة الغراء من القرآن أو الحديث أو أصول الدين من المؤلفات القيمة التى لم تزل فى عالم المخطوطات وهو عالم متـــرامى الاطراف لابد من تضـــافر الجهود الفـــردية والحكومية لابراز مكنوناته وقد أفردت لهذا سلسلة دعتها سلسلة : (احياء التراث الاسلامى) .

وكان من الطبيعى ان تكون باكورة هذه السلسلة كتبـــا تتصل بالقرآن الكريم .

وقد وقع الاختيار على كتابين أولهما :

« الفوائد فى مشكل القرآن » للشيخ العـــلامة عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام المجاهد الفقيه الشافعى رضى الله عنه وهو كتاب لعله فريد ومفيد فى بابه يعرض فيه بايجاز غير مخل لما قد ينقدح فى ذهن القارىء لكتاب الله العظيم من اشكالات قد يتساءل عنها فى بادىء الرأى او بعد تأمل فى بعض آيات القرآن .

فالمؤلف رحمه الله يطرح الاشكال من هذا القبيل سواء أكان من الاشكالات اللغوية أو النحوية أو البلاغية أو العقائدية أو الاصولية ويجيب عنها بما يراه مناسبا وقد عرض فى هذا الكتاب طائفة من هذه الاشكالات وأجوبتها بأسلوب رقيق موجز واشتمل طرح الاشكالات وأجوبتها على كثير من الفوائد العلمية التى فيها تمرين لفكر طالب العلم وتوسيع لأفقه وتحليل دقيق للنص ووجوه الاحتمالات فى فهمه وما يتفرع عنها من نتائج فى المعنى وما يقبل منها وما يستبعد .

والظاهر لمن يتأمل فى عبارات هذا السفر النفيس أنه تلخيص لدروس فى تفسير القرآن الكريم القاها الشيخ ابن عبد السلام على جمع خاص من التلاميذ ذوى الاطلاع الواسع فى العلوم اللغوية والدينية ، وقد حقق الكتاب على ثلاث مخطوطات هى :

١ — مخطوط دار الكتب المصرية ٧٧ تفسير .

٢ — مخطوط المتحف البريطانى ٧٧١٣/٧٥٠ .

٣ — مخطوط المتحف البريطانى ٩٦٩١ .



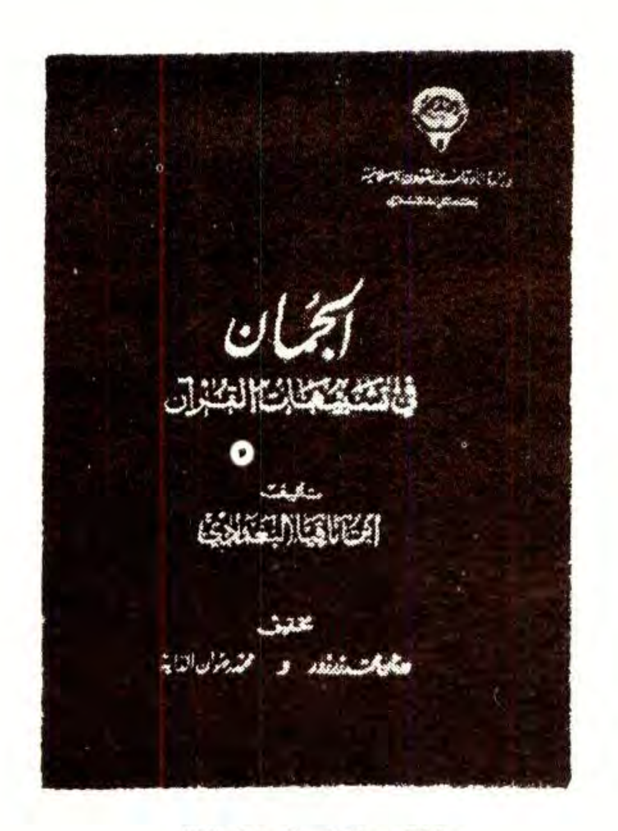
↑ طبعة وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

مخطوط المتحف البريطانى ٩٦٩١ →

وقد اشتملت هذه المخطوطات على تفسير القرآن وشرح أحاديث منتقاة ومناقشة بعض مسائل فقهية . والقسم المتعلق بتفسير القرآن الكريم يشكل الجزء الاعظم من مادة الكتاب وهو الذى اختير للتحقيق ، وقام بتحقيقه الدكتور السيد رضوان على الندوى الاستاذ فى كلية الآداب بالجامعة الليبية فى بنغازى وأعطى لنفسه الحرية فأطلق على الكتاب عنوان : « فوائد العز فى مشكل القرآن » وهو أقرب العناوين وأشملها من مادة الكتاب .

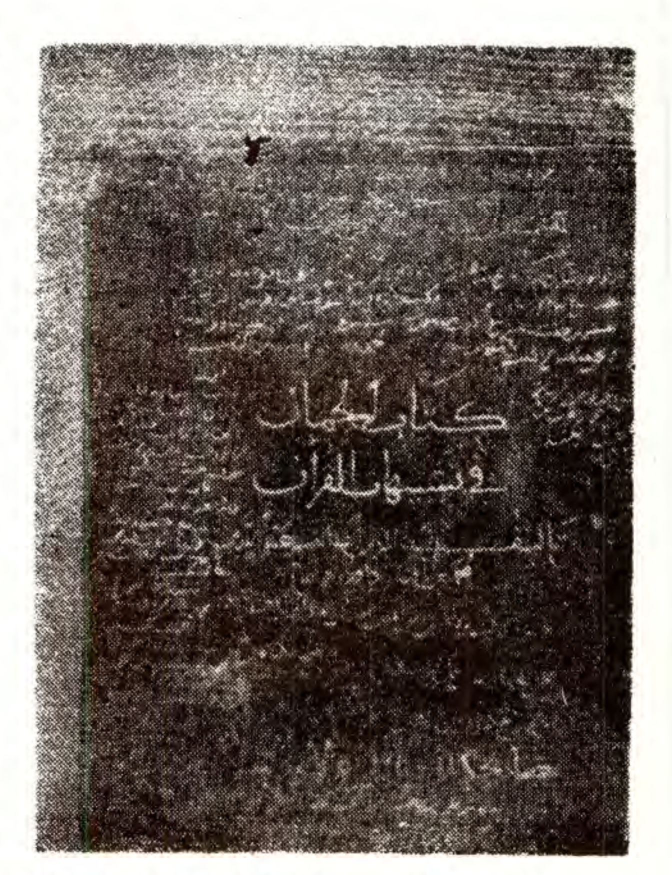
□ □ □

والكتاب الثـــانى هو (الجمان فى تشبيهات القرآن) *



غلاف الطبعة المحققة

وكتـــاب الجمان هـــذا يتنـــاول موضوعا هاما فى الدراسات القرآنية وهو سمو بلاغة القرآن ووضـــوح اعجازه وقد استوعب الكتاب مواطن التشبيه والتمثيل فى القرآن وحللها تحليلا دقيقا بعد تفسير الآيات التى تضمنها وعزز ذلك بالشواهد اللغوية والادبية من شعر ونثر متعرضـــا للمقارنة بين التشبيه القرآنى وبين ما ورد فى نفس الغرض من شـــعر جاهلى أو اسلامى لبيان الفارق الكبير بينهما واظهـــار التفـــوق البـــلاغى الواضـــح فى أسلوب القرآن على غيره فكان الكتاب لهذا يضرب بسهم واحد فى الدراسات الادبيـــة لكثيرة شواهده وغزارة مادته اللغوية التى حشدها لايضاح معانى القرآن فكان فيه ارواء لظمأ هواة العربية أيضا .



ورقة الغلاف من المخطوط وفيها عنـــوانه واسم مؤلفه ..

أما مؤلف الكتاب فهو أبو القاسم عبد الله بن محمد بن ناقيا البغدادى وهـــو من أعـــلام الادب فى القرن الخامس الهجرى ويلوح من كتـــابه ســـعة معرفتـــه باللغة والشـــعر ومهارته فى جلاء روائع التشبيهات القرآنية وعنايته بالتحليل والنقـــد الادبى .

وقد تولى تحقيق الكتاب والتعليق عليه الاستاذ عدنان محمـــد زرزور والدكتور محمد رضوان الداية أختص أولهما بمـــادته التفســـيرية وثانيهما بمادته الادبية وكان نتيجة ذلك اخراج الكتاب بصورة تدعو للاعجاب .

---

* راجع : كتاب الشهر فى العدد ٥٣ من مجلة الوعى الاسلامى .

وبهذين الكتابين كانت السلسلة متوجة بالعناية بالذكر الحكيم ثم انتقلت بعد ذلك فى نشر الوان أخرى من التراث الاسلامى وبدأت بالسنة المطهرة فكان كتاب :

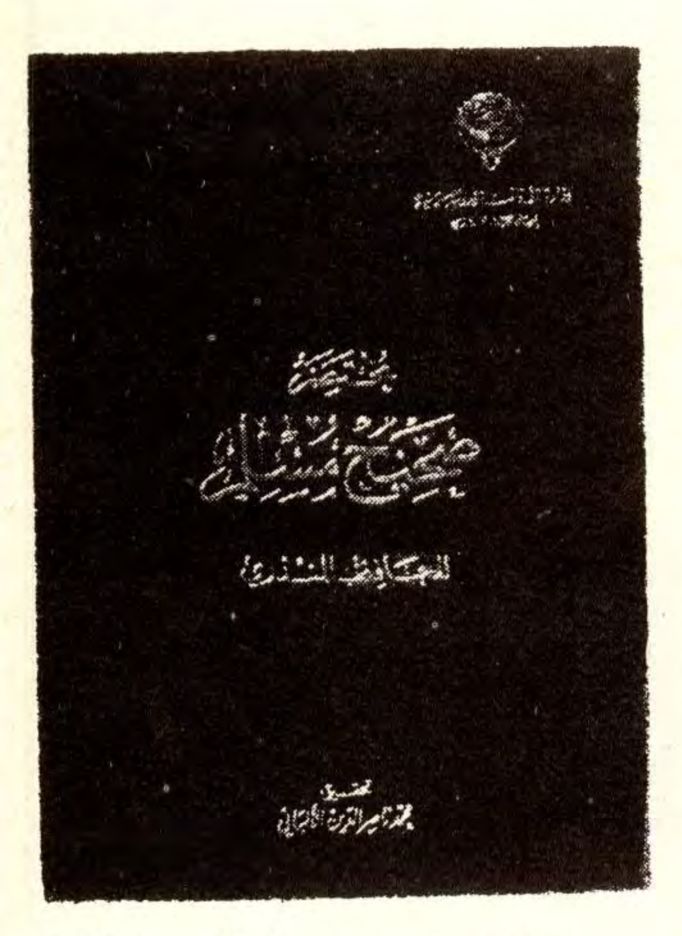
(مختصر صحيح مسلم) .

ويعلم من له أدنى اطلاع على تاريخ تدوين الحديث النبوى مدى ما كيد له من خصومه أيام الفتن بالوضع والدس وما عرض له من أذى الجاهليين والمفرطين من التساهل فى نفى الدخيل عنه وعدم التحرى لتمييز الصحيح والثابت عن الضعيف والمردود .

لقد أتيح للسنة النبوية من الصيانة والعناية ما لا يستغرب حصوله بعد أن عاش لها الجهابذة ونذروا لدراستها أعمارهم المباركة .

ولعل أول ما عرف التخصص فى علم واحد هو التخصص فى السنة والانصراف لعلومها وقد تمثلت العناية التامة بالسنة بعد مرحلة الجمع والتدوين التى أريد بها انقاذها من الضياع باقبال المحدثين الحفاظ على استخلاص الصحيح من غيره .

وأول من الهم ذلك شيخا المحدثين الامام محمد بن اسماعيل البخارى وصاحبه الامام مسلم بن الحجاج النيسابورى حيث ألف كل منهما جامعا صحيحا من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم واتبعا أعلى طرائق التحرى والانتقاء بحيث حصلت الثقة والطمأنينة بالنقل عنهما والعمل بما فيهما .




الجزء الأول من كتاب

السراج الوهاج من كشف

مطالب صحيح مسلم ابن الحجاج

طبع في المطبع الصديقي الكائن في بلدة بهوبال المحمية

سنة ١٣٠٢

غلافا (مختصر صحيح البخارى) المخطوط والمحقق ..

وقد جاءت الاحاديث فى صحيح مسلم مكتنفة باسانيدها وتكرر الحديث فيها لكثرة طرقه وتعدد رواياته وهـــذا جعل من الضرورى لافادة غير المختصين أن تختصر لهم تلك الكتب بحذف الاسانيد وذكر الاحاديث مجردة . وطى الروايات المكررة بعد اختيار أوعبها لفظا ومعنى وكان من الكتب التى اختصرت على النحو المذكور (الجامع) للامام مسلم اختصره الحافظ المنذرى فى كتابه هذا فجاء مشتملا على معظم أحاديثه مجردة من الاسانيد والروايات .

وقد أجاد رحمه الله فى اختصاره كما وضع لأبوابه عناوين معبـــرة عن مدلولاتها .

والمؤلف الحافظ المنذرى زكى الدين عبد العظيم من كبار حفاظ الحديث فى القرن السابع الهجرى وقد اعتكف طوال حياته فى دار الحديث الكاملية بالقاهرة لدراسة السنة وبث علومها الى جانب اشتغاله بالفقه ومشاركة فى اللغـــة والتاريخ .

وقد قام بتحقيق الكتاب المحدث البارع الاستاذ محمد ناصر الدين الالبانى الذى وقف حياته على الاشتغال بالسنة مع مهارة فائقة ونباهة زائدة فى تمييز الثابت منها والتحذير من الضعيف والموضـــوع ودحر الخرافات والبدع فعنى بضبط النص وشرح غريبه والتعليق على المواطن المشكلة أو المبهمة من معانيه كما صنع فهرسا كاملا لأطراف أحاديثه مرتبا على الحروف لتسهيل الاستخراج من الكتاب والعزو اليه .

ان نشر هذا السفر القيم يضع بين يدى المسلم كتابا جامعا لأحاديث الاحكام والآداب ، مما صح سنده فأصبح قريب التناول ميسر الاخراج .

وهذا الكتاب الثالث فى سلسلة احياء التراث الاسلامى يزيد هذه السلسلة قوة وأصالة لتؤدى دورها الكامل فى احياء التراث الاسلامى فتحيا به النفوس المسلمة ويتصل ركبنا الحاضر بالعهود الزاهرة لسلفنا الصالح ويكون المستقبل لهذا الدين الحنيف ان شاء الله .



ولكن رواية عائشة رضى الله عنها قد تكون لدينا اقرب من غيرها . ومعها جابر فهما يقولان . بل صلى الظهر ذلك اليوم بمكة (١) .

الاقامة فى منى

وأقام بقية يوم السبت . وليلة الاحد ويوم الاحد وليلة الاثنين ويوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء فى منى . يرمى الجمرات الثلاث فى كل يوم من هذه الايام بعد زوال الشمس. وروى انه خطب يوم الاحد الثانى من يوم النحر (٢) وروى أيضا أنه خطب يوم الاثنين .

طواف الوداع والعودة الى المدينة

وفى يوم الرابع عشر . يوم الاربعاء من ذى الحجة دخل النبى مكة المكرمة فى الليل . فطاف بالبيت طواف الوداع قبل الفجر . ثم خرج من كدى . من أسفل مكة ، آمرا بالرحيل الى المدينة . وكانت مدة اقامته بمكة عشرة أيام . ولما رأى المدينة المنورة. كبر ثلاث مرات وقال .

(لا اله الا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . آيبون ، تائبون ، عابدون ، سائحون ، ساجدون ، لربنا حامدون صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الاحزاب وحده) . ودخل المدينة نهارا .

وسميت هذه الحجة (حجة الوداع) وبعضهم يقول (حجة البلاغ) وغيرهم (حجة الاسلام) وهى فى الحق ذلك كله .

---

(١) يؤيد ابن حزم ذلك فى حجة الوداع ص (٢٨) – ثم يقول ولا ندرى ايهما اصح . وظاهرية ابن حزم هى التى جعلته يتحاشى الحكم بشىء يؤكده . – انظر كذلك ابن كثير ١٩٤/٥ .

(٢) تاريخ ابن كثير ٢٠١/٥ .



يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها

الجمع والقصر في الميدان

السؤال :

هل يجوز لنا شرعا نحن أفراد الجيوش المرابطة على خط وقف اطلاق النار بيننا وبين العدو جمع الصلاة وقصرها ؟

الاجابة :

الجيوش الواقفة على خطوط اطلاق النار تعتبر فى حالة حرب حقيقية والمعارك اما واقعة او متوقعة ولها أن تصلى الصلاة التى تسمى فى الفقه الاسلامى بصلاة الخوف التى ذكرها الله فى قوله ــ واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا . واذا كانت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا ــ من سورة النساء .

وصلاة الخوف لها كيفيات وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . منها ان تصلى الصلاة مقصورة فتصلى ركعة ويكتفى بها وتصلى ركعتين فقط . وكما يجوز أن تصلى الصلاة مقصورة يجوز الجمع بين الظهر والعصر والجمع بين المغرب والعشاء تقديما وتأخيرا فتصلى الصلاتان فى وقت أحدهما .

صلاة الجمعة

السؤال :

يوجد بقريتنا الصغيرة مسجد للصلاة لا يزيد عدد المصلين فيه عن عشرة مصلين وقد امتنع امام المسجد عن صلاة الجمعة فيه وقال : ان صلاة الجمعة لا تصح على مذهب الامام مالك الا بحضور اثنى عشر رجلا غير الامام ، وبهذا نحرم من خطبة الجمعة وصلاتها . فما حكم الشريعة ؟

الاجـــابة :

تصح صلاة الجمعة باثنين فاكثر وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : الاثنان جمـــاعة وما اشترطه البعض من الفقهاء من عدد يزيد على الاثنين فى صلاة الجمعة لا دليل عليه من الكتاب ولا السنة ولا اجماع المسلمين وكلها اجتهادات عقلية بدليل اختلافهم فى هذه القضية فمن قائل بان الجمعة لا تنعقد الا بأربعين ومن قائل بانه يكتفى فى الجمعة باثنى عشر رجلا سوى الامام ومن قائل بانه لا بد من ثلاثة ومن قائل لا بد من اثنين غير الامام الى آخر هذه الاقوال التى لا سند لها ولا دليل عليها .

واذا كان ذلك كذلك فانه يصح لأهل هذه القرية أن يصلوا الجمعة وان لم يبلغوا اثنى عشر رجلا وليس من الضرورى التقيد بمذهب الامام مالك فى هذه المسالة وفى مذاهب غيره من الائمة ولا سيما مذهب الامام أبى حنيفة سعة للمسلمين وحتى يظفروا بسماع الخطبة وينتفعوا بها كل أسبوع فضلا عن المكاسب الدينية التى يحظون بها كثمرة لاقامة هذه الشعيرة .

فى الرضـــاع

السـؤال :

أرضعتنى عمتى صغيرا مع ابن لها وانجبت بعد ذلك أولادا منهم بنت أريد الزواج بهـــا فما حكم الشريعة ؟

الاجـــابة :

الاخوات من الرضاع من المحرمات لقوله تعالى فى آية التحريم « واخواتكم من الرضاعة » ولقوله عليه الصلاة والسلام « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » وذهب جمهور الفقهاء أن قليل الرضاع وكثيره سواء وقال الشافعى ان الرضاع المحرم هو خمس رضعات متفرقات مشبعات ، وهذا كله بشرط أن تكون الرضعات فى سن الارضاع .

وبرضاع السائل من عمته يكون أخا لأولادها جميعا الصغير منهم والكبير ، ومن ثم فبنتهـــا الذى يريد الزواج بها تكون أختا له من الرضاع لاجتماعهما على ثدى واحد بشرط ان يكون الرضاع فى سن الارضاع وخمس رضعات ، ومن ثم فلا يجوز له الزواج بها ولا باية بنت من بناتها .

السـؤال :

امرأة دخل بها زوجها وبعد أربعة أشهر حدث سوء تفاهم بينهما ، وحكم له عليها بمبلغ (١٩٠٠) ليرة سورية وتركها منذ ثمان سنوات ولم ينفق عليها ولم يطلقها ولم يصلحها وتزوج غيرها ويقول انى لا أطلقها حتى تدفع لى ما عليها .

الاجـــابة :

لا شك أن ترك الزوج زوجته مدة ثمان سنوات هجرا لا تقره الشريعة الاسلامية لان ذلك غاية المضارة ــ والمقرر فقهيا أن للزوجة أن تطلب تطليقها من زوجها كما لها أن تطلب التفريق بينهمـــا لامتناعه من الانفاق عليها والنفقة واجبة من تاريخ امتناعه عن الانفـــاق وما دام الزوج لم يقبل التطليق فعلى الزوجة أن تلجأ للقضاء .



يعـــــــــبرون فيه عن أفكارهم دون أن تلتزم المجـــلة بآرائهم ..

تراثنا الشعبى أين هو ؟

كتب الينا الاستاذ عيسى حوارى من بنغازى تحت هذا العنوان يقول :

كثيرا ما نسمع ونقرأ فى مناسبات أدبية واجتماعية عديدة ، وفى معظم البلاد القريبة دعوات ونداءات لجمع وتصنيف ودراسة الادب الشعبى أو التراث الشعبى لذلك البلد . وانها حقا لفكرة نبيلة لانها دعوة اصلاح وخير وابقاء : لقيم ومثل البلد من الاندثار أو الغرق فى خضم بحر العادات والتقاليد والافكار والمجاملات التى تأثرنا بها من الغرب عن طريق الاستعمار المباشر أو عن طريق مدارسه وارسالياته وصحفه ودعاياته التى غمر بها ويغمر كل وطن عربى ، أو عن طريق أولادنا الذين يسافرون الى أوروبا لاجل الدراسة فيعودون وقد تشبعوا بالمفاهيم والقيم والحياة الغربية حاملين معهم معاول الهدم لقيمنا وحضارتنا التى كانت لفترة زمنية طويلة سيدة الحضـــارات ونبراس الهداية والمنهل العذب والقدوة المثالية للاخلاق الصحيحة .

لأنها دعوة الى الاعتزاز والافتخار بهذه القيم الاصيلة الصحيحة ، البعيدة عن الصنعة والتصنع الخالى من العطف والمحبة والمودة انها دعوة لقيم المحبة والشجاعة والكرم الصحيح كرم اغاثة الفقير والمحتاج لا كرم المجاملات والرياء والاسراف الارعن ، انها دعوة لقيم الشهامة والمروءة والايثـــار والزهد بالمتاع والشهوات انها دعوة لقيم العفة والطهارة والعزة .

ان الحضارة الغربية قد غرتنا وأثرت علينا كثيرا وزاد تأثيرها بواسطة وسائل الاعلام الحديثة من صحافة واذاعة وسينما . فاخذنا نقلد الغرب فى كل شيء من حياته حتى لم يعد لنا طـــابع خاص نمتاز به عن سائر الامم والشعوب كما كنا فى وقت مضى وانه لعائد ان شاء الله .

ـ قلدناه فى أغانيه المبتذلة وعباراته السخيفة التى يستحى منها ويستخفها حتى اطفالنا .

ـ قلدناه فى لباسه وزيه فصرت ترى فتياتنا البريئات فى لباسهن المدرسى أو الرسمى ، هذا الزى الفاضح الذى قلدنا به نساء الغرب تمـــاما حتى انك لا تستطيع تمييز الفتاة العربية به من الفتاة الغربية . وترى فتياننا بسراويلهم الضيقة وشعورهم المسترسلة .

ـ وقلدناه فى أفلامنا السينمائية ، هذه الافلام التى توحى وتعرض لنا الدعارة والفضائح على ابشع صورة يمكن أن تكون بها ، وكان هذه الافلام باسم الحرية والتقدم والرسالة الكاذبة التى يحملها الفلم السينمائى لا تستطيع الا أن تعرض هذه المناظر المخزية لجماعة الانحراف مهنة معظمهم ، اطلقنا عليهم جزافا اسم النجوم والابطال .

ـ وقلدناه فى عاداته وآدابه فى الكرم والضيافة ، فالكريم هو الذى يظهر البذخ الكمالى ويتفنن فيه ، أما اذا رأى الفقير والمعوز والمحتاج فيهز كتفيه ويمشى ، أما الاعراس والافراح والولائم التى تكون لأصحابه والاثاث المنزلى فيبذل من أجله ما يستطيع وفوق ما يستطيع ، ولا مانع بعد ذلك أن يقع فريسة للدين والمرابين زاعما أنه يساير المجتمع .

اذن كيف نستطيع الحفاظ على البقية الباقية من تراثنا الشعبى الذى يميز أمتنا ويطبعها بطابعه الفريد قبل أن يندثر ويزول ؟

هذا هو السؤال الملح الذى تحاول كثير من الدعوات العربية فى عدة اقطار منها اثارته ، وهذه غالبا دعوات وزارات الثقافة والاعلام والجمعيات الادبية والفنية ورجال الفكر والادب واساتذة الجامعات لكن هل يجب أن نتجه الى تحقيق جزء بسيط من هذا التراث الشعبى ، ثم نضع هذا الجزء البسيط على الرف وكانه تمثال صغير ننظر اليه ، بل ونمتع النظر به ، أم كيف نعمل ؟

وللاجابة على ذلك اجابة شاملة جوهرية علينا أن نتجه الى جميع فروع تراثنا الشعبى ولننقذه وننقذ أنفسنا من التدهور والضلال ، وهذه بعض منها :

١ ـ علينا أن نجمع الاغانى القديمة ونستعملها فى الاذاعة على أنها النمط الصحيح لاغانينا . ونؤلف أغانى جديدة على منوالها فى العبارة واللحن بحيث تشمل أغانينا الاغانى الشعرية واللحن المتزن واستعمال اللغة العربية الفصحى ، وترك اللهجة العامية ، فاللهجة العامية تباعد بين التفاهم بين أبناء العرب بالاضافة الى أنها دعوة استعمارية خبيثة فى أساسها .

٢ ـ على مؤسساتنا الثقافية والاعلامية والاسلامية وجمعياتنا الادبية دراسة مختلف الازياء النسائية الشعبية فى الاقطار العربية والاسلامية وأن هذه الازياء لكثيرة جدا ثم التوصية على استعمال أحد هذه الازياء أو استخراج زى موحد محتشم منها والتوصية على استعمال هذا الزى المحتشم فى مدارس البنات للطالبات والمدرسات وللموظفات أثناء قيامهن بوظائفهن وعمل الدعاية اللازمة لهذا الزى عن طريق الاذاعة والصحافة والتلفزيون ، ولمدة طويلة والزى النسائى الباكستانى أو السودانى يمكن أن يكون من أحد هذه الازياء .

٣ ـ على هذه المؤسسات الثقافية والفنية عدم انتاج الافلام الخالعة ، وانتاج الافلام التربوية القويمة الاخلاقية النابعة من تراثنا فقط . أليست الافلام الهندية الحالية مثلا زينة فى طابعها وبعيدة عن أساليب الخلاعة والمنكرات ؟ ومع ذلك فهى رائجة ومحمودة فلنقتد بها ، لا بالافلام الغربية مثلا ، كما علينا عدم استيراد الافلام الغربية أيضا .

٤ ـ والشىء نفسه يمكن أن يقال بالنسبة للصحافة فكثير من مجلاتنا وجرائد محترمة ورزينة فلندعمها ولنحافظ عليها وعلى مستواها الاخلاقى والادبى الرفيع ، ونقلص بل ونمنع اصدار أو استيراد الصحف الخليعة ذات الصور والمقالات الضالة .

٥ ـ تنقية قيمنا ومثلنا من الادران الغربية فنحن صادقون أمناء أوفياء للوعد بطبيعتنا ونحن كرماء وكرمنا هو مساعدة واغاثة بعضنا بعضا ، نشعر مع بعضنا فى السراء والضراء . وأما الكرم الغربى أو كرم التقليد الاعمى فى المجاملات والكماليات والرياء هذا ليس كرما بل اسرافا وحمقا . كما أننا أناس سامون بتطلعاتنا فليس يقدس المادة أو المناصب الفارغة أو المآكل اللذيذة فاننا نزهد هذه الاشياء وهى ليست أهدافنا ولا نعيش من أجلها ، فاهدافنا هى أرقى من ذلك وأسمى ، انها فى الايثار والمحبة والمودة ونحن مع ذلك عاملون نشيطون فى كل مجال من شانه أن يجلب لأفراد الامة الخير والرخاء فنحن نحب الخشونة والتقشف ونتافف من قشور الحضارة الزائفة .

واننا بهذه السبل وبمثلها نستطيع أن نقيل تراثنا الشعبى من الاندثار والضياع ونستطيع أن نحفظ شرفنا العربى الاصيل ونصون شخصيتنا العربية .



يسر هذا الباب ان يشارك فى الاجابة على ما ورد اليه من اسئلة فى هذا العدد صاحبا الفضيلة الشيخ محمد الغزالى مدير ادارة التدريب بوزارة الاوقاف ج٠ ع٠ م٠ والشيخ سيد سابق الاستاذ بجامعة الازهر وهما من ضيوف الكويت فى رمضان ٠

السؤال :

تنكر شبابنا وفتياتنا لأخلاق ديننا وتقاليد اسلامنا ، وقلدوا الغربيين تقليدا اعمى .

فظهرت بناتنا فى ثياب كاسية عارية ، وتبذل شبابنا ، فطالت شعورهم ، وتدلت السلاسل الذهبية من اعناقهم .

فما موقف الدين من هؤلاء ، وما العلاج ؟

مصطفى محمد الرانس ــ زحلة ــ لبنان

الاجابة :

تمر آداب الاسلام وحدوده بمحنة ما أظن لها نظيرا فيما مضى من تاريخنا ، بل ان النساء فى أغلب الاقطار بلغن حدا رهيبا من التبذل والاثارة يجعل الاخلاق الدينية والمدنية مهددة بالتلاشى ..

فالملابس ليست لكسوة الاجسام وستر العورات بل هى لابراز المفاتن ومضاعفة المحاسن واستفزاز الشهوات الهاجعة ، وتحريك الشهية الجنسية لدى كل انسان . الشباب الاعزب يطير لبه لما يرى ، والمتزوج يقلب العين فى معارض لا حصر لها من الاجساد المغرية ، فلا يكتفى بما لديه !! وكأنما وضعت ألف حيلة ووسيلة لتيسير الزنا ودفع الجماهير اليه دفعا وجعله ضرورة حيوانية يأتيها القادر ، وييأس لفواتها المحروم !! ويستحيل أن يقبل مؤمن هذه الاوضاع ، بل أن يرضى بوقوعها ويستكين لشيوعها . وما أشك أبدا فى أن الذين سنوا هذه التقاليد ــ من أهل أوروبا وأمريكا ــ لا دين لهم ، فان الزنا محرم فى اليهودية والمسيحية وما يؤدى اليه أو يغرى به لا يسوغ اقراره . والملابس القصيرة التى شاعت أخيرا ، والتى تكشف عن أفخاذ النساء وهن واقفات وتضاعف الفضيحة وهن جالسات ، هذه الملابس دعوة الى الدعارة بلا ريب ، وزلزلة لبقايا العفة فى قلوب أهل الايمان ، وما يمكن أن ترتديها حرة ، أو يرضى بها امرؤ شريف . وبديهى أن الاسلام يعد هذا التبرج منكرا غليظا وانتشاره فى بلادنا يرجع الى أمرين : أولهما : موت الاحكام الشرعية وسيادة قوانين مجلوبة من بلاد تكفر بالكتاب والسنة ، بل لست أبعد اذا قلت : انها تكفر بالله والمرسلين . والامر الآخر : انحلال الشخصية الاسلامية وذوبان تقاليدها فى حرارة الغزو الاجنبى ورغبة الشعوب المهزومة فى تقليد الشعوب الغالبة ، وهى ــ لغبائها ــ تحسب هذا التقليد ما يكون الا فى الازياء وأسلوب تفصيلها !! وقد ترك المسلمون عشرات من شعب الايمان ، وأشبهت هذه التعاليم المهدرة عقدا انقطع خيطه وتبعثرت حباته هنا وهناك ، فما يمكن البكاء على حبة واحدة منها وتناسى زميلاتها المطروحات فى التراب . ومن هنا فلا أستطيع أن أصف علاجا جزئيا لعلة

خاصة اذا كان الكيان كله مهددا بما يعصف به !! هل يغنى فى دفع التبرج والقضاء عليه بين النساء أن أذكر قوله تعالى : « يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » أو يغنى فى منع الشباب عن تعليق السلاسل الذهبية أن أذكر نهى الرسول صلى الله عليه وسلم للرجال عن التحلى بالذهب ؟ لا هذا ولا ذاك يغنى وحده لأن من نخاطبهم قد تفلتوا من قيود الايمان ، وتركوا الاركان الاساسية فى الدين ، وربما كان بعضهم يحمل بين جوانحه ايمانا مخدرا لا حراك به فهو امعة تضمه القوافل السائرة اليها وتكثر به سوادها والامعات يعيشون مع التيارات السائدة ، ولا يتركونها الا اذا ركدت ريحها .

ولست أدعو الى مهادنة هذه المناكر البتة ، بل أريد لفت النظر الى حقيقة الداء حتى نستطيع تقريب الدواء ، ان منظر الشاب المائع ، أو الفتاة الخليعة، أمسى لا يمثل فى عينى معصية فردية، أو انحرافا جزئيا ، بل يمثل أمة نسيت دينها وتاريخها وجهادها ، وعاشت للدنايا الميسورة ، فهى تمرح اليوم لتذبح غدا ، وجزارها الاستعمار العالمى وربيبته الصهيونية المحتلة .. فان لم نسارع الى وقف هذه المخازى ومحوها أخزتنا هى ومحتنا لا محالة وأصبحت أمتنا كلها خبرا يروى ..

ويتقاضانا العلاج العاجل لهذه الحال المزعجة ألا نسأم من المطالبة بعودة الشريعة الاسلامية الى ميدان القانون لتحل الحلال وتحرم الحرام وتمنع الانحراف وتزيح العوائق أمام الخير ، وليست هذه العودة المنشودة فى مجال الازياء وحده ، فهذا المجال محدود جدا ، وانما المقصود أن يشعر الخاص والعام بأن الدين قد رجعت له الحياة والكرامة ، وأن آدابه وحدوده أضحت تحكم المجتمع وتفرض عليه سلطانها ، وأن الذين يصمون آذانهم عن نداء الضمير سوف تتناولهم سياط الدولة وشىء ثان أقرره ، وهو أن هناك طبقات فى المجتمع متبوعة لا تابعة ، قد يكون ذلك لأنها تملك الثروة ، أو لأنها تملك السلطة ، والاغنياء والحكام فى مختلف البلاد الاسلامية لهم أثرهم غير المنكور ، ومن ثم استهدفهم الغزو الاوربى والامريكى رجالا ونساء ، حتى فسدت طباع أغلبهم ، ومرقوا من تقاليد العروبة والاسلام وغلبوا عليها كل بدعة أجنبية وكل سماجة خارجية .

وهناك أمر ثالث يحتاج الى فضل ايضاح ، أريد أن ألفت اليه نظر السائل الكريم وغيره من كل غيور على العرض والشرف حيث كان . ان الغريزة الجنسية حقيقة واقعة لا يمارى فى وجودها ولا يستهين بآثارها الا معتوه ، وهى ليست رجسا من عمل الشيطان ، ان الله وكل امتداد الحياة اليها ، وجعلها من مصادر الود والرحمة بين الزوجين .. فالتجهم المطلق لها ليس تدينا صحيحا ، والكبت الدائم لها رهبانية رفضها الاسلام .. والحل الاوحد لها هو الزواج ولما كان الاسلام دين الفطرة فانه يسر الزواج ، بل أوجبه اذا لم تتحقق العصمة الا به .. ولكن المسلمين المتأخرين – على نقيض سلفهم الواعى – جعلوا الزواج مشكلة اقتصادية مهولة ، وانى بقدر ما أحارب التبرج الشائع أحارب تعسير الزواج ، وأريد أن أكسر النطاق الذى ضربته التقاليد الحالية حوله ، فهى تقاليد تقوم على رذيلة الرياء والمفاخرة والمكاثرة وطلب السمعة وليس لوجه الله ذرة فيها .. !! وتعسير الزواج معناه تيسير الحرام والاكراه على ارتكابه فأى ايمان هذا ؟

وتنبيه أخير أذيل به هذه الاجابة : ان التبرج الذى نددت به هنا له ضد واحد هو الاحتشام ! فأخشى أن يجىء بعض القاصرين من المتحدثين فى الدين فيقول ان علاجه امساك النساء فى البيوت حتى يتوفاهن الموت !! لا ،تستطيع المرأة أن تشارك فى الجماعات الخمس وهى محتشمة ،وتستطيع أن تنتسب الى مراحل التعليم كلها وهى محتشمة ، وتستطيع أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وهى محتشمة !!!

ان المجتمع الاسلامى الاول ، وهو أسوتنا الحسنة جعل النساء شقائق الرجال ، وأقام بهن أمة صالحة مجاهدة ، وحضارة بانية نافعة .

فلما غابت شمسه شاعت فى العالمين فوضى خطيرة ، كان من مساخرها التى رأيناها نساء يتشبهن بالرجال ورجال يتشبهون بالنساء ، وانطلاق شهوانى مدمر لا يدرك له قاع .

محمد الغزالى

نزول المسـيح

السؤال :

اختلف المسلمون عندنا فى نزول المسيح عليه الصلاة والسلام ، نرجو توضيح هذا الامر بما يقطع دابر الخلاف ، جزاكم الله عنا خير الجزاء .

ع٠ م٠ ع

السودان

الاجابة :

كان عيسى نفسه آية من الآيات ومعجزة من المعجزات فكان ميلاده على غير الطريق المعروف ولا السنن المألوف فقد ولد بغير أب وأجرى الله على يديه الخوارق فكان يحيى الموتى ويبرىء الاكمة والابرص باذن الله ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله .

وكانت معجزاته بهذا الاسلوب لأن الشعب الذى أرسل اليه كان ينكر الروح فكانت المعجزة دليلا حيا ليؤمن بأن الله خلق للانسان روحا ، وأنها ستحاسب فى الدار الآخرة على كل صغيرة وكبيرة .

ولما لج قومه فى العناد وحاربوه بكل لون من ألوان المحاربة واتهموه لدى الحاكم الرومانى بما هو برىء منه وصدر الحكم باعدامه صلبا أنجاه الله من المؤامرة الكافرة ورفعه اليه : « وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه » وقد جاءت الاحاديث الصحيحة الصريحة بأنه سينزل الى الارض كاحدى علامات الساعة الكبرى « وانه لعلم للساعة » سورة الزخرف ويكون نزوله وسط الامة المسلمة وأنه سيحكم بشريعة الاسلام ويرجع فى حكمه الى كتاب الله والى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأنه سيطهر الارض ويملؤها عدلا بعد أن كانت ملئت ظلما وجورا ، روى مسلم عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة . قال : فينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقول أميرهم . تعال صل لنا . فيقول : لا ، ان بعضكم على بعض أمراء ، تكرمة الله هذه الامة ..

ثم ينتهى أمره بالموت الطبيعى الذى كتبه الله على بنى آدم .

هذه هى الصورة التى يتصورها جمهور العلماء من المسلمين كما جاءت فى الكتاب والسنة الصحيحة .

وقد ذهب بعض العلماء ومنهم ابن عباس الى أن عيسى عليه السلام مات بعد أن أدى رسالته وانتصر لهذا الرأى بعض المعاصرين من أهل العلم ، ولكن ليست لديهم الادلة العلمية التى تعارض الاحاديث الصحيحة الصريحة المتفق على صحتها بين جميع أئمة العلم بالحديث .

السيد سابق



واولئك هم المفلحون

تحت هذا العنوان كتبت مجلة التربية الاسلامية تقول :
المجموعة الصالحة من ابناء الامة وجودها امر ضرورى لحياتها ، اذ ان مهمتها اشبه بالروح للجسد .

فهى تدعو الى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة . وتتمثل بقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (لأن يهدى الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس او غربت) .

وكل فرد من هذه المجموعة النيرة يسهم دوما بعمل الصالحات ، ويعملها طيبة بها نفسه ، وقصده فى ذلك خدمة اخوانه الآخرين وادخال المسرة على نفوسهم ، فخير الناس أنفعهم للناس ، واضعا نصب عينيه قوله تعالى : (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال أننى من المسلمين) .

وتسعى هذه المجموعة الفاضلة لتذكير المسلمين ــ قادة ورعية ــ تذكيرهم بالخطر المحدق بهم ، من تآلب أمم الكفر عليهم بمساندة اليهودية العالمية ، واغتصابهم لحقهم المشروع فى الارض المقدسة .

كما وتبذل هذه المجموعة من أبناء الامة غاية جهدها لجمع كلمة المسلمين فى سائر بقاع الارض ، وتوحيد صفوفهم ، وان يكونوا يدا واحدة على من سواهم ، فيستجمعوا امرهم ، ويردوا كيد الاعداء لأن أمم الكفر ملة واحدة .

ولا تغفل هذه الزمرة من أبناء الأمة عن الدعوة لضرورة ايجاد جماعة من اهل الرأى فى كل قطر من بلاد المسلمين لغرض ابداء المشورة لولاة الامور فى ادارة شؤون هذه الاقطار ، اذ أن الامة لا تجتمع على ضلال ، ويد الله مع الجماعة ، وما خاب من استشار .

وتسعى هذه الفئة الصالحة فى مجال الامر بالمعروف لتوعية الامة الاسلامية وتنبيهها من خطر المبادىء الفكرية التى وفدت الى بلادها ، وذلك باسم معالجة الانظمة الاقتصادية ، لأن فى الاسلام المورد العذب ، والمعين الذى لا ينضب لمعالجة مثل هذه الامور .

هذا وان من الامر بالمعروف أيضا والذى تسعى اليه تلك الجماعة هو السعى لتلقين أبناء الامة الاسلامية منذ نعومة أظفارهم بأن الواجب يحتم عليهم أن يتعلموا من العلوم القدر الضرورى لأحكام العبادات التى يصح بها تأدية الفروض ثم يتزودوا من علوم الحياة أنفعها والتى بها يستكملون وسائل عدتهم ، ويتمكنون من مواجهة أعدائهم .

والنهى عن الامور المحرمة أمر تضعه هذه المجموعة من أبناء الامة نصب عينيها وتوليه ما يستحقه من العناية .

فهى تسعى دوما لتذكير أبناء الامة بالابتعاد عن الرذائل وسفاسف الامور ، وأن لا يقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

كما ويسعوا لتذكير ولاة الامور أيضا بأن وجود بعض الاسباب التى تؤدى بأبناء الامة الى ارتكاب ما نهى الله عنه أمر لا يرتضيه الله تعالى .

فبيع الخمور مثلا ، وتعاطى الربا ، ووجود دور المقامرة وسباقات الخيل ، وانتشار الوسائل التى تساعد على ارتكاب الرذيلة ، كل ذلك لأن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ ذلك أم ضيعه ، كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد يسترعيه الله عز وجل رعية يموت يوم يموت ولم يحطها بنصحه لم يرح رائحة الجنة » .

□ □ □

وكتبت مجلة (البعث الاسلامى) الهندية فى موضوع : « المنهج الاسلامى للحكم لا يحتاج الى بحث وتدقيق بل يحتاج الى تنفيذ وتطبيق !) تقول :

المنهج الاسلامى للحكم أو للسياسة والاجتماع لا يحتاج الى بحث وتدقيق ، بمثل ما يحتاج الى تنفيذ وتطبيق ، ولا يحتاج الى تصريحات واعلانات ، وحفلات ومناسبات ، ومؤتمرات واجتماعات ، ودراسات ومناقشات أكثر مما يحتاج الى اخلاص فى القول والعمل ، وايمان راسخ عميق بالمبدأ ، واقتناع واف كامل بسمو الهدف ، ودافع قوى على الاقدام ، وولاء صادق عملى بالاسلام وسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

المنهج الاسلامى ، منهج مستقل ، منهج أصيل ليس بينه وبين المناهج الوضعية وجه شبه أو نسب ، فبينما المناهج الاخرى أو الديانات السائدة الاخرى ، تختلط مع الشعوب البشرية العامة فى سوق المادة والمعدة ، وتجتمع معها على مائدة واحدة ، وتتمتع معها بملذات الحياة المحرمة بحرية تامة نرى الاسلام ينفصل عن هذه الشعوب المادية من أول الطريق ، احتفاظا بسماته وخصائصه ، وغيرة على دين الله ، واستمساكا بالعروة الوثقى ، وكراهية للمناهج الباطلة ، والدعوات المزورة الكاذبة ، وذلك هو المراد مما جاء فى الحديث الشريف من مخالفة اليهود والنصارى والتشديد على النهى عن متابعتهم ولو فى الامور العادية البسيطة (وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) .

واخيرا فان المنهج الاسلامى ليس هتافا أو شعارا أو دعاية واعلانا ، انه نظام عملى مستقل للحياة ، وهو لا يطلب منا الا أن نكون صادقين فى الرغبة ، مخلصين فى القصد ، عازمين على العمل .

□ □ □

وعن السلبية فى العالم الاسلامى كتبت مجلة (البلاغ) الكويتية تقول :

ان أخطر داء يفتك بالمجتمع الاسلامى هو (السلبية) القاتلة حيث يحس البعض أن مشاكل الغير قد لا تعنيه فى شىء ، وحيث تعطل الحس الاسلامى بأن (المسلمين فى توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى) فأين ذلك التداعى الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل من السمات البارزة للمجتمع المسلم ؟! ان كلامنا يجب أن يواجه مسؤولياته ومقتضيات اسلامه بصراحة وشجاعة ، وليس مسلما من يشك أن النفع والضر لا يكون الا باذن الله .

من الضرورى للامة المتحضرة أن تنظر للأمور بمنظار حضارى معين وأن تتخذ موقفها من كل أمر بموجب حس حضارى متمكن فيها . وحضارتنا نحن . بل الحضارة الحقيقية الوحيدة هى الاسلام ولكن مأساتنا أن هذا الحس الحضارى معطل فى اكثرنا ، ولذلك تختلف فى الحكم على الحدث الواحد والامر المتشابه ، ويستعمل بعضنا نظريات مستعارة فى تقييم الاشياء ولذا فقد سادت فى مجتمعاتنا فوضى فكرية وحضارية لا يمكن أن تنتهى الا بعودة الاسلام للحياة والحكم والاجتماع عليه .



اعداد الاستاذ : عبد المعطي يومي

الكويت : تقرر اشتراك الكويت فى مؤتمر القمة العربى الذى سيعقد هذا الشهر بمدينة الرباط عاصمة المملكة المغربية .

عقد سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء عدة اجتماعات مع المسئولين والتجار لتنشيط الحالة الاقتصادية ومناقشة الخطة الخمسية للبلاد .

أكد معالى وزير الداخلية والدفاع أنه لم يبق أمام الامة العربية الا طريق الكفاح من اجل استعادة الارض العربية المغتصبة .

ستشترك الكويت فى المؤتمر الثقافى العربى الذى سيعقد فى القاهرة فى الفترة ما بين ٢٠ — ١٩٦٩/١٢/٣٠ .

اعلن مندوب الكويت فى لجنة حقوق الانسان بالامم المتحدة انه لا حق لاسرائيل فى الحياة فوق أرض لشعب آخر .

اشتركت الكويت فى معرض الفن الشعبى الاسلامى الذى أقيم بمانيلا (الفيلبين) فى أواخر اكتوبر الماضى .

القاهرة : دعا الرئيس جمال عبد الناصر الى مؤتمر قمة عربى لمناقشة المرحلة القادمة بعد فشل كل الوسائل السياسية فى حل الصراع العربى الاسرائيلى .

افتتحت فى مرسى مطروح مدرسة اعدادية أزهرية وستقام فى نفس المدينة مدينة جامعية أزهرية للطلاب الافريقيين .

بعثت ادارة الازهر بمكتبات ثقافية اسلامية كاملة ومجموعات من المصاحف الى مختلف المراكز الاسلامية فى أنحاء العالم .

عقد مجلس الدفاع العربى المشترك عدة اجتماعات فى القاهرة فى الشهر الماضى وأكد ضرورة عقد مؤتمر قمة عربى للتخطيط للمرحلة القادمة .

السعودية : اتخذ المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى الذى انعقد فى الشهر الماضى عدة قرارات هامة حول مختلف القضايا الاسلامية .

كشف السيد عبد الرحمن عزام أن ٢٠٠٠ سعودى كانوا قد اشتركوا فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ .

الاردن : استقال القضاة العرب فى الضفة الغربية لنهر الاردن احتجاجا على تدخل السلطات الاسرائيلية فى شئون القضاء وخاصة فى الشئون الوطنية والسياسية .

صرح السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية أنه ليس هناك مكسب أو خسارة فى الازمة الاخيرة بين لبنان والفدائيين لأنه لا حساب بين الاشقاء كما صرح بأن العمل الفدائى لم يتأثر بهذه الازمة .

تواصل سلطات الاحتلال الاسرائيلى مصادرتها لأملاك العرب فى القدس ومجموعة أبنية خارج سور القدس لاستخدامها فى فتح مراكز للتحف والمصنوعات الفولكلورية .

العراق : تجرى الاتصالات بين العراق واليمن الجنوبيةالشعبية لتحسين العلاقات بينهما وقد لبت العراق بعض مطالب اليمن الجنوبية من المساعدات التى تحتاجها .

أعفت الحكومة العراقية رعايا ليبيا القادمين الى العراق من تأشيرات الدخول .

سوريا : فتحت سوريا حدودها مع لبنان وكانت قد أغلقتها على اثر نشوب الازمة بين لبنان والفدائيين وقد قال بيان سورى ان أى تلكؤ فى تنفيذ الاتفاق بين لبنان والفدائيين سوف تكون اجراءاته قاطعة ونهائية .

لبنان : انتهت أزمة لبنان التى دامت أكثر من ٦ شهور بعد اتفاق السلطان اللبنانية مع الفدائيين فى القاهرة فى الشهر الماضى على التنسيق بين لبنان والفدائيين لصالح العمل الفدائى وكيان لبنان معا .

تونس : بالتزكية أعيد انتخاب الرئيس الحبيب بورقيبة رئيسا للجمهورية التونسية لفترة أخرى وفخامته يشغل منصب الرئاسة منذ سنة ١٩٥٧ .

الجزائر : احتفلت البلاد فى الشهر الماضى بالذكرى الخامسة عشرة لاندلاع الثورة الجزائرية .

المغرب : يعقد هذا الشهر مؤتمرا للملوك والرؤساء العرب فى مدينة الرباط لوضع خطة العمل العربى فى المرحلة القادمة من النزاع العربى الاسرائيلى بعد فشل كل الوسائل السلمية .

ليبيا : ألغت ليبيا العقود الاقتصادية التى أبرمها العهد السابق مع أمريكا ردا على موقفها المعادى من العرب وقد أبلغ وزير الخارجية الليبى السفير الامريكى أنه لا يمكن اعتبار علاقة ودية مع أمريكا طالما ظلت تؤيد اسرائيل .

السودان : قام رئيس مجلس الثورة السودانى بزيارة الى المتحدة وليبيا وأجرى مباحثات مع البلدين لحشد الطاقات للمعركة مع العدو الاسرائيلى .

جمهورية اليمن : قام وزير التربية اليمنى بزيارة الكويت والعراق وأجرى مباحثات مع المسئولين لتدعيم التعاون الثقافى والتربوى بين اليمن والكويت والعراق .

الخليج العربى : قرر حكام امارات الخليج العربى فى مؤتمرهم الذى انعقد فى الشهر الماضى اختيار الشيخ زايد بن سلطان أول رئيس للاتحاد واختيار « أبو ظبى » عاصمة مؤقتة واختيار ولى عهد قطر رئيسا لوزارة الاتحاد المؤلفة من كل الامارات .

باكستان : صرح الرئيس يحيى خان بأن استمرار الاحتلال الاسرائيلى للارض العربية ومحاولة اسرائيل ضم القدس يسببان قلقا خاصا لدى شعرب العالم .

رفعت باكستان عدد حجاجها هذا العام الى ١٧٥٠٠ حاج بدلا من ١٥٥٠٠ فى الاعوام السابقة .

اندونيسيا : دعا المسلمون فى امبون — احدى الجزر الاندونيسية — حكومة اندونيسيا الى اتخاذ اجراءات حازمة خارج الامم المتحدة لمساعدة الدول العربية فى صراعها مع الصهيونية .

الهند : قررت منظمة الشباب الاسلامى عقد حلقات أسبوعية لتحفيظ القرآن الكريم فى مدينة مراد أباد بولاية باترا براديش وطلبت المنظمة مساعدة الهيئات الاسلامية لانجاح هذا المشروع .

أفغانستان : قدم سفير أفغانستان فى القاهرة تقريرا الى الجامعة العربية عن الضغوط الصهيونية على حكومة بلاده التى تمنع من الدخول اليها كل من زار اسرائيل فضلا عن عدم الاعتراف بها .

أخبار متفرقة

لندن : شكل فى لندن مجلس حملة التضامن الفلسطينى وقد سارت مظاهرة كبرى لأول مرة منذ سنة ١٩٦٧ من ٣ آلاف متظاهر ساروا فى شوارع لندن حتى السفارة الاسرائيلية يحملون أعلام فلسطين .

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة مكة المكرمة ص.ب (٤٦)

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة مكة ص.ب (٤٦)

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب .

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) حضرموت .

دبى : ساحل عمان ص. ب (٢٦١) ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ــ السيد حسين قمر .

تعــز : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

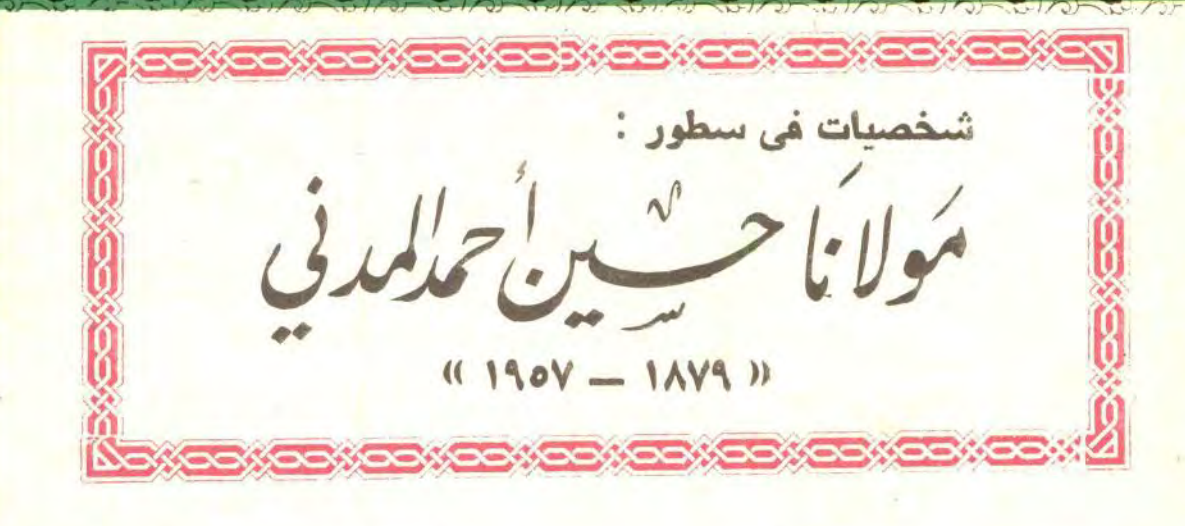
مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ صب (٢٨٠) ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتبة منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة



* مولانا حسين أحمد المدنى ، أحد زعماء الهند البارزين فى السياسة والدين معا وكان صاحب صوت مسموع وكلمة مطاعة فى الشئون السياسية والدينية على السواء فى شبه القارة الهندية ..
* كان شيخا للحديث فى مدرسة دار العلوم بديوبند ، وهى مدرسة أنشأها جلة من علماء الهند المسلمين أمثال الشيخ محمد قاسم النانتوى والشيخ رشيد أحمد الكنوكوهى والشيخ امداد الله ، وهؤلاء وأمثالهم هم الأساتذة الذين تخرج على أيديهم مولانا حسين المدنى وغيره من عظماء العلماء الهنود أمثال الشيخ محمود الحسن والشيخ محمد أشرف .
* كان يرى أن الدين واستقلال الوطن وعزته — فى نظر الاسلام — مرتبط بعضه ببعض ولا يجوز لمسلم أن يسكت على الاحتلال الأجنبى لبلاده ، وينعزل عن الحركة الوطنية .
* كانت آراؤه الثورية التحررية ، سببا فى اضطهاده ، ثم فى سجنه ونفيه ، وقد اعتقل منفيا فى مالطة ثلاث سنوات ..
* رأس جمعية علماء الهند ، الى جانب منصب شيخ الحديث فى دار العلوم .
* ولمولانا حسين المدنى ولد اسمه مولانا اسعد المدنى يتولى الآن الأمانة العامة لجمعية علماء الهند الى جانب عضويته للبرلمان المركزى الهندى .
* يقول عنه بعض مؤرخيه :

« تعتبر حياة العالم الوطنى الفذ الشيخ حسين المدنى نموذجا حيا للعالم الفاهم الذى يعرف مكانته ورسالته ، ويدرك حق ربه وحق وطنه وأمته من كافة النواحى الروحية والتعليمية والسياسية والوطنية .

لقد كانت حياته جهادا موصولا وكفاحا دائما واسوة حسنة لمن يريد أن يعرف الطريق الى خدمة الدين والوطن والناس ..

* كان ميلاده فى السادس من أكتوبر سنة ١٨٧٩ وكانت وفاته فى الخامس من ديسمبر سنة ١٩٥٧ فى منزله بجوار مدرسة دار العلوم بديوبند حيث دفن قريبا من المعهد الذى شع منه نوره على المسلمين فى الهند .

رحمه الله ورضى عنه ..

العوضى الوكيل



الوعي الإسلامي

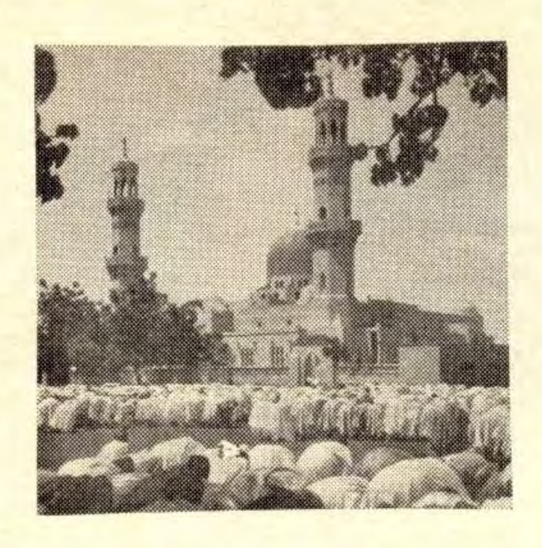
اسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة ـ العدد ٥٩ ـ ذى القعدة ١٣٨٩ ـ ٨ يناير (كانون ثانى) ١٩٧٠ م

اقرأ في هذا العدد

وسط المظاهر الروحية والطبيعية الخلابة يبدو فى الصورة مسجد فاموس كانو بشمال نيجريا بمآذنه الشامخة وقبته الخضراء وجموع المصلين الذين ضاق عنهم المسجد فامتلأت بهم ساحته .

(طالع مقال نيجريا)



الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة الخامسة

العدد التاسع والخمسون

ذى القعدة ١٣٨٩ هـ

٨ يناير (كانون ثانى) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		فرنك وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
(أما الافراد فيشتركون رأسا)
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ـــ كويت



هذه القوانين الوضعية !

القوانين السائدة فى البلاد الاسلامية باستثناء ما يسمى منها حديثا بالأحوال الشخصية — قوانين وضعية أخذت من قوانين الدول الاجنبية التى استغلت ضعفنا وعجزنا فى القرنين الماضى والحاضر ، فاحتلتنا عسكريا ، وغزتنا فكريا ، وعملت وفق خطة ماكرة خبيثة لتثبيت أقدامها وترسيخ غزوها بابعادنا عن ديننا ، وتوهين الصلات بيننا وبين كتاب ربنا وسنة نبينا ، فاستدرجتنا أو أرغمتنا تحت ضغط الاستعمار على اهمال شرع الله واغفال حدوده وابعاد التشريع السماوى عن الحكم والتنفيذ ، وايداع ثروتنا الفقهية فى بطون الكتب وفوق الرف ، لأنها لا تصلح لمعالجة أحوالنا ، ولا تستطيع أن تجارى مقتضيات التطور ، والوفاء بحاجتنا فى العصر الحديث .

وفى غيبة التشريع الالهى وضعف أهله حكم المسلمون بغير ما أنزل الله ، فاستعلنت الحماقات ، وفسدت المقاييس ، وتلوثت الفطرة ، وأصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا ، واضطرب التعامل ، وكثر التحايل ، وانتشرت المفاسد : ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)) .

واستطاع المستعمر باستبعاد شريعة الله واحلال تشريعه مكانها أن يسيرنا على النحو الذى يريده وفى الاتجاه الذى يخطط له ، فوجدت الرذيلة سبيلها الى نفوسنا وقلوبنا وعقولنا وسلوكنا وتغيرت عندنا مفاهيم الفضيلة والمبادىء والقيم ، والامثلة على ذلك كثيرة :

١ — فالقانون الوضعى الحاكم يبارك الاختلاط بكل ألوانه فى حجرات الدراسة ، وفى (كافتيريا) الجامعة ، وفى دور السينما والمنتزهات ، ولا يرى بأسا بالخلوة فى مكاتب العمل ، وفى جنح الظلام ، بل انه يذهب الى أبعد من هذا ، فيفلسفه بأنه أمر ضرورى لتهذيب الرجل وترقيق حاشيته ، ورفع مستواه الفنى والجمالى فى الملبس والحديث و .. و .. و ..

٢ — وهو يحمى التكشف والعرى ، ويبيحه باسم الحرية

الشخصية ، ويفلســـفه بأنه لازم لســـلامة المجتمع ونجاته من آثار الكبت الوخيمة على نفسيته وتفكيره وانتاجه .

٣ ــ وهو يخرس ويغطى عينيه عن الاتصـــال الجنسى الآثم ، ولا يسمح بلطمة ، ولا برفع سوط ، ولا بكلمة رادعة فهو ينص على أنه لا عقوبة على اقتراف جريمة الزنا بين ذكر وأنثى غير متزوجة فوق ســـن (١٨) ما دام هنـــــاك تراض بين الطرفين .

٤ ــ القوانين الوضعية سمحت للمسلم فى بلاد المســـلمين الا ما استثنى أخيرا أن يهلك نفســـــه ، ويفرى كبده ، ويبدد ماله ويشتت أسرته ، فأباحت له شرب الخمـــر باسم الحرية وتشجيع الســـياحة وزيادة الدخل ورواج التجارة ، ولا عقاب الا اذا اعتدى الســـكير على آخر فلطمـــه ، أو كسر قارورة . فرق كبير فى نظر القانون بين أن يكسر الانسان كبده وبين أن يكسر قارورة . فرق كبير فى اعتباره بين من يلطم عابرا وبين من يدع الدهر يلـــطم أولاده وزوجـــه ويمرغهم فى تراب الحاجة والفاقة . كسر الكبد لا عقاب عليه وكسر القارورة هى مناط العقاب . لطمة الخد الواحد مرة واحدة جريمة تســـــتوجب العقوبة ، ولطمـــــة الدهر خدود الاولاد وتعريته أجسادهم وتشريدهم أمر هين لا جريمة فيه ولا عقـــوبة عليه .

القـــــانون الذى يفترض فيه أن يكون صورة لأخلاق الأمة وتقاليدها وأعرافهـــــا ، وأن يأمر بما تتطلبه مصـــلحتها ، وينهى عما يضرها ، ويحدد العقاب والجزاء تبعا لذلك ــ ترتكب فى ظله هذه الحمـــاقات ، وتستباح الحرمات ، وتضـــيع فى حمايته القيم الفاضـــلة ، وتهبط بنصوصه المثل الكريمة ، وتنشأ فى حضـــانته أجيال لا تنهض بواجب ، ولا تثأر لشرف ولا تتصدى لكريهة .

هذا التشريع الأجنبى السائد فى بلادنا الاسلامية ، والذى استند فى قيامه الى أسنة المستعمر وحرابه ما كان ينبغى أن يبقى له ظل بيننا بعد أن تحررنا من وطأته وانجـــــابت ظروف الضغط والاكراه التى مارسها لفرض التبعيـــــة علينا فى الادارة والنظم والقوانين الغريبة عن ديننا ومعتقداتنا وأخلاقنا ، وما بنـــا من حاجة تدعو الى الابقاء عليهـــــا ، وليس فى شريعتنا وفقهنا قصـــور نستكمله بهذا التقنين المســـــتورد والتشريع المشبوه .

واذا نظرنا فى تاريخ الأمم على المدى الطويل فاننا لا نجـــد أمة استمدت قوانينها من دولة أجنبيـــة أخرى الا فى حالة الضعف والعجز والفقر والحـــاجة .. ولقد عاشت الأمة الاسلامية قرونا عدة فى رقعة كبيرة من الارض احتوت شـــعوبا ذات حضارة ، فما اســـتعصى على الاســـلام تطور ولا وقف عقبة أمام تقدم .

وليس هذا الذى نقـــرره دعوى يمليها التعصب ، بل عقيدة راسخة وحقيقة واقعة ، وتجـــربة عملية ناجحة وشهادة المنصفين من علماء الغرب أنفسهم ، ففى الوقت الذى أهمل المسلمون فيه شريعتهم وعطلوا أحكامها ، وأبعدوها عن دنيـــاهم وحياتهم . اعترفت المحافل الدولية القانونية بقيمها الكبرى ..

ففى سنة ١٩٣٢ انعقد مؤتمر القانون الدولى بلاهاى ، وأعلن تقديره للشريعة الاسلامية . وفى سنة ١٩٣٧ انعقد هذا المؤتمر مرة ثانية وقرر :

١ ـ اعتبار الشريعة الاسلامية حية صالحة للتطور .

٢ ـ اعتبار التشريع الاسلامى قائما بذاته وليس مأخوذا من غيره .

٣ ـ اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام .

وفى سنة ١٩٤٨ قرر مؤتمر المحامين الدولى بلاهاى تبنى دراسة الشريعة الاسلامية دراسة مقارنة .

وفى أسبوع الفقه الاسلامى المنعقد فى باريس سنة ١٩٥١ بكلية الحقوق قرر المجتمعون من كبار رجال القانون فى العالم :

أ) أن مبادىء الفقه الاسلامى لها قيمة تشريعية لا يمارى فيها .

ب) أن اختلاف المذاهب الفقهية ينطوى على ثروة من المعلومات والافكار والأصول القانونية هى مناط الاعجاب ، وبهما يتمكن الفقه الاسلامى من أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها .

ونقول للمفتونين بمدنية الغرب وحضارة الغرب : ما هو مصدر الفقه الاسلامى الذى نال اعجاب علماء الغرب .. مصدره كتاب الله وهو ـ لكيلا ننسى ـ الكتاب الوحيد فى العالم المصون من التغيير والتبديل والزيادة والنقص .. الكتاب الذى يربط بين المسلمين جميعا ، ويرسم لهم المنهج المستقيم الذى يسيرون عليه فى حياتهم على اختلاف ألوانهم ومجتمعاتهم وديارهم .. ومصدره سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذى أغنانا بوحى الله عما سواه ، وتركنا على المحجة البيضاء التى لا يزيغ عنها الا هالك ..

فلماذا بعد هذا كله نترك شريعتنا شريعة الله ولا ننزل على حكمها فى كل أمورنا .. لماذا يستمر فيها القانون المدنى وقانون العقوبات .. لماذا لا نرجم الزانى المحصن ، ونجلد غير المحصن ، أهو دافع الشفقة عليه .. ان الله الذى شرعه أرحم بالانسان من الوالدة برضيعها وهو القائل .. « ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » أم هو مجاراة الدول الغربية والتخوف من أن نرمى بالرجعية ، ان شهادة علمائهم المنصفين تعيد الى المتخوفين أمنهم وطمأنينتهم ..

لماذا لا يقام حد السرقة الالهى ، أهو الخوف من كثرة المشوهين والعاجزين فى المجتمع كما يزعم بعض الجاهلين أن الله العليم بخلقه .. الخبير بما يصلحهم لا يشرع الا المصلحة لعباده : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » .

لقد نفذت حدود الله فى المجتمع الاسلامى الكبير فى عهد النبوة الخاتمة وعصور الخلفاء الراشدين ، ومن جاء بعدهم من الحكام المؤمنين العادلين ـ فصانت الأعراض وحافظت على الأموال ، وعاش الناس فى ظلها آمنين مطمئنين .. ولو ذهبنا نحصى عدد المرجومين والمجلودين والمقطوعين لما وجدنا

عددا يرهب أو يخاف ، وكان الانسان يتحرك من أدنى الارض الاسلامية الى أقصاها لا يخشى على غنمه الا الله والذئب .

وحين عطلت الحدود كثرت حوادث العرض والفسق ، وتعددت حوادث السلب والنهب وأصبح الانسان يسير فى الطريق العام ، أو يركب حافلة من الحافلات فلا يأمن على بضعة دراهم أو دنانير تحتويها حافظة نقوده التى يمس جلدها جلد صاحبها ، ولم يحقق تعطيل الحد للناس ما يبتغون ، بل لم يحم المجرمين من أنفسهم ولم يحم المجتمع من مسؤولياتهم ، فالسجون غاصة بتجار الاعراض ، وسراق الشرف ، ولصوص الاموال ، والمشافى كم بها من المخبولين والمكبودين والمفؤودين الذين فرت الخمور أكبادهم ، وهدمت أعصابهم ، وليس للكبد ولا للفؤاد قطع غيار يمكن الاستعاضة بها عما أتلفوه وأمرضوه . فأى خسارة يخسرها المجتمع بتوقف هذه الالوف المؤلفة عن الانتاج والنفع .

ان الحكم بغير ما أنزل الله جعل الأمة الاسلامية تفقد شخصيتها ، وتذوب فى غيرها من المجتمعات ، وحمل نفرا من المسلمين أنفسهم على الاستهانة بشريعتهم والجرأة على مقدساتهم والسخرية والازدراء من معتقداتهم .. وهناك مساوىء كثيرة جرها علينا التنكر لدين الله والاستخفاف بما شرع الله .

وأحب أن أسجل هنا كلمة انصاف للأفراد والهيئات التى طالبت باعادة النظر فى القوانين الوضعية التى يحكم بها المسلمون حتى تتلاءم مع معتقداتنا وأخلاقنا وبيئاتنا — الا أننى لا أكتفى بمجرد المطالبة بالتعديل ، وحذف بعض المواد وابقاء البعض الآخر ولو كان مخالفا لشرع الله ، بل أطالب بالرجوع كلية الى كتاب الله ، والغاء كل ما يناقضه أو يعارضه .. وما أظن أن مسلما فيه ذرة من ايمان ، وبقية من اعتزاز بشرف وأصالة ، وحرص على النهوض بالأمة ووقايتها من الشرور والرذائل يعارض ، أو يجادل فيما ندعو اليه : « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون » .

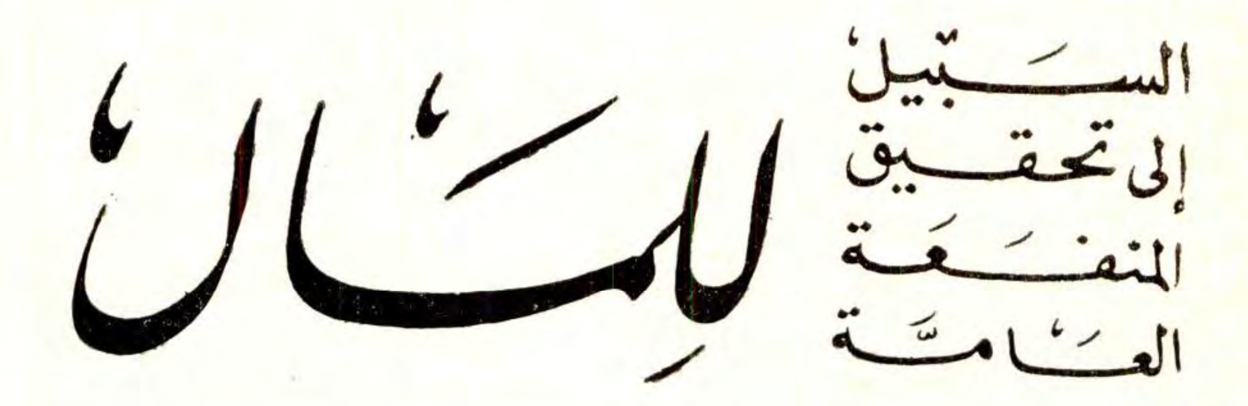
وهناك عمل جليل فى هذا الأمر الخطير يقوم به الآن مجمع البحوث الاسلامية فى القاهرة وهو تقنين الفقه الاسلامى صرح بذلك الدكتور عبد الحليم محمود الأمين العام للمجمع أثناء زيارته للكويت فى شهر رمضان الماضى بدعوة من وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .. وما أظن أن القائمين على هذا المشروع يضنون بجهد حتى يقصروا أمد الفترة التى يقتضيها هذا التقنين ، ويفرغوا منه فى أسرع وقت ليجد التطبيق والتعميم من ولاة أمور المسلمين فى كافة الأقطار الاسلامية .. ويومئذ يأذن الله لنا فى ظل دينه وأحكامه باجتياز مراحل الصمود والردع والتحرير ، ونسترد أرضنا ونصون مقدساتنا ، ونتلقى الدعم والعون من الله ، وترفرف على أرض الاسلام فى كل مكان أعلام العزة والقوة : « ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » .

رضوان الشبلي

مدير ادارة الدعوة والارشاد

من توجيه القرآن الكريم

٢



للدكتور : محمد البهي

اذا كانت الملكية الخاصة للمال أصلا من الاصول الثابتة فى المجتمع الاسلامى ، ولا يعدل عنها اطلاقا الا بسبب انحراف واضح يعود بالضرر على الامة فى دينها وفى أداء وظيفة المال نفسه ، فذلك لأن التفاضل فى الارزاق والاموال الذى جاء به قول الله تعالى :

« والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق » لا يتضح الا اذا كانت ملكية المال ملكية خاصة .. اذا كانت هذه الملكية الخاصة أصلا عاما فى المجتمع الاسلامى ، فالمنفعة بهذه الملكية فى خدمة المصلحة العامة ، التى هى مصلحة الافراد جميعا ، بحكم الاستخلاف من الله على المال .

لكن : ما هو الطريق الى تحقيق المنفعة العامة للمال ؟ أو بعبارة اخرى : ما هو الطريق الى وضع المال — مع ملكيته الخاصة — فى خدمة المصلحة العامة ، التى هى مصلحة الجماعة والامة والافراد كلهم ؟

هل يترك الاسلام المال فى ملكية خاصة يتزايد وينمو ، ويتجمع ويتكدس الى غير حد ؟ وهل بذلك تتحقق المنفعة العامة ، ويكون قد وضع فعلا فى خدمة المصلحة العامة ؟

ان القرآن يقول فى ندائه للمؤمنين :

« يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون (بذلك) عن سبيل الله » (١) .

والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » (١) .

---

(١) التوبة : ٣٤ ، ٣٥ .

... فيبشر — فى جزء من هذه الآية — الذين يكنزون الاموال بعذاب أليم ، عن طريق الاموال ذاتها ، اذ يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم ، وجنوبهم ، وظهورهم ويقال لهم عندئذ : ((هذا ما كنزتم لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكنزون)) .

وكنز المال — كما شرح بعده فى هذه الآية فى قوله : ((ولا ينفقونها فى سبيل الله)) هو عدم انفاقه فى تحقيق المصلحة العامة ووضعه فى هذه المصلحة . فليس هو التنمية والتزايد فى المال ، وليس هو جمعه وتكديسه ، وليس هو كذلك انفاقه فى الترف والملذات أو فى العبث والفساد ، أو فى الصد عن سبيل الله . أنما هو الوصول بحركة المال فى تنميته الى طريق القمة فى جمعه ، دون أن تصحب هذه الحركة الحركة الاخرى ، وهى حركة النزول به من القمة مرة أخرى عن طريق انفاقه فى أوجه المصلحة العامة .

... وكأن حركة المال كما تصورها النظرة الاسلامية :

١ — هى حركة سعى اليه : ((فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله)) .

٢ — وحركة انفاق ما زاد عن الحاجة فى سبيل الله ، وهو سبيل المصلحة العامة : ((وآمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه)) (١) .

والحركتان لا تنفك ثانيتهما عن أولاهما ، فاذا انقطعت الثانية عن الاولى كان كنز المال وكان العذاب بسببه . وان ارتبطت بها حركة نزولية أخرى فى غير اتجاه سبيل الله كان الانحراف بالمال ، وكان الوعيد عليه وقد يكون بزوال المجتمع كلية .

واذن الاسلام : لا يمنع تنمية المال اطلاقا ، ولا يمنع وصول المستوى فى جمعه الى رقم عال . وانما ذلك يتبع نشاط الفرد فى سعيه ، ولا حدود لهذا النشاط ، الا تلك التى تخرجه الى الانحراف به والفساد عن طريقه .

وفى الوقت الذى لا يضع فيه الاسلام حدودا للتنمية ، لا يضع كذلك حدودا لانفاقه فى سبيل المصلحة العامة وتمكينه من أن تكون فى خدمة هذه المصلحة .

واذن الاسلام — كذلك — يرى أن الانفاق فى سبيل المصلحة العامة جزء أصيل فى حركة المال ، بحيث لا تأخذ هذه الحركة وضعها السليم فى نظرته الى المال الا بتحقيق هذا الجزء .

ولكن : كيف يتم الانفاق فى سبيل المصلحة العامة ؟

ان الحركة الاولى فى المال ، وهى حركة السعى فى سبيله ، يدفع اليها حب الاقتناء ، وهو ميل طبعى فى الانسان ، واذا قوى هذا الميل واشتد عند الانسان فى سعيه الى جمع المال ، قد يحمله على كنزه ، وعدم انفاقه فى سبيل الله قطعا . وقد يحمله أيضا على عدم الانفاق أصلا — لا فى سبيل الله ولا فى سبيل الشيطان — فيمسك كلية عن انفاقه ، ويبخل به حتى على نفسه .

أما الدفع الى الحركة الثانية للمال — وهى حركة انفاقه فى سبيل المصلحة العامة — فيدفع اليها اما الالزام الخارجى ، أو الزام الذات الزاما ناشئا عن ((الارادة الحرة)) التى تتكون فى الذات بفعل الايمان بالله . أى ليس الدفع اليها طبعيا بحكم غريزة فى الانسان ، كتلك الفريزة مثلا التى تدفع الى حركة السعى فى سبيل المال ، وهى غريزة الاقتناء ، أو غريزة حب البقاء فى معناها الواسع .

والالزام الخارجى على الانفاق فى سبيل المصلحة العامة يتحقق بقوة القانون الذى يشرع وبمساعدة السلطة التنفيذية فى نظم الحكم المعاصرة . ولكنه الالزام عندئذ لا ينطوى على رغبة — أية رغبة — فى الانفاق . فهو يشبه أن يكون اكراها . ولذلك تتسع الحيل العديدة لاسقاطه ، على الاقل على جزء من المال المقتنى . وتعدد المحاولات العديدة لتغيير التشريع الملزم بذلك من

---

(١) الحديد : ٧ .

اصحاب رؤوس الاموال فى النظم « الليبرالية » وكثيرا ما تنجح محاولاتهم — ولو لبعض الوقت — لاسقاط الضرائب التى تجمعت ولم تدفع من الملزمين بها ، والتى تتصل بهذه المنفعة العامة .

والالزام الذاتى هو أولا التزام الذات لنفسها من نفسها بالانفاق فى أوجه المصلحة العامة ، وغالبا ما تكون هى الاوجه التى نص عليها القرآن الكريم فى آية الزكاة :

« انما الصدقات (الزكاة) للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » (١) وهى أوجه :

- المعيشة : للفقراء والمساكين ، بسبب العجز ، أو بسبب عدم الاكتفاء فى سد الحاجة .
- والتحرير : للأرقاء ، والذين قيدت حرياتهم فى التصرف بسبب خارج عن ارادتهم .
- والتعويض : للغارمين فى سبيل المصلحة العامة ووحدة الامة ووقايتها من العدوان .
- والمصلحة الدائمة : فى سبيل الله ، وهى مصلحة الدعوة والامة معا ، مصلحة الدفاع أو الوقاية .
- والحاجة المؤقتة : ابن السبيل ، والمؤلفة قلوبهم ، والعاملين على تحصيل الزكاة .

والقرآن يختار أن يكون الالزام للذات بالانفاق فى أوجه المصلحة العامة من الذات نفسها ، وليس من قوة خارجة عنها .. يختار فى حقيقة الامر أن يكون الانفاق عن حب للانفاق ذاته ، وليس عن كراهية أو شبه اكراه له . وبذلك يظل مستمرا غير منقطع ، كما يظل السعى فى سبيل تنمية المـــال بروح نشطة متجددة ، فما يتجمع منه الآن تشعر النفس بشعور الرضاء فى انفاقه . وهنا تكون متعة فى تنمية المال ، ومتعة أخرى — وربما أقوى — فى اخراجه وانفاقه على المصـــلحة العامة . والمنفق للمال فى هذا الوقت وبهذه الروح يتملكه المعنى الجماعى ، وانه يعيش لغيره ، كما يعيش لنفسه ، وأن طاقته فى السعى من أجل المال مكنته من المتعة فى انفاقه فى سبيل الله . وهو بسبب ذلك انسان تعطى انسانيته ما وراء حدود ذاته .

وفى تحديد القرآن للبر فى قول الله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبـــل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب .. » فيجعل انفاق المال حبا للانفاق من مقومات معنى « البر » عناية منه بزوال معنى الـــكراهية أو الاكراه من نفس المنفق ، واستقرار معنى الرغبة والحب فيها ، عندما يتحرك فى الحركة الثانية فى المـــال وهى الحركة النزولية أو حركة الاعطاء والانفاق .

- وفى نهى القرآن أيضا عن ملاحقة المن أو الاذى النفسى لانفاق المال ، على نحو ما تصوره الآيتان التاليتان :

« قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ، والله غنى حليم » .

« يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ، كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان (صخر) عليه تراب فأصابه وابل فتركه ، صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين (٢) .

وفى نهى القرآن عن مثل هذه الملاحقة للانفاق ما يؤكد المعنى الذى يريده وراء انفاق المال ، وهو الصفاء النفسى ، والمحبة له ، محبة غير مشوبة بما يكدرها .

فالآية الاولى من هاتين الآيتين تؤثر صراحة حسن القول والتسامح على الانفاق المادى الـــذى يتبعه أذى بالقول ، على الاقل ، وهى بذلك تؤثر المعنى الانسانى الكريم على الامر المادى — وان كان به قوام الحياة المادية — ان صحب هذا الامر المادى ما يقلل من كرامة المعطى له ، وينزل من اعتباره الانسانى .

---

(١) التوبـــة : ٦٠ (٢) البقرة ٢٦٤

بينما الآية الثانية تسلك طريق الاقناع بأن الانفاق سيكون عديم الاثر قليل الجدوى ان صحبه ما يؤذى الغير ايذاء معنويا . وهو شبيه عندئذ بوضع « البذور » على صخر كان عليه تراب فنزل عليه المطر وازاله عنه ، وأصبح بذلك صلدا مجردا عن التربة وغير صالح للانبات اذا ما وضعت عليه البذور .

والقرآن اذ يحرص اذن على أن ينفق الثرى من ماله ما يشاء فى أوجه الانفاق التى تحددها المصلحة العامة ، يحرص قبل ذلك على أن يكون سلوكه فى الانفاق سلوك الانسان الذى تشبعت روحه بالمعانى الانسانية ، وفى مقدمتها : الحب ، والصفاء ، والابتعاد كلية عما يجرح الاحساس والشعور للآخرين . وهذا الحرص يبعد عن « الاحسان » فى الاسلام معانى المهانة والاذلال .

وفى الآية الثالثة التى تأتى عقب هاتين الآيتين ، وهى قوله :

« ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله ، وتثبيتا من أنفسهم ، كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، فان لم يصبها وابل فطل ، والله بما تعملون بصير » .

يوضح القرآن أثر الانفاق ، اذا كان صادرا عن نفس مطمئنة راغبة محبة للاعطاء ــ ابتغــاء مرضات الله ــ بأثر الزرع الذى غرس فى حديقة تقع على ربوة عالية ، فلا بد أن يصيبها الماء ، اما من مطر أو طل ، وهى لذلك تظل خضراء ومثمرة على طول العام تؤتى أكلها ضعفين . والانفاق عن صفاء النفس ومحبتها لا يذهب لذلك سدى ، وانما هو يضاعف المال ، كما يضاعف الماء والموقع ثمار هذه الحديقة .

وبعد اعطاء القرآن لهذين المثلين : للانفاق فى من وأذى ، والانفاق فى محبة ورغبة فيه يذكر أن من أهداف جمع المال للذى يسعى فى تحصيله الانسان ، هو سد حاجة الاولاد من بعده وعدم تركهم صغارا جياعا يتسولون الناس . وهو هدف طبعى فى الانسان ، ومشروع كذلك . ولكن لكى يتحقق هذا الهدف ينبغى أن يكون ما يترك للذرية مأمونا من المخاوف والاخطار . وأمانه هو : فى الانفاق فى سبيل الله عن محبة ، لا شائبة لكراهية فيها ، وذلك ما تنطق به هذه الآية :

« أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهــار ، له فيها من كل الثمرات ، وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » .

وليس هناك أحد يود أن تحف المخاطر ماله على هذا النحو الا شحيح بخيل ، أو من ينفق أمواله رئاء الناس ، أو يتبع ما ينفق منا وأذى . ولكى يكون هناك دليل مادى على الرغبة الصادقة فى الانفاق فى سبيل الله ، وعلى المحبة المصافية له ، يجب أن يقصد المنفق الى أجود ما عنده فينفق منه ، وليس الى الادنى فيما يملك فيعطى منه : فالانسان ليس صاحب الرعاية العامة والتدبير الشامل فى هذا الوجود ، وانما هو الله . والله لا يرضى لعباده المذلة عندما لا يوهبون من نعمة الله ما يغطى حاجاتهم ، ولا يرضى أن يصيبهم أذى فى أحاسيسهم اذا ما ذكرهم انسان هو مساوق وأخ لهم بمنته عليهم :

« يا أيها الذين آمنوا ، انفقوا من طيبات ما كسبتم ، ومما أخرجنا لكم من الارض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ، ولستم بآخذيه ، الا أن تغمضوا فيه ، واعلموا أن الله غنى حميد » (1) .

فالقصد فى الانفاق الى الطيب مما حصل عليه الانسان بسعيه أو أخرجته له الارض بعمله فيها للانفاق منه ، وهو للتعبير عن المحبة فى الانفاق من المنفق ، وفى الوقت نفسه تعبير عن رضاء المنفق وطاعته لمــا طلب اليه من ربه . ثم لا يقل وضوحا فى التعبير : عن أن الانفاق لمحتاجين للمال ليس طريقا للاذلال لهم ولانسانيتهم ، وانما هو حق لهم يعطونه فى محبة لهم وفى حرص على كرامتهم .

---

(1) البقرة : ٢٦٧

ويستمر كتاب الله هنا فيما يذكره متعلقا بالانفاق فى سبيل الله ، فيصرح بان الجنوح فى هذا الطريق هو بفعل الشهرة والهوى أو بفعل الشيطان أو أن الاستقامة فى هذا السبيل هى بهداية الله والايمان برسالته :

« الشيطان يعدكم الفقر (ان أقدمتم على الانفاق فى سبيل الله) ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه (لمن ارتكب خطأ أو اثما) وفضلا (نماء فى الرزق اذا ما أنفقتم) والله واسع عليم » (١) .

ويعيد رسالة الشيطان ، وهى الحض على البخل وعدم الانفاق فى سبيل المصلحة العامة ، لأنه يدعو الى الانانية ، ويلوح فى تصور الانسان بالفقر ، ان أقدم على الانفاق فى سبيل الله . كما أن من دعوته أن يوجه الى الفحشاء والمنكر ، تحت تأثير هوى النفس وشهوتها .

انما الله جل شانه يعد بالمغفرة لمن أخطأ وجنح الى الهوى ، كما يعد بالفضل والزيادة لمن أنفق من ماله فى سبيل الله ، عن محبة ورضاء على أن القرآن — وهو يسلك طريق الترغيب فى الانفاق فى سبيل الله — لا يقف عند حد توضيح معين أو تمثيل خاص بل قد يصف الانفاق فى سبيل الله « قرضا » من المنفق لله جل شأنه : « ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ، ولهم أجر كريم » . وفى هذا الوصف يشير الى أن المنفق تعلو منزلته بالانفاق حتى لكأنه يقرض المولى جل شأنه . وهذه صورة عالية فى الترغيب فى انفاق المال فى سبيل الله . ومع ذلك يعد سبحانه وتعالى هنا بمضاعفة ما ينفقه المنفق ، بالاضافة الى الاجر الكريم على هذا العمل . وسبحانه صادق الوعد .

والحديث عن الانفاق فى سبيل الله ليس هو الحديث عن الزكاة ، وان كانت مصارف كل منها متداخلة . فالزكاة فرض وعبادة ، روعى فيها التعميم ومقادير خاصة من المال جاء بها الحديث الشريف تعطى كل سنة . أما الانفاق فى سبيل الله فله دوافعه ومناسباته وهو قربى يتقرب بها المنفق لله سبحانه وتعالى ، ويخضع لتحديد المنفق ذاته ، ولا يتعين أن يكون فى واحد أو بعض من مصارف الزكاة ، بل يجوز أن يكون فيما وراءها .

وكل من الزكاة ، والانفاق بعدها فى سبيل الله ، مطلوب لتماسك البناء فى الامة وتقوية الروابط الانسانية فيها . وحددت مصارف الزكاة كأساس ضرورى فى هذا التماسك . ثم يجىء الانفاق فى سبيل الله وأوجه الخير لزيادة هذا التماسك وقوته .

يجوز أن يوجه الانفاق فى سبيل الله على التعليم وبناء المدارس ، وعلى الصحة والوقاية من الامراض والعلاج لها واقامة المستشفيات ، وعلى تعبيد الطرق واقامة المصانع والمؤسسات لصالح الاقتصاد ، والمساعدة على ايجاد فرص العمل .. ولكن الزكاة لا بد أن تصرف فى الاوجه التى حددتها آية الزكاة السابقة ، وهى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين .. » وهى أوجه يتقى بها الحقد بين أفراد الامة ، وتسد عن طريقها جميع نوافذ الضعف النفسى بسبب التفاضل القائم بينهم فى المعيشة وفى القدرات والطاقات على السعى فى سبيل المال وتحصيله .

والزكاة والانفاق فى سبيل الله ان وقع بينهما فرق فليس فى الهدف الاخير للمجتمع والامة ، وانما فى « المواقع » التى تحسن بأى منهما أو بكليهما . والاهمية لهما من أجل ذلك تكاد تكون متساوية فى تقدير الله جل جلاله بالنسبة لصالح الامة . والقرآن الكريم اذ يقول :

وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، واقرضوا الله قرضا حسنا (أى بالانفاق وراء الزكاة) ، وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو ، خيرا وأعظم أجرا » (٢) .

فيجعل الانفاق فى سبيل الله ، الذى يعبر هنا عنه بالقرض الحسن ، فى مستوى الزكاة كعبادة ، ومستوى الصلاة كعبادة أخرى — وهما العبادتان الرئيسيتان فى الاسلام — مما يدل على

---

(١) البقرة : ٢٦٨

(٢) المزمل : ٢٠

أن القيمة المتوخاة بالنسبة للحياة العامة فى الامة الاسلامية من الانفاق فى سبيل الله ، لا تقل أهمية وتأثيرا عن تلك القيمة المرجوة من الزكاة والصلاة فى صفاء العلاقات وقوة تماسكها .

ومن هنا جاء فى وصف المؤمنين ، على أنهـا حقائق تدخل فى مقومات اتصافهم بالايمـان بقوله تعالى :

« انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ، وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » (١) .

فيأخذ القرآن فى تقرير المؤمنين على حقيقتهم تأثرهم بالله وبكتابه ، وتوكلهم عليه ، واقامتهم الصلاة ، وانفاقهم فى سبيل الله مما رزقهم الله وأعطاهم من أموال حصلوها بسعيهم فى هـذه الحياة على الارض . وتكاد هاتان الصفتان : اقامة الصلاة ، والانفاق فى سبيل الله ، لا تفارق احداهما الاخرى فى مطلوب القرآن من المؤمنين ، أو فى وصف المؤمنين الصادقين فى ايمانهم .

ولخطورة اهمال الانفاق من أصحـاب الثراء فى سبيل الله ينذر القرآن الكـريم أصحـاب الاستطاعة والمقدرة فيها بالويل فى الآخرة اذا لم ينفقوا ، ان فى سر أو فى علن ، فى سبيل الله ، كما ينذر من لا يقيمون الصلاة سواء بسواء :

« قل لعبادى الذين آمنوا : يقيموا الصلاة ، وينفقوا مما رزقناهم ، سرا وعلانية ، من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال » (٢) .

وقد يكون هذا اليوم فى الدنيا ، كما يكون فى الآخرة . يكون فى الدنيا اذا ظل الايمان عنوانا للمؤمنين فقط ، من غير أن يستتبعوا فى صفاتهم وتصرفاتهم مقومات الايمان الحقـة ، التى فى مقدمتها : الصلاة ، والانفاق فى سبيل الله . اذ عندئذ لا يعرفون أسياد أنفسهم ، ولا أعزاء على غيرهم ، لأن بناء مجتمعهم آنئذ بناء واه ضعيف ، فمجتمع لا يحرص على اقامة الصلاة لا يتهيب المنكر والفواحش . ومجتمع لا ينفق فيه صاحب عن المال ، عن رضاء واختيار ، للمصلحة العـامة مجتمع تشيع فيه الاحقاد وتتوتر النفوس « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم » (٣) . فاذا جمع المجتمع بين الصنفين فلا يكون الا مجتمع العبيد والاذلاء . وهذه سنة المجتمعات لا تتخلف أبدا . وعلى اثر مجتمع العبيد الذليل سيقوم المجتمع الابى الكريم ، مجتمع الاسياد ، الاحرار الذين تحرروا من شهوات أنفسهم ومن ظلمهم لذواتهم . وما ربك بظلام للعبيد .

أما يوم الآخرة فموكول أمره الى الله سبحانه وتعالى فى نوعية العقاب ومدته .

وفيما تصوره سورة « الليل » القصيرة من رضاء الله لمن استجاب لوظيفة المال وطبق نظرة الاسلام اليه فانفق من ماله — بعد الزكاة — فى المصالح العامة للامة ، وفيما تصوره من غضـب الله على من يستجب لها فأمسك واستغنى بما جمع عن رضاء الله ورضوانه .. يوحى للاثرياء المؤمنين طوال حياتهم وطالمـا يذكرون الله : بأن ذممهم مشغولة بدين المنفعة العامة ، وهو دين الله ، ولا تفرغ اطلاقا الا بالاداء ، والاداء غير العليل .

نقرأ قول الله تعالى :

« والليل اذا يغشى . والنهار اذا تجلى . وما خلق الذكر والانثى » .

فيقسم سبحانه وتعالى بهذه الحقـائق الواضحة الثلاث : الليل فى ظلمته ، والنهـار فى وضوحه ، وخلق الانسان فى تنوعه بين ذكر وأنثى ، وهى حقـائق لا ينكر وجودهـا الا من ينكر الشمس ، وهى تكاد تحرقه فى ظهيرة يوم من أيام الصيف الحارة وهو فى صحراء لا نبت فيها ولا

---

(١) الانفال : ٢ — ٤ .

(٢) ابراهيم : ٣١ .

(٣) آل عمران : ١٨٠

ماء ولا غيوم تظللها . ويقسم بها ليؤكد أن الحقائق التالية التى سيخبر بها فى هذه السورة هى فى واقعيتها تشبه تلك الحقائق الثلاث فى وجودها البدهى .

والحقائق التالية هى :

((ان سعيكم لشتى (متنوع) : فاما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . وأما من بخل وأستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى . وما يغنى عنه ماله اذا تردى)) . ((ان علينا للهدى . وان لنا للآخرة والاولى . فانذرتكم نارا تلظى . لا يصلاها الا الاشقى : الذى كذب وتولى ، وسيجنبها الاتقى . الذى يؤتى ماله يتزكى . وما لاحد عنده من نعمة تجزى . الا أبتغاء وجه ربه الاعلى . ولسوف يرضى)) .

الحقائق التى يؤكد القرآن بدهيتها فيما يتصل بالمال هنا ، هى ثلاث حقائق :

الحقيقة الاولى : ان سعى الناس فى هذه الحياة مختلف وليس متجانسا فيما يتصل بالتوجه والسلوك ، وسيظل مختلفا وغير متجانس .

الحقيقة الثانية : ان هناك فريقا من الناس ، يعطى ماله وينفقه فى سبيل الله ، ثم هو يتقى الله ، ويخشاه ، بعد أن آمن بأن الحسنى فى المعاملة والسلوك هى خير السبل للانسان وفى مقدمة الحسنى فى المعاملة : الانفاق فى سبيل المنفعة العامة ، فهذا طريق فى الحياة والآخرة سهل وميسور .

الحقيقة الثالثة : ان هناك فريقا آخر من الناس يبخل بماله على الآخرين وربما على نفسه كذلك ، ويتصور : ان فيما جمعه من مال ، الغنى عن الناس وعن الله أيضا ، ومن أجل ذلك لا يؤمن بالحسنى فى المعاملة وفى التصرف ، لهذا سبيله فى دنياه وآخرته سبيل معقد ينطوى على مشاق وصعوبات عديدة ، ولا ينفعه ماله يوم يصاب بالاذى والضرر من الآخرين فى حياته الدنيوية ، أو يوم يبعث فى الآخرة وينال جزاءه من الله سبحانه فى نار تلظى ، لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب بالحق وتولى عن العمل بمقتضاه . أما ذلك صاحب السبيل الميسور فيتجنب هذه النار ، بتقواه وبما أعطاه من مال للآخرين يطهر به المال ونفسه ، لا يبتغى جزاء ولا شكورا من أحد ، سوى وجه ربه الاعلى .

ان تحقيق المنفعة العامة من المال الخاص هو أداء واجب دينى ، قبل أن يكون واجبا اجتماعيا (أى أن أداءه طاعة لله سبحانه وتعالى ، قبل أن يحقق مصلحة اجتماعية فى تماسك الامة . وفى الطاعة لله تكمن هذه المصلحة الاجتماعية التى يريدها للمؤمنين برسالته ، ويحول تحققها دون الطغيان بالمال أو الانحراف عن طريقه ، كما يحول دون تفشى عوامل الهدم ، وهى عوامل الحقد والثـــأر .

هو فريضة دينية كفريضة الزكاة ، وان لم يأخذ منزلة الزكاة فى التصريح بفرضيتها وعدها من فروض العبادة المتكررة .

واعتبار تحقيق المنفعة العامة للمال الخاص فريضة واجبة الاداء يدفع الى أدائها ايمـــان المؤمن -- يجعل للدولة الاسلامية التى تلتزم بكتاب الله والحكم بما فيه حق التدابير فى جبايتها ممن لا يقوم بأدائها بنفسه ووفق ارادته الحرة

وحبس الاموال الخاصة على المنافع العامة (الاوقاف) فى تاريخ الامة الاسلامية يعطى مثلا رائعا على الايثار وعلى الطـــاعة لمـــا يطلبـــه القرآن الكريم ــ فى صور عديدة من الترغيب أو التخويف ــ بشأن تحقيق المنفعة العامة من رءوس الاموال الخاصة ، وربما نصـــــيب الحبس فى الامـــوال الخاصة على المنفعـــة العامـــة لا يقل عن ربع هـــــذه الاموال فى جملتها فى أى مجتمع اسلامى . ولكن تعرض المجتمعات الاسلامية للاستعمار الغربى ــ ثم فيما بعد تعرضها للحكم الوطنى بعد الاستقلال السياسى وهو حكم فى جملته غير اســـلامى فى اتجاهه ــ ذهب بكثير من هـــذه الاموال ، وكذلك بالمصادر التى كان يمكن منها الاستدلال على نسبتها الحقيقية فى جملة الاملاك الخاصة .

والاوقاف ، أو الحبوس على « الخيرات العـامة » أو على « البر العـام » تعطى دليلا واقعيا على :

١ ــ ان الملكية الخاصة للمال لم تمنع تحقق المنفعة العامة فى تاريخ الامة الاسلامية .

٢ ــ وان تحقيق هذه المنفعة العامة للملكية الخاصة لم يكن بفعل الزام خارجى ، كقانون أو سلطة تنفيذية ، وانما كان بفعل الارادة « الحرة » التى خلقها وحافظ عليها الايمان بالله وطاعة الله فيما أمر به أو نهى عنه .

٣ ــ وانه يمكن أن تتحقق هذه المنفعة العامة فى نطاق الملكية الخاصة للمال ــ حسب نظرة القرآن الى المال ــ مرة أخرى ، ان أخذ بالتوجيه الاسلامى فى نظام حكم اسلامى لأمة اسلامية .

ان سخرية المستعمر الغربى لأى مجتمع اسلامى بالاوقاف والحبوس الاسلامية « كانت سخرية فى حقيقتها من « الوجود الاسلامى » على أرض هذه المجتمعات . والاستقلال السياسى عن طريق هذا المستعمر لأى مجتمع اسلامى لم يجد على أرض هذا المجتمع استقلالا ذاتيا فى التفكير والتوجيه لدى المسلمين يحمل على اعادة النظر فى القيم والمؤسسات الاسلامية ، ومن أجل ذلك استمرت « السخرية » بالاوقاف والحبوس الاسلامية وعدت نظاما لا يتفق مع « روح العصر » فى قيـام المجتمعات ونظمها ، حتى ألغيت أو صفيت تماما فى هذه المجتمعات الاسلامية القائمة .

□□□

ان ضمان تحقيق المنفعة العامة للمال الخاص ــ وكذلك ضمان عدم الانحراف فى استثماره أو السعى الى تحصيله ــ هو اذن فى الايمان بالله وحده .

وعند ضعف الايمان بالله يكون بالزام القانون والسلطة الادارية . ولكن الاداء للمنفعة العامة للمال الخاص عندئذ هو أداء اكراه . وآنئذ فان ضعف الحقد فى طرف ، وهو طرف أصحاب الحاجة والمستفيدين من المنفعة العامة للمال ، يقابله نشأته ــ وربما فى قوة ــ فى الطرف الآخر ، وهو الطرف المكره على الاداء من أصحاب الاموال الخاصة .

ولأن نظام الحكم فى الاسلام هو ــ أساسا ــ نظام أخلاقى ، قبل أن يكون نظاما قضـائيا واداريا ، أى هو نظام يعتمد على الضمير الخلقى وذاتية الفرد فى السلوك والاداء لمـا يطلب منه .. فان الالزام الخارجى عن الذات بأداء المنفعة العامة من المال يدل على ضعف « الوجود الاسلامى » فى المجتمع الذى يلجأ الى القانون والسلطة الادارية فى تحقيق الاداء .

ولكى يرد هذا « الوجود الاسلامى » فى قوة تدفع على السلوك والتصرف الى المجتمع الاسلامى مرة أخرى .. تجب العناية من جديد بالايمان بالله كأصل للتوجيه والقيادة فى المجتمع ، ولا يكتفى بالوقوف عند حد الزام القانون خارج « الذات » والسلطة التنفيذية التى تحمل كرها وجبرا على الاداء والا ــ على مر الزمن ــ يصبح الامر الى « العلمانية » والى « تلاشى » الوجود الاســلامى كلية فى المجتمع . كما يصبح الانسان ضعيف الصلة بربه ، ولا تصور عبادته فى حياته أثرا يعرف أنه للايمان بالاسلام .

والعلمانية هى شر ما ابتلى به المجتمع الاسلامى على عهد الاستعمار للامة الاسلامية وهى ذاتها التى تمهد لقبول الالحاد فى الايديولوجيات التى تفرض نظاما معينا من الحكم يضطهد فيـه الانسان من الانسان ، ويظلم فيه الانسان من الانسان ، وتعيد الوثنية والشرك فى شر الصور التى عرفت حتى الآن .



الانتفاع بالزمن

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن أبى هريرة رضي الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((اعذر الله الى امرىء أخر أجله حتى بلغه ستين سنة))(١)
(رواه البخارى)

١ ــ البقاء فى الدنيا قليل مهما طال ، فما دام الاجل محدودا ، والعيش موقوتا ، ولكل نهاية مؤكدة ، وغاية ينتهى اليها ، فالزمن الموصل الى الهدف لا يفوق العد ولا يتجاوز ماله من حد ، وبين البدء والخاتمة ، غدو الموجود ورواحه يستطيع بيقظته وجده وتقديره قيم لياليه وأيامه أن يجعلها عريضة أكثر منها طويلة فلا يدع لحظة تمر دون فائدة يجتنيها وثمرة يقتطفها ، وعمل نافع يؤديه ، يدرس بنفسه ميول نفسه ، ويعرف حقيقة وجوده من وجوده ، ويتفاعل مع انسانيته ، فيروضها على الحسن من الانطباعات ، ويأخذها بالحسنى ليغرس فيها ما جناه حلو شهى ، ويدرب تفكيره على سلوك دروب الانبياء والراشدين من عباد الله ، ويتجافى عن ما ينزل بآدميته الى درك العجماوات ، وبهذا يؤثر فى بيئته بالخير ، ويقود مجتمعا يعيش فيه الى النور ، الى الحق الابلج ، معرضا ما يلاقى من معوقات ، صامدا للأحداث والخطوب ، اذا مر باللغو مر به كريما واذا خاطبه الجاهلون قال سلاما ، فيعلو على المثبطات ، ويصبح أهلا لتحمل أعباء العبودية لله ، والتمسك بحريته كاملة غير منقوصة فيما وراء ذلك ، وحين يفيض عليه ربه رضاه ويمنحه عونه فسيصبح كل صعب لديه سهلا ، وكل عظيم هينا :

اذا صح عون الله المرء لم يجد عسيرا من الآمال الا ميسرا

٢ ــ ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو المثل والقدوة ، وهو المصطفى لرسم الخطة المثلى للحياة الكريمة فى هذه الدار الحائلة ، وقد استطاعت تعاليمه

---

(١) الاعذار ــ ازالة العذر ، والمراد أنه لم يبق له عذر كأن يقول : لو طال أجله لفعلت كذا وكذا من الخيرات ، وقيل : ان معناه : ان الله لم يترك للعبد سببا فى الاعتذار يستمسك به .

الموحاة اليه من رب كل شيء أن تحول طبائع المخلوقين من ضعف الى قوة ، ومن جزع الى صبر وصمود ، ومن عجز الى سلطان وسطوة ، ومن استكانة وانطواء فى رقعة معينة من صحراء العرب الى انطلاق لا يعرف الحدود ولا القيود ، ومن معرفة محدودة وثقافة ضيقة الى علوم وابداعات ، فكان ممن انطوى تحت لوائه القائد المحنك والعالم المدره والسياسى الفطن ، وتطورت معارفهم وتنوعت فلم تدع بحرا الا خاضته ولا لجا الا اقتحمته ، ولا ميدانا الا جالت فيه ، وشعر الذين انتفعوا بتراثهم أنهم لو غابوا عن الوجود لما ارتقى فكر الى ما اليه ارتقى ، أو على أحسن الفروض لاقتضى الوصول الى درجتهم زمانا يطول ، وجهدا يضنى ، ورأيا يعيى به أولو العزم .

٣ ــ وكان منهم من عمر ومنهم من اخترمته منيته فى ريعان الصبا ، ولما يتجاوز الاربعين خريفا .

وفى هذا الحديث الشريف موضوع الدرس حث أكيد على اغتنام فرص الحياة للتزود منها بكل ما يستطاع من عمل الخير الدنيوى فعن طريقه ينمو الجنى فى الدار الآخرة ، ولا يتفوق الانسان على غيره الا بنفاذ بصيرته ، وصفاء روحه ، وتساميه عن الانغماس فى المادية القاتلة ، وليس معنى هذا أن يتعلق بأهداب الخيال ويبنى قصورا من رمال . وانما فى عمل سيدنا رسول الله الاسوة دائما ، فها هو ذا ــ كما ورد فى سيرته المطهرة ــ يحفر بنفسه الخندق مع أصحابه ، وبعضهم يحمل التراب ويلتفت اليهم فى رحمة رحيمة ، وحب عميق ويقول : اللهم لا عيش الا عيش الآخرة .. فاغفر للأنصار والمهاجرة .

وفى لقاءاته الكريمة معهم ، وما كان ليفارقهم أبدا ، يغرس فى نفوسهم النفور من التواكل والضعف ويحملهم حملا على اغتنام لحظات العافية والقوة للانتفاع بنتاجها ساعة الضعف والحاجة فيقول صلى الله عليه وسلم معلما وهاديا ومرشدا : فيما اخرجه الحاكم عن ابن عباس مرفوعا : « اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » . فما أسماه من توجيه ، وما أحكمه من قول فها هى ذى فرص فى الحياة خمس ان استغلت أثمرت وأينعت وأتت أكلها سعادة فى العاجلة والآجلة .

٤ ــ ونص على الستين لأن استكمالها مظنة لانتهاء الاجل ، فقد قيل ان المراحل الحياتية التى يجتازها المرء فى عبوره أربعة هى : الطفولة ، ثم الشباب ، ثم الكهولة ، ثم الشيخوخة ، وغالبا ما تكون الاخيرة بين الستين والسبعين حيث يظهر ضعف القوة بالنقص والانحطاط وفيما أخرجه أبو يعلى عن أبى هريرة : « معترك المنايا ما بين ستين وسبعين » فمن بلغها ينبغى له الاقبال على الآخرة ، واللياذ بباب الله وطلب المغفرة مما أسرف فيه على نفسه ، فى شباب مضى ، وعافية ذهبت ولن تعود .

وفى هذه السن يقوى العقل ويشتد ، وكثير من العلماء على اختلاف نزعاتهم كان انتاجهم الدسم الغزير الفائدة بعد الستين ، بل منهم من استنارت بصيرته وانفتحت على مغلقات الكون بعدها فجاء بما صار مضرب الامثال فى الجودة العلمية والاتقان الفكرى ومثالا للنبوغ الانسانى ، وان كان بعض من اخترعوا قبل هذه السن عبقريا لا يبلغ شأوه ، ولا يسبق فى ميدانه ..

ومن الميول الغريزية التى لا تفارق الانسان مهما طال به الزمان ما نصت عليه أحاديث أخرى ، تلك هى حب الدنيـــا وطول الامل ، قال صلى الله عليه وسلم : « لا يزال قلب الكبير شابا فى اثنتين : فى حب الدنيا وطول الامل » وفسر الامل هنا بالرغبة فى طول العمر ، وحب الدنيا بالعكوف على جمع المال ، وقال ابن الجوزى : الامل مذموم الا للعلماء فلولا أملهم لمـــا صنفوا ولا ألفوا ، ولكن هذا شىء مطبوع فى جميع بنى آدم ، وفى الامل سر لطيف فلولاه ما نعم أحد بعيش ولا شرع فى عمل ، وفى الحديث الشريف : « لولا الامل ما أرضعت والدة ولدها ولا غرس غارس شجرا » وقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم طول العمر مع حسن العمل فقال : « خيركم من طال عمره وحسن عمله ».

٥ ـــ والباحث الفاقه لأصول الاسلام وقضاياه ، العارف المتعمق فى دراسته لكتاب الله وسنة رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، مع المـــامه بما صارت اليه حال المجتمعات المادية المعاصرة ، وما آل اليه أمرها من اضطراب عقائدى ، وانهيار روحى ، وانفصام عرى الصـــلات الانسانية والروابط الروحية بين أهلها ، لا يجد لها مناصا من سلوك الطريق الوســـط السوى الذى حددته آيات الله فى القرآن العظيم وأفاضت فى تفصيله الاحاديث الشريفة . ولكن أنى يكون ذلك وأبناء الاسلام لا يفقهونه ولا يدركون مراميه فقد جهلوا كل شىء عنه الا القشور التى لا تسمن ولا تغنى من جوع عقلى وضياع فكرى ، وما يردهم الى صوابهم الا أن يعوا ويدرسوا من جديد كتاب الله فهو الوحى المنزل الذى لا تعتوره شبهة نفع مادى أو بحث وراء فائدة شخصية ، وانما يرجى بتطبيق أحكامه تحرير العقول من الشرك الحاصل والناجم فى أزمنة بعيدة ، ورفع الظلم الانسانى الذى استشرى حين تخلى البشر عن تعاليم السماء وركنوا الى أنفسهم يستوحونها الهداية ، وأنى لهم التناوش من مكان بعيد .

٦ ـــ والحديث الشريف موضوع البحث يدعو الى استغلال لحظات الحياة فيما يخدم القضايا الانسانية وذلك عن طريق الاسلام ، واذا بلغ الرجل الستين ولم يكن له قدم صدق عند الله فى حقل الدعوة فلا يلومن الا نفسه التى بين جنبيه فعليه وحده تقع مسئولية ما سيلقى من جزاء عادل يوم القيامة : « ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها » .

والاسلام لا يحتاج فى اظهار عدالة قضاياه الى الاستدلال بآراء أعدائه وان كان الفضل ما شهدت به الاعداء كما هو المأثور ، وانما يحتاج بالدرجة الاولى الى همة أبنائه فهو يستصرخهم صباح مساء أن هلموا الى رحابى واحملوا رايتى ، وتولوا القيادة التى ضل أهلها يوم أهملتموها ، وانى لشديد الامل واسع الرجاء فى الجيل المعاصر اذا أحسن توجيهه ، واذا فتح عيونه على حقيقـــة ما يتردى فيه البعيدون عن نور الله من شقاق وخلاف وتفرق وتناحر وضياع فى تيه الحياة لا آخر له ولا منقذ منه الا قيادة عربية اسلامية واعية ، فالعربى هو أول من جاهد ورفع لواء الحق يوم بدا له نور اللـــه لأول مرة ، وســـيكون هو الذى يتولى ردع الناس وردهم الى لواء الاسلام آخر الامر فهو الذى يستطيع فقه كتاب الله ، واستخلاص الاحكام منه ، وصنع الدواء لـــكل داء عياء فى الاوساط الاسلامية المعاصرة ، وان غدا لناظره لقريب ، والتوفيق من الله وحده هو حسبنا عليه نتوكل واليه ننيب .



للشيخ : محمد الغزالي

- واضعو الأسفار كانوا جزارين في ثياب متدينين
- بنو اسرائيل عادوا إلى فلسطين ليفنوا ، لا ليحيوا
- ستكون مقتلة عظيمة بين المسلمين واليهود ، فيقتل المسلمون اليهود

ـ حديث شريف ـ

سمعته يقول : اليهودية شيء والصهيونية شيء آخر ..! اليهودية دين سماوى كالنصرانية والاسلام . أما الصهيونية فنزعة سياسية متطرفة استغلها الاستعمار الغربى لبلوغ مآربه .. اليهودية دين قديم له مصادره المقدسة . أما الصهيونية فحركة حديثة ولدت فى نهاية القرن التاسع عشر للميلاد ، وغذتها ونمتها ظروف عنصرية ودولية طارئة ..

قلت له : تعنى أن اليهودية لا أطماع لها فى فلسطين ، وأنها لم تبيت عدوانا على العرب الآمنين ، وأن التوراة والتلمود وسائر الاسفار المقدسة بريئة مما تفعله الآن دولة اسرائيل ، وأن الحرب المعلنة علينا من خمسين سنة ليست دينية !!

قال : نعم هذا بدقة ما أريد أن أذكره !!

قلت : أو لو قرأت عليك من نصوص الكتب المقدسة ما يدحض هذه الاوهام ؟

قال : كيف ؟ يستحيل أن تتضمن هذه الكتب استباحة أرضنا وجنسنا ، والاستهانة بحقوقنا المؤكدة !!

قلت : بل سأقرأ عليك من الكتب المقدسة المتداولة بين أيدى القوم ما يزيح هذه الغشاوة عن الاعين ، وما يشرح أن فلسطين كانت ملكا لبنى اسرائيل خاصا بهم ، وأنهم أجلوا عنها عقابا الهيا للآثام التى ارتكبوها وان الاله الذى عاقبهم ، تجاوز ـ بعد ـ عن سيئاتهم ، وقرر اعادتهم الى أرضهم الاولى كى تفيض عليهم

سمنا وعسلا وخمرا ، وأن هذا الاله ندم على ما فعل بشعبه المختار ، ورد اليه مجده ، ووطنه ، كى تتوطد سلطته وسيادته على أنقاض غيره من الامم ..!!
هكذا تقول صحائف التوراة والتلمود واصحاحات العهد القديم التى يتعبد اليهود فى المشرق والمغرب بتلاوتهـا ، والتى يستوحون منهـا سياستهم فى القديم والحديث على سواء !!

وعلى ضوء هذه السطور المقدسة (!) بل على نارها المحرقة أكلت حقوق العرب وتواصى الاوربيون والامريكيون باجتياحها .

ثم جاء اليهود فى الوقت المناسب ليتسلموا أرض الميعاد التى حدثتهم كتبهم عنها ، وباشروا حرب الابادة التى لا بد منها ليسود جنسهم وتقوم مملكتهم ..!!

وقد كانوا فى اقبالهم من شتى القارات الى فلسطين معبئين بشعور دينى عارم تعمل من ورائه هذه النصوص ، كما أنهم فى بنائهم دولة اسرائيل ومقاتلتهم العرب أصحاب الارض كانوا مفعمين بهذه العاطفة الدينية المرتكزة على كلمات التوراة والتلمود واصحاحات العهد القديم !!

قال الرجل : أين هى تلك النصوص التى تشير اليهـا ؟ قلت : أنصت وسأضع بين يديها ما يشرح رأينا نحن المسلمين فيها .. فاننا معشر المسلمين نؤمن بموسى وتوراته .. أما ما دونه جامعو العهد القديم ونسبوه الى الله فأمر آخر يتجاوز فيه الحق والباطل والجد والهزل !!

ربما كان قريبا من الصدق أن الله شتت بنى اسرائيل لمـا اقترفوه من ذنوب .

وفى القرآن الكريم شرح دقيق لذلك ..

ومن ثم فنحن نقبل اجمالا ما ورد فى صحف العهد القديم من أسباب النكال ببنى اسرائيل ، والحكم بتمزيقهم فى أرجاء الارض .

ولنقرأ معهم هذه الكلمات الواردة فى كتبهم :

« لأجل ذلك قال السيد الرب : من أجل أنكم ضججتم أكثر من الامم التى حواليكم ، ولم تسلكوا فى فرائضى ، ولم تعملوا حسب أحكامى ، ولا عملتم حسب أحكام الامم التى حواليكم لذلك ــ هكذا قال السيد الرب ــ ها انى أيضا عليك (١) وسأجرى فى وسطك أحكاما أمام عيون الامم ، وأفعل بك ما لم أفعل ، وما لى أفعل مثله بسبب كل أرجاسك ! لأجل ذلك تأكل الآباء الابناء فى وسطك ، والابناء يأكلون آباءهم ، وأجرى فيك أحكاما وأذرى بقيتك كلها فى كل ريح » .

(٧ ــ ١٠ ــ الاصحاح الخامس . حزقيال)

« من أجل أنك صفقت بيديك ، وخبطت برجليك ، وفرحت بكل اهانتك للموت على أرض اسرائيل فلذلك هأنذا أمد يدى عليك ، وأسلمك غنيمة للأمم ، واستأصلك فى الشعوب وأبيدك فى الاراضى ، أخربك فتعلم أنى أنا الرب » (٢) .

(٦ ــ ٧ ــ الاصحاح الخامس والعشرون . حزقيال)

« ويكون فى ذلك اليوم ، يقول الرب : انى أقطع خيلك فى وسطك ، وأبيد مركباتك ، وأقطع مدن أرضك ، وأهدم كل حصونك ، وأقطع السحر فى يدك ، ولا يكون لك عائفون وأقطع تماثيلك المنحوتة ، وأنصابك فى وسطك ، فلا تسجد لعمل يديك فيما بعد » .

(١٠ ــ ١٣ ــ الاصحاح الخامس ــ ميخا)

---

(١) الخطاب « لأورشليم » أو بيت المقدس .

(٢) الخطاب هنا للشعب الاسرائيلى .

« الى الجلاء الى السبى يذهبون والرئيس الذى فى وسطهم يحمل (١) على الكتف فى العتمة ويخرج ، ينقبون فى الحائط ليخرجوا منه ، يغطى وجهه لئلا ينظر الارض بعينيه . وأبسط شبكتى عليه فيؤخذ فى شركى وآتى به الى بابل الى أرض الكلدانيين ولكن لا يراها وهناك يموت .

وأذرى فى كل ريح جميع الذين حوله لنصره . وكل جيوشه .

وأستل السيف وراءه ، فيعلمون أنى أنا الرب حين أبددهم بين الامم وأذريهم فى الاراضى وأبقى منهم رجالا معدودين فى السيف وفى الجوع وفى الوباء لكى يحدثوا بكل رجاساتهم بين الامم التى يأتون اليها فيعلمون أنى أنا الرب » .

(١١ — ١٦ — الاصحاح الثانى عشر . حزقيال)

ونحن نجزم بأن الله لعن بنى اسرائيل لعصيانهم وعدوانهم ، ونستفيد هذه الحقيقة من كتابنا الوثيق قبل استفادتها من أى شىء آخر ..

فهل تغير من خلائق اليهود ما استحقوا من أجله اللعنة ؟ لقد مرت آلاف السنين على هذا الشعب المطارد ، قاتل الانبياء ، المتمرد على وحى السماء !

وبعث الله عيسى اليهم فكذبوه وحاولوا قتله ، وبعث اليهم محمدا من بعده فكذبوه وحاولوا قتله ، وتتابعت الاعصار وهم حيث حلوا فى أرض الله نماذج للاثرة والقسوة وأكل الربا واشاعة الخنا ..

بيد أن كاتب العهد القديم وعد اليهود بأنهم سيعودون الى فلسطين التى نفوا منها !!

وتوارث القوم هذا الامل ، وأحسوا كأن هذا القطر ارث لا بد أن يؤول اليهم ، وأن غيرهم طارىء عليه يجب أن يزول .

وعلى هذا الاساس عومل العرب ، وعولج وجودهم التاريخى والدينى !!

ولنقرأ هذه الكلمات من العهد القديم : « برائحة سروركم أرضى عنكم ، حين أخرجكم من بين الشعوب ، وأجمعكم من الاراضى التى تفرقتم فيها ، وأتقدس فيكم أمام عيون الامم !! فتعلمون أنى أنا الرب حيث آتى بكم الى أرض اسرائيل ! الى الارض التى رفعت يدى لأعطى آباءكم اياها » .

(٤١ — ٤٢ — من الاصحاح العشرين . حزقيال)

أى نشوة دينية عارمة تغمر اليهود وهم قادمون من كل فج صوب أرض فلسطين ؟

وهذا النص الدينى يسوقهم ..!!

وقبل أن أستطرد فى ايراد النصوص الدينية التى تحدث اليهود عن أرض الميعاد ، وعن قيام دولة جديدة لهم لا بد من أن أقف لأشرح وأشرح ..!!

ان بنى اسرائيل لم يحدثوا توبة يستحقون بها الرحمة العليا ، فهم تائهون عن الحق فى مجال الاعتقاد والعمل ، وهم وراء أزمات الايمان والاخلاق التى تزلزل الكيان البشرى ، وتهدده بالدمار الفاشل ..

وعودتهم الجزئية الى فلسطين ترجع أولا وآخرا الى طبيعة الجبهة المناوئة لهم ، أو الى أحوال الامة التى ورثت الدعوة من بعدهم . ان العرب تخلوا عن قيادة الدعوة العالمية للاسلام ، بل تجردوا من جملة فضائله وعزائمه ، بل تسلمت السلطة فى بعض أقطارهم حكومات ترفض الاسلام دولة وتكره نظاما (!) .

---

(١) يعنى أن ملكهم سيكون كالسوقة فى المهانة .

فى هذا الليل المعتكر من الفتن المتلاحقة قد يأذن الله لليهود بعودة لا قرار لها ، لأن اليهود لا يحملون بذور رسالة انسانية صالحة ، ولأن حملة الرسالة الاسلامية الباقيـــة سوف يستفيقون من غفلتهم أو يتغلبـــون على هزائمهم ، ويستأنفون مقاتلة اليهود حتى يجهزوا عليهم ..

أليس من تعاجيب الليالى أن تتخلى الامة العربية عن الاسلام ؟ عن الحق الذى رفع الله به قدرها ؟ وتزعم وسائل الاعلام بها أن قضية فلسطين ليست اسلامية ! وذلك فى الوقت الذى يتشبث العبريون فيه بتوراتهم ويعدون فيـــه فلسطين قسمة الهية لهم ؟؟

وهل يبحث عاقل عن سر هزائم العرب بعد هذا التفاوت الهائل فى الروح المحرك لكلا الفريقين ؟

فلنقرأ عن أرض الميعاد لا كما يتحدث كتاب الصهيونية ، بل كما يتحدث العهد القديم نفسه ، لنقرأ هذا النص الطويل :

« لذلك فقل لبيت اسرائيل ـــ هكذا قال السيد الرب ـــ ليس لأجلكم أنا صانع يا بيت اسرائيل بل لأجل اسمى القدوس الذى بخستموه فى الامم حيث جئتم . فأقدس اسمى العظيم المبخس فى الامم ، والذى بخستموه فى وسطهم ، فتعلم الامم أنى أنا الرب .

يقول السيد الرب : حين أتقدس فيكم قدام أعينهم ، وآخذكم من بين الامم ، وأجمعكم فى جميع الاراضى ، وآتى بكم الى أرضكم ، وأرش عليكم ماء طاهرا فتطهرون من كل نجاساتكم ومن كل أصنامكم أطهركم .

وأعطيكم قلبا جديدا ، وأجعل روحا جديدة فى داخلكم ، وأنزع قلب الحجر من لحمكم ، وأعطيكم قلب لحم ، وأجعل روحى فى داخلكم وأجعلكم تسلكون فى فرائضى وتحفظون أحكامى ، وتعملون بها وتسكنون الارض التى أعطيت آباءكم اياها وتكونون لى شعبا وأنا أكون لكم الها . وأخلصكم من كل نجاساتكم .

وأدعو الحنطة وأكثرها ولا أضع عليكم جوعا . وأكثر ثمر الشجر وغلة الحقل لكيلا تنالوا بعد عار الجوع بين الامم فتذكرون طرقكم الرديئة ، وأعمالكم غير الصالحة وتمقتون أنفسكم أمام وجوهكم من أجل آثامكم وعلى رجاساتكم .

لا من أجلكم أنا صانع ـــ يقول السيد الرب ـــ فليكن معلوما لكم . فاخجلوا واخزوا من طرقكم يا بيت اسرائيل ـــ هكذا قال السيد الرب ـــ

فى يوم تطهيرى اياكم من كل آثامكم أسكنكم فى المدن . فتبنى الخرب وتفلح الارض الخربة عوضا عن كونها خربة أمام عينى كل عابر ، فيقولون هذه الارض الخربة صارت كجنة عدن ، والمدن الخربة والمقفرة والمنهدمة محصنة معمورة !! فتعلم الامم الذين تركوا حولكم أنى أنا الرب ، بنيت المنهدمة وغرست المقفرة .

أنا الرب تكلمت وسأفعل . هكذا قال السيد الرب .

بعد هذه أطلب من بيت اسرائيل لأفعل لهم . أكثرهم كغنم أناس . كغنم مقدس كغنم أورشليم فى مواسمها ، فتكون المدن الخربة ملآنة غنم أناس فيعلمون أنى أنا الرب » .

(٢٢ ـــ ٣٨ ـــ الاصحاح السادس والثلاثون . حزقيال)

وهذا النص ... أيضا :

« هو ذا عينا السيد الرب على المملكة الخاطئة وأبيدها عن وجه الارض غير أنى لا أبيد بيت يعقوب تماما يقول الرب . لأنه هأنذا آمر فأغربل بيت اسرائيل بين جميع الامم كما يغربل فى الغربال وحبة لا تقع الى الارض . بالسيف يموت

كل خاطئى شعبى من القائلين لا يقترب الشر ولا يأتى بيتنا .
في ذلك اليوم أقيم مظلة داود الساقطة ، وأحصن شقوقها ، وأقيم ردمها ، وأبنيها كأيام الدهر لكى يرثوا بقية أدوم وجميع الامم الذين دعى اسمى عليهم . يقول الرب الصانع هذا ..
ها أيام تأتى يقول الرب يدرك الحارث الحاصد ، ودائسى العنب باذر الزرع ، وتقطر الجبال عصيرا ، وتسيل جميع التلال وأرد سبى شعبى اسرائيل فيبنون مدنا خربة ، ويسكنون ويغرسـون كروما ويشربون خمرها ويصنعون جنات ويأكلون أثمارها وأغرسهم فى أرضهم ولن يقلعوا بعد من أرضهم التى أعطيتهم .
قال الرب الهك .
(٨ ــ ١٥ ــ الاصحاح التاسع ــ عاموس)

ونختم بهذا النص :
« هكذا قال رب الجنود . هأنذا أخلص شعبى من أرض المشرق ومن أرض مغرب الشمس وآتى بهم فيسكنون فى وسط أورشليم ويكونون لى شعبا وأنا أكون لهم الها بالحق والبر » .
(٧ ــ ٨ ــ الاصحاح الثانى ــ زكريا)

هذه نصوص لم يكتبها « موسى ديان » فى هـذا القرن ، ولم يكتبهـا « هرتزل » فى القرن الماضى ، ولم تتمخض عنها مؤتمرات الصهيونية المنعقدة فى سويسرا أو فى فرنسا ... انها ــ عند ذويها ــ آيات وحى يتلى ، ومعـالم دين يتبع ...
وليس اليهود وحدهم الذين يؤمنون بهذه الوعود السماوية لبنى اسرائيل ، بل كثير من النصارى الذين يجعلون اصحاحات العهد القديم أجزاء من الكتاب المقدس ، خصوصا الكنائس الانجيلية « البروتستانت » الذين يمثلون أكثر شعوب انجلترا والولايات المتحدة !!
ولكن عصابة من الكتاب العرب أخذت على عاتقها تغطية هذه الحقـائق الدينية ، والزعم بأن « اسرائيل » تمثل الصهيونية ولا تمثل اليهودية ، وأن الدين لا علاقة له بهذه الحرب الناشبة لابادة العرب وتهويد فلسطين !!
أهو الجهل الاعمى ؟ ربما ومن البـلاء أن يكون الرأى لمن يملكه لا لمن يبصره !!
أهو الاقصاء المتعمد لدور الاسلام فى المعركة ؟ ذلكم أغلب الظن ، بل هو جملة اليقين . وعمل أولئك الكتاب هو تسميم الفكر العربى حتى يدخل العرب معركتهم الحاسمة بلا روح أى بلا ايمان دينى واضح دافع ..
ونعود الى كلمات العهد القديم التى دونا بعضها هنا ..
ان موسى عليه السلام لا صلة له بهذه الوعود وتوراته لم تتضمن اشارة ولا عبارة عن عودة اليهود الى فلسطين ..
ثم ان احتلال أى بقعـة من الارض لا يعطى المحتـل الحق الابدى فى امتلاكها ..
وبنو اسرائيل دخلوا فلسطين محتلين ، ومكثوا بها أقل مدة مكثها جنس آخر . عمر هذه الارض ، فوجودهم التاريخى بها لا يمنحهم أى حق للبقاء فيها أو العودة اليها ..
نعم ، نحن نؤمن أن أسرة يعقوب حملت راية الدعوة الى الله ، وتنقلت بها بين وادى النيل ، وربوع فلسطين .

لكن أولاد يعقوب نكسوا هذه الراية فيما بعد ، وتنكبت كثرتهم سبيل الحق ، وجارت على الوحى ورسله ، فعزلهم الله الى الابد عن هذا المنصب ، وآثر به أمة أخرى كانت فيها الرسالة الخاتمة .

ثم صب غضبه على بنى يعقوب الخونة وذراهم فى الامم كما سجل ذلك كاتبو اصحاحات العهد فيما نقلناها هنا .

لكن حاخامات اليهود مزجوا فى حياة المجتمع اليهودى بين أمرين متناقضين :

أولهما الحرص على مخاصمة الرسالات السماوية الصادقة ومجافاة أهدافها الانسانية الرفيعة .

والآخر التشبث بالانتساب الى أسرة الدعوة الالهية ، والزعم بأنهم أبناء الله وأحباؤه ، ويتبع ذلك بداهة أملهم فى عودة مجدهم القديم ومملكتهم الاولى ..

والحاخامات الذين كتبوا العهد من عند أنفسهم فضحت آمالهم على مادونوا فكانت هذه البشائر التى تسلى بها اليهود دهرا ، ثم حولوها فى هذا العصر الى أمر واقع ..

ونحن لا نستغرب الانتصار المبدئى الذى أحرزه اليهود ، ولكنا نقول : انه لم يتم لخير فيهم بل لشر فى غيرهم ..

ان رجالهم ونساءهم وشيبهم وشبابهم جاءوا رافعين عقائرهم بنداء التوراة ، ملتفين حول ايمان زائف على حين كان العرب المثقفون يستحون من الانتساب للقرآن ، وينسحبون من مواطن التدين الحقيقى ، فترادفت النكبات والنكسات ، وكان ما ندى له جبين الحر ..!!

وضاعف من هزائم العرب أن الحقد الصليبى الذى لم تخب جذوته يوما كان يشد أزر المعتدى ، ويعينه اذا ضعف ، ويسدد رميته اذا طاشت ..

ولو أن اليهود وحدهم كانوا فى المعركة لكانت فلول العرب على ما بها من تمزق مادى ومعنوى قديرة على كسر اخوان القردة ، الا أن العرب وجهوا بالعبء مضاعفا ، لقدر شاءه الله فكان ما كان .

وما دمنا فى سياق البشارات الدينية ، والوعود الالهية ، فان لدينا فى كتاب الله وسنة رسوله ما يكمل آمال اليهود فى أرض الميعاد ..

انهم سيعودون فعلا ، ولكن ليفنوا لا ليحيوا ، ولتنتهى رسالتهم فى هذه الدنيا لا لتتجدد لقد قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ستكون مقتلة عظيمة بين المسلمين واليهود ، فيقتل المسلمون اليهود ، حتى اذا اختفى يهودى خلف حجر نادى الحجر يا مسلم هذا يهودى تعال فاقتله » وقد جاء فى صحيح البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم ، حتى يقول الحجر يا مسلم : هذا يهودى ورائى فاقتله » وروى مسلم فى صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « تقاتلون اليهود حتى يختبىء أحدهم وراء الحجر فيقول : يا عبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله » .

أجل .. ان اليهود سيتجمعون بعد شتات ، ولكن ليتحقق فيهم قول الله عز وجل « واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم » .

على أن ما بيته القدر لبنى اسرائيل من بلاء ماحق لن يوقعه بهم العرب — من حيث هم عرب — ولكن يوقعه بهم العرب بعد ما يعودون الى الاسلام ظاهرا وباطنا ، ويعرفون به حكومات وشعوبا ، ويكون النداء المعهود المتداول : يا مسلم هذا يهودى تعال فاقتله ..

ان حرب الابادة قد وضعت خطتها لافناء الجنس العربى ، واحلال بنى اسرائيل مكانه ، والحقيقة أن الاسلام ليس فقط الهداية العليا لعباد الله ، ولكنه طوق النجاة العاصم من الغرق بالنسبة الى هؤلاء العرب ، والخيط الباقى ليظلوا على قيد الحياة ان أرادوا الحياة .

فهم — رضوا أم سخطوا — يواجهون حربا دينية تشنها مشاعر مخلوطة بشغاف القلوب ، وليس كما يحكى لهم الكذبة يواجهون حربا استعمارية عادية ..

وأريد — بوصفى انسانا مسلما — أن أذكر رأيى فى الحروب الدينية .. انها صورة بشعة أن يقتل امرؤ آخر ليجعل من دمه طريقا الى الجنة .. انهـا صورة بشعة أن أقول لآخر : اعتقد ما أقول ، والا افترستك وأنا أشعر بلذة الولوغ فى دمك ..

ان الاسلام عدو مبين لهذا النوع من الحروب ، بل أن رسالة محمد كانت القاضية على كل قتال من هذا اللون القاسى ..

فهل كذلك فكر واضعو العهد القديم ؟ يستطيع أى قارىء أن يطالع فى الاسفار (١) المقدسة « أوامر الله » باستئصال الاعداء ، رجالا ونساء وأطفالا ، واستئصال ما يملكون من حيوان ونبات ، ونشر الخراب فوق كل شبر من أرض لأعداء اسرائيل ..

وعندما كنت أقرأ أخبار القرى العربية التى اختفت من الوجود ، والبيوت التى دمرت بعدما فر أصحابها مروعين ، كنت أعلم أن بنى اسرائيل انما نفذوا أحكام التوراة — فيما يزعمون —

ان واضعى هذه الاسفار كانوا جزارين فى ثياب متدينين ، وكان ضحاياهم فى هذا العصر الاشأم من العرب المسلمين .

وقد قام اليهود بمذبحة « دير ياسين(٢) » استجابة دينية حرفية للتعاليم التى يتدارسونها ويتوارثونها .

وهى تعاليم — فيما نرى نحن المسلمين — مبتوتة الصلة بأنبياء الله ، وأن زعمها هؤلاء وحيا من السماء .

واليهود فجرة مهرة ، وقد عقدوا مع المستعمرين معاهدة للنفع المتبادل ، وللتنفيس عن الحقد المشترك ، ولست أدرى بالضبط أى الفريقين كان أقدر على تسخير الآخر والافادة منه .. وان كان المسلمون بيقين هم الفريق المغبـون الفادح الخسار .

---

(١) نقلنا نصوص حرب الابادة من اصحاحات العهد القديم فى مكان آخر من كتابنا « التعصب والتسامح » .

(٢) قرية دير ياسين . قرية فلسطينية صغيرة قرب مدينة القدس . تعرضت فى ٩ ابريل عام ١٩٤٨ أى قبل قيام اسرائيل بحوالى شهر .. لهجوم غادر من جانب المنظمات الارهابية الصهيونية ، تحول الى مجزرة بشرية قاسية .. ذبح خلالها بالاسلحة الحديثة وبالسلاح الابيض (٢٥٤) من الرجال والنساء والاطفال العرب .. وبلغ الهوس والجنون بالمهاجمين الى حد التمثيل البشع بجثث الضحايا من الاطفال والنساء وتمزيقها اربا فى دروب القرية وشوارعها أما بقية السكان الذين نجوا من المجزرة .. فقد ساقهم المهاجمون الى شوارع القدس وملابسهم ملطخة بالدماء فيمـا يشبه موكبا بدائيا للنصر . وعرف فيما بعد أن المجزرة كانت من تدبير عصابتين صهيونيتين هما :

أولا : عصابة أرجون زفارى ليومى (المنظمة العسكرية الوطنية) .. وهى تنظيم ارهابى صهيونى كان يرأسه مناحيم بيجن الوزير الحالى بالوزارة الاسرائيلية .

ثانيا : عصابة لوحمى حيروت يسرائيل (المحاربون لحرية اسرائيل) وهى العصابة الى تحولت بعد قيام اسرائيل الى حزب حيروت .. أحد الاحزاب الحاكمة الآن فى اسرائيل ..

ان سخط الله على بنى اسرائيل لم تنقض أسبابه ، ولعلها لن تنقضى أبدا ما داموا على طبائع الملعونين من أسلافهم قسوة فؤاد ، وشره نفس ، وأكل سحت ، وفساد معتقد وبغيا فى الارض ، واستطالة على الخلق ..!!

واذا كان الله قد ضرب بهم بعض الشعوب التى فرطت فى جنبه فليس ذلك دليل رضا ، ولا تقريبا بعد ابعاد ، فان الهيكل الاول هدمه الوثنيون ، وقد تسلط على بنى اسرائيل قديما من هم شر منهم ..

ومسلمو اليوم يتعرضون لبلاء طويل بغير شك ، ومن يدرى ؟ قد يكون ذلك باعثا لهم على صلح مع الله وعودة الى الاسلام الذى هجروه ..

وعندئذ تكون هذه المحنة منحة وتكون الضارة النافعة ..

ومهما ساءت الامور فان حلم اسرائيل بحكم العالم من أورشليم لن يتحقق ، فان الحجب بدأت تتمزق عن آثار اليهود الرهيبة فى أرجاء الارض .. خصوصا وسط العالم المسيحى .. ان سلطة المسيحية على الضمير والسلوك فى أوروبا وأمريكا أسمية للاسف .

وقد تمكن بنو اسرائيل بوسائلهم الجلية والخفية من نشر الفتن الجنسية والعنصرية والفلسفات المادية والالحادية فى جنبات القارتين الكبيرتين ..

فهل هذه رسالة السماء التى حملها أنبياء بنى اسرائيل قديما ويريد ذراريهم بها أن يكونوا شعب الله المختار ؟؟

فى محاضرة للدكتور أحمد خليفة وزير الاوقاف الاسبق سمعت منه أن اليهود يسيطرون على الولايات المتحدة سيطرة كاملة ، وعلى أوروبا الغربية سيطرة شبه كاملة ، وأن الميادين التى أحكموا قبضتهم عليها هى ، المصارف المالية ، والجامعات الكبرى ، ووسائل الاعلام ..!!

ومن يضع قبضته على هذه الثلاث ضمن أن يصوغ الفكر كما شاء ، وأن ينشر ما يرضيه ويحجب ما يرفضه ، وأن يبسط يديه حيث تجدى النفقة ، ويمسك متى أراد قال : ومن يتابع تاريخ الفكر البشرى ويتعرف دور اليهود فيه يتبين أنهم يصطنعون الفلسفات التى تحطم كل المقدسات ، وتحطم احترام الانسان لنفسه ، وتحرمه من الايمان وسكينة النفس .

وقال : واليهودية العالمية تعلم أن الشباب هو مستقبل الامم وعتادها وذخرها .. اذن لا بد أن يفسد الشباب وتختل أمامه الموازين وتضطرب القيم .. ومن هنا سيطروا على أسواق الخمر والقمار والمخدرات — كما أن باعهم طويل فى عالم الخلاعة والتهتك — والذى يزور السجون والاصلاحيات فى الولايات المتحدة يجد نزلاءها من الملونين ومن المسيحيين ، ولا يجد بها يهوديا ..!!

انهم يقودون حملة التخريب والافساد مع الاحتفاظ بكيانهم وتماسكهم ..

قال المحاضر : انك فى أمريكا تقرأ ما يريد اليهود لك أن تقرأه ، وتفتح الراديو لتسمع ما يريد اليهود أن يذاع ، وتفتح التليفزيون لترى ما يرى اليهود أن ترى ويذهب الابناء الى الجامعة لتعبأ عقولهم بما يريد اليهود أن يتعلموه . وفى كل أسبوع تقبض المرتبات من خزائن اليهود ، هذا هو الاخطبوط الذى يسيطر على الغرب ، هذه هى الطفيليات التى تمتص دماء العالم ..

نقول : وهذه هى وظيفة شعب الله المختار ، يبلغ بها رسالة السماء الى الارض ويعلم البشر الصلاة والزكاة والتقوى والادب ، ويذكرهم بيوم الحساب وما وراءه من خلود طويل !!!

ان اليهودى ذكى كالشيطان ، وله أن يزعم ما يشاء الا أنه صاحب دين يهدى الى البر والرشد ، ويستحق من أجله ميراث الاقطار والاجناس .



للدكتور محمود محمد قاسم
عميد كلية دار العلوم
بجامعة القاهرة



ان حاضر العالم الاسلامى جدير بالدراسة والتأمل . فان الاحداث العالمية الراهنة قد تبعث شيئا من اليأس الى الشعوب الاسلامية فى مختلف أقطار آسيا وأفريقية وخصوصا بعد أحداث ١٩٦٧ وسقوط بيت المقدس فى حوزة اسرائيل . ولقد مرت بالمسلمين منذ الحروب الصليبية فترات ربما كانت أشد حلكة من الفترة التى يحيونها الآن . ومع ذلك فان الاسلام اعتاد التغلب على هذه الصعاب ، اذ من أهم مميزاته أنه دين يبعث على الأمل ويوجب الاسترشاد بالعقل . وهو الى جانب ذلك لا يغرس الكراهية فى نفوس أصحابه تجاه أتباع الديانات الاخرى ، اذ جاء مصداقا للرسالات السماوية السابقة من يهودية ومسيحية . ورغم ما يقابل به هذا التسامح من كيد الآخرين ومحاولة القضاء عليه ، فانه من الواجب أن نعترف بأن تأخر المسلمين فى القرون الاخيرة يرجع الى المسلمين أنفسهم لا الى دينهم .

ولسنا بصدد تحليل أسباب تأخر المسلمين فى هذا البحث ، اذ نريد أن نعالج قضية أخرى يروجها خصوم الاسلام من هؤلاء الذين يقولون بأن الاسلام كان سببا فى تأخر المسلمين ، وذلك فى الوقت الذى ما زال يرى فيه علماء المسلمين

أن الديانات السماوية الاخرى كالنصرانية مثلا ، وان امتزجت بأفكار وثنية قديمة أهمها عقيدة التثليث ، فهى خير من الوثنية المحضة ، لكنها ليست أصلح للحضارة الانسانية لأنها تقوم على أساس من الزهد والخضوع لذوى السلطان وحلفائهم من رجال الدين ، وهو الأساس الذى لا تستند اليه قوة العالم الغربى منذ بدء حركة الاستعمار فى أواخر القرن الخامس عشر حتى الآن . فحضارة الغرب تقوم على العلم والعمل من أجل الحياة الراهنة . ومع أن قبضة الدين قد تراخت فى كثير من أقطار العالم الغربى فان موقفها من العالم الاسلامى لم يتبدل . فانا نجد أن بعض الغلاة من المسيحيين يفضلون أن يبقى الوثنيون على وثنيتهم بدلا من أن يعتنقوا دينا يقول بالتوحيد الخالص . ولو كان حقا أن الاسلام سبب فى تأخر المسلمين لوجب على المستعمرين أن يفيدوا منه فى القضاء على خصائص الأمم التى يريدون السيطرة عليها سواء أكانت اسلامية أم غير اسلامية .

وليس من هدفنا أن نثير دفائن الصدور ، لذلك حرصنا على القول بأن اتهام الاسلام بأنه سبب التدهور السياسى والاجتماعى فى الأمم التى تؤمن به انما هو رأى بعض غلاة المسيحيين . ذلك أننا لمسنا عن تجربة أن المتدين منهم حقيقة ربما كان أكثر تسامحا ، وأميل الى الوفاق من هؤلاء الذين يخلطون الدين بسياسة الاستعمار ، ويريدون القضاء على كل مقاومة لدى الشعوب المغلوبة على أمرها بالطعن على عقائدها ، فيتخذون كل وسيلة ممكنة لتحقيق هذا الهدف ، ومنها تنشئة الاجيال الجديدة عندهم على كراهية الاسلام وأهله .

وكثيرا ما يعتمد هؤلاء على بعض الحجج التقليدية وأهمها ايمان المسلمين بالقضاء والقدر . والحق أن فكرة القضاء والقدر على أنها مرادفة للتخاذل والتواكل ليست من الاسلام الحقيقى فى شىء ، بل ان المتصوفة الذين قد يظن أنهم هم الذين غرسوها فى النفوس يؤمنون فى الأغلب بفكرة القوانين ، على نحو ما نجده مثلا عند محيى الدين ابن عربى(١) ، كما يرون أن انكار فكرة السببية خلل فى الاعتقاد . ومن المؤكد أن فكرة القضاء والقدر قد شوهت لدى المسلمين فى عصر التدهور وهم الآن بصدد التحرر من هذا التشويه فى عصرنا الحاضر أى منذ بدأت حركة التجديد الاسلامى عند كل من جمال الدين الافغانى ومحمد عبده ، وعبد الحميد بن باديس باعث الروح الاسلامية فى الجزائر قبيل حرب التحرير الجزائرية . ونقول ان التشويه فى العقائد الاسلامية الرئيسية قد تطرق الى المسلمين ، بانتقالهم من عهد الحماسة الدينية والتفانى فى اعلاء شأن العقيدة الى الترف والشقاق فيما بينهم . فاتخذ كل فريق النصوص الدينية وسيلة الى تبرير آرائه السياسية والاجتماعية ، لكن الاسلام فى جوهره عقيدة واضحة صريحة لا تعقيد فيها . وهو لا يتخذ الاساطير والطقوس الغريبة سبيلا الى السيطرة على العقول ، بل يهدف الى تحرير الانسان من عبوديته ، حتى ينظر الى هذا الكون ويستخدم ما سخر الله فيه من

---

(١) أشرنا الى هذه الفكرة فى كتاب لنا « الخيال فى مذهب محيى الدين بن عربى » ، وهو مجموعة من المحاضرات ألقيناها فى سنة ١٩٦٩ بمعهد الدراسات العربية .

كائنات للتمتع بالحياة الطيبة داخل الحدود الواسعة التى رسمها الدين فى حين أن التقرب الى الله انما يكون بالايمان به وحده وبرسوله الذى جاء مصدقا لما سبقه من الرسالات ، وبأداء الفرائض من صلاة وصوم وزكاة وحج .

وقد بلغ من تشريف الاسلام للانسان أن دعاه الى استخدام عقله وخياله فى الكشف عن أسرار الكون ، بحيث استطاع رجل مثل ابن عربى أن يزعم أن الخيال الانسانى استمرار للقدرة الالهية الخالقة . والى جانب هذا الطابع العقلى والعلمى فى الاسلام كان هناك حافز اجتماعى وأخلاقى حرك المسلمين الى الرغبة فى تحرير الشعوب الاخرى من أوهامها وأساطيرها ومن الظلم الاجتماعى والسياسى فى امبراطورية فارس وامبراطورية الروم . ويفسر لنا هذا الامر كيف انتشر هذا الدين بسرعة مذهلة فى حقبة قصيرة من الزمن . فاعتنقه أكثر من مائة مليون فى أقل من مائة سنة . وذلك أنه حليف العقل والطبع ، لا يحارب الفكر الحر ولا يحقر من شأنه ، بل بحث على استخدامه فى قبول العقيدة وفى تحصيل العلم .

ومن قبل وجدنا الامام الغزالى يتخذ لنفسه دستورا وهو قول الامام على بن أبى طالب : « لا تعرف الحق بالرجال ، بل اعرف الحق تعرف أهله » . وأكثر من ذلك فانه يوصى من يطلع على الفلسفة أن يجتهد لنفسه ، وألا يعطل عقله تقليدا لأرسطو أو لأفلاطون ، كما يوصى فى الوقت نفسه من يرغب عن الفلسفة ألا يعتقد أن فى انكاره العلوم البرهانية نصرا للاسلام . فهذا الدين لا ينكر العلوم البرهانية ولا المنطق ولا الطب ، وانما يدعو الناس الى استخدام عقولهم فى فهم الكون وفى الاستدلال على وجود خالقه ، دون الأخذ بالآراء الظنية التقليدية ، ومنها آراء القدماء فيما يتصل بالأمور الالهية . ولم يكفر الغزالى كلا من الفارابى وابن سينا لأنهما اشتغلا بالفلسفة ، ولكن لأنهما قلدا الآراء الدينية الخاطئة عند أفلاطون وغيره .

ومثل هذه النغمة فى تمجيد المعرفة العلمية والفلسفية شىء نجده عند ابن رشد الذى يتفق فى رأينا ، مع الامام الغزالى على الاسس الجوهرية فى التفكير الفلسفى الاسلامى(١) فهو يوجب علينا أن نبحث عن المعرفة حيثما وجدناها . فاذا كان الفلاسفة القدماء قد كشفوا عن بعض الحقائق فمن العبث أن نهجر ما كتبوه وأن نستأنف البحث من جديد ، فاننا لو رفضنا قبول الحق لأنه جاء على لسان من لا نثق بدينه لكان معنى ذلك أننا نهجر كثيرا من الحق . فليس الاطلاع على ما اهتدى اليه الآخرون نوعا من الترف العقلى بل هو أمر يوجبه الدين « فقد ينبغى أن نضرب بأيدينا الى كتبهم لننظر فيما قالوه من ذلك فان كان كله صوابا قبلناه منهم ، وان كان فيه ما ليس بصواب نبهنا عليه .. وما كان موافقا للحق قبلناه منهم ، وسررنا به وشكرناهم عليه ، وما كان غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم(٢) » .

---

(١) أنظر كتابنا : دراسات فى الفلسفة الاسلامية ط ٢ دار المعارف ١٩٦٧ ، الفصل الثانى والفصل الخامس .

(٢) فصل المقال .

ان هــــذه الروح العلمية التى نراها عند كبار مفكرى الاســـــلام تشهد بأن الجو الحضارى للاسلام الحق هو الجـــــو الذى يتنفس فيه التفكير الحر والذى ينفر من التقليد وهو الجو الحضـــارى الذى تنفس فيه المعتزلة من قبل ، وهم من أقرب الفرق الى الروح الاسلامى ، فطائفة المعتزلة أدركت حقيقة الاســـلام ، فتمسكت بفرائضه وعقائده ، ووفقت بقدر ما استطاعت بين هذه العقائد وبين العقل الذى جعلتـــــه ميزانا للحق ، واعتمدت عليـــه فى تقرير حرية الاختيار وقدرة الانســـان على الســـمو بنفسه . وهى أبعد الفرق عن أن تتهم بأنها ترى أن القضـــاء والقدر معناه الاستسلام للـــكوارث والظلم الاجتمـــاعى ، وربما أمكن اعادة النظر فى موقف علماء الاسلام التقليديين تجاه المعتزلة ، ولا سيما اذا فهمنا أن كل نهضـــة اجتماعية وعلمية فى عصرنا الحديث ترتكز ، الى حد كبير ، على احياء الطـــابع العقلى فى الاسلام ، ذلك الطـــابع الذى يتضح كل الوضوح فى انتاج مفكرى المعتزلة . ومن العسير أن ننكر وجود هذه المسحة الاعتزالية لدى كل من جمال الدين الافغـــانى والامام محمد عبده . ويكفى أن نذكر هنا أن المبدأ الذى اعتمد عليه الامام عبد الحميد بن باديس لاحياء الروح الاســـــلامية فى النصف الأول من القـــــرن العشرين كان ينحصر فى تصحيح فكرة المسلمين عن القضاء والقدر فقد كان شعاره : « ان الله لا يغير ما بقـــــوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » فليس للمســــلمين أن يزعموا أن الله خصهم من بين البشر بقبول الكوارث دون أن يحـــــاولوا دفعها .

وقد حورب المعتزلة فى عصــــور التدهور الســـياسى والاجتماعى . ولقد قيل أن الاعتمـــاد على العقل يوشك أن يجتث أصول العقيدة فى النفوس . فان للشرع حقيقته وللعقل حقيقته ، وقد تختلف الحقيقتـــان ، فاذا جعلنا العقل مقياسا لكل شىء كان معنى ذلك أننا نضحى بالدين من أجل العقل والعلم ، لقد وجهت هذه التهمة أيضا الى أصحاب الاصلاح والتجديد الاســــــلامى فى العصر الحـــــديث . ولـــكن نسى هؤلاء الناهضون لكل تجديد أن حجتهم هذه هى حجة اتباع ديانة أخرى ، وأعنى بها المســـــيحية التى تقول بنظرية الحقيقتين : حقيقة الدين وحقيقـــة العقل . ولقد حاول توماس الاكوينى أن يحارب أصحاب نظرية الحقيقتين من أمثال « سيجيردى برابانت » . فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر . لكنه لم يفعل ســـــوى أن ارتضى لنفسه رأى ابن رشد لكى يحارب به أهل الالحاد فى أوروبا . ومع ذلك فان توماس الاكوينى لم يستطع أن يتحرر تماما من القول بوجود تناقض بين الدين والعقل(١) .

وأيا كان الأمر فـــاذا وجدنا فى حضـــــارة أخرى ، أن أحد كبـــار المفكرين ينادى بأن يضحى الانسان بعقله من أجل عقيدته ، فانا نجد أن الاسلام لا يخشى العقل ، اذ أن من شروط تكليف الانسان بالايمان به أن يـــكون عاقلا . وليس من حسن السياسة فى شىء أن ينصب دين من الاديان نفســـه لنصره العقل ، ثم

---

(١) أنظر كتابنا نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها عند القديس توماس الاكوينى . الطبعة الثانية ــ الانجلو المصرية سنة ١٩٦٩ .

يحـــاول الحجر عليه وتقييده أو التضحية به ، وليس من الحكمة ولا من الفطنة أن يظن بعض المسلمين أن دينهم الذى جاء ليحرر البشر من الاستبداد الروحى والسـياسى هو الدين الذى يقضى على حرية الفرد ويجعله كريشة فى مهب الريح كما يزعم أصـحاب الجبر ، وهم الذين أساءوا فهم عقيدة القضاء والقدر .

غير أن جمهرة من المسلمين تأبى فى عصور التدهور السـياسى والاجتماعى أن تستمع الى دعاة العقل ، وترى أن تنساق وراء بعض الفقهـاء الذين يرون الحجر على التفكير والاجتهاد وتوجب الاعتماد على الروايات التى تناقلها الفقهاء جيلا بعد جيل . منذ أن أغلقوا باب الاجتهاد فى زعمهم ، ومنذ أن ضيق علماء الكلام رحمة الله الواسعة « فجعلوا الجنة وقفا على شرذمة يسيرة من المتكلمين » ، على حد تعبير الامام الغزالى . ونسى هؤلاء الذين أوجبوا منهج التقليد أن كثيرا من الاخبار قد دس على الاحاديث النبوية ، وأن التفاسير مليئة بالخرافات والاساطير والاسرائيليات مما أدى الى تشويه العقائد واساءة فهمها . كذلك لم يفطن أصحاب المنهج التقليدى الى أن بعض المسلمين فى عصر الخلاف الدينى والسياسى كانوا من أبناء أم أخرى نصرانية أو مجوسية أو يهودية دخلت فى الدين الجديد ، ولم يتحرروا تماما من رواسب دياناتهم السابقة . فكان من الطبيعى بعد هذا الخلط والتلفيق بين الاسلام وبين العقائد الاخرى أن يتشكل هذا الدين بصورة أخرى لو اطلع عليها المسلمون الآن لما عرفوا فيها دينهم ، وهى تلك الصورة التى يظن الاوروبيون أنها السبب فى تأخر المسلمين .

أما اذا أرادوا بذلك الاسلام الحقيقى المجرد عن خرافات الشعوب التى اعتنقته ، وعن محاولات التخريب الدينى الذى تخصص فيها اليهود فى القديم والحديث فان الواقع ليس فى جانبهم . ذلك أن التاريخ لم يشهد ، كما قلنا ، دينا آخر جذب القلوب بمثل ما فعل الاسلام ، وما شهد لدولة كبرى تنبعث فجأة من جوف الصحراء ، دون أن تكون لها مقدمات حضارية تؤذن بظهورها واتساع رقعتها فى هذا الزمن القليل مثل دولة المسلمين ، تلك الدولة التى وان تفككت فى العصر الحديث فان شعوبها ما زالت تكافح من أجل البقاء ، رغم الكوارث والحروب التى واجهتها منذ الحروب الصليبية حتى أيامنا هذه .

ويمكن تفسير هذه الظاهرة الاخيرة بأن ما دخل على الدين الاسلامى من تشويه ، لم يكن ليقاس بما طرأ على الاديان الاخرى . فقد استمر الاسلام الصحيح حيا فى كثير من النفوس . ومن بين هؤلاء يخرج زعماء التجديد الاسلامى الذين يكشفون عن حقيقته بين حين وحين ، فيشق هذا الدين طريقه حتى فى أشد عصوره ظلاما وضعفا . ذلك أنه دين يتجه الى العقل ويوافق الميول الطبيعية فى الانسان . وهذا أمر يعترف به المبشرون أنفسهم . فكثيرا ما وجدوا الاسلام فى طريقهم ، وكثيرا ما يلحقهم ثم يسبقهم فى حملاتهم التبشيرية . فهم اذن أعلم الناس بقوته ، وربما كانوا أكثر يقينا بهذه القوة من المسلمين ، مما يفسر لنا محاولة النيل منه بكل الوسائل . انهم يعترفون منذ أكثر من مائتى سنة أن الاسلام ما تطرق الى بلد من البلاد الوثنية الا وأسرع أهله

الى اعتناقه لأنه عقيدة واضحة سهلة ، لا تقهرهم ولا تتطلب اليهم أن يتقبلوا ، دون مناقشة ، أسرارا أو طقوسا يحار لها العقل أو يعجز عن فهمها ، فهو يحدثهم عن اله واحد ، يؤمن به هؤلاء الوثنيون فى أعماق نفوسهم أو بفطرتهم ويطلقون عليه اسم الاله الأكبر ليتقربون اليه عن طريق أصنامهم أو آلهتهم المحلية ، وهذا ما سبقهم محيى الدين بن عربى الى الاشارة اليه عندما قرر فى كتابه الفتوحات المكية أن أهل الشرك يؤمنون فى أعماقهم وبصفة لا شعورية بالاله الواحد « فالنظرة توجب الايمان بالتوحيد وانما جاء الشرك من قصور التفكير العقلى عند أهله » ومهما يكن من شىء فان هؤلاء المبشرين يقرون أن الوثنيين يقبلون على الاسلام فى يسر لأنه يخاطبهم كبشر ، ولأنهم يرون فى مبادئه الاخلاقية وتسامحه تجاه أصحاب الديانات المناهضة له أسمى ما يمكن أن يحفز الانسان الى الايمان بالله .

ومن المسلم به أيضا لدى هؤلاء المبشرين أن الاسلام يخطو خطوات هائلة فى قلب القارة الافريقية على الرغم من خضوعها لدول مسيحية ، تعمل ما فى وسعها لمساعدة المبشرين على نشر العقيدة المسيحية ، فى حين أن الاسلام الذى لا ينصره كثير من أهله ، بل يحاربه الآخرون قدر طاقتهم ، وبناء على تخطيط مرسوم دقيق ، يتخطى الحواجز وينسف الحدود ، ولا تقف فى طريقه سلطة زمنية أو كهنوتية . وقد اعترف أحد هؤلاء المبشرين بأن الاسلام لا ينظر الى المسيحية التى تنازعه السيطرة فى افريقيا نظرة الكراهية أو الحقد أو العداء . لذلك هو جدير بالسبق والفوز . هذا هو ما اعترف به أحد المبشرين فى أوائل القرن الحالى ، وهاك ما اعترفت به صحيفة للمبشرين منذ أكثر من عشر سنوات : « ان التقدم الكاثوليكى فى أفريقية يجد نفسه متخلفا وراء خطوات العملاق التى يتقدم بها الاسلام الذى يحقق أيضا تقدما مثيرا فى أندونيسيا والهند والباكستان » ثم تعزى هذه الصحيفة نفسها عن هذا التقدم المذهل الذى يتحقق دون حاجة الى طلب التبرعات من المؤمنين أو الالحاح فى طلبها فتقول : « ومن يدرى فلربما وقفت الشيوعية فى طريق انتشار الاسلام . فان هذا المذهب الالحادى يعمل عمله فى الشرق الاقصى . وهو يسيطر على ثمانمائة مليون نفس ، أى ضعف العالم الكاثوليكى على وجه التقريب » . ثم تمضى الصحيفة نفسها فتقول : « ان العالم الاسلامى الذى ننظر اليه كحصن منيع لا تستطيع الكاثوليكية أن تتطرق اليه ، يخضع للدعاية الشيوعية التى لم تعتقد أبدا فى مناعة الاسلام »(١) .

فالامر اذن خاص بحصن منيع لم يسقط منذ القرن الحادى عشر الميلادى . وهو حصن يحاول الآخرون هدمه ، سواء آمنوا بدين سماوى آخر أو تحرروا منه . ولا نجاة لهذا الحصن الا بتجديد الروح الاسلامية ومحاولة التحرر من التخلف السياسى والاجتماعى والعلمى الذى يعد أكبر الاخطار التى تهدد المسلمين ودينهم أيضا .

---

(١) العدد ٢٣ .

أوقات رمي الجمرات في الحج

بعث الينا الاستاذ مصطفى أحمد الزرقا خبير موسوعة الفقه الاسلامي بوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت بهذه الخلاصة عن الاجتهادات المختلفة فى أوقات رمى الجمرات فى الحج ، وفيما انتهى اليه ، تيسير على حجاج بيت الله الحرام ، وتخفيف للمشقة الشديدة التى تلحقهم بسبب الزحام الشديد عند الرمى . وصدق الله العظيم « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » (الوعى) .

١ ـ وقت رمى جمرة العقبة :

رمى جمرة العقبة يبدأ من فجر اليوم الاول ، أى يوم الاضحى بالاجماع ، سوى أنه عند الشافعية يبدأ من منتصف ليلة العيد ، ويستمر الى غروب شمس آخر أيام التشريق ، وهو اليوم الرابع ، فيرميها الحاج ليلا أو نهارا ، ويكون كل ذلك أداء عندهم .

وعند الحنفية يستمر وقته من فجر اليوم الاول الى فجر اليوم الثانى . والافضل عدم تأخيره على وقت الزوال من اليوم الاول ، ويباح تأخيره الى الغروب ، ويكره بعده .

٢ ـ رمى الجمرات الثلاث :

رمى الجمرات الثلاث بعد اليوم الاول يبدأ وقته من زوال كل يوم الى فجر اليوم التالى فى معظم المذاهب .

الا أنه عند الشافعية يبدأ وقت الرمى فى كل يوم بزوال الشمس فيه ويستمر وقته الى الغروب من آخر أيام التشريق ، ولكن لا يصح الرمى عن يوم الا بعد الرمى عما قبله .

وعند أبى حنيفة أن اليوم الرابع من أيام التشريق ، وهو يوم النفر الاخير يبدأ وقت الرمى فيه من الفجر حتى غروب الشمس ، فيستطيع المتعجل أن يرمى قبل الزوال وينفر .

وقال اسحق أن يوم النفر الاول (وهو الثالث) هو كالرابع يبدأ الوقت فيه لأجل الرمى من الفجر أيضا تسهيلا لمن يريد النفر فيه (كما فى نيل الاوطار للشوكانى) .

أما اليوم الثانى من أيام التشريق فالجمهور على أن وقت الرمى فيه يبدأ من الزوال ، فلا يصح الرمى فيه قبل الزوال ، لأنه لا نفر فيه .

ولكن خالف فى ذلك الامام الباقر محمد بن على من آل البيت (كما فى بداية المجتهد) ، وكذا الامام الناصر من الزيدية (كما فى البحر الزخار) وكذا من التابعين عطاء وطاووس (كما فى نيل الاوطار) فقال هؤلاء جميعا : ان الوقت فى اليوم الثانى أيضا يبدأ من الفجر ، فيرمى قبل الزوال مطلقا .

وفى قول آخر عند الحنفية أيضا غير القول المشهور أن اليومين الثانى والثالث أيضا يجوز الرمى فيهما قبل الزوال .

وعليه يكون فى الايام الاربعة كلها مجال للرمى من الصباح قبل الزوال فى مختلف الاجتهادات ولو فى غير يوم النفر للمستعجل وغيره ، لأن فى الرمى قبل الزوال تيسيرا كبيرا على الناس حتى على غير المستعجل لأجل النفر ، فان الماكث أيضا قد يحتاج الى التبكير فى الرمى اجتنابا للزحام الشديد فى الحر الشديد كما لا يخفى .

رسالة إلى

... وفتحت صدرك للرياح وكنت طودا فى الرياح
ومضيت .. لا الاشواك تعتاق المسير ولا الجراح
فوق الخطوب .. وفوق آلام التمزق والنواح
يا فارسا حمل الصباح على يديه الى الصباح

□ □ □

أبدا خطاك الى غد .. يا ما مضيت الى غد
ولويت أعناق الظلام وقلت للريح اهتدى
ما زلت ملاحا ... يداى على جبين الموعد
لا ترعدى ... انى أنام على المدى ... لا ترعدى

□ □ □

وعرفت كيف النصر ... كيف الجرح ... كيف اللا قرار
كيف احتواء الطعنة السوداء من خلف الجدار
كيف انحناء الجذع ... كيف يكون فى اليأس الدوار
لكن وجهك لم يقع أبدا على أرض البوار

□ □ □

الفارس المكنوز فيك يهد أسوار المحال
ويشد شعر الضوء حتى يغمر الضوء التلال
قدم اليه الزاد ... أطعم خيله أحلى الغلال
هيىء له سيفا ... وعبىء خلفه كل الرجال

الفارس العربي

للأستاذ : محمد أحمد العزب

ظمئت عيـــون النخـــل والسـمار فى الأرض الأســـيره
واســـتعجمت فيهـــا الحـــروف وأجهشت حيرى كســـيره
يا قادمـــا بالخيـــل ... أدرك صـــيحة الأرض الأخيـــره
وأعـــد لطفـــل الدار عينيـــه ... وللبنت الضـــفيره

□ □ □

لم يبـــق الا أن تقـــول فتســـمع الدنيـــا حـــوارك
لا تقتـــرض حـــرفا من البـــاكين ... لا تلـــق اعتـــذارك
لا تنكفىء فـــوق التـــراب مخبئـــا فى الرمـــل عـــارك
الثـــأر ثـــأرك من زمـــان ... انهم ســـلبوك دارك

□ □ □

فى البـــدء كان القهـــر بين النـــاس ... واليـــوم يكون
كبـــل ســـواعده ... ومزق وجهـــه حتى الجنـــون
جـــرد عليـــه الســـيف ... هدم فوقـــه كل الحصـــون
يا فارسى ... يا أنت ... كنت على المـــدى ضـــوء العيـــون

□ □ □

وفتحت صـــدرى للريـــاح .. وكنت طـــودا فى الريـــاح
ومضيت لا الاشـــواك تعتـــاق المســـير ولا الجـــراح
فـــوق الخطـــوب وفـــوق آلام التمـــزق والنـــواح
يا فارســـا حمـــل الصـــباح على يديـــه الى الصـــباح

الإعداد المعنوي للحرب

بين العقيدة والقيادة ٢

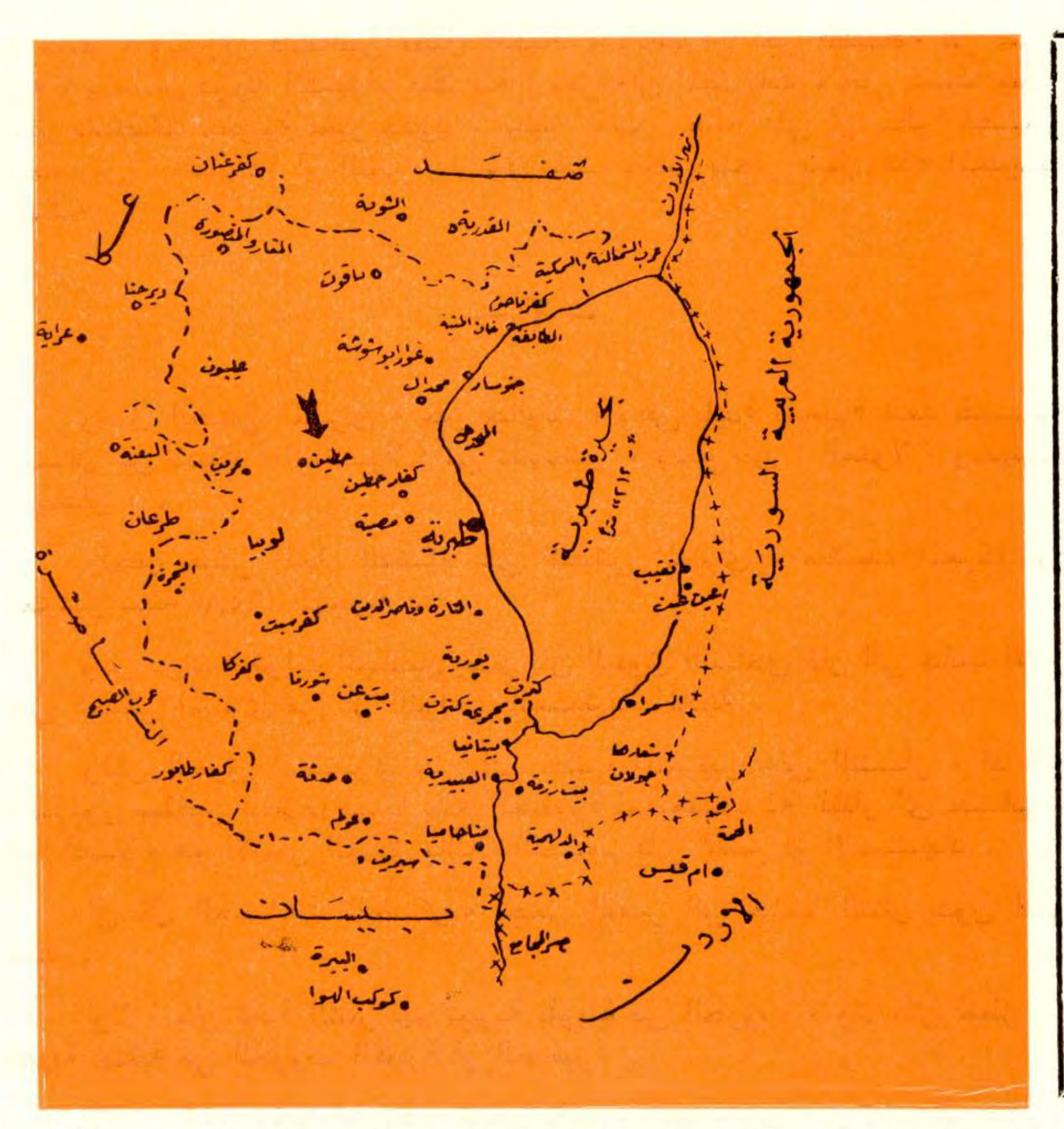
لا قيمة لكل سلاح بدون انسان
لا قيمة للانسان بدون ايمان

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

- ١ -

ما هى عبرة معركة (عين جالوت) لحاضر العرب والمسلمين ومستقبلهم ؟
فى سنة (٦٥٤) الهجرية احتل التتار سائر بلاد الروم بالسيف ، واحتلوا بغداد عاصمة العباسيين وقضوا على الدولة العباسية فى المشرق سنة (٦٥٦) الهجرية ، واستولوا عنوة على (حران) و (الرها) و (ديار بكر) سنة (٦٥٧) الهجرية ، ونزلوا مدينة (حلب) سنة (٦٥٨) الهجرية واستولوا عليها ، ووصلوا الى دمشق فى نفس السنة واستولوا عليها ثم تعدوها الى (نابلس) و (الكرك) و (بيت المقدس) .

وقد كان من أهداف التتار الاستيلاء على فلسطين واجتيازها الى مصر ، وكان جيشهم يتقدم كالاعصار الشديد ، لا يبقى ولا يذر مدمرا كل قوة تقاومه ، ناشرا الرعب والخراب والدمار .
وكان على مصر حينذاك قطز ، وكان يخشى على وطنه أن يجتاحه التتار اليوم أو غدا ، وكان التتار فى مسيرتهم الظافرة يتقدمون من نصر الى نصر ،



وقد أصبحت مصر قريبة منهم ، وكانوا يطمعون فى أن يجعلوها ضمن ممتلكاتهم التى امتدت من أقصى الشرق الى البحر الابيض المتوسط .

وجمع قطز رجاله المفكرين ، وسألهم الرأى فيما يصنع ، فأشاروا عليه بحرب التتار خارج الارض المصرية ، حتى يبعد عن مصر الخراب والدمار .

واقتنع قطز بهذا الرأى ، وقدر أنه اذا انتصر على التتار فقد كفى مصر مغبة الدمار ، واذا اندحر أمامهم كانت له أرض الكنانة ملجأ وموئلا .

واستنفر جيش مصر ، وحث الناس على الجهاد ، فلبى نداءه كثير من المجاهدين ، كان على رأسهم العز بن عبد السلام وأبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهما .

وانضم المجاهدون الى الجيش النظامى المصرى ، وكان هذا الجيش حينذاك قليلا فى عدده ، ضعيفا فى عدده ، واجبه الاول حماية الامن الداخلى وجباية أموال الدولة ، ولم يكن من واجبه الحرب خارج البلاد .

وبدأ الشيخان الجليلان العز بن عبد السلام وأبو الحسن الشاذلى يأمران الجيش المصرى قادة وجنودا بالمعروف وينهيان عن المنكر ، ويحثان على التوبة النصوح ، ويزيلان ما علق بالنفوس من أدران ، ويقومان ما اعوج ويصلحان

ما فسد ، ويبرزان للمقاتلين فضل الجهاد ، ويظهران أجر الشهادة فى سبيل الله ، ويعلنان درجة الشهداء عند الله ، ويرفعان المعنويات ، حتى شحنا جيش مصر بشحنات معونية بغير حدود ، بحيث صمم رجاله على أن ينالوا احدى الحسنيين : الشهادة أو النصر .. ولا يغلب جيش يتحلى بمثل هذه المعنويات العالية .

- ٢ -

وصل الجيش المصرى (عين جالوت) وهى بليدة صغيرة تبعد خمسة أميال عن مدينة (العفولا) فى فلسطين ، وتقع بين (العفولا) ومدينة (بيسان) .

وتحفز جيش التتار للقضاء على الجيش المصرى ، منشبت المعركة بين الطرفين سنة (٦٥٨) الهجرية .

ومن دراسة قوات الجانبين يظهر بأن التفوق الساحق كان الى جانب التتار على الجيش المصرى فى كل النواحى العسكرية المادية .

ولكن التفوق المعنوى كان الى جانب المصريين على التتار ، اذ كان المصريون يملكون سلاحا سريا بالغ الخطورة لم يحسب له التتار أى حساب ، هذا السلاح هو الايمان العميق بالله والتصميم على النصر أو الاستشهاد .

ان كل الحسابات العسكرية تجعل النصر الى جانب التتار بدون أدنى شك .

أولا : كان قادة التتار لهم تجربة طويلة فى الحروب ، ولم تكن لقطز أية تجربة عملية فى الحروب الكبيرة أو الصغيرة .

ثانيا : كانت معنويات قادة التتار عالية ، لأنهم تقدموا من نصر الى نصر ، ولم تنكس لهم راية منذ بضع سنين خلت .

وكانت معنويات قطز منهارة ، لأنه لم يحارب أبدا على نطاق واسع ولم ينتصر فى حرب .

ثالثا : كانت معنويات التتار متفوقة على معنويات المصريين ، وكان الشائع بأن جيش التتار لا يقهر ابدا .

وقد انتصر هذا الجيش بالرعب فى كثير من المعارك التى خاضها ، وكانت سمعته العسكرية قد ملأت الدنيا .

رابعا : كانت كفاية جيش التتار العسكرية متفوقة على الجيش المصرى ، لأن هذا الجيش خاض معارك لا تعد ولا تحصى ، لذلك كانت تجربته العملية على فنون القتال باهرة الى أبعد الحدود .

بينما لم تكن للجيش المصرى كفاية قتالية نتيجة لتجاربه العملية فى الحرب ، اذ لم يسبق له خوض معركة حربية كبيرة ولم يحرز نصرا فى القتال .

رابعا : كان التتار متفوقين على المصريين فى العَـــدد والعُدد ، خاصة بالفرسان الماهرين فى حروب الفروسية ، وكانت شهرة فرسان التتار قد ملأت الآفاق اقداما وشجاعة وتمرسا على فنون القتال .

سادسا : كان التتار متفوقين على المصريين فى تسليحهم ، وكان لأسلحتهم معين لا ينضب نتيجة لما كانوا يملكونـــه من سلاح وما غنموه من أعـــدائهم فى حروبهم الطويلة .

سابعا : كان جيش التتار متفوقا على الجيش المصرى فى قضاياه الادارية ، اذ كان يستند على البلدان الغنية التى احتلها فى أرض الشام ، بينما كانت قواعد المصريين الادارية بعيدة عنهم ، لأنهم كانوا يعتمدون على مصر وحدها ، والمسافة بين مصر وعين جالوت طويلة ، خاصة فى تلك الايام التى كانت القضايا الادارية تنقل على الدواب .

هذا التفوق الساحق الذى كان الى جانب التتار ، له نتيجة متوقعة واحدة ، هى احراز النصر على الجيش المصرى أسوة بانتصاراتهم الباهرة على الروم والعرب ومختلف الامم والشعوب .

ولكن الجيش المصرى انتصر على جيش التتـــار كما هو معروف ، فكيف حدث ذلك ؟

- ٣ -

شن التتار على المصريين هجوما كاسحا ، وتقدم الهجوم فرسان التتار المتمرسون على حرب الصاعقة ، فتزعزعت صفوف الجيش المصرى ، وتكبدت خسائر فادحة بالارواح ، ثم تراجعت الى الخلف بغير نظام .

وأوشك التتار أن يطوقوا المصريين ، وأوشكوا أن يكتسحوا صفوفهم ، فلما رأى العز بن عبد السلام وأبو الحسن الشاذلى ما حاق بالجيش المصرى ، صرخا : « وا اسلاماه ... وا اسلاماه .... » ...

وكانا قبل المعركة قد عملا عملهمـــا البناء فى ايقـــاظ الشعور الدينى فى الجيش المصرى ، فكانت لتلك الصرخة المؤمنة القوية الامينة أثرها العميق فى استثارة القيادة والجنود ، وكان النصر المؤزر خلافا لمبادىء الحرب ولمـــا كان يتوقعه المصريون أنفسهم .

وبعد هذه المعركة لم يفلح التتار أبدا ، اذ تكبد التتار فيها خسائر فادحة بالارواح والاموال ، فولوا مدبرين ، وطمع فيهم الناس يتخطفونهم .

ودخل المظفر قطز دمشق ، واستعادها من التتار .

وبعث لمطاردة التتار أحد قادته المدعو بيبرس ، فطهر هذا القائد أرض الشام من التتار حتى استعاد مدينة حلب الشهباء .

وهكذا استطاع جيش مصر بالايمان الذى بعثه من جديد العالمان الجليلان والشيخان الكبيران العز بن عبد السلام وأبو الحسن الشاذلى عليهما رضوان

الله أن يحرز انتصارات باهرة على التتار ، وكان الناس قبل ذلك يظنون بأن هذا الجيش لا يهزم أبدا !!

ولقد كان تعداد جيوش العباسيين فى بغداد أكثر اضعافا مضاعفة من تعداد جيش قطز .

وكانت بغداد محصنة تحصينا قويا ييسر الدفاع عنها والصمود فيها مدة طويلة كافية لصد المعتدين التتار عن أسوارها الشاهقة .

ولكن كان جيش العباسيين يومئـــذ فى شغل شـــاغل عن الحرب وعن متطلبات الحرب .

كان قادته قد شغلوا أنفسهم بجمع المال والتطاول بالبنيان وحب الشهوات وأعرضوا عن واجباتهم العسكرية تدريبا وتسليحا وتجهيزا وضبطا ونظاما .

وكان قادته قد دب بينهم الفساد ، وشاعت بينهم الرشوة ، وهانت عليهم كرامة الناس وأعراضهم : لا يعفون عن الحرام ، ولا يخافون الله .

وكان قد نشب بينهم الخلاف على المناصب والاموال واللهو ، فلجأ كل واحد منهم الى مجموعة من الجيش يركن اليها ويقاسمها المغانم والاسلاب .

وكان أولئك القادة لا يتسنمون مناصبهم لكفايتهم العســكرية ومزاياهم الانسانية الرفيعة ، ولتجربتهم الطويلة فى معاناة الحروب ، بل كانوا يتسنمونها لأحسابهم وانسابهم ، أو لأنهم من (شـــلة) أصحاب السلطة أو ممن يخشاهم أصحاب السلطة أو ممن يقدمون المال الحرام لأصحاب السلطة ثمنا لمناصبهم العسكرية .

أما أفراد الجيش ، فكانت كل مجموعة منهم تنتسب لقائد من القادة : تحمى به ، وتدافع عنه ، وتنال أجرها على أتعابها .

أصبح قادة الجيش رؤساء عصابات مسلحة ، وأصـــبح أفراد الجيش عصابات مسلحة ، تعمل لمصلحتها الشخصية بعيدة كل البعد عن مصلحة الدولة العليا .

بالطبع أمثال هؤلاء القادة لا يستطيعون اعداد جيوشهم للحرب .

فاذا وقعت الحرب ، لا يستطيعون قيادة رجالهم كما ينبغى .

لذلك كان وجود أمثالهم على رأس الجيش العباسى ، من مصلحة أعداء هذا الجيش ، ما فى ذلك أدنى شك .

ولهذا كان عدد أمثال ذلك الجيش وعدده مهما بلغت ضخامتها غثاء كغثاء السيل .

وجاء جيش التتار ، فواجه فى بغداد العباسية جيشـــا متفسخا : قادته يفكرون بما خلفوه وراءهم من متاع ولا يفكرون فى الدفاع عن بلدهم ، وجنوده غير مدربين وغير مستعدين للحرب ، والجنود والقادة ملوثون بالكبائر من الذنوب كأن أحدهم جبل أسود كل ذراته وصخوره ذنوب : نسوا الله فأنساهم أنفسهم .

وبادر القادة بالاتصال المباشر وغير المباشر بالغزاة ، ليضمنوا حمـــاية أرواحهم وأملاكهم .

وبادر الجنود الى الهرب ، لأنهم لا مصلحة لهم فى الدفاع عن مدينتهم العظيمة ومدنيتهم العريقة .

وهكذا أصبحت بغداد وقد غاب عنها حماتها ، فاستسلمت للبرابرة الغزاة ، حيث قضوا على حضارتها العريقة التى أنارت الدروب للعالم كله قرونا طويلة .

استسلمت بغداد ، لأن حماتها تنكروا لعقيدتهم ، فخسروا كل شىء .

ولاقى البرابرة الغزاة جزاءهم العادل فى معركة (عين جالوت) ، لأن الجيش الذى قاتلهم هنـــاك ، كان قد خرج من بلده الامين مهـــاجرا الى الله ورسوله ، ليست له غاية غير اعلاء كلمة الله والجهاد بالاموال والانفس فى سبيل الله .

— ٤ —

الدرس الذى يفيد العرب والمسلمين هو : اهمية العقيدة فى احراز النصر .

ان الطائرات والدبابات والاسلحة المختلفة والعتاد والذخيرة ، كتل من الحديد صنعها الانسان ويستعملها الانسان فى الحروب دفاعا عن النفس أو لتحقيق أطماع توسعية .

ولا يزال الانسان هو المسيطر على كل سلاح وعتاد ، وبدونه لا قيمة لكل سلاح ولكل عتاد .

ولكن الانسان بدون عقيدة تجمع شمله وترص صفوفه وتوحد كلمتـــه وتشيع فيه الانسجام الفكرى الذى بدونه لا يكون تعاون ولا اتحاد ، لا قيمة له من الناحية العسكرية .

وهذه العقيدة هى مثل عليا يؤمن بها الانسان ويضحى من أجلها بالاموال والانفس .

وروح الانسان أغلى ما يملكه الانسان ، فمن المستحيل أن يضحى بها الا اذا كانت له عقيدة راسخة وأهداف سامية .

وكتل الحديد التى هى السلاح والعتاد ، لا جدوى منها ولا فائدة فيها ، اذا لم يستعملها انسان ذو عقيدة راسخة وأهداف سامية .

وحين كان العرب قادة وجنـــودا وأفرادا وشعوبا متمسكين بعقيـــدتهم السماوية ، فتحوا العالم وقادوا الحضارة العالمية .

وحين تخلى العرب عن عقيدتهم ، تداعت عليهم الامم كما تداعى الاكلة على الثريد .

ولم يكن ذلك من قلة ، ولكنهم يومئذ كثير ، بدون عقيدة .

ترى !! أيعقل العرب اليوم هذا الدرس ، فيعودون الى دينهم الحنيف بما فيه من تكاليف البذل والتضحية والفداء ، ليعود اليهم مجدهم وعزهم .

أم هم لا يزالون بحاجة الى كثير من النكسات والنكبات !؟



متى نستيقظ

للاستاذ : محمد الصالح آل ابراهيم

ان ما حدث فى الخامس من حزيران ١٩٦٧ يجب أن يعطى مبرراته وأسبابه حتى يستطيع المجتمع الذى يعيش أحداثه أن يكتسب المناعة الاكيدة وأن يكون ما حدث درسا تأخذ منه الأمة استعادة حيويتها واسترجاع قدرتها . وما حدث ليس بالأمر الهين بل من أصعب الحوادث التى تمر على الأمم .

ان ما وصلنا اليه من ضعف وتدهور وخور لناتج عن سوء تصرفنا ، وعدم تفكيرنا التفكير الصحيح وان دل على شيء فانما يدل على انحرافنا وتهاوننا فى الامور التى تهتم بها كل أمة تريد الحياة ، ان التدهور المريع الذى وصلنا اليه ليعطى صورة واضحة عن تخلفنا فى كل مجال حيوى مهم ، كما يعطى صورة أوضح عن ضعف ادراك وعجز عن تحمل المسئوليات حق التحمل ..

لقد توالت النكبات وبدا الضعف والاهمال بأجلى ما يكون ، وتكشفت الصيحات الكاذبة عن الخذلان والتميع وسوء التدبير ، ها هى الدول العربية تتساقط أراضيها ، وتتهاوى جيوشها ، وتنهزم قواها بين عشية وضحاها لا لشيء الا لأنها أهملت — فى وقت لا يرحم من يهمل — وتهاونت وكان الواجب ألا تتهاون وخدعت وما كان لها أن تخدع لولا الضعف والجهل . ها هى تملك أهم

الموارد ، وتسيطر على أعظم المواقع وفيها العدد الوفير .

ولكن ينقصها الايمان الصادق والعزيمة القوية والقيادة الصالحة الرشيدة .

ان الشعوب العربية والاسلامية لا تزال فى غفلتها وفى جهلها وفى اهمالها وان هذه الضربة القاصمة التى هدت جيوشا وقصمت دولا ، واحتلت بقعة من أشرف بقاع الدنيا ، وفى بضعة أيام فقط ولعمرى لو كانت أمتنا جديرة بهذه الارض فى هذه الايام بالذات لاستنفدت جميع قواها ، ولقذفت بجيوشها ، واستجمعت طاقاتها ، وألقت بها فى سبيل الدفاع عن هذه البقعة ، ولو عرفت واجبها وأدركت مسؤولياتها لثارت بقضها وقضيضها معلنة بذلها وعطاءها مظهرة اباءها واستنكارها حينما تحس أن قدم العدو قد وطئت شبرا من أرضها ، فكيف اذا كان العدو قد توغل فى أراضيها واستحوذ على أهم مواقعها ، واغتصب أرضا من أشرف بقاعها ، حافظ عليها الآباء محافظة الأبطال وأبقوها عربية مسلمة برغم أطماع الدول فيها ، فقد جاءت دول الغرب فى الماضى متكاتفة متعاونة معلنة جهادها المقدس ، ألبت معها ثلث جيوش العالم فى ذلك الوقت ، ولكنها عادت بعد أن تمركزت حينا من الدهر تجرر أذيال الخزى والعار وهى تستجدى ملوكها من أقفاص صلاح الدين وقد أخذت معها درسا لا تنساه ، وحتى أجيالها اللاحقة موقنة فى قرارة نفسها أن هذه الارض لا يمكن أن يدوم فيها عدو ، وأنها ان أدركت فرصة ضعفت فيها قيادتها ، وخمل فيها شعبها فلا بد لها من يوم أغر يشرق فيه الايمان ، وينهض فيه الخلق الاسلامى ، فيهب الشعب من رقدته ، ويعطى القوس باريها عندئذ يحطم القيود ويكتسح المعتدين ويخرجهم كما أخرج أولئك من قبل .

ولقد أصبنا بضربة كان من المفروض أن نصاب بها ذلك أنها تدلنا على عيوبنا وقصورنا واهمالنا وتفريطنا ، ولا شك أن ما وصلنا اليه يدعو الى الرثاء والخجل .

ومن المخجل حقا أن تتردى أمة هذا التردى ولديها جميع الامكانات التى تنهض بها الأمم ولا عجب أن تتردى أمتنا هذا التردى المشين ، وأن تنهزم ذلك الانهزام دون مقاومة تذكر أو صمود يعلن ، فان ما زرعه الجهل والاهمال حرى أن يودى بنا الى ما هو أفظع من هذا المصير وأعظم من ذلك الاستسلام .

ان كبت الطاقات ، وتبذير الجهود ، ومنع الحريات ، وسوء التدبير جعل الأمة تصل الى هذا المنحدر المخزى ، فأمة لا تفيد من جهود أبنائها الا دعايات كاذبة ، ولا من ثرواتها الا استكمال كمالياتها قمينة أن تذل وتهزم ، وان قيادات لا ترضى الا بالمديح الكاذب والاقوال المزيفة ، ولا تقبل الا من يماشيها فى أهوائها ونزواتها ، ولا تقيم العدل لحرية أن تنال الصغار .

وان أمة تريد الحياة لا يمكن أن تنام هذا النوم والعدو يوقظها من

رقدتها ليصفعها صفعات تهز كيانها وتحطم معنوياتها ..

والعبرة التى يجب أن نأخذها من النكبة أن نعمل بمنطق ، وأن نفكر ، وأن ننفض غبار الكسل والتهاون والضعف ، وأن نشمر عن سواعدنا بجد ونشاط لنقضى على ذلك التخلف العقلى والجمود العملى .

اننا فى حاجة الى نهضة شاملة تبدأ باصلاح النفوس وتقويمها ، واصلاح المجتمع ودفعه الى الصالح العام ، والى بث روح قوية لا تعرف التهاون أو الكسل ، ان العلاج ليس من السهل أو اليسير ولكن ان أردنا الحياة فلا بد من التضحيات ، والحياة لا تعطى الا ببذل واننا ان عجزنا عن البذل هذه المرة فان الخسران حليفنا .

اننا فى أمس الحاجة لتجنيد قوانا التجنيد الصحيح ، وان على المسؤولين أن يقوموا بما ينبغى والا فعليهم أن يتنحوا ويبتعدوا حتى يأتى من يعمل ، ان الواجبات فى هذه الظروف كثيرة والمسؤوليات كبيرة ، وكل تلك المسؤوليات تتعلق بكل فرد وترتبط بكل بيت .

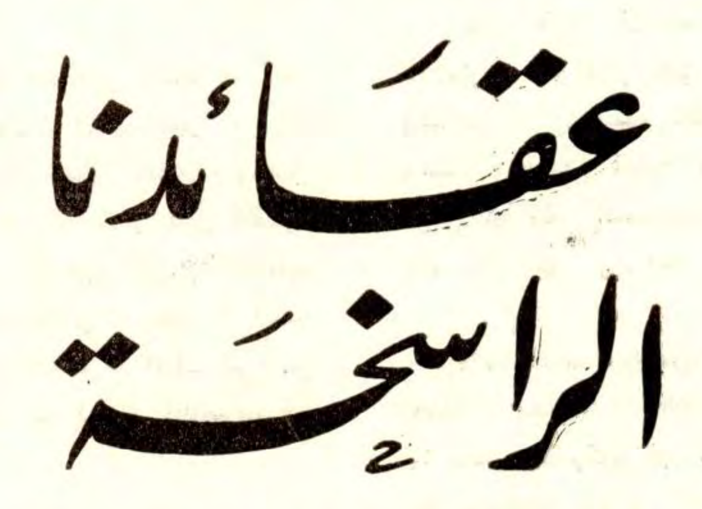
اننا فى حاجة الى تعقيم وتقييم ، وفى حاجة الى تنبيه وايقاظ ، اننا فى حاجة الى توحيد الصفوف وتكتيل القوى واتحاد الكلمة ، نحن فى حاجة الى ضمائر حية وعقول مفكرة وأيد عاملة يجب أن نقضى على الفوضى والاستغلال والانحراف ، يجب أن نبنى البيوت على دعائم من الاخلاق المكينة التى لا تزعزعها العواطف ، وينبغى أن نربى أبناءنا قبل أن نعلمهم ، ونجعل من مدارسهم مدارس للنفس قبل أن تكون مدارس للعقل .

يجب أن تتوافر الجهود للنهوض بالمجتمع ، فبث الفكرة القيمة والدعوة لها ، وانكار الافكار الهدامة ومحاربتها ، هذان من أهم الاشياء فى سلامة المجتمع والمحافظة على كيانه ، علينا أن نحارب الميوعة والتبذل ، فهى تقتل فى شبابنا الطموح والتضحية ، وتبث فيهم روح الخنوع والعقم ، ونحن أحوج ما نكون الى الصلابة والخشونة ، نحن فى حاجة الى تضحية وتفان فى سبيل المصلحة العامة ، واتجاه صحيح نحو بناء الأسس لاجيال قابلة ، ولا بد لنا من بذل الجهود المتواصلة ، والعمل الدائب ، واغتنام الفرص ، والانتباه لكل ما يحيط بنا ، واكتناه الامور ، وعدم التعجل فى البت فيها ، ودراسة الاشياء دراسة فاحصة ، وبناء الامور على مقتضياتها ، واتاحة الفرصة للعاملين والمصلحين من أبناء الامة ، وفتح المجال لخلق الروح العالية ، والمثل الكريمة فى شباب الجيل ، وتكوين العدالة الاجتماعية التى هى أساس لخلق مجتمع فاضل تتكافأ أفراده ، وتتاح الفرص لكل منهم للانتاج والعمل .

اننا فى الوقت الحاضر نهمل ، ولا نحس العمل المفيد ، ونترك طاقاتنا وجهودنا تذهب هباء دون استغلال نافع ، واننا فى قصور واقعى ، وعلينا أن نتتبعه لنقضى عليه ، والا أصبحنا لقمة سائغة لأعدائنا اذ أن الجاهل يضر بنفسه بأكثر مما يضره عدوه .

ما تبلغ الأعداء من جاهل
ما يفعل الجاهل فى نفسه

(البقية ص ٨٧)



للأستاذ
احمد مظهر العظمة
ـ رئيس مكتب تفتيش الدولة ـ دمشق

العقائد الصحيحة هى قوام الحياة الرشيدة السعيدة ، أرأيت الى القلب كيف يشع الدم فى الجسم الحى وينظم حركته ، فان اعتلت قوته وهن جسمه ، وان سكت نبضه سكنت حياته ؟

أرأيت الى المحرك فى الآلة كيف يعول عليه فى حركتها وعملها ، فان ضعف ضعفت ، وان تعطل تعطلت ؟ كذلك العقائد فى الانسان ، فهى قلب أعماله ، وهى محركها ، يصدر عنها ، ويعمل بوحى منها ، فيحسن أو يسىء ما حسنت أو ساءت .

ويخطىء من يحسب العقائد معنويات ذاتية كامنة ، لا أثر لها فى السلوك القويم ، كما يخطىء من يحسب أن القطار يسير سيرا ذاتيا بعد أن يرى الدخان الكثيف فى مقدمة قاطرته يحول دون رؤيته سائقه وهو يقوده ويوجه حركته أو يوقفها .

ان الحوادث تكمن أصداؤها فى العقل الباطن أو اللاشعور ، ثم تمد أعناقها فتظهر آثارها كلما اتيح لها ، وكذلك العقائد تعمل عملها سرا وجهرا ، وتقوى على ما تضعف دونه القوى الجبارة . وما اكثر ما تسيطر على المادة والانسان سيطرتها ، فيستبسل المرء بوحى منها كل الاستبسال ، ويستهين بما يعترضه من عقبات ولو كانت كالجبال .

ولذلك بدأت الاديان والدعوات الاجتماعية الموفقة عملها من الباطن لا من الظاهر ، فجعلت العقائد أساسا يعتمد عليه بناؤها كل الاعتماد .

ولكن ما أكثر أن تكون الاسس واهنة على ضخامتها فتغرى ذويها الى حين ، ريثما تنتهى آجالها وآجالهم و (لكل أجل كتاب) ١٣ ، ٤٠ .

وعندى أن العقائد تستعمر اصحابها أكثر من أن يستعمر المنتصرون المخذولين ، وان خرافة واحدة لتكبل الفكر وتغل الايدى ، وتعمل فى المجتمع عمل الارضه حينا أو عمل القنبرة حينا آخر . وان أكثر ما يهدد التوحيد العظيم هو الشرك الاثيم وما الاشراك بالله ؟ انه اعتقاد اله أو أكثر مع الله ، أو اثبات شىء من صفاته تعالى المختصة به لغيره كالتصرف فى شئون العالم .

قال تعالى فى سورة لقمان على لسانه « ان الشرك لظلم عظيم » اذ هو أشد أنواعه ، وأى ذنب أعظم منه ، وبه يدعى المشرك أن العبد المخلوق اله قدير يعبد ، وان من لا يملك لنفسه قبل غيره ضرا ولا نفعا ، يستطيع أن يقضى الحاجات ويكشف الملمات ؟ .

عن عبد الله رضى الله عنه قال : لما نزلت « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم » شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : اينا لم يلبس ايمانه بظلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه ليس بذاك ، الا تسمع الى قول لقمان : « ان الشرك لظلم عظيم »(1) .

ان الفطرة والحجة تؤيدان ما أوحى الله به من الايمان بالله وحده ربا والها . انه الاعتقاد الذى ترتقى اليه الانسانية الواعية المتجردة . انه الاعتقاد المتأصل فى كل فطرة سليمة ، والذى يعلنه كل تأمل فى مظاهر الخلق على أنواعها وتعددها وروعتها وجمالها وكمالها ودقتها وآثارها وسننها .. بدءا من الذرة — الصغيرة حتى الجرم السماوى الكبير ، يدرك ذلك الحس كما يدركه التفكير فى العالمين الظاهر والباطن ، ويدركه كل انسان يتساءل كيف كان هذا الكون العظيم ، وأى عظيم أوجده وأى حكيم أبدعه ، انه كون حافل بموجبات الدهشة والتقدير ، والاعجاب ، والخضوع ، والاذعان لموحده ومالكه ومدبره .. كون طأطأ الأنبياء والمرسلون والحكماء والمفكرون الواعون على اختلاف اختصاصاتهم ولغاتهم ، رؤوسهم لعظمة خالقه العظيم ، وعنت وجوههم لقدرة هذا الخالق الواحد الذى له ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شىء قدير .

الا ما أعظم فرية من يشرك بالله بعد هذا ، جهلا أو تجاهلا ، غفلة أو تغافلا ، وما اسوأ ما يخلف المشركون فى نفوسهم وفى أممهم من شر مستطير وفساد كبير ، مصداق ذلك ما ما يحدثناالتاريخ عنه فى صفحاته من آثار الشرك فى الالوهية فى الافراد والمجتمعات ، فى تفكيرها وعواطفها وعاداتها وأخلاقها وذلتها ووهنها وانحطاطها .. تلكم جاهلية اليونان مثلا وجاهلية العرب فى شركهما ، تعجان بمفاسد الوثنية وضلالاتها : وماذا نتحدث عن الابيقورية والرواقية اليونانية وضلالاتهما، عن عقيدة اليونانيين فى وثنيتهم ؟ انهم كانوا — يزعمون للحوادث المختلفة الطبيعية أسبابا مختلفة تكمن وراءها تبعا للالهة العديدة ، فلم تكن عقيدة الاله الواحدة موجودة بينهم ، وكان لكل معبود اسم ، ولكل شكل ووظيفة وطبيعة ، ومقام يقيم فيه ، ولكل مملكة فى اليونان آلهة مختصة ، وكان زفس (فى اللاتينية زوبيتر) أكبر الالهة ، يحكم والالهة الآخرون السماء — والارض فى جبل اوليمب — شرقى تساليا — وقد تحصل بينهم منازعات . وكان للبحار اله ، ولبطن الارض اله هو رب الاموات .. وكان اليونانيون يحترمون الابطال ، وهم وسط بين الناس والالهة ، وكانوا يسمونهم أحيانا أشباه الالهة ، وأكثرهم حظا من حرمة الناس هيراقليس (فى اللاتينية هركول) ويرددون خرافات لهم وأساطير ، تدع فى التفكير والمجتمعات آثارا عميقة للشر المستطير .

ولليونان فى أعيادهم لآلهتهم المزعومة ، وفى

---

(1) رواه البخارى .

مسارحهم ، وعاداتهم ، وفنون من آثار التخلف فى الوعى وثقل وطأة الخرافات ، تصـــور ضلالهم المبين (١) ، فلا عجب اذا وجدت فيهم الابيقورية والرواقية وأشباههما .

ولقد وصل الرواقيون بأخلاقهم الى التناقض بصفة الملائم (officivm) وهو هذا الذى يجمع بين الخير والشر ومن حيث أنه ليس خيرا مطلقا ولا شرا مطلقا ، وهنا نجد التناقض الشنيع الذى وقع فيه الرواقيون (٢) .

ولقد ذهب اركريتوس من الابيقوريين الـى أبعد مما قال به زملاؤه من عدم الايمان بالدين الشعبى المألوف ، ذهب الى أن الدين شر ما بعده شر ، وان الواجب على الانســان أن يتخلص نهائيا من كل دين (٣) . ولم يهتد الى أن الآفة الكبرى فى ذلك الدين الشعبى الذى كرهه انما هى الشرك وما اليه .

هذه الوان قائمة عابسة من آثار الشرك فى اليونان الذين عبدوا أوهاما ما أنزل الله بها من سلطان ، بديل الخضوع والاذعان لله تعالى وحده . فلنتأمل بعد فى قولـه تعالى « ان الشرك لظلم عظيم » .

وذكر العلامة الالوسى ما ذكر من عبـدة الاصنام فى جاهلية العرب ، وعباد الشمس ، وعباد القمر وعباد الكواكب ، والصـائبة ، والزنادقة ، وعباد الملائكة — وعباد الجن ، وعباد النار ... ، وقال عن عباد الاصنام فى الجاهلية : وهم الذين أقروا بالخالـــق وابتــداء الخلق ونوع من الاعادة ، وأنكروا الرسل ، وعبدو الاصنام ، وحجـوا اليها ، ونحروا الهدايا ، وقربوا القرابين ، وتقربوا اليها بالمناسك والمشاعر ، وأحلوا وحرمـوا وهم الدهماء من العرب .

واقرارهم بالخالق هو الذى يسمى توحيد الربوبية ، وهو الذى أقرت به الكفار جميعا ، ولم يخالف أحد منهم فى هذا الاصل الا الثنوية وبعض المجوس .. (يعنى العلامة الالوسى الذين يقولون بأن للعالم ربين : خالق الخير وخالق الشر (٤) .

وكانوا يعتقدون بعباداتهم الاصنام عبــادة اللـــه تعالى والتقـرب اليـه لـكن بطرق مختلفة ... (٥) . ولو أردنا بسط موضوع الشرك بتبيان الاثار الســيئة للشرك قديمـا وحديثا وغربا لكانت من ذلك مجلدات ، فان العقيدة — كما قدمنا — هى المحرك البــاطنى لصاحبها ، فان كانت صحيحة سليمة أثمـرت حلوا طيبا ، وان لم تكن كذلك أثمرت مرا — خبيثا .

لقد حارب الاسلام الشرك حربا لا هوادة فيها ، فأخرج العرب ومن سار سيرهم مـن بلبلتهم الروحية ، وقلقهم الفكرى ، وتأخرهم الاجتماعى ، وفسادهم الخلقى — فى كثير من جوانب سلوكهم — الى وحدانية الله تعالى — فعبدوه وحده لا شريك له ، وجنوا فى دنياهم استقامة وحضارة ومجدا ، وللاخرة فى جنات النعيم خير لهم من الاولى .

لقد هدم القرآن الكريم فى تصور السلطة جميع مزاعم الشرك ، وبين — كما قال العلامة المودودى (٦) (انه لا يملك جميع السلطات والصلاحيات فى السموات والارض الا الله . فالخلق مختص به . والنعمة كلها بيده والامر له وحده ، والقوة والحول فى قبضته ، وكل ما فى السموات والارض قانت له ، ومطيـع لأمره طوعا وكرها ، ولا سلطة لاحد سواه ،

---

(١) راجع التاريخ العام ترجمة المرحوم الاستاذ رشيد بقدونس ج ١ ص ٢١٤ — ٢٧١ .
(٢) خريف الفكر اليونانى للاستاذ عبد الرحمن بدوى ص ٦٠ .
(٣) ص ٧٩ .
(٤) راجع الدين الخالص للمرحوم الاستاذ الشيخ محمد صديق حسن ص ٧١ .
(٥) بلوغ الارب للمرحوم الاستاذ السيد محمود شكرى الالوسى ج ٢ ص ١٩٧ الخ .
(٦) المصطلحات الاربعة فى القرآن للاستاذ أبى الاعلى المودودى ص ٢١ .

ولا ينفذ الحكم لاحد غيره ، وما من أحد دونه يعرف أسرار الخلق والنظم والتدبير ، أو يشاركه فى صلاحيات حكمه . ومن ثم لا اله فى حقيقة الامر الا هو ، واذ لم يكن فى الحقيقة اله من دون الله ، فكل ما تأتونه من الافعال معتقدين غيره الها ، خطأ وباطل من أساسه ، سواء أكان ذاك دعاءكم اياه واستجارتكم به ، أم كان خوفكم اياه ورجاءكم منه أم كان اتخاذكم اياه شافعا لدى الله ، أم كان اطاعتكم له وامتثالكم لأمره ، فان هذه الاواصر والعلاقات التى عقدتموها مع غير الله يجب أن تكون مختصة بالله سبحانه ، لأنه هو الذى يملك السلطة دون غيره) (١) .

قال تعالى « أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أاله مع الله بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا ، أاله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون . أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض ، أاله مع الله قليلا ما تذكرون . أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ، ومن يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته ، أاله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين « النمل ٦٠ — ٦٤ » .

وفى الحديث الشريف ، كثير يندد بالشرك ويهدد ذويه ، منها ما أخرجه الشيخان عن ابن مسعود (رضى الله عنه أنه قال : يا رسول الله أى ذنب أعظم عند الله ؟ قال : (أن تجعل لله ندا (٢) وهو خلقك) .

وهكذا حذرنا الاسلام الشرك الكبير الجلى ، وحذرنا الشرك الصغير الخفى ، صونا للتوحيد الخالص ، لتكون الاعمال والاقوال خالصة لوجه الله تعالى ، وفى الحديث الشريف أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت ، فقال : جعلتنى لله ندا ؟ بل شاء الله وحده (٣) .

رئى شداد بن أوس فى مصلاه وهو يبكى ، قيل : ما أبكاك يا أبا عبد الرحمن ، قال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل : وما هو ؟ قال بينما أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اذ رأيت بوجهه أمرا ساءنى ، قلت بأبى وأمى يا رسول الله ، ما الذى أرى بوجهك ؟

قال : امر أتخوفه على أمتى من بعدى .
قلت : وما هو ؟
قال : الشرك والشهوة الخفية .
قلت : يا رسول الله ، وتشرك أمتك من بعدك ؟

قال : يا شداد أما أنهم لا يعبدون شمسا ولا حجرا ولا وثنا ، ولكنهم يراءون بأعمالهم .
قلت : يا رسول الله ، والرياء شرك ؟
قال : نعم .
قلت : فما الشهوة الخفية ؟

قال : يصبح أحدهم صائما فتعرض له شهوة من شهوات الدنيا فيفطر (٤) .

هذه كلمة عن الشرك وآثاره السيئة فى الفرد والمجتمع ، ونظرة الى حال العرب فى شركهم وحالهم فى اسلامهم ، توضح ما لعقيدة التوحيد الخالص من مزايا كريمة وآثار عظيمة والتوحيد هو الذى تدور حوله عقائدنا الاخرى وعباداتنا ، واخلاقنا ..

---

(١) أورد الاستاذ المودودى هنا آيات كريمة عديدة ص ٢٢ — ٢٦ .
(٢) الند — الشريك .
(٣) فى (الشرك ومظاهره) : عن أبى عباس (رض) عن أبى بكر شيبة وأحمد والبخارى فى (الأدب المفرد) والنسائى وابن ماجه ، وأبى نعيم فى (الحلية) والبيهقى فى (الأسماء والصفات)
(٤) نوادر الاصول للحكيم الترمذى ص٤٠٠ .

انها عقائد قوية كالجبل ، واضحة كالشمس جميلة كالربيع ، مثمرة كأنها أشجاره الوارقة السخية . قال اجنبى منصف هو الاستاذ ت. و. آرنولد فى كتابه (الدعوة الى الاسلام) مبينا شيئا مما بدا له من بساطة العقيدة الاسلامية وأثرها : فى مقدمة الاسباب التى ساعدت على نجاح المسلمين فى دعوتهم بساطة العقيدة الاسلامية (لا اله الا الله محمد رسول الله) . وكل ما يطلب من الذى يدخل فى الاسلام قبول هاتين الشهادتين ... ولما كانت خالية من المخارج والحيل النظرية اللاهوتية ، كان من الممكن أن يشرحها أى فرد ، حتى أقل الناس خبرة بالعبادات الدينية النظرية (١) .

ولقد قضى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فى تثبيت العقائد ثلاث عشرة سنة فى مكة — فضلا عما قضاه فى المدينة ، وهو يصارع الشرك ، وكانت فترة قاسية شديدة على المؤمنين ، ولكنها صهرتهم فأماطت عن معادنهم كل أوضار الوثنية وأوزارها ، سواء أكانت وثنية حجرية أو بشرية أو ما اليها ، وجعلتهم أهلا ليرثوا الارض ويعمروها ، فكان منهم ومن اخوانهم الانصار الذين اتبعوهم باحسان فبناهم الرسول صلى الله عليه وسلم عقائد واخلاقا) ، الرعيل تلو الرعيل ممن فتحوا الارض هادين معلمين .

ولقد تعلم هؤلاء المهتدون على مر الليالى فى اشراق النبوة واشرافها دروسا أتمت توجيههم . خدعتهم مثلا كثرتهم يوم حنين ، فظنوا أنهم لا يغلبون من قلة فخذلوا أول المعركة فلم تغن عنهم كثرتهم ، وضاقت عليهم الارض بما رحبت ثم أيدهم ربهم بعد هذه العظة البالغة بنصره .

وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم .

وغفل الطامعون — قبل يوم أحد — عن نصيحة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الا يبرحوا مواطنهم ولو رأوا الطير تتخطفهم ، فالتمسوا المطامع ، فدارت الدائرة عليهم ، فكانت لهم عظة تلهمهم اطاعة القيادة العليا قيادة الرسول بعد اطاعة الله سبحانه الذى أسلموا أمورهم كلها له .

لقد حررت عقائد الاسلام أهلها حقا من ظلماء الوثنية واغلالها ، مما لا يزال جهلة اليوم يقولون بمثل خرافاته ، فيخشى بعضهم قطع الاشجار مثلا ، ويخشى بعضهم تحطيم بعض الاحجار ويتهيب بعضهم — ما يتهيب مما لم ينزل الله به من سلطان .

وما أظهر أمثلة التوحيد وجرأة أهله ، ان المغيرة بن شعبة علا بمعوله اللات صنم ثقيف وقام قومه بنو معتب دونه خشية أن يرمى أو يصاب وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين وهو لا يبالى ، وروى السهيلى عن بعض أهالى السير أن المغيرة بن شعبة هذا ، قال لأبى سفيان حين هدم اللات : الا أضحك من ثقيف ؟ فقال : بلى ، فأخذ المعول وضرب (اللات) ضربة ثم صرخ وخر على وجهه ، فارتجت الطائف بالصياح سرورا بأن اللات قد صرعت المغيرة ، وأقبلوا يقولون : كيف رأيتها يا مغيرة ؟ دونكها ان استطعت ألم تعلم أنها تهلك من عاداها ، ويحك ألا ترى ما تصنع ؟ ...

فقام المغيرة يضحك ويقول لهم : يا خبثاء ، والله ما قصدت الا الهزء بكم .

ثم أقبل على هدمها حتى استأصلها .

وأقبلت عجائز ثقيف تبكى حولها (٢) .

واذا كانت العقيدة الاسلامية دائرة حول محورها الاصلى العظيم فى الأديان السماوية كلها .

---

(١) الدعوة الاسلامية ص ٣٤٥ تعريب الاستاذين ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين .
(٢) مستند العرب : للسيد حسين عبدالله باسلامه ج ٤ ص ٥٥ .

وهو الايمان بالله وحده لا شريك له ، فان مما يتبع ذلك الاعتقاد والاقرار بأنه لا معبود بحق الا الله فهو سبحانه الذى تعنو لـــه الوجوه وتخضع له القلوب والعقول والخواطر ايمانا واذعانا ومن شهد بأن لله سبحانـــه الكمال المطلق كما ينبغى ، شهد بصفاتــــه التفصيلية جميعا .

لقد تنوعت أســاليب الدعــوة فى القرآن الكريم الى الايمان بوحدانية الله ســبحانه وتعــالى وفى كل منها لفتـــات وهزات للفكر والقلب والحواس لتتدبر وتتأمل فى آثـــاره العظيمة .

وينتقل المؤمن الى صفات الله تعالى المباركة فينتقل فى جلائلها ، فلا تبقى على شائبة من شوائب سره وجهره ، ولا سيما بعد أن يعلم أن مولاه علام الغيــوب الذى « يعــلم السر وأخفى » ٢٠ : ٧ وان اليه « تصير الامور » ٤٢ : ٥٣ فلا يشرك بعبــادته أحدا « قل ان صــلاتى ونســكى ومحيــاى ومماتى لله رب العالمين » ــ الانعام ١٦٣ ــ

ومــا أدق أن يزن المؤمن أعمــاله بميزان العارف بالله ؟

فيعلم كيف يكون عاملا وفيــا
وكيف يكون تاجــرا ناصحــا
وكيف يكون زراعــا صادقــا
وكيف يكون موظفــا أمينــا
وكيف يكون مجاهدا مضحيــا
وكيف يكون عالمــا مخلصــا

وما أوعظ أن يذكر المؤمن دوما أنه محاسب بميزان الذرة « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ٩٩ : ٧ و ٨

وروى عن زيد بن أسلم رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دفع رجلا الى رجل يعلمه ، فعلمه حتى بلغ هذه الآية ، فقــال حسبى . فذكر الرجل المعلم للنبى صلى الله عليــه وسلم ذلك فقــال له : (دعــه فقد فقه) (١)

ومثل هــذا كثير فى حــوادث الســلف الوضاءة .

وتمام كلمة التوحيد الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور .

وشهادة المؤمن بمحمد عليه السلام شهادة بجميع ما بلغنا عن الله سبحانه ، وهو الذى بلغ الرسالة وأدى الامانة فهى تتضمن ــ فيما تتضمن ــ الايمان برسل الله وملائكته وكتبــه وقضائه واليوم الآخر .

وما أكمل بعد الشهادتين بالله ورسوله ، أن يؤمن المرء بأولئك النــــورانيين الذين «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» ليكون منهم له رفقــاء من نور . وان يؤمــن بالانبياء والمرسلين ، فيعلمه ذلك ــ فيما يعلمه التسامح والثقة المتزنة القوية بالارشـــاد الالهى .

وأن يؤمن بقضاء الله وقدره ، فتقوى ثقته بربه ، ويقبل فى مواطن بذل النفوس والاموال مثلا ، منشرح الصدر ، ويعلمه ذلك أيضا حكما لله سبحانه فى كل من خلقه القويم وفعلــه الحكيم .

وأن يؤمن بيوم الحساب يوم العرض على الله ، يوم العدل الاكبر ، يوم العقـــاب والثواب .

ونذكر بعد بحديث الرسول الكريم (الايمان بضع وسبعون ــ أو بضــع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا اله الا الله ، وأدناه اماطة الاذى عن الطــريق ، والحيــاء شــعبة مــن الايمان (٢) .

---

(١) الوحى المحمدى للاستاذ السيد رشيد رضا ص ١٦٠ نقلا عن (الدر المنثور) للسيوطى .
(٢) رواه الخمسة وفى رواية بضــع وسبعون (بدون شك) .

وفى هذا تبيان لكمالات الايمان الاعتقادية المتقاربة والعملية .

فلله ما أشمل الايمان نفعا وأعمه أثرا !

يجعل المربون التربية بمعناها الحديث مدينة باسبابها الى القرن التاسع عشر الذى يعده المربون عصر أوروبا الذهبى ، اذ أصبح بمكنة التربية فيه أن تجعل الفرد يستغل قواه ويستثمرها ويخضع الطبيعة لمصالحه ومصالح المجتمع وخير (التطور) الانسانى .

وفى ظل هذه التربية نادى بعض المربين (كبستالوتزى) بتربية الفكر والعمل واليد ، ونادى جون دوى شيخ مربى القرن العشرين بتنظيم الحياة وأساليبها وفقا لما تتطلبه ، كما نادى بالاعتماد على النفس والتعاون مع المجتمع .

ولو أنصف الباحثون لجعلوا التربية مدينة للرسول ذى الفضل الاعظم الكريم وتلاميذه ، ولجعلوا المربين المؤمنين شراحا لبعض ما أتى به الاسلام الذى حرر باذن ربه أرواح المسلمين وأفكارهم وضمائرهم ووجداناتهم بعقائد صحيحة ، فضلا عما لم نبحث فيه الآن من عبادات وثقافة نظرية وعملية تتبعها .

ولكن الغربيين يجهلون الاسلام . بل ان كثيرا من المسلمين لا يفهمونه على وجهه الصحيح مع يسره وبساطته ، ولو فهموا مثلا ما تلهم (الله أكبر) من رفعة وسمو واقدام وهم يرددونها كل يوم عشرات المرات ويسمعونها عشرات المرات ، لوطئوا بنعالهم تلك المادية الطاغية الباطلة وشهواتهم ومغرياتهم الجامحة ، وكلها صغير تلقاء (الله أكبر) .

لقد استغربت سيدة فرنسية كبيرة فى باريس — ومثلها فى رأيها كثير — اذ نفيت لها أن المسلمين يعبدون محمدا ونفيت لها ظنها أنهم ينكرون البعث ، وعندها ان المسلمين وثنيون لا يدينون دين الحق ولا يخافون يوم الحساب .

ضرب الامير شكيب ارسلان رحمه الله تعالى ، أمثلة فى مقدمة كتاب (النقد التحليلى) للاستاذ الغمراوى على جهل الغربيين للاسلام خاصتهم وعامتهم ، ومن قوله : (ومن غريب التصادف أيضا أننى بينما أحرر هذه السطور تناولت عدد أمس (٩ نوفمبر ١٩٢٨) من جريدة الطان وهى كبرى جرائد فرنسا كما لا يخفى فوجدتها تقول فى فصل عن الحزب الراديكالى :

معناه « يبقى الحزب تحت تجاذب قوتين متضادتين أشبه بقبر محمد ساكن فى الفضاء فمن قال أن قبر محمد صلى الله عليه وسلم « ساكن فى الفضاء » ومن ادعى ذلك من المسلمين ؟

ومرة قرأت فى هذه الجريدة خبرا عن الحجاج يقول فيه : « الذين يذهبون الى مكة لزيارة قبر محمد » .

ولا عجب فى ذلك فجميعهم لا يفرقون بين مكة والمدينة . فاذا أردنا أن نحصى فى أوروبا الذين يعرفون أن قبر محمد صلى الله عليه وسلم هو فى المدينة لا فى مكة فربما من الستمائة مليون نسمة الذين تأهل بهم أوربه يوجد الف شخص .

ولكن تبعة أمثال ذلك لاحقة بالمسلمين الذين لا يعرف كثير منهم كيف يكون الايمان الصحيح وكيف تبنى عليه الحياة الطيبة فى الآخرة والاولى . ولا يزال كثير من دعاة الاصلاح الاجتماعى يجهلون قدر التأثير الروحى فى اصلاح الفرد والمجتمع اصلاحا عميقا يتناول باطنه وظاهره ، وكل اصلاح يعنى بالاصلاح الظاهرى وحده لا يعول عليه كما لا يعول على بناء أقيم على شفا جرف هاو .



بين استقرار المبادئ وتطور العلم ودور الاسلام في ذلك

للدكتور محمد غلاب

المدنية الغربية تكافح للبقاء :

لا ريب أن الحروب الاخيرة وما نشأ عنها أو بسببها من انقلابات رائعة ومريعة فى العلوم الطبيعية والكيميائية قد تضافرت على أحداث ثورات عالمية فى الافكار والظواهر والانظمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، لا تزال تتعاقب تحت أبصارنا وأسماعنا فى صور مذهلة . وكان من النتائج المباشرة لتلك الانقلابات أن جعلت المدنية المادية تغير مقرها ، وطمحت نيويورك وموسكو الى أن تحلا محل باريس ولندن ، وأن تنفردا دونهما بالصدارة والامتياز . وفوق ذلك فان هناك شعوبا كانت الى الامس القريب تغط فى نوم عميق ، وتترنح فى خمول مرهق غمسها فيهما الاستعمار البغيض ، بدأت تستيقظ فى نشاط وحيوية يتناسبان مع طفرات عصر الوثوب والانطلاق وهكذا لم نلبث أن شاهدنا تلك الشعوب تنزلق الى مسرح الحياة العالمية وتلعب عليه أدوارا خطيرة فى الجوانب المتباينة الصور والالوان كالهند والشعوب العربية التى حطمت نير الاستعمار ونفضت عن كواهلها غباره الى الابد .

ومن هذا يتبين أن سنن الطبيعة تقتضى أن توجد على هذا الكوكب انقلابات متوالية تنتج فى كل موضع منه تحولات أساسية فى التفكيرات والتصورات التقليدية وان المدنية الغربية التى كانت الى عهد قريب تشغل الصف الاول من عقول الناس وقلوبهم ، قد أصبحت اليوم تشعل لهيب معارك طاحنة لكى تحتفظ لنفسها بتلك الصدارة العالمية لأنها تشعر الآن بأنها مهددة بالفناء والزوال .

تقييم هذه المدنية :

ونحن لكى نجزم بما اذا كانت هذه المدنية الغربية تستحق البقاء او الفناء ينبغى أن نقف عند تاريخها وقفة عاجلة نتبين من خلالها القيم الاخلاقية والاجتماعية التى تحتويها . وقد أردنا أن نستأنس هنا فى تعريف تلك المدنية بنص الكاتب الفرنسى الكبير (سجفريد) الذى نشره فى مجلة (التبادل) العالمية فى نوفمبر سنة ١٩٤٥ اذ قال :

« تتألف هذه المدنية من ثلاثة أسس . أولها المعرفة ، وهو آت عن طريق الاغريق . وثانيها ادراك الفرد ، وهو آت كذلك عن الاغريق فى بعض جوانبه . أما بقية تلك الجوانب فمنبثقة عن تعاليم الدين . وثالثها الاصطلاحات الخاصة الضرورية للانتاج والنابعة من الثورات العلمية والصناعية التى اندلع لهيبها فى القرن الثامن عشر والتى خلقت من الانسان الغربى اذ ذاك سيدا لكوكب الارض بلا منازع . فطالما أن هذه الاسس الثلاثة تظل مجتمعة تكون المدنية الغربية موجودة بل كاملة ولكن عندما يلحقها التشوه فان شمس حياتها تؤذن بالغروب .

ومما لا ريب فيه أن هذا التعريف جدير بالعناية لأنه يسمح بأن نضع أيدينا على مواطن التشوه التى خضعت لها المدنية الغربية فى العصر الراهن اذ أن الاساسين الاول والثانى يبدوان فى صورة شاحبة تنم عن الاحتضار بينما الثالث وهو العلوم المادية قد خضع لتطورات عملاقية مفزعة توشك أن تكتم أنفاس السببين السابقين وأن تخلع على المدنية الغربية مظهر العصر الراهن وهو المادية المطلقة ، والسر فى ذلك هو أنه يصعب الآن على العلماء الغربيين — دون نفاق — أن يحتفظوا فى ادراكهم للفرد بالصلة بين تعاليم الاديان والنظريات المادية الحديثة . أما المعرفة العقلية المنحدرة من الفكر الاغريقى ، فان كثيرا من النظريات الفلسفية الحديثة تنبذها باحتقار وازدراء . وهنا نستطيع أن نجزم فى غير مواربة بأن فلاسفة الاسلام هم وحدهم الذين استطاعوا أن يستخلصوا من الانتاج الاغريقى كل ما اشتمل عليه من منطق قويم سليم ، وتعقل حصيف جدير بالخلود .

(يتفق أكمل اتفاق مع الفكر القرآنية الاساسية فىادراك الكون العام) .

ونحن اذا أردنا أن نتحقق من هول ذلك الانحدار المتواصل الذى تعانيه الحضارة الغربية ، فليس علينا الا أن نستمع لتلك الصرخة المفزعة الآتية من لدن المتعقلين الادقاء من مفكرى الغرب الذين أحسوا بخطر الكارثة قبل غيرهم من المندفعين فى ذلك التيار الاهوج الذى سينتهى الى الدمار اذا لم يتدارك المهيمنون على شئون الثقافة هذه الحالة الاسيفة متخذين من مبادىء الاسلام الفطرية مصابيح هدايتهم وارشادهم . وهاك نموذجا من تلك الصرخات المنذرة بالويل والثبور ، يقول (باستور فاليرى رادو) فى كتابه « أفكار عن المدنية » ما يلى :

ان مدنية الغرب تتجه اليوم الى أن تمنح التطبيقات العملية الصدارة على الفكر النقية فالآلات الميكانيكية هى صاحبة السلطان اذ أنها لا تحول الحياة المادية

فحسب ، بل هى تقتاد الحياة العقلية أيضا ، والباحثون لم يعد لهم ــ مهما زيد فهمهم ــ سوى استكشاف آلات جديدة ، فيستغلوها فتغير العلم والصناعة والحياة اليومية .

على أننا اذا أنعمنا النظر فى نصوص الفيلسوف الفرنسى الروحى (جاك ماريتان) الواردة فى كتابه (درجات المعرفة) ألفيناها أصرح وأشد قوة فى الحق اذ هو يلاحظ بديا كيف أن العقل الحديث قد استولى عليه ميل خفى الى المادة التى لا يعمل الا فيها وحدها والتى يستحوذ عليها بوساطة غزو جزئى هو دائما مؤقت .

ثم يضيف الى ما تقدم قوله :
غير أن هذا العقل الحديث قد ضعف ضعفا أسيفا وأصبح أغزل بازاء الموضوعات التى هى من اختصاصه والتى يتخلى عنها فى وضاعة وأنه صار غير قادر على فهم قيم عالم اليقينيات العقلية .. يبدو أن زماننا قد وضع من الفلك فى منزلة الفرقة بين الجسم والروح ، ومن الواضح أن مرور البشرية تحت نظام المال والميكانيكية يسجل مادية مطردة للعقل وللعالم .

واذن فنمو هذا التقدم المزعج للعلم التجريبى والميكانيكية على حساب الثقافة الرفيعة هو علامة تشويه تلك المدنية فوق أنه انذار صريح بانهيارها العاجل .

العلم التجريبى والميتافيزيقا وأثرهما فى الثقافة :

ان عقيدة عصمة العلم الواقعى ، والايمان بأنه هو المنبع اليقينى الوحيد للمعرفة البشرية قد نشأ فى القرن الثامن عشر ، وانتشر فى القرن التاسع عشر وكان من النتائج الحتمية لهذا الانتشار أن نبذ العلماء الواقعيون جميع المعارف الدينية والميتافيزيقية ما دام أنها لا تصلح لتغذية تلك المعرفة المادية .

وما أكثر العلماء الذين آمنوا فى ذلك العهد بأن العلم التجريبى سيصل وحده الى شرح أسرار الكون وعلى الاخص تأليف المادة . وليس هذا فحسب بل صاروا ــ كما يقول المثل الفرنسى : « يبيعون جلد الدب قبل اصطياده » أى جعلوا يطالبون بحقوق الانتصار قبل حدوثه الى درجة أنهم أثروا ردحا من الزمن فى الجماهير الجاهلة سريعة التصديق ، وقيدوا آراء السواد الاعظم فى تلك الحقبة بالانحباس فى نطاق ضيق ، مجمله نبذ كل ما ليس متحيزا ولا ماديا ، وبالتالى التخلص من الميتافيزيقا ، وهو يستلزم التخلص من الدين لأن أسمى قمم الميتافيزيقا هى الالوهية العقلية .

ومما لا سبيل الى الشك فيه أن آمال علماء القرن التاسع عشر المفعمة بالطموح الى الاغراق فى المادية البغيضة قد جعلت فى العصر الراهن تنطفىء شيئا فشيئا لا سيما آمال الطبيعيين المنحصرين فى محيط المادة .
وقبل أن نودع العقلية المادية الراحلة ترافقها عقيدتها الزائفة ، وأن نستقبل العقلية الطبيعية الجديدة كما تطلق على نفسها ، نود أن نقف هنيهة أمام

انصاف المتعلمين من مواطنينا الذين هم ـ مع الاسف الشديد ـ مكلفون بتعليم الشباب الساذج يقذفون الى قلوبه وعقوله بآراء لم تعد تستمتع بالحياة الا بين دهماء الجماهير ، فنهمس فى آذانهم سائلين : كيف شاءت لهم كرامتهم أن يتيهوا عجبا ومباهاة بارتداء المرقعات التى نبذها أصحابها احتقارا لها وترفعا عنها منذ زمن بعيد ؟

والان نعود الى آراء بعض العلماء المعاصرين عن علم الطبيعة الجديد الذى لا يطعن على الميتافيزيقا بل يتركها تسير فى طريقها حرة الى حقولها التى يعتبرها مباينة لحقوله الى درجة تجعل تعرضه لها ضربا من المشاكسة المؤسسة على الجهل لاشتمالها على الخلط بين طبائع الاشياء ، وبالتالى بين معايير الموجودات .. وبعد هذه الوقفة مع أنصاف المتعلمين ، نعود الى آراء أولئك العلماء المعاصرين الحقيقيين فنسجل أن العالم الانجليزى الشهير (رايدنجتون) يقرر فى كتابه (طبيعة العالم المادى) الذى ظهر فى سنة ١٩٢٩ ما يلى :

« نحن نفهم اليوم أن العلم ليس لديه ما يقوله عن طبيعة الجوهر الاساسى للذرة أكثر من أنه ـ لكل شىء فى الطبيعة ـ عبارة عن سلسلة من أقيسة الكميات .. وان البحوث العلمية لا تنتهى الى معرفة جواهر الاشياء ، وأن العالم الظاهرى الذى هو محيط علم الطبيعة قد صار عالما من الظلال » .

وكذلك يقول العالم الطبيعى (مايرسون) فى مقال نشرته مجلة (الشهر) الصادرة فى يونيو سنة ١٩٣١ تحت عنوان : (العالم الطبيعى والكائن الواقعى) ما يلى :

« ان العالم المعاصر لا يستطيع أن يعين جوهر الكائن الواقعى ، بل ان هذا نفسه هو الذى يميز خطته عن خطط سلفه فى القرن التاسع عشر كما يميزها بصورة أوضح عن خطة عالم العصور الوسيطة اذ أن العالم المعاصر لم يعد يجزم بأنه يستطيع أن يفهم جوهر الكائن الواقعى الذى يبدو له على العكس كأنه محوط بسر عميق ..

من هذه النصوص يتبين تواضع العلماء الحقيقيين ومعرفتهم قدر أنفسهم واعترافهم بأن العلم التجريبى عاجز كل العجز عن كشف أسرار الكون وخفايا الوجود كما يتبين أن الذين يتباهون عندنا بالطعن على الميتافيزيقا هم متأخرون حتى فى جهلهم ، ومضحكون حتى فى تقليدهم ، وأنه يجب على الدول أن تحمى الشباب من هذه الآراء الزائفة الضالة التى لا تكاد عقولهم الناشئة تتلقاها منهم حتى تتلقفها .

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى   فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وينبغى أن يستقر فى أذهان ذلك الشباب البرىء ما توصل اليه أدق علماء الطبيعة فى عصرنا الراهن وهو أن العلم المادى التجريبى غير قادر البتة على ارضاء العقل الذى لا يزال يعذبه بأسئلة أدخل فى باب السمو من الظواهر الخارجية ، وأقدر على جذبه المتواصل الى عالم المعقولات النقية التى هى أولى وظائف العقل الاساسية هى ادراكها بوساطة المنطق الذى هو أحد الطرق الطبيعية لفهم المبادىء التى أتت بها الاديان ولا سيما الاسلام .

مناهج القرآن فى شرح أسرار الكون :

ذلك أن القرآن الكريم قد اشتمل على عـــدة مناهج متنوعـــة لفهم أسرار اختص كل فريق من البشرية بمنهج منها يلتئم مع عقليته ورقيه (وكـــل ميسر لما خلق له) ، فالقرآن الكريم يخاطب أكثر الناس سذاجة بقوله : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الارض كيف سطحت » (آيات ١٧ و١٨ و١٩ و ٢٠ من سورة الغاشـــية) وهو يخاطب طبقة أرقى من الاولى قليلا بقوله : « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج . والارض مددناها والقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طـــلع نضيد . رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج » . (آيات ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ من سورة ق.)

ويخاطب طبقة ثالثة أرقى من سابقتيها بقوله : « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى أن يـــكون قد أقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون » (آية ١٨٥ من سورة الاعراف) ويخاطب طبقة رابعة أرقى من الثلاث السابقة بقوله : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » (آية ٢١ من سورة الذاريات) .

ويخاطب طبقة خامسة أرقى من جميع سابقاتها بقوله : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد » . آية ٥٣ من سورة فصلت .

وتلك هى الوسائل التى لم يتعد دوائرها جميع المفكرين والفلاسفة والنساك (أناكســـاغوراس) ، سقراط ، والفارابى ، وابن سينا ، وديكارت ، واختتمها ابن سينا الناسك بقوله (ان البارى هو برهان القريب والبعيد أو لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) .

ومهما يكن من الامر فان جميع الذين يسلكون تلك المناهج المختلفة يلتقون عند غاية واحدة مع الفريق الذى أرشده الوحى وحده . وهذا معناه أن الوسائل متعددة والغاية واحدة . وقد تنبه فلاسفة الاسلام من قبل الى هذه الحقيقـــة الخالدة التى لا مشاحة فيها ولا نزاع ، فرمز اليها الفيلسوف الاندلسى المســـلم ابن طفيل فى قصته الفلسفية « حى بن يقظان » اذ انتهى المؤلف الى تسجيل أتم وئام بين بطل قصته الذى نشأ فى الجبال دون أن يسمع للدين بخبر ، أو أن يقف منه على أثر ، وصاحب هذا البطل الذى لم يسترشد الا بهدى الوحى وحده ، فانتهيا كلاهما الى الاستظلال براية القرآن والاهتداء بأشعته المتشعبة الجوانب والمنبثقة من المصدر الاحد الذى هو مانح كل حق وجوده ، والمنتهية الى الغاية العليا .

من هذا يتبين أن منهج القرآن الكريم هو أن اختلاف الوسائل لا يحول البتة دون الوصول الى الهدف المرموق . وهو منهج الفطرة الذى تفرد به ، فرسم لكل

درجة من العقليات الوسيلة التى تلائمها ، وأبان للانسانية جمعاء مناهج متعددة تهتدى بوساطتها الى الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذى هو واضح لكل من لم ينحرف عن الصراط السوى : (فطرة الله التى فطر الناس عليها) .

سلاح الشباب :

واذا كان لنا أن نعلق بشىء على ما تقدم فاننا لا نتوانى فى أن نعلن **أن شبابنا ستقذف به الظروف الراهنة والمقبلة فى تيارات الاعمال العنيفة التى لا تكفى لقهرها أو حتى لمقاومتها العضلات المادية بل التى تكون الوسائل العقلية غير زائدة على ما يلزم لهذا الشباب فى تحقيق الانتصار أو الصمود فى المعركة التى يتحدد فيها مستقبل الوطن العربى كله ومستقبل العالم الاسلامى عامة .**

ومن ثم فاننا نعتبر مشكلة التعليم والثقافة أولى المشكلات التى تواجهنا الآن ما دام أن التعليم هو الجانب الذى توكل اليه العناية بتنمية الملكات العقلية والارشاد الى كشف الوسائل الروحية والتغلغل الى ادراك القيم الرفيعة وهذا الشعور بأهمية مشكلة التعليم والثقافة يوحى الينا ببعض الفكر المتواضعة التى سنحاول عرضها هنا عن طريق التشبيه فيما يلى :

اعتاد بعض الكتاب المفكرين أن يشبهوا مناهج التعليم بالعنايات التى يستلزمها نجاح الشجر الجميل المثمر الذى تتكون منه مفخرة القائمين على شؤون الحدائق .

وتبدأ مراحل هذه العنايات النباتية بالتطعيم الذى يعطى الشجيرة المقدرة على الاثمار أو يحسنه ثم تثنى بنقلها الى الاماكن التى تتفق مع طبيعتها أو الاماكن التى يجب أن تعيش فيها وتكبر وتثمر على خير الوجوه .

وهناك عنايات أخرى ينبغى أن تمنح للارض التى تغرس فيها الشجيرات أو تنقل اليها حتى تستطيع الجذور الضعيفة أن تستفيد من أغذيتها الصالحة . ومن العنايات أيضا أن تشذب بعض صغار الاغصان أو الزوائد من الافنان وأن تخفف بعض الزهور التى تستنفد عصارة الحياة والتغذية عبثا وأن يداوم المشرفون على هذه العنايات حتى تبلغ الشجيرة سن القدرة على القيام بدفاعها عن كيانها منفردة .

وهذا هو عين المنهج الذى ينبغى أن يسلكه المهيمنون على شؤون التعليم ابان تكوين الاطفال والشباب فى مراحله الابتدائية والاعدادية والثانوية والعالية ، وهذا هو ما سنعنى به مشيرين الى ما ينبغى أن تمنحه كل مرحلة من المعرفة العقلية والدينية وما يجب لها من التثقيف العالم . فالى الملتقى .



الوطن الاسلامي الكبير في غرب افريقيا به أكثر من أربعين مليونا من المسلمين

للاستاذ : حسن عيسى عبد الظاهر

يضمهم بين جوانحه ذلك العملاق الكبير الذى ملأ اسمه بأحداثه الخطيرة فى السنتين الاخيرتين أنهر الصحف ودوت به اذاعات العالم وشد اليه الانظار فى كل مكان بعامة وفى العالم الاسلامى والعربى بخاصة . ولا يزال مسرح الاحداث فيه مليئا لما تنته فصوله بعد وغده بظهر الغيب .

ففى فجر يوم ٢١-١-١٩٦٦ صحت نيجيريا على صوت انفجار مدو لم يكن لها بمثله عهد من قبل . وان كان من الاصوات التى الفها العالم الآن بين حين وآخر حين تمتد يد الاستعمار عابثة بأمن البلاد والعباد . وراح ضحية ذلك الانفجار الدامى رجل نيجيريا الاول الزعيم المسلم السردونا الحاج احمدوبلو رئيس وزراء الشمال وراح معه ساعده الايمن الحاج أبو بكر تفاوا باليوا رئيس وزراء الفيدرال وغيرهما من زعماء وقادة الشمال . كما راح معهم أمن البلاد وسلامها . وفتحت بذلك ابواب من الشر والصراع والحرب الاهلية على ذلك البلد الآمن ما زال يصلى نارها . متمثلة فى تلك الحركة الانفصالية المسماة « بيافرا » تذكيها قوى الاستعمار والصهيونية . ويرجى أن تكون ساعة الخلاص قد حانت حتى يعود الامن والسلام والرخاء الى ربوع نيجيريا لتسترد أنفاسها وتضاعف جهدها قوة ذات وزن أصيل وكبير فى شئون العالم الاسلامى والافريقى .



المبنى المؤقت لكلية عبد الله بيارو ، تم افتتاحه رسميا فى ٦٩/٤/٢٦ فى حفل كبير

فنيجيريا هى اكبر وحدة سياسية وجغرافية تطل على العالم من افريقيا من على ساحلها الغربى .

تراها على خريطتها اشبه ما تكون بثمرة الكمثرى بعض قاعدتها راسية على شاطىء الاطلسى على زاوية جنوبية غربية بها عاصمتها لاجوس وبعض موانيها الاخرى .

وطرفها العنقودى يطل على بحيرة تشاد وجمهوريتها فى الشرق الشمالى .

أما فى شمالها فجمهورية النيجر ، وفى غربها جمهورية داهومى . كما تمتد على حدودها الشرقية جمهورية الكمرون الاتحادية ، وتطل من جنوبها على خليج غينيا فى أقصى ركنه الداخلى . وتمتد بمساحتها ــ التى تعدل أربعة أمثال مساحة بريطانيا والتى تبلغ ٣٥٦٫٦٧٠ ميلا مربعــا ــ على موقع الجنوب من الصحراء الكبرى .

تلك هى دولة (جمهورية نيجيريا الاتحادية) بمواقعها الجغرافيــة التى تطل بها على العالم من خلال قارة المستقبل افريقيا .

□ □ □

أما من داخلها ومن قبل الحرب العالمية الثانية فقد كانت مقسمة الى أربعة

اقاليم ادارية هى : مستعمرة لاجوس ، والاقليم الغربى . والاقليم الشمالى . والاقليم الشرقى .

وبعد تطورات سياسية ودستورية تأكدت فيهـا ذاتية كل اقليم وانتهت بدستور سنة ١٩٥١ بتجميع هذه الاقاليم فى نظام شبه فيدرالى ادمجت فيـه لاجوس ضمن الاقليم الغربى .

ثم جاء دستور سنة ١٩٥٤ فأعطى تلك الاقاليم الاربعة مزيدا من الاستقلال الذاتى داخل نطاق الاتحاد الفيدرالى وجعل لاجوس عاصمة رسمية لذلك الاتحاد الذى أقيمت له حكومـة مركزية تربط تلك الاقاليم بعضها ببعض . وظل ذلك التقسيم حتى ٣١-٣-١٩٦٨ .

ففى ١-٤-١٩٦٨ أصبحت نيجيريا على نحو جديد من التقسيم الادارى صارت به اثنتى عشرة ولاية كل منها مستقل عن الآخر وينتظمها جميعا حكومة فيدرالية مقرها لاجوس .

□ □ □

وهى بضخامتها تلك متباينة فى جغرافيتها الطبيعية والبشرية ما بين مراع وغابات وصحراء وقبائل مختلفة فاذا أردت صحبة لها فى سياحة داخلية فانك ستنتقل فيها من غابات كثيفة ومستنقعات على الساحل حيث تدخل نطاق حزام من الغابات الاستوائية أقل كثافة يصلك بمناطق السافانا الفسيحة التى تتخللها الغابات المتناثرة والتى تظل تتضاءل وتقل أشجارها ونباتاتها حتى تنتهى واياها بالاقليم الصحراوى على الحافة الجنوبية من الصحراء الكبرى .

ويختلف سطحها ما بين مرتفعـات وهضاب تصل الى ٦٠٠٠ قدم فوق سطح البحر كهضبة جوس وبين وديان ورمال ومستنقعات .

وتصل الحرارة الى ٨٧° فهرنهيت على السـاحل والى ٩٤° فى الشمال كما تتراوح درجة الرطوبة من ١٥ ٪ الى ١٠٠ ٪ على الساحل ويشقها كثير من المجارى المائية والنهيرات أهمها نهر النيجر ويقطعها من الشمال الغربى الى الجنوب ومن أشهر روافده نهر بنوى وكروس وتستغل هذه المجارى المـائية فى الملاحة الداخلية هذا فضلا عن مياه الابار التى لا غنى عنها .

□ □ □

وتعيش معها فى مناخها الطبيعى بين فصلين

فصل الامطار تبدؤه من ابريل الى أكتوبر . وتقل كما وزمنا كلما يممت شمالا وعلى هذه الاقطار تعيش .

وفصل الجفاف من نوفمبر الى فبراير .

وتتنوع محاصيلها وخيراتها التى جذبت اليها الاستعمار النهم فترى منها للتصدير الفول السـودانى وزيت النخيـل والـكاكاو والقطن والبترول ومن محصولاتها الغذائية الذرة والدخن والموز والكاسـافا واليام والدويا الغـذاء الرئيسى اليومى وهى غنية بالاخشاب الجيدة والتربة الخصبة . كما تعيش بها بعوضة الملاريا وتعتبر منطقة استيطان لها . .

ومن نهر النيجر اشتق اسمها فهو اهم نهر يجري بها لكنها لم تعرف بهذا الاسم الا فى عام ١٨٩٩ حين استعمل فى مجلس العموم البريطانى أثناء مناقشة قانون شركة النيجر الملكية اذ كانت قد ابتليت بالاستعمار البريطانى الذى بدأ عام ١٨٥١ م وظل يستنزف اقتصادها وخيراتها أما قبل ذلك فقد كانت هذه المنطقة من غرب افريقيا تعرف ــ عدا بعض مناطقها الآن باسم امبراطورية الفولانى تلك الامبراطورية التى أقامها المجاهد شيخ الاسلام عثمان دان فوديو فى مطلع القرن التاسع عشر .

ومن قبل هذا كله وفى فجر تاريخها الاسلامى كانت تقع ضمن المدلول الجغرافى العام للفظ السودان . ثم صارت ضمن مدلول لفظى السودان الغربى والسودان الاوسط .

كما كان الشمال منها فى مطلع القرن السابع الهجرى ــ الثالث عشر الميلادى ضمن مملكة مالى ذات التاريخ المضىء والتى انتشر بها الاسلام وازدهر العلم وسبقت الى الحضارة والتقدم وعنى بها المؤرخون والجغرافيون المسلمون القدامى فى موسوعاتهم وان كانت النصوص عنها جاءت مبعثرة فى بطون تلك المؤلفات، وممن كتبوا فى ذلك ابن الفقيه فى « البلدان » والاصطخرى فى « المسالك والممالك » وياقوت فى « معجم البلدان » والقزوينى فى « آثار البلاد » وابن فضل الله العمرى فى « مسالك الابصار » والقلقشندى فى « صبح الاعشى » كما يصحبك ابن بطوطة فى رحلة ممتعة من رحلاته الى هناك وكتب عنها فى العصر الحديث كثير من الغربيين منهم المنصف ومنهم المغرض وما زالت المكتبة العربية الحديثة فى حاجة ماسة الى التعريف والكتابة عن هذه البلاد الشقيقة وربط حاضرها بماضيها .

وقد شاع لها اسم التكرور ــ فى الحرمين ومصر والحبشة ــ علما على الاقليم الغربى من السودان .

وقد عرفه الفيروزابادى فى القاموس انه بلد بالمغرب . كما تحدث عنه ابن خلدون فى التاريخ الكبير .

وقد أورد السلطان العالم محمد بلو فى كتابه « انفاق الميسور » تحديدا لأول بلاد التكرور من جهة المشرق بلدفور يليه من جهة المغرب بلد وداى وبلد باغرم وأما ما حاذاها من جهة الشمال فقفار ورمال لا يعمرها الا الرعاة من البربر والعرب فى فصل الربيع وأما ما والاها من جهة الجنوب فبلاد كثيرة يعمرها أجلاف السودان على اختلاف السنتهم .

□ □ □

ونيجيريا ذلك البلد الفسيح الارجاء يضم بين جوانبه شعوبا متنوعة تزيد عن الستين مليونا وهو بذلك يعد الدولة الثانية عشرة من حيث الترتيب بين الدول المزدحمة بالسكان فى العالم .

وتختلف مجموعات السكان حسب كل اقليم معظمهم من الزنوج وتوجد الزنوجة النقية فى الجنوب خاصة فى مناطق الغابات أما ما عدا ذلك فقد قام الاختلاط الواسع بين السلالات حائلا دون معرفة الميزات الجنسية على وجه الدقة .

ومن العناصر المميزة من السكان قبائل الهوسا والفولانى فى الشمال وتدين كلتاهما بالاسلام ثم الكنورى والايبو واليوربا والتيف الى آخر تلك القبائل التى تشرف على المائة عدا وتزيد .



خريطة افريقيا مبينا عليها نيجيريا

واكثر ما يكون المسلمون فى الشمال ويقلون فى الجنوب وهم بعامة يزيدون على الاربعين مليونا سنيون مالكيون أرباب تصوف وادب ويتكلم السكان بعدد قبائلهم لهجات مختلفة متقاربة ومتباعدة وأكثر اللغات انتشارا لغة الهوسا والفولانى واليوربا والايبو ولكل من هذه اللغات واللهجات آدابها وطرائقها .

لكن اللغة الانجليزية هى اللغة الرسمية فى نيجيريا يشاركها فى الشمال لغة الهوسا فى الدواوين ودور العلم والصحافة ولغة التخاطب .

□ □ □

اما عن اللغة العربية فالحديث عنها مرتبط بالحديث عن الوجه الاسلامى لنيجيريا ماضيها وحاضرها .

فنيجيريا كبقية افريقيا يعتبر الدين فيها عنصرا فعالا وقوة محركة فى حياة مجتمعها ونقطة ارتكاز فيما يدور من بحوث حولها .

وقد أفادت الهيئات التبشيرية من هذه الحقيقة فوضعت منهجها على أساس منها ورسمت على ضوئها سياستها الادارية والتبشيرية ونتائج هذه الدرابسات انتهت ضمن ما انتهت اليه الى استعمار بشع .

لكن ماذا عن الاسلام فى تلك البلاد ؟
لقد حمله اليها مبكرا جمهرة من الدعاة المغاربة ومن التجار وأخذ يمتد على مدى الارض والتاريخ بوسائل سلمية فى اكثر مراحله من جماعة الى جماعة .
وقد بدأ مده الى هناك من الساحل الشمالى الى المغرب ثم دار مع الساحل الغربى وتتبع الواحات المنتشرة فى الصحراء كما تابع تقدمه من الاطلسى الى هضبة الحبشة ملتقيا مع المد القادم من جنوب النيل ومن شرق القارة .
وقد كانت حملة عقبة بن نافع فى المغرب الاقصى نقطة البدء له فى منطقة الغرب من افريقيا فبعد أن وصل الى مدينة طنجة الحالية دار مع ساحل المحيط الاطلسى حتى وصل الى الحدود الجنوبية للمغرب الاقصى .
وقد ذكرت بعض الروايات عنه أنه توغل فى غرب افريقيا حتى وصل الى بلاد غانة والتكرور .

وينقل الرحالة « بارت » عن بعض الروايات المحلية قولها : انه كان بغانة عام ٦٠ هـ جالية اسلامية وأن عقبة بنى بها بعض المساجد . وتنتسب اليه قبائل الفولانى فى شمال نيجيريا والتى كان لها دور كبير فى النهضة الاسلامية التى قامت على يد المجدد الامام عثمان دان فوديو فى مطلع القرن التاسع عشر .
فانتشار الاسلام فى غرب افريقيا كان خلال القرون الاولى المبكرة وقامت له هناك عواصم قديمة ما زالت تحمل طابعه مثل تنبكتو التى تأسست فى عهد المرابطين فى القرن الخامس الهجرى ثم جنى وكانو وغيرها كما قامت فى الصحراء الجنوبية مدن اسلامية كانت بمثابة موانىء فيها .
وساعدت تحركات القبائل بينها وهجراتها اليها على نشر الاسلام مثل هجرات بنى هلال وغيرهم من البربر وقد امتدت هذه الهجرات الى بلاد برنو ومن الهجرات المؤثرة هجرات الفولانى من الغرب الافريقى حيث انتشروا فى جميع أجزاء السودان من الاطلسى حتى النيل لكن أكبر تجمع لهم كان فى شمال نيجيريا وهم يشتغلون بالرعى والزراعة والتجارة وقد ظهر منهم الامام عثمان دان فوديو الجد الاكبر للزعيم المسلم صريع الغدر أحمدوبلو .
وقد قام التجار كذلك بدور كبير فى نشر الاسلام حيث كانت الطرق التجارية التى تربط بين الشمال الافريقى وبين البلاد الواقعة فيما وراء الصحراء مسالك ساعدت على تسرب الاسلام عبرها لتلك المنطقة ثم الى قلب القارة منتشرا على طولها .

وللتجار المسلمين تأثير كبير فى نشر الاسلام بصفة عامة فى كل بلد أجنبى ومن الطبيعى أن يصبح خط انتشاره فيها هو نفس الخط الذى اتبعه التجار فى مجال نشاطهم ولا تنسى الجهود الصادقة التى قامت بها الصوفية فى نشر الاسلام هناك دعوة وجهادا وتربية وتعليما مثل القادرية والتيجانية ولهما الزعامة الدينية الآن فى غرب افريقيا عامة وفى نيجيريا خاصة .
ولا ينكر الدور الذى تسهم به هذه الطرق فى ابقاء مشعل الاسلام مضيئا . والعمل بأسلوبهم الخاص المنظم للاحتفاظ بالاسلام والدعوة لنشر طريقته فى الحياة .
وكان للجهد الفردى المتمثل فى الشيوخ والمعلمين والمربين اثر كبير فى الدعوة الى الاسلام وتوجيه المسلمين الى فقه دينهم فى تلك المنطقة مثل جهود الشيخ المغيلى والشيخ عثمان والسلطان بلو والسردونا احمدوبلو .



خريطة نيجيريا نقلا عن الكتـــاب السنوى لنيجيريا

ومما هو جدير بالذكر والتسجيل أن الاسلام لم يفرض على الشعوب الوثنية هناك وانما حمله قوم من أهل البلاد افريقيون كانت لهم صفة التجار أو المعلمين الذين انتشرت على أيديهم الكتاتيب وحلقات العلم التى أخرجت لنا علماء وصلوا الى مرتبة الامامة والفتيا وذاعت مؤلفاتهم فى العالم الاسلامى وكان لهم رواق بالازهر باسم رواق الدكارنة كما رحل اليهم علمـــاء من المغرب كثيرون ومن المشرق كذلك منهم السيوطى الذى يحتل مكانة كبرى فى نفوس المسلمين هناك وتتداول كتبه فى حلقات العلم . ولرحلة الحج أثر كبير فى انتقال العلماء منهم واليهم .

ونظرا لمـــا كان للمغرب من تأثير مباشر وقوى على تلك البلاد فقد غلب عليهم فقه امام دار السنة الامام مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه فقد كان له أصحاب من أهل أفريقيا مثل أبى الحسن على بن زياد التونسى الذى سمع من مالك ، وسمع منه أسد بن الفرات وسحنون وغيرهما وكان لمدرسة القيروان اثر كبير فى نشر المذهب فى غرب افريقيا ولا زال طابعه مؤثرا وسائدا حتى الآن فى كل مظهر للشريعة فى حياة المسلم عامة وخاصة فالتفقه والفتيا والتقاضى

والعمل على أصوله وفروعه وان كانت قد عرفت أنواع العلوم وبعض المذاهب الاخرى .

وممن نبغ من العلماء فى تلك البلاد الشيخ احمد بن محمد اقيت الصنهاجى حج ولقى الامام جلال الدين السيوطى وخالدا الازهرى ومكث مدة بمدينة كانو وكاتسينا للتدريس وتوفى سنة ٩٤٣ هـ .

والشيخ احمد بابا التمبكتى المؤرخ النيجيرى الكبير له مؤلفات كثيرة وقام برحلة فى أطراف افريقيا ووضع عنها كتابا أسماه « الكشف والبيان » وتوفى سنة ١٠٣٨ هـ .

والشيخ عبد الله ثقة الهوساوى .

ثم الامام المجاهد الشيخ عبد الله بن فودى الساعد الايمن لأخيه الشيخ عثمان فى اقامة دولة الاسلام هناك فى العصر الحديث وله مؤلفات كثيرة فى شتى فروع الشريعة والعربية وهو من علماء القرن الثالث عشر الهجرى .

□ □ □

وقد اشتهرت بالعلم والحضارة مدن كثيرة وكبيرة منها كانوا منذ القرن السادس عشر وبخاصة بعد الاحداث التى أصابت تنبكتو ولا زالت مدينة كانو الى اليوم أكبر وأهم مراكز الثقافة الاسلامية والعربية فى غرب افريقيا .

وتعرف بطابعها الاسلامى وشعارها المسجد ذو المأذنتين وتضم بين جوانحها الآن معاهد أصيلة للدراسات العربية والاسلامية منها مدرسة العلوم العربية يؤمها الكثير من المسلمين من كافة ولايات نيجيريا وتنتظم نوعين من الدراسة .

أحدهما الدراسات الاسلامية العالية لمدة أربع سنوات تدرس فيها علوم الدين من تفسير وفقه وحديث وسيرة وعلوم اللغة العربية بفروعها من نحو وصرف وبلاغة وتختار من هذا القسم البعثات التعليمية للخارج كما تشغل بهم وظائف التدريس والقضاء وبعضهم يواصل دراسته بكلية عبد الله بيارو للدراسات الاسلامية والعربية .

والآخر لتخريج المعلمين والدراسة به لمدة خمس سنوات تدرس فيها انواع المعارف المختلفة لاعداد المعلم ومنهم من يواصل دراسته بالجامعة .

وقد خرجت هذه المدرسة أجيالا عديدة عربية اللسان والفكر وتوجد أنماط شبيهة بها فى بعض عواصم الولايات مثل سكوتو وكاتسينا .

كما توجد فى كانو كلية عبد الله بيارو التابعة لجامعة احمدوبلو ويدرس الطالب بهذه الكلية العلوم العربية والاسلامية ويحصل المتخرج فيها على درجة الليسانس هذا فضلا عن حلقات العلم المنتشرة فى الزوايا وخلاوى القرآن والمساجد ويحيط بمدينة كانو سور عظيم له اثنا عشر بابا لكل اسمه الخاص وتحمل المدينة الطابع الافريقى والاسلامى القديم فقد كانت عاصمة لبلاد الهوسا ومركزا للنشاط العلمى والتجارى جنوب الصحراء وقد امتد العمران بها الآن خارج سورها العتيد على أحدث النماذج معظم ساكنيه من غير المواطنين .

وتزخر المدينة بالمدارس والمستشفيات الكبيرة وبها شبكة مواصلات حديدية وبرية وحركة تجارية واسعة .

ومن المؤسسات الثقافية العربية فيها المركز الثقافى العربى الذى انشأته الجمهورية العربية المتحدة لتوثيق الروابط الثقافية وربط الحاضر بالماضى ونشر الثقافة العربية والاسلامية .

كما يشغل الكثير من المناصب العلمية وكراسى الاستاذية بالجامعة اساتذة عرب نابهون فى كانو وزاريا وابادان فضلا عن الاطباء والمهندسين والمدرسين ومن المدن التى أنشئت خلال النهضة الاسلامية فى مطلع القرن التاسع عشر مدينة سكوتو فى أقصى الشمال الغربى بناها السلطان محمدبلو عاصمة للامارات الاسلامية الفلانية وتحمل طابعا دينيا تاريخيا وكانت وما زالت مقرا لعاصمة وسلاطين الدولة الفلانية وبها مسجدان كبيران ومتحف يضم الكثير من آثار مؤسس الدولة الشيخ عثمان وخلفائه من بعده كما بها مزار الشيخ حيث دفن ويؤمها كثير من العلماء والمؤرخين الاوربيين ويعتبرونها حقلا خصبا لدراساتهم عن نيجيريا حيث ينقبون فى آثارها ويصورون ما يعثرون عليه من مخطوطاتها ويدونون ما يتلقونه شفاها من روايات معمريها التاريخية ونذكر فى هذا الصدد المعلمة التاريخية الحية الوزير جنيد وزير سكوتو ويحرص كل زائر لسكوتو على لقائه ويتردد اسمه كثيرا فى المؤلفات الغربية كمصدر حى كما أن له مؤلفات فى التاريخ وغيره وهو شيخ عود مسن له فضل ذكاء وذاكرة وصلاح وقد أفدت كما أفاد غيرى من مكتبته الخاصة التى أتاح لى فرصة الاطلاع فيها وتصوير ونسخ بعض مخطوطاتها كما قامت كلية عبد الله بيارو بتصوير الكثير من هذه المخطوطات النادرة والتى يخشى من ضياعها مع الزمن وهو عمل مشكور يتيح للباحثين مادة علمية غزيرة عن هذه البلاد وتاريخها المعاصر .

ومن المدن الحديثة مدينة كادونا عاصمة الشمال وقد كانت مقرا لحكومة الشمال وبها الكثير من الهيئات الدبلوماسية ودور العلم والصحافة .

ومن المؤسسات الثقافية العربية فيها كلية صباح للدراسات العربية والاسلامية أنشأتها دولة الكويت اسهاما منها فى توطيد العلاقات العربية ونشر الثقافة الاسلامية فى تلك البلاد الحبيبة .

ومن المدن العريقة ذات الطابع الثقافى مدينة ابادان وبها جامعة ضخمة انشئت عام ١٩٤٨ تضم الكثير من الكليات النظرية والعلمية وبها قسم للدراسات العربية والاسلامية ويعقد مؤتمرا سنويا عاما لدراسة نشر العربية .

واللغة العربية تحتل فى نيجيريا مكانة تاريخية وحديثة وتنتشر معاهد معلمى العربية فى كثير من الولايات وخاصة فى الشمال حيث يتكلم بها الكثيرون وهى بجانب كونها تراثا لازم دخول الاسلام هذه البقاع هى أيضا موضع فخار واعتزاز للمتكلمين بها. وقد انحصر ظلها قبل الآونة الاخيرة — بفعل الاستعمار — الا عن بعض الزوايا وحلقات العلم وطغت عليها اللغة الانجليزية بما كان لها من سلطان دخيل وغفل المستعمرون عن حقيقة بملازمة هذه اللغة للدين الاسلامى وحيث وجد الاسلام فهى موجودة على الاقل لأداء الشعائر .

وفى الآونة الاخيرة بعد استقلال البلاد قامت نهضة تعليمية شعبية ورسمية ضمن أسسها احياء اللغة العربية ودراستها وتقوم بعثة الازهر الشريف هناك بجهد طيب ومشكور فى هذا المجال وفى شتى انحاء نيجيريا .

وللكتاب العربى بصفة عامة — أيا كان مستواه — أثر كبير فى الحفاظ عليها وانمائها وان كان يحتاج الى تنمية وصقل بالامداد والتحسين والنشر حتى يؤدى رسالته على الوجه الاكمل . ولا يكاد يخلو بيت فى الشمال من كتاب عربى فضلا عن القرآن الكريم الذى له قداسته فى نفس كل مسلم وقد يقراه القارىء كله وهو لا يحسن التخاطب بالعربية وتغلب عليهم فى التلاوة رواية ورش عن نافع ويتلونه عبادة ويدرسونه تعلما .

وتهتم الجهات المسئولة باستقدام المدرسين من البلاد العربية كما توفد من أبناء البلاد من يتخصص فى دراستها فى الازهر والمدينة وليبيا ويوجد فى الورين معهد دينى على نمط معاهد الازهر وينهض بعبء الكثير من مواده العلمية بعثة أزهرية ويلتحق بعض خريجيه بكليات الازهر .

وتعتبر المساجد العنوان البارز للاسلام والمسلمين فى المدن والقرى ولا تكاد تخلو واحدة منها عن مسجد جامع لا تصلى الجمعة الا فيه ثم بقية المساجد والزوايا لكافة الفروض وهى متناثرة وكثيرة وتقام فيها دروس العلم ويلحق ببعضها خلاوى تحفيظ القرآن الكريم .

ويعتبر يوم الجمعة فى المدينة والقرية عيدا وصلاتها مهرجانا ضخما له روعته ودلالته ويكتظ المسجد الجامع بالمصلين قبل الصلاة بوقت طويل وتزدحم بهم الطرقات والساحات الواسعة حول المسجد يستعدون لها مبكرين بالغسل والملابس البيضاء ما أمكن ويتوافدون اليها من الضواحى ويخرج لها الامير فى موكب يجلله الوقار والسمت الرزين بين طلقات المدفع وهم يقصرون الخطبة — وتؤدى باللغة العربية — ويطيلون الصلاة كذلك صلاة العيدين لها مظهرها وأثرها الكبير حيث تؤدى خارج سور المدينة فى ساحة كبيرة ويخرج اليها الآلاف العديدة كما يخرج لها الامير فى موكبه الرسمى الحافل وبعد الصلاة يسير الركب بين الفرسان ودقات الطبول والاعلام والقوس والسيف فى طرقات المدينة فى روعة آخذة حتى الساحة الكبيرة أمام المسجد الجامع والقصر حيث يتلقى الامير التهانى وتقام المهرجانات والاحتفالات التى يتخللها الرياضة والالعاب المرحة . ويؤخذ الاجانب المحتشدون بتلك المظاهر الحية فتجدهم يتابعونها بالدهشة والتسجيل ولا تكاد تحصى أجهزة التصوير المتنوعة وغيرها من آلات التسجيل وهى تلاحق تلك الاحتفالات بشتى مظاهرها .

ومن المواسم الدينية التى تأخذ طابعا قويا وأخاذا موسم المولد النبوى فى ربيع الاول فتعيش المدينة والقرية ليلها ونهارها طوال مدة الاحتفال فى جو مشبع بالعلم والذكر وصالح العمل وتبدأ مع الليل الاجتماعات الضخمة التى تزدحم بها الطرقات ويتمثل هذا المظهر أقوى ما يكون فى مدينة كانو فى اتباع كل من الطريقة التيجانية والطريقة القادرية وكلتاهما يتسابق الى الخيرات .

ومن المواسم التى تسجل أروع ما يكون من الذكريات الخالدات موسم رمضان فلا تكاد تسير من الليل فى شارع الا وحلقات التفسير والذكر ممتدة لوقت متأخر مكتظة بالناس فى أدب وخشوع وأقوى ما يكون ذلك روعة وجلالا فى قصر الامير فى كانو حيث تزدحم ساحاته والطرقات المؤدية اليه بالناس بعد العشاء يحمل من يقرأ منهم نسخة من تفسير الجلالين ويجلسون فى تواضع تحت المشاعل والمصابيح ويتصدر المجلس الامير ومن حوله الوزراء والعلماء فى خشوع ومعهم المصاحف والتفسير ويبدأ درس التفسير مع أول ليلة من رمضان بفاتحة الكتاب يقرأ تفسير جزء فى كل ليلة بحيث ينتهى قراءة تفسير القرآن كله

مع انتهاء رمضان والقراءة من تفسير الجلالين ويتصدر مجلس القراءة بين يدى الامير شيخان فاضلان أحدهما يقرأ الآية وتفسيرها بالنص العربى والآخر يقرأ التفسير مترجما فورا بعده بلغة الهوسا والجماهير الغفيرة تتابع بالسماع الخاشع والقراءة الصامتة . ومما يذكر أن لغة الهوسا أوسع اللغات انتشارا فى غرب افريقيا وتشتمل على كثير من الكلمات العربية تربو على ٣٠ ٪ من مفرداتها وأساليبها وكانت تكتب الى عهد قريب بالحروف العربية الا أنه بفعل الاستعمار تحولت الى الكتابة بالحروف اللاتينية وهذه حلقة من سلسلة طويلة عمل الاستعمار لها للتغطية على كل أثر للعروبة والاسلام وازاحة اللغة العربية عن الحياة العامة . لكن المستقبل يحمل بين طياته آمالا كبارا فى احياء ما اندرس بجهد المخلصين الغيورين من أبناء ذلك الوطن الشقيق الذى تتوطد علاقاته وتنمو كل يوم مع العالم العربى والاسلامى ..

□ □ □

وتقوم فى نيجيريا الآن نهضة تعليمية كبرى فى كافة مراحل التعليم الفنى والعام وبها ما لا يقل عن خمس جامعات ويخضع التعليم للاشراف الحكومى هذا فضلا عن التعليم الاهلى المنتشر فى كل قرية وفى كل حى من القرية .

وهناك لون آخر من التعليم لا يمكن اغفال الحديث عنه لخطورته وتقوم به البعثات التبشيرية التى تمثل اخطبوطا خطيرا ممتدا مع الزمن ومع رقعة البلاد الفسيحة وكثافة السكان فلا يكاد يخلو اقليم من نشاطهم المتعدد النواحى ويتركزون فى شبه مستعمرة داخل الاقليم تضم مدرسة ومستشفى ومزرعة وينطلقون منها فى جولات يجرون اليها صيدهم . وقد تركت ضمن ما تركت ثمارا مرة يغص بها كل غيور على حرية الوطن واستقلاله ووحدته وحضارته اذ تعمل على سلخ بعض المواطنين من دينهم وعاداتهم ولغاتهم وتجعل منهم مسخا آخر غرباء عن طبيعتهم الاصلية وقد ساعدتهم عوامل كثيرة ومتشعبة ويرجع تاريخ نشاطهم هناك الى منتصف القرن التاسع عشر اذ ظلوا يعملون بدأب حتى خرجت على أيديهم أجيال كثيرة . —

وآثار التبشير مقترنة بآثار الاستعمار يدعم كل منهما الآخر ولا تخطىء آثارهما على الانسان والارض .

ومن حصادهما تلك الحركة الشرود (بيافرا) التى تريد تمزيق ذلك الوطن الكبير وركبت لذلك الصعب والذلول وأذاقت البلاد ويلات حرب أهلية تكاد تأتى على كل شىء ومن ورائها يذكى نارها الاستعمار واسرائيل خاصة التى تبذل جهد المستميت من وراء ذلك للتسرب الى كل مجال فى الرأى والاقتصاد والخبرات بدعوى المساعدات الزائفة التى تستنزف أضعافها لتخلق لها مكانا وكيانا يساعدانها على تحقيق أغراضها بمختلف الاساليب غير الانسانية . وأحداث نيجيريا من سنة ١٩٦٦ حتى الآن تشير اليها بأصبع الريبة والاتهام ولا تبرئها

من الدم المهراق على أرضها . وتعمل قوى الاستعمار على التمكين لها كطرف فى النزاع ضد الاسلام والمسلمين وتعمل بدورها على تعميق هوة الخلاف والفرقة بين أبناء الوطن الواحد بشتى الوسائل وتزييف الحقائق وتبرز قضية فلسطين على أنها صراع سياسى بحت بينها وبين العرب فقط لكن وعى المواطن هناك يدرك الامور على حقيقتها . ويتجاوب الشعور النيجيرى مع قضية فلسطين بعواطف أصيلة تمليها العقيدة والانتصار للحق المغتصب والوطن السليب ويحس كل مسلم هناك نحو بيت المقدس وأرض العروبة والاسلام المنهوبة بالاحساس الصادق المفعم بالحرارة والايمان وقد كانت وفود الحجيج من هناك كل عام تجعل زيارة القدس جزءا من رحلتها المقدسة .

□ □ □

ومن المجالات التى يركز عليها الاستعمار والتبشير مجال الوثنية والوثنيين وتتركز الوثنية فى سكان الغابات والاحراش ولهم عباداتهم وطقوسهم التى يمارسونها فى حياتهم العامة والخاصة وهم هدف أصيل وتربة خصبة يقيم بينهم المبشرون كثيرا من مراكزهم وينتزعون منهم أبناءهم وينشئونهم تنشئة جديدة تحقق أهدافهم .

والوثنية أيضا موطن بكر وخصيب للدعوة الاسلامية الواعية الدائبة وحديث اسلام الآلاف منهم على يد السردونا أحمدوبلو قتيل الاستعمار وصريع الفئة الباغية على كل لسان .

الا أنه من اللازم أن تتبع حركة الدعوة الى الاسلام بينهم حركة توعية مستمرة بتعاليمه والعبء الاكبر يقع على الداعين اليه من أبناء نيجيريا أنفسهم وهذا الامر من الاهمية بمكان بالنسبة لكل مسلم ويجب أن يكون موضع عناية المهتمين بنشر الدعوة الى الاسلام وتنظيم الجهود العملية والتخطيط لها وتنسيقها على ضوء الواقع والدراسة وبخاصة فى هذه الآونة التى يلح فيها الفكر الاستعمارى على القارة بكثير من الاتجاهات والآراء التى يشوه بها المد الاسلامى والحضارة الاسلامية وتاريخ الاسلام فى القارة والمتتبع لما يكتب فى هذا الصدد وينفث من سموم كالسيل الهادر يرى مقدار ما يكاد للاسلام ومستقبله فى قارة المستقبل من الاستعمار وأفاعيه وحديث الافاعى طويل المدى. والله غالب على أمره فقد التقت افريقيا بعامة ونيجيريا بخاصة مع العالم العربى والاسلامى من حولها ماضيا وحاضرا ومستقبلا على عقيدة وتعارفت واياه على كتابها وتوحدتا الى قبلتها وما زالت دور العلم ومراكزه هنا وهناك فى الزيتونة والقيروان وجغبوب والازهر والمدينة ودمشق وبغداد وكانو وتنبكتو وسكوتو تضم صفوفنا وتنمى ثقافتنا وتدفعنا لاستعادة مجد تليد واللحاق بركب الحضارة ونحن له أهل وبه جديرون ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وتحية لأهل نيجيريا فى كفاحهم للحفاظ على وحدتهم والنهوض بوطنهم وتوثيق عرى الحضارة مع اخوة لهم من شرقهم الاسلامى .

في منزل الوحي

يا منزل الوحى ما زال الفؤاد يرى ... حول المنازل من أم القرى أثرا

والعين تلمح لو شامت مواطئه ... والأذن تسمع من أصدائه خبرا

يا حامل الوحى يزجى النور موكبه ... وأينما طاف أحيا خطوه الحجرا

ويا محمد ما للروح من شغف ... يكاد يلثم حصباء هنا وثرى

لما أتاك وفى يمناه ما عطفت ... به السماء رأى من ظلك القمرا

فالنور من مهدك الميمون قد فطرا ... آمنت بالله سبحان الذى فطرا

ترنو اليك عيون الغيب مرتحلا ... بين الجدود وفى الأعقاب منتظرا

وآدم وهو فى أطوار طينته ... كنت المثال له حتى استوى بشرا

كنت المثال الذى يرجى لفطرته ... خليفة فى رحاب البيت مدخرا

يسعى النبيون بين الناس مذ بعثوا ... بل منذ ميثاقهم بالمصطفى بشرا

والناس بين صواب الرأى مختلطا ... وبين حق عن الرحمن قد صدرا

والرسل تترى تريح الناس من جدل ... وتبسط الدين من ديانهم عبرا

والمعجزات على أيديهم نبأ ... ينهنه العقل لما تاه وافتخرا

لكنها تنقضى من بعد روعتها ... ويصبح الخبر من آياتها خبرا

حتى أتيت رسول الله فى نهج ... من الكتاب تقود الفكر والبصرا

لا الحس كذب من أنبائه خبرا ... أو طاول العقل من تشريعه قدرا

والمالكون زمام القول قد حصروا ... وألجم الذكر من أحكامه الشعرا

لا ينقضى الدهر ما تروى روافده ... ولن يزال على الآماد مزدهرا

روضاته البكر .. ما تؤتيك من ثمر ... مهما أخذت تجد فى قطفها ثمرا

وان تعاود تجد فى العود محمدة ... تجد طريفا على أكمامه نضرا

طعومها فى مذاق الناس معجزة ... تعطيك ما شئت أما جئت مفتقرا

للأستاذ : محمد بدر الدين

ولونها صبغة الرحمن أحكمها ... لا ترسل العين صبغ النور ليس يرى
أرسل فؤادك والمح فى جوانبها ... وأخشع مليا وناج الله مدكرا
واقرأ كتابك يا ابن النور معتبرا ... واستفت قلبك ان شك العقول عرى
وأيقظ الروح ان الروح ان سبحت ... على جناح الهدى لم تخطىء الأثرا
ما أنت لولا وميض الروح غير لقى ... من التراب ولولا الغيث ما نضرا
يا فطرة طهرت بالنور هل سجدت ... ملائك الله نحو الطين اذ أمرا
أم أنها قبسة من نوره حفظت ... فى عالم الأرض لولاها لما عمرا
واستخلفت فوقه تهديه عن كثب ... ان أوشك الطين أن يغتالها زجرا
وجاءها الوحى باسم الله يرفعها ... حتى أتم لها الرحمن ما قدرا
وجاء جبريل عند البيت ينشدها ... يبلغ الناس عن مولاه ما سطرا
اليوم تمت لهذا الخلق نعمته ... وأكمل الله للاسلام ما أدخرا

× ×

يا منزل الوحى ما زال الفؤاد يرى ... ما بين يثرب أو أم القرى أثرا
والعين تسبح فى أنوار موطئه ... والأذن تسمعمنه الخبر والخبرا
قل لى بربك ماذا للفؤاد جرى ... فالنور يخطف من لألائه البصرا
وذاك أحمد ألقاه وأشهده ... فى محكم الآى والتنزيل حين أرى
ان كنت لم تكتحل من نور طلعته ... لا ترسل القول نكرا بل أعد نظرا
ويا محمد ما بالروح من شغف ... جلى لنا سر هذا النور اذ ظهرا
فالنور من مهدك الميمون قد فطرا ... آمنت بالله سبحان الذى فطرا

عزة المسلم

جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : يا رسول الله . أرأيت ان جاء رجل يريد أخذ مالى (اغتصابا) قال الرسول : لا تعطه ، قال الرجل : أرأيت ان قاتلنى ؟ قال الرسول : قاتله ، فقال الرجل : أرأيت ان قتلنى ؟ قال الرسول : فأنت شهيد . فقال الرجل : أرأيت ان قتلته ؟ قال الرسول هو فى النار .

مقام ابراهيم

قال عمر بن الخطاب : قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى ، فنزلت الآية : ((واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى)) وقلت : يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر ، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ، فأنزل الله آية الحجاب : ((وقرن فى بيوتكن)) .

عشية المغفرة

قال ابن المبارك : جئت الى سفيان الثورى عشية عرفة وهو جاث على ركبتيه ، وعيناه تهملان ، فقلت له : من أسوأ هذا الجمع حالا ؟ .. قال : الذى يظن أن الله لا يغفر له ..

ايها العربي

الأم تمد فى صبرك — عجيب أنت فى أمرك
أمنتظر بان يسعى — اليك الحق فى عقرك
رأيت الحق لا يعطى — ولكن بالقنا يدرك

اشجع الناس

سأل عبد الملك بن مروان يوما جلساءه : من أشجع الناس ؟ .. فعدوا جماعة منهم .

فقال عبد الملك : لا .. أشجع الناس من ولى العراق ، فأصاب ألف ألف ، وألف ألف — عدها مرارا ، وجمع بين عائشة بنت طلحة ، وسكينة بنت الحسين ، وأم كلثوم بنت عبد الله بن عامر ، وهند بنت ريان سيد بنى كلب ، ثم خذله جيشه ، فأعطيناه الأمان على ما شاء ، فقال : ان مثلى لا ينصرف الا غالبا أو مغلوبا ، وقاتل حتى قتل ، والله ما ولدت النساء مثله .

يعنى ((مصعب بن الزبير)) .

نعم غالية

سأل الحجاج بعض الحكماء : ما النعمة ؟

قال : الأمن ، فانى رأيت الخائف لا ينتفع بعيش . قال الحجاج : زدنى .

قال : الشباب ، فانى رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش . قال الحجاج : زدنى .

قال : الصحة ، فانى رأيت السقيم لا ينتفع بعيش . قال الحجاج : زدنى .

قال : الغنى فانى رأيت الفقير لا ينتفع بعيش . قال زدنى .

قال : لا أجد مزيدا .

مثل عليا

جرى بين الامام الحسين بن على ، وبين أخيه محمد بن الحنفية رضى الله عنهم كلام ، فانصرفا متغاضبين ، فلما وصل محمد الى منزله أخذ رقعة وكتب فيها .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن على بن أبى طالب : الى أخيه الحسين بن على بن أبى طالب . أما بعد :

فان لك شرفا لا أبلغه ، وفضلا لا أدركه ، فاذا قرأت رقعتى هذه فالبس رداءك ونعليك ، وسر الى فترضنى ، واياك أن أكون سابقك الى الفضل الذى أنت أولى به منى .. والسلام .

فلما قرأ الحسين رضى الله عنه الرقعة لبس رداءه ونعليه ثم جاء الى أخيه محمد فترضاه .

أدوات الحرب

قال عمر بن الخطاب لعمرو بن معد يكرب : كيف تقول فى الرمح ؟

قال : أخوك وربما خانك فانتصف ، قال : فالترس ؟ قال : هو المجن وعليه تدور الدوائر ، قال : فالنبل ؟ قال : منه ما يخطىء وما يصيب . قال : فما تقول فى الدرع ؟ قال مثقلة للراجل مشغلة للفارس وانها حصن حصين . قال : فما تقول فى السيف ؟ قال : هنالك .

كم مضى من عمرك ؟

قال رجل لهشام القرطبى ، كم تعد ؟ قال : من واحد الى ألف ألف وأكثر . قال : لم أرد هذا . كم تعد من السن ؟ قال : اثنين وثلاثين سنا . عشر من أعلى وستة عشر من أسفل . قال : لم أرد هذا . كم لك من السنين ؟ قال : والله ليس لى منها شىء والسنون كلها لله . قال : يا هذا : ما سنك ؟ قال : عظم . قال : ابن لى ابن كم أنت ؟ قال : اثنين رجل وامرأة . قال : كم أتى عليك ؟ قال : لو أتى على شىء قتلنى . قيل : كيف أقول ؟ قال : تقول كم مضى من عمرك .



اعداد : عبد المعطي يومي

رسمت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية تقليدا جديدا حيث قامت فى شهر رمضان الماضى باستضافة عدد من كبار العلماء والقراء لالقاء الدروس والمحاضرات والقراءة فى شتى انحاء الكويت بالاضافة الى جهاز الوزارة الدائب على رفع مستوى الوعى الاسلامى ونشر أهداف الاسلام وتبصير الناس بهذا الدين القيم .

وكان من بين هؤلاء الضيوف الكبار الدكتور عبد الحليم محمود والشيخ محمد الغزالى والشيخ سيد سابق والشيخ حسن طنون والشيخ عبد اللطيف مشتهرى وشيخ القراء الشيخ محمود الحصرى .

وكان وجود هؤلاء باختيارهم الموفق فرصة للقاء طيب بينهم وبين قراء الوعى الاسلامى لتقدم معهم خلاصة تجاربهم على طريق الدعوة الحق .



معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية يتوسط أصحاب الفضيلة ضيوف الوزارة وعن يمينه الشيخ محمد الغزالى والشيخ محمود خليل الحصرى وعن يساره الدكتور عبد الحليم محمود والشيخ السيد سابق والشيخ عبد اللطيف مشتهرى



الدكتور عبد الحليم محمود يلقى محاضرة فى قاعة جمعية الاصلاح الاجتماعى

مع الدكتور عبد الحليم محمود

الاستاذ الكبير الدكتور عبد الحليم محمود الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف من كبار رجال الفكر الاسلامى المعاصر يعرفه العالم الاسلامى بأبحاثه وكتاباته فى الفلسفة الاسلامية والاخلاق وفى التصوف الاسلامى الحق باعتباره أرقى أنواع السلوك البشرى على الاطلاق ، وقد درس فضيلته بالازهر على النظام الذى كان معمولا به قبل نشأة الكليات الحالية وحصل فى عام ١٩٣٢ م على الشهادة العالمية وفى نفس العام سافر الى جامعة باريس حيث درس تاريخ الاديان والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع وكان لهذه الدراسة أثرها فى اطلاعه على مختلف أنواع السلوك والعادات والتقاليد وصلتها بالاديان وخاصة الاسلام ثم حصل من جامعة باريس على درجة الدكتوراه حيث شملت رسالته فيها الاسلام : عقيدته واخلاقه فى اطار البحث عن الحارث المحاسبى الصوفى المسلم وقد طبعت بالفرنسية ونشرت فى باريس . وقد عين الدكتور عبد الحليم محمود عقب عودته من باريس مدرسا لعلم النفس والفلسفة بكلية اللغة العربية وبعد قرابة عشر سنوات عين استاذا للفلسفة الاسلامية بكلية أصول الدين ثم عين سنة ١٩٦٣ عميدا لهذه الكلية ثم عضوا بمجمع البحوث الاسلامية ١٩٦٤ ثم أمينا عاما لمجمع البحوث الاسلامية سنة ١٩٦٩ ،

وقد حرص اثناء هذه الزيارة على تفقد ادارة المجلة ، وقد انتهزنا هذه الفرصة الطيبة لنشرك القراء معنا فى الحديث الذى دار فى هذه الجلسة

أستاذنا الفاضل ـ ما هو

شعوركم بعد هذه الحياة العلمية الطويلة ؟

اشعر بأن حياتى الدراسية لم تنته ولقد سئل الامام سفيان الثورى عن الشيخ هل يحسن به ان يتعلم ؟ فقال — ما دام يحسن به ان يعيش فيحسن به ان يتعلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله استجابة لامر ربه قائلا — رب زدنى علما ، فانا للان أتعلم وأبحث وسأستمر كذلك — أن شاء الله — ما دمت على قيد الحياة .

من هو الانسان الذى ترضونه مثلا للحياة الفكرية الخالصة ؟

ان المسلم يهتدى دائما بالكتاب والسنة والصورة المثلى بالنسبة له انما هى صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هل وفق أحد فى محاولة أن تكون حياته صورة تماثل حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم ؟

نعم وفق بعض كبار الكتاب الاسلاميين فى ذلك من ابرزهم الامام الكبير حجة الاسلام أبو حامد الغزالى فهو الكاتب الذى أحب دائما أن أصور سلوكه ، وأن اصور آراءه للناس على انه شخصية اسلامية حاولت ما استطاعت، ان تقتدى برسول الله صلى الله علبه وسلم سلوكا وتوجيها ، وحياته الفكرية وتطوره فى آرائه واضح كل الوضوح فى كتابه المنقذ من الضلال وفى أماكن متفرقة فى كتبه المختلفة ونلاحظ ان حجة الاسلام يتحدث عن تطوره الفكرى هذا ، ليضع أمام القارىء المنهج الاسلامى المستقيم ولينتهى من رسمه وشرحه ، بأن الطريق الصوفى انما هو الطريق الذى يؤدى الى السعادة فى الدنيا والاخرة ، ويعرف الناس بأن الطريق الصوفى لا سلبية فيه وانما هو جهاد شامل عام .

* انه جهاد الشهوات من أجل ان تستقيم النفس .
* وجهاد للاسرة حتى تسير على الجادة .
* وجهاد فى المجتمع وهو ما عبر الاسلام عنه بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر وجعله من أصول الاسلام .
* وجهاد حربى ولقد كان الصوفية دائما من المرابطين على الثغور مستعدين لرد اى اغارة مفاجئة .
* ومن المعروف ان أرواحهم هينة عليهم فى سبيل الله ، وذلك انهم تحققوا بقوله تعالى « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة » انهم قد باعوا أنفسهم وباعوا أموالهم لله بثمن هو الجنة وهم قد تحققوا بهذا البيع بحيث أصبح لهم حالا وشعارا .

ما هى أهم كتب الامام الغزالى التى أثرت فيكم ؟

أهم كتب الامام الغزالى ثلاثة ، بحيث اذا لم يقرأ الانسان غيرها للامام الغزالى فانها تكفيه

أولها : وهو أهمها — كتاب احياء علوم الدين

وهو زاد لا غنى عنه للمسلم ، وفيه غناء عما عداه فيما يتعلق بصلة الانسان بالله ، وبصلته بأخيه المسلم

ثانيهما : هو كتاب تهافت الفلاسفة

الذى اراد من ورائه ان يوجه الناس الى القرآن الكريم حينما وجدهم منصرفين الى الفلسفة .

وثالثهما : هو كتاب المنقذ من الضلال .

الذى بين فيه كيف اهتدى الى الطريق المستقيم .

هل كتبتم عن الامام الغزالى شيئا؟

لقد درست الامام الغزالى دراسة مستفيضة فى تحقيق لكتابه المنقذ من الضلال فكتبت عنه عدة فصول وبينت منهجه واراءه وأثره .. وكانت دراستى له مكملة لما كتبه هو فى

كتابه هذا .. الذى حققته وعلقت عليهوطبعت منه فى العام الماضى الطبعة السادسة .

ما هى الكتب التى كانت ثمرة لجهودكم العلمى فى هذه الفترة ؟

لقد عالجت مختلف ألوان الانتاج العلمى :

* ففى مجال الترجمة ، ترجمت كتاب محمد رسول الله ، كما ترجمت كتبا فى الفلسفة والاخلاق

* وفى مجال تحقيق التراث ، حققت كتاب المنقذ من الضلال مع بحوث مستفيضة عن الامام الغزالى وعن التصوف .

وحققت كتاب الصدق لابى سعيد الخراز مع تعليقات كثيرة .

وحققت كتبا أخرى فى عالم التصوف ... الخ .

* وفى مجال التأليف — ألفت كتاب : الاسلام والعقل وهو كتاب يعبر عن اتجاهى الفكرى تعبيرا كاملا

وألفت كتاب . العبادة ، وكتاب القرآن والنبى صلى الله عليه وسلم وكتاب ، الاسلام والايمان ، وكتاب التفكير الفلسفى فى الاسلام ، وكتاب المدرسة الشاذلية الحديثة وامامها أبو الحسن الشاذلى وأخرى عن أبى العباس المرسى والسيد أحمد البدوى وكتبا أخرى ....

ما هو الطريق الذى تختاره فضيلتكم للدعاة فى هذا العصر ؟

أن يكون الداعى مؤمنا بما يدعو اليه ، عاملا بما يقول متمسكا ، بآداب الدين وأهدافه ، ملما بكل مشكلات العصر الذى يعيش فيه ، وان يكون على دراية بالتيارات الاجتماعية والثقافية والسياسية . قادرا على مجابهتها والرد عليها بالحكمة والموعظة الحسنة .

ما هو الشىء الجديد فى نظر فضيلتكم أن تقوم به الامة الاسلامية علميا وعمليا ؟

المحافظة على التراث الاسلامى مع تنقيته مما دخل فيه من الشوائب وما ينافى الدين واخراجه بصورة تلائم هذا العصر .

مقاومة التيارات المنحرفة التى تؤثر فى نفوس المسلمين هذا من الناحية العلمية . وأما من الجهة العملية فهو توحيد الصف وجمع الكلمة وتوحيد الهدف ومعاداة اعداء الدين وان يكون هناك تجمع اسلامى ضد التكتلات التى تعمل ضد الاسلام وتريد القضاء عليه . قال تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وان تشعر كل أمة اسلامية بشعور غيرها وتتألم لألمها عاملين بقول الرسول صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وقوله « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » .

تجتاح الشباب الاسلامى موجات من القلق والتمرد فما علاجكم ؟

ان القلق والتمرد نشأ عن عدم غرس التعاليم الدينية فى نفوس الشباب منذ نشأتهم وعن الجو المحيط بهم ، وأرى ان علاج مثل هذه الظاهرة هو :

١ — غرس التعاليم الدينية فى نفوسهم منذ نشأتهم .

٢ — ان تكون هناك مثل من الرواد المتمسكين بالدين وآدابه يحتذى بها الشباب ويراها أمامه فى البيت وفى المدرسة وفى الطريق .

٣ — تنقية الجو المحيط بالشباب من عوامل الفساد والانحلال الخلقى الخليع .

٤ — مراقبة ما يقدم للشباب من ثقافة عقلية وان تكون هذه الثقافة متمشية مع آداب الدين وخلق القرآن .



فضيلة الشيخ محمد الغزالى يلقى محاضرة فى مكتبة حوالى

مع الشيخ محمد الغزالي

كان صوته الهادىء المشبع بالغيرة على الامـة وتراثها يثير فى النفس أعمق المشاعر ويحرك فى القلب أقوى الدوافع للعمـل المخلص والبناء فى سـبيل أمة اسلامية ناهضة تجدد مجد الاولين وتعيد للحق جذوتـه المضيئة .

هذا هو صـوت الشيخ محمد الغزالى الداعية المؤمن الدائب على نشر دين الله واستسهال الصعب فى سبيله على طول اثنتين وخمسين سنة هى عمره المديد ان شاء الله وقد بدأ الدعوة منذ أن تخرج فضيلته من كلية أصول الدين سنة ١٩٢٨ م

وحصل عـلى تخصـص الـدعوة والتدريس معا وكان عمله الاساسى كما يقول فضـيلته فى الجامعات الاسلامية مع الجماهير فى القرى والمدن ومع مختلف طبقات الامة وكان يخطب منذ ٣٢ سنة وقد بدأ حياته الوظيفية أماما لمسجد ثم واعظا ثم مفتشا للمساجد ثم وكيلا للمساجد ثم مديرا للتفتيش ومديرا للمسـاجد ومديرا لقسم الاوقاف الاهلية ومراقبا للدعوة ثم مديرا لتدريب الائمة والدعاة وتحرص جامعة الازهر على انتدابه استاذا للدراسات العليا ومناقشـا فى لجان الامتحان للشهادات المتقدمة بالأزهر .

ـ ما هى المشكلة الرئيسية فى نظركم التى تجابه الدعوة الى الاسلام فى الوقت الحاضر .. ؟

ـ العالم الاسلامى يعانى أزمة دعاة بيقين وهذه الازمة ترجع الى أمرين :

١ ـ ان وظيفة الداعية فى نظرى أخطر الوظائف الدينية وعندى ان امام المسجد أو الواعظ العالم يؤدى عملا قد يكون مساويا ـ ان لم يكن ـ راجحا ـ على عمل الاساتذة فى الجامعات ورأيى أن الدعاة فى جميع الديانات والفلسفات الأخرى يختارون من طراز معين مشهود له بالنبوغ والاقتدار ، والاسلام وهو الذى تميز بأنه دين انطلاق ورعاية كان ينبغى أن يهتم بتكوين الدعاة اهتماما بالغا وتزويدهم بشتى المعارف الانسانية الى جانب الثقافات الدينية المتعددة حتى يمكن أن يؤدوا واجبهم بنجاح .

٢ ـ والسبب الثانى لأزمة الدعاة هو أن الغزو الثقافى للبلاد العربية قد جار على مكانة الثقافة الاسلامية وأحرج رجالها سواء عاديين أم ممتازين وكثير من الناس يكره أن يدخل مع المجتمع فى عراك ولذلك فان نفرا من العلماء الصالحين قد يفرون من ميدانها ويؤدون عملا آخر أقل كلفة وجهدا لانهم لا يريدون أن يتحملوا أثقال الدفاع عن الاسلام فى بيئات قد تنقص أقدار العاملين للاسلام .

ـ وما الحل الذى ترونه لعلاج هذه المشكلة ؟ ..

ـ الحل فى نظرى يكمن فى أمرين :

الأول .. يجب أن يوفر الازهر الحصانات التى تحول بين سببى المشكلة وبين نتائجهما الوخيمة فيبذل مجهودا أضخم لتخريج دعاة على جانب عظيم من الكفاية العلمية والخلقية .

والثانى : ضرورة ايقاظ الامة وتنبيهها الى احترام دينها ودعاة دينها فان الدين أصبح للمسلمين لا ضمانا لآخرتهم فقط ولكن سياج حياتهم الحاضرة فاذا انهار الدين لم يبق للعرب الا أن يعيشوا عبيدا لاسرائيل ومن هم وراء اسرائيل وخير للمسلمين أن يلتفوا حول دعاتهم وأن تكون مكانة هؤلاء الدعاة بينهم فى هذا الوقت بالذات أعظم من مكانة أمثالهم

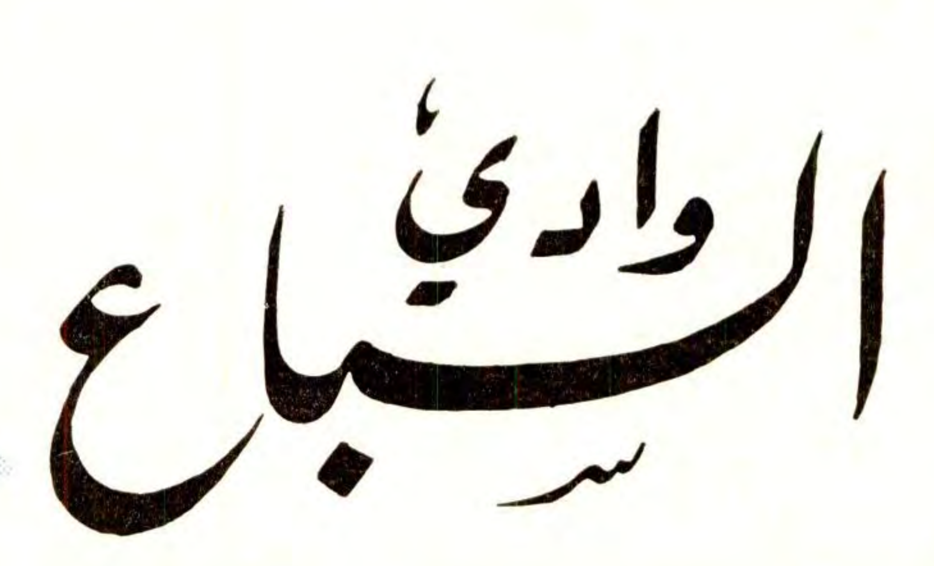
ـ اذن نقول أن أساس الاصلاح فى الأديان والبيئات الاخرى .
يجب أن يكون هو الاسلام .
ـ والاسلام وحده .

ـ ولكن ما هى الصعوبات التى تقف دون هذا الحل ؟

ـ قيام بعض الاحقاد الشخصية والطائفية والاختلاف فى الأنظمة الاجتماعية والسياسية وعندى انه لو صارحنا أنفسنا وعملنا بايمان وشجاعة لتجمع العرب والمسلمون على الأساس القديم الذى تكونت عليه الامة الاسلامية الكبرى .

أما الاقليات الدينية فهى فى دار الاسلام تحتفظ بعقائدها وشعائرها ولا تضار فى شىء من مقدساتها ولكنها تحمل بالتعبير الحديث جنسية اسلامية فى الوطن الاسلامى الكبير اذ أن لها ما للمسلمين وعليها ما على المسلمين .

وتتمة هذا اللقاء وما جرى فيه من حديث فى العدد القادم ان شاء الله .


وادي السباع

قصة اسلامية قصيرة

للمرحوم الاستاذ على أحمد باكثير

(فى كوخ الشيخ ماجد المسلمى فى جانب مرتفع من الوادى)

سعدى : هل بلغك يا أبا ليلى ان شابا آخر قد هبط وادينا ليتعبد فيه ؟

ماجد : نعم قد لقيته أول من أمس .

سعدى : لقيته يا أبا ليلى ؟ تقول لقيته ؟

ماجد : نعم لقيته . ما خطبك يا سعدى؟ ماهذه اللهفة فى سؤالك ؟

سعدى : لا شىء يا أبا ليلى . أحببت ان أعلم أين لقيته وكيف ؟

ماجد : أين وكيف وماذا يعنيك من ذلك ؟

سعدى : يعنينى ويعنيك يا أبا ليلى .

ماجد : كلا يا سعدى لا يعنينى مثل هذه التوافه .

سعدى : تذكر يا أبا ليلى ان عندك ابنتين بالغتين .

ماجد : وأى باس فى ذلك ؟ انهما ترعيان الغنم معى كل يوم .

سعدى : الم تلحظ عليهما أنهما قد نمتا واستوتا وصارتا كالثمرتين الناضجتين ؟

ماجد : ان كان أمر زواجهما هو الذى يكربك يا سعدى فاطمئنى فان عمهما اسامة سيزوجهما لابنين من أبنائه .

سعدى : أما زلت تحلم باخيك اسامة وابنيه ؟

ماجد : انه وعدنى يا سعدى ولن يخلف وعده .

سعدى : ان اخاك واهله وابناءه يقيمون فى سرة المدينة فما الذى يدفعهم الى اختيار ابنتيك ؟

ماجد : انه هو الذى طلب منى يا سعدى ولم اطلب انا منه ذلك .

سعدى : كان كلاما قاله لك منذ سنتين ولم يجدده بعد ذلك فكيف تعتمد عليه ؟

ماجد : انه لن يجد خيرا منهما لابنيه .

سعدى : لا غرو ياأبا ليلى أن تقول هذا عن ابنتيك . أما عندهم فانما هما راعيتان لا تصلحان الا للمرعى .

ماجد : كأنك تلمحين يا سعدى ان تزوجى ابنتيك لهذين العابدين المتنسكين ؟

سعدى : نعم وان كان أحدهما أسود اللون كأنما كان أصله من بلاد الحبشة .

ماجد : ذاك حقا حبشى اسمه حممة .

سعدى : حممة ؟ ألم تجد أمه اسما لـــه خيرا من هذا ؟

ماجد : صه كفى لسانك عنه فانه رجـــل عابد يصلى فى اليوم والليلة ثمانمائة ركعة .

سعدى : ثمانمائة ركعة ؟

ماجد : هكذا بلغنى يا سعدى .

سعدى : لا بد انهم تزيدوا عليه العدد والا فلن يستطيع أن يفرغ لشىء بعد ذلك .

ماجد : انك يا هــــذه تريدين أن تصرفى الناس على هواك لا كما خلقهم ربهم .

سعدى : هب ان ما سمعت عنه صحيح فانما يصلى ثمانمائة ركعة لانه لا يجـــد ما يشغله فى يومه وليلته .

ماجد : يا أم ليلى هـــذان العابدان لا يصلحان لابنتيك .

سعدى : على رسلك يا أبا ليلى ما حدثتك عن الثانى بعد أما هذا الثانى فانه شـــاب جميل الصورة قوى البنية لا يعيبه شىء

ماجد : لكنه عابد متنسك أيضا مثل الاول يا سعدى .

سعدى : سبحان الله وهل العبادة والتنسك عيب يا أبا ليلى ؟

ماجد : معاذ الله ما أردت ذلك يا سعدى وانما أردت انهما لا يرغبان فى الزواج .

سعدى : وما يدريك ؟

ماجد : انهما هجرا المدينة وهبطا هــــذا الوادى الموحش وادى السـباع فرارا من الناس الى الله لينقطعا لعبادتــه ولا يلتفتا لشىء فى الدنيا فما بالك بالزواج . ؟

سعدى : الزواج سنة رسول الله يا ماجد فكيف يتعبدان لله ويمتنعان عن سنة رسول الله ؟

ماجد : لعلهما قد تزوجا من قبل ولعل لكل منهما زوجته فى المدينة .

سعدى : ذاك شىء لا يعنينا يا أبا ليلى . كل ما يعنينا ان امرأتيهما لم تاتيا معهما الى الوادى .

ماجد : هل يعقل عندك ان يهربـــا من امرأتيهما فى المدينة ليتزوجـــا ابنتيك فى الوادى ؟

سعدى : ماذا يمنع ؟ انهما يكرهان المدينة ويعشقان الوادى .

ماجد : اغلب الظن انهما لو آنســا رغبة فى تزويجهما فسيفران من وادينا هــذا الى واد آخر .

سعدى : لماذا ؟ لان ليلى وسلمى دميمتان ؟ اين يجدان مثل ليلى وسلمى ؟

ماجد : ليلى وسلمى ليستا بدميمتين ولكن هذين الرجلين لا يرغبان فى الزواج .

سعدى : ما يدريك يا رجل ؟ جرب ولو مرة واحدة . ماذا يمنعك أن تجرب ؟

ماجد : أجرب ماذا ويلك ؟

سعدى : تعرض ليلى وسلمى عليهما .

ماجد : أقول لهما تعاليا فتزوجا ابنتى ؟

سعدى : آه ليتنى كنت رجلا . انت تزورهما أولا لترحب بهما فى الوادى وتقول لهما اذا احتجتما الى أى شىء من الماعون أو غيره فنحن نعيره لكما . ثم تدعوهما لزيارة منزلك وتعلمنا من قبل لنصنع لهما طعاما جيدا فاذا اثنيا على الطعام فقل : هذا بعض الالوان التى تجيد طهيها ابنتاى ليلى وسلمى .

ماجد : لا بارك الله فيك يا اسامة . ما كان ينبغى ان تحوجنى الى كل هذا .

٢

(فى شبه مصلى يفصل بين كوخ حممـــة وكوخ عامر)

عامر : هل لى ان أكلمك يا أخى فى الاسلام فقد مكثت هنا أربعين يوما وليلة وأنا أهم أن أكلمك فلا يطاوعنى لسانى خشية أن اشغلك عما أنت فيه ؟

حممة : هكذا كان حالى أيضا معك .

عامر : الحمد لله نحن اذن متوائمان فمن أنت رحمك الله ؟

حممة : أنا رجل من المسلمين .

عامر : واسمك ؟

حممة : هل يهمك ان تعرف اسمى ؟

عامر : نعم .

حممة : الا يكفى ان تعرف اننى أخ لـــك مسلم ؟

عامر : الاسم كالسلام يزيل الوحشـــة ويشيع السكينة والطمأنينة .

حممة : اسمى حممة .

عامر : حممة ؟ أنت حممة ؟

حممة : نعم الا تصدقنى ؟

عامر : لئن كنت حممة الذى سمعت كثيرا عنه لانت أعبد من فى الارض .

حممة : استغفر الله . انى لمقصر بعد .

عامر : اتشتهى ان تزيد فى اليوم والليلة على ثمانمائة ركعة ؟

حممة : اشتهى ان لو لم تكن هناك مواقيت للصلاة .

عامر : كيف يا حممة ؟

حممة : هذه المواقيت تقطع على القيـام والسجود فلولاها لاحببت ان أجعـــل عمرى كله ركوعا لله وسجودا حتى القاه .

عامر : تريد أن تقتصر عـــلى الزبـدة والخلاصة . ؟

حممة : نعم فان عمرنا فى دار العمـــل قصير .

عامر : صدقت والله يا حممة .

حممة : وأنت انك لم تخبرنى باسمك .

عامر : أنا عامر بن عبد قيس .

حممة : أنت عامر بن عبد قيس ؟

عامر : أجل .. هل سمعت بى من قبل ؟

حممة : سمعت بـك كثيرا لئن كنت اياه لانت أعبد الناس .

عامر : استغفر الله . انى والله ما اصلى صلاتك ولا نصفها ولا ربعها .

حممة : أما انها ليست بعدد الركعات ولكن بالصدق والخشوع والاخلاق فبالله الا ما اخبرتنى كيف تعمل وما أرجى عمل عنك ؟

عامر : ان كان عندى شىء أرجو أن يقبله الله منى فهو ان هيبة اللـــه قد عظمت فى صدرى حتى ما أهاب شيئا غيره كـائنا ما يكون .

حممة : حتى هذه السباع التى تسـمع زئيرها احيانا بالليل .

عامر : نعم حتى تلك السباع .

حممة : هل جربتها يا عامر ؟

عامر : نعم جربتها غير مرة . كان يظهر لى السبع فأثب عليه من خلفه فأضع يدى على منكبه فيتشممنى ثم يذهب .

حممة : ولا يهولك ذلك ؟

عامر : انى لاستحى من الله عز وجل أن أهاب غيره .

حممة : الحمد لله من اليوم فصـــاعدا سنتعاون على طاعة الله دون أن تشغلنى أو أشغلك

عامر : أجل فلكل منا ما يشغله .

٣

سلمى : هل بلغك يا ليلى ان أبانا ذهب الى هذين الشابين العابدين ؟

ليلى : لعل أمنا هى التى دفعته الى ذلك

سلمى : أجل ما زالت به حتى رضى وهو مرغم .

ليلى : لكن أمرا واحد لا تعرفينه أنت يا سلمى .

سلمى : ما هو ؟

ليلى : انى أنا التى حرضت أمنا لتكـلم أبانا فى ذلك .

سلمى : احقا يا ليلى ؟
ليلى : اسأليها .
سلمى : يالك من شيطانة .

٤

عامر : حممة ماذا ترى فيما عرضه علينا الشيخ ماجد ؟

حممة : انه انما لمح ولم يصرح
عامر : فى مثل هذه الشئون يا أخى يغنى التلميح عن التصريح .

حممة : لا حول ولا قوة الا بالله . انما هبطنا هذا الوادى لنفر من مثل هذا .

عامر : أجل ما كنا نظن أن مثل هذا الراعى يقيم على مقربة منا .

حممة : ما رأيك لو هربنا الى مكان آخر ؟
عامر : أنا جربت أماكن كثيرة فما وجدت اهدأ ولا أصلح من هذا المكان .

حممة : والشيخ ماجد ؟
عامر : مثله موجود فى كل مكان وهـــذا شيخ صالح يعرف الله ويخشاه .

حممة : لكن ماذا نصنع معه . ؟
عامر : الا تستطيع أن نجد لابنتيه شابين أصلح منا فيتزوجاهما مكاننا ؟

حممة : فى هذا خلاص لنا لو كان اليه سبيل ؟ أولا تظن ان الشيخ اباهما كان أقدر منا على ذلك ؟

عامر : صدقت يا حممة .
حممة : آه متى نتخلص من هذه المتاعب ؟
عامر : خبرنى يا حممة ما غايتنا من فرارنا هذا من الناس ؟ اليست هى الانقطاع الى الله بغية القرب منه ؟

حممة : بلى .

عامر : فهل نحن على يقين ان ما نحن فيه هو خير سبيل الى غايتنا المبتغاة ؟
حممة : ما خطبك يا عامر ؟ أشكا بعد يقين ؟

عامر : كلا يا حممة بل عين يقين بعد يقين (علم احاطة بعد علم وفوق كل ذى علم عليم)

حممة : اكان هذا كله من أثر الشيخ ماجد؟
عامر : أجل لقد كان لكلام هذا الشيخ ما فتح عين بصيرتى على حق الحق فجعلت أنظر فى حالى وفى حاله واوازن بينهما أى الحالين أحرى أن يدنى صاحبه الى الله فوجدت انه أفضل منى فى كل شىء .

حممة : ماذا تقول يا عامر ؟ كيف ؟
عامر : وجدت أولا انه رجل يعمل لغيره ويطعم أفواها غير فيه وأنا لا أعمل الا لنفسى ولا اطعم غير فمى .

حممة : تعنى سعيه على اهله وعياله ؟
عامر: نعم .
حممة : اتريد ان تقول يا عامر ان كل ذى أهل وعيال من المسلمين أفضل منى ومنك ؟

عامر : نعم اذا اتقى الله مثل صاحبنا الشيخ .

حممة : واضيعتنا اذن يا عامر
عامر : ووجدت ثانيا انه يقدم الى الناس ما ينفعهم فى معاشهم من غنم ولبن وسمن . واقط وصوف ووبر وانا وأنت لا نقـدم لهم شيئا .

حممة : سبحان الله انما يعملون ذلـــك لانفسهم طمعا فيما يدره عليهم من منفعة وربح
عامر : هذا لا ينفى أنهم ينفعون النـــاس من حيث لا ننفعهم بشىء .

حممة : كان يكون ذلك أيسر علينا واسهل لو شئنا أن نكون مثل الآخرين .
عامر : ما احسب ان اللـــه يحب منا احساسنا هذا بأننا فوق الاخرين .
حممة : ويحك يا عامر انك تريد أن تحطم لنا كل شىء .

عامر : وادركت ثالثا ان صاحبنا الشيخ لا يحسب على الله شيئا مما يعمل كما نفعـــل نحن اذ نجعل على أنفسنا فى اليوم والليلة كذا وكذا ركعة . وكذا وكذا تسبيحة وتحميدة
حممة : حسبك يا عامر . حسبك .

عامر : ورابعا انه يتصدق بشىء من كسبه على الفقير والمسكين وعابر السبيل ونحن لا نتصدق بشىء .

حممة : لو كنا نكسب شيئا يا عامر لتصدقنا

عامر : فهو أفضل منا بالكسب وبالصدقة .

حممة : أعندك شىء تقوله بعد ؟

عامر : نعم .. انه لا يضـــن على عابر السبيل بما يحتاج اليه من ماء أو طعام ونحن نضن عليه اذا طلب منا شربة ماء بالوقت الذى ننفقه فى اسقائه حتى لا تضيع منا ركعة أو تسبيحة .

حممة : ليتنى ما لقيتك يا عامر ولا رأيتك

عامر : أما انا فاحمد اللـــه ان لقيتك وصحبتك فما كنت لأهتدى الى ما اهتـديت اليه اليوم لو لم أكن رايتك وتحدثت معك .

حممة : لقد كنت مطمئن النفس فى هـذا الوادى اذ كنت وحدى حتى جئت أنت فاثرت قلقى وبلبالى .

عامر : ويحك يا أخى لان يكون الشيطان ثالثنا اهون لنا من أن يكون ثانى كل منا ففى الاولى نحن اثنان على واحد وفى الثانية ينفرد بكل منا وحده .

حممة : اخشى يا عامر الا يكون الشيخ ماجد هو الذى الهمك هذا بل ابنتاه

عامر : ان أردت الحق يا حممة فالشـيخ الهمنى وابنتاه أيضا الهمتانى .

حممة : ارأيتهما يا عامر ؟

عامر : كلا ما رأيتهما .

حممة : فكيف الهمتاك ؟

عامر : قال لى أبوهما وهو يحاورنى ان كان كل شاب مسلم يمتنع عن الزواج مثلكما فماذا يصنع أرباب البنات مثلى ؟ لمن يزوجون بناتهم ؟

حممة : فماذا قلت له ؟

عامر : قلت له اذا كنا نحن امتنعنا عن الزواج لنتفرغ لعبادة الله فقل من الشباب من يعمل عملنا فافتراضك هذا غير قائم .

حممة : احسنت والله الرد .

عامر : ولكنه قال لى : ليس فى هـــذا الوادى غيرك وغير صاحبك فاذا امتنعتمـا انتما عن الزواج فكانما كل شاب مسلم قـد امتنع فلمن أزوج ابنتى ليلى وسلمى ؟

حممة : فلم تجبه بشىء ؟

عامر : بلى قلت له : هب اننا ما هبطنا هذا الوادى ألبتة فلمن كنت تزوج ابنتيـك ؟

حممة : احسنت والله يا عامر .

عامر : لكنه أفحمنى وأبطل حجتى .

حممة : ماذا قال لك ؟

عامر : قال : ان لله حكمة فى كل شىء ولعله ما ساقكما الى هذا الوادى الموحش لتتعبدا فيه الا ليجعل منكما لابنتى البالغتين زوجين صالحين .

حممة : كانك تريد أن تتزوج احداهما يا عامر ؟

عامر : على ان تتزوج أنت الأخرى .

حممة : وانقطاعنا لعبادة الله ؟

عامر : سيبقى كما كان وأفضل .

حممة : بل سيشغلك عنها مالزوجك من حق عليك .

عامر : لكن قيامك بهذا الحق ســـيكون عبادة يؤجرك الله عليها ويثيبك

حممة : والله ما أدرى اتدعونى الى خير يا عامر أم الى شر .

عامر : فى سنة رسول الله صـلى الله عليه وسلم ما يزيل اللبس عنك . قال صلى الله عليه وسلم : النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى .

حممة : هل دار بخلدك يا عامر من أين نمهرهما ثم من أين ننفق عليهما ؟

عامر : ان لنا فى موسى اذ تزوج ابنـــة شعيب عليهما السلام لاسوة حسنة .

حممة : اتريد منا أن نعمل لابيهما راعيين ؟

عامر : نعم .

حممة : ونترك عبادة ربنا ؟

عامر : بل نعبده خيرا مما كنا نعبده .

حممة : كيف ؟

عامر : سنعمل لغيرنا كما نعمل لانفسنا ونقدم للناس ما ينفعهم فى معاشهم . ونتصدق بما يفضل من كسبنا ونحصن فتاتين مسلمتين وننجب منهما ان شاء الله ذرية صالحة طيبة يعبدون الله ويدعون لنا بخير .

— ٥ —

ليلى : (تنادى فى خوف وقلق) عامر ! يا عامر ! السبع وراءك يريد ان يفترسك !

حممة : صه . دعيه يا ليلى لا تهيجيه فانه لن يؤذى زوجك .

ليلى : لكن زوجى ليس فى يده سلاح .
حممة : سلاحه فى قلبه يا ليلى هيبة الله.
عامر : (يسمع صوته من بعيد) ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود .

سلمى : انظرى يا ليلى ان السبع يتشممه
ليلى : وعامر يضع يده على منكبه .
سعدى : الحمد لله يا بنيتى . قد ذهب عنه دون ان يؤذيه .

ليلى : اوقد ذهب عنه حقا ؟
حممة : أجل .. ها هو ذا قد أقبل عامر .
عامر : ما خطبك يا ليلى ؟ أوقد خشيت ان يأكلنى السبع ؟

ليلى : أى والله يا عامر .
سعدى : كلنا يا بنى اشفق عليك منه .
ماجد : الحمد لله اذ نجاك الله منه يا بنى
عامر : اذا رايتموه يقترب منى مرة أخرى فاتركوه ولا تهيجوه فذلك احرى ان يكفه عنى فلا يؤذينى .

حممة : انا قلت لهم ذلك يا عامر فلم يصدقونى .

عامر : لانك أنت نفسك كنت فى ريب من أمرى يا حممة .

حممة : أجل كنت فى الحق أخشى عليك منه وأنما تجلدت أمامهم لاثبت قلوبهم .

ماجد : يا سعدى يا ليلى يا سلمى تعالين معى لندع عامرا وحممة يفرغان قليلا لعبادة ربهما .
ليلى : الا نصلى المغرب يا ابى معكم جماعة ؟

ماجد : بلى .. عندما يحين وقت المغرب يا بنتى (ينسحبون)

عامر : الم تر يا حممة الى حدب الشيخ علينا وحرصه على رضانا حتى انه ليطرد أهله وبناته عنا لنفرغ للعبادة ؟

حممة : أجل ما اكرمه وما احناه ولكن الوقت الذى يخلص لنا لنتعبد فيه أضحى أقل من القليل .

عامر : أنادم أنت على ذلك بعد ؟
حممة : شيئا ما . وددت يا عامر لو كان شطر اليوم فى الرعى وشطره فى العبادة .

عامر : الليل كله لك . الا يكفيك الليل ؟
حممة : فى الليل حقوق أخرى يا عامر لنفسك ولاهلك .

عامر : ان شئت كلمت لك الشيخ فاعفاك من الخروج معنا الى المرعى وبقيت هنا تحرس الكوخ وتتعبد ؟

حممة : ويلك يا عامر الست تعتقد ان الرعى عبادة .

عامر : بلى انه لكذلك .
حممة : فلم تريد ان تحرمنى ثواب ذلك ؟
عامر : لا والله انى لاحب لك الا ترتاب بعد فى الحق الذى أرانا الله اياه .. اننا اليوم فى عيشنا هذا الجديد أقرب الى رضوان الله مما كنا فيه أمس .

حممة : أجل يا عامر لقد كنت فى ريب من ذلك بل كنت أعتقد اننا قد أضعنا كثيرا مما كنا قد احرزناه بالانقطاع والمجاهدة الى ان شهدت بعينى حادث اليوم .
عامر : تعنى حادث السبع ؟
حممة : أجل فايقنت اننا لم نفقد مما احرزناه بل كسبنا الوانا أخرى من رضوان الله ان شاء الله .

عامر : الحمد لله يا أخى . الآن استقام لنا السبيل فى وادى السباع .

(ستار)

لقد أضعنا الحزم وأسأنا التدبير ، والعدو فى يقظة دائمة حتى أصبحنا أضحوكة يتندر بها . فلو استجمعت الأمة قواها ، واتخذت حيطتها ، وجندت واحدا بالمائة من أبنائها التجنيد الحديث لكفى ذلك لردع عدوها ، واذا ما احتجزت خمسة بالمائة من مجموع دخلها العام لاستطاعت أن تملك السلاح الذى يكفل لها التفوق فى العدة ، والسلاح المعنى لا ما عفى عليه الزمن أو كاد ، فهذا عدمه خير منه ، وانما السلاح فى المفهوم القريب ، وليس النصر فى الحرب وليد قوى مادية ، بل هو مع ذلك وليد قوى معنوية .

وانه لمن المجدى أن نصحو من ذلك السبات الذى صاحبنا وصاحبناه ، وألفناه حتى لم نعد نرضى بغيره بديلا ولا بسواه رفيقا ، وحتى خادعنا أنفسنا وغالطنا الحقائق ، ورضينا بالأقوال وحتى الأقوال لم تكن فى حد ذاتها منطقية أو ذات هدف قيم ، وانما كانت هراء لا يجدى نفعا ولا يفيد حصيلا .

ومن المؤسف حقا أننا الى الآن وبعد كل ما وقع نسير فى الطريق المعوج غير المستقيم ، ونتجه الى التوافه والى ما يجعلنا نتهاون بالعقل والمنطق ، ونسىء الى أنفسنا وقيمنا ، ونسعى لتهديم كل ما يدعو لرفعة أمتنا واعلاء شأنها .

أمتنا ذات ماض عظيم ، وقد انقطع ما بينها وبين عظمتها الا خيوط ضعيفة ، والامم اليوم قد خطت خطوات بعيدة المدى نحو المدنية والتقدم العلمى ، ولسنا فى حاجة لتبيين بعدنا عن ذلك الركب فحالنا ووضعنا يشهدان علينا .

أمتنا أثبتت حيويتها وقدرتها رغم ظروف الزمن وتوالى النكبات وترادف العلل ، فهل باستطاعتنا أن نثبت بأننا جديرون بأن نكون أبناء لهذه الأمة ؟





يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها ..

فى الزكاة

السؤال :

عندى (٢٠٠) دينار ادخرتها للضرورات والظروف الطارئة للعلاج من مرض ينتابنى أو أحد أفراد أسرتى ، ولتجهيزى عند موتى أو احد أولادى ، فهذا المبلغ ليس فاضلا عن حاجتى ، فهل تلزمنى زكاته كل عام ؟

الاجابة :

هذا المبلغ فائض عن حاجتك وحاجة من تلزمك نفقتهم ، والمقصود بالحاجة الاكل والملبس والسكن وغيرها من المطالب الحالة كنفقات التعليم وعلاج المرض الواقع ، ومتى كان هذا المبلغ فائضا عن هذه المطالب وجبت زكاته كل عام ، ويلزمك اخراجها حتى تبرأ ذمتك وتطهر نفسك قال تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » .

والمصارف المنتظرة التى تدخر هذا المبلغ لها وهى علاج مرض ينزل أو تجهيز ميت قد يحين أجله قريبا أو بعيدا لا ترفع عنك وجوب الزكاة فأخرجها طيبة بها نفسك طالبا المعافاة من الامراض من ربك ، وفى الاثر « داووا مرضاكم بالصدقة » وسيقيض الله لك عند الوفاة من يقوم بالتجهيز ، وهو أمر واجب على الاحياء عند الحاجة ، ولم نشهد فى تاريخ الدنيا كلها أن انسانا كائنا من كان مات وترك فى العراء لفقره فاستمطر عفو الله ورحمته وعونه بالزكاة .

السؤال :

عندى مؤسسة لتعليم الآلة الكاتبة ، فيها عدد من الآلات يزيد ثمنها عن ألف جنيه ، فهل يجب على اخراج الزكاة كل عام عن قيمة هذه الآلات ؟

الاجابة :

هذه الآلات والاجهزة ما زلت لا تتجر فى أعيانها ، فلا زكاة فى قيمتها مهما بلغت ، أما ما تحصله من أجر استعمالها فى التعليم فان فضل منه بعد نفقاتك ونفقات من تلزمك نفقاتهم قدر يبلغ نصابا وحال عليه الحول — فانه يجب عليك اخراج الزكاة عن هذا المبلغ الفاضل .

واذا كانت هذه الآلات والاجهزة قد اشتريتها لتتجر فيها فانها حينئذ عرض تجارة ، ويزكى عنها جميعا كل حول .

السؤال :

أنا مسلمة والحمد لله ، ولى مال تجب فيه الزكاة ، فهل يجوز أن أعطى من هذه الزكاة أولاد ابنى الفقراء مع العلم بأن والدهم فقير ؟

الاجابة :

المقرر شرعا أن الجدة ليست ملزمة بالنفقة على أولاد ولدها الفقراء ، ولهذا يجوز لك أن تعطيهم من زكاة مالك ، وهم أولى ولك أجران أجر الزكاة وأجر صلة الرحم .

فى الميراث

السؤال :

توفى رجل وترك زوجة وبنتين وابن ابن ، فما نصيب كل منهما ؟

الاجابة :

لزوجة المتوفى ثمن التركة فرضا ، وللبنتين الثلثان فرضا ، والباقى لابن الابن تعصيبا والله أعلم .

ستر الجنـــاية

السؤال :

اتفق رجل مع آخر على أن يدس السم لشخص كانت بينـــه وبين الاول خصـــومة ثم انكشفت المؤامرة ، واعترف الرجلان بالجريمـــة ، ثم تدخل أهل الخير ، وطلبوا من المحرض أن يدفع مبلغا من المال ترضية للشخص الذى كـــان يراد قتله بالسم واذا لم يدفع بلغ أمره للنيابة ، فهل يعتبر هذا المبلغ حلالا فى نظير العفو يجوز أخذه ؟

هـ . م . الكويت

الاجابة :

هذا شروع فى القتل بالسم ، وهذا الشروع لا يثبت حقا للمشروع فى حقه وانما الحق فى هذه الحالة للحاكم ، ويجب تبليغه وعدم التبليغ حرام ، وأخذ المال حرام .



يعبرون فيه عن أفكارهم
دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

غزو القمر

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ عبد الخالق عبد الرحمن يقول :

ان غزو القمر بالنسبة للكون الواسع الارجاء لم يعد شيئا مذكورا اذ أن فى هذا الكون ما يحتوى على نجوم (جاهزة) ونجوم فى (دور التكوين) وأن السديم الواحد يحتوى على أكثر من ألف مليون نجم ، وأن عدد هذه السدائم كبير جدا يزيد على المليونين ، ومن الغريب أن الفلكيين يرون أن معلوماتهم عن الفضاء ليست شيئا بالنسبة الى الاجزاء المجهولة وأن الاقسام المعروفة منه ليست الا جزءا زهيدا بالنسبة الى اتساع الكون وعظمته .

ان البحوث الطبيعية بمساعدة قوانين (الرياضيات العالمية) تؤكد أن الاصطدام نادر الوقوع ، فالفضاء واسع جدا ، وهو أوسع مما يتصور الانسان ، وقد نعجب اذ نرى أن هذه الملايين من ملايين النجوم والسدم لا تشغل الا جزءا صغيرا من الفضاء ، وأن معدل المسافة التى تفصل أى نجم عن آخر تقدر بثلاثمائة مليون ميل هذه المسافة تجعل الاصطدام بعيد الوقوع غير محتمل .

يسير النور بمعدل سرعة (١٨٦٣٠٠) ميل فى الثانية ، وعليه يمكنه أن يدور سبع مرات حول خط استواء الكرة الارضية خلال ثانية واحدة ، وهو يستغرق ثمانى دقائق تقريبا ليصلنا من الشمس وأربع ساعات ليصلنا من لبتون ، وما يزيد على الاربع سنوات ليصلنا من أقرب نجم ثابت الى الشمس ، وأن النور الذى تشاهده آتيا من النجم القطبى يكون قد تركه منذ أربعين سنة تقريبا ، وهنالك نجوم لا يصلنا ضوؤها بأقل من مائة ألف سنة ، وقد يكون هنالك نجوم اندثرت غير أن ضوءها لم يصلنا بعد .

ولذلك فان الله سبحانه وتعالى استرعى انتباه الذين يشكون بعظمته وقدرته الى الكون فقال : (ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) .

ويظهر لنا مما تقدم أن المسافات التى تفصل بين الاجرام السماوية شاسعة جدا قد لا يستطيع العقل البشرى تصورها ، وأن الكون أعظم مما نتصور ، وأنه كلما تقدم الانسان فى ميدان المدنية على اختلاف مناحيها العلمية تنجلى له عظمة هذا العالم ، وروعة هذا الكون ، كما تنجلى له غرائبه مما يخلب اللب ، ويدهش العقل ويحير الفكر .

قد يقول بعض الناس أن الانسان ، بغزوه القمر قد استطاع أن يصل الى نقطة قد تساعده على فهم أسرار هذا الوجود ، وعلى الكشف عن غوامضه والوقوف على حقيقته ، ولكن كلما تقدم الانسان فى الكشف عن قوانين الطبيعة ، وتفهم أسرارها رأى نفسه أمام أسئلة عديدة لا يستطيع الاجابة عليها ، وقد زاد اعتقادا بضآلته وجهله ، وبأنه لم يكتشف شيئا بعد ، وأنه لا يزال فى فجر يقظته العقلية ، وفى أول مراحل التفكير الجدى للوقوف على أسرار الوجود ، وكلما قلب بصره فى هذا الفضاء وزاد معرفة به شعر بأن الوداعة تقترب منه ، وأن

من الواجب عليه أن يكون فى الذروة العليا من التواضع وسمو الخلق .

والذى لا شك فيه أن هذا الكون لم يوجد من تلقاء نفسه اذ لو كان كذلك لما رأينا فيه (أى فى الكون) هذا النظام وهذا التنسيق ، بل أن هنالك قوة خارقة منسقة منظمة لا يحيط بها عقلنا بل هى تحيط بنا ، وبهذا الوجود من جميع نواحيه أوجدت هذا الكون الاعظم وجعلته يسير ضمن نواميس ثابتة ، ومهمتنا نحن البشر أن نزيد من معارفنا عن هذه النواميس ، ونبحث فى أصولها ، وكلما زدنا معرفة بها زدنا اعتقادا بقدرة الله الخارقة المنظمة ، وايمانا بعظمته وقوة ابداعه ، وظهر لنا بجلاء مقام الانسان فى الكون الذى لم يخلق باطلا .

هذا الاعتقاد وذلك الايمان اذا رسخا عن طريق الدرس والبحث فانهما يسموان بصاحبهما الى عالم أسمى من عالمنا ، وفى هذا لذة روحية ، وهى أسمى أنواع الملذات « ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » صدق الله العظيم .

ماض وحاضر

للشاعرة حليمة محمد عوض الزبن ــ الاردن

سائل العرب أين أضحت قواها — هل تلاشت فلا نعود نراها
أم وجدنا القتال مرا فعدنا — لا نطيق الحراب نخشى لظاها
أم أردنا الحلول سلما وأمنا — نبتغيها ولا نريد سواها
بئس سلما يقر للخصم شبرا — فوق أرض نعيش فوق ثراها
أم طريق الرسول بات قديما — فاندفعنا نغير الاتجاها
فابتعدنا عن الطريق وتهنا — فى سواد ظلامه ما تناهى
ومضينا فلا انتصارا أصبنا — ذات يوم ولا احتراما وجاها
فانطلقنا لمجلس الامن نبكى — مذ صدمنا فما أعار انتباها
فاستبد العدو فى الارض يبغى — يوم أزرى بأمتى وابتلاها
واستهان البقاء فى القدس لما — قد رآنا نهون حين غزاها
شرد الناس عن ديار وأرض — ثم أقصى عن كل أم فتاها
أى وهن أصابنا أى ذل — نترك القدس مستباح حماها
حين صرنا اذا دعينا لحرب — نتولى محملين أساها
حقق الخصم ما يريد وظلنا — فى كثير الكلام نلوى الشفاها
ليت شعرى أنحن نغدو ضعافا — وقديما بنا الرسول تباهى
وقديما تطوح البغى حتى — ما تركنا بأمة مثواها
ونجوب البلاد شرقا وغربا — فالفتوحات ما تكل خطاها
وبعثنا الغزاة فى كل فج — ما حسبنا العداة الا شياها
وعرفنا الجهاد فرضا فرحنا — ننشد الحرب حيث دارت رحاها
ويثير الحماس فينا اعتقاد — ليس يثنى الغزاة عن مبتغاها
وأطعنا الاله حقا فسدنا — وبلغنا من المنى منتهاها
أين منا كخالد الامس يطوى — أرض كسرى بليلة وضحاها
أين منا كطارق بن زياد — يوم هد الجبال خاض المياها
لو نهجنا طريقهم ما كبونا — ولعدنا ببأسنا لا نضاهى
ما هزمنا بجهد خصم ولكن — قوة الله عهدنا قد أباها



كثر الحديث عن التصوف والصوفية فمن مؤيد له ومن منكر عليه وأمام هذين الاتجاهين نقف حيارى لا ندرى أيهما أصوب .

لهذا نريد توضيحا اسلاميا حقيقيا عن حقيقة التصوف والصوفية ولكم الشكر .

خالد عبد الرحمن ـــ لبنان

التصوف بين المؤيدين والمنكرين

وقد تفضل الدكتور عبد الحليم محمود ، الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالرد على هذه الرسالة :

اننا نشكر للأخ السائل اهتمامه بتحرى الحق ونشكر لمجلة الوعى الاسلامى الغراء اهتمامها باظهار الحقيقة فى هذا الموضوع الذى كثر الحديث فيه .

وأول ما نبدأ به بيان رأى أئمة التصوف فيما بين الدين الاسلامى والتصوف من صلة ، ونلجأ الى أئمة التصوف فى ذلك لأنهم الذين يمثلون التصوف فى صورة صادقة ، وهذا المنهج فى الكتابة عن : « التصوف مستمدا من قادته » هو المنهج الطبيعى ، وذلك أننا حينما نكتب عن الاسلام فى وضعه الصحيح فانما نلجأ الى منابعه الصادقة من كتاب وسنة ، وحينما نلجأ الى الكتابة عن الفقه مثلا فانما نلجأ الى ممثليه الصادقين أى كبار الائمة فيه ، وهكذا فى كل دائرة من دوائر المعرفة .

ما هى الصلة بين التصوف والاسلام فى رأى أئمة التصوف ؟

ونأخذ فى المبدأ مباشرة فى الحديث عن رأى الامام الجنيد ، والامام الجنيد يصفه القشيرى صاحب الرسالة القشيرية بأنه : سيد هذه الطائفة وامامهم . انه يقول :

الطريق كلها مسدودة على الخلق الا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام ، واتبع سنته ولزم طريقته .

ويقول : من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الامر ، لأن علمنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة .

ولقد تحدث رجل عن المعرفة ومنزلتها السامية أمام الجنيد ثم قال :

أهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والتقرب الى الله عز وجل .

فقال الجنيد : ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال ، وهو عندى عظيمة والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا .

ويقول الجنيد فى صورة مختصرة حاسمة :

علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والجنيد هذا كان صورة صادقة للرجل الذى جاهد طيلة حياته ، لم يفتر ، فى تكميل نفسه بالعلم وبالعمل ، وكان صورة صادقة للامامة فى العلم والامامة فى العمل . لقد كان يحضر درسه العلماء فى مختلف فنون المعرفة ، كان يحضره الفقهاء للفتاوى ، ويحضر المتفلسفون لعبارته المحررة فى بيان المصطلحات ، ويحضره المتكلمون لعمقه فى ايضاح التوحيد ، ويحضره الادباء لعبارته وأسلوبه ، ويحضره غير هؤلاء وهؤلاء للاستفادة : كل بحسب استعداده .

ونأتى بعد الجنيد الى سهل بن عبد الله التسترى .

وسهل ينطبق عليه وصف الشاب الذى نشأ فى عبادة الله ، والشاب الذى لا صبوة له ، وله كتاب فى تفسير القرآن معروف : صغير الحجم كبير الفائدة وقد تثقف كأحسن ما تكون الثقافة الاسلامية ، يقول سهل ، معبرا عن أصول التصوف :

أصول طريقنا سبعة : التمسك بالكتاب ، والاقتداء بالسنة ، وأكل الحلال وكف الاذى ، وتجنب المعاصى ، ولزوم التوبة ، وأداء الحقوق .

ولا مناص فى هذا المقام من أن نتحدث عن أبى يزيد البسطامى أو أبى يزيد الاكبر كما يسميه محيى الدين بن عربى . لا مناص من أن نتحدث عنه لأن الكثيرين قد كتبوا عن كلمات نسبوها اليه ورأوا أنه انحرف فيها عن الوضع الاسلامى الصحيح . انهم فى تصويرهم لأبى يزيد مخطئون .

ان أبا يزيد يضع مقياسا صارما وميزانا واضحا للمريدين والسالكين ، وهو عدم الحيدة قيد شعرة عن الشريعة ، انه يقول : « لو نظرتم الى رجل أعطى من الكرامات حتى يرقى فى الهواء ، فلا تغتروا به ، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهى ، وحفظ الحدود ، وأداء الشريعة » .

وهذا المقياس أو الميزان يطبقه أبو يزيد عمليا فى صلته بالآخرين :

لقد قال أبو يزيد مرة لأحد جلسائه :

قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذى قد شهر نفسه بالولاية ، وكان رجلا مشهورا بالزهد .

قال صاحب أبى يزيد :

فمضينا اليه ، فلما خرج من بيته ودخل المسجد ، رمى ببصاقه تجاه القبلة ، فانصرف أبو يزيد وقال :

هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه . فأبو يزيد يتحرى أن يكون سلوك الانسان متفقا مع الادب النبوى فضلا عن أن يكون متفقا مع فروض الشريعة : أوامرها ونواهيها .

أترى مثل هذا ينحرف ؟

ولا يتأتى أن نترك أبا يزيد قبل أن نتحدث عن كلمة نسبت اليه لنرى تفسيرها الصحيح بعد أن نرى الجو الذى يمكن أن تثيره : لقد روى عن أبى يزيد أنه قال : « من زارنى لا تحرقه النار » .

ويفصل بعض الناس هذه الكلمة عن جوها الذى قيلت فيه ، ويذكرها منفصلة ، ويتهكم بأبى يزيد بسبب الكلمة المنفصلة عن جوها .

والقصة كما يرويها رئيس علماء الشريعة ورئيس علماء الصوفية فى عصره : الامام ابن عطاء الله السكندرى ، هى ما يلى :

زار بعض السلاطين ضريح أبى يزيد رضى الله عنه ، وقال :

هل هنا أحد ممن اجتمع بأبى يزيد ؟

فأشير الى شيخ كبير فى السن كان حاضرا هناك .

فقال له : هل سمعت شيئا من كلام أبى يزيد ؟ فقال : نعم ، سمعته يقول : من زارنى لا تحرقه النار .

فاستغرب السلطان ذلك الكلام ، فقال :

كيف يقول أبو يزيد ذلك ، وأبو جهل رأى النبى ، صلى الله عليه وسلم وتحرقه النار ؟

فقال ذلك الشيخ للسلطان :

أبو جهل لم ير النبى صلى الله عليه وسلم ، وانما رأى « يتيم أبى طالب » ولو رآه صلى الله عليه وسلم ، لم تحرقه النار .

ففهم السلطان كلامه ، وأعجبه هذا الجواب منه .

أى أنه لم يره بالتعظيم والاكرام والاسوة ، واعتقاد أنه رسول الله ، ولو رآه بهذا المعنى لم تحرقه النار ، لكنه رآه باعتقـــاد أنه (يتيم أبى طالب) فلم تنفعه تلك الرؤية .

ولقد كان أبو يزيد عاملا بالشريعة ، متبعا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عالما والعلماء ورثة الانبياء ، فمن زاره متبعا لسلوكه الذى اقتفى فيه آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاءه حبا فيه لسلوكه الطريق الصحيح ، من زاره فرأى فيه وريث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبع هديه وسار على نسقه واقتفى الآثار الصادقة التى يمثلها فانه لا تحرقه النار . وتعود الكلمة بذلك كلمة عادية معناها :

من سلك سبيل الله وسبيل رسوله لا تحرقه النار .

ولو ظن المسلم بأخيه المسلم خيرا لكان مثله كمثل هذا الشيخ الذى فسر كلمة أبى يزيد تفسير المسلم لكلام أخيه المسلم .

ونأتى بعد ذلك الى حجة الاسلام صاحب الكتاب النفيس : « احياء علوم الدين » الذى كان له الآثار الشافية التى شفت الامة من داء النظر العقلى العقيم وردتها الى العمل بكتاب الله وسنة رسوله .

يقول حجة الاسلام :

واعلم أن سالك سبيل الله تعالى قليل ، والمدعى فيه كثير ، ونحن نعرفك علامتين له :

العلامة الاولى : أن تكون جميع أفعاله الاختيارية موزونة بميزان الشرع ، موقوفة على توقيفاته ايرادا واصدارا ، واقداما واحجاما ، اذ لا يمكن سلوك هذا السبيل الا بعد التلبس بمكارم الشريعة كلها ، ولا يصل فيه الا من واظب على جملة من النوافل ، فكيف يصل اليه من أهل الفرائض ؟

ويدخل الامام الغزالى فى بيان العلامة الثانية مدخلا لطيفا ، انه يحددها بسؤال فيقول :

فان قلت : فهل تنتهى رتبة السالك الى الحد الذى ينحط عنه فيه بعض وظائف العبادات ، ولا يضره بعض المحظورات ، كما نقل عن بعض المشايخ من التساهل فى هذه الامور ؟

وأقول لك : اعلم أن هذا عين الغرور ، وان المحققين قالوا :

لو رأيت انسانا يطير فى الهواء ، ويمشى على الماء ، وهو يتعاطى أمرا يخالف الشرع ، فاعلم أنه شيطان »

ان أقطاب التصوف يجمعون على أن الشريعة أساس ، وعلى أنها مقياس للأعمال مدى الحياة ، وعلى أنها ميزان للصحة والخطأ والصواب والضلال .



مســـاندة الفدائيين

أجرت مجلة (الهدف) الكويتية حديثا مع الدكتور عبد الحليم محمود الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية جاء فيه عن الفدائيين :

■ فى اعتقادك أن الدعوة الى الجهاد دعوة عملية وناجحة ، أم هى مجرد ألفاظ وعبارات ؟

ــ الدعوة الى الجهاد فى الوقت الحاضر دعوة نابعة من شعور كل مسلم ، لأن القدس والمسجد الاقصى ليس أى منهما خاصا بدولة دون دولة وانما هما من المقدسات الاسلامية التى يشعر بها كل مسلم فى أعماق ضميره ، أما الذى يعرقل الانضمام الى المجاهدين فى حقيقة الامر ، فهى النظم الحديثة للجيوش التى تأخذ من الافراد بقدر ، والتى تحاول أن يكون العدد متناسبا مع العدة ، ونرجو الله أن تيسر الدول سبيل دخول المجاهدين الى منظمات الفدائيين وأن تساعد الفدائيين ماليا وعسكريا بما تستطيع .

■ أخذتم قرارا بشأن الفدائيين ؟

ــ القرار بشأن الفدائيين يصدر يوميا تقريبا فى أرجاء العالم الاسلامى كله ناشرا ومحبذا وحاثا وموجبا .

■ هم يجاهدون فى سبيل الله بلا شك .

ــ نعم .. هم يجاهدون فى سبيل الله ، والقتيل منهم شهيد وقد سبق أن أعلنت ذلك فى مختلف أجهزة الاعلام غير مرة ، ومما قلته .. ان الحرب الحالية تشبه الحرب الاولى فى الاسلام التى قالت الآية القرآنية فيها : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق » . والشبه قريب جدا بين هذه الحرب والحرب الاولى فى الاسلام ، فلقد أخرج العرب من ديارهم ، وقوتلوا ، وظلموا ، فهى حرب اسلامية بـــكل معنى الكلمة ، والقتيل فيها شهيد اسلامى مصيره الجنة ان شاء الله .

■ هناك من يقولون ان الفدائيين يجـــاهدون لتحرير الارض ، وهؤلاء لا يعتبرون مجاهدين فى ســـبيل الله ، وبالتالى من يسقط منهم قتيلا لا يعتبر شهيدا ..

ــ وبانفعال يقول الدكتور عبد الحليم محمود :

ان من يقول هذا القول هو عدو الاسلام والمسلمين لأنه مثبط عن الجهـــاد، والله سبحانه وتعالى يقول :

« انفروا خفافا وثقالا » ويقول : « الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما » ويجب على جميع العناصر الاسلامية الآن أن تتكاتف لتسترد مقدسات المسلمين وما من

شك فى أن هناك كثيرا من الاقلام ومن الالسنة المأجورة التى تحاول بمال اسرائيل ، خدمة اسرائيل ضد العرب المسلمين ، ويجب ألا يكون لأمثال هؤلاء القوم صوت مسموع ، بل على العكس ، يجب أن يضرب على أيديهم ، حتى لا يكونوا من العوامل التى تخذل وتسبب الهزيمة .

■ لماذا لم يتخذ مجمع البحوث الاسلامية قرارات عملية بالنسبة للفدائيين كأن يطلب من الدول فرض ضريبة الجهاد مثلا بالاضافة الى توجيه الزكاة لهم ؟

— ويقول : لقد وجه سؤال الزكاة الى كثير من أعضاء مجمع البحوث ، وكلهم أفتوا بأن اعطاء الزكاة للمجاهدين جائز ، وأنه ينبغى أن تتكاتف الامة للتبرع وجمع المال بالنسبة لهم ، وقد اتخذ المجلس والمؤتمر قرارا بأن يقوم وفد من مجمع البحوث على رأسه شيخ الازهر للطواف بالبلاد الاسلامية لحثها على التبرع للفدائيين .

■ كلمة تبرع بالنسبة للمجاهدين .. ألا ترى أنها ثقيلة على النفس ؟

— الواقع أنه يجب وجوبا حتميا أن يكون فى ميزانية كل دولة اسلامية مبلغ يعطى للمجاهدين من أجل شراء المعدات اللازمة ، وأعتقد أن المسلمين ليسوا فى حاجة الى تذكيرهم بما كان يفعله السلف الصالح فى مثل هذه الاحوال .. فلقد كانت نفوسهم سخية بالمال ، وكان أمام أعينهم دائما قول الله جل ذكره : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » .

ماذا تقول الصحافة الاجنبية ؟

ونقلت صحيفة أخبار الكويت : كتبت جريدة الفايناشال تايمز مقالا تحت عنوان :

« يأس فى الشرق الاوسط » قالت فيه :

يواجه الشرق الاوسط الآن شتاء حارا غاية فى السخونة . لقد تدهور الموقف تدهورا خطيرا فى الاشهر القليلة الماضية مما نتج عنه ذلك التوتر وتصاعده أكثر من أى وقت مضى منذ حرب الايام الستة ، وليس هناك تجنب للحقيقة اذا ما قلنا أن استئناف الحرب الشاملة مرة أخرى ليس بالاحتمال المستبعد . ولكن يمكننا أن نتوقع على الاقل أن يستمر الفدائيون الفلسطينيون فى برنامجهم وهجومات الصواريخ ومحاولات التسلل وكذلك الحرب المحدودة التى تدور على خطوط الجبهة بالرتابة الحالية .

والواقع أن الجانبين متورطان فى مواجهة عنيفة على الارض ، والمساعى الدبلوماسية قد تجمدت تقريبا منذ شهر نوفمبر الماضى . والاسرائيليون كانوا مشغولين بالحملات الانتخابية وكان من الطيش توقع أية مبادرة جديدة من جانب الحكومة حتى نهاية أكتوبر الماضى .

والخطر الوحيد الذى تبين من الحملات الانتخابية فى مثل هذه الظروف أن المتنافسين على مراكز القوة كانوا يحثون بعضهم البعض على اتخاذ سياسة أكثر قسوة والتى من شأنها أن تؤثر فى النهاية على سياسة الحكومة الجديدة . وهذا الخطر قد يغالى فيه . ومن المحتمل أن التدهور المستمر بالنسبة للأمن سوف يجعل اسرائيل أكثر قسوة تجاه أية مبادرة صلح أو تسوية قد تنظر اليها على أنها ضعف من جانبها .



اعداد الاستاذ : عبد المعطى بيومى

الكويت : افتتح حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم المحطة الارضية للمواصلات عبر الاقمار الصناعية وحضر الحفل سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء وكبار رجال الدولة وعدد من وزراء البريد فى العالم .

● أعرب معالى وزير الخارجية عن أمله فى أن تسفر اجتماعات مؤتمر القمة العربى عن نتائج ايجابية مثمرة .

● صرح معالى وزير الاوقاف والشئون الدينية أنه تم رصد مبلغ ٢٠٠ ألف دينار كويتى لاعداد تصاميم مسجد الدولة الكبير وسيبدأ العمل فى بنائه فى أوائل سنة ١٩٧٠ ويستمر حتى ١٩٧٢ .

● جرت اتصالات بين الكويت وتركيا لتسهيل منح تأشيرات الدخول للحجاج الاتراك أثناء مرورهم بالكويت الى السعودية .

● تقرر اقامة ٦ مراكز على الطريق المؤدى من الكويت الى السعودية لتقديم الخدمات الصحية لقوافل الحجاج .

القاهرة : يعلق المسلمون آمالا كبيرة على المحادثات التى جرت فى القاهرة بين الرئيس عبد الناصر وجلالة الملك فيصل أثناء زيارة جلالته للقاهرة بدعوة من الرئيس قبل انعقاد القمة العربية .

● أهدت وزارة الاوقاف تصميما هندسيا للمركز الاسلامى فى ترينداد الذى تعتزم اقامة نقابة الدعوة الاسلامية هناك .

● من المنتظر أن يتم قريبا تعديل فى مناهج الدراسة بكليات أصول الدين ، واللغة العربية ، والشريعة والقانون بجامعة الازهر .

● صرح الدكتور عبد الحليم محمود أمين عام مجمع البحوث الاسلامية بأن المجمع يعمل على تقنين الشريعة الاسلامية وأن المؤتمر القادم للعلماء المسلمين سيبحث مشكلات الاسلام والشباب ، والفكر الاسلامى والماسونية والوجودية وغيرها مما يشغل هذا العصر .

● تم فى غضون هذا الشهر عمليات حربية ناجحة قامت بها القوات المصرية داخل سيناء .

السعودية : زار جلالة العاهل السعودى القاهرة فى طريقه الى مؤتمر القمة بالرباط .

● بدأت قوافل الحجيج تصل الى البلاد وقد أقامت الحكومة احتياطات الامن والصحة والخدمات للحجيج .

الاردن : عقد اجتماع فى عمان بين بعض قادة حركة فتح وجبهة تحرير اريتيريا وصرح ناطق باسم الجبهة أن ثوار اريتيريا يتدربون فى معسكرات فتح وقواعدها ويستفيدون من خبرات الفدائيين الفلسطينيين .

● صرح الشيخ عبد الله غوشه وزير الاوقاف الاردنى أنه تمت بعض اصلاحات فى المسجد الاقصى الا أن الاصلاحات الكبرى لم تتم بعد نظرا لمـا تحتاجه من تكاليف كبيرة .

● تناولت المباحثات بين جلالة الملك حسين وضيفه الرئيس التركى تطورات الوضع فى الشرق الاوسط ودور الدول الاسلامية فى القضية .

● تصاعدت عمليات المقاومة الفلسطينية ، وكبدت العدو خسائر فادحة .

لبنان : تمكن السيد رشيد كرامى من تشكيل وزارة لبنانية بعد أزمة استغرقت أكثر من ٧ شهور وهى أطول أزمة فى تاريخ لبنان وربما فى تاريخ بلد ما .

ليبيا : أجرت الحكومة مفاوضـات مع بريطانيا وأمريكا حيث تم الاتفـاق على تصفية قواعد الدولتين فى ليبيا وقد بدأت بالفعل عمليات الجلاء .

● اشتركت كل من العراق وتونس وسوريا فى مؤتمر القمة بوفود لا تضم الرؤساء .

المغرب : عقد فى مدينة الرباط العاصمة مؤتمر للملوك والرؤساء العرب وقد انتهى المؤتمر بوضع خطة جديدة للمرحلة القـادمة بعد فشـل الحلول السلمية فى قضية فلسطين بسبب تعنت اسرائيل وغطرستها .

● تتحسن العلاقات تدريجيا بين المغرب وموريتانيا ومن المنتظر أن تعترف المغرب قريبـا بموريتانيا وقد كانت تطالب بها .

البحرين : أعلن الشيخ عيسى بن سلمان الخليفـة حاكم البحرين وتوابعها أن بلاده تسـاند المقاومة الفلسطينية والعمل الفدائى .

تايلاند : قال وزير الخارجية أن على أقطار جنوب شرقى آسيا أن تتعاون فيما بينهـا لملء الفراغ فيها بعد جلاء الامريكان والانجليز والا عادت المنطقة لاستعمار جديد .

ماليزيا : جرت مباحثات بين الفيلبين وماليزيا حول اعادة العلاقات بين البلدين وتسوية المشكلات المعلقة بينهما ومنها مطالبة ماليزيا بولاية صباح .

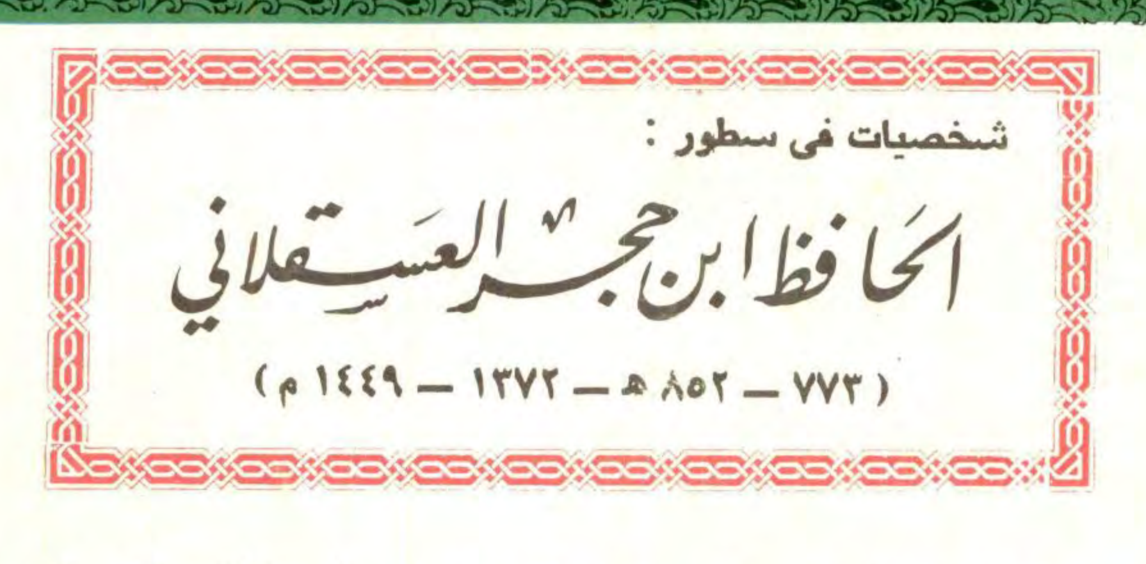
ترينداد : تعتزم نقابة الدعوة الاسلامية فى ترينداد انشاء مركز اسلامى فى العاصمة بورت أوف سبين تقدر تكاليفه ٤٨٠,٠٠٠ دولار تبذل المساعى من أجل الحصول عليها من الهيئات الاسلامية العالمية والمحسنين فى العالم الاسلامى وقد فتحت النقابة حسابا للمركز فى بنك باركليز بترينداد .

الهند : بلغت ضحايا الاضطرابات بين المسلمين والهندوس فى مدينة غجرات الهندية أكثر من ألف قتيل و ٣٠,٠٠٠ مشردا وقد دعت الكثيرات من الصحف الاسلامية والهيئات الاسلامية بتقديم المعونة لهؤلاء .

السنغال : شكت السنغال الى مجلس الامن القوات البرتغالية بسبب غارتها على قرية سنغالية حيث أصابت عددا كبيرا من الرجال والنساء والاطفال .

أخبـــار متفرقة

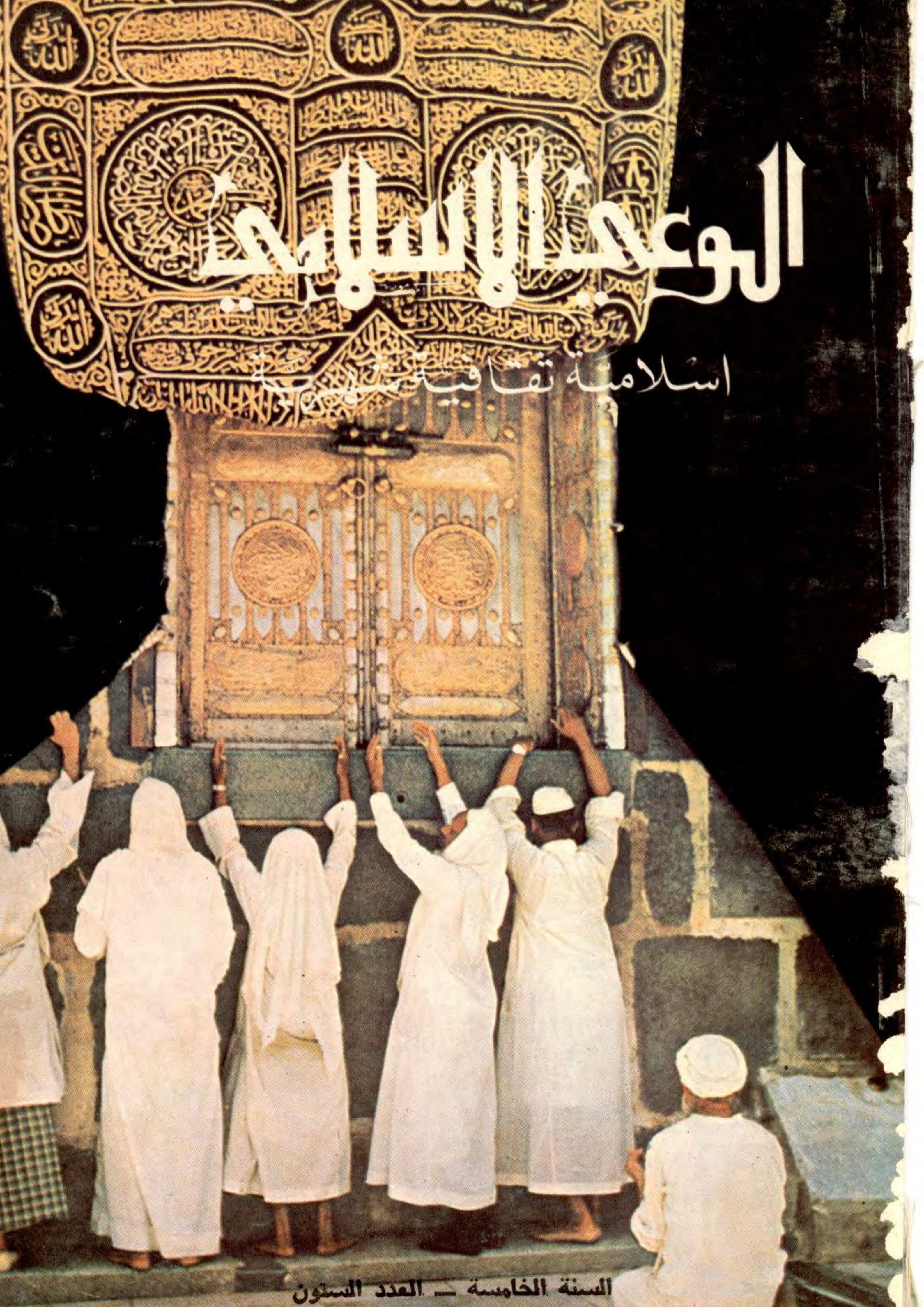
واشنطن : علق مراسل صحيفة الديلى ميل البريطانية على الخطـة الأمريكية الجديدة لحل قضية فلسطين بأنها لا تحل مشكلة اللاجئين وليس فيها ما يحدد وضع القدس .



* هو قاضى القضاة احمد بن على بن محمد العسقلانى الشافعى المصرى .
* ولد بالقاهرة فى ١٢ شعبان سنة ٧٧٣ هـ وحفظ القرآن صغيراً ، ثم درس الفقه والحديث والقراءات والنحو واللغة على أكابر علماء عصره ، لكنه أعطى معظم حياته لدراسة الحديث ، ورحل وراء هذه الدراسة إلى الشام والحجاز واليمن وغيرها من الأقطار الاسلامية .
* حاضر فى التفسير والفقه والحديث ، وكانت حلقات دروسه فى عديد من المساجد والمدارس تغص بالخاصة والعامة ، ثم كان خطيباً فى الأزهر ثم فى جامع عمرو .
* كان شاعراً يمثل عصره فى رقة العبارة ولطف الأشارة . وله ديوان شعر طبع بالقاهرة فى المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣٠١ هـ « ١٨٨٣ م » .
* من اساتذته :
البلقينى ، وابن الملقن ، وابن جماعة ، وابن هشام ، ثم الفيروزا بادى .
* رفض تولى القضاء فى اول أمره ، ثم رضى اخيراً أن يتولى منصب نائب قاضى القضاة بضغط من استاذه وصديقه جمال الدين البلقينى ثم تولى منصب قاضى القضاة بمصر ، وظل فيه إحدى وعشرين سنة ، كف عن القضاء فى بعضها ثم أعيد .
* مؤلفات الحافظ ابن حجر العسقلانى تبلغ مائة وخمسين ومن أشهرها :
  - الإصابة فى تمييز الصحابة
  - الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة
  - القول المسدد فى الذب عن المسند للامام احمد
  - المرام من ادلة الأحكام

وابن حجر العسقلانى هذا ، هو غير ابن حجر الهيتمى أحمد بن محمد الشافعى ايضاً وهذا الأخير متأخر الميلاد والوفاة عن العسقلانى باكثر من قرن من الزمان وتوفى ابن حجر العسقلانى فى الأيام الأخيرة من عام ٨٥٢ هـ .
رحمه الله تعالى رحمة واسعة ..

العوضى الوكيل


الوعي الإسلامي
اسلامية ثقافية شهرية
السنة الخامسة ـــ العدد الستون

اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف



باب الكعبة المشرفة ، يلتزمه الطائفون ، ويتعلق به الحجاج والمعتمرون .. يرفعون الى رب البيت العتيق أحر الدعاء وصادق الرجاء .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة الخامسة

العدد الستون

ذى الحجة ١٣٨٩ هـ

٧ فبراير ((شباط)) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		فرنك وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
(أما الافراد فيشتركون رأسا)
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير إدارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ـ كويت

بسم الله الرحمن الرحيم



من وحي العيد

تشرق شمس اليوم العاشر من هذا الشهر الحرام — شهر ذى الحجة — على المسلمين ، وهم فى المساجد الجامعة ، يتهيأون لاقامة صلاة عيد الأضحى المبارك .. وتشرق على فريق آخر منهم — بمنى — وهم حجاج بيت الله الحرام وبأيديهم حصيات يرمون بها وجه الشيطان فى جمرة العقبة .. كما تشرق الشمس فى صبيحة هذا اليوم على طائفة أخرى من المجاهدين . لم يتوجهوا كاخوانهم الى المسجد الجامع ، ولم يرتحلوا كالحجاج الى منى ، بل عسكروا فى أرض ، وأى أرض ؟ .. عسكروا فى أرض تتفتح فيها أبواب الجنة .. عسكروا فى أرض المعركة .. يضحون ، لا بذات الخف والحافر ، ولكن بذات أنفسهم .. يضحون . لا ليأكلوا ويأكل الناس من أضحياتهم ، ولكن بعدو الله وعدوهم ، فاما أن يقتلوه ، واما أن تأكل الطير من لحومهم .

وللعيد مع هؤلاء المصلين والمحرمين حديث ، وعن أولئك المجاهدين حديث آخر ، والحديثان وان تباعدت لغتهما رقة وجزالة ، وسهولة وقوة الا أنهما يرتبطان ارتباطا وثيقا ، فالأول يستهدف تقوية الجبهة الداخلية للأمة ، وتصعيد احساس الفرد بالجماعة والثانى يتجه الى مؤازرة الجبهة المواجهة للعدو ، ومدها بالسلاح والعتاد .

والحديث الأول يمتاز بطابعه الخاص ، ودوافعه الانسانية ، ومغزاه الاجتماعى ، وروحه الندية الرحيمة ، ولست أقصد به الحديث المذاع ، ولا المنشور فى الصحف والمجلات فحسب ، بل أعنى به كل حديث يدور بين الناس فى هذه المناسبة . مسموعا كان أو مقروءا .. حديث بطاقات العيد ، وبرقيات التهانى .. حديث الانسان مع أهله وأسرته وذوى قرابته .. حديثه مع جيرانه وزملائه وصحابته .. حديثه مع الكبير والصغير والقريب والبعيد .. مع من يعرف ومن لا يعرف ، وهذا اللون من الحديث تشيع فيه عبارات الود والاخاء ، والوفاء ، وهو أعظم من أن يتقيد بالحروف والكلمات المصطلح عليها ، بل انك

لتشاهد مدلولاته الانسانية الرفيعة ظاهرة على وجوه الناس ، مرتسمة على شفاههم ، مجسدة فى ثيـــابهم وأزيائهـــم ، حيـــة فى دورهم وديوانياتهم ، حتى انك لتحس بأن كل من حولك أسرة واحدة .

ان شعور المســلم بالمجتمع فى العيد يرق ، واحساسه يرهف حتى يبلغ هذا الشعور والاحســاس من الشفافية والرقة مبلغا تؤذيه دمعة محزون ، وتجــرحه لوعة مظلوم ، وتكدره مسكنة مسكين ، وكل مظهر أو تصرف ينبـــو عن المجـــاملة والمشاركة .

وان الدارس لسيرة انسان هذه الأمة لا يجد بشرا ســـوى الخلق والخـلق ، حريصـــا على اقامة العـــلاقات بين الناس على الحب والود ، واضفاء السعادة الحقيقية على المجتمع مثل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كانت له فى العيد عادات كريمة تســـتهدف اشاعة السرور فى النفوس ، وتلبية رغبات الطبيعـــة البشرية فى المرح العف واللهو البرىء .

ان رســـول الله صلى الله عليه وســـلم كان لا يعامل الناس كأنهم ملائكة ، ولــكن كان يعاملهم على أنهم بشر لهم فطرتهم وغرائزهم التى طبعوا عليها ، يعملون ويفرغون ، ويجـــدون ويمرحون لأن الله خلقهم هكذا كما خلقهم يأكلون ويشربون .

كان رســـول الله صلوات الله وســـلامه عليه يعترف بالطبيعـــة البشرية ، وينصـــح بأداء حقها من الاستمتاع بالحياة ولــكن فى اتزان واعتـــدال . وتجد ذلك ماثلا فى سلوكه فى الاعياد ومن صور هذا الســـلوك النبوى ما روى من أن أبا بكر رضى الله عنه زار ابنته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فى بيتها يوم عيد ، فوجد عندها جاريتين تغنيان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعا على الفراش محولا وجهه ، فانتهرها أبو بكر ، وقال : مزمارة الشيطان عند النبى ، فأقبل عليه رسول الله وقال : دعها يا أبا بكر ان لكل قوم عيدا وهـــذا عيدنا .

وسر معى أيها القارىء الــكريم لنستأذن ، فندخل بيت الرســـول العظيم ونرى صورة انســـانية رفيعة ، ونســـتمع الى حوار نبوى كريم بين الانسان الكامل وبين زوجه عائشة : لقد دخل رسول الله بيته ، فوجد زوجه عائشة وبين يديها لعب مصنوعة على شـــكل عرائس فى وسطهن فرس ، فقال لها : ما هذا ؟ قالت : بناتى ، وقال : ما هذا الذى فى وسطهن ؟ قالت : فرس . قال : ما هـــذا الذى عليـــه ؟ قالت : جناحان . قال : فرس له جناحان ؟ قالت : أو ما ســـمعت أنه كان لسليمان بن داود خيل لها أجنحة ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه .

وقبل أن ننتهى من هـــذه الزيارة الــكريمة أحب أن أنبه الى أن فرح المســلمين فى أعيادهم لم يكن فرحا تقتحم فيه الحرمات ، أو تنتهك فيه الأعراض ، أو تسلب فيه العقول ، انما هو فرح زينة وعبادة ، ومودة وقربة . يجمع بين حظى الجســـد والروح ، ويبقى على المعـــانى الفاضلة ويقوى الروابط بين الأفراد .. فرح يأسو الجراح ، ويداوى

الكلوم ، ويزيل الشـــــكاة ويبدد الوحشة ، ويغنى الفقراء ، ويقوى الضـــعفاء ، ويبدد ظلامات الفاقة والأسى ، ويجـــــدد الأمل ويحيى الرجاء .

.. .. ..

هذا هو الجو الطبيعى للعيد الذى يجب أن تعيش فيه الأمة اذا كانت ظروفها عادية وحياتهـــا حياة أمن واستقرار وسيادة وكرامة . وهنا تلح على النفس أسئلة وأسئلة : هل أمتنا تعيش هـــذا العيد فى ظروف عادية ، وأحوال ملائمة ؟ هل تحيا أمتنا حياة ســـيادة وكرامة وأمن واستقرار ؟ ..

ان الاجابة على هذا التســـاؤل تأتينا من الاراضى العربية المحتلة . من أجزاء وطننا المغتصـــــبة من مقدســـاتنا المحترقة . من بيوتنا المهدمة ، من أموالنا المنتهبة ، من مئات الألوف المشردة من أبناء ديننا .. تأتينا الاجابة على هذا التساؤل من عيون أطفالنا الذين لا يجـدون الأب ، من ثكل نسائنا اللائى فقدن الزوج .

ان الرد على هذه الاستفسارات يسمع من هذه الخيام الممزقة التى تغطى رقعة الصحراء هنا وهناك . هل هذه خيـــام الحجيج فى عرفات ومنى ؟ انها خيام اللاجئين والمشردين .. دعاؤهم اســـتغاثة ، وتلبيتهم صراخ ، وذكرهم عويل وبـــكاء ، وعيدهم مأتم وأحزان .. يسمع الرد من (فلسطين) وطننا الجريح الذى يئن تحت أقدام الغزاة المتوحشين . من شعبنا المشرد تحت كل ســـماء يســـتجدى من هيئة الاغاثة خيمته ولقمته ودواءه وكساءه .

هذا واقعنا فى عيـــدنا .. دنيانا مليئة بالكوارث والأرزاء ، أمتنـــا تقوم فى دورها مآتم الحـــزن على ضحاياها وشهدائها .

وهنا موضع الحديث الثانى للعيد عن المجاهدين والمقاتلين : ان الأمة الواعيـــة هى التى تـــذكر فى أعيادهـــا الاخطـــار التى تهددهـــا والأحـــداث التى تنـــزل بهـــا .. وواجبنا فى هذه الأيام أن نوفر ما تحتـــاج اليه أمتنا فى صراعها المرير .. أن تعلو الوجوه ســـمة الحزن الوقور الصامد . أن نأسوا جراح اخواننا ، ونسد حاجة أمتنا . أن نقوم بحق الأخوة علينا من عون واســعاف وبذل وفداء . أن نكون مع هؤلاء الذين يخوضـــون معارك الفداء .

ان الأحداث التى نعيشـــــها تفرض علينا فى هذه الأيام أن يكون هذا شعورنا وســـلوكنا ، وأن نفى بمسؤولياتنا ، فالمســـلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم .

ان الحديث عن المجاهدين يجب أن لا يتوقف عنـــد اطلاق الصرخات ، واستدرار الدموع .. يجب أن ينتهى الى نتيجة عملية جادة يلتزم بها كل فرد من المسلمين .. ان الجهـــاد بالمال واجب وجوبا شرعيا عينيا على كل فرد مســـلم فى حدود طاقته وكفايته ، فكمـــا يجب الحج على المستطيع بالمال اذا عجز عنه ببدنه لمرض أو شـــيخوخة ، كذلك يجب الجهاد بالمـــال على الواجد اذا لم تواته الفرصة للجهاد بنفسه .. قال الامام ابن القيم : « الجهاد بالمـــال واجب كالجهاد بالنفس فـــان الأمر

بالجهاد بالمال شقيق الأمر بالجهاد بالنفس فى كل القرآن الا موضعا واحدا ، وهذا يدل على أن الجهاد بالمال أهم وآكد من الجهاد بالنفس ، ولا ريب أنه أحد الجهادين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من جهز غازيا فقد غزا)) فيجب على القادرين عليه ، كما يجب على القادر بالبدن ، ولا يتم الجهاد بالبدن الا ببذله ، ولا ينتصر الا بالعدد والعدة ، فان لم يقدر أن يكثر العدد وجب عليه أن يمد بالمال والعدة ، واذا وجب الحج بالمال عن العاجزين بالبدن ، فوجوب الجهاد بالمال أولى وأحرى .

نعلن هذه الفتوى فى هذا الحديث تذكيرا للمسلمين الذين يحرصون على السنن ويفرطون فى الواجبات .

أن لهذا العيد فى ديننا شعائر مشروعة ، والأضحية هى الشعيرة التى يتميز بها ، ومن هذه المادة اشتق اسمه ، فقيل عيد الأضحى ، وهى سنة فى أكثر المذاهب للقادر عليها ، وما عمل ابن آدم ، يوم النحر عملا أحب الى الله من هراقة الدم ، وانها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها ، وان الدم ليقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع على الارض .. ولكن السنة لا تسقط الواجب المفروض ، ولا تغنى غناءه ، واذا كانت الأضحية سنة فان الجهاد بالمال فرض .

وكما كانت أعياد المسلمين مجالا لبعث العواطف واذكاء المشاعر الانسانية الرحيمة كانت ميقاتا للعمل الجاد .. كان من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم فى خطبة العيد أن يأمر طائفة من المسلمين بالخروج للجهاد فى سبيل الله ويوجههم الى جهة معلومة اذا اقتضى الموقف ذلك ، ولم يكن يمهلهم بين أهليهم فى فترة العيد — عن أبى سعيد قال : ((كان النبى صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى الى المصلى ، وأول شىء يبدأ به الصلاة ، ثم ينصرف ، فيقوم مقابل الناس ، والناس جلوس على صفوفهم ، فيعظهم ، ويوصيهم ، ويأمرهم ، واذا كان يريد بعثا (يخرج طائفة منهم الى الجهاد) أو يأمر بشىء أمر به ، ثم ينصرف)) .

ان أعيادنا الاسلامية ليست فترة استراحة للعاملين . تقضى فيها رغبات الجسد أو تقصى منها الواجبات كالمحطة فى الطريق تتوقف فيها السيارة أو الطائرة للتزود بالوقود ريثما يستريح الراكبون من مشقة السفر . كلا انها طاقة لمزيد من الشعور بالواجبات ، والاحساس بالأمة ، انها فرصته للمشاركة الايجابية للناس فى مساءاتهم ومسراتهم .

نسأل الله للمسلمين التوفيق للنهوض بالواجبات وللمجاهدين المزيد من العون والتأييد .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

رضوان الشبلي

من هدي السنة

بين الأمل والحقيقة

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف
والشئون الاسلامية

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « خط النبى صلى الله عليه وسلم خطوطا ، فقال : هذا الامل وهذا أجله ، فبينما هو كذلك اذ جاءه الخط الاقرب » (١) (رواه البخارى)

١ ـ للانسان آمال لا تنتهى ، ولا يبلغ مداها ، والأمل هو حاديه الى كل تطور وبحث عن الافضل لحياته ، فلولا الأمل ما أرضعت والدة ولدها ولا غرس غارس شجرا ، والعاقل الفاقه لأحوال الدنيا لا يجعلها أكبر همه ، فينسى الآخرة دار المستقر **(وان الدار الآخرة لهى الحيوان)** ، وكل لحظة تمر تقترب به الى النهاية المحتومة ، وقد تخترمه المنون على حين غفلة ، فيمضى الى دار حساب شديد ، يوم يقوم فيه الناس لرب العالمين ، يتجرد فيه من كل ما ملك وجمع ، من المال والولد ، والاماء والعبيد ، والطارف والتليد ، ويتبرأ منه كل من عرف فى الدنيا ، بل الاقربين من ذوى القربى **(يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه)** وقد يتساءل لماذا هذا الفرار ، والجواب : **(لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه)** . ولو أن هؤلاء أطاعوا وأقبلوا ، ولاقوا صاحبهم لقدمهم فداء لينجو بنفسه مما يلم به من هول ، **(يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه . وصاحبته وأخيه . وفصيلته التى تؤويه . ومن فى الارض جميعا ثم ينجيه ...)** وهيهات هيهات لما يؤمل ويرجو ، وكيف ومن ورائه عذاب محيط **(كلا انها لظى . نزاعة للشوى . تدعو من أدبر وتولى . وجمع فاوعى)** .

وقد كثر فى الآيات المكية الحديث وطال عن الآخرة ، وما يلاقى فيها المارقون من ويل وثبور ، وجحيم وانكال ، كما وصفت النار بالوصف المخيف المرعب فوقودها الناس والحجارة ، وعليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ، ينادون واردى جهنم **(ذوقوا مس سقر)** ويقول رائدهم مغريا بالملحدين فى آيات الله **(خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه . ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه)** .. وأما التائبون المنيبين الى الله فهنيئا لهم ما أسلفوا من خير ،

---

(١) وعند البيهقى من وجه اخر ما لفظه : « خط خطوطا وخط خطا ناحية ثم قال : هل تدرون ما هذا ؟ هذا مثل ابن ادم ومثل التمنى ، وذلك الخط : الامل ، بينما يأمل أذجاءه الموت » .

وما قدموا من معروف ، حيث تقيهم أعمالهم بفضل الله من العذاب ، ويبدلون به جنات النعيم : **(متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريراً . ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا . ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا . قوارير من فضة قدروها تقديراً . ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا . عينا فيها تسمى سلسبيلا) .**

٢ — وأول منازل الآخرة القبر ، وان أمر القبر لعجيب ، حفرة قد تضيق بالوافد اليها فتضمه ضمة تختلف لها أضلاعه ، وهذا أول أحوالها ، ثم يأتيه من يسأله عن سيرته فى الدار القادم منها ، ويناقشه فى أصول معتقداته بايجاز ، فقد لا يستطيع جوابا ، ولا يملك ردا ، لأنه حيل بينه وبين ما يعينه على الجواب ، وهو بنفسه الذى أوصد الباب حين حاد عن جادة الصواب ، واطرح الحق الصراح ، وولى الادبار ، واتجه كليا الى دار البوار ، وحينذاك يضرب بمرزبة [1] ما أثقلها ، يروى الطبرانى عن البراء مرفوعا (يقال للكافر من ربك فيقول لا أدرى فهو تلك الساعة أصم أعمى أبكم فيضرب بمرزبة لو ضرب بها جبل لصار ترابا) . وأما من أجاب صوابا فما أسعده وما أعظم سروره ، فعن أبى داود : (يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان : من ربك ؟ فيقول : ربى الله ، فيقولان : وما دينك ؟ فيقول : دينى الاسلام ، فيقولان : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولان : وما يدريك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله تعالى فآمنت به وصدقته ، فينادى مناد من السماء : صدق عبدى فافرشوا له من الجنة ، وافتحوا له بابا الى الجنة وألبسوه من الجنة ، ويفسح له فيه مد بصره) .

والاحاديث الشريفة التى تتحدث عن القبر وأحواله لا تكاد تحصى عددا مما ورد فى الكتب الصحيحة المعتمدة .. ومن آيات القرآن الكريم ما يشير الى وقوع العذاب فى القبر ، يقول الله تعالى فى آل فرعون : **((أغرقوا فأدخلوا نارا))** ثم يقول : **((ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب))** .. ويقول سبحانه : **((ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون))** وقوله جل شأنه : **((الهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر ..))** .

أما الأحاديث فقد تواترت عن سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عذاب القبر ففى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : (سألت رسو لالله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر : قال : نعم عذاب القبر حق) وفى صحيح مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله علية وسلم ، كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن : (اللهم انى أعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال) .. وفى الصحيحين أيضا عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ان أهل القبور يعذبون فى قبورهم عذابا تسمعه البهائم) وورد أن النار التى فى القبر ليست من نار الدنيا وان كانت أشد منها ، ولا يشعر بها الاحياء ، بل ربما دفن الرجلان

(١) المرزبة بالتخفيف : المطرقة الكبيرة التى للحداد .

فى قبر واحد فيكون لأحدهما روضة من رياض الجنـــة ، وللآخر عذاب أليم ، وقدرة الله أعظم وأعجب من هذا ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون .

٣ ــ وماذا بعد القبر ؟! يمكث الثاوى فيه ما شاء الله له أن يمكث ، ثم تحين الساعة التى لا تأتى الا بغتة ، وقد بدات أشراطها منذ بعثة سيدى رسول الله (بعثت أنا والساعة هكذا وقارب بين أصبعيه السبابة والوسطى) .. ولكن أخذت الآن تشتد وتتابع ، وما نحن من العلامات الكبرى المنصوص عليها فى الكتاب والسنة ببعيد ، فها هو ذا دين الله قد بدأ يتقلص شيئا فشيئا من نفوس أتباعه بالوراثة ، وقد ورد فى الصحاح أن الساعة لا تقوم الا على قوم كافرين ، لا يعرفون من أمر الدين شيئا ، وأن العلم سيقبض بموت العلماء ، فكلما اخترمت المنون نفس عالم بكتاب الله وسنة رسوله لا يترك من بعده خلفا يساويه أو يقاربه ، وأما القرآن الكريم فقد ورد أيضا فى الصحيح أنه سيمحى يوما ما من المصاحف ومن الصدور ، فتبقى أوراق المصاحف بيضاء لا أثر فيها لكتابة ، وقلوب الحفاظ فارغة لا تتذكر آية واحدة ، حتى يقول أحدهم لصاحبه ، كنت أعرف شيئا نسيته ولا أدرى ما هو !! أخرج الديلمى من حديث أبى هريرة وحذيفة رضى الله عنهما مرفوعا : (يسرى على كتاب الله ليلا فيصبح الناس وليس منه آية ولا حرف فى جوف الا نسخت) قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : عن السلف ان القرآن العظيم كلام الله غير مخلوق منه بدأ واليه يعود ، وأن معنى اليه يعـــود ما جاء فى الآثار ، أن القرآن يسرى به حتى لا يبقى فى المصاحف منه حرف ، ولا فى القلوب منه آية . وأخرج ابن ماجة من حديث حذيفة رضى الله عنه مرفوعا : (يدرس الاسلام حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ، ويسرى على كتاب الله تعالى فى ليلة فلا يبقى فى الارض منه آية) وأخرج ابن ماجة أيضا بسند قوى ، وكذلك الحاكم والبيهقى والضياء عن حذيفة رضى الله عنه : (يدرس الاسلام كما يدرس وشى الثوب حتى لا يدرى صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسرى على كتاب الله فى ليلة فلا يبقى منه فى الارض آية ، ويبقى طوائف من الناس الشيخ والعجوز ويقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة (لا اله الا الله) فنحن نقولها .. قال السفارينى أثبتت السنة الصحيحة أن أهل الارض يكفرون ويعبدون الاوثان وأن الساعة لا تقوم الا على شرار الناس ، فقد أخرج الامام أحمد ومسلم عن حديث ابن عمرو رضى الله عنهما قال : قا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (تجىء بعد موت عيسى ريح باردة من قبل الشام فلا تبقى على وجه الارض أحدا فى قلبه مثقال ذرة من ايمان الا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد حوت لدخلت عليه حتى تقبضه ، فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان ، فيقولون ما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الاوثان فيعبدونها وهم فى دار رزقهم ، حسن عيشهم ، ثم ينفخ فى الصـــور) وقد بدأ التمهيـــد لتلك الاحداث بشكل مخيف ، فأصبحنا نرى كثيرا من المســـلمين لا يرون بأســـا فى انتشار المنكرات بل يروجون لها ، وظهر فيهم ما أهلك الله بـــه بنى اسرائيل ، ولعنهم على السنة أنبيائه : **(لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثـــيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن ســـخط الله عليهم وفى العـــذاب هم خالدون) ..**
أخرج الامام أحمد بسند قوى عن أنس رضى الله عنه مرفوعا : (لا تقوم الساعة

حتى لا يقال فى الارض لا اله الا الله) ورواه مسلم بلفظ (حتى لا يقال فى الارض : الله .. الله ..) .. نعوذ بالله أن ندرك هذا الزمان ، كما نعوذ به سبحانه ونلجأ الى حمـــاه أن يجنبنا شرور هـــذه الايام وأن يحول بقدرته بين المعاصرين وبين ما يغضبه عليهم انه بهم رؤوف رحيم .

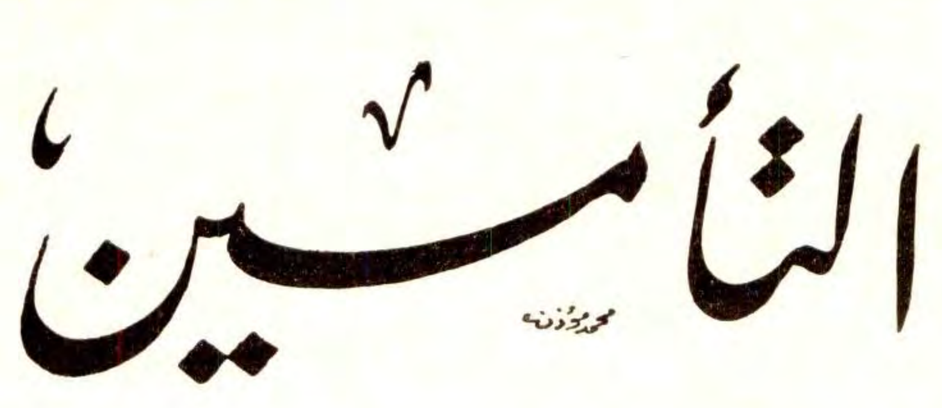
٤ ــ وبعد أن تعبأ الدنيا بالشرور ، وتضيق بالكفر والفجور ، وتستباح الحرمات على قارعة الطريق ، ولا يوجد من يقول : هذا حلال وهذا حرام ، وينزل البشر فى اتباع شهواتهم الى درجة العجماوات ، حتى يلقى أحدهم أخاه على فاحشة الزنا مجاهرا بها فيقول له : هلا ملت قليلا عن الطريق العام، ويقول فى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم : « .. ويكون قائل هذا فيهم مثل أبى بكر وعمر فيكم » عندئذ يأتى ما لا مفر منه ، وينفخ فى الصور اسرافيل فتميد الارض بأهلها ويومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم : **« وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا فى قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون . ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون . وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون . ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون » ..**

وأما مراتب المعاد بعد ذلك كما ورد فى السنة الصحيحة فستكون على النسق الآتى :

١ ــ البعث والنشور .
٢ ــ ثم المحشر .
٣ ــ ثم القيامة لرب العالمين .
٤ ــ ثم العرض .
٥ ــ ثم تطاير الصحف .
٦ ــ ثم السؤال والحساب .
٧ ــ ثم الميزان .
٨ ــ ثم الصراط .
٩ ــ ثم الحوض (الكوثر) ..
١٠ ــ وأخيرا الى المنازل الخالدة المعدة لكل حسب مشيئة الله ورضوانه وحكمه بالقسطاس بين عباده .

نسأل الله جلت قدرته أن يمن علينا بفضله وأن يشملنا بتوفيقه وأن يدخلنا فى زمرة من قال سبحانه وتعالى فيهم : **« ان الذين آمنوا وعملوا الصـــالحات أولئك هم خير البرية . جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه »** .

ولئن كان لنا فى الدنيا بقاء ، فستكون لنا عودة بعون الله وتوفيقه لبسط القول فى مراتب المعاد والله المستعان .





التأمين

بين النظرية والتطبيق في ضوء الشريعة الإسلامية

• التأمين التجاري يعرض الحياة الاقتصادية للخطر

• استغلال فتوى الامام محمد عبده في شرعية التأمين التجارية

• التأمين التجاري غير نظام المعاشات الحكومي

للأستاذ : محمد الدسوقي

١ ــ يقوم التأمين ــ فى نظر فقهائه ــ على فكرة مؤداها أن توزع النتائج الضارة لحادثة معينة على مجموعة من الافراد بدلا من أن يترك من حلت به الكارثة يتحمل وحده نتائجها والوسيلة الى تحقيق ذلك هى ايجاد رصيد مشترك يساهم فيه كل من يتعرض لخطر معين ، ومن هذا الرصيد المشترك يعوض من يتحقق الخطر بالنسبة له .

والتأمين بهذا المعنى نظام حديث نسبيا ، ولكن فكرة التأمين أو نظريته ــ وهى حماية الشخص من الخسائر المالية التى قد يتعرض لها بسبب تحقق خطر ما ــ لها جذور تمتد الى الماضى البعيد ،

وقد نمت هذه الفكرة وتطورت على مر السنين حتى وصلت بالتأمين الى ما وصلت اليه فى الوقت الحاضر (١) .

٢ ــ ونظرية التأمين من حيث التطبيق يمكن أن تتحقق عن أحد طريقين : الاول تعاونى والثانى تجارى ، ويتمثل الاول فى قيام جماعة بانشاء شركة تعاونية للتأمين يجمع كل عضو فيها بين صفة المؤمن والمؤمن له ، ويدفع كل مشترك مبلغا كل عام قد يختلف من عام الى آخر تبعا لحاجة الشركة الى الأموال التى تلزم لتعويض الخطر طول العام ، ولا يسعى أى شريك من الشركاء الى جر مغنم من اشتراكه ، لأن مقصد الجميع هو تعويض الخسارة التى تلحق بأى منهم دون نظر الى مكسب مادى .

وأما الثانى فهو الذى تقوم به الشركات التجارية المساهمة ويختلف عن الاول فى أنه لا وجود للغرض الاجتماعى فيه وأن المستأمن فى التأمين التجارى ليس شريكا ، وانما الشركاء هم المساهمون الذين يقتسمون ما تحققه الشركة من أرباح ، والمستأمن ليس سوى عاقد ملزم بدفع قسط ثابت فى ميعاد محدد فى مقابل قيام الشركة المؤمنة بدفع مبلغ التأمين المنصوص عليه فى العقد عند وقوع الخطر المؤمن منه (٢) .

٣ ــ والتأمين من حيث فكرته أو نظريته ضرب من التكافل بين الناس ، والشريعة الاســلامية لا تضيق بأى لون من ألوان التكافل بين أفراد المجتمع ، بل هى قد جعلت هذا التكافل أمرا مفروضا ، وأكدت أن الفردية أو الانعزالية ليست من خلال المؤمنين ، لأن المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ولأن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

والتكافل فى الشريعة الاسلامية لا يعنى فقط تأمين الفقراء ومن فى حكمهم على أنفسهم وعلى من يعولون فى حياتهم وبعد مماتهم بكفالة ما يكفيهم من الطعام وكسوة الصيف والشتاء والمسكن الذى يؤويهم ويقيهم عادية البرد والحر (٣) ، ولكنه يشمل أيضا تأمين أرباب الاموال على مستواهم الذى وصلوا اليه بجدهم فى الحلال فقد أمن الاسلام كل فرد على ماله من مسكن أو أثاث أو مال فى تجارة أو غيرها ضد الغرق والحريق والآفات العارضة ، كما ضمن له كل دين ينفقه فى المكارم أو المصلحة العامة .

وقد روى الامام الطبرى عن مجاهد فى تفسير الغارمين الوارد ذكرهم فى آية الصدقات (٤) قال : من احترق بيته ، أو يصيبه السيل فيذهب متاعه ويدان على عياله فهذا من الغارمين (٥) .

وقال القرطبى : ويعطى منها (أى الصدقات) من له مال وعليه دين محيط به ما يقضى به دينه فان لم يكن له وعليه دين فهو فقير وغارم فيعطى بالوصفين (٦) .

ورحم الله عمر بن عبد العزيز فقد قال لعماله « اقضوا عن الغارمين » فكتب اليه بعضهم : انا نجد للرجل مسكنا ، وخادما وفرسا وأثاثا ، فكتب اليهم عمر : نعم ، فاقضوا عنه فانه غارم » وكأن الخليفة العادل بهذا ينبه الى أن مسئولية الحاكم المسلم تفرض عليه أن يحقق لكل فرد ما يسمى اليوم بالرخاء أو الرفاهية الاقتصادية .

ان كل فرد فى المجتمع الاسلامى ــ دون تفرقة بين الاديان والاجناس ــ له حق الحيــاة الانسانية الكريمة ، ولولى الامر ــ عن طريق الشورى ــ أن يضع من النظم والقوانين ما يحقق بها لكل فرد مستوى كريما من العيش ، وأن يدفع عنه آثار ما قد يتعرض له من أخطار ، ومن ثم يرى بعض رجال الاقتصاد الاسلامى أن تطبيق القوانين الاسلامية تطبيقا كاملا فى جميع مرافق الحياة

---

(١) أنظر التأمين على الحياة للدكتور عبد الودود يحيى ص ٣ .

(٢) انظر شرح القانون المدنى الجديد فى التأمين للدكتور محمد على عرفه ص ١٢ .

(٣) انظر المحلى للامام ابن حزم جـ ٦ ص ١٥٦ .

(٤) الآية ٦٠ فى سورة التوبة .

(٥) تفسير الطبرى جـ ١٠ ص ١١٠ ط بولاق .

(٦) الجامع لاحكام القرآن جـ ٨ ص ١٨٣ ط دار الكتب .

سيخلق المجتمع السليم المتكافل المتعاون الذى لا يحتاج الى شركة تجارية تزاول مهنة التأمين (١) .

٤ ــ وعلى ضوء هذا فان التأمين اذا كان نظاما تعاونيا صرفا وليس مصدرا من مصـــادر الكسب والثروة لبعض الناس فهو عمل مشروع لا تبيحه الشريعة فحسب بل تحض عليه وتأمر به ، فهل التأمين من حيث التطبيق كذلك ؟

لقد أسلفت أن التأمين من حيث التطبيق يمكن أن يكون نظاما تعاونيا يجمع فيه كل مشترك بين صفة المؤمن والمؤمن له ، وأن يكون نظاما تجاريا وهو الذى تزاوله الشركات التجارية المساهمة ، والذى لا خلاف عليه أن النظام التعاونى عمل مشروع لأنه لا يعدو أن يكون صورة من صور التكافل والتعاون .

والشريعة كما أومأت الى ذلك جعلت التعاون أمرا مفروضا بين أفراد المجتمع الاسلامى ، والله تعالى يقول « انما المؤمنون اخوة » واعلان الاخوة بين أفراد مجتمع ما هو تقرير للتــكافل والتضامن بين أفراد هذا المجتمع فى المشاعر والاحاسيس وفى المطالب والحاجات وفى المنــازل والكرامات (٢) .

وأما النظام التجارى فهو الذى اختلفت حوله أنظار فقهاء الشريعة المحدثين ، ولكنهم على تباين آرائهم يكادون يجمعون على أن التأمين التجارى تحيط به شبهات ، أو أعمال تحرمها الشريعة ، وقبل الاشارة الى آراء هؤلاء الفقهاء أود مناقشة فقهاء التأمين فيما يذهبون اليه من قيام التأمين التجارى على التعاون وأن التأمين التعاونى لم يحقق نجاحا فى ميدان الاقتصاد والحياة الاجتماعية ، ولهذا يجب ــ فى نظرهم ــ الاخذ بالتأمين التجارى دون التأمين التعاونى ، وذلك لأن بعض فقهاء الشريعة والباحثين فيها يأخذون بما يذهب اليه فقهاء التأمين فى هذا المجال (٣) ، بالاضافة الى أن هذه النقطة ــ وهى قيام التأمين التجارى على التعاون ــ تعد أهم ركيزة فى دعوى مشروعية هذا التأمين عند من يقولون بمشروعيته .

٥ ــ يرى فقهاء التأمين أن التأمين التجارى ــ الى جانب وظائفه الاقتصادية والاجتماعية ــ يقوم على التعاون ، وأنه اذا فقد عنصر التعاون كان عملا غير قانونى (٤) وأن وظيفة المؤمن تنحصر فى تنظيم هذا التعاون بين المستأمنين ، وأنه من أجل ذلك يحصل على جزء من الارباح التى تأتى عن طريق استثمار أموال المستأمنين ، فهل يقوم التأمين التجارى على التعاون حقيقة ، وهل وظيفة المؤمن فى هذا التأمين تنحصر فى تنظيم التعاون بين المستأمنين ؟

يقول فقهاء التأمين : أن عقد التأمين التجارى عقد ملزم للطرفين ، وأن الشركة أو الهيئــة المؤمنة هى المسئولة وحدها عن دفع مبلغ التأمين أو دفع العوض فى حالة تحقق الخطر ، وأن القسط الذى يدفعه المستأمن يقوم مقام الاجرة فى الاجارة فهو ثمن الامان ، وعقد التأمين تبعــا لذلك عقد تبادلى واذعان ، كما أنه أيضا عقد معاوضة وعقد احتمالى (٢) . فأين مجال التعاون فى هذه العملية ؟

---

(١) انظر بحث الدكتور زكى محمود شبانه « معالم رئيسية اقتصادية اسلامية لمعالجة المشكلات الاقتصادية الحاضرة » مجلة « المسلمون » السنة الثالثة الاعداد ٢ الى ٦ .

(٢) انظر اشتراكية الاسلام للمرحوم الدكتور مصطفى السباعى ص ١٠٩ ط ثانية .

(٣) انظر بحث الاستاذ الفاضل مصطفى الزرقا عن التأمين فى كتاب « أسبوع الفقه الاسلامى » ص ٤٠٣ ط مجلس الفنون وبحث الاستاذ وهبه « مجلة الوعى الاسلامى » العدد ٥٥ .

(٤) التأمين فى القانون المصرى للدكتور عبد المنعم البدراوى ص ٩٩ .

(٥) التأمين فى القانون المصرى ص ١١٣ .

ان قالوا : ان تجمع عدد كبير من المستأمنين لدى الشركة يؤدى الى التعاون عن طريق المقاصة بين الاخطار وان لم يشعر بهذا المستأمنون أنفسهم ، ولم يعرف بعضهم بعضا ولم يكن فى نية أحدهم أن يتبرع بما يدفعه ، رد عليهم بأن الشركة اذا تجمع لديها عدد كبير من المستأمنين كان ذلك فى صالحها وحقق لها أرباحا طائلة ، ولكن ذلك لا يعنى أن وظيفة المؤمن منحصرة فى تنظيم التعاون بين المستأمنين ، لأن ما يدفعه المستأمن يصبح ملكا للشركة تتصرف فيه بما يعود عليها بالمصلحة وأيضا لأن خصائص عقد التأمين كما تحدث عنها فقهاؤه توضح بجلاء أن هذا العقد لا مجال للتعاون فيه ، فهم فى الواقع يناقضون أنفسهم ، لأنهم يرون أن هذا العقد ان حقق ربحا للمستأمن حقق خسارة للمؤمن والعكس بالعكس (١) ، ويقولون كذلك ان هذا العقد ، عقد معاوضة يقوم فيه القسط مقام الاجرة فى الاجارة أو الثمن فى البيع ، ثم بعد هذا يذهبون الى أنه نظام تعاونى انسانى ، ولا أدرى كيف يدور هذا العقد بين الربح والخسارة بالنسبة للطرفين ويصدق عليه فى الوقت نفسه أنه عقد تعاونى ثم ان تدخل المشرع فى بعض الدول لحماية الطرف المذعن الذى يوقع على عقد مطبوع — وهو المستأمن — من الطرف القوى وهو المؤمن ، دليل على أن هذا العقد لا يدخله التعاون وعلى أن علاقة المؤمن بالمستأمن هى علاقة تاجر « بعميل » وليست علاقة منظم للتعاون بفرد من أفراد الجماعة المتعاونة كما يذهب فقهاء التأمين .

يقول أحد علماء الاقتصاد (٢) المعاصرين فى أمريكا : فشركة التأمين ليست مشروعا تعاونيا ، لأن الشركات المساهمة للتأمين تعمل على كسب فوائد لحملة أسهمها ، ولأن شركات التأمين المساهمة ليست ملكا لمن يديرون سياستها » .

والتأمين التجارى — تبعا لهذا الرأى — لا يصدق عليه أنه نظام تعاونى ، فالمساهمون يقبلون عليه لتثمير أموالهم ، وهم يسيطرون على شركات التأمين ويديرونها بما يحقق لهم الربح الوفير ، والمستأمنون لا علاقة لهم بادارة الشركة ولا يملكون سهما من أسهمها وعليهم دفع الاقساط فى مواعيد محددة فى مقابل دفع مبلغ التأمين اذا تحقق الخطر المؤمن منه طوعا لقواعد ومبادىء فرضتها الشركة وهى فى صالحها بوجه عام .

٦ — ولو كان الامر كما يذهب هؤلاء الفقهاء من أن التأمين التجارى قائم على التعاون ما دعا المفكرون وعلماء (٣) الاقتصاد فى أوربا وأمريكا الى الاخذ بالتأمين التعاونى دون التأمين التجارى ، وما ذلك الا لايمانهم بأن التأمين له وظيفته الاجتماعية ورسالته الانسانية فلا يصح أن يكون مصدرا من مصادر الكسب والعيش لطائفة من الناس ، فضلا عن أن هذا اللون من التأمين يمثل خطرا اقتصاديا على الدولة ، لأن شركاته تسيطر على مدخرات وفيرة فاذا تركت هذه المدخرات لفئة لا يحركها غير الربح والمصلحة الفردية فانها تستثمرها بما تراه محققا لمصالحها دون تقدير لظروف المجتمع وحاجاته ، ومن هنا تؤمم شركات التأمين وغيرها من المصارف وهيئات تكوين رؤوس الاموال فى الدول التى تحرص على اقتصادها ، وتحقيق عدالة اجتماعية بين أفرادها وبخاصة اذا كانت هذه الدول متخلفة اقتصاديا (٤) .

على أن فى القول بأن التأمين التجارى قائم على التعاون وأن التأمين التعاونى لم يحقق نجاحا

---

(١) انظر شرح القانون المدنى الجديد فى التأمين ص ٩٩ .

(٢) هو « جيرى فورهيس » فى كتابه « فلسفة النظام التعاونى فى المجتمعات الحديثة »

(٣) انظر فلسفة النظام التعاونى ص ١٧٥ .

ترجمة عمر القبانى ص ٣٠ .

(٤) النظرية العامة لكينز للمرحوم جمال الدين سعيد ص ٥٠٤ ط لجنة البيان العربى .

فى المجالات الاقتصادية تناقضا ، لأنه ما دام التعاون هو القاسم المشترك بين النظامين فلماذا لازم التأمين التعاونى الاخفاق – كما يقولون – دون التأمين التجارى ، أم أن الرغبة فى اعطاء هـذا صبغة العمل الاجتماعى الانسانى هى التى أوحت باضفاء صفة التعاون عليه ونفى صلاحية التأمين التعاونى فى مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية ؟

أن من المعروف تاريخيا أن التأمين بدأ تعاونيا ، ثم تحول على أيدى اليهود وتجار النقود الى نظام تجارى ، وليس ببعيد أن تكون الدعايات اليهودية والرأسمالية قد سعت عن طريق النشر والتأليف الى صبغ التأمين التجارى بصبغة العمل التعاونى الانسانى ، وبمرور الزمن ثبتت هذه الفكرة فى الاذهان وروج لها كثير من رجال القانون ، ومع هذا أكد علماء الاقتصاد فى دولة رأسمالية كأمريكا (١) أن التأمين التجارى لا يقوم على التعاون ، وأنه يعرض الحياة الاقتصادية لخطر شديد وأن التأمين التعاونى على خلاف ما يذهب فقهاء التأمين التجارى لأنه يحقق فى الحياة الاقتصادية منع الاحتكار المالى ويحمى أموال الناس من أن تستغلها فئة خاصة ، وهو بالاضافة الى هذا يحقق فكرة التأمين على أحسن وجه وأشرف غاية .

٧ – لا يقوم التأمين التجارى اذن على التعاون على خلاف ما يذهب فقهاء التأمين وبعض فقهاء الشريعة ، كما أنه يمثل خطرا اقتصاديا على الدولة ، ولا يحقق فكرة التأمين كما يحققها التأمين التعاونى . والتأمين التجارى بعد هذا نظام حديث نقل الينا من الغرب مع ما نقل من قوانين ونظم كثيرة فى أواخر القرن الماضى ، ومن ثم لم ترد له فى الفقه الاسلامى أحكام خاصة به ، ويعد ابن عابدين أول فقيه تحدث عن التأمين ، وقد تحدث عنه فى فصل استئمان الكافر من باب الجهاد فى حاشيته (٢) ، كما أشار اليه فى رسالته المسماة « أجوبة محققة عن أسئلة (٣) مفرقة » وأن كان ما ذكره فى هذه الرسالة تلخيصا لبعض ما جاء فى الحاشية على أن حديث ابن عابدين عن التأمين كان خاصا بالتأمين البحرى ، لأنه كان أول نوع من أنواع التأمين عرف فى البلاد الاسلامية بسبب النشاط التجارى بين الشرق والغرب ابان النهضة الصناعية فى أوربا .

ورأى ابن عابدين يمثل مرحلة تاريخية فى دراسة التأمين من وجهة النظر الاسلامية ، لأنه تكلم عنه فى فترة لم يكن التأمين فيها متقنـا وكان يختلف فى بعض الوجوه عن التأمين بنظمـه القانونية الحديثة ، ولهذا انصب كلام ابن عابدين على نظرية سريان الاحكام فى دار الحـرب والاسلام .

٨ – وأما من يذهب الى أن الامام محمد عبده هو أول من قال بأن التأمين عقد مضاربة ، فاننا مع التسليم بصحة تلك الفتوى التى نشرتها مجلة المحاماة (٤) فى سنتها الخامسـة ص ٥٦٣ ونسبتها الى الامام محمد عبده نرى أن القول بأنه أول من قال بأن التأمين عقد مضاربة غير صحيح ، لأن السـؤال قدم اليه بصيغة لبقة فلم ترد فيه كلمة التأمين ولذا لم ترد فى الاجابة أيضا (٥) ،

---

(١) انظر فلسفة للنظام التعاونى ص ٣٠ .

(٢) الحاشية ج ٣ ص ٢٧٣ ط دار الكتب العربية .

(٣) رسائل ابن عابدين ص ١٦٦ ط محمد هاشم .

(٤) أورد الاستاذ توفيق وهبة نص هـذه الفتوى فى بحثه عن التـأمين « مجلـة الوعى » العدد ٥٥ .

(٥) أنظر مجلة ادارة قضايا الحكومة المصرية السنة السادسة العدد ٩١/٣ .

فالاستاذ الامام لم يقل ان التأمين عقد مضاربة ولكنه ــ ان صح ما نقل عنه ــ أجاب عن السؤال الذى قدم اليه وهو كما نشرته مجلة المحاماة ليس صريحا فى الحديث عن التأمين وتكييفه القانونى وواقعه العملى .

ولهذا فان القاعدة الشرعية التى ذكرت فى صدر الفتوى ، وكذلك العناوين التى جاءت قبلها لا يمكن التسليم بأن الاستاذ الامام قد قال بها ومن ثم لا تعد جزءا من الفتوى .

ومن الغريب أن يتقدم بهذا السؤال رجل أمريكى يدير شركة تجارية للتأمين وليس رجلا مسلما يسعى لمعرفة حكم دينه فى هذا اللون من التعامل . والذى لا ريب فيه أن مثل هذا السائل لا يهمه أن يحرص المسلمون على أحكام دينهم ، وأن يأخذوا بها فى أقوالهم وأفعالهم ، ولكنه يرمى من وراء سؤاله الى تحقيق مصلحته فقط ، ان هذا المدير الاجنبى وجد من المسلمين عزوفا عنه لارتيابهم وعدم اطمئنانهم دينيا الى ما يدعوهم اليه ، فلم يجد وسيلة أجـدى من أن يسعى للحصول على تصريح من المفتى ــ وهو مرجع المسلمين فى معرفة شئون دينهم ــ بشرعية تلك العملية ، وكان لبقا وحذرا فقدم السؤال كما أسلفت بصيغة لبقة حققت ما يتطلع اليه وطار المدير فرحا بالاجابة ، واتخذها كما اتخذها سواه من أصحاب شركات التأمين سلاحا يجذبون به العملاء ومن يرغبونهم فى التأمين ، لقد طبعت هذا الفتوى مرارا ووزعت على سماسرة التأمين وكان هؤلاء ، يدفعون بها الى من يرغبون اليهم فى التأمين على حياتهم أو ممتلكاتهم .

وليت الامر اقتصر ــ فيما يتعلق بفتوى الاستاذ الامام ــ على تصرف شركات التأمين ، ولكن هناك من فقهاء القانون من قال (1) : « ان الامام محمد عبده قد تكشفت عن بصيرته حجب الغيب فرأى بثاقب فكره وبعد نظره الدور الذى سيلعبه نظام التأمين فى اقتصاديات العصر الحديث ، ومن تغلغله فى صميم الحياة الاجتماعية ومبلغ تعلق الناس به واعتمادهم عليه ، وكعامل هام من العوامل المشجعة على الادخار والانتاج ــ لمس الشيخ هذا كله فحرص على ألا يكون على الناس فى الدين حرج ، مسايرا فى ذلك روح الشريعة السمحة التى لم تجعل من الدين عسرا بل يسرا .. »

وفى هذا القول تحميل لفتوى الامام محمد عبده ما لا تحتمل ، واستغلال غير مقبول لها .

٩ ــ وهناك فتوى أخرى نسبت للأستاذ الامام أيضا ، نشرها فضيلة الشيخ ابراهيم الجبالى ــ رحمه الله ــ فى مجلة الازهر المجلد الاول ص ٦٧٩ دون أن يذكر المصدر الذى نقلها عنه ، وقد جاءت كما يلى :

السؤال : رجل يريد أن يتعاقد مع جماعة على أن يدفع لهم مالا من ماله الخاص على أقساط متساوية ليعملوا فيه بالتجارة ، واشترط معهم أنه اذا قام بما ذكر وانتهى أن الاتفاق بانتهاء الاقساط المعينة وكانوا قد عملوا فى ذلك المال وكان حيا فيأخذ ما يكون له من المال مع ما يخصه من الارباح ، واذا مات فى أثناء تلك المدة فيكون لورثته أو لمن يكون له حق الولاية فى ماله أن يأخذوا المبلغ تعلق مورثهم مع الارباح فهل مثل هذا التعاقد الذى يكون مفيدا لأربابه بما ينتجه لهم من الربح جائز شرعا ؟

---

(1) الدكتور محمد على عرفة فى بحثه عن الدعاوى المباشرة المترتبة على عقد التأمين . انظر مجلة القانون والاقتصاد مارس سنة ١٩٤٦ .

الجواب : أنه لو صدر مثل هذا التعاقد بين ذلك الرجل وهؤلاء الجماعة على الصفة المذكورة كان ذلك جائزا شرعا ويجوز لذلك الرجل بعد انتهاء الاقساط والعمل فى المال وحصول الربح أن يأخذ لو كان حيا ما يكون له من المال مع ما خصه فى الربح وكذا يجوز لمن يوجد بعد موته من ورثته أو من له ولاية التصرف فى مالهبعد موته أن يأخذ ما يكون له من المال مع ما أنتجه من الربح .

وفضلا عن تباين ما نشر فى الازهر عما نشر فى المحاماة من ناحية الصياغة ، فان بين الفتويين اختلافا جوهريا أشرت الى أهم وجوهه فى بحث نشرته مجلة الازهر (١) والخلاصة أن ما نسب الى الاستاذ الامام لا يمكن اتخاذه دليلا على جواز التأمين التجارى شرعا ، لأنه من جهة لم يكن منصبا على التأمين بقوانينه المعروفة فهو مجرد اجابة عن سؤال جاء غير صريح وواضح فى الكشف عن حقيقة التأمين ، ولأنه من جهة أخرى عده من قبيل المضاربة — ان صح أن الاستاذ الامام قال بذلك وهو ما نستبعده — لأن التأمين بنظمه وقوانينه شىء والمضاربة المشروعة شىء آخر .

١٠ — واذا كان التأمين التجارى غير المضاربة المشروعة فانه كذلك لا يشبه عقد ولاء الموالاة أو الموعد الملزم عند المالكية أو نظام العواقل (٢) لأن التأمين أجنبى النشأة والنظم ، فلا يشبه بعض صور المعاملات الفقهية المعروفة ، ومحاولة تلمس أوجه شبه بين التأمين وتلك المعاملات لا تكون سديدة لتباين حقيقة التأمين عنها .

وأما قياس التأمين التجارى على نظام المعاشات الحكومى أو نظام التأمين الاجتماعى فهو غير صحيح ، لأن ما تأخذه الدولة من الموظفين أو أرباب الاعمال ليس قسط تأمين بالمعنى المتحقق فى التأمين التجارى ولكنه أشبه شىء بالضريبة التى تفرضها الدولة على مختلف الاموال لتكون عونا لها فى القيام بمهمتها فى شتى مرافق الحياة .

ان القسط فى التأمين التجارى يمثل الاجرة فى الاجارة أو الثمن فى البيع ، وتحمله شركات التأمين نفقات كثيرة حرصا على مكاسبها المادية ، ولكن ما يؤخذ من الموظفين هو فى الواقع ضرب من التكافل بينهم وبين الدولة حتى تتمكن من أداء واجبها نحو رعاية هؤلاء العاملين وأسرهم بعد انتهاء مدة خدمتهم .

وعلى هذا فان ما جاء فى بحث الاستاذ وهبه (٣) من أن مايقال عن التأمين الفردى من انتقادات يمكن توجيهها أيضا الى نظام المعاشات الذى يبيحه جمهور الفقهاء ، لأن هناك بونا شاسعا بين عمل تعاونى اجتماعى تفرضه الدولة وتشرف عليه وتقوم بتحمل العبء الاكبر فيه تقديرا لخدمات العاملين فيها واعترافا بفضلهم وأداء لواجبها نحوهم ، وعمل تزاوله شركات تجارية لا رغبة فى أداء رسالة اجتماعية ولكن رغبة فى المال فضلا عن خضوعه لمبادىء وقواعد تجعله لا يخلو من شبه كثيرة محرمة كالغرر والربا والقمار .

---

(١) عدد رمضان سنة ١٣٨٦ .

(٢) بينت أوجه الاختلاف بين التأمين وبعض صور المعاملات الفقهية التى رأى بعض الفقهاء أنها تشبه التأمين فى رسالتى عن التأمين وموقف الشريعة الاسلامية منه ص ٩٠ وما بعدها ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

(٣) مجلة الوعى الاسلامى العدد ٥٥ .

وليس تأميم شركات التأمين سبيلا لخلوه مما يريب حتى يمكن أن يأخذ بعد التأميم حكم نظام المعاشات ، لأن تغير الجهة التى تسيطر على شركات التأمين لا يعنى أن جوهر النظام قد تغير ، فاذا ظل يخضع بعد التأميم لنفس القوانين والقواعد التى كان يسير عليها قبل ذلك ، فان كل الانتقادات التى وجهت الى التأمين قبل التأميم توجه اليه بعد تأميمه ..

١ ـ والذى لا جدال فيه أن الحياة فى عصرنا الحديث قد تضاعفت مخاطرها وكثرت مشاكلها ، وأن التأمين من حيث فكرته ضرورى لكل فرد مهما تكن ثروته أو مكانته ، واذا كانت القاعدة الفقهية تؤكد أن الضرورات تبيح المحظورات وما دام التأمين ضرورة اجتماعية واقتصادية ولم يرد بشأنه نص فى الشريعة الاسلامية ، وما دام الاصل فى العقود الاباحة ما لم تخالف قاعدة شرعية ، فلماذا لا يكون التأمين التجارى جائزا شرعا ؟

حقيقة أن الضرورات تبيح المحظورات ، وأن الشريعة الغراء يسر لا عسر وأنها جاءت لمصلحة الناس جميعا فى الدنيا والآخرة ، وأن مبادئها لا تتعارض مع أى نظام يحقق للناس الامن والسلامة والخير والاستقرار ما دام هذا النظام لا يصادم نصا شرعيا ، ولكن هل نحن بالنسبة للتأمين التجارى أمام ضرورة لا سبيل الا اليها بحيث اذا أهملنا الاخذ به وقع الناس فى عنت وحرج وتعرضوا لخطر وضرر لا قبل لهم بدفعه أو تحمل آثاره ؟

لقد أسلفت أن الدول التى ظهر فيها التأمين التجارى لأول مرة لم تعده أمرا ضروريا يجب الحفاظ عليه والذود عنه ، بل على العكس نزعت الى الاخذ بالنظام التعاونى ومحاربة ذلك النظام (١) . فلماذا ندعو نحن الى نظام لا يخلو ـ فى أحسن حالاته ـ من شبهة ولا ضرورة لازمة للأخذ به لأننا يمكننا أن نلجأ الى غيره مثل التأمين التعاونى ، واذا لم يكن قائما اقمناه وعممناه .

ان الضرورة الشرعية يجب أن تقدر (٢) بقدرها ولا ينبغى اللجوء الى أمر تحوم حوله الشبهات الا اذا تعين ولم يوجد سبيل غيره ، وأن الاخذ به فى هذه الحالة لا يكون دائما ، لكنه يكون مقيدا بمقتضى تلك الضرورة التى فرضته بحيث اذا انتهت الضرورة أصبح محرما ، وأصبح الاقدام عليه اثما .

١٢ ـ وبعد فانى فى ختام هذه الدراسة ـ التى أرجو أن تسهم فى الوصول الى رأى حاسم فى مشكلة التأمين ـ أود الاشارة الى أن دراسة جميع المشكلات المعاصرة وكل ما يجد من مشكلات يجب أن تقوم على أساس النظرة الكلية للشريعة الاسلامية ، بمعنى أن كل قضية تجد لا تدرس منفصلة عن مبادىء الشريعة العامة ، وعن المقومات والقيم التى يتميز بها المجتمع المسلم ، فقد يجد أمر ويحكم عليه بعضهم بالجواز شرعا بحجة أن هـذا الامر لا غنى للمجتمع عنه وهو يحقق مصلحة من العبث أن تهمل ، ولكن اذا نظر الى هذا الامر من خلال الاطار العام للشريعة فقد يبدو غير جائز ، لأن فى مبادىء الشريعة ما يغنى عنه دون الوقوع فيما حذر الدين منه .

ولا يفهمن أحد أن الشريعة تعادى كل جديد وأن المجتمع المسلم لا يستفيد من خبرات الآخرين فان ما أرمى اليه هو أن الحكم على كل أمر مستحدث لا ينبغى أن يكون بمعزل عن مبادىء الشريعة العامة سدا للذريعة المفضية الى التحلل من أوامر الدين وشعائره شيئا فشيئا .

والله يتولانا جميعا بهدايته وتوفيقه .

---

(١) انظر فلسفة النظام التعاونى ص ١٧٨ .

(٢) انظر « أصول التشريع الاسلامى » لأستاذنا الاستاذ على حسب الله ص ٢٦٣ .



القضية العلمية الخاصة بوحدة البناء الكوني وتجانسه

الإسلام الدرع الواقي لرسالات السماء

الدكتور : محمد جمال الدين الفندي

قال الشاب معبرا عن ما يخطر بباله وببال أمثاله ممن يعيشون هذا العصر :
ما ذنبى اذا لم أسلم بحدوث معجزة لم أرها ؟

قلت : هل تصدق معجزات الرسل تلك التى لم نشاهدها ، وانتهت بانتهاء زمانها ومكانها ؟

قال : نعم ، فذلك عهد قد مضى وانقضى بخوارقه الخارجة على الناموس .

قلت : مثل عصى موسى ، واحياء الموتى ؟

قال : نعم .. ومثل أهل الكهف ، وحوت يونس وناقة صالح ، وطير ابراهيم ، وهدهد سليمان ، وحمار عزير وغيرها ..

قلت : ولكن القرآن كتاب المسلمين يذكرها ويثبتها ، فهل اذا ما سلمت بالقرآن ككل وآمنت بما جاء به كآية لا تزال بين أيدينا وتحت أسماعنا وابصارنا ، هل تسلم بتلك المعجزات وتصدق بها ؟

قال الشاب : ما فى ذلك من شك ، فالقرآن هو سبيلنا الوحيد للتسليم بما جاء به الرسل والانبياء من رسالات وبما أمدهم الله به من معجزات ، والاسلام هو جماع لرسالات السماء الى أهل الارض ودرعها الواقى فى هذا العصر .. وهناك شبه اجماع بين أكثر المشتغلين بالعلم على وجود اله خالق الا انهم لا يرون أن هذا الخالق هو نفسه الذى أنزل القرآن .

قلت : يؤمن العلماء بوجود اله خالق عن طريق شمول النظام مع ثبوته فى الكون . ولكن أكثرهم لا يرى أن هذا الاله هو نفسه الذى أنزل القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم لعدم فهم كتاب الله على الوجه المطلوب ، بسبب اغلاق باب الاجتهاد وانكار ما فتح العلم أمام الاديان من أبواب .

وما دام الكون من عمل الله ، والقرآن كلام الله ، فلا بد أن يطابق القول العمل ، والذى يبصرنا بهذا التطابق الرائع الاخاذ هو العلم ، فهو يكشف لنا عن ما فى الكون من آيات وحقائق تتجلى فيها قدرة الخالق ، ثم يذكرها القرآن أو يلفت اليها الانظار بطريقة معجزة .

قال الشاب وقد اعتدل فى جلسته : أتعنى ان اسلوب القرآن هو الاسلوب العلمى ، رغم أن المعروف عن الاديان أن لها أساليبها غير العلمية ، كالتأثيرات العاطفية والانفعالات النفسية ؟

قلت : ما من شك أن أسلوب القرآن هو نفسه الاسلوب العلمى ، وذلك عين ما يلائم أهل هذا العصر لاقناع المكابر أو الجاحد . فنحن نعيش عصر العلم ، والايمان بالحجة والاقناع والدليل والبرهان لا يمكن أن يزعزعه مكابر أو جاحد . انظر مثلا الى قوله تعالى :

أ) « كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون » البقرة ٢٤٢ .
ب) « كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون » الروم ٢٨ .
جـ) « ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » الرعد ٤١ .
د) « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا » الانعام ١٤٨ .

ثم يقول : « ان هو الاذكر للعالمين . ولتعلمن نبأه بعد حين » ص ٨٧—٨٨.

والحقيقة الواقعة أنه لم تعد بعد نزول القرآن الكريم فرصة للمعجزات الخارقة لنواميس الطبيعة ولم يعد ثمة مكان أو زمان لما يسمى بالخوارق .. بل ان القرآن نفسه يسخر ممن يتوقعون أو يتطلبون الخروج على قوانين الطبيعة ونواميسها ، فنجده يقول مثلا :

(وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا) الاسراء ٩٠ — ٩٣ .

وهكذا يتخذ القرآن نفس الاسلوب الذى لا يعترف بالخوارق من بعد نزوله ، وانما يرجع كل شىء الى قانونه السليم العام التطبيق ، واذا كان العلم يحتم وجود الخالق عن طريق شمول وثبوت الناموس ، فهل يعمد هذا الخالق فى عصر العلم الى تغيير ناموسه والخروج على قوانينه من أجل ارضاء الناس ؟

ويفرق القرآن بين الظن أو الجهل وبين العلم أو اليقين فيقول :
« وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى عن الحق شيئا » يونس ٣٦ .
ب) « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » الزمر ٩ .

ويتضمن الاسلوب العلمى نفس تلك التفرقة . وعلى هذا الاساس ، وبذلك الاسلوب ، تطورت البشرية وتطور العقل البشرى خلال القرنين الاخيرين فبلغ من الرقى المادى والمعرفة ما لم يبلغه خلال آلاف السنين التى قضاها تحت

سيطرة الاساليب الاخرى غير العلمية . والذى عاق الامة العربية عن المضى قدما فى سبيل التقدم بعد نهضتها العظمى بالاسلام هو كما قلت سد باب الاجتهاد . ولكن القرآن خلص العقل البشرى من قيود الرجعية والاغلال التى فرضتها الحضارات القديمة .

ولما جعل الله الانسان خليفة على الارض كلفه أن يكون مثمرا معمرا يملأ الارض خيرا بكده ، ويخضع ما فيها بعلمه ، الا أن الانسان بدا مرارا فى عصور التاريخ المختلفة كأنه كائن آلى قصير النظر ، أو أعمى ملىء بالغرور مما أعاق تقدمه ، وحال دون قيامه بما كلف به ، ولهذا توالت رسالات السماء حتى صار عصر العلم على الابواب ، فكان القرآن الكريم آخر تلك الرسالات ، يخاطب العقل ويوجه الحديث الى أهل العلم والمعرفة ، بل ويقسم بظواهر الكون الطبيعية ، موجها أنظارنا لدراستها وبحثها علميا ، فتجده يقول مثلا فى سورة الانشقاق : « فلا أقسم بالشفق . والليل وما وسق . والقمر اذا اتسق . . » ١٦ — ١٨ .

وان استخدام (فلا أقسم) تعبير لغوى يراد به تأكيد القسم ، أو لفت أنظار السامعين . والشفق هو لون الافق المتدرج من الاحمر أو البرتقالى الى الاصفر ، فالازرق ، ويرى بوضوح بعد غروب الشمس ، والسبب فى ذلك هو تشتت أو تناثر ضوء الشمس الابيض فى طبقات جو الارض السطحية الغنية بالاتربة والشوائب أو نقط الماء المنعقدة داخل السحب السابحة قرب سطح الارض .

وتشير الآية الكريمة الى انارة الشمس لجو الارض وظهور تلك الالوان الجميلة رغم اختفاء قرص الشمس . «والليل وما وسق» يعنى وما ضم من حشود أجرام السماء وبسط ظلام الفضاء الدامس الذى يمثل الليل على الارض امتدادا له .

وهكذا تشير الآيات الثلاث الى قدرة الخالق جل وعلا ، على انارة القمر واكتماله بدرا وسط ظلام الليل ، وعلى انارة الافق رغم عدم ظهور الشمس كما تشير الى اظلام الفضاء الذى يضم حشود كواكب السماء ، وهى حقائق ماعرفها الناس الا فى عصر العلم .

ويهدف القرآن الى أن يكون اتباعه قادة أهل الارض فى كل العصور علما وأعلاهم قدرا لأنهم دعاة الحق وحماة الاسلام ، ولكن الحق الذى لا نصير له من القوة لا قيمة له ، ولا تتوفر القوة فى هذا العصر الا بالعلم .

انظر قوله تعالى :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » آل عمران ١١٠ .

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين . . » المنافقون ٨ .

ولهذا تضمن القرآن الكريم مئات الآيات التى تأمر بالعلم ، وتشيد من قدر العلماء ، وتذكر آيات الله المنبثة فى هذا الكون ، بل وتبين بعضها بالتفصيل المعجز الاخاذ :

١ — بالعلم وحده فضل الله تعالى آدم على سائر المخلوقات :

« وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا أنك أنت

العليم الحكيم . قال يا آدم انبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال الم اقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون .. » البقرة : ٣١ — ٣٣ .

والاسماء لا يمكن الا أن تكون للموجودات ، وصفاتها أو خصائصها . ولقد قدرت الملائكة هذه المنحة الالهية (العقل والعلم) فى الانسان التى ميز الله تعالى بها آدم فسخر بواسطتها قوى الطبيعة وسيطر على ما فى الارض جميعا ثم راح يغزو الفضاء ويرتاد السماء بسلطان العلم .

« يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان » الرحمن : ٣٣ .

ولكن الشيطان نظر الى الناحية المادية البحتة فى الانسان وقال انه من طين .. ومن قوى الشر التى يخضعها العقل أيضا النزوات والشهوات ، ولكن الذى يسيره هواه ، ولا يقوى على كبح جماح نفسه ، أو ينقاد للشهوات المادية ، فهو ممن فقدوا سيطرة العقل وقوة العلم على ما انغمس فيه من الشهوات .

٢ — الاخذ بالاسباب لبلوغ المقاصد ، فلكل شىء علة وسبب :

« انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شىء سببا . فاتبع سببا » . الكهف ٨٤ — ٨٥ .

٣ — ذكر العديد من الحقائق العلمية كقضايا عامة من غير تفصيل . ولهذا لا ندعى أن القرآن من المراجع العلمية على النحو الذى نعرفه ونألفه . كما أن فى القرآن تفاصيل بعض الحقائق مما يقع تحت بصر كل انسان ، وأعنى بذلك الحقائق الكونية السائدة فى السماء أو الفضاء أو الهواء أو الماء ، والتى لا تستلزم رؤيتها ومشاهدتها حجرات المعامل وحقول التجارب .

ومن أمثلة ذلك :

وحتى يطمئن قلبك سوف أسرق بعض تلك الآيات التى أشير اليها :

أ) « الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا .. » الروم : ٤٨ .

ب) « وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما انتم له بخازنين » الحجر : ٢٢ .

جـ) « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء » الانعام : ١٢٥ .

د) « فلا أقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم » الواقعة : ٧٥ — ٧٦ .

هـ) « الم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن ما يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار » النور : ٤٣ .

وكلها قد سبق لنا التعليق عليها علميا على صفحات « الوعى الاسلامى » .

و) يقول الله تعالى فى سورة الملك : ٣ — ٤ .

« ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » .

وهى تشرح فى بساطة لفظية أخاذة قضية بناء الكون بأسره ، ابتداء من

ناته الاولى (الذرات) الى اكبر وحداته (المجرات) أو وحدات المجرات وهى لمجموعات الشمسية أو المجموعات النجومية .

والمراد بكلمة تفاوت الاختلاف وعدم التناسق ، وهو ما تنفيه الآية الكريمة وتستنكره . أما قوله « فارجع البصر » يعنى انظر مرة أخرى الى الكون بعين لمدقق (أو الفاحص العلمى) بعد أن نظرت اليه مرارا نظرات عابرة من قبل ، هل ترى من شقوق وعدم استمرار فى البناء ؟ ثم ارجع البصر كرتين أخريين احداهما الى العالم الاصغر ممثلا فى الذرة ، والاخرى الى العالم الاكبر ممثلا فى نظامنا الشمسى) يرتد اليك البصر كليلا عاجزا ، (لأن العالم الاصغر لا يرى بالعين المجردة وانما بالمجهر الالكترونى — أما العالم الاكبر فلا سبيل الى الالمام به من غير استخدام المناظير الفلكية المكبرة) .

ولكن النظام داخل الذرة هو نفسه النظام الذى يجرى فى مجموعات الشموس والنجوم ، وهو بيت القصيد من قوله تعالى : « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » .

والمعروف أن الذرة مكونة من كهارب او الكترونات تلف وتدور من حول النواة ، أما المجموعة الشمسية فهى بدورها عبارة عن كواكب سيارة تدور وتلف من حول مركز المجموعة أو الشمس ، وهكذا .. قد يصعد بنا السلم متدرجا بنفس المقياس تقريبا ، بل هو يتدرج فعلا من الذرة الى المجموعة الشمسية ، ومن المجموعة الشمسية الى المجرة ، ومن المجرة الى الكون المائى ، فالاكوان التى نراها .. وقد تبلغ هذه الخطوات من حيث العدد سبع سماوات غير أن القرآن الكريم استخدم لفظ السماء أو السماوات للدلالة على العديد من الاشياء التى تعلونا وترتفع فوق رؤوسنا .

ومرة أخرى نقول ، كما سبق أن قلنا مرارا ، ان القرآن الكريم (كلام الله) انما يبصرنا من حين الى آخر بما فى هذا الكون من أسرار (عمل الله) ، تلك الاسرار التى راح العلم يكشف عنها واحدة تلو الاخرى ، وهكذا يلتقى العلم بالقرآن ، وهكذا يرينا الخالق آياته كلما سارت الحضارة قدما الى الامام مصداقا لقوله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق ... »

ولكن المكابرين والجاحدين هم وحدهم الذين يغمضون أعينهم ويسدون آذانهم ويعرضون عن سماع كلمة الحق : « ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » الانفال : ٢٢ .

فالايمان ، واتباع الحق والسلوك السليم والبعد عن الهوى ، كلها أمور لا تنطوى تحت مجرد التسليم كما يعتقد البعض ، وانما تتطلب اعمال الفكر والدراسة ، واستخدام قوى العقل التى ميز الله تعالى بها الانسان ، وذلك كله بعيدا عن التعصب الاعمى الذى يضلل الناس .

وبطبيعة الحال لا حدود لما حوى الكون من أسرار ، ونحن نقف منها الا مبلغ ما يقف الانسان الناظر من الشاطىء الى البحر الزاخر . ولهذا يأمل العالم دائما فى المزيد من العلم . وفى مثل هذه المعانى الرائعة يقول الكتاب الكريم :

أ) « وفوق كل ذى علم عليم » يوسف : ٧٦ .
ب) « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » الاسراء : ٨٥ .
جـ) « وقل رب زدنى علما » طه : ١١٤ .

٤ ـ ان تغيير الناموس أو خرق النظـام الطبيعى على أيدى الرسـل لم يتم الا باذن خاص من الله تعالى فالله وحده هو القادر على تغيير ناموسه . وفى هذا المعنى يقول الله تعالى لعيسى عليه السلام :

« اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا ، واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرىء الأكمه والأبرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى .. »

المـائدة : ١١٠.

والمعروف أن الأكمه هو الذى يولد أعمى وهيهات أن يبصر ، أما الابرص فهو من يصاب بداء يبيض معه الجلد وهيهات أن يعود سيرته الاولى .

٥ ـ فى القرآن الكريم حقائق علمية رائعة أخاذة ، يسبق بها ركب العلم ، سوف نورد مثالا لها فيما يلى فمثلا من الطريف حقا بل وأعجب العجب ان يذكر القرآن الكريم أسفار الفضاء على أنها تتم فى مسارات منحنية والحقيقة العلمية أن الفضاء لا يعرف الخط المستقيم .

انظر الى قوله تعالى مثلا :

أ) « تعرج الملائكة والروح اليه » المعارج : ٤ .

ب) « يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينـزل من السمـاء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور » سبأ : ٢ .

جـ) « ولو فتحنـا عليهم بابا من السماء فظلوا فيـه يعرجون » .. الحجر : ١٤ .

فاذا انفتح أمام الناس باب الوصول الى القمر مثلا وراحو يرحلون اليه فانمـا ينطلقون فى مسـارات منحنية أو متعـرجة ولا يسيرون فى خطوط مستقيمة .

د) « من الله ذى المعارج » سورة المعارج . ٣

هـ) « ومعارج عليها يظهرون » الزخرف : ٣٣ .

وتقول الآية كاملة : لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون . (صدق الله العظيم) .

٦ ـ مقارعة الكافرين بالعلم :

« أو لم ير الذين كفروا ان السماوات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى » .

٧ ـ بينما يصف القرآن الكريم النبى محمد صلى الله عليه وسلم بالكمال من حيث الاخلاق :

« وانك لعلى خلق عظيم » القلم : ٤ .

اذا به من حيث العلم يقول له :

« وقل رب زدنى علما » طه : ١١٤ .

أى أنه بينما يمكن أن يصل الانسان الى درجة مرموقة من الخلق يبقى علمه قاصرا نسبيا .

(وفوق كل ذى علم عليم) . صدق الله العظيم .

العقيدة
من صفات القائد المنتصر

بقلم
اللواء الركن : محمود شيت خطاب

-١-

عزمت على اخراج كتاب للناس عن : (قيادة النبى) صلى الله عليه وسلم ، أتحدث فيه عن صفات القائد المثالى ، ثم أطبق تلك الصفات على مزايا النبى صلى الله عليه وسلم القيادية ، فهو القدوة الحسنة للمسلمين فى كل زمان ومكان ، وهو المثال الرائع للمشرعين والاداريين والسياسيين وللقادة أيضا .

وكان منهاجى فى البحث بعد كتابة المقدمة ، دراسة صفات القائد فى التراث العربى الاسلامى أولا ، ودراسة صفاته فى الكتب العسكرية الأجنبية الحديثة ثانيا ، ومقارنة ما جاء فى تراثنا بما جاء فى المصادر

العسكرية الجديدة التى كتبها أشهر قادة الحرب من عهد نابليون حتى اليوم .

وبغير مباهاة بتراثنا العربى الاسلامى واعتزاز ، واقرارا للحق وحده ، وبدون انفعال ولا عاطفة ، فقد وجدت أن ما جاء فى تراثنا أغزر مادة ، وأعمق تفصيلا وأشمل دراسة مما جاء فى المصادر العسكرية الحديثة ، ابتداء بما قاله نابليون وانتهاء بما سطره مونتجومرى فى كتابه : (السبيل الى القيادة) الذى صدر باللغة الانجليزية عام ١٩٦٥ م

والواقع أن فى تراثنا العربى الاسلامى كنوزا من العلم والمعرفة يندر وجودها فى تراث آخر لأية أمة من الأمم ، ولكن المناهج التعليمية التى حرص المستعمر على وضعها ، وحرص أيتامه على اقرارها من بعده عملت عملها الهدام فى التقليل من شأن تراثنا العريق ، وصورته بصورة المتخلف عن ركب الدراسات العلمية والأدبية والفنية ، وجعلت التلاميذ والطلاب يشيحون بوجوههم عنه ، مبهورين بكل ما جاء به الأجنبى

ومن المؤسف حقا أن تراثنا الشامخ ، أصبح مجهولا حتى من أساتذة الجامعات ، فهم يرددون ما قاله الأجنبى فلان والمستشرق فلان . ولقد قرأت مؤخرا بحثا مستفيضا عن مؤرخ عربى قديم ، كتبه أستاذ جامعى كبير ، فكانت كل مصادره أجنبية ، ولم (يتواضع حتى فى الاعتماد على مصدر عربى واحد ... ! كأن أولئك الأجانب ابتكروا المعلومات التى أوردوها عن ذلك المؤرخ العربى ، بينما الحقيقة هى أن الأجانب نقلوا معلوماتهم عن تراثنا مستهدفين اظهار العيوب واخفاء المزايا .

واذا كان للمستشرقين والأجانب من غير العرب عذرهم الواضح فى التقليل من شأن تراثنا العربى الاسلامى ، فما عذر المستغربين العرب فى اقتفاء آثار الأجانب والمستشرقين . ؟

وتذكرت ما كنت قرأته قبل سنوات فى مذكرات الفريق الركن المرحوم طه الهاشمى ، فقد ذكر أن قسما من الضباط العراقيين الذين فقدوا مناصبهم فى الجيش بعد الحرب العالمية الأولى ، أرادوا تسنم مناصب عسكرية فى الجيش العراقى عام ١٩٢٤ بعد استقلال العراق (صوريا) ومولد هذا الجيش .

وعارض اعادتهم الى الجيش موظف كبير فى السفارة البريطانية ببغداد ، بحجة أنهم وطنيون مخلصون لوطنهم ، فانهم سينشئون الضباط الأحداث فى الجيش العراقى تنشئة وطنية !

ولكن المس (بيل) وهى من أكبر موظفى السفارة البريطانية حينذاك قالت لذلك الموظف البريطانى الكبير : « لا تخف ... ان المناهج التعليمية التى وضعناها للمدارس ، كفيلة بتنشئة النشء الجديد كما نريد !!! »

لقد توخى المستعمر قلع صلة تلاميذ العرب وطلابهم من جذورها بتراثهم الحضارى العظيم ، والأمة التى ليس لها ماض تعتز به لا يكون لها حاضر ولا مستقبل ، لأن معرفة الماضى هى وحدها تطوع لنا تصوير المستقبل ، فالماضى والحاضر والمستقبل وحدة لا سبيل الى انفصامها ، ومعرفة الماضى هى الوسيلة لتشخيص الحاضر وتنظيم المستقبل .

— ٢ —

فى هذه الدراسة سأركز على ما جاء عن (العقيدة) كمزية من مزايا القائد المنتصر فى تراثنا العربى

الاسلامى أولا وفى المصادر الأجنبية ثانيا .

والتراث العربى الاسلامى فى الناحية العسكرية ضخم جدا ، يملأ مكاتب أوروبا ومتاحفها ، وتزخر به مكاتب المخطوطات العربية فى شتى أصقاع الدنيا ، ويكفى أن نذكر كتاب فهرست ابن النديم الذى عدد فيه : (الكتب المؤلفة فى الفروسية وحمل السلاح ، وآلات الحرب والتدبير والعمل بذلك لجميع الأمم) (١) لنرى أى تراث عسكرى أصيل كان للعرب والمسلمين منذ أقدم العصور .

واذا كان الزمن قد أبقى عددا كبيرا من المخطوطات العسكرية العربية ، فكم هو عدد المخطوطات العسكرية التى عفى عليها الزمن ؟ .

ومن مقارنة ما جاء فى كتاب الفهرست لابن النديم عن الكتب العسكرية العربية التى علم بها ، بالكتب العسكرية العربية التى وصلت الينا فى الوقت الحاضر ، يتبين لنا أن كثيرا من تراث العرب العسكرى لا يزال مفقودا .

ولكن ما بقى من المخطوطات العسكرية العربية ، يدل على أن العرب والمسلمين بلغوا شأوا بعيدا فى العلوم العسكرية النظرية .

وسأقتصر على ايراد ما جاء فى ثلاثة كتب من تراثنا العربى الاسلامى عن (العقيدة) وعلاقتها بصفات القائد المنتصر : كتابان منها مطبوعان والثالث لا يزال مخطوطا .

جاء فى كتاب (مختصر سياسة الحروب) (٢) للهرثمى الذى عاش الى ما بعد سنة (٢٤٣) الهجرية فى باب : (فى أن نظام الأمر تقوى الله والعمل بطاعته) ما نصه : (فينبغى لصاحب الحرب أن يجعل رأس سلاحه فى حربه تقوى الله وحده وكثرة ذكره والاستعانة به والتوكل عليه ، ومسألته التأييد والنصر والسلامة والظفر ، وأن يعلم أن ذلك انما هو من الله جل ثناؤه لمن شاء من خلقه كيف شاء ، لا بالأرب منه والحيلة والاقتدار والكثرة ، وأن يبرأ اليه جل وعز من الحول والقوه فى كل أمر ونهى ووقت وحال ، والا يدع الاستخارة لله فى كل ما يعمل به ، وأن يترك البغى والحقد وينوى العفو ويترك الانتقام عند الظفر الا بماكان فيه لله رضى ، وأن يستعمل العدل وحسن السيرة والتفقد للصغير والكبير بما فيه مصلحة رعيته ، وأن يعتمد فى كل ما يعمل به فى حربه طلب ما عند ربه عز وجل ليجتمع به خيرا الدنيا والآخرة (٣) .

وجاء فى كتاب : (الاحكام السلطانية) (٤) لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى الماوردى المتوفى سنة (٤٥٠) الهجرية عن (العقيدة) فى صفات القائد المنتصر : (أن يأخذ جيشه بما أوجبه الله من حقوقه وأمر به من حدوده ، حتى لا يكون بينهم تجور فى دين الله ولا تحيف فى حق ، فان من جاهد عن الدين كان أحق الناس بالتزام أحكامه ، والفصل بين حلاله وحرامه) (٥) .

---

(١) انظر التفاصيل فى الفهرست — ابن النديم — ص (٣١٤ — ٣١٥) — بيروت — ١٩٦٤ م .
(٢) تحقيق المرحوم عبد الرؤف عون — مراجعة الدكتور محمد مصطفى زيادة — القاهرة .
(٣) مختصر سياسة الحروب ص (١٥) .
(٤) الاحكام السلطانية — الماوردى — القاهرة — الطبعة الثانية ١٣٨٦ هـ .
(٥) الاحكام السلطانية (٤٤ — ٤٩) وفيها تفصيل ذلك .

وجاء فى كتاب : (الأدلة الرسمية فى التعابى الحربية)[1] لمحمد بن منكلى نقيب الجيش فى سلطنة الأشرف شعبان (٧٦٤هـ — ٧٧٨هـ) وقد ألف هذا الكتاب سنة (٧٧٠) الهجرية : (ان تقوى الله هى العمدة العظمى ، والفوز الأكبر الاعلى ثم قال : ويلزم أمير الجيش أن يؤلف بين قلوب رفقائه ، وأن يراعى فى جيشه ما أوجبه الله من حقوقه ...) .

— ٣ —

تلك لمحات مما جاء فى التراث العربى الاسلامى عن صفة (العقيدة) فى القائد المنتصر .

وأكاد ألمح قسما من القراء يطالبون بايراد ما جاء فى المصادر الأجنبية الحديثة عن ميزة (العقيدة) فى القائد المنتصر .

وأستطيع ايراد أمثلة لا تعد ولا تحصى من المصادر الأجنبية ، ولكننى سأقتصر على ايراد ما جاء فى آخر كتاب صدر . عن القيادة هو كتاب : (السبيل الى القيادة) الذى ألفه المشير اللورد مونتجومرى أبرز قادة الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية ، وهو قائد معروف أشهر من أن يعرف .

يتساءل مونتجومرى : (هل من علاقة للدين بالقيادة ؟) ، وهو يجيب على هذا التساؤل جوابا جازما فيقول : (ان القائد لا بد من أن يكون متمسكا بمثل عليا وبالفضائل الدينية) .

ومجمل الفضائل الدينية التى يراها مونتجومرى : هى

ا) الهدى :

(وهى عادة ارجاع جميع الأمور الى الارشاد الالهى ، والى هذه الفضيلة تستند الحكمة والانصاف وحسن التصرف .

ب) العدالة :

(وهى اعطاء كل فرد حقه : حق الله وحق الانسان نفسه ، والى هذه الفضيلة تستند الواجبات الدينية والطاعة والشكران ، وكذلك النزاهة والاستقامة وحسن النية نحو الآخرين) .

جـ) الانضباط :

(وهو السيطرة على النفس لغرض تطوير الطبيعة البشرية الى أرفع المستويات للأغراض الاجتماعية والشخصية أيضا ، والى هاتين يستند الطهر والتواضع والصبر) .

د) الجلادة :

(وهى الروح التى تقاوم وتتحمل وتتغلب على محن الحياة واغراءاتها ، والى هذه الفضيلة تستند الشجاعة الأدبية والمثابرة وضبط النفس) .

— ٤ —

ثم يتساءل مونتجومرى : (من هم أعظم القادة فى كل الأزمان ؟) ، ثم يجيب : (أنهم ولا شك مؤسسو الديانات العظمى المسيح ومحمد وبوذا) .

ثم يقول : (هل كانت الحياة الخاصة لهؤلاء الثلاثة احدى الأسباب لنفوذهم ونجاحهم ؟ وهل يجب أن

---

(١) كتاب مخطوط منه نسخة فى مكتبة أيا صوفيا (فى تركيا) برقم (٣٨٣٩) وأخرى برقم (٢٨٧٥) ، وأعمل الآن فى تحقيقه واخراجه للناس نظرا لفائدته العظيمة .

تكون حياة القائد الخاصة فوق الشبهات ؟) .

ويجيب مونتجومرى على ذلك فيقول : (فى رأيى الخاص فى هذه القضية بالذات بل وجميع القضايا الأخرى أن العامل الاكبر هو اخلاص المرء ونفوذه وكونه (قدوة) وخاصة فيما يتعلق بالفضائل الدينية ..... اننى لا أدرى كيف يستطيع امرؤ ان يكون قائدا ، ان لم تكن حياته الخاصة فوق الشبهات ، فان لم تكن حياته الخاصة فوق الشبهات ، فلا يحترمه الذين يقودهم ، وسيسحبون ثقتهم منه ، واذا ما حدث ذلك ، فستفقد قيادته تأثيرها ..... اننى أعتقد أن (الاستقامة) فى القضايا المعنوية وفى الفضائل الدينية أمر ضرورى لنجاح القائد) .

ومونتجومرى يعتقد : (أن الميزة الأولى للقائد هى أن يكون مخلصا اخلاصا عميقا وعظيما وحقيقيا ، ينبعث من القائد من غير أن يشعر به ، فهو فيه بالطبيعة ، وهو لا يملك الا أن يكون مخلصا . ويضاف الى الاخلاص نكران الذات ، وأعنى بذلك الولاء التام للقضية التى يخدمها ، من غير أن يفكر فى جزاء أو تعظيم) .

ويقول : (يجب أن يكون القائد (مستقيما) كل (الاستقامة) ثم يقول : (وانى أعتقد أنه يجب أن يكون لدى القائد (يقين) باطنى مبنى على العقل ، ولكنه يعلو مع ذلك فوق العقل) .

وشاء مونتجومرى أن يختم كتابه القيم : (الطريق الى القيادة) بخاتمة هى فى الحق تهويمة صوفية بكل ما فى هذا التعبير من معان ، فهى عبارة عن رؤيا لاقى فيها أباه المتوفى فحدثه حديثا قال له فيه أبوه : (يا بنى لا أود أن أبقى طويلا ، وأود أن أقول لك : يتحدث الناس فى الدنيا كلها عن الحرية ، ولكن هناك حرية ايجابية واحدة هى حرية الاختيار بين الخير والشر ، وأن أفضل تعريف لهذه الكلمة التى قلما فهمها الناس هى : ان الحرية التامة هى فى خدمة الرب) .

ويضيف مونتجومرى الأب مخاطبا ابنه المشير مونتجومرى فى المنام : (عندما أعاين عالمكم اليوم ، ينتابنى القلق أحيانا على الجيل الجديد ، عندهم مغريات لم نحصل عليها أنا وأنت ، ويبدو أنهم ينضجون مبكرا ، ولكن ذلك يجرى فى عالم غير مأمون ، وهم يميلون الى أن يجعلوا للأمور المادية قيمة كبيرة وأن يهملوا القيم الروحية ..... على الشباب أن يتسلح جيدا بالشعور الروحى ، اذا أراد الا ينحرف أو أراد الا يجرفه التيار) .

ومن الواضح أن مونتجومرى فى كتابه هذا : (السبيل الى القيادة) ردد مرات كثيرة ، أهمية تحلى القائد بالدين ، وقد عزا نجاحه قائدا منتصرا أكثر من مرة فى كتابه هذا الى تمسكه بأهداب الدين .

— ٥ —

وربما يتبادر الى الأذهان السؤال التالى : (كيف انتصر الاتحاد السوفياتى وهم لا يؤمنون بالدين) .

والواقع ان الاتحاد السوفياتى قد تساهل مع أفراد جيشه فى القضايا الدينية أيام الحرب العالمية الثانية ، فأقبل الناس على الكنائس وظهرت الايوقونات والصلبان وحملها العسكريون على صدورهم .

ان المرء حين يكون فى خطر محدق يرجع عادة الى الله ، ويدعـــوه أن ينجيه من الخطر .

ولكن السوفييت اذا تخلوا رسميا عن دين الله ، فهم قد تمسكوا رسميا أيضا بدين البشر .

وتعصبهم لعقيدتهم البشرية المادية معروف ، وهذه العقيدة مهما يـكن أمرها أدت الى اشاعة الانسجام الفكرى بينهم وأدت الى التعاون فى الحرب .

ان العقيدة ضرورية للغاية للقائد وللجنود أيضا ، والتمســك بعقيدة فاسدة خير من التخلى عن أية عقيدة وقديما قالوا : (لو اعتقد المرء بحجر لنفعه) .

وقد كان من جملة أسباب اندحار العرب فى حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ هو تخليهم عن عقيدتهـــم السماوية العظيمة .

لذلك انتصرت العقيدة الفـــاسدة التى يتمسك بها يهود عـــلى من لا عقيدة لهم .

ان العرب اذا عادوا الى الله ، فانهم يستطيعون حشد عشرة ملايين مقاتل لمحاربة اسرائيل ، لأن نفوس العرب مائة مليون نسمة .

وان المسلمين اذا عادوا الى الله فانهم يستطيعون حشد سبعين مليون محارب لمقاتلة اسرائيل ، لأن نفوس المسلمين اليوم ســـــبعمائة مليون نسمة .

فأين تكون اسرائيل لو صــــدق العرب والمسلمون ما عاهدوا اللــه عليه ؟

مرة ثانية :

لو كتب عسكرى عربى ما كتبــه مونتجومرى عن : علاقة (الدين) بالقيادة ، فماذا كان يقول عنه الناس هنا وهناك ؟؟؟ !!!

ان القائد بدون (عقيدة) كالجسد بدون روح ، ولن يفلح قائد تخـلى عن عقيدته أو كان بدون عقيدة .

وتاريخ الحروب فى كل العصور لكل الأمم ، خير دليل على ما أقول .



للشيخ
عبد الحميد السائح
وزير الاوقاف والمقدسات الاسلامية ـ سابقا

في غمرة الانحلال الخلقي ، والتفسخ الديني ، وتعدد الشيع والاتجاهات ، من فلسفة يونانية الى أخرى وثنية ، الى جماعات باطنية تحت زعامة اخوان الصفا ، بمخططاتها واهدافها السرية ، الذي كان سائدا في بلاد الشرق الاسلامي ، تسلل الغزو الصليبي الغربي الى الديار المقدسة وعاث فيها فسادا وأمعن فيها اهدارا للقيم وعبثا بالمقدسات ، وازهاقا للأرواح البريئة .

لكن بعد الليل وان طال ، وبعد الظلام وان أدلهم ، لا بد من فجر يشع نوره ، وضياء يلمع بريقه ، فهيأ الله للاسلام والمسلمين والعرب ، بطلا اثر بطل وفارسا اثر آخر ينازلون الغزاة الغاصبين المعتدين رواد الاستعمار من الصليبيين الغربيين في معركة بعد معركة الى أن آل الامر الى صلاح الدين ، يوسف بن أيوب مؤسس الدولة الايوبية الذي أعطى المعارك وجها آخر يدنيها من ساعة الانقاذ .

ومع ما امتلك صلاح الدين من مدن وقرى ، على الساحل وفى الداخل ، رأى هو ومستشاروه أن يقتحموا على الفرنجة الديار ، فرحلوا صوب البقاع ، فالتقى بهم عند مرجعيون شرقى جبل لبنان ، وقد أسفر اللقاء عن هزيمة الفرنجة ، ووقوع أسرى كثيرين بين يديه ، ثم تابع الجهاد والمعارك حتى سقطت طبريا بيد المسلمين .

وما أسرع ما تمزق جيش الاعداء ، وجنود صلاح الدين يحيطون بهم من كل صوب ، وأخذت كل قطعة تنهزم أمام قوة جيش المسلمين الا قطعة واحدة تجمعت بكامل عدتها واعتصمت بتل هناك ، يقال له « حطين » بينه وبين طبريا مسافة فرسخين ، وفيه قبر شعيب عليه السلام كما ذكرت بعض المراجع العربية .

لكن جيش صلاح الدين كان يحاصرها من كل جانب ، فخرت مهزومة والموت يتلقفها من كل جهة ، ولم ينج من الموت الا هارب أو أسير .

وأخذ قواد الفرنجة يتهافتون مستسلمين ، ووقع فى ذلك اليوم من الاسرى ملك بيت المقدس ، وصاحب جبيل ، وابن صاحب طبرية ، والبرنس أرناط صاحب الكرك والشوبك . وقد اتفق المؤرخون والرواة ، من العرب والافرنج ، على هول الكارثة ، وعظيم أثرها ، حتى قال ابن الاثير المؤرخ المعروف : ان الذى كان يشاهد عدد القتلى لم يكن يظن أن هناك غيرهم أسرى ، ومن كان يشاهد عدد الاسرى لم يكن يظن أن هناك غيرهم قتلى .

وقد نشبت المعركة الفاصلة فى الحروب الصليبية كلها عند حطين ، فى الرابع من شهر تموز ١١٨٧ م كما ذكره ول ديورانت ، فى كتابه (قصة الحضارة) ترجمة محمد بدران ، وهو الذى حققه الامير على ، كما حققه الدكتور حتى ، وهو ما اعتمده صاحبا كتاب (تاريخ فلسطين) الاستاذان عمر الصالح وخليل طوطح ، ولذلك فان ما ذكره الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل فى كتابه (صلاح الدين) من أن المعركة كانت فى ٤ حزيران ، كما ذكر ذلك غيره من الكتاب الاردنيين فى بعض المجلات الاردنية أو أن المعركة كانت سنة ١١٨٨ م كل ذلك بعيد عن الصواب ، وغير دقيق .

ومنذ معركة حطين ، وقع فى قلوب المسلمين والفرنجة أن يوم القدس قد حان ، خصوصا أن معظم حاميتها قد هلك أو أسر فى حطين .

وكان صلاح الدين والمسلمون يرون أن احتلال الفرنجة لبيت المقدس ، قد وسع الخرق على المسلمين ، وقد فكر فى أمره وهو فى مصر ، وقد جرب فهلكت القوافل عند الكرك والشوبك عدة مرات فرأى أنه لا يمكن فتح بيت المقدس الا من الشام فقرر أن يسوق الجند اليها ، وحينئذ يكون الفتح قريبا .

وقال ابن كثير المؤرخ ، ان وقعة حطين كانت مقدمة ، أو اشارة لفتح بيت المقدس ، وانقاذه من غاصبيه وقد كانت تحولا هاما فى التاريخ الاسلامى استعاد فيها المسلمون عزتهم بعد ذلة ، وأمجادهم بعد ضياع وهيأت لهم الطريق الى انقاذ بيت المقدس فى ٢٧ رجب ٥٨٣ هـ فى ذكرى الاسراء والمعراج الشريفين الموافق ٢ تشرين الاول ١١٨٧ م .

واذا كانت حطين فى القرن السادس الهجرى والقرن الثانى عشر الميلادى قد جلبت لنا أسـباب النصر والقوة واستعادت الشرف المـكلوم فان حزيران ١٩٦٧ م قد منانا بهزيمة نكراء أدت الى احتلال القدس وباقى فلسطين وأراضى دول عربية أخرى ، ثم الى تلويث مقدساتنا وتهديدها ، واحراق المسجد المبارك ، والعمل المتواصل على اقامة الهيكل على أنقاض الاقصى على أيدى الصهاينـة المعتدين الغاصبين ، ولكن ماذا فى حطين من عبر ، وماذا نستفيد من حطين ؟

ان الفرنجة قد تسللوا الى ديارنا يوم كنا شيعا وأحزابا ، يوم كنا طرائق قددا ومذاهب شتى ، وانه لم يخلصنا من شرهم ، ولم ينقذ شرفنا وكرامتنا الا وحدة القيادة واخلاص القائد وتفانيه فى سبيل خير المسلمين والعرب حينمـا هيأ الله لهذه الأمة صلاح الـدين تغمده الله بواسـع الرحمة والرضـوان ، وأسكنه فسيح الجنان ، فأرسلها صيحة مدوية فى العالم الاسلامى والعربى للجهاد ، وانقاذ الديار والدفاع عن الشرف المكلوم والكرامة الجريح .

وان المسلمين والعرب قد تنادوا مجيبين وعلى الموت مقبلين غير هيابين ولا وجلين ، وقد وضعوا نصب أعينهم المسؤولية العظمى الملقاة على عواتقهم ، ولذلك ذبحوا أنانياتهم ، واسترخصوا نفوسهم وأموالهم .

فهل نعتبر من هذا عربا ومسلمين ؟ ونجمد خلافاتنا ، ونقضى على أنانيتنا ونسترخص الانفس والاموال ، حتى نستطيع أن نتجمع فى قيادة موحدة فعلا ، وندعم جديا الجبهة الشرقية والجبهة الغربية ، ونعرف أن طريق انقاذ القدس فى القديم لا يزال هو طريقنا فى الجديد ، وأعنى بذلك المعركة المهيأة المجهزة ، وعن طريق الشام بأقسامها أردنها وسوريها نستطيع انقاذ القدس يدعمنا فى ذلك جبهة غربية حسبما يخطط لذلك المختصون ؟ وهل نأخذ من موقفنا فى القرن الثانى عشر الميلادى ما يجدينا ويدفع عنا الخطر فى القرن العشرين ؟ ويدفعنا الى معركة النصر المبين معركة القدس التى كانت فاصلة فى وضع حد للغزو الاستعمارى والقضاء على أطماع الاخرين المغيرين ، واعادتهم يجرون أذيال الخيبة والهزيمة والخسران ، تلك المعركة التى نصر الله فيها الحق على الباطل .

واذا كان تشرين الثانى سنة ١٩١٧ م قد سجل دورا بارزا فى أدوار الخيانة الاستعمارية الغربية بصدور وعد بلفور ، الذى كان السبب فى كل هذا البلاء والشر مما أدى الى اغتصاب فلسـطين ، فان تشرين ١١٨٧ م قد كان مركز الفرحة والابتهاج بالنصر المبين ، واستعادة القدس الشريف بعد موقعة حطين ، وازالة كابوس الظلم عن ديار فلسطين .

فهل لنا أن نضع نصب أعيننا العوامل التى أدت الى نصرنا فى تشرين ١١٨٧ م وهى عوامل العقيدة والاتحاد ، وذبح الانانيات والتضحية بالرغبات والشهوات ، والانضواء تحت راية الله أكبر من جديد لنقتحم الاسوار ونتخطى العقبات ونزدرى مرة بالمعوقات ، ونثبت أننا من ذرارى تلك الامة الخالدة التى لا تثبت على ضيم ، ولا يمكن أن تقبل المذلة والمهانة ؟

وهل ينتبه المسلمون فى المشارق والمغارب أنه اذا بقى العرب فى هذه الذلة والمسكنة والمهانة ، فان الهزيمة أدركتهم لا محالة فى عقائدهم ومبادئهم ومقدساتهم ؟ فزلزلت كيانهم وهزت أركانهم ، وأصبحوا لا يلوون على شيء ؟ ولهذا السر قال الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو يعلى فى مسنده : « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » ؟

أيها المسلمون والعرب :

اذا حدثتكم عن حطين فانما حدثتكم عن أبعادها وعبرها ونتائجها ، لنستفيد من ذلك فى حالنا الحاضرة ، فنعمل جادين لحطين أخرى فى القرن العشرين تكون هى الفاصلة بيننا وبين الصهيونيين العتاة المجرمين ، وكما كانت حطين مقدمة النصر المبين فى انقاذ القدس الشريف والمقدسات ، فان معركتنا المنتظرة فى حطين أخرى هى التى تكون كذلك فى هذا العصر .

وما لم نعمل جادين مؤمنين مستقيمين ، وما لم نخطط للانقاذ الفعلى للقدس الشريف من رجس الصهيونية وازالة الاخطار عنها واعادتها الينا سيادة وادارة عربية اسلامية كما كانت ، فلن تعود لنا فلسطين ، ولن تهدأ هذه المنطقة وستبقى فى اضطراب بعيدة عن السلام والامان ، حتى يعود السيف الى قرابه ، والحق الى نصابه ، والديار الى أهلها ، ويقصى الغزاة الغاصبون ، كما أقصى الصليبيون والتاريخ شاهد صدق ، ودليل ساطع ، ولن يصلح حال هذه الامة الا بما صلح به أولها ، فالجهاد الجهاد ، والاخلاص الاخلاص ، فى عزيمة المؤمنين المكافحين المناضلين ، هذا هو طريق الانقاذ ولا طريق غيره .

قال تعالى :

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » .

فنسأل الله أن يهيىء لهذه الامة من يستعيد عزتها وكرامتها ، تحت راية الحق والجهاد والله أكبر والسلام عليكم .

الدولة في ظلال الإسلام





بقلم الشيخ

محمود عبد الوهاب فايد

يوم كان الاسلام له مكانة رفيعة ، وكلمة مسموعة ، ونفوذ فى الدولة ، واشراف على سلوك الفرد والجماعة والامة .

يوم كان الاسلام كذلك عاش المسلمون فى ظلاله تسمو اليهم الهمم ، وتشرئب اليهم الاعناق ، وتشد اليهم الرحال ، ويرتجى على يديهم بلوغ الآمال .

ذلك لأنهم فى ظلال الاسلام وبفضل حكمه وأحكامه ، ومبادئه وتعاليمه صفت نفوسهم ، وتآلفت قلوبهم ، وتوحدت صفوفهم وقويت شوكتهم ، وعظمت درجتهم ، وعاشوا فى سلام وأمان أقوياء كرماء أعزاء شرفاء ((أشداء على الكفار رحماء بينهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)) .

أصبحت لهم دولة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تمتد ولا تنكمش تؤلف ولا تنفر ، توحد ولا تفرق ، توفق ولا تمزق .

دولة واسعة الانحاء ، شاسعة الارجاء يسودها العدل والامن

والهناءة والرخاء ، دولة لها سلطان فى آسيا ، ونفوذ فى افريقيا وهيبة فى أوروبا .

ونتيجة لهذا حسدها أعداؤها ، وتكتل عليها خصومها ، ودبروا لها المؤامرات وشنوا عليها الحملات .

ولما باءت حملاتهم العسكرية بالفشل ، ولم ينالوا منها مأربا ، ولم يدركوا مطلبا ، قاموا بحملات فكرية منظمة محكمة قصدوا منها أن يحدثوا بلبلة لدى المسلمين ، ويشككوهم فى قيمهم الدينية حتى يهيئوا الجو لفصل الدين عن الدولة ليمكن لهم بعد ذلك فى يسر أن يقطعوا أوصال البلاد الاسلامية ، وليتم لهم ــ دون عناء ــ وضع يدهم عليها والتهامها جزءا جزءا بعد أن استحال عليهم أن يلتهموها مرة واحدة وروح الاسلام تسرى فيها وتؤلف بينها .

واذا كان فصل الدين عن الدولة مستساغا وله ما يبرره عند من راجت لديهم صكوك الغفران فليس بمستساغ عند من يؤمنون بتعاليم القرآن ، تلك التعاليم التى لا تسمح لأحد من عباد الله أن يتحكم فى جنته أو ناره ، فالثواب والعقاب منوطان بالعمل ، ومردهما الى الله وحده ، قال تعالى « من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء عليها وما ربك بظلام للعبيد » وقال « ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا » وقال « واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون » .

على الرغم من هذا قام طلائع المستشرقين بحملة ، غايتها عزل الاسلام عن الدولة وبين شباب الجامعات المدنية ، وتحت ستار العلم وحرية البحث ، بثوا هذه الفكرة وزخرفوها وروجوا لها ولم يكن لدى هذا الشباب حصانة من دين ، أو مناعة من علم ، فأثر فيهم هذا الميكروب الخبيث ، حتى كاد يقضى على ما لديهم من عقيدة وما فى قلوبهم من ايمان ، واغتبط المستشرقون ومن وراءهم بهذه النتيجة ، وقوى عندهم الامل فى أن يجدوا لفكرتهم الخبيثة أنصارا فى صفوف المسلمين ، وزيادة فى الحيطة ألفوا فى الاسلام كتبا تفتن القارىء بروائها ونظامها ودقة طبعها ، وتحجب نظره عن مصادر الاسلام الاصيلة التى لم تعد توائم فى أسلوبها العصر الحاضر ، هذا العصر الذى يهتم أكثر ما يهتم بالمظهر دون المخبر وبالطلاء دون البناء ، وفى كتبهم وضعوا السم فى العسل ، وآثاروا الشبهات فى دهاء وخبث حول الاسلام ونبى الاسلام ومبادىء الاسلام وحكم الاسلام متعلقين بأذيال روايات وقصص دسها المغرضون وأثبت المحققون زيفها بعد فحصها بمنظار النقد الدقيق .

واذا كان المستشرقون جلهم أو كلهم قد وقفوا هذا الموقف من الاسلام وروجوا هذه البضاعة الزائفة بصورة بادية أو خافية فما ذلك بعجيب منهم فقد أكل الحقد قلوبهم ، وأعمى أبصارهم ، والحقد يعمى ويصم ولكن العجيب أن يندفع وراءهم نفر من المسلمين يرددون أقوالهم كرجع الصدى دون تمييز ودون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث المنصف والمراجعة الدقيقة الخالية من الهوى والغرض وهكذا أصبح حظ الاسلام منهم حظه من أعدائه ، وفى النهاية وجد هؤلاء أنفسهم مجندين مع العدو يقفون فى صفه ويحاربون بأسلحته بنى جلدتهم وأهل ملتهم .

ووقع المسلمون بعضهم مع بعض فى صراع فكرى ، وتقطعت بهم الاسباب وأمكن لأنصار هذه الفكرة الخبيثة أن يتسوروا مناصب الحكم ويجدوا تشجيعا وعونا من الدول التى تكن العداوة للاسلام ولا تدخر وسعا فى الكيد له ، وأصبح لهؤلاء نفوذ وآل اليهم سيف المعز وذهبه ، فاستجاب العامة لهم والتفوا حولهم وأعلنوا ولاءهم رغبا ورهبا ، وفى النهاية سيطرت هذه الفكرة على العقليــة الحكومية والشعبية ووصل أعداء الاسلام الى أقصى ما أملوه ، وجنوا ثمرة ما زرعوه .

وحسبهم أن يجدوا العالم الاســلامى كله يشكو من التفكك والفســاد والاضطراب فى كل نواحى الحياة يخشاهم بعد أن كانوا يخشونه ، ويرجوهم بعد أن كانوا يرجونه ، يقبل على تعاليمهم المسمومة ، ويعرض عن تعاليمه التى عاش عليها وسما بها ، وساد على العالم بفضلها .

□ □ □

وموقف أرباب الفكر الاسلامى فى هذه الآونة جد خطير ، فهو يتطلب منهم يقظة واناة ، وصبرا وشجاعة ، وحزما وحكمة ، وتقديرا لكل الظروف والمناسبات حتى يمكن لهم أن ينقذوا العالم الاسلامى من الخطر المحقق الذى كاد يعصف به ويأتى على بنيانه من القواعد وآمل أن يوفقنى الله فأتابع الكتابة مفندا هــذه الادعاءات التى قصد بها عزل الاسلام عن الدولة وتنحيتــه عن الحكم ليحرم أتباعه من التمتع برحمة الله التى ساقها اليهم ، وأنزلها عليهم .

هل الحكم الاسلامى يمنح الحكام قداسة ؟

أبدأ بالرد على من يزعم أن صبغ الحكومة بالصبغة الاسلامية يطبعها بطابع القداسة المخيف المقوت ويمهد لقيام دكتاتورية ارهابية . فأقول :

ان الاسلام يعلن فى صراحة أن الناس جميعا حكاما ومحكومين كلهم أمام الله سواسية ، وهم جميعا على ما بينهم من تفاوت سلالة آدم خلقوا من طين ، وبالنظر لطبيعتهم ولأصلهم ونشأتهم وبيئتهم مستعدون للخطأ والخطيئة قابلون للخير والشر . قال صلى الله عليه وسلم « كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » أخرجه أحمد والترمذى والنسائى عن أنس .

ويتفاضــل الناس عند الله بالتقوى والعمل الصــالح لا بالانســاب ولا بالاحساب ، ولا بالسلطان ولا بالجاه قال تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد ألا لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى الا بالتقوى ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر الا بالتقوى ان أكرمكم عند الله أتقاكم ألا هل بلغت ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال فليبلغ الشاهد الغائب » أخرجه البيهقى عن جابر .

على هذا الاساس تقوم نظرة الاســلام للحكام والمحكومين وعلى هــذا الاساس يقرر الاسلام ما يلى :

الحاكم رجل من الناس لا قداسة له ولا امتيازات ، وهو على الرغم من تبريزه فى بعض الصفات المطلوبة فى مثله خاضع لحكم القانون الاسلامى الذى يسوى بينه وبين سائر أفراد الرعية من غير تمييز أو محاباة فليس له أن يزعم أنه فوق القانون يحاسب ولا يحاسب ويحاكم ولا يحاكم ويعاقب ولا يعاقب ، وليس له أن يدعى أن لديه حصانة تحول بينه وبين أن يقاضى كسائر الناس ، وكيف يسوغ للحاكم أن يدعى هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وهو امام الأئمة يعلن على المنبر « أيها الناس من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقد منه ، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى فليستقد منه ، ومن كنت أخذت له مالا فهذا مالى فليستقد منه ، لا يقولن رجل انى أخشى الشحناء من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا وان الشحناء ليست طبيعتى ولا من شأنى الا أن أحبكم الى من أخذ حقا كان له ، أو حللنى فلقيت الله وأنا طيب النفس ، فقام اليه رجل فقال : يا رسول الله .. ان لى عندك ثلاثة دراهم قال : اما انا لا نكذب أحدا ولا نستحلفه ، فيم صارت لك عندى ؟ قال : تذكر يوم مر بك مسكين فأمرتنى أن أدفعها اليه .. فقال : ادفعها اليه يا فضل — يعنى ابن عمه العباس » أخرجه أبو يعلى والطبرانى .

أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم أن ظهره كظهورهم وماله كأموالهم وعرضه كأعراضهم ، وانه معهم على سواء أمام قانون السماء لا فرق بينــه وبينهم ، فليس لأحد بعد هذا أن يدعى ما لم يدعه رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه .

ليس لحاكم مسلم أن يستحل دماء الرعية وأموالها وأعراضها بغير حق ولنتأمل هذه الواقعة ، وقد سجلها الطبرى فى تاريخه بمداد الفخر ونقس [1] الاعجاب وبحروف من نور :

عن اياس بن سلمة عن أبيه قال : مر عمر بن الخطاب فى السوق ومعه الدرة فخفقنى بها خفقة فأصاب طرف ثوبى وقال : امط عن الطريق ، فلما كان فى العام المقبل لقينى فقال : يا سلمة تريد الحج ؟ فقلت : نعم .. فأخذ بيدى فانطلق الى منزله فأعطانى ستمائة درهم وقال استعن بها على حجك ، واعلم أنها بالخفقة التى خفقتك .. قلت : يا أمير المؤمنين ما ذكرتهــا قال : وأنا ما نسيتها ..

هذا هو عمر بن الخطاب تلميذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنفذ شرعه وحاكم الجزيرة العربية وحاكم العراق ومصر والشام لم يتجبر ولم يغتر بنفوذه ولا بسعة سلطانه ولم يقبل ضميره الذى تشبع بالاسلام أن يمتد بدرته الى أحد رعيته ويحاسب نفسه ويظل يحاسبها عاما كاملا على خفقة لم تمس بدنه بل مست طرف ثوبه ، ولم يهدأ له بال ، ولم تطمئن له نفس حتى غرم من ماله الخاص تعويضا سخيا يمحو به أثر الخفقة — لو كان لها أثر فى نفس صاحبه .

---

(١) نقس : حبر ومداد .

ان ما حدث من عمر فيه ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . فيه عظة وعبرة لولاة السوء الذين يركبون متن الجور ويروعون النـــاس فى بيوتهم بالليل وبالنهار كأنه لا رقيب يراقبهم ولا حسيب يحاسبهم ان الحـــكم الاسلامى فى طابعه العدل والرحمة ، والاخاء والهنـــاء ، ينفر من الاستبداد والفساد وينأى عن العدوان والطغيان شعاره قول الله تعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » ، وقوله سبحانه وتعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

ان الحكم الاسلامى يحارب الظلم ويدعو الى محاربة الظلمة ، وينـــذر الظالمين ومن يهادنونهم بسوء المصير قال صلى الله عليه وسلم « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » أخرجه مسلم عن جابر ، وقال صلى الله عليه وسلم « انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقال رجل : يا رسول الله أنصره اذا كان مظلوما أفرأيت ان كان ظالما كيف أنصره ؟ قال تحجزه أو تمنعه عن الظلم فان ذلك نصره » أخرجه البخارى عن أنس . وقال صلى الله عليه وسلم « ان الله ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته » أخرجه الشيخان عن أبى موسى . وقال صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم يخذل امرأ مسلما فى موضع تنتهك فيـــه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته وما من امرىء ينصر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته » أخرجه أبو داود عن جابر وأبى طلحة رضى الله عنهما ، وقال صلى الله عليه وسلم « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخـــذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنـــده » أخرجه أبو داود والترمذى عن أبى بكر الصديق وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » أخرجه أحمد وابن ماجه عن أبى امامة .

هكذا يطلب الاسلام ونبى الاسلام عليه الصلاة والسلام من الامة أن تقف موقفا ايجابيا من الحاكم اذا ضل الطريق وحاد عن الحق واستبد برأيه وجار فى حكمه .

فلا يجوز أن نحتج بما جرى فى عهود الفساد والاستبداد على فساد نظم الحكم الاسلامى فما وقع فى هذه العهود ، لا يشين الاسلام بل يشين الحكام . ومن الخطأ البين أن نحمل الاسلام وزر النافرين من تعاليمه الخارجين على وصاياه .

من الظلم الفاضح أن نتهم بالظلم من ينهى عن الظلم ومن يتعقبه فى كل مداخله ومظاهره صغيرا أكان أم كبيرا .

في رحاب الأماكن المقدسة

للأستاذ : محمود استامبولي

تحدث الكثير من الكتاب والأدباء عن عظمة الجيل المثالى الذى أنشأه سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأول مرة فى تاريخ الانسانية ، فكان مثار الاعجاب والدهشة بعبقريته وبطولته وحسن سيرته ، حتى من الغربيين أنفسهم ، فراحوا يطلقون على هذا الانقلاب الفكرى التربوى اسم (المعجزة العربية) .

وقد كان اعداد هذا الجيل حلم الفلاسفة من أيام أفلاطون (٤٣٠—٣٤٨) ق. م فى كتابه (الجمهورية) ، والفارابى (٢٦٠—٣٣٩) هـ فى كتابه (المدينة الفاضلة) الى عصر توماس مور (١٤٧٨—١٥٣٥) فى كتابه (يوتوبيا) .

ولم يكن فضل رسولنا العظيم ليقتصر على سبق هؤلاء الفلاسفة فى تحقيق هذا الحلم فحسب ، بل انه رسم له المخططات والمناهج التربوية الرائعة ، بوحى من ربه سبحانه ، حتى جعل من أمته : (خير أمة أخرجت للناس) ففتحت الدنيا ومدنت العالم ، وأنقذت الانسانية من الظلمات الى النور ، بينما ضل هؤلاء الفلاسفة ضلالا بعيدا فى رسم هذه المخططات والمناهج ، ولا يزال هذا الضلال الى يومنا هذا ، حيث يعانى الجيل — وخاصة فى الغرب — أزمات رهيبة حتى بات يهدد الأمن والسلام بسبب ما يشعرون به من قلق وفراغ نتيجة حرمانه من الدين الصحيح .

وما أشد حاجة المسلمين ، بل البشرية جمعاء ، وخاصة فى هذا العصر المضطرب الذى فشل فيه المربون فشلا ذريعا فى ميادين التربية ، الى دراسة قواعد الاسلام وأساليبه فى اعداد الجيل المثالى الذى لم يعرف له التاريخ مثيلا فى عظمته وسماحته وطموحه وحسن سيرته .

.. وأنا لا أذيع سرا اذا قلت : اننى اكتشفت انموذجا لهذا الجيل المثالى يمثل دوره على مسرح الانسانية مرة فى كل عام فى البقعة المباركة من الحجاز خلال موسم الحج .

هناك فى موطن النور الذى أشرق منه الاسلام نجد الالوف المؤلفة والجماهير المحتشدة من الحجيج يعطوننا صورة مصغرة للجيل الاسلامى الذى رباه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لتكون حجة على الناس الى يوم القيامة على عظمة الاسلام وسمو مبادئه .

فنشاهد المسلمين : أبيضهم وأسودهم وأحمرهم وأصفرهم يجتمعون على صعيد واحد ، قد زالت بينهم الفوارق وانمحت الحدود ، ووحد بينهم الاسلام ، حتى كأنهم أعضاء أسرة واحدة ، بل أعضاء جسم واحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى . فالتعاطف بينهم يبلغ أشده والمحبة أوجها ، حتى لترى الدموع تنهمر عند اللقاء . فأين هذه الأخوة من التمييز العنصرى الذى نرى فواجعه وويلاته فى الغرب حتى فى القرن العشرين ؟!

وهذا السلام ـ وما أشد حاجة الانسانية اليه ـ يعم تلك البقعة المقدسة ، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال .. حتى لنرى الطير يأمن الانسان فيحلق فوق رأسه ، وربما شاركه طعامه وشرابه !

والأمانة تصل الى ذروتها ، مما ليس له مثيل فى جميع بقاع العالم ، فنرى الحجاج يتركون أموالهم وأمتعتهم دون حراسة كأنهم فى بيوتهم ، واذا عثر أحدهم على لقطة مهما كانت ثمينة ، فرح بايصالها الى صاحبها ، كما يفرح لو عادت اليه بعد ضياعها .

والبذل للفقراء يعيد سيرته الاولى يوم كان الغنى يحمل صدقات أمواله من مكان الى آخر باحثا عن فقير يأخذها منه ، ولا غرابة فى ذلك ، فالحاج قد ضرب أروع الأمثلة فى التضحية بتركه ماله ووطنه وأهله وعمله اجابة لنداء ربه : (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات ..) .

ولو أن المسلمين أفادوا من فريضة الحج (منافع) سياسية واجتماعية واقتصادية وعسكرية .. كما تشير الآية السابقة وتؤكد ، لكان لهم شأن : أى شأن ، ولخشيهم الأعداء ، وما تجاسروا على الاعتداء عليهم .

وفى الحج يعود المسلم الى حياة البساطة ، فيقنع بأقل العيش وأسهل الشراب وأبسط الفراش ، وقد يفترش الأرض ويلتحف السماء متجنبا الكماليات ، ويألف الخشونة ، ويترك النعومة والرفاهية ، وهى من أسوأ الامور فى سلوك المسلم ، لما تؤدى اليه من رخاوة الجسم وترهله ، ومن استسلام النفس للراحة والنفور من الجهاد ! لذا كان من أهم وصايا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « اياك والتنعم ! فان عباد الله ليسوا بالمتنعمين » .

حتى الموت ، فانه فى الحج تعود اليه بساطته وفطرته التى رسمها له الاسلام ، فيغسل الميت ويصلى عليه ويدفن فى جو كله خشوع وتواضع ، فلا أذان مبتدع ، ولا نخيل[1] ولا آس ، ولا قراءة قرآن على الميت ، ولا على قبره . فان كتاب الله جاء للأحياء لا للأموات !

ان المسلمين فى الحج يقومون بدورة تدريبية ، لاعتياد حياة الخشونة والقسوة ، وترك التنعم ، فيذكروننا بقوله عليه الصلاة والسلام ، وقد أثر الحصير على جنبه ، وطلب منه أن يلان له الفراش : « مالى وللدنيا ! ما أنا والدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » .

وقد كان لهذه التربية القوية الفضل الكبير فى الفتح المبين يوم قضى المسلمون على الرغم من قلتهم وقلة أعتدتهم ، على امبراطوريتى الروم والفرس .

وذكر التاريخ أن القائد سعد بن أبى وقاص أرسل قبل معركة القادسية : (ربعى بن عامر) رسولا الى رستم قائد الفرس وأميرهم ، فدخل عليه ، وقد زينوا مجلسه بالنمارق والزرابى الحريرية ، وأظهر اليواقيت واللآلىء الثمينة ، وعليه تاجه ، وقد جلس على سرير من ذهب .

ودخل (ربعى) بثياب صفيقة وترس بسيط وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد ، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه ، وبيضته على رأسه ، فقالوا له : ــ ضع سلاحك ! فقال : انى لم آتكم ، وانما جئتكم حين دعوتمونى ، فان تركتمونى هكذا ، والا رجعت ! فقال رستم : ائذنوا له .

فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق ، فخرق عامتها ، ثم نزعها وجلس على الأرض ، ولما سئل عن السبب قال : نهينا عن الجلوس على الحرير !! ..

ولو رأيت الحاج فى فصل الصيف ، وقد سلطت عليه الشمس أشعتها فى منطقة الحجاز الحارة ، وهو يحمل أمتعته الثقيلة ويتصبب عرقا ، ويصعد السلالم ويسير المسافات ، تنفيذا لأوامر ربه .. لأعاد الى ذاكرتك المسلم الأول ، لما كان يقطع الفيافى والقفار مشيا على الأقدام ، ليس له من العدة المادية سوى سيفه ورمحه . أما عدته المعنوية ، فكانت فى القمة : ايمان قوى بالله تعالى ، وتضحية فى سبيله ، وحب للموت وشوق الى جنة عرضها كعرض السماء والأرض .

---

(1) صحيح أنه ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه وضع جريد النخيل على قبرين ، ولكن ذلك كان خصوصية له بدليل قوله ــ كما فى صحيح مسلم ــ لعل بشفاعتى يخفف عنهما) . ولم يفعل ذلك سوى مرة أو مرتين ، كما لم يفعله أصحابه رضوان الله عليهم ، فكم أضاع ويضيع المسلمون الأموال الكثيرة على مثل هذه البدع . والسنة فى زيارة القبور تكون بالسلام على أصحابها والدعاء لهم مع استقبال القبلة ، لا استقبال القبر فى الدعاء !

وما ألفت أمة حياة النعومة والرفاهية الا ذهبت قوتها حيث تصبح عرضة لهجوم الأعداء والاستسلام لهم .

وفى هذا العالم الذى أصبح فيه البشر ــ أكثر البشر ــ لصوص الأعراض وعبيد الشهوة ، نرى الحاج يغض البصر ، كأن النساء المسلمات أخوته وبناته ، ونرى المرأة تغض البصر أيضا ، وتترك التبرج وترتدى لباس الحشمة ، وتحمل الأثقال من أمتعة الحج ، كأنها فى ميدان الجهاد ، فتذكرنا بالمرأة المسلمة الاولى يوم كانت عضوا عاملا فى بناء النهضة الاسلامية .

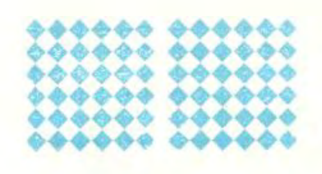
ويعطى موسم الحج الى الحاج أسمى أنواع المراقبة لله تعالى ، فهو يتذكر فى رحلته البسيطة الى الحج ، رحلته الكبرى يوم يرحل فيها الى ربه ، ويؤكد عليها يوم يمتطى سيارته أو باخرته أو طائرته بالدعاء المأثور : « سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين . وانا الى ربنا لمنقلبون ! » .

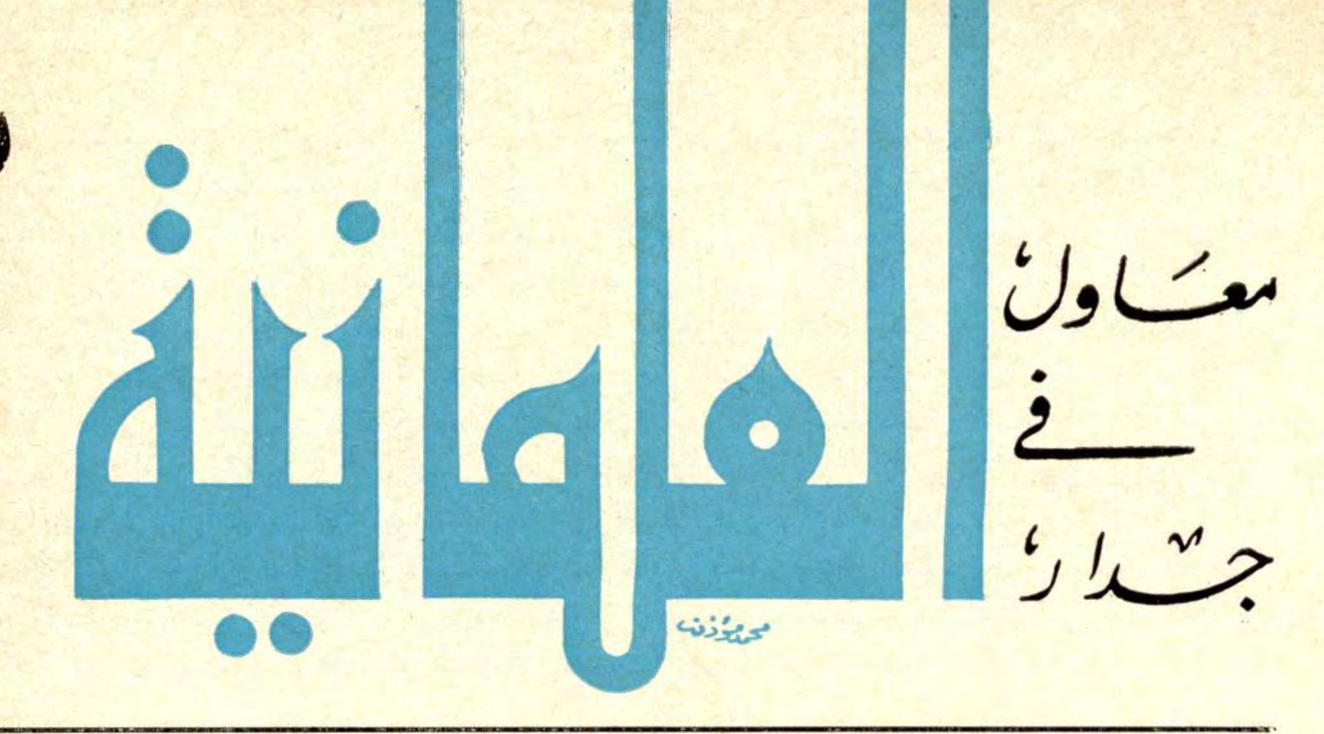
وهذه المراقبة وهذه التذكرة للرحلة الى الله من أسمى العوامل فى الكف عن المعاصى والاستزادة من الأعمال الصالحات وتكوين الجيل المثالى ، لذا نرى الحاج أكثر الناس خشية ومراقبة .

ومما يزيد هذا الحجيج اندفاعا نحو تحقيق الجيل المثالى ــ ولو خلال موسم الحج ــ أنه يعيش خلال قيامه بهذه الفريضة فى أرض الذكريات والتضحيات والبطولات والعظمات .

وكفى بها دروسا وعبرا ..

أما بعد ، فان الكعبة بمثابة القلب لدنيا الاسلام ، يبعث فى المسلمين دما جديدا : نقيا وقويا ! فلبت الحجاج يتعهدون أنفسهم بعد رجوعهم من الحج ا ليزدادوا صلاحا ، فلا يجرفهم التيار العام المنحرف ، فيكونون على الدوام نواة للجيل المثالى بعد ما ملأوا قلوبهم فى الحج كما تملأ المولدات الكهربائية لتضىء على الناس وتبدد الظلمات المخيمة على العالم .





● العلمانية تحديد قاصر لعلاقة الانسان بالكون والعالم

● الخطر في قبول دين يرفض العلم أو علم يرفض الدين

للدكتور: عماد الدين خليل

(١٠)

ان المأساة الحقيقية فى تاريخ البشرية هى رفض الوضعيين الاعتراف بطاقات الانسان وقدراته ، واعتقادهم أن بامكانه الوصول الى أى هدف يسعى اليه .. صحيح أن كثيرا من الاهداف يمكن للانسان أن يصل اليها ، ولكن أى الاهداف تلك ؟ انها الاهداف التى أتيح للانسان أن يسعى اليها بما عنده من طاقات وقدرات . أما الاهداف الاخرى التى تنأى عن (علم) الانسان فان أية محاولة للسعى اليها انما هى خدعة كبرى لا تعود بالنفع على الارباب والوضاعين والسحرة وكهنة الفكر وفلاسفته الذين يعودون بعبيدهم دائما الى نقطة الصفر ليبدأوا من جديد ، كى يكسبوا دائما عامل الزمن ، وكى يوهموا أتباعهم أبدا بأن البحث الحقيقى الجاد يجب أن يبدأ دائما من هناك .

تلك هى المأساة اذن .. أن يضع الرسل والانبياء معالم الطريق ، ويتقدموا بالبشرية مسافات طويلة نحو الهدف ، ثم يأتى حواة الفكر ودجاليه كى يعودوا بقطعانهم الى نقطة الصفر ، ويبدأوا من جديد !!

(١١)

ان حضارة لا تعتمد سوى العلم فى حركتها ، انما هى حضارة عرجاء تسير

على ساق واحدة ، ولا بد للأعرج أن يسقط فى يوم من الايام .. ان حضـــارة لا تلتزم الا بالعلم فى تقدمها ، انما هى حضارة لا تملك سوى عين واحدة ، بعد أن اختارت بنفسها أن تفقأ عينها الاخرى ولابد لانسان لا يبصر الا بعين واحدة أن يفقد الرؤية الواضحة ويسقط فى يوم من الايام . ان ثورة الاسلام والاسلام يعنى كفاح الانبياء كلهم وهدفهم الكبير ، هذه الثورة ليست ســوى محاولة جادة لاقامة حضارة سليمة تمشى على ساقين ، وتبصر بعينين .. حركة ضد العمى والكساح الذى اختارته دائما حركات العلمانيين لاستعباد الناس من دون الله . ان أمة لا تمشى الا على ساق واحدة ، ولا تبصر الا بعين واحدة ، من السهل أن تقاد كما تقاد الاغنام وراء جلاديها ، حتما ولو انتهى بها الامر الى الذبح . ان دعوة الاســـلام : صرخة رجاء بوجه البشرية ، بوجه الامم والشعوب التى تتمرد على أربابها ، وأن تستعيد ســــيرها الطبيعى ورؤياها الكاملة للاشياء .. وهل يتم ذلك الا بالعودة الى منهج الله وقيم الله ؟!

(١٢)

ان هناك خدعة كبرى يمارســـها الطاغوت باسم (العلم) ضـــد الامم والشعوب ، انه يفقأ احدى عينيها ، ويكسر احدى ساقيها موهمـــا اياها أن العين التى ابقاها هى العين الوحيدة التى ترى ، وأنه احسن صنعـــا باكتساح العين الاخرى التى تشوه رؤياها للاشياء . وان الساق التى أبقاها لهى الساق الوحيدة التى تستطيع أن تواصل السير من أجل التقدم ، وانه أحسن صـــنعا ببتر الساق الاخرى المريضة ، التى تعيق الحركة نحو الامام .

ولم يسأل أحد من العبيد يوما نفسه : ترى لمصلحة من ممارسة هـــذا التطوع بالعمى والعرج ؟ وهل كان بامكان انسان — يوما — أن يحقق أهدافه وهو قد خدع من البداية فتنازل عن احدى عينيه واحدى ساقيه ؟ ولم يسأل أحد من الاتباع يوما نفسه : ترى لـــماذا لم يخلقنا الله منذ البدء بعين واحدة وساق واحدة .. أكان عبثا أن نخلق بعينين وساقين ؟

(١٣)

ان المسيح الدجال ذو العين الواحدة ، ربما كان رمزا أكبر لهذا الاختيار المر الذى قاد الامم والشعوب الى الضياع . يعود هذا الدجال فى آخر الزمن ليرى الانسان الذى استعبد نفســـه للطغيان : صورة نفسه : انسان أعور ، مشوه ، دميم الخلقة ، من أجل أن يثير الاشمئزاز فى نفوس الاجيال المستعبدة علها تثور ضد الذين سخروا منها فاقتلعوا عينها وحطموا ساقها .. تماما كما سيعود المسيح العظيم ، فى آخر الزمان لكى يرد — أغلب الظن — على الذين تنازلوا عن حريتهم وقرروا أن يعبدوه من دون الله .

(١٤)

ان (العلم) لم ينقل الناس يوما الى التجريد ، فرغم أنه أعطاهم مناهج للبحث والابتكار ، الا أنه لم يزدهم الا اقترابا من الحس والتجسيد ، والانسان انسان بقدر ما يتجاوز عالم التجسيد هذا المحيط الى آفاق التجريد الرحبة التى

لا نهاية لها ، والتى سعت الاديان جميعـا أن ترفع الناس اليهـا وان تعلق أبصارهم بها ، وتفتح تيار وجدانهم الدفاق صوبها . ولقد كان الناس يقبلون دائما — فى عهود جهلهم وانحطاطهم — أن يتنازلوا ببساطة عن السماء التى رفعتهم اليها الاديان . يتنازلون الى أرض الحس والتجسيد . وكان هذا يعبر عن نفسه دائما بالتخلى عن عبادة الله الواحد الذى لا تراه العيون ، الى عبادة الاشخاص والاولياء والاضرحة والقادة والاشكال والظواهر الطبيعية . هـذه ظاهرة تبدو واضحة فى تاريخ كل الامم والشعوب . أليس معنى هذا أن العلم ، يوم كان يدعو الناس الى اقامة هياكل له وعبادته من دون الله ، أليس معنى هذا أن (العلم) أخذ آنذاك يساند (الجهل) فى تحويل الناس من التجريد الى التجسيد ؟

واليوم ، ماذا يحدث ؟؟ ان النزعة الشيئية التى أوجدها العلم بمنجزاته الحضارية الهائلة ، قد استعبدت الناس من دون الله وحجبت عنهم ببريقهـا وتناسقها وتجسيدها الواضح : نور التجريد والغيب ، وبالتالى حجبت عنهم الاتصال بالله ، ان النزعة الشيئية فى قرننا هذا ليست سوى طبقة جديدة من رجال الدين الذين عرفتهم بعض العصور ، طبقة تلبس الملابس الزاهية ، وتتحلى بالاشرطة الملونة ، وتدعو الناس ألا يذهبـوا الى الله الا بعـد أن يمروا بها ويسألوها . . ولكن ماذا يحدث دائما ؟؟ يحدث أن تكون الاشياء أو رجال الدين على السواء هى نهاية مطاف البائسين الذين يبحثون عن الله دون جدوى .

(١٥)

لا شك أن العلم يتميز باليقينية . ولكن أية يقينية ؟! انها يقينية القرب ، الملموس والمحسوس ، الرؤية المباشرة ، الايمان المجانى بالقريب الملاصق . ولكن الانسان لا يغدو انسانا الا بتجاوزه هذه المرحلة بتوصله — بعد جهـد ورياضة وتعاليم داخلية وخارجيـة — الى اليقين بمـا هو أبعد من الملموس الملاصق، بما هو أكثر استعصاء على الرؤية المباشرة والايمان المباشر . ان تفرد الانسان يبدو هنا : أن يستغل قواه الذاتيـة من أجل الايمان بشىء أو قضيـة لا يتوصل اليها ببساطة أو بالمجان ، ولا يتساوى فيها الجميع ، انما يتفرد بها أولئك الذين تمكنوا — باستغلال هذه الطاقات — من الوصول الى يقين عميق بقيم غيبية غير مرئية ، وبوجود آخر غير هذا الوجود الملاصق ، وبقوانين أكبر ، غير هذه التى تزن الاشياء الملموسة ، وتحدد المسافات القريبة ، وتعلل الظواهر المحسوسة .

ان من الضرورى التفريق بين العلم وبين فلسفة العلم ، بين العلم بما أنه وسيلة تكنيكية للتحضر ، وبين فلسفة العلم بما أنها حجر لطاقات الانسان ، وقصر لليقين على الملموس الملاصق . ومن ثم فعلى الانسان — كى يصل الى انسانيته الكاملة — أن يرفض فلسفة العلم دون أن يتخلى أبدا عن مكتسبات العلم التكنى فى شتى المجالات .

ان المبادىء الاسلامية تقف بوجه العلمانية من هذه الزاوية ، من ناحية أنها تصور خاطىء المدارك الانسان ، وتحديد قاصر لعلاقته بالكون والعالم . والاسلامية ترد الامور الى نصابها بايجاد تصور صحيح لمدارك الانسـان ، وتحديد واسع لعلاقته بالكون والعالم ، تصور وتحديد يقومان على الفطرة التى فطر الله الناس والاشياء عليها .

(١٦)

ان القول — اذن — بأن الدين يلغى العلم أو أن العلم يلغى الدين انما هى سخرية نضحك بها على أنفسنا ، أو يضحك بها غيرنا علينا ، كى نتخلى عن أحدهما فنضيع . ان كثيرا من أمم الشرق قد وقعت — فى التاريخ المعاصر — فى هذا الشرك ، ورضيت أن ترمى بنفسها فى هذه المصيدة ، وعن هذا الطريق راح القصاب الغربى يعمل بالفريسة سلخا وذبحا وتقطيعا . ان الخطر هو نفس الخطر سواء فى قبول دين يرفض العلم ، أم فى قبول علم يرفض الدين ، والامران كلاهما لا يمكن أن نجد لهما أى سند من القرآن والسنة ، أو من سير الانبياء عليهم السلام .

ولكن الذى حدث أن الشرقيين فتحوا أعينهم يوما على بهرج حضارة يعمى وهجها العيون ، فمنهم من أغمض عينيه وعاد الى نومه الحالم اللذيذ باسم الدين ، ومنهم من راح يركض كالمجنون لكى يرتمى فى أحضان هذه الغانية المبهرجة ، باسم العلم ، متخليا بهذا عن كل قيمه الدينية . هذا الواقع التاريخى المحزن لأمم الشرق وهى تلقى السلاح أمام جيوش الغربيين المدججين بكل سلاح ، وهذه السلبية فى الصمود ازاء هذا الزحف ، سواء فى الانغلاق الكلى أو الانفتاح الكلى على قيم هذه الحضارة ، هذا الواقع هو الذى أوحى — زيفا — بهذا الافتراض المضحك : أما العلم أو الدين . وقد عرفنا قبل قليل شيئا عن مصير العلم الذى يرفضه الدين . لكن ما هو مصير الدين الذى يرفض العلم ؟ ان مجرد الجواب عن سؤال كهذا ليس ثمة دين على الاطلاق يرفض العلم : وهذا كتاب الله بين أيدينا جميعا .

(١٧)

لقد غفل الكثيرون عن حقيقة واضحة لا تقبل نقاشا هى أن الله سبحانه ما دام قد خلق الانسان بهذا العقل المدرك وهذه القدرات الخلاقة فهل يعقل أن يبعث أنبياءه بأديان ومناهج ترفض استخدام العقل وتجمد القدرات الخلاقة ؟ ألم يكن من الاجدر أن يخلق الانسان — أساسا — بلا عقل ولا قدرات ؟!

(١٨)

اننا عندما نضع الدين — هكذا — جنبا الى جنب ازاء العلم لا يعنى هذا أبدا أنهما كفتا ميزان ، وأن لكل منهما قيمة مساوية لقيمة الآخر . . أبدا والذى تخطر بفكره هذه الصورة فهو كمن يريد أن يجد حاصل جمع خمس تفاحات وخمس مناضد . . أيمكن لعاقل أن يقول : عشرة ؟

ان العلم ليس سوى طاقة من طاقات الانسان ، أو بشكل أدق هو حصيلة تعامل قدرات عقلية وحسية ، يمتلكها الانسان ، مع الطبيعة والاشياء . . أما الدين فهو منهج ، منهج كامل للحياة البشرية ، يسعى الى تنظيم علاقات الانسان ليس بالطبيعة فحسب ، بل بكل ما له علاقة به : بنفسه ، بأخيه الانسان ، بأسرته ، بمجتمعه ، بسلطاته المسؤولة ، بالامم والشعوب الاخرى ، وبالطبيعة والعالم والاشياء . هذه العلاقات التى تنبثق جميعها عن ايمان وادراك عميقين بالله سبحانه ، والتزام مسؤول لمنهجه : أى دينه .

ماذا يبقى للعلم اذن ازاء هذا الشمول الذى يعنيه الدين ؟ ان العلم ازاء هذا الوضع الطبيعى للصورة ليس سوى علاقة واحدة من مجموع علاقات جاء الاسلام لكى ينظمها على أساس صالح ، ويسعى الى تحديد أهداف ايجـابية لها ، ويسلكها جميعا فى نظام معجز ينبثق عن تصور كامل لوضع الانسان فى الكون ، وللفطرة — أو النـاموس — التى فطر الله الكون والناس والاشياء عليها .

(١٩)

ومن ثم فليس للعـلم أن يكون منهجا أو دينـا للانسان .. وان ادعى العلمـانيون ذلك . أيمكن للجزء أن يستشرف الـكل ؟ أيمكن للذرة أن تحيط بالجزيىء ؟ وهذا أن يحيط بالشكل الخارجى للأجسام ؟ أيمكن لعلاقة واحدة أن تحدد شكل ومصير علائق أخرى تند عن حدود اختصاصها وتنأى عن مجالها ؟ ترى ، أليس من المضحك الدعوة الى أن يحكم الجهاز الهضمى وحده بيولوجية الانسان ، ويسلم اليه القيـاد ، أو أن تعطى للقلب فرصة توجيه الجهـاز العصبى ؟!

ان العلمانية — بهذا المعنى — ليست سوى محاولة من محاولات سوء التفاهم الكثيرة التى لا بد وأن يقع فيها الانسان الذى يختار بنفسه أن يند عن طريق الله ومنهجه فى الحياة . ومن ثم يجد نفسه — وقد تخلى عن منهج الله — مضطرا الى ابتكار منهج من عند نفسه .. وهكذا ، تطلع علينا كل يوم مناهج وضعية ما أنزل الله بها من سلطان ، فمنهم من يعطى القلب حق وضع المنهج ، ومنهم من يعطى هذا الحق للروح والتجربة الباطنية ، وآخرون يعطون هـذا للحدس والتخمين والرياضة والممارسـة . ثم يأتى العلمـانيون لكى يرفعوا أصواتهم قائلين : ان العلم الذى هو حصيلة العقل والتجريب هو المنهج الذى يجب أن تخضع له أعناق الناس ومصائرهم !!

ولكن ، اذا كان للعلم أن يضع منهجا فى التعامل مع الطبيعة والاشياء ، فهل له أن يعمم هذا المنهج على التعامل مع الناس والحيـاة والغيب والامم والشعوب ؟ فاذا ما أدركنا أن العلم فشل حتى فى وضع منهج للتعـامل مع الطبيعة نفسها ، وانه لم يستطع السيطرة على معطياته والزامها باسعاد الناس فحسب ، اذا ما أدركنا هذا عرفنا — ولا ريب — مدى عجز العلم عن تحقيق النبوءة المزيفة التى طالما تغنى بها العلمانيون !!

(٢٠)

ان الاندفاع الاعشى وراء اغراء العلم ، وسعيا لفتح مزيد من طلاسمه وأسراره ، سيقود البشرية الى الدمار حتما ، انه كالسعى الاسطورى لفتح (قمقم سليمان) واطلاق قواه الخارقة التى يعجز الانسان من السيطرة عليها يوما ، فتطوقه وتغنيه ، دون أن يجـد الحيلة لوقف مأسـاة نهايته . انه كالاتصال المحظور بعالم الارواح واعطائها المجال للتحكم بمقدرات الانسان : بعقله وأعصابه ووجوده ، ومن ثم تعريضه للجنون أو الانتحار .

ان العلم اذا لم تحده أخلاقيات ومثل ومعالم توجه العاملين فى حقـله والساعين الى اكتشـاف عوالمه ، سيغدو طريقا الى بربرية عاتية تفوق فى

وصفها بربرية العصور الاولى . هل يعنى هذا حجر على العقول وايقاف لخطى السائرين فى طريق الابداع ؟ أبدا .. ان القرآن الكريم نفسه يعلمنا كيف أن الانسان دعى منذ البدء الى السير الابدى على هـذا الطريق ، لأنه وطريق الايمان سواء ، بل لأنه الطريق الهادى الى الله .

منذ البدء والاديان تدعو الانسان أن يكون حركيا أبدا صوب اهداف العلم واكتناه خلق الله . لكن الاهم من هذا ما يعلمنا اياه القرآن الكريم نفسه من أن هذا السير ، وهذه الحركة صوب أهداف العلم ، يجب أن تتحدد بقـوانين وأهداف ، والا أدت بالسائرين الى صنع دمار كامل للبشرية والحضارة على السـواء ، دمار كهذا الذى نشهده اليوم فى الاسـلحة الذرية والـكيماوية والجرثومية .

واذا كان العلماء أنفسهم ـــ وهم الصفوة الممتازة ـــ لا يأبهون للقيم فى اكتشافاتهم ، فهل نتوقع من الساسة والقادة العسـكريين ـــ الذين تحكمهم الميكيافيلية ـــ عدم استخدام أسلحة التحطيم هذه ؟ اننا نخدع أنفسنا ، وها هى مؤتمرات حظر الاسلحة الفتاكة ، وها هى اسرائيل تعطينا الامثلة العملية على هذا ، وتعلمنا أن نفتح أعيننا جيدا .

(٢١)

ان التقدم العلمى التكنولوجى الذى أحرزته البشرية ليس سوى تقـدم خارجى فحسب ولا علاقة له ألبتة بأى نـوع كان من تطور بيولوجى يمس عقل الانسان . ان هذا التقدم هو حصيلة امكانات تكنولوجية أخذت تزداد كمـا وتتعقد نوعا بمرور الزمن ، وباسهام شتى الامم والشعوب المتحضرة . كل أمة تستلم زمام الابداع والحضارة ، تسعى جاهدة لتنمية خبرات الامم التى سبقتها ـــ كما ونوعا ـــ ولا يستطيع أحد أن يقول : ان هذه التنمية تنبثق عن تطور بيولوجى فى العقل البشرى لأن أحدا لا يستطيع أن يقول بأن اسـتلام زمام الحضارة من قبل أية أمة ينبثق عن قفزة فى تكوينها العقلى البيولوجى . وكما أن استلام الزمام الحضارى أمر يتعلق بالقيم الخلقية والاجتماعية والثقـافية للأمة ، وبالدين أو العقيدة التى تبعثها وتحضرها ، فكذلك الحال بالنسبة للتقدم التكنولوجى الذى يرتبط بهذه المرحلة .

هل لأحد أن يقول بأن عقلية (ماركونى) أو (جيمس واط) أو (اينتشاتين) تفوق فى تركيبها البيولوجى عقليـة (أفلاطون) و (ابيقور) و (ابن الهيثم) و (البيرونى) و (الخوارزمى) من ناحية بيولوجية ؟ أبدا .. ان القضية قضية زمن ، فلو وجـد (الخوارزمى) فى زمن (نيوتن) ولو وجد هـذا فى زمن (الخوارزمى) ، فان ذلك لا يؤثر فى سير الانجاز العلمى شيئا .. وهذا لا يعنى أبدا انكارا للفروق الفردية ، فهذه الفروق موجودة فى الحضارة الواحدة والزمن الواحد ، ولا علاقة لها بالتطور العلمى العام . ان هذه الحقيقة تطرح رفضـا ـــ مبدئيا ـــ لكل التقاليد العلمية والافكار التى انبثقت عن نظرية (دارون) ، تلك النظرية التى لم تجد الى الآن السند الاكيد الذى يحيلها الى قانون ، خصوصا بعد ردود الفعل التى أثارها تطرفها وافتراضيتها لدى تلاميذ دارون أنفسهم ، وبعد الشكوك التى طرحتها الحفريات الحديثة حول هذه النظرية .



ان المجاهد المؤمن الصادق يضع نفسه وحسه (تحت الطلب) باستمرار لخدمة عقيدته ومبدئه ، فهو مستعد دائما لحمل التبعات ومواجهة الازمات ، وهو يقذف بروحه فى أتون المعركة بلا خوف من سطوة عدو ، أو مكر مخادع ، أو خيانة لئيم ، فالله الكبير موجود ، والحق ظاهر واضح ، والنهاية — بفضل الله — مضمونة مأمونة : فاما عزة بنصر ، واما نعيم بشهادة ، والله ولى الصابرين .

ولقد تعرض أصحاب رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام لأشد ألوان المكر والغدر والخداع ، فما ضعفوا ولا استكانوا بل استخفوا بالشدائد واستهانوا ، وأدوا واجباتهم بقدر طاقاتهم ، ومضوا الى ربهم كراما عظاما ، مخلفين وراءهم أروع السير وأخلد الذكريات .

وهذا واحد منهم : انه الصحابى الجليل المجاهد المنذر بن عمرو الساعدى ، أحد بنى النجار ، من الانصار السابقين الى الاسلام ، فقد كان ضمن السبعين رجلا الذين بايعوا رسول الله بيعة العقبة الثالثة ، وكان أحد النقباء الاثنى عشر الذين اختارهم النبى من هؤلاء السبعين ليكونوا أمراء على قومهم ، اقتداء بقول الله تبارك وتعالى فى أتباع موسى عليه السلام : (وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا).

وكان (المنذر) أحد الذين تعرضوا لناقة الرسول وهى تدخل المدينة عند الهجرة ، وتعلق بخطامها وطلب من الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن ينزل فى ضيافته ، ولكن النبى كرر كلمته المأثورة فقال : (دعوا الناقة فانها مأمورة) .

ثم آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المنذر بن عمرو وأبى ذر الغفار الذى قال فيه سيد الخلق : (ما أظلت السماء ، ولا أقلت الغبراء ، أصدق لهجة من أبى ذر) ، ولقد نال المنذر بن عمرو الشرف الاسمى حين شهد غزوة بدر الكبرى ، حيث ظهر فيها اخلاصه لله تعالى ، ومبادرته الى مواطن الابتلاء والشهادة ، وكان المنذر يقال له : (المعنق ليموت) أى المسرع الى طلب الشهادة والموت فى سبيل الله ، وهو لقب غلب عليه وشهر به ، والاكثرون يقولون عنه : أعنق ليموت . ويقال : أعنق يعنق اعناقا فهو معنق ، أى أسرع فى طلب الموت يحرص عليه ، وقد جاء فى الحديث : (لا يزال المؤمن معنقا صالحا ما لم يصب دما حراما) أى لا يزال مسرعا فى طاعة الله ، منبسطا فى عمله . وقد جاء فى النهاية لابن الاثير أن الرسول صلى الله عليه وسلم حينما بلغه قتل حرام ابن ملحان قال : (أعنق ليموت) أى أن المنية أسرعت به ، وساقته الى مصرعه .

ولكن المعروف أن هذا قد قيل فى شأن المنذر بن عمرو ، ولا يستحيل أن يكون الوصف قد تكرر اطلاقه على حرام بعد المنذر .

وكان المنذر حينئذ فتى قويا جلدا ، وكان اذا أدى واجب الميدان يجتمع بكوكبة من شباب الاسلام . وينتحون ناحية ، ويأخذون فى قراءة القرآن الكريم والاستماع اليه ، ثم يصلون من الليل ما استطاعوا حتى اذا دنا الصبح ، جمعوا من الحطب ما قدروا ، وأحضروا من الماء العذب ما استطاعوا ، ثم وضعوا ذلك على أبواب حجرات النبى صلى الله عليه وسلم فهم مجاهدون من أهل الفداء ، وهم عباد قانتون أتقياء ، وهم أهل الصنع الجميل والوفاء .

وفى شهر صفر من السنة الثانية للهجرة أرسل الرسول عليه الصلاة والسلام سرية مكونة من عشرات من الشباب ، قيل أنهم ثلاثون ، وقيل انهم أربعون ، وقيل انهم سبعون ، أرسلهم الى بئر

معونة ، لا ليفسدوا فى الارض ولا ليهلكوا الحرث والنسل ، ولكن ليبشروا بكلمة الحق ، ويصدعوا بقولة الصدق ، لأن أبا براء عامر بن مالك المعروف بملاعب الاسنة كان قد وفد على النبى صلوات الله وسلامه عليه ، فدعاه الى الاسلام ، فلم يسلم أبو براء ولم يبعد ، ولكنه قال للنبى : لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد فدعوهم الى أمرك لرجوت أن يستجيبوا لك . فقال النبى : انى أخشى عليهم أهل نجد . فقال أبو براء : أنا لهم جار .

فبعث النبى السرية المشار اليها ، وقد وصفت السيرة أفراد هذه السرية الابطال بأنهم (من خيار المسلمين) ، وكان منهم الحارث بن الصمة ، وحرام بن ملحان ، وعروة بن أسماء بن الصلت السلمى ، ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق ، وجعل الرسول المنذر بن عمرو أميرا وقائدا لهذه السرية . وكان يقال لهؤلاء المجاهدين « القراء » لكثرة قراءتهم القرآن المجيد . يقول ابن برهان الحلبى : « ويقال لهؤلاء : القراء أى لملازمتهم قراءة القرآن فكانوا اذا أمسوا اجتمعوا فى ناحية المدينة يصلون ويتدارسون القرآن ، فيظن أهلوهم أنهم فى المسجد ، ويظن أهل المسجد أنهم فى أهاليهم ، حتى اذا كان وجه الصبح استعذبوا الماء ، واحتطبوا وجاءوا بذلك الى حجر النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى كلام بعضهم أنهم كانوا يحتطبون بالنهار ، ويتدارسون القرآن بالليل ، وكانوا يبيعون الحطب ويشترون به طعاما لأهل الصفة ، وقد يقال : لا منافاة لجواز أنهم كانوا يفعلون هذا مرة ، وهذا أخرى ، أو بعضهم يفعل أحد الامرين ، وبعضهم يفعل الآخر .

ووصل المجاهدون (بئر معونة) وهى من مياه بنى عامر ، بالقرب من حرة بنى سليم ، كلا البلدين منها قريب ، وهى الى حرة بنى سليم أقرب ، والحرة هى الارض التى فيها حجارة سود ، وهناك أرسل المنذر واحدا من المجاهدين معه ، وهو الصحابى الجليل : حرام بن ملحان وكان رجلا أعرج ، ومع ذلك جاهد وناضل ، أرسله المنذر الى عدو الله اللعين : عامر بن الطفيل ، وهو رئيس المشركين هناك ، وابن أخى أبى براء عامر بن مالك ، وأعطاه المنذر كتابا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل يدعوه فيه الى الاسلام والطاعة ، وأدى حرام بن ملحان مهمته ، فدفع الكتاب الى عامر ، وقال له ولمن معه : « يا أهل بئر معونة ، انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم ، فآمنوا بالله ورسوله » وما كان من عدو الله عامر بن الطفيل الا أن تكبر وتجبر ، فلم ينظر فى كتاب رسول الله ، وأوعز الى بعض الخونة من رجاله أن يطعن حرام بن ملحان من الخلف ، فطعنه طعنة نفذت من الجانب الآخر ، ولما رأى حرام الدم يسيل منه تلقاه بكفه ، ثم رشه على وجهه ، وقال : فزت ورب الكعبة .. ومضى الى ربه شهيدا .

وسارع اللعين عامر بن الطفيل فجمع جموعا كثيرة من قبائل عصية ورعل وذكوان ، وحاصروا أفراد السرية وطوقوهم ، وأعملوا فيهم سيوفهم ، ودافع الفدائيون المؤمنــون عن أنفسهم ببطولة وبسالة ، ولكنهم نالوا نعمة الشهادة جميعا ، وفى طليعتهم أميرهم المنذر بن عمرو ، ما عدا شخصا واحدا منهم ، هو كعب بن زيد النجارى ، فقد بقى جريحا وعاش حتى نال الشهادة فى غزوة الخندق .

تقول السيرة عن هؤلاء الكافرين وبطشهم بأفراد السرية : « فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ، ثم قاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم رحمهم الله ، الا كعب بن زيد أخا بنى دينار بن النجار فانهم تركوه وبه رمق ، فارتث من بين القتلى ، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا يرحمــه الله » . وارتث : فعل مبنى للمجهول ، أى حملوه من المعركة رثيثا ، أى جريحا ، وكان هناك ثلاثة من أفراد هــذه السرية قد ذهبوا قبيل هذه المعركة الغادرة ليبحثوا عن ضالة لهم ، ولمــا عادوا بعد مصارع اخوانهم رأوا طيرا تحوم فى السماء ، يسقط من خراطيمها قطع الدم المتجمد ، فقال أحدهم : ان لهذه الطير لشأنا . وقال آخر : قتل أصــحابنا والرحمن (يقسم بالله الرحمن) .

وعجلوا بالمسير فرأوا أجساد الاشقاء الشهداء وقد صارت طعاما للطير ، فقال بعضهم لبعض : ما ترون ؟ فقال واحد منهم : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر . فقال أحدهم وهو المنذر بن محمد بن عقبة بن أصيحة بن الجلاح : « لكنى ما كنت لأرغب عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لأخبر عنه الرجال » أى انى لا أحب أبدا أن أترك الاستشهاد فى موقف استشهد فيه البطل المجاهد المنذر بن عمرو ، ولا أقبل لنفسى أبدا أن أعود الى قومى لأبلغهم نبــأ استشهاده ، بل أمضى الى ما مضى اليه . وهجم المنذر بن محمد نحو الاعداء ، وظل يصــارعهم ويقارعهم حتى نال الشهادة كما نالها رفقاؤه فى السلاح والكفاح .

ويروى أن هؤلاء الشهداء حينما رأوا الموت قالوا : اللهم انا لا نجد من يبلغ رسولك عنا السلام غيرك ، فاقرئه السلام . واستجاب العلى القدير للنداء وحقق الرجاء ، ونزل جبريل يخبر الرسول بذلك ، فقال صلوات الله عليه وسلم : « وعليهم السلام » . ثم خرج الرسول عليه الصلاة والسلام الى قومه ليخبرهم بما أوحى اليه ، وأبلغهم استشهاد أولئك الابطال ، وقال : « ان أصحابكم قد

أصيبوا ، وأنهم قد سألوا ربهم فى عالم الخلد فقالوا : ربنا أخبر عنا اخواننا بأنا رضينا عنك ، ورضيت عنا ، وفى رواية أن الرسول قام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « ان اخوانكم قد لقوا المشركين وقتلوهم ، وانهم قالوا : ربنا بلغ قومنا أنا قد لقينا ربنا ، ورضينا عنه ، ورضى عنا ربنا ، فانا رسولهم اليكم ، انهم قد رضوا عنه ، ورضى عنهم » .

ورضاهم عن الله معناه رضاهم بقضائه وقدره ، واستبشارهم بما كتب لهم من مصير ، ورضى الله عنهم معناه أنه تقبل جهادهم ، وأثابهم على أعمالهم . والقرآن الكريم يقول فى سورة المائدة : « رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم » ويقول فى سورة التوبة : « والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه » .

ويقول فى سورة المجادلة « رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون » ويقول فى سورة البينة « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه » .

وحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا بليغا على مصرع هؤلاء الشهداء ، حتى قال أنس ابن مالك رضى الله عنه : « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد (أى حزن وغضب) على أحد كما وجد على أصحاب بئر معونة » .

وظل رسول الله عليه الصلاة والسلام ثلاثين يوما يدعو فى صلاة الغداة (الصبح) بالويل والثبور على المجرمين الذين قتلوا شهداء بئر معونة ، وبهذا الدعاء كان بدء القنوت فى الصلاة فى الاسلام ، كما صار القنوت مستحبا عند النازلة فى سائر الصلوات المكتوبة ، وقال العلماء ان دليل ذلك هو دعاء النبى على الذين قتلوا المجاهدين فى بئر معونة ، رضوان الله تعالى على أولئك الشهداء .

ولقد قال عبد الله بن رواحة فى رثاء نافع بن بديل بن ورقاء أحد أولئك الشهداء :

رحم الله نافـــع بن بديـــــل ... رحمـــة المبتغى ثواب الجهـــاد
صـــابر صـــادق ، وفى ، اذا ما ... أكثر القـوم قال قـــول الســـداد

وقال حسان بن ثابت يرثى هؤلاء الشهداء ، ويذكر قائدهم المنذر بن عمرو :

على قتـــلى معـــونة فاســـتهلى ... بدمـــع العين ســـحا غيـــر نـــزر
على خيـــل الرســـول غداة لاقـــوا ... ولاقتهـــم منـــاياهم بقـــدر
أصـــابهم الفنـــاء بعقـــد قـــوم ... تخـــون عقـــد حبلهم بغـــدر
فيـــا لهفى لمنـــذر اذ تـــولى ... وأعنـــق فى منيتـــه بصـــبر
وكائن قد أصـــيب غـــداة ذاكم ... من أبيض ماجـــد من سر عمـــرو

ولقد ذكر لنا ابن سيد الناس فى كتابه (عيون الاثر) أسماء الشهداء فى بئر معونة — مع اختلاف يسير فيهم — وهذه قائمة الشرف بأسماء هؤلاء رضوان الله عليهم أجمعين :

المنذرو بن عمرو بن خنيس (قائد السرية) ، عامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق ، الحكم بن كيسان ، مولى بنى مخزوم ، المنذر بن محمد بن عقبة بن أصيحة بن الجلاح ، أبو عبيدة بن عمرو بن محصن ، الحارث بن الصمة بن عمر ، ابنا عتيك بن عمرو بن مبذول ، أبى بن معاذ بن أنس بن قيس ، أخوه أنس (وقيل اسمه أوس) ، أبو شيخ بن أبى بن ثابت بن المنذر بن حرام ، حرام بن ملحان بن خالد ، أخوه : سليم بن ملحان ، مالك بن ثابت (فى رواية الواقدى فقط) أخوه سفيان بن ثابت (فى رواية الواقدى فقط) ، عروة بن أسماء بن الصلت ، معاذ بن عاص بن قيس ، أخوه : عائذ بن ماعص بن قيس (فى رواية الواقدى) مسعود ابن سعد بن قيس،خالد بن ثابت بن النعمان بن الحارث (وقيل مات فى مؤتة) ، سفيان بن حاطب ابن أمية ، سعد بن عمرو بن ثقف ، ابنه : الطفيل بن سعد بن عمرو ، ابن أخيه : سهل بن عامر بن سعد بن عمرو بن ثقف ، قطبة بن عبد عمرو بن مسعود ابن كعب ، عبد الله بن قيس بن صرفة ، نافع بن بديل بن ورقاء ، الضحاك بن عبد عمرو بن مسعود (فى رواية ابن سعد) ، عمرو بن معبد بن الازعر (فى رواية ابن القداح) ، خالد بن كعب بن عمرو ابن عوف (فى رواية ابن الكلبى) .

وبقى بعد هذا كله أن نعرف شيئا عن مآل عامر بن الطفيل عليه لعنة الله .

لقد كان عامر هذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع وفد بنى عامر ، وكان أحد رؤساء هذا الوفد وأحد شياطينهم . وكان بعض الناس قد قال له : يا عامر ، ان الناس قد أسلموا فأسلم . فرد عليه بقوله مستنكرا : والله لقد كنت آليت ألا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى ، فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش ؟!

وقال اللعين لأحد أعوانه ، واسمه أربد بن قيس بن جزء بن خالد — وكان شيطانا مثله : ان

البقية ص ٨٢

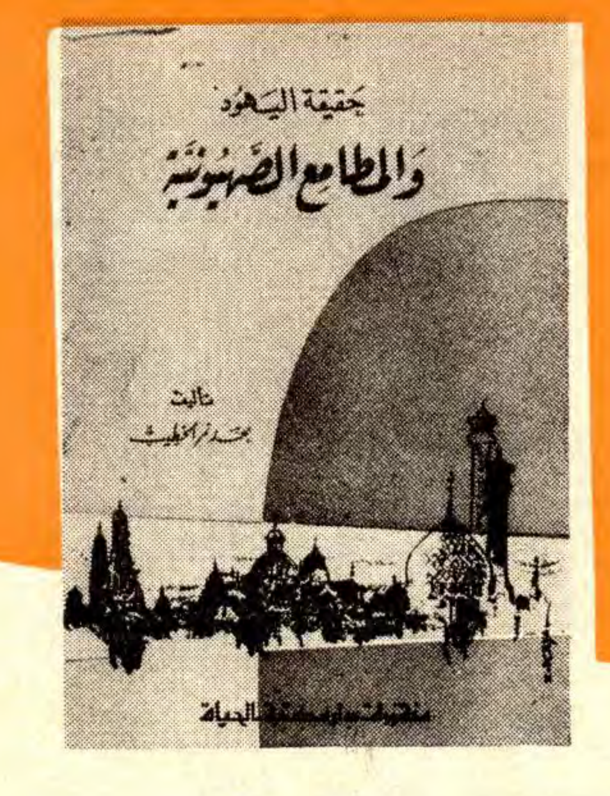
١ حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية

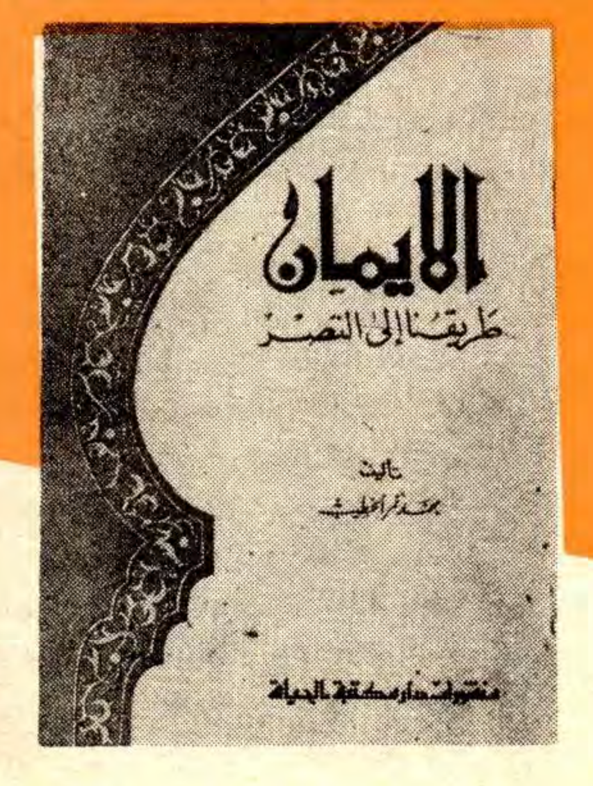
٢ الايمان طريقنا الى النصر

للاستاذ عبد الله العقيل
مدير ادارة الشئون الاسلامية بالوزارة

فلقد سعدت دولة الكويت ، باستضافتها فضيلة الشيخ محمد نمر الخطيب ، رئيس جمعية الرابطة الاسلامية فى لبنان ، ليكون من محاضرى الموسم الثقافى الرابع ، الذى أقامته وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية كعادتها كل عام .

وقد تفضل سيادته بالقاء محاضرتين الأولى بعنوان : ((حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية)) والثانية ((الايمان طريقنا الى النصر)) تحدث فيهما بأسلوب علمى رصين ، مدعم بالحقائق العلمية والتاريخية ، وضرب الأمثلة الحية من شواهد الواقع الذى نعيشه ، وسرد من القضايا ما أثار دهشة السامعين ، وفتح عقولهم وقلوبهم ، على حقيقة ما جرى ويجرى من تنفيذ المخططات الاستعمارية ، سواء أكانت صهيونية ، أم صليبية ، أم شيوعية ، وتحالفها على حرب الاسلام ، واستئصال أهله ، واقتسام تركته .





وكان موفقا غاية التوفيق ، فى الكشف عن الجوانب الحقيقية ، لابعاد المعركة ، وأهداف العدو القريبة والبعيدة ، ومؤامرات اليهود المتلاحقة ، على مدار التاريخ ، مستقاة من كتبهم المعتمدة ... كما أشار فضيلته ، الى الدور البطولى الرائع ، الذى وقفه علماء الاسلام فى الماضى والحاضر ، وكيف كانوا دائما طلائع المقاومة والتحرير ، التى قارعت الاستعمار وأذنابه ، وخاضت المعارك الضارية ، لتحرير ديار المسلمين ، واعلاء كلمة الدين .

فكان الشيخ الأشمر ، والشيخ كامل القصاب والشيخ الدقر ، وغيرهم رحمهم الله من أعلام الجهاد ببلاد الشام ، الذين دوخوا الفرنسيين وقهروهم .. وكان علماء بغداد والنجف ، هم الذين قهروا الانجليز فى العراق .

وكذا الحال فى المغرب العربى حيث كان علماء الزيتونة والقيروان وفاس وقسنطينة ، بل ان ثورة المليون شهيد فى الجزائر هى من صنع تلامذة الشيخ عبد الحميد بن باديس ، والشيخ البشير الابراهيمى والشيخ الفضيل الورتلانى ، وأمثالهم من أفذاذ الرجال .

ولم يكن علماء الأزهر بمصر ، ومشايخ الطرق السنوسية بليبيا وانصار المهدى فى السودان ، الا رهبانا فى الليل ، فرسانا فى النهار ، يلقنون تلامذتهم ومريديهم ، فقه الجهاد ، واحكامه ، ويمارسون واياهم أعمال الفداء ، والانقضاض على الأعداء .

هكذا كان علماء الاسلام ، ولا زالوا حتى اليوم ، يقدمون الدليل تلو الدليل ، على أن هذا الدين وحده هو القادر على تحريك الموات ، وتفجير الطاقات ، واستنهاض الهمم ، وايقاد الثورات ، ضد الطغيان والباطل ، وكل طواغيت الأرض ، الذين تمردوا على أمر الله،

وأرادوا مشاركته فى أخص خصائص الألوهية ، وهى الحاكمية لله وحده .

واذا كان ثمة أصناف من الضعاف، الذين استبطأوا طول المسير ، ووعورة الطريق وآثروا العافية والسلامة ، وهادنوا سدنة الباطل ، وساروا فى مواكب الفارغين والدجالين ، فان ميادين المعارك ، وسوح الجهاد ، وأعواد المشانق ، وجدران السجون ، كلها تنطق بمن جادوا بأرواحهم ، وأرخصوا كل شيء فى سبيل عقيدتهم ، واستعلوا على الطغيان والجبروت بايمانهم وعزتهم.

وان أمتنا الاسلامية ، لا زالت تتطلع لهؤلاء الذين سيرفعون رأسها ، ويكنسون الأرض من دنس الأقزام ، والدمى التى سلطت على رقاب المسلمين ، ويحققون أمر الله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى أرتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) النور ٥٥ .

الوعى

سبق للمجلة أن طبعت محاضرة الأستاذ محمد نمر الخطيب (حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية) فى كتيب وزعته هدية مع عدد جمادى الأول ١٣٨٩ هـ من المجلة .

وقد وردت مئات الرسائل من المسلمين بطلبه بعد نفاد النسخ المطبوعة منه — على كثرتها — واقترح بعضهم توزيعه على المجاهدين فى خطوط المواجهة مع العدو ، وفى الأراضى المحتلة .

وكان من توفيق الله للأستاذ المحاضر أن أعانه على طبع كل من محاضرتيه ، فى كتاب مستقل ، فنلفت اليه أنظار القراء .

ضيوف المجلة



اعداد : عبد المعطي بيومي

مع الشيخ السيد سابق

(٢)

من أشهر الكتب الفقهية المعاصرة كتاب « فقه السنة » الذى تناول فيه مؤلفه جميع المسائل الفقهية فى لغة سهلة ومنهج علمى يعتمد على الموازنة بين الادلة والترجيح بينها واختيار الآراء دون ترجيح بينها الا لأدلتها .

وعلى هذه الصفحات كان لقاؤنا مع مؤلف هذا الكتاب النافع فضيلة الاستاذ الشيخ السيد سابق وكان من ضيوف الكويت فى رمضان الماضى .

قلت لفضيلة الشيخ سابق :

■ **ما هو المنهج الذى اتخذتموه فى هذا الكتاب ؟**

ـــ الكتاب بوجه عام يتميز بمزايا الترتيب والنظام والسهولة واليسر وربط كل قضية بدليلها وترجيح الرأى من حيث الدليل فقط وعرض الخلاف عرضـــا مبسطا لتمحيص الحقيقة من خلاله .

■ **لكن ما هو الموقف الذى سرتم عليه ازاء المســـائل التى لا يمكن فيهـــا ترجيح رأى على آخر ؟**

ـــ حيث لا يوجد ما يرجح رأيا على آخر فانى تركت المســـألة لاختيار القارىء .

■ **هل هناك كتب أخرى من تأليفكم على نفس المنهج ؟**

ـــ كتاب العقائد الاسلامية ، وقد شرحت العقيدة كلها مترسما اظهار مذهب أهل السنة والسلف مع الاستمساك بالدليل النقلى والعقلى بطريقة سهلة مع الاستعانة بالعلم الحديث فيما له صلة به .

■ **كنتم عضوا فى بعثـــة التلفزيـــون العربى فى موســـم الحج الماضى فما هى ملاحظاتكم على ذلك الموسم ..؟**

ـــ من غير شك فان منظر الحجاج يثير فى النفس أعمق مشاعر التدين ، ولكن بالرغم من أن الحكومة السعودية بذلت جهدا كبيرا الا أنه ما زالت هناك أشياء تحتاج الى مزيد من العناية فمثلا بعض الناس ينامون فى الحرم ومعهم أدواتهم ، كما أنهم يقضون حاجاتهم حول الحرم كما أن بعض الناس لا يبالون بالقاء القاذورات حول البيت الحرام مما يثير الاشمئزاز . وطبيعى أن البيت قد أمر الله بتطهيره « وطهر بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » .

كذلك فان كثيرا من الحجاج يؤدون المناسك بطريقة آلية فيتبعون المطوفين بدون وعى وهذا يحتاج الى أن يكون المطوف نفسه على فقه ليشرح للناس أهداف المناسك ومعانى العبادات كما أن بعض الحجاج يتزاحمون على الحجر الاسود وبعض المناسك الاخرى بشكل يؤذى الحجيج وذلك ممنوع شرعا وينبغى أن توضع خطة تجنب الناس هذه المتاعب دون أن يقع أحد فى حرج .

■ **ما هى النصيحة التى تقدمونها للدعاة فى هذه الايام ..؟**

أنصح الداعية بالتشبع أولا بروح الاسلام وأن يعتمد فى منجزاته ودروسه وندواته على الكتاب والسنة مبتعدا عن القصص والخرافات وأن يهتم بجوهر الدين ولبه وبعرض للمشكلات القائمة الآن وأن يبرز الدين من جانبه المشرق الوضىء وخاصة معانى العدالة والحرية والمساواة ومحاربة التفرقة العنصرية وغيرها من ما يشغل فكر النـــاس فى العصر الحاضر وأن يستحضر أمجـــاد التاريخ الماضية والفتوحات الاسلامية الرائعة ..

■ **هل يمكن أن تبين فضيلتكم طابع الاسلام فى كلمة واحدة ، تكون نصب عين المثقف والعامى معا ؟**

ـــ ليس ديننا دين طقوس وانما هو حضارة وحياة كاملة . ذلك هو الطابع الذى يتميز به دين الاسلام .



مَع الشيخ عَبد اللطيف مشتهري

والشيخ عبد اللطيف مشتهرى أحد الوعاظ الذين دعتهم الوزارة للوعظ فى شهر رمضان ، وقد التقيت به لأول مرة فى المجلة ، واستقطب الحديث بيننا أحوال المسلمين والدعوة والدعاة فقلت لفضيلته :

■ **من هو الداعية المثالى فى نظركم ؟**

ـــ هو من وعظ نفسه أولا فعمل بما يعلم ، وصار قدوة طيبة للجمهور ، ثم تمكن من استيعاب العلوم ولا سيما القرآن الكريم والحديث والفقه والتاريخ واللغة ، ثم تمكن من ادراك واقع عصره محليا وعالميا ليقارن بين الواقع والواجب

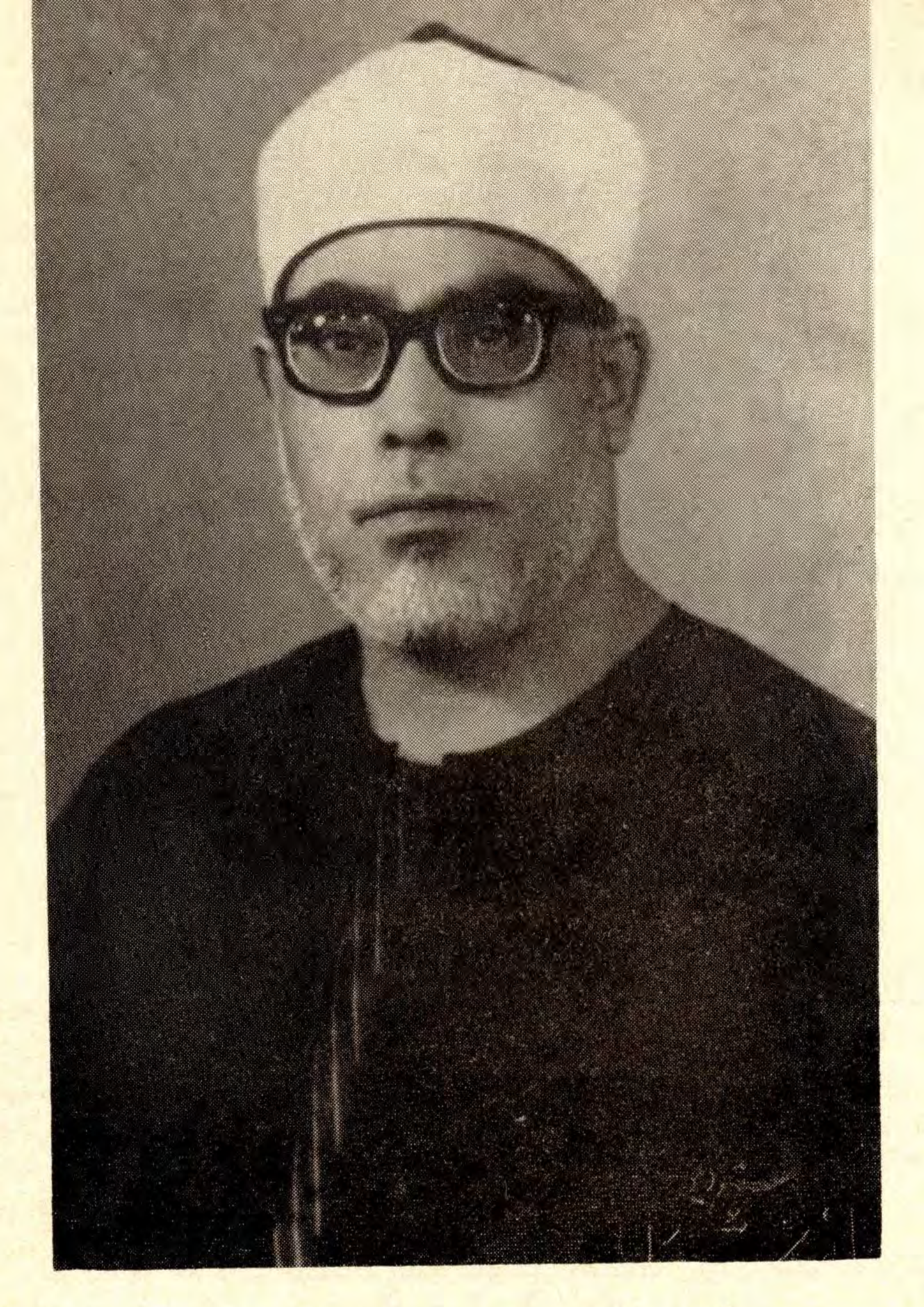
فيعالج الامور على بصيرة ، ثم لا يمل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مهما لاقى فى سبيلهما ، وليجهر بالحق وليثق فى الله الذى حمله أمانة التبليغ باعتباره وارثا للنبوة فيها وبالجملة : يكون كاملا من الناحية العلمية والخلقية والسلوكية والعلاقية ، وأهم من ذلك كله صدقه مع الله ومع الناس ، فلا يحاول أن يخدع الجماهير بوعظهم فيما هم فى غنى عنه ويدع العلل المزمنة فيهم ملقا أو خوفا فهذه خيانة فى أداء الرسالة ومثله كمثل الطبيب الذى تيقن مرضا خطيرا لدى المريض وبدل أن يصف له ما يشفيه منحه قطعة نعناع أو شوكلاتة يلهيه بها عن حقيقة مرضه العضال وهكذا الدعاة الذين يتركون علل المجتمع الاسلامى تنخر فى عظامه من الضعف والتحلل والتقليد والفساد فى كل مرافق الحياة .

هل لديكم رأى فى علاج المسلمين الآن مما حل بهم ؟

ــ العلاج الآن ، وقبل الآن ، يكمن فى التزام تنفيذ نصوص هذا الاسلام فى كل تصرفاتنا الخاصة والعامة ، وبهذا يتوفر للأمة الاسلامية صفتا العلم والعمل أو الوضوح والسلوك . وأخص خصائص هذا العلاج فيما أتصور ، ابعاد الناس أولا عن المنكر فى العقيدة والسلوك والعبادة حتى يخلو لهم الطريق لعبادة الله على نقاء فتأتى الثمرة مباركة نامية ، فمصيبة المصائب أننا نبذل فى الامر والنصح أضعاف أضعاف ما كان يبذل السلف الاولون ، ولكن عقم النتيجة آت من بقاء المنكر دون نكير والحديث يقول « اتق المحارم تكن أعبد الناس » فلو أننا طهرنا المجتمع من عوامل الميوعة والتحلل والتقليد الاعمى لنفع بعد ذلك أقل نصح ، والتخلية مقدمة دائما على التحلية ، وحد من حدود الله يقام فى الارض أنفع للناس من قيام الليل وصوم النهار للعابدين المتطوعين ، ولو أن كل دولة اسلامية عالجت المنكرات ولو بالتدريج ، حتى ولو مهدت لازالة منكر واحد كل عام ، لجاء على الامم الاسلامية حين ليس بقصى وقد بدت معالم وجهها واضحة كأمة لها شخصيتها وعزتها هى خير أمة أخرجت للناس .

ولكنهم حاولوا امساك العصا من الوسط ، فاحدى القدمين فى رحاب الاسلام قولا وشعارا وبعض العبادات ، والاخرى ارتمت بثقلها فى أحضان المحاكاة الاجنبية السافلة لا الفاضلة (فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم) فأخذوا من الاسلام قشوره ومن الغرب أحط ما عنده فضاعوا بين النفاق والتقليد وحاسبهم الله حسابا شديدا .

فلنصحح مفاهيم الاسلام ولنغير ما بنا حتى يغير الله ما نزل ويحسن عواقبنا فى الامور كلها ، وما ذلك على الله بعزيز .



مع الشيخ محمود الحصري

والشيخ محمود خليل الحصرى شيخ المقارىء بالجمهورية العربية المتحدة قل من المسلمين من لم يسمعه ان لم يكن مشافهة فعن طريق المصحف المرتل ، وقد سعدت بلقائه فى المجلة ، وتناول حديثنا عمله الرسمى ورحلاته الكثيرة فى العالم الاسلامى .. قلت له :

■ اشتركت فى مسابقات القرآن الكريم فما هى المسابقة التى تستولى على اهتمامكم ؟

ـــ لم أشترك فى مسابقات قرآنية ولكن دعيت عدة مرات لأكون حكما فى مسابقة القراء الدولية السنوية التى تقيمها حكومة ماليزيا فى كل عام . ففى ماليزيا عادة متوارثة تكاد لا ترى لها نظيرا فى أى بلد اسلامى آخر فهناك فى كل ولاية من ولاياتها تعقد مسابقة للقرآن الكريم وترسل كل ولاية الاول والثانى من الناجحين الى العاصمة كوالالمبور حيث تقام هناك المباراة الكبرى بين هؤلاء الناجحين من الاحدى عشرة ولاية وبين القراء القادمين من جميع البلاد الاسلامية كالهند والباكستان واندونيسيا والفلبين وتايلاند وبورما والبلاد الاخرى المجاورة التى تدعوها هيئة تحكيم المباراة قبل رمضان بشهر تقريبا وتقدم لهم الحكومة كافة التسهيلات مثل السفر والاقامة وتعقد المباراة الكبرى يوم الثالث والعشرين من شهر رمضان فى الاستاد الكبير بالعاصمة وتخصص لكل قارىء عشر دقائق يقرأ خلالها ما يختاره من كلام الله فى المصحف ان لم يكن حافظا لمـــا يختاره وفى نهاية العشر دقائق يدق المنبه معلنا انتهاء الوقت ليبدأ متسابق آخر وهكذا ومما هو جدير بالذكر أن هذه المباراة يحضرها ملك ماليزيا ورئيس الوزراء ووزراء الولايات وكبار الشخصيات من جميع البلاد . وفى اليوم التالى للمباراة تقـــدم الجوائز المالية التى خصصت للمتسابقين فالفائز الاول يحصل على مكافأة مالية قدرها ألف دينار تقريبا وكذلك العشرة الاوائل لكل منهم مكافأة قدرها خمسمائة دينار وأيضا لكل وفد من الوفود المشتركة هدية ثمينة .

■ بالنسبة للمصحف المرتل كيف تم اختياركم لتسجيله ؟

ـــ علمت الجمهورية العربية المتحدة أن اسرائيل قامت بطبع مصحف شريف محرف ووزعته ، فقامـــت بتســـجيل القرآن الكريـــم على اســـطوانات ناطقة بالقراءة الصحيحة ليكون المثل الذى يجب اتباعه وقد عهدت وزارة الاوقاف الى المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بتنفيذ هذا المشروع الجليل فقامت بعقـــد اختبارات على أصوات مشاهير القراء لاختيار أحسنهم أداء وترتيلا وقد كان لى شرف التسجيل للقرآن المرتل برواية حفص عن عاصم مدة ثلاثين ساعة مسجلا على ٤٤ أسطوانة .

■ نعرف أنه كانت هنـــاك فكرة لتسجيل المصحف المرتل بقـــراءة ورش بصوت مقرئين آخرين . ما هى الصعوبات التى حالت دون ذلك ؟

ـــ تقدمت بلاد المغرب وغيرها من البلاد التى تقرأ القرآن برواية ورش عن نافع فقام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بتلبية هذه الرغبة الكريمة وكان لى شرف تسجيل هذه القراءة أيضا فى مدة ٤٥ ساعة على ٦٨ أسطوانة .

■ ما هو نشاطكم فى مشيخة المقارىء :

ـــ تقوم مشيخة المقارىء بنشاطها فى الاختصاصات الآتية :

١ — اختبار القراء للتعيين فى وظائف شيوخ وقراء المقارىء وقراء سورة الكهف فى جميع أنحاء الجمهورية والقراء الذين يبعثون خارج البلاد وداخلها لاحياء ليالى شهر رمضان .

٢ — تصحيح المصاحف ومراجعتها .

٣ — وضع مؤلفات مبسطة سهلة العبارة قريبة التناول مشتملة على أنواع من الثقافة القرآنية يكون الغرض منها تثقيف القراء وغيرهم فى شتى الثقافات القرآنية .

■ هل شاركتم فى هذه المؤلفات ؟

— نعم .. قمت بتقديم تسعة مؤلفات منها :

١ — مع القرآن الكريم .

٢ — معالم الاهتداء الى معرفة الوقف والابتداء .

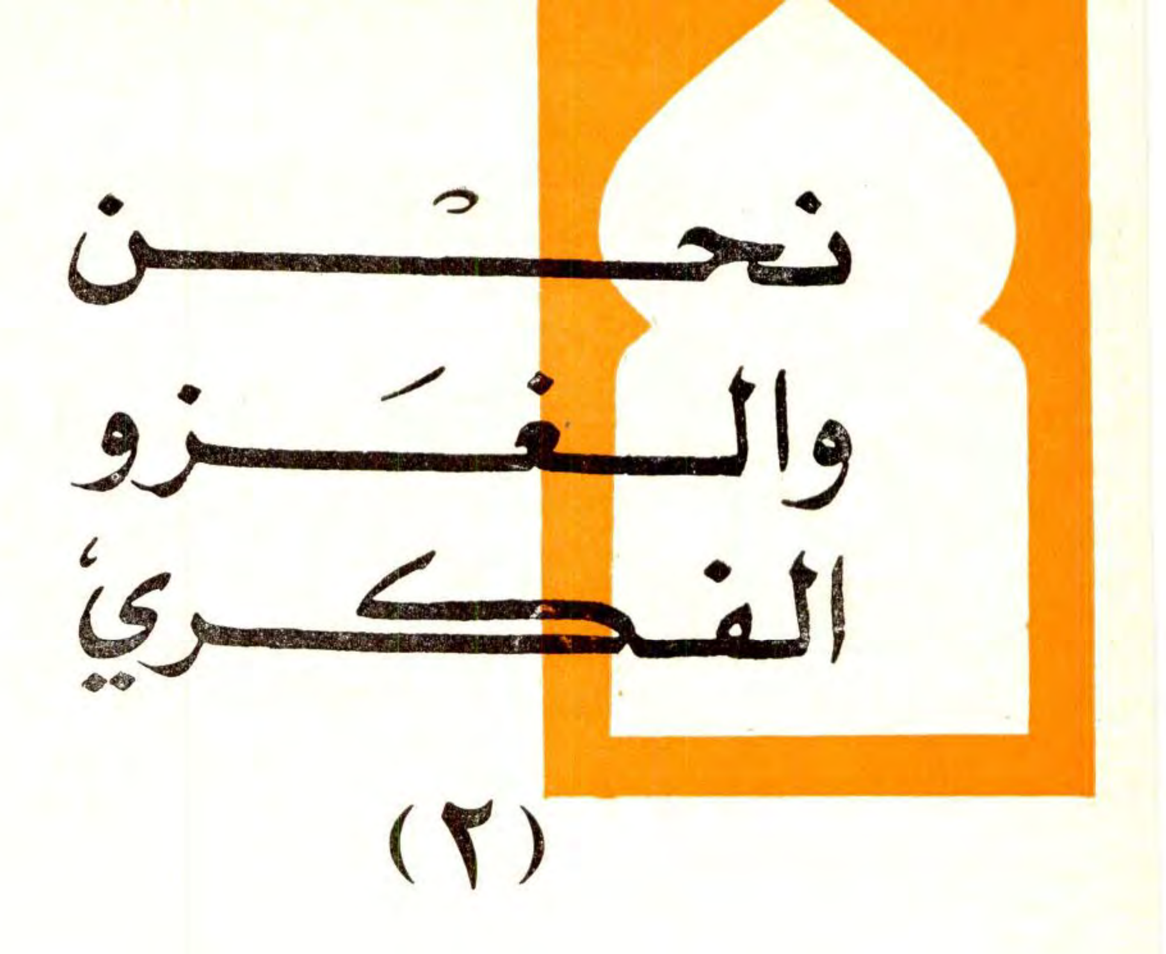
٣ — أحسن الاثر فى تاريخ القراء الاربعة عشر .

■ ما هى النصائح التى توجهونها لمقرئى القرآن ؟

— أنصح كل قارىء لكتاب الله عز وجل أن يكون دائما على ذكر من مولاه تبارك وتعالى متوكلا عليه . وعليه أن يتفقه فى أحكام القرآن ومعانيه فيعرف منه المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والمجمل والمفصل . وأن يتجنب ما ينافى احترام القرآن ، ويخل بقدسيته من الضحك واللغو والكلام لغير حاجة .

■ ما هى الاشياء التى استرعت انتباهكم من خلال زياراتكم لكثير من الدول الاسلامية ؟

— رأيت الاهتمام البالغ بحفظ القرآن الكريم خاصة فى البلاد الاعجمية مثل الهند والباكستان وماليزيا . ففى الهند سيدات يجدن حفظ القرآن الكريم بالقراءات وفى الهند وباكستان اهتمام بالغ بالاستماع الى القرآن من الحفظة خاصة فى صلاة القيام فى شهر رمضان ويلقبون القارىء الذى يحفظ القرآن بالحافظ وهذا لقب له قيمته وأهميته ويختمون القرآن خلال شهر رمضان فى صلاة التراويح مرتين أو ثلاث مرات . ولقد لاحظت فى السودان فى بلد تسمى أم ضبان اهتمامهم البالغ بتحفيظ القرآن الكريم حتى أن الوالد يذهب بأبنائه الى الخلوة (مكان تحفيظ القرآن) ويسلمهم للقائمين بمهمة التحفيظ الذين تعودوا أن يلتزموا بالغذاء والكساء والسكن مدة اقامتهم مهما طالت وهؤلاء الشيوخ لا يقبلون أجرا على ذلك وانما حسبة لوجه الله سبحانه وتعالى ...



نحن والغزو الفكري

(٢)

للأستاذ : أحمد مختار قطب

المحامى أمام محكمة النقض بالقاهرة

تعرض العالم الاسلامى لنوعين من الغزو . أولهما : غزو عسكرى واقتصادى آثاره ظاهرة فى كل مكان من أمكنة العالم الاسلامى ، وغزو آخر أكثر اهمية من الغزو الاول وهو الغزو الفكرى أو العقائدى ..

ونقول ان الغزو الاخير أكثر أهمية ، لأنه ينال المجتمع فى كيانه ، ويهدم شخصيته ، ويتركه بعد ذلك فريسة لاى عدوان ،

ومن آثار الغزو الفكرى تلك الآراء التى أخذت تتردد كثيرا على ألسنة بعض المثقفين من وجوب فصل الدين عن المنهج العلمى ، واعتقاد الكثيرين انه لا بد لتحقيق أى نصر علمى من أن يستهدف أول ما يستهدف تحرير الانسان من سيطرة العقائد الدينية عليه ! !!

ومن آثار هذا الغزو الفكرى أيضا أن أى تنظيم أو تفكير سياسى يجب أيضا ان يضع الدين فى اطار بعيد عنه ، وذلك لان الدين يؤدى حتما الى تخدير الجماهير العريضة من الشعوب ، ويلقى فى روعها أن من التدين قبول الهوان والرضاء بما يقولون انه مكتوب عليهم .

ومن آثار الغزو الفكرى أيضـــا
القول بوجوب فصـــل الدين عن الدولة بدعوى ان الدولة العلمانية هى غاية ما يطمع اليه البشر ، فلا يكون الدين فى نظرها محور التفكير والغاية المرجوة .

● ● ●

والواقع ان الأمة الاسلامية تتمزق تحت تأثير هذا الغزو الفكرى ، وهو يكاد يحطم وحدتها ويفقد افرادهـــا التفكير فى دينهم كرابطة تربطهم ، ليس فقط فى العبادات ، وانما فى كل مناهج الحياة . .

ولقد ساعد على هذا التمزق هذا التخلف الذى عانته الأمة الاسلامية وعدم دراســـة اســـبابه دراسة علمية ، والاكتفاء بالاسباب الجاهزة التى تضعها أوروبا لتخلفهـــا فى الماضى . . .

وبحكم أن المغـــلوب مولع دائمـــا بتقليد الغالب فقد ولعنا بهذا التقليد فعندما قالوا إن النهضـــة الاوروبية نتجت عندما اســـــتطاع العلماء التخـــلص مـــن ســـــيطرة الديـــن . . قلنا انه يجب علينا نحن أن نحاول التخلص من سيطرةالدين حتى نرتقى مثلهم !!

وان قالوا : أن ، ديمقراطيتهم وضمان الحريات عندهم وصـــــلوا اليها بعد تحطيم سلطان الكنيسة !! قلنا انه يجب علينا أن نفعل ذلك

وان قـــالوا اخيرا : ان تحقيق العدالة الاقتصادية لا تكون الا عن طريق اعتناق أسلوب التفكير المادى، قال بعضنا بذلك !!

نظرة سطحية

والرأى الذى اعتقد انه صـــائب يتلخص فى أن التفكير بالصـــــورة السالفة ينطوى على نظرة سطحية للامور ، وتطبيق قواعد وتحليلات ان جازت ان تكون قواعد وتحليـــلات صحيحة بالنسبة للغرب فهى ليست كذلك بالنسبة للعالم الاسلامى ، ولن نحاول هنا الكلام عن الاســـــباب الحقيقية للوقفـــة الحاليـــــة للعالم الاسلامى ، وانما نقرر أن الثورة على الدين هناك كانت لأســـباب لاعلاقة لها بالدين الاسلامى ، بل أن الدين الاسلامى عندما نزل انما جاء لتحطيم هذه الاسباب ، قبل ان تحطمها أوروبا بأربعة عشر قرنا . .

فهم يقولون مثلا : ان التفسيرات التى اعطتها الاديان لجميع الظواهر الكونية كقصة خلق الارض وتاريخ العالم وهى الاجابات الواردة بالتوراة أو بديانات الشرق الاقصى . . كلها اجابات غير مقبولة من ناحية العقل، فالقول بأن الله خلق الارض فى ستة أيام ، وأنه كان يســـــتريح بعد كل مرحلة ، ثم أخذ راحة فى يوم كامل بعد انقضاء الايام الستة ، الى غير ذلك من الاقوال سواء وردت فى كتب مقدسة اعتراها التحريف ، أو جاءت فى تفسيرات لاحقة من الكنيسة أو من المسئولين عن شئون هذه الاديان كلها انما هى أقوال لا يقبلها العقل ، وهى تحول بينه وبين الانطلاق . . واذ كانت الكنيسة واقفة بالمرصـــاد لكل من يمس الحلول التى ترتضيها، فلا بد اذن من الثورة عليها ، وجعل العلم بعيدا عن ســـلطانها . . واذ

كانت تتمتع الى جوار السلطان الدينى بسلطان دنيوى حكومى فلا بد اذن من فصل الدين عن الدولة ، وابقاء السلطة الروحية لها فقط ..

ومن هذا التفكير وهذا الجو .. نشأت جميع الشعارات التى نسمعها ونتأثر بها من وجوب فصل الدين عن الدولة واستقلال العلم عن الدين .

والاسلام غير ذلك

وهذا القول وهذه النتائج لا تنطبق بحال من الاحوال على الدين الاسلامى فلم يعط الاسلام أية اجابة ربانية للمسائل الكونية ، وما يتفرع عنها ، سوى ان كل ما فى الكون ارادة مطلقة يكون بعدها الشىء بمجرد ارادته ، وان علينا ان نتدبر الكون وندرسه من اعلى ما فيه ، وهو السماء والنجوم ، الى ما نتصوره انه أدنى ما فيه .. وان كل ما فى هذا الكون مسخر لنا باذن الله ، وأن حدود المعرفة والعلم لا نهاية لها الا ارادة الله ، فحيث امكننا الوصول الى أى قدر من العلم فهو فى حدود المباح لنا ، والمأذون لنا فيه ،

« لا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء .. » والفارق الوحيد بين العالم المؤمن والعالم غير المؤمن أن الاول يتخذ من علمه سبيلا للايمان والتدبر فى عظمة الله ، والعالم غير المؤمن يتخذ من علمه سبيلا لمحاولة اثبات استقلال الانسان عن ذلك ... وجعله قوة بذاته قد تنفصل عن خالقها فيما بعد وتصبح هى وحدها قوة خالقة ..

ومن هذا المنطلق .. انطلق علماء المسلمين فى بحث كافة مناحى المعرفة ، ولم يسمع فى التاريخ الاسلامى حادث واحد لاضطهاد عالم من العلماء بسبب اجتهاده العلمى وجده .

فهناك من قال بأن الارض مسطحة « تفسير القرطبى » ، وغيره قال ان الارض كروية « الملل والنحلل » وكلاهما تمتع بحرية تامة فى عرض رأيه العلمى ... وتاريخ خلق الارض وبدايته ونهايته تعرضوا لها تعرضا علميا رائعا ، وقالوا فى تعرضهم ان كل حكم قاطع فى ذلك جاءت به التوراة أو غيره من الكتب السماوية السابقة على الاسلام انما هو غير صحيح ، ولا يقبله العقل ، وان الامر فى هذا الشأن من خصوص علم الله الذى نحصله بالبحث والمعرفة والتمحيص والتفكير ، وأود أن يمتع القارىء نفسه بقراءة الجزء الثانى من كتاب الفصل فى الملل والنحل للامام ابى محمد على بن أحمد ابن حزم ، وفيه يرى هذا الاسلوب العقلى الرائع ..

فحقيقة الوضع ان الثورة التى تزعم النهضة الاوربية انها قامت بها لتحرير العقل انما جاءت فى حقيقة أمرها متفقة مع اتجاه الاسلام ، فهى تهدم معتقدات كان من المفروض أن يستمر الاسلام ماضيا فى هدمها ، وعندما يتحرر هذا الانسان الغربى من نير القيود التى فرضت عليه لن يجد عند الدراسة والتعلم الا أن الاسلام هو المنقذ الوحيد الذى يصالح بين عقله وقلبه بل ويجعل عقله خادما لعقيدته ويجعل من تفكيره سلما

لارضاء وجدانه .. وهذه هى السعادة الحقيقية والامل المنشود للبشرية .

والان وبمناسبة ابحاث الفضاء ومحاولة الوصول الى كوكب الزهرة ومناسبة الوصول الى القمر لن نجد دينا دعا اهله الى هذه المحاولات قدر الدين الاسلامى .. والذى يقرأ الاية الكريمة التى وضعناها فى صدر هذه الخواطر يراها دعوة صريحة لذلك فهى تدعو الناس جميعا الى أن تنظر ماذا فى السموات والارض وان النظر بجميع وسائله يطلعنا ويوضح لنا طريق الايمان .

والنظر الذى تدعونا اليه الاية الكريمة يشمل كما قلنا كل ما يمكننا منه الله من وسائل المعرفة فننظر بالعين المجردة « الم نجعل له عينين » وننظر بالميكروسكوب أو بتصميم الالات الدقيقة التى توصلنا الى نظر أكثر اقترابا وعمقا أو حتى المعاينة .. وعمل هذه الالات واستعمالها يدخل فى الالزام لنا باستعمال كل علم نصل اليه « ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله »

وعلى ذلك لو كنا نفهم ديننا حق الفهم لتأكدنا وتيقنا ان كل تقدم علمى هو واجب علينا وانه بالنسبة للمؤمنين يزيدهم ايمانا وبالنسبة للمتشككين يعرض عليهم عظمة القدرة الالهية التى من المفروض ان تكون باعثا لهم على الايمان .. اما

المستعدون للضلال فهم لا يتخذون من هذه الكشوف الا سبيلا للكفر والتكبر .

فيا أيها المسلم اينما كنت وعلى أى حال كان وضعك لتعلم ان العلم فريضة عليك وكل مرحلة تصل اليها يجب ان تكون قاعدة لانطلاقة اخرى « وقل رب زدنى علما » وكل ما يمكن أن نصل اليه هو قطرة فى علم أكبر .. ولا حرج عليك ما دمت لا تتخذ من علمك سلما للغرور الكاذب بآدميتك ظانا ان الانسان بوصف انه انسان قد يكون مصدر القوة وحدها ..





مدينة العقبة الأردنية في مراحل التاريخ

للاستاذ : لطفي ملحس

تقع مدينة العقبة على الشاطىء الشمالي الشرقي لخليج العقبة على البحر الأحمر ، وهي ميناء الاردن الوحيد . ويبلغ سكانها حاليا ١٤ الف نسمة . وتتصل بالعاصمة عمان بطريق بري معبد طوله ٣٣٧ كيلو مترا . اما مدخل الخليج فتعترضه جزيرة تيران وبالقرب منها جزيرة صنافر ثم جزر اخرى على امتداد الساحل المواجه لنواحي تبوك

وشاطىء العقبة رملي قليل الغور . وبعد ان كان لا يصلح لرسو السفن الكبيرة ، فقد أصبح اليوم بمقدور السفن التجارية الرسو على الرصيف بمحاذاة الميناء ، وذلك بعد ان قامت الحكومة الاردنية بتنفيذ مشروع توسيع الميناء ، الأمر الذي جعل هذا الموقع البحري الجميل منتجعا مرموقا يطيب فيه العيش وتتوافر له موارد الرزق وتحلو فيه الحياة . ومجمل



مدينة العقبة

القول فان العقبة تواجه مستقبلا حافلا ، ولسوف يضطرد تقدمها وازدهارها حتى يمكن ان تضاهى بعد بضع سنوات الموانىء العامرة الحديثة فى الشرق الاوسط .

اصداء من التاريخ :

تحتل العقبة منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا مركزا استراتيجيا فريدا ، حيث تتفرع منها الطرق التى تربط ثلاث وحدات كبيرة ، هى الجزيرة العربية ومصر وسوريا ، ومنها أيضا يمكن ان تنطلق السفن البحرية الى مختلف موانى العالم شرقية وغربية ، وتقوم العقبة على انقاض مدينة أيلة القديمة ، وذكر أحد المؤرخين العرب أنها سميت أيلة باسم أيلة بنت مدين ابن ابراهيم عليه السلام ، وقد يعود أصل تسميتها الحالية العقبة الى كونها تقع على سفح جبال شاهقة ترتفع الى جانبيها ، وتكون عقبة فى وجه من يقصد التوغل فى الصحراء .

لا مشاحنة فى أن سكان العقبة الأوائل نزحوا من جوف الصحراء العربية التى طالما تدفقت موجات سكانها الى الشمال . ولكن أقدم الآثار المكتشفة لا تدل عمن أقام فيها قبل المصريين القدماء فى عهد السلالة الأولى ٣٤٠٠ — ٢٩٨٠ ق.م الذين كانت لهم مناجم فى جنوبى الأردن .

وقد ورد ذكرها كثيرا فى التوراة اذ اتخذها سيدنا سليمان ميناء له ثم

احتلها الاشـــوريون وبعد فترة من الاضطراب استولى عليها رصين ملك سوريا الآرامى ، وطرد اليهود منها وأسـكن فيهـا أناسـا من أهـل سـوريا ، ثم اسـتولى عليها الأنبـاط فاليونان فالرومـان وكانت فى زمن هـؤلاء من المراكز التجارية المهمة .. وبعد أن انتشرت النصرانية صـارت العقبـة مركز أبرشيه ، وفى عهد هادريان عسكر الجيش العاشر الرومـانى فترة من الزمان فيها كما تم فى عهـده تعبيد الطريق بين بصرى والعقبة ومن هناك كانت تمتد طـريق أخرى الى غزة ورفح على حدود مصر . كما كانت العقبة مركزا للقوافل التى تنقـل البضائع من الشرق من سـواحل الخليج العربى الى مصر وفلسطين .

الفتح الاسلامى .

فى أوائل القرن السـابع للميـلاد قام النبى صلى الله عليه وسلم يدعو الى دين الاسلام وأخذت دعوته تهز الجزيرة العربية من أقصـاها فى الجنوب الى أقصاها فى الشمال ، وآن لهذه الدعوة ان تتخطى حدود الجزيرة ، ففى صيف السنة التاسعة للهجرة (٦٣٠م) بعث النبى عليـه السلام حملة صغيرة لتغزو التخوم الرومانية ، وخشى هرقل ذلك فحشد قوات كبيرة لمواجهة المسـلمين ، وعندما بلغت النبى عليه السلام أنباء هذه التحشدات العسـكرية استنفر جيشا مؤلفا من ثلاثين ألف مقاتـل وزحف على تبوك ومن هناك أرسل كتابا الى يوحنا بن رؤبة أمير العقبة يعرض عليه الاسلام ودفع الجزية فأتاه (يوحنا) الى تبوك حاملا لـه الهدايا الثمينـة ودخل عليـه فى معسكره فبش النبى صلى الله عليه وسلم فى وجهه وأكرمه ثم كتب له العهد التالى : « بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمنة من الله ومحمد النبى رسوله ليحنه بن رؤبة وأهل أيلـة سـفنهم وسياراتهم فى البر والبحر لهم ذمة الله وذمة محمد النبى ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فانه يحول ماله دون نفسه وأنه طيب لمن أخذه من الناس ، وانه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ، ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر » ... كتبه جهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السنة التاسعة للهجرة وبعد أن فرض النبى (٣٠٠) دينار جزية على العقبة أهدى يوحنا عباءة من صنع اليمن ، وأذن له بالعودة الى بلده . وقد ظل مفعول هذا العهد نافذا زمنا طويلا حتى ان الخليفة عمر بن عبد العزيز ابى ان يزيد الجزية على أهل العقبة مع انها كانت دون المعدل .

وبعد فتح سوريا وقعت العقبـة تحت الحكم العربى المباشر وفى عام ١٧ هـ اجتاح الحجاز قحـط شديد فأرسلت المؤن والحبوب من سوريا وفلسطين الى الحجاز بطريق العقبة ثم رغب الخليفـة عمر بن الخطـاب أن يزور أهل فلسـطين وسوريا ليواسيهم بعد طاعون عمواس وفى طريقه زار العقبـة فخرج أهلها لاستقباله وحل فى ضيافة مطرانها .

العقبة فى عهد الصليبيين .

خلال الحروب الصليبية استولى (بلدوين الأول) على العقبة عـام ١١١٦م وحصنها كما بنى قلعة على جزيرة فرعون . وفى عام (١١٧٠م) زحف صلاح الدين الايوبى من مصر ودخل غزة وكان قد بنى أسطولا من

السفن فى القاهرة فحمل اجزاءه على الجمال الى ساحل البحر الأحمر حيث قام بتركيبه ثم شن على العقبة هجوما مزدوجا من البر والبحر . واستولى عليها بعد معارك شديدة وكان الصليبيون قد حصنوا جزيرة فرعون فأقام جيش صلاح الدين على حصارها حتى استسلمت بعد خمس سنوات ومنذ ذلك العهد صارت العقبة طريق الحج ، وبقيت كذلك حتى عام ١٨٨٥ م حيث أخذ الحجاج القادمون من أفريقيا يسافرون بحرا من قناة السويس الى جدة . وكان يقام فيها سوق خلال أشهر الحج تباع فيه الاقمشة والمأكولات والحبوب .

وذكر المؤرخون أن دليل الحج المصرى كان من قبيلة الحويطات .. أما قلعة العقبة فقد بناها السلطان قانصوة الغورى أحد سلاطين دولة المماليك الثانية فى مصر (١٥٠١ — ١٥١٦ م) ..

العقبة فى كتب المؤرخين ..

ذكر العقبة كثير من مؤرخى العرب، ومنهم اليعقوبى فقد كتب عنها يقول (.. ومدينة أيلة مدينة جليلة بها يجتمع حاج الشام وحاج مصر والمغرب وبها التجارات الكثيرة ، وأهلها أخلاط من الناس وبها قوم يذكرون أنهم موالى عثمان بن عفان ، وبها برد (حبرة) يقال انها برد رسول الله صلى الله عليه وسلم) . وأقدم ذكر لمدينة العقبة قد جاء فى التوراة فى سفر الخروج تحت اسم أزيون جيبر بناها الأدوميون حوالى القرن الثالث عشر قبل الميلاد وحصنوها بالاسوار وبنوا فيها أفرانا لصهر المعادن وفى القرن العاشر قبل الميلاد غزا الملك داود بلاد أدوم ومنها — (أزيون جيبر ولكنها قد عادت الى الادوميين قبل نهاية حكم الملك سليمان وأصبحت مدينة أدومية صرفة ، وقد تغير اسم مدينة (أزيون جيبر الى ايلات فى القرن الثامن قبل الميلاد ، وقد ذكرها العرب بهذا الاسم (ايلات) وأحيانا (ايلية) فى كتبهم عند فتحهم الشام ، وهو الاسم الذى عرفت به هذه المدينة لدى البزنطيين ومن قبلهم الرومان حين حكموها ، واخيرا عرفت باسم العقبة بعد فتح المسلمين لها وبالمنابسبة فان هذا الاسم يطلق أيضا على موقع آخر بين مكة ومنى وهو الذى بايع فيه اثنا عشر رجلا من أهل يثرب النبى صلى الله عليه وسلم وقد سميت المبايعة (بيعة العقبة).

هذا ، وأعود الى ذكرها فى كتب التاريخ فقد كتب عنها الكولونيل فريدريك . ج . بيك — فى كتابه (شرق الأردن وقبائله) عند الكلام عن الرومان فقال (.. وحوالى أواسط القرن الخامس نزح أحد رؤساء القبائل واسمه امرؤ القيس مع قبيلته الى دومة الجندل . وبعد أن بسط سلطانه فيها غزا بطرة العربية . ثم وصل ابنه الى سواحل البحر الاحمر فابحر على زوارق صغيرة واحتل جزيرة أبو ناب أى تيران التى كانت من المتلكات الرومانية ، وبذلك أصبح متسلطا على الطرق التجارية بين الجنوب وشرق الأردن وأخذ يستوفى رسوما باهظة من القوافل والسفن جاعلا خليج العقبة مركزا لذلك) ..

ومن المؤرخين الأستاذ نعوم شقير وقد ذكر فى كتابه (تاريخ سيناء انه زار العقبة عام ١٩٠٦م ولم يكن فيها أكثر من مائة كوخ مبنية بالحجر الغشيم والطين يسكنها نحو (٣٥٠) نفسا من مخلفات الجنود المصريين . وذكر أيضا انه شاهد قطعة ذهب من النقود الاسلامية عثر عليها فى خرائب العقبة وقد نقش عليها فى الوسط (لا اله الا الله) وعلى الدائر

البقية ص ٨٣

اعداد: ابى نزار

مائدة القارئ

اضطراب امر المسلمين

ان الله زوى لى الأرض ، فرايت مشارقها ومغاربها ، وان أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وأنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة عامة (قحط يعمهم) ، وان لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم .

وان الله قال : يا محمد انى اذا قضيت قضاء فانه لا يرد ، وانى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضهم بعضا ، ويسبى بعضهم بعضا .

(حديث صحيح) .

منى

قال بعض اهل اللغة : انما سمى منى لما يمنى فيه من ثواب الله تعالى : اى يقدر فيه وقيل : بما يمنى فيه من الدم اى يراق ، وقيل : انما سمى بذلك لان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما انتهى اليه قال له الملك تمن ، قال : أتمنى : الجنة .

ومنى يذكر ويؤنث ، والتذكير أجود . قال الشاعر فى التذكير :

سقى منى ثم رواه وساكنه
ومن ثوى فيه واهى الودق منبعق

وقال آخر فى التأنيث :

يومنا بمنى اذ نحن ننزلها
أمر من يومنا بالعرج أو ملل

الطائر الميت

خرج عبد الله بن المبارك الى الحج ، فاجتاز بعض البلاد ، فمات طائر معهم ، فأمر بالقائه على المزبلة ، فخرجت جارية من دار قريبة ، فأخذت الطائر الميت ، ولفته ، وأسرعت به الى الدار ، فلما سألها : لم أخذت الميتة ؟ قالت : انها وأخاها فقيران لا يجدان شيئا ، ولا يعلم بهما أحد .

فأمر ابن المبارك برد الاحمال ، وقال لوكيله : كم معك من النفقة ؟ قال : ألف دينار قال ابق منها عشرين دينارا ، وأعط باقى الألف الى الجارية ، وعد بنا الى مرو ، فهذا أفضل من حجنا هذا العام ، ورجع ولم يحج .

كرم الليث

كان الامام الليث بن سعد واسع الثراء ، وكان لا يجارى فى الكرم ، ومن عجائب كرمه أنه اشترى دارا ، فلما ارسل من يتسلمها وجد بالدار ايتاما واطفالا ، فسألوه أن يترك لهم الدار ، فلما اعلم الليث بذلك وهبها لهم ، ومعها ما يصلح شانهم من المال .

بيعة النصر

قبل الهجرة بسنة وفى ليلة ثانى أيام التشريق وعند العقبة الكبرى بايع خمس وسبعون من أهل المدينة . بينهم امرأتان — رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة ، فى النشاط والكسل ، والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وان يقوموا فى الله لا يخافون لومة لائم ، وعلى أن ينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم .

ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا .
ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا .
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به .
واعف عنا واغفر لنا وارحمنا .
أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

آمين

واعظ الخليفة

جاء أبو عثمان عمرو بن عبيد الى مجلس الخليفة المنصور ، فقال له : عظنا يا أبا عثمان ، فقرأ سورة الفجر حتى بلغ قول الله عز وجل : « ان ربك لبالمرصاد » فبكى بكاء شديدا ثم قال له : ان الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها ، واعلم أن الأمر الذى صار اليك انما كان فى يد من كان قبلك ، ثم أفضى اليك ، وكذلك يخرج منك الى من هو بعدك ، وانى أحذرك ليلة تمخضت صبيحتها عن يوم القيامة ، ثم بكى أشد من بكائه الأول حتى رجف جنباه .

الجاحظ يشكو علته

قال : سمعت الجاحظ يقول : أنا من جانبى الأيسر مفلوج ، فلو قرض بالمقاريض ما علمت ، ومن جانبى الأيسر منقرس ، فلو مر به ذبابة لألمت ، وبى حصاة لا ينسرح لى البول معها ، وأشد ما على ست وتسعون .

وأراد المتوكل أن يحمل اليه الجاحظ ، فقال لمن أراد حمله : وما تصنع بامرىء ليس بطائل ، ذى شق مائل ، ولعاب سائل ، وفرج بائل ، وعقل زائل ، ولون حائل .

الحرص على العلم

قال المبرد : ما رأيت أحرص على العلم من ثلاثة : الجاحظ ، والوزير الفتح بن خاقان ، والفقيه اسماعيل بن اسحاق ، فأما الجاحظ فانه اذا وقع فى يده كتاب قرأه من أوله الى آخره — أى كتاب كان — وأما الفتح بن خاقان فانه كان يحمل الكتاب فى خفه ، فاذا قام بين يدى المتوكل للصلاة أخرج الكتاب ، فنظر فيه وهو يمشى حتى يبلغ مصلاه ، ثم يصنع مثل ذلك : فى رجوعه الى أنيأخذمجلسه ، وأما اسماعيل بن اسحاق فانى ما دخلت عليه قط الا وفى يده كتاب ينظر فيه او يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه .

الخليفة الواعظ

قدم عروة بن أذينة على هشام بن عبد الملك فى جماعة من الشعراء ، فلما دخلوا عليه عرف عروة ، فقال له ألست القائل .

لقد علمت وما الاشراف من خلقى	ان الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى له فيعنينى تطلبه	ولو قعدت أتانى لا يعنينى

وأراك قد جئت تضرب من الحجاز الى الشام فى طلب الرزق . فقال له : لقد وعظت يا أمير المؤمنين ، وبالغت فى الوعظ واذكرت بما انسانيه الدهر ، وخرج من فوره الى راحلته فركبها راجعا وشغل عنه هشام ، ثم ذكره ، فقال فى نفسه : رجل من قريش قال حكمة ، ووفد الى ، فجبهته ورددته عن حاجته ، وهو مع هذا شاعر ولا آمن ما يقول .. فلما أصبح سأل عنه ، فأخبر بانصرافه فقال : لاجرم ليعلمن أن الرزق سيأتيه ، ودعا مولى له ، وأعطاه ألفى دينار ، وقال له : الحق ابن أذينة ، فأعطه اياها .

قال : فلم أدركه الا قد دخل بيته ، فقرعت الباب عليه ، فخرج ، فأعطيته المال ، فقال : أبلغ أمير المؤمنين السلام، وقل له : كيف رأيت قولى : سعيت فأكديت ، ورجعت الى بيتى ، فأتانى فيه الرزق .



الاسلام في الشرق الأقصى

الدكتور قيصر أديب مخول ، استاذ جامعى ، من اساتذة جامعة الفيليبين ، اختار الاسلام دينا له ، وينتسب الى عائلة سورية عربية .

كان أبوه مخول قد غادر دمشق مهاجرا الى الفيلبين حوالى عام ١٩٠١ وتزوج من سيدة فيليبينية ثم توفى عن عمر يناهز الثانية والثمانين .

أما هو فقد نشأ مع أخوته نشـأة مسيحية ، ولكنـه لم يلبث حتى اعتنق الاسلام وهو فى الثلاثين ، فى أثناء اعداده لشهادة الدكتوراه .

ويؤكد الدكتور قيصر أن ولديه يتربيـان الآن تربية اسـلامية ، ويعلن أنه الاستاذ المسلم الوحيد فى أسرة الأساتذة الجامعيين فى جامعة الفيلبيين .

١ ــ الاسلام فى الشرق الأقصى :

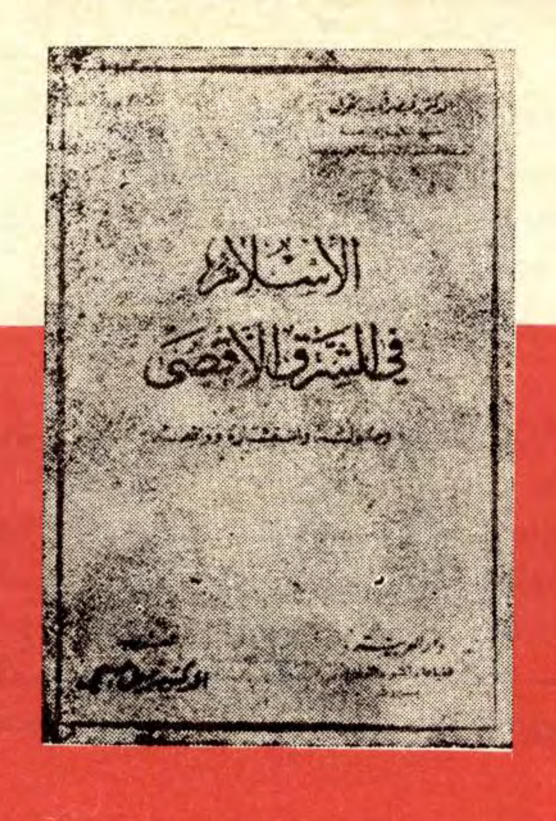
هذا عنوان لكتاب كتب فصوله الدكتور قيصر اديب مخول ، ونقل الفصول الى العربية ، أحد أصدقاء المؤلف ، الدكتور نبيل صبحى ، ويقرر المعرب أن فيما نقله من الانجليزية لصديقه المؤلف الحقائق التالية :

١ ــ أن الأسلوب العلمى التحليلى الدقيق صفة بارزة فيما كتبه وحققه .

٢ ــ أن الزيادة فى كتابة تاريخ العرب والمسـلمين لا تزال معقودة اللواء للكتاب الأجانب .

٣ ــ ان المؤلف قد وضع يده على عامل العقيدة الذى لعب دورا بالغ الاهمية فى توسيع الرقعة الاسلامية فى الشرق الاقصى فى الوقت الذى الح فيه المؤرخون الآخرون على اعتبار العامل المادى تفسيرا أساسيا لانتشـار الدعوة الاسلامية .

٤ ــ ان حركية العقيـدة الاسلامية وفعاليتها لا ترتبطـان بالكيانات السياسية القائمة .



عرض وتحليل الأستاذ

رمضان لاوند

٥ — ان جيل العقيدة المجاهد بحاجة لسلاح العلم الذى يدعم الايمان ..

هذه الملاحظات الخمس يخرج بهـا المعرب ويسجلها بعـد نقله للنص الانجليزى ، ثم يقرر من خلالها أن للاسلام قوة ذاتية تلعب دورها الخطير فى صنع مصير الانسان فى العالم .

٢ — فصول الكتاب :

ومما يلفت النظر أن هذا الكتاب أقرب الى التقرير الذى يعتمد خطة السرد والحكاية والتعليقات السريعة منه الى الدراسة المعمقة التى تبحث عن الوقائع والشواهد .

والغاية من تأليفه هى التفسير العلمى لوصول الاسلام وانتشاره فى ماليزيا .

وماليزيا هنا لا تعنى الكيان السياسى المعترف به دوليا فى أيامنا هذه ، بل تعنى جغرافيا ، البلاد الواقعة فى دول اندونيسيا والملايو والفيليبين . ومن هنا تبدو لنا هذه التسمية عنوانا على رقعة واسعة جدا لعبت وما تزال تلعب دورا بالغ الاهمية فى تقرير مصير الشرق الآسيوى .

وقد قسم الكتاب الى عدة فصول تعرض المؤلف فى كل منها لنظرية خاصة تفسر انتشار الاسلام فى الشرق الاقصى . وفى ضوء خطة علمية وضعها المؤلف لنفسه نستطيع أن نقرر الحقائق والوقائع التالية :

١ — ان انتشار الاسلام فى ماليزيا قد نظر اليه نظرتان مختلفتان :

النظرة الاولى : اعتبار السلطنات الاسلامية فى جنوب الفيليبين وحدة لها تاريخها المستقل عن بقية السلطنات والامارات الاسلامية فى ماليزيا .

النظرة الثانية : اعتبار الامارات والسلطنات الاسلامية بما فيها منطقـة جنوب الفيليبين (ارخبيل سولو) وجزيرة (مينداناو) وحدة لها تاريخها المشترك فى رقعة واسعة جدا من الشرق الاقصى .

وقد اختلف المؤرخون فى تفسير السرعة البالغة لانتشار العقيدة الاسلامية فى المنطقة ، فنادى بعضهم بنظرية الصراع الصليبى ، وجاء البعض الآخر ينادى بنظرية العامل الاقتصادى أو السياسى . وتعددت النظريات تعدد الزوايا التى كان وما يزال المؤرخون يطلون منها على هذه الظاهرة التاريخية الهامة . وفيما يلى جملة الحقائق التى أوردها المؤلف حول هذا الموضوع فى فصول كتابه :

٢ ــ الغالب أن أول من مخر عباب المحيط الهندى هم عرب جنوب شبه الجزيرة العربية . والثابت أن هؤلاء العرب قد عملوا كوسطاء بين التجار الاوروبيين والتجار الآسيويين من الهند وغربى ماليزيا . وانهم قد استطاعوا الحفاظ على مكاسبهم بالرغم من الجهود التى بذلها الرومان أولا والفرس ثانيا لمنافستهم وانتزاع المبادرة التجارية منهم . وقد انتهى هؤلاء وأولئك وذهبت ريحهم ، وبقى العرب بعد ظهور الدعوة الاسلامية سادة المنطقة ، ولا سيما بعد بداية القرن التاسع الميلادى حتى وصول البرتغاليين فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى .

وتؤكد بعض الوثائق والسجلات القديمة أن التجار العرب قد وصلوا بتجارتهم الى الصين عام (٣٠٠) للميلاد ، وانهم كانوا فى تلك الفترة يملكون أماكن استيطان ومراكز محاسبة فى مدينة (كانتون) الصينية .

وتستمر حركة التوسع الاسلامى فى ميادين التجارة والدعوة الدينية حتى سقوط خلافة بغداد عام ١٢٥٨ م . وبدلا من أن يعقب هذه الكارثة هبوط فى حرارة الدعوة هذه فقد حدث العكس تماما اذ انصرف التجار المتحمسون لعقيدتهم والعلماء والفقهاء الذين شردتهم كارثة بغداد نحو عوالم أسيوية جديدة يدعون فيها الى الله ، ويعلمون الناس أمور دينهم ودنياهم .

والملاحظ أن الذين نشروا دعوة الاسلام فى ميااليزيا من عناصر وقوميات مختلفة . ولكن أخطرها شأنا هم العرب القادمون من جنوب الجزيرة العربية ، والكوجيراتى سكان شمال غرب الهند ثم سكان جنوب الهند .

كل هؤلاء تعاونوا معا على تدعيم التيارات الاسلامية ، ومواجهة مظاهر التخلف الدينى والاجتماعى والاقتصادى فى المنطقة الماليزية كلها .

والجدير بالذكر أن أول موطىء قدم للاسلام كان فى شمال جزيرة سومطرا ، وفى سلطنة باساى منها بالذات ، ثم اتسعت الرقعة الاسلامية فضمت برلاك ومالاكا والامارات الساحلية لجزيرة جاوا ، ثم جزائر بورنيو ومولوكاس وغيرها من مئات الجزر المنتشرة فوق مياه المحيط الهادىء .

والجدير بالذكر أيضا أن وصول البرتغاليين الى مالاكا واحتلالهم لها لم يحولا دون توسع الدعوة الاسلامية . فقد اختار الدعاة المسلمون مدينة اتشيه فى شمال سومطرا مركزا لهم بعد احتلال البرتغاليين لمالاكا عام ١٥١١ م . وقد قويت مدينة اتشيه واتسع سلطانها لدرجة استطاعت معها أن تتحدى (مالاكا) بالذات .

المهم أن الغربيين الذين تمثلوا أولا فى البرتغاليين ثم الهولنديين فالاسبانيين قد لعبوا دورا خطيرا فى انتزاع المبادرة من المسلمين فى ميدان

تجارة التوابل ، ولكنهم لم يستطيعوا تجميد الحركية الدينية الاسلامية باستثناء البقاع الشمالية من جزر الفيليبين حيث بذل الاسبانيون جهودا فائقة ، واستعملوا أساليب قاسية مدمرة لمقاومة الحضور الاسلامى فى جزر الفيليبين . واذا كان الاسبانيون قد نجحوا فى تنفيذ مخططاتهم فى البقاع الشمالية من جزر الفيليبين لضعف الوجود الاسلامى فيها ، فقد سجلوا هزيمة منكرة فى البقاع الجنوبية من الفيليبين حيث يقوم أرخبيل (سولو) وجزيرة (ميندناو) ففى هذه البقاع انتشر الاسلام ورسخت أقدامه وشاعت له فى القلوب مهابة شديدة .

ويتابع المؤلف حكاية التوسع الاسلامى فى ماليزيا فيعلن أن النشاط العربى الاسلامى رغم قوته التى سيطرت على تجارة نانهى (وهى التجارة فى بحر جنوب الصين) لم يكتسب فى البداية أعدادا كبيرة من المؤمنين .

لقد كان تأثير التجار العرب والكوجيراتى من أبناء الهند محدودا باتصالاتهم العائلية وبالمصاهرات التى كانوا يعقدونها مع الفئات الارستقراطية من أهالى البلاد .

ويلاحظ المؤلف أن المسلمين العرب وغير العرب لم يأتوا الى تلك البلاد فاتحين لالحاقها بالوطن الام كما فعل البرتغاليون والاسبان من بعدهم ، بل أتوا مسالمين يعملون فى التجارة ، ويقصرون جهودهم على تنظيم هذا القطاع الهام من حياة البلاد العامة .

ولئن ظهر بعض المتطوعة من المصريين والاتراك بعد ذلك ، وخاضوا معارك حربية فى تلك البلاد ، فقد تم ذلك فى القرن السادس عشر عندما أصبح البرتغاليون خطرا يهددهم فى تلك المنطقة .

٣ — النظرية التجارية :

يورد المؤلف فى هذا الفصل الرأى القائل أن انتشار الاسلام فى ماليزيا كان بسبب بعض التجار الصينيين والعرب والهنود وجنسيات أخرى كثيرة .

ويؤكد على لسان هندريك كرن قائلا : (انتشار الاسلام فى جزر المحيط الهندى بالاقناع والصلات الحسنة والتزاوج بين المؤمنين والوثنيين !! وقبل التوسع الاسلامى الكبير كان هناك تجار مسلمون — أغلبهم من العرب — فى أهم موانىء سومطرا وما جاورها من جزر ، وهم الذين بذروا بذرة الاسلام التى أينعت بعد وقت .. ثمرا كثيرا) .

وتتلخص النظرية التجارية بالقول بأن الاسلام جاء مع التجار المسلمين . ولهذه النظرية وجهان :

الاول : أن التجار كانوا أنفسهم (الدعاة) الى حد ما ، يعملون فى التجارة ويدعون للاسلام فى آن واحد .

الثانى : أن العمل الاسلامى كان ثانويا بالنسبة للمصالح التجارية .

ويؤكد المؤلف بأن تفسير النظرية التجارية لانتشار الاسلام ناقص من نواح عدة يأتى فى مقدمتها أن جهود التجار الفردية أو الجماعية غير كافية لتفسير ظهور الروح الدينى عند الملايين من الناس . ولتفسير التراجع الكبير فى صفوف الديانة الهندوكية المنتشرة فى تلك الجزر الكثيرة .

ويبدو أن عددا غير قليل من الدارسين الغربيين قد اجمع رايهم على أن حماة الدعوة الاسلامية لم يكونوا فى البداية دعاة متحمسين يضحون بحياتهم وأموالهم فى سبيل الهدف المقدس ، لم يكونوا مبشرين مدعومين بالمال من بلدهم الام . وقد ورد مثل هذا النص حرفيا فيما كتبه المستشرق (هو كرونجى) تفسيرا لانتشار الدعوة الاسلامية هناك .

وغير خفى أن مثل هذا الرأى لا ينهض لمواجهة مثل هذه الظاهرة . لقد انتشر الاسلام بقوته الذاتية ، وبما يملكه من الحركية الفاعلة ، وقدرته الخارقة على التغلغل فى نفوس الناس . واستقبل الآسيويون فى أقطار ماليزيا المختلفة دعوة الاسلام دون أن يشعروا بأى نوع من أنواع الاستعلاء عند من كانوا يحملونه اليهم . لقد جاءهم الاسلام على صورة حقائق بسيطة وواضحة تكشفت لهم من خلال المعاناة والتجربة . وما كادوا يقتنعون بهذه الحقائق حتى أصبحوا يشعرون بأنهم جزء من حضارة سامية متقدمة .

٤ ـ النظرية التبشيرية :

ويميل البعض من الكتاب المؤرخين الى تقرير نظرية اخرى تعلن أن التبشير المنظم هو الذى حمل دعوة الاسلام الى ماليزيا . وقد جهد أصحاب هذه النظرية فى تسمية الرجال الذين تولوا مسؤولية الدعوة ، وفى تعيين المناطق الجغرافية التى حطت فيها الدعوة رحالها ، ثم قفزت منها الى ما وراء ذلك حتى بلغت اقصى بقاع ماليزيا .

ومهما تكن قيمة هذه النظرية فان الثابت أن الرغبة فى التبشير وحدها لا تستقل بتفسير التوسع فى الدعوة الاسلامية مع العلم أن عددا غير قليل من العلماء والفقهاء قد أسهموا فى الدعوة الى الاسلام ، واستطاعوا أن يحققوا انتصارات كثيرة بفضل ماكانوا يتميزون به من الصبر والصلاح والايمان الصادق العميق .

٥ ـ عوامل اخرى :

ويتفاوت المؤرخون بعد ذلك فيضعون نظريات أخرى يفسرون بها انتشار الدعوة الاسلامية فى ماليزيا . ويأتى بين هؤلاء المؤرخين رجال من أمثال :

ا ـ **أ. هـ جونز** : الذى يعلن أن العرب وغيرهم من التجار المسلمين بدأوا بزيارات منتظمة لاندونيسيا منذ القرن الثامن الميلادى . ولكن المجتمعات الاسلامية لم تظهر بوضوح الا فى أواسط القرن الثالث عشر . وقد جاء الدعاة المسلمون على صورة متصوفين تمثل كل جماعة منهم طابعا من الطرق الصوفية المنتشرة فى العالم الاسلامى يومذاك .

ب) **فان لورا** : الذى يرى أن اسلام اندونيسيا فى مراحله المتعددة كان نتيجة لعوامل وأوضاع سياسية . وهو يستند الى ثلاثة تحولات تاريخية جرت فى ماليزيا ، أولها : اسلام مالاكا ، وثانيها : ثورة الامارات الساحلية على الحكم الهندوكى ، وثالثها : توطيد الشرعية فى الممالك الحديثة .

جـ) جاء فى تعليقات (والبوكرك) أن ممثلى التجار الكوجيراتى (الهنود) نصحوا السلطان الا يصادق البرتغاليين ، لأن هؤلاء بالاضافة لكونهم ينتمون الى ديانة معادية ، يتنافسون واياهم على التجارة ويحـاولون اخراج المسلمين الكوجيراتى منها .

والثابت أن المنافع الاقتصادية مرتبطة بالسلطان السياسى . فاذا كان المسلمون من التجار قد نصحوا السلطان بمعـاداة البرتغـاليين فلأنهم كانوا حريصين على مصالحهم ، وهم الذين يعلمون بالتجربة بأن هؤلاء البرتغـاليين الغرباء قد جاءوا لاحتكار ثروات البلاد ، وحرمان الناس من أسباب العيش الكريم .

وعندما نجح البرتغاليون فى احتلال مالاكا وراحوا يشجعون الهندوكيين على تنمية التجارة ، ويحاربون التجار المسلمين استطاع السلطان الاسلامى أن ينتقل بتجاره وأمرائه الى مدينة (اتشيه) فى شمال غربى سومطرا وأن يوسع نفوذه فازدهرت تجارته وزادت قوته .

والجدير بالذكر أن التجار المسلمين قد جعلوا من أتشيه مركزا للصراع مع البرتغاليين ، ولم يبخلوا بالمال الذى يحتاج الصراع اليه . وفى أواخر القرن السادس عشر استطاع التجار المسلمون اقناع سلطان مصر لارسال متطوعة يجيدون استعمال الاسلحة النارية . ثم اصبحت أتشيه فى الوقت نفسه اهم مركز فكرى يلتقى فيه نخبة العلماء والفقهاء والوعاظ ممن يمثلون تيار التغذية الفكرية القادم من مراكز الاسلام فى الهند والجزيرة العربية . يضاف الى ذلك أن أتشيه قد أصبحت محطة لكل الحجاج الماليزيين الذاهبين الى بيت الله الحرام حتى أن أهل اتشيه قد فاخروا سواهم بمركزهم هذا ، وسموا بلادهم (عتبة الديار المقدسة) .

د) ومن وراء النظرية الاقتصادية تأتى النظرية العقائدية التى يقررها الدكتور سيد حسين الاتاسى فيقول : (ان انتشار الاسلام فى ماليزيا فى القرنين الخامس والسادس عشر هو نوع من الثورة الذاتية الداخلية) .

ويورد المؤلف آراء أخرى تؤيد موقف الاستاذ الاتاسى وتعلن أن للاسلام جاذبية خاصة مرتبطة بعالم الافكار والايديولوجيات . فيقول : دللم وورتايم مثلا : لقد أعطى الاسلام الرجل العادى احساسا بقيمة ذاتية كعضو فى المجتمع الاسلامى . ولقد كان هذا الرجل فى مفهوم العقائد الهندوكية مخلوقا فقط ، اقل قيمة من أبناء الطبقات العليا .

أما الاسلام فجعله يشعر أنه يعادل أى انسان آخر قيمة .. بل اكثر من ذلك أنه شعر ـــ بالاسلام ـــ أنه أرفع من أبناء تلك الطبقات الارستقراطية ، على الرغم من أن مكانته ، فى البيئة الاجتماعية القديمة ، كانت لا تزال فى درجة دنيا بالنسبة لهؤلاء .

ويأتى بعد وورتايم وقبله عدد من الكتاب والمؤرخين فيرون هـــذا الرأى نفسه ، ويعترفون بما للعقيدة الاسلامية من جاذبية وقوة ذاتية .

ولا يقلل من شأن هذا الرأى أن أصحابه يقصدون به تفسير الوضع الاسلامى فى جاوا . فما يصح بالنسبة لجاوا يصح أيضا بالنسبة لبقية الجزر الماليزية العديدة .

ومما يثبت أهمية العقيدة فى توسيع الرقعة الاسلامية فى الشرق الماليزى أن الجهود الفائقة التى بذلها الغربيون فى محاربة الاسلام لم تستطع أن تزلزل الصف الاسلامى وترجع به الى الوراء ، وما حققته من المكاسب قد ظهر بين الوثنيين من سكان البلاد وحسب .

والوقائع تثبت حتى يومنا هذا أن المسيحية لم تستطع ان تكون بديلا عن الاسلام ، وأن غالبية السكان فى ماليزيا ما تزال غالبيته اسلامية .

هـ) وتأتى أخيرا النظرية الصليبية التى تتلخص فيما يلى :

ان انتشار الاسلام فى ماليزيا جاء كردة فعل لقدوم المسيحيين الى تلك المنطقة ، وكان البرتغاليون أول من قدم .. ثم تبعهم الاسبان وبعد مدة جاء الهولنديون ..

فهل صحيح أن انتشار الاسلام فى ماليزيا هو ردة فعل لقدوم المسيحية ..؟

نعم : كانت هناك حروب صليبية بين الغرب المسيحى والشرق الاسلامى . ولم يكن قد مضى طويل زمن على سقوط غرناطة حين وصلت طلائع الاسبانيين الى جزر الفيليبين . وكانت الرغبة فى استئصال المسلمين من الشرق الماليزى رغبة قوية عند هؤلاء الغزاة حتى أن الاسبانيين قد أطلقوا على المسلمين فى الفيليبين اسم (المورو) وهو الذى كانوا يطلقونه على مسلمى افريقيا الشمالية وعرب الاندلس .

يضاف الى ذلك أن الخطر التركى على أوروبا قد بدأ يزداد شدة وقوة ، وأن اصطدامات مسلحة عنيفة قد أخذت تظهر فى افريقيا الشرقية وجنوب الجزيرة العربية ، هكذا تكون المعركة بين المسيحية والاسلام قد اتخذت أبعادا عالمية فأصبح كل من الطرفين يطارد الآخر فى غير هوادة ولا قصد .

وقد بلغ من عنف التعصب الصليبى آنذاك حدا جعل رجلا من مثل البوكرك البرتغالى يقرر تنفيذ مشروعين قبل موته تهدئة لحقده وارضاء لشهواته .

— المشروع الاول هو تحويل مياه النيل الى البحر الاحمر فتحرم مصر من ارواء أراضيها .

— والمشروع الثانى هو احتلال المدينة المنورة فى شبه جزيرة العرب .

والغرض منه نهب قبر الرسول عليه الصلاة والسلام والاستيلاء على ما كان الصليبيون يتخيلون وجوده فيه من الاحجار الكريمة والذهب الوفير .

خلاصة :

من كل هذه النظريات التى أوردها المؤلف ونسب كلا منها الى واضعها فبلغ من الكتاب الفصل الذى يقرر فيه المؤلف نفسه صحة كل نظرية فى حدود اسهام كل نظرية من النظريات الباقية فى تصور الوقائع التاريخية .. لقد

حاول المؤلف أن ينسق هذه النظريات بتنسيق الاحداث والوقائع التى اعتمد عليها .. واذن فهو حين يصوغ قصة التوسع الاسلامى فى الجزر الماليزية انما يعلن فى الحقيقة اسهام كل النظريات فى صوغ هذه القصة ..

ان فى وسعنا القول بأن مجموعة النظريات المسجلة فى هذا الكتاب اشبه ما تكون بفلسفة التكامل التى تشترك فى تأليفها عناصر متعددة كثيرة . ذلك أن فى كل منها بعض الحقيقة .

ومع ذلك فان فى انتشار الاسلام فى الجزر الماليزية حقيقة رئيسية تبدو لنا واضحة المعالم محددة الابعاد . هذه الحقيقة تقرر ان التراث الاسلامى الثقافى فى تلك المنطقة من العالم لم يكن قفزة من عالم الى عالم ومن رؤية فكرية الى رؤية فكرية اخرى ، بل سلسلة من الخطوات ظهر مع كل منها تعديل قليل أو كثير لابعاد الثقافة الهندوكية القديمة .

وفى رأينا أن الاسلام منذ أصبحت له شخصيته الواضحة فى تلك المنطقة قد بدأ يخوض معركته من أجل اعادة صنع الانسان هناك ، وما تزال هذه المعركة مستمرة حتى اليوم .

لقد خاضها بادىء الامر ضد الهندوكية ، وسجل انتصارات غير قليلة فى كل موقف من المواقف ، ثم لم يتردد فى خوض معركة أخرى تبدو لنا أقوى عنفا وأشد ضراما ، ولئن لم يحتفظ بنسبة المكاسب القديمة التى كان يحققها قبل مجىء الاوروبيين ، فانه لم يفقد أى موطىء قدم له رغم الظروف غير الملائمة التى وجد نفسه فيها أمام الخصم الغربى مع كل ما كان يتسلح به هذا الخصم من امتيازات فى التنظيم وروح المبادرة والتكنولوجيا .

ويبدو لنا من خلال اللوحات التاريخية التى رسمها المؤلف الدكتور قيصر اديب مخول لواقع الاسلام فى ماليزيا أن الحضور الاسلامى يقف فى العصر الحاضر موقف الدفاع عن الذات فاستطاع حتى اليوم ، ورغم كل شىء ، أن يدفع خطر الابادة عن نفسه . ولعل فيما سجلته الحضارة الغربية من فشل فى مواجهتها لمعضلات الانسان المعاصر ما يفتح أبواب الامل مشرعة فى وجه الثقافة الاسلامية ، وما تشتمل عليه من المعانى والقيم والاحساس بكرامة الانسان وحريته ..

ويبقى أمام المسلمين شوط كبير يجب أن يجتازوه لا بحيازة التكتيك الغربى أو بالحصول على المهارات العقلية التى تميز بها الغرب وهى بعض ما يحسن بالحضارة المادية أن تتسلح به ، بل بالعمل على تحرير الانسان من التناقضات والعقد النفسية التى أحدثت الارتباك والقلق فى الثقافة الغربية .

ان معضلة العالم الاسلامى منذ واجهناها نحن المسلمين هى فى أننا أضعنا أصالة الرؤية الفكرية فى الاسلام وأخفقنا فى اكتشاف ما فى هذه الرؤية من اليقين والرحمة ، ويوم يتحقق اليقين فى نفوسنا نتحرر من القلق الذى يحدثه هذا الصخب العقلى الذى نجده فى تراث الغرب الثقافى ، وبهذا اليقين يزول الرعب الذى يفسر القسوة البادية فى تصرفات الانسان الغربى فتأتى الرحمة كبديل ضرورى وحتمى لقسوة الضياع فى القلوب ..

من هنا جاز لنا أن نعلن أن حضارة الاسلام هى حضارة اليقين والرحمة بينما حضارة الغرب هى حضارة الرعب والقسوة .

ان كتاب (الاسلام فى الشر قالاقصى) يبقى لوحة فكرية ينطلق منها الباحث الاسلامى لاعادة صياغة الانسان ولتحريره من أخطار القلق الروحى وبواعثه .

قدمنا على الرجل يعنى النبى فانى سأشغل عنك وجهه ، فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف .
ولما لقى الرسول قال له : يا محمد ، ما تجعل لى ان اسلمت ؟
فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : لك ما للمسلمين ، وعليك ما عليهم .
قال عامر : أتجعل لى الامر — ان اسلمت — من بعدك ؟
فقال الرسول : ليس ذلك لك ولا لقومك ، انما ذلك الى الله تعالى يجعله حيث يشاء .
قال عامر : فماذا تجعل لى ؟
فقال الرسول : أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها .
قال عامر : أوليس ذلك الى اليوم ؟ أنا الآن فى أعنة خيل نجد . اجعل لى الوبر ، ولك المدر .
(والوبر يراد به البادية . والمدر يراد به المدن والحضر) .
فقال الرسول : لا .
قال عامر : يا محمد ، خالنى (أى تفرد لى خاليا) . وتروى الكلمة بتشديد اللازم : (خالنى) أى اتخذنى خليلا .
فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : لا والله حتى تؤمن بالله وحده .
فعاد اللعين يقول فى خداع وعناد : يا محمد خالنى . وجعل يكلم الرسول وينتظر من (أربد) أن يفعل كل ما كان قد كلفه به من خيانة وغدر ، ولكن أربد لا يفعل شيئا . فعاد عامر يقول : يا محمد خالنى . وعاد الرسول يجيب بقوله : لا ، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له .
ثم خير عامر رسول الله بين ثلاث خصال ، قال له : يكون لك أهل السهل ولى أهل المدر ، أو أكون خليفتك ، أو أغزوك بأهل غطفان بألف أشقر وألف شقراء . فلم يقبل الرسول منه قولا ، ولم يلق اليه بالا .
وهنا تطاول عامر وتوقح فقال : أما والله لأملأنهـا عليك خيلا ورجالا . وفى رواية أنه قال للرسول : أسلم على أن لى الوبر ولك المدر . فقال النبى : لا . فولى عامر وهو يقول : والله يامحمد ، لأملأنها عليك خيلا جردا ، ورجالا مردا ، ولأربطن بكل نخلة فرسا . وانصرف .
فقال الرسول : اللهم اكفنى عامر بن الطفيل واهد قومه ، اللهم اكفنى عامر بن الطفيل ، بما شئت ، وابعث عليه ما يقتله . ولما خرج عامر من عند الرسول قال لأربد : « أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الارض رجل أخوف على نفسى منك ، وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا .
فقال أربد : لا أبالك ، لا تعجل على ، والله ما هممت بالذى أمرتنى به الا دخلت بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟!
ويروى ابن كثير أن عامرا قال لأربد عقب انصرافهما : « يا أربد . أنا أشغل عنك محمدا بالحديث ، فاضربه بالسيف . فان الناس اذا قتلت محمدا لم يزيدوا على أن يرضوا بالدية ويكرهوا الحرب ، فسنعطيهم الدية » .
قال أربد : أفعل .
فأقبلا راجعين اليه ، فقال عامر : يا محمد ، قم معى أكلمك ، فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم خليا الى الجدار ، ووقف معه يكلمه ، وسل أربد سيفه ، ثم يبست يده على السيف فلم يستطع الضرب به ، والتفت الرسول فرأى ما يحاوله أربد ، فانصرف عنهما .
وعاد عامر بن الطفيل الى بلاده ، وفى الطريق شعر بتعب ، فنزل فى بيت امرأة من بنى سلول . وسلول يومئذ أقل العرب وأذلهم — كما يقول الميدانى فى جمع الامثال — فأصابه طاعون فى عنقه ، وظهرت له غدة فى حلقه ، فجعل يصيح ، ويقول مستنجدا بقومه : يا بنى عامر ، أغدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية ؟ يعنى كيف يجمع بين هاتين المصيبتين ؟
وأجهد نفسه حتى ركب فرسه وأخذ رمحه ، وأقبل يجول وهو يصيح ، وكأنه فى سكرة الموت ، ثم سقط عن فرسه ميتا ، وجاء أصحابه فواروه التراب عليه لعنة الله .
وعاد (أربد) وهو مصر على كفره ، وهو يظن أنه ناج ، فأرسل الله عليه صاعقة وهو راكب جمله ، فأحرقتهما ، وعلى الباغى تدور الدوائر .
ويروى عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما أن الله تبارك وتعالى أنزل فى قصة عامر وأربد قوله عز من قائل فى سورة الرعد : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شىء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال . سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار . له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ، ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال . هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشىء السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال » .
المحال » .
وذهب عامر وأربد الى السعير وبئس المصير .
ومضى الشهيد المعنق ليموت : المنذر بن عمرو الى جنة عرضها السموات والارض ، فعليه من ربه الرحمة والرضوان .

(بقية العقبة .. ص ٧١)

(محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق يظهره على الدين كله ولو كره المشركون) ..

العقبة فى العهد العثمانى ..

عندما انسحب المصريون عام (١٨٤٠) من الحجاز وسوريا بقيت حاميات من جيشهم فى القلاع الواقعة على طريق الحج لحمايتها وعندما تحول طريق الحج الى البحر عام (١٨٨٥) بعد افتتاح قناة السويس قامت تركيا تطالب مصر بهذه القلاع واذ كانت مصر يومذاك منهوكة القوى بسبب الثورة فى السودان والثورة العرابية والاحتلال البريطانى فانها سلمت الوجه وضبا والمويلح) .. وأخيرا سلمت العقبة عام ١٨٩٢ للدولة العثمانية وقد وافق السلطان عبد الحميد أن تكون العقبة تابعة لولاية المدينة المنورة . وكان من المقرر أن يمتد خط فرعى لسكة حديد الحجاز من معان الى العقبة ، ولكن هذا القرار لم يتم تنفيذه وقد عظم شأن العقبة فى عهد الاتراك اذ جعلوها مركزا لتموين جيشهم فى اليمن ومدوا اليها خط الهاتف من معان فى (أيار سنة ١٩٠٥ ، وفى عام ١٩٠٦ وقع اتفاق بين الدولة العثمانية ومصر حول تعيين الحدود بينهما من رفح على البحر الأبيض المتوسط الى خليج العقبة ونتيجة لهذا الاتفاق تقرر بقاء العقبة نهائيا داخل حدود الدولة العثمانية وبدأ الحد الفاصل من وادى طابا على بعد بضعة أميال الى الغرب من العقبة ...

العقبة بعد الحرب العالمية الاولى ..

بعد اعلان الحرب العالمية الاولى وقيام الثورة العربية الكبرى اتجهت حملة صغيرة من الجيش العربى فى (٩ أيار ١٩١٧ م الى الشمال بقيادة الشريف ناصر شقيق الحسين ابن على وحط الشريف ناصر رحاله فى وادى السرحان ثم انتقل الى باير حيث وافاه عوده أبو تايه) ومعه ٥٠٠ فارس من رجال قبيلة الحويطات وفى ٣٠ حزيران سارت هذه القوة المهاجمة المراكز التركية فاستولت على عدد منها . ثم هاجمت العقبة واشتبكت مع حاميتها فى قتال عنيف الى ان استسلمت الحامية فى السادس من تموز وبلغ عدد الأسرى الاتراك (٧٥٠) بين ضباط وجنود وكان احتلال العقبة حادثا حاسما بالنسبة للثورة العربية فباحتلالها أصبح الاتصال البرى ممكنا بين الجيش العربى والجيش البريطانى الزاحف من مصر وغدا ميناء العقبة مركزا لتموين الجيش العربى من البحر وبقيت العقبة تابعة لحكومة الحجاز حتى سنة ١٩٢٤ الى ان تم التنازل عنها للاردن فى نفس السنة أى سنة ١٩٢٤ فى العشرين من شهر أذار هذا وقد اعترفت حكومة المملكة العربية السعودية بضم العقبة ومعان الى الاردن بموجب معاهدة جدة المعقودة فى ٢ تشرين الثانى عام ١٩٢٥ م .

وبعد فمدينة (العقبة) هى الثغر الأردنى الوحيد على البحر الأحمر وينتظر ان يكون له مستقبل زاهر وأهمية كبيرة من الوجهة التجارية والجغرافية والعسكرية .

قصة اسلامية

قصيرة

الغادرون

ابتسم « حيى بن أخطب » زعيم اليهود الأكبر ، ثم مد بصره الى ما حوله مبتهجا ، وحينما رأى النيران الكثيرة المبعثرة فى قلب الظلام ، تحولت ابتسامته الى قهقهة عالية ، وأخذ يردد فى انفعال ظاهر :

ـ « أو يستطيع محمد أن يتصدى لهذا الحشد الهائل ؟؟ » .

ثم رفع هامته فى كبرياء . واستنشق جرعة كبيرة من هواء الليل البارد ، ونظر الى « يثرب » المحاصرة . حيث يكتنفها الغموض والظلام والترقب واستطرد :

ـ « رجالات مكة .. وأبطال قبائل غطفان وأسد وفزارة .. ودهاة اليهود ..

كل هؤلاء .. اثنا عشر ألفا من صناديد الرجال .. ربطهم عهد وثيق بألا يعودوا حتى يسحقوا المسلمين عن آخرهم ..

ثم مال على « أبى سفيان » قائلا :
ـ « انها النهاية يا أبا حنظلة » .

توجه أبو سفيان ببصره الى الخندق المحفور عند مدخل « المدينة » ثم الى الموانع الطبيعية التى تحمى المسلمين من الجانبين ، وتذكر حلفاء محمد من يهود « بنى قريظة » الذين تعاهدوا مع محمد على أن يمدوه بالقوت ، ويحموه من الخلف ، ثم تمتم أبو سفيان فى شىء من الضيق :

ـ « وما قيمة الحشد اذا كنا لا نستطيع أن نعبر الخندق أو نداهم محمدا من الخلف ؟؟ »

ـ « ان رجال محمد لا يزيدون على الألف ، يعمل فيهم الخوف والجوع واليأس ، ويندس بينهم رجال موالون لنا .. »

للدكتور نجيب الكيلاني

وتذكر أبو سفيان معركة ((بدر)) كان المسلون قلة ، لكنهم انتصروا ، وتذكر يوم ((أحد)) .. الجميع يعلمون أن المسلمين هزموا ، لكنها هزيمة ظاهرية ، لأن المسلمين لم يقض عليهم ، ولأنهم فى اليوم التالى خرجوا لمطاردة أعدائهم ، اذ سرعان ما ضمدوا جراحهم ، ولموا شملهم ، فأحالوا الكبوة المؤقتة الى درس قيم يستفيدون منه ، ويأخذون منه العظة والاعتبار ..

وقال أبو سفيان فى امتعاض :

ـ ((لقد حاولنا عبور الخندق ، وبعد معركة قصيرة خسرنا فيها بعض الرجال اسرعنا بالانسحاب .. ان المعركة تطول ، والجو شديد البرودة ، ورجال القبائل من غطفان وغيرهم لا طاقة لهم بحرب طويلة .. فاذا طال بنا الانتظار أكثر من ذلك فسينفضون عنا ...))

وابتلع أبو سفيان ريقه ، وقال فى حدة :

ـ ((ان رجالكم من يهود بنى قريظة داخلون فى حلف محمد ، ولا نستطيع أن نحقق نصرا عاجلا الا اذا انحازوا لنا .. ولقد وعدتنا يا ((ابن أخطب)) بذلك من قبل .. فلتذهب اليهم فى حصونهم ، وشاورهم فى الأمر ..))

لعل المسلمين لم يمروا بأزمة تشبه هذه الأزمة ، لقد استطاع اليهود أن يطوفوا بقبائل العرب . ويمنوهم بالغنائم والأسلاب ، ويمدوهم بالمال والسلاح ، حتى حشدوا أكبر حشد ممكن للقضاء على الدعوة الوليدة ، لم يحترم اليهود العهود التى بينهم وبين محمد ، كانت تحركهم ثارات وأحقاد باطلة ، ويحز فى نفوسهم ما جرى ليهود بنى قينقاع وبنى النضير على يد المسلمين جزاء ما ارتكبوا من غدر وحماقات وخيانات .

وهرول ((حيى بن أخطب)) الى يهود ((بنى قريظة)) ، انه يعرف أن زعيمهم ((كعب بن أسد)) صلب عنيد ، وأنه يميل الى الوفاء بعهده مع محمد ، لكن ابن أخطب لن يرجع حتى يضم كعب الى صفه ، انها فرصة

العمر ، وأخذ حيى يفكر فى ألم ((حاقد)) أجل .. شتت محمد شمل قومى من بنى النضير .. أخرجهم من ديارهم الى عرض الصحراء حيث العذاب .. والأسى .. والهوان .. ليكونوا قد أخطأوا !! فكيف يجرؤ محمد على انزال العقاب بهم ؟؟ الحق لا تضمنه عهود . الحق هو القوة ، الحق هو ما نقرره نحن .. أيظن محمد أن اليهود عبيد للمبادىء والقيم والعهود ؟؟ نحن لا ننفذ الا ما نجده فى صالحنا .. ومانريده .. هو تحطيم محمد ورجاله .. وكل يهودى يخرج على هذا المبدأ فى طول الجزيره وعرضها فهو أبله أو خائن ..))
وأفاق ((حيى)) من أحلامه حينما وجد الحصن اليهودى أمامه ، كان الباب مغلقا ، دقه فى عنف ، أطل ((كعب ابن أسد)) من كوة فى الجدار وصاح بصوت أجش :

ــ ((من القادم ؟))

ــ ((حيى بن أخطب .. جئتك فى أمر هام يا كعب بن أسد))

زمجر كعب قائلا :

ــ ((اذهب عنا ، وغادر ديارنا . لاحاجة بنا اليك ...))

ــ ((لا يصح أن تغلق بابك فى وجهى ابان تلك اللحظات الحرجة .. لقد فتحت لى قبائل العرب أبوابها فى كل مكان ..))

قال كعب فى اصرار :

ــ ((اننى أعرف لماذا جئت .. فاذهب عنا ..))

هتف ((حيى بن أخطب)) فى فرحة شاملة :

ــ ((أيها الرجل المخدوع ويحك !! جئتك بعز الدهر .. جئتك بقريش حتى أنزلتهم ((بجمع الأسيال)) ، وبغطفان حتى أنزلتهم بجانب ((أحد)) .. قد عاهدونى ، وعاقدونى ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه))

تقاطر العرق على جبين كعب على الرغم من برودة الجو ، وأخذ قلبه يدق فى عنف ، انه حائر بين الوفاء بعهده للمسلمين ، وبين الرغبة المكبوته فى القضاء عليهم ، واخماد صوتهم الى الأبد ، حائر بين تعصبه لماضيه وملته ، وانصياعه لنداء العقل والروية ، وأخيرا صاح محتدا :

ــ ((جئتنى والله بذل الدهر ، وكل ما يخشى .. فانى لم أر فى محمد الا صدقا ووفاء .. جئتنى يا ((حيى)) بجهام قد هراق ماؤه ، فهو يرعد ويبرق ليس فيه شىء .. ويحك يا حيى .. فدعنى وما أنا عليه ..))

أخذ ((حيى)) يدق باب الحصن فى جنون ، ويصرخ :

ــ ((ماذا أصابك يا كعب ؟؟ ان لم تفتح لى بابك فستلعنك أجيالنا أبد الدهر .. لئن فشلنا هذه المرة ، فلن ننجح بعدها أبدا .. الألوف يقفون بأيديهم السيوف والرماح ، يتحرقون شوقا للحرب .. ولن نستطيع أن نحشد تلك الجموع مرة أخرى ... انها فرصة العمر .. وبيدك أنت يا كعب بن أسد مفاتيح النصر ... أنت داخل ((يثرب)) ، ورجالك بها .. أكثر من سبعمائة محارب .. ان مجرد انحيازكم لنا سينهى المعركة .. سيستسلم محمد دون مقاومة .. أنت تقف الآن على أعتاب مجد عظيم، وما عليك الا أن تخطو الخطوة الأولى ..))

ثم افتعل ((حيى)) ضحكة خشنة وقال :

ــ ((والله ما أغلقت بابك دونى الا خوفا على طعامك ..))

تنهد كعب فى أسى وقال :

ــ « انك امرؤ مشئوم .. أعرف ذلك عن يقين .. ولكنى سأفتح لك .. » واجتمع زعماء بنى قريظة ، واستطاع « حيى بن أخطب » أن يزينلهم المنى ، وان يدخل فى روعهم ان النصر آت لا محالة ، وأن بيدهم وحدهم حسم الموقف ، وانهاء المعركة فوافق الزعماء ولم يعترض غير « عمرو بن سعدى » الذى قال : « اذا لم تنصروا محمدا فاتركوه وعدوه » ، لكن الحقد الأعمى قد طمس معالم الحق فى قلوبهم وعقولهم ..

★ ★ ★

كانت أياما رهيبة عصيبة ، الذئاب الجائعة تحيط « بيثرب » . والمسلمون يقضون الليل ساهرين خلف الخندق، قد اشتد بهم الجوع والبرد والهزال والضيق ، وكان الرسول يسأل من آن لآخر عن مدى التزام بنى قريظة بعهودهم ، فيؤكدون له استمساكهم بها حتى جاءته الانباء أخيرا بغدرهم ... كانت كارثة كبرى .. اشتد الكرب بالمسلمين .. وازدادوا جوعا وألما وارهاقا .. وأصبح نساؤهم وأطفالهم داخل الحصون فى خطر من اليهود الذين نقضوا العهد .. وأخذ المنافقون يقولون « كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط ، ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا .. »

وأصبحت الهزيمة قاب قوسين أو أدنى .. لم يعد هناك أمل فى الخلاص وقد أصبح الأعداء على وشك الانقضاض .. أية جريمة كبرى ارتكبها كعب بن أسد ورجاله من بنى قريظة !! انها الضربة القاصمة ...

لكن أيتصور عاقل ، أن يأتى فى هذا الوقت الرهيب ، رجل من صفوف الأعداء يأتى متخفيا تحت ستار الليل تاركا قومه « غطفان » ، ليعلن اسلامه سرا .. ذلك هو « نعيم بن مسعود » . نديم اليهود ، وشبل غطفان ، وسمير قريش .. حملق فيه المسلمون دهشين ، وأخذوا يتلفتون فى تساؤل .. انهم لا يكادون يصدقون .. أيمكن أن يحدث ذلك ؟؟ والأعجب من ذلك أن الرسول يؤكد لأصحابه المتعبين المقرورين الجائعين بأن الله قد وعده بالنصر .. وقف نعيم أمام الرسول قائلا :

ــ « يا رسول الله .. انى قد اسلمت ، وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت .. » عندئذ قال الرسول :

ــ « ... أنت رجل واحد ، فخذل عنا ان استطعت ، فان الحرب خدعة »

وذهب نعيم الى « قريظة » ، وهو نديمهم ومحل ثقتهم ، وأوعز اليهم ألا يبدأوا المعركة الا اذا أخذوا رهينة من الأحزاب ، مخافة أن ينفضوا عنهم ويتركوهم لعقاب محمد ، ثم تركهم وذهب للأحزاب ، وأفهمهم أن قريظة على وشك الصلح مع محمد ، وسيأخذون من الاحزاب رهينة يقدمونها اليه ، تعبيرا عن صدقهم وولائهم للمسلمين .. وحينما فكر الاعداء فى بدء المعركة طلب « القرظيون » الرهائن ، فتأكد صدق « نعيم بن مسعود » ، فانهارت الثقة ، وثارت الشكوك ..

★ ★ ★

أقبل الليل ، وتواترات الهموم على قلب أبى سفيان ، أما حيى بن أخطب

الذى أصر ((القرظيون)) على بقائه فى حصنهم ، فقد أخذ يرغى ويزبد ، ويروح ويجيء كفأر حبيس ، محاولا اصلاح ماافسد دون جدوى ..

وفى الليل هبت ريح عاتية ، كانت ترعد كقهقهات الشياطين ، وتقلب القدور ، وتقلع الخيام ، وتملأ الافواه والعيون والأنوف بالغبار ، وهب أبو سفيان مذعورا ، وصاح :

ــ ((أخاف أن يكون المسلمون قد دهمونا علـــى حين غرة ..)) رد ((عكرمة بن أبى جهل قائلا :

ــ ((لا أرى لأحد منهم أثرا ..))

دارت الارض بأبى ســفيان ، واحتشدت فى رأسه الذكريات القديمة أيمكن أن يكون محمد على حق ؟؟ لكنه سرعان ما أبعد هذا الســؤال عن ذهنه فى عنف ، غير أنه أخذ يلــح عليه فى عناد ، فصاح أبو ســفيان بأعلى صوته :

ــ ((أعدوا العدة للرحيل قبل أن يفضحنا الفجر ..))

ورأت القبائل من غطفان وفزارة وأسد وغيرها ، ما فعــلت قريش فســارعوا بالرحيــل تحت غبش الفجر ..

★ ★ ★

أشرقت الشمس ، وتطلع ((كعب ابن أسد)) زعيم قريظة من كوتــه العالية ، فساد وجهه الشــحوب ، وازداد خفقان قلبه ، وكادت الدموع تطفر من عينيه ، ثم التفت خلفه فوجد ((حيى بن أخطب)) يقــف مطأطىء الرأس ، قــال كعب وقلبــه ينوء بالأحزان :

ــ ((لقد رحلوا ..))

ــ ((أعرف ...))

ــ ((وبقينا وحدنا يا حيى ..))

ــ ((أعرف ..))

فانقض عليه كعب كوحش مفترس، وأنشب أظافره فى عنقه قائلا :

ــ ((ألم أقل انك امرؤ مشؤوم ؟))

واحتشد من حولهما عدد من الرجال ، حاولوا تخليصه من يد كعب ، وساد صمت شقه صوت عجوز تقول :

ــ ((هكذا أنتم دائما يا أبناء اليهود .. تصرون على أن تكون نهايتكــم مجللة بمأساة .. لسوف يأتى محمد عن قريب ليأخذكم بغدركم وخيانتكم له فى أحرج الأوقات .. ولن يجدى الاعتذار والدموع ..))

وبعد قليل أقبلت طــلائع الجيش المؤمن ، لتطهر المدينــــة من أوزار الفساد .. وأدران الغدر والخيانة ..

★ ★ ★

وحانت ساعة التنفيذ ، ووقــف ((حيى بن أخطب)) والســيف فوق رأسه يلمع وقال للرسول فى بعض ما قال :

ــ ((... والله مالمت نفسى فى عداوتك قط يا محمد ..))

ثم التفت الى بنى ملته من اليهود قائلا :

ــ ((يا بنى قريظة .. لا بأس ، كتاب وقدر ، وملحمة كتبها الله على بنى اسرائيل ..))

وجاءه من خلفه صــوت يهودية تقول :

ــ ((حيى بن أخطب أيها الملعون .. أنت صانع المأساة من قديم ..))

وتدلت شفتاه فى ابتسامة بلهــاء .. وزاغت نظراته ، واختلــطت المرئيات أمامه ، ولم يعد يرى سوى وجه محمد يشرق بالنور والأمل ، ومن بين شفتيه الكريمتين تنطــلق آيات الله : ((ورد الله الذين كفروا بغيظهم ، لم ينالوا خيرا ....))



يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها ..

فى الميراث

السؤال :

توفى رجل عن : أم وثلاث شقيقات وأخت لأب وعم شقيق ، فكيف توزع تركته ؟

الاجابة :

تأخذ الام سدس التركة ، وتعطى الشقيقات الثلاث ثلثا التركة ، ولا شىء للأخت لأب ، والباقى للعم الشقيق .

□ □ □

السؤال :

توفى رجل عن أم وأخت شقيقة وأخت لأم ، وعم شقيق ، فما نصيب كل منهم ؟

الاجابة :

للأم السدس فرضا ، وللأخت الشقيقة النصف فرضا ، وللأخت لأم السدس فرضا ، والباقى للعم تعصيبا .

□ □ □

التعويض عن الاصابة

السؤال :

صدمتنى سيارة ، وأصبت بعاهة فى ذراعى بسبب هذه الاصابة ، وحكمت المحكمة لى بتعويض مالى على صاحب السيارة فهل لى شرعا أخذ هذا التعويض ؟

الاجابة :

نص الفقهاء على حل أخذ التعويض أو أرش الجناية ، والله تعالى يقول :

« والجروح قصاص » والقصاص فى اصابات الخطأ يكون بالتعويض ، فيحل لك شرعا أخذ هذا التعويض المالى .

□ □ □

النـــــذر

السؤال :

نذرت لله تعالى أن أصوم يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع اذا ولدت ولدا ، وقد من الله على فأنجبت ولدا ، ووفيت بنذرى مدة سنتين ، ولـــكنى أصبحت غير قادرة على الوفاء بهذا النذر لضعفى وكثرة أولادى ، فما حكم الله ؟

الاجابة :

هذا نذر يجب عليك الوفاء به ، وأنت قد كلفت نفسك بهذا النذر مشقة شديدة ، وما كان أغناك عن هذه المشقة ، فالنذر كما جاء فى الحديث لا يقدم ولا يؤخر ، ولكن يستخرج به من البخيل وللفقهاء رأيان فى هذه الحالة :

الرأى الاول : تلزمك كفارة يمين وهى اطعام عشرة مساكين .

الرأى الثانى : أن تطعمى ثلاثة مساكين كل شهر عن كل يوم مســـكين وجبتين كاملتين ، وهكذا طول حياتك ، وهذا الرأى الاخير هو الذى نرتضيه ونرجحه .

□ □ □

السؤال :

فى البيـــع

اشتريت شاة بمبلغ عشرة دنانير ، ودفعت للبائع ثلاثة دنانير من الثمن ، وتركت الشاة أمانة عند البائع حتى أحضر له باقى الثمن ، وتعهدت له بدفع ثمن علفها ، وبعد أسبوع ذهبت لاستلام الشاة ودفع باقى الثمن وقيمة العلف ، فوجدت الشاة ميتة ، فما حكم الشرع فى هذا البيع ، وهل يحل للبائـــع المطالبة بباقى الثمن ، وهل يجوز لى الرجوع عليه ومطالبته برد ما دفعته من الثمن ؟

ع — م المكلا

الاجابة :

البيع فى هذه الحال تم وهو صحيح ، والشاة أمانة عند البائع ، والمالك لها هو المشترى ، وعليه أن يدفع باقى الثمن للبائع .

واذا ثبت تعدى البائع على الشاة أو اهماله لها حتى تلفت ، فعليه ضمان قيمتها للمشترى ، أما اذا لم يثبت شىء من هـــذا فلا يجوز للمشترى مطالبتـــه بشىء .



يعبرون فيه عن افكارهم
دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

الاسلام والعلم

تحت هذا العنوان بعث الأخ فكرى حسن اسماعيل من القاهرة يقول :

الاسلام دين عالمى يأمر أتباعه بوحدانية الله والاخلاص له فى العبادة وتحقيق الأخوة والحب بين سائر البشر أبيضهم وأسودهم وقويهم وضعيفهم وغنيهم وفقيرهم . نهى عن العصبية والتحيز والتقليد والمغالاة والمبالغة والحقد والحسد وربط بين العبادات والمجتمع برباط قوى متين فلم يعزل الحياة عن الدين بل جعل أصلاح ما بين العبد وربه مقترنا باصلاح العبد ما بينه وبين الناس ... لا يقوم على الجهل ولا يعيش مع الجمود ولا يتسع للخرافات يدعو الى العلم ولو فى الصين ، ويحترم تقدير العقل للحقائق والنظر فى الكائنات ، ويدعو الى تدعيم العقل وتركيز العدل والحرية والمساواة والتآخى ومراعاة الحقوق والواجبات . هو دين الدنيا والآخرة معا فهو العقيدة وبه العبادة ، هو المنبع الحق الحكم بين الخادم وسيده ، وبين الحاكم والمحكوم وهو الوسيط الصالح بين الرجل وزوجته هو مدرسة جامعة تتسع لكل البشر يتطور فروعها مع تطور العصور .

وشخصية المسلم فى نظر الاسلام التى ان تصورتها تصورت شخصا عزيزا بايمانه قويا بعدله رحيما بوجدانه وعلى نمط ذلك يكون مجتمع الاسلام مجتمع العدل والأخوة والسلام والصفاء .

الحياء والحياة

وتحت هذا العنوان بعث الينا الأخ أحمد محمد صبرى المعيد بكلية العلوم جامعة عين شمس هذه الكلمة : قيل : الحياة فى الحياء ويؤكد ذلك قول الشاعر :

فلا والله ما فى العيش خير ولا الدنيا اذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقى اللحاء

والكثيرون يدركون أهمية اللحاء للنبات ، والحياة لكل كائن يدب على الأرض ، وليست الحياة قصرا على الأكل والمشرب والحركة وسائر مقومات

العيش المادى ، بل ان بقاءها لا يدوم ولا يحلو الا على دعم خلقى روحى وجدانى هو الايمان ، والحياء كما وصفه سيد الخلق شطر الايمان ، فلا ايمان لمن لا حياء له ، وفى حديث آخر : الحياء خلق الايمان وفى غيره من الأحاديث الواردة فى هذا الشأن تبدو صورة المجرد من الحياء كالجماد ، كالصنم ، لا فائدة فى تقويمه واصلاح حاله « اذا لم تستح فاصنع ما شئت » وينبغى أن يتحلى المرء بثلاث وينأى عن ثلاث أوردها الشاعر فى قوله :

ثلاثة بها الانسان يحترم العلم والأخلاق والكرم
وأخرى بها الأشخاص تنحل الجهل والسفساف والبخل
والسفساف كل خلق ردىء حقير وهو ضد المعالى والمكارم :

والمرء فى حياته يحتاج لدعم روحى أصيل لا يشوبه الزيف بالنصيحة الخالصة كما جاء فى حديث المعصوم عليه الصلاة والسلام : الدين النصيحة ، قالوا لمن يارسول الله ، قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

....

الى الشباب

أما هذه الرسالة فقد وردتنا من شاب مسلم من السعودية يقول فيها :

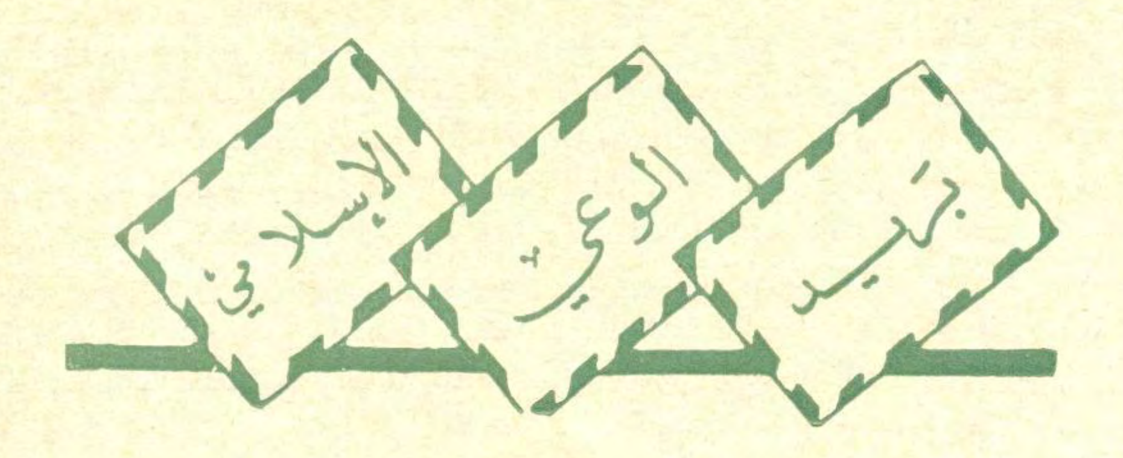
أيها الشباب لا تزال الأمة الاسلامية بخير ولا يزال الشعب المسلم قوى الشكيمة صادق العزم مهيب الجانب رغم كل ما تراه وتشعر به من مظاهر التفكك والانحلال رغم ما تراه من مظاهر انهيار الأمة الاسلامية . فالاسلام وهو الرسالة الخالدة وخاتمة الرسالات لا يمكن أن ينزل عن عرشه ويسلم نفسه للأعداء مهما بلغ الأعداء من القوة فى العتاد والجرأة على الفساد والافساد . ولكن للاسلام رجاله الذين لا يزالون يسهرون على راحته ويذيعون صوته الى جميع أرجاء المعمورة ، ولم يبق عليك أيها المسلم الا أن تبحث عنهم لتتشرب بأفكارهم ، وتتأصل بأصالتهم ، وتقتدى بهم فى هذا الزمان الذى كله ظلمات بعضها فوق بعض . وانى لا أنكر وجود الأيدى المخربة المتحمسة للتخريب والدمار فى بلادنا الاسلامية ، وهذه الأيدى السوداء تظهر أحيانا اذا ما وجدت مجالا للظهور ، وتختفى أحيانا أخرى اذا ما أدركت أن هناك مقامع من حديد تنتظرها ، ولكنها والحق يقال لا تزال تعمل وتظهر عملها الى الوجود ولو من وراء ستار .

....

الفانتوم

ومن قصيدة بهذا العنوان بعث بها السيد رشيد أبو مرة وكيل مكتب ساحل الاسكندرية اقتطفنا ما يلى :

كلا ، ولم تعد (الفنتوم) ترهبنا ولن تؤثر فى أهدافنا المثلى
عدو أمتنا سود صحائفه وليس يعرف فى قاموسه عدلا
أيحرق المسجد الأقصى ونتركه ليمنع الذكر أو عبدا اذا صلى ؟
هم اليهود دعاة الغدر مذ نشأوا انا سنوردهم يوم ثأرنا ذلا
واليوم انا قد اشتدت عزائمنا فلنغرس الأرض من أجنادهم قتلى



العقـــد النفسية

أشعر أحيانا بانقباض شديد وقد عرضت نفسى على بعض الاطباء فقالوا : عندك عقدة نفسية وهذا شىء معنوى .. فهل فى الاسلام علاج لهذه الحالة ؟

● ● ●

العقد النفسية تنشأ من أسباب يحللها أطباء النفس وأساس العلاج ازالة الاسباب التى كونتها سواء كانت كبتا من ظلم أو حقدا من تفوق أو خوفا من متوقع أو ندما لواقع سيىء أو ما أشبه ذلك ، فاذا حاول المعالج كشف الاسباب التى عقدت المريض وازالتها أو اذابتها حدث الشفاء ، وقد حدث هذا كثيرا وتم الخير فاذا استعصى الداء على الطب ، فمن الممكن الاستعانة بالعلاج الاسلامى الروحى ، ومنه كما ثبت فى صحاح الاحاديث (الاخلاص والمعوذتان) يكررها ثلاث مرات يقرأها لنفسه أو يقرأها له الغير ، ومنه دعاء (أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يعافينى ويشفينى) سبع مرات ، ومنه : (اللهم رب الناس اذهب الباس ، اشف أنت الشافى ، لا شفاء الا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما) وأوصى المريض بحسن الظن بالله والثقة فيـــه وتجنب أسباب الخوف والوهم ، واذا أمكن له أن يجمع مع العلاج السابق رياضة محببة بريئة وتغييرا للمكان وكثرة تلاوة القرآن وذكر الله والاستغفار والله هو الشافى .

ع٠ م٠

غلاء المهـــور

نحن الفتيات هنا مهجورات من الزواج بسبب تغـــالى آبائنا فى المهور ويحدث بسبب ذلك فساد عظيم يؤدى الى انهيار الاخلاق ، وقد يصل المهر الى حد أن بعضنا يباع بيعا كالسائمة التى تعرض فى المزايدة دون حياء ولا خجل ، فما حكم الشريعة فى ذلك ؟

ح٠ س٠ ع — **الظفير**

● ● ●

ان المغالاة فى المهور من أسباب احجام الشباب عن الزواج ، وبالتالى فساد الاخلاق ، باضطرار بعضهم للتعويض بما حرم الله وبما يفسد العرض والشرف ، ويا ليت الآباء جميعا وأولياء الامور يسمعون هذه الصيحة الصادقة من صاحبة السؤال التى نابت عن ملايين أمثالها قبل أن تغرق السفينة ، فان

طهر الاخلاق أساس لصـــلابة العزم والدفاع عن الحرمات ، فاذا تميعت فى الشباب والفتيات فماذا ننتظر ؟ يا ليت أولياء الامر يتصرفون بما يتفق مع تعاليم الاسلام السهلة ، فأقلهن مهرا أكثرهن بركة والحديث يقول : « اذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، الا تفعلوا تكن فتنة فى الارض وفســـاد كبير » فالاسلام ينظر أولا للدين والخلق وهما عماد الحياة السعيدة والزوجية الهانئة ، فان أتى مع الدين والخلق مال وجمال أو حسب أو كل ذلك فبها والا فالدين والخلق كفيلان بتعويض ما نقص ، كما فى الحديث الآخر : « تنكح المرأة لأربع ، لـــالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » وفى رواية « من تزوج امرأة لـــالها لم يزده الله الا فقرا .. الحديث » والمقصود أن المال وحده لا يكفى لاسعاد بيت الزوجية بل الجشع فى هذا أشبه بعملية تجارية مآلهـــا الكساد والفساد ، والمغالاة فى المهور يتبعها حتما التوسع فى طلب المســـكن لاستيعاب متاع الزوجة العديد الغـــالى وذلك ما يوجب دفع معظم الدخل فى ايجار المسكن الواسع فى وقت لا ضرورة فيه للتوسع فالزوج فى بدايته بلا ذرية والدخل محدود ، ولقد كان نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم يقول للزوج : « التمس ولو خاتما من حديد » بل زوج رجلا بما معه من القرآن ، ولقد ثبت أن الرسول لم يعط مهرا فى نسائه ولم يقبض مهرا فى بناته أكثر من أربعمـــائة درهم أى ما يقرب من ثمانية دنانير أو عشرة جنيهـــات مصرية ، حتى اعتزم الفاروق عمر أن يكره الناس بهذا لولا ما تلته عليه المرأة «وآتيتم احداهن قنطارا» ولكن يبقى أصل المشـــكلة ، والحل أنه اذا وقع التراضى والميسرة فبهـــا والا فالاحراج والتعسير حرام شرعا وضار واقعيا ، ومصيبتنا فى أن كل أب يريد تقليد غيره والزيادة عليه فى صداق بنته ، ومتى صارت الامور الى ذلك فالبلاء عام لا يستطيع دفعه الا ذو وعى صادق وتصرف حكيم .

ع ٠ م ٠

نقل مناسك الحج

نقل لنا تليفزيون الكويت برامج حية من نيويورك وطوكيو أثناء الاحتفـــال بافتتاح المحطة الأرضية للأقمار الصناعية فى الكويت فهل يمكن للتليفزيون بعد انشاء هذه المحطة أن ينقل لنا وقائع حية عن مناسك الحج ، فنرى على شاشته الحجيج فى طوافهم وسعيهم ووقوفهم بعرفة ، ونشاهدهم أثناء الرمى ، وعند زيارتهم للرسول الكريم ، أم أن هـــذا يتوقف على وجود مثـــل هذه المحطة فى المملكة العربية السعودية ؟

● ● ●

وقد تفضل الأستاذ زهير الكرمى مفتش أول العلوم بوزارة التربيـــة : الكويت بالاجابة عليه فقال :

لا بد من وجود محطة أرضية فى المملكة العربية السعودية حتى يمكـــن نقل وقائع حية عن مناسك الحج تلفزيونيا . وذلك بأن تصور المناسك تلفزيونيا ، ثم تبث من المحطة الأرضية الى القمـــر الصناعى الذى يعيـــد بثها الى المحطات الأرضية الأخرى ، ومنها المحطة الأرضية للاتصال عبر الاقمار الصناعيـــة فى الكويت ، وعندها يمكن نقل هذه المشاهد الى محطة الارســـال فى تلفزيـــون الكويت لتلتقط على شاشات التلفزيونات فى البيوت .



الدعوة الى الاسلام

عن مجلة الفكر الاسلامى التى تصدرها دار الفتوى الاسلامية ببيروت :

ان أرض الاسلام فى عهد ازدهارها كانت مركز الثقل الحضارى فى العالم ، وان التيارات الحضارية كانت الى حد بعيد تنبع منها وتنتقل الى غيرها من المراكز ، وان نماء أرض الاسلام وازدهارها الحضارى كان راجعا الى حسن الاستفادة من التراث العالمى الذى استطاعوا الوصول اليه ، ثم اعادة صياغته فى أساليب جديدة تستند أساسا الى الطابع الاسلامى الذى يؤمن بالله ويحترم العلم ، ثم جاءت بعد هذا دورة حضارية أخرى انتقلت فيها مراكز التأثير الكبرى الى خارج أرض الاسلام فأصبحنا نستورد بعد أن كنا نصدر ، وأخذ الصراع الجديد طابعا غير مسبوق فى الكشف العلمى والتقدم التكنولوجى .

وبذلك أصبح التحدى الكبير الذى يقابل عالمنا الاسلامى الآن هو مستواه العلمى اذا ما قارناه بالمستويات العلمية . وهذا المقياس من أخطر المقاييس ، ان لم يكن أخطرها جميعا فى عالمنا المعاصر ، فى الحكم على أمة أو شعب .

واذا كان العلم هو التحدى الكبير الذى يقابلنا ، فمن واجب الدين علينا ألا نظلمه ، وألا نعتبره مسئولا عن وضع نحن فيه ، وانما تقتضينا الموضوعية العلمية أن نحدد — لأنفسنا على الاقل — مسئوليتنا ، وابعاد العمل للمستقبل ، ونتخذ من الدين — وهذه طبيعته — دافعا قويا الى العمل والصعود الى هذه المستويات العالمية ، نشارك فيها ، نأخذ ونعطى ، دون انطواء أو تعقيد يصرفنا عن الاستفادة أو شعور بالنقص يدفعنا الى قبول كل شىء قبولا تتلاشى به شخصيتنا وتذوب فى بحر الحياة المتلاطم . ومن قبل يحدثنا التاريخ عن أجيال لم تستطع أن تقابل تحديات الحياة فجرفتها الحياة ، وربنا يحذرنا فيقول : « وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

حديث النـــاس

عن صحيفة الاهرام القاهرية :

الى أين تتجه القيم الخلقية فى هذا العالم الذى نعيش فيه ؟

وهل حل المجتمع العالمى كافة مشكلاته المعيشية حتى أصبح يعمل للتصدى لكل ما يعترض رغبات الفرد مهما بلغت من بشاعتها وأهدرت من الكرامة ؟

لقد قفز الى ذهنى هذا التساؤل وأنا أقرأ تعليق قاض بريطانى على تصرف زوج ضبط زوجته مع صديق له .. لقد حكم القاضى عليه بوضعه تحت المراقبة لمدة ثلاث سنوات وقال له معلقا : يجب أن تعتاد هذه الافكار العصرية (!!) ان مشكلتك أنك عتيق الفكر (!!) لم يعجبك أن زوجتك ضبطت متلبسة مع واحد من أفضل أصدقائك — انك تعيش فى عام ١٩٦٩ (!!) .

ومعنى هذا الكلام أن (سيادة) القاضي يرى أن الانسان لكى يكون عصريا وواسع الافق ، ويجارى الوقت الذى يعيش فيه ، فعليه ألا يمانع أن تفعل زوجته ما تشاء مع أصدقائه .

واذا كان هذا هو ما يحدث فى عام ١٩٦٩ ، فما الذى نتوقع حدوثه فى العام القادم والذى يليه ، وبعد عشر سنوات .. على هذا القياس فان « العصرية » تعنى فى نظر البعض انحلالا كاملا للمجتمع ، وقضاء نهائيا على القيم الاخلاقية ..

بالامس أباحوا الشذوذ الجنسى ، وأباحوا الابناء غير الشرعيين ، الى غير ذلك من الجرائم وها هم اليوم يطالبون الازواج بالتغاضى عن خيانة زوجاتهم والله يعلم ماذا سيطلبون غدا ..

ان رأيى أن المجتمعات التى حققت تقدما ضخما فى المجالات المختلفة ، سواء كانت علمية أو صناعية ، أو غير ذلك تعمل الآن على اقتحام مجالات لم تكن تقبل المساس منذ أن نزلت الاديان السماوية ورسمت للناس المبادىء الخلقية والعلاقات البشرية .. انهم يحاولون الآن أن يقضوا على كل المحرمات ، حتى يصبح الفساد والانحلال والفوضى سمة العصر ، وعنوان التقدم ، والفكر المفتوح !!

لقد حقق الانسان المعجزة ووصل الى القمر ، ومن هنا راح الذين يعيشون على الارض يبحثون عن مجالات أخرى يكتشفونها فلم يجدوا أمامهم الا المبادىء المتوارثة ، والقيم المتعارف عليها ، فبدأوا تحطيمها ، لكى يعود الانسان للحياة فى الغابة كما يعيش الحيوان .. والغريب أن نجد مثل هذه الدعوة من قاض يجلس على مقعد له قدسيته وله احترامه ..

اللهم احفظ مجتمعنا من هذه (العصرية الجديدة) واجعل مناعتنا ضدها قوية وصلبة ، فلقد أخذت هذه الافكار تنتشر فى العالم بنفس السرعة التى تنتشر بها الانفلونزا هذه الايام .

□ □ □

كم عندك من المال بالبنك ؟

عن مجلة الغرباء التى تصدرها جماعة الطلبة المسلمين فى المملكة المتحدة :

هل سألت نفسك يا أخى عن ماهية البنك الذى تتعامل معه ؟ وكيف يستعمل هذا البنك نقودك ..؟ فأعلن أن كل جنيه عند البنك يدر على صاحب البنك ما لا يقل عن اثنى عشر جنيها كل سنة .. لأنه يتعامل ويتاجر به طوال السنة .. فاذا كان البنك يهوديا فهل تصورت يا أخى مدى المساعدات التى يمكن أن يحصل عليها العدو من أموالنا بهذا الاسلوب غير المباشر ؟؟!!

هل فكرت يا أخى فى استعمال نقودك فى المجالات الاسلامية والمشاريع الصالحة التى تدر عليك وعلى اخوة الاسلام الربح بالاضافة الى منع البنك اليهودى من التمتع فى أموالك ورزقك الحلال .

ان أقل ما تستطيع عمله هو ابقاء أقل ما يمكن من المال فى البنك ، واستعمال الباقى فى تنمية المشاريع الاسلامية أو قرض اخوانك المحتاجين ..



اعداد الاستاذ عبد المعطي يومي

● **الكويت :** استقبل سمو أمير البلاد المعظم السيد ياسر عرفات رئيس منظمة تحرير فلسطين الذى يقوم حاليا بجولة فى البلاد العربية ، كما قابل سيادته سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء وعددا من المسئولين .

● صرح معالى وزير الخارجية بأن الكويت تؤمن ايمانا وثيقا بوجوب عودة الشعب الفلسطينى الى وطنه ، وأنها تدعم العمل الفدائى دعما كبيرا لتصعيد أعماله البطولية داخل الأراضى المحتلة .

● عقد فى وزارة الاشغال اجتماع حضره مندوبون عن وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية وعدد من المهندسين والمقاولين وبحث معهم متطلبات وزارة الاوقاف فى العام الجديد .

● قرر المكتب الدائم لمنظمة المدن العربية تأليف لجنة لجمع المساعدات لأعمال الانقاذ والاسعاف فى المدن المعرضة للعدوان الصهيونى .

● قررت جمعية المعلمين اقامة أسبوع ثان لجمع التبرعات للعمل الفدائى .

● زار البلاد وفد تجارى باكستانى برئاسة وزير التجارة الباكستانى لتدعيم العلاقات الاقتصادية بين البلدين المسلمين .

● زار البلاد وفد الجماعة الاسلامية فى ميونيخ فى جولة يقوم بها فى امارات الخليج للتبرع لاتمام بناء المركز الاسلامى .

● **القاهرة :** قام الرئيس عبد الناصر بزيارة كل من ليبيا والسودان بعد انتهاء مؤتمر القمة العربى الخامس .

● عقد وزراء خارجية المتحدة وليبيا والسودان عدة اجتماعات لبحث وسائل تنفيذ اتفاق طرابلس الخاص بالتعاون بين الدول العربية الثلاث .

● قام وفد من دائرة الافتاء اللبنانية بزيارة رسمية الى القاهرة ، وقد اجتمع مع وزير الأوقاف وشيخ الازهر وبعض كبار العلماء والمسئولين .

● قرر مؤتمر وزراء العمل العرب تخصيص رواتب تقاعدية للفدائيين وأسرهم عند العجز والاستشهاد .

● يقوم المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بطبع القرآن المجود على اسطوانات بأصوات كبار المقرئين لتوزيعها على العالم الاسلامى .

● يبحث مؤتمر علماء المسلمين فى اجتماعه القادم محاولات اسرائيل لتحريف القرآن ، وكذا تقنين الشريعة الاسلامية .

● **السعودية :** زار جلالة العاهل السعودى فرنسا وعقد اجتماعات هامة مع رئيس الجمهورية بحثا خلالها قضية الشرق الأوسط .

● انتهى مشروع الذبح النموذجى لتنظيم عمليات ذبح الأضاحى والاستفادة من لحومها ، وقد تكلف هذا المشروع حوالى مليون وربع مليون ريال سعودى .

● صدر قرار ملكى بتوزيع حوالى (٢٥٠,٠٠٠) هكتار من الأراضى الصالحة للزراعة على بعض المزارعين شريطة أن يعملوا على حرثها خلال سنتين أو ثلاث .

● يتوافد موكب الحجيج من مختلف أقطار الأرض على الاماكن المقدسة .

● أعدت وزارة الحج ترتيبات جديدة ومراكز حديثة لاستقبال الحجاج والعمل على راحتهم .

● **الأردن** : أكد جلالة الملك حسين بعد عودته من لندن اثـر انفضاض مؤتمر القمة العربى الخامس بأن الاردن لن يتخذ خطوة انفرادية فى قضية فلسـطين ، ولن يقبل تسـوية لا تتضمن استعادة جميع الأراضى المحتلة .

● توقفت الحياة تماما فى أوائل الشـهر الماضى فى مدينـة الخليل حيث أطلقت القوات الاسرائيلية النار بصورة جماعية على المواطنين فى الشوارع .

● أسقط الثوار الفلسطينيون طائرة مقاتلة للعدو فى الجليـل الأعلى ، كما أسروا جنديـا اسرائيليا فى مطلع ذى القعدة الماضى ، وشنوا هجوما كبيـرا على مواقع العـدو على طول نهر الأردن .

● **سوريا** : بلغ عدد الراغبين فى الحج هذا العام ستة آلاف حاج وسينقلون جوا .

● **لبنـان** : قامت اسرائيل بعدة غارات واعتداءات على قرى الجنوب وقـد خطفت بعض المدنيين فيما زعمته انتقاما لهجمات الفدائيين من الأراضى اللبنانية .

● عززت وسائل الدفاع فى جنوب لبنان لمواجهة العدوان الصهيونى على البلاد .

● أكد المسئولون تمسك لبنان باتفاقية القاهرة الخاصة بمساندة الفدائيين .

● **ليبيا** : تقرر انشاء صندوق للجهاد المقدس تتخذ حصيلته من الهبات والضرائب .

● تقرر انشاء صندوق للجهاد المقدس تتخذ حصيلته من الهبات والضرائب .

● تعاقدت ليبيا مع فرنسا على شراء ٥٠ طائرة ميراج .

● **السودان** : أكد نائب رئيس الوزراء انه لم يبق أمام العرب الا طريق واحد هو طريـق الحرب والدماء .

● **الجزائر** : أبعد عن البلاد بعض الأجانب الذين حاولوا انشاء منظمة تخريبية تعمل لصالح الصهيونية .

● **المغرب** : ينتظر أن تقوم المغرب بدور هام فى تقوية الصف العربى على ضوء التطورات التى حدثت فى مؤتمر القمة العربى الخامس .

● عقد لمدة أسبوع من ١٢ يناير الماضى مؤتمر وزراء التعليم العرب ، وقد بحث المؤتمـر وسائل تطوير التعليم التكنولوجى والمهنى ومحو الأمية .

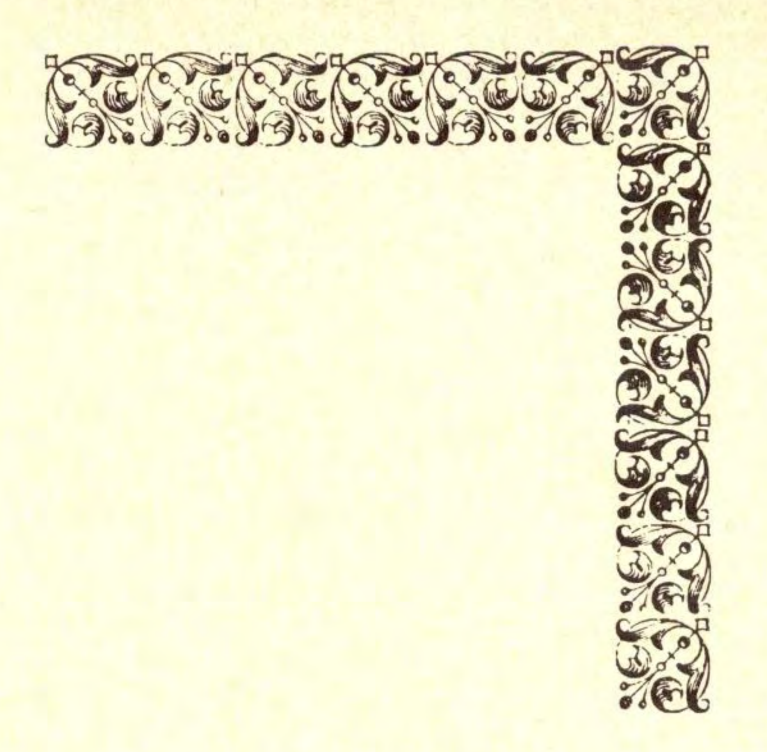
● **باكستان** : دعت جمعية الطلبة المسلمين الى مؤتمرها السنوى الـذى يعقد فى معهـد المهندسين بمدينة دكا .

● **نيجيريا** : انتهت الحرب الأهلية فى أوائل الشـهر الماضى بعد أن استولت القـوات الاتحادية على عاصمة الاقليم الذى كان منشقا ــ بيافرا ــ وهرب زعيم الانفصال وأصدر خلفه بيانا بتسليم الأسلحة وتلقى الاوامر من الاتحاديين .

● **ماليزيا** : بلغ عدد الحجاج الماليزيين هذا العام أكثر من ثمانية آلاف حاج وهو رقم قياسى .

● **الكاب** : نشطت الحركة الاسلامية وأمتد نشاطها الى غانا ونيجيريا ، وأصدرت الجمعيات الاسلامية هناك مجلة باللغة الانجليزية باسم الجهاد .

هديتك مع هذا العدد ((رسالة الحج))



فهرس عام للمجلة

في عامها الخامس

١٣٨٩هـ ١٩٦٩-١٩٧٠م

يشتمل على الموضوعات والأعلام

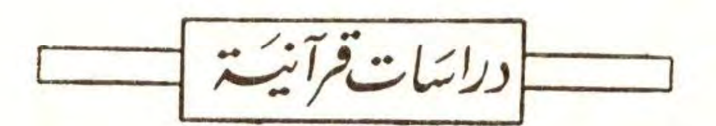
عقيدة

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
الاسلام وحرية العقيدة	الاستاذ جمال الدين عياد	٤٨/٥٧
تأمـلات	الاستاذ احمد مختار قطب	٦٨/٥٤
تفتيت الحقيقـة	الشيخ محمد الغزالى	٤٢/٥٤
الطريق الى الله	الشيخ مناع قطـان	٥٤/٥٦
عقائدنا الراسخة	الاستاذ احمد مظهر العظمة	٤٥/٥٩
العقيدة من صفات القائد المنتصر	اللواء محمود شيت خطاب	٢٦/٦٠
قضية الايمان بالغيب (١)	الاستاذ محمد كامل حته	٣٥/٤٩
قضية الايمان بالغيب (٢)	الاستاذ محمد كامل حته	٣٣/٥٢
قضية الايمان بالغيب (٣)	الاستاذ محمد كامل حته	١٤/٥٦
وحدة الدين ومميزات الاسلام	الاستاذ محمد محمد ابو خوات	٤٢/٥٢
يهوديـة وصهيونية (١)	الشيخ محمد الغزالى	٣٦/٥٦
يهوديـة وصهيونية (٢)	الشيخ محمد الغزالى	١٩/٥٩

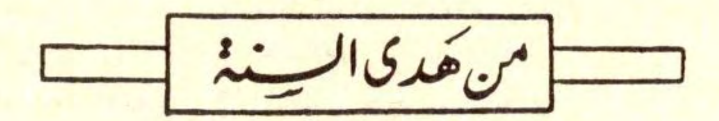
فقه وتشريع واقتصاد

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
أوقات رمى الجمـار	الاستاذ مصطفى الزرقا	٣٣/٥٩
البنك الاسلامى	الدكتور احمد شلبى	١٩/٥٦
بين الفرد والجماعة (٢)	الاستاذ الغزالى حرب	٦٩/٥٠
التأمين بين النظرية والتطبيق	الاستاذ محمد الدسوقى	١٢/٦٠
التأميـن فـى الشريعـة والقانون (١)	الاستاذ توفيق على وهبه	١٦/٥٣
التأميـن فـى الشريعـة والقانون (٢)	الاستاذ توفيق على وهبه	٥٨/٥٥
تعدد الزوجات صمان أمن	الدكتور شفيق الجراح	٤٤/٤٩
جريمة الزنا بين الشريعـة والقانون	الاستاذ توفيق على وهبه	٦٢/٤٩
الجهاد اليوم فريضة عين	الدكتور احمد الحوفى	٩/٥٦
حالات الضرورة الشرعية (١)	الدكتور وهبه الزحيلى	١٨/٥١
حالات الضرورة الشرعية (٢)	الدكتور وهبه الزحيلى	١١/٥٣
حجـة الوداع	الاستاذ عبدالله على الماجد	٢٦/٥٨

تتمة فقه وتشريع واقتصاد



تتمة دراسات قرآنية



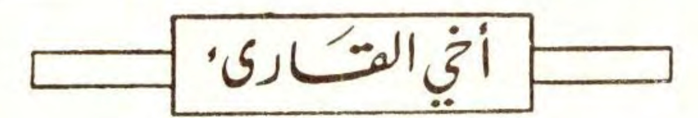
للدكتور : عبد المنعم عبد الحميد

تربية واجتماع

تاريخ وحضارة

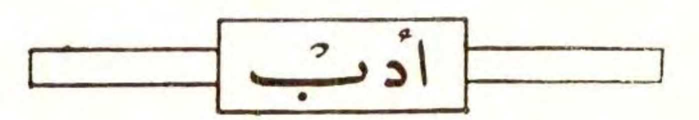
كلمات وأحاديث

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
حديث رمضان	الشيخ رضوان البيلى	٤/٥٧
حديث الشهر	الشيخ رضوان البيلى	٤/٥٩
الحزن وحده لا يكفى	الاستاذ محمد صبيح	٦٤/٥٧
ضيوف المجلة (١)	الاستاذ عبد المعطى بيومى	٧٤/٥٩
ضيوف المجلة (٢)		٥٧/٦٠
فى سبيل جيل مؤمن	معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية	٤/٤٩
من مجالس الوعظ	الاستاذ زكريا ابراهيم الزوكة	٥٠/٥٦



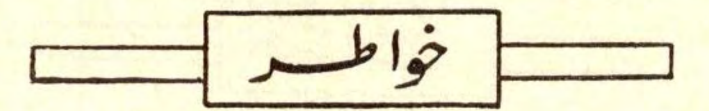
للشيخ عبد المنعم النمر

العدد/الصفحة	العدد/الصفحة
٦/٤٩	٤/٥٣
٤/٥٠	٤/٥٤
٤/٥١	٤/٥٥
٤/٥٢	٤/٥٦



الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
الاوائل والاوليات	الاستاذ محمد عبد الغنى حسن	٥٧/٥٨
بين الادب والدين	الاستاذ محمود غنيم	٥٣/٥٥
الثقيل الخفيف	الاستاذ على الجندى	٥٠/٥٠
ذكريات عن احمد حسن الزيات	الاستاذ محمود غنيم	٥٨/٥٠
من رياض الادب	الاستاذ محمود غنيم	٥٢/٥٧
مواقف من الاسلام عند شعراء المشرق	الاستاذ محمد عبد الغنى حسن	٢٠/٥١

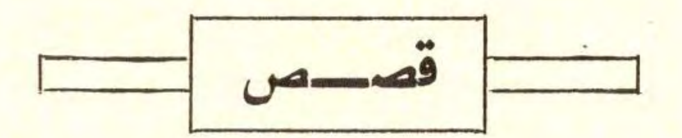
طب وعلوم



للشيخ : عبد المنعم النمر

قصائد

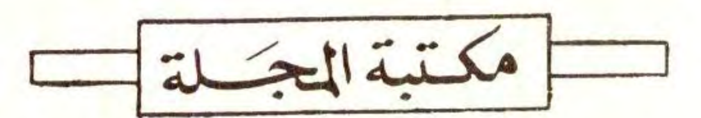
كتاب الشهر



تحقيقات وموضوعات عامة

الاعلام

بريد الوعي



مكتبة المجلة

اعداد الاستاذ : عبد الستار محمد فيض

اسم الكتاب	مؤلفه	العدد/الصفحة
بنو اسرائيل فى الكتاب والسنة	الدكتور محمد سيد طنطاوى	١٢٩/٤٩
تراث القاهرة العلمى	الدكتور عبد الرحمن زكى	٩٧/٥٥
التقرير السنوى	وزارة التربية	٩٧/٥٥
التكيف الدستورى لنظرية الحكومة فى الاسلام	الاستاذ محمد عبد الساعدى	٩٦/٥٠
الجامع الصغير فى علم النحو	الاستاذ محمد شريف سعيد الزيبق	٩٦/٥٠
جهاد شعب فلسطين	الاستاذ صالح بويصير	٩٨/٥٥
حقيقة معركتنا مع اسرائيل	الاستاذ عبد الغفور العقرب	٩٧/٥٥
الخليج العربى	الدكتور عبد القادر يوسف	٩٧/٥٥
دراسة فى قضية تعدد الزوجات	الدكتور عبد الناصر توفيق العطار	١٢٩/٤٩
دروس من غزوا تالرسول	الاستاذ محمد محمد ابو خوات	١٢٩/٤٩
رجال ونساء أسلموا	الاستاذ عرفات كامل العشى	٩٦/٥٠
زاد الدعاة	وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية	١٣٠/٤٩
الشعاع (ديوان)	الشاعر وليد الاعظمى	١٣٠/٤٩
فاطمة الزهراء	الاستاذ فاضل الحسينى الميلانى	٥٦/٥٠
قصة السيرة	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	١٢٩/٤٩
الكتاب السنوى	وزارة الارشاد والانباء	٩٨/٥٥
كهف أهل الكهف	الاستاذ رفيق وفا الدجانى	١٣٠/٤٩
مجلة القضاء والقانون	وزارة العدل	٩٧/٥٥
المرأة فى القرآن والسنة	الاستاذ محمد عزة دروزة	١٣٠/٤٩
مختصر صحيح مسلم	وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية	٩٨/٥٥
مساجد القاهرة المباركة	الدكتور عبد الرحمن زكى	٩٨/٥٥
من روائع حضارتنا	الدكتور مصطفى السباعى	١٢٩/٤٩
نظرية الضرورة الشرعية	الدكتور وهبه الزحيلى	٩٨/٥٥
الوحدة الاسلامية	الاستاذ زيد بن عبد العزيز	٩٦/٥٠

قالت صحف العالم

الموضوع	المجلة أو الجريدة	العدد/الصفحة
اسرائيل فى افريقيا	الكويت	٩٦/٥٤
الاعلام العربى	أخبار اليوم	٩٥/٥٤
الايمان وبغى الشيطان	البلاغ	٩٥/٥٦
جريمة مروعة	الاهـرام	٩٤/٥٥
حادث انابيب حيفـا	السياسة	٩٦/٥٣
حديث الناس	الاهـرام	٩٥/٦٠
الحريق	الرأى العام	٩٣/٥٥
الدعوة الى الاسلام	الفكر الاسلامى	٩٥/٦٠
سقط حيث يسقط الرجال	الرأى العام	٩٤/٥٠
السلبية فى العالم الاسلامى	البلاغ	٩٦/٥٨
سياسة الكويت تجاه فلسطين	السياسة	١٢٥/٤٩
سيف سلول	النهضة	٩٦/٥٢
الشرق الاوسط	البلاغ	٩٥/٥٣
الشقيقة المسلمـة والجـارة العزيزة	الهـدف	٩٦/٥١
شىء يجب أن نفعله	البلاغ	٩٥/٥٢
عملية الشهيد فرحان السعدى	البلاغ	٩٥/٥٦
كم عندك من المال بالبنك ؟	الغرباء	٩٦/٦٠
ماذا تقول الصحافة الاجنبية ؟	اخبا رالكويت	٩٦/٥٩
متى نختلف ؟	اخبار اليوم	٩٥/٥١
مدرسة الخادمات الفاتنا ت	اخبار الكويت	٩٦/٥١
مركز للثقافـة الاسلامية فى نيويورك	الرأى العام	١٢٦/٤٩
مطلو باجراء له قيمة	اخبار الكويت	٩٥/٥٩
مساندة الفدائيين	الهـدف	٩٣/٥٥
المعركة القادمة	الاعتصام	٩٤/٥٧
المنهج الاسلامى للحكم	البعث الاسلامى	٩٦/٥٨
المؤتمر الذى نطالب به	البلاغ	٩٣/٥٧
هل تعلم ؟	نشرة فلسطين	٩٥/٥٣
واخيرا ماذا ؟	رابطة العالم الاسلامى	٩٣/٥٧
ولنقل بصراحة عن الفـدائيين والحكومات	اليقظـة	٩٤/٥٠
وأولئك هم المفلحون	التربية الاسلامية	٩٥/٥٨

مائدة القارئ

٩٤/٤٩ ، ٦٢/٥٠ ، ٦٤/٥٥ ، ٦٨/٥٦ ،
٦٢/٥١ ، ٧٠/٥٢ ، ٦٢/٥٧ ، ٧٠/٥٨ ،
٦٤/٥٣ ، ٧٦/٥٤ ، ٧٢/٥٩ . ٧٢/٦٠

الكتاب

الكاتب	الموضوع	العدد/الصفحة
ابراهيم بديوى	مع الله (قصيدة)	٣٦/٥٤
ابراهيم عطوة	نظرات فى احكام التلاوة	٥٩/٥٦
ابو نزار	مائدة القارىء	جميع الاعداد
ابو الوفا المراغى	ابراهيم الحربى	٧١/٥٣
احمد الحوفى	الجهاد اليوم فريضة عين	٩/٥٦
احمد الشرباصى	تفسير المنار بين الامام وتلميذه	٣٥/٥١
	رشيد رضا واعجاز القرآن	٢٣/٥٧
احمد شلبى	المنذر بن عمرو الساعدى	٥١/٦٠
احمد شوكت الشطى	البنك الاسلامى	١٩/٥٦
احمد عنبر	الوحام	٧٣/٥١
احمد محمد جمال	سؤال عن ندائى (قصيدة)	٣٦/٥٥
احمد محمد الصديق	ما هى ثقافتكم يا شباب العرب ؟	٦١/٥٣
	صراع (قصة)	٨٣/٥١
	صيحة ندائى (قصة)	٣٤/٥٨
احمد مختار قطب	تأملات	٦٨/٥٤
احمد مختار قطب	نحن والغزو الفكرى	٦٤/٦٠
احمد مخيمر	فى غار ثور (قصيدة)	٦٠/٤٩
احمد مسلم ابراهيم	ميلاد الرسول اضخم حدث	٢٨/٥١
احد مصطفى السفارينى	ابن خلدون	٦٠/٥٤
	صلاح الدين الايوبى (قصيدة)	٣٢/٥٨
احمد مظهر العظمة	عقائدنا الراسخة	٤٥/٥٩
احمد النجار	التربية الاسلامية ومشكلاتنا الاقتصادية	٤١/٥٠
أنور الجندى	محمد اقبال فى ذكرى وفاته	٧٦/٥٠
اورخان محمد على	الحياة الابدية (قصة)	٨٣/٥٢
البهى الخولى	مثل من شبابنا الاول	٢٦/٤٩
	هل انصفت المرأة نفسها (٨)	٢٢/٥٢
	ما هى السماء ؟	٣٦/٥٧
توفيق على وهبه	جريمة الزنا بين الشريعة والقانون	٦٢/٤٩
	التأمين فى الشريعة والقانون (١)	١٦/٥٣
	التأمين فى الشريعة والقانون (٢)	٥٨/٥٥

الكاتب	الموضوع	العدد/الصفحة
جلال الحنفى	الدم المسفوح	٥٣/٥٠
جمال الدين عياد	دين الطهارة	٤٩/٥٥
	الاسلام وحرية العقيدة	٥٧/٤٨
حسن عيسى عبد الظاهر	نيجيريا	٥٩/٥٨
حسن فتح الباب	من وحى ميلاد الرسول (قصيدة)	٥١/٤٦
	يا لها اسوة ببدر تجلت (قصيدة)	٥٧/٤٤
حسين القبانى	اسامة بن زيد	٥٦/٧٠
حمدى متولى مصطفى	ما يقال عن الاسلام (كتاب الشهر)	٥١/٧٧
رضوان رجب البيلى	حديث رمضان	٥٧/٤
	حديث الشهر	جميع الاعداد
	بريد الوعى	
رمضان لاوند	الاسلام فى الشرق الاقصى (كتا بالشهر)	٦٠/٧٤
زكريا ابراهيم الزوكه	من مجالس الوعظ	٥٦/٥٠
زكريا البرى	سؤال وجواب	٥٤/٤٦
سعيد الافغانى	درس من الاندلس	٥٢/٤٨
سعيد زايد	دراسات عسكرية (كتاب الشهر)	٥٦/٧٤
شفيق الجراح	تعدد الزوجات صمام أمن	٤٩/٤٤
صالح عبد اللطيف الرفاعى	المسجد الوطنى فى كوالالمبور	٥٣/٧٦
صلاح عزام	هذا ما يحدث فى ارتيريا	٥٧/٦٨
طلعت غنام	المسلمون فى ساحل العاج	٥١/٦٤
طه الولى	الاسلام والمسلمون فى بلاد النمسا	٤٩/٦٨
	صفحات مطوية من احداث الشام	٥١/٥٤
	جهاد شعب فلسطين	٥٥/٧٤
	المسجدان الصخرة والاقصى	٥٧/١٨
عبد الجليل عيسى	من المسئول عن مقاومة الفساد ؟	٥٠/٩
عبد الحميد السائح	القدس مركز المقدسات	٥٥/١٩
	حطين اخرى فى القرن العشرين	٦٠/٣٢
عبد الحميد غرابة	جحافل الشر (قصة)	٥٦/٧٨
عبد الحميد فرحات	حول التربية الدينية للشباب	٥٣/٢٨
عبد الرحمن ابو شادى	مكتبة التراجم العربية	٥٣/٦٦
عبد الرحمن بارود	مرارة وصرخة (قصيدة)	٥٤/٤٠

الأغلفة

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار — ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة مكة المكرمة ص.ب (٤٦)

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء — السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة — شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة مكة ص.ب (٤٦)

جدة : الدار السعودية للنشر — ص.ب (٢٠٤٣)

بغداد : مكتبة المثنى — السيد قاسم محمد الرجب .

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — السيد محمد سعيد بابيضان .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها — المنامة — السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب — ص.ب (٢٨) حضرموت .

دبى : ساحل عمان ص. ب (٢٦١) — السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية — السيد حسين قمر .

تعـــز : مكتبة المنار الاسلامية — السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية — السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع — بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع — بيروت — ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء — مكتبة الوحدة الوطنية — السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب — ص.ب (١٣٢) — السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية — صب (٢٨٠) — السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتبة منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة


وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ
صدق الله العظيم